# الكتاب العاشر

## مفاتيح علم التصوف السني الرشيد

## وبيان مدارسه المعتمدة

## على منهاج أهل السنّة والجماعة

## سواد اهل الإسلام الأعظم

جمع واعداد

مجدي محمد علي

حاصل على الشهادة العالمية في العلوم الشرعية

# مفاتيح العلوم الإسلامية
# التي يحتاجها طالب العلم الشرعي

سلسلة من المؤلفات تشمل أهم العلوم الإسلامية

جمع وإعداد

مجدي محمد علي

**تشتمل هذه السلسلة: (سلسلة مفاتيح العلوم الإسلامية التي يحتاجها طالب العلم الشرعي)**

**(المجموعة الأولى): على مفاتيح عشرة علوم، من أهم علوم الإسلام،**

**الكتاب الأول: مفاتيح علم التقديس والتنزيه،**

**الكتاب الثاني: مفاتيح علم أحكام الإيمان والكفر**

**الكتاب الثالث: مفاتيح علم أحكام التوحيد والشرك**

**الكتاب الرابع: مفاتيح علم احكام الاتباع والابتداع (علم السنّة والبدعة)**

**الكتاب الخامس: مفاتيح علم الانتساب إلى أهل القبلة (أمة الإسلام)**

**الكتاب السادس: مفاتيح علم الانتساب إلى الجماعة الناجية (أهل السنّة والجماعة)**

**الكتاب السابع: مفاتيح علم السياسة الشرعية الإسلامية الرصينة،**

**الكتاب الثامن: مفاتيح علم العقيدة الإسلامية المتخصصة،**

**الكتاب التاسع: مفاتيح علم الفقه الإسلامي المنهجي المتخصص**

**الكتاب العاشر: مفاتيح علم التصوف الإسلامي الرشيد والتزكية الإسلامية السنية الصافية**

**والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل،**

# الكتاب العاشر

## مفاتيح علم التصوف السني الرشيد

# وبيان مدارسه المعتمدة

# على منهاج أهل السنّة والجماعة

# سواد اهل الإسلام الأعظم

جمع واعداد

مجدي محمد علي

**قال الشيخ زروق**

**(نسبة التصوف في الدين نسبة الروح من الجسد، وإن هذا العلم لا يؤخذ من الأوراق وإنما يؤخذ من أهل الأذواق، ولا يُنال بالقيل والقال،**

**وإنما يؤخذ من خدمة الرجال وصحبة أهل الكمال، وكما قالوا: والله ما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح) " أهـ،**

**[قواعد التصوف]**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: 102]، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: 1]، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب:70-71]، أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشرّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، ثم أما بعد:

**[بين يدي الرسالة]:** هذه الرسالة تتناول: **(علم التزكية المنهجية المتخصصة)**: وهو المعروف في عمق التاريخ الإسلامي بـ **(التصوف السني الرشيد)** ذلك العلم القائم على تحقيق مرتبة الإحسان أعلى مراتب الدين، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما سأله جبريل عليه السلام: (فأخبرني عَنْ الإحسان)؟ قَالَ: (أن تعبد اللَّه كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) [أخرجه مسلم]، فأول الإحسان عبادة الله على المراقبة وأعلاه عبادة الله تعالى على المشاهدة، والتصوف السني الرشيد القائم على الكتاب والسنّة إنما يدور كله حول هذا مقام (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، وهذا التصوف هو الذي كان عليه الفُضْيل بن عياض، والجُنَيْد بن محمد، وسهل بن عبد الله التُّسْتَري وغيرهم من اكابر الاولياء القائمين على التصوف، **وقد جمعت في هذا الكتاب العاشر من هذه السلسلة** – بحمد الله تعالى – الكثير من المفاتيح والقواعد العلمية والسلوكية المؤسسة لعلم التصوف السني الرشيد، ومفاتيح هذا العلم التي تعطي صورة كاملة وصحيحة عن التصوف السني الرشيد، الذي هو بمثابة الجامعة التي يتخرج منها الاولياء المرشدون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، **لقد اصطلحت الأمة الإسلامية** في عمق تاريخها الإسلامي ومنذ ما يزيد على ألف عام على تسمية العلم الذي يقوم على مرتبة الإسلام بعلم الفقه، والعلم الذي يقوم على مرتبة الإيمان بعلم أصول الدين، أو علم العقيدة، والعلم الذي يقوم على مرتبة الإحسان يبين حقائقها ومنازلها بعلم التصوف، والمقصود به: (التصوف الحق القائم على الكتاب والسنّة) وكما أنه من الخطأ أن نقول (الفقه مذهب إسلامي)، أو (العقيدة مذهب إسلامي)، فكذلك من الخطأ أن نقول (التصوف مذهب إسلامي)، لأن الفقه علم أساسي من علوم الدين يتناول الشريعة، وكذلك العقيدة علم أساسي من علوم الدين يتناول الاعتقادات الواجبة على كل مؤمن، وكذلك التصوف تماما، فهو علم أساسي من علوم الدين يتناول تحقيق (مرتبة الإحسان) أعلى مراتب الإسلام، **و(التصوف الحق)**: هو العلم الذي تخصص بتزكية الظاهر والباطن، قال تعالى: {وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ}، وقد أجمع الفقهاء على أن الأمراض والآفات الباطنية (القلبية) كالكبر والحقد والحسد والغضب والطمع والبخل والبطر والخيلاء من الذنوب والكبائر القلبية التي تحتاج إلى توبة وطهارة وغالبها لا ينفك عنها بشر، **و (التصوف الحق)** هو العلم الذي اختص بمعالجة هذه الأمراض القلبية والعمل على تزكية النفوس والتخلص من صفاتها الناقصة الذميمة، **قال حجة الإسلام الغزالي:** (الدخول مع الصوفية فرض عين، إذ لا يخلو أحد من عيب، إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام)، **وقال العارف بالله أبو الحسن الشاذلي:** (من لم يغلغل في علمنا هذا، مات مُصراً على الكبائر وهو

لا يشعر)، و**(التصوف الحق)**: هو العلم الذي تحدث عن منازل السائرين إلى الحق المبين، وهو العلم الذي نتعلم منه كيفية السير إلى الله والسفر إلى الحق والدخول على حضرة ملك الملوك سبحانه في مقام المشاهدة والعيان، **فلذلك قال الجنيد لسان أهل التصوف: (**لو علمت أن تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم الذي نتكلم فيه مع أصحابنا لسعيت إليه)، والمقصود به علم التصوف السني الحق القائم على أدلة الكتاب والسنة والتي لا يعرف مفاتيحها حق المعرفة ولا يصل إلى معانيها إلا الاولياء المرشدون الراسخون في العلم، ومفاتيح هذا العلم الرشيد الصحيحة غاية في الأهمية لأنّ دين الله عز وجل عدل وسط بين الغالي فيه والمقصر، **فلا نُهمل حق الاولياء المرشدين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ولا نسكت عن الادعياء الذين أساءوا إلى التصوف أشد الإساءة عندما شوهوا صورته الصحيحة** ووقفوا حجر عثرة أمام علومه الربانية الصافية، **إنّ (التصوف الحق) -بغير مبالغة-: هو تاج العلوم وسيد المعارف**، وهو أعلى وأجل من ذلك، وليس بعد أهله في المراتب والعلم والفقه والمعرفة والدين إلا الأنبياء والمرسلين، هم الصديقون والأولياء والعارفون أهل المخاطبات والمكاشفات والمشاهدات والمعاينات، وهم أهل التحقق والتمكين، وهم أهل التجريد والتفريد والجمع والتوحيد، وهم أعمق الناس فهما للكتاب وهم اعرف الناس بسنة المصطفى المختار، وهم ورثة أحوال ومنازل ومقامات النبي صلى الله عليه وسلم، وفي هذا الكتاب توضيح لما هم عليه من علم راسخ وفهم واسع وعرفان ناشئ عن شهود وعيان، وبيان أنّ التصوف الرشيد هو الطريق الأمثل والأقصر لإنقاذ أمة الإسلام والتوحيد، وأسال المولى تبارك وتعالى أن يسدد القلم في ذكر شرف التصوف وعلو مرتبته بين مراتب الدين، وقد اقتصرت فيه على أوضح الأدلة، تاركا التفصيل والتأصيل خشية التطويل، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل،

**[الأهداف الشرعية من كتابة هذه الرسالة عن التصوف السني الرشيد]: (أ) بيان أنّ التصوف علم إسلامي أصيل مرادف لمصطلح التزكية في القرآن ومصطلح الإحسان في السنّة**، فكما هو معلوم لكل طالب علم أنّ القرآن الكريم قد تطرق إلى العلوم المهمة ولمواضيعها الأساسية، دون أن يعطي لها مسميات وتعريفات ودون أن يجمع أصولها وقواعدها وضوابطها وشروطها في موضع واحد، بل فرق تلك القواعد في ثنايا السور والآيات وترك تسمية العلوم وجمع تعريفاتها وقواعدها وأصولها للعلماء لكي يتدبروا ويجتهدوا ويسعى كل عالم منهم من أجل كشف لبنات هذه العلوم، وعلى مر العصور تتبلور العلوم، وتتخصص المدارس العلمية، ويتقن كل فريق من العلماء ما

تخصصوا فيه من العلوم، فكما تخصص علماء الأصول في علم العقائد وسموه علم العقيدة، وكما تخصص الفقهاء في علم الفقه وسموه بهذا المصطلح، كذلك علم التصوف كباقي العلوم لم يذكر اسمه في القرآن الكريم وإن كان هو المرادف لمصطلح (التزكية) المقصودة بقوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} [الشمس: 9-10]، وكذلك فإن (التصوف) هو المرادف لمرتبة الإحسان الواردة في حديث جبريل عليه السلام وفيه: (قَالَ: فأخبرني عَنْ الإحسان؟ قَالَ: "أن تعبد اللَّه كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك")) [أخرجه مسلم]، و **(ب) بيان أهم مباحث علم التصوف:** التصوف علم عظيم واسع من علوم أهل السنة والجماعة يقوم على تزكية النفس، وتخليتها من دسائس الأخلاق وتحليتها بالأخلاق العظيمة والمبادئ السامية، مع وجود منهاج عملي يقوم على الذكر والفكر والزهد في الدنيا وإيثار الآخرة، من أجل الوصول إلى مرتبة الإحسان أعلى مراتب الدين وأعظمها، والتصوف الإسلامي هو تربية علمية وعملية للنفوس وعلاج لأمراض القلوب وغرس الفضائل واقتلاع الرذائل وقمع الشهوات وتدريب على الطاعات، والتصوف لا يعدوا أن يكون جهاداً عنيفا ضد الرغبات ليصل الإنسان إلى منازل الإحسان، أعلى أركان الدين (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك))، والتصوف منهج يقوم على (التخلية) و (التحلية)، تخلية القلب واللسان والجوارح وتطهيرها من الأخلاق السيئة، وتحلية القلب واللسان والجوارح بالأخلاق الحسنة، وهذا المنهج يستمد أصوله وفروعه من القرآن والسنة النبوية واجتهاد العلماء فيما لم يرد فيه نص، وطريق التصوف هو الاجتهاد في العبادات والقربات والمسارعة في الخيرات، مع اجتناب المنهيات والمكروهات، وتربية النفس على طاعة الله وجهادها على دوام ذكر الله، وتطهير القلب من مساوئ الأخلاق، ودسائس الطباع، وتحليته بأحسن الأخلاق مع الله ومع الناس، وكل ما سبق يحويه ما أسماه أصحابه بـ (علم التصوف)، بينوا أصوله وفروعه ومناهجه الربانية في بلوغ مراتب الصديقين والمحسنين والصالحين وحسن أولئك رفيقا، **و (ت) بيان أهمية علم التصوف:** إذ التصوف علم له أهمية بالغة بين علوم الدين: لأنّه اختص بتزكية الباطن عملاً بقوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ} [الْأَعراف: 33]، وقال تعالى: {وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ} [الْأَنعام: 151]، كما تخصص في تزكية القلب بطهارته من الحقد والحسد والكبر والعجب والرياء...، وتحليته بالإخلاص والصدق والتواضع والتقوى وعظيم الأخلاق... وهذا القسم الذي تخصص فيه التصوف هو القسم الأهم لقوله صلى الله عليه وسلم: (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي

القلب) [أخرجه البخاري (52)، ومسلم (2523)] وقوله صلى الله عليه وسلم: (إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) [أخرجه مسلم (2564)]، وقوله صلى الله عليه وسلم (... التقوى ههنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) [أخرجه البخاري (5718) ومسلم (2559)]، كما تخصص في عظيم الأخلاق لقوله صلى الله عليه وسلم (إن الرجل ليبلغ بحسن الخلق درجة الصائم القائم) [أخرجه الإمام أحمد في مسنده (19: 76)]، وقد أجمع الفقهاء على أن الأمراض والآفات القلبية كالكبر والشح والحقد والغش والغضب والعداوة والبغضاء والطمع والبخل والبطر والخيلاء والخيانة من الذنوب والكبائر القلبية التي تحتاج إلى توبة وطهارة وغالبها لا ينفك عنها بشر، والتصوف هو العلم الذي اختص بمعالجة هذه الأمراض القلبية والعمل على تزكية النفوس والتخلص من صفاتها الناقصة الذميمة، وهو العلم الذي تخصص في رسم الطريق الحقيقي العلمي العملي الذي يوصل المسلم إلى أعلى مقامات الكمال الأخلاقي مع الله تعالى ومع الناس، **وعلى ذلك يمكننا القول بأنّ (التصوف) منهج عملي كامل**، يحقق صلاح المسلم وتهذيب أخلاقه وتحوله إلى شخصية مسلمة مثالية متكاملة، تعيش في درجات الإحسان، ومن هنا تظهر أهمية التصوف وفائدته، ويتجلى لنا بوضوح، أنه علم إسلامي قيم، لا غنى عنه لكل مسلم، كما لا غنى له عن علوم العقيدة التي تصلح الاعتقاد وعلوم الفقه التي تصلح العبادات والمعاملات، وحاصله اتصاف المسلم بجميع المحامد وترك جميع الأوصاف الذميمة، وهو مسلك قائم على العلم والعمل، وله منازل أعلاها المشاهدة (أن تعبد الله كأنك تراه) وأولها المراقبة (فإن لم تكن تراه فإنه يراك) وله مقامات عديدة شريفة منها التوبة والمحاسبة والخوف والرجاء والصدق والإخلاص والصبر والورع والزهد والرضا والتوكل والشكر، و (التصوف) هو الطريق المؤدي إلى أرقى درجات الكمال الإيماني والإحساني الذي به يتحقق مقام الشهود وحق اليقين، وهو الطريق إلى مدارج السالكين ومراقي الصاعدين إلى مرضاة رب العالمين، وأنه – علم التصوف النقي الصافي القائم على الكتاب والسنّة – أهم علوم الإسلام وأعلاها منزلة ولابد من إنصافه، **و (ث) بيان ضرورة تصحيح مسار التصوف وتجديد أمره:** التصوف كغيره من علوم الإسلام قد دخل فيه من ليس من أهله من الأدعياء والدخلاء والجهلاء، وهؤلاء لا يمكن أن يضروا التصوف، بل ضررهم على أنفسهم، ولا زال العلماء والأولياء يتكلمون على أخطاء المتصوفين، ويصححون مسار التصوف، وهم يفرقون بين الصوفية الحقة وأدعياء التصوف، يثنون على التصوف الصحيح وأهله بالخير،

ويهاجمون الأدعياء والدخلاء دون إساءة للتصوف والصوفية، أما أن نأخذ الصالح بجريرة الطالح فهذا ظلم عظيم، قال الله تبارك تعالى {وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} [الأنعام:164]، **و (ح) التنبيه على محاولات خاطئة يائسة للقضاء على التصوف:** إذ هناك فريق يدعي الإصلاح –وهو أبعد ما يكون عن الإصلاح– يسعى لاقتلاع التصوف من جذوره، وهم يبذلون كل الوسائل المتاحة لديهم لمحاربته، ويصرون على إلصاق كل التهم بالصوفية دون تفريق، إن كلمة (صوفي) كانت على مر عصور الإسلام السابقة كلمة ثناء، وصفة مدح، فهل يعقل أن نأتي الآن لنغير حقائق الدين والتاريخ محاولين إضفاء صبغة البدعة والضلالة على ذلك العلم الذي يتناول التزكية والأخلاق وأعمال القلوب في دين الله تعالى، هل يعقل اليوم أن ينادي بعض من يزعمون الإصلاح إلى اقتلاع التصوف من جذوره، وابادة التصوف وأهله، وردم التراب على تراث المتصوفة بحجة تطهير المنهج من المبتدعة، فهل بعد هذا التنطع من تنطع، وأين يذهب تسعة أعشار أهل السنة في العالم اليوم في الهند والباكستان، وفي مصر والسودان ودول المغرب العربي وفي اندونيسيا، وغيرها من بلاد المسلمين، هذا اليوم، فما بالنا بهم على مر عصور الإسلام السابقة، وأين يذهب الجنيد وأصحابه، وحجة الإسلام الغزالي وأتباعه، وعبد القادر الجيلاني والرفاعي والشاذلي وآلاف الآلاف من أتباعهم، إن هؤلاء هم سادة التزكية وأقطاب التصوف ودعائم الأخلاق، ولا يكابر في إنكار فضلهم إلا مجازف بدينه مخاطر بأمته، وهل انتشر الإسلام في أقاصي الشرق والغرب إلا بأخلاق هؤلاء وجهودهم في الدعوة إلى الإسلام، ليس معنى ذلك أن نبرأ الصوفية من كل خطأ وأنهم معصومون، فهناك من أدعياء الصوفية من أساء للصوفية أكثر من أعداء التصوف، ولابد من تجديد التصوف حتى يسير في إتمام مهمته من تزكية النفس وبناء أمة الأخلاق في خضم زمان لا يعرف أهله سوى الماديات، **و (خ) بيان واجبنا اليوم نحو التصوف:** فلابد من انصاف التصوف ورد الاعتبار إليه وتصفيته من الدخن والخلل، والعودة به إلى تزكية الكتاب والسنة، والتزام المبادئ الإيجابية التي جاء بها التصوف الإسلامي، وتأكيد ارتباطه بالكتاب والسنة، لأنه – بحق – علم رباني من أهم علوم الإسلام وأعلاها منزلة،

**[خطوط عريضة لأهم موضوعات الرسالة]:** من أجل بيان علم التصوف السني الرشيد وبيان التزكية والأخلاق على منهاج الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة، كان الكتاب العاشر من سلسلة مفاتيح العلوم الإسلامية، (كتاب مفاتيح علم التصوف السني الرشيد وبيان مدارسه السنّية الرشيدة

القائمة على التزكية الإسلامية الصحيحة والقائمة على مرتبة الإحسان أعلى مراتب الدين، **وقد اشتمل هذا الكتاب – بحمد الله تعالى – على (خمسين) مبحثا من مباحث هذا العلم الجليل**، تتحدث عن التصوف الحق وتشير إلى اهم جوانبه، وتلك هي عناوين المباحث: **(المبحث الأول):** ميزان نبوي لمعرفة الحق في هذه الامة، **(المبحث الثاني):** حال الوهابية الذين يحاربون التصوف، **(المبحث الثالث):** مراتب الدين وبيان أنّ أعلاها هو التصوف النائب عن مرتبة الإحسان، **(المبحث الرابع):** مدخل إلى علم التصوف، **(المبحث الخامس):** التصوف الحق، **(المبحث السادس):** مبادئ التصوف، (المبحث السابع): حقائق عن التصوف، **(المبحث الثامن):** غاية التصوف، **(المبحث التاسع):** سبيل التصوف لبلوغ الغاية، **(المبحث العاشر):** القرآن الكريم والتصوف، **(المبحث الحادي عشر):** النبي صلى الله عليه وآله وسلم والتصوف، **(المبحث الثاني عشر):** الصحابة رضي الله عنهم والتصوف، **(المبحث الثالث عشر):** شهادات تزكية من علماء الأمة للتصوف السني ورجاله، **(المبحث الرابع عشر):** صورة عن رجال علم التصوف وأولياء الله تعالى المقتدى بهم في الدين، **(المبحث الخامس عشر)** : عقيدة أهل التصوف، **(المبحث السادس عشر):** براءة أهل التصوف الحق من العقائد المخالفة للكتاب والسنة، **(المبحث السابع عشر)** : تصحيح أفكار عن التصوف، **(المبحث الثامن عشر):** أهل التصوف والمرجعية العقائدية، **(المبحث التاسع عشر):** أهل التصوف والمرجعية الفقهية، **(المبحث العشرون):** التصوف وسلامة القلب من أمراضه، **(المبحث الحادي والعشرون):** التصوف وتزكية الأنفس (منهاج الصوفية في التزكية)، **(المبحث الثاني والعشرون):** ثمرَات مناهج التصوف التربوية، **(المبحث الثالث والعشرون):** أخلاق وآداب أهل التصوف الحق، **(المبحث الرابع والعشرون):** مقامات ومنازل وأحوال أهل التصوف، **(المبحث الخامس والعشرون):** أعلام وأقطاب التصوف، **(المبحث السادس والعشرون):** مدارس التصوف، **(المبحث السابع والعشرون):** الطرح الصوفي في الإصلاح العلمي والعملي والسياسي والأخلاقي، **(المبحث الثامن والعشرون):** الصوفية وأحكام الإيمان والكفر، **(المبحث التاسع والعشرون):** الصوفية وأحكام التوحيد والشرك، **(المبحث الثلاثون):** الصوفية وعلم السنة والبدعة، **(المبحث الحادي والثلاثون)** : الصوفية وعلم التقديس والتنزيه، **(المبحث الثاني والثلاثون):** الصوفية وأحكام السياسة الشرعية، **(المبحث الثالث والثلاثون):** الصوفية وأهل السنة والجماعة سواد المسلمين الأعظم، **(المبحث الرابع والثلاثون):** الصوفية واحترام التخصص العلمي لأهل السنة والجماعة، **(المبحث الخامس والثلاثون):** الصوفية وحرمة أهل الإسلام قاطبة، **(المبحث السادس والثلاثون):** الصوفية والموقف من الفرق الضالة من

أهل الإسلام، **(المبحث السابع والثلاثون):** الصوفية والصحب الكرام والآل الاطهار، **(المبحث الثامن والثلاثون):** الصوفية وعلم الاخلاق، **(المبحث التاسع والثلاثون):** قواعد التصوف، **(المبحث الاربعون):** أدلة شرعية لمفردات التصوف، **(المبحث الحادي والاربعون)** : مصطلحات أهل التصوف، **(المبحث الثاني والاربعون):** نظريات أهل التصوف، **(المبحث الثالث والاربعون):** دور التصوف المنوط به في التقريب بين شتى الفرق الإسلامية، **(المبحث الرابع والاربعون):** تصفية التصوف من دعاوى الأدعياء، **(المبحث الخامس والاربعون):** تصفية التصوف من جهل الجهلاء، **(المبحث السادس والاربعون):** دفاعا عن التصوف السني الحق، **(المبحث السابع والاربعون):** فهم الصوفية المعتدل للإسلام هو الحل، **(المبحث الثامن والاربعون):** رسالة إلى أتباع الطرق الصوفية، **(المبحث التاسع والاربعون):** رسالة إلى الوهابية أعداء التصوف، **(المبحث الخمسون)** : معالم الإصلاح والتجديد في مجال التصوف، أسال الله عز وجل أن يلهمني الصواب وأن يجنبني الخطأ والزيغ وأن يهديني صراط علماء أهل السنّة المحققين إنه وليّ ذلك وهو سبحانه نعم المجيب،

***

## المبحث الأول

# ميزان نبوي لمعرفة الحق في هذه الامة

**[المفتاح الأول]: النبي صلى الله عليه وآله وسلم أشد الخلق حرصا على هداية البشر،**

وأكثر الناس رأفة ورحمة بأهل الإسلام، قال تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [التوبة: 128]، ولذلك وضع لنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم ميزانا دقيقا، حتى نعرف الحق عند كثرة الاختلاف بين طوائف الامة، فلا نضيع عند تزاحم الأهواء والبدع والضلالات، أخرج ابن ماجة في سننه عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم، يَقُولُ: (إِنَّ أُمَّتِي لَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالَةٍ، فَإِذَا رَأَيْتُمُ اخْتِلَافًا فَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ)، [سنن ابن ماجة: ح 3950]، فقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (إِنَّ أُمَّتِي لَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالَةٍ)، يدل على أن اجماع علماء الامة حق، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (فَإِذَا رَأَيْتُمُ اخْتِلَافًا فَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ) يدل على أنه عند الاختلاف يكون الصواب والرشاد مع رأي الكثرة من العلماء، والمراد (بالسواد الأعظم) هم سواد علماء أمته صلى الله عليه وآله وسلم لأن العلماء ورثة الانبياء وهم أهل الاستنباط والإفتاء، ولا يرد على ذلك استدلال البعض بقوله تعالى: {وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}، وقوله تعالى: {وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ}، فإن مورد تلك النصوص هو كثرة الكفار في الأرض وقلة المؤمنون فيها، ولم يزعم أحد أن الصواب يكون في جانب الكثرة المطلقة من كفار ومؤمنين، ولكن ندعي أن الصواب يكون في جانب السواد الأعظم من علماء الأمة، وأنّ الخطأ يكون فيمن شذ عنهم، وهذا معنى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: (فَإِذَا رَأَيْتُمُ اخْتِلَافًا فَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ)

**[المفتاح الثاني]: القاعدة النبوية ترشدنا إلى اتباع سواد علماء الامة الاعظم على مر عصور الإسلام**، وقد كان المسلمون في أول أمرهم أمة واحدة يجمعها الإسلام، إلى أن ظهرت الآراء المفرقة والأهواء المهلكة، فانتظم السواد الاعظم من الامة على مفهوم (أهل السنة والجماعة) للتعبير عن آراء أهل الحق والنجاة في مقابل الفرق الضالة، ولا يستطيع أحد أن يكابر وينكر أن

أهل السنة والجماعة هم سواد المسلمين الاكبر على مر عصور الإسلام، لاسيما وأن كل الفرق عالة على أهل السنة والجماعة في الكتاب والسنة والإجماع والتخصص العلمي الفريد، هم الذين جمعوا القرآن وكتبوه وحفظوه، ولهم المرجعية في باب حفظ القرآن، ومعرفة القرآن، وعلوم القرآن، وهم أهل الحديث وخاصته، جمعوا الحديث وكتبوه وحفظوه، ولا يعرف المسلمون كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا من مراجعهم الحديثية كالصحيحين وكتب السنن والمسانيد والمستدركات ولا يعرفون علم الرجال إلا من كتب الجرح والتعديل التي كتبها علماء اهل السنة والجماعة، وهم أهل الإجماع، المصدر الثالث من مصادر التشريع بعد الكتاب والسنة، وهم اهل التخصص العلمي لهم مدارس متخصصة في جميع علوم الدين، لاسيما علوم المقاصد (العقيدة والفقه والتزكية)، لقد اصطلحت هذه الجماعة التي تمثل سواد الأمة الإسلامية الأعظم منذ أوائل ظهورها: على تسمية العلم الذي يشرح أركان الإسلام بعلم الفقه، والعلم الذي يشرح أركان الإيمان بالعقيدة، والعلم الذي يشرح مقام الإحسان بعلم التصوف، (التصوف) هو السعي لتحقيق مرتبة الإحسان الظاهر والباطن، ففي العقيدة تأسست لهم ثلاث مدارس: (المدرسة الأثرية)، (والمدرسة الأشعرية)، (والمدرسة الماتريدية)، وبها اكتملت علوم العقيدة، وفي الفقه تأسست لهم أربعة مذاهب، وهي: المذهب الحنفي، والمذهب المالكي، والمذهب الشافعي، والمذهب الحنبلي، وبها اكتملت علوم الفقه، وقد تنوعت الطرق الصوفية التي يسلكها الربانيون في تربيتهم للسالكين إلى منازل الإحسان أعلى منازل الدين، وكان لكل منهم طريقة في السلوك لها أورادها واجتهاداتها التي تميزت بها عن غيرها، وأخذت بيد المسلمين إلى رضا رب العالمين، وبهذا التخصص الفريد، صار الإطار الواسع الصحيح لأهل السنة والجماعة يشمل سواد المسلمين الأعظم أتباع أئمة الهدى المتخصصين في العقيدة وفي الفقه وفي التزكية (التصوف)، والكل عالة على أهل السنّة والجماعة في باب التخصص العلمي ومدارسه العلمية والسلوكية الرصينة،

**[المفتاح الثالث]: هناك فريق في الامة يسعى لاقتلاع التصوف من جذوره، وقطع الصلة بين الامة وبين أوليائها المرشدين** الذين يحفظ الله بهم البلاد والعباد، والذين من عادهم فكأنه عادى الله تعالى في عزته وجبروته، وهذا الفريق علامته الانتساب إلى ابن تيمية وابن عبد الوهاب في الأصول والفروع وكافة جوانب الدين، وهؤلاء الوهابية المجسمة التكفيريون أعداء كل تخصص إسلامي، كلما بنى العلماء صرحا علميا في العقيدة او في الفقه او في التصوف عادوه ونبذوه

وصاروا قطاع طريق في وجه نشره بين المسلمين، وهؤلاء الجفاة يريدون أن يأخذوا التصوف ببعض أدعيائه؟ وهم يبذلون كل الوسائل المتاحة لمحاربته، ويصرون على إلصاق كل التهم بالصوفية دون تفريق ودون مبالاة بما دس على الصوفية من أقوال وأفعال، ثم تراهم يكفرون السادة الصوفية الأولياء بمقولة وجدوها في كتاب ما مدسوسة على احدهم، أو قالها في ساعة ذهول لا يقصدها، _ كالذي أخطأ من شدة الفرح فقال: اللهم انت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح، **إن كلمة (صوفي) كانت على مر عصور الإسلام السابقة كلمة ثناء، وصفة مدح**، فهل يعقل أن نأتي الآن لنغير حقائق الدين والتاريخ محاولين إضفاء صبغة البدعة والضلالة على ذلك العلم والسلوك الذي يتناول التزكية والأخلاق وأعمال القلوب في دين الله تعالى، هل يعقل اليوم أن ينادي هؤلاء الموتورون إلى ردم التراب على تراث المتصوفة بحجة تطهير المنهج من المبتدعة، فهل بعد هذا التنطع من تنطع، إننا إذا رجعنا إلى علماء الأمة الأفاضل العلماء الأبرار الأخيار سنجد ان أكثرهم ينتمي إلى التصوف أو يثني عليه خيرا، ولكن التصوف كغيره من علوم الإسلام قد يدخل فيه من ليس من أهله من الأدعياء والدخلاء والجهلاء، وهؤلاء لا يمكن أن يضروا التصوف، بل ضررهم على أنفسهم، ولا زال العلماء يتكلمون على أخطاء المتصوفين، ويصححون مسار التصوف، وهم يفرقون بين الصوفية الحقة وأدعياء التصوف، يثنون على التصوف الصحيح وأهله بالخير، ويهاجمون الأدعياء والدخلاء دون إساءة للتصوف والصوفية، قال الله تبارك تعالى {وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} [الأنعام:164]،

**[المفتاح الرابع]: التصوف أهم وأعظم جوانب الدين**، جاء بتزكية الظاهر والباطن، قال تعالى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ} [الْأَعراف: 33]، وقد أجمع الفقهاء على أن الأمراض والآفات القلبية كالكبر والشح والحقد والحسد والطمع من الذنوب والكبائر القلبية التي تحتاج إلى توبة وطهارة وغالبها لا ينفك عنها بشر، والتصوف هو العلم الذي اختص بمعالجة هذه الأمراض القلبية والعمل على تزكية النفوس والتخلص من صفاتها الناقصة الذميمة، كما أنّ (التصوف) هو العلم الذي تخصص في تحقيق الإحسان ظاهرا وباطنا، وبيان درجاته ومنازله، **وليس معنى قولنا التصوف اعظم جوانب الدين** أن تنصرف الأنظار إلى التمايل عند الذكر ولا الرقص عند سماع الأناشيد فالتصوف جد كله وليس بالهزل وعزيمة كله وليس بالرخص، وإنما المقصود هو المنهج القائم على الكتاب والسنّة يطلب التزكية والإحسان، **وليس معنى ذلك تبرئة**

**التصوف المطروح اليوم، مما علق به من أخطاء تراكمت على مر عصور الإسلام، فإذا كان الدين كله يحتاج كل قرن من الزمان إلى تجديد لقوله صلى الله عليه وسلم:** (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائه سنه من يجدد لها دينها )) [ أبو داود في السنن ح (4291) ، والحاكم في المستدرك ج4 : 522 ] ولا تعارض بين كمال الدين وبين تجديد الدين، لأنّ التجديد معناه الصحيح البعث والإحياء والإعادة لما دُرس من معالم الدين وأعماله وجوانبه إلي قريب من حالته الأولي النقية الصحيحة الصافية زمان النبي صلي الله علية وسلم وأصحابه الكرام رضي الله تعالي عنهم ، ولما كان الدين على مر العصور تأتى عليه – بسبب مكر وكيد أعدائه له وغفلة بعض أهله عنه – عوامل الخفاء والضعف وعوامل الإفراط والتفريط وعوامل الغلو والتعصب اقتضت حكمة الله عز وجل ورحمته بهذه الأمة أن يتعهد لدينها على مر الأزمان بمن يجدد أمره ويظهر منهاجه الصحيح، كما جاء في الحديث الذي أخرجه البيهقي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (( يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين )) [ أخرجه البيهقي]، وهكذا التصوف فإنه احد جوانب الدين التي تحتاج على مر العصور من يصلح أخطائها المتراكمة ، **فإن التصوف الإسلامي الأصيل بفعل تقادم الزمان ودخول الجهلاء والأدعياء لاشك فإنه يحتاج إلى تجديد وتطهير مما علق به من أخطاء** ، شأنه في ذلك شأن غيره من علوم الدين، وأهل التصوف الحق يعلمون أنّه: ليس من الدين ولا من التصوف: القول بمخالفة الشريعة للحقيقة، أو أن أهل الحقيقة لا يتقيدون بالشريعة، أو أن ظاهر الإسلام شيء غير باطنه، أو أن مسلماً عاقلاً رُفع عنه التكليف، وليس منه: القول بالحلول أو الاتحاد، وليس منه: البطالة ولا الجهالة، ولا ادعاء الولاية، ولا المتاجرة بالكرامات، إنّ التصوف الحق بريء من ذلك كله، فينبغي تصفية التصوف السني الصحيح الصافي من جميع الأخطاء، وينبغي اعتماد مبدأ التصفية للتراث الصوفي العريض مما علق به من مخالفات، فإن التصوف الصافي جد وكد وليس بطالة وتكاسل، والتصوف الصافي خلق وزهد وليس تحاسد وجشع، والتصوف الصافي فتوة ورجولة وإيثار، وليس رعونة وتخنث وطمع، والتصوف الحق علم وعمل، وليس جهل وخرافة، والتصوف الحق صدق وأمانة وليس شعوذة ودجل، والتصوف الحق حقائق وأحوال ومجاهدات، وليس دعاوى عريضة وترهات، ورحم الله تعالى القائل: " ليس التصوف لبس الصوف ترقعه... ولا بكاءك إن غنى المغنونا... ولا صياح ولا رقص ولا طرب... ولا تغاش كأن قد صرت مجنونا... بل التصوف أن تصفو بلا كدر... وتتبع الحق والقرآن والدينا... وأن تُرى خائفا لله ذا ندم... على ذنوبك طول الدهر محزونا

"، والخلاصة: التصوف الحق: علم راسخ، وعمل جاد دائب، لا محل فيه للهزل واللهو، أوله علم وأوسطه عمل ومجاهدة وأعلاه عطاء وموهبة، وهو أعلى مراتب الدين، وأهله الكُمل هم الصديقون وهم الأولياء المرشدون أهل الوراثة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم،

***

## المبحث الثاني

## بيان مراتب الدين الثلاثة الإسلام والإيمان والإحسان

## وبيان أنّ أعلاها هو التصوف القائم على مرتبة الإحسان

**[المفتاح الأول]: فقه مراتب الدين من كتاب الله تعالى: (أولا): قوله تعالى:** {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ * وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ * الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ} [فاطر: 32 إلى 35]، والآيات عند تدبرها نجد أنها جعلت عباد الله الذين اصطفاهم الله تعالى واختارهم لدين الإسلام ثلاث مراتب تبدأ من الأدنى

إلى الأعلى، فالمرتبة الأولى (الأدنى) هي مرتبة الظالم لنفسه، أي المقصر في بعض حقوق الله تعالى عليه، والمرتبة الثانية هي مرتبة المقتصد وهو الذي يؤدي ما عليه من الواجبات لا يزيد ولا ينقص، والمرتبة الثالثة (المرتبة الأعلى) هي مرتبة السابق بالخيرات بإذن الله، وهو الذي يؤدي ما عليه من الواجبات ويزيد على ذلك بالتقرب إلى الله تعالى بالمندوبات والمستحبات، وجميعهم (أي أصحاب المراتب الثلاث) داخل بحمد الله تعالى في الاصطفاء والاختيار لدين الله، قال ابن كثير . في تفسير الآية .: " يقول تعالى: ثم جعلنا القائمين بالكتاب العظيم المصدق لما بين يديه من الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا وهم هذه الأمة، ثم قسّمهم ثلاثة أنواع فقال تعالى{فمنهم ظالم لنفسه} وهو المفرط في فعل بعض الواجبات المرتكب لبعض المحرمات، {ومنهم مقتصد} وهو المؤدي للواجبات التارك للمحرمات وقد يترك المستحبات ويفعل بعض المكروهات {ومنهم سابق للخيرات بإذن الله} هو الفاعل للواجبات والمستحبات التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات " أهـ، [تفسير ابن كثير حـ3/609]، **(ثانيا): قوله تعالى:** {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإيمان فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ *} [الحجرات: 14– 16]، فعند تدبر هذه الآيات، نعلم أن مرتبة الإيمان أعلى واجل من مرتبة الإسلام، لأن الآيات الكريمة نهت الأعراب عن ادعاء مرتبة الإيمان، لأنهم لم يبلغوها ولم يقوموا بحقوقها بعد،{قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا}، ثم أمرتهم بالاقتصار على مرتبة الإسلام {وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا}، لأن مرتبة الإيمان مرتبة عالية لم تبلغها أعمالهم بعد، {وَلَمَّا يَدْخُلِ الإيمان فِي قُلُوبِكُمْ} فإن بلغوها فإن الله لا ينقصهم من أعمالهم شيئا، {وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}، ثم بينت الآيات متطلبات مرتبة الإيمان، {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} فهذا دين الله تعالى فلا ينبغي لأحد ادعاء منزلة ومرتبة أعلى من مستواه الديني، {قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}، **(ثالثا): قوله تعالى:** {(وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً * فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ *} [الواقعة: 7– 11]، دلت الآيات على أن هناك مرتبتان اصطفاهم الله لمرضاته ويدخلهم جنته ابتداء وهما: أصحاب الميمنة، والسابقون المقربون، والسابقون أفضل أجرا وأعلى

منزلة من أصحاب الميمنة، **(رابعا): قوله تعالى:** {فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ *} دلت الآيات على أن هناك مرتبتان اصطفاهم الله لمرضاته ويدخلهم جنته ابتداء وهما: أصحاب اليمين، والمقربون، والمقربون أفضل أجرا وأعلى منزلة من أصحاب الميمنة، **(خامسا): قوله تعالى:** من سورة الرحمن: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ} إلى قوله تعالى من نفس السورة {وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ} فدلت الآيات على وجود مرتبتين أحداهما أعلى من الأخرى، {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ} ثم قوله تعالى بعدها {وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ}، والمتتبع للآيات يجد التفضيل واضحا في أوصاف المقربين عن من دونهم، فالمقام الأول أرفع وأعظم وهو مقام المحسنين، والمقام الثاني وإن كان عظيما إلا أنه أدنى وأقل درجة من المقام السابق،

**[المفتاح الثاني]: فقه مراتب الدين من السنة النبوية المطهرة: (الحديث الاول)** ما أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقول الله تعالى أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فيخرجون منها قد اسودوا فيلقون في نهر الحيا أو الحياة شك مالك فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية ) [صحيح البخاري] دل الحديث على وجود صنف ثالث اصطفاه الله تعالى لجنته، ولكن هؤلاء ظلموا أنفسهم بارتكاب بعض المحرمات، أو التقصير في بعض الواجبات، فدخلوا النار بذنوبهم، ثم أخرجهم الله تعالى بفضله من النار، وأدخلهم الجنة برحمته، **(الحديث الثاني):** ما أخرجه مسلم كذلك في صحيحه من حديث أبي هريرة الطويل في وصف الآخرة: (حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد، وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار، أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً، ممن أراد الله أن يرحمه، ممن يقول: لا إله إلا الله، فيعرفونهم في النار، يعرفونهم بأثر السجود، تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود، حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار وقد امتحشوا (احترقوا)، فيصب عليهم ماء الحياة، فينبتون منه، كما تنبت الحبة في حميل السيل) [صحيح مسلم]، والحديث يدل كذلك على وجود هذا الصنف الثالث من المسلمين الذين ظلموا أنفسهم بارتكاب بعض المحرمات، أو التقصير في بعض الواجبات، فدخلوا النار بذنوبهم، ثم أخرجهم الله تعالى بفضله من النار، وأدخلهم الجنة برحمته،

**[المفتاح الثالث]: من فقه الآيات والأحاديث السابقة نعلم أن هناك ثلاثة مراتب لدين الله عز وجل: المرتبة الأولى:** مرتبة الظالم لنفسه يدخل النار بذنوبه ثم يدخله الله تعالى الجنة بعد ذلك، وهو مسلم حتماً لأن الجنة لا يدخلها كافر أبداً، و**المرتبة الثانية:** مرتبة المقتصد (أصحاب اليمين) الذين يدخلون الجنة ابتداءً، و**المرتبة الثالثة:** مرتبة السابقين بالخيرات (المقربين) الذين يدخلون الجنة ابتداءً ولكن في منزلة أعلى من منازل أصحاب اليمين، فإذا أضفنا إلى ذلك الفقه حديث جبريل الجامع اتضحت الصورة أكثر وظهرت حدود وأركان ومنزلة كل مرتبة من دين الله، أخرج مسلم في صحيحه عن الفاروق عمر رضي الله عنه قال: (بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه و سلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد سواد الشعر شديد بياض الثياب لا يرى عليه أثر السفر و لا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه و سلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه و وضع كفّيه على فخذيه، و قال: يا محمّد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلاّ الله و أ نّ محمّدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت اليه سبيلا، قال صدقت، فعجبنا له يسأله ويصدقه !، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله و ملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر و تؤمن بالقدر خيره و شرّه، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: فأخبرني عن الساعة، قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرني عن أماراتها، قال: أن تلد الأمة ربّتها و أن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان، ثم انطلق فلبثت مليا، ثم قال: يا عمر أتدري من السائل؟ قلت الله و رسوله أعلم، قال: إنه جبريل أتاكم يعلّمكم دينكم،) [أخرجه مسلم]، قال النووي في شرحه على صحيح مسلم [1/160]: " واعلم أنَّ هذا الحديث يجمع أنواعاً من العلوم والمعارف والآداب واللطائف، بل هو أصل الإسلام، كما حكيناه عن القاضي عياض " أهـ وقول القرطبي كما في الفتح [1/125]: " هذا الحديث يصلح أن يُقال له أم السنَّة، لِمَا تضمَّنه من جُمل علم السنَّة " " أهـ، وقول ابن دقيق العيد في شرح الأربعين: " فهو كالأمِّ للسنَّة، كما سُمِّيت الفاتحة أم القرآن، لِمَا تضمَّنته من جمعها معاني القرآن " " أهـ [شرح الأربعين النووية ص12]، وقول ابن رجب في جامع العلوم والحكم [1/97]: " وهو حديث عظيم يشتمل على شرح الدِّين كلِّه، ولهذا قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم في آخره: (هذا جبريل أتاكم يعلِّمكم دينكم)، بعد أن شرح درجة الإسلام ودرجة الإيمان ودرجة الإحسان، فجعل ذلك كلَّه ديناً " أهـ]، ونزول جبريل عليه السلام في هيئة رجل يراه الصحابة رضي الله عنهم ويجلس أمام الرسول

صلى الله عليه وسلم ويسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان بقصد تعليم المسلمين أمر دينهم ليس بالأمر الهين، بل هو أمر عظيم يدل على أهمية ومنزلة هذه الأسئلة من دين الله عز وجل فقد اشتمل على بيان أصول الدين وقواعده ومراتبه، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في آخر الحديث: (هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم)، فجعل ما في هذا الحديث بمنزلة الدين كله، **والمستفاد من الحديث** : (أ) أن مسمى مراتب الدين الثلاثة هي: الإسلام والإيمان والإحسان، (ب) أن هذه المراتب عظيمة جدًا تحيط بكافة جوانب الدين وعراه، (ت) ويعلم أيضا من ذلك الحديث العظيم أركان كل مرتبة من تلك المراتب الثلاث، (ث) أركان المرتبة الأولى (مرتبة الإسلام) هي أركان الدين الخمسة الظاهرة الشهادتان وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا، مَن أكمل الإتيان بمباني الإسلام الخمس صار مسلمًا حقاً، مع أن من أقر بالشهادتين صار مسلمًا حُكماً، فإذا دخل في الإسلام بذلك، أُلزم بالقيام ببقية خصال الإسلام، ومن ترك الشهادتين، خرج من الإسلام، وهذه المرتبة إذا اقتصر المسلم عليها لا يتعداها، صار ظالما لنفسه لأن في الدين واجبات أخرى ينبغي أن تؤدى سوى الأركان الخمس، (ج) أركان المرتبة الثانية (مرتبة الإيمان) هي ستة أركان: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والقدر خيره وشره من الله تعالى وكل ركن منها يلزمه تصديق بالقلب وقول اللسان وعمل بالجوارح، وذلك لأن الإيمان قول وعمل، وعقيدة في القلب تصدقها الجوارح، وهذه المرتبة هي (مرتبة المقتصد)، الذي يؤدي حق المرتبة السابقة (أركان مرتبة الإسلام) ثم يؤدي ما افترضه الله تعالى عليه من واجبات وينتهي عن الكبائر والمحرمات، (ح) المرتبة الثالثة العالية فهي (مرتبة الإحسان (هي أعلى مراتب الدين وأشرفها، فقد اختص الله أهلها بالعناية، وأيدهم بالنصر، قال عز وجل: {إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون} [النحل: 128]، وهذه المرتبة العظيمة درجات ومنازل عالية، أولها: المراقبة (أن تعبد الله كأنك تراه)، وأعلاها اليقين والشهادة (فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، وهي منازل والمقربين و السابقين بالخيرات بإذن الله، وهم الذين أدوا حق المرتبة الأولى ثم الثانية ثم زادوا على ذلك بأن تقربوا إلى الله بالنوافل والمستحبات وتنزهوا عن المكروهات وتورعوا عن بعص الحلال خوفا من الوقوع في الشبهات، (خ) يعلم من ذلك الحديث العظيم: أهمية معرفة المسلمين لتلك المراتب وحدودها وأهميتها فعلى تلك المراتب وأركانها وحدودها يبنى الفهم الصحيح والعلم الراسخ لدين الإسلام، ولولا أهمية العلم بتلك المراتب وأركانها وحدودها ومنزلتها من دين الله تعالى لما أرسل الله عز وجل جبريل عليه السلام ليسأل النبي صلى الله عليه وسلم ثم يصدقه، والصحابة رضي

الله عنهم يسمعون باهتمام، وبعدما انصرف جبريل عليه السلام وضح النبي صلى الله عليه وسلم أهمية تلك الأسئلة التي جاء بها جبريل عليه السلام عن مراتب الدين (الإسلام والإيمان والإحسان) بقوله صلى الله عليه وسلم يا عمر أتدري من السائل فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم،، فجعل صلى الله عليه وسلم تعليم الدين هو بمثابة معرفة تلك المراتب ومعرفة أركانها وحدودها وأهميتها من دين الله، (د) هذه المراتب الثلاث عظيمة جدا، وبين هذه المراتب ارتباط وثيق، فدائرة الإسلام أوسع هذه الدوائر، تليها دائرة الإيمان فالإحسان، وبالتالي فإن كل محسن مؤمن، وكل مؤمن مسلم، ومما سبق يتبيّن لنا سر العتاب الرباني على أولئك الأعراب الذين ادّعوا لأنفسهم مقام الإيمان، وهو لم يتمكّن في قلوبهم بعد، يقول الله في كتابه: {قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم}[الحجرات: 14]، فدل هذا على أن( الإيمان) كمرتبة هو أخصّ وأضيق دائرةً وأعلى قدرا من (الإسلام) كمرتبة أدنى، **(تنبيه):** لفظ (الإسلام) تارة يطلق ويقصد به المعنى اللغوي من الاستسلام والانقياد والطاعة وتارة يطلق ويقصد به المعنى الشمولي لدين الإسلام بمراتبه الثلاث (الإسلام و الإيمان والإحسان)، وتارة يطلق ويقصد به مرتبة الأركان الخمسة الظاهرة، وحديثنا ها هنا عن المرتبة الأدنى من مراتب الدين، ولفظ (الإيمان) تارة يطلق ويقصد به المعنى اللغوي من التصديق والانقياد القلبي، لاسيما إذا ذكر معه العمل الصالح دل بمفرده على التصديق القلبي لأركان الإيمان – وهذا التصديق مطلوب مع كل مرتبة من مراتب الدين بدأ من مرتبة الإسلام – وإلا كان المرء منافقا يظهر الإسلام ويبطن الكفر –، وتارة يطلق ويقصد به المعنى الشمولي لدين الإسلام بمراتبه الثلاث، وتارة يطلق ويقصد به جميع عرى الدين وشعبه، وتارة يطلق الإيمان ويقصد به (مرتبة الإيمان) وهي المرتبة الثانية في دين الإسلام وتلك المرتبة تصديق القلب وقول اللسان وعمل الجوارح، وحديثنا ها هنا عن تلك المرتبة الثانية من مراتب الدين (مرتبة الإيمان)، ولفظ (الإحسان) لغة يعني إجادة العمل وإنفاقه وإخلاصه، وهو شرعا يطلق تارة ويقصد به الإنفاق والبذل والعطاء وتارة يطلق ويقصد به المرتبة الثالثة العالية من مراتب دين الإسلام، وحديثنا ها هنا عن المرتبة الأعلى من مراتب الدين (مرتبة المحسنين السابقين المقربين) وحسن أولئك رفيقا،

**[المفتاح الرابع]: تلك المراتب الجليلة الثلاث مرتبة من الأدنى إلى الأعلى:**فأدنى تلك المرتب هي مرتبة الإسلام الظاهر وهي مرتبة الظالم لنفسه وذلك لأن حدها هو إقامة أركان الدين الخمسة

التي بني عليه الإسلام، ودين الإسلام بعد الأركان به فرائض وواجبات لابد وأن تؤدى وبه نواهي ومحرمات لابد وأن تجتنب، والواقف على تلك الأركان الخمسة فهو وإن كان من عبدا الله المخلصين إلا أنه ظالم لنفسه لتقصيره في حق الواجبات ولوقوعه في المحرمات، والمفرط في حق الفرائض والواجبات والواقع في المحرمات متى أقان أركان الدين الخمسة فهو في المرتبة الأولى مرتبة الإسلام الظاهر، مرتبة الظالم لنفسه، وهو إلى مشيئة الله عز وجل إن شاء الله عذبه على تقصيره في حق الدين في الدنيا أو في الأخرة أو في كلاهما بما يظهره من ذنوبه وإن شاء غفر له، وفي كلا الحالتين فماله إلى الجنة إذ يخلد في النار أبدا لأنه وإن كان ظالما لنفسه إلا أنه من عباد الله المخلصين، ويليها (مرتبة الإيمان) وهي مرتبة المقتصد: وهو المقيم لأركانه مرتبة الإسلام الظاهر (أركان الإسلام الخمسة) والمؤدي للفرائض والواجبات والمنتهي عن المحرمات والواقف عن حدود شرع الله في الحلال والحرام لا يتعداها، والسائرون في تلك المرتبة هم من أصحاب اليمين، ثم (مرتبة الإحسان) وهي مرتبة السابق بالخيرات بإذن الله تعالى وهو المقيم لأركان الإسلام الظاهر ،والمقيم لأركان مرتبة الإيمان المؤدي لما عليه من الفرائض والواجبات والمنتهي عن الكبائر والمحرمات والواقف عند حدود الله في الحلال والحرام لا يتعداها، وهو إضافة إلى ذلك لا يزال يتقرب الى الله تعالى بالنوافل والمستحبات وينزه نفسه عن الوقوع في المكروهات والمتقن لأعماله جميعا يحسنها ويخلصها لله وحده رجاء فضله وثوابه ورضوانه، وجمع المراتب كلها قول الله تعالى {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ} [فاطر:32]، فعباد الله عز وجل الذين اصطفاهم لدين الإسلام ثلاثة أصناف وكلهم داخل في الاصطفاء بإتباع الدين الحق الذي لا يقبل الله من عباده سواه، والمسلمون جميعا يدورون في دين الله تعالى بين ثلاث مراتب: (1) صاحب مرتبة الإسلام: وهو الواقف على أركان الإسلام ولكنه يفرط في أداء بقية الفرائض والواجبات ويقع في الكبائر والمحرمات فهذا هو الظالم لنفسه، ولكنه مسلم في دائرة الإسلام، (2) صاحب مرتبة الإيمان: وهو المؤدي لما عليه من الأركان والفرائض والواجبات والمنتهي عن الكبائر والمحرمات والواقف عند حدود الله في الحلال والحرام لا يتعداها فهذا هو المقتصد، (3) صاحب مرتبة الإحسان: هو المؤدي لكل ما يقوم به المقتصد صاحب مرتبة الإيمان ولكنه يزيد على ذلك بالمسابقة بما ينال رضا الله عز وجل من الأعمال والأقوال والنوافل والمندوبات وبالتنزه عن المكروهات والسير في طريق إحسان العمل وإخلاصه التام لله رب العالمين، وهذا هو السابق بالخيرات بإذن الله، ولكن ليحذر

المسلم من أمرين اثنين: **الأمر الأول:** التقصير في حق المرتبة الأولى (مرتبة الإسلام الظاهر) وذلك بالتقصير في ركن من أركانها لأنه بتلك الأركان يوزن إسلام المرء فهي العلامات الظاهرة التي تشير إلى إسلام الفرد وإسلام المجتمعات، وبها يقاس قرب العبد وبعده عن دين الإسلام، فالحذر كل الحذر من التهاون في تحقيق أركان تلك المرتبة التي هي أدنى المراتب وإلا لكان المقصر فيها والمتهاون في تحقيقها على شفا حفرة من الخطر الجسيم، سيأتي – إن شاء الله تعالى – تفصيل ذلك عند الحديث ان شاء الله تعالى عن المرتبة الأولى)، و**الأمر الثاني:**أن يحذر المسلم من ادعائه مرتبة ليست له أو لم يستوف أركانها وحدودها وإذا كان الله عز وجل قد نهانا أن نزكي أنفسنا بما هو فينا لمجرد التزكية فإن النهي أشد وأعظم عندما نزكي أنفسنا بما لا نستحقه، قال تعالى {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإيمان فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الحجرات]، فقد ذم الله عز وجل أولئك الذين ادعوا مرتبة الإيمان ولم يقوموا بحقوقها والتي منها الجهاد مع النبي صلى الله عليه وسلم بالنفس والمال إذ هو فرض عين آنذاك، ثم بين الله عز وجل حقيقة تلك المرتبة وأنها يقين في القلب يظهر أثره على اللسان والجوارح، قال تعالى {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} [الحجرات: 15]، فمن كانت تلك صفاتهم فهم الصادقون في إيمانهم والله عز وجل اعلم بمن اتقى فلا تزكوا أنفسكم، قال تعالى{قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [الحجرات: 16]، ولابد وان نراعي أمرا ثالثا: وهو أن الصحابة رضي الله عنهم مع أنهم خير الناس بعد الأنبياء والمرسلين ومع أنهم أئمة المحسنين والمقربين والسابقين بالخيرات بإذن الله إلا أنهم كانوا يتحرجون من ادعاء الإيمان مخافة تزكية النفس، فكان أكثرهم يقول إني مسلم أو إني مؤمن إن شاء الله وذلك لا شكا في الإيمان حاش لله فهم أرسخ الناس إيمانا وأعمقهم يقينا في الله ولكنه تواضعا لله وخوفا من عاقبة الأمور كما وصفهم الله تعالى بقوله: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ}، فالأمور والأعمال بخواتيمها والله عز وجل أعلم بالعواقب ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون نسأل الله حسن الخاتمة، ولذلك: يجب على المسلم أن يقول إني مسلم معتزا بإسلامه لله وحده، والأفضل له عند ذكر الإيمان أن يقول إني مؤمن إن شاء الله لأنه قد لا يكون استكمل واجبات وحدود مرتبة الإيمان فيكون كمن ادعى ما ليس له، وإن استكمل حدود المرتبة فهو لا يدري الخاتمة والأعمال بخواتيمها، ولا يحق لمسلم أن يقول إني محسن يقصد بذلك بلوغه الإحسان

لان ذلك لا شك تزكية للنفس والله عز وجل ينهى عن ذلك قال تعالى: {فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى} ولأن مرتبة الإحسان مرتبة عظيمة لا يصل إليها إلا القليل، إلا أنه ينبغي للمسلم أن يجتهد دائما في المسارعة بالخيرات حتى يكون من عباد الله السائرين على هدى المحسنين المقربين السابقين بالخيرات بإذن الله ذلك الفضل الكبير، **(فائدة):** مراتب الدين ثلاثة هي الإسلام والإيمان والإحسان، وعلوم الدين المستنبطة الأساسية ثلاثة اصطلح دارسوها على مر عصور الإسلام بتسميتها، وهي: (الفقه) ويتناول مرتبة الإسلام، و (العقيدة) وتتناول مرتبة الإيمان، و (التصوف) ويتناول مرتبة الإحسان، نسأل الله من فضله الواسع العظيم

***

## المبحث الثالث

## مدخل إلى علم التصوف

**[المفتاح الأول]:** التصوف هو أسم العلم الذي يتناول التربية والتزكية والإحسان في الإسلام: كما هو معلوم لكل طالب علم أنّ القرآن الكريم قد تطرق إلى العلوم المهمة ولمواضيعها الأساسية، دون أن يعطي لها مسميات وتعريفات ودون أن يجمع أصولها وقواعدها وضوابطها وشروطها في موضع واحد، بل فرق تلك القواعد في ثنايا السور والآيات وترك تسمية العلوم وجمع تعريفاتها وقواعدها وأصولها للعلماء لكي يتدبروا ويجتهدوا ويسعى كل عالم منهم من أجل كشف لبنات هذه

العلوم، وعلى مر العصور تتبلور العلوم، وتتخصص المدارس العلمية، ويتقن كل فريق من العلماء ما تخصصوا فيه من العلوم، فكما تخصص علماء الأصول في علم العقائد وسموه علم العقيدة، وكما تخصص الفقهاء في علم الفقه وسموه بهذا المصطلح، كذلك علم التصوف كباقي العلوم لم يذكر اسمه في القرآن الكريم وإن كان هو أسم العلم الذي يتناول التربية والتزكية والإحسان في الإسلام

**[المفتاح الثاني]:** التصوف هو المرادف للتزكية في اصطلاح القران الكريم، وهو المرادف للإحسان في اصطلاح الحديث الشريف: التصوف هو المرادف لمصطلح (التزكية) المقصودة بقوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} [الشمس: 9-10]، وقوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (14) } [الْأَعلى: 14]، وقوله تعالى: {وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ} [فاطر: 18] وقوله تعالى: {جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى} [طه: 76]،تلك التزكية التي تعد أحد أهم مهمات الرسول صلى الله عليه وسلم، كما في قوله تعالى: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [آل عمران: 164]، وقوله تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [الجمعة:2]، وكذلك فإن (التصوف) هو المرادف لمرتبة الإحسان الواردة في حديث جبريل عليه السلام وفيه: (قَالَ: فأخبرني عَنْ الإحسان؟ قَالَ: "أن تعبد اللَّه كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك")) [أخرجه مسلم]، وقد أقر أكثر علماء أهل السنة والجماعة على جعل (التصوف) علماً مستقلاً مرادفا للتزكية والإحسان، وذلك كشأن بقية العلوم الأساسية، و (التصوف) علم عظيم واسع من علوم أهل السنة والجماعة يقوم على تزكية النفس، وتخليتها من دسائس الأخلاق وتحليتها بالأخلاق العظيمة والمبادئ السامية، مع وجود منهاج عملي يقوم على الذكر والفكر والزهد في الدنيا وإيثار الآخرة، من أجل الوصول إلى مرتبة الإحسان أعلى مراتب الدين وأعظمها،

**[المفتاح الثالث]:** لماذا إذن استعمال مصطلح التصوف وليس التزكية أو الإحسان: إن مراتب الدين ثلاثة هي الإسلام والإيمان والإحسان، وعلوم الدين ثلاثة اصطلح دارسوها على مر عصور الإسلام بتسميتها، وهي: (الفقه) ويتناول مرتبة الإسلام، و (العقيدة) وتتناول مرتبة الإيمان، و (التصوف) ويتناول مرتبة الإحسان، وعلى ذلك، فما الداعي إلى تغيير اسم مصطلح لن يغير من المعنى شيئا، ثم من يملك تغيير اسم الفقه أو العقيدة أو التصوف، وقد تعارف عليها منذ مئات

السنين، وهي مدارس علمية متخصصة، تخرج عليها آلاف العلماء والأولياء والصالحين، وإذا كان أهل السنة والجماعة (سواد المسلمين الأعظم) قد اتفقوا على مدارس العقيدة الثلاث (الأثرية والأشعرية والماتريدية)، واتفقوا على مذاهب الفقه الأربعة (الأحناف والمالكية والشافعية والحنابلة)، فإنهم اتفقوا على أن التصوف الصحيح القائم على الكتاب والسنة، هو التزكية المقصودة بقوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} [الشمس: 9-10]، وقوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى} [الْأَعلى: 14]، وأيا كانت التسمية، (التزكية أو التصوف) فإن المقصود هو تجديد المضمون وتصحيح المسار لجانب يمثل ثلث الدين الأعلى، ثلث (الإحسان)، الذي جاء في حديث جبريل عليه السلام المشهور وفيه: (قَالَ: فأخبرني عَنْ الإحسان؟ قَالَ: "أن تعبد اللَّه كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك")) [أخرجه مسلم]، ولما كان المتخصصون في هذا الجانب قد عُرفوا (بالصوفية) فلا مشاحة في الاصطلاح، ولا ينبغي تضييع الوقت والجهد في تغيير مسمى قد عُرف على ما يزيد من ألف عام، فلنركز الجهد على تجديد التصوف وإصلاح الصوفية، حتى يتم بتجديدها تجديد مرتبة الإحسان ثلث الدين الأعلى، والله المستعان، يقول العلامة عبد القادر عيسى في كتابه القيم (حقائق عن التصوف)) بعد ذكره لتعريف التصوف: " ومهما يكن من أمر، فإن التصوف أشهر من أن يحتاج في تعريفه إلى قياس لفظٍ، واحتياج اشتقاق، وإنكار بعض الناس على هذا اللفظ بأنه لم يُسمع في عهد الصحابة والتابعين مردود، إذ كثيرٌ من الاصطلاحات أحدثت بعد زمان الصحابة، واستُعملت ولم تُنكَر، كالنحو والفقه والمنطق، وعلى كلٍّ فإننا لا نهتم بالتعابير والألفاظ، بقَدْرِ اهتمامنا بالحقائق والأسس، ونحن إذ ندعو إلى التصوف إنما نقصد به تزكية النفوس وصفاء القلوب، وإصلاح الأخلاق، والوصول إلى مرتبة الإحسان، نحن نسمي ذلك تصوفاً، وإن شئت فسمه الجانب الروحي في الإسلام، أو الجانب الإحساني، أو الجانب الأخلاقي، أو سمه ما شئت مما يتفق مع حقيقته وجوهره، إلاَّ أن علماء الأمة قد توارثوا اسم التصوف وحقيقته عن أسلافهم من المرشدين منذ صدر الإسلام حتى يومنا هذا، فصار عُرفاً فيهم، [حقائق عن التصوف الباب الاول تعريف التصوف]، ويقول الشيخ حسني الشريف في كتابه الدلالة النورانية: (وجملة القول أن أهل هذا الطريق أشهر وأسمى من أن يُحتاج في التعرف عليهم إلى لفظ مشتق أو قياس على هذا اللفظ، فالسالك لا يهمه الاسم الذي يطلق عليه مهما كان، طالما أنه مع الله والى الله في عمله وقصده، وإنما همه ومبتغاه هو أن يكون مع خالقه بلا غرض ولا مطلب ولا تحقيق شهوة دنيوية، اللهم إلا علاقة الشكر الدائم الذي لا ينقطع، والشعور بالقصور، والشعور بالقرب بعد كدورة البعد **{اعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا}**

[سبأ: 13]، وسواء سمي السالك صوفياً، أو أي اسم آخر، فهذا ليس بالأمر المهم، فنحن لا نهتم بالألفاظ والمسميات بقدر ما نهتم بالحقائق والمبادئ، فإذا ذكر أمامنا لفظ الصوفي أو التصوف، تبادرت إلى أذهاننا معاني تزكية النفوس، وصفاء القلوب، والسعي حثيثاً لإصلاحها، وصولاً إلى مرتبة الإحسان التي هي مقام كل العارفين الربانيين، الذين تحققوا من معنى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسير الإحسان (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، فهذه الحقائق سميت في القرن الثاني للهجرة تصوفاً، ولنا أن نسميه الآن: «الجانب الروحي في الإسلام» أو «أخلاق الإسلام» أو «التحقق من معاني الإحسان» أو أي اسم يتفق مع معاني شريعتنا الغراء وما جاء به الكتاب والسنة، وهما مصدر التصوف وحقيقته، أما إنكار بعض الناس على هذا اللفظ (التصوف) بأنه لم يُسمع في عهد الصحابة والتابعين فهو مردود جملةً وتفصيلاً، لأن معظم الاصطلاحات أُحدثت بعد زمن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة، واستعملها جيل الصحابة والتابعين، ولم تُنكر من كبار الصحابة وأئمة التابعين، كألفاظ التابعين، وتابعي التابعين، وأمير المؤمنين، وألفاظ النحو والفقه والمنطق وعلوم الإدارة و الدواوين وعلوم القرآن والتفاسير وعلوم الحديث والجرح والتعديل، كل هذه الاصطلاحات لم تكن تستعمل زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستعملت فيما بعد ولم تنكر) [الدلالة النورانية للشيخ حسني حسن خير الدين الشريف]،

**[المفتاح الرابع]:** تعريف التصوف وبيان ما هو المقصود بالتصوف:

[1] تعريف التصوف من حيث اللغة: لا يهمنا ها هنا المعنى اللغوي للتصوف، بقدر أهمية المقصود به، والمعنى الحقيقي له، والحاصل أنه قد كثرت الأقوال في اشتقاق التصوف عند المسلمين على معنى اللغة عدة أقوال، أشهرها: أنه من الصوفة، لأن الصوفي مع الله كالصوفة المطروحة، لاستسلامه لله تعالى، أو أنه من الصِّفة، إذ أن التصوف هو اتصاف بمحاسن الأخلاق والصفات، وترك المذموم منها، أو أنه من الصُفَّة، لأن صاحبه تابعٌ لأهل الصُفَّة الذين كانوا يقيمون في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، أو أنه من الصف، فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم من حيث حضورهم مع الله، وتسابقهم في سائر الطاعات أو أنه من الصوف، لأنهم كانوا يؤثرون لبس الصوف الخشن للتقشف والزهد، أو أنه من الصفاء، فلفظة "صوفي" على وزن "عوفي"، أي: عافاه الله فعوفي، كما قال أبو الفتح البستي: [تنازع الناس في الصوفي واختلفوا... وظنه البعض مشتقاً من الصوف... ولست أمنح هذا الاسم غيرَ فتىً... صفا فصوفي حتى سُمي الصوفي] وقد أرجع

بعض الحانقين المتحاملين على التصوف، الكلمة إلى أصل يوناني، هو كلمة: (سوفيا)، ومعناها الحكمة، وهذا الأمر لا دليل عليه ولا يرضى به أهل التصوف أبدا، لأنهم يقولون أن (التصوف الإسلامي) إسلامي النشأة والاستمداد، يتعلق بتحقيق مرتبة الإحسان، يستمد أصوله من الكتاب والسنة، ولا علاقة له بغير دين الإسلام، وكما ذكرت فإنه لا يهمنا ها هنا المعنى اللغوي للتصوف، بقدر أهمية المقصود به، والمعنى الحقيقي له،

[2] تعريف التصوف من حيث الاصطلاح: نظرا لسعة علم التصوف واتساع جوانبه، لذلك كثرت الأقوال أيضا في تعريف التصوف تعريفا اصطلاحيا على آراء متقاربة، كل منها يشير إلى جانب رئيسي في التصوف، نتعرض لبعضها، ثم نذكر إن شاء الله تعالى التعريف الجامع له: قال الشيخ العلامة أحمد زروق رحمه الله: (وقد حُدَّ التصوف ورسم وفسر بوجوه تبلغ نحو الألفين، مرجع كلها لصدق التوجه إلى الله تعالى، وإنما هي وجوه فيه) ["قواعد التصوف" ص2]، (قلت) ألفي تعريف وكل تعريف منها يشير إلى جانب من جوانب التصوف: منها على سبيل المثال: قال سيد الطائفة الإمام الجنيد رحمه الله (ت: سنة 297هـ): (التصوف استعمال كل خلق سني، وترك كل خلق دني)) ["النصرة النبوية" للشيخ مصطفى المدني ص22]، وقال القاضي شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحمه الله (ت: سنة 929هـ) .: (التصوف علم تعرف به أحوال تزكية النفوس، وتصفية الأخلاق وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية)) [على هامش "الرسالة القشيرية" ص7]، وقال الإمام أبو الحسن الشاذلي رحمه الله (ت سنة 656هـ: (التصوف تدريب النفس على العبودية، وردها لأحكام الربوبية) ["نور التحقيق" للعلامة حامد صقر ص93]، وقال ابن خلدون رحمه الله: (التصوف هو العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة)) [مقدمة ابن خلدون]، وقال الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي رحمه الله: التصوف هو تجريد القلب لله تعالى واحتقار ما سواه، أي تخليص القلب لله تعالى، واعتقاد ما سواه اعتقادا أنه لا يضرُّ ولا ينفع، فلا يعول إلا على الله، [حكايا الصوفية ص 25– 26]، وقال الإمام ابن عجيبة: التصوف لب الإسلام، وقال: التصوف هو علم يعرف به كيفية السلوك إلى حضرة ملك الملوك وتصفية البواطن من الرذائل وتحليتها بأنواع الفضائل، وأوله علم وأوسطه عمل وآخره موهبة [أنظر معراج التشوّف إلى حقائق التصوف ص: 4]، وقال الإمام أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى: (التصوف تدريب النفس على

العبودية وردها لأحكام الربوبية) [نور التحقيق ص 93]، وقال الإمام محي الدين بن عربي رحمة الله عليه: التصوف هو الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرا وباطنا، وقال: التصوف خُلُق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف [أنظر: "شرح كلمات الصوفية" ص 326]، وقال الشيخ أحمد زروق رحمه الله: (التصوف علم قصد به صلاح القلوب وإفرادها لله تعالى عما سواه والفقه لإصلاح العمل، وحفظ النظام وظهور الحكمة بالأحكام، والأصول لتحقيق المقدِّمات بالبراهين، وتحلية الإيمان بالإيقان، والطب لحفظ الأبدان، والنحو لإصلاح اللسان إلى غير ذلك [أنظر" قواعد التصوف" قاعدة 13 ص 6]، وقال العلامة الشريف الجرجاني: التصوف كله جد فلا يخلطونه بشيء من الهزل، وهو تصفية القلب عن مواقف البرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد صفات البشرية، ومجانبة الدعاوى النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بعلوم الحقيقة واستعمال ماهو أولى على السرمدية، والنصح لجميع الأمة والوفاء لله تعالى على الحقيقة، واتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشريعة [انظر "التعريفات" ص 52]، وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحمه الله: التصوف علم تعرف به أحوال تزكية النفوس وتصفية الأخلاق وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية) [انظر "الرسالة القشيرية" ص 07]، وقال الإمام الرفاعي: الصوفي لا يسلك غير طريق الرسول المكرم صلى الله عليه وسلم فلا يجعل حركاته وسكناته إلا مبنية عليه ["حكم السيد أحمد الرفاعي" ص 49-50]، وقال الإمام تاج الدين السبكي (الصوفية) حياهم الله وبياهم وجمعنا في الجنة نحن وإياهم، وقد تشعبت الأقوال فيهم تشعبا ناشئا عن الجهل بحقيقتهم لكثرة المتلبسين بها، إلى أن قال: وإنهم المعرضون عن الدنيا المشتغلون في أغلب الأوقات بالعبادة...ثم تحدث عن تعاريف التصوف إلى أن قال: والحاصل أنهم أهل الله وخاصته الذين ترتجى الرحمة بذكرهم ويستنزل الغيث بدعائهم فرضي الله عنهم وعنا بهم [في كتابه "معيد النعم ومبيد النقم" ص 119]، وقال الإمام النووي: إن أصول طريق التصوف خمسة: 1- تقوى الله تعالى في السر والعلانية، 2- إتباع السنة في الأقوال والأفعال، 3 الإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار، 4- الرضا عن الله في القليل والكثير، 5- الرجوع إلى الله في السراء والضراء [في رسالته "المقاصد" ص 20]، وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري (ت926هـ: 1520م) – عن التصوف –: " هو علم تُعرف به أحوال تزكية النفوس، وتصفية الأخلاق، وتعمير الظاهر والباطن، لنيل السعادة الأبدية، وموضوعه التزكية والتصفية والتعمير المذكورات، وغايته نيل السعادة الأبدية، ومسائله ما يذكر

في كتبه من المقاصد، وهذا العلم علم الوراثة التى هى نتيجة العمل، المشار إليه بخبر: من عَمل بما عَلم، ورّثه الله عِلمَ ما لم يَعْلَم" أهـ [حقيقة التصوف وكرامات الأولياء، ص2]،

[3] ومن تعريفات أئمة التصوف التي تظهر بعض جوانب التصوف المشرقة: قال الامام سهل بن عبد الله التستري: أصول مذهبنا – أي التصوف – ثلاثة: الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في الأخلاق والأفعال، والأكل من الحلال، وإخلاص النية في جميع الأعمال، وقال الشيخ أبو القاسم ابراهيم النصر آبادي رحمه الله: أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة وترك الأهواء والبدع، وتعظيم حرمات المشايخ، ورؤية أعذار الخلق والمداومة على الأوراد وترك ارتكاب الرخص والتأويلات، وقال سمنون: التصوف أن لا تملك شيئاً ولا يملكك شيء، وقال معروف الكرخي: التصوف الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق، وقال النوري: التصوف من لا يتعلق بشيءٍ ولا يتعلق به شيء، وقال ذو النون المصري: الصوفي من لا يتعبه طلب ولا يزعجه سلب، وقال أبو محمد الجريري: التصوف الدخول في كل خلق سني والخروج من كل خلق دنى، وقال الكتاني: التصوف خُلق فمن زاد عليك في الخُلق زاد عليك في الصفاء، وقال سهل بن عبد الله: الصوفي من صفا من الكدر، وامتلأ من الفكر، وانقطع إلى الله عن البشر واستوى عنده الذهب والمدر، وقال بشر الحافي: الصوفي من صفا لله قلبه، وقال الشبلي: التصوف الجلوس مع الله بلا هم، وقال عمرو بن عثمان المكي: التصوف أن يكون العبد في كل وقت بما هو أولى به في الوقت، وقال محمد بن أحمد المقرئ: التصوف استقامة الأحوال مع الله، وقال أبو عمر بن الجنيد: التصوف الصبر تحت الأمر والنهي، وقال رويم: التصوف استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريده، وقال أيضا: التصوف مبني على ثلاث خصال: التمسك بالفقر والافتقار والتحقيق بالذل والإيثار وترك التعرض للاختيار، وقال ذو النون المصري: أهل التصوف هم قوم آثروا الله عز وجل على كل شيء، وقال أبو الحسين النوري: التصوف ترك نصيب النفس جملة ليكون الحق نصيبها، وقال حماد الدينوري: التصوف أن تظهر الغنى وأن تؤثر أن تكون مجهولاً حتى لا يعرفك الخلق وأن تكف عن كل ما لا خير فيه، وقال أبو سليمان الداراني: التصوف أن تجري على الصوفي أعمال لا يعلمها إلا الحق وأن يكون دائماً مع الحق على حال لا يعلمها إلا هو، وقال الإمام الجنيد البغدادي رحمه الله تعالى: التصوف ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع وعمل مع اتباع، وقال أيضا علمنا هذا التصوف مقيد بالكتاب والسنة ومن لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدي به في هذا الأمر

والطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وقال أيضا: علمنا هذا التصوف مقيد بالكتاب والسنة فمن لم يسمع الحديث ويجلس ويأخذ أدبه من المتأدبين أفسد من اتبعه، وقال أيضا: التصوف أن يختصك الله بالصفاء فمن صفا من كل ما سوى الله فهو الصوفي وقال أيضا: التصوف حفظ الأوقات، وقال أيضا: التصوف تصفية القلب عن موافقة البرية ومفارقة الأخلاق الطبيعية وإخماد الصفات البشرية ومجانبة الدواعي النفسانية ومنازلة الصفات الروحانية والتعلق بالعلوم الحقيقة واستعمال من هو ألى على الأبدية النصح لجميع الأمة والوفاء لله على الحقيقة واتباع الرسول في الشريعة، وقال أيضاً: ما أخذنا التصوف بالقال والقيل، ولكن أخذناه بالجوع والسهر وترك المألوفات والمستحسنات، وسئل الجنيد عن التصوف فقال: أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة، أن لا تملك شيئا ولا يملكك شيء، وسئل أبو محمد الجريري رحمه الله عن التصوف فقال: الدخول في كل خلق سني والخروج من كل خلق دني، وقال الشيخ عمر بن عثمان المكي رحمه الله تعالى: التصوف أن يكون العبد في كل وقت بما هو أولى به في الوقت، وقال الشيخ أبو حفص رحمه الله تعالى: التصوف كله آداب لكل وقت أجب ولكل مقام أدب فمن لزم آداب الأوقات بلغ مبلغ الرجال ومن ضيع الآداب فهو بعيد من حيث يظن القرب ومردود من حيث يرجو القبول، وقال الشيخ حسين الزيباري رحمه الله تعالى: ينحصر التصوف في أربع كلمات: أن تنصف الناس من نفسك ولا تطلب الإنصاف منهم وأن تبدي لهم شيئك وأن تكون من شيئهم آيسا، وقال الشيخ أبو القاسم النصر أبادي رحمه الله: أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة وترك الأهواء والبدع ورؤية أعذار الخلائق والمداومة على الأوراد وترك الرخص والتأويلات، وقال أبو جعفر الحداد رحمه الله: التصوف هو استقامة الأحوال مع الحق، وقال المزين رحمه الله تعالى: التصوف هو الانقياد للحق، وقال الشيخ علي بن بندار رحمه الله تعالى: التصوف هو إسقاط الخلق ظاهرا وباطنا، وسئل أبو الحسن النوري رحمه الله: ما التصوف؟ فقال: ترك كل حظ للنفس، وقال الشيخ أبو القاسم جعفر بن أحمد المقرئ: التصوف استقامة الأحوال مع الحق، [راجع لتلك التعريفات: الرسالة القشيرية وطبقات الصوفية والتعرف لمذهب أهل التصوف]

[4] ومن أقوال علماء العصر في تعريف التصوف: قال الإمام العلامة حسنين مخلوف مفتي الديار المصرية الأسبق: " التصوف الإسلامي هو تربية علمية وعملية للنفوس وعلاج لأمراض القلوب وغرس الفضائل واقتلاع الرذائل وقمع الشهوات وتدريب على الصبر والرضا والطاعات " أهـ

[أنظر "السالكون إلى الله" ص 15]، ويقول الإمام العلامة عبد الحليم محمود شيخ الأزهر سابقا: " التصوف لا يعدوا أن يكون جهاداً عنيفا ضد الرغبات ليصل الإنسان إلى السمو أو إلى الكمال الروحي، ليكون عارفا بالله " أهـ [كتابه "قضية التصوف" ص 259]، وقال الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي: " التصوف اسم حادث لمسمى قديم، إذ إن مسماه لا يعدو كونه سعيا إلى تزكية النفس من الأوضار العالقة بها عادة، كالحسد والتكبر وحب الدنيا وحب الجاه، وذلك ابتغاء توجيهها إلى حب الله عز وجل والرضا عنه والتوكل عليه والإخلاص له " أهـ [السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب اسلامي ص 189]، وقال الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله: " الصوفي هو الذي يتقرب إلى الله بفروض الله، ثم يزيدها سنة الرسول عليه الصلاة والسلام من جنس ما فرض الله وأن يكون عنده صفاء في استقبال أقضية العبادة فيكون صافيا لله، والصفا هو كونك تصافي الله " أهـ [انظر "أصول الوصول" ص 337]، وقال الشيخ محمد بدر الدين الحامد رحمه الله: " اعلم أن التصوف هو تنقية الظاهر والباطن من المخالفات الشرعية، وتعمير القلب بذكر الله تعالى وخشيته ورجائه والسير في العبادات والأعمال على النهج الشرعي طبق السنة الشريفة وخلافا للبدعة السيئة التي يحظر الإسلام التلبس بها " أهـ [انظر" المحامد من حياة الشيخ محمد الحامد"]، وأقوال العلماء في تعريف التصوف ومدح التصوف والصوفية لا تعد ولا تحصى ويكفينا أن نقول إن جمهور علماء اهل السنة سلفاً وخلفاً كلهم متصوفة وكلهم يمدحون التصوف ويعلِّمونه الناس، وأختم بدرة للسيوطي رحمه الله حيث يقول: " إن التصوف في نفسه علم شريف، وإن مداره على اتباع السنة وترك البدع، والتبري من النفس وعوائدها وحظوظها وأغراضها ومراداتها واختياراتها والتسليم لله والرضا به وبقضائه، وطلب محبته واحتقار ما سواه،، وعلمت أيضا أنه قد كثر فيه الدخيل من قوم تشبهوا بأهله ليسوا منهم، فأدخلوا فيه ما ليس منه، فأدى ذلك إلى إساءة الظن بالجميع، فوجّه أهل العلم للتمييز بين الصنفين ليُعلم أهل الحق من أهل الباطل، وقد تأملت الأمور التي أنكرها أئمة الشرع على الصوفية فلم أر صوفيا محققا يقول بشيء منها، وإنما يقول بها أهل البدع والغلاة الذين ادّعوا أنهم صوفية وليسوا منهم، [تأييد الحقيقة العلية: ص 57]، وبالنظر في الأقوال المتقدمة – وهي قليلة بالنسبة إلى تعريفات علماء التصوف – نجد أن كل تعريف منها يشير إلى جانب من جوانب علم التصوف المشرقة، وهذه الجوانب مجتمعة تشير إلى علم السني الذي يشتمل على جميع ما ذكر من زهد وإخلاص ومجاهدة وخلق كريم وتسليم لرب العالمين والتزام بشرعه ولهج بذكره، مع البعد عن كل ما نهى الشارع عنه، وعن البدع المضلة، وما أجمل تعريف ابن خلدون له حيث

قال: التصوف هو العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة " أهـ

[5] خلاصة تعريفات التصوف وبيان المقصود بالتصوف: تبين مما سبق أن التصوف هو (التزكية) وهو (التحقق بمرتبة الإحسان) أحد أركان الدين الثلاثة (الإسلام، الإيمان، الإحسان)، وأنه قد اهتم بتحقيق مقام الإحسان (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك))، وهو علم وعمل، علم راسخ بكيفية تزكية القلوب، وعمل وسلوك وطريق يسلكه العبد للوصول إلى تزكية القلوب وتطهيرها وتحققها بالعبودية لله ومعرفته والعلم به سبحانه، والتصوف منهج يقوم على (التخلية) و (التحلية)، تخلية القلب واللسان والجوارح وتطهيرها من الأخلاق السيئة، وتحلية القلب واللسان والجوارح بالأخلاق الحسنة، وهذا المنهج يستمد أصوله وفروعه من القرآن والسنة النبوية واجتهاد العلماء فيما لم يرد فيه نص، وطريق التصوف هو الاجتهاد في العبادات والقربات والمسارعة في الخيرات، مع اجتناب المنهيات والمكروهات، وتربية النفس على طاعة الله وجهادها على دوام ذكر الله، وتطهير القلب من مساوئ الأخلاق، ودسائس الطباع، وتحليته بأحسن الأخلاق مع الله ومع الناس، وكل ما سبق يحويه ما أسماه أصحابه بـ (علم التصوف)، وهو المرادف عندهم ل (علم التزكية)، أو (علم الأخلاق)، أو (علم الإحسان)، وألفوا فيه الكتب الكثيرة بينوا فيها أصوله وفروعه ومناهجه الربانية في بلوغ مراتب الصديقين والمحسنين والصالحين وحسن أولئك رفيقا،

**[المفتاح الخامس]:** نشأة علم التصوف وبداية ظهور مصطلح الصوفية: يقول القشيري رحمه الله: " اعلموا أن المسلمين بعد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لم يَتَسَمَّ أفاضلهم في عصرهم بتسمية علم سوى صحبة الرسول عليه الصلاة والسلام، إذ لا أفضلية فوقها، فقيل لهم "الصحابة"، ثم اختلف الناس وتباينت المراتب، فقيل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين "الزهاد" و"العُبَّاد"، ثم ظهرت البدعة، وحصل التداعي بين الفرق، فكل فريق ادعوا أن فيهم زهادًا، فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفسهم مع الله سبحانه وتعالى، الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم "التصوف"، واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة " أهـ [مقدمة الرسالة القشيرية]، لقد وجد علم التصوف منذ أول آية أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}، إلى قوله تعالى: {كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى * إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى}، وذلك لأنّ التصوف هو لبّ الدين وثمرته، وهو تزكية الدين ومنازله، وهو منزلة الإحسان

أعلى منازل الدين، والعهد المكي كان فترة تحلية وتزكية للوصول إلى مرتبة الإحسان، وذلك بغرس الأخلاق المحمدية في نفوس الصحابة رضوان الله عليهم، مثل التوبة والخشية والإنابة والصبر والتواضع والمحبة والذكر، وظل الأمر يسير على هذا النحو إلى أن هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة، واستمر الصحابة يتدرجون في مقامات الكمال، بل كان الرجل ما إن يضع يده بيد الرسول صلى الله عليه وسلم مبايعاً حتى يترقى إلى أعلى المقامات وأسمى الحالات وذلك لقوة نور النبوة، وظل الأمر كذلك إلى أن انتقل المصطفى إلى جوار ربه ثم جاء التابعون فتربّوا على يد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان همهم الوصول إلى رضوان الله عز وجل فتزكت نفوسهم بتأثير النور المحمدي الذي سكن قلوب الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، وفي عصر التابعين دخل أناس في الإسلام أي كانوا حديثي عهد بكفر، ومن جانب آخر فتحت الدنيا على المسلمين فركن البعض إلى الشهوات وحب الدنيا وبدأ البعض يبتعد عن حال السلف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام أناس أكفاء في ذلك الوقت وما بعدهم يدعون الناس إلى العودة لما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام أي حالة السلف الصالح وهؤلاء الدعاة هم الصوفية، دعوا الناس إلى العودة إلى مرتبة الإحسان التي كان يعيشها السلف الصالح، وتخليص النفس من رعوناتها التي كبلتها وقيدتها عن مشاهدة أنوار الحق، وتخليص القلب من حب الدنيا وإحياؤه بذكر الله عز وجل، فقام هؤلاء الأكابر من الرجال بفتح بيوتهم لاستقبال الناس يدعونهم إلى هذا الطريق الراقي طريق الإحسان، أو التصوف، وفتحوا المعاهد التربوية أو ما يسمى بـ " الزاوية أو التكية " لملاحظة الناس وتربيتهم عن قرب فكانوا في كل عصر هم نماذج السلف الصالح الذين حافظوا على علم الإحسان وأخلاق المحسنين، وتزكية المقربين، واستطاعوا بصدق توجههم ونقاء سريرتهم أن ينبهوا القلوب الغافلة فيحيونها بأنوار الذكر، وفتحوا البلاد فدخل الناس في دين الله أفواجاً، ولكن باعتبار أن هذا العلم ليس حروفاً تكتب إنما هو أحوال ومقامات وأذواق فلا بد أن يعيشها الإنسان كي يدركها، لهذا أنكر البعض على هذا العلم وعلى من ينتسبون إليه، وإنكارهم سببه أنّ أكثر معارف الصوفية ليست فقهاً يكتب في السطور أو في مؤلفات الفقهاء إنما هي أحوال ومقامات ومنازل، يتذوقها ويحس بها من أراد الله تعالى أن يشرح صدره لمنازل هؤلاء الاكابر، لقد جاء علم التصوف ليرسم منهجاً عن طريق مجموعة من القواعد والآداب للوصول إلى هذه الأحوال والمقامات ومن ثم منازل الإحسان ومراتب السابقين، إنّ التصوف بلفظِهِ لم يكن في زمنِ النبي أما ماهيتُهُ ومضمونُهُ ومَدارُهُ واستمدادُهُ وهيئتُهُ فليسَ إلاَّ

الدينُ الكاملُ الذي جاءَ بهِ الرسولُ الأعظمُ وإلاَّ لَما سارَ على نهجِهِ أئمةٌ عِظامٌ يُشارُ إليهمْ بالبَنانِ ولا يخلو منهمْ جَنانٌ حتى أنَّكَ أيُّها المقبِلُ على اللهِ إذا استقصَيْتَ أسماءَ علماءِ الشريعةِ الغرّاءِ الذينَ اعتمدَتْهمُ الأُمَّةُ واتَّفَقَتْ على عدالتِهمْ وقبولِهمْ فلا تكادُ ترى واحداً منهمْ إلاَّ وقدْ تصوَّفَ وسارَ على طريقِ الصوفية، لأنّهم أَهْلُ اللَّهِ المحسنين، **يقول الدكتور أحمد عَلْوَشْ** – عن نشأة علم التصوف – : " قد يتساءل الكثيرون عن السبب في عدم انتشار الدعوة إلى التصوف في صدر الإسلام، وعدم ظهور هذه الدعوة إلا بعد عهد الصحابة والتابعين، والجواب عن هذا: إنه لم تكن من حاجة إليها في العصر الأول، لأن أهل هذا العصر كانوا أهل تقوى وورع، وأرباب مجاهدة وإقبال على العبادة بطبيعتهم، وبحكم قرب اتصالهم برسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانوا يتسابقون ويتبارون في الاقتداء به في ذلك كله، فلم يكن ثمَّة ما يدعو إلى تلقينهم علماً يرشدهم إلى أمرٍ هُم قائمون به فعلاً، وإنما مثلهم في ذلك كله كمثل العربي القُحِّ، يعرف اللغة العربية بالتوارث كابراً عن كابر، حتى إنه ليقرض الشعر البليغ بالسليقة والفطرة، دون أن يعرف شيئاً من قواعد اللغة والإعراب والنظم والقريض، فمثل هذا لا يلزمه أن يتعلم النحو ودروس البلاغة، ولكن علم النحو وقواعد اللغة والشعر تصبح لازمة وضرورية عند تفشي اللحن، وضعف التعبير، أو لمن يريد من الأجانب أن يتفهمها ويتعرف عليها، أو عندما يصبح هذا العلم ضرورة من ضرورات الاجتماع كبقية العلوم التي نشأت وتألفت على توالي العصور في أوقاتها المناسبة، فالصحابة والتابعون . وإن لم يتسموا باسم المتصوفين . كانوا صوفيين فعلاً وإن لم يكونوا كذلك اسماً، وماذا يراد بالتصوف أكثر من أن يعيش المرء لربه لا لنفسه، ويتحلى بالزهد وملازمة العبودية، والإقبال على الله بالروح والقلب في جميع الأوقات، وسائر الكمالات التي وصل بها الصحابة والتابعون من حيث الرقي الروحي إلى أسمى الدرجات فهم لم يكتفوا بالإقرار في عقائد الإيمان، والقيام بفروض الإسلام، بل قرنوا الإقرار بالتذوق والوجدان، وزادوا على الفروض الإتيان بكل ما استحبه الرسول صلى الله عليه وسلم من نوافل العبادات، وابتعدوا عن المكروهات فضلاً عن المحرمات، حتى استنارت بصائرهم، وتفجرت ينابيع الحكمة من قلوبهم، وفاضت الأسرار الربانية على جوانحهم، وكذلك كان شأن التابعين وتابعي التابعين، وهذه العصور الثلاثة كانت أزهى عصور الإسلام وخيرها على الإطلاق، وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: "خير القرون قرني هذا فالذي يليه والذي يليه" ["خير الناس قرني هذا ثم الذين يلونهم،،" أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الشهادات، وفي "صحيح مسلم" في فضائل الصحابة عن ابن مسعود رضي الله عنه]، فلما تقادم العهد، ودخل في حظيرة الإسلام

أُمم شتى، وأجناس عديدة، واتسعت دائرة العلوم، وتقسمت وتوزعت بين أرباب الاختصاص، قام كل فريق بتدوين الفن والعلم الذي يُجيده أكثر من غيره، فنشأ . بعد تدوين النحو في الصدر الأول . علم الفقه، وعلم التوحيد، وعلوم الحديث، وأصول الدين، والتفسير، والمنطق، ومصطلح الحديث، وعلم الأصول، والفرائض "الميراث" وغيرها،، وحدث بعد هذه الفترة أن أخذ التأثير الروحي يتضاءل شيئاً فشيئاً، وأخذ الناس يتناسون ضرورة الإقبال على الله بالعبودية، وبالقلب والهمة، مما دعا أرباب الرياضة والزهد إلى أن يعملوا هُم من ناحيتهم أيضاً على تدوين علم التصوف، وإثبات شرفه وجلاله وفضله على سائر العلوم، ولم يكن ذلك منهم احتجاجاً على انصراف الطوائف الأخرى إلى تدوين علومهم . كما يظن ذلك خطأً بعض المستشرقين . بل كان يجب أن يكون سداً للنقص، واستكمالاً لحاجات الدين في جميع نواحي النشاط، مما لا بد منه لحصول التعاون على تمهيد أسباب البر والتقوى" [المسلم مجلة العشيرة المحمدية" عدد محرم 1376هـ، من بحث: التصوف من الوجهة التاريخية للدكتور أحمد علوش]،

**[المفتاح السادس]:** بداية ظهور التصوف كعلم للتزكية: **القرآن الكريم شمل أصول وقواعد العلوم جميعا ومنها: (علم الفقه وعلم العقيدة وعلم التزكية) وكان الصحابة والتابعون على دراية بهذه العلوم ينقلونها للناس يعلمونها لهم دون فصل بينها**، وبعد انقضاء عهد الصحابة والتابعين، ودخول الناس من شتى الأمم والأجناس في دين الله تعالى، اتسعت دائرة العلوم، وتقسمت وتوزعت بين أرباب الاختصاص، فقام كل فريق من أهل الاختصاص بتدوين العلم الذي يحتاج الناس إليه، احتاج الناس إلى ضبط القرآن وعدم اللحن فيه، فنشأ علم النحو، وعلم أحكام التلاوة، ثم احتاج الناس إلى معرفة كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فنشأ علم تدوين الحديث، انتشر الحديث وخاف العلماء من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنشأ علم الجرح والتعديل وبقية علوم الحديث، واحتاج الناس إلى معرفة معاني آيات القرآن فنشأ علم التفسير، واحتاج الناس إلى معرفة أحكام العبادات والمعاملات والحلال والحرام فنشأ تدوين علم الفقه،، ثم احتاج الناس إلى معرفة أدلة الفقه الأساسية فنشأ تدوين علم أصول الفقه، ظهرت الآراء الضالة في العقيدة واحتاج الناس إلى معرفة أصول الدين وعقائده فنشأ تدوين علم التوحيد (علم العقيدة وأصول الدين)، اتسعت الدنيا على المسلمين وأخذ الناس يتناسون ضرورة الإقبال على الله بالعبودية، وبالقلب والهمة، مما دعا أرباب الزهد والمعرفة إلى أن يعملوا هُم من ناحيتهم أيضاً على تدوين علم التصوف، وإثبات

شرفه وجلاله وفضله، ومن باب سد النقص، واستكمال علوم الدين في جميع نواحي الحياة الإنسانية، قال ابن خلدون في مقدمته: " وهذا العلم – يعني التصوف – من العلوم الشرعية الحادثة في الملَّة، وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومَن بعدهم طريقة الحق والهداية، وأصلها العكوف على العبادة، والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد في ما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق، والخلوة للعبادة، وكان ذلك عامًّاً في الصحابة والسلف، فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية) أهـ [مقدمة ابن خلدون" علم التصوف ص 329]،

**[المفتاح السابع]:** أصالة علم التصوف وانتسابه إلى الكتاب والسنة: التصوف علم أصيل يستمد أصالته من الكتاب والسنة، ومن هدي السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم، حيث يقوم على مبادئ التزكية والإحسان، من العبادة والطاعة ودوام ذكر الله تعالى والزهد في الدنيا وإيثار الآخرة، ويقوم على أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم العظيمة وهديه القويم، وعلى تزكية السلف الصلح وحرصهم على طاعة الله تعالى ونيل رضاه، فلقد اهتم القرآن الكريم بعلم التصوف اهتماماً كبيرا، وأولى له ولاية عظيمة، بما حوى من أسس التزكية المتمثلة في الكم الكبير من الآيات التي تأمر بمقامات التزكية القلبية، تلك الآيات التي تأمر بالخوف والرجاء والمحبة والتوكل والرضا، وتلك الآيات التي تأمر بالتوبة والمراقبة والتقوى والإحسان، وتلك الآيات التي تتحدث عن وجوب تطهير النفس عن دسائس الأخلاق كالكذب والنفاق والظلم والعدوان والحسد والكبر والغرور، وتلك الآيات التي تتحدث عن وجوب تحلية القلب بعظيم الأخلاق كالتواضع والبر والصدق وغيرها من تعظيم الأخلاق، أضف إلى ذلك أن جميع العبادات التي أمر بها القرآن من صلاة وصيام وزكاة وذكر وتلاوة للقرآن إنما هي كذلك لأنها طريق إلى تزكية القلوب وطهارتها، كما أن أحد أكبر مهمات الرسول بين المسلمين هي تزكيتهم كما جاء في قوله تعالى: {ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة}، وقد رسم الرسول صلى الله عليه وسلم المنهاج المتكامل لأصول وقواعد ما سيسمى بعد ذلك بعلم التصوف، كما أن مبادئ هذا العلم كانت في عهد السلف الكرام، حيث ضربوا أروع الأمثلة على التزكية والصفاء والزهد في الدنيا والرغبة فيما عند الله، وصفاء النفس وسلامة الضمير، وتصفية النفوس من طبائعها الرديئة، وتخليصها من شهواتها الطاغية واتصافها بمكارم الأخلاق وسني

الآداب، وهل التصوف سوى هذه الأخلاق العظام، **يقول الشيخ حسني حسن الشريف** في كتابه القيم (الدلالة النورانية) تحت عنوان: **الصوفية في صدر الإسلام:** " **(سؤال):** لماذا لم تنتشر الدعوة إلى الصوفية في صدر الإسلام، ولماذا لم تظهر إلا بعد عهد الصحابة والتابعين، وهل جاءت بجديد أم هي امتداد لدعوة الإسلام؟ **(جواب):** لم تكن هناك حاجة إلى هذه الدعوة زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن الصحابة كانوا بسبب قربهم من الرسول صلى الله عليه وسلم، أهل ورعٍ وتقوى، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم هو المرشد والمزكي والمربي، فليست هناك حاجة لتلقينهم علوماً ترشدهم إلى أمور، هم قائمون عليها، وهم القدوة الحسنة والمثل الأعلى بها، فالرجال الذين سبقوا التسمية باسم (الصوفية) من الصحابة والتابعين، وإن لم يَتَسَمَّوا بالصوفية، كانوا في حقيقة الأمر صوفيين، ولا يهمنا الاسم بقدر الجوهر والحقيقة، وإلا فما هي الصوفية إن لم تكن تعني إلا أخلاق الصحابة والتابعين، الذين هم خير من أقبل على الله بالقلب والروح في السر والعلن، في السراء والضراء، وهم الذين قاموا بفرائض الإسلام وعقائد الإيمان، وتحققوا من مرتبة الإحسان، فاستنارت بصائرهم، وهم الذين تربوا على يدي مرشد البشر وسيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم!، روى البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خير القرون قرني هذا، فالذي يليه والذي يليه)، ثم تقادم العهد واتسعت العلوم ودونت علوم التوحيد والحديث والفقه والتفسير والمنطق والأُصول وغيرها من العلوم، التي بانتشارها واهتمام الناس بها وانفتاحهم على خيرات الدنيا وزينتها، أخذ الجانب الروحي يتضاءل، مما دعا أهل الألباب والزهد لتدوين علوم الإحسان، التي هي علوم الصوفية، ولا يُفهم من هذا أن ذلك كان احتجاجاً على العلوم الأخرى كما يُظن...، إنما هو استكمال لحلقة الإسلام الذي عني بالمادة والروح والجسد والقلب، قال الشيخ زروق: (نسبة التصوف في الدين نسبة الروح من الجسد، وإن هذا العلم لا يؤخذ من الأوراق وإنما يؤخذ من أهل الأذواق، ولا يُنال بالقيل والقال، وإنما يؤخذ من خدمة الرجال وصحبة أهل الكمال، وكما قالوا: والله ما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح) " أهـ، **وما أحسن ما جاء في فتوى للإمام الحافظ السيد محمد صديق الغماري رحمه الله،** فقد سئل عن أول من أسس التصوف؟ وهل هو بوحي سماوي؟ فأجاب: " أما أول من أسس الطريقة، فلتعلم أن الطريقة أسسها الوحي السماوي في جملة ما أسس من الدين المحمدي، إذ هي بلا شك مقام الإحسان الذي هو أحد أركان الدين الثلاثة التي جعلها النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما بيَّنها واحداً واحداً ديناً بقوله: "هذا جبريل عليه السلام أتاكم يعلمكم دينكم" [جزء من حديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه

في كتاب الإيمان عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه] وهو الإسلام والإيمان والإحسان، فالإسلام طاعة وعبادة، والإيمان نور وعقيدة، والإحسان مقام مراقبة ومشاهدة: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"... فإنه كما في الحديث عبارة عن الأركان الثلاثة، فمن أخل بهذا المقام (الإحسان) الذي هو الطريقة، فدينه ناقص بلا شك لتركه ركناً من أركانه، فغاية ما تدعو إليه الطريقة وتشير إليه هو مقام الإحسان، بعد تصحيح الإسلام والإيمان" أهـ [الانتصار لطريق الصوفية" ص 6 للمحدث محمد صديق الغماري]،

**[المفتاح الثامن]:** برآءة التصوف الإسلامي من الانتساب إلى الأديان الأُخرى: التصوف علم أصيل يستمد أصالته من الكتاب والسنة، ومن هدي السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم، حيث يقوم على مبادئ التزكية والإحسان، من العبادة والطاعة ودوام ذكر الله تعالى والزهد في الدنيا وإيثار الآخرة، ويقوم على أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم العظيمة وهديه القويم، وعلى تزكية السلف الصلح وحرصهم على طاعة الله تعالى ونيل رضاه، أما الزعم الفاجر بان التصوف يستمد أصوله وأسسه من الديانات الأخرى المحرفة والنحل الباطلة المزيفة، فهذا ظلم بين لعلم التصوف، وجحود واضح لأهله الصادقين المخلصين، والله تعالى أمرنا بالإنصاف مع الكافرين في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المائدة: 8]، فكيف بالإنصاف مع عباده الصالحين وأوليائه المحسنين، وفي الحديث الصحيح: (إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أُحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينّه، ولئن استعاذني لأعيذنّه)) [أخرجه البخاري]، وقد علم القاصي والداني أن القوم أقرب الناس تحقيقاً لهذا الحديث، **يقول الشيخ حسني حسن الشريف** في كتابه القيم (الدلالة النورانية): " **(سؤال):** يُتَّهم التصوف من بعض الجهلة وأدعياء العلم بأنه مستقى من أصول غير إسلامية كالفارسية والهندوسية والبراهمية، كما أَطلق بعض أعداء الإسلام من المستشرقين وغيرهم اسم التصوف على الرهبنة والبوذية والكهانة النصرانية والشعوذة الهندية، فقالوا هناك تصوف بوذي وهندي ونصراني وفارسي، أين التصوف من كل هذا، وأين هو من الشرع الإسلامي؟، **(جواب):** إن علم التصوف مستمد من الكتاب والسنة النبوية جملةً وتفصيلاً،

ومما سبق من نصوص يتبين لنا أن التصوف ليس أمراً مستحدثاً جديداً، ولكنه مأخوذ من الكتاب والسنة وحياة الصحابة الكرام، ومن إلهامات الصالحين الربانيين وفتوحات العارفين الصديقين، وعلى القارئ إذا أراد أن يتبحر في ذلك أن يعود إلى كتاب إحياء علوم الدين للغزالي، وأن يقرأ في أربعة كتب منه وهي: «كتاب العبادات» و «كتاب العادات» و «كتاب المهلكات» و «كتاب المنجيات» ليعرف السالك أن التصوف هو التطبيق العملي للإسلام وأنه يستمد فكره من الكتاب والسنة، وأنه ليس هناك فعلاً إلا التصوف الإسلامي فقط، وإنما أُريدَ بتلك التهم تشويه اسم التصوف باتهامه بأنه يرجع في نشأته إلى تلك الأصول القديمة والفلسفات الضالة، ومن ثَم إبعاد المسلمين عن حقيقة وجوهر وروح دينهم، حتى يكونوا مجردين من الروح والخلق، حافظين لنصوص دينهم دون عمل وفهم وتذوق، إن مصدر علوم التصوف هو الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو أفضل الخلق بالإجماع، وقد جاءت هذه العلوم لتحقيق الكمالات علماً وعملاً وحالاً، ولتكميل العقائد وتطهير النفوس وتحسين الأخلاق، وهذه رسالته صلى الله عليه وسلم، أما ثبوت شرف التصوف، فلا شك أن الكتاب والسنة وإجماع الأئمة وردت بمدح جزيئات التصوف ودعائمه، كالتوبة والتقوى والإحسان والاستقامة والصدق والإخلاص والطمأنينة والزهد والورع والتوكل والرضا والتسليم والمحبة والمراقبة والصبر والشكر وغير ذلك من المسائل، وهذه ليست جديده ولا مبتدعة، وليست قديمة من فلسفات الفرس والهندوس وغيرها، إنما هي من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما ربطنا بها إلا حبنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فالصوفية أتبع الناس وأكثرهم إقتداءً برسول الله صلى الله عليه وسلم، ودل ذلك على أنهم أحب الخلق إلى الله، قال تعالى: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ} [آل عمران: 31] وروى البخاري في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين) وعلامة المحبة الإتّباع، أما حكم الشرع في التصوف فقد قال الغزالي: (إنه فرض عين، إذ لا يخلو أحد من عيب إلا الأنبياء عليهم السلام) على اعتبار أن التصوف هو المدخل إلى تزكية الأنفس، وقال الإمام أبو الحسن الشاذلي رحمه الله: (من لم يتغلغل في علمنا هذا مات مُصِرّاً على الكبائر من حيث لا يشعر ولا يدري " أهـ [الدلالة النورانية]،

**[المفتاح التاسع]:** التصوف من أهم وأعظم جوانب الدين ولابد من إنصافه ورد الاعتبار إليه ولابد من تصفيته من الدخن والخلل:

[1] تكفل علم التصوف بتزكية الظاهر والباطن، الظاهر بكثرة الذكر والباطن بسلامة القلب، قال تعالى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ} [الْأَعراف: 33]، وقال تعالى: {وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ} [الْأَنعام: 151]، وقد تكفل علم التصوف بتزكية الباطن، لأن من تعريفات التصوف أنه (العلم الذي يعرف به كيفية تصفية الباطن وتخلية القلب عن صفاته الذميمة، حتى يتوصل إلى تزكيته وتحليته بعظيم الآداب والأخلاق)) وهو العلم المتخصص في إصلاح القلب وسلامته وتزكيته، وقد قال تعالى: {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الشعراء: 88–89]، والتصوف – كما هو معلوم لأهله – يتخصص في تزكية القلب بطهارته من الكفر والشرك والنفاق والحقد والحسد والكبر والعجب والرياء...، وتحليته بالإخلاص والصدق والتواضع والتقوى وعظيم الأخلاق... وهذا القسم الذي تخصص فيه التصوف هو القسم الأهم لقوله صلى الله عليه وسلم: (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) [أخرجه البخاري (52)، ومسلم (2523)] وقوله صلى الله عليه وسلم: (إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) [أخرجه مسلم (2564)]، وقوله صلى الله عليه وسلم (... التقوى ههنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) [أخرجه البخاري (5718) ومسلم (2559)]، وقوله صلى الله عليه وسلم (إن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا وابتغي به وجهه) [أخرجه الترمذي في كتاب فضائل الجهاد (23)]، وقوله صلى الله عليه وسلم (إن الرجل ليبلغ بحسن الخلق درجة الصائم القائم) [أخرجه الإمام أحمد في مسنده (19: 76)]، وقوله صلى الله عليه وسلم (اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن) [أخرجه الترمذي (1988) وأحمد (5: 53 و 158و 228 و 236)]، وقد أجمع الفقهاء على أن الأمراض والآفات القلبية كالكبر والشح والحقد والغش والغضب والعداوة والبغضاء والطمع والبخل والبطر والخيلاء والخيانة من الذنوب والكبائر القلبية التي تحتاج إلى توبة وطهارة وغالبها لا ينفك عنها بشر، والتصوف هو العلم الذي اختص بمعالجة هذه الأمراض القلبية والعمل على تزكية النفوس والتخلص من صفاتها الناقصة الذميمة، والحق يقال أنه على مر عصور الإسلام فإن للسادة الصوفية الحظ الأوفر من الوراثة النبوية في تحلية النفس بالصفات الكاملة كالتوبة والتقوى والاستقامة والصدق والإخلاص والورع والتوكل والرضا والأدب والتسليم والمحبة والذكر والمراقبة،

**[2] التصوف هو العلم الذي اختص بمعالجة الأمراض القلبية، وتزكية النفس** والتخلص من صفاتها الناقصة، قال ابن زكوان في فائدة التصوف وأهميته: " علمٌ به تصفيةُ البواطنْ... مِن كدَرَات النفس في المواطنْ "، قال العلامة المنجوري في شرح هذا البيت: " التصوف علم يعرف به كيفية تصفية الباطن من كدرات النفس، أي عيوبها وصفاتها المذمومة كالغل والحقد والحسد والغش وحب الثناء والكبر والرياء والغضب والطمع والبخل وتعظيم الأغنياء والاستهانة بالفقراء، لأن علم التصوف يطلع على العيب والعلاج وكيفيته، فبعلم التصوف يُتوصل إلى قطع عقبات النفس والتنزه عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة، حتى يتوصل بذلك إلى تخلية القلب عن غير الله تعالى، وتحليته بذكر الله سبحانه وتعالى) ["النصرة النبوية" للشيخ مصطفى إسماعيل المدني على هامش شرح الرائية للفاسي ص 26]، **إن التكاليف الشرعية المتعلقة بالقلب أهم من التكاليف الشرعية المتعلقة بالبدن** – وإن كان الكل مُهمَّاً – وذلك لأن الباطن أساس الظاهر ومصدره، وأعماله مبدأ أعمال الظاهر، ففي فساده إخلال بقيمة الأعمال الظاهرة، وفي الحديث ما يدل على ذلك كقوله صلى الله عليه وسلم: (ألا وإن في الجسد مُضغة إذا صلحتْ صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب" [متفق عليه]، وقوله صلى الله عليه وسلم (إن الله لا ينظرُ إلى أجسادكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظرُ إلى قلوبكم)) [أخرجه مسلم]، وما دام صلاح الإنسان مربوطاً بصلاح قلبه الذي هو مصدر أعماله الظاهرة، تعيَّن عليه العمل على إصلاحه بتخليته من الصفات المذمومة التي نهانا الله عنها، وتحليته بالصفات الحسنة التي أمرنا الله بها، وعندئذٍ يكون القلب سليماً صحيحاً، ويكون صاحبه من الفائزين الناجين {يوم لا ينفعُ مالٌ ولا بنونَ إلا مَن أتى اللهَ بقلبٍ سليمٍ} [الشعراء: 88 – 89]، قال الإمام جلال الدين السيوطي رحمه الله: (وأما علم القلب ومعرفة أمراضه من الحسد والعجب والرياء ونحوها، فقال الغزالي: إنها فرض عين) ["الأشباه والنظائر" للسيوطي ص504]، ويقول العلامة ابن عابدين في حاشيته الشهيرة: (إن علمَ الإخلاص والعجب والحسد والرياء فرضُ عين، ومثلها غيرها من آفات النفوس، كالكبر والشح والحقد والغش والغضب والعداوة والبغضاء والطمع والبخل والبطر والخيلاء والخيانة والمداهنة، والاستكبار عن الحق والمكر والمخادعة والقسوة وطول الأمل، ونحوها مما هو مبين في ربع المهلكات من "الإحياء"، قال فيه: ولا ينفك عنها بشر، فيلزمه أن يتعلم منها ما يرى نفسه محتاجاً إليه، وإزالتها فرض عين، ولا يمكن إلا بمعرفة حدودها وأسبابها وعلاماتها وعلاجها، فإن من لا يعرف الشر يقع فيه) ["حاشية ابن عابدين" المسماة رد المحتار على الدر المختار ج1: ص31]،

**[3] التصوف هو العلم الذي تخصص في بيان درجات الإحسان** ومنازل المقربين من رب العالمين وهو العلم الذي تخصص في رسم الطريق الحقيقي العلمي العملي الذي يوصل المسلم إلى أعلى مقامات الكمال الأخلاقي مع الله تعالى ومع الناس، وقد كان السادة الصوفية هم العلماء العاملون الصادقون والمرشدون المربون والعارفون بمناهج التربية والإحسان، ولذا قال حجة الإسلام الإمام الغزالي: بعد أن اختبر طريق التصوف ولمس نتائجه وذاق ثمراته (ولقد علمت يقيناً أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة وأن سيرتهم أحسن السيرة، وطريقتهم أصوب الطرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق،، ثم يقول رداً على من أنكر على الصوفية وتهجَّم عليهم: وبالجملة فماذا يقول القائلون في طريقةٍ طهارتُها . وهي أول شروطها . تطهيرُ القلب بالكلية عما سوى الله تعالى، ومفتاحها الجاري منها مجرى التحريم من الصلاة استغراقُ القلب بالكلية بذكر الله، وآخرها الفناء بالكلية في الله) [المنقذ من الضلال]

**[4] التصوف هو العلم الذي اهتم برسم الطريق العملي** الذي يوصل المسلم إلى أعلى درجات الكمال الإيماني والخُلُقي، وليس كما يظن بعض الناس أنه مجرد اجتماع لذكر الله وقراءة الأوراد وحسب، بل نقول (التصوف) منهج عملي كامل، يحقق صلاح المسلم وتهذيب أخلاقه وتحوله إلى شخصية مسلمة مثالية متكاملة، تعيش في درجات الإحسان، ومن هنا تظهر أهمية التصوف وفائدته، ويتجلى لنا بوضوح، أنه علم إسلامي قيم، لا غنى عنه لكل مسلم، كما لا غنى له عن علوم العقيدة التي تصلح الاعتقاد وعلوم الفقه التي تصلح العبادات والمعاملات، وأنه (علم التصوف) العلم الذي يصلح القلوب والأخلاق وبه يصل العبد إلى مرضاة الله، كما **أن التصوف هو العلم الذي اختص بتحلية النفس بالصفات الكاملة** كالتوبة والتقوى والاستقامة والصدق والإخلاص والزهد والورع والتوكل والرضا والتسليم والأدب والمحبة والذكر والمراقبة، وللصوفية في هذا المجال الحظ الأوفر من الوراثة النبوية،

**[5] علم التصوف من أهم علوم الإسلام وأعلاها منزلة ولابد من إنصافه،** لان (التصوف) هو مقام الاحسان من الاسلام الذي ورد في حديث جبريل المشهور حيث ينتقل العبد من مقام الايمان بالغيب إلى مقام شهود الغيب (أن تعبد الله كأنك تراه)، وهذا لا يتأتى إلا بتصفية القلب وتخليصه من كثير من السحب المتلبدة عليه، و (التصوف) مرتبة عالية تتمثل في إصلاح القلب بالوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرا وباطنا، وهو مبني على الكتاب والسنة وذلك باتباع شرع الله تعالى والاقتداء بالنبي

صلى الله عليه وسلم في الأخلاق والأحوال، والأكل من الحلال، وإخلاص النية في جميع الأفعال، وتسليم الامور كلها لله من غير إهمال في واجب ولا مقاربة محظور، وحاصله اتصاف بجميع المحامد وترك لجميع الأوصاف الذميمة، وهو مسلك قائم على العلم والعمل، وله منازل أعلاها المشاهدة (أن تعبد الله كأنك تراه) وأولها المراقبة (فإن لم تكن تراه فإنه يراك) وله مقامات عديدة شريفة منها التوبة والمحاسبة والخوف والرجاء والصدق والإخلاص والصبر والورع والزهد والرضا والتوكل والشكر، و (التصوف) هو الطريق المؤدي إلى أرقى درجات الكمال الإيماني والإحساني الذي به يتحقق مقام الشهود وحق اليقين، وهو الطريق إلى مدارج السالكين ومراقي الصاعدين إلى مرضاة رب العالمين،

**[6] علم التصوف الصحيح القائم على الكتاب والسنة علم من أجَّلِ العلوم الإسلامية**، ولابد وأن ينصف، ولو رجعنا إلى علماء الأمة الأفاضل العلماء الأبرار الأخيار لوجدنا أكثرهم ينتمي إلى التصوف أو يثني عليه خيرا،ولكن التصوف كغيره من علوم الإسلام قد يدخل فيه من ليس من أهله من الأدعياء والدخلاء والجهلاء، وهؤلاء لا يمكن أن يضروا التصوف، بل ضررهم على أنفسهم، ولا زال العلماء يتكلمون على أخطاء المتصوفين، ويصححون مسار التصوف، وهم يفرقون بين الصوفية الحقة وأدعياء التصوف، يثنون على التصوف الصحيح وأهله بالخير، ويهاجمون الأدعياء والدخلاء دون إساءة للتصوف والصوفية، أما أن نأخذ الصالح بجريرة الطالح فهذا ظلم عظيم، قال الله تبارك تعالى {وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} [الأنعام:164]،

**[7] إن كلمة (صوفي) كانت على مر عصور الإسلام السابقة كلمة ثناء، وصفة مدح**، فهل يعقل أن نأتي الآن لنغير حقائق الدين والتاريخ محاولين إضفاء صبغة البدعة والضلالة على ذلك العلم الذي يتناول التزكية والأخلاق وأعمال القلوب في دين الله تعالى، هل يعقل اليوم أن ينادي بعض من يزعمون الإصلاح إلى اقتلاع التصوف من جذوره، وابادة التصوف وأهله، وردم التراب على تراث المتصوفة بحجة تطهير المنهج من المبتدعة، فهل بعد هذا التنطع من تنطع، وأين يذهب تسعة أعشار أهل السنة في العالم اليوم في مصر والسودان ودول المغرب العربي واندونيسيا والباكستان وغيرها من بلاد المسلمين، هذا اليوم، فما بالنا بهم على مر عصور الإسلام السابقة، وأين يذهب الجنيد وأصحابه، وحجة الإسلام الغزالي وأتباعه، وعبد القادر الجيلاني والرفاعي والشاذلي وآلاف

الآلاف من أتباعهم، إن هؤلاء هم سادة التزكية وأقطاب التصوف ودعائم الأخلاق، ولا يكابر في إنكار فضلهم إلا مجازف بدينه مخاطر بأمته، وهل انتشر الإسلام في أقاصي الشرق والغرب إلا بأخلاق هؤلاء وجهودهم في الدعوة إلى الإسلام، **وليس معنى ذلك أن نبرأ الصوفية من كل خطأ وأنهم معصومون**، فهناك من أدعياء الصوفية من أساء للصوفية أكثر من أعداء التصوف، ولابد من تجديد التصوف حتى يسير في إتمام مهمته من تزكية النفس وبناء أمة الأخلاق في خضم زمان لا يعرف أهله سوى الماديات

**[8] لابد من انصاف التصوف ورد الاعتبار إليه وتصفيته من الدخن والخلل**، والعودة به إلى تزكية الكتاب والسنة، لقد أساء – على مر عصور الإسلام – أقوام إلى التصوف بانتسابهم إليه وادِّعائهم له مع خيانة مبادئه ومخالفة أوامره، وأساء آخرون باعتراضهم عليه جملة وتفصيلا، إن واجبنا نحو التصوف اليوم هو التزام المبادئ الإيجابية التي جاء بها التصوف الإسلامي، مع إصلاحه و تجديد أمره وإعادته إلى تزكية القرآن والسنة وتأكيد ارتباطه بالكتاب والسنة، لأنه – بحق – علم رباني من أهم علوم الإسلام وأعلاها منزلة، **فلا مناص من تجديد أمر التصوف وتصفيته من الدخن والخلل:** فإن (الصوفية) طائفة إسلامية كبيرة من طوائف أهل السنة والجماعة، تنتشر في شتى أنحاء العالم الإسلامي، وهي مثل بقية الطوائف الإسلامية كالمحدثين والفقهاء والأصوليين والمؤرخين، فيهم الصالح والطالح، والصحيح والفاسد والمصيب والمخطئ ولا يصح أن ننسب إلى أي طائفة من هؤلاء الطالح والفاسد والمخطئ فقط، فعندما يقال (الصوفية) فإننا نعرف أن المراد بهم أمثال الفضيل بن عياض، ومعروف الكرخي، وبشر الحافي وعبد القادر الجيلاني والجنيد وغيرهم كثير من الأولياء والصالحين على مر عصور الإسلام، ولا يراد بالصوفية أولئك الدجالون المخرفون المخالفون للكتاب والسنة، الذين دخلوا على التصوف فأفسدوه، لذلك وجب عدم خلط الأوراق بعضها من بعض فالعدل مطلوب مع الموافق والمخالف، وهو الأمر الذي طلبه منا الله في محكم تنزيله بقوله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المائدة: 8] فالعدل مطلوب مع العدو الكافر، فضلاً عن كل المسلم، فضلا عن من انتسب إلى إطار الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة، أما إلقاء التهم اعتباطا ليس من خلق المسلم، والصوفية أسم جامع لطائفة عظيمة من المسلمين، نخص منهم أولئك الصالحين المتمسكون بالكتاب والسنة والقائمون على ثغور مهمة التزكية التي هي إحدى مهمات الرسول صلى

الله عليه وسلم، فهذه الطائفة هي المقصودة بالتصوف الصافي النقي الصحيح الذي قام على صفاء النفس من الكدر، وامتلائها من الفكر والذكر والخلق العظيم، وتحقيق مرتبة الإحسان أعلى مراتب دين الإسلام،

[9] إن من الإنصاف أن نذكر فضل التصوف الصحيح الذي نهض برسالته منذ فجر الدعوة الإسلامية، في التزكية والإحسان وبناء المؤمن الحق، وكان رجال التصوف السابقون مدارس التربية والتزكية داخل المجتمع الإسلامي، وكان بهم يتحقق تكامل العلم والسلوك، وكانوا في الجهاد في مقدمة صفوف المجاهدين يحثونهم على التعلق بالآخرة، والشوق إلى لقاء الله، وكانوا ينشئون الرباطات على أطراف المدن الإسلامية وثغورها المتاخمة للأعداء، فكانوا يشتغلون فيها بذكر الله حتى إذا ما دعاهم داعي الجهاد، كانوا خيل الله السابقة، وكانوا هم أئمة الدعوة إلى الله، يصلون بدعوة الإسلام إلى المواقع التي لم تكن تبلغها جيوش الفتح العسكري، فكان الدعاة من رجال التصوف يتكفلون بهذه الرسالة، ينشرون الإسلام في مختلف أنحاء الأرض، هذا هو التصوف الحق المستمد من قواعد الكتاب والسنة وأحوال السلف الصالح، وهو التصوف الصافي الذي كان الفقهاء يعتبرون أنه من الشرف الانتساب إليه وانه بنقائه جزء مهم في تكوين شخصية كل مسلم، ولكننا – اليوم – نرى التصوف قد اختلط بصفائه بعض الأخطاء مما جعل الكثيرين لا ينظرون إليه بعين الرضا والقبول، بل بعين الشك والريبة، فلابد من تجديد التصوف، حتى نزيل عنه ما ليس منه، وننقيه من العثرات والهفوات، ونعيده إلى ثوب الكتاب والسنة، حتى يتبوأ مكانه الحقيقي في مرتبة الإحسان أعلى مراتب الدين، وما أحوجنا إلى منهاج تجديدي صحيح نقي صافي، يقوم على أكتاف رجال التزكية المخلصين، لا أشباه الرجال من الأدعياء والمنتسبين، منهاج يعود بالصوفية إلى قمة منازل الصالحين من أهل السنة والجماعة، وما أشد حاجة المسلمين إلى قيم التصوف المثلى وحضارته الروحية الطاهرة الزكية،

[10] لقد أساء أقوام إلى التصوف بانتسابهم إليه، وادِّعائهم له، وأساء آخرون باعتراضهم عليه، وردِّهم له جُملةً وتفصيلاً، وذلك لأنهم لم يفقهوا حقيقته، ولم يفرّقوا بين الحقِّ الذي هُدِيَ إليه الصوفية الصادقون، وبين الباطل الذي أُلصق بهم وأُدخل على طريقتهم، وهم منه براء، ولاشك أن هناك عوامل عديدة يجب إصلاحها بسرعة وإتقان داخل (التصوف) حتى يعود التيار الصوفي إلى الوسطية التي حبى الله تعالى بها الفرقة الناجية – وأنا هنا لا أعمم تلك العوامل على جميع التيار الصوفي

فالمنصفون يعلمون أن هناك صوفية أولياء في عداد الصديقين والأصفياء، وهناك أدعياء للتصوف متمصلحون منه يأخذون منه عرض الحياة الدنيا، وهناك جهلاء، وهناك مبتدعون، وهناك منحرفون، وهناك مغرضون تزيّوا بزيه، وانتسبوا إليه، ولذلك كان لا بد من التفريق بين أدعياء التصوف المنحرفين، وبين الصوفية الصادقين، أصحاب السلوك، ممن لهم درجات عليا في التزكية والإيمان والورع والتقوى واليقين، وآثار كبرى في نشر الأخلاق والدين، والدعوة إلى الله تعالى في سائر أزمان المسلمين، ثم هل يتحمل التصوف الصحيح في جوهره النقي جريرة المدعين، وهل يؤاخذ البريء الطاهر بجرم المعتدين، وهل من الإنصاف أن تنسب إلى هذه الفئة النقية أخطاء المتصوفة الشاذين من أعداء التصوف، ولطالما حذّر الصوفية أنفسهم من هؤلاء الأدعياء، إن الذين يحاولون طمس التصوف والقضاء عليه وإخراج أهله من دائرة أهل السنة والجماعة، مخطئون، يناطحون الصخور، وهم – للأسف – غير منصفين يجهلون حقيقة التصوف الإسلامي، ورجاله الصادقين وعلماءه المخلصين، نظرتهم للإسلام هي فقط نظرة سطحية بعيدة عن الإنصاف والتمحيص، وها هو العالم الأصولي المدقق (الإمام الشاطبي) صاحب كتاب الاعتصام ورافع لواء الحرب على البدع والمحدثات يصف الصوفية بأوصاف حميدة ومناقب جليلة، فقال: " الصوفية الذين نسبت إليهم الطريقة، مجمعون على تعظيم الشريعة، مقيمون على متابعة السنة، غير مخلين بشيء من آدابها، أبعد الناس عن البدع وأهلها، ولذلك لا نجد منهم من ينسب إلى فرقة من الفرق الضالة، ولا من يميل إلى خلاف السنة، وأكثر من ذكر منهم علماء وفقهاء ومحدثون، وممن يؤخذ عنه الدين أصولا لا فروعا، ومن لم يكن كذلك، فلا بد من أن يكون فقيها في دينه بمقدار كفايته" أهـ [الاعتصام، الشاطبي، تحقيق: مشهور بن حسن، 1: 165–166]، كما أثنى عليهم بوصفهم: " أهل الحقائق والمواجد والأذواق والأحوال والأسرار التوحيدية، فهم الحجة لنا على كل من ينتسب إلى طريقهم ولا يجري على مناهجهم..." أهـ [المصدر السابق، 1: 165–166]، وقد كان في نيته – رحمه الله – أن يخصص مؤلفا للإشادة بطريق التصوف، وتحصينه من أهل البدع والأهواء، حيث قال: "وفي غرضي– إن فسح الله في المدة، وأعانني بفضله، ويسّر لي الأسباب– أن ألخص في طريقة القوم أنموذجا، يُستدل به على صحتها، وجريانها على الطريقة المثلى، وأنه إنما دخلتها المفاسد وتطرقت إليها البدع: من جهة قوم تأخرت أزمانهم عن عهد ذلك السلف الصالح، وادّعوا الدخول فيها من غير سلوك شرعي، ولا فهم لمقاصد أهلها، وتقوّلوا عليهم ما لم يقولوا به، حتى صارت في هذا الزمان الآخر كأنها شريعة أخرى غير ما أتى بها النبي صلى الله عليه وسلم...، وطريقة القوم

بريئة من هذا الخُباط بحمد الله" أهـ [المصدر السابق، 1: 148–149]، والحاصل أن الإنصاف تجاه القوم مطلوب شرعي، وفضل التصوف الصحيح الذي هو ضرورة لإحياء القلوب، وتهذيب النفوس، لا ينكره منصف أضاء الله تعالى بصيرته بأهمية الحفاظ على طوائف أهل السنة والجماعة القائمين على ثغور الإسلام، والإصلاح واجب شرعي وهو لا يختص بالتصوف وحسب بل بجميع علوم الشريعة، وما أحسن قول السيوطي رحمه الله فيه إذ يقول عن التصوف: " علم شريف رفيع قدره سني أمره، لم تزل أئمة الإسلام وهداة الأنام قديما وحديثا يرفعون مناره ويجلون مقداره ويعظمون أصحابه، ويعتقدون أربابه، فإنهم أولياء الله وخاصته من خلقه بعد أنبيائه ورسله، غير أنه دخل فيهم قديما وحديثا دخلاء تشبهوا بهم وليسوا منهم، وتكلموا بغير علم وتحقيق فزلوا وضلوا وأضلوا، فمنهم من اقتصر على الاسم وتوسل بذلك إلى حطام الدنيا، ومنهم من لم يتحقق فقال بالحول وما شابهه، فأدّى ذلك إلى إساءة الظن بالجميع، وقد نبّه المعتبرون منهم على هذا الخطب الجليل ونصوا على أن هذه الأمور السيئة من ذلك الدخيل " أهـ [تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية، لجلال الدين السيوطي، ص: 4]، إن من الإنصاف ألا نغمط حقوق الصوفية، ولا تنسينا أخطاؤهم حسناتهم، والتجديد الصوفي يعني إصلاح الأخطاء بتجرد والعودة حقائقة القائمة على أدلة الكتاب والسنة ووراثة أحوال النبي صلى الله عليه وسلم، تلك الأحوال التي تحلى بها أكابر أهل الطريق، وعند ذلك تتآلف القلوب وتنتفي الخصومات والعداوات ونكون يداً واحدةً في العمل على الدفاع عن دين الإسلام وتجديد أمره،

**[المفتاح العاشر]: ما الذي ينبغي أن يعرفه المسلم عن التصوف:** من خير الكتب التي تناولت المختصر المفيد الذي ينبغي أن يعرفه المسلم عن التصوف: كتاب إعلام المؤمنين بمبادئ علم التصوف للشيخ طارق السعدي: قال الشيخ طارق بن محمد السعدي الحسني في كتابه إعلام المؤمنين بمبادئ علم التصوف ثالث أركان الدِّين – باختصار يسير –: " الحمد لله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وكفى، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله محمد المصطفى، وعلى آله وصحبه وخلفائه وورثته أهل الصفا، وأتباعه بالحق إلى يوم الملتقى، وبعد: فلما كثر التساؤل عن (التصوف الإسلامي)، ونهج ساداتنا من الصوفية الأفاضل، في ظل الشبهات والخزعبلات المنسوبة إليه فتنة أو جهلاً، رأيت أن أكتب ما فتح الله تعالى عليَّ به من حدودٍ لمبادئ هذا الأمر العزيز، كانت هي مدار كلام السلف الصالح، وذلك في كتاب أسميته: (إعلام المؤمنين، بمبادئ علم التصوف " ثالث

أركان الدين ")، فأقول مستعيناً بالله تعالى استعانة عبدٍ عاجزٍ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا قُوَّةً ولا حياةً ولا نشوراً،

**التمهيد:** إن ديننا الحنيف قد بني على ثلاثة أركان يرتبط بعضها ببعض، هي: (الإيمان): وقد بات يُسمى: العقيدة، وأصول الدين، (الإسلام): وقد بات يُسمى: الفقه، (الإحسان): وقد بات يُسمى: التصوف، والزهد، **وشاهد ذلك:** مبادئ كل علم من هذه العلوم، فما كان موافقاً لمسمى الشرع: كان مُعتبراً صحيحاً، إذ لا مشاح في الاصطلاح، والعبرة بالمسمّى لا الاسم، ومن هنا: كان محل نظر العاقل والمُمَيِّز، بل من له أدنى حظ من الفهم: مبادئ العلوم، إذ من خلالها يستطيع معرفة هوية العلم وحقيقته، وتمييز الحق من الباطل في شأنه لذاته: فيميز مسائله مما يُحشى فيه، وأهله من المنسبين إليهم، إلى آخر هذه المعاني، مبادئ العلوم عشرة: الاسم، الحدُّ، الموضوع، الواضع، الاستمداد، الحكم، المسائل، النِّسبة، الفضل، والثمرة، والتصوف الإسلامي هو العلم المسمى تصوفاً، المنتمي إلى الإسلام الحنيف، وفيما يلي: نعقد لكل من مبادئه العشرة فصلاً مستقلاً، نضبطه فيه، ثم نشرحه، ونبين إرادته شرعاً وتصوفاً من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة المعتمدين المعتبرين من السادة الصّوفية

**فصل: اسم التصوف الإسلامي**: فـ(اسمه): تصوف، من (الصَفاء)، اصطلاحاً لا اشتقاقاً، فإن القوم أطلقوا على (السَّالك المتحقق): اسم (صوفي)، نِسْبَةً للفعل إلى الله، ثمّ إنهم جعلوا ذلك اسماً اشتقوا منه اسم الـ: (تصوف)، قال سيد الطائفة: الإمام أبو القاسم الجنيد بن محمد (297 هـ):" التصوف: هو صفاء المعاملةِ مع الله تعالى "اهـ، وقال بُنْدَارُ بن الحسين (353 هـ):" إن الصُّوفي: مَن اختاره الله لنفسه فصافاه، وعن نفْسِه برَّاه، ولم يردَّهُ إلى تعمّلٍ وتكلفٍ بدعوى، و(صوفي): على زِنة عُوفي، (أي: عافاه اللهُ)، وكُوفي، (أي: كافأه الله)، وجُوزي، (أي: جازاه اللهُ)، ففِعلُ الله تعالى ظاهِرٌ على اسمه "اهـ، وقال – أيضاً –:" الـ(صوفي): على وزن (عُوْفِي) أي: صُوفِيَ عن جميع ما له بِمَا وَرَدَ من الحق عليه من بوادي الأنوار "اهـ، وقال الإمام أبو عبد الرحمن السُّلمي (412 هـ):" إذا صَفَى المريدُ في إرادته، صُوْفي في صَفَائه، فَسُمِّي: صوفياً "اهـ، وقال أبو حمزة الخراساني (290 هـ):" الصوفي: مَن صُفِّيَ مِن كل دَرَن، فلم يبق فيه وسخُ المُخالفات بحال "اهـ، وقال الإمام أبو بكر الشّبلي (334 هـ):" الأرواح تلطفت، فتعلقت عند لذعات الحقيقة، فلم تر غير الحقّ معبوداً يستحق العبادة، فأيقنت أن المُحْدَثَ لا يُدرك القَديمَ بصفاتٍ معلولة، فإذا صَفَّاه الحَقُّ أوصَلَه إليه،

فيكون الحقُّ أوصله إليه، لا وَصَل هو "اهـ، قال الإمام أبو بكر البغدادي:" الصوفي: هو الخارج عن النعوت والرسوم، وصفاء الصوفي عن النعوت والرسوم ألزمه اسم: (التصوف)، فصُفِّيَ عن ممازجة الأكوان كلها بمُصافاة مَنْ صافاه – في الأزل – بالأنوار والمَبَارّ "اهـ، وقال أبو بكر البغدادي:" التصوف: صفوة الأحوال، فمن صفي في أحواله، وأخذ من كل صفوته، فهو: صوفي، والتصوف: الأخذ من كل صافٍ في الأحوال والأخلاق والأفعال أصفاه "اهـ، وقال أحدُ الكُبراء:" لفظ الـ(تصوف): أربعة أحرف: (تاء)، من التوبة، و(صاد)، من الصَّفاء، و(واو)، من الوِلاية، و(فاء)، من الفناء "اهـ، وهذا معنى (المُصافاة) على التحقيق، فمرده إلى ما تقدَّم، وليس معنى آخر، وقد عبر السابقون بآلاف من الحدود، هي عند التحقيق: أحوال وأعمال، قد خاطب بها المسؤولُ السائلَ لما فُتح عليه من حاله، بمقتضى الحكمة، قال بُندار بن الحُسين:" (الصوفية): متفقون في الوحدانية – في الجملة – قولاً، مُتفرّقون في الوصول إليها مُعاينةً ومُنازلةً، وكل واحد: يستحق اسمَ ما ظهر عليه من حاله الذي هو به موصوف، بعد اتفاقهم في الوحدانية قولاً "اهـ، وأما ما توصل إليه بعضُ الباحثين، سعياً خلف الاشتقاق من أصل اللغة، ونحو ذلك، ككونه مشتقاً من الصوف، أو من لغة أعجميَّة: فهو مرجوحٌ أو باطل بما قدّمناه على التحقيق، سيما وقد صدق الإمام أبو عبد الرحمن السّلمي، حيث قال:" (التصوف) حقيقة: كان حيث لم يكن لسانٌ ولا كلامٌ "اهـ، وقد أُحْدَثَ اسمَ (تصوف): المتصوفة في عهد التابعين أو تابعي التابعين، بينما عبَّر عنه الشرع بـ: (الإحسان)، كما عبَّر عنه السابقون بـ: (الزهد)، وآخرون بـ(الفَقْر)، وآخرون بـ: (الباطن) – وهو غير (فرقة الباطنية الملحدة بالله) –، ويُعبر عنه البعضُ حتى زماننا هذا بـ: (الآداب) و: (الأخلاق)، وبعض ما تقدم، سئل أحمد بن الجلاء: ما معنى (صوفي)؟! فقال: " لا نعرفه في شرط العلم، ولكن نعرف فقيراً مجرداً من الأسباب، كان مع الله تعالى بلا مكان، ولا يمنعه الحق سبحانه من علم كل مكان، فسُمي: (صوفياً) "اهـ، وسُئل الإمام أبو الحسن البُوشَنْجِيُّ (348 هـ) عن التصوف؟ فقال:" اسمٌ ولا حقيقة، وقد كان قبلُ حقيقةً ولا اسم "اهـ، في إشارة إلى التفريط الذي كان قد أحدث في زمانه، ومقارنة له بعمل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، ولا شك أنه: لا مشاح في الاصطلاح، وقد أحدث غيرهم أسماء لما اختصوا به من العلوم، كالـ(عقيدة) للإيمان، وعليه، فما يتشدق به المبتدعةُ الذين يَدُورون حول اشتقاق اسم (تصوف)، أو وُرُوْدِه على لسان الشارع، ثم يُغررون العوام به: ساقط لا اعتبار له، ولا يزيد عن كونه دليلاً على عمى هؤلاء واتباعهم أهواءهم، إذ لا يُتابعون ما ينكرونه،

ليروا أعَلَى حق هم أم على سواه؟! علماً بأن الواجب على العبد: أن لا يحكم على شيءٍ لم يتحقق منه بالحقِّ، بكونه حقاً أو باطلاً، فلا حول ولا وقوة إلا بالله سبحانه وتعالى،

**فصل: حَدّ التصوف الإسلامي:** و(حَدّه): أعْمَالُ الظَّاهِرِ وَالبَاطِنِ الْمُوْصِلَةِ إلى حَقِيْقَةِ الإحْسَان، فأما (الأعمال): فهي ما يَحْدُثُ من العَبْد، وإضافة الأعمال إلى (الظاهر والباطن): لكون حوادث العبد في ظاهره وباطنه، قال الله تعالى: {وأسبَغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة}: فـ(الظاهرة): الآداب والمعاملات، كالعبادات، والتعامل مع الناس، تحت ظل مكارم الأخلاق، و(الباطنة): الإيمان والأخلاق والنيات، وهي ما تبنى عليه أعمال الظاهر وتُعتبر به عند العبد وربّه تعالى، فتحدِّد العمل أنه شكر وغبطة، أم كفر وحسد مثلاً، وكون تلك الأعمال هي (الموصلة): أي: الوسيلة الصحيحة (إلى): أي: حتى بلوغ الغاية من هذا الأمر، وهي: (حقيقة الإحسان): أي: الفناء في الله، المُعَبَّر عنه شرعاً بـ: {أن تعبد الله كأنك تراه}، قال الله تعالى: {إن الله يأمر بالعدل والإحسان}، قال جبريل وهو يسأل سيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم عن أركان الدّين:" فأخبرني عن الإحسان؟ "، قال: {أن تعبُدَ اللهَ كأنك تراه، فإن لم تكن تراهُ فإنه يراك}، أخبرني سيدي وأستاذي حضرة الشيخ إبراهيم غنيم، قال:" الذي فهمته من ساداتنا: أن (التصوف) هو العمل بالشرع على هذا الإحسان "اهـ، ( **لطيفة**): وقول الله تعالى: {بالعدل والإحسان}: إشارة إلى مرتَبَتي القَبُول، فإن العدل: تنفيذ العبدِ الشَّرعَ، والإحسان: ما حدَّه سيدنا رسول الله محمد، وهو التمام، وقال الله تعالى: {واعبد ربَّك حتى يأتيك اليقين}، أي: حتى تبلغ حقيقة الإحسان، وتلقى الله تعالى عليها، أو على طلبها، وقال تعالى: {وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له}، قال سيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم: {أسلمت نفسي إليك، وفوَّضت أمري إليك}، قال الإمام أبو بكر دُلَفُ الشِّبْلِي (334 هـ):" الصوفي منقطع عن الخلق، متصل بالحق، كقوله تعالى: {واصطنعتك لنفسي} "اهـ، قال أبو عبد الله الرازي:" التصوف: استقامة الأحوال مع الحق "اهـ، وسوف يأتي من أقوال السادة الأكابر ما يعود إلى هذا الفصل، وإنما أخرناه لحكمة الشاهد الظاهر فيه، فنكتفي بهذا هنا، **[تنبيه]**: فالمُتصوف: لا يتصوف طلباً لعوضٍ أو عائدٍ، بل يسعى إلى بلوغ مرتبة الإحسان، التي تبتني على تمام مكارم الأخلاق، وهو ما يتعارض مع تلك المطالب، لأنها دليل على عدم التمام: كيف! وإن مِنَ الخُلُق: رؤية النعمة ونسبتها إلى أهلها؟!! وقد قال الله تعالى: {فاستقم كما أمِرت}، وبيَّنَ حقيقةَ الأمر فقال تعالى: {اتقوا الله ما استطعتم}، فمن قدر على عمل طولب به، قال أبو علي الجوزجاني:" كن طالباً الاستقامَة، لا طالبَ الكرامةِ، فإن نفسَك

متحركة في طلب الكرامة، وربك يطلب منك الاستقامة "اهـ، وذلك: تحقِيْقاً لوظيفة العُبُوْدِيَّة التي خُلِقَ للقِيَام بها، على وجه التمام، فقد قال الله: {وما خلقت الجِنَّ والإنْسَ إلا ليعبدون}، وحرصاً – منه – على سلامة الدنيا والآخرة على التحقيق، أي: باعتبار حقيقة الأمر، لا ما يلاقيه العبد من أثر ذلك في الدنيا، فإنه قد يُبتلى بحاسِدٍ أو فَاسِدٍ وغير ذلك مما يعرضه لأنواع الفتن والبلايا، ولكنه في حقيقة أمره مُوَقَّر عند أهل الرشاد، مثاب مقرَّب عند رب العباد، ومن بلغ ذلك المقام العزيز، كان حقيقة المقصود والمطلوب عنده: هو الله، قال الله: {ففِرُّوا إلى الله}، {يريدون وجهه}

**فصل: موضوع التصوف الإسلامي**: وموضوعه: أعمالُ الظاهرِ والباطن مِنْ حَيْث التخلية والتحلية، **فأما (التخلية)**: فالتهذيب، أي: التزكية والتصفية من مَسَاوئها، إذ الناس: قد خُلِقوا بطبيعتهم يَقْبَلون معاني ويُقبِلون عليها، قد حَدَّ فيها الشارعُ حدوداً، لتمييز ما سَنَّ خيريَّتَه وقضاه مقبولاً، مما سَنَّ سوءَه وقضاه مردوداً، فيسعون من خلال (المعرفة) إلى الوقوف على حدِّ الشرع – الضامن لما يُعتبر خلقاً كريماً –، فيتطهرون من السيئات، ويُبقون على الحسنات، **(فائدة)**: والجدير بالذِّكر عند الحديث عن طبيعة الناس: أنهم يَقبلون المعاني ويُقبِلون عليها بدافع الغريزة أو الشهوة أو الهوى أو العلم، فقد يكون العبد صالحاً، ويتفاجأ من نفسه تحدثه بسوء، يشككه بصلاحه، سيما وقد سارع إليه الشيطانُ عندما بلغه ذلك، ليضله عن السبيل، موهماً إياه بالضلال!! وليس حقيقة الأمر إلا موافقة معنى من ذلك لِداعِيه، فيتحرك في العبد طبيعةً، فليتنبه، لذلك قال الله: {إن الإنسان لفي خُسْرٍ * إلا الذين آمنوا وعَمِلوا الصالحات وتواصَوا بالحقّ وتَوَاصَوا بالصَّبر}، **(لطيفة)**: وقول الله: {آمنوا}: إشارة إلى العقيدة، وقوله: {وعملوا الصالحات}: إشارة إلى الفقه، وقوله: {وتواصَوا بالحق وتواصوا بالصَّبر}: إشارة إلى التصوف، فقوله: {وتواصَوا بالحَقّ}: إشارة إلى النظر في الحقائق، وقوله: {وتواصوا بالصَّبر}: إشارة إلى العمل بمقتضى الحقائق، **وأما (التحلية)**: فالإتمام، أي: إتمام مكارمها، إذ طبيعة الناس ليست تامَّة، بل فيهم النِّسبَةُ والشاهِدُ والاستعدادُ، فيسعون من خلال (المعرفة) إلى العمل بالمتمِّمَات، **(تنبيه)**: والإشارة بـ(المعرفة): إلى وسيلة تحقيق ذلك الآتي ذكرُها إن شاء الله تعالى، فتمييز خبيث الأعمال ظاهراً وباطناً من الطيب، والدليل على سبيل الطهارة منه، والتحلي بالطيبات: هو الذي يتناوله هذا العلم في موضوعه، قال الله تعالى: {قل إنما حرَّم ربي الفواحش، ما ظهر منها وما بطن}، قال سيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم: {ما أحد أغير من الله تعالى، ومن غيرته حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن}، وقال: {ونفس وما سواها * فألهمها

فجورها وتقواها * قد أفلح مَنْ زكاها * وقد خاب مَن دسَّاها}، وقال: {إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرونَ}، وقال سيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم: {ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب}، {إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم}، وذلك: أن أعمال الظاهر مبنية على الباطن، مُعتبرة به، ألا ترى سيدنا رسول الله محمداً صلى الله عليه وسلم قال: {إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئٍ ما نوى}، وقد اتفقت الأمة على: أن الأمور بمقاصدها، لذلك قال الله تعالى: {يوم لا ينفع مال ولا بنون * إلا من أتى الله بقلب سليم}، من باب إطلاق السبب وإرادة المُسَبَّب، أي: إلا مَن أتى الله وقد سَلِمَ ظاهره لسلامة باطنه، **(تنبيه)**: وكون أعمال الظاهر مبنية على الباطن لا يعني استغناء الباطن عن الظاهر ابتداء، فإن سلامة الباطن تنشأ من الظاهر اكتساباً، ثم تُكوِّن مملكةَ الباطن، ألا ترى سيدنا رسول الله محمداً صلى الله عليه وسلم يقول: {كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه،،}، **قال الإمام الجنيد:**" (التصوف): استعمال كل خلق سَنيّ، وترك كل خلق دَنِي "اهـ، وفي رواية:" (التصوف): العُلوُّ إلى كل خُلُقٍ شريف، والعُدُول عن كل خُلُقٍ دنيء "اهـ، وقال:" (التصوف): تصفية القلب عن موافقة البريّة، ومفارقة الأخلاق الطبيعيّة، وإخماد الصفات البشرية، ومجانبة الدواعي النفسانية، ومنازلة الصّفات الروحانيّة،، "اهـ، وقال مُظَفَّرٌ القِرْميسِينيُّ (289 هـ):" التصوف: الأخلاق المرضيَّة "اهـ، وقال أبو حفص النيسابوري (270 هـ):" التّصوف كله آدابٌ: لكل وقت أدبٌ، ولكل مقام أدبٌ "اهـ، قال العلامة أمين الكردي (1332 هـ):" ينبغي لك أن تتخلى عن الأوصاف الذميمة، لأنها نجاسات معنويَّة، لا يمكن التقرّب بها إلى الحضرة القدسية الإلهيَّة، كما لا يمكن التقرب بالنجاسات الصوَريَّة إلى العبادات الإلهيَّة، فلا بُدَّ للسالك أن يزكى من جميعها، ويتحلّى بالأوصاف الحميدة "اهـ، **فإن تبين ذلك، بقي السؤال عن الأعمال: كيف يتم تخليتها وتحليتها؟ والجواب مجملاً:** إنما يتم ذلك بصحبة شيخ صوفيٍّ متصل السند بسيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، ومتابعته على إرشاده جملةً وتفصيلاً، قال الإمام أبو عبد الرحمن السّلمي:" (التصوف) حقيقة: كان حيث لم يكن لسانٌ ولا كلامٌ، وإنما هو بركات تعود على أربابها من جهة الأولياء والمشايخ وتأثير آداب وأخلاق "اهـ، وقال الإمام أبو علي محمد الثقفي (328 هـ):" لو أن رجلاً جمع العلوم كلها، وصحب طوائف الناس، لا يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة من شيخ أو إمام أو مؤدّب ناصح، ومَن لم يأخذ أدبه من آمرٍ له وناهٍ، يريه عيوب أعماله، ورعونات نفسه، لا يجوز الاقتداء به في تصحيح المعاملات "اهـ، وقال الإمام أبو عثمان الحِيريُّ (298 هـ):" مَن صَحِب نَفْسَهُ

صَحِبَه العُجبُ، ومَنْ صَحِبَ أولياءَ الله وُفِّقَ للوصول إلى الطريق إلى الله "اهـ، وقال أبو عبد الله السَّجْزِي:" أنفع شيء للمُريدين: صُحْبَةُ الصالحين، والاقتداءُ بهم في أفعالهم وأخلاقهم وشمائلهم، وزيارةُ قبور الأولياء، والقيامُ بخدمة الأصحاب والرُّفقاء "اهـ، قال أبو بكر الترمذي:" مَنْ لم تُرضِه أوامر المشايخ وتأديبهم، فإنه لا يتأدب بكتاب ولا سُنة "اهـ، **وشرط ذلك** ما بيّنه الإمام أبو علي الثقفي بقوله:" مَنْ صَحِبَ الأكابرَ على غير طريق الحُرمةِ: حُرِمَ فوائدهم وبركات نظرهم، ولا يظهر عليه من أنوارهم شيء "اهـ، **وفي تفصيل ذلك: يقول الإمام الحافظ أبو نعيم الأصبهاني** (430 هـ):" مباني المتصوفة المتحققة في حقائقهم على أركان أربعة: (1) معرفة الله تعالى، ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله، (2) ومعرفة النفوس وشرورها ودواعيها، (3) ومعرفة وساوس العدو ومكائده ومضاله، (4) ومعرفة الدنيا وغرورها وتفنينها وتلوينها، وكيف الاحتراز منها والتجافي عنها، ثم ألزموا أنفسهم بعد توطئة هذه الأبنية: دوام المجاهدة، وشدة المكابدة، وحفظ الأوقات، واغتنام الطاعات، ومفارقة الراحات، والتلذذ بما أيدوا به من المُطالعات، وصيانة ما خُصُّوا به من الكرامات، لا عن المُعاملات انقطعوا، ولا إلى التأويلات ركنوا، رغبوا عن العلائق، ورفضوا العوائق، وجعلوا الهموم هماً واحداً، ومزايلة الأعراض طارفاً وتالداً، اقتدوا بالمهاجرين والأنصار، وفارقوا العُروض والعِقار، وآثروا البذل والإيثار،، فهم الأتقياء الأخفياء، والغُرَباء النجباء، صحَّت عقيدتُهم فسلمت سريرتهم " اهـ [الحلية: 24]، **ويقول تاج الإسلام الإمام محمد الكلاباذي** (380هـ):" علوم الصوفية: علوم أحوال والأحوال: مواريث الأعمال، ولا يرث الأحوال إلا مَن صحَّح الأعمال، وأول تصحيح الأعمال: معرفة علومها، وهي: علم الأحكام الشرعية من أصول الفقه وفروعه: من الصلاة، والصوم، وسائر الفرائض، إلى المعاملات: من النكاح، والطلاق، والمبايعات، وسائر ما أوجب الله تعالى ونَدَب إليه، وما لا غناء به عنه من أمور المعاش، وهذه: (علوم التَّعلم والاكتساب)، فأول ما يلزم العبد: الاجتهاد في طلب هذا العلم وإحكامِه، على قَدر ما أمكنه ووسِعه طبعه، وقوي عليه فهمه، بعد إحكام علم التوحيد والمعرفة، على طريق الكتاب والسّنة وإجماع السلف الصالح عليه، القَدْر الذي يتيقن بصحّة ما عليه أهل السّنة والجماعة، فإن وُفّق لما فوقه من نفي الشبه التي تعترضه: من خاطر أو ناظر: فذاك، وإن أعرض عن خواطر السوء اعتصاماً بالجملة التي عرفها، وتجافى عن المُنَاظر الذي يحاجَّه فيه ويُجادله عليه، وباعده: فهو في سِعة إن شاء اللهُ، واشتغل باستعماله علمه وعمل بما علم، فأول ما يلزمه: علم آفات النَّفْسِ، ومعرفتها، ورياضتها، وتهذيب أخلاقها، ومكائد العدو، وفتنة الدنيا، وسبيل الاحتراز منها، وهذا العلم: (علم الحكمة)، فإذا استقامت النفس

على الواجب، وصلحت طباعُها، وتأدبت بآداب الله،، يمكن العبد مراقبة الخواطر، وتطهير السرائر، وهذا هو: (علم المَعرفة)، ثم وراء هذا: علوم الخواطر، وعلوم المشاهدات والمُكاشفات، وهي التي تختص بـ(علم الإشارة): وهو العلم الذي تفرَّدت به الصوفية، بعد جمعها سائر العلوم التي وصفناها،، ثم لكل مقام بدء ونهاية، وبينهما أحوال متفاوتة، ولكل مقام علم، وإلى كل حال إشارة، ومع كل مقام إثبات ونفي، وليس كل نفي في مقام كان منفياً فيما قبله، ولا كل ما أثبت فيه كان مثبتاً فيما دونه " اهـ [التعرف: 86 إلى 88]، و**قال الإمام الجنيد** :" (التصوف): تصفية القلب عن موافقة البريّة، ومفارقة الأخلاق الطبيعيّة، وإخماد الصفات البشرية، ومجانبة الدواعي النفسانية، ومنازلة الصّفات الروحانيّة، والتعلق بالعلوم الحقيقية، واستعمال ما هو أولى على الأبديّة، والنّصح لجميع الأمة، والوفاء لله على الحقيقة، واتباع الرسول في الشريعة "اهـ، وقال عمرو المكي (291 هـ):" التصوف: أن يكون العبد في كل وقت بما هو أولى به في الوقت "اهـ، قال أبو الخير الأقطع (340 هـ):" ما بلغ أحد حالة شريفة إلا بملازمة الموافقة، ومعانقة، الأدب، وأداء الفرائض، وصُحبة الصالحين "اهـ، **ويتلخص ذلك** جميعاً بقولنا: الانضباط الظاهري والباطني بتمام الحكم الشرعي، قال الإمام الجنيد:" ما أخذنا التصوفَ مِنَ القِيل والقال، ولكن: عن الجوع، وترك الدنيا، وقطع المألوفات والمُستحسنات، وكثرة ذكر الله، وأداء فروضه وواجباته وسُننه، والاتِّباع لجميع ما أمر به، والانتهاء عن جميع ما نهى عنه "اهـ، وقال سيدي الشيخ إبراهيم غنيم:" (التصوف): هو الالتزامُ بأحكام الشَّرع، والعملُ بها في عمقها – لا في ظاهرها فقط –، واجتناب العملِ بالحيلة، ورجاءِ شيءٍ من الناس بالعمل "اهـ، ( **فائدة)**: ولا شك أن في ذلك من الكلفة والبلاء على النفس ما لا يعلمه إلا الله، لذلك قال: {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا}، {أم حسب الذين آمنوا أن يقولوا آمنا ولمَّا يُفتنون}، فمسيئ هو المريدُ الذي يظن أن الطريق سهل بسيط، بل إن مَن ظن ذلك لا يزال يُقدِّم قدماً ويؤخر أخرى، حتى يُفارق القوم يأساً، أو يوقن الحق في هذا الأمر: أن طريق التصوف، طريق محتف بالمكاره، مليءٌ بالصِّعاب، لا يصلح إلا لمن صحح هِمَّته، وجعل وظائفه همومه، وعلى رأس أولوياته، بحيث يفرغ منها للدنيا – ولو كانت للآخرة –، لا العكس، قال سيدنا رسول الله محمد: {أن يكون اللهُ ورسولُه أحب إليه مما سواهما}، **(فائدة)**: ومع بيان هذا الأمر، يظهر: أن الأعمال تزداد بازدياد الدرجات وارتفاع المقامات، فيبطل ما ينسبه بعض المبتدعة إلى الصوفية: أنهم ينتهون إلى رفع التكليف!! كيف! ومدار العبادة على الأعمال الظاهرة والباطنة؟! قال تاج الإسلام الإمام الكلاباذي (380 هـ):" أجمع الصوفية: أن جميع ما فَرَض اللهُ تعالى على العباد في كتابه، وأوجبه رسول الله: فرضٌ

واجِبٌ، وحتم لازمٌ على العُقلاء البالغين، لا يجوز التخلف عنه، ولا يسع التفريط فيه بوجه من الوجوه لأحدٍ من الناس: مِنْ صِدّيقٍ ووليٍّ وعارِفٍ، وإن بلغَ أعلى المراتب، وأعلى الدَّرجات، وأشرف المقامات، وأرفع المنازل "اهـ [التعرف: 58 – 59]، **(تنبيه)**: وهذه العبارة قد يطلقها القوم ويريدون رفع الكلفة (أي: المشقة) في الأعمال، كما قال سيدنا رسول الله محمد: {أرحنا بها يا بلال}، فيختلط على الجاهل بأحوالهم وأقوالهم الأمر، ويظن بهم الظنون! **وحول المعنى الباطل – وهو الذي يُروجه المبتدعة لهذه العبارة**، فِتْنَةً للناس –، يقول الإمام الجنيد – وقد سُئل عن مقالة لبعض المبتدعة الذين يزعمون ذلك فعلاً –:" إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال!! وهو عندي عظيم، والذي يسرق ويزني أحسن حالاً من الذي يقول هذا، فإن العارفين بالله تعالى: أخذوا الأعمال عن الله تعالى، وإليه رجعوا فيها، ولو بقيتُ ألف عام لم أنقص من أعمال البِرِّ ذرَّة، إلا أن يُحال بي دونها، وإنه لأوكد في معرفتي، وأقوى في حالي "اهـ، وبهذا يتبين بطلان شبهة العصمة في مباشرة المحرمات، التي ينسبها المبتدعة إلى الصوفية، **قال الإمام الكلاباذي:" أجمع الصوفية**: أنه لا مقام للعبد تسقط معه آداب الشريعة: من إباحة ما حظر الله، أو تحليل ما حرَّم الله، أو تحريم ما أحل اللهُ، أو سقوط فرض من غير عُذر ولا عِلَّة: (والعُذر والعِلة: ما أجمع عليه المسلمون، وجاءت به أحكام الشريعة)، ومَن كان أصفى سِرّاً، وأعلى رُتبةً، وأشرفَ مقاماً: فإنه أشد اجتهاداً، وأخلص عملاً، وأكثر توقياً "اهـ [التعرف: 59]، قال الإمام إبراهيم النَّصْرَاباذِيُّ (367 هـ):" ما دامت الأشباح باقية، فإن الأمر والنهي باقٍ، والتحليل والتحريم مخاطبون به، ولن يجترئ على الشبهات إلا مَن تعرَّض للحُرُمات "اهـ، وسئل الإمام أبو علي الروذباري (322 هـ) عمَّن يسمع الملاهي، ويقول: هي لي حلال، لأني قد وصلت إلى درجة لا يؤثِّر فيَّ اختلاف الأحوال؟! فقال:" نعم!! قد وصّلَ لَعَمْري: ولكن إلى سَقَر "اهـ، **وأما ذمُّ المبتدعةِ الصوفيةَ في طلبهم الله تعالى لِذاتِه وقولهم:**" ما عبدناك خوفاً من نارك، ولا رجاء بجنَّتك ": فإنه محض الجهل المُركب، لأن ذلك لا يعني عدم خوف ورجاء لنفس الأمر، وإنما معناه: أن الخوف والرجاء لم يكونا شرطَ العِبادة أو سببها، ولا وجهاً من ذلك فيها، وذلك قول الله تعالى: {واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعَشِي يُريدون وجهه}، وقوله تعالى: {ومن الناس من يشتري نفسَه ابتغاء مرضاة الله}، وقد قال الله تعالى: {نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم، ولكم فيها ما تتدعون}، والمقصود – بالنسبة للسادة الصوفية –: فلا تُردون إلا معنى سوانا في الدنيا والآخرة، رغم ما ستنالونه من نعيم أخروي تتمناه النفوس وتباشره عن شهوة، إذ تلك الدار يكون الاشتغال فيها بتلك الأمور نعمة من

كل وجه بعد انقطاع الفتن، وقد تكفل الله أنه جمعها لهم دون أن تصرفهم عنه جل جلاله، كما هو حال أمثال بعضها في الحياة الدنيا، لذلك قيل:" إن لله تعالى عباداً لو حَجَبَهُم في الجنة عن رؤيته، لاستغاثوا من الجنَّة كما يستغيث أهل النار من النار "اهـ، **قال الإمام إبراهيم النَّصْرَاباذِيُّ** (367 هـ):" مَن عملَ على رؤية الجزاء: كانت أعماله بالعدد والإحصاء، ومَن عمل على المشاهدة: أذهلته المشاهدة عن التعداد والعدد، ومَن عمل بالعَدد: كان ثوابه بالعَدد، قال الله تعالى: {مَن جاء بالحسنةِ فله عشرُ أمثالها}، ومَن عمل على المُشاهدة: كان أجره بلا عدد، قال الله تعالى: {إنما يُوفّى الصابرون أجرهم بغير حِساب} "اهـ، وليت شعري! أي عوض يطلبه بالعمل من عرف الحقيقة وسمع قول الله تعالى: {إن الله اشترى منَ المؤمنين أنفسهم وأموالهم}؟! بل أي عوض يطلبه على أعمال توجب له الحياء والاستغفار في صفة فعلها؟!! قال الإمام إبراهيم النَّصْرَاباذِيُّ:" العباداتُ إلى طلب الصّفحِ والعفو عن تقصيرها، أقرب منها إلى طلب الأعواض والجزاء بها "اهـ، لذلك قال سيدي الشيخ إبراهيم غنيم:" المُتَصَوِّف: هو مَن يعمل بالشَّرع لله كأنَّه يراه، لا لأي غاية "اهـ، أي: من بلغ مقامَ التصوّف، **(تنبيه)**: فينبغي أن يعلم السالك أن هذا مقام ينزله بفضل الله تعالى، فلا يُقحم نفسه فيه قبل ارتقائه، بل لا يزال يلتفت إلى الأغيار الطيبة، الصحيحة شرعاً، بحسب منزلته، حتى يفنيه الحق فيه، قال الإمام إبراهيم النَّصْرَاباذِيُّ:" إذا بدا لك شيءٌ من بوادي الحقِّ، فلا تلتفت – معه – إلى جنة ولا إلى نار، ولا تُخطرهما ببالك، وإذا رجعت عن ذلك الحال، فعَظّم ما عظّمه الله تعالى "اهـ، وقال:" الراغب في العطاء: لا مِقدار له، والراغبُ في المعْطِي: عزيز "اهـ، وأما أن أعمال الصوفية تشغلهم عن كتاب الله تعالى كما يُروِّج بعض المبتدعة!! فهو محض افتراء، كيف وكتاب الله تعالى دستورنا وقربة يُتقرب إلى الله تعالى به؟!، قال أحمد بن أبي الحواري (230 هـ):" إني لأقرأ القرآن، فأنظُرُ في آية، فيَحارُ عقلي فيها، وأعجب من حُفَّاظ القرآن: كيف يَهنيهم النومُ، ويسعُهم أن يَشْتَغلوا بشيءٍ من الدنيا، وهم يتلون كلام الرحمن؟! أما لو فهموا ما يتلون، وعرفوا حقّه، وتلذَّذوا به، واستَحْلُوْا المُناجاة به، لذهب عنهم النومُ، فرحاً بما رُزقوا ووُفِّقوا "اهـ، **(فائدة)**: ومما يشتبه على البعض: أن اشتغاله بأعمال الصوفية، بل والبعض يشتبه عليه أن الاشتغال بأعمال الإسلام جملة: يضيع عليه دنياه، ويعيق له منافعها!! وهي شبهة ساقطة، كيف وشأن تلك الأعمال تنظيم السلوك والحياة على وِفق مكارم الأخلاق؟! يقول الإمام الحارث المحاسبي (243 هـ):" خِيار هذه الأمة: الذين لا تَشْغَلُهم آخرتُهم عن دُنياهم، ولا دنياهم عن آخرتهم "اهـ، وقال أبو سليمان الداراني (215 هـ):" كلُّ عمل ليس له ثواب في الدنيا، ليس له جزاءٌ في الآخرة "اهـ، **ودعوى تعطل الصوفية عن الكسب**

**واتخاذ الأسباب!! لا تقل عن سابقاتها:** قال تاج الإسلام الإمام الكلاباذي:" أجمع الصوفية على إباحة المكاسب (من الحِرَف والتجارات والحرث وغير ذلك) مما أباحته الشريعة، على تيقظ وتثبت وتحرز من الشبهات،، وهي عندهم واجبة لمن رُبِط به غيرُه ممن يلزمه فرضه "اهـ [التعرف: 85]، ويقول حمدون القصَّار (271 هـ):" قُعود المؤمن عن الكَسْبِ إلحافٌ في المسألة "اهـ، وقال أبو سعيد الخراز:" مَن ظنّ أنه إذا بذل الجهدَ يصل إلى مطلوبه فهو مُتَعنٍّ، ومَن ظنَّ أنه بغير الجهدِ يصل فهو مُتمَنٍّ "اهـ، قال سيدي وأستاذي الشيخ إبراهيم غنيم:" على المريد أن يعمل،، فلا يجوز له أن يقعد حتى تأتيه العطايا أو الصدقات "اهـ

**فصل: واضع التصوف الإسلامي**: والواضع: اللهُ تعالى: أوحاه إلى رُسُله وأنبيائه، وألهمَهُ خواصَّ أوليائه، قال الله تعالى: {ألا لله الدِّين الخالِص}، {وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حُنفاء ويُقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، وذلك دين القيمة}، **(لطيفة)**: فقوله تعالى: {ليعبدوا الله}: إشارة إلى العقيدة، فقد خص العبادات المشار بها للفقه في قوله تعالى: {ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة}، وقوله تعالى: {مخلصين له الدين}: إشارة إلى التصوف، وقال تعالى: {ونفسٍ وما سوَّاها * فألهمها فجورها وتقواها * قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دسَّاها}، وقال سيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم: {بُعثت لأتممَ صالح الأخلاق}، وبهذا مع ما تقدم من توضيح في اسم التصوف وحدّه وموضوعه، يتبين: أنه ليس بدعة حادثة في الإسلام، أو أنها من أعمال أهل الملل والنحل الضالة، تحمَّلها مبتدعةُ الأمة عنهم بعد الفتوحات المباركة، والانفتاح على العالم!! كما يُرَوّج مَن لا خلاق لهم من أهل البِدع، وإنما هو خُلاصة التشريع، وصفة كُمَّل العِباد، ولو أنصف هؤلاء المبتدعة في شأن تصوف أهل الملل والنحل الضّالة، لقالوا: لما كان التصوف روح الشرائع،، إلى آخر ما سيأتي بيانه في فضله، نشأ في تلك الأمم مبتدعة حرّفوا أحكامه، وأحدثوا فيه ما ليس منه، كما يحدث لنا أهل الإسلام: ينبغ من العباد من يبتدع في التصوف أو في العقيدة أو في الفقه ما يُرده عليه أهل الحق بتوفيق من الله تعالى، حتى أننا لولا حفظ الله تعالى دينه إنجازا لوعده {إنا نحن نزلنا الذّكر وإنا له لحافظون}، لقطعنا أن لا يصلنا شيء منه على الصفة المُنزلة، لكثرة المبتدعة والفتن، فالحمد لله رب العالمين، ومما يشفي الصدور من تلك الشُّبُهات بإذن الله تعالى: ما دوّنه الإمام الحافظ أبو نعيم الأصبهاني (430 هـ) في كتابه (حلية الأولياء)، سيما في المقدمة، وقد قال فيها:" فقد استعنت بالله تعالى [على] جمع كتاب يتضمّن أسامي جماعة وبعض أحاديثهم وكلامهم، من أعلام المحققين

من المتصوفة وأئمتهم، وترتيب طبقاتهم من النّسّاك ومحجتهم، من قرن الصّحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم، ممن عرف الأدلة، وباشر الأحوال والطرائق، وساكن الرياض والحدائق، وفارق العوارض والعلائق، وتبرأ من المتنطعين والمتعمقين، ومن أهل الدعاوى من المتسوفين، ومِن الكسالى والمتثبطين، المتشبهين بهم في اللباس والمقال، والمخالفين لهم في العقيدة والفعال، وذلك لما بلغك من بسط لسننا ولسان أهل الفقه والآثار، في كل القطر والأمصار، في المنتسبين إليهم من الفسقة الفجار، والمباحية والحلولية الكفار، وليس ما حلَّ بالكَذَبَة من الوقيعة والإنكار، بقادحٍ في منقبة البَررة الأخيار، وواضع من درجة الصفوة الأبرار، بل في إظهار البراءة من الكذابين، والنكير على الخونة الباطلين: نزاهة للصادقين، ورفعة للمتحققين "اهـ [الحلية: 3 – 4]،

**فصل: استمداد التصوف الإسلامي**: واستمداده: من القرآن والسنة، قال الإمام الجنيد (297 هـ):" علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة "اهـ، " الطرق كلها مسدودة على الخلق، إلا على مَن اقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم، واتَّبع سُنَّته، ولزمَ طريقته، فإن طُرُقَ الخيرات كلها مفتوحة عليه "اهـ، وقال الإمام سهل التُّسْتَرِيّ (283 هـ):" أصولنا،، التمسكُ بكتاب الله تعالى، والاقتداء بِسُنّة رسوله "اهـ، وقال إبراهيم النصر آباذي (369 هـ):" أصل التصوف: ملازمة الكتاب والسنة، وترك الأهواء والبدع، وتعظيم حرمات المشايخ،، "اهـ، وقال أبو سليمان الدَّاراني (215 هـ):" ربما يَقعُ في قلبي النّكتة من نُكت القومِ أياماً، فلا أقبلُ منه إلا بشاهِدَينِ عدلين: الكتاب، والسنة "اهـ، وقال أبو بكر الطَّمَسْتَاني (340 هـ):" الطريق واضح، والكتاب والسنة قائمان بين أظهرنا، وفُضِّلَ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بشيئين: بصحبتهم مع النبي صلى الله عليه وسلم في الظواهر، وهجرتهم إلى الله تعالى في السرائر، وغُربتهم مع أنفسهم، ألا ترى الله تعالى يقول: {ومَن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يُدركهُ الموتُ فقد وقع أجره على الله}، فمَن صحب – منا – الكتابَ والسنة، وغُرِّبَ عن نفسِه والخَلق والدّنيا، وهاجر إلى الله بقلبه: فهو الصادق المُصيب، المُتّبعُ لآثار الصّحابة "اهـ، وقال الإمام أبو عمر الزجاجي (348 هـ):" كان الناسُ – في الجاهلية – يتَّبعون ما تستحسنه عقولهم وطبائعهم، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم، فردَّهم إلى الشريعة والاتباع، فالعقل الصحيح: هو الذي يستحسن محاسن الشريعة، ويستقبح ما تستقبحه "اهـ، وقال الإمام أبو عمرو بن إسماعيل:" لا بد للعبد من مُلازمة العُبوديَّة على السّنة، ودوام المراقبة "اهـ، وقال يحيى بن معاذ الرازي (258 هـ):" العبادة حِرفةٌ،، رأس مالها: الاجتهادُ بالسُّنّة "اهـ، وقال أحمد بن أبي الحواري (230 هـ):" مَن

عمل عملاً بلا اتباع السُّنَّة فباطلٌ عملُه "اهـ، وقال الإمام ذو النون المصري (245 هـ):" من علامات المحب لله تعالى: متابعة حبيب الله تعالى في أخلاقه وأفعاله وأوامره وسُننه "اهـ، وقال الإمام أبو الحسين الوَرَّاق:" لا يصل العبدُ إلى اللهِ إلا بالله، وبموافقة حبيبه صلى الله عليه وسلم في شرائعه، ومَن جعل الطريق إلى الوصول في غير الاقتداء يضِلُّ من حيث ظن أنه مُهتدٍ "اهـ، وقال أبو حمزة البزار (289 هـ):" لا دليل على الطريق إلى الله تعالى إلا بمتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم في أحواله وأفعاله وأقواله "اهـ، وقال الإمام أبو علي الثقفي (328 هـ):" لا يقبل الله من الأعمال إلا ما كان صوابا، ومِن صَوابها: ما كان خالصاً، ومِن خالِصها: إلا ما وافق السّنّة "اهـ، وقال الإمام سَرِيُّ السَّقَطِي (253 هـ):" المتصوف لا يتكلم بباطن ي علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب أو السنة "اهـ، وقال أيضاً:" قليلٌ في سُنَّةٍ خير من كثيرٍ مع بدعة، كيف يَقِلُّ عَمَلٌ مع التقوى؟! "اهـ، وقال أحمد بن أبي الخواري (230):" من عمل عملا بلا اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فباطل عمله "،اهـ، وقال أحمد النوري (295 هـ):" من رأيته يدّعي مع الله تعالى حالاً تُخرجه عن حدّ العلم الشرعي، فلا تقربنَّ منه "اهـ، وقال سعيد الحيري (298 هـ):" مَن أمرَّ السنة على نفسه قولاً وفعلاً: نطق بالحكمة، ومَن أمرَّ الهوى على نفسه قولاً وفعلاً: نطق بالبدعة، قال الله تعالى: {وإن تطيعوه تهتدوا، وما على الرسول إلا البلاغ المبين} "اهـ، وقال الإمام ابو يزيد البسطامي (180 – 261 هـ):" لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرتقي في الهواء، فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند: الأمر والنهي، وحفظ الحدود، وأداء الشريعة "اهـ، وقال عمر الحداد (260 هـ):" من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة،، فلا تعدّه في ديوان الرجال "اهـ، وقال الإمام أبو العباس أحمد الأدمي (309 هـ):" مَن ألزم نفسَه آدابَ السُّنَّةِ نوَّرَ اللهُ قلبَه بنُور المَعرفة، ولا مَقام أشرف من مقام متابعةِ الحبيب صلى الله عليه وسلم في أوامره وأفعاله وأخلاقه، والتأدب بآدابه قولاً وفعلاً وعَزْماً وعَقداً ونيَّةً "اهـ، وقال الفضيل بن عياض (105 – 187 هـ):" مَن جلس مع صاحب بدعةٍ لم يُعط الحكمة "اهـ، وقال الإمام محمد السلمي (412 هـ):" ليس بصوفي مَن جهل أحكامَ الله تعالى، وأحكام رسول الله، ومَن لم يحكم أحكام الظاهر، لم يُوفّق لتهذيب أحكام الباطن،، فمن جهل أحكام الله تعالى عليه في الظاهر فليس بصوفي، ومن خالف أحواله العلم فليس بصوفي،، ومَن باينَ أحواله السنةَ فليس بصوفي،، ومَن لم يكن أخلاقه وآدابه على مُوجب الكتاب والسنة فليس بصوفي "اهـ، وقال الإمام إبراهيم الرقي (326 هـ):" علامة محبة الله تعالى: إيثار طاعته، ومتابعة نبيِّه صلى الله عليه وسلم "اهـ، وقال رويم رضي الله عنه (305 هـ):" (التصوف): استرسال النفس مع الله

تعالى على ما يُريد "اهـ، وقال علي المزين (328 هـ):" (التصوف): الانقياد للحق "اهـ، وقال سيدي الشيخ إبراهيم غنيم:" (حقيقة التصوف) هو: العمل بحقيقة الشرع، يعني: [الشَّرط: أن] يعمل السالك بشرع الله تعالى، ولا يخالفه قَيدَ أنملة، فإن وُجِد هذا: كان من أهل الإحسان، وإن فُقِدَ هذا: كان مخالفاً، فلا يُقال له: متصوف "اهـ، **(فائدة):** فالخلق الصحيح: ما انضبط بالحكم الشرعي، ومن هنا ترى بطلان المتخلق بالهوى: أي: لا يقف عند حدود الشرع في أخلاقه، بل يُطلق لها العنان، فتراه يتورع في غير ورع!! وهكذا، وحول هذا تدور كلمة الإمامين الجليلين: مالك بن أنس، وسيدي محمد بن إدريس الشافعي – الآتي ذكرها –، في تلازم التصوف والفقه،

**فصل: حكم التصوف الإسلامي**: وحكمه: الوجوب العيني في غير القُرُبات، أما (الوجوب العيني)، فمعناه: أنه لازم على كل مسلم مُكلفٍ، لا يسعه تركه، وأما (القُرُبات): فهي ما طلب الشارعُ فعله من الأعمال، على وجه الندب والاستحباب، لا الفرض والإيجاب، بحيث تكون سبباً للرفعة والزيادة، وتمام العمل بالعبادة، فالواجب شرعاً: ما لم يكن قربةً بهذا المعنى، قال الله تعالى: {وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حُنفاء}، {فاستَقِم كما أمرت}، قال حجة الإسلام الإمام الغزالي: {الدخول مع الصوفية فرض عين، إذ لا يخلو أحد من عيب، إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام}اهـ، قال الإمام الجنيد:" إذا وفق الله المريدَ ألقاهُ إلى الصُّوفيَّة "اهـ، وقال أبو الحسن الشاذلي: {من لم يغلغل في علمنا هذا، مات مُصراً على الكبائر وهو لا يشعر}اهـ، ومن ثم، قال الإمام أبو بكر البغدادي:" مَن لم ينظر في التصوف، فهو: غبي "اهـ

**فصل: مسائل التصوف الإسلامي**: ومسائله: أعماله وآثارها والمصطلحات فيه، فأما (الأعمال): فهي حوادث الظاهر والباطن التي يدور عليها التصوف، ويبتني بها، وهي ما تقدمت الإشارة إليها في فصل (حد التصوف الإسلامي)، وأما (الآثار): فهي الأحوال والمَدارج والمقامات التي ينزلها العبدُ في سلوكه، وأما (المُصطلحات): فهي العِبارات والألفاظ التي وضعها الصوفيَّةُ للدلالة على الأعمال والآثار، قال الإمام الكلاباذي:" اصطلحت هذه الطائفة على ألفاظ في علومها، تعارفوها بينهم ورمَزُوا بها، فأدركه صاحبُه، وخفي على السامع الذي لم يحلّ مقامه، فإما أن يحسن ظنُّه بالقائل فيقبله، ويرجع إلى نفسِه فيحكم عليها بقصور فهمه عنه، أو يسوء ظنُّه به، فيُهَوِّس قائله، وينسبه إلى الهذيان!! وهذا أسلم له من رد حق وإنكاره "اهـ، **(فائدة):** وقد فصلت هذه المسائل وجميع أمور التصوف في كتابي (القول السَّامي)، ولله تعالى الحمد،

**فصل: نِسْبَة التصوف الإسلامي**: ونسبته: الأصوليَّة، لكونه وسيلة التقوى، وسبيل الإخلاص، فالتصوف: أصل للتحقّق من كل علم وفنٍّ، قال الله تعالى: {واتقوا الله ويُعلمكم الله}: في الخبر: {مَن أخلص لله أربعين يوماً ظهرت ينابيعُ الحِكمةِ من قلبِه على لسانه}، قال الإمام مالك (179 هـ): " من تفقه ولم يتصوف فقد تفسَّق، ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق "اهـ، أي: من طلب علم الأحكام الشرعية الفقهيَّة الكُبرى والصُغرى (أعني: العقيدة، والفقه)، دون تخلية وتحلية، أوقعه ذلك في الفِسق، لما طبع عليه الناس من معانٍ تستلزم ذلك قبل تهذيبها وتحليتها، ومَن طلب علم التصوف مجرداً عن الأحكام الشرعيَّة الفقهيَّة الكبرى والصغرى، فسوف تزل قدمه في وحول الزندقة، لأن أخلاقه مطلقة عن قيود الشرع، وقد تقدم: أن الشرع هو ضابط الأخلاق: فوضع حدوداً لها كغيرها من شؤون خلقه، ومن أمثلة ما قد يسقط فيه هذا الضرب: الجمع بين المتناقضات، وتعطيل حكم الشرع، وتغير حكم الله،، الخ، بدافع رحمة أو شفقة أو ورعٍ أو غير ذلك مما لو لم نقف فيه على حكم الشرع لما قاتلنا ولا أقمنا حدوداً وقِصاصاً ولا حتى فرَّقنا بين مسلم وغيره، وقال أبو بكر الوراق:" مَن اكتفى بالكلام من العِلم، دون الزهد والفِقه: تزندق، ومَن اكتفى بالزهد، دون الفقه والكلام: تَبَدَّع، ومَن اكتفى بالفقه، دون الزّهد والكلام: تفسَّق،ومّن تَفَنَّنَ في هذه الأمور كلها: تَخَلَّص "اهـ، قال يوسف الرازي (304 هـ):" بالأدب تفهم العِلم، وبالعِلم يصح لك العَمَلُ، وبالعَمَل تنال الحِكمة، وبالحِكمة، تفهم الزّهدَ وتُوَفّقُ له، وبالزّهد تترك الدنيا، وبترك الدنيا ترغبُ في الآخرة، وبالرّغبة في الآخرة تنالُ رضى الله "اهـ، وقال الإمام أبو بكر البغدادي:" مَن لم ينظر في التصوف، فهو: غبي "اهـ، وقال سيدي وأستاذي الشيخ إبراهيم غنيم:" هذا الإحسان [الذي ورد به الحديث عن سيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم]: هو الذي يعمل به خاصَّة الأولياء، فهم يعبدون الله سبحانه وتعالى عبادَةً حقيقيَّة، وهذا النوع من العِبادةِ: هو مُخُّ العِبادةِ فعلاً "اهـ، قال رُوَيْمُ ابن أحمد البغدادي (303 هـ):" قُعودك مع كل طبقة من الناس أسلم من قُعودك مع الصوفية، فإن كل الخلق قعدوا على الرسوم، وقعدت هذه الطائفةُ على الحقائق، وطالب الخلقُ انفسَهم بظواهر الشرع، وطالبوا هم أنفسَهم بحقيقة الوَرَع ومُداوَمة الصِّدق "اهـ

**فصل: فضل التصوف الإسلامي**: وفضله: الشَّرف الحقيقي، لتعلقه بالله تعالى، وتحقيقه معنى العبوديَّة، قال الله تعالى: {ومَن أحسَنُ ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن}، وقال تعالى: {فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصّديقين والشّهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، ذلك الفضل

من الله، وكفى بالله عليما}، {ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، الذين آمنوا وكانوا يتقون، لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، لا تبديل لكلمات الله، ذلك هو الفوز العظيم}، وقال سيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم: (يقول الله تعالى يوم القيامة: سَيَعلم أهل الجمْع مَنْ أهلُ الكَرَم))، فقيل: ومَن أهل الكَرم يا رسول الله؟ قال: {أهل مجالس الذّكر}، وفَصَّل ذلك في خبر آخر فقال: {ليبعثن اللهُ أقواما يوم القيامة في وجوههم النور، على منابر اللؤلؤ، يغبطهم الناس: ليسوا بأنبياء ولا شهداء، هم المتحابون في الله، من قبائل شتى، ومن بلاد شتى، يجتمعون على ذكر الله تعالى يذكرونه}، قال الإمام أبو نعيم الأصبهاني (430 هـ):" الصوفية: أرباب القلوب، المتسوّرون بصائب فراستهم على الغيوب، المراقبون للمحبوب، التاركون للمسلوب، المحاربون للمحروب، سلكوا مسلك الصحابة والتابعين، ومَن نحى نحوهم من المتقشفين والمتحققين، العالمين بالبقاء والفناء، والمميزين بين الإخلاص والرياء، والعارفين بالخطرة والهمة والعزيمة والنية، والمحاسبين للضمائر، والمحافظين للسرائر، المخالفين للنفوس، والمحاذرين من الخنوس، بدائم التفكر، وقائم التذكر، طلبا للتداني، وهربا من التواني، لا يستهين بحرمتهم إلا مارق، ولا يدعي أحوالهم إلا مائق، ولا يعتقد عقيدتهم إلا فائق، ولا يحن إلى موالاتهم إلا تائق، فهم سُرُجُ الآفاق، والممدود إلى رؤيتهم بالأعناق، بهم نقتدي، وإياهم نوالي إلى يوم التلاق "اهـ [الحلية: 27 – 28]، وقال الإمام عبد الكريم القشيري (465 هـ):" لقد جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه، وفَضَّلهم على كافَّة عباده بعد رُسُلِه وأنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم، وجعلَ قلوبهم معادِنَ أسراره، واختصَّهم من بين الأمة بطوالع أنواره، فهُم الغَياثُ للخلقِ، والدائرونَ في عموم أحوالهم مع الحق بالحَقّ، صفَّاهم من أكدار البَشَريَّة، ورَقَّاهم إلى مَحَالِّ المُشاهدات بما تجلى لهم من حقائق الأحَدِيَّة، ووَفَّقهم للقيام بآداب العُبوديَّة، وأشهدهم مجاري أحكام الرُّبوبية، فقاموا بأداء ما عليهم من واجبات التكليف، وتحقَّقوا بما منَّه سبحانه عليهم من التقليب والتصريف، ثم رجعوا إلى الله تعالى بصدق الافتقار ونعت الانكسار، ولم يتكلوا على ما حصل منهم من الأعمال، أو صفا لهم من الأحوال، عِلماً منهم: بأنه جل وعلا يفعل ما يُريد، ويختار مَن يشاءُ من العبيد، لا يحكم عليه خلق، ولا يتوجب عليه لمخلوق حق، ثوابه ابتداء فضل، وعذابه حكم بعدل، وأمره قضاء فَصْل "اهـ [الرسالة: 36]، وقال مجدِّدُ القَرن الخامس: حُجَّةُ الإسلام الإمامُ أبو حامد محمد الغزالي (505 هـ)، بعد انتهاء بحثه إلى التصوف ورحلته فيه:" أني علمت يقيناً: أن الصوفية: هم السَّالِكُوْن لطريق الله تعالى خاصَّة، وأن سيرتهم: أحسن السِّيَر، وطريقهم: أصوَبُ الطّرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق، بل لو جُمِعَ عقل العُقلاء، وحِكمةُ الحُكماء، وعِلمُ الواقِفين

على أسرار الشَّرعِ مِن العُلماء، لِيُغَيّرُوا شيئاً مِن سِيَرهم وأخلاقهم، ويُبَدّلوه بما هو خير منه، لم يجِدوا إليه سبيلا، فإن جميع حركاتهم وسكناتهم، في ظاهرهم وباطنهم: مُقتَبَسَةٌ مِن نُور مشكاة النبوة، وليس وراء نور النبوّة على وجه الأرض نورٌ يُستضاء به "اهـ [المنقذ: 127]، وقال مُجدد القَرن السَّادس فَخرُ الدِّين الإمام محمد الرَّازي (606 هـ):" هؤلاء [يعني: المتحققين من المتصوفة]: خيرُ الآدميين "اهـ [اعتقادات: 100]، وقال الإمام شهاب الدين محمد السَّهروردي (632 هـ):" إن المشايخ من الصوفية،، شمَّروا عن ساق الجد في طلب العلم المفترض حتى عرفوه، وأقاموا الأمر والنهي، وخرجوا من عهدة ذلك بحسن توفيق الله تعالى، فلما استقاموا في ذلك متابعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أمره الله تعالى بالاستقامة فقال تعالى: {فاستقم كما أمِرتَ ومَن تاب معك}، فَتَحَ الله عليهم أبوابَ العلوم،، "اهـ [العوارف: 25]، وقد قال الإمام أحمد بن حنبل:" لا أعلم على وجه الأرض أقواماً أفضل من الصوفيَّة "اهـ [الآداب: 2: 260]، وأسند الإمام اليافعي إليه: أنه كان يتردد إلى بعض الصوفية العارفين، فقيل له: أتتردَّد لروايةٍ عند هذا الشيخ؟ فقال:" عنده رأس الأمر: تقوى الله "، وفي رواية، قال:" معرفة الله "اهـ [روض: 29]، وقال الإمام اليافعي:" قال جماعة من العلماء منهم الإمام الشافعي: (إذا أوصى إنسان بماله لأعقل الناس، صُرِفَ إلى الزُّهاد في الدنيا) "اهـ [روض: 22]، يعني: الصوفية، وقال الإمام الجنيد:" لو علمتُ أن لله تعالى عِلماً تحت أديم السَّماء أشرف من هذا العلم الذي نتكلم فيه مع أصحابنا وإخواننا، لَسَعيتُ إليه وأخذته "اهـ، وقال:" التصديق بعلمنا هذا: ولايَةٌ "اهـ أي: صغرى، وسُئل الإمام عبد الله بن المُبارك (181 هـ): مَن المُلوك؟ فقال:" الزُّهاد "اهـ يعني: الصوفية، وقال أبو عبد الله المغربي (299 هـ):" ما فَطِنَت إلا هذه الطائفةُ، واحترقت بما فَطِنت "اهـ، وقال الإمام أبو عبد الرحمن السُّلمي:" إن الصوفية: أمان الله في أرضه، وأخدانُ أسراره وعِلمِه، وصفوته من خلقِه، وهم ممدوحون بلسان النبوة،، فمن أنكر هذا المذهب فلقلة معرفته، وقِلة الاهتداء لحقائقه... {وإذا لم يهتدوا به، فسيقولون هذا إفك قديم} "اهـ، قال بِشْرُ بن الحارث:" بحسْبِكَ أن قوماً موتى تحيى القلوبُ بذكرهم، وأن قوماً أحياءَ تقسُو القلوبُ برؤيتهم "اهـ، **(تنبيه)**: وأما ما يشيعه أهل البدع من المنتسبين إلى التصوف الإسلامي وخصومه: أن الصوفي يرتقي فضلاً فوق الأنبياء والمرسلين!! فبهتان يوجب الحرمان والخسران، قال الإمام السلمي:" ابتداء المقامات والمراتب: الصلاح، وانتهاؤه: الصِّدِّيقية، والنبوة والرِّسالة منقطعان عن أحوال الخلائق، ومباينان لها، لأن لهم كمال الأحوال، والخلق يمرّون على حواشيها "اهـ [تسعة: 151 – 152]، وقال الإمام

الشبلي:" رفع اللهُ قَدْرَ الوسائط بعلو هِممهم، فلو أجرى على الأولياء ذرَة مما كشف للأنبياء لبطلوا وتقطّعوا "اهـ

**فصل: ثمرة التصوف الإسلامي**: وثمرته: التحقق من المعارف الدينيَّة، والتحلي بالأخلاق المحمدية، فالإحسان بالعبوديَّة، والتنعم بالرَّحمة الأبديَّة، ونوال المكارم الدنيويَّة والأخرويَّة، قال الله تعالى: {إن الذين قالوا ربُّنا اللهُ ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكةُ: أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشِروا بالجنة التي كنتم توعدون، نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ولكم فيها ما تشتهي أنفسُكم ولكم فيها ما تدَّعون، نزلا من غفور رحيم}، وقال تعالى: {الذين تتوفاهم الملائكة طيبينَ يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنةَ بما كنتم تعملون}، وقال تعالى: {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سُبُلنا}، وقال تعالى: {للذين أحسنوا الحُسنى وزيادة}، وقال تعالى: {ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة}، وقال سيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن الله تعالى: {ما يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبَّه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يُبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني أعطيته، ولإن استعاذني لأعيذنَّه}، قال الإمام الجنيد:" (التصوف): أن يميتك الحقّ عنك، ويحييك به "اهـ، وقال محمد الترمذي:" ليس الفوز هناك بكثرة الأعمال، إنما الفوز هناك بإخلاص الأعمال وتحسينها "اهـ، وكرامة الله تعالى للصوفية في كافَّة الوجوه كثيرة جداً، قد صنف بعض العلماء كتبا خاصَّة دون فيها بعض ما بلغه منها، ككتاب (روض الرياحين) للإمام اليافعي، ومن قبل كتاب (حلية الأولياء) للإمام الحافظ الأصبهاني، وكذا كتاب (الرسالة القشيرية) للإمام القشيري، وغيرهم، قال الإمام أبو حامد الغزالي:" من أول الطريقة نبتدئ المُكاشفات والمُشاهدات، حتى أنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكةَ، وأرواح الأنبياء، ويسمعون منهم أصواتاً، ويقتبسون منهم فوائد "اهـ، وأما تعبير السادة الصوفية بـ(الاتصال): فمعناه عندهم: الانفصال بالسِّرِ عما سوى الله تعالى، فلا يشتغل العبدُ إلا به جل جلاله، فهو مقامٌ للصفاء، وليس كما يروج المبتدعة ممن ينتسبون إلى التصوف الإسلامي أو خصومه: أنه اتصال ذات بذات!! والعياذ بالله تعالى، وكذا (الفناء): إنما معناه عندهم: انقطاع الحظوظ عما سوى الله تعالى، فيفنى العبد عن الأشياء كلها شغلاً به جل جلاله، وليس كما يدعي هؤلاء المبتدعة: أنه الاتحاد الحقيقي!! والعياذ بالله تعالى من هذا الإلحاد،

تم الكتاب بعون الله تعالى، فلله تعالى الحمد والمِنَّة، وأسأله القَبول والنفع به في الدنيا والآخرة ليَ وللأمَّة، خادم الحق: طارق بن محمد السعدي،

**[المفتاح الحادي عشر]:** ما الذي ينبغي أن يعرفه المسلم عن التصوف: من خير الكتب التي تناولت المختصر المفيد الذي ينبغي أن يعرفه المسلم عن التصوف: كتاب أبجدية التصوف للشيخ العارف بالله تعالى محمد زكى إبراهيم رائد العشيرة المحمدية: وأنقل هنا – باختصار يسير – ما قاله الشيخ العارف بالله تعالى محمد زكى إبراهيم في كتابه أبجدية التصوف، قال رحمه الله: "

**\السؤال الأول: ما هو المقصود بالتصوف الإسلامي؟ وهل مورس هذا التصوف في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ولماذا يختلفون في تعريف التصوف؟ ولماذا يختلفون في تحديد مصادره؟ (الجواب):** (1) المقصود بالتصوف الإسلامي، يعرف من تعريفاته كثيرة: التي تتلخص كلها في أن: " التصوف هو: التخلي عن كل دَنِى، والتحلي بكلى سَنى " سلوكاً إلى مراتب القرب والوصول، فهو إعادة بناء الإنسان، وربطه بمولاه في كل فكر، وقول، وعمل، ونية، وفي كل موقع من مواقع الإنسانية في الحياة العامة "، ويمكن تلخيص هذا التعريف في كلمة واحدة، هي: (التقوى) في أرقى مستويات الحسية، والمعنوية، فالتقوى عقيدة، وخُلق، فهي معاملة الله بحسن العبادة، ومعاملة العبادة بحسن الخلق، وهذا الاعتبار هو ما نزل به الوحى على كل نبي، وعليه تدور حقوق الإنسانية الرفيعة في الإسلام، وروح التقوى هو (التزكية) و **{قد افلح من تزكى}** " [الأعلى: 14]، و **{قد أفلح من زكاها}** [الشمس: 9]، (2) وبهذا المعنى تستطيع أن تستيقن بأن التصوف قد مُورس فعلاً في العهد النبوي، والصحابة، والتابعين، ومن بعدهم، وقد امتاز التصوف مثلاً بالدعوة، والجهاد، والخلق، والذكر،والفكر، والزهد في الفضول، وكلها من مكونات التقوى (أو التزكى) وبهذا يكون التصوف مما جاء به الوحى، ومما نزل به القرآن، ومما حثت عليه السنة، فهو مقام (الإحسان) فيها، كما أنه مقام التقوى في القرآن والإحسان في الحديث: مقامُ الربانية الإسلامية، يقول تعالى: **{كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب بما كنتم تدرسون}** [آل عمران: 79]، هذا هو التصوف الذى نعرفه، فإذا كان هناك تصوف بخلاف ذلك، فلا شأن لنا به، ووزره على أهله، ونحن لا نُسأل عنهم فـ " كل امرئ بما كسب رهين "، (3) أما الاختلاف في تعريف التصوف، فهو راجع إلى منازل الرجال في معارج السلوك، فكل واحد منهم ترجم أساسه في مقامه، وهو لا يتعارض أبداً مقام سواه،

فإن الحقيقة واحدة، وهي كالبستان الجامع، كلٌ سالك وقف تحت شجرة منها فوصفها، ولم يقل إنه ليس بالبستان شجرٌ سواها ومهما اختلفت التعريفات، فإنها تلتقى عند رتبة من التزكي والتقوى: أي الربانية الإسلامية، أي (التصوف) على طريق الهجرة إلى الله **{ففروا إلى الله إنى لكم منه نذير مبين}** [الذرايات: 50] وقال: **{إني مهاجر إلى ربى}** [العنكبوت: 26]، فالواقع أنها جميعاً تعريف واحد، يُكمل بعضه بعضاً، (4) أما الاختلاف في تحديد مصادر التصوف، فدسيسة من دسائس أعداء الله، فالتصوف كما قدمنا " ربانية الإسلام "، فهو عبادة، وخلق، ودعوة، واحتياط، وأخذ بالعزائم، واعتصام بالقيم الرفيعة، فمن ذا الذى يقول: إنه هذه المعاني ليست من صميم الإسلام؟، إنها مغالطات، أو أغالط نظروا فيها إلى هذا الركام للدخول على التصوف من المذاهب الشاذة، أو الضالة، ولم ينظروا إلى حقيقة التصوف، والحكم على الشيء بغير الدخول عليه غلطٌ أو مغالطة، والحكم على المجموع بتصرف أفراد انتسبوا إليه صدقاً أو كذباً: ظلم مبين، وهل من المعقول أن يترك المسلمون إسلامهم مثلاً لشذوذ طائفة منهم تشرب الخمر، أو تمارس الزنا، أو تحلل ما حرم الله؟ وهل عملُ هؤلاء يكون دليلاً على ان الإسلام ليس من عند الله؟!...، شيئاً من التدبر أيها الناس !!!،

**السؤال الثاني: من هو الصوفي؟ وبماذا يمتاز عن عامة المسلمين؟ وهل هناك فرق بينه وبين التقى، أو المؤمن، أو المسلم، أو الصديق؟ وإذا لم يكن هناك فرق، فلماذا الإصرار على استخدام الاصطلاح؟ (الجواب):** (1) تستطيع أن تعرف الصوفي الحق، بأنه المسلم النموذجي، فقد اجمع كافة أئمة التصوف على أن التصوف هو الكتاب والسنة، في نقاء وسماحة واحتياط، وشرطه أئمة التصوف في مريديها أخذاً من قوله تعالى: **{ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون}** [آل عمران: 79]، **والعلم هنا أولاً:** علم الدين بدعامتيه " الكتاب والسنة "، ثم هما بدورهما منبع كل علم إنساني نافع، على مستوى كافة الحضارات، وتقدم البشرية، مقتضى تطور الحياة، **فالتصوف إذن هو:** ربانية الإسلام الجامعة للدين والدنيا (قال الشيخ شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد السهروردى رحمه الله تعالى: " إن الصوفي من يضع الأشياء في مواضعها ويدبر الأوقات، والأحوال كلها بالعلم، يقيم الخلق مقامهم، ويقيم أمر الخلق مقامه، ويَستر ما ينبغى أن يُستر، ويُظهر ما ينبغى أن يظهر، ويأتي بالأمور من مواضعها بحضور عقل، وصحة توحيد، وكمال معرفة،

ورعاية صدق وإخلاص " {راجع الخطط التوفيقية لـ " على باشا مبارك رحمه الله تعالى جـ1 ص 90 طبع المطبعة الأميرية سنة 1305 هـ}، ومن هنا جاء قول أئمة التصوف، وفي مقدمتهم (الجنيد): " من لم يَحصل علوم القرآن والحديث، فليس بصوفي "، وأجمع على ذلك كل ائمة التصوف، من قبل ومن بعد، وتستطيع مراجعة نصوص أقوالهم عند القشيري، والشعراني، ومن بينهما، ومن بعدهما، **(2) أما الامتياز عن عامة المسلمين**، فالقاعدة الإسلامية هنا هي المل، فإذا عمل الصوفي بمقتضى ما يتعين عليه كقدوة وداعية، امتاز بمقدار جهده، شأن كل متخصص وإلا فهو دون كل الناس إذا انحرف أو شذ، بل إن تجاوز، فالصوفية يجعلون خلاف الأولى في مرتبة الحرام اتقاءً للشبهات، واستبراءٌ للعرض والدين "ومن نصوص الحديث كما في الفتح الكبير قوله صلى الله عليه وسلم: (الحلال بين والحرام بين، وبينهما أمور متشبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل مَلك حمى، ألا وإن حمى الله تعالى في أرضه محارمه، الا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب]، " رواه الأربعة، والبخارى ومسلم "، وهم يعرفون كيف أن السلف كانوا يتركون تسعة أعشار الحلال: خوف الوقوع في الحرام، فهم يؤمنون بهذا، ويحاولون العمل به، والله تعالى يقول: **{ولكل درجات مما عملوا}**، فهم يؤمنون بهذا ويحاولون العمل به، **(3) أما مسألة الفرق بين الصوفي، والمسلم، والمؤمن، والتقى:** فإن الإسلام شرع لنا تعريف الناس بخصائصهم، وذكرهم بما يميزهم عن غيرهم، وقد ذكر الله المهاجرين والأنصار بخصيصتهم: تعريفاً، وهم مسلمون مؤمنون أتقياء، وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالاً الحبشي، وصهيباً الرومي، وسلمان الفارسي بما يميزهم من الألقاب، وهم مسلمون مؤمنون أتقياء، وذكر القرآن من المسلمين أصنافاً: الخاشعين، والقانتين، والتائبين، والمتصدقين، والعابدين، والحامدين، والسائحين وغيرهم، وكلهم من أهل {لا إله إلا الله}، إذن، فذكر إنسان بخصيصة عُرف بها عند الناس، سنة قرآنية ونبوية، وما دامت هذه الطائفة، قد عرفت باسم الصوفية لسبب أو لآخر، فليس بدعاً أن تُدعى بهذا الاسم، ثم لماذا كل هذه الزوبعة هنا، ولا تكون هناك زوبعة حين يقال (سلفية)؟! و (أزهرية)، أو (وهابية)، أو (شافعية)، أو (مالكية)، أو(حنبلية)؟!

وهل كان فيما مضى (جمعية كذا – أو جماعة كذا)؟ أرايت أن الأمر كان أهون من أن يكون سؤالاً، لولا المذهبية المدمرة، والتعصب الموبق 1؟

**السؤال الثالث: ما رأيكم فيما يوجه للتصوف من اتهام بأنه يعود في أصوله الأولى للبوذية؟ والمجوسية؟ والرهبانية... ألخ؟ (الجواب):** قدمت أن التصوف الإسلامي، هو الربانية، فهو: إيمان وعمل، وعبادة، ودعوة، وأخلاق، وبر مطلق، وهو إرادة وجه الله في كل قول وعمل، أو نية، أو فكر، دنيوي أو أخرى، وهو التساوي بالبشرية إلى مستوى الإنسانية الرفيعة، فهو وحى من الوحى، وهو الدين كل الدين، لأنه بهذا الوصف (طلب الكمال)، وطلبُ الكمال فرض عين، وهو علاج لأمراض النفوس، وما من إنسان إلا وهو مبتلى بجانب – قل أو كثر – من النقص الذى نسميه: مرض النفس، أو الخلقُ، وإنما جاءت رسالات السماء كلها لعلاج هذه الأمراض النفسية والخلقية أول ما تعالج في بنى أدم، ولما كان التصوف قد تخصص في هذا الجانب، كان طلبهُ فرضاً شرعياً، وعقلياً، وإنسانياً واجتماعياً – حتى يوجد الإنسان السوى الذى به تتسامى الحياة، وتتحقق خلافة الله على أرضه، وينتشر الحب والسماحة بين الناس، وتأخذ الحضارة والتقدمية روحهما الإيماني المحقُق لمراد الله، وأدلة ذلك جميعاً مما لا يغيب عن صغار طلبة العلم، ومما تزخر به علوم الكتاب والسنة، ولا أعرف أن الكتاب والسنة نقلاً عن المجوسية، والبوذية والرهبانية شيئاً أبداً، وإنما هو الغل المورث للتهم الكواذب، وتضليل خلق الله، أما إذا كان المراد بالتصوف في السؤال، هو هذه الفلسفات الأجنبية عن العقيدة والشريعة، فهذا باب آخر، لا علاقة له بتصوف أهل القبلة، والاحتجاج بهؤلاء علينا فيه تلبيس الحق بالباطل، ثم إن أخذ البريء بذنب المجرم: فعلة دنيئة، على أن الذين اشتهروا بهذا الجانب الفلسفي، ممن ينسبون إلى التصوف، عدد محدود، قد لا يجاوز العشرة، وسواء قبلت فلسفتهم التأويل والتوجيه – ولو من وجه ضعيف – أو لم تقبل، فهؤلاء، وقد أصبحت كتبهم بما فيها من الأفكار أشبه بنواويس الموتى: تُعرض – إذا عُرضت – للزينة، او التاريخ والعبرة، فليس بين صوفية عصرنا من يرى رأيهم، او يذهب مذهبهم، سواء على ظاهره، أو على تأويله، وأين فكرٌ الجماهير من العمال والفلاحين، وأنصاف المتعلمين، أو حتى كبار المثقفين، من كتب هؤلاء وألغازهم وأحاجيهم؟!،، والغاضبون على التصوف جميعاً يحتجون بهؤلاء، وقد انتهي أمر هؤلاء، فقد كانت

مذاهبهم شخصية، لا تجد طريقها إلى الجماهير، لحاجتها إلى استعدادات وقابليات ومدارك، ومنطق لا يوافق لدى الكافة ومؤاخذة الخلف بفعل السلف– لو سلمنا جدلاً بأنهم سلف – أمر بعيد عن العلم والعدل، والحكم على الكل بذنب البعض – لو سلمنا بهذه البعضية – أمر بعيد عن العلم والعدل، ولو أننا إخواننا (خصوم التصوف)، نظروا إلى الواقع الفعلي، فكافحوا معنا منكرات العصر ومبتدعاته، من نحو: الطبل، والزمر، والرقص، وتحريف أسماء الله، وغير ذلك من مناكر المواد، والتجمعات العامة، وأخذوا طريق التعاون بالحسنى، والدعوة بالحكمة، لكان هذا أدنى إلى الصواب وأهدى سبيلاً، عند الله والناس، أما حملتهم على هؤلاء الموتى، ممن جنحوا إلى الفلسفة، فاستئساد على الرمم، وصيال في غير مجال، ومبارزة مع الهواء الطلق، فهؤلاء الموتى، ما يملكون الدفع عن أنفسهم، وليس من ورائهم وراث يدافع عنهم، إلا – إذا وجد – لمجرد التصويب وإحسان الظن بأهل القبلة، أو لمجرد الثقافة والتاريخ، وهنا أقر بملء الثقة واليقين، أنَّ كل ما جاء منسوباً إلى التصوف مما يخالف الكتاب والسنة، مهما كان مصدره، فليس – فيما نرى – من ثمرة الإسلام بوصفه مقام (الإحسان) الذى سجله الحديث النبوى المشهور، كما قدمنا،وهو في تساميه أبعد من لهو الفلسفة وعبثها، وإن تأولت،

**السؤال الرابع: ثابت أن المسلمين لم يعرفوا التصوف، إلا بعد ثلاثة قرون من انتشار الإسلام، فهل يحتاج الإسلام إلى التصوف؟ وهل التصوف يضيف جديداً إلى الإسلام؟ وما هو الفرق بين الزهد الإسلامي والتصوف؟ (الجواب):** من الذى قال بأن المسلمين لم يعرفوا التصوف إلا بعد القرون الثلاثة الأولى؟، **هذه مجازفة:** ليست بعلمية، ولا تاريخية، وليس لها سند، فإذا كان المراد بأنهم لم يعرفوا لفظ التصوف إلا بعد القرون الثلاثة، فليس هذا بصحيح أيضاً (هذا الذى قالوه: إنما من كلام ابن تميمة رحمه الله تعالى، قال في كتابه " الصوفية والفقراء ": " الحمد لله: أما لفظ الصوفية، فإنه لم يكن مشهوراً في القرون الثلاثة الأولى وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك، وقد نقل التكلم به من غير واحد من الأئمة والشيوخ كالإمام أحمد بن حنبل، وأبى سليمان الداراني، وغيرهما، وقد روى عن سيفان الثوري أنه تكلم به، وبعضهم يذكر ذلك عن الحسن البصرى، وتنازعوا في المعنى الذى أضيف إليه الصوفي، فإنه من أسماء النسب كالقراشي، والمدني، وأمثال ذلك، فقيل:

إنه نسبة إلى أهل الصفة، وهو غلط، لأنه لو كان كذلك لقيل: صُفي، وقيل: إنه نسبة إلى الصف المقدم بين يدى الله، وهو أيضاً غلط، فإنه لو كان كذلك لقيل: صَفي، وقيل: نسبة إلى صوفة بن أُد بن طابخة قبيلة من العرب كان يجاورون بمكة من الزمن القديم، ينسب إليهم النساك " إلى آخر ما قال)، فقد اثبت مؤرخو اللغة وغيرهم أن هذا اللفظ كان عندما اشتهروا بالخشونة والرجولة، ولبس الصوف، والاستعداد للجهاد، فإن تصوف المسلمين: دعوة إلى القوة، والحرية، والمساواة، والتكافل، والإخاء، والتوحيد، ومعالى الأمور، لبناء شخصية المسلم المتكامل، وكان عهد التدوين قد بدأ بمن كتب الحديث في عهد رسول صلى الله عليه وسلم، وظل ينمو حتى ازدهر في أواخر القرن الأول، وأوائل الثاني، بتحرير الحديث والفقه، والتفسير، واللغة، وما إلى ذلك، وقال ايضاً بعد كلام: "... والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله، كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله، ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده، وفيهم المقتصد الذى هو من أهل اليمين... " إلى آخر ما قال رحمه الله تعالى، فراجعه هناك،"، أما إذا كان المراد بأن مادة التصوف وحقيقته وأصوله وموضوعه لم تُعرف إلا بعد هذه المدة، فالخطأ هنا يستحيل إلى خطيئة، فمادة التصوف من حيث العبادة، والخلق – على أوسع معانى العبادة والخلق – موجود مشهودة في الكتاب والسنة، شأن بقية مواد علوم الدين، فإذا لم يكن لفظ (التصوف) موجوداً في هذا العقد، فقد كانت العبادات والأخلاق، وتربية النفس، ووسائل العفة بالله، والارتفاع بإنسانية الإنسان، كل هذه مسجلة في دين الله، وهي التصوف (سماه الناس كذلك) كل هذه مسجلة في دين الله، وهي التصوف (سماه الناس كذلك) فالاسم حادث، والمادة قديمة بقدم الكتاب والسنة، شأن بقية علوم الدين سواء بسواء، ولم يكن هذا بدعاً، فلم يكن في هذا العهد علم باسم (الفقه) ولا باسم (الأصول) ولا باسم (مصطلح الحديث)، ولا غير ذلك من علوم الدين، ولكن المادة كانت موجودة بين دفتى الكتاب والسنة، فلا دُونت العلوم، ورُسمت القواعد والمصطلحات، أطلقت الأسماء حسبما رجحته الظروف الواقعية آنذاك، وإذن، فلماذا ننكر تسمية التصوف، ولا ننكر تسمية بقية علوم الدين، والشأن واحد !؟ ثم لماذا ننكر تسمية (التصوف) ولا ننكر تسمية (التسلف)؟! إن كلمة التصوف عربية قديمة، في لغة العرب، فمن ارجعها إلى (سوفيا) اليونانية، فقد جهل وانحرف وقلد العميان، ومن أدعى إنها بدعة محدثة، كان أشد جهلاً وانحرافاً، فالتصوف أخلاق، وعبادة، ودعوة، وجهاد، وسلوك، فهو وحى من الوحى ودين من الدين، إن كلمة

صوفي بعيدة كل البعد – من حيث المعنى – عن التأثر باليونان، فقد عرفت واستعملت قبل نهاية القرن الثاني الهجري، حيث أطلقت على أبو هاشم الكوفي (المتوفي سنة 150هـ)، وإن هذا النوع من التصوف وليد لحركة الإسلام ذاته، **أما: هل الإسلام يحتاج إلى التصوف؟** فإذا كان الشيء يحتاج إلى نفسه، جاز أن يقال: إن الإسلام يحتاج إلى التصوف، الإسلام انقياد ظاهري، لا يتم إلا بالانقياد الباطني، وإلا كان نفاقاً، **والانقياد الباطني هو:** الإيمان بوصفه عملاً من أعمال القلب، التي نسميها " التصوف "، فليس التصوف شيئاً غير الإسلام، حتى يقال: إنه يحتاج إليه، او يستغنى عنه، إنما التصوف هو ذروة الدين كله، مقام " الإحسان ": التقوى، والتزكية، والربانية، كما قدمنا، فهو الغاية والثمرة التي لا تتاح إلا لسالك مريد موفقٌ ذَواق، **وهكذا نجد:** أن السؤال الذى يقول: هل التصوف يضيف جديداً إلى الإسلام سؤال غير وارد، والإجابة عليه واضحة في الرد على الشطر السابق، أين هذا السؤال من قوله تعالى: {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى، ورضيت لكم الإسلام ديناً} [المائدة: 2]، **إن التصوف الحق هو:** الإسلام في اعلى مستوياته، ومن اعجب العجب من بعضهم أن يكتب أنه يقبل أوصاف الشكر والصب والورع والزهد والذكر والفكر، من كتب المتمسلفة، ولا يقبلها من كتب المتصوفة، تعصباً وغلاً للذين آمنوا، **أما الفرق بينه وبين الزهد الإسلامى:** فإن الصوفي أكبر من زاهد في الدنيا، لأن الزاهد إنما يزهد في الدنيا، وهي لا شئ، فالزهد في الدنيا زهد في لا شئ، والزاهد في (لا شئ) غافل أو جاهل، لكن زهد الصوفي منصب على كل ما يبعده عن الله، على أى وضع يكون، أما كل ما يكره بالله (ولو على المال) فليس هو بزاهد فيه، دخل صوفي على أحد الخلفاء، فحدثه، فأجازه الخليفة بما لم يكافئ بمثله أحداً قبله: فاعتذر الصوفي عن قبول عطية الخليفة، فاندهش الخليفة قائلاً له: ما أزهدك !! قال الصوفي: بل أنت أزهد منى يا أمير المؤمنين، قال: كيف؟ قال: لأنني أزهد في الدنيا، وهي لا شيء، وأنت تزهد في الآخرة، وهي كل شيء، "وهو نوع من التبكيت الواضح "، **الزهد عند الصوفية:** أن تكون الدنيا في يده، لا في قلبه، لأن الزاهد (غير الصوفي) تاجر، يحرم نفسه من متع الدنيا، ليعوضها أضعافاً في الآخرة، ولا كذلك الصوفي الذى لا يحرم نفسه متعة أحلها الله، إلا إذا حجبته عن الله، وهذا أبو الحسن الشاذلى رضي الله عنه، كان صاحب تجارات ومزارع، وهذا شمس الدين الدمياطى، كان تاجراً من أثرى علماء الصوفية، وهو الذى بنى برج دمياط من ماله الخاص في عهد السلطان الغورى، وهذا الليث بن

سعد، فقيه مصر، وأمام زهادها، كان أثرى أهل عصره، ولم تمنع هؤلاء أموالهم أن يكونوا أزهد الناس في الدنيا إذا شغلتهم عن الله عز وجل، ولكنهم لم تشغلهم بعد، بل كانت طريقهم إليه عز وجل !! وهكذا يتضح أن سحق الشخصية بالزهد المادى، والتبتل البشرى مما لا تعرفه قوانين التصوف الإسلامي، وقد كان من أعيان الزاهدين من الصحابة: بلال، وسلمان، وأبو ذر ن وتميم الداري، أول من جلس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام عمر يذكر الناس بالله في يوم الجمعة، فإنما الزهد في حده المحدود، مما جاء عن كثير من الصحابة والتابعين وتابعيهم كما أسلفنا، وفي صدر هؤلاء جميعاً زهد (العمرين) ابن الخطاب، وابن عبد العزيز بعد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد كانت الدنيا في أيديهم، ولم تكن في قلوبهم، فاستغنوا برب الدنيا عن الدنيا وما فيها ومن فيها، إن الذى يملك هو الذى يملك، وهو الذى يزهد، أما الذى لا يملك، ففي أي شيء يزهد؟!

**السؤال الخامس: بم تعلل فضيلتكم كون شيوخ التصوف من الفرس، وأحفاد المجوس، في العصر الإسلامي؟ وكيف تعلل ازدهار التصوف في القرن السابع، وما بعده بين العرب والمنتسبين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ (الجواب):** ليتك يا ولدى لم توجه إلى هذا السؤال العنصري الذى لا يرضاه الله ولا رسوله، أو لم تقرأ قوله تعالى: {إن أكرمكم عند الله أتقاكم} " سورة الحجرات، الآية: 13، وقوله تعالى: {إنما المؤمنون إخوة} وقوله صلى الله عليه وسلم: " لا فضل لأبيض على احمر، ولا عربي على عجمي إلا بالتقوى " " وفي رواية ذكرها ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: {إن أكرمكم عند الله أتقاكم: {يا أيها الناس، وأن الله تعالى قد أذهب عنكم غبية بالجاهلية وتعظمها بآبائها، فالناس رجلان: رجل يرتقى كريم على الله، ورجل فاجر شقى هين على الله} إلى آخر الحديث الذى رواه أبن أبى حاتم} "، وقوله صلى الله عليه وسلم " إن الله أذهب عبية الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تقى، وفاجر شقى،أنتم لآدم وآدم من تراب... ألم يأتك أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ألحق به سيدنا سلمان الفارسى، فقال: " سلمان منا أهل البيت " – ألم يرسل الله رسوله للناس كافة بشيراً ونذيراً؟! إنها حمية الجاهلية، يرددها ببغاوات البشر، بلا تدبر، ولا بينة، وهل جاء الإسلام للعرب وحدهم، فاغتصبه منهم غيرهم، فأصبحوا منبوذين؟! لم هذه الشعوبية، والعنصرية الكريهة، التي ينكرها الإسلام، وتنكرها الإنسانية الشريفة؟! أليس الإمام البخاري،

والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، والطبراني، والبيهقي، والاكثرية الغالبة من رجال الحديث، كلهم من غير العرب، وكذلك طائفة من أكبر المفسرين، كالزمخشري، والنيسابوري،، وطائفة من أكبر علماء البلاغة، كالجرجاني، والتفتازاني !؟ من هو طارق بن زياد، وموسى بن نصير، هذان المولیان القائدان الفاتحان، اللذان أسسا للإسلام مجداً تاريخياً، لا يمحوه الزمان؟ من هو ابو حنيفة النعمان؟ اليس كان من الموالى، ولولاه ما كان لبنى تيم الله ذكر ولا فخر " أبو حنيفة من الأفغان، قالوا من كابل "، **يا ولدى:** إمام مصر الليث بن سعد، أصله من (أصبهان)، أمام أهل السنة، احمد بن حنبل، أصله من (مرو) والإمام المفسر الطبرى، أصله من (طبرستان)، والشعبى علامة التابعين وغمامهم، كانت أمه من (جلولاء)، والحسن البصرى، الكوكب الفرد،، كان أبوه من (ميسان)، وهذا علاّمة اللغة سيبويه، فارسى الأصل، والأمام الكسائي، فخر اللغة العربية، أصله من فارس، وتلميذه الإمام الفراء من الديلم، ثم أن إبن مسكويه وابن سينا، والفارابي، كانوا فرساً أعجمين، اسمع يا ولدى: فقيه مكة، عطاء بن رباح، وفقيه الشام: مكحول، وفقيه الجزيرة: ميمون بن مهران، وفقيه خراسان: الضحاك بن مزاحم، وفقيها البصرة والكوفة: إبراهيم النخعي وابن سيرين، كل أولئك ليسوا من العرب أصلاً، ولكنهم برزوا في جوانب العلم والفكر والمعرفة والدين، كانوا الأئمة بكل ما في اللفظ من معنى يتجدد ولا يفنى، إنما يتفاضل الناس بالأحلام " العقول "، لا بالأرحام، والناس عند الله سواسية كأسنان المشط، والله يقول: {ولا تنسوا الفضل بينكم} [البقرة: 237]، ولقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد (مولاه) على جيش كان فيه أبو بكر وعمر، وعندما أراد عمر أن يستخلف قال: " لو كان سالمُ مولى حذيفة حياً لوليته !! "، تأمل هذا الموقف الخطير، ولدى ها هم أهل العلم: لا يكادون يذكرون ابن عمر ذكروا معه مولاه نافعاً، ولا يكاد يذكر أنس بن مالك، إلا ومعه مولاه ابن سيرين، ولا يكاد يذكر ابن عباس، إلا ومعه مولاه عكرمة، ولا يكاد يذكر أبو هريرة إلا ومعه مولاه ابن هرمز...، وما اكثر هذه الامثلة في الإسلام، لقد أطلت عليك – عامداً في هذا المجال – يا ولدى، فإن هذه الشعوبية هي التي كانت مسمار النعش في وحدة الإسلام، والتي انتهت بما يسمى زوراً " النهضة العربية " وهي التي قصمت ظهر الخلافة، وشتت العرب أوزاعاً وشيعاً ودويلات هزيلة متناحرة باسم العروبة، والقومية، التي تُستخدم الآن بلا وعى ولا تدبر، ولنرجع إلى سؤالك في تعليل كون بعض الشيوخ الصوفية اوائل من الفرس، فهؤلاء الناس اجتهدوا في هذا

الجانب، كما اجتهد غيرهم ممن ذكرنا أسماءهم، فاستحقوا التقديم والإمامة كمسلمين، فإذا قيل: إنهم فعلوا ذلك ليحطموا الإسلام من الداخل، فهذه قضية، إذا فرضنا نهوض دليلها في واحد، فلن ينهض هذا الدليل في كل واحد، وفي كل طائفة طيب وخبيث، والحلال بين والحرام بين، ولو طبقنا قاعدة سوء الظن بالفرس، أو بغير العرب عموماً، لأذهبنا ثلثي علوم الإسلام، ولكان أول ما ننبذه كتاب البخاري، ومن والاه، فهل هذا منطق يقول به إنسان سوى أو قاض منصف؟ {ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون * ليوم عظيم} [المطففين: 4، 5]، أولا يذكرون قول الله تعالى: {وقالوا ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار} [ص: 62]، إن من إحفاد المجوس: من خدم الإسلام أصدق الخدمات في الثقافات والعلوم، والفتوحات والفنون... وراجع إن شئت من حضرنا ذكرهم وأسلفناه، ومن ورائهم صف شريف طويل معروف، لم نشر إليه، وهؤلاء شأنهم – بالضبط شأن كبار الصحابة (وقد كانوا – أى الصحابة – من المشركين، أما تعليل ازدهار التصوف في القرن السابع، وما بعده بين العرب، والمنسوبين بحق أو بباطل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن هذا السؤال يحتاج إلى تكملة: هي أن هذا الازدهار في هذا القرن وما قبله، كان بين العرب وغيرهم، وكان هذا نتيجة لطبيعة الأشياء، فإن تطور الدعوة الصوفية وامتدادها، كان قد أهل الكثيرين للزعامة والاجتهاد في هذا الوقت، كثمرة للتفاعل، والتطور فيما سبق هذا الزمان، فمثلاً: نجد من صوفية القرن السابع أمثال أبى الحسن الشاذلي، وأحمد البدوي، وابن دقيق العيد، ومجد الدين القشيري، وزكى الدين المنذري – ونجد من قبلهم في القرن السادس أمثال أحمد الرفاعي، وأبى مدين، ونجد في القرن الخامس، أمثال الغزالي، وعبد القادر الجيلاني، وفي الثالث والرابع أمثال: الجنيد، والشبلي، ومن قبلهم ذو النون المصري، وأبو يزيد، ومن قبلهم الحسن البصري، وسفيان الثوري، ومالك بن دينار، وإبراهيم بن أدهم والفضيل بن عياض، وشقيق البلخي، وحاتم الأصم – بكل ما في تواريخهم من صدق وكذب، وأصيل ودخيل، أضف إلى ذلك موضوع التطور والامتداد، وقابلية البيئة، بما كان من الحروب الصيلبيية والتترية والمغولية، واضطراب عاصمة الخلافة ببغداد، ومثل هذه الظروف بطبعها تدفع الناس إلى الله تلقائياً، وقد جربنا نحن أخيراً في العاشر من رمضان، فمن أجل هذا وما هو منه، أو يتعلق به، كان هذا الازدهار الذى تشير اليه،

**السؤال السادس: من الاتهامات الموجهة إلى التصوف: أنه لا سند له من الكتاب والسنة، وأنه دخيل على الإسلام، وأنه يدعو إلى عقائد تتعارض مع عقيدة التوحيد، كالحلول، والاتحاد والوحدة، وأنه يدعو إلى تقديس المشايخ، والاستعانة بهم في الشدائد، واعتقاد أنهم يملكون النفع والضر، وأنه يدعو إلى التواكل والسلبية، (الجواب): أما أن التصوف لا سند له من الكتاب والسنة، فقول ساقط** بعد كل ما قدمنا، فإذا لم يكن التعبد ومكارم الأخلاق ومحاسبة النفس، والأخذ بالأحوط، ومجاهدة الهوى والشيطان، إذا لم يكن كل ذلك له سند من الكتاب والسنة، فقد جهل الناس الكتاب والسنة، وفيما سبق أدلة مكررة على أن تصوف المسلمين هو عصارة الإسلام وإكسيره، لا يمترى في ذلك إلا ذو هوى، أو من هوى !؟، **وبهذا، وبالذي قدمنا، يتأكد أن التصوف نابع من العقيدة،** والبيئة الإسلامية جملة وتفصيلاً، وليس هو بدخيل على دين الله، إنما الدخيل، هو هذه الدعوى العصبية المتشنجة، التي تفوح بالغرض، والمرض، وحسبك أنها بضاعة استشراقية، استعمارية صهيونية، لا هم لها إلا انتقاض الإسلام، **أما أن التصوف يدعو إلى عقائد الحلول والاتحاد والوحدة،** فليس هذا هو تصوف المسلمين، وإنما هو تصوف أجنبي، أعجمي، مدسوس والمتهمون به نفر معدود محدود، انتهي أمرهم، وليس لهم اليوم تابع ولا وارث، كما قدمنا، وأصبح ما نسب إليهم بحق أو بباطل، سواء قبل التأويل، أو لم يقبله، نوعاً من الحفريات التاريخية، التي لا يتابعها إلا الهواة والمتخصصون، إن وجد اليوم هواة أو متخصصون في البحث عن مقابر الأفكار المهملة، وإلا أصحاب الهوى الذى يعمى ويصم، ولا اعتبار لأولئك و هؤلاء، وقد اصبح الكلام اليوم في هذا الجانب نوعاً من مجرد الإثارة والتشويه، والعبث وإضاعة الأوقات، والتشويش على أفاضل الناس وشراء العاجلة بالآجلة، وإنما يقول الصوفية بنوع معين من الفناء، فصله الشيخ ابن تيميه في (رسائله) بشيء من الإنصاف، وأشار إليه الشيخ ابن القيم في شرحه على كتاب الهروي " كتاب منازل السائرين لشيخ الإسلام: عبدالله بن محمد بن إسماعيل الأنصاري الهروي الحنبلي الصوفي المتوفي سنة 481 هـ، شرحه أبو بكر بين قيم الجوزية الدمشقي الحنبلي المتوفي سنة 481 هـ، شرحه أبو بكر بن قيم الجوزية الدمشقى الحنبلى المتوفي سنة 751 هـ، وسماه " مدراج السالكين "، وشتان ما بين هذا والقول الفاجر بالحلول، والاتحاد، والوحدة المنكرة،

- **أما أن التصوف يدعو إلى تقديس المشايخ، والاستعانة بهم في الشدائد، واعتقاد أنهم يملكون النفع والضرر:** فهذا كلام فه تجاوز ومغالطة، فإن التصوف يدعو إلى احترام الشيخ كوالد روحي، وهو أدب إسلامي مقرر، لا خلاف عليه، وفي الحديث الصحيح " ليس منا من لم يوقر كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ولم يعرف لعالمنا حقه " رواه الترمذي عن ابن عمر، وأبو يعلى عن أنس، والعسكري عن عبادة ابن الصامت، والقضاعي عن ابن عباس "، و لا تنس تأديب الله للصحابة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو أصل أدب التابع مع المتبوع " راجع سورة الحجرات "،

**أما الاستعانة بدعاء الشيخ**، وابتهاله إلى الله في شدائد ابنائه، فهو أدب إسلامي ثابت، يعرفه كل من قرأ (باب الدعاء) في كتب المسلمين، أما أنهم يزعمون أنهم يملكون النفع والضرر، فالذي يملك هو الله وحده، وعندما يغضب الشيخ لربه من مخالف لله فيدعو، فيغضب الله لغضب وليه، ويستجيب له، فلا يقال عندئذ إن الشيخ يملك نفعاً ولا ضراً، إنما هو من باب: "" لئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه "، والقول بغير هذا إنما هو مسخ للصورة بالمغالاة والإغراق والتنفير، وإذا كان هناك شيء من ذلك فرضاً جدلياً فهو مما يعالج بالبيان والإرشاد والقول الطيب، ونحن أمة تحكمها الأمية، فلا ننكر أن فيها ضلالة وجهالة، وإنما في حاجة – أشد الحاجة – إلى النصح والتوجيه بالحكمة البالغة، والموعظة البليغة،

**بقى القول بأن التصوف يدعو إلى السلبية والتواكل: التصوف الحق هو: الإسلام**، وليس في الإسلام سلبية، ولا تواكل، وإنما هي أمراض اجتماعية لصقت بالتصوف زوراً وبهتاناً، وقد كان عبد الله بن المبارك، يحج عاماً ويجاهد عاماً، وقد كان شقيق البلخي فارساً مغواراً، يطلب الموت حتى استشهد في سبيل الله، وكذلك كان حاتم الاصل، مقاتلاً بارعاً، له في الجهاد مواقف وكرامات، وقدمت أن أبا الحسن الشاذلي كان صاحب مزارع وتجارات، وأن شمس الدين الدمياطي بنى برج دمياط من ماله الخاص، ومن ربحه من تجارته، ولو تتبعت آداب المريدين بالصوفية، لوجدتهم جميعاً يدفعون تلاميذهم إلى العمل والإنتاج، ويعرفون تماماً كل ما ورد في هذا الباب عن النبي صلى الله عليه وسلم، ثم عن أشياخهم في الله الذين يؤكدون لهم أنه لا يمكن تحقيق خلافة الله على الأرض بالسلبية والتواكل والاستسلام، فإذا تغالى أو تطرف واحد، فليس هو كل واحد، ولقد ثبت

في الحديث أن بعض الصحابة تغالى بأكثر مما يفعل الرهبان، والنبي صلى الله عليه وسلم حي، فنهاهم الرسول صلى الله عليه وسلم " وحديث نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن التبتل متفق عليه، ورواه الإمام أحمد، وأبو داوود عن سعد، وأحمد الترمذي والنسائي وابن ماجه عن سمرة، وروى الدرامي عن سعد بن أبى وقاص " رضى الله عنه " أنه قال: " لما كان من أمر عثمان ابن مظعون قال: يا رسول الله: إني رجل تشق على هذه العزوبة في المغازي فتأذن لي يا رسول الله في الخصاء فأختصي؟ قال: لا، ولكن عليك يا ابن مظعون بالصيام فإنه مجفرة "، إذا انفرد واحد بمغالاته، فليس هذا بقانون ولا قاعدة في الجميع، ولا بعار يؤخذ به سواه، نزل أحد المريدين على زاوية الشيخ ضيفاً، فأقراه ثلاثة أيام، ثم قال له: يا ولدى قد انتهت مدة الضيافة، فقال المريد: إنما جئت لأتصوف، فقال الشيخ: " ليس التصوف عندنا أن تصف قدميك وغيرك يمون لك، ولكن أبداً برغيفيك فأحرزهما، ثم تصوف، ثم اجعل منشارك مسبحتك، واذكر على دقات الفأس والمكوك "، وقد كانت الألقاب الصوفية تدل على ما يتناولونه من حرف ومهن وصناعات: فمنهم الدقاق، والسماك، والوراق، والخواص، وهكذا تعرف أنهم كانوا بحق أمثالاً للمسلم الكامل إيماناً، وعملاً وإيجابية، وصلة كبرى بالله، فالتواكل مرض دخيل على التصوف الصحيح، يعالجه صوفية العلماء، كل بأسلوبه،

**السؤال السابع: أولياء الله، من هم؟ وهل يجوز تعيين ولى لله بالاسم؟ وهل الولاية تورث بالأسرة؟**

**(الجواب):** أولياء الله هم عباده الصالحون،الذين نسلم عليهم في كل صلاة كلما قرأنا التشهد، وعلى رأسهم الأنبياء، عليهم صلوات الله وسلامه، ثم يليهم في ولاية الله أتباعهم، فأصحاب سفينة نوح، وأصحاب ميقات موسى، والحواريون مع عيسى والراشدون، ومن تبعهم بإحسان، والائمة من أمة مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم، كل أولئك، ومن على أقدامهم هم الأولياء الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون "، **والشرط في الولي:** الإيمان، والتقوى، **كما جاء في الآية {الذين آمنوا وكانوا يتقون} [فصلت: 18]**، ثم الصلاحية للنيابة عن حضرة المصطفي صلى الله عليه وسلم، والله يتولى الصالحين، لقوله تعالى {وهو يتولى الصالحين} [الأعراف: 196]، فالصلاحية بمعنى

الصلاحية التي تستوجب كفاية معينة في الجوانب الثقافية والروحية، والذاتية والتعبدية، حتى يكون العبد أهلاً للتبليغ، ووارثة النبوة، وسيادة البشرية **{ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الرض يرثها عبادي الصالحون} [الأنبياء: 105]**، وهنا ينكشف البون الهائل، ما بين (الولاية) و(البلاهة)، وما بين (الولاية) و(الاحتراف)، وأن الولاية كسب غال بمجهود أغلى أو هي اجتباء بحكم المشيئة الإلهية، **كما جاء بالآية {الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب} [الشورى: 13]**، وتعيين رجل توافرت فيه الشروط بوصف الولاية، لا يتعارض مع مبادئ الإسلام – فيما أعرف – وقد وصف علماء الحديث رجالاً بأوصافهم لا حرج، أما أن الولاية ميراث حتمي: فذلك ما لا علم للتصوف به، ولابد هنا من الإشارة إلى أنني أتحدث عن (التصوف)، وهناك شيء آخر نسميه (المتصوف) وهذا هو الذى أساء إلى التصوف، ومازال، وسوف يبقى كذلك، ما لم يشأ الله شيئاً، وما لم ينقذ الله التصوف من التردي الذى يعانيه، كما أنه لابد من الإشارة إلى أن للولاية معانٍ شتى جاءت بها كلمات القرآن والحديث، تدور حول أولياء الرحمن، وأولياء الشيطان، وقد حصرنا الكلام هنا، فيما نرجح أنه المقصود وفي الحجم المطلوب للصحيفة، (فنحن هنا للقارئ عناوين ومؤشرات فقط وللبحوث مقام آخر)،

**السؤال الثامن: لماذا يبدى الصوفية ولعاً شديداً: بإقامة الأضرحة؟ وبإقامة الموالد؟ والتماس بركة الموتى؟... وما سند ذلك من الكتاب والسنة؟ (الجواب):** الصوفية لا ييأسون من الموتى {كما يئس الكفار من أصحاب القبور} [آخر سورة الممتحنة]، وهم يرون أن الموت مرحلة من مراحل السفر الإنساني الكادح إلى الله، فالميت عندهم حي حياة برزخية، وللميت علاقة أكيدة بالحي، بما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من احاديث، رد الميث السلام على الزائر، ومعرفته، وبتشريع السلام على الميت عند قبره، ومحادثته صلى الله عليه وسلم لموتى (القليب يوم بدر)، كما وردت في عدة أحاديث ثابتة، ومن القرآن حسبك قوله تعالى {ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم} [آل عمران: 17]، فهناك إذن علاقة مؤصلة بين الحى والميت، وإلا الدعاء والسلام على الميت موجهاً إلى الأحجار !!، ومعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل البقيع، والسلام عليهم وتكليمهم والدعاء لهم، وللأمام ابن قيم الجوزية (تلميذ ابن تميمة، وحواريه، ووارث دعوته) له كتاب

الروح وقد أثبت فيه كل مذهب الصوفية، بما لا مزيد عليه، في موضوع الحياة بعد الموت، وعلاقة الأرواح بالأحياء، ولابن أبى الدنيا في ذلك تأليف مفيد، **والصوفية يعتقدون:** بحق: أن الولي في الدنيا ولى بخصائصه الروحية، ومواهبه الرهبانية، والخصائص والمواهب من متعلقات الرواح، ولا ارتباط لها بالأجسام ألبتة، فالولي حين يموت ترتفع خصائصه ومواهبه مع روحه إلى برزخه، ولروحه علاقة كاملة بقبره، بدليل ما قدمنا من السلام عليه وده السلام... إلخ، ومن هنا جاء تكريم هؤلاء السادة الصالحين من أصحاب القبور، وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع حجراً على قبر بعض الصحابة، وهو عثمان بن مظعون رضى الله عنه " في أسد الغابة: أنه لما توفي سيدنا إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " الحق بالسلف الصالح: عثمان بن مظعون "، وأعلم النبي صلى الله عليه وسلم قبر عثمان بن مظعون بحجر، وكان يزوره "، وقال: " أتعرف به قبر أخي " وكان هذا الحديث، بعد حديث على رضي الله عنه بتسوية القبور المشرفة، فاستدلوا به على جواز اتخاذ ما يدل على القبر، وعلى فضل صاحب القبر بلا إغراق ولا مبالغة، رجاء استمرار زيارته، والدعاء له والقدوة به، والصدقة عليه، وحفظ أثره، ومن هنا نقل الميت من مكان إلى مكان أفضل، كما صح في حديث جابر غيره، ثم بالغ بعض الناس في ذلك – بحسن نية من جانب، وخوف اندثار القبر من جانب آخر – فاتخذ الآمر بالتطور الصورة التي تراها، وقالوا: إن الأمر يدور مع علته، وقد كانت علة تسوية القبور، والمنع الأول من زياراتها، هي مخالف الانتكاس والعودة إلى الشرك، وقد استقر الإيمان والتوحيد في قلوب الناس، (وإن أخطأت أحياناً ألسنتهم) فلا باس بعمل ما يذكر الصالحين للقدوة والاعتبار، والقيام بحق صاحب القبر من الزيارة وغيرها، **هذه هي وجهة النظر عندهم بصفة عامة:** وهي على علاتها – أبعد شيء عن التهويل بالشرك والوثنية، والكفر والردة، واستحلال ماء المسلمين، وقد مرت السنين على هذه الأضرحة ن فما عبد منها ضريح من دون الله – ولا صلى مسلم لولى ركعة، والمثل العملي مضروب بقر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبور كبار الائمة، أما ما يكون على عادة من بدع الزيارات ومناكرها، فأمور يمكن تقويمها بالتعاون على علاجها بالتي هي أقوم، وإنني مستيقن – سلفاً بأن هذه الكلمات بالذات، ستنبرى لها ألسن وأقلام احترفت خصومة هذا الرأي، واتخذته أساس مذهبها، وهو كل دعوتها وبضاعتها، ولكنى أعرض الرأي، ولا أدعى العصمة، ولا أحتكر الصواب، وأرى أن

كل أحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه، إلا ما جاء عن الله ورسوله، بقدر ما أعرف سلفاً، كافة النصوص المقابلة، ووجهات النظر الأخرى، فالحديث هنا قديم ومكرر، لا جديد فيه على الإطلاق، والتقريب بين وجهات النظر ممكن، ولكن لا حول ولا قوة إلا بالله، وارجع إن شئت إلى ما كتبناه بتفصيل عن التوسل والقبر في رسالة (قضايا الوسيلة والقبور)،

**أما الاحتفال بالمولد:** فهو ما لم يكن بصورته هذه في الصدر الأول، وهو – على وضعه الحالي – فيه المقبول والمرفوض، وإن كان المرفوض قد غلب فعلاً على المقبول، ولابد من وقفة إصلاح، فإن القائلين بالإلغاء يطالبون بغير الممكن أصلاً، ولا ينظرون إلا إلى الجانب المرفوض وحده، أن أول من احتفل بذكرى المولد النبوي، هو الملك المظفر (طغرل) ملك (إربل) العراق، بموافقة الإمام أبى شامة، والعلماء، ثم التقط الفاطميون الحبل، فزودا وتوسعوا، وقد التمس علماؤنا الدليل، فوجدوا أن الله كرم يوم الولادة، ويوم الموت، والبعث مرتين، مرة بلسان القرآن، وأخرى حكاية عن لسان عيسى عليه السلام " {وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت يبعث حياً} – {والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً} [سورة مريم]، أذن فليوم الولادة منزلة عند الله، ثم نظروا فوجدوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يلازم صوم يوم الاثنين من كل أسبوع ! فسئل في ذلك، فقال: " هو يوم ولدت فيه، وأنزل على فيه " كما ثبت في الحديث الشريف، **ومعنى هذا:** أنه صلى الله عليه وسلم كان يحيى ذكره مولده الشريف، شكراً لله تعالى في كل اسبوع مرة بالصيام، وربما بما تيسر له من خير، فهو يوم من أيام الله، وقد أهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأيام الله، كما فعل في يوم عاشوراء، وكما فعل في (سبوع) الحسن والحسين، بالإضافة إلى ما ورد من أنه ذبح صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ثلاثاً وستين بدنة، بعدد سنى عمره الشريف، ومن مجموع هذا، وما هو منه، يمكن استنباط مشروعية إحياء الموالد، لما فيها من الذكريات النافعة، والعبر الموجهة، وبما فيها من تلاوة القرآن، والوعظ والإرشاد، والذكر الصحيح، والثقافة، ثم بما فيها من التعرف على البر والتقوى، والرواج الاقتصادى والصدقات، والحركة الاجتماعية، فهي بهذا الوصف أسواق خير ونفع عام لا تضيق به اصول الأحكام الشرعية، ولا فروعها، بل إنها تدعو إليه، وتحض عليه، **ثم إن الله تعالى يقول: {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين}** [الانبياء: 107] إذن، فليوم الولادة منزلة

عند الله، ثم نظروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يلازم يوم الاثنين من كل أسبوع ! فسئل في ذلك، فقال: " هو يوم ولدت فيه، وأنزل على فيه " كما ثبت في الحديث الشريف، **ومعنى هذا:** أنه صلى الله عليه وسلم كان يحي ذكرى مولده الشريف، شكراً لله تعالى في كل اسبوع مرة بالصيام، وربما بما تيسر له من خير، فهو يوم من أيام الله، وقد اهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأيام الله، كما فعل في يوم عاشوراء، وكما فعل في (سبوع) الحسن والحسين، بالإضافة إلى ما ورد من أنه ذبح (صلى الله عليه وسلم) في حجة الوداع ثلاثاً وستين بدنة، بعدد سنى عمره الشريف، ومن مجموع هذا، وما هو منه، يمكن استنباط مشروعية إحياء الموالد، لما فيها من الذكريات النافعة، والعبر الموجهة، وبما فيها من تلاوة القرآن، والوعظ والإرشاد، والذكر الصحيح، والثقافة، ثم بما فيها من التعرف على البر والتقوى، والرواج الاقتصادي والصدقات، والحركة الاجتماعية، فهي بهذا الوصف أسواق خير ونفع عام لا تضيق به أصول الأحكام الشرعية، ولا فروعها، بلى أنه تدعو ايه، تحض عليه، **ثم إن الله تعالى يقول {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين} [الأنبياء: 107]**، ويقول صلى الله عليه وسلم: (إنما رحمة مهداة " وقد أمر الله تعالى أن نفرح بفضله ورحمته صلى الله عليه وسلم: {قل بفضل الله وبرحمته، فبذلك فليفرحوا} [يونس: 58]، فإحياء ذكرى مولد الرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمشروع من العبادات والخيرات ونحوها، إنما هو فرح برحمة الله، فهو تنفيذ لأمره تعالى، كذلك نحن مأمورون بالشكر على النعمة، وما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم بشروطها: نوع منشكر النعمة، وهو واجب قرآني صريح، وعلى نحو ذلك أو بعضه ينسحب حكم مشروعية إحياء ذكريات موالد الله جميعاً، بشروطها المقررة، وهنا يجب أن نقرر أيضاً القاعدة العلمية الثابتة: بأنه ليس كل ما لم يكن في الصدر الأول هو حرام، وإلا فلم يبق في حياتنا شيء حلال، وفيما عدا هذا – مما اندس في هذه التجمعات من المفاسد الخلقة والدينية والاجتماعية وغيرها فالحكومة والصوفية الرسمية، والجمهور، هم المسئولون جميعاً عنها، في الدنيا والآخرة، وهو شيء عم وطم وأورث الهم والغم،

**السؤال التاسع: يقول الصوفية بضرورة وجود الشيخ، لتوصيل المريد إلى ربه، ويقولون: من لا شيخ فالشيطان شيخه، فهل هذا صحيح؟ (الجواب): يا ولدى:** الصوفية في هذا يصدرون عن

صحيح الشريعة، وصحيح التجربة، وصحيح الممارسة والواقع، أما الشريعة فالله تعالى يقول: {فاسألوا أهل الذكر} [الأنبياء: 7] ويقول تعالى: {الرحمن فاسأل به خبيراً} [الفرقان: 59] ويقول تعالى: {ولكل قوم مهاد} [الرعد: 7] ويقول تعالى: {ولا ينبئك مثل خبير} [فاطر: 14]، ويقول تعالى: {أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده} [الأنعام: 90]، ويقول تعالى: {واتبع سبيل من أناب إلى} [لقمان: 15]، ويقول تعالى: {قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه} [الممتحنة: 4]، وفي الحديث الثابت: هلا سألوا، فإن دواء العى السؤال !، **وإذن:** فلابد من هاد (قدوة سئول)، ذا ذكر، خبير بوسائل الفرار إلى الله، والهجرة إليه، ألم تر إلى موسى كيف طلب المرشد ليتبعه، كما جاء في سورة الكهف، وكيف كان أدب موسى مع مرشده، ولذا كان لابد لطالب حفظ القرآن من المقرئ الموقف الخبير بأحكام التلاوة، وصحة الأداء، ولو ترك القارئ العادي لنفسه، لاستحال عليه أن يحصل حق التلاوة وصحة الأداء، وبالتالي ربما اضطربت معه مفاهيم الآيات، وغابت الأحكام، وقل ذلك في علوم الدين واللغة، وكل علوم الدنيا فكرية كانت أم عملية، حتى الحرف والمهن والصناعات، مهما علت أو دنت، لابد لها من اختصاصي يلقنها ويكشف أسرارها، فما لم يكن للمرء شيخ في العلم ضل وافترسه الشيطان، واستهواه وجعل إلهه هواه، فهلك، وما لم يكن للمرء معلم في بقية الصناعات لما أصاب ولا أجاد وربما أهلك وهو يطلب الحياة، ومن هنا كان لابد للسالك إلى الله من غمام يرشده ويوجهه ويسدده، ويكشف له أحابيل الشيطان، في العبادات والمعاملات، والخطرات النفسية والإرادات القلبية، والواردات التي قد تكون أخطر على صاحبها من الكفر على صاحبها من الكفر الصريح، **يا ولدى:** فكر في موقف الإمام في الصلاة، وفي تلقى الرسول عن جبريل عليهما الصلاة والسلام، ولهذا سجل كبار ائمتنا أخذهم وتقيهم عن كبار شيوخهم، كابراً عن كابر، بالإجازة الشريفة، والثبت المحكم، وسواء في العلوم، او في تلقى البيعة الصوفية، واتصال السند، ولا يزال في عصرنا هذا يستعد الطالب لأعلى درجات الثقافة (الدكتوراه مثلا) ولابد له من مشرف يشاركه رحلة العلم والجهد **{وما يستوى الأعمى والبصير} [الرعد: 16]**، وقد تلقينا من قواعد أهل العلم (غير الصوفية) قولهم: " لا تأخذ العلم من صحفي ولا القرآن من مصحفي "، **و" الصحفي "**: هو الذى جمع محصوله من الصحف وحدها، دون مرشد، **و" المصحفي "**: من قرأ القرآن وحده، من غير موقف، وهذا مجرح عند اهل العلم، ثم تأمل مرة أخرى بعثة الرسل إلى

الناس، ونزول جبريل صلى الله عليه وسلم على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالتوجيه والهداية، **ولا تنس يا ولدى:** أن التقاء روح الطالب والأستاذ، وتبادل الود، ووحدة الإرادة، واندماج الشخصيتين بالحب والتسامي، وقصد وجه الله: فيه أثر روحى ونفسى مقرر عند أهل العلم بالقديم والحديث، وحين يكون السند موصولاً، يكون من ورائه سر مجر، يسميه الصوفية (بركة السند)، وإن لم يؤمن الجاهلون بسره ألا ترى قوله تعالى: {وداعياً إلى الله بإذنه} " سورة الأحزاب، الآية 46، تأمل، فمن هنا تبدا البركة، ثم تتسلسل !!وأظن في هذا الإجمال كفاية إن شاء الله، وإلا فـ **{إنك لا تهدى من أحببت} [القصص: 56]،**

**السؤال العاشر: ما هو الحكم في استخدام الرقص والطبل والزمر والغناء (والحركات غير اللائقة في كثير من حلقات الذكر)؟!، وتحريف أسماء الله تعالى؟! و (أه، أه) أو (هه، هه)؟!، وإصدار الأصوات الساذج بنحو (ها) و (أه، أه) أو (هه، هه)؟!، واشتراط أن يتخيل الذاكر شيخه بين عينيه؟!، والاعتراف للشيخ بالذنوب والمعايب؟! (الجواب):، أولاً:** فأما استخدام الراقص، والطبل، والزمر، والغناء – فيما يسمى حلقات الذكر – فليس من دين الله (قولاً واحداً)... وإنما هو من الدخيل، والدسيس الذى تسلل إلى التصوف، فأفسده، وأساء إليه، **ينقل الشيخ (ابن الحاج) في مدخل (الشرع الشريف): قلنا:** وقد عاب الله نحو ذلك على المشركين من قبل، فقال: {وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية} [الأنفال: 35]، يعنى تصفيراً وتصفيقاً ! وهما من لوازم الطبل والزمر والرقص !!، إن الرقص، والطبل، والزمر، لاشك هو لهو ولعب، فإذا اتخذناه ديناً، كان افتراء على الله، وهو تعالى يقول: {وذروا الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً} [الأعراف: 51] و {لعباً ولهواً} كما في آيتي (الأنعام والأعراف) والله لا يأمر بترك شيء هو قربة إليه، فإذا كرر الأمر كان معنى هذا أنه شيء يغضب له غضباً مضاعفاً، لما فيه من تعد على حدوده تعالى، وعلى حدوده يقول شاعر الصوفية: (يا عصبة ما ضر أمة أحمد... وسعى على إفسادها إلا هي... طار، ومزمار، ونغمة شادن... أتكـــون قط عبادة بملاهـــي؟!) وإنما يعبد الله بما شرع وفيما شرع تعالى سعة وكافية، ومتعة روحية بغير حدود، والعبادة جد كلها، وهو تعالى يقول: {لو أردنا أن نتخذ لهواً، لاتخذناه من لدنا، إن كنا فاعلين، بل نقذف الحق على الباطل فيدمغه، فإذا هو زاهق} [الأنبياء: 17]، ومن شاء

لهواً مباحاً، فليبتعد به عن العبادة، وعن التصوف، ولوجهه الله، وللحق في ذاته ورغم ما أصابنا، ولا يزال – وفي سبيل التجديد والإصلاح الصوفي – نقرر أن مشيخة الطرق الصوفية المعاصرة، أصدرت عدة منشورات، تنهي فيها عن هذا العبث، ولكن هناك أهواء، وخلفيات، ومواريث ومصالح، ونوع من الجهلوت " الجهل المتأصل في النفس " المستحكم، والاقتدار، بل الإصرار على المخالفة كل ذلك يقف دون التنفيذ الواقعي لهذه المنشورات، حتى كأنها لم تكن، ولكن لابد لهذا الليل من آخر،

**ثانياً:** أما الغناء والإنشاد، فإن كان ملتزماً، وبشروطه المشروطة شرعاً، فإن له أصلاً في السنة الصحيحة، ففي البخاري وغيره أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أصحابه رضي الله عنهم وهو يشارك في بناء مسجده الشريف ينشدون: (اللهم لولا أنت ما اهتدينا... ولا تصدقنا ولا صلينا... فانزلنا سكينة علينا... وثبت الأقدام إن لاقينا) إلى آخر ما قالوا بأصوات منغمة طبعاً على لحون العرب !! كما ورد أنه صلى الله عليه وسلم كان يردد نحو هذه المقاطع على من كان ينشد مع المرديين من الصحابة، وساء في بناء المسجد، أو حفر الخندق أو غيره، وقد استمع صلى الله عليه وسلم: " رويدك، رفقاً بالقوارير "! يريد النساء عن خلف الركب، منهن من لا يقوين على شدة خطو الإبل المأخوذة بجمال الحداء وحسن الصوت، ورقة الأداء والتلحين " تواتر أنه صلى الله عليه وسلم استمع إلى غناء الجواري، عند دخوله المدينة كما استمع إلى المرأة التي نذرت أن تضرب له الدف وتغنى، وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان يستمع لبعض " الأراجيز " في بعض المناسبات والأراجيز شعر ينسد منغماً بلحن عربي موروث، فهو ضرب جاد من الغناء العفيف، فضلاً عما كان يستمعه من الشعر (بلحون العرب) وأصواتها بمسجده، وتأثر النفس الشريفة باللحن والصوت الجميل طبيعة في الإنسان الكامل، لا ينكرها رجل سوى قط، ألا ترى أنه سوف يكون من متع الجنة أن يستمع أهلوها كلام الرحمن عز وجل، وكيف اختار رسول الله صلى الله عليه وسلم (بلالاً) لأذان، وكيف كان العرب يضربون المثل بصوت وأداء (أبى محذورة) أحد مؤذني النبي صلى الله عليه وسلم، وكيف أنه صلى الله عليه وسلم أقام منبراً لحسان في المسجد ينشد الشعر عليه منافحاً، ولقد استمع صلى الله عليه وسلم لصوت ابن مسعود، فقال: " لقد أوتى هذا مزماراً من مزامير آل داود " " الحديث بهذا اللفظ رواه الإمام أحمد والنسائي، وابن ماجه عن أبى هريرة والنسائي عن أم

المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتل القرآن، ترتيلاً يأخذ بمجامع القلوب الصحاة فيتمنون لو أنه طال وبالغ، وفي الصحيحين حديث: (حسن استماع الله لنبي حسن الصوت بالقرآن)) ومن ألفاظ الحديث: (ما أذن لشيء ما اذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن: يجهر به))، ثم ألا ترى أن الله أبغض لصوت الكريه، فقال تعالى: {إن أنكر الأصوات لصوت الحمير} [لقمان: 19] !! ومن مجموع هذا، وما هو منه (وهو كثير)، يمكن الحكم على الإنشاد الملتزم بالمشروعية على اقل صور الحكام، إن لم يكن السنية، أو الندب، أو الاستحسان، فأن من الإنشاد ما يرتقى بالمرء إلى أسمى معارج الأرواح، إذا كان رقيق القلب شفيف الروح،

**ثالثاً:** أما تحريف أسماء الله الحسنى في حلقات الذكر: فإجماع أئمة التصوف على أنه حرام موبق، وحسبك فيه قوله تعالى: {ولله الاسماء الحسنى، فادعوه بها، وذروا الذين يلحدون في اسمائه، سيجزون ما كانوا يعلمون} " سورة الأعراف، الآية 180 فهنا أمر بالذكر، مع نهي شديد عن تحريفه والتحذير عن اصلة بمن يحرفونه، أي يلحدون فيه، وإعلان أنهم سيجزون بسوء عملهم، فيكون هذا الإعلان بمثابة إنذار، ونهي شديد مكرر، حتى ندع من يحرفون أسماءه تعالى، فكيف بحكم المحرفين أنفسهم !؟، وهذا الإلحاد يشمل نحو قولهم " ها، ها " أو " هي، هي " أو " أه، أه " وغير ذلك من الأصوات الساذجة الحمقاء، التي لا تكون أبداً من كرام الناس، ولا أفاضلهم: لا أسلوباً، ولا أداء،

لكن المأخوذ عن نفسه، لا يؤاخذ، لأنه ممن رفع عنه القلم ولهذا وجبت التفرقة الشرعية بين هذا وذاك، ويلحق بهذا نطقهم باسم (الله) على غير وضعه الشريف، من نحو ضم ألفه الأولى أو كسرها، مع قصر الفم الوسطى، ومع تخفيف لامه أو تغليطها، مما يخرجها من منطوقه القرآني إلى منطوق سوقي محرم، وخصوصاً مع ما يسمونه (الدوكة) أي تغليظ الصوت، أما قولهم (هو، هو): فهذا اللفظ (ضمير الغائب لغة) وقد ورد في القرآن الكريم كثيراً من نحو قوله تعالى: {الله لا اله إلا هو} [اية الكرسي] وقوله: {هو الحى لا إله إلا هو} [غافر: 65]، فهو الغائب عن النظر، المشهود بالبصيرة، وقد أفرد الإمام الفخر الرازي في تفسير الفاتحة بحثاً ضافياً، أثبت فيه أن لفظ (هو) ربما كان اسم الله الأعظم بنحو عشرين دليلاً، نحن في ذلك معه، فالمسألة في لفظ (هو) على أسوأ الأحوال خلافية، ومادام في الأمر وجهان ودليلان، فإنه يسعنا ما يسع غيرنا وليس منن العدل تجريم

من أختار أحد الوجهين لصحة دليله عنده، والفروع كلها محل خلاف !! **والقاعدة:** " متى دخل الاحتمال، بطل الاستدلال "، **أما لفظ (آه)** فلم يثبت علمياً أنه ذكر به إمام الشاذلية (أبو الحسن) رضى الله عنه ولا كبار تلاميذه – من أمثال: أبى العباس المرسى، وابن عطاء الله " والشيخ الحنفي، ولم يرد له ذكر في أهم مراجع التاريخ الشاذلي، كـ " درة الأسرار " و " المفاخر العلية "، " واللطائف "، ولكنه منسوب إلى بعض كبار أئمة الشاذلية المتأخرين، ولهم على مشروعية الذكر بعد أدلة شتى، لعل من أقواها، وأحكمها ما كتبه المرحوم الشيخ الظواهري شيخ الأزهر السابق، ثم ما كتبه المرحوم الشيخ عمران الشاذلي في عصرنا الحديث، ثم إن الذاكرين بهذا الاسم يقررون: أن له أثراً عظيماً بالممارسة والتجربة ولابد من مراجعة أدلتهم قبل الحكم لهم أو عليهم، فهو أيضاً نمط من الخلافات الفرعية، ومن الشاذلية من لا يذكرون به، (كالحصافية، والحامدية، والمحمدية) ومن أشد الناس تمسكاً به فروع (الفاسية الشاذلية)، وكان والدى رضى الله عنه لا يستهجنه، ولا يستحسنه، ويقول: (أنا لا آمر بهذا الاسم، وأنهي عنه)، وكان يقول: (إن عذري معي في التوقف في هذا الاسم بما له، وما عليه، وما خلاف عليه خير مما فيه الخلاف)، قلنا: ونحن على الأثر، فلا نعيب على من يذكر به بدليله، ولا نلوم من لا يذكر به لدليله،

**رابعاً:** وفيما يتعلق باشتراط تخيل المريد شيخه عند الذكر بين عينيه: فهم يقولون: إن المراد الأساسي من هذا، هو استجماع المهمة، وطرد الشواغل، وتفريغ القلب لحسن التوجه، والاستعداد للاستمداد، فهو وسيلة – مؤقتة – للتجهيز لدخول حضرة الحق، فإذا ما انحصرت الطاقة في تصور الشيخ، والنبي، وهما يدفعان المريد إلى الله، ويهيئانه للعمل، ثم إذا أخذ المريد في الذكر، كان أول ما ينطرح على المريد هو الخيال الفاني، فلم يبق إلا الله الباقي، هذا هو أصل الموضوع عندهم، وتخيل صورة الشيخ ليست شرطاً، ولكنها من الوسائل الاجتهادية والتجريبية النافلة، ولهذا لم يقل بها كثير من الشيوخ، اكتفاء بصدق المحبة، والربطة بين المريد وشيخه ونبيه صلى الله عليه وسلم، حتى كأنه بينهما، وفي هذا الموضوع بحوث نفسية عميقة، وإذا عرفنا أن هذه الحالة – عندهم – إنما تكون قبيل البدء في التعبد، ولمدة لحظات فقط، ثم يكون الذكر الذى يستغرق كل أحاسيس الذاكر، إن تخيل النبي صلى الله عليه وسلم والشيخ عند الذكر، أشبه شيء بما يخطر على بال المصلى من

اخيلة الجنة والنار، والإنس والجن، وأهوال الحشر، وعظمة الله، وهذه صورة لا تبطل الصلاة، ولا تتهم بالوثنية، فالموقف هنا وهنا واحد، وبالتالي يكون الحكم واحداً، فقد انتفت دعوى الوثنية، التي يرمى بها الصوفية – أو بعضهم – في هذا المجال، تهوراً ومجازفة،

**خامساً:** ثم تأتى قضية اعتراف المريد لشيخه بذنوبه وعيوبه، فأي حرام في هذا؟ إنك عندما تذهب إلى الطبيب تذكر له كل ما تشكوه، وما يؤلمك، وهذا الشيخ هو طبيبك الروحي في الله، وعقدة الذنب تؤرق صاحبها، فهو يسأل طبيبه الروحي عما عسى أن يطهره ويغسله من خطاياه، وينقذه من آلامه، ووخز الضمير، وهو (النفس اللوامة) في لغة القرآن والتصوف، أليس كان يأتي الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقول أحدهم مثلاً: " هلكت يا رسول الله، فقد فعلت كذا وكذا " كما حدث مثلاً في قصة " ماعز " وقصة " الغامدية " واعترافهما بارتكاب الخطيئة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يدل المعترف بخطئه على لو عمل به تقبله الله، وعفي عنه، فإن من الفطرة ضرورة الإفضاء والاستنصاح " والدين نصيحة " رواه البخاري في التاريخ عن سيدنا ثوبان رضى الله عنه، والبزار عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه "، أليس الله يقول {فاسألوا أهل الذكر} [الانبياء: 7]، ثم إن الآيات القرآنية كلها تدل على أن المؤمنين – بل وغير المؤمنين – كانوا يأتون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستنبئونه، ويستفتونه، في مثل قوله تعال: {وإذا جاءك الذين يؤمنون بآيتنا، فقل سلام عليكم،،} [الانعام: 54]، وقوله تعالى: {ولو إنهم إذا ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله...} [النساء: 64]، وقوله تعالى: {فإن جاءوك فاحكم بينهم...} [المائدة: 42]، وقوله تعالى: {يا ايها البنى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك،،} [الممتحنة: 12]، فكلها حث على المجيء إلى أهل الصلاح وطلب النصح منهم، أو الفتوى، او التوجيه، ولا يكون ذلك إلا مع بيان طلب الاستيضاح أو الاستفتاء، فكان هذا جميعاً من أسباب الإفضاء إلى الشيخ بالنوب أو العيوب، طلباً للتعرف على ما يرضى الله، وما يكون سبباً للإنابة والمتاب، ثم أليس يستشير الرجل من هو اعلم منه، ليستفيد من تجربته أو خبرته أو سوابقه في معاناة الأمور؟ أليس يقض الأخ إلى الاخ بما يؤرقه ويقلقه طالباً نصحه وتوجيهه؟ وهل اتخاذ الشيخ إلا من اجل تنقية النفس من أوضارها، وترقيتها في معارج السالكين؟ فلست أرى ممنوعاً – شرعاً، أو وضعاً – ان يطلب المريد نصيحة شيخه فيما واقعه من

مثالب وخطايا، ليدله على وسيلة النجاة، وفي القرآن {وأمرهم شورى بينهم} [الشورى: 38]، وأظن ما قدمته كافياً الآن، في هذا المجال، ولا اعتراض بأن: هذا يشبه نوعاً من الكهنوت في الاعتراف لرجال الدين (وهي كلمة " كنسية " وإما كلمة الإسلام فهي " علماء الشريعة " وفوق كبير بين هذا وذاك، فالفارق هائل ضخم، فهناك يعتقدون أن مجرد الاعتراف كاف في محو الخطيئة، وأن الاعتراف الذى يقبله الكاهن، يقبله الكاهن، يقبله الله حتماً، **أما هنا:** فإنما يدل الشيخ مريده على ما به يرضى الله عنه، من توبة واستغفار أو صدقة، أو عبادة، ثم يدع ما وراء ذلك لله وحده، إن شاء قبل، وإن شاء لا، وهذا فارق ما بين الشرك والتوحيد،

**السؤال الحادى عشر: ما حكم التضرع والتوسل بأصحاب الأضرحة؟!، وما حكم الاستخدام الشائع لكلمة " مدد " والمدد لله وحده؟! (الجواب):** مسألة التوسل إلى الله بما يحب، وبمن يحب، مسالة قديمة، تناولتها طبقات من السلف والحلف، بين الرفض والقبول، وكما مال إلى الرفض أمثال الشيخ ابن تيمية، مال إلى القبول أمثال الحافظ ابن حجر والإمام الشوكاني، وبخاصة في كتابه " الدر النضيد "، وللإمام الألوسي في ذلك تفصيل مفيد، والإسلام متفق على صحة مبدأ التوسل، والخلاف كله على اللفظ والكيفية والاتجاه، والأدلة هنا لا يتسع لها مقال، وقد سبق أن نشرت لي (التعاون) ما يكفي، وعليك أن تراجع ما كتبناه في رسالة " الوسيلة " ففيه التفاصيل الكافية، والمهم في هذه المسألة المتشعبة الجوانب، الفسيحة الرحاب أن يوجه الطلب إلى الله وحده، وأن يكون ذكر المتوسل به – لمن شاء التوسل – نوعاً من تأكيد الطلب، بالاعتراف بالتقصير والتفريط في جنب الله، مما يخجل معه المتوسل أن يكتفي بدعائه، وهو ليس أهلاً للاستجابة، فيستشفع إلى الله بما (أو بمن) يغلب على ظنه أنه مقبول عنده في رجاء إلا يرد أو يرفض، وما دام الطلب إلى الله، وإلى الله، ابتداء وانتهاء، كقول القائل: " اللهم إني أسألك كذا وكذا، متوسلاً إليك بكذا " فلا خطأ، ولا شرك على الإطلاق، وقد ذهب إلى هذا المرحوم الإمام حسن البنا، واعتبرها من الخلافات الفرعية، وليس التوسل واجباً، وإنما هو اختيار لمن شاء، على ألا يكون الطلب موجهاً إلى العباد، سواء أحياؤهم أم أمواتهم، فإذا أخطأ الجاهل – مع هذا – وطلب من العبد، فإنه يعلم ويرد إلى الصواب، ويكفيه نيته وحسن اعتقاده، وعلمه اليقيني – مهما كان أميا جاهلاً – بأن الله هو الفعال، وإنما العبد وسيلة، لا يملك مع الله

شيئاً، وإذن فلا نخرجه من الإسلام بجرة قلم، أو انفعال لسان، فإن هذا أمر خطير، لا يملكه أحد، وإن كان قد شاع تكفير الناس في أيامنا هذه بما لا يقبله عقل ولا دين،

**أما قولهم "مدد "**: فإن نعمة الإيجاد والإمداد كلتاهما لا تكونان إلا لله، ومن الله عز وجل، فالحياة الأولى والآخرة جميعاً، ومحتوى الملك، والملكوت كله، إنما هو من إيجاده، وإمداده تعالى، وهو يقول: {كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك} [الإسراء: 20]، وهي أية كاملة شاملة، ومؤداها في معنى: {قل كل من عند الله} [النساء: 78]، والعبد سبيل أو سبب، ولكل شيء سبيل وسبب، فطالب المدد: إن كان يطلبه من شيخ حي، فهو إنما يريد بالمدد: طلب العلم، أو الإرشاد، أو الدعاء، قلبياً كان أو نفسياً، أو تلقى السيالات، والتيارات الروحية من طاقات الشيخ المشحون بأسرار الإيمان، وقوى التعبد، والعلاقة بالله، ولكل مخلوق ميالات وتيارات كهربية ومغناطيسية مؤثرة، أثبتها العلم القديم والجديد، واستدل بما في الإنسان من الشجاعة والمروءة، والهمة، ونحوها، فكلها قوى خفية، سميناها بالأسماء، ووصفناها بالأخلاق، ثم قررها علم النفس الحديث، واتخذ من " الحسد " دليلاً على القوى الشريرة في الإنسان، وهذا يثبت إن للإنسان – بالمقابلة دليلاً قوى خيرة، تؤثر في الغير بمثل ما تؤثر قوى الشر من الحسد في المحسود، فكل شيء له مقابل، هو ضده، ثم إن التنويم المغناطيسي في أسلوبه العلمي المعترف به في كل جامعات العالم، وكل المحاكم العالمية هو دليل في هذا الجانب غير مدفوع " راجع كتاب " سبيل السعادة " للمرحوم يوسف الدجوى، وكتاب " على أطلال المذهب المادي " للمرحوم محمد فريد وجدى، وقد قرر الشيخ ابن القيم في كتابه " الروح " كثيراً من القوى والطاقات الإنسانية في الإحياء والموتى، فارجع إليه، وهذا، وإن كان يطلب المدد من شيخ متوفي، فهو يطلب من روحه " التي يعتقد أنها تحيا برزخيا، في مقام القرب من الحق " أن تتوجه شفاعة إلى الله في شأنه بما يهمه، فالأرواح في عالمها تحيا حياة غير مقيدة بحدود زمان أو مكان، فالقيود والحدود نتيجة الحياة البشرية، وأما الأرواح، فهي من عالم الانطلاق، ولاشك أن هذا الجانب كله مزلق من اخطر المزالق، ولا يقوى على فهمه وضبطه إلا أولوا الألباب، ومن ثم وجب تبصير الناس، أو سد الذرائع، وليس معنى هذا أنني أجيز الحالات الهستيرية التي نشاهدها في كثير

من التجمعات المنسوبة إلى التصوف، وإنما أردت أن أبين علة الموضوع وإسناده إلى أهل العلم، ولكل حق باطل يشبهه، وما يستوى الأعمى والبصير، ولا الظلمات ولا النور،

**أما ما يحيط بالموالد من منكرات جعلتها مجالاً خصباً** للمرتزقة والنصابين، فقد قررنا أن الموالد بوضعها الحالي فيها الشروع والممنوع، وقد أصبح الممنوع فيها غالباً على المشروع للأسف الشديد، فمثلاً: قراءة القرآن، ومجالس العبادة، وحلق العلم، وانتشار الصدقات، وما يكون بين الناس من التعارف، والتآلف، والتعاطف، ورواج الحكة التجارية، والتلاقي على الله بحسن النية وصفاء القلب، وفقره الاجتماعي المحبب شرعاً وطبعاً، كل ذلك " حركة فيها بركة " لا ينكرها عقل، ولا دين، والإسلام دين التجميع والتكتيل، ومعنا جماعات الصلوات، والجمع، والعيدين، فضلاً عن اعتبار الموالد نوعاً من الفرح بفضل الله ورحمته، فبذلك فليفرحوا، **ولكن بجوار هذا شر موبق:** عبادة محرفة، وتجمعات منكرة، ولصوصية أراض، ولصوصية أموال، ومراتع فسوق، وبؤر ميسر، ومستنقعات تخريف، وتحريف، وشعوذة، وتفاخر، وتكاثر بالاتباع والأموال، والمظاهر، وضياع أي ضياع للأموال والأوقات والأخلاق والطاعات !! إن هذه الموالد يمكن أن تصبح أسواقاً للثقافة الربانية، ومنابر للدعوة الوطنية والإسلامية، ومناسبات للخير العام والخاص، لا يمكن أن تضارعها فيه أي تجمعات مصنوعة، مهما استقطبت من المغريات، وليس هذا في يد أحد سوى الحكومة أولاً، فيما لها من الإشراف عليه، ثم في يد مشيخة الطرق الصوفية، فيما لها من الإشراف عليه إذا صح العزم، وصح الحزم، على التغيير، وطرحت المجاملات، وصدقت المواجهات، أما والحال على هذا المنوال، فخسارة ووبال، وليس بعد الحق إلا الضلال، إن الكلام عن الموالد في جوانبها المختلفة تاريخياً وشرعياً، كلام طويل، وتستطيع أن ترجعه إلى بعضه في بعض نشرات العشيرة ومجلتها، وفما قدمناه هنا آنفاً كافية،

**السؤال الثاني عشر: ما حكم المواكب الصوفية؟ وما يكون فيها من الرقص؟ والدفوف؟ والصاجات؟ والأعلام؟ والأزياء الشاذة؟ والأوشحة؟ والعمائم الملونة؟ (الجواب):** أما الطبل، والزمر، والرقص، وما يليه من الدفوف والصاجات، فقد أوضحنا – فيما قدمنا – حكم تحريمه باتفاق كعبادة، فهو لهو وباطل، وعبث ليس من الدين، ولا هو شأن الرجال " راجع ما قررناه آنفاً "، **أما**

**نفس المواكب:** فقد كان أول موكب انعقد في الإسلام يوم إذن الله بإعلان هذا الدين الخاتم، فخرج المسلمون في صفين على رأس أحدهما: عمر بن الخطاب، وعلى رأس الآخر: حمزة بن عبد المطلب، وأخترق هذا الموكب شعاع مكة وثنياتها ، يعلن بالتهليل والتكبير، ثم جاءت مواكب المجموعات في المدينة تعلن بالتكبير ليالي الأعياد والجماعات، التي تعلن بالتلبية في الحج، ثم جاءت السرايا والبعوث، تأخذ وجهتها في الدعوة إلى الله، كلما علوا شرفاً، أو هبطوا سهلاً، هللوا وكبروا، فكان هذا جميعاً أصل " المسيرات " والمواكب الصوفية السليمة، **أما الأعلام:** فقد وجدت في مسيرات الجيوش في الصدر الأول، حتى إذا غزا لويس التاسع دمياط، ودع الإمام الصوفي العظيم " الشيخ أبو الحسن الشاذلي " الناس في الجهاد، بعد أن كف بصره، ودقت طبول الحرب بين يديه، وسار إلى موكبه أئمة الدين في عصره، ومنهم سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام، وإمام المحدثين الشيخ زكى الدين المنذري " صاحب الترغيب والترهيب "، ومكين الدين، وابن دقيق العيد، ورجاله من الصعيد إمام علماء الأصول، وغيرهم من الخاصة، فضلاً عن الجماهير الهائلة، وكان قد أثار خروج أبى الحسن (وهو مكفوف) حماس الناس وغيرتهم، فتابعه الآلاف يخرجون إلى كفاح الفرنسيس بأموالهم وأنفسهم، وقد اتخذت كل بلدة أو اسرة راية لها، تعرف بها، ويتجمع تحتها رجالها، حتى إذا نصر الله المسلمين، وأسر " لويس ورجاله "، وحبس في دار ابن لقمان (الصوفي) بالمنصورة " لا زالت دار ابن لقمان موجودة في المنصورة، وقد حولت إلى متحف معروف "، ثم ورث بعض المتصوفة هذه الأعلام من أسرهم، وأقاربهم، وبلادهم، واتخذها شعاراً وحولها من حقيقة إلى تمثيل، وفلسفوها، فأدخلوا إشارة في مجال مجاهدة النفوس، ولست أرى هذا الرأي ولا أسيغه، وخصوصاً بعد هبوط مستواه إلى ما ترى في المدن والقرى ومن الناس، **أما الأزياء الشاذة:** فمدسوسة على أهل الله، ولم يعرف ولى الله كان له زي غير مألوف: فهي أثواب شهرة، " ومن لبس ثوب شهرة شهر الله به "، كما جاء في الحديث الشريف " وفي حديث آخر {من لبس ثوب شهرة ألسه الله يوم القيامة ثوباً مثله، ثم يلهب فيه النار} رواه أبو داود، وابن ماجه عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه... **أما القول بان:** الصفراء كانت علامة الملائكة يوم بدر، فلا دليل من العلم فيه، **وأكثر ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:** إنما عمامته بيضاء كالغمامة، وكل ما جاء في ألوان العمائم، فحديث واه شديد الضعف، أو حديث موضوع، وكلاهما لا يؤخذ به، وخصوصاً

من الصوفية: فإنهم يجعلون خلاف الأولى، في رتبة الحرام، غير أنه ثبت أن الصحابي الجليل (أبا دجانة) كانت به عصابة حمراء، سماها (عصابة الموت) كان يلبسها إذا غامر في صفوف الأعداء، فسئل فقال: حتى يعرفني بها المسلمون، إذا شرفني الله بالشهادة، فقد لبسها لسبب غير الشهرة والترفع والزهو على خلق الله، وقد كره رسول الله صلى الله عليه وسلم الثوب الأحمر غير المخطط، أما العمامة الخضراء فقد احدثها السلطان (شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون) أيام حكم المماليك، وخص بها آل البيت لبعض الأسباب، كما نقله العدوي في (مشارق الأنوار)، والشبلنجى في (نور الأبصار)، على ان للعلماء فيها رأيا مضاداً، فإذا لبس الناس عمائمهم الملونة على أنها " عادة " فلعله لا يكون بها بأس، أما إذا لبسوها تعبدا، أو تمذهبا، فلن يكون معهم كتاب ولا سنة ثابتة، لأنها أما أن تكون تعصباً للمذهب والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: " ليس منا من دعا إلى عصبية " " ومن نصوص الحديث: قوله صلى الله عليه وسلم: " ليس منّا من دعا إلى عصبية، وليس منّا من مات على عصبية "، رواه أبو داود، وإما أن تكون تزكية للنفس، وإعلاناً عن الشرف: والله يقول: {لا تزكوا أنفسكم} وإما أن تكون تعبداً، وإنما يعبد الله بما شرع، وإما أن تكون تبركاً، ولا تكون البركة إلا فيما أذن فيه الله ورسوله: {ومن احسن من الله حكماً لقوم يوقنون} فليكن إذن لبسها على سبيل العادة، خروجاً من الحرج، لمن يشاء، إذا ضمن ألا يجره لبسها إلى الرياء والتعالي والسمعة وغضب الله ورسوله،

**السؤال الثالث عشر: ما حكم الاعتقاد في قدرة بعض الاشياخ على الاطلاع على الغيب؟ وقد نفي القرآن عن الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه علمه بالغيب؟ (الجواب):** هذا الباب مما لا ينبغي فيه التعميم المبهم، فأن الغيب نوعان: غيب حقيقي، وغيب مجازي، **فالغيب الحقيقي:** ما كان في كنون العلم الإلهي، لا يحيط به إلا الله وحده، **أما الغيب المجازي:** فما قد كشف الله عنه لمن شاء من خلقه، فهو العلم الذى تنزل به الملائكة والروح بإذن ربهم من كل أمر، وبخاصة حين – يفرق – في ليلة القدر – كل أمر حكيم – (ومن معانى الفرق: الكشف، والإظهار، والبيان)، **ومما يدخل في الغيب المجازي:** ما يكون في الأحداث الكونية التي تقع في منطقة ما، فيراها من هم حولها، ولا يراها ولا يعرفها الآخرون، **فالغيب الحقيقي:** لله وحده {وعند مفاتح الغيب لا يعلمها إلا

هو} [الانعام: 59]، وقد يتفضل الله على بعض رسله فيحيطهم علماً بما يشاء من علمه، تأييداً لهم، وتعجيزاً لخصمهم {عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحد إلا من ارتضى من رسول} [الجن: 27]، كما كان عيسى صلى الله عليه وسلم ينبئ الناس بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم، راجع الآية رقم 49 من سورة آل عمران، وكما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم – في أعلام نبوته – عن وقائع واحداث جاءت في حياته وبعد مماته، كما حدث بها بكل تحديد، وهناك نفر من أهل الله – ولله آهلون من عباده، كما صح في الحديث الكريم " الذى رواه الائمة: أحمد والنسائي، وابن ماجه، والحاكم عن سيدنا أنس رضى الله عنه " إن لله آهلين من الناس ": قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: آهل القرآن هم أهل الله وخاصته "، **ومعنى كل هذا:** أن الله تعالى يتعطف على بعض الخواص من عباده بما يشاء من بحر علمه، فلا أحد يستطيع أن يحيط بشيء من علمه إلا إن يشاء الله ! وهو قوله تعالى – على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم: {ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير، وما مسنى السوء} [الأعراف: 188]، أي فلا أعلم إلا ما علمني ربى، وما كشف عنه لي، ومن هذا الوجه أيضاَ قول تعالى: {وعلمناه من لدناً علماً) وقوله على لسان يوسف صلى الله عليه وسلم في تأويله الرؤيا {ذلكما مما علمني ربي} [يوسف: 37]، وقوله تعالى: {وعلمك ما لم تكن تعلم} [النساء: 113]، كل هذا في الغيب الحقيقي، أما المجازي: وهو ما خرج من نطاق المكنون الرباني، فلا يتمنع أن تكون هناك وسائل للإحاطة به، وقد فصل الإمام الألوسي هذا الجانب تفصيلاً مفيداً حاسماً، وقد يكون من هذه الوسائل: صفاء النفوس بطول ملازمة العبادة والاستغراق، وعدم الانشغال بغير الله – شأن أولياء الله الصالحين، وقد يكون من هذه الوسائل ما هو آلي فلسفي، كالذي نراه في فقراء الهنود، وقد يكون من هذه الوسائل استخدام الشياطين، كما جاء في الصحيح: (إن الشياطين يذهبون في العنان فيخطفون الكلمة من الملك، فيقرونها في آذان الكهان، فيكذبون معها مائة كذبة)) وروى البخاري أن الملائكة تنزل في العنان – وهو السحاب – فتذكر الأمر قضى في السماء – فيسترق الشيطان السمع فيسمعه، فيوجهه إلى الكهان، فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم " راجع الزواجر لابن حجر "، وقد يكون من هذه الوسائل تطوع بعض صالحي الجن، بما لا بأس به مع بعض الصالحين من الإنس، وقد يكون بأسباب أخرى كثيرة جداً – فالأمر متشابه متشعب دقيق، لا تحكمه العواطف المنفعلة، وبين أيدينا من التجارب الواقعية ما يغطى كل هذه الأنواع وغيرها،

مما لم نشر إليه، وهو كثير، وهذه الأصول كلها يجب أن يستنبطها من يتصدى للحكم على الغيب، فإن فتنة تعميم الأحكام، والتهويل والإيهام، كثيراً ما تخرج بطرفي القضية عن المنهج العلمى، او العلم المنهجى، فلا يتحقق إنصاف، ولا ينصف تحقيق،

**السؤال الرابع عشر: ادعاء العصمة للأشياخ؟ (الجواب):** العصمة للأنبياء وحدهم، أما غيرهم، فلو صحت لهم العصمة لكانوا أنبياء، ولا نبوة بعد سيدنا المصطفي صلى الله عليه وسلم، ولم يقل بالعصمة لبشر بعد النبي إلا في (الشيعة) الذين أعطوا ائمتهم هذا الحق بأدلة قبلوها هم، وليس في الصوفية الراشدين من يقول هذا القول في شيخ له، " ولا عبرة بالمتصوفة ولا المستصوفة "، لكنهم نقلوا عن أبى الحسن الشاذلي قوله: " إن الله يتفضل على وليه " بالحفظ " كما يتفضل على " نبيه " والفرق بين الحفظ والعصمة، فسيح الأبعاد، وحسبك أن العصمة هبة ومنحة، والحفظ كسب وأثر للاجتهاد والاحتياط والورع {فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين}، وقد قررنا أن المتطرفين والغلاة موجودون في كل مذهب ودين، وبغيهم على أنفسهم، لا على المذهب، ولا على الدين، كما قررنا أن الغلاة وجدوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فردهم وأمرهم بالتشبه به،

**السؤال الخامس عشر: ما حكم توارث المشيخة في أبناء الأسرة الواحدة؟ (الجواب):** إذا وجد في الأسرة من هو أهل لحمل عبء الدعوة، فلا شك أنه أحق وأولى من كل الوجوه، وفي القرآن أن الله فضل آل إبراهيم وآل عمران على العالمين {ذرية بعضها من بعض} " سورة آل عمران، الآية: 34 " ومن ثم كان سيدنا إبراهيم أباً لجميع الانبياء، أي أن الانبياء جميعاً كانوا من آسرة واحدة، فلا اعتراض من جهة الشرع أو العقل على ذلك، مادام يحمل الأمانة من هو أهل لها، وقد ورث سليمان داود، واستورث موسى آخاه هارون، ودعا ذكريا ربه: {هب لي من لدنك ولياً * يرثني ويرث من آل يعقوب} [مريم: 5، 6]، وفي الصحيح يقول صلى الله عليه وسلم: " من كنت مولاه فعلى مولاه " رواه الإمامان: أحمد، وابن ماجه، قال تعالى: {والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض}، أما إذا فقد شرط الصلاحية والكفاية، كان ذلك إقطاعاً بشرياً، ولا يعرفه دين الله، ولا يقبله نظام الانضباط الاجتماعي: {فإذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ، ولا يتساءلون} ثم نذكر هنا نوحاً وابنه، وفرعون وامرأته،

**السؤال السادس عشر: تعيين ولى الله بالاسم؟ مع أن الولاية سر بين العبد وربه؟ (الجواب):**

سبق أن قررنا أن للولاية مواصفات، وعلامات، فمن تحققت فيه هذه العلامات، فهو ولى الله، بالنص القرآني {ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، الذين آمنوا وكانوا يتقون} " [الأعراف: 196]، وفي الآية {وهو يتولى الصالحين} [الأعراف: 196]، فإذا تحصلت الولاية – وللإيمان والتقوى والصلاحية وإشارات وعلائم، ولها روائح وملامح معروفة بين الناس، فإذا ما تحققت – أطلق الله ألسنة خلقه بحسن الذكر، وطيب السمعة، وإفاضة البركة، وفي الحديث المشهور: (إن الله اذا أحب عبداً نادى جبريل إني أحب فلاناً فأحبه، ثم يكتب له القبول في الأرض والسماء)) رواه البخاري ومسلم، عن أبى هريرة رضى الله عنه ورواه الترمذي عنه أيضاً "،، فالولاية وظيفة إلهية في الأصل، فإذا تسنى أن يعرف الناس صاحبها، واطلقوا عليه بمقتضى وظيفته، فلا أظن أن بذلك بأساً، على أن من أولياء الله من هو مستور مغمور، على قدم العبد الصالح صاحب موسى عند مجمع البحرين، والعبد الصالح أويس القرني، فأولياء الله نماذج للإنسانية الكاملة، لأنهم الممثلون الشخصيون للحضرة النبوية فيما ندبهم الله إليه، **ويجب أن يكون مفهوماً:** أن الولاية شيء، والبلاهة شيء آخر، **فمن شروط الولاية:** تمام العقل، الفقه بدين الله، **أما الأبله:** فلا نعتقده ولا ننتقده، أما إطلاق الولي على من ميز نفسه بملبس خاص، ووضع خاص، وأسلوب حياة خاصة، ولم يتحقق فيه أوصاف الآيات: فطوى الناس تحت لواء الشعوذة والتهريج، والدعوى، واختلاق الكرامات، والخوارق، فذلك ولى الشيطان وحزبه، فلا يفلح حيث أتى، وإن اجتمع عليه الثقلان، فإنما هو حينئذ من طلائع المسيخ الدجال، وكثير ما هم، وكثير أتباعهم، ثم تأمل: هل أحد أكثر اتباعاً من ابليس؟ فكثرة الاتباع لا تدل على حقيقة الولاية، بل قد تكون نوعاً من الفتنة والابتلاء الالهي،

**السؤال السابع عشر: ما هو القول في شفاعة الأولياء لاتباعهم؟ وحضورهم عند سؤالهم؟**

**(الجواب):** شفاعة المؤمنين بعضهم لبعض يوم القيامة آمر لا خلاف عليه بين المسلمين، وإذا ثبت لمجرد الإخوة في الإسلام، فلعلها تكون أثبت إذا اجتمع مع الأخوة في الإسلام أخوة أخص منها في الله، فلا يستبعد أبداً أن يشفع مؤمن في مؤمن بإذن الله {من ذا الذى يشفع عنده إلا بأذنه} [آية الكرسي]، لكن من غير المقبول أن يشيع بين بعض الطوائف أن شيخهم يحضرهم عند السؤال في

القبر، وقد دسوا مثل هذا الهراء في تاريخ (أبى الحسن الشاذلي) وهو منه براء، كما دسوه في تاريخ بعض ائمة الصوفية الآخرين، وهو مخالف للعقل، والتاريخ الصحيح، والنقل جميعاً، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بذلك مع أصحابه، سألت أحدهم: لو أن عشرة مثلاً من أتباع الشيخ في عدة بلاد أو دول متباعدة، أو حتى في بلدة واحدة، وقد ماتوا جميعاً في وقت واحد، وهم يسألون في وقت واحد، فمع من يكون الشيخ يا ترى؟ أم أن الملائكة تنتظر حضور الشيخ حتى يفرغ من وجوده مع الآخرين؟؟ (فعبس ويسر، ثم أدبر واستكبر)، ثم ما هو الدليل من كتاب الله وسنة مصطفاه صلى الله عليه وسلم؟ لا دليل، ولا استئناس، ولا نظر، ولا استصحاب بالمرة، وإن من علمائنا من يرى في تصديق ذلك مزلقاً إلى الوثنية، ولعل من أشد ما يتألم له المرء أن يأخذ بعض الصالحين هذه القضايا الدخيلة على التصوف بحسن النية، ويرددوها على أنها حقائق، لأنها وجدت مطبوعة في بعض الكتب، وقد دسها من دسها على الشيوخ بلؤم وخبث نية، إن بعض الكتب المطبوع تقول: (إن الله ثالث ثلاثة) فهل نأخذ بهذا الشرك، لأنه مطبوع في كتاب، فاعتبروا يا أولي الألباب،

**السؤال الثامن عشر: لماذا الاهتمام بصناديق النذور بحيث يندر أن نجد ضريحاً كبيراً ليس به صندوق نذور؟ (الجواب):** النذر في ذاته مشروع، وإن كان لا يرد قضاء، فالله يقول {وليوفوا نذورهم} ومدح قوماً فقال: {يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً} [الإنسان: 7]، ويقول {وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه} [سبأ: 39]، وقال صلى الله عليه وسلم: (من نذر ان يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه)) رواه الإمام أحمد والبخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه، والنذر أصلاً لله (ومن نذر لغير الله فقد أشرك) يعنى عمل عمل أهل الشرك، وإن لم يخرج من الملة، فإذا اتضح هذا التأصيل، كان لا بأس بأن تجمع النذور بطريقة واعية، لتصرف على أهلها، وعلى وجوه الخير، التي تعود على المسلمين بالأهدى والأجدى، وتعود على من كان سبباً فيها وعلى فاعلها بالأجر والمثوبة... وعندما يكون الناذر جاهلاً، فيقول مثلاً: هذا النذر للسيد البدوي، او السيدة زينب، أو غيرهما، فعلينا أن نعلمه أن يقول: " النذر لله، وثوابه للبدوي أو للسيدة زينب، أو نحو ذلك، ولا نرميه بكفر ولا شرك، فمراده صحيح، وتعبيره خطأ، ولنتذكر أن سيدنا (سعدا) رضى الله عنه عندما حفر بئره المعروفة، قال (هذه لأم سعد) ولم ينكر عليه رسول الله

صلى الله عليه وسلم ولا الصحابة، لصحة قصده، وانتظام هذا التعبير مع علوم اللغة العربية سليم، فهو في اللغة على حذف مضاف تقديره(هذه لرب أم سعد)، فالقائل (هذا للسيد البدوي) أو للسيدة، أو للحسين – يريد أنه (نزر لرب السيد، أو السيدة أو الحسين) وإن لم ينطق بلسانه، كما حدث تماماً من سعد بن أبى وقاص، وإنما الأعمال بالنيات، لا بالكلمات،

**كلمة اخيرة:** قد طاوعتك رجاء تصحيح بعض المفاهيم لوجه لله، وقد أجبت (بغاية الاختصار) على ما سألت من أسئلة، بعضها يحتاج إلى سعة كبرى في الوقت والبيان، والدليل والتعليل، وقد أكون مصيباً أو مخطئاً في حكم أو في أحكام وما أبرئ نفسى، ولا أزكى على الله أحداً، وهذا شأن البشرية {ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً} [النساء: 82]، فأسأل الله أن يجعل لي ما كسبت صواباً، وأن يغفر لي ما اكتسبت من خطأ هو قطعاً غير مقصود، وهو الغفور والودود، وبهذا أكون قد أجبت على أهم ما سألت، مما ينفع الناس ويمكث في الأرض إن شاء الله، ومنه يظهر بكل الوضوح: أنه ليس هناك خلاف بين الصوفية وبين غيرهم من أهل السنة، إلا في بعض صور الفهم، وتحليل المضامين التي جعلت الصوفة يهتمون بالقلوب والتربية والأخلاق، والاعتصام بمقامات التسامي والربانية، فالتصوف مذهب إسلامي أصيل، من مذاهب أهل السنة التي لابد منها للحياة الصحيحة، وإذا كان الصوفية يدعون إلى الأخلاق وبناء داخل الانسان بعد أن تهدم وتحطم، فهم إنما يعملون غابة ما يجب على الإنسان لاستعمار الأرض والاستخلاف عليها، واستقرار الأمة بأفرادها على ما لو يكن لهلكت، وها نحن قد جربنا، وضرب الامثال، وليس بعد الحق إلا الضلال، ونستغفر الله، ونتوب إليه،

***

# المبحث الرابع

# التصوف الحق

**[المفتاح الأول]:** اصطلحت الأمة الإسلامية منذ أقدم عصورها على تسمية العلم الذي يقوم على مرتبة الإسلام بعلم الفقه، والعلم الذي يقوم على مرتبة الإيمان بعلم العقيدة، والعلم الذي يقوم على مرتبة الإحسان يبين حقائقها ومنازلها بعلم التصوف، (التصوف) هو السعي لتحقيق مرتبة الإحسان الظاهر والباطن، فكما أنه من الخطأ أن نقول (الفقه مذهب إسلامي)، أو (العقيدة مذهب إسلامي)، فكذلك من الخطأ أن نقول (التصوف مذهب إسلامي)، لأن الفقه يتناول العلم بالشريعة، فليس الفقه مذهب إسلامي ولكنه علم أساسي من علوم الدين يتناول بيان الحلال والحرام والعبادات والمعاملات الواجبة على كل مسلم، وفيه مذاهب لفهمه على منهاج أهل السنة والجماعة، أدقها وأصحها المذاهب الفقهية الأربعة، وكذلك العقيدة علم أساسي من علوم الدين يتناول بيان الاعتقادات الواجبة على كل مؤمن، وفيه مذاهب لفهمه على منهاج أهل السنة والجماعة، أدقها وأصحها الأشاعرة والماتريدية لأسباب ليس هاهنا مجال ذكرها وإنما مجالها كتب العقيدة، وكذلك التصوف تماما، فهو علم أساسي من علوم الدين يتناول بيان منازل المحسنين، الأولياء أهل عبادة الله على الشهود، ويرسم الطريق للوصول إلى المعرفة بالله عز وجل، وعلى ذلك فالتصوف جزء من دين الإسلام وليس مذهب اسلامي

**[المفتاح الثاني]:** التصوف الحق: علم عظيم له مباحثة القائمة على الكتاب والسنة وجهود علمائه في فهم أدلة الكتاب والسنة، وهو القائم على التحقيق الأوفى لمرتبة الإحسان أعلى مراتب الدين، ويتناول: احسان الظاهر باتباع الشرع في الكف عن المحرمات والمكروهات، وأداء الواجبات والمندوبات والمسارعة في الخيرات، ويتناول: احسان الباطن بتحقيق منازل السير إلى الله، والتي تبدأ باليقظة وتنتهي بالتوحيد الخالص، حيث لا نهاية ولا غاية لتجليات ومعارف تلك المنزلة لأنها

تتعلق بالحق المنزه عن الحدود والغايات والبدايات والنهايات، وأصول التصوف وآدابه مستمدة من القرآن والسنة، فإن شئت أن تطلق عليه علم التزكية أو علم الإحسان، أو علم الأخلاق، أو علم التصوف، فإن الأسماء لا تغير حقائق المسميات، ويتمثل في: سلوك الطريق إلى معرفة الله تعالى والقرب منه عن طريق مجاهدة النفس، وإدمان ذكر الله تعالى والتخلية والتحلية، وحمل الجوارح والجوانح على عبادة الله وطاعته، مع السير في منازل الإحسان من أجل بلوغ منازل المشاهدة والمعرفة بالله تعالى، والسائر من أهل التصوف في أول الطريق يسمى (مريد)، يسير إلى الله تعالى بنفسه، وله منازل أربعين تبدأ باليقظة وحتى الانبساط، والسائر في منتصف الطريق يسمى (سالك) أو (محب)، يسير إلى الله تعالى بقلبه، ومنازله ثلاثون تبدأ بالقصد وتنتهي بالذوق، والمتقدم في السير إلى الله تعالى يسمى (ولي) أو (عارف) أو (وارث) وهذا قد أُذن له في الدخول على حضرة الحق وشهود تجليات الحق، ومنازله ثلاثون أدناها اللحظ وأعلاها التوحيد الخالص،

**[المفتاح الثالث]:** التصوف الحق: أوله إرادة صادقة خالصة وسير بالنفس إلى الله، وأوسطه سلوك وسير قلبي إلى الله، ووقوف على باب الحق بانتظار الاذن بالدخول، واعلاها ولاية ووراثة ومعرفة وتحقيق وتجريد وتفريد وجمع وتوحيد، وإذن بالدخول على حضرة الحق ملك الملوك، والتصوف ليس له غاية سوى الله والصوفي لا يعدل بالدخول على حضرة الحق شيء لا من الدنيا ولا من الآخرة والصوفي الحق هو المأذون له بالدخول على حضرة الحق أنى شاء وقبل ذلك لا يستحق لقب الصوفي، وإنما هو مريد، أو سالك

**[المفتاح الرابع]:** التصوف الحق: هو التحقيق الأوفى لمرتبة الإحسان الظاهر والباطن، فمن أهتم بالإحسان الظاهر والباطن فهو الصوفي، ومن أهتم بالإحسان الظاهر وحسب فهو عابد، ومن زهد في الدنيا من أجل الآخرة فهو زاهد، ومن زهد في الدنيا والآخرة من أجل الله فهو الصوفي، (الصوفي) لا يكون إلا عابدًا زاهدًا، لكن العابد والزاهد لا يكونان إلا في مقام واحد خصوا به، لأنهم شُغلوا بالأكوان عن مكون الأكوان عز وجل، أما (الصوفي) فهو المشغول بالمكون عن الاكوان، هو العالم العابد وهو الزاهد العارف، وهو الوارث للنبوة، وهو الولي المرشد الذي يسمع بالله ويرى بالله وينطق بالله، للحديث القدسي: (إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى

أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه) [صحيح البخاري ح 6502]،

**[المفتاح الخامس]:** (التصوف الحق): اسم يطلق على المنهاج الذي يسلكه الصوفي من أجل الوصول إلى الحق تعالى، ويتناول المجاهدة المستمرة التي تبدأ بالتخلي ثم التحلي لقبول فيض التجلي، تبدا (بالتخلي) عن جميع الصفات الذميمة الظاهرة والباطنة، ومن ثم (التحلي) بجميع الصفات الحميدة الظاهرة والباطنة، والتهيؤ لقبول فيض (التجلي)، وذلك بإزالة الحجب التي تحجب العبد عن الحق وانتظار الإذن بالدخول على حضرة الحق، حيث لا يؤذن إلا للأولياء الطاهرين المطهرين، الذين زهدوا فيما سوى الله، وفنوا عن السوى والأغيار وعن النفس والرسم في الحق، فإن شاء الله أبقاهم به، فبه يسمعون وبه يبصرون وبه يتكلمون، هؤلاء الأولياء الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون،

**[المفتاح السادس]:** التصوف الحق: ركن من أركان الدين يتناول المعرفة بحقائق الدين التي هي أعمق علوم الدين، ويرسم الطريق للوصول إلى المعرفة بالله رب العالمين، وذلك عن طريق مناهج سلوكية تشتمل على الاجتهاد في العبادات الظاهرة والباطنة، والاكثار من ذكر الله، والاجتهاد في تزكية النفس وتطهير القلب بالتخلية من الصفات الناقصة والأخلاق السيئة، والتحلية بالصفات الحسنة والأخلاق العظيمة، وارتقاء المنازل إلى الله، وهذه المعارف وتلك المنازل وهذا المنهج يستمد أصوله وفروعه من القرآن والسنة النبوية واجتهاد العلماء فيما لم يرد فيه نص، فجعلوه علما سموه بـ علم التصوف، أو علم التزكية، أو علم الأخلاق، وألفوا فيه الكتب العظيمة التي بينوا فيها أصوله وفروعه وقواعده، وتلك المؤلفات على قسمين: الأول علم المعاملات، وهو علم تزكية النفس وأحوال القلب، ويتناول التخلية والتحلية، التخلية مما يذم كالحقد والحسد والغش والكبر والرياء والغضب والطمع والبخل والفخر والخيلاء والمداهنة والاشتغال بعيوب الناس، والتحلية ما يحمد كالصبر والشكر والخوف والرجاء والزهد والتقوى والسخاء وحسن الظن والصدق والإخلاص، وهذا العلم يناسب الجميع، ومن أهم مؤلفات علم المعاملات: اللمع في التصوف لأبي نصر السرّاج الطوسي (ت 378 هـ)، والتعرف لمذهب أهل التصوف لأبي بكر محمد الكلاباذي (ت 380 هـ)، وقوت القلوب لأبي طالب المكي (ت 386 هـ)، والرسالة القشيرية لأبي القاسم القشيري (ت465هـ)، وإحياء علوم الدين للإمام الغزالي (ت 505 هـ)، والعلم الثاني: علم الحقائق وهو يناسب الخاصة وخاصة

الخاصة من أهل العناية والولاية والمعرفة، وهذا العلم خاص بالأولياء، وهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته عن صفاته المذمومة، وينكشف من ذلك النور ما كان مجهولاً له من المعرفة بالله ودينه وانبيائه ورسله، وهذا العلم ليس له نهاية، لأنه من علوم الفتح الذي يفتح الله به على قلوب أوليائه في فهم كلامه ومستنبطات خطابه، ومن مؤلفات علم الحقائق: أكثر مؤلفات الشيخ الاكبر محيي الدين ابن عربي، وهذه لا يُنصح المبتدؤون في السلوك بقراءتها، لأنها أعلى من مستوى فهمهم وادراكهم فقد يفهموها على غير وجهها، وأدنى نصيب من هذا العلم: هو التصديق به وتسليمه لأهله، أما من أكرمه الله بتصديقها ورزقه نوعا من الفهم لها فهذه نعمة لا يمكن شكرها، لأن هذه العلوم تفرد بفهمها الوارثون من أكابر اهل التصوف، استقامت أنفسهم وزكت وطهرت وكملت، وفنت عما سوى الله، فأبقاهم الله به، فبه يفهمون وبه يعلمون، وبه ينطقون، أكرمهم الحق سبحانه بالمكاشفات والمشاهدات والحقائق التي يدركون بها من حقائق الوجود ما لا يدرك سواهم، فمن أُذن له في نشرها نشرها، ليعم نفعها على أمة الإسلام خير امة أخرجت للناس،

**[المفتاح السابع]: التصوف الحق: يكفيه فضلا وشرفا، أن أهله الصادقون فيه – لا الأدعياء ولا الدخلاء – زهدوا في الدنيا والآخرة يريدون وجه الله، هم أهل السفر إلى الله عندما سافر أفاضل غيرهم إلى الجنة، وهم أهل الطريق إلى الله، وحدهم يعرفون منازل الطريق إلى الله، ووحدهم يسيرون في تلك المنازل، ولم يتكلم في منازل الطريق سواهم، أماتوا أنفسهم في الله فأبقاهم به، فبه يسمعون وبه يبصرون وبه يتكلمون، هم الاولياء الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، هم أهل الشرف الحقيقي لو كان الناس يعلمون، ابتداء أمرهم: الصلاح، وانتهاؤه: الصِّدِّيقية، وهي غاية مراتب الأولياء الوارثين، ليس فوقهم إلا النبوة والرسالة، والنبوة والرِّسالة منقطعان عن أحوال بقية الخلق، ومباينان لها، لأنهما اصطفاء رباني لا دخل للاجتهاد فيه، فالأنبياء والمرسلون لهم كمال الأحوال، والأولياء والصديقون يمرّون على الحواشي والأطراف، ولو كُشف لهم ذرة مما كشف للأنبياء والمرسلين لذابوا وتقطّعوا، فهم أفضل الطوائف بعد الانبياء والمرسلين، قال الإمام الجنيد لسان الطائفة (297 هـ): (لو علمتُ أن لله تعالى عِلماً تحت أديم السَّماء أشرف من هذا العلم الذي نتكلم فيه مع أصحابنا وإخواننا، لَسَعيتُ إليه وأخذته) أهـ،**

**[المفتاح الثامن]:** التصوف الحق: علم جليل له مصطلحاته الخاصة به، لا يعلمها على وجهها إلا أصحابه المتخصصون فيه، وهذا موجود في كافة العلوم، كالفقه والحديث والنحو وغيره، فإن

لكل علم من العلوم اصطلاحات خاصة به، لا يعلمها إلا أرباب ذلك العلم، وللصوفية اصطلاحاتهم الخاصة بهم، التي انفردوا بها عمن سواهم، لها معان شرعية صحيحة جليلة ومقاصد كريمة جليلة، فربما نظر البعض إلى هذه المصطلحات على أنها أمور مبتدعة، فيضلل أصحابها جهلا منه بهذا العلم ومصطلحاته، فلابد لمن يريد معرفة التصوف الحق أن يرجع إلى أصحابه، حتى تتضح له عباراتهم، ويتعرف على إشاراتهم ومصطلحاتهم، فيستبين له مرادهم، ومن أكمل وأجمل الكتب التي تناولت مصطلحات هذا العلم الشريف: كتاب (معراج التشوف إلى حقائق التصوف للعارف بالله الإمام ابن عجيبة الحسني)، وكتاب (معجم اصطلاحات الصوفية للعارف بالله الإمام عبد الرزاق الكاشاني)، فهذان الكتابان من أدق من كتب عن مصطلحات اهل التصوف، على أنّ (التصوف) ليس علما مجردا يُنال بقراءة الكتب، أو معرفة الاصطلاحات، بل لابد من السلوك مع رجاله ومجالسة أهله، والتعلم على أيديهم، فإن التصوف علم وخلق وسلوك لا ينال بقراءة الأوراق، ولكن بالمجاهدات وبصحبة أهل التصوف، حتى يكرمه الله بما أكرمهم به من التذوق والمعرفة، فإنك لو ظللت أياما وشهورا تشرح لأحد ما طعم العسل، لن يعرفه حتى يتذوقه، وآنذاك يعرف، ومن لم يتذوق معاني التصوف فليس بصوفي حتى يتذوق، فإن ادمن التذوق صار من اهل العرفان،

**[المفتاح التاسع]:** الصوفي الحق: هو المسافر إلى الله، وزاده في سفره يتمثل في: المجاهدة المستمرة التي تبدأ بالتخلي ثم التحلي ثم الطهارة الكاملة الظاهرة والباطنة التي تهيئ لقبول فيض التجليات الإلهية، ولا يكون هذا التجلي إلا بالفناء عن السوى والأغيار، واماتة النفس والرسم في الله والفناء في الحق، ومن ثم البقاء بالله، فيرى بالله ويسمع بالله ويتكلم بالله، وقد قال اهل الخبرة والمعرفة في التصوف: لكي يصل الصوفي إلى ذلك لابد له من عدة أسفار: (السفر الأول): وهو السفر من الخلق إلى الحق: وهو على ثلاثة مراحل: سفر المريد إلى الله تعالى، ويكون بتزكية نفسه إلى الله، ثم سفر المحب إلى الله تعالى، ويكون بطهارة قلبه إلى الله، ثم سفر الولي إلى الله تعالى بصفاء روحه إلى الله، و (السفر الثاني): السفر بالحق إلى الحق في الحق: وهو سفر العارف بالله إلى الله، وذلك بعد فنائه في مقام الفناء عن أفعاله وصفاته وذاته في الله، وبقائه في مقام البقاء بالله فيسافر بالحق إلى الحق في الحق، و (السفر الثالث): السفر من الحق إلى الخلق بالحق: وهو سير كبار العارفين بالله من أكابر الاولياء، وهذا السير معناه: الرجوع إلى الخلق , بعد السير في الحق بالحق، ولكنه في حالة الجمع مع الله يعيش حالة المعية مع الله وهو بين الخلق يعلم حالهم ويصلح

من شانهم قدر جهده، و (السفر الرابع): السير في الخلق بالحق: بمعنى القيام بمهمة الدعوة إلى الله بين الناس، والقيام بمهام الهداية بين الخلق، وهذا السير خاص بالوارثين الذين هم ورثة الانبياء، وهم في أمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كالأنبياء في بني إسرائيل، إلا أنه لا نبوة بعده صلى الله عليه وآله وسلم، أما (السفر الخامس): فهو خاص بالأنبياء والمرسلين مقصور عليهم، وهو السير بالوحي المعصوم، وأعظمه سير النبي صلى الله عليه وآله وسلم، إذ لا مثل له في السير إلى الله، وفيه نزل قوله تعالى: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}،

**[المفتاح العاشر]:** الصوفي الحق: في سيره إلى الله يقطع ثلاثة مراحل، أولها (التخلق) وأوسطها (التذوق)، وآخرها (التحقق)، ففي بداية السير يكون سيره بالتخلق، وهو التطبيق العملي والسلوكي لكل ما جاء به الشرع من أوامر ونواهي ظاهرة وباطنة، وهو ما يسميه أهل التصوف: بالتخلية والتحلية، وصاحب هذا التخلق هو المريد، وبالتقدم في التخلق يحصل للمريد (التذوق) وهو الأثر المستفاد من التخلق، وهو المعرفة المستفادة في القلب من التطبيق العملي لأوامر الشرع، وصاحب هذا التذوق هو المحب السالك، ومع دوام التخلق والتذوق يزداد الصوفي السائر إلى الله قربا من الله ويزداد فهما لكلامه، ويتحول باطنه عبر الأحوال والمنازل نحو (التحقق) وهو التمكن من العلم والمعرفة بالله، وأهله هم الأولياء العارفون أهل المخاطبات والمكاشفات والمشاهدات والمعاينات، وهم أهل التحقق والتمكين، والتجريد والتفريد والجمع والتوحيد،

**[المفتاح الحادي عشر]:** (الصوفي الحق): لا يأبه بالدنيا، ويرى أنها لا تستحق حتى الزهد فيها لأنها جيفة نتنة، وهو يزهد في الآخرة من أجل الله، كما يزهد الزاهدون في الدنيا من أجل الآخرة، وهذه المعاني لا تحتمل أي انتقاص لمنزلة الجنة والنار كما يظن الجاهلون، ولا أي معنى لاستغناء الصوفي عن (الجنة) لأنها مستقر رحمة الله ورضاه، وإنما ذلك لأن التصوف يقتضي التجرد عما سوى الله، وأن يفنى عن الأغيار، ولا يلتفت إلى سوى الله، ولا يشوب عبادته بعوض، ولا يطلب لها أجرا، بل يعبد الله بمقتضى شكر الله، اقتداء بالحبيب صلى الله عليه وآله وسلم عندما قال: (أفلا أكون عبدا شكورا)، فالحامل لهم على الطاعة والعبادة، هو المحبة للإله الحق المستحق للعبادة، والرب الحق المستحق أن يشكر، لا إله إلا هو ولا رب سواه، و (الصوفي الحق) مثال لكمال لزهد، (أولا) يزهد في المال وعلامته أن يستوي عنده الذهب والتراب والفضة والحجر والغني والفقر والمنع والعطاء، و (ثانيًا) الزهد في الجاه والمراتب، وعلامته أن يستوي عنده العز والذل والظهور

والخمول والمدح والذم والرفعة والسقوط، و (ثالثًا) الزهد في الكون بأسره بشهود المكون والزهد في الخلق بشهود الخالق، و (رابعا) وهو أعلى مراتب الزهد: الزهد في المقامات والكرامات والخصوصيات، يستوي عنده الخوف والرجاء والقبض والبسط، يسير بهذا كما يسير بهذا، المهم أن يكون مع الله على مراد الله، فإذا تحقق الزاهد بهذه المقامات في الزهد كان صوفيا، وإلا فهو زاهد وحسب،

**[المفتاح الثاني عشر]**: (الصوفي الحق) يحاول التخلق بأخلاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومن اهم اخلاقه (التواضع)، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الله تعالى أوحى إلي أن تواضعوا ولا يبغي بعضكم على بعض) [أخرجه مسلم]، ومن أخلاقه المداراة واحتمال الأذى من الخلق: لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (المؤمن الذي يعاشر الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم) [أخرجه الترمذي]، ومن أخلاقه الإيثار والمواساة، يؤثرون بالموجود ويصبرون على المفقود، لقوله تعالى: {ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة} [الحشر: 9]، ومن أخلاقه التجاوز والعفو ومقابلة السيئة بالحسنة، لقوله تعالى: {والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين}، ومن أخلاقه البشر وطلاقة الوجه، فالصوفي بكاؤه في خلوته وبشره وطلاقة وجهه مع الناس، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (كل معروف صدقة وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق) [أخرجه الترمذي]، ومن أخلاقه ترك الادخار، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا) [أخرجه البخاري]، ومن أخلاقه التودد والتآلف والموافقة مع الإخوان وترك المخالفة لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (المؤمن يألف ويؤلف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف) [الجامع الصغير للسيوطي]، ومن أخلاقه غيرته لله تعالى: إذا انتهكت حرمات الله، فلا يصحب أحدا إلا إذا علم رضا الله تعالى فيه، فلا يحب احدا ولا يبغضه لعلة دنيوية، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان) [أخرجه أبو داود]، ومن أخلاقه: تقديم أعمال الآخرة على أعمال الدنيا: فيقدم ورده على سائر مهماته، فمن أصبح وهمته الدنيا فهو خارج عن طريق التصوف، ومن أخلاقه عدم الغفلة عن ذكر الله تعالى، والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (لا يجلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلا كان عليهم تره يوم القيامة) [أخرجه أحمد]، كل أوقاته ذكر لله تعالى لقوله صلى الله عليه وآله

وسلم: (ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها) [أخرجه الطبراني في الكبير]، ومن أخلاقه أن يكون هينا لينا ينقاد في الخير للصغير كما ينقاد الجمل، لقوله تعالى: {ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك} [آل عمران: 159]، ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (لينوا في يد إخوانكم) [أخرجه أبو داود]، (الصوفي الحق) أخلاقه ما هي إلا اقتداء بـأخلاق سيد الخلق صلى الله عليه وآله وسلم، وقد وصفه الله تعالى بقوله: {وإنك على خلق عظيم} [القلم: 4]،

**[المفتاح الثالث عشر]**: (الصوفي الحق) مثال للخلق العظيم، فلا يخاصم أحدا على حقه، ولا يطالب أحدا بحق، وهو يتغافل عن الزلة، وينسى الأذية، لأنه مشغول بصفاء نفسه ووقته مع الله، وهو يقرب من يقصيه، ويكرم من يؤذيه، ويعتذر إلى من يجنى عليه بسماحة نفس وطيب خاطر، وهو يصل من قطعه، ويعطي من حرمه، ويعفو عمن ظلمه، ويحسن إلى من أساء إليه، صفَّى نفسه وقلبه لله عز وجل، مشغول بالمكون عز وجل عن الأكوان، يترك ما لا يعنيه، ويقطع كل علاقة تحول بينه وبين مقصوده، وليس له مقصود سوى الله، يقنع بقليل الدنيا عن كثيرها، ويكتفي بالقوت الذي لا بد منه، ويقتصر على ما لا بد منه من مهنة الدنيا من الملبوس والمفروش والمأكول، ومما اختص به: إيثار الجوع على الشبع، والقليل على الكثير، وترك العلو والترفع، وبذل الجاه، والشفقة على الخلق، والتواضع للصغير والكبير، والإيثار ولو كان به خصاصة، ومما اختص به: حسن الظن بالله، والإخلاص في المسابقة إلى الطاعات، والمسارعة إلى جميع الخيرات، والتوجه إلى الله والانقطاع إليه، والصبر على بلائه والرضا عن قضائه، والعكوف على دوام المجاهدة فيه، طمعاً في الوصول إلى المراد، وهو عبادة الله على المشاهدة: (أن تعبد الله كأنك تراه)،

**[المفتاح الرابع عشر]**: (الصوفية الحقة): هم أهل الفتــوة: و (الفتوة): كف الأذى، وبذل الندى، وأن يكون العبد أبداً في مساعدة غيره، وهذا الخُلُق لا يكون كماله إلا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإن كل أحد في القيامة يقول: نفسي نفسي: وهو صلى الله عليه وآله وسلم يقول (أُمَتي أُمَتي)، والفتوة تطبيق عملي لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (لا يزال الله في حاجة العبد ما دام العبد في حاجة أخيه المسلم)، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (من نفّس عن مسلم كُربةً من كُرب الدنيا نفّس اللهُ عنه كُربةً من كُربِ يوم القيامة، ومن يَسّر على مُعسر في الدنيا يسّر اللهُ عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر على مُسلمٍ في الدنيا ستر اللهُ عليه في الدنيا والآخرة، واللهُ في عونِ العبد ما كان العبد في عون أخيه)، و (الفتوة): مرجعُها إلى سخاوة النفس، وهو شرط في أهل التصوف

فلا يوجد صوفي بخيل، وهي تشتمل على عدة معان: أهمها: (الإيثار)، قال تعالى: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: 9]، و " الثاني ": كرم الضيافة، ويكفي فيه قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلْيُكرِم ضيفه)، والصوفية لهم في القيام بحقها القدح المعلى، لا ينزل بهم غريب إلا لقي إكراما وحفاوة ومساعده، و " الثالث ": صلة الإخوان والأرحام، وأهلُ التصوّف مَضرب المثل في التواصل والتعاون، ومساعدة أصحاب الحوائج في قضائها،

**[المفتاح الخامس عشر]**: (الصوفية الحقة): مثالهم بين المسلمين، كمثال أناس أدعوا حب الملك سبحانه لذاته، فعرض عليهم الدنيا وزينتها، فافتتن بها أكثرهم، قال تعالى {منكم من يريد الدنيا}، وبقي القليل، فعرض عليهم نعيم الجنة فانصرف إليها أكثر الباقين، قال تعالى {ومنكم من يريد الآخرة}، وبقي أقل القليل، {يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ}، لا يريدون سواه، لم يفتتنوا بدنيا ولا بآخرة، ولم تشغلهم عن ربهم جنة ولا نار فهؤلاء هم الصوفية، قالوا بلسان الحال: ما عبدناك إلا لوجهك، فإن قيل لهم: إن لكل قول حقيقة فما حقيقة صدقكم، فإنهم سيقولون: إن عبدناك يا ربنا ابتغاء جنتك فاحرمنا منها، وإن عبدناك خوف نارك فاجعلنا اول الداخلين لها والمصطلين بجحيمها، ما عبدناك إلا لجناب ذاتك، وجميل صفاتك، أنت وحدك المستحق أن تعبد، لا إله إلا انت، ولا معبود بحق سواك، فسلط الله تعالى عليهم البلاء كاختبار فاستعذبوا في ذات الله البلاء، وقالوا: وعزَّتك يا رب وجلالك لو صببت علينا البلاء صبًّا ما تحولنا عنك، لا نريد إلا إياك ولا يشغلنا عنك شيء، فهؤلاء هو الصوفية الحقة ومن عداهم أدعياء للصوفية، أو جاهلون بحقيقة التصوف، ولا ينبغي أن نفهم قولهم: (ما عبدناك خوفا من نارك، ولا طمعا في جنتك) على الإطلاق، ولا على المعنى المغلوط، لأنه قد يحتمل معنى احتقار (الجنة والنار) وقد عظمهما الله تعالى، فلا يصح احتقارهما من مسلم أبدا، فضلا عن صوفي تحقق بالإحسان، وقد يحتمل معنى (الاستغناء)، ولا غنى لمؤمن عن رحمة الله وفضل الله ورضا الله، فضلا عن صوفي ذاب في محبة مولاه، نعم لم يقصدوهما بالعبادة، بل عملوا لله لا لشيء سواه، ولا يشغلهم عن الله شيء، ولكنهم يعظمون ما عظم الله ويجلون ما أجل الله، ويعلمون أن النار موضع غضبه وسخطه وعقابه، وهم أهل المحبة لا طاقة لهم لغضبه، ولا غنى لهم عن بركته ورحمته، ولكنهم يعبدون الله آداء لحق العبودية، والعبد الحق لا يطلب آجرا من سيده ومولاه فكيف بخالقه الرب الإله، وهم يقولون: إذا لم يخلق الرب تبارك وتعالى جنة ولا

نار، ألم يكن اهلا لأن يعبد، وأن يطاع، وقد جاء في الخبر: (لا يكن أحدكم كالعبد السوء، إن لم يخف لم يعمل، ولا كالأجير السوء، إن لم يعط الأجرة لم يعمل)، فالحامل لهم على طاعة الله محبة الله وابتغاء رضاه، وانه وحده الإله الحق المستحق للعبادة، والرب الحق المستحق أن يشكر لعظيم صفاته، وكريم هباته،

**[المفتاح السادس عشر]**: [17] الصوفية الحقة: هم وحدهم من تفرد بسلوك الطريق إلى الحق، عندما اكتفى غيرهم بأدنى من ذلك، هم المهاجرون إلى الله حقيقة، تركوا الدنيا والآخرة ابتغاء وجه الله، هم المهاجرون إلى الله إذا هاجر غيرهم إلى الدار الآخرة، قال تعالى: {وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [النساء: 100]، وهم المجاهدون في الله، عندما جاهد المجاهدون في سبيل الله، قال تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} [العنكبوت: 69]، وهم المجاهدون في الله حق جهاده لا يتوقف جهادهم حتى يلقونه، قال تعالى: {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ} [الحج: 78]، جمعوا بين جهاد النفس والشيطان والدنيا والهوى وجهاد الاعداء، جاهدوا النفس حتى فنوا عنها في الله، وجاهدوا الدنيا حتى استوى عندهم حجرها وذهبها، وجاهدوا الشيطان حتى آيس منهم {إلا عبادك منهم المخلصين}، وأماتوا الهوى في الله، حتى صار هواهم تبع لما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكانوا دائما على الرباط في الثغور أمام الاعداء، وهم احق الناس بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الله تعالى قال: من عادى لي وليّاً، فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل، حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه) [رواه البخاري]، فهو الذي يسمع بالله ويبصر بالله ويتحرك بالله،

**[المفتاح السابع عشر]**: (الصوفية الحقة): في أول سيرهم (مريدون) لا همة لهم إلا ذكر الله وشكره، وقطع المنازل من اجل الوصول إلى قربه ورضاه، وفي وسط السير (محبون سالكون) يقفون على باب الحق، يطرقون الباب لا يكلون ولا يملون انتظار رحمة الله، وحتى يُفتح الباب، فينعمون برؤية الله وشهوده بقلوبهم وبصائرهم، وعند تقدم السير هم (الاولياء العارفون المحققون)، هم أهل الفناء عن السوى بالله وهو أهل البقاء بالله عما سواه وهم أهل التجريد والتفريد والجمع

والتوحيد، وجميعهم يشملهم اسم التصوف، لا يشغلهم عن الله شاغل ولا يردهم عن طريق الله راد ولا قاطع، رفضوا العلائق التي تشغلهم عن الله، وقطعوا العوائق التي تعوقهم عن السير في طريق الله، وغابوا في الأحوال مع الله، وأفناهم الجمع بالله عما سوى الله، وهؤلاء هم عباد الله حقا وأولياؤه صدقا، ومن عداهم متمصوفة، لا يستحقون اسم التصوف ولا رسمه، وهم عبء على التصوف واهله،

**[المفتاح الثامن عشر]:** الصوفية الحقة: هم سادة وقادة أهل الطريق إلى الله، هناك أهل الطريق إلى الدنيا يعملون بعمل الآخرة ابتغاء الدنيا، يطيعون الله ويؤدون الفرائض ويجتنبون الكبائر من أجل أن يوفقهم الله تعالى في الدنيا، قال تعالى: {مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ}، وهناك أهل الطريق إلى الجنة، يعملون من أجل الآخرة، يعملون من أجل أن يصرف الله تعالى عنهم عذاب النار وان يمن عليهم بالجنة، قال تعالى: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ}، وهناك أهل الطريق إلى الله، يريدون وجهه ورضاه، يعبدون الله لله، لا يشغلهم عن الله نعيم جنة ولا عذاب نار، وهؤلاء قال الله تعالى فيهم: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ}، وهؤلاء هم الصوفية الحقة،

**[المفتاح التاسع عشر]:** الصوفية الحقة: هم السائرون إلى الله وحده، لا إلى شيء سواه، يسيرون بالله لأنه لا حول ولا قوة لهم إلا بالله، ودافعهم من السير هو الوصول إلى الله، يظلون سائرين يقطعون المنازل حتى يصلوا إلى الحضرة الأحدية حيث تجليات الحق بجناب ذاته، وهي جنة المعارف يغترف فيها العارف في كل لحظة من المعارف والتجليات ما هو فوق الحصر والعد والوصف، لا حد لها ولا غاية ولا نهاية، فجناب الحق أجل من ان يتصل به شيء أو أن ينفصل منه شيء، كيف وله الأحدية المطلقة فلا جزء ولا كل ولا اتصال ولا انفصال، ولا كفء ولا مثيل، إذ جناب الذات أحد صمد لم ينفصل منه شيء ولا يتصل به شيء ولم يكن له كفوا أحد، ومهما بلغ العبد وترقى في تجليات التوحيد ومعارفه، فإنّه قاصر عن بلوغ كمال التوحيد الذي لا حد له ولا منتهى، لتعلقه بالمنزه عن الحدود والغايات والنهايات، فلا حد ولا غاية ولا نهاية، @@@

**[المفتاح العشرون]**: (التصوف الحق): قام على قضية رئيسة هي السير إلى الله والدخول على حضرته ولذلك تعلقت كافة مجالاته بهذا الامر، والصوفية الحقة: هم العارفون بالطريق إلى الحق، وآداب الدخول على الحق، وهم العارفون بأن هناك حجب تمنع من دخول الحضرة القدسية فاجتهدوا في معرفة تلك الحجب والوسائل إلى إزالتها، وعلموا أن أعظم الحجب عن السير هو النفس الامارة بالسوء فنشا عندهم ما يعرف بعلم تزكية النفس وتبديلها من أمارة بالسوء إلى زاكية راضية مرضية كاملة، وهم العارفون بأنه لا يصح السير إلا لصاحب القلب السليم، فنشأ عندهم ما يعرف بعلم المعاملات، وتكلموا في كبائر القلوب وكيفية السلامة منها حتى يشفى القلب المريض ويتهيأ للسير إلى الله، وهم العارفون بأن هناك أعداء للإنسان يمنعون من سيره كالشيطان والدنيا والنفس والهوى فنشا ما يعرف بالمنهج السلوكي للتغلب على هؤلاء الاعداء، وهم العارفون بأن الدخول على الحق لا يكون إلا لأهل الطهارة الكاملة ظاهرا وباطنا فنشأ عندهم ما يعرف بالتخلية الظاهرة والباطنة والتحلية الظاهرة والباطنة، وقالوا بمنهج التخلي ثم التحلي ثم التهيؤ لقبول فيض التجلي، وهم العارفون بأن السير إلى الله والدخول على حضرته يستلزم قطع مراحل ونزول منازل، فنشأ عندهم ما يعرف بعلم المنازل وضبطت تلك المنازل بحيث يكون السائر على بينة من سيره إلى الله، وهذا العلم هو أساس التصوف، أكرمهم الله تعالى بالدخول على حضرات التجليات الأسمائية المتعلقة بأفعال الله تعالى وصفاته وجناب ذاته، فعاشوا مع تجليات الأسماء، ونشا عندهم ما يعرف بعلم التخلق والتعلق والتحقق بالأسماء الحسنى، ثم أكرمهم الله تعالى بالسرائر النقية والمعارف الوهبية ، فنشأ عندهم ما يعرف بعلم الحقائق، وتكلموا في حقائق الوجود بما لا يتهيأ لأحد غيرهم، ولا يقاربهم فيه أحد، هذا هو التصوف الحق، علم راسخ ومنهاج تربوي قويم وسلوك عملي يتناول تحقيق (مرتبة الإحسان)، أعلى مراتب الدين،

**[المفتاح الحادي والعشرون]**: أهل (التصوف الحق): أهل احترام للتخصص العلمي، اتفقوا مع المتكلمين والفقهاء من أهل السنة والجماعة في معتقداتهم وقبلوا علومهم، ومن لم يبلغ من الصوفية مراتب المتكلمين والفقهاء فإنه راجع إليهم فيما أشكل عليه، ثم إنهم بعد ذلك ارتقوا إلى درجات عالية وتعلقوا بأحوال شريفة ومنازل رفيعة وأخلاق عظيمة، هم أهل حقائق التقوى، وهم أحق الناس بالآية: {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [البقرة: 282]، ولهذا فإن الصوفي المتحقق لا يكون إلا فقيها أصوليا، يحتاج إليه غيره، وهو في غنى بالله عن غيره، لذا تتلمذ اكابر الفقهاء

والأصوليون على أيدي الصوفية الحقة، وإذا اكتمل فقه الفقيه وإذا اكتمل علم الأصولي وأراد الله به الخير جلس تلميذا على بساط الصوفية ينهل من علومهم ما لا يمكنه ان يتعلمه من غيرهم، ولذا قال العارفون نهاية العالم بداية الصوفي، أما نهاية الصوفي فهي الوراثة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم،

**[المفتاح الثاني والعشرون]: هناك صنف من اهل التصوف :** اعتقدوا التصوف الرهباني، واستغرقوا في الأوراد وكثرة العبادة، وهؤلاء على خير ولا يلام أحدهم، وأصدق ما يقال عن هؤلاء أنهم عباد، لانهم ليسوا على ثغر التصوف الكامل، لان أهل التصوف الحق يجب أن يقوموا على جميع ثغور الدين وجوانبه، مع حراسة دائمة على القلب ألا يلتفت إلى غير الله، هم القائمون على ثغور الدين، وهم الدعاة إلى الله وهم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وهم الساعون في الاصلاح، وهم ورثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حمل دعوته وتبليغ رسالته ونصرة دينه، **وهناك صنف آخر:** غالوا في تتبع الكرامات وسرد الحكايات، شغلوا أنفسهم بسرد القصص الخرافية والمبالغات الخيالية في كرامات الأولياء دون تحقق، وقد تجد أحدهم لا يقيم الصلاة كما ينبغي، ثم يشغل نفسه عن أعمال الطاعة والعبادة بسفاسف الامور، والقيل والقال، هؤلاء ليس لهم من التصوف إلا اسمه، وليس لهم من طريق التصوف إلا رسمه، (تصوف هؤلاء) قائم على مراعاة المظاهر دون الغوص في الحقائق، (تصوف هؤلاء) مشوه اتخذ الركون إلى الدعة والراحة طريقا، والخرافة والهروب من الواقع مذهبا، وهؤلاء عالة على التصوف، وهم في واد والتصوف في واد آخر، **وهناك صنف ثالث:** أدعياء متمصلحون من الانتساب للتصوف، يأخذون منه عرض الحياة الدنيا، وهؤلاء أجرموا في حق التصوف، فإن مبدؤه الزهد في الدنيا ابتغاء وجه الله، **وهناك صنف رابع: غلاة مبتدعون،** ضررهم على التصوف أكبر من نفعهم، لأنهم يشوهون سمعته وينفرون الناس منه، **وهناك صنف خامس:** مغرضون انتسبوا إليه، لأجل الإساءة إليه بأقوالهم وأفعالهم وسلوكهم، والتصوف الحق من أمثال هؤلاء وهؤلاء براء، ووجودهم لا يقدح في التصوف الحق، لان التصوف الحق هو روح الإسلام، ولا حياة لجسد الإسلام بلا روح، ولذلك كان لا بد من التفريق بين أدعياء التصوف، وبين الصوفية الصادقين، عندما نقول (الصوفية) فإن المراد بهم أمثال الفضيل بن عياض، ومعروف الكرخي، وبشر الحافي والجنيد لسان الطائفة، والسادة القادة الهداة المهديين: عبد القادر الجيلاني، وأحمد الرفاعي، وأبي الحسن الشاذلي وأحمد البدوي وإبراهيم الدسوقي ونظراؤهم من

الأولياء المرشدين على مر عصور الإسلام، ولا تخلو الأرض من أمثالهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها،

**[المفتاح الثالث والعشرون]:** هناك فرقة مغالية هي الوهابية تسترت بمسمى السلفية، وإنما أسلافهم الحشوية والمجسمة والخوارج، حاولت تلك الفرقة مزاحمة أهل السنة والجماعة في مسماها، بل وحاولت حين غفلة من أهل العلم سحب البساط من تحت أقدام أهل السنة والجماعة لتنسبه لنفسها، ولكن الميزان النبوي لا زال عاملا، فإن سواد أهل السنة والجماعة على مر عصور الإسلام هم أهل المذاهب العقدية والفقهية والصوفية المعروفة والتي لاقت قبولا عند سواد اهل الإسلام الاعظم، وهؤلاء هم أدعياء للسلفية، والسلف من بدعهم براء، وديدن هؤلاء شن الحروب على التصوف برمته، صالحه وطالحه، وهم لا يفرقون في ذلك بين الصوفية الصادقين الأولياء وبين الأدعياء، مع أنه قد مرت عصور كاملة، وقرون تامة، يندر أن يكون فيها المسلم لا يلتزم بمنهج صوفي للتزكية، وطريقة صوفية تأخذ بيده نحو رضا الله، إنّ السلفية نسبة كريمة لأنها نسبة إلى السلف الكرام، وهم أهل القرون الثلاثة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالخيرية، فالسلفية الحقة تنتمي إلى هذا السلف الصالح، ولكن السلفية الحقة الأصيلة قد ابتليت بهؤلاء الأدعياء، نسبوا أنفسهم إليها وهي منهم براء، بل هم عند اهل العلم بالدين من فرقة الحشوية، وهو لقب أُطلق على طائفة من المبتدعة الذين اعتقدوا بلوازم التجسيم من الحد والصورة والتغير والحدوث وقبول الحوادث والكون في المكان وأنه بذاته على العرش، وأخطر ضلالاتهم: الوقيعة في مذاهب أهل السنة والجماعة المتخصصة في العقيدة والفقه والتصوف، وهم في عصرنا الحالي يمثلون خطرا على علوم الدين ومعارف الدين ومنظومة التخصص العلمي لدى أهل السنة والجماعة، وذلك لانهم قطاع طرق على علوم الدين المؤصلة في صورة المدافعين عنه، يرفعون راية التمسك بالكتاب والسنّة، ويصولون بها على أهل العلم والفقه المتخصصين في علوم الدين، فيهدمون صروح التخصص العلمي الإسلامي، وقد سماهم أهل العلم بالحشوية: لأنّهم يحشون عقائدهم بالمستحيلات العقلية، وهم أبعد الناس عن العقل وأدلته القطعية، ولأنهم يحشون أنفسهم في زمرة أتباع السلف، والسلف من زيغ عقائدهم براء، ويزعمون أنهم أهل الكتاب والسنّة، وهم أبعد الناس عن فقه الكتاب والسنّة، وأبعد الناس عن أدلة التقديس والتنزيه التي امتلأت بها أدلة الكتاب والسنّة، يتقمصون التزكية، وهم أبعد الناس عن روح التزكية، ويزعمون الإحسان ويتكلفون شرح منازله ومقاماته،

وهم أجهل الناس بحقائقه وعلومه ومعارفه، وديدن هؤلاء محاربة أهل التصوف مع انهم الاولياء الصديقون، وتشويه سمعة التصوف مع أنه أجل علوم الدين لأنه القائم على تحقيق مرتبة الإسلام أعلى مراتب الدين، وليس معنى ذلك تبرئة التصوف مما علق به من أخطاء، فإن التصوف الإسلامي الأصيل بفعل تقادم الزمان ودخول الجهلاء والأدعياء يحتاج إلى تجديد، شأنه في ذلك شأن غيره من علوم الإسلام، لكنه لا يزال أعلى علوم الدين لأنه يتناول تحقيق مرتبة الإحسان اعلى مراتب الدين، وأهله الكُمل هم الصديقون، وهم الأولياء المرشدون أهل الوراثة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم،

***

## المبحث الخامس

## حال أهل نجد الذين يحاربون التصوف

**[المفتاح الأول]: حال نجد الحجاز التي خرج منها الشيخ محمد بن عبد الوهاب** كما وردت في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: أخرج البخاريُ في صَحيحِه عن مُحَمَّدِ بْنُ الْمُثَنَّى عَن حُسَيْنِ بْنُ الْحَسَنِ عَن ابنِ عَوْنٍ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: (اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا"، قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا؟ قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا، قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا؟ قَالَ: "هُنَاكَ الزَّلَازِلُ وَالْفِتَنُ وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ) [أخرجه البخاري]، وأخرج البخاريُ ومسلم عن مُسَدَّدٌ عن يَحْيَى، عَنْ إِسْمَاعِيلَ عن قَيْسٌ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرٍو أَبِي مَسْعُودٍ رضي الله

عنه قَالَ: أَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ نَحْوَ اليَمَنِ فَقَالَ (الإِيمَانُ يَمَانٍ هَا هُنَا، أَلاَ إِنَّ القَسْوَةَ وَغِلَظَ القُلُوبِ فِي الفَدَّادِينَ، عِنْدَ أُصُولِ أَذْنَابِ الإِبِلِ، حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ فِي رَبِيعَةَ وَمُضَرَ) [متفق عليه]، ونجد الحجاز هي جهة المشرق تماما بالنسبة إلى أهل المدينة المنورة حيث أشار الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد أخرج البخاري في كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (الفتنة من قبل المشرق) (7092) من طريق معمر عن سالم عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قام على المنبر فقال: (الفتنة ههنا، الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان، أو قال قرن الشمس)، وأخرج البخاري في كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (الفتنة من قبل المشرق) (7092)، ومسلم في كتاب الفتن، باب الفتنة من المشرق من حيث يطلع قرنا الشيطان (7292) بنحوه كلاهما من طريق الليث عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مستقبل المشرق يقول: (ألا إن الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان)، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام (قرن الشيطان) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (13: 46) (قوله قرن الشمس ويحتمل أن يريد بالقرن قوة الشيطان وما يستعين به على الإضلال)، وفي تحفة الأحوذي (10: 315) (قرن الشيطان: أي حزبه وأهل وقته وزمانه وأعوانه، وقيل يحتمل أن يريد بالقرن قوة الشيطان وما يستعين به على الإضلال) أهـ، قلت: ومن نظر إلى الخريطة وجد أنّ نجد تقع تماما في جهة المشرق بالنسبة إلى المدينة المنورة حيث أشار الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا يفند زعم البعض أنّ نجد المقصودة هي منطقة بالعراق، وآخرون أنّها منطقة بالشام، وكلامهم يفتقد إلى أدنى التحقيق والإنصاف، وذلك لأنّ نَجد الحِجاز كانت أرض الفَدّادين رِعاءِ الإبِل، والعراق كانت أرض زراعة وصناعة وتجارة وما كانت آنذاك أرضًا لرِعاء الإبل، كما أنّ "نجد" الحجاز هي بلاد ربيعة ومضر وليس نجد العِراق أو الشام ثم نحن لا نعلم نجدا معروفا إذا أطلق لفظ " نجد " سوى نجد الحجاز والتي ظهر منها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأتباعه من علماء الدعوة النجدية، التي ينتسبون إليها، وليس القصد من ذلك التجريح في اهل نجد، ولكن المقصود الحذر ثم الحذر مما ينفرد به أهل نجد من علوم الدين لأنه آنذاك يكون يقينا من الباطل الذي نفخ فيه الشيطان بقرنه، لأن الأحاديث دلت على التحذير من هذه المنطقة ومما يخرج منها من الضلال الذي يُخالف ما عليه عامة أهل السنة والجماعة من علوم الدين،

**[المفتاح الثاني]: أهمل الشيخ النجدي محمد بن عبد الوهاب (علم التقديس)** أهم قسم من أقسام التوحيد، والمتمثل في: قسم توحيد جناب الذات مما آل بهم إلى الوقوع في بدعة التجسيم وإن زعموا غير ذلك، فقد وقع عندهم الخلل كذلك في باب توحيد الربوبية والإلهية والعبودية، وهذا ليس بيت القصيد ، وإنما بيت القصيد هو **الخلل الجسيم عنده في فهم توحيد الألوهية والعبودية** حتى آل بهم الحال إلى تكفير عموم أهل القبلة – إلا أنفسهم– واستحلال حرماتهم ودمائهم وأموالهم بغير حق، لقد كان الخلل جسيما في فهم توحيد العبودية، ففسروها بمعناها اللغوي وهو الإتيان بأقصى غاية الذل والخضوع، **وذهلوا عن ضابطها الرصين** الذي يضبط أحكامها **ألا وهو اعتقاد الإلهية والربوبية لمن تُصرف له العبادة**، لقد كفر المشركون من كفار قريش بسبب اقرارهم بعبادة الأوثان، واقرارهم بأنها آلهة مع الله تنصر وتعز وتنفع وتضر، فسجدوا لها ودعوها وذبحوا لها ونذروا لها بهذا الاعتقاد، وزعموا أن لها شفاعة جبرية على الله بحكم المشاركة الجبرية في تدبير الكون، **إنّ الذهول عن ضابط العبادة** التي يكون صرفها لغير الله شرك اكبر، ألا وهو اعتقاد الربوبية والإلهية لمن تُصرف إليه تلك العبادة، لهو أشد الخلل والخطر في تكفير قطاعات عريضة من امة الإسلام من اهل لا إله إلا الله –محمد رسول الله واتهامهم بالشرك الأكبر لمجرد التوسل بالصالحين، وهذا التوسل خلاف فقهي وليس عقدي يوجب التكفير والتشريك، وقد اجازه الأكابر من علماء أمة النبي صلى الله عليه وسلم من السادة الأحناف والمالكية والشافعية والحنابلة، لقد حكى القرآن حال المشركين، فقال تعالى:: {إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ} [الصافات: 35 و 36]، وكانوا يقولون، كما حكى عنهم القرآن الكريم: { وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ} [ص: 4 إلى 7]، فقد يقف الأبن البار أمام والديه في غاية التذلل والخضوع والخشوع والطاعة يقبل أرجلهم وأيديهم، ولا يقع في الشرك الأكبر لأنه خلا قلبه من اعتقاد الربوبية أو الإلهية لأحد أبويه، وعلى نفسها جنت براقش، يقول الشيخ النجدي ابن عبد الوهاب وهو يتحدث عن نفسه، على قول ابن غنام وهو من اتباعه: **(الرسالة العاشرة للشيخ المجدد: من محمد بن عبد الوهاب إلى أهل الرياض و منفوحة: وأنا أخبركم عن نفسي: والله الذي لا إله إلا هو لقد طلبت العلم، واعتقد من عرفني أن لي معرفة، وأنا ذلك الوقت لا أعرف معنى "لا إله إلا الله" ولا أعرف دين الإسلام قبل هذا الخير الذي مَنَّ الله به، وكذلك مشايخي –**

**ما منهم رجل عرف ذلك، فمن زعم من علماء "العارض" أنه عرف معنى "لا إله إلا الله" أو عرف معنى الإسلام قبل هذا الوقت، أو زعم عن مشايخه أن أحدا عرف ذلك – فقد كذب، وافترى، ولبّس على الناس، ومدح نفسه بما ليس فيه)** [تاريخ نجد ابن غنام ص 309]، فالشيخ النجدي يزعم علانية أنه المكتشف الحصري والوحيد لمعاني التوحيد، فليس أحد قبله حاز هذا السبق وكل من زعم أنه يعرف معاني التوحيد التي جاء بها الشيخ النجدي فقد كذب وافترى ولبّس على الناس ومدح نفسه بما ليس فيه، وقوله أخطر مما نتصور، إذ معناه أنه لم يكن أحد قبله على الإسلام وعلى العلم بالتوحيد منذ قرون مديدة وبالتحديد منذ القرن الثامن حيث كان يعيش شيخه الأوحد شيخ اهل الحشو ابن تيمية والذي استوحى من كلامه بعض هذا الذي فهمه، ثم جاء بمزيد بيان عليه، وهكذا أُختزل الإسلام في ابن تيمية وابن عبد الوهاب، فمن خالف فهم الشيخ النجدي للإسلام والتوحيد والدين، تُطبق عليه فورا قاعدة التكفير، **<u>وظهر الخلل أيضا في فهم توحيد الربوبية</u>**، حتى زعموا أن المشركين زمان النبي صلى الله عليه وسلم كانوا على توحيد الربوبية ولم يكونوا كذلك، بل كانوا على بعض مفرداتها وحسب كالاعتراف بأنّه سبحانه الخالق، ولكنهم كانوا يظنون في آلهتهم المزعومة بعض مفردات الشرك في الربوبية كالإعزاز والاذلال، فقد كانوا يظنون أنّ لآلهتهم نوع من الشراكة مع الله في تدبير أمورهم، وكانوا يعتقدون أنها تستطيع إعزازهم ودفع الضر عنهم، قال تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا} [سورة مريم] فالآية ظاهرة الدلالة في أنهم يعتقدون أنها تحقق لهم الاعزاز والإذلال من مفردات الربوبية، وكانوا يظنون أنها تحقق لهم النصر، قال تعالى {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ} [سورة يس] والنصر من مفردات الربوبية إذ الرب هو الناصر والمعين، والمشركون على مر الأزمان يعتقدون أن أصنامهم تحقق لهم الحماية وأن لها القدرة على إلحاق السوء والضرر بمن يكفر بها ويذكرها بسوء، قال تعالى – حكاية عن قولهم واعتقادهم – {إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ} [سورة هود] وهذا معتقد المشركين، وعلى ذلك فهم مشركون في الربوبية باعتقاد بعض مفرداتها وصرفها لمعبوداتهم مع الله، وكانوا يعتقدون أنّ لها الشفاعة الواجبة لهم عند خالق السموات والارض، ولهذا خاطبهم الله تعالى بنفي شفاعتهم التي يظنونها لآلهتهم التي عبدوها من دون الله تعالى، قال تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} [يونس: 3]، **وظهر الخلل أيضا عندما فرق بين الربوبية والألوهية** مع أنه لا يمكن الفصل بينهما أبدا، بل التلازم بينهما جعل معاني الرب تدخل في معاني

الإله، فالرب هو الإله، والإله هو الرب، والرب هو المعبود والمعبود هو الرب، فمن أقر بأن الرب سبحانه لا يوجد معه رب سواه فلن يعبد غيره، ولن يتخذ إلها سواه، ولهذا جاء الخبر بانّ كل ميت سواء اكان مسلما ام كافرا سيسأل في قبره ثلاثة أسئلة، من ربك؟ وما دينك؟ وما نبيك؟ فلا فرق بين قول من ربك وقول من إلهك لأنهما متلازمان، وأدت تلك المفاهيم المغلوطة إلى غلو واضح في التكفير والتبديع والتفسيق، فلم تنج طائفة من طوائف المسلمين من هذا الغلو،

**[المفتاح الثالث]: تبنى محمد ابن عبد الوهاب نشر أفكار ابن تيمية شيخ الحشوية في زمانه بلا منازع، بقوة السيف والسنان**، وقد تبين عند علماء المسلمين خطؤها، ولكن زاد الطين بلة بما أضاف إليها من اجتهادات خاطئة في مباحث توحيد الألوهية، وفي مباحث توحيد الربوبية، وفي مباحث تقرير حقيقة الشرك الأكبر، وفي مجال نقل مباحث خلافية من علم الفقه كالتوسل والتبرك وبناء المساجد على القبور وشد الرحال لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم إلى علم العقيدة وإلصاقها بالتوحيد والشرك، وفي مجال الخطأ في الهجوم على علم التصوف برمته، بحسنه وسيئه، واعلان الحرب على أهله واستحلال حرماتهم لمسائل لا تبلغ بهم هذا الحال أبدا، وكانت فتنة عظيمة عمت جزيرة العرب لسنوات عديدة استحلوا فيها دماء المسلمين، وهاجموا البلدان وقتلوا المسلمين دون تمييز بين رجل وامرأة وطفل، حتى انهم كانوا يذبحون الرضيع على صدر أمه، كما قتلوا من وجدوه في المساجد والبيوت وكانوا يلاحقون الفارين يضربون أعناقهم، وأرعبوا الصغير والكبير وبطشوا بالقبائل حتى أبيدت قبائل بأكملها، وما ذلك إلا بناء على عقيدتهم التي ترمي أهل ملة التوحيد بالشرك الأكبر لتستحل بذلك دماءهم وأموالهم، وكانت فتنة عظيمة وأحداث دامية ارتكبها الوهابيون في حق المسلمين لا تختلف أبدا عن تصرف الخوارج مع أهل القبلة، إذا تمكنوا منهم فاستحلوا دماءهم واموالهم، وباختصار شديد أُشير إلى بعض أخطائه الجسيمة في أبوب العلم والدين والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل،

**[المفتاح الرابع]: (من المفاهيم المغلوطة ففي مجال توحيد الألوهية):** أخطأ في تفسير العبادة، ففسرها بمعناها اللغوي وهو الإتيان بأقصى غاية الذل والخضوع، وذهل عن ضابطها الذي يضبط أحكامها ألا وهو الإتيان بأقصى غاية الذل والخضوع لمن يعتقده إلها له صفات الإلهية والربوبية واستحقاق العبودية، وقد كان المشركون في زمان النبي صلى الله عليه وسلم يعبدون الاصنام ويعتقدون فيها بعض مفردات الإلهية والربوبية واستحقاق العبودية من دون الله، وكانوا يعتقدون

لأصنامهم بعض مفردات الربوبية استقلالا كالقدرة على النصرة والعز والنفع والضر من دون الله، وكنفوذ المشيئة لا محالة و لو بطريق الشفاعة لعابده عند الربّ خالق السموات والأرض، الّذي هو أكبر الآلهة في اعتقادهم ولهذا قالوا: {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ} [ص: 5 و 6]، وقالوا: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفي} [الزمر: 3]، وقد كفر المشركون بسجودهم لأوثانهم و دعائهم إيّاهم، وغيرهما من أنواع الخضوع لتحقّق هذا القيد فيهم، و هو اعتقادهم ربوبية من خضعوا له، أو خاصة من خواصها كما سيأتيك تفصيله لا يصحّ أن يكون السجود لغير اللّه فضلاً عمّا دونه من أنواع الخضوع بدون هذا الاعتقاد، عبادة شرعاً (كسجود الملائكة لآدم)، (وكسجود يعقوب عليه السلام وأخوة يوسف عليه السلام ليوسف عليه السلام) {وخروا له سجدا}، فانّه حينئذٍ يكون كفراً، وما هو كفر فلا يختلف باختلاف الشرائع، ولا يأمر اللّه عزّ وجلّ به {قُلْ إِنَّ اللّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ} [الاَعراف: 28]، {وَلا يَرْضى لِعِبادِهِ الْكُفْر} [الزمر: 7]، وذلك ظاهر إن شاء اللّه، ولكن لما رأى الشيخ محمد بن عبد الوهاب أنّ المشركين كانوا يتقربون لآلهتهم بالذبح والنذر والدعاء والاستعانة والاستشفاع والسجود والتعظيم ... الخ ظنّ أنّ مجرد إتيانهم هذه الأمور لذاتها هو العبادة، وأنّ كل عمل يصلح للتعبد به لا يقع إلا عبادة إن وقعت لله فهي التوحيد، وإن وقعت لغيره فهي الشرك، فأدى ذلك إلى الغلط في تصور العبادة والشرك المقابل لها، وإنّ الغلط في تفسير العبادة، كان المزلقةُ الكبرى والمزلَّة العظمى، الذي أُستحِلت به دماءُ لا تحصى، وانتهكت به أعراض لا تعد، عياذاً باللّه من المزالق والفتن،

**[المفتاح الخامس]: (من المفاهيم المغلوطة ففي مجال توحيد الربوبية)**: قال في مجموعة التوحيد: " وبعد فهذه أربع قواعد من قواعد الدين يميز بهن المسلم دينه من دين المشركين: القاعدة الأولى: أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا مقرين لله بتوحيد الربوبية يشهدون أن الله هو الخالق الرازق المحي المميت المدبر لجميع الأمور ولم يدخلهم ذلك في الإسلام والدليل قوله تعالى: {قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُون}" أهـ [مجموعة التوحيد ص 15 – 16]، والخطأ في هذا القول بين لأسباب عديدة، **منها**: أنّ توحيد الربوبية لله يعني اعتقاد أن الله أن الله تعالى هو وحده الخالق الرازق الهادي الشافي المحيي

المميت المتعهد بالتربية لجميع خلقه إذ هو رب العالمين، واعتقاد أن مقادير كل شيء بيد الله يرفع من يشاء ويخفض ويعز من يشاء ويذل ويهدي من يشاء ويضل ويوسع الرزق على من يشاء ويضيق ويحيي من يشاء ويميت، له في ذلك كله المشيئة المطلقة والإرادة النافذة لا حق لأحد في مراجعته وأمره كله عدل وفضل {لا يسأل عما يفعل وهم يسألون}، واعتقاد حقه المطلق في التشريع والحكم والأمر {ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين}، **هذا هو توحيد الربوبية عند الموحدين** ، ومن اعتقد بأن هناك من يملك الضر أو النفع أو التصريف أو التدبير في حياة الناس وغيرهم من المخلوقات من دون الله فقد أشرك في ربوبية الله عز وجل شركاً أكبر، ومن اعتقد أن لأحد من دون الله حق مطلق في التشريع المطلق بالتحليل والتحريم والحظر والإباحة والحكم والأمر والنهي دون الرجوع إلى حكم الله وشرعه فقد اتخذه رباً من دون الله، ومن اعتقد أنه يجوز التحاكم إلى شرع غير شرع الله فقد كفر بربوبية الله عز وجل لخلقه، هذا هو توحيد الربوبية عند المسلمين، **أما مشركو العرب فقد اعتقدوا بأن لآلهتهم قدرة ذاتية على النفع والضر** وهذا شرك في الربوبية وذلك باعتقادهم بقدرة غير الله على الضر والنفع والإعزاز والإذلال والنصر مستقلا عن الله، ويتضح ذلك في مثل قوله تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا} [مريم: 81]، وقوله تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ} [يس: 74]، **وكانوا يخوفون الرسل من بطش آلهتهم** وهذا يعني اعتقادهم أنها تنفع وتضر استقلالا وهذا واضح لمن تدبره في مثل قوله تعالى: {إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوَءٍ} [هود: 54]، وقوله تعالى: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} [الزمر: 36]، والخلاصة أن المشركين كانوا يعتقدون بأن الآلهة التي عبدوها وآمنوا بها تضر وتنفع وتنتصر وتنتقم وتنصر ولهذا اتخذوها أربابا من دون الله لعلهم ينصرون، وكذلك فإن اعتقاد المشركين كان يقوم على اعتقاد وجود الشريك الذي له تأثير مستقل في الخلق وتدبير مملكة الله، ولهذا أمر الله تعالى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم إخبار المشركين بالبراءة من الشريك كما في قوله تعالى: {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلَّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا} [الإسراء: 111]، وهذا يعني أن شرك المشركين لا يقتصر على شرك العبادة، ولكن معه شرك الربوبية الي يشمل اعتقاد الشريك في الملك والتدبير، وكذلك اعتقاد المشركين بوجود الند لله، والند كما جاء في معاجم اللغة هو الضد والشبيه والمثيل الذي له مشاركة في الملك والخلق والتدبير [انظر: تهذيب اللغة ج14 ص 51 و المفردات ص 486]، والمشركون كانوا يعتقدون في أصنامهم ومعبوداتهم أنها أنداد لله، والأدلة من

القرآن الكريم على ذلك كثيرة منها: قوله تعالى:: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ} [ابراهيم: 30]، وقوله تعالى: {قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [فصلت: 9]، وقوله تعالى: {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: 22]، وقوله تعالى: {أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي المَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الشورى: 9]، وقوله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [العنكبوت: 41]، كما أنّ المشركين كانوا يساوون بين الله تعالى وبين معبوداتهم، كما في قوله تعالى – واصفا معتقد المشركين الذي أوداهم إلى النار–: {قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [الشعراء: 96 إلى 98]، فهذه الآيات . التي تحكي عقيدة المشركين و هي أنّهم جعلوا للّه سبحانه تعالى أنداداً و أنّهم كانوا يسوّون آلهتهم بربّ العالمين في صفات ربوبيته وتدبيره وتصريفه للكون وما فيه، كما أنّ المشركين كانوا يلهجون بدعاء آلهتهم رجاء نصرتها لهم واعزازها لهم، إذ لا يعقل في تاريخ البشر أن يدعو أحد أحدا لا يرجوه لتحقيق منفعة أو رد ضر وإلا خرج من دائرة العقلاء، ورد الله تعالى عليهم اعتقادهم الباطل بقوله تعالى: {والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون * أمواتٌ غير أحياءٍ وما يشعرون أيّان يبعثون * إلهكم إلهٌ واحدٌ} [النحل: 20إلى 22]، وبقوله عز وجل {فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لمّا جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب) [هود: 101]، وقوله تعالى: {وما يتّبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون} [يونس: 66]، ويظهر جليا من هذه الآيات أن مشركي العرب كانوا يتخذون آلهة لهم من دون الله وكانوا يدعونهم عند الشدائد ويستغيثون بهم اعتقادا أنّها تسمع دعاءهم وتقدر على نصرهم وأنهم شركاء لله في ملكه العظيم، وبعد كل هذا الشرك الجلي في الربوبية يزعم الوهابيون أنّهم على توحيد الربوبية،

**[المفتاح السادس]: (من المفاهيم المغلوطة) خطأ المقارنة بين جهل المسلمين وبين شرك المشركين الأصليين: المسلم يعتقد أنه لا معبود بحق سوى الله، والمشرك يتخذ من دون الله أندادا وشركاء، والموحد يقر ويعتقد أنه لا إله إلا الله، والمشرك يعتقد بوجود آلهة مع الله، ويقول: {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ} [ص: 5]، والمسلم يعتقد أنّ: {اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}، والمشرك ينسب إليه الولد والوالد**

والصاحبة والبنات، والمسلم يوحد الله تعالى في أسمائه وصفاته وأفعاله، ولا يرى له مثيلاً ولا نظيراً في الأسماء والصفات والأفعال فهو المتفرّد في أسمائه وصفاته وأفعاله، والمشرك يلحد في أسمائه ويشتق منها أسماء لآلهته، كالعزى من العزيز، ويلحد في صفاته وأفعاله، وينسب إلى آلهته صفات القدرة والنفع والضر والإعزاز والإذلال، ويسوي الأصنامَ بربّ العالمين كما في قوله تعالى – وهم يتعاتبون في النار –: {تَاللّه إِنْ كُنّا لَفِي ضَلالٍ مُبين* إِذْ نُسَوّيكُمْ بِرَبِّ الْعالَمين} [الشعراء: 97، 98]، والموحد يعتقد أنّ الشفاعة لله جميعا، لقوله تعالى: {قُلْ للّهِ الشَّفاعَةُ جَمِيعاً} [الزمر: 44] وأنّ شفاعة الخلائق لا تكون قسراً على الله، وإنما لمن ارتضى، لقوله تعالى: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى} [الأنبياء: 28]، والمشرك يعتقد وجود الشافعين إلزاما على الله بما لهم من شراكة – على اعتقادهم الباطل – مع الله، ويدل عليه قوله تعالى: {وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ} [الأنعام: 94]، والمسلم يرى أنّ العزّة بيد اللّه سبحانه كما في قوله تعالى: {فَلِلّهِ الْعِزَّةُ جَميعاً} )فاطر: 10) والمشرك يرى أنّ العزة بيد الأصنام والأوثان بدليل قوله تعالى: {وَاتّخَذُوا مِنْ دُونِ اللّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزّاً} [مريم: 81]، والمسلم يرى النصر من عند الله تعالى وحده فهو الناصر وهو المعين، والمشرك يتخذ من دون الله آلهة لعلهم ينصرونه لقوله تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ} [يس: 74]، والمسلم يقر ويعتقد بنبوة ورسالة الرسول صلى الله عليه وسلم ويقولون (لا إله إلا الله – محمد رسول الله) معتقدين لها، والمشرك لا يؤمن بالرسول، ويقول – كما حكاه عنه القرآن الكريم –: {وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ * أَؤُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ} [ص: 4 إلى 8]، ولذلك لا يصح مقارنة أفعال جهلاء المسلمين ممن يتوسلون إلى الله تعالى بالصالحين من عباده ويفعلون أموراً تنسب إلى الجهل والبدعة ولا تنسب إلى الشرك في حق المسلم بحال، كالطواف حول القبور والتبرك بالصخور، وذلك لأنّ العقد سليم بأنّه لا إله إلا إله الله وأنّه لا معبود بحق سواه، وتلبسهم بصرف بعض العبادات جهلاً إلى غير الله لا يخول اتهامهم بالشرك الأكبر المخرج من الملة لأنّ ضابط الشرك الأكبر هو صرف العبادة بنية العبادة لمن تعتقد فيه الألوهية والربوبية أو شيء من صورهما، ومنه يتبين خطأ إمام الدعوة النجدية الشيخ محمد ابن عبدالوهاب عندما قال: (فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا

**بأمرين: أحدهما: أن الأولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والأولياء والأوثان مع الله إلا في الرخاء، وأما الشدة فيخلصون لله الدعاء كما قال تعالى: {وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُورًا}... الأمر الثاني: إن الأولين يدعون مع الله أناسا مقربين عند الله إما أنبياء وإما أولياء وإما ملائكة أو يدعون أشجارا أو أحجارا مطيعة لله ليست عاصية، وأهل زماننا يدعون مع الله أناسا من أفسق الناس، والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور من الزنا والسرقة وترك الصلاة وغير ذلك "[شرح كشف الشبهات ص 100- 103]، ومن المعلوم أن شرك الاولين اعتقادي فهم يأبون الانقياد للإسلام ويأنفون من قول لا إله إلا الله ومن الاعتراف بالرسول صلى الله عليه وسلم وينكرون البعث والنشور فكيف نقارنهم بمن اتى بالشهادتين واعتقدهما وأقر بهما ورضي بالإسلام دينا، وقد أدى هذا الاعتقاد إلى تكفير طائفة عريضة من جهال المسلمين واتهامهم بالشرك الأكبر، واستحلال دمائهم وأموالهم، وما ذاك إلا بسبب عدم تحرير الضابط للتفريق بين الشرك الأكبر والأصغر، وأنّ الأول اعتقادي والثاني عملي، والمسلم لا يشرك الشرك الأكبر إلا باعتقاد آلهة مع الله وأنداد من دون الله يصرفون إليهم العبادة من دون الله، وهذا لا يكون من مسلم أبدا،**

**[المفتاح السابع]: (من المفاهيم المغلوطة) الخطأ في تقرير حقيقة الشرك الأكبر واتهام الأمة بالوقوع في الشرك الأكبر**: فكما كان الخطأ في تقرير العبادة كان كذلك الخطأ في تقرير الشرك، وأنّه ليس مجرد صرف صور العبادة كالسجود والدعاء والذبح وغيرها من صور العبادة لغير الله تعالى، ولكنه الصرف المُصاحب بالاعتقاد لمن يصرف إليه صورة العبادة أنه إله معبود أو رب قادر، وإلا لم يكن شركا أكبر يُخرج من الملة إلى الكفر الاكبر، ومن ذلك الخطأ في فهم آية الزمر، ومعرفة حقيقة اعتقاد المشركين بربوبية معبوداتهم: قال تعالى {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفي إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ} [سورة الزمر: 3]، والولي في اللغة هو الناصر والمعين والمشركون اعتقدوا ذلك في آلهتهم بدليل قوله تعالى {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا} [مريم: 81]، فالآية ظاهرة الدلالة في أنهم يعتقدون أنها تحقق لهم العز، وقوله تعالى {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ} [يس: 74]، والآية ظاهرة الدلالة في أنهم يعتقدون أنها تحقق لهم النصر، وقوله تعالى {إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ} [سورة هود] وهذا معتقد المشركين على مر الأزمان يعتقدون أن

أصنامهم تحقق لهم الحماية وأن لها القدرة على إلحاق السوء والضرر بمن يكفر بها ويذكرها بسوء، وعلى ذلك فهم مشركون في الربوبية باعتقاد بعض مفرداتها وصرفها لمعبوداتهم مع الله، {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفي} ويستفاد من الآية: أنهم أقروا بعبادة أصنامهم وهو شرك في العبودية والألوهية (ما نعبدهم)، وأنهم زعموا أن عبادتهم للأصنام من أجل أن تقربهم إلى الله، ويستفاد كذلك كذب دعواهم في أنهم ما عبدوها إلا لتقربهم إلى الله زلفي، بدليل رد الله تعالى عليهم بقوله في خاتمة الآية {إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ}، وكذبهم مفاده أنهم يعبدونها لأنهم يعتقدون أنها تنصرهم وتعزهم وتحميهم وتعتري أعدائها بسوء وضر، وهذا كله من أعظم الشرك في ربوبية الله تعالى وإلهيته لعباده، وفي الحديث (أنا أغنى الأغنياء عن الشرك)، وقوله تعالى: { كَاذِبٌ كَفَّارٌ} صيغة مبالغة من كافر لأنهم كفروا بربوبية الله وألوهيته وكذبوا على الله ورسوله،

**[المفتاح الثامن]: (من المفاهيم المغلوطة) الخطأ في نقل مباحث خلافية من علم الفقه كالتوسل والتبرك وبناء المساجد على القبور وشد الرحال لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم إلى علم العقيدة وإلصاقها بالتوحيد والشرك**، وليس المقصد من الدعاء إلى تحقيق تلك المسائل هو الانتصار لرأي فقهي على حساب آخر، وليس هو من قبيل تهوين ما فعله الجهلاء عند مقابر الصالحين، فإن المساجد بيوت الله تعالى في الأرض، وهي دور العبادة والطاعة والصلاة، ولابد من تنزيهها عن أفعال الجاهلين وغلو المغالين وتسيب المستهترين، وإنما المقصد الأساس من ذلك هو بيان أنّ هذه المسائل تتبع الفقه ولا تتبع التوحيد، وتتبع السنّة والبدعة ولا تتبع الشرك والتوحيد، وتتبع الصواب والخطأ ولا تتبع الإيمان والكفر لأنّ المسلمين – على مر عصور الإسلام – مهما بلغ الجهل من بعضهم مبلغه، فلم يعبدوا إلا الله ولم يصرفوا العبادة إلا إلى الله، كيف وشعارهم هو (لا إله إلا الله)، ومن ثم تهذيب مسائل التوحيد والشرك، فلا يشوبها شائبة الغلو والجفاء، واتهام المسلمين بالشرك الأكبر وهم منه برآء، فعلاج الخلل لا يكون بالخلل، وعلاج الخطأ لا يكون بالخطأ، وعلاج التفريط لا يكون بالإفراط، ودين الله تعالى عدل ووسط بين طرفين،

**[المفتاح التاسع]: (من المفاهيم المغلوطة) الخطأ في الهجوم على علم التصوف برمته، دون تفريق بين الاولياء والادعياء**، واعلان الحرب على أهله واستحلال حرماتهم لمسائل لا تبلغ بهم هذا الحال أبدا، وإخراجهم من دين المسلمين أو من اطار أهل السنّة والجماعة بظلم وبغي ناشئ عن الغلو في فهم مفردات التوحيد والشرك والسنّة والبدعة، وقد كان الإمام ابن تيمية يفصل في مسائل

التصوف، وجعلهم طوائف منهم الصديقون والأولياء، ومنهم الأدعياء المرتزقة، ومنهم أهل الجهل والخرافة، ومنهم أهل البدعة والضلالة، ولكن الشيخ محمد ابن عبد الوهاب لم يفصّل وإنما اعتبر التصوف برمته ضلال ينبغي أن يُزال، مع أنّ السبب الاساسي الذي أُنشأ من أجله التصوف هو تزكية الباطن، وقد كان هو العلم المتخصص في إصلاح القلب وسلامته وتزكيته، وتخليته عن صفاته الذميمة، وتحليته بعظيم الآداب والأخلاق، وقد أجمع الفقهاء على أن الأمراض والآفات القلبية كالكبر والشح والحقد وغيرها من الذنوب والكبائر القلبية التي تحتاج إلى توبة وطهارة وغالبها لا ينفك عنها بشر، والتصوف هو العلم الذي اختص بمعالجة هذه الأمراض القلبية والعمل على تزكية النفوس والتخلص من صفاتها الناقصة الذميمة، كما أنه هو العلم الذي تخصص في بيان درجات الإحسان ومنازل المقربين من رب العالمين وهو العلم الذي تخصص في رسم الطريق العلمي العملي الذي يوصل المسلم إلى أعلى مقامات الكمال الأخلاقي مع الله تعالى ومع الناس، وقد كان السادة الصوفية الحقة هم العلماء العاملون الصادقون والمرشدون المربون والعارفون بمناهج التربية والإحسان، وبالتالي فإن إلصاق كل التهم بالصوفية دون تفريق ودون مبالاة بما دس على بعضهم، أو ألفاظ قالها بعضهم في ساعة ذهول لا يقصدها، أمر لا ينبغي، إن كلمة (صوفي) مثلها مثل كلمة (سلفي) كانت على مر عصور الإسلام السابقة – منذ القرن الثالث الهجري وإلى يومنا هذا – كلمة ثناء، وصفة مدح، فلا يعقل أن ينادي اتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى اقتلاع التصوف من جذوره، وابادة التصوف وأهله، وردم التراب على تراث المتصوفة بحجة تطهير المنهج من المبتدعة، فهل بعد هذا من تنطع، وأين يذهب أكثرية أهل السنة والجماعة في العالم اليوم في مصر والسودان وبلاد الشام، ودول المغرب العربي واندونيسيا والباكستان وغيرها من بلاد المسلمين، وليس معنى ذلك أن نبرأ جميع الصوفية من الخطأ، فهناك من أدعياء الصوفية من أساء للصوفية أكثر من أعداء التصوف،

**[المفتاح العاشر]: (من المفاهيم المغلوطة) استحلال دماء وأموال مخالفيه**: فقد استحل دماء المسلمين في نجد والحجاز بتهم الشرك والكفر والخروج من ملة الإسلام، ونظرة عابرة إلى تاريخ نجد لابن غنّام، نعلم كيف كانت (الغزوات)! على أعراب نجد والحجاز، وكيف كانت الدماء والحُرمات تُستحل حتى في المساجد، والغنائم توزع على المجاهدين وكأنّهم يحاربون عُباد الأوثان، لا مسلمين يقولون (لا إله إلا الله، محمد رسول الله)، ويعتقدون أنه لا إله ولا رب لهذا الكون إلا

الله، وأنّ كل ما جاء به رسول الله تعالى من عند الله حق يدينون لله به، هناك العديد من نصوص محمد بن عبد الوهاب والتي آلت به إلى تكفير المسلمين واستحلال دمائهم وحرماتهم، ومن تلك النصوص، قوله: – وهو يتحدث عن أربع قواعد في التوحيد –: (الأُولى): إنّ الكفار الذين قاتلهم رسول اللّه صلى الله عليه وسلم مقرّون بأنّ اللّه هو الخالق الرازق المدبر، ولم يدخلهم ذلك في الإسلام لقوله تعالى: {قُلْ مَنْ يَرزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَالأرضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ والأبصَارَ... فَسَيَقُولُونَ اللّه فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ} [يونس: الآية ٣١]، (الثانية): إنهم يقولون: ما دعونا الأصنام وما توجهنا إليهم الاّ لطلب القرب والشفاعة لقوله تعالى: {الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَولِياءَ مَا نَعْبُدُهُم اِلاّ لِيُقَرِّبُونا إلى اللّه زُلفي} [الزمر: الآية ٣]، وقوله: {وَيَعْبُدونَ مِنْ دُونِ اللّه مَالا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُم وَيَقُولُونَ هَؤلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللّه} [يونس: الآية ١٨]، (الثالثة): أنه ظهر صلى الله عليه وسلم على قوم متفرقين في عبادتهم، فبعضهم يعبد الملائكة، وبعضهم الأنبياء والصالحين، وبعضهم الأشجار والأحجار، وبعضهم الشمس والقمر، فقاتلهم ولم يفرق بينهم، (الرابعة): إنّ مشركي زماننا أغلظ شركاً من الأولين، لأن أولئك يشركون في الرخاء، ويخلصون في الشدة، وهؤلاء شركهم في الحالتين لقوله تعالى: {فَإِذا رَكِبُوا فِي الفُلْكِ دَعَوا اللّهَ مُخْلِصينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُم إلَى البَرِّ إذا هُمْ يُشْرِكُونَ} [العنكبوت: الآية ٦٥]، [رسالة أربع قواعد ص ١ . ٤] وهو يقصد بمشركي زمانه كافة المسلمين دون أتباعه، وذلك لأنهم يتوسلون بالنبي صلى الله عليه وسلم في شدتهم ورخائهم، ولذلك صاروا عنده أغلظ من مشركي عهد الرسالة، هذا مع أن التوسل بالرسول صلى الله عليه وسلم جائز عند جمهور الفقهاء، وقصاراه أنه من المسائل الفقهية الخلافية وليس من مسائل التوحيد والشرك، كما أنّ هناك فرقاً جلياً بين المسلمين وعبدة الأوثان والأصنام، فإنّ المسلمين يعبدون اللّه وحده، ولا يتوجّهون إلى النبي صلى الله عليه وسلم إلاّ بقصد أن يدعو لهم عند اللّه، ويشفع لهم عنده، وأين هؤلاء من عبدة الطاغوت الذين كانوا يعبدون الأصنام ولا يعبدون اللّه، ويتوجهون إليها على أنها آلهة تملك ضرهم ونفعهم، وهذا الخطأ أدى به إلى استحلال دمائهم على أنّهم مشركون، **وقد تكرر هذا الخطأ في رسالته كشف الشبهات**، حيث يقول في حق النبي صلى الله عليه وسلم: " أرسله إلى أُناس يتعبّدون ويحجّون ويتصدقون ويذكرون اللّه كثيراً، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات بينهم وبين اللّه، يقولون نريد منهم التقرب إلى اللّه، ونريد شفاعتهم عنده، مثل الملائكة وعيسى ومريم وأُناس غيرهم من الصالحين " [كشف الشبهات: ص ٣]، فانظر كيف وصف المشركين بأنّهم يتعبّدون ويحجّون ويتصدقون ويذكرون اللّه كثيراً، وهذه مغالطة فجة، فإنّ كفرهم كان في عبادة

غير الله، وانكار رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم اتخاذهم واسطة على سبيل الشراكة، فالوساطة لم تكن قط سبب شركهم، وإنّما عبادة غير الله: {ما نعبدهم إلا}، فقد أقروا بعبادتهم، ثم الوساطة الجبرية على سبيل الشراكة مع الله، وهذه وتلك لم يفعلها مسلم قط، إذ المسلم لا يعبد إلا الله، وهو بريء عن عقيدة الواسطة الشركية التي تكون جبرا على الله، وقصاراه التوسل بمن لهم جاه عند الله لقبول الأعمال، دون أي اعتقاد في شفاعتهم الجبرية على الله، **ويقول في موضع آخر ما نصه:** " إنّ التوحيد الّذي جحدوه هو توحيد العبادة، الّذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد، كما كانوا يدعون اللّه سبحانه ليلا ونهاراً، ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من اللّه ليشفعوا له، أو يدعو رجلا صالحاً مثل اللات، أو نبياً مثل عيسى " [كشف الشبهات، ص ٤]، وهو هنا لا يفرق بين الدعاء وبين العبادة، مع أنّ الدعاء لا يكون عبادة حتى يصاحبه اعتقاد الإلهية أو الربوبية لمن يدعوه، ولو كان الدعاء لعبد صالح من عباد الله، لعل الله تعالى ان يستجيب دعوته، فلا تكون الدعوة لهذا العبد عبادة له، وإنّما توسل به إلى الله، **ويقول أيضاً:** " تحققت أنّ رسول اللّه قاتلهم ليكون الدعاء كله للّه، والذبح كله للّه، والنذر كله للّه، والاستغاثة كلها باللّه " أهـ، وهذه كما كلها مفردات للعبادة إن اشتملت على اعتقاد الإلهية والربوبية لمن تُصرف له كانت عبادة، وإن لم تشتمل على تلك العقيدة لم تكن عبادة، **ويقول أيضاً:** « إنّ المشركين يقرّون بالربوبية وإن كفرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء) أهـ، وهذا خطأ، لأن كفرهم إنما كان لعبادتهم الملائكة والأنبياء لا لتعلقهم بها إذ ليس مجرد التعلق مع الاعتراف بعبوديتهم وعدم تفويض الأمر إليهم موجباً للتكفير، **ويقول أيضاً:** « إنّ الذين قاتلهم رسول اللّه مقرّون بأن أوثانهم لا تدبّر شيئاً وإنما أرادوا منها الجاه والشفاعة »أهـ، وهذا أيضاً خطأ، لأنّ كفرهم لم يكن لأجل طلب الشفاعة، بل لعبادتهم قال تعالى: {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّه مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُم وَيَقُولُون هَؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللّه} [يونس: الآية ١٨]، **ويقول أيضا:** " إنّ اللّه كفّر من قصد الأصنام، وكفّر من قصد الصالحين، وقاتلهم رسول اللّه " أهـ، وهذا أيضاً خطأ، لأنّ رسول اللّه صلى الله عليه وسلم كفّر من عبد الصالحين، لا من قصدهم، فمن قصد الصالحين لطلب الدعاء لا يكون كافراً أبداً، **ويقول أيضاً** – وهو يعلّم أتباعه كيف يناظرون المخالف–: " اقرأ عليه: {ادعوا ربّكم تضرعاً وخفيةً أنه لا يحبّ المعتدين} فإذا أعلمته بهذا فقل له: هل علمت هذا عبادة للّه؟ فلا بد أن يقول نعم، والدعاء مخ العبادة، فقل له: إذا أقررت أنها عبادة، ثم دعوت تلك الحاجة نبياً أو غيره، هل أشركت في عبادة اللّه غيره؟ فلابد أن يقول نعم " أهـ،، وهذا أيضاٍ خطأ، لأنّ الدعاء بنية العبادة، والدعاء لمن يعتقده

ربا وإلهاً، عبادة، وما خلا عن ذلك فليس بعبادة، والدعاء مخ العبادة لمن دعا من يعتقد أنه يدعو الرب الإله، فأين ذلك من دعوة الأنبياء والصالحين بمعنى التوسل بهم إلى الله، والذين يتكلم عنهم الشيخ مسلمون، لا يعبدون غير الله، ويعلمون أنّ هؤلاء عبادا صالحين لا يملكون شيئاً لأنفسهم ولا لغيرهم، إلا الشفاعة بفضل الله، فلا يجوز تشبيه دعاء الكافرين والمشركين لمن يظنون فيهم نوعا من الألوهية والربوبية، وبين دعاء المسلمين الموحدون، وبهذه القواعد المغلوطة توصل الوهابيون إلى تكفير المسلمين واستحلال محارمهم، بزعم انهم أشد كفراً من المشركين الأصليين،

**[المفتاح الحادي عشر]: مآسي المسلمين من غلو الوهابيين**: ترتب على غلو الوهابيين في فهم مسائل وأحكام التوحيد والشرك: استحلال دماء المسلمين، لغير سبب شرعي صحيح، وإليك الأمثلة: **(أ) هاجم الوهابية الطائف ليحرروها من الشرك!!** وكانت تحت حكم الشريف غالب حاكم مكة، ودخلوها عنوة في ذي القعدة 1217هـ: 1802م فقتلوا الناس بدون تمييز بين رجل وامرأة وطفل، حتى انهم كانوا يذبحون الرضيع على صدر أمه، كما قتلوا من وجدوا في المساجد والبيوت ولاحقوا الفارين من المدينة فقتلوا أكثرهم، وأعطوا الأمان للبعض فلما استسلموا ضربوا أعناق فريق منهم، وأخرجوا فريقاً إلى أحد الأودية، واسمه وادي الوج، فتركوهم مكشوفي العورة ومعهم النساء، ويذكر المؤرخ الشهير عبدالرحمن الجبرتي – وهو ذو هوى وهابي – في كتابه (تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار) أنهم (حاربوا الطائف وحاربهم أهلها ثلاثة أيام حتى غلبوا فأخذ البلدة الوهابيون، واستولوا عليها عنوة، وقتلوا الرجال وأسروا النساء والأطفال، وهذا رأيهم مع من يحاربهم) [من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي ص 90]، **(ب) احتلال مكة المكرمة**: بعد إرعاب أهل الحجاز بقتل النساء والأطفال خلال احتلال الوهابية للطائف عام 1217 هـ: 1802 م، بدأوا بمهاجمة مكة المكرمة بعد استيلائهم على الطائف مباشرة فدخلوها سنة 1218هـ: 1803م كما ذكر ذلك عبدالله بن الشريف حسين في (صدق الخبر في خوارج القرن الثاني عشر)، **أما مؤرخ الوهابية عثمان بن بشر الحنبلي النجدي** فيذكر ذلك في أحداث سنة 1220هـ، ومن أحداث تلك الفترة المشؤومة في محرم 1220هـ: 1805م أن الوهابية راحوا يقتلون الحاج ويأسرون من يمر بهم، واشتدَّ الغلاء في مكة بشكل فاحش لم تشهده من قبل حتى باع أهل مكة أثاثهم وحلي نسائهم بعشر القيمة، ليشتروا أقوات أطفالهم بأضعاف أثمانها، ومات الكثير من أهل مكة جوعا وانتشرت جثث الأطفال في الأزقة، بل وكما يذكر مؤرخ الوهابية عثمان النجدي في كتابه عنوان المجد في

تاريخ نجد (ج1، ص 135) أن لحوم الحمير والجيف بيعت فيها بأغلى الأثمان، وأكلت الكلاب، وأخذ الناس يهجرونها نتيجة الخطر الجاثم على أطرافها، فلم يبق فيها إلا النادر من الناس، **(ت) منع الحجاج من الوصول إلى بيت الله الحرام:** يذكر المؤرخ عثمان بن بشر الحنبلي في كتابه (عنوان المجد في تاريخ نجد) من أحداث 1221 هـ الحادثة التالية ص 139: " فلما خرج سعود من الدرعية قاصداً مكة أرسل فرَّاج بن شرعان العتيبي، ورجالا معه ... وذكر لهم أن يمنعوا الحواج التي تأتي من جهة الشام واسطنبول ونواحيهما، فلما أقبل على المدينة الحاج الشامي ومن تبعه، وأميره عبد الله العظم باشا الشام فأرسل إليه هؤلاء الأمراء أن لا يقدم وأن يرجع إلى أوطانه، ويقول مفتخراً ج1 ص 143 ولم يحج في هذه السنة أحد من أهل الشام ومصر والعراق والمغرب (أي بلاد المغرب العربي كله) وغيرهم إلا شرذمة قليلة من أهل المغرب لا اسم لهم " أهـ، **(ث) من مجازر الوهابية ضد الحجيج:** في سنة 1341هـ: 1921م التقت سرية من الوهابيين بحوالي ألف من أبناء اليمن القادمين لأداء فريضة الحج، فلما وصل الفريقان إلى وادي (تنومة) والوهابيون في الجهة العليا بينما اليمنيون في الجهة الدنيا، انقض المسلحون على الحجاج بأسلحتهم فأبادوهم فلم ينج منهم إلا اثنان، وقد برر الوهابيون هذه الفعلة بأنّهم ظنوا أن مجموعة الحجاج مجموعة مسلحة من أهل الحجاز فاشتبكوا معها، وهو عذر أقبح من ذنب كما ترى، [صفحات من تاريخ الجزيرة العربية، لمحمد عوض الخطيب، ص 198–199، عنوان المجد في تاريخ نجد لعثمان بن بشر الحنبلي،ص 139]، **(ج) حرق المكتبة العربية بمكة المكرمة:** أحرق الوهابية المكتبةَ العربية في مكة المكرمة وهي من أنفس مكتبات العالم، إذ كانت تحوي ستين ألفاً (60،000) من الكتب النادرة، وحوالي أربعين ألف (40،000) مخطوطة، بعضها مما أملاه النبي صلى الله عليه وسلم، وبعضها كتبه الخلفاء الراشدون وسائر الصحابة، ومنها ما هو مكتوب على جلود الغزلان والعظام والألواح الخشبية والرقم الفخارية والطينية، كما كانت المكتبة تشكل في جانب منها متحفاً يحتوي على مجموعة من آثار ما قبل الإسلام وبعده، **(ح) استباحة دماء المسلمين في المساجد: <u>جاء في كتاب تاريخ نجد للشيخ حسين بن غنام</u>:** " يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب: (إن عثمان بن معمَّر – حاكم بلد عيينة – مشركٌ كافر، فلما تحقق المسلمون من ذلك تعاهدوا على قتله بعد انتهائه من صلاة الجمعة، وقتلناه وهو في مصلاه بالمسجد في رجب 1163 هـ، ولنا أن نتساءل كيف يكون مشركاً من قُتل في مصلاه بالمسجد يوم الجمعة، وهو يعبد الله، لقد نالت شدة وبطش الوهابية العديد من المسلمين، حتى أبيدت قبائل بأكملها ومواقفهم مع العجمان والخوالد وآل رشيد معروفة، وما ذلك

إلا بناء على عقيدتهم التي ترمي أهل ملة التوحيد بالشرك الأكبر لتستحل بذلك دماءهم وأموالهم ونساءهم، ومن أراد أن يتتبع أحكامهم على المسلمين، وكيف أخرجوهم من الملة والدين، واعتقدوا فيهم أنهم مشركون، فليرجع إلى كتاب (مجموعة الرسائل والمسائل النجدية) فإنه سيجد في ذلك العجب العجاب، وكذلك كتاب (عنوان المجد في تاريخ نجد) الذي ألفه أحد علماء الوهابية وهو عثمان بن بشر النجدي الحنبلي، ونشرته مكتبة الرياض الحديثة بالمملكة العربية السعودية، فإن في هذا الكتاب من التعسف ومعاملة المسلمين معاملة الكافرين الصرحاء ما تشيب منه الولدان، (وبعد) فهذه بعض الأحداث الدامية التي ارتكبها الوهابية في حق المسلمين في تلك الآونة، ولنا أن نقول: هل كانوا حقيقة يُقاتلون كفاراً مشركين، أم يُقاتلون أهل الإسلام والتوحيد، الذين يدينون بلا إله إلا الله؟ وكيف بعد ذلك أنّ نصدق أنّهم السلفية على طريق السلف، اللهم اهد قومنا فإنهم لا يعلمون،

**[المفتاح الحادي عشر]: لماذا امتنع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الدعاء لنجد؟**

لعل السبب الأبرز في ذلك عداوتهم لأهل التصوف الحق، أهل الله الاولياء، الذين حذر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من معاداتهم في حديث البخاري: (إن الله تعالى قال: مَن عادى لي وليًّا، فقد آذنتُه بالحرب)، وأخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قَال: (اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا، قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا؟ قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا، قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا؟ قَالَ: هُنَاكَ الزَّلَازِلُ وَالْفِتَنُ وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ)، والراجح **والله أعلم بأن المقصود بالزلازل والفتن في احاديث النبي صلى الله عليه وسلم عن نجد هو ما أحدثته دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من فتن لا زلنا نعاني من آثارها إلى اليوم** حيث طرح ابن عبد الوهاب دينا موازيا يوازي دين الله تعالى الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وهو دين يحاول سحب البساط دائما من تحت أقدام أهل السنة لينسبه لنفسه، ومن نظر إلى فتن ابن عبد الوهاب في زمانه وقد اشرت إلى طرف منها لعلم قدر الأهوال التي لاقاها المسلمون في زمانه من آثار تلك الحملة التي أكلت الأخضر واليابس من تراث أمة الإسلام

***

# المبحث السادس

# مبادئ التصوف

مبادئ أي علم من العلوم عشرة: الاسم، الحدُّ، الموضوع، الواضع، الاستمداد، الحكم، المسائل، النِسبة، الفضل، والثمرة،، وهذا مثال تطبيق هذه المبادئ على علم التصوف،

**[المفتاح الأول]: اسم التصوف الإسلامي:** اسم التصوف: قد يكون مشتقا من الصوف لأنه لباس الانبياء وشعار الزهاد، **وكان رواد التصوف الأُول يؤثرون لبس الصوف الخشن للتقشف والزهد،** فنسبوا إليه، وقد يكون مشتقا من صوفة القفا للينها فالصوفي هين لين، وقد يكون مشتقا من الصفة إذ جملته اتصاف بالمحامد وترك الأوصاف المذمومة، وقد يكون مشتقا من (صُفة المسجد النبوي)، التي كان يسكنها قدوة أهل التصوف من المهاجرين الذين زهدوا في الدنيا وزينتها، والذين امتدحهم الله تعالى بقوله سبحانه: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ} [الكهف]، وقد يكون مشتقا من (الصَفاء) وهو الأصح، وهو الصفاء من أدران الكفر والفسوق والعصيان، وهو الصفاء من وسخ المخالفات، وهو صفاء الأقوال والأفعال والآداب والأخلاق مع الله ومع الناس، وهو صفاء الحال مع الله، وهو الصفاء مع الله برفض العلائق التي تشغله عن الله، وقطع العوائق التي تعوقه عن السير في طريق الله، وهو الصفاء من التعلق بالمحدثات، وهو الصفاء عن الغير والسوى والنفس والرسم، وهو صفاء المعاملةِ مع الله تعالى، فكل من صفى حاله مع الله فهو صوفي، صافاه الله فأوصله إليه، **كما قال أبو الفتح البستي: (تنازع**

**الناس في الصوفي واختلفوا... وظنه البعض مشتقاً من الصوف... ولست أمنح هذا الاسم غيرَ فتىً... صفا فصوفي حتى سُمي الصوفي)**، واعتراض البعض على التسمية باطل، لأنه لا مشاح في الاصطلاح، وقد أحدث غيرهم أسماء لما اختصوا به من العلوم، كالفقهاء للأحكام، والأصوليين للعقيدة، والمحدثين للحديث والقراء للقرآن، **وقد أرجع بعض المتحاملين على التصوف، الكلمة إلى أصل يوناني، هو كلمة: (صوفيا)، ومعناها عندهم الحكمة، وهذا الأمر لا دليل عليه ولا يرضى به أهل التصوف لأنهم يقولون: إن (التصوف) إسلامي النشأة والاستمداد، يتعلق بتحقيق مرتبة الإحسان، يستمد أصوله من الكتاب والسنة، ولا علاقة له بغير الإسلام، ولا يهم ها هنا المعنى اللغوي للتصوف، بقدر المعنى الحقيقي له ولمعانيه**، ألا وهو العلم والسلوك المتعلق بتزكية النفس وسلامة القلب وتحقيق مرتبة الإحسان الظاهر والباطن أعلى مراتب الدين،

**[المفتاح الثاني]: حَدّ التصوف الإسلامي**: حُد التصوف بوجوه تبلغ نحو الالفين ترجع كلها لصدق التوجه إلى الله تعالى وإنما هي وجوه فيه، وصدق التوجه مشروط بالشرع، فلزم العمل بالإسلام والإيمان، فلا تصوف إلا بفقه إذ لا تعرف أحكام الله تعالى الظاهرة إلا منه، ولا فقه ألا بتصوف إذ لا عمل إلا بصدق توجه، ولا هما إلا بإيمان إذ لا يصح واحد منهما بدونه فلزم الجمع بين الإسلام والإيمان والإحسان، كما لزم الجمع بين الفقه والعقيدة والتصوف، لتلازم الكل في الحكم كتلازم الأرواح للأجساد، وحَدّ التصوف الإسلامي هو أعْمَالُ الظَّاهِرِ وَالبَاطِنِ الْمُوْصِلَةِ إلى حقيقة مرتبة الإحْسَان، وأعمال الظاهر تظهر على الجوارح كالآداب والاخلاق والعبادات والمعاملات، واعمال الباطن التي تبطن في القلب فلا يطلع عليها أحد إلا الله، من الحب والخشية والخوف والرجاء والتوكل واليقين والصبر والشكر وغير ذلك من المنازل القلبية، وللإحسان درجات عديدة، أعلاها: تحقيق العبودية على المشاهدة: (أن تعبد الله كأنك تراه)، وأدناها: تحقيق العبودية على المراقبة: (فإن لم تكن تراهُ فإنه يراك)،

**[المفتاح الثالث]: موضوع التصوف الإسلامي**: موضوع التصوف هو تحقيق العبودية لله، إما على المراقبة للطالبين، وإما على المشاهدة للواصلين، (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، وقيل موضوعه النفوس والقلوب والأرواح لأنه يبحث عن تصفيتها وتهذيبها وتزكيتها، وقيل: موضوع التصوف هو التخلي ثم التحلي ثم التهيؤ لقبول فيض التجلي، فأما (التخلية الظاهرة)

فمعناها التخلي عن المعاصي التي تتعلق بالجوارح السبعة، وهي: اللسان والأذنان والعينان واليدان والرجلان والبطن والفرج، وأما (التحلية الظاهرة) فمعناها التحلي بالطاعات الظاهرة والباطنة، والمقصود بها أن يحلي السالك إلى الله تعالى هذه الجوارح السبعة بالطاعات المناسبة لكل منها، فهذه الجوارح السبعة منافذ على القلب إما أن تصب عليه ظلمات المعاصي فتكدره وتمرضه، وإما أن تُدخل عليه أنوار الطاعات فتشفيه وتنوره، و (التخلية الباطنة) معناها التخلي عن المعاصي القلب كالكبر والرياء والحقد والحسد، و (التحلية الباطنة) معناها التحلي بالطاعات الباطنة، وتحلية القلب بصفات الخلق العظيم كالتواضع والصدق والإخلاص، فمن تخلى عن المعاصي الظاهرة والباطنة وتحلى بالطاعات الظاهرة والباطنة، فقد تعرض لتجليات الحق الجلالية والجمالية، وتلك هي جنة الصوفي، جنة المعارف التي يرى فيها تجليات الحق بجناب ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، ولكمال التخلي والتحلي والتهيؤ للتجلي، لابد من صحبة الولي المرشد المؤتمن على دين الله عز وجل، ومتابعته على إرشاده جملةً وتفصيلاً، و (الصوفي): لا يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة من شيخ مرشد، يريه عيوب أعماله، ورعونات نفسه، ويدله على الطريق إلى الله، ولذا قالوا: (مَن صَحِب نَفْسَهُ صَحِبَه العُجبُ، ومَنْ صَحِبَ أولياءَ الله وُفِّقَ للوصول إلى الطريق إلى الله)، وقالوا: (من لا شيخ له في الطريق فشيخه الشيطان)، لأنه لا مناص للمسافر إلى الله، من دليل يدل على الطريق الطويل والوعر، فإن لم يكن له دليل من الأولياء المرشدين، تمشيخ عليه الشيطان من حيث لا يدري، ودله على الباطل،

**[المفتاح الرابع]: واضع التصوف الإسلامي**: واضع هذا العلم هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم، علمه الله له بالوحي والإلهام، فالدين إسلام وإيمان وإحسان، وقد قرر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أصول الإسلام من العبادات والمعاملات، وأصول الإيمان من العقائد التي تتعلق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر، وأصول الإحسان التي بها تحقيق الإحسان الظاهر والباطن، وأوضح أهم المنازل التي تتعلق بالإحسان والتي تبدأ بالمراقبة وتبلغ بالعبد عبودية الله على المشاهدة والعرفان، قال صلى الله عليه وآله وسلم عندما سأله جبريل عليه السلام: فأخبرني عَنْ الإحسان؟ قَالَ: (أن تعبد اللَّه كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) [أخرجه مسلم]، فأولها عبادة الله على المراقبة وأعلاها عبادة الله تعالى على المشاهدة، والتصوف أخلاق، ولذا قالوا: من زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف، ورسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم

هي رسالة الاخلاق، قال صلى الله عليه وآله وسلم: (بُعثت لأتممَ صالح الأخلاق)، واثنى عليه الحق سبحانه بقوله تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: 4]، ولما كان التصوف أعلى علوم الدين لتعلقه بأعلى مراتب الدين، فقد خص النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعض الصحابة دون بعض، وأبرز من تكلم فيه وأظهره من الصحابة سيدنا على كرم الله وجهه، وأخذه عنه الحسن البصري، وأخذه عن الحسن حبيب العجمي، وأخذه عن حبيب، أبو سليمان داوود الطائي، وأخذه عن داوود، معروف الكرخي، وأخذه عن معروف، أبو الحسن سري السقطي، وأخذه عن السري أمام هذه الطريقة ومظهر أعلام الحقيقة أبو القاسم الجنيد، وهو الذي ورث حال هؤلاء الأكابر، كشف كنوز معارفهم، وقام إماما للخلف جمع لهم مذهبا، وبنى لهم طريقا يتوصل الناس به إلى حقائق الإحسان، أسس المدرسة الأولى للتصوف: فهي مدرسة الإمام أبو القاسم الجنيد، اتخذت من المساجد منابر لدعوتها، وجعلت من حلقاتها معاهد لتخريج الرجال، وكان من بركة هذه المدرسة بعد ذلك: ظهور الأئمة الأقطاب أصحاب الطرق المتبعة المعروفة، وكبارهم: الشيخ عبدالقادر الجيلاني، والشيخ احمد الرفاعي، والشيخ إبراهيم الدسوقي، والشيخ أحمد البدوي، والشيخ أبو الحسن الشاذلي، أهل الهمم العلية والآداب القدسية، وبعد الجنيد ظل التصوف سلوكا إلى أن أتى الإمام أبو نصر السراج الطوسى، فأسس المدرسة الثانية: هذه المدرسة التي اتخذت من الكتب منابر لبيان التصوف الحق، وشرح رسالته، ونشر علومه وأذواقه ومعارفه ومعارجه ومنازله، وجعلت من صفحات هذه الكتب معاهد لتخريج الفحول من الرجال، وخزائن خالدة تحفظ للأجيال هذا التراث المضيء العظيم، اقتفى أثره الهجويري في كتابه (كشف المحجوب)، وتتلمذ عليه أبو عبد الرحمن السلمي صاحب الطبقات، وعلي السلمي: تتلمذ أبو القاسم القشيري، وقد حفظت هذه المدرسة للمسلمين تراث الجنيد وتلاميذ مدرسته، وأصبحت مدرسة السراج هي موسوعة التصوف العلمي، كما أصبحت مدرسة الجنيد هي مرجع التصوف السلوكي، وقد اشتملت مناهج (التصوف) العلمي والسلوكي على العديد من الأقسام، التي تتناول تزكية الأنفس، ومنازل الإحسان التي توصل إلى الحق المبين،

**[المفتاح الخامس]: استمداد التصوف الإسلامي**: استمداد التصوف أساسا من القرآن والسنة، قال الإمام الجنيد لسان الطائفة: (علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة) اهـ، وقال: (الطرق كلها مسدودة على الخلق، إلا على مَن اقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واتَّبع سُنَّته، ولزمَ طريقته)، وقال الإمام سهل التُّسْتَرِيّ: (أصولنا،، التمسكُ بكتاب الله تعالى، والاقتداء بِسُنّة رسوله)، وقال إبراهيم

النصر آباذي: (أصل التصوف: ملازمة الكتاب والسنة، وترك الأهواء والبدع، وتعظيم حرمات المشايخ)، وقال أبو سليمان الدَّاراني: (ربما يَقعُ في قلبي النّكتة من نُكت القومِ أياماً، فلا أقبلُ منه إلا بشاهِدَينِ عدلين: الكتاب، والسنة)، وقال الإمام ابو يزيد البسطامي: (لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرتقي في الهواء، فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند: الأمر والنهي، وحفظ الحدود، وأداء الشريعة)، فالتصوف استمداده أولا من القرآن والسنة ثم بعد ذلك، يستمد كمثل كل علم، من اجتهادات علمائه: الأولياء المرشدين، ومن فتوحات العارفين الوارثين، وإلهامات الصديقين والصالحين، وقد أدخلوا في علم التصوف أشياء من علم العقيدة والفقه لمس الحاجة إليها في علم التصوف، وقد حررها حجة الإسلام الغزالي في الإحياء في أربعة كتب: كتاب العبادات وكتاب العادات وكتاب المهلكات وكتاب المنجيات،

**[المفتاح السادس]: حكم التصوف الإسلامي:** ذهب حجة الإسلام الإمام الغزالي رحمه الله إلى أنه فرض عين على كل مؤمن، ولو لم يكن متدسيا بالأخلاق الذميمة، فيلزم كل أحد أن يتعلم أمراض القلب وكيفية تطهيرها، وقد استند الغزالي في رأيه هذا إلى أن الأصل عنده في الإنسان هو وجود هذه الأمراض وليس السلامة منها، لقوله تعالى في وصف الإنسان: {إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا}، وقوله تعالى: {وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا}، ولان الله تعالى يقول: {وذروا ظاهر الإثم وباطنه}، وباطن الإثم هو الذنوب الباطنة كالكبر والعجب والحسد والحقد، فيجب تطهير القلب منها ولا سبيل إلى ذلك إلا بالتصوف، **قال الغزالي:** (الدخول مع الصوفية فرض عين، إذ لا يخلو أحد من عيب، إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام)، **وقال العارف بالله أبو الحسن الشاذلي:** (من لم يغلغل في علمنا هذا، مات مُصراً على الكبائر وهو لا يشعر)، وذهب جمهور أهل العلم إلى ان تزكية النفس فرض عين في حق من تحقق أو ظن وجود مرض من الأمراض فيه، فيلزمه حينئذ تعلم سبل علاج ذلك المرض، **وقالوا:** إن تعلم أمراض القلوب فرض كفاية على المسلمين أن يوجد فيها العالم المتخصص في تزكية الانفس، كما أنه فرض كفاية على الأمة أن يوجد فيها العالم المتخصص في علوم العقيدة والفقه، **والحاصل:** أن التصوف هو روح الدين، ولا حياة للجسد بلا روح، وهو بالتالي يتناول كل مراتب الدين وفق أولويات كل مرتبة، فهو في مرتبة الإسلام ينهى عن كبائر الإثم الباطن كالكبر والبخل والغل والحقد، وهو في مرتبة الإيمان يأمر بالواجبات القلبية كالتوبة والمحبة والخوف والرجاء والتوكل، وهو في مرتبة الإحسان

يدعو إلى تحقيق الإحسان الباطن بالسير إلى الله وارتقاء منازله القلبية والسير إلى عبادة الله تعالى بالمراقبة ومن ثم على المشاهدة، أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك،

**[المفتاح السابع]: مسائل التصوف الإسلامي**: مسائل هذا العلم هي القضايا التي يبحث عنها السالك في حال سيره ليعمل بمقتضاها، وتتناول: كل ما يتعلق بالتصوف، تعريفه، وحقيقته، أعماله وآثارها، غايته الكبرى، أهدافه ووسائله، أركانه ومناهجه، أسسه وأصوله، آدابه واخلاقه، أحواله ومنازله، أوراده ومجاهداته ، قصته وتاريخه، أعلامه ومدارسه، أنماطه وانواعه، مفاهيمه ومصطلحاته، مفرداته وادلته عليها، علومه ومعارفه، نظرياته عن الوجود وحكمته، هذا كله يدخل في مسائل التصوف وسوف نفرد لها تعريفا وتوضيحا مستقلا إن شاء الله،

**[المفتاح الثامن]: نسْبَة التصوف الإسلامي: التصوف هو العلم القائم على مرتبة الإحسان أعلى مراتب الدين**، ومراتب الدين ثلاثة: هي: (الإسلام، الإيمان، الإحسان)، فمثلما اهتم الفقه بتعاليم شريعة الإسلام، ومثلما اهتم علم العقيدة بأركان الإيمان، فإن التصوف اهتم بتحقيق مقام الإحسان، وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، لذلك فإن (التصوف): علم عظيم له مباحثة القائمة على جهود علمائه في فهم أدلة الكتاب والسنة، وكما أنه من الخطأ أن نقول (الفقه مذهب إسلامي) لأن الفقه جزء من الإسلام، أو (العقيدة مذهب إسلامي) لان العقيدة جزء لا يتجزأ من الإسلام فكذلك من الخطأ أن نقول (التصوف مذهب إسلامي)، لأن الفقه يتناول العلم بالشريعة، فليس الفقه مذهب إسلامي ولكنه ركن من أركان الدين، وفيه مذاهب لفهمه على منهاج أهل السنة والجماعة، وكذلك علم العقيدة، ركن من أركان الدين، وفيه مذاهب لفهمه على منهاج أهل السنة والجماعة، وكذلك التصوف، فهو ركن من أركان الدين يتناول العلم بحقائق الدين التي هي أعمق علوم الدين، ويرسم الطريق للوصول إلى الله، وذلك عن طريق معارف ووسائل منها الاجتهاد في العبادات واجتناب المنهيات، وتزكية النفس وتطهير القلب بالتخلية من الأخلاق السيئة، والتحلية بالأخلاق الحسنة، وارتقاء المنازل إلى الله، وهذه المعارف وتلك المنازل وهذا المنهج يستمد أصوله وفروعه من القرآن والسنة النبوية واجتهاد العلماء فيما لم يرد فيه نص، فجعلوه علما سموه بـ (علم التصوف)، وألفوا فيه الكتب الكثيرة بينوا فيها أصوله وفروعه وقواعده، وأما نسبة التصوف من العلوم الأخرى فهو بالنسبة إليها كنسبة الروح إلى الجسد، إذ لا حياة للجسد إلا بالروح، وكذلك لا علم ولا عمل إلاَّ بالتصوف ويمثله الإخلاص وصدق التوجه إلى الله تعالى فالإخلاص شرط في

جميع العلوم، قال الشيخ زروق رضي الله عنه: (نسبة التصوف من الدين نسبة الروح من الجسد لأنه مقام الاحسان الذي فسره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لجبريل عليه السلام أن تعبد الله كأنك)، وأما باعتبار الوجود الخارجي فالعلوم الإسلامية الأخرى توجد في الخارج بدون التصوف لكنها ناقصة، ولذلك قال السيوطي: (نسبة التصوف من العلوم كعلم البيان مع النحو)، يعني هو كمال فيها ومحسن لها،

**[المفتاح التاسع]: فضل التصوف الإسلامي: يكفيه فضلا وشرفا، أن أهله الصادقون فيه – لا الأدعياء ولا الدخلاء – زهدوا في الدنيا والآخرة يريدون وجه الله لا غير، هم أهل السفر إلى الله، وهم أهل الطريق إلى الله، وهم وحدهم يعرفون منازل الطريق إلى الله، ووحدهم يسيرون في تلك المنازل، أماتوا أنفسهم في الله فأبقاهم به، فبه يسمعون وبه يبصرون وبه يتكلمون، هم الاولياء الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، هؤلاء أهل الفضل الحقيقي والشرف الحقيقي، ليس فوقهم إلا الأنبياء والمرسلين، قال الإمام أبو عبد الرحمن السُّلمي (412 هـ): (إن الصوفية أمان الله في أرضه، وأخدانُ أسراره وعِلمِه، وصفوته من خلقه، فمن أنكر هذا المذهب فلقلة معرفته وقِلة الاهتداء لحقائقه، وقل من يعرفهم إلا من يكون من جنسهم {وإذا لم يهتدوا به، فسيقولون هذا إفك قديم}) أهـ [المقدمة في التصوف: 43]، وقال الإمام عبد القاهر البغدادي (429 هـ) في كتابه الفَرْقُ بين الفِرَقِ – وهو يذكر أصناف أهل السنة والجماعة –: قال: (اعلموا أسعدكم الله أن أهل السنة والجماعة ثمانية أصناف من الناس:،، إلى أن قال: والصنف السادس منهم: الزهاد الصوفية الذين أبصروا فأقصروا، واختَبروا فاعتبروا، ورضوا بالمقدور وقنعوا بالميسور، وعلموا أن السمع والبصر والفؤاد كل أُولئك مسؤول عن الخير والشر، ومحاسب على مثاقيل الذر، فأعدُّوا خير الإعداد ليوم المعاد، وجرى كلامهم في طريقَيْ العبارة والإشارة على سَمْتِ أهل الحديث دون من يشتري لهو الحديث، لا يعملون الخير رياء، ولا يتركونه حياء، دينُهم التوحيد ونفي التشبيه، ومذهبهم التفويضُ إلى الله تعالى، والتوكلُ عليه والتسليمُ لأمره، والقناعةُ بما رزقوا، والإعراضُ عن الاعتراض عليه، {ذلكَ فضلُ اللهِ يؤتِيهِ مَنْ يشاءُ واللهُ ذو الفضلِ العظيمِ}) أهـ، وقال الإمام أبو نعيم الأصبهاني (430 هـ): (الصوفية: أرباب القلوب، المتسوّرون بصائب فراستهم على الغيوب، المراقبون للمحبوب، التاركون للمسلوب، المحاربون للمحروب، سلكوا مسلك الصحابة والتابعين، ومَن نحى نحوهم من المتقشفين والمتحققين، العالمين بالبقاء والفناء،**

**والمميزين بين الإخلاص والرياء، والعارفين بالخطرة والهمة والعزيمة والنية، والمحاسبين للضمائر، والمحافظين للسرائر، المخالفين للنفوس، والمحاذرين من الخنوس، بدائم التفكر، وقائم التذكر، طلبا للتداني، وهربا من التواني، لا يستهين بحرمتهم إلا مارق، ولا يدعي أحوالهم إلا مائق، ولا يعتقد عقيدتهم إلا فائق، ولا يحن إلى موالاتهم إلا تائق، فهم سُرُجُ الآفاق، والممدود إلى رؤيتهم بالأعناق، بهم نقتدي، وإياهم نوالي إلى يوم التلاق) أهـ [الحلية: 27 – 28]، وقال الإمام عبد الكريم القشيري (465 هـ): (لقد جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه، وفَضَّلهم على كافَّة عباده بعد رُسُلِه وأنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم، وجعلَ قلوبهم معادِنَ أسراره، واختصَّهم من بين الأمة بطوالع أنواره، فهُم الغَياثُ للخلقِ، والدائرونَ في عموم أحوالهم مع الحق بالحَقِّ، صفَّاهم من أكدار البَشَريَّة، ورَقَّاهم إلى مَحَالِّ المُشاهدات بما تجلى لهم من حقائق الأحَدِيَّة، ووَفَّقهم للقيام بآداب العُبوديَّة، وأشهدهم مجاري أحكام الرُّبوبية، فقاموا بأداء ما عليهم من واجبات التكليف، وتحقَّقوا بما منَّه سبحانه عليهم من التقليب والتصريف، ثم رجعوا إلى الله تعالى بصدق الافتقار ونعت الانكسار، ولم يتكلوا على ما حصل منهم من الأعمال، أو صفا لهم من الأحوال، عِلماً منهم: بأنه جل وعلا يفعل ما يُريد، ويختار مَن يشاءُ من العبيد، لا يحكم عليه خلق، ولا يتوجب عليه لمخلوق حق، ثوابه ابتداء فضل، وعذابه حكم بعدل، وأمره قضاء فَصْل) أهـ [الرسالة القشيرية: 36]، وقال حُجَّةُ الإسلام الإمامُ أبو حامد محمد الغزالي (505 هـ)، بعد انتهاء بحثه إلى التصوف ورحلته فيه: (أني علمت يقيناً: أن الصوفية: هم السَّالِكُوْن لطريق الله تعالى خاصَّة، وأن سيرتهم: أحسن السِّيَر، وطريقهم: أصوَبُ الطّرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق، بل لو جُمِعَ عقل العُقلاء، وحِكمةُ الحُكماء، وعِلمُ الواقِفين على أسرار الشَّرعِ مِن العُلماء، لِيُغَيّرُوا شيئاً مِن سِيَرهم وأخلاقهم، ويُبَدِّلوه بما هو خير منه، لم يجِدوا إليه سبيلا، فإن جميع حركاتهم وسكناتهم، في ظاهرهم وباطنهم: مُقتَبَسَةٌ مِن نُور مشكاة النبوة، وليس وراء نور النبوّة على وجه الأرض نورٌ يُستضاء به) أهـ [المنقذ من الضلال: 127]، وقال الإمام فخر الدين الرازي (606 هـ): (المتصوفة قوم يشتغلون بالفكر وتجرد النفس عن العلائق الجسمانية، ويجتهدون ألاَّ يخلو سرَّهم وبالَهم عن ذكر الله تعالى في سائر تصرفاتهم وأعمالهم، منطبعون على كمال الأدب مع الله عز وجل، وهؤلاء هم خير فرق الآدميين) [اعتقادات فرق المسلمين: 72]،**

**[المفتاح العاشر]: ثمرة التصوف الإسلامي: ثمرَات التصوف عظيمة، لا تقدر بثمن، لانّ أهل التصوف الحق لما تحلوا بالأخلاق المحمدية العظيمة، وحققوا العبودية الخالصة لله، وأتموا التزكية الكاملة للنفس، أكرمهم الله بثمرات عديدة، منها تحقق المحبة لله ولما يحبه الله، ومنها: الكشف: وهو نور يحصل للسالكين في سيرهم يضيء لهم الطريق إلى الله، ومنها: الإلهام: وهو ما يقع في القلب من علم رباني، يرى به حقائق الأشياء، ومنها: الكرامة وخرق العادة، تكريماً لهم على إخلاصهم، وتثبيتا لأفئدتهم، وتأييداً لهم في سيرهم، ومنها: تحقيق الاستقامة الدينية، ونوال الصديقية، وهي أعلى المراتب وليس بعدها إلا النبوة والرسالة،**

**(أولا) تحقق المحبة،** والمحبة هي كما قالوا: سمة الطائفة وعنوان الطريقة ومعقد النسبة، المحبة هي: (سمة الطائفة) أي علامة أهل التصوف الحق بها يُعرفون وإليها ينتسبون، والمحبة هي (عنوان الطريقة) والعنوان يختصر كل ما في موضوعه، فعنوانهم المحبة وكثرة ذكر المحبوب، ولذلك فهم أهل المحبة، ولولا المحبة لما سار في الطريق سائر، ولما نزل على المنازل سالك، و (الصوفية) هم اهل المحبة، وعنوان طريقتهم المحبة ومعقد نسبتهم هي المحبة، وهم أهل منازل المحبة يتحركون بالمحبة، حتى يتذوقون طعم الأنس بالله فلا يعلق بهم شاغل ولا يفتنهم عارض ولا تكدرهم تفرقة، و (المحبة لله) هي الغاية القصوى من المقامات، فما بعد إدراك المحبة مقام إلا وهو ثمرة من ثمارها، وتابع من توابعها، ولا قبل المحبة مقام إلا وهو مقدمة من مقدماتها، قال تعالى: {يُحِبُّهُم ويُحِبُّونَهُ} [المائدة: 54]،

**(ثانيا) الكشف:** وهو نور يحصل للسالكين في سيرهم إلى الله تعالى، يكشف لهم حجاب الحس، ويزيل دونهم أسباب المادة نتيجة لما يأخذون به أنفسهم من مجاهدة وخلوة وذكر، والكشف باب الفوز الأكبر، لأنه باب الفوز بلقاء الله تعالى، تنعكس أبصارهم في بصائرهم، فينظرون بنور الله وتنمحي أمامهم مقاييس الزمان والمكان، فيطَّلعون على عوالمَ من أمر الله اطلاعاً لا يستطيعه مَنْ لا يزال في قيد الشهوات والشبهات، ولا تتسع له إلا تلك القلوب التي زالت عنها ظلمات الدنيا، واستنارت بنور الله، إن اهل التصوف لما غضوا أبصارهم عن المحارم، وكفَّوا أنفسهم عن الشهوات، وعمَّروا باطنهم بمراقبة الله تعالى، وتعوَّدوا أكل الحلال، وأدمنوا ذكر الله كان كل ذلك بمثابة الغذاء الذي يقوي الروح فتتغلب على النفس، فحينئذ يحصل الكشف والفتح، ويتلقى العبد

واردات الإلهام، ولا يزال الكشف يتزايد حتى ينكشف حجاب الحس، ويتم صفاء النفس الذي لها من ذاتها، وهو عين الإدراك، فيتعرض حينئذ للمواهب الربانية والعلوم اللدنية والفتح الإلهي، وبهذا الكشف يدرك أهل الكشف من حقائق الوجود ما لا يدرك سواهم، وهذا الكشف وراثة محمدية صادقة، وَرِثَها أهل التصوف الحق بسبب صدقهم وتصديقهم وصفاء سريرتهم، وقد كان كان صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (أقيموا صفوفكم وتراصُّوا، فإني أراكم من وراء ظهري) [رواه البخاري]،

**(ثالثا) الإلهام:** وهو ما يُلقَى في الرُّوع، وما يقع في القلب من علم يدعو إلى العمل من غير استدلال، ومثاله الإلهام في قوله تعالى: {وهُزِّي إليكِ بجذْعِ النَّخلة تُساقِطْ عليكِ رُطَباً جَنياً * فكُلِي واشرَبي وقرِّي عيناً} [مريم: 25]، وقوله تعالى: {وأوحينَا إلى أُمِّ موسى} [القصص: 7]، وأهل التصوف الحق لما صفت قلوبهم للحق وفرغت من علائق الدنيا وهمومها، واستقامت على شرع الله، وأدمنت الذكر، وأصبحت ترى بنور الله، سطعت عليها شمس التجليات، وكانت في عداد الأحياء، كما جاء في قوله تعالى: {أَوَ مَنْ كانَ مَيْتاً فأحيَيناهُ وجعلنا لهُ نوراً يمشي بهِ في الناسِ} [الأنعام: 122]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (مثل الذي يذكر ربه، والذي لا يذكر ربَّه مثل الحي والميت) [رواه البخاري]،

**(رابعا) الكرامة:** لقد ثبتت كرامات الأولياء في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وفي آثار الصحابة رضوان الله عليهم، ومَنْ بعدهم إلى يومنا هذا، ومثالها: قصة أصحاب الكهف وبقائهم في النوم أحياء سالمين عن الآفات مدة ثلاثمائة وتسع سنين، ومثالها: هزُّ مريم عليها السلام لجذعَ النخلة اليابس، فاخضرَّ وتساقط منه الرُّطَبُ الجني في غير أوانه، قال تعالى: {وهُزِّي إليكِ بجذْعِ النَّخْلَةِ تُساقِطْ عليكِ رُطَباً جنيّاً} [مريم: 25]، ومثالها: ما قص الله علينا في القرآن الكريم بقوله تعالى: {كلَّما دخَلَ عليها زكريا المحرابَ وَجَدَ عندَها رِزْقاً قال يا مريمُ أنَّى لكِ هذا قالَتْ هوَ مِنْ عندِ اللهِ} [آل عمران: 37]، ومثالها: قصة آصف بن برخيا مع سليمان عليه السلام في قوله تعالى: {قالَ الذي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتابِ أنا آتيكَ بهِ قبْلَ أنْ يرتَدَّ إليكَ طرفُكَ} [النمل: 40]، فجاء بعرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين قبل ارتداد الطرف، ومن السنة النبوية المشرفة: قصة جُرَيْجٍ العابد الذي كلمه الطفل في المهد، وهو حديث متفق عليه، وقصة الثلاثة الذين دخلوا الغار، وانفراج الصخرة عنهم بعد أن سَدَّتْ عليهم الباب،، وهو حديث متفق عليه، اقتضت حكمة الله تعالى أن يكرم أحبابه وأولياءه بأنواع من خوارق العادات، تكريماً لهم على إيمانهم وإخلاصهم، وتأييداً لهم

في جهادهم ونصرتهم لدين الله، وأهل التصوف الحق ليس المقصد من سيرهم إلى الله تعالى هو الوصول إلى الكرامات، على العكس هم يستترون من الكرامة بعداً عن شبهة الرياء، لذلك كانوا يقولون: (الكُمَّل يخافون من وقوع الكرامات على أيديهم، ويزدادون بها وجلاً وخوفاً)، إلا إنْ كانت لنصر دين أو جلب مصلحة، فإنهم لكونهم فانون عن أنفسهم يرونها بالله، لأن الله تعالى هو الفاعل، ثم إن الصوفية يعتبرون أن أعظم الكرامات هي الاستقامة على شرع الله تعالى، قال أبو القاسم القشيري رحمه الله تعالى في رسالته: (واعلم أن من أجلِّ الكرامات التي تكون للأولياء دوام التوفيق للطاعات، والحفظ من المعاصي والمخالفات) [الرسالة القشيرية: ص160]،

**(خامسا): نوال الاستقامة الدينية، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [الاحقاف: 13]، ونيل الولاية الإلهية، وقال تعالى: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [يونس: 62 إلى 64]، ونوال الصديقية، وهي أعلى المراتب وليس بعدها إلا النبوة، وقد قال تعالى: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا * ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا} [النساء: 70، 71]، والتحقق من المعارف الربانية، ودخول جنة المعارف الإلهية، قال تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} [العنكبوت: 69]، قال الإمام أبو حامد الغزالي: (من أول الطريقة تبتدئ المُكاشفات والمُشاهدات، حتى أنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكةَ، وأرواح الأنبياء، ويسمعون منهم أصواتاً، ويقتبسون منهم فوائد، ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال، إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق) أهـ [المنقذ من الضلال: 127]،**

***

# المبحث السابع

# حقائق عن التصوف

**[المفتاح الأول]: اشتقاق اسم التصوف: بعد انقضاء زمان الصحابة، دونت العلوم الإسلامية وسميت بأسماء ومصطلحات: فسمي من اشتغل بالحديث الشريف (محدثا) ومن اشتغل بالنحو (نحويا)، ومن اشتغل بالتفسير (مفسرا)، ومن اشتغل بالفقه (فقيها)، ومن اشتغل بالتربية والسلوك في طريق الله (صوفيا)، كل هذه الأسماء لم تكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما هي إلا مصطلحات لأسماء العلوم الشرعية التي جاء بها سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكل من تسمى بواحد من هذه الأسماء وغيرها لا يخرج عن تسميته مسلما، وليس كل اسم أو وصف لم يأت في القرآن الكريم أو السنة الشريفة يحرم التسمي به بل جائز شرعا فقد سمى الله سبحانه وتعالى المسلمين بأسماء عديدة (السابقين، المقربين، الصادقين، الشهداء، الصالحين، المخبتين،،) فكل اسم ذكر له اشتقاق، فالشهداء (من الاستشهاد في سبيل الله) والمخبتين (من التواضع) والصادقين (من الصدق مع الله)، وكذلك فإن اسم التصوف قد كثرت فيه الأقاويل فمنهم من قال: أنّه نسبة إلى لبس الصوف الخشن، ومنهم من قال: أنه (من الصفاء)، والأظهر أنه لقب أطلق على هذه الطائفة يميزها عن غيرها،**

**[المفتاح الثاني]: قصة التصوف: وجد التصوف منذ أول آية أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}، إلى قوله تعالى: {كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى * إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى}، وذلك لأنّ التصوف هو لبّ الدين وثمرته، وهو تزكية الدين ومنازله، وهو منزلة الإحسان أعلى منازل الدين، والعهد المكي كان فترة تحلية وتزكية للوصول إلى مرتبة الإحسان، وذلك بغرس الأخلاق المحمدية في نفوس الصحابة رضوان الله عليهم، مثل التوبة والخشية والإنابة والصبر والتواضع والمحبة والذكر، وظل الأمر يسير على هذا النحو إلى أن هاجر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة المنورة، واستمر الصحابة يتدرجون في مقامات الكمال، بل كان الرجل ما إن يضع يده بيد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مبايعاً حتى يترقى إلى أعلى المقامات وأسمى الحالات وذلك لقوة نور النبوة، وظل الأمر كذلك إلى أن انتقل المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى جوار ربه، و (الصحابة) هم سادة الصوفية،** وهم الأولياء المرشدون، هم الذين تحققوا بمحبة الله ورسوله، وهل بلغ احد من المسلمين مهما بلغ محبة الصحابة لله ولرسوله، حملهم دافع المحبة على بذل الروح والمال والوقت، وكلِّ غالٍ ونفيسٍ في سبيل محبوبهم لعلهم يحوزون رضوانه وحبه، وهل التصوف إلا المحبة لله ولرسوله، فكل ما سبق المحبة من منازل يؤهل لها، وكل ما تعدها فهو من آثارها، وهذا يعلل لنا لماذا أحب الصحابة الشهادة في سبيل الله، لأنهم مشتاقون لله، لسان حالهم ومقالهم مرحباً بلقاء الله، ولقد كان للصحابة من الكشف والكرامات أوفر النصيب، ولكنهم كما قال أكابر أهل التصوف لم تكن لهم عناية بمثل تلك الكرامات لأنهم مشغولون عنها بملازمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وإقامة الدين، **ثم جاء (التابعون) فتربّوا على يد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكان همهم الوصول إلى رضوان الله عز وجل فتزكت نفوسهم بتأثير النور المحمدي الذي سكن قلوب الصحابة الكرام رضي الله عنهم، نشروا الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، ثم جاء (تابعو التابعين) فتربّوا على يد التابعين، وكان نور النبوة لا يزال عظيما، فتزكت نفوسهم بتأثير النور المحمدي الذي سكن قلوب تلامذة الصحابة، ودخل أناس في الإسلام كانوا حديثي عهد بكفر، ودخلت أمم بكاملها في الإسلام، ومن جانب آخر فتحت الدنيا على المسلمين، وبدأ النور المحمدي يتقادم أثره، فركن الناس إلى الشهوات وحب الدنيا وبدأ البعض يبتعد عن حال السلف، فقام أهل الطريق (أهل النور والكشف) (اهل التصوف الحق) يدعون الناس إلى العودة لما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه الكرام، دعوا الناس إلى العودة إلى مرتبة الإحسان التي كان يعيشها السلف**

**الصالح، وتخليص النفس من رعوناتها التي كبلتها، وقيدتها عن مشاهدة أنوار الحق، وتخليص القلب من حب الدنيا وإحياؤه بذكر الله عز وجل، فقام هؤلاء الأكابر بفتح بيوتهم لاستقبال الناس يدعونهم إلى طريق التصوف (تحقيق مرتبة الإحسان) أعلى مراتب الدين، وفتحوا المعاهد التربوية أو ما يسمى بـ (الزوايا) أو (التكايا) لملاحظة الناس وتربيتهم عن قرب فكانوا في كل عصر هم نماذج السلف الصالح الذين حافظوا على أخلاق المحسنين، وتزكية المقربين،**

**[المفتاح الثالث]: نشأة علم التصوف**: كما هو معلوم لكل طالب علم أنّ القرآن الكريم قد تطرق إلى العلوم المهمة ولمواضيعها الأساسية، دون أن يعطي لها مسميات وتعريفات ودون أن يجمع أصولها وقواعدها وضوابطها وشروطها في موضع واحد، بل فرق تلك القواعد في ثنايا السور والآيات وترك تسمية العلوم وجمع تعريفاتها وقواعدها وأصولها للعلماء لكي يتدبروا ويجتهدوا ويسعى كل عالم منهم من أجل كشف لبنات هذه العلوم، وعلى مر العصور تتبلور العلوم، وتتخصص المدارس العلمية، ويتقن كل فريق من العلماء ما تخصصوا فيه من العلوم، فكما تخصص علماء الأصول في علم العقائد وسموه علم العقيدة، وكما تخصص الفقهاء في علم الفقه وسموه بهذا المصطلح، كذلك علم التصوف كباقي العلوم لم يذكر اسمه في القرآن الكريم وإن كان هو أسم العلم الذي يتناول التربية والتزكية والإحسان في الإسلام، و (التصوف) هو المرادف للتزكية في اصطلاح القران الكريم، قال تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} [الشمس: 9-10]، تلك التزكية التي تعد أحد أهم مهمات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، كما في قوله تعالى: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [آل عمران: 164]، وكذلك فإن (التصوف) هو المرادف لمرتبة الإحسان الواردة في حديث جبريل عليه السلام وفيه: (قَالَ: فأخبرني عَنْ الإحسان؟ قَالَ: (أن تعبد اللَّه كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) [أخرجه مسلم]، وقد أقر أكثر علماء أهل السنة والجماعة على جعل (التصوف) علماً مستقلاً مرادفا للتزكية والإحسان، وذلك كشأن بقية العلوم الأساسية،

**[المفتاح الرابع]: التصوف أشهر من أن يحتاج إلى تعريف**، وأعظم من أن يناله أحد بسوء، وإنكار بعض الناس على هذا اللفظ بأنه لم يُسمع في عهد الصحابة والتابعين مردود، إذ أن اكثر الاصطلاحات أحدثت بعد زمان الصحابة، واستُعملت ولم تُنكَر، كالنحو والفقه والعقيدة، واهل العلم لا يهتمون بالمصطلحات، بقَدْرِ اهتمامهم بالمعاني والحقائق، و (التصوف) يُقصد به تزكية النفوس

وصفاء القلوب، وإصلاح الأخلاق، والوصول إلى مرتبة الإحسان، و (الأمة الإسلامية) قد توارثت اسم التصوف وحقيقته في عمق التاريخ الإسلامي، منذ بدايته وحتى يومنا هذا، فصار عُرفاً لا يمكن ان ينازع فيه عاقل من العقلاء، **قال ابن خلدون في مقدمته:** (وهذا العلم – يعني التصوف – من العلوم الشرعية الحادثة في الملَّة، وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومَن بعدهم طريقة الحق والهداية، وأصلها العكوف على العبادة، والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد في ما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق، والخلوة للعبادة، وكان ذلك عامًّاً في الصحابة والسلف، فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية) أهـ [مقدمة ابن خلدون: ص 329]، إذن: لا يمكن تغيير مسمى التصوف: لأنه قد ترسخ واستقر في عمق التاريخ الإسلامي، وليس تغييره في مقدور أحد، وإذا كانت لا توجد جدوى من تغيير اسم الفقه مثلا إلى مسمى آخر كعلم الشريعة، كذلك التصوف: **يقول القشيري:** (اعلموا أن المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يَتَسمَّ أفاضلهم في عصرهم بتسمية علم سوى صحبة الرسول عليه الصلاة والسلام، إذ لا أفضلية فوقها، فقيل لهم (الصحابة)، ثم اختلف الناس وتباينت المراتب، فقيل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين (الزهاد) و (العُبَّاد)، ثم ظهرت البدعة، وحصل التداعي بين الفرق، فكل فريق ادعوا أن فيهم زهادًا، فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفسهم مع الله سبحانه وتعالى، الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم " التصوف "، واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة) أهـ،

**[المفتاح الخامس]: تاريخ التصوف الاسلامي:** يمكن اختصاره إلى أربع مراحل: **(المرحلة الأولى):** كانت بداية التصوف كعلم ومدرسة تربوية مستقلة عن علمي الفقه والعقيدة، في بدايات القرن الثاني، أي بعد نشأة الفقه كعلم ومدرسة علمية بشيء يسير، وكان الناس ينظرون إلى التصوف على أنه زهد وتقشف وعبادة في الفترة التي عاش فيها صوفية: من أمثال الحسن البصري (ت ١١٠ هـ)، وإبراهيم بن أدهم البلخي (ت ١١٦ هـ)، ورابعة العدوية (185هـ)، والفضيل بن عياض الخراساني (ت ١٨٧ هـ)، ومعروف الكرخي، (ت 201 هـ)، وأبو سليمان الداراني (ت205هـ)، وبشر بن الحارث الحافي (ت 227 هـ)، والحارث بن أسد المحاسبي (ت 243 هـ)، وذي النون المصري (ت 245 هـ)، وسري بن المغلس السقطي (ت 257 هـ)، ويحيى بن معاذ الرازي الواعظ

(ت 258 هـ)، وأبو اليزيد البسطامي (ت263هـ)، وأحمد بن عيسى الخراز (ت 277 هـ)، وسهل بن عبدالله التستري (ت 283 هـ)، وأبي القاسم الجنيد البغدادي (ت 297 هـ)، وكان أهم ما يميز تلك المرحلة الاهتمام بتأسيس مصطلحات علم التصوف، وأحواله ومقاماته كالمحبة والخوف والرجاء والزهد، وبداية التمييز عن علماء الفقه، بعلم التزكية والتصوف، و **(المرحلة الثانية):** وهي المرحلة التي ظهر فيها عباقرة التصوف الذين كتبوا أعظم كتب التصوف، منهم: أبو نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي، المتوفي سنة 378 هـ، وله كتاب: اللمع في التصوف، وأبو بكر الكلاباذي، المتوفي سنة 380 هـ، وله كتاب: التعرف على مذهب أهل التصوف، وأبو طالب المكي، المتوفى سنة 386 هـ، وله كتاب: قوت القلوب في معاملة المحبوب، وأبو قاسم القشيري، المتوفى سنة 465 هـ، وله الرسالة القشيرية، وهي من أهم الكتب في التصوف، وأبو حامد الغزالي، المتوفى سنة 505 هـ، ومن كتبه: إحياء علوم الدين، الأربعين في أصول الدين، منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين، بداية الهداية، وغيرها الكثير، ويعد كتاب إحياء علوم الدين من أشهر كتب التصوف ومن أجمعها، **(المرحلة الثالثة):** وهي مرحلة تأسيس الطرق الصوفية، ومدارس التصوف والتربية والتزكية في العالم الإسلامي، على يد الربانيين من أهل التصوف، ومن أشهر تلك الطرق التربوية: الطريقة القادرية التي أسّسها الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت561هـ)، والطريقة الرُفاعية التي أسسها الشيخ أحمد الرفاعي (ت 578هـ)، والطريقة الأحمدية أو البدوية التي أسسها الشيخ أحمد البدوي (ت 634 هـ)، والطريقة الشاذلية التي أسسها الشيخ أبو الحسن الشاذلي (ت656هـ)، و **(المرحلة الرابعة):** وهي مرحلة الكتابة في علوم الحقائق والوراثة، وهي المرحلة التي تكلم فيها الوارثون من أمثال الشيخ الاكبر العارف بالله: محيي الدين بن عربي، والعارف بالله: عبد الكريم الجيلي، تكلموا بما فتح الله تعالى عليهم من علوم الكشف والحقيقة، وهذه العلوم لدنية، قال تعالى: {آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا} [الكهف: 65]، لا ينالها إلا الوارث بعد الوارث، ومعارف تلك العلوم لا عد لها ولا حد لها، لأنها من لدن القدوس المقدس عن الحدود والغايات والبدايات والنهايات، وقد تفرد بها الوارثون من أكابر اهل التصوف، لأنهم لما استقامت عندهم النفس وزكت وطهرت وكملت، وعزفت عن الدنيا، وزهدت فيما سوى الحق، أكرمهم الحق بالمكاشفات والمشاهدات وبعلوم الحقائق التي يدركون بها من حقائق الوجود ما لا يدرك سواهم، فمن أُذن له في نشرها نشرها، ليعم نفعها على أمة الإسلام خير امة أخرجت للناس، وأدنى نصيب من هذا العلم: هو التصديق به وتسليمه لأهله،

**[المفتاح السادس]: (الطرق الصوفية):** هي مدارس في التزكية والتربية مرتبطة بواسطة السند المتصل، وجميعها تتبنى عقيدة أهل السنة والجماعة من الأثرية أو الأشاعرة أو الماتريدية، وتتبع أحد المذاهب الأربعة السنية، والاختلاف بينها إنما هو في طريقة التربية والسلوك إلى الله، حيث تختلف الطرق التي يتبعها مشايخ الطرق في تربية طلابها ومريديها باختلاف مشاربهم واختلاف البيئة الاجتماعية التي يظهرون فيها، وكل هذه الأساليب لا تخرج عن كتاب الله وسنة رسوله، بل هي من باب الاجتهاد المفتوح للأمة، فقد يسلك بعض المشايخ طريق الشدة في تربية المريدين فيأخذونهم بالرياضات العنيفة ومنها كثرة الصيام والسهر وكثرة الخلوة والاعتزال عن الناس وكثرة الذكر والفكر، وقد يسلك بعض المشايخ طريقة اللين في تربية المريدين فيأمرونهم بممارسة شيء من الصيام وقيام مقدار من الليل وكثرة الذكر، ولكن لا يلزمونهم بالخلوة والابتعاد عن الناس إلا قليلا، ومن المشايخ من يتخذ طريقة وسطى بين الشدة واللين في تربية المريدين، و توجد ثلاثة أنواع من الطرق وهي: طريقة التبرك، وطريقة الإرشاد، وطريقة التربية والترقية، وذلك **حسب مستوى شيخ الطريقة، فشيخ التبرك هو الذي يبلغ أوراد الذكر لمن يطلبها بإذن مسند صحيح، ويقف دوره عند هذا التبليغ، وينال الآخذ عنه بركة النسبة لسلسلة الشيوخ الصالحين المتصلة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما ينال ثواب وأنوار الأذكار التي يلتزم بها، وأما شيخ الإرشاد فزيادة على تبليغ الأوراد كشيخ التبرك، يسعى لإرشاد تلاميذه إلى مكارم الأخلاق ودوام الذكر وصفاء الباطن وينفث في قلوب أهل الاستعداد منهم عوارف معارف وأنوار مقامات، فشيخ التبرك يدل على مقام الإسلام وغايته علم اليقين والإشراف على النفس المطمئنة، وشيخ الإرشاد يرشد إلى مقام الإيمان وغايته عين اليقين والإشراف على مقامات القلب الراضي المرضي المستنير بدوام الذكر، وأما شيخ التربية والترقية فيرفع إلى مقام الإحسان مشاهدة في مقام (أن تعبد الله كأنك تراه)،**

**[المفتاح السابع]: الشيخ الصوفي (الولي المرشد):** هو من قطع طريق السلوك إلى الله تعالى، وأُذن له مِن قِبل شيخه بتربية المريدين، وتهذيب نفوسهم، وتنقيتها من أدرانها وشهواتها حتى تصل إلى طريق الهداية، وصراط الله المستقيم، ولا يجوز لأحدٍ أن يتصدر للتربية إلا بعد أن يقطع مراحل السير في طريق الله تعالى، فالشيخ الصوفي عليه أن يعين المريد على ذكر الله، وعلى التفكر والتدبر في آيات الله تعالى، وعلى إصلاح النفس من العيوب، وشفاء القلب من الأمراض،

كل ذلك في التزامٍ تامٍ بالشريعة، ولا يعتقد طريقًا يوصل إلى الله يشتمل على مخالفة الشريعة، وعلى ما سبق: فالشيخ الصوفي لا يجوز له مخالفة الشرع بدعوى اختبار المريد، ومن يفعل ذلك لا يمكن أن ننسبه إلى التصوف، فالتصوف واضح وظاهر في التزامه بالكتاب والسنة وعدم خروجه على الشرع الشريف، وأهم شروط الشيخ الصوفي: أن يكون الشيخ عالما بالشرع علما واسعا، وأن يكون قد سار في الطريق من مبداه إلى منتهاه وعرف كل خفاياه حتى أصبح قادراً على أن يدل أصناف الخلق جميعاً على هذا الطريق، وأن يكون بصيراً بأنواع القلوب وأنواع أمراضها قادراً بإذن الله على تطبيبها، وأن يكون عارفاً بأنواع الأدوية القلبية وما يناسب منها للأدواء، فتلك اهم شروط الولي المرشد، قال تعالى: {ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً}، دلت هذه الآية على أن الغاية في القدرة على الهداية هو الولي المرشد، فإذا أراد الله تعالى اضلال انسان حرمه نعمة الولي المرشد، ومن ثم نعلم أن الهداية تكون أكمل ما تكون إذا وجد الولي المرشد، وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم في الأصل هو الهادي الحقيقي إلى صراط الله، {وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم}، فالأولياء المرشدون هم الوراث الكاملون للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهم نواب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هداية الامة، ومن هذا المعنى الذي ذكرناه ندرك أهمية وجود الولي المرشد لصلاح الفرد المسلم والمجتمع المسلم، والأمة المسلمة،

**[المفتاح الثامن]: أركان علم التصوف:** أركان علم التصوف أربعة: **(الأول)**: معرفة جناب ذات الله تعالى وتقدس وما يجب له من التسبيح والتقديس والتنزيه والتعظيم، ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله سبحانه وتوحيده سبحانه في إلهيته ربوبيته وعبوديته لا إله إلا هو ولا رب سواه ولا معبود بحق إلا هو، **(الثاني)**: معرفة النفوس وشرورها ودواعيها والطريق إلى تخليتها عن دسائسها وتحليتها بتزكيتها، قال تعالى: {قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها}، و **(الثالث)**: معرفة وساوس العدو ومكائده ومضاله وكيفية التغلب على مكائده، قال تعالى {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ}، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ}، و **(الرابع)**: معرفة الدنيا وغرورها وتفنينها وتلوينها، وكيف الاحتراز منها والتجافي عنها وضرورة الزهد فيها، قال تعالى: {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}، وقال تعالى: {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ}، ثم ألزموا أنفسهم بعد توطئة هذه الأركان: دوام المجاهدة، وشدة المكابدة، وحفظ الأوقات،

واغتنام الطاعات، ومفارقة الراحات، والزهد في الدنيا الفانية، وإيثار الآخرة الباقية، فجزاهم الله تعالى عن الإسلام وأهله خير الجزاء،

**[المفتاح التاسع]: أسس التصوف: من أسس التصوف: (الأساس الاول): محاسبة النفس: فمن سلك سبيل التصوف فعليه أن يحاسب نفسه قبل أن يحاسبه الله ويزن أعماله قبل أن توزن ويصفي نفسه من شوائبها ووساوسها قال سيدنا عمر رضي الله عنه (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزن عليكم)، و (الأساس الثاني): الإخلاص وقصد وجه الله: فمن سلك سبيل التصوف فلابد أن يقصد وجه ربه في جميع أقواله وأفعاله غاسلا قلبه بماء الإخلاص، قال تعالى: {**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} [البينة: 5]، وقال **تعالى {واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم} [الكهف: 28]، و (الأساس الثالث): التمسك بالفقر والافتقار إلى الله تعالى، فالصوفية هم الفقراء، سماهم الناس بالفقراء لافتقارهم الدائم إلى ربهم ومولاهم، والعبد دائما فقير إلى سيده، وهم اهل العبودة لله، قال تعالى: {**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} [فاطر: 15]، وقال تعالى: {وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ} [محمد: 38]، **(الأساس الرابع): الزهد في الدنيا ومتاعها عزوفا بالنفس عما يلهيها ويشغلها، فمن سلك سبيل التصوف فلابد له من التجرد عن الدنيا وزينتها، لينقطع إلى تقوى الله تعالى وعبادته، قال تعالى: {**اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} [الحديد: 20]، **والمراد أن تكون الدنيا في يده لا في قلبه والصوفي الحق: أغنى بما عند الله منه بما عنده وفي يده، (الأساس الخامس): توطين القلب على الرحمة والمحبة: صفتان لازمتان لأهل التصوف لا غني للصوفي عنهما، المحبة لله ولرسوله وللمسلمين، يحب للمسلمين ما يحب لنفسه، قال تعالى: {**يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} [المائدة: 54]، وان **يكون آية في الرحمة بهم**، قال تعالى في حق النبي صلى الله عليه وآله وسلم: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ} [آل عمران: 159]، وقال تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [التوبة: 128]، وقال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: 107]، قال تعالى في حق الصحابة خير الناس بعد

الأنبياء: {رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} [الفتح: 29]، **وقال تعالى: {**أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} [المائدة: 54]، **فمن سلك سبيل التصوف فلابد أن يلزم محبة كل المسلمين والرحمة عليهم، فإن رسخ في هذه القاعدة واستقام عليها أفاض الله عليه أنوار محبته ورحمته، وأذاقه حلاوة الرضا، وبرد اليقين، (الأساس السادس): التجمل بالأخلاق التي بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم لإتمامها: قال** تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: 4]، **فمن سلك سبيل التصوف فلابد من التحلي بالأخلاق الحسنة العظيمة، فهي زبدة الدين وحقيقة التصوف، فالتصوف خلق ومن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف، قال تعالى {وقولوا للناس حسنا} [البقرة: 83]، والصوفي هين لين سمح بشوش مع أهل بيته وعشيرته وجميع المسلمين، (الأساس السابع): احترام التخصص العلمي الإسلامي والرد إلى مذاهب العلم المتخصصة،** قال تعالى: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النحل: 43]، وقال تعالى: {وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ} [النساء: 83]، وقال تعالى: {وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ} [فاطر: 14]، **وأهم ما يميز اهل التصوف تحديد المرجعية العلمية فهم يتبعون في العقيدة أحد ثلاث مدارس:** (المدرسة الأثرية)، (والمدرسة الأشعرية)، (والمدرسة الماتريدية)، وبها اكتملت علوم العقيدة، وفي الفقه يتبعون مذهبا من أربعة مذاهب، وهي: المذهب الحنفي، والمذهب المالكي، والمذهب الشافعي، والمذهب الحنبلي، فبها اكتملت علوم الفقه، وفي التزكية يتبعون مدرسة من مدارس التزكية التي أسسها الربانيون، وبهذا التخصص الفريد، **كان اهل التصوف على قمة الهرم العلمي الإسلامي هم السادة وهم القادة وهم العلماء وهم الاولياء، لا يشقى بهم جليسهم،**

**[المفتاح العاشر]: علوم اهل التصوف:** قال الشيخ أبو بكر الكلاباذي في كتابه (التعرف لمذهب أهل التصوف): (اعلم أنّ علوم الصوفية علوم الأحوال، والأحوال مواريث الأعمال، ولا يرث الأحوال إلا من صحّح الأعمال، وأول تصحيح الأعمال معرفة علومها، وهي علم الأحكام الشرعية... ثم علم آفات النفس ومعرفتها ورياضتها، وتهذيب أخلاقها...، وهذا علم الحكمة، فاذا استقامت النفس على الواجب وصلحت طباعها، سهل عليه إصلاح أخلاقها، وتطهير الظاهر منها، والفراغ مما لها وعزوفها عن الدنيا وإعراضها عنها، فعند ذلك يمكن للعبد مراقبة الخواطر وتطهير السرائر، وهذا علم المعرفة، ثم وراء ذلك علم الخواطر وعلوم المشاهدات والمكاشفات وهي التي تختص بعلم الاشارة، وهو الذي تفرّدت به الصوفية بعد جمعها سائر العلوم التي وصفناها، وإنّما

قيل علم الإشارة لأن مشاهدات القلوب ومكاشفات الأسرار يصعب العبارة عنها على التحقيق، بل تعلم بالمنازلات والمواجيد لا يعرفها إلا من نازل الأحوال وحل تلك المقامات) أهـ، **ويستفاد من ذلك:** أن علوم اهل التصوف تتمثل في (أولا) علم الأحكام الشرعية ويدخل فيه العقيدة والفقه، و (ثانيا) علم التقديس والتنزيه للحق، وهو علم المعرفة بالله، و (ثالثا) علم تزكية النفس وتطهيرها بالتخلية والتحلية، وسمي علم الحكمة لأنه يرث النفس العزوف عن الدنيا، الزهد فيما سوى الله، والشوق إلى لقاء الله، و (رابعا) علم الأحوال والمقامات والمنازل، وهو علم السفر إلى الله والدخول على حضرة الحق، و (خامسا) علوم المشاهدات والمكاشفات والحقائق، وهي علوم النور الذي يحصل للواصلين بعد سيرهم إلى الله تعالى، يُكشف لهم الحجاب، وينظرون بنور الله وتنمحي أمامهم مقاييس الزمان والمكان، فيطَّلعون على عوالمَ من أمر الله، ويدركون من حقائق الوجود ما لا يدرك سواهم، وهذا العلم من الحضرة الذاتية، قال تعالى: {آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا} [الكهف: 65]، لا ينالها إلا الوارث بعد الوارث، أكرم الله تعالى بها الوارثين من أهل التصوف بسبب صدقهم وتصديقهم وصفاء سريرتهم، واخلاصهم للحق سبحانه،

**[المفتاح الحادي عشر]: مناهج التصوف الحق:** لقد اشتملت مناهج التصوف السني الصحيح على العديد من الأقسام، قسم يبحث في الاجتهاد في العبادة مع تصحيحها، وحسن إقامتها بالإخلاص والخشوع والحضور فيها مع الله تعالى، وقسم يبحث في مجاهدة النفس وتزكيتها، والقلب وسلامته، بتخليته من صفاته الناقصة كالرياء والحقد والحسد وغيرها من الصفات المذمومة، وتحليته بالصفات الكاملة كالتوبة والتوكل والرضا والتسليم والمحبة والخوف والرجاء وغيرها من الصفات الحسنة، وقسم يبحث عن الاخلاق العظيمة مع الخالق والخلائق، وقسم يبحث عن المعارف الربانية والمقامات القلبية التي توصل إلى درجات الإحسان، وقد تناول القرآن الكريم جميع تلك الأقسام بالبيان والتوضيح، **فنجد فيه الآيات التي تدعو إلى الاجتهاد في العبادة** كقوله تعالى: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا} [الفرقان: 63، 64]، وقوله تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ} [الذاريات: 15 إلى 19]، وقوله تعالى: {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ

النَّارِ} [آل عمران: 191]، **ونجد فيه الآيات التي تدعو إلى تصحيح العبادات**، وحسن إقامتها بالإخلاص والخشوع والحضور فيها مع الله تعالى مثل قوله تعالى: {قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ} [الزمر: 11]، وقوله تعالى: {قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي} [الزمر: 14]، وقوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ} إلى قوله تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [المؤمنون: 1 إلى 11]، **ونجد فيه الآيات التي تبحث في مجاهدة النفس وتزكيتها**، كقوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى} [الأعلى: 14، 15]، وقوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} [الشمس: 9، 10]، وقوله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} [العنكبوت: 69]، **ونجد فيه الآيات التي تتناول اعمال القلوب وسلامته من عيوبه وتخليه عن آفاته وتحليه بالطاعات الباطنة والصفات الصالحة**، ومنها قوله تعالى: {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الشعراء: 88، 89]، وقوله تعالى: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ} [المؤمنون: 60، 61]، **ونجد فيه الآيات التي تتحدث عن حسن الخلق وأصول الأخلاق العظيمة**، منها قوله تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: 4]، وقوله تعالى: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} [الفرقان: 63]، وقوله تعالى: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [آل عمران: 133، 134]، **وقد تناول القرآن الكريم بالتوضيح المقامات التي يمر بها السالك في سيره إلى الله تعالى** ومن ذلك قوله تعالى: {التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} [التوبة: 112]، وقوله تعالى: {الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ} [آل عمران: 17]، وقال تعالى: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 35]،

**[المفتاح الثاني عشر]: أركان المنهج السلوكي لأهل التصوف:** يقوم هذا المنهج على أركان ضرورية يمكن أجمالها كالتالي، (الركن الأول): صحبة العالم المربي، و (الركن الثاني): العدة المطلوبة للمريد الصادق وتتمثل في طلب العلم الشرعي الصحيح، والتربية الحميدة، والأخلاق والآداب العظيمة، و(الركن الثالث): المجاهدة في ذات الله تعالى، و (الركن الرابع): المداومة على ذكر الله تعالى،

**[الركن الأول]: صحبة العالم المربي**: وهي ضرورة لابد منها، وذلك لان الترقي في مقامات الإحسان لا يكون صحيحاً إلا على يد عالم رباني شيخ مرشد يعرف آفات النفس ومداخل الشيطان، يبعده عن دروب العصيان، ويرشده إلى منازل الإحسان، ومن أهم صفات هذا العالم المربي: (أ) العلم الشرعي الواسع، (ب) العلم الوافي بالنفس البشرية وعيوبها وعلم أحوال القلب وأمراضه المعنوية، والسبيل إلى تخليصه منها، (ث) التزام السنة وتجنب البدعة، فيشترط للعالم المربي أن يكون عمله متمسكا بالكتاب والسنة، ولا يأذن بأي حال تخالف الشريعة، **(تنبيه)** صحبة العالم المربي والشيخ المرشد أمر مهم، وذلك لأنّ العلماء والاولياء هم ورثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهم خلفاؤه صلى الله عليه وآله وسلم في الهداية والإرشاد، فمَنْ جالسهم سرى إليه من حالهم الذي اقتبسوه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومن ربط حبله بحبالهم فقد اتصل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفي صحبة هذا العالم العامل قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللهَ وكُونوا معَ الصادقين} [التوبة: 119]، وأمرنا – سبحانه – أن نتبع سبيلهم بقوله تعالى: {واتَّبِعْ سبيلَ مَنْ أنابَ إليَّ} [لقمان: 15]، فهم الاولياء المرشدون الذين جاء القرآن الكريم بالثناء عليه كما في قوله تعالى: {مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا} [الكهف: 17]، و (الصوفي الحق): لا يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة من شيخ مرشد، يدله على الطريق إلى الله،

**[الركن الثاني]: العدة المطلوبة للمريد الصادق**: وتتمثل في طلب العلم الشرعي الصحيح، والتربية الحميدة، والأخلاق العظيمة، والآداب العالية، فلابد للمريد من طلب العلم الشرعي من خلال مدارسه المتخصصة، ولابد له من التحلي بالأخلاق العظيمة والآداب الربانية، فقد اتفق المربون الربانيون على أن من لا أدبَ له لا سيرَ له في طريق الإحسان، ومن لا سيرَ له لا وصولَ له إلى مرتبة المشاهدة، وأن صاحب الأدب يَبلغ في قليل من الزمن مبلغَ الرجال، والطريق كلها

آداب حتى قال بعضهم: (اجعل عملك ملحاً وأدبك دقيقاً)، فكثير الأدب مع قليل العمل خير من كثير العمل مع قلّة الأدب

**[الركن الثالث]: المجاهدة في ذات الله تعالى للنفس والشيطان والدنيا والهوى**: وقد ضمن الله تعالى للصادقين المجاهدين في ذات الله تعالى بالهداية، قال تعالى: {والذينَ جاهَدوا فينا لنَهديَنَّهم سُبُلَنا} [العنكبوت: 69]، **فالدنيا هي العدو الأول**، والاهتمام بها وانشغال القلب بتقلباتها قاطع كبير عن الله تعالى، ومجاهدة الدنيا يكون بالزهد فيها والحث على التقلل منها، عملا بقوله تعالى: {يا أيها الناس إن وعد اللَّه حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور}، فإنها غرور ولعب ولهو، قال تعالى: {وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور}، **والشيطان هو العدو الثاني**، قال تعالى: {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُواً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [فاطر: 6]، وقال تعالى: {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} [يس: 60]، ومجاهدة الشيطان تتمثل في المداومة على ذكر الله تعالى، فإنه أعظم سلاح لمقاومة الشيطان: قال تعالى: {وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ} [الزخرف: 36]، **والعدو الثالث: هو (النفس)** التي لا تفارق العبد لحظة من لحظات عمره، وإذا كان كيد الشيطان للإنسان المؤمن ضعيف كما قال تعالى: {إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا}، فإن كيد النفس ووسوستها للإنسان عظيمة، قال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ}، وقال تعالى: {إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ}، [يوسف: 53]، ولهذا قال الله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} [الشمس: 9، 10] وقال صلى الله عليه وآله وسلم (الْمُجَاهِدُ من جَاهَدَ نَفْسَهُ في طَاعَةِ اللَّهِ عز وجل) [مستد الإمام أحمد]، **وللنفس ميزة أنها إذا جاهدتها في الله تعالى تتحول من نفس أمارة بالسوء إلى نفس مطمئنة راضية مرضية، وأول مرحلة في مجاهدة النفس عدم الرضى عنها، ومخالفتها وفطامها عن شهواتها، ثم: (التخلية الظاهرة) ومعناها التخلي عن المعاصي الظاهرة، التي تتعلق بجوارح الإنسان السبعة، وهي: اللسان والأذنان والعينان واليدان والرجلان والبطن والفرج، ثم (التحلية الظاهرة) والمقصود بها أن يحلي السالك إلى الله تعالى هذه الجوارح السبعة بالطاعات المناسبة لكل منها، ثم: (التخلية الباطنة) ومعناها التخلي عن المعاصي الباطنة، معاصي القلب كالكبر والرياء والغضب، ثم: (التحلية الباطنة) ومعناها التحلي بالطاعات الباطنة، وتحلية القلب بالأخلاق العظيمة والصفات**

**الكاملة كالتواضع والإخلاص والحِلم، والعدو الرابع هو (الهوى): وهو أشد الأعداء**، لان مرجعه إلى عبادة النفس، قال تعالى: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} [الجاثية: 23]، وقال تعالى: {أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا} [الفرقان: 43]، ومجاهدة الهوى بان يكون الهوى تبعا لما جاء به الشرع، ولو كان الهوى يأباه،

**[الركن الرابع]: المداومة على ذكر الله تعالى**، و (الذكر) هو الركن المكين الذي يأوي اليه الطالب الصادق لمرتبة الإحسان، وهو أساس الدرجات جميعها، قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً} [الأحزاب: 41]، وقال تعالى: {فاذكُروني أذكُرْكُم} [البقرة: 152]، وقال تعالى: {الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جُنوبهم} [آل عمران: 191]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربَّهُ مثل الحي والميت) [أخرجه البخاري]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (ألا أُنبئكم بخير أعمالكم، وأزْكاها عند مليكِكم، وأرفعها في درجاتكم، وخيرٍ لكم من إنفاق الذهب والوَرِق [الورق: الفضة]، وخيرٍ لكم من أن تلْقَوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى، قال: ذكرُ الله تعالى)،

***

## المبحث الثامن

## غاية التصوف

**[المفتاح الأول]: غاية التصوف**: غاية السلوك عند الصوفية هو توحيد الشهود، وهو ما عبر عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: (أن تعبد الله كأنك تراه) أي عبادة الله على المشاهدة القلبية، وتوحيد الشهود يعني عند أهل التصوف: الدخول على حضرة الحق سبحانه، وشهود تجلياته، وهذا هو حق اليقين، الذي دلنا عليه الخليل إبراهيم عليه السلام عندما قال: {وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي}، و ( اليقين) ثلاث منازل: علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين، الأول: {عِلْمَ الْيَقِينِ}، وهو ما يعلمه الإنسان ويوقن به عن طريق السمع والخبر والقياس والنظر وهو علم أهل العقيدة، والثاني هو: {عَيْنَ الْيَقِينِ} وهو ما يعلمه الإنسان ويوقن به عن طريق المشاهدة والنظر، وهو أقوى من اليقين الاول لأنّه ليس الخبر كالعيان، وليست المشاهدة كالسماع وهو علم الخاصة من أهل التصوف، والثالث: {حَقُّ الْيَقِينِ} وهو أعلى درجات اليقين لأنّه لا يقتصر على الرؤية والمشاهدة، وإنّما يتعداها إلى المعاينة والمعايشة الدائمة المستمرة، فتلك هي أعلى مراتب اليقين، وهو حال خاصة الخاصة الكمل من الوارثين، وأهل التصوف الحق يطلبون حق اليقين، لا يرضون بعلم اليقين – لأنه إيمان مبني على الخبر – حتى يترقوا منه إلى مشاهدة حقيقة الخبر، فَيَطْلُبُونَ التَّرَقِّيَ مِنْ عِلْمِ الْيَقِينِ بِالْخَبَرِ، إِلَى عَيْنِ الْيَقِينِ بِالشُّهُودِ القلبي، ومن ثم من عين اليقين بالله شهودا قلبيا، إلى حق اليقين في الله معاينة وتحقيقا، فيخرجون من العلم إلى العيان ومن العيان إلى التحقيق، وهذه سنة الخليل عليه السلام، قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}، طلب الخليل وهو في مقام البقاء بالله، التحقيق، (حق اليقين) فيرى بالله كيف يحي الله الموتى، فيشهد الإحياء بالحق شهود معاينة وتحقيق، وحسنات الأبرار سيئات المقربين،

**[المفتاح الثاني]: غاية الصوفية**: بلوغ حق اليقين بالله تعالى في الدنيا قبل الآخرة، ولا يكون ذلك إلا بالدخول على حضرة الحق القدسية وشهود تجليات أسمائه وصفاته، ولا يؤذن بالدخول إليها إلا لمحسن تجاوز مرتبة الإسلام ومرتبة الإيمان وتحقق بمرتبة الإحسان الظاهر والباطن: إحسان أعمال الجوارح وإحسان أعمال القلب، ولا يؤذن بالدخول إليها إلا لمن كان طاهر النفس من أدنى نجاسة، سليم القلب خاليا من عيوبه متحليا بأنوار الروح بلغ أعلى منازل الطهارة النفسية والقلبية والروحية، ولا يؤذن بالدخول إليها إلا لصاحب الأدب العالي، والعلم الصحيح، فلا يؤذن بالدخول

إليها لسيء الأدب ولا لصاحب بدعة، ومن شروط الاذن بالدخول إلى الحضرة القدسية (إزالة الحجب) التي تحجب عن شهود تجلياتها القدسية، وأشد تلك الحجب حجاب رؤية النفس والاعتداد بعملها، ولا يؤذن بالدخول إليها إلا لولي من أولياء الله تعالى زكى نفسه وطهر قلبه وأطلق روحه وبلغ بها منازل الولايات التي سيأتي بيانها،

**[المفتاح الثالث]: حضرات الشهود:** حضرات الشهود القلبي درجات ومراتب، وكلها متعلق بأسماء الله الحسنى، و **(أولها):** الدخول على حضرة شهود تجليات الأسماء الحسنى المتعلقة بالأفعال، وهو مقام تجلي أفعال القدرة الإلهية عيانا، وفيه يرى الشاهد أفعال الله السارية في الوجود و يرى الكون كله مسرحا لأفعال الله، فلا يرى حركة فيه ولا سكونا إلا ويرى الله فيه، ويرى يد القدرة الإلهية تحركه عيانا لا اعتقادا، وأعلى تجليات الأفعال توحيد الربوبية، وتجليات اسم الله تعالى الرب بالربوبية على الكون بما فيه، فهو سبحانه رب العالمين، الرب الخالق البارئ المصور الرزاق، وهو سبحانه المقدر المهيمن المدبر المصرف، وهو سبحانه الناصر المعين والهادي والمضل، وهو سبحانه المعز والمذل والخافض والرافع والقابض والباسط، سبحانه لا رب للعالمين سواه، ومن تجليات الربوبية تأتي تجليات الإلهية، لأن الرب هو الإله المستحق للعبودية، فلا معبود بحق سواه، وفيه جاء معنى الإحسان: (أن تعبد الله كأنك تراه)، و **(ثاني الحضرات):** حضرة شهود تجليات الأسماء الحسنى المتعلقة بالصفات، فيرى تجليات صفات الكمال من الحياة والقيومية، فهو سبحانه الحي القيوم، وصفات العلم والقدرة فهو سبحانه العليم القدير، وصفات المشيئة والإرادة، فهو على ما يشاء قدير، وصفات السمع والبصر والكلام، فهو السميع البصير الذي قام الكون بأمره، الا له الحكم والأمر، فهذه أسماء الكمال، وأسماء الجلال لها تجليات الجلال فهو سبحانه: الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، وأسماء الجمال لها تجليات الجمال والإكرام فهو سبحانه الرحمن الغفور التواب الرؤوف الرحيم الوهاب الكريم، وفي حضرة هذا الشهود (شهود الصفات الأزلية القائمة بالذات) يذهل الشاهد عن جميع الأكوان، ويغيب عن جميع الأكوان بما بان له من شهود الصفات القديمة الأزلية المنزهة عن الحدوث أو التغير أو الفناء، **و (أجل حضرات الشهود على الإطلاق):** حضرة شهود تجليات أسماء الله تعالى الحسنى المتعلقة بجناب الذات، من تجليات أسماء الله تعالى الغني الحميد حيث الغنى الأزلي والحمد السرمدي، ومن تجليات أسماء الله تعالى القدوس والسلام حيث التنزيه التام والكمال المطلق، و ومن تجليات أسماء الله تعالى:

الحق المبين حيث الوجود الحق المطلق الدائم، الذي به وجود كل شيء، ولا وجود لشيء من الأشياء إلا به، ومن تجليات أسماء الله تعالى الأحد سبحانه حيث العجز عن الادراك بلا غاية ولا بداية ولا نهاية، وفي هذا الشهود (شهود جناب الذات) يفنى الشاهد عن كل شيء، ويغيب عن كل شيء، وينمحي عن ذاته، وعن الشهود نفسه، ويبقى بين يدي الله عز وجل، ويترقى إلى ما لا نهاية له من تجليات الشهود، فإن جناب الذات تعالى وتقدس مقدس ومنزه عن الحد والغاية والبداية والنهاية، فإذا بلغ السالك هذا المقام، فإنه يترقى في منازل النهايات من أقسام منازل السائرين إلى الحق المبين، وهذا التوحيد لا يمكن وصفه بالعبارات، وكمل العارفين وقفوا على ساحل بحر هذا الشهود ولا يسمح بالولوج فيه إلا للأنبياء والمرسلين، ولا حد لهذا البحر الأطم العظيم، وكما أن الله تعالى بجناب ذاته وصفاته لا حد ولا غاية ولا نهاية للكمالات، كمال مطلق، فلا حد ولا غاية ولا نهاية للتجليات، وليس تجلى منها يشبه الآخر، فإنها من عالم التقديس المنزه عن الزمان والمكان والحدود والغايات والبدايات النهايات،

**[المفتاح الرابع]: حضرة شهود التجليات الأسمائية**: من المعلوم عند اهل التصوف أن الله سبحانه وتعالى إنما يتجلى على الكون بأسمائه، فلا شي في هذا الوجود إلا وله اسم إلهي يشرف عليه، فالعلم وأقسامه تحت اسمه العليم، والكرم وعوالمه تحت اسم الله الكريم، والرحمة وعوالمها تحت اسمه الرحمن الرحيم وأسماء الله سبحانه وتعالى مطلقة، فلا يشرك اسمان في تدبير عالم من العوالم المخلوقة، وإنما كل عالم من العوالم واقع تحت إشراف اسم إلهي واحد، وكلما تعمق الصوفي في المعرفة فإنه يرى الوجود آثارا لأسمائه الحسنى، فيتحول الكون من حوله إلى منصة عبور يعبر منها إلى أسماء الله، ويكون دائم الحضور مع أسمائه الحسنى، فلا يرى في كل ما يحيط به إلا آثار أسمائه سبحانه، وهذا ما يُعرف عندهم في علم التوحيد الصوفي بتوحيد الأسماء الحسنى، و (تجليات الأسماء الحسنى)، تشمل تجليات أفعال الله وصفاته وجناب ذاته، فإن من الأسماء الحسنى ما يتعلق بالأفعال، ومنها ما يتعلق بالصفات، ومنها ما يتعلق بجناب الذات، وإن كان كلها أسماء لجناب الذات، ولكن باعتبار تعلقها بظهور جناب الذات، أو ظهور الصفات أو ظهور الأفعال تسمى أسماء الذات والصفات والأفعال، فمن أسماء جناب الذات: الحق والغني والقدوس والسلام والأحد سبحانه، ومن أسماء صفات جناب الذات، صفات الكمال من الحياة والقيومية، فهو سبحانه الحي القيوم، ومن العلم والقدرة فهو سبحانه العليم القدير، ومن المشيئة والإرادة، فهو على ما يشاء قدير، ومن السمع

والبصر والكلام، فهو السميع البصير الذي قام الكون بأمره، الا له الحكم والأمر، وصفات الجلال والإكرام، صفات الجلال من تجليات أسماء الله تعالى الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، وصفات الإكرام من تجليات أسماء الله تعالى الرحمن الغفور التواب الرؤوف الرحيم الوهاب الكريم، ومن أسماء أفعال جناب الذات، **الرب الخالق البارئ المصور الرزاق المهيمن المدبر المصرف، الناصر المعين الهادي المضل، المعز المذل الخافض الرافع القابض الباسط سبحانه لا رب للعالمين سواه**، ومن الأسماء الحسنى ما يتعلق بها جميعا، كاسمه (الله) العلم على جناب الذات بأسمائه وصفاته وأفعاله، **وحضرة التجليات درجات** أولها تجليات الأفعال، ثم تجليات الصفات، ثم أعلاها تجليات جناب الذات، والحضرة الأولى (حضرة تجليات الأفعال) تسمى حضرة الملك، والحضرة الثانية (حضرة تجليات الصفات) تسمى حضرة الملكوت، والحضرة الثالثة (حضرة تجليات جناب الذات) تسمى حضرة الجبروت، هذه بعض حضرات التجليات الأسمائية، وحضرات الاسماء الحسنى على التفصيل لا عد ولا حد ولا حصر، لان الأسماء الحسنى لا تنحصر وإنما أصولها تسع وتسعون اسما من أحصاها دخل الجنة، وفي الحديث: (إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلاَّ وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ) [متفق عليه]، ومقصود الحديث أن من أحصى هذا القدر من أسماء الله الحسنى (مائة إلا واحداً) دخل الجنة، وليس المراد من الحديث حصر الأسماء في هذا العدد، وذلك لأن أسمائه الحسنى سبحانه لا يحصيها إلا الله عز وجل، وفي الحديث دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (أَسأَلُكَ بِكُلِّ اسم هُوَ لَكَ سَمَّيتَ به نَفْسَكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا منْ خَلْقِكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ في كِتَابِكَ أَوِ اسْتَأْثَرتَ به في عِلْمِ الغَيبِ عِنْدَكَ) [رواه أحمد وابن حبان والحاكم]، وكل اسم من الأسماء الحسنى له تجليات وله حضرة شهود، فإن كان العبد على بساط الحق مشاهداً لأفعاله تعالى، فيسمى ذلك الموطن: حضرة الأفعال، وإذا كان مشاهداً للصفات، فيسمى ذلك الموطن: حضرة الصفات، وإذا كان مشاهداً لتجليات جناب الذات، فيسمى ذلك الموطن: حضرة جناب الذات، وأول الحضرات حضرات تجليات الأفعال، (توحيد الأفعال) وهو مقام تجلي أفعال القدرة الأزلية القديمة عيانا، فإن تحقق العارف بهذا الشهود، انتقل إلى منزلة أعلى هي (توحيد الصفات) وهو مقام تتجلى فيه الصفات الأزلية القائمة بجناب الذات، حضرة مشاهدة الصفات الأزلية القائمة بالذات و بهذا الشهود يذهل الشاهد عن جميع الأكوان، ويغيب عن جميع الأكوان بما بان له من شهود الصفات القديمة الأزلية المنزهة عن الحدوث أو التغير أو الفناء، فإن تحقق العارف بهذا الشهود، انتقل إلى منزلة أعلى هي (توحيد جناب الذات) وهو مقام الشهود القلبي لجناب الذات، و هذا الشهود

يغني الشاهد عن كل شيء، ويغيبه عن كل شيء، ويفنيه عن نفسه، ويمحيه عن ذاته، وعن الشهود نفسه، ويبقيه بين يدي الله عز وجل، يترقى إلى ما لا نهاية له من تجليات الشهود، فإن جناب الذات مقدس عن الحد والغاية وعن الحدود والنهاية، فإذا بلغ الولي هذا المقام، فإنه يترقى في منازل النهايات، منازل: المعرفة، والفناء، والبقاء، والتحقيق، والتلبيس، والوجود، والتجريد، والتفريد، والجمع، والتوحيد، ومنازل النهايات أعلى المنازل، وفيها تتحقق المعرفة، ويفنى العارف في شهود تجليات جناب الذات، ويبقي ببقاء الحق في منزل البقاء، ويتم له التحقق بتحقيق الحق إياه في مقام التحقيق، ويظهر للناس في رسوم الخلق في مقام التلبيس هداية للخلق ورحمة بهم، يرونه معهم وهو بروحه في حضرة الحق، ويبلغ مقام الوجود الأزلي القديم بالله منخلعا عن ذاته المحدثة، وبعد ذلك يبلغ مقام التجريد فيذوب عن ذاته ويغيب عن نفسه مع تجليات الشهود القلبي، ثم مقام التفريد بالإشارة من الحق للحق فليس سوى الحق واجب الوجود، ثم مقام الجمع بتلاشي كل ما تقله الإشارة في ذات الحق، ثم مقام التوحيد وهو أعلى مقامات السالكين، توحيد الحق بذاته لذاته فلا يوحد القديم إلا القديم، والتوحيد الحق إنما هو توحيد الواحد لجناب ذاته، فما وحد الواحد من واحد، إذ كل من وحده جاحد لأن من زعم أنه موحد، فهو يرى نفسه مع ربه فكيف يزعم التوحيد وهو يرى لنفسه وجود، التوحيد الحقيقي هو توحيد الأحد لجناب ذاته حيث الأزل، وهذا التوحيد هو نهاية مطاف السالكين، ومنزلة التوحيد أوسع من الخلائق والمعارف، وكما أن كمالات جناب الذات لا تتناهى، فكذلك تجليات التوحيد لا تتناهى، وكمل العارفين وقفوا على ساحل بحر هذا التوحيد ولا يسمح بالولوج فيه إلا للأنبياء والمرسلين، ولا حد ولا غاية، ولا بداية ولا نهاية، لأنها من عالم التقديس المطلق المنزه عن الحدود والغايات والبدايات والنهايات،

**[المفتاح الخامس]: خلاصة المراد من التزكية والسلوك عند أهل الإرادة والعرفان**، هو الدخول على حضرة الشهود، شهود الربوبية وشهود الإلهية، وشهود أسماء الله تعالى الحسنى المتعلقة بالأفعال والصفات وجناب الذات، ولكن كما ان لكل عبادة شروط لا تصح إلا بها، فكذلك الدخول على حضرة الشهود له شروط دقيقة واضحة لا يمكن السماح بالدخول إلا عند تحقيقها، إذ من شروط صحة الصلاة على سبيل المثال: الإسلام فلا تصح الصلاة من كافر أو مشرك، والعقل، فلا تصح الصلاة من مجنون لا يعقل أحكامها، والطهارة مِن الحَدَث الأصغر والأكبر، فلا تصح الصلاة إلا بتلك الطهارة بالغسل أو الوضوء، وأدنى حدث يفسد الوضوء والصلاة، و طهارة الثوْب والبَدَن

والمكان مِن النجاسة، فلا تصح الصلاة إلا بتلك الطهارة، و سَتر العَوْرَة، فلا تصح الصلاة إلا بستر العورة، واستقبال القِبْلَة، والعلم المسبق بأحكام الصلاة وأركانها وشروطها ومبطلاتها، فلا تصح الصلاة إلا بتلك الشروط، وكذلك الدخول على حضرة الشهود لا يصح إلا بتحقق شروط الدخول إليها، فإذا كان من شروط صحة الصلاة الإسلام فلا تصح الصلاة من كافر أو مشرك، فكذلك من شروط الاذن بالدخول إلى الحضرة (الإحسان) فلا يؤذن بالدخول إليها إلا لمحسن تجاوز مرتبة الإسلام والإيمان وبلغ مرتبة الإحسان، وإذا كان من شروط صحة الصلاة العقل فلا تصح الصلاة من مجنون، فكذلك من شروط الاذن بالدخول إلى الحضرة (العرفان) فلا يؤذن بالدخول إليها إلا لعارف بلغ أعلى منازل العلم والحكمة والبصيرة، وإذا كان من شروط صحة الصلاة: الطهارة الحسية مِن الحَدَث الأصغر والأكبر، فلا تصح الصلاة إلا بتلك الطهارة بالغسل أو الوضوء، وأدنى حدث يفسد الوضوء وبالتالي فإنه يفسد الصلاة، فكذلك من شروط الاذن بالدخول إلى الحضرة (الطهارة المعنوية) فلا يؤذن بالدخول إليها إلا لمن كان طاهر النفس من أدنى نجاسة، سليم القلب خاليا من عيوبه متحليا بأنوار الروح بلغ أعلى منازل الطهارة النفسية والقلبية والروحية، وإذا كان من شروط صحة الصلاة سَتر العَوْرَة، فلا تصح الصلاة من عريان، فكذلك من شروط الاذن بالدخول إلى الحضرة (إزالة الحجب) التي تحجب عن شهود التجليات القدسية، وإذا كان من شروط صحة الصلاة العلم المسبق بأحكام الصلاة وأركانها وشروطها ومبطلاتها، فلا تصح الصلاة إلا بتلك الشروط، فكذلك من شروط الاذن بالدخول إلى الحضرة (الأدب المسبق والعلم المسبق) فلا يؤذن بالدخول إليها إلا لمن تأهل بأدبه وعلمه للدخول على حضرة الحق

***

## المبحث التاسع

# سبيل التصوف لبلوغ الغاية

**[المفتاح الأول]:** لما كانت غاية التصوف هي الدخول على حضرة الحق القدسية وشهود تجليات أسمائه الدالة على أفعاله وصفاته وجناب ذاته، فإن الدخول على ملك الملوك جل جلاله في حضرة أسمائه لا يتم إلا بتحقق شروط كثيرة، وأهم تلك الشروط سبعة: **الشرط الاول:** كمال الأدب مع الله تعالى بتحقق صفات العبودية والبراءة من كل صفات الربوبية، ومن لم يتحقق بالعبودية فليس بمؤدب، فلا يصل ولا يسمح له بدخول الحضرة، **والشرط الثاني:** العلم الراسخ فلا يسمح لجاهل ولا لصاحب بدعة ولا لصاحب هوى ولا لصاحب ضلالة، **والشرط الثالث** بلوغ مرتبة (الإحسان) فلا يؤذن بالدخول إليها إلا لمحسن تضلع بالإحسان وتحقق به، **ورابع تلك الشروط:** (الطهارة المعنوية) فلا يؤذن بالدخول إليها إلا لمن كان طاهر النفس من أدنى نجاسة، سليم القلب خاليا من عيوبه متحليا بأنوار الروح بلغ أعلى منازل الطهارة النفسية والقلبية والروحية، **وخامس تلك الشروط** : (إزالة الحجب من طريق الوصول)، وأصعب الحجب التي تحجب الإنسان عن الوصول: حجاب رؤية النفس والعمل من اجلها وأجل مجدها، **وسادس تلك الشروط:** المداومة على ذكر الله تعالى، حتى يصير الذكر صفة متأصلة في القلب واللسان، **وسابع تلك الشروط:** (المجاهدة والسلوك والتدرج في منازل السالكين، من مقام اليقظة وإلى مقام التوحيد،

**[1] الشرط الأول من شروط الدخول إلى حضرة الشهود: [الأدب العالي]:** وللأدب عند أهل الطريق شأن كبير في سيرهم وسلوكهم إلى الله ولذا قال بعض العارفين: (الزم الأدب ولو رقيت إلى أعلى الرتب)، الأدب العالي مع الله بتحقق صفات العبودية والبراءة من كل صفات الربوبية، والادب العالي مع الخلق، صفات الربوبية كمال العلم وكمال الغنى وكمال الحمد وكمال القدرة وكمال العزة، وصفات العبودية الجهل أمام كمال علم الله، والذم أمام كمال الحمد لله، والعجز امام كمال القدرة، والتذلل امام كمال العزة، فمن كانت في نفسه صفة من صفات الربوبية لم يستأصلها فليس بمؤدب، ومن لم يتحقق بالعبودية فليس بمؤدب، فمن رأى نفسه أفضل من اخيه فلا يصل ولا

يسمح له بدخول الحضرة، ومن جملة الآداب الواجب التحلي بها، أن يعلم أن مقام العبد دائما هو التقصير، فما أصابه من خير أو حسنة أو طاعة فمن الله وما أصابه من مصيبة فمن نفسه، وأنه لولا حلم الله تعالى عليه لفضحه وعذبه أشد العذاب، والسالك المؤدب دائما يتهم نفسه بالنفاق والرياء وعدم الإخلاص، وهو دائماً يتهم نفسه بالقصور في الأعمال والتقصير في الهمة والاحوال، ولهذا قالوا: (السالك ينظر إلى سيئات نفسه وحسنات الآخرين)، ومن أهم آداب السالك التواضع، لأنه يلاحظ بعين بصيرته حقيقته الأولى، وهى أنه مخلوق من ماء مهين، وأن ما زاد على ذلك من صفات وكمالات، إنما هي فيض هبات من الحق عليه، ولهذا قالوا: (من رأى نفسه فوق التراب ضل)، والسالك أبعد الناس عن أخلاق إبليس من الحسد والكبر والطمع وأذية الخلق والغيبة والنميمة، والسالك أبعد الناس عن أخلاق البهائم من الحرص والبخل والعدوان والانتقام والمكر والخداع والتملك، والسالك أقرب الناس إلى أخلاق الملائكة من الطاعة والبعد عن المعصية، هذا هو الشرط الأول: (الأدب العالي)،

**[2] الشرط الثاني من شروط الدخول إلى جناب حضرة الشهود [العلم الراسخ]**: ويكون ذلك بطلب العلم على المذاهب المؤصلة المتخصصة في العلم الشرعي الشريف، واتباع أحسن ما أنتجه المتخصصون في علومهم، وقد أمرنا الله تعالى باحترام التخصص واستفتاء أهل الخبرة والتخصص بقوله تعالى: {وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ} [النساء: 83]، وهؤلاء المتخصصون ينبغي الرجوع إليهم في مجال علومهم، قال تعالى: {وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ} [فاطر: 14]، وقال تعالى: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النحل: 43]، إذن لابد لطالب العلم الراسخ من معرفة مدارس العلم المتخصصة في كل فرع من فروعه، قبل أن يهجم على العلم فيقع في البدعة أو الخلل بسبب عدم طلب العلم على اهله المتخصصين فيه، ويمثل إطار التخصص العلمي في العقيدة ثلاث مذاهب لا رابع لها إلا الميل إلى الاعتزال أو الحشو، وهي (المدرسة الأثرية)، (والمدرسة الأشعرية)، (والمدرسة الماتريدية)، ويمثل إطار أهل السنة والجماعة في الفقه مذاهب أربعة لا خامس لها إلا الشذوذ الفقهي، (المذهب الحنفي)، و (المذهب المالكي)، و (المذهب الشافعي)، و (المذهب الحنبلي)، وقد تنوعت الطرق التربوية والتزكوية التي يسلكها الربانيون على مذهب أهل السنّة والجماعة في تربيتهم لمريديهم فلابد وأن تُطلب التزكية من خلال أهلها المتخصصين فيها وأئمة العارفين في هذا المجال،

**[3] الشرط الثالث من شروط الدخول إلى جناب حضرة الشهود تحقيق مرتبة (الإحسان) الظاهر والباطن:** فلا يؤذن بالدخول إليها إلا لمحسن تجاوز مرتبة الإسلام والإيمان وتحقق بمرتبة الإحسان الظاهر والباطن، **وحدود مرتبة الإحسان: أداء الفرائض والواجبات الظاهرة والباطنة والكف عن الكبائر والمحرمات الظاهرة والباطنة، ثم الزيادة عليها بأداء النوافل والسنن والمندوبات والتنزه عن المكروهات والشبهات، ولمرتبة الإحسان درجات عظيمة متفاوتة تبدأ بالمراقبة وهي تُعلم من قوله صلى الله عليه وآله وسلم (فإن لم تكن تراه فإنه يراك) ويندرج المحسن في منازلها حتى يبلغ مرتبة الكشف والمشاهدة وهي كما قال صلى الله عليه وآله وسلم (أن تعبد الله كأنك تراه)،**

**[4] الشرط الرابع من شروط الدخول إلى حضرة الشهود: (الطهارة المعنوية التامة):** فلا يؤذن بالدخول إليها إلا لمن كان طاهر النفس من أدنى نجاسة، سليم القلب خاليا من عيوبه متحليا بأنوار الروح بلغ أعلى منازل الطهارة النفسية والقلبية والروحية، والطريق إلى الطهارة المعنوية طريق داخلي وليس خارجي، وهذه ميزة عظيمة، لأنه يستطيعه كل إنسان أخلص النية لله وسلك طريق الإحسان، رحلة داخلية تتناول تزكية النفس من أمارة بالسوء إلى لوامة ومن نفس لوامة إلى نفس ملهمة، ومن نفس ملهمة إلى نفس مطمئنة، ومن نفس مطمئنة إلى نفس راضية، ومن نفس راضية إلى نفس مرضية، ومن نفس مرضية إلى نفس كاملة زكية طاهرة، رحلة داخلية تتناول سلامة القلب من قلب مريض إلى قلب سليم، ويتم ذلك بتخليته من كبائر القلوب كالكبر والعجب والحقد والغل والحسد، وتحلية القلوب بعظيم أخلاق القلوب كالحب والخوف والرجاء والصبر والشكر والرضا والتسليم والتقوى واليقين، رحلة داخلية تتناول تنوير الروح بالآداب والمجاهدات وسني العلوم والأحوال والمعارف، وبهذا يؤهل السالك إلى دخول الحضرة وقد بلغ أعلى منازل الطهارة النفسية والقلبية والروحية، طاهر النفس من أدنى نجاسة، سليم القلب خاليا من أدنى عيب، متحليا بأنوار الروح ومجاهداته، التي تؤهله للدخول على حضرة القدس الأقدس، والشهود الأجل الأكبر

**[5] الشرط الخامس من شروط الدخول إلى حضرة الشهود: (إزالة الحجب من طريق الوصول):** الحجاب هو الشيء الذي يحجب العبد عن رؤية الله ومن الدخول إلى حضرة الشهود لجناب ذات الله تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله، **وكشف الحجاب:** هو سقوط موانع المشاهدة والرؤية،

وبالتالي يسمح للسالك في الدخول إلى حضرة الشهود، ولكن الواقع أنه ما اكثر الحجب، التي تمنع من الكشف، وبالتالي تمنع من دخول حضرة الشهود، ولذلك فإن اكثر الخلق محجوبون عن دخول حضرة الشهود، ومن تلك الحجب، سوء الادب، فإنه أساس العطب، لذلك كان الأدب العالي من أهم شروط كشف الحجب، ومن تلك الحجب، حجاب الجهل، الجهل بالله: لذلك كان طلب العلم الصحيح الراسخ من أهم شروط كشف الحجب، ومن أهم شروط الدخول على حضرة الشهود، ومن تلك الحجب، حجاب البدعة: فمن ابتدع حُجب عن الله ببدعته، فتكون بدعته حجاباً بينه وبين الله حتى يتخلص منها قال صلى الله عليه وآله وسلم: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) [متفق عليه]، ومن تلك الحجب، حجاب الذنوب والكبائر الباطنة: وهي كثيرة كالخيلاء والفخر والكبر والحسد والعجب والرياء والغرور،، هذه الكبائر الباطنة أكبر من الكبائر الظاهرة، أعظم من الزنا وشرب الخمر والسرقة،، هذه الكبائر الباطنة إذا وقعت في القلب،، كانت حجاباً بين قلب العبد وبين الرب، ذلك أن الطريق إلى الله إنما تقطع بالقلوب، لذلك كانت الطهارة من الذنوب من أهم شروط كشف الحجب، ومن أهم شروط الدخول على حضرة الشهود، ولذلك كانت (الطهارة المعنوية) من أهم شروط كشف الحجب، فلا يؤذن بالدخول إلي حضرة الشهود إلا لمن كان طاهر النفس من أدنى نجاسة، سليم القلب خاليا من عيوبه متحليا بأنوار الروح بلغ أعلى منازل الطهارة النفسية والقلبية والروحية، ومن تلك الحجب، حجاب أهل الغفلة عن الله: لذلك كان طلب ذكر الله من أهم شروط كشف الحجب، قال بعض العارفين: الحجاب: (هو العبد لا غير، فما لم يخل العبد من مراد نفسه كلية، لا يكون الرب مراده)، وقال العارف بالله الجنيد البغدادي: (الحجب ثلاثة: حجاب النفس، وحجاب الخلق، وحجاب الدنيا، وهذه الثلاثة هي الحجب العامة، وهناك ثلاثة حجب تسمى: بالحجب الخاصة وهي: مشهد الطاعة، ومشهد الثواب، ومشهد الكرامة)، وقال العارف بالله عبد القادر الجيلاني: (الدنيا حجاب عن الآخرة، والآخرة حجاب عن رب الدنيا والآخرة، كل مخلوق حجاب عن الخالق . عز وجل، مهما وقفت معه فهو حجاب)، وقال العارف بالله أبو يزيد البسطامي: (أشد المحجوبين عن الله ثلاث بثلاث: الزاهد بزهده، والعابد بعبادته، والعالم بعلمه)، وقال سلطان العلماء الشيخ عز الدين بن عبد السلام: (حجاب الخلق عن الحق هي أربع: النفس، والهوى، والشيطان، والدنيا)، وصدق رحمه الله، فإن هذه الأربع هي أصول الحجب، فالدنيا والاهتمام بها وانشغال القلب بتقلباتها قاطع كبير عن الله تعالى، ومجاهدة الدنيا يكون بالزهد فيها والحث على التقلل منها، والشيطان من ألد الأعداء وأشد الحجب، ومجاهدة الشيطان تتمثل في المداومة على ذكر الله تعالى،

فإنه أعظم سلاح لمقاومة الشيطان، واما الحجاب الأكبر والأصعب للإنسان هو نفسه التي لا تفارقه لحظة من لحظات عمره، وأول مرحلة في مجاهدة النفس عدم الرضى عنها، ومخالفتها وفطامها عن شهواتها، وثاني مرحلة في المجاهدة: التخلي عن المعاصي الظاهرة، وثالث مرحلة في المجاهدة: التحلي بالطاعات الظاهرة والباطنة، ورابع مرحلة في المجاهدة: التخلي عن المعاصي الباطنة، وخامس مرحلة في المجاهدة: التحلي بالطاعات الباطنة، أما هوى النفس فهو أشد حجاب، والهوى إنما مرجعه إلى عبادة النفس، ولهذا قال العارفون: (أمّ الأصنام صنم نفسك) وأخطر الضلال وأشده وأصعبه اتباع الهوى، قال تعالى: {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [القصص: 50]، إذن أصعب الحجب التي تحجب الإنسان عن الوصول: حجاب رؤية النفس وعبادتها واتباع هواها، هذا الحجاب هو أضخم الحجب وأظلمها، وخرق هذا الحجاب أصعب من خرق جميع الحجب، وخرق هذا الحجاب هو مفتاح الدخول على حضرة الشهود، وهو باب العروج إلى كمال الروحانية التي تستأهل الدخول على حضرة الشهود، فأول مهام السالك هو الفناء عن رؤية النفس، وأهم شرط للسلوك إلى الله هو إماتة النفس في الله، وكل سالك يسلك بخطوة الأنانية، ورؤية النفس، وحب النفس، تكون رياضته باطلة، ولا يكون سلوكه إلى الله بل إلى النفس، ولهذا يهلك، إذن ما اكثر الحجب، ومن تلك الحجب، سوء الادب، فإنه أساس العطب، لذلك كان الأدب العالي من أهم شروط كشف الحجب، ومن أهم شروط الدخول على حضرة الشهود، ومن تلك الحجب، حجاب الجهل، الجهل بالله: لذلك كان طلب العلم الصحيح الراسخ من أهم شروط كشف الحجب، ومن أهم شروط الدخول على حضرة الشهود، ومن تلك الحجب، حجاب البدعة: فمن ابتدع حُجب عن الله ببدعته،، فتكون بدعته حجاباً بينه وبين الله حتى يتخلص منها قال صلى الله عليه وآله وسلم: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) [متفق عليه]، ومن تلك الحجب، حجاب الذنوب والكبائر الباطنة: وهي كثيرة كالخيلاء والفخر والكبر والحسد والعجب والرياء والغرور، هذه الكبائر الباطنة أكبر من الكبائر الظاهرة، وهي إذا وقعت في القلب كانت حجاباً بين قلب العبد وبين الرب، ذلك أن الطريق إلى الله إنما تقطع بالقلوب، ومن تلك الحجب، حجاب الكبائر الظاهرة: كالسرقة،، وشرب الخمر،، وسائر الكبائر، ومن تلك الحجب، حجاب الاصرار على الصغائر: إن الصغائر تعظم حتى تنقلب كبائر، ومن تلك الحجب، حجاب أهل الغفلة عن الله: لذلك كان طلب ذكر الله من أهم شروط كشف الحجب، ومن أهم شروط الدخول على حضرة الشهود، نسأل المولى الكريم أن يكشف عنا الحجب، إنه سميع مجيب الدعاء،

**[6] الشرط السادس من شروط الدخول إلى حضرة الشهود: إدمان ذكر الله تعالى:** بالقلب واللسان، بالليل وبالنهار بالسر وبالجهر وبالفرد وبالجماعة، وهو من أهم شروط الدخول إلى جناب حضرة الشهود، قال تعالى: {فاذكُرُوني أذكُرْكُم} [البقرة: 152]، وأخرج أحمد في الحديث القدسي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: عن الله تعالى (أهل ذكري أهل مجالستي)، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربَّهُ مثل الحي والميت)، وإذا اطلق الذكر فالمقصود به، التسبيحُ والتهليل والتكبير وتلاوة القرآن وذكر الأسماء الحسنى، والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وغير ذلك من صيغ الذكر، ولم يفرض الله تعالى على عباده فريضة إلا جعل لها حداً معلوماً، ثم عذر أهلها في حال العذر، غير الذكر، فإنه لم يجعل له حداً ينتهي إليه، ولم يعذر أحداً في تركه إلا مغلوباً على عقله، وأمرهم بذكره في الأحوال كلها، فقال عز من قائل: {فاذكُروا اللهَ قياماً وقعوداً وعلى جُنُوبِكُم} [النساء: 103] وقال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً} [الأحزاب: 41]، والذكر هو عدة السائرين ورأس مال السالكين ولا وصول إلا بالذكر ولا ارتقاء إلا بالذكر، ولا شهود إلا من طريق الذكر،

**[7] الشرط السابع من شروط الدخول إلى حضرة الشهود: المجاهدة والسلوك والتدرج في منازل السالكين مع شيخ مربي ولي مرشد يدله على الطريق إلى الله):** ويجمع تلك المجاهدات ثلاث مراحل، (المرحلة الأولى): أخذ القاصد في السير، و (المرحلة الثانية) دخوله في الغربة، و (المرحلة الثالثة) حصوله على المشاهدة الجاذبة إلى عين التوحيد في طريق الفناء، ولا يتم السير إلا مع شيخ كامل وولي مرشد يدله على الطريق، قال تعالى: {مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا}، وقال تعالى: {وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ}، فلا مناص للسائر من شيخ مرشد يدله على الله وعلى منازل السير إليه، طاعته، ويذعن لنصحه وتوجيهه، **قال الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى:** (مما يجب في حق سالكِ طريق الحق أن يكون له مرشد ومرب ليدله على الطريق، ويرفع عنه الأخلاق المذمومة، ويضع مكانها الأخلاق المحمودة،، فالسالك لا يستغني عن المرشد البتة)، وقال العارف بالله ابن عطاء الله السكندري رضي الله عنه: (وينبغي لمن عزم على الاسترشاد، وسلوك طريق الرشاد، أن يبحث عن شيخ من أهل التحقيق، سالك للطريق، تارك لهواه، راسخ القدم في خدمة مولاه فإذا وجده فليمتثل ما أمر، ولينتهِ عما نهى عنه وزجر) أهـ، وقال الإمام الشعراني بعد أن بين أن من سلك من غير شيخ تاه: (من قال إن طريق

القوم يوصَل إليه بالفهم من غير شيخ يسير بالطالب فيها، لما احتاج مثل حجة الإسلام الإمام الغزالي والشيخ عز الدين بن عبد السلام أَخْذَ أدبهما عن الشيخ، مع أنهما كانا يقولان قبل دخولهما طريق القوم: (كل من قال: إن ثم طريقةً للعلم غير ما بأيدينا فقد افترى على الله عز وجل)، فلما دخلا طريق القوم كانا يقولان: قد ضيعنا عمرنا في البطالة والحجاب واثبتا طريق القوم ومدحاها، وكان سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام يقول: (ما عرفت الإسلام الكامل إلا بعد اجتماعي على الشيخ أبي الحسن الشاذلي رحمه الله)، فإذا كان هذان الشيخان قد احتاجا إلى الشيخ مع سعة علمهما بالشريعة فغيرهما من أمثالنا من باب أولى) انتهى كلام الشعراني، فلا بد للمرء أن يسعى لاتخاذ مرشد، قد ورث الإرشاد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيخاً بعد شيخ، يصله برسول الله صلى الله عليه وسلم صلة روحية، يأتمر بأمره ويسير معه ويتعلم منه ويأخذ عنه أمور دينه ودنياه، ويعرفه طريق الوصول إلى الله عز وجل، قال ابن عباد: (ولا بد للمريد في هذه الطريق من صحبة شيخ محقق مرشد، قد فرغ من تأديب نفسه، وتخلص من هواه، فليسلم نفسه إليه، ويلتزم طاعته والانقياد إليه في كل ما يشير به عليه، من غير ارتياب ولا تأويل ولا تردد، فقد قالوا: من لم يكن له شيخ فالشيطان شيخه) أهـ، وقال أبو علي الثقفي: (لو ان رجلا جمع العلوم كلها، وصاحب طوائف الناس، لا يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة من شيخ أو إمام أو مؤدب ناصح، ومن لم يأخذ أدبه من آمر له او ناه يريه عيوب أعماله، ورعونات نفسه، فلا يجوز الاقتداء به في تصحيح المقامات) أهـ، وقال أبو مدين: (من لم يأخذ الأدب من المتأدبين أفسد من يتبعه)، فمن كان بلا شيخ فليبحث عن شيخ، وعليه أن يصدق العزم، ويصحح النية، ويتجه إلى الله تعالى بقلب ضارع منكسر، يناديه في جوف الليل، ويدعوه في سجوده وأعقاب صلاته: (اللهم دلَّني على من يدلني عليك، وأوصلني إلى من يوصلني إليك)،،وعليه أن يبحث ويفتش ويسأل عن المرشد بدقة وانتباه، فإنه لا يخلو زمان ممن يقوم بالحجة من أولياء الله، حتى يأتي أمر الله،

***

# المبحث العاشر

# القرآن الكريم والتصوف

**[المفتاح الأول]: لقد تناول القرآن الكريم كل ما يتعلق بمنهاج التزكية التي كانت إحدى مهمات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، كما في قوله تعالى: {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ} [البقرة: 151]، وكل ما يتعلق بالإحسان الذي وضحه النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما سأله جبريل عليه السلام عن مرتبة الإحسان تعليماً لأمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر دينهم: (قال صدقت فاخبرني عن الإحسان قال صلى الله عليه وآله وسلم: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) [أخرجه مسلم]، وإذا كانت مناهج التزكية في التصوف تتناول العديد من الأقسام، قسم يبحث في الاجتهاد في العبادة مع تصحيحها، وحسن إقامتها بالإخلاص والخشوع والحضور فيها مع الله تعالى، وقسم يبحث في مجاهدة النفس وتزكيتها، والقلب وأحواله، من تخليته عن صفاته الناقصة كالرياء والحقد والحسد وغيرها من الصفات المذمومة، وتحليته بالصفات الكاملة كالتوبة والتوكل والرضا والتسليم والمحبة والخوف والرجاء وغيرها من الصفات الحسنة، وقسم يبحث عن الاخلاق العظيمة مع الخالق والخلائق، وقسم يبحث عن المعارف الربانية والمقامات القلبية، فإن القرآن الكريم قد تناول جميع تلك الأقسام بالبيان والتوضيح،**

**[المفتاح الثاني]: القرآن الكريم نجد فيه الآيات التي تدعو إلى الاجتهاد في العبادة كقوله تعالى: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا} [الفرقان: 63، 64]، وقوله تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ} [الذاريات: 15 إلى 19]، وقوله تعالى:**

{الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} [آل عمران: 191]

**[المفتاح الثالث]:** القرآن الكريم نجد فيه الآيات التي تدعو إلى تصحيح العبادات، وحسن إقامتها بالإخلاص والخشوع والحضور فيها مع الله تعالى مثل قوله تعالى: {قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ} [الزمر: 11]، وقوله تعالى: {قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي} [الزمر: 14]، وقوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ} إلى قوله تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [المؤمنون: 1 إلى 11]، وقوله تعالى: {إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ} إلى قوله تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ} [المعارج: 22 إلى 35]، وقوله تعالى: {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} [الأعراف: 55]، وقوله تعالى: {{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ} [الانفال: 2]، وقوله تعالى: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} [الحديد: 16]، وقوله تعالى: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} [الانبياء: 90]

**[المفتاح الرابع]:** القرآن الكريم نجد فيه الآيات التي تبحث في مجاهدة النفس وتزكيتها، والقلب وأحواله، من تخليته عن صفاته الناقصة كالرياء والحقد والغل والسمعة والجاه والحسد وغيرها من الصفات المذمومة، وتحليته بالصفات الكاملة كالتوبة والتوكل والرضا والتسليم والمحبة والإخلاص، والصدق والخشوع والمراقبة وغيرها من الصفات الحسنة، فما أكثر الآيات التي تحث على مجاهدة النفس وإصلاحها كقوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى} [الأعلى: 14، 15]، وقوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} [الشمس: 9، 10]، وقوله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} [العنكبوت: 69]،

**[المفتاح الخامس]:** القرآن الكريم نجد فيه الآيات التي تتناول اعمال القلوب وسلامته من عيوبه وتخليه عن آفاته وتحليه بالطاعات الباطنة والصفات الصالحة، ومنها قوله تعالى: {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الشعراء: 88، 89]، وقوله تعالى: {) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ

مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ} [المؤمنون: 60، 61]،

**[المفتاح السادس]:** القرآن الكريم نجد فيه الآيات التي تتحدث عن حسن الخلق، منها قوله تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: 4]، وقوله تعالى: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} [الفرقان: 63]، وقوله تعالى: {يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} [لقمان: 17 إلى 19]، وقوله تعالى: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [آل عمران: 133، 134]

**[المفتاح السابع]:** القرآن الكريم تناول بالتوضيح المقامات التي يمر بها السالك في سيره إلى مرتبة الإحسان مرتبة السابقين المقربين، ومن ذلك قوله تعالى: {التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} [التوبة: 112]، وقوله تعالى: {الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ} [آل عمران: 17]، وقال تعالى: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 35]، ففي مقام التوبة يأتي قوله تعالى: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [نور: 31]، وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا} [التحريم: 8]، وقوله تعالى: {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [هود: 112]، وقوله تعالى: {إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [الفرقان: 70]، وقوله تعالى: {وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} [البقرة: 118]، وفي مقام الخوف والرجاء، قوله تعالى: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ

رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} [السجدة: 16] {مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [العنكبوت: 5]، وقوله تعالى: {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} [الْأَعراف: 55، 56]، وقوله تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا} [الاسراء: 57]، وقوله تعالى: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف: 110]، وقوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} [الاحزاب: 21]، وقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ} [فاطر: 29]، وقوله تعالى: {أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} [الزمر: 9]، وفي مقام الصبر: {وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} [يوسف: 115]، وقوله تعالى: {وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ} [النحل: 127]، وقوله تعالى: {فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى} [طه: 39]، وفي مقام الشكر، قوله تعالى: {مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا} [النساء: 147]، وقوله تعالى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ} [البقرة: 152]، وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} [البقرة: 172]، وقوله تعالى: {وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [البقرة: 185]، وقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ} [البقرة: 243]، وقوله تعالى: {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [المائدة: 89]، وقوله تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [ابراهيم: 7]، وقوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ} [المؤمنون: 78]، وقوله تعالى: {قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ} [النمل: 40]، وقوله تعالى: {وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ} [النمل: 73]، وفي مقام الذكر، قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا} [الاحزاب: 41]، وقوله تعالى: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ

آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} [الحديد: 16]، وقوله تعالى: {وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ} [الاعراف: 205]، وقوله تعالى: {وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا} [المزمل: 8]، وقوله تعالى: {وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} [الانسان: 25]، وقوله تعالى: {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} [آل عمران: 191]، <u>وفي مقام التقوي</u>، قوله تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ * وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ * وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ} [الذاريات: 15 إلى 23]، وقوله تعالى: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ} [آل عمران: 133 إلى 136]، <u>وفي مقام العبادة</u>، قوله تعالى: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا * وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا * وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا * وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا * أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا * خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا} [الفرقان: 63 إلى 76]، وقوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ

*** وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [المؤمنون: 1 إلى 11]، وفي مقام الاستقامة، قوله تعالى: {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ * وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ (114) وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} [هود: 112 إلى 115]، وقوله تعالى: {وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [آل عمران: 146 إلى 148]، وفي مقام المجاهدة، قوله تعالى: {**يَا** أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [المائدة: 35]، وقوله تعالى: {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ} [الحج: 78]، وقوله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} [العنكبوت: 69]، وفي مقام اليقين، قوله تعالى: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا * لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} [الأحزاب: 23، 24]، قوله تعالى: {هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [لقمان: 3 إلى 5]، وقوله تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} [السجدة: 24]، وفي مقام الصدق، قوله تعالى: {وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ * لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ} [الزمر: 33، 34 ]، وقوله تعالى: {الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ} [آل عمران: 17]، وقوله تعالى: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ**

وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 35]، **وفي مقام المحبة، قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [البقرة: 195]، وقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} [البقرة: 22]، وقوله تعالى: {فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} [آل عمران: 76]، وقوله تعالى: {وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ} [آل عمران: 146]، وقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران: 159]، وقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [المائدة: 42]، وقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ} [الصف: 4]، وقوله تعالى: {فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} [المائدة: 54]، وفي مقام الزهد في الدنيا، قوله تعالى: {إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [يونس: 24]، وقوله تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ} [هود: 15]، وقوله تعالى: {وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا} [الكهف: 45]، وقوله تعالى: {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا} [الكهف: 46]، وقوله تعالى: {وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [العنكبوت: 64]، وقوله تعالى: {اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} [الحديد: 20]، وقوله تعالى: {بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى * إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى} [الاعلى: 16 إلى 19]، وفي مقام إخلاص الدين لله، قوله تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ} [الزمر: 2]، وقوله تعالى: {قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ} [الزمر: 11]، وقوله تعالى: {قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي} [الزمر: 14]، وقوله تعالى: {** وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} [البينة: 5]، وفي مقام الولاية، قوله تعالى: {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا} [البقرة: 257]، وقوله تعالى:

**{وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ} [آل عمران: 68]، وقوله تعالى: {وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا} [النساء: 45]، وقوله تعالى: {وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ} [الجاثية: 19]، وقوله تعالى: {**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [يونس: 62 إلى 64]، **وفي مقام التوحيد، قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا} [النساء: 48]، وقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} [النساء: 116]، وقوله تعالى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا} [البقرة: 36]، وقوله تعالى: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا } [الانعام: 151]، وقوله تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ} [المؤمنون: 58-59]، وقوله تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [النور: 55]، وعلى ذلك فإن القرآن الكريم قد تناول بوضوح جميع الأسس التي تناولت منهاج التزكية الرباني (منهاج الإحسان)، بجميع جوانبه التزكوية التي كانت إحدى مهمات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بين المسلمين، إن جميع الآيات التي تدعو إلى التقوى والإحسان، وجميع الآيات التي تدعو إلى الاجتهاد في عبادة الله تعالى مع إخلاصها وتصحيحها، وحسن إقامتها مع الله تعالى بالإخلاص والخشوع، وجميع الآيات التي تأمر بأعمال القلوب كالتوبة والورع والزهد والفقر والصبر والتوكل والرضا والمراقبة والقرب والمحبة والخوف والرجاء والشوق والذكر والأنس والطمأنينة والمشاهدة واليقين، وجميع الآيات التي تبين أخلاق المسلم، وما ينبغي أن يكون عليه من الخلق القويم والصفات الطاهرة الزكية مع الله تعالى ومع الناس، إن كل تلك الآيات تمثل في مجموعها المنهاج الرباني الذي قام عليه التصوف الحق الذي يمثل التزكية والإحسان، ولا تزكية ولا إحسان إلا من خلاله، فإنه فضل الله تعالى ورحمته، قال تعالى: {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [النور: 21]**

***

## المبحث الحادي عشر

## النبي صلى الله عليه وآله وسلم والتصوف

**[المفتاح الأول]: لقد تناولت السنة النبوية المشرفة كما تناول القرآن الكريم كل ما يتعلق بمنهاج التزكية التي تكرر ذكرها في القرآن الكريم مرات عديدة على أنها واحدة من أهم مهمات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وجزء أصيل من رسالته بين الناس، قال تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [الجمعة: 2]، وقال تعالى: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [آل عمران: 164]، وقال تعالى: {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ**

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ * فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ} [البقرة: 151، 152]،

**[المفتاح الثاني]:** أهل التصوف لهم في الرسول صلى الله عليه وآله وسلم المثل الأعلى في التزكية، في الخلق العظيم، والاجتهاد العظيم في عبادة الله تعالى، فالخلق العظيم كما في قوله تعالى:{وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: 4]، وقوله تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [التوبة: 128]، وقوله تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران: 159]، والاجتهاد العظيم في عبادة الله تعالى، كما في قوله تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} [الأنعام: 162، 163]، وقد أخرج الشيخان عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: (كان النبي صلى الله علية وسلم يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه فقلت له: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبداً شكوراً) [متفق عليه]، لقد قام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بمهمته في التزكية خير قيام ووضحها أحسن بيان، و {اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ}، وقد تناولت السنة النبوية المشرفة منهاج التزكية الربانية بكل تفصيل، فمن ذلك جميع الاحاديث التي تحث على عبادة الله تعالى والاجتهاد في العبادة، مع الصدق والإخلاص فيها صدق التوجه بها إلى الله تعالى، وجميع الأحاديث التي تأمر بالصدق والتقوى ومحاسن الأخلاق، وكل الأحاديث التي تنهى عن الكبر والكذب والفواحش ودسائس الأخلاق، كما أن منهاج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم العملي في التزكية متمثلاً في الحرص على العبادة وعلى الصلاة وصلاة التطوع وفي الصيام وصيام التطوع وفي قيام الليل وصلاة التهجد وفي الذكر والتسبيح والتحميد وتلاوة القرآن والتفاني في عبادة الله والتجرد لنيل رضا الله، حتى صدق فيه ما لم يصدق على غيره من الخلق من قوله تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} [الأنعام: 162، 163]

**[المفتاح الثالث]:** نظرة عابرة إلى دواوين السنة النبوية المشرفة نعرف منها المنهج المتكامل للتزكية من حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ودراسة متأنية لموضوعات كتاب إحياء

علوم الدين لحجة الإسلام الغزالي، أو منهاج القاصدين لابن الجوزي أو رياض الصالحين للإمام النووي، نجد فيها المنهاج النبوي الذي قام عليه التصوف الحق الذي يمثل التزكية والإحسان، ولا تزكية ولا إحسان إلا من خلاله، فإنه فضل الله تعالى ورحمته، قال تعالى: {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [النور: 21]، فمن تلك الدواوين إذا نظرنا إلى أبواب كتاب رياض الصالحين من حديث سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم نجد فيه تلك الأبواب: باب الإخلاص وإحضار النية، باب باب التوبة، باب الصبر، باب الصدق، باب المراقبة، باب التقوى، باب اليقين والتوكل، باب الاستقامة، باب التفكر في عظيم مخلوقات الله تعالى، باب المجاهدة، باب الحث على الازدياد من الخير في أواخر العمر، باب بيان كثرة طرق الخير، باب الاقتصاد في العبادة، باب المحافظة على الأعمال، باب الأمر بأداء الأمانة، باب تحريم الظلم والأمر برد المظالم، باب تعظيم حرمات المسلمين وبيان حقوقهم والشفقة عليهم ورحمتهم، باب ملاطفة اليتيم والبنات وسائر الضعفة والمساكين، باب الوصية بالنساء، باب بر الوالدين وصلة الأرحام، باب تحريم العقوق وقطيعة الرحم، باب إكرام أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبيان فضلهم، باب توقير العلماء والكبار وأهل الفضل، باب زيارة أهل الخير ومجالستهم وصحبتهم ومحبتهم، باب فضل الحب في الله والحث عليه، باب علامات حب الله تعالى للعبد، باب التحذير من إيذاء الصالحين، باب الخوف، باب الرجاء، باب فضل الرجاء، باب الجمع بين الخوف والرجاء، باب فضل البكاء، باب فضل الزهد في الدنيا، باب فضل الجوع وخشونة العيش، باب القناعة والعفاف والاقتصاد، باب الكرم والجود والإنفاق، باب النهى عن البخل والشح، باب الإيثار والمواساة، باب التنافس في أمور الآخرة، باب فضل الغني الشاكر، باب ذكر الموت وقصر الأمل، باب الورع وترك الشبهات، باب استحباب العزلة عند فساد الناس، باب فضل الاختلاط بالناس حضور جمعهم وجماعاتهم، باب التواضع وخفض الجناح للمؤمنين، باب تحريم الكبر والإعجاب، باب حسن الخلق، باب الحلم والأناة والرفق، باب العفو والإعراض عن الجاهلين، باب الحياء وفضله والحث على التخلق به، باب فضل قراءة القرآن، باب فضل الوضوء، باب فضل الآذان، باب فضل الصلوات، باب فضل السنن الراتبة مع الفرائض، باب استحباب جعل النوافل في البيت، باب بيان فضل صوم المحرم وشعبان والأشهر الحرم، كتاب حمد الله تعالى وشكره، كتاب الصلاة على رسول الله، كتاب الأذكار، كتاب الاستغفار... وقد جمع النووي فيه من أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما يمثل منهاجاً متكاملاً للتزكية والإحسان،

**[المفتاح الرابع]:** التصوف خلق، فمن زاد عيك في الخلق فقد زاد عليك في التصوف، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مضرب المثل والقدرة الحسنة في حسن الخلق فلقد أثنى عليه الله تعالى في القرآن الكريم بقوله تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: 4] و امتن سبحانه عليه بأن حسن خلقه فجعله ليناً للمؤمنين فقال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ} [آل عمران: 159]، ووصفه سبحانه بالرأفة و الرحمة على المؤمنين و هذا من حسن الخلق فقال عز وجل: {لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} [التوبة: 128]، وحينما سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خلقه صلى الله عليه وآله وسلم قالت (كان خلقه القرآن)، فلقد صار امتثال القرآن أمراً ونهياً خلقاً له، فما أمره به القرآن الكريم فعله و ما نهاه عنه تركه و ما جاء فيه من خلق حسن إلا و اتصف به و ما ذكر له من خلق سيئ إلا ابتعد عنه، و كان صلى الله عليه وآله وسلم حريصاً على حسن الخلق فقد كان يدعو الله أن يهديه لأحسن الأخلاق ويصرف عنه سيئها و يستعيذ بالله من منكرات الأخلاق و يدعو الله أن يحسن خلقه، فقد أخرج مسلم في صحيحه عن على رضي الله عنه، كان من دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها ولا يصرف عني سيئها إلا أنت) [أخرجه مسلم]، و أثنى الصحابة على حسن خلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهذه عائشة تقول عنه صلى الله عليه وآله وسلم: (لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاحشاً و لا متفحشاً ولا صخاباً بالأسواق ولا يجزي بالسيئة و لكن يعفو ويصفح) [أخرجه الترمذي]، و تقول رضي الله عنها عنه صلى الله عليه وآله وسلم: (ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله و ما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله) [أخرجه مسلم]، و هذا انس رضي الله عنه يقول: (خدمت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشر سنين فما قال لي أفٍ قط وما قال لي لشيء صنعته: لم صنعته؟ ولا لشيء تركته: لم تركته؟ وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أحسن الناس خلقاً ولا مسست خزاً ولا حريراً ولا شيء ألين من كف رسول الله عليه وسلم ولا شممت مسكاً قط ولا عطراً كان أطيب من عرق النبي صلى الله عليه وآله وسلم) [متفق عليه]، وهذه أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها تقول له حينما قال لها لقد خشيت على نفسي تقول (كلا والله ما يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتحمل الكل و تكسب المعدوم و تقرئ الضيف و تعين على نوائب الدهر) [متفق عليه]،

**[المفتاح الخامس]: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدعو إلى الخلق العظيم**، ومن ذلك: أخرج مسلم عنه صلى الله عليه وآله وسلم: (البِرُّ حُسنُ الخُلُقِ) [أخرجه مسلم]، وأخرج البخاري ومسلم عنه صلى الله عليه وآله وسلم: (إِنَّ مِن خِيارِكُم أَحْسَنَكُم أَخْلاقاً) [متفقٌ عليه]، وهو صلى الله عليه وآله وسلم القائل: (ما من شَيءٍ أَثْقَلُ في ميزَانِ المُؤمِنِ يَومَ القِيامة من حُسْنِ الخُلُقِ، وإِنَّ اللَّه يُبغِضُ الفَاحِشَ البَذِيّ) [أخرجه أبو داود]، وأخرج الترمذي عن أبي هُريرة رضيَ اللَّه عنه قال: قال رسولُ اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم: (أَكْمَلُ المُؤمِنِينَ إِيمَاناً أَحسَنُهُم خُلُقاً، وخيارُكُم خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ) [أخرجه الترمذي]، وأخرج أبو داود عن عائشةَ رضيَ اللَّه عنها، قالت سمعت رسولَ اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسنِ خُلُقِه درَجةَ الصائمِ القَائمِ) [أخرجه أبو داود]،

**[المفتاح السادس]: تحقق النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمقام العبودية**، نجد أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يقوم من الليل حتى تنفطر قدماه، فقلت له أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: لِمَ تصنع هذا يا رسول الله وقد غُفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: (أفلا أكون عبداً شكوراً) [أخرجه البخاري]، ومن تحقق عبوديته لله كانت الصلاة قرة عينه، قال صلى الله عليه وآله وسلم: (وجعلت قرة عيني في الصلاة)، وكان إذا حزبه أمر صلّى، وكان يقيم الليل حتى تورمت قدماه، وفيما يتعلّق بصيامه، قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم، فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استكمل صيام شهر إلا رمضان، وما رأيته أكثر صياماً منه في شعبان) [متفق عليه]، وقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (كان عمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ديمة وأيكم يطيق ما كان يطيق)، لو فاته شيء من النوافل قضاه،

**[المفتاح السابع]: تحقق النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمقام الزهد**، وجدنا ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمنكبي فقال: (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل) [أخرجه البخاري]، وروى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: نام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على حصير فقام وقد أثّر في جنبه، فقلنا يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء، فقال: (ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب، استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها) [أخرجه الترمذي]، وتارة يشير الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى

حقارة شأنها في نظر الحق سبحانه فيقول: (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافراً منها شربة ماء) [رواه الترمذي]،

**[المفتاح الثامن]: تحقق النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمقام الصبر: وجدنا صبره صلى الله عليه وآله وسلم على أذى المشركين**، فقد آذاه المشركون، ورموه بالكذب، والكهانة، والسحر، وهو في كل ذلك صابر ثابت محتسب يبلغ رسالته، قال ابن مسعود رضي الله عنه: (بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ، وَقَدْ نُحِرَتْ جَزُورٌ بِالْأَمْسِ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى سَلَا جَزُورِ بَنِي فُلَانٍ فَيَأْخُذُهُ فَيَضَعُهُ فِي كَتِفَيْ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ، فَانْبَعَثَ أَشْقَى الْقَوْمِ -وَهُوَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ- فَأَخَذَهُ، فَلَمَّا سَجَدَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، قَالَ: فَاسْتَضْحَكُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَمِيلُ عَلَى بَعْض وَأَنَا أَنْظُرْ، لَوْ كَانَتْ لِي مَنَعَةٌ طَرَحْتُهُ عَنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم، وَالنَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم سَاجِدٌ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ، حَتَى انْطَلَقَ إِنْسَانٌ فَأَخْبَرَ فَاطِمَةَ، فَجَاءَتْ وَهِيَ جُوَيْرِيَّةٌ، فَطَرَحَتْهُ عَنْهُ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَشْتُمُهُمْ) [رواه البخاري]، بل بلغ بالمشركين الوقاحة، فبينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولوى ثوبه في عنقه، فخنقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر، فأخذ بمنكبه، ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ؟) [رواه البخاري]، **ومنه صبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على مشاق الحياة وشدتها:** أخرج البخاري: عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لعروة: (إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقدت في أبيات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نار، فقلت: ما كان يُعيّشكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء) [البخاري]، أما عن فراشه صلى الله عليه وآله وسلم فقد كان صلى الله عليه وآله وسلم ينام على الحصير حتى أثَّر في جنبه، فيراه عمر بن الخطاب رضي الله عنه على تلك الحال فيبكي! فيقول له صلى الله عليه وآله وسلم: (مَا يُبْكِيكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ) فيقول: يا نبي الله وما لي لا أبكي وهذا الحصير قد أثَّر في جنبك؟! وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى؟! وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار، وأنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصفوته! وهذه خزانتك؟! فيضرب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم المثل الأعلى في الصبر ويحلق في معاني الإيمان والأمل بما عند الله والدار الآخرة قائلًا: (أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الآخِرَةُ؟!)

[متفق عليه]، **واما صبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على طاعة الله:** كان صلى الله عليه وآله وسلم يجتهد في العبادة والطاعة حتى تتفطّر قدماه من طول القيام، ولا ينفك عن القيام بطاعة أو قربة لله عز وجل، شعاره في ذلك كله: (أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟) [متفق عليه]، **واما صبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم على المصائب:** مات عمه أبو طالب، وتوفيت زوجته خديجة، وتوفي أولاده كلهم في حياته إلا فاطمة، وقتل عمه حمزة، فصلوات ربي وسلامه عليه، بل إن آخر أولاده (إبراهيم) عليه السلام مات بين يديه وعمرُه سنتان، فكان ينظرُ إليه ويقول: (إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلا نَقُولُ إِلاَّ مَا يَرضى رَبُّنَا وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ، يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُون) [البخاري]،

**[المفتاح التاسع]: تحقق النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمقام التواضع:** فإن التواضع، وخفض الجناح، ولين الجانب، كانت أوصافا له ـ صلى الله عليه وآله وسلم، تخلَّق بها مع الكبير والصغير، والقريب والبعيد، امتثالا لأمر الله تعالى حين خاطبه بقوله سبحانه: {وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ} [الحجر:88]، قال أهل التفسير: {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ} أي: ألِن لهم جانبك، وفي ذلك كناية عن التواضع لهم والرفق بهم، فكان صلى الله عليه وآله وسلم أكثر الناس تواضعا، وأخفضهم جناحا، وألينهم جانبا، وسيرته وحياته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مليئة بالمواقف والعبر في هذا الخلق العظيم، ما حفظ عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه فاخر بنفسه أو مكانته، وقد نال أعلى المنازل، وحظي عند ربه بأكبر المقامات، فهو صاحب الحوض المورود، واللواء المعقود، والمقام المحمود، وأُسري به إلى السموات العلى حتى بلغ سدرة المنتهى، وبلغ مقاما لم يبلغه مخلوق قبله ولا بعده، وأنعم الله عليه بالمعجزات، وأيده بالآيات، وما حكى شيئا من ذلك على وجه الفخر أو المدح لنفسه، بل كان التواضع صفته، فكان إذا أخبر عن منزلته تلك يقرن إخباره بها بنفي الفخر، تواضعا لله تعالى، أخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي ـ يومئذ آدم فمن سواه ـ إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر)، ومعنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم ولا فخر: أي لا أقوله تكبرا وتفاخرا وتعاظما على الناس، بل أقوله تواضعا وشكرا لله، ومن تواضعه صلى الله عليه وآله وسلم أنه كره أن يُفضل على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع أنه خاتمهم وأفضلهم، فقال صلى الله عليه وآله وسلم (لا ينبغي لعبد أن يقول: إنه خير من يونس بن متى) [أخرجه البخاري]، وكان صلى الله عليه وآله

وسلم متواضعا في لباسه ومركبه، فيلبس ما تيسر من اللباس، ولا يأنف من ركوب البغال والحمير، وكان صلى الله عليه وآله وسلم متواضعا مع أسرته وفي داخل بيته، يعمل أعمالا يأنف منها كثير من الرجال، وسئلت عائشة رضي الله عنها: (ما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصنع في البيت؟، قالت: كان يكون في مهنة أهله، فإذا سمع الأذان خرج) [أخرجه البخاري]، وعن عروة قال: سأل رجل عائشة رضي الله عنها: (هل كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعمل في بيته؟، قالت: نعم كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته) [أخرجه أحمد]، ومن شدة تواضعه صلى الله عليه وآله وسلم أنه لا يُعرف من بين أصحابه رضي الله عنهم، فلا يتميز عليهم بملبس أو مركب أو مجلس، قال أبو هريرة رضي الله عنه: (كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجلس بين ظهري أصحابه، فيجيء الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل) [أخرجه أبو داود]، ومن تواضعه صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يكره أن يقوم الناس له، قال أنس رضي الله عنه: (ما كان شخص أحب إليهم رؤيةً من رسول الله . صلى الله عليه وآله وسلم . وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك) [أخرجه أحمد]، ومن تواضعه صلى الله عليه وآله وسلم أنه يجيب دعوة من دعاه وكان يقول: (لو دعيت إلى ذراع أو كُرَاع لأجبت، ولو أهدي إلي ذراع أو كُرَاع لقبلت) [أخرجه البخاري]، وكان صلى الله عليه وآله وسلم لا يمل من ذوي الحاجات، بل يستمع إليهم، ويقضي حاجاتهم، فيجيب السائل، ويعلم الجاهل، ويرشد التائه، ويتصدق على الفقير، ولا يرد أحدا قصده في حاجة، وما حفظ عنه صلى الله عليه وآله وسلم رغم كثرة فتوحاته وانتصاراته، أنه استبد به فتح، بل ازداد تواضعا إلى تواضعه، ويوم الفتح الأكبر حين دخل مكة منصورا مؤزرا، دخلها وقد طأطأ رأسه تواضعا لله تعالى، حتى إن رأسه ليمس رحله من شدة تواضعه، هو صلى الله عليه وآله وسلم سيد الخلق، وخاتم الرسل، وأعلى الناس مكانة في الدنيا والآخرة، وهو أيضا صلى الله عليه وآله وسلم أشد الناس تواضعا لله تعالى، صلى الله عليه وآله وسلم،

**[المفتاح العاشر]: تحقق النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمقام الشكر**: فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: أن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لمَ تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! قال: (أفلا أحب أن أكون عبدًا شكورًا)، [متفق عليه]، ولهما من حديث المغيرةِ بن شعبة رضي الله عنه قال:

(كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلي حتى تنتفخ قدماه) [أخرجه البخاري]، لقد غفر الله لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم جميع ذنبه ما تقدم منه وما تأخر، ولكنه أبى إلا أن يجاهد نفسه ويَحْملها على بلوغ الغاية في العبادة، شكرًا لله تعالى وتقربًا إليه، فكان إذا جنَّ الليلُ قام من فراشه وترك لذة النوم شوقًا لمناجاة ربه جل وتعالى، فيَصُفُّ قدميه الشريفتين ويصلي الصلاة الطويلة، قال تعالى: {إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك} [المزمل: 20]، فكان يقوم صلى الله عليه وآله وسلم أحيانًا أكثر الليل، وأحيانًا نصف الليل، وأحيانًا ثلث الليل، وكان يقوم حتى تتورم قدماه وتتفطر ويتحجر الدم فيها من طول القيام،

**[المفتاح الحادي عشر]: تحقق النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمقام الخوف والخشية:**

نجد انّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو أكثر الناس خوفًا لله، وأشد الناس خشية له سبحانه وتعالى، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: (ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه، فو الله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية) [أخرجه البخاري]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (والذي نفس محمد بيده لو تعلمون ما أعلم، لبكيتم كثيرًا ولضحكتم قليلًا) [أخرجه البخاري]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء، وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدًا لله، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات، تجأرون إلى الله) [أخرجه الترمذي]، إن خشية النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخوفه من الله تعالى، أمر قائم في قلبه ملازم له، لا يفارقه، والدليل على ذلك تأثره صلى الله عليه وآله وسلم بالحوادث الكونية، فيظهر أثر ذلك على وجهه الشريف، ويهرع إلى العبادة والذكر، فعن أنس رضي الله عنه، قال: (كانت الريح الشديدة إذا هبت، عرف ذلك في وجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم) [أخرجه البخاري] وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا رأى مخيلة في السماء، أقبل وأدبر، ودخل وخرج، وتغير وجهه، فإذا أمطرت السماء سري عنه، قالت عائشة: فسألته فقال: (ما أدري لعله كما قال قوم: {فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ}) [متفق عليه] وعنها رضي الله عنها قالت: ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مستجمعًا ضاحكًا حتى أرى منه لهواته، إنما كان يتبسم، قالت: وكان إذا رأى غيمًا أو ريحًا، عرف ذلك في وجهه، فقالت: يا رسول الله، أرى الناس إذا رأوا الغيم فرحوا، رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته، عرفتُ في وجهك الكراهية،

قالت: فقال: (يا عائشة، ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب، قد عذب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب فقالوا: هذا عارض ممطرنا) [متفق عليه]، وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: خسفت الشمس، فقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم فزعًا يخشى أن تكون الساعة، فأتى المسجد، فصلى بأطول قيام وركوع وسجود رأيته قط يفعله، وقال: (هذه الآيات التي يرسل الله، لا تكون لموت أحد، ولا لحياته، ولكن يخوف الله بها عباده، فإذا رأيتم شيئًا من ذلك، فافزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره) [متفق عليه]، وكان صلى الله عليه وآله وسلم يبكي إذا سمع القرآن، فعن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (اقرأ عليَّ، قال: قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: إني أشتهي أن أسمعه من غيري، قال: فقرأت النساء، حتى إذا بلغت {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا} قال لي: كفَّ، أو أمسك فرأيت عينيه تذرفان) [متفق عليه]، وعن عبدالله بن الشخير قال: أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يصلي، ولجوفه أزيز كأزيز المرجل، يعني من البكاء) [أخرجه أبو داود والنسائي]، (تنبيه): ليس تحقق النبي صلى الله عليه وسلم بتلك المنازل كتحقق سائر البشر، فهو أعبد خلق الله وأتقى خلق الله تعالى لله، وهو صلى الله عليه وسلم بحر المعارف في حين ان لكل ولي من أولياء الامة قطرة من ذلك البحر المحيط،

***

## المبحث الثاني عشر

## الصحابة رضي الله عنهم والتصوف

**[المفتاح الأول]:** إنكار البعض على لفظ (التصوف) بأنه لم يُسمع في عهد الصحابة، وبالتالي فإنه لا مستند له، هذا الإنكار مردود، لان أكثر الاصطلاحات أحدثت بعد زمان الصحابة، واستُعملت ولم تُنكَر، كالنحو والحديث والتفسير والفقه والعقيدة، ورحم الله القشيري حيث قال: (اعلموا أن المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يَتَسمَّ أفاضلهم في عصرهم بتسمية عِلْمٍ سوى صحبة الرسول عليه الصلاة والسلام، إذ لا أفضلية فوقها، فقيل لهم الصحابة، ثم اختلف الناس وتباينت المراتب، فقيل لخواص الناس . ممن لهم شدة عناية بأمر الدين . الزهاد والعُبَّاد، ثم ظهرت البدعة، وحصل التداعي بين الفرق، فكل فريق ادعوا أن فيهم زهاداً، فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفسهم مع الله سبحانه وتعالى، الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوف، واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة) أهـ

**[المفتاح الثاني]:** ضرب الصحابة المثال الأعظم في كل مفردات التصوف، في التضحية والإيثار ومجاهدة النفس ومغالبة الهوى دون أن تستهويهم زخارف الحياة الزائلة، ضربوا المثال الأكبر، تمثلوا قول الله تعالى: {قلْ متاعُ الدنيا قليلٌ والآخرةُ خيرٌ لِمَنْ اتقى} [النساء: 77]، وصدق فيهم قول القائل:، (لا تنظرنَّ إلى القصور العامرة... واذكر عظامك حين تمسي ناخرة... وإذا ذكرتَ زخارف الدنيا فقل... لبيكَ إنَّ العيش عيش الآخرة)، تحققوا بمراتب الورع المتسامية، فقد روي أن الصدِّيق رضي الله عنه أكل طعاماً أتاه به غلامه، ثم أخبره الغلام أن فيه شبهة، فما وسع الصدِّيق رضي الله عنه إلا أن أدخل يده في فمه، فقاء كل شيء في بطنه [أخرجه البخاري]،

**[المفتاح الثالث]: في باب الصبر:** كان الصحابة الكرام يُعَذَّبُون في مكة ويقلب عليهم ألوان التنكيل والإيذاء وهم يتلقون ذلك كله بقلوب راضية، ووجوه مبتسمة، وألسنة ذاكرة، وفي باب التسليم: روي أن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قطعت رجله ومات أعز أولاده في ليلة واحدة، فدخل عليه أصحابه وعزوه فقال: (اللهم لك الحمد، كان أولادي سبعة فأخذت واحداً وأبقيت ستة، وكان لي أطراف أربعة فأخذت واحداً وأبقيت ثلاثة، فلئن كنتَ قد أخذت فلقد أعطيت، ولئن كنتَ قد ابتليتَ فقد عافيت)، **وفي باب المحبة:** تحقق الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم بمحبة الله ورسوله،

وأنستهم حلاوة المحبة مرارة الابتلاء وقساوة المحن، وحملهم دافع المحبة على بذل الروح والمال والوقت، وكلِّ غالٍ ونفيسٍ في سبيل محبوبهم لعلهم يحوزون رضوانه وحبه، وظهر ذلك واضحا في حبهم للقاء الله، فكانوا يحبون الشهادة أملا في لقاء الله، وكانوا يقولون حين يُدَعْون للمعركة: مرحباً بلقاء الله، **وفي باب المجاهدات والتجليات**، رحم الله ابن خلدون حيث قال: (ثم إن هذه المجاهدة والخلوة والذكر يتبعها غالباً كشف حجاب الحس، والاطلاع على عوالم من أمر الله ليس لصاحب الحس إدراكُ شيء منها، والروح من تلك العوالم، وسبب هذا الكشف أن الروح إذا رجع عن الحس الظاهر إلى الباطن، ضعفت أحوال الحس، وقويت أحوال الروح، وغَلَب سلطانه، وأعان مع ذلك الذكر، فإنه كالغذاء لتنمية الروح، ولا يزال في نمو وتزايد إلى أن يصير شهوداً، بعد أن كان عِلماً، ويكشف حجاب الحس، ويتم صفاء النفس الذي لها من ذاتها، وهو عين الإدراك، فيتعرض حينئذ للمواهب الربانية والعلوم اللدنية والفتح الإلهي،، إلى أن قال: وهذا الكشف كثيراً ما يَعرِض لأهل المجاهدة، فيدركون من حقائق الوجود ما لا يدرك سواهم،، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم على مثل هذه المجاهدة، وكان حظهم من هذه الكرامات أوفر الحظوظ، لكنهم لم يقع لهم بها عناية، وفي فضائل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم كثير منها، وتبعهم في ذلك أهل الطريقة ممن اشتملت الرسالة القشيرية على ذكرهم ومن تبع طريقتهم من بعدهم) [مقدمة ابن خلدون: ص329]،

**[المفتاح الرابع]:** في باب الكشف فإن الكشف وراثة محمدية صادقة، وَرِثَها أصحابه رضي الله عنهم، بسبب صدقهم وتصديقهم وصفاء سريرتهم، على أن الكشف له صلى الله عليه وآله وسلم معجزة، وهو للصحابة رضي الله عنهم كرامة، وقد قيل: كلُّ كرامة لولي فهي معجزةٌ للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومن كشفه صلى الله عليه وآله وسلم رؤيته الناس من وراء ظهره، أخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: أُقيمت الصلاة، فأقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بوجهه فقال: (أقيموا صفوفكم وتراصُّوا، فإني أراكم من وراء ظهري) [رواه البخاري]، ومن كشفه صلى الله عليه وآله وسلم رؤيته المسلمين في غزوة مؤته، أخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: (بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زيداً، وجعفراً وابن رواحة، ورفع الراية إلى زيد، فأُصيبوا جميعاً، فنعَاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الناس قبل أن يجيءَ الخبر، فقال: "أخذ الراية زيد فأُصيب، ثم أخذها جعفر فأُصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة

فأُصيب، وإن عيني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تذرفان، ثم أخذها خالد بن الوليد من غير إمرة، فَفُتِح له) [رواه البخاري]، والصحابة كانوا من أهل الكشف، ومن ذلك: الكشف عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه: حيث علم أن ما في بطن زوجته انثى فقال وهو على فراش الموت لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (أُلقي في روُعي أنها جاريةٌ فاستوصي بها خيراً، فولدت أُمَّ كلثوم) [أخرجه ابن سعد في الطبقات]، ومن كشف الفاروق عمر، وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه من الملهَمين، قال التاج السبكي رحمه الله تعالى: (كان عمر رضي الله عنه قد أمَّرَ سارية الخلجي على جيش من جيوش المسلمين، وجهزه على بلاد فارس، فاشتد على عسكره الحال على باب نهوند وهو يحاصرها، وكثرت جموع الأعداء، وكاد المسلمون ينهزمون، وعمر رضي الله عنه بالمدينة، فصعد المنبر وخطب، ثم استغاث في أثناء خطبته بأعلى صوته: يا سارية! الجبل، من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم، فأسمع الله تعالى سارية وجيشه أجمعين، وهم على باب نهاوند صوتَ عمر، فلجؤوا إلى الجبل، وقالوا هذا صوت أمير المؤمنين، فنجوا وانتصروا)، ومن الكشف عند عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه: ذكر التاج السبكي رحمه الله تعالى في الطبقات: (أنه دخل على عثمان رضي الله عنه رجل، كان قد لقي امرأة في الطريق، فتأملها، فقال له عثمان رضي الله عنه: يدخل أحدكم، وفي عينيه أثر الزنا؟ فقال الرجل: أوحْيٌ بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: لا، ولكنها فراسة المؤمن)، ومن الكشف عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه: جاء في الرياض النضرة في مناقب العشرة للمحب الطبري: عن الأصبغ رحمه الله تعالى قال: أتينا مع عليّ فمررْنا بموضع قبر الحسين، فقال علي: (ههنا مناخ ركابهم، وههنا موضع رحالهم، وههنا مهراق دمائهم، فتية من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم يقتلون بهذه العَرْصة، تبكي عليهم السماء والأرض)،

**[المفتاح الخامس]:** لو أردنا أن نستقصي تراجم الصحابة الكرام رضي الله عنهم في كشفهم وكراماتهم لطال بنا المقام، ومنه ما أخرجه الحاكم: (أن أسيد بن حضير وعباد بن بشر رضي الله عنهما كانا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حاجة حتى ذهب من الليل ساعة، وهي ليلة شديدة الظلمة، خرجا وبيد كل واحد منهما عصا فأضاءت لهما عصا أحدهما فمشيا في ضوئها، حتى إذا افترقت بهما الطريق أضاءت للآخر عصاه، فمشى كل واحد منهما في ضوء عصاه حتى بلغ أهله، وأخرج البخاري في صحيحه في باب غزوة الرجيع عن أبي هريرة رضي الله عنه أن

خبيباً كان أسيراً عند بني الحارث بمكة، في قصة طويلة، وفيها أن بنت الحارث كانت تقول: (ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب، لقد رأيته يأكل من قطف عنب، وما بمكة يومئذ ثمرة وإنه لموثَق في الحديد، وما كان إلا رزق رزقه الله)، وأخرج الشيخان عن جابر رضي الله عنه قال: شكا ناس من أهل الكوفة سعد بن أبي وقاص إلى عمر (فبعث معه من يسأل عنه بالكوفة، فطِيف به في مساجد الكوفة، فلم يُقل له إلا خير حتى انتهى إلى مسجد، فقال رجل يُدْعى أبا سعدة: أما إذ أنشدتنا فإن سعداً كان لا يقسم بالسوية ولا يسير بالسرية ولا يعدل في القضية، فقال سعد: اللهم إن كان كاذباً فأطلْ عمره، وأطل فقره وعرضه للفتن، قال ابن عمير: فرأيتُه شيخاً كبيراً قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر وقد افتقر يتعرض للجواري في الطريق يغمزهن، فإذا قيل له: كيف أنت؟ يقول: شيخ كبير مفتون أصابتني دعوة سعد)، وأخرج مسلم عن عروة بن الزبير رضي الله عنه: (أن أروى بنت أويس ادعت على سعيد بن زيد رضي الله عنه أنه أخذ شيئاً من أرضها فخاصمته إلى مروان بن الحكم، فقال سعيد: أنا كنت آخذ من أرضها شيئاً بعد الذي سمعتُه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: وما سمعتَ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: "من أخذ شبراً من الأرض ظلماً طُوِّقه إلى سبع أرضين" فقال له مروان: لا أسألك بَيِّنَةً بعد هذا، فقال: اللهم إن كانت كاذبة فَعَمِّ بصرها واقتلها في أرضها، قال: فما ماتت حتى ذهب بصرها، ثم بينا هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حفرة فماتت)،

***

## المبحث الثالث عشر

# شهادات تزكية من علماء الأمة للتصوف السني ورجاله

يقول عبد القادر عيسى في كتابه القيم "حقائق عن التصوف " تحت باب شهادات علماء الأمة الإسلامية من سلفها إلى خلفها للتصوف ورجاله – باختصار يسير –

**[1] يقول الإمام المحاسبي رحمه الله تعالى**، متحدثاً عن جهاده المرير للوصول إلى الحق حتى اهتدى إلى التصوف ورجاله، وهو من أروع ما كتب في وصف الحياة الصوفية والخلقية والإيمانية: (أما بعد، فقد انتهى البيان إلى أن هذه الأمة تفترق على بضع وسبعين فرقة، منها فرقة ناجية، والله أعلم بسائرها، فلم أزل برهة من عمري، أنظر اختلاف الأمة، وألتمس المنهاج الواضح والسبيل القاصد، وأطلب من العلم والعمل، وأستدل على طريق الآخرة بإرشاد العلماء، وعقلت كثيراً من كلام الله عز وجل بتأويل الفقهاء، وتدبرت أحوال الأمة، ونظرت في مذاهبها وأقاويلها، فعقلت من ذلك ما قدّر لي، ورأيت اختلافهم بحراً عميقاً، غرق فيه ناس كثير، وسلم منه عصابة قليلة، ورأيت كل صنف منهم، يزعم أن النجاة لمن تبعهم، وأن المهالك لمن خالفهم، ثم رأيت الناس أصنافاً: فمنهم العالم بأمر الآخرة، لقاؤه عسير، ووجوده عزيز، ومنهم الجاهل، فالبعد عنه غنيمة، ومنهم المتشبه بالعلماء، مشغوف بدنياه، مؤثر لها، ومنهم حامل علم، منسوب إلى الدين، ملتمس بعلمه التعظيم والعلو، ينال بالدين من عرض الدنيا، ومنهم حامل علم، لا يعلم تأويل ما حمل، ومنهم متشبه بالنُّسَّاك، متحرٌّ للخير، لا غناء عنده، ولا نفاذ لعلمه [إلى قلوب السامعين]، ولا معتمَد على رأيه، ومنهم منسوب إلى العقل والدهاء، مفقود الورع والتقى، ومنهم متوادُّون، على الهوى وافِقون، وللدنيا يذِلون، ورياستَها يطلبون، ومنهم شياطين الإنس، عن الآخرة يصدون، وعلى الدنيا يتكالبون، وإلى جمعها يُهرعون، وفي الاستكثار منها يرغبون، فهم في الدنيا أحياء، وفي العُرف موتى، بل العُرف عندهم منكر، والاستواء [بين الحي والميت] معروف، فتفقدْت في الأصناف نفسي، وضِقتُ بذلك ذرعاً، فقصدت إلى هدى المهتدين، بطلب السداد والهدى، واسترشدت العلم، وأَعملْت الفكر، وأطلت النظر، فتبيَّن لي من كتاب الله تعالى وسنة نبيه وإجماع الأمة، أن اتباع الهوى يعمي عن الرشد، ويضل

عن الحق، ويطيل المكث في العمى، فبدأتُ بإسقاط الهوى عن قلبي، ووقفت عند اختلاف الأمة مرتاداً لطلب الفرقة الناجية، حذِراً من الأهواء المُرْدية والفرقة الهالكة، متحرزاً من الاقتحام قبل البيان، وألتمس سبيل النجاة لِمُهْجةِ نفسي، ثم وجدْتُ باجتماع الأمة في كتاب الله المنزل أن سبيل النجاة في التمسك بتقوى الله وأداء فرائضه، والورع في حلاله وحرامه وجميع حدوده، والإخلاص لله تعالى بطاعته، والتأسِّي برسوله صلى الله عليه وسلم، فطلبت معرفة الفرائض والسنن عند العلماء في الآثار، فرأيت اجتماعاً واختلافاً، ووجدتُ جميعهم مجتمعين على أن علم الفرائض والسنن عند العلماء بالله وأمره، الفقهاء عن الله العاملين برضوانه الورعين عن محارمه المتأسين برسوله صلى الله عليه وسلم والمؤثرين الآخرة على الدنيا، أُولئك المتمسكون بأمر الله وسنن المرسلين، فالتمست من بين الأمة هذا الصنف المجتمَعَ عليهم والموصوفين بآثارهم، واقتبست من علمهم، فرأيتهم أقل من القليل، ورأيت علمهم مندرساً كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء" [أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان عن أبي هريرة رضي الله عنه]، وهم المتفرِّدون بدينهم، فعظمتْ مصيبتي لفقد الأولياء الأتقياء، وخشيتُ بغتة الموت أن يفاجئني على اضطرابٍ من عمري لاختلاف الأمة، فانكمشت في طلب عالم لم أجد لي من معرفته بُدّاً، ولم أقصّر في الاحتياط ولا في النصح، فقيَّضَ لي الرؤوف بعباده قوماً وجدت فيهم دلائل التقوى وأعلام الورع وإيثار الآخرة على الدنيا، ووجدت إرشادهم ووصاياهم موافقة لأفاعيل أئمة الهدى، [ووجدتهم] مجتمعين على نصح الأمة، لا يُرَجُّون أبداً في معصيته، ولا يُقَنِّطون أبداً من رحمته، يرضون أبداً بالصبر على البأساء والضراء والرضا بالقضاء والشكر على النعماء، يُحبِّبون الله تعالى إلى العباد بذكرهمْ أياديه وإحسانه، ويحثُّون العباد على الإنابة إلى الله تعالى، علماء بعظمة الله تعالى، علماء بعظيم قدرته، وعلماء بكتابه وسنته، فقهاء في دينه، علماء بما يحب ويكره، وَرِعين عن البدع والأهواء، تاركين التعمق والإغلاء، مبغضين للجدال والمراء، متورِّعين عن الاغتياب والظلم مخالفين لأهوائهم، محاسبين لأنفسهم، مالكين لجوارحهم، ورعين في مطاعمهم وملابسهم وجميع أحوالهم، مُجانبين للشبهات، تاركين للشهوات، مجتزئين بالبُلْغة من الأقوات، متقللين من المباح، زاهدين في الحلال، مشفِقين من الحساب، وَجِلين من المعاد، مشغولين بينهم، مُزْرِين على أنفسهم من دون غيرهم، لكل امرىء منهم شأن يغنيه، علماء بأمر الآخرة وأقاويل القيامة وجزيل الثواب وأليم العقاب، ذلك أورثهم الحزن الدائم والهَمَّ المقيم، فشغلوا عن سرور الدنيا ونعيمها، ولقد وصفوا من آداب الدين صفات، وحدُّوا للورع حدوداً ضاق لها صدري، وعلمت أن آداب الدين

وصدق الورع بحر لا ينجو من الغرق فيه شبهي، ولا يقوم بحدوده مثلي، فتبين لي فضلهم، واتضح لي نصحهم، وأيقنتُ أنهم العاملون بطريق الآخرة والمتأسون بالمرسلين، والمصابيح لمن استضاء بهم، والهادون لمن استرشد، فأصبحت راغباً في مذهبهم مقتبساً من فوائدهم قابلاً لآدابهم محباً لطاعتهم، لا أعدل بهم شيئاً، ولا أوثر عليهم أحداً، ففتح الله لي علماً اتضح لي برهانه، وأنار لي فضله، ورجوت النجاة لمن أقرَّ به أو انتحله، وأيقنت بالغوث لمن عمل به، ورأيت الاعوجاج فيمن خالفه، ورأيت الرَّيْن متراكماً على قلب من جهله وجحده، ورأيت الحجة العظمى لمن فهمه، ورأيت انتحاله والعمل بحدوده واجباً عليَّ، فاعتقدته في سريرتي، وانطويت عليه بضميري، وجعلته أساس ديني، وبنيت عليه أعمالي، وتقلَّبْت فيه بأحوالي، وسألت الله عز وجل أن يوزِعَني شكرَ ما أنعم به عليَّ، وأن يقويني على القيام بحدود ما عرَّفني به، مع معرفتي بتقصيري في ذلك، وأني لا أدرك شكره أبداً) [كتاب الوصايا ص27 – 32، للإمام أبي عبد الله الحارث المحاسبي المتوفى 243هـ، وهو من أمهات الكتب الصوفية المعتمدة]،

**[2] وقال الإمام الكبير حجة المتكلمين عبد القاهر البغدادي رحمه الله تعالى في كتابه الفَرْقُ بين الفِرَقِ:** (الفصل الأول من فصول هذا الباب في بيان أصناف أهل السنة والجماعة، اعلموا أسعدكم الله أن أهل السنة والجماعة ثمانية أصناف من الناس... والصنف السادس منهم: الزهاد الصوفية الذين أبصروا فأقصروا، واختَبروا فاعتبروا، ورضوا بالمقدور وقنعوا بالميسور، وعلموا أن السمع والبصر والفؤاد كل أُولئك مسؤول عن الخير والشر، ومحاسب على مثاقيل الذر، فأعدُّوا خير الإعداد ليوم المعاد، وجرى كلامهم في طريقَيْ العبارة والإشارة على سَمْتِ أهل الحديث دون من يشتري لهو الحديث، لا يعملون الخير رياء، ولا يتركونه حياء، دينُهم التوحيد ونفي التشبيه، ومذهبهم التفويضُ إلى الله تعالى، والتوكلُ عليه والتسليمُ لأمره، والقناعةُ بما رزقوا، والإعراضُ عن الاعتراض عليه، {ذلكَ فضلُ اللهِ يؤتِيهِ مَنْ يشاءُ واللهُ ذو الفضلِ العظيمِ} [الجمعة: 4]، [الفَرْقُ بين الفِرَقِ للإمام عبد القاهر البغدادي المتوفى سنة 429هـ، ص189]،

**[3] وقال الإمام أبو القاسم القشيري رحمه الله تعالى في مقدمة رسالته المشهورة متحدثاً عن الصوفية:** (جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه، وفَضَّلهم على الكافة من عباده بعد رسله وأنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم، وجعل قلوبهم معادن أسراره، واختصَّهم من بين الأمة بطوالع أنواره، فهم الغياث للخلق، والدائرون في عموم أحوالهم مع الحق بالحق، صفَّاهم من كدورات البشرية،

ورقَّاهم إلى محل المشاهدات بما تجلى لهم من حقائق الأحدية، ووفقهم للقيام بآداب العبودية، وأشهدهم مجاري أحكام الربوبية، فقاموا بأداء ما عليهم من واجبات التكليف، وتحققوا بما مَنَّه سبحانه لهم من التقليب والتصريف، ثم رجعوا إلى الله سبحانه وتعالى بصدق الافتقار ونعت الانكسار، ولم يتَّكِلوا على ما حصل منهم من الأعمال أو صفا لهم من الأحوال، علماً منهم بأنه جلَّ وعلا يفعل ما يريد، ويختار من يشاء من العبيد، لا يحكم عليه خلق، ولا يتوجه عليه لمخلوق حق، ثوابه ابتداء فضل، وعذابه حكم بعدل، وأمره قضاء فصل) [الرسالة القشيرية للإمام أبي القاسم القشيري المتوفى سنة 465هـ، ص2]،

**[4] وها هو ذا حجة الإسلام الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى يتحدث في كتابه المنقذ من الضلال عن الصوفية وعن سلوكهم وطريقتهم الحقة الموصلة إلى الله تعالى فيقول:** (ولقد علمت يقيناً أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة وأن سيرتهم أحسن السيرة، وطريقتهم أصوب الطرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق،، ثم يقول رداً على من أنكر على الصوفية وتهجَّم عليهم: وبالجملة فماذا يقول القائلون في طريقةٍ طهارتُها . وهي أول شروطها . تطهيرُ القلب بالكلية عما سوى الله تعالى، ومفتاحها الجاري منها مجرى التحريم من الصلاة استغراقُ القلب بالكلية بذكر الله، وآخرها الفناء بالكلية في الله) [المنقذ من الضلال لحجة الإسلام الغزالي المتوفى سنة 505هـ، ص131]،

**[5] وقال سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام رحمه الله تعالى:** (قعد القوم من الصوفية على قواعد الشريعة التي لا تنهدم دنيا وأخرى، وقعد غيرهم على الرسوم، ومما يدلك على ذلك، ما يقع على يد القوم من الكرامات وخوارق العادات، فإنه فرع عن قربات الحق لهم، ورضاه عنهم، ولو كان العلم من غير عمل، يرضي الحق تعالى كل الرضى، لأجرى الكرامات على أيدي أصحابهم، ولو لم يعملوا بعلمهم، هيهات هيهات) [نور التحقيق للشيخ حامد صقر ص96]،

**[6] وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى في رسالته المقاصد:** أصول طريق التصوف خمسة: 1 – تقوى الله في السر والعلانية، 2 – اتباع السنة في الأقوال والأفعال، 3 – الإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار، 4 – الرضى عن الله في القليل والكثير، 5 – الرجوع إلى الله في السراء

والضراء) [مقاصد الإمام النووي في التوحيد والعبادة وأصول التصوف ص20 توفي الإمام النووي سنة 676هـ في قرية من قرى الشام تسمى: نوى]،

**[7] وقال ابن خلدون رحمه الله تعالى في كلامه عن علم التصوف**: (هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة، وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومَن بعدَهم طريقةَ الحق والهداية، وأصلُها العكوفُ على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراضُ عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهدُ فيما يُقبِل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفرادُ عن الخلق في الخلوة للعبادة، وكان ذلك عامّاً في الصحابة والسلف، فلمَّا فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية) [مقدمة ابن خلدون ص328، وهو عبد الرحمن بن الشيخ أبي بكر محمد بن خلدون الحضرمي ولد عام 732هـ وتوفي سنة 808هـ]،

**[8] وقال الشيخ تاج الدين السبكي رحمه الله تعالى في كتابه معيد النعم ومبيد النقم**، تحت عنوان الصوفية: (حَيَّاهمُ الله وبيَّاهم وجمعنا في الجنة نحن وإياهم، وقد تشعبت الأقوال فيهم تشعباً ناشئاً عن الجهل بحقيقتهم لكثرة المُتلبِّسين بها، بحيث قال الشيخ أبو محمد الجويني: لا يصح الوقف عليهم لأنه لا حدَّ لهم، والصحيح صحته، وأنهم المعرضون عن الدنيا المشتغلون في أغلب الأوقات بالعبادة،، ثم تحدث عن تعاريف التصوف إلى أن قال: والحاصل أنهم أهل الله وخاصته الذين ترتجى الرحمة بذكرهم، ويُستنزل الغيث بدعائهم، فرضي الله عنهم وعنَّا بهم) [كتاب معيد النعم ومبيد النقم ص119 للإمام تاج الدين عبد الوهاب السبكي المتوفى سنة 771هـ]،

**[9] وقال العلامة المشهور جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى في كتابه تأييد الحقيقة العليَّة**: (إن التصوف في نفسه علم شريف، وإن مداره على اتباع السنة وترك البدع، والتبرِّي من النفس وعوائدها وحظوظها وأغراضها ومراداتها واختياراتها، والتسليمِ لله، والرضى به وبقضائه، وطلبِ محبته، واحتقارِ ما سواه،، وعلمتُ أيضاً أنه قد كثر فيه الدخيل من قوم تشبهوا بأهله وليسوا منهم، فأدخلوا فيه ما ليس منه، فأدى ذلك إلى إساءة الظن بالجميع، فوجَّه أهلُ العلم للتمييز بين الصنفين ليُعلمَ أهل الحق من أهل الباطل، وقد تأملتُ الأمور التي أنكرها أئمة الشرع على الصوفية

فلم أرَ صوفياً محقِّقاً يقول بشيء منها، وإنما يقول بها أهل البدع والغلاةُ الذين ادَّعَوْا أنهم صوفية وليسوا منهم) [تأييد الحقيقة العلية ص57، للعلامة جلال الدين السيوطي المتوفى سنة 911هـ]،

**[10] وتحدَّثَ خاتمة المحققين العلامة الكبير والفقيه الشهير الشيخ محمد أمين المشهور بابن عابدين رحمه الله تعالى** في كتابه المسمى مجموعة رسائل ابن عابدين الرسالة السابعة [شفاء العليل وبَلُّ الغليل في حُكْمِ الوصية بالختمات والتهاليل] عن البدع الدخيلة على الدين مما يجري في المآتم والختمات، من قِبل أشخاص تزيَّوْا بزِي العلم، وانتحلوا اسم الصوفية، ثم استدرك الكلام عن الصوفية الصادقين حتى لا يُظن أنه يتكلم عنهم عامة فقال: (ولا كلام لنا مع الصُدَّقِ من ساداتنا الصوفية المبرئين عن كل خصلة رديَّة، فقد سُئل إمامُ الطائفتين سيدنا الجنيد: إن أقواماً يتواجدون ويتمايلون؟ فقال: دعوهم مع الله تعالى يفرحون، فإنهم قوم قطَّعت الطريقُ أكبادَهم، ومزَّق النصبُ فؤادَهم، وضاقوا ذرعاً فلا حرج عليهم إذا تنفسوا مداواةً لحالهم، ولو ذُقْتَ مذاقهم عذرتهم في صياحهم،، وبمثل ما ذكره الإمام الجنيد، أجاب العلامة النحرير ابن كمال باشا لما استفتي عن ذلك حيث قال: " ما في التَّواجُدِ إن حقَّقْتَ من حرجٍ... ولا التمايلِ إن أخلْصَتَ من بَاسِ... فقمتَ تسعى على رِجْلٍ وحُقَّ لِمَنْ... دعاه مولاه أن يسعى على الرّاسِ "، الرخصة فيما ذكر من الأوضاع عند الذكر والسماع للعارفين الصارفين أوقاتهم إلى أحسن الأعمال، السالكين المالكين لضبط أنفسهم عن قبائح الأحوال، فهم لا يستمعون إلا من الإله، ولا يشتاقون إلاَّ له، إنْ ذكروه ناحوا، وإن شكروه باحوا، وإن وجدوه صاحوا، وإن شهدوه استراحوا، وإن سرحوا في حضرات قربه ساحوا، إذا غلب عليهم الوجد بغلباته، وشربوا من موارد إراداته، فمنهم مَنْ طرقتْه طوارق الهيبة فخرَّ وذاب، ومنهم من برِقتْ له بوارق اللطف فتحرَّك وطاب، ومنهم من طلع عليهم الحِبُّ من مطلع القرب فسكر وغاب، هذا ما عَنَّ لي في الجواب، والله أعلم بالصواب، وأيضاً فإن سماعهم ينتج المعارف الإلهية، والحقائق الربانية، ولا يكون إلا بوصف الذات العلية والمواعظ الحِكَمِيَّة، والمدايح النبوية، ولا كلام لنا أيضاً مع من اقتدى بهم، وذاق من مشربهم، ووجد من نفسه الشوق والهيام في ذات الملك العلاَّم، بل كلامنا مع هؤلاء العوام، الفسقة اللئام،، إلخ) [الرسالة السابعة، شفاء العليل وبل الغليل في حكم الوصية بالختمات والتهاليل ص172.173 للفقيه الكبير ابن عابدين]،

***

# المبحث الرابع عشر

# صورة عن رجال علم التصوف وأولياء الله المقتدى بهم في الدين

**قال الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري الشافعي** (ت 465 هـ) **في رسالته عن التصوف والمعروفة باسم الرسالة القشيرية:** " فهذه فصول تشير إلى أصول المشايخ على وجه الإيجاز وباللّه التوفيق، اعلموا رحمكم اللّه تعلى أن المسلمين بعد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: لم يتسمّ أفاضلهم في عصرهم بتسمية علم سوى صحبة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم إذ لا فضيلة فوقها فقيل لهم: الصحابة، ولمَّا أدركهم أهل العصر الثاني سمى من صحب الصحابة: التابعين ورأوا في ذلك أشرف سِمة، ثم قيل لمن بعدهم: أتباع التابعين، ثم اختلف الناس وتباينت المراتب فقيل لخواص الناس مِمَّن لهم شدة عناية بأمر الدين: الزّهاد والعُباد، ثم ظهرت البدع وحصل التداعي بين الفرق فكل فريق ادَّعوا أن فيهم زهاداً، فانفرد خواصُّ أهل السُّنة المراعون أنفسهم مع الله تعالى الحافظون قلوبهم عن طوارق الفعلة باسم التصوف، واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة، ونحن نذكر في هذا الباب أسامي جماعة من شيوخ هذه الطريقة من الطبقة الأولى إلى وقت المتأخرين منهم ونذكر جُملاً من سِيَرهم وأقاويلهم بما يكون فيه تنبيه على أصولهم وآدابهم إن شاء الله تعالى،

**فمنهم إبراهيم بن أدهم**: أبو إسحق إبراهيم بن أدهم بن منصور من كُورة بلخ رضي الله تعالى عنه، كان من أبناء الملوك فخرج يوماً متصيِّداً فأثار ثعلباً أو أرنباً وهو في طلبه فهتف به هاتف: يا

إبراهيم ألهذا خُلقتَ أم بهذا أمُرت، ثم هتف به أيضاً من قربوس سرجه: والله ما لهذا خُلقت ولا بهذا أُمرت، فنزل عن دابته، وصادف راعياً لأبيه فأخذ جُبَّةً للراعي من صوف ولبسها وأعطاه فرسه وما معه ثم إنه دخل البادية ثم دخل مكة وصحب بها سفيان الثوري والفضيل بن عياض ودخل الشام ومات بها، وكان يأكل من عمل يده مثل: الحصاد وحفظ البساتين وغير ذلك... وكان إبراهيم بن أدهم كبير الشأن في باب الورع ويحكى عنه أنه قال: أطب مطعمك ولا حرج عليك أن لا تقوم الليل ولا نصوم النهار، وقيل: كان عامة دعائه: (اللهم انقلني من ذلِّ معصيتك إلى عزِّ طاعتك " وقيل لإبراهيم بن أدهم: إن اللحم قد غلا!!، فقال: أرخصوه أي: لاتشتروه وأنشد في ذلك: وإذا غلا شيء عليَّ تركته فيكون أرخص ما يكون إذا غلا "، أخبرنا محمد بن الحسين رحمه الله تعالى قال: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت محمد بن حامد يقول: سمعت أحمد بن خضرويه يقول: قال إبراهيم بن أدْهم لرجل في الطواف: **أعلم أنك لا تنال درجة الصالحين** حتى تجوز ست عقبات: أولاها: تغلق باب النعمة وتفتح باب الشدَّة، والثانية: تغلق باب العز ،وتفتح باب الذلِّ، والثالثة: تغلق باب الراحة وتفتح باب الجهد، والرابعة: تغلق باب النوم وتفتح باب السهر، والخامسة: تغلق باب الغنى وتفتح باب الفقر، والسادسة: تغلق باب الأمل وتفتح باب الاستعداد للموت، وكان إبراهيم بن أدهم يحفظ كَرْماً فمرَّ به جندي فقال: أعطنا من هذا العنب فقال: ما أمرني به صاحبُه، فأخذ يضربه بسوطه فطأطأ رأسه وقال: اضرب رأساً طالما عصى الله، فأعجز الرجل ومضى، قال سهل بن إبراهيم: صحبت إبراهيم بن أدهم فمرضت فأنفق عليَّ نفقته فاشتهيت شهوة فباع حماره وأنفق عليَّ ثمنه، فلما تماثلت قلت: يا إبراهيم أين الحمار فقال: بعناه فقلت: فعلى ماذا أركب فقال: يا أخي على عنقي، فحملني ثلاث منازل،

**ومنهم: أبو الفيض ذو النون المصري**: واسمه: ثوبان بن إبراهيم وقيل الفيض بن إبراهيم وأبوه كان نوبياً، تُوفي سنة: خمس وأربعين ومائتين، فائق في هذا الشأن وأوحد وقته علماً وورعاً وحالاً وأدباً، سعَوا به إلى المتوكِّل فاستحضره من مصر فلما دخل عليه وعظّه فبكى المتوكِّل وردَّه إلى مصر مكرَّماً وكان المتوكل إذا ذُكر بين يديه أهل الورع يبكي ويقول: إذا ذكر أهل الورع فحيهلاً بذي النون، وكان رجلاً نحيفاً تعلوهُ حمرة ليس بأبيض اللحية، سمعت أحمد بن محمد يقول: سمعت سعيد بن عثمان يقول: سمعت ذا النون يقول: مدار الكلام على أربع: حبُّ الجليل وبغض القليل واتِّباع التنزيل وخوف التحويل، سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت سعيد بن أحمد

ابن جعفر يقول: سمعت محمد بن أحمد بن سهل يقول: سمعت سعيد ابن عثمان يقول: سمعت ذا النون المصري يقول: من علامات المحبِّ لله عزَّ وجلَّ: متابعة حبيب الله صلى الله عليه وسلم في أخلاقه وأفعاله وسئل ذو النون عن السِّفلة فقال: من لا يعرف الطريق إلى الله ولا يتعَرَّفه، سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت على بِّن عمر الحافظ يقول: سمعت ابن رشيف: يقول سمعت أبا دجانة يقول: سمعت ذا النون يقول: لا تسكن الحكمة معدة مُلئت طعاماً،

**ومنهم: أبو علي الفضيل بن عياض**: خرساني من ناحية مرو، وقيل إنه وُلد بسمرقند ونشأ بأبيَورد مات بمكة في المحرم سنة: سبع وثمانين ومائة، قال الفضيل بن عياض: إذا أحبَّ الله عبداً أكثر غمَّه وإذا أبغض عبداً وسَّع عليه دنياه، وقال الفضيل: لو أن الدنيا بحذافيرها عُرضت علىَّ ولا أحاسب بها لكنت أتقذرها كما يَتقّذَر أحدكم الجيفة إذا مرَّ بها أن تصيب ثوبه، وقال الفضيل: لو حلفت أنِّي مُراء أحبُّ إليَّ من أن أحلف أنيّ لست بمراء، وقال الفضيل: ترك العمل لأجل الناس هو الرياءُ والعمل لأجل الناس هو الشرك، وقال أبو عليٍّ الرازي: صحبت الفضيل ثلاثين سنة ما رأيته ضاحكاً ولا متبسما إلا يوم مات ابنه علي فقلت له في ذلك فقال: إن الله أحبَّ أمراً فأحببت ذلك، وقال الفضيل : إني لأعصى الله فأعرف ذلك في خُلق حماري وخادمي،

**ومنهم: أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي**: كان من المشايخ الكبار مجاب الدعوة يستشفي بقبره، وهو من موالى عليٍّ بن موسى الرضا رضي الله عنه مات سنة مائتين: وقيل: سنة إحدى ومائتين، قال معروف: قال لي بعض أصحاب داود الطائي: إياك أن تترك العمل فإن ذلك الذي يقرّبك إلى رضا مولاك، فقلت: وما ذلك العمل فقال: دوام طاعة ربك وخدمة المسلمين والنصيحة لهم، سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعي محمد بن عبد الله الرازي يقول: سمعت على بن محمد الدلال يقول: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبي يقول: رأيت معروفًا الكرجي في النوم بعد موته فقلت له: ماذا فعل الله بك فقال: غفر لي، فقلت بزهدك وورعك فقال: لا بقبولي موعظة ابن السماك ولزوم الفقر ومحبتي للفقراء، وموعظة ابن السماك: ما قاله معروف: كنت ماراً بالكوفة، فوقفت على رجل يقال له: ابن السماك وهو يعظ الناس، فقال في خلال كلامه: من أعرض عنا لله بكلتيه أعرض الله عنه جملة، ومن أقبل على الله بقلبه أقبل الله برحمته إليه وأقبل بجميع وجوه الخلق إليه ومن كان مرة و مرة فالله يرحمه وقتاً ما، فوقع كلامه في قلبي فأقبلت على الله تعالى وتركت جميع ما كنت عليه إلا خدمة مولاي على بن موسى الرضا، وذكرت هذا الكلام لمولاي

فقال: يكفيك بهذا موعظة إن اتعظت أخبرني بهذه الحكاية محمد بن الحسين قال: سمعت على بن عيسى يقول: سمعت سريا السقطى يقول: سمعت معروفاً يقول ذلك، وقيل لمعروف في مرض موته: أوصِ، فقال: إذا متُّ فتصدَّقوا بقميصي فإني أريد أن أخرج من الدنيا عرياناً كما دخلتها عرياناً،

**ومنهم: سري بن المغلس السقطي**: أبو الحسن سري بن المغلس السقطي خال الجنيد وأستاذه، وكان تلميذ معروف الكرخي كان أوحد زمانه في الورع وأحوال السنة وعلوم التوحيد: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت عبد الله بن علي الطوسي يقول: سمعت أبا عمرو بن علوان يقول: سمعت أبا العباس بن مسروق يقول: بلغني أن السريَّ السقطي كان يتَّجر في السوق وهو من أصحاب معروف الكرخي فجاءه معروف يوماً ومعه صبي يتيم فقال: اكسِ هذا اليتيم، قال سري: فكسوته ففرح به معروف وقال: بغَّض الله إليك الدنيا وأَراحك مما أَنت فيه، فقمت من الحانوت وليس شيء أبغض إليَّ من الدنيا، وكل ما أنا فيه من بركات معروف، سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا عمر الأنماطي يقول: سمعت الجنيد يقول: ما رأيت أعبدَ من السري: أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رؤى مضطجعاً إلا في علة الموت، ويحكى عن السري أنه قال: التصوُّف: أسم لثلاث معان: وهو الذي لا يطفئ نورُ معرفته نورَ ورعه، ولا يتكلَّم بباطن في علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب أو السنة، ولا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله، مات السري سنة: سبع وخمسين ومائتين، سألني السري يوماً عن المحبَّة فقلت: قال قوم: هي الموافقة وقال قوم: الإيثار وقال قوم: كذا، وكذا، فأخذ السري جلدة ذراعه ومدها فلم تمتدَّ ثم قال: وعزَّته تعالى لو قلت: إن هذه الجلدة يبستْ على هذا العظم من محبته لصدقت، ثم غشى عليه فدار وجهه كأنه قمر مشرق وكان السريُّ به أُدمة، ويحكى عن السريِّ أنه قال: منذ ثلاثين سنة أنا في الاستغفار من قولي: الحمد لله مرّة، قيل: وكيف ذلك فقال: وقع ببغداد حريق فاستقبلني رجل فقال لي: نجا حانوتك، فقلت: الحمد لله، فمنذ ثلاثين سنة أنا نادم على ما قلت حيث أردت لنفسي خيراً مما حصل للمسلمين!!،أخبرني به عبد الله بن يوسف قال: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا بكر الحربي يقول: سمعت السريَّ يقول ذلك، ويحكى عن السريِّ أنه قال: أنا أنظر في أنفي في اليوم كذا وكذا مرَّة مخافة أن يكون قد اسودَّ خوفاً من الله أن يسوِّد صورتي لِما أتعاطاه، سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت محمد بن الحسن ابن الخشاب يقول: سمعت جعفر بن نصير يقول: سمعت الجنيد يقول: سمعت السريَّ يقول: أعرف طريقاً مختصراً قصداً إلى الجنّة

فقلت له: ما هو؟ فقال: لا تسأل من أحد شيئاً ولا تأخذ من أحد شيئاً ولا يكن معك شيء تعطى منه أحداً، سمعت عبد الله بن يوسف الأصبهاني يقول: سمعت أبا نصر السرَّاج الطوسي يقول: سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول: سمعت الجنيد ابن محمد يقول: سمعت السري يقول: أشتهي أن أموت ببلد غير بغداد فقيل له: ولم ذلك فقال: أخاف ألا يقبلني قبري فافتضح، سمعت عبد الله بن يوسف الاصبهاني يقول: سمعت أبا الحسن بن عبد الله المغوطي الطرسوسي يقول: سمعت الجنيد يقول: سمعت السريَّ يقول: اللهم مهما عذبتني بشيء فلا تعذبني بذلِّ الحجاب، سمعت عبد الله بن يوسف الأصبهاني يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت الجريري يقول: سمعت الجنيد يقول: دخلت يوماً على السريِّ السقطي وهو يبكي فقلت له: ما يبكيك فقال: جائتني البارحة الصبيَّة فقالت: يا أبتي هذه ليلة حارَّةٌ وهذا الكوز أُعلّقه ها هنا، ثم إني حملتني عيناي فنمت فرأيت جارية من أحسن الخلق قد نزلت من السماء فقلت: لمن أنت؟ قالت: لمن لا يشرب الماء المبرد في الكيزان، فتناولت الكوز فضربت به الأرض فكسرته، قال الجنيد: فرأيت الخزف لم يرفعه ولم يمسَّه حتى عفا عليه التراب،

**ومنهم: بشر بن الحارث الحافي** أبو نصر بشر بن الحارث الحافي أصله من مرو وسكن بغداد ومات به وهو ابن أخت عليٍّ بن خشرم، مات سنة سبع وعشرين ومائتين، وكان كبير الشأن، وكان سبب توبته: أنه أصاب في الطريق كاغدة (ورقة) مكتوباً فيها أسم الله عز وجل وقد وطئتها الأقدامُ فأخذها واشترى بدرهم كان معه غالية (نوع من أنواع الطيب) فطيِّب بها الكاغدة وجعلها في شق حائط فرأى فيها كأن قائلاً يقول له: يا بشر طيَّبت اسمى لأطيبنَّ اسمك في الدنيا والآخرة، سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: مرَّ بشر ببعض الناس فقالوا : هذا الرجل لا ينام الليل كلَّه ولا يفطر إلا في كل ثلاثة أيام مرة إني لا أذكر أني سهرت ليلة كاملة ولا أني صمت يوماً لم أفطر من ليلته ولكن الله سبحانه وتعالى يلقي في القلوب أكثرَ مما يفعله العبد لطفاً منه سبحانه وكرماً، سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول: سمعت عبد الرحمن بن أبي حاتم يقول: بلغني أن بشر بن الحارث الحافي قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي: يا بشر أتدري لم رفعك الله من بين أقرانك قلت: لا يا رسول الله، قال: باتِّباعك لسنَّتي وخدمتك للصالحين ونصيحتك لاخوانك ومحبتك لأصحابي وأهل بيتي: وهو الذي بلَّغك منازل الأبرار، أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله قال: أخبرنا عبيد الله ابن عثمان بن يحيى

قال: حدثنا أبو عمرو بن السماك قال: حدثنا محمد ابن العباس قال: حدثنا أبو بكر بن بنت معاوية قال: سمعت أبا بكر بن عفان يقول: سمعت بشر بن الحارث يقول: إني لأشتهي الشِّواء منذ أربعين سنة ما صفا لي ثمنه وقيل لبشر: بأيِّ شيء تأكل الخبز فقال أَذكر العافية وأجعلها إداماً، وقال بشر: لا يحتمل الحلالُ السَّرف، وقال بشر: لا يجدُ حلاوة الآخرة رجل يُحِبُّ أن يعرفه الناس،

**ومنهم: أبو عبد الله المحاسبي**: الحارث بن أسد المحاسبي عديم النظير في زمانه علماً وورعاً ومعاملة وحالاً، بصريُّ الأصل مات ببغداد سنة ثلاث وأربعين ومائتين، قيل: إنه ورث من أبيه سبعين ألف درهم فلم يأخذ منها شيئاً، قيل لأن أباه كان يقول بالقدر فرأى من الورع أن لا يأخذ من ميراثه شيئاً وقال: صحَّت الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لا يتوارث أهل ملَّتين شيئاً)، سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت الحسين بن يحيى يقول: سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول: سمعت محمد بن مسروق يقول: مات الحارث ابن أسد المحاسبي وهو محتاج إلى درهم وخلف أبوه ضِياعاً وعقاراً فلم يأخذ منه شيئاً، سمعت الأستاذ أبا عليٍّ الدقاق رحمه الله تعالى يقول: كان الحارث المحاسبي إذا مدَّ يده إلى طعام فيه شبهة تحرَّك على أصبعه عِرق فكان يمتنع منه، سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت عبد الله علي الطوسي يقول: سمعت جعفراً الخلدي يقول: سمعت أبا عثمان البلدي يقول: قال الحارث المحاسبي: من صحح باطنه بالمراقبة والإخلاص زين الله ظاهره بالمجاهدة واتِّباع السنَّة، ويحكى عن الجنيد أنه قال: مرَّ بي يوماً الحارث المحاسبي فرأيت فيه أثر الجوع فقلت: يا عم تدخل الدار وتتناول شيئاً فقال: نعم، فدخلت الدار وطلبت شيئاً أقدِّمه إليه فكان في البيت شيء من طعام حمل إليَّ من عرس قوم فقدَّمته إليه فأخذ لقمة وأدارها في فمه مرات ثم إنه قام وألقاها في الدهليز ومرَّ، فلما رأيته بعد ذلك بأيام قلت له في ذلك فقال: إني كنت جائعاً وأردت أن أَسرَّك بأكلي وأحفظ قلبك ولكن بيني وبين الله سبحانه علامة: فقلت: إنه حُمل إليَّ من دار قريب لي من العرس ثم قلت: تدخل اليوم فقال: نعم، فقدمت إليه كِسراً يابسة كانت لنا فأكل وقال: إذا قدمتَّ إلي فقير شيئاً فقدِّم إليه مثل هذا،

**ومنهم: داود بن نصير الطائي**: أبو سليمان داود بن نصير الطائي وكان كبير الشأن: أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله قال: أخبرنا أبو عمرو بن مطر قال: حدثنا محمد بن المسيَّب قال: حدثنا ابن خُبيق قال قال يوسف بن سباط: ورث داود الطائي عشرين ديناراً فأكلها في عشرين سنة، سمعت الأستاذ أبا عليٍّ الدقاق رحمه الله يقول: كان سبب زهد داود الطائي: أنه كان يمرُّ

ببغداد فمرَّ يوماً فنحّاه المطرقون بين يدي حميد الطوسي فالتفت داود فرأي حميداً فقال داود: أُفٍّ لدنيا سبقك بها حميد، ولزم البيت وأخذ في الجهد والعبادة، وقيل: كان سبب زهده: أنه كان يجالس أبا حنيفة رضي الله عنه فقال له أبو حنيفة يوماً: يا أبا سليمان: أمَّا الأداة فقد أحكمناها فقال له داود: فأي شيء بقي فقال: العمل به، قال داود: فنازعتني نفسي إلى العُزلة فقلت لنفسي: حتى تجالسهم ولا تتكلم في مسألة، قال: فجالستهم سنة لا أتكلم في مسألة وكانت المسألة تمرُّ بي وأنا إلى الكلام فيها أشد نزاعاً من العطشان إلى الماء البارد ولا أتكلَّم به، ثم صار أمره إلى ما صار، سمعت محمد بن عبد الله الصوفيّ يقول: حدثنا محمد بن يوسف قال: حدثنا سعيد بن عمرو قال: حدثنا عليٌّ بن حرب الموصلي قال: حدثنا إسماعيل ابن زيا الطائيّ قال: قالت دايةُ داود الطائي له: أما تشتهي الخبز فقال: بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءةُ خمسين آية، وقال له رجل:أوصني، فقال له: عسكرُ الموتِ ينتظرونك، ودخل بعضهم عليه فرأى جرَّة ماء انبسطت عليها الشمس فقال له: ألا تحوّلها إلى الظل فقال: حين وضعتها لم يكن شمس وأنا أستحي أن يراني الله أَمشي لما فيه حظُّ نفسي، ودخل عليه بعضهم فجعل ينظر إليه فقال: أما علمت أنهم كانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام أخبرنا عبد الله بن يوسف الأصفهانيّ قال: أخبرنا أبو اسحق إبراهيم ابن محمد بن يحيى المزكي: قال: حدثنا قاسم بن أحمد قال: سمعت ميموناً الغزالي قال: قال أبو الربيع الواسطي: قلت لداود الطائي: أوصني، فقال: صُمْ عن الدنيا واجعل فطرك الموت وفرَّ من الناس كفرارك من السبع،

**ومنهم: أبو علي شقيق بن إبراهيم البلخي**: من مشايخ خراسان، له لسان في التوكُّل وكان أستاذ حاتم الأصم، قيل: كان سبب توبته: أنه كان من أبناء الأغنياء خرج للتجارة إلى أرض الترك وهو حدث، فدخل بيتاً للأصنام فرأَى خادماً للأصنام فيه قد حلق رأسه ولحيته ولبس ثياباً أُرجوانية، فقال شقيق للخادم: إنَّ لك صانعاً حيًّا عالماً قادراً فاعبده، ولا تعبد هذه الأصنام التي لا تضرُّ ولا تنفع!! ،فقال: إن كان كما تقول فهو قادر على أَن يرزقك ببلدك فلم تعنَّيت إلى هاهنا للتجارة فانتبه شقيق، وأخذ في طريق الزهد، وقيل: كان سبب زهده: أنه رأى مملوكاً يلعب ويمرح في زمان قحط وكان الناس مهتمين به فقال شقيق: ما هذا النشاط الذي فيك أما ترى ما فيه الناس من الجدب والقحط، فقال ذلك المملوك: وما عليَّ من ذلك ولمولاي قريةٌ خالصة يدخل له منها ما يحتاج نحن إليه فانتبه شقيق وقال: إن كان لمولاه قرية ومولاه مخلوق فقير ثم إنه ليس يهتم لرزقه فكيف ينبغي أن يهتم

المسلم لرزقه ومولاه غني!، وحكي أن حاتماً الأصمَّ قال: كنا مع شقيق في مصاف نحارب الترك في يوم لا نري فيه إلا رؤوسا تندر ورماحاً تنقصف وسيوفاً تنقطع فقال لي شقيق: كي ترى نفسك يا حاتم في هذا اليوم تراه مثل ما كنت في الليلة التي زفّت إليك امرأتك قال: لكنّي والله أرى نفسي في هذا اليوم مثلَ ما كنتُ تلك الليلة، ثم نام بين الصفَّين ودرقته تحت رأسه حتى سمعت غطيطه، وقال شقيق: إذا أَردت أن تعرف الرجل فانظر إلى ما وعده الله ووعده الناس فبأيهما يكون قلبه أوثق وقال شقيق: تُعرف تقوى الرجل في ثلاثة أشياء: في أخذِه ومنعِه وكلامِه،

**ومنهم: أبو يزيد البسطامي**: أبو يزيد بن طيفور بن عيسى البسطامي وكان جدُّه مجوسياً أسلم، وكانوا ثلاثة إخوة: آدم وطيفور وعليّ، وكلهم كانوا زهَّاداً عبَّاداً وأبو يزيد كان أجلَّهم حالاً، قيل مات سنة: إحدى وستين ومئتين وقيل: أربع وثلاثين ومائتين سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت أبا الحسين الفارسي يقول: سمعت الحسن بن عليّ يقول: سئل أبو يزيد: بأي شيء وجدتّ هذه المعرفة سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت عمي البسطامي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبا يزيد يقول: عملت في المجاهدة ثلاثين سنة فما وجدت شيئاً أشدَّ عليَّ من العمل ومتابعته ولولا اختلاف العلماء لبقيت واختلاف العلماء رحمة إلا في تجريد التوحيد، وقيل: لم يخرج أبو يزيد من الدنيا حتى استظهر القرآن كلَّه، حدثنا أبو حاتم السجستاني قال: أخبرنا أبو نصر السرَّاج قال: سمعت طيفور البسطامي يقول: سمعت المعروف بعمِّي البسطامي يقول: سمعت أبي يقول: قال لي أبو يزيد: قم بنا حتى ننظر إلى هذا الرجل الذي قد شهر نفسه بالولاية وكان رجلاً مقصوداً مشهوراً بالزهد فمضينا إليه فلما خرج من بيته ودخل المسجد رمى ببصاقه تجاه القبلة فانصرف أبو يزيد ولم يسلم عليه وقال: هذا غيرُ مأمون على أدب من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون مأموناً على ما يدَّعيه وبهذا الإسناد قال أبو يزيد: لقد هممت أن أسأل الله تعالى أن يكفيني مؤنة الأكل ومؤنة النساء ثم قلت: كيف يجوز لي أن أسأل هذا ولم يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه فلم أسأله، ثم إن الله سبحانه وتعالى كفاني مؤنة النساء حتى لا أُبالي استقبلتني امرأة أو حائط، سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت الحسن ابن علي يقول: سمعت عمي البسطامي يقول: سمعت أبي يقول: سألت أبا يزيد عن ابتدائه وزهده فقال: ليس للزهد منزلة، فقلت: لماذا فقال: لأني كنت ثلاثة أيام في الزهد، فلما كان اليومُ الرابع خرجت منه: اليوم الأول: زهدت في الدنيا وما فيه واليوم الثاني: زهدت في الآخرة

وما فيها واليوم الثالث: زهدت فيما سوى الله فلما كان اليوم الرابع لم يبق سوى الله، سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت عبد الله بن علي يقول: سمعت موسى بن عيسى يقول قال لي أبي: قال أبو يزيد: لو نظرتم إلى رجل أُعطي من الكرامات حتى يرتقي في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة، وحكى عميٌ البسطامي عن أبيه أنه قال: ذهب أبو يزيد ليلة إلى الرباط ليذكر الله سبحانه على سور الرباط فبقي إلى الصباح لم يذكر فقلت له في ذلك فقال: تذكَّرتُ كلمة جرت على لساني في حال صباي فاحتشمت أن أذْكره سبحانه وتعالى،

**ومنهم: أبو محمد التستري**: سهل بن عبد الله التستري أحد أئمة القوم لم يكن له في وقته نظير في المعاملات والورع، وكان صاحب كرامات لقي ذا النون المصري بمكة سنة خروجه إلى الحج، تُوفي كما قيل سنة: ثلاث وثمانين ومائتين وقيل: ثلاث وسبعين ومائتين، وقال سهل: كنت ابن ثلاث سنين وكنت أقوم بالليل أنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت أبا الفتح يوسف ابن عمر الزاهر يقول: سمعت عبد الله بن عبد الحميد يقول: سمعت عبيد الله ابن لؤلؤ يقول: سمعت عمر بن واصل البصري يحكي عن سهل بن عبد الله قال: قال لي خالي يوماً: ألا تذكر الله الذي خلقك فقلت: كيف أذكره فقال لي: قل بقلبك عند تقلُّبك في ثيابك ثلاث مرات، من غير أن تحرِّك به لسانك: الله معي، الله ناظرٌ إليَّ، الله شاهد عليَّ، فقلت ذلك ثلاث ليال ثم أعلمته فقال لي: قل في كل ليلة سبع مرات، فقلت ذلك ثم أعلمت فقال: قل في كل ليلة إحدى عشرةَ مرَّة فقلت ذلك فوقع في قلبي له حلاوة، فلما كان بعد سنة قال لي خالي: احفظ ما علَّمتك ودُم عليه إلى أن ندخل القبر فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة، فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لها حلاوة في سرِّي، ثم قال لي خالي يوماً: يا سهل من كان الله معه وهو ناظر إليه وشاهدُه أيعصيه إيَّاك والمعصيةً، إني لأخشى أن يتفرق عليَّ همِّي ولكن شارطوا المعلِّم: أني أذهب إليه ساعة فأَتعلّم ثم أرجع، فمضيت إلى الكتَّاب وحفظتُ القرآن وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين وكنت أصوم الدهر وقوتي خبز الشعير إلى أن بلغت إثنتي عشرة سنة فوقعت لي مسألة وأنا ابن ثلاث عشرة سنة فسألت أهلي أن يبعثوني إلى البصرة أسأل عنها فجئت البصرة وسألت علماءها فلم يشف أحد منهم عني شيئاً!! فخرجت إلى عبادان إلى رجل يُعرف بأبي حبيب حمزة بن عبد الله العباداني فسألته عنها فأجابني، وأقمت عنده مدَّة أنتفع بكلامه وأتأدب بآدابه ثم رجعت إلى تستر فجعلت قوتي اقتصاراً

على أن يشتري لي بدرهم من الشعير الفرْق فيطحن ويخبز لي فأفطر عند السحر كلَّ ليلة على أوقية واحدة بحتاً بغير ملح ولا إدام فكان يكفيني ذلك الدرهم سنة،، ثم عزمت على أن أطوي ثلاث ليال ثم أفطر ليلة ثم خمساً ثم سبعاً ثم خمساً وعشرين ليلة، وكنت عليه عشرين سنة، ثم خرجتُ أسيح في الأرض سنين ثم رجعت إلى تستر وكنت أقوم الليل كله، سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا العباس البغدادي يقول: سمعت إبراهيم بن فراس كل فعل يفعله العبد بغير اقتداء طاعة كان أو معصية فهو عيش النفس وكلُّ فعل يفعله بالاقتداء فهو عذابٌ على النفس،

**ومنهم: أبو سليمان الداراني**: عبد الرحمن بن عطية الداراني وداران قرية من قرى دمشق، مات: سنة خمس عشرة ومائتين، سمعت محمد الحسين يقول: سمعت عبد الله بن محمد الرازيّ يقول: أخبرنا إسحق بن إبراهيم بن أبي حسان يقول: سمعت أحمد ابن أبي الحواري يقول: سمعت أبا سليمان يقول: مَن أحسن في نهاره كوفيء في ليله ومن أحسن في ليله كوفيء في نهاره، ومن صدّق في ترك شهوة ذهب الله بها من قلبه والله تعالى أكرم من أن يعذِّب قلباً بشهوة تُركت له، وبهذا الإسناد قال: إذا سكنت الدنيا القلب ترحَّلت منه الآخرة، سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت الحسين ابن يحيى يقول: سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول: سمعت الجنيد يقول: قال أبو سليمان الداراني: ربما يقع في قلبي النكتة من نكت القوم أياماً فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين: الكتاب والسنَّة، وقال أبو سليمان: أفضل الأعمال: خلاف هوى النفس، وقال: لكلِّ شيء عَلَم وعَلَمُ الخذلان ترك البكاء، وقال: لكل شيء صدأ وصدأ نور القلب شبَعُ البطن، وقال: كلُّ ما شغلك عن الله تعالى من أهل أو مال أو ولد فهو عليك مشئوم، وقال أبو سليمان: كنت ليلة باردة في المحراب فأقلقني البرد: فخبَّأت إحدى يدي من البرد وبقيت الأخرى ممدودة فغلبتني عيناي فهتف بي هتف: يا أبا سليمان وقد وضعنا في هذه ما أصابها ولو كانت الأخرى لوضعنا فيها، فآليت على نفسي أن لا أدعو إلا ويداي خارجتان حرًّا كان الزمن أو برداً، وقال أبو سليمان: نمت عن وردي فذا أنا بحوراء تقول لي: تنام وأنا أربى لك في الخدور منذ خمسمائة عام!! أخبرنا عبد الله بن يوسف الأصبهاني قال: أخبرنا أبو عمرو الجولستي قال: أخبرنا محمد بن إسماعيل قال: حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال: دخلت علي أبي سليمان يوماً وهو يبكي، فقال: يا أحمد ولم لا أبكي وإذا جنَّ الليل ونامت العيون وخلا كلُّ حبيب بحبيبه وافترض أهل المحبة أقدمهم وجرت دموعهم على خدودهم وتقّطرت في محاريبهم وأشرف الجليل سبحانه وتعالى فنادي: من تلذَّذ بكلامي واستراح

إلى ذكرى وإني المطَّلع عليهم في خلواتهم، أسمع أنينهم، وأرى بكاءهم فلم لا تنادي فيهم يا جبريل: ما هذا البكاء! هل رأيتم حبيباً يعذِّب أحباءه أم كيف يجمل بي أن آخذ قوماً إذا جنّهم الليل تملّقوا لي فإني حلفت: أنهم إذا وردوا عليَّ يوم القيامة لأكشف لهم عن وجهي الكريم حتى ينظروا إليَّ وأنظر إليهم،

**ومنهم: أبو عبد الرحمن حاتم بن علوان الأصم**: ويقال حاتم بن يوسف الأصم من أكابر مشايخ خراسان، وكان تلميذ شقيق وأستاذ أحمد بن خضرويه، قيل: لم يكن أصمَّ وإنما تصامم مرَّة فسُمّي به، سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق رحمه الله يقول: جاءت امرأة فسألت حاتماً عن مسألة فاتفق أنه خرج منها في تلك الحالة صوت فخجلت فقال حاتم: ارفعي صوتك، فأَرى من نفسه: أنه أصمُّ فسرَّت المرأة بذلك وقالت: إنه لم يسمع الصوت فغلب عليه اسم الصمم، أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله قال: سمعت أبا عليّ سعيد بن أحمد يقول: سمعت أبي يقول: سمعت محمد بن عبد الله يقول: سمعت خالي محمد بن الليث يقول: سمعت حامداً القلاف يقول: سمعت حاتماً الأصمَّ يقول: ما من صباح إلا والشيطان يقول لي: ماذا تأكل وماذا تلبس وأين تسكن فأقول له آكل الموت وألبس الكفن وأسكن القبر، وبإسناده قيل له: ألا تشتهي فقال: أشتهي عافية يوم إلى الليل، فقيل له: أليست الأيام كلها عافية فقال: إن عافية يومي أن لا أعصي الله فيه، وحكي عن حاتم الأصمَّ أنه قال: كنت في بعض الغزوات فأخذني شخص فأضجعني للذبح فلم يشتغل به قلبي بل كنت أنظر ماذا يحكم الله تعالى فيَّ، سمعت بعد الله بن يوسف الأصبحاني يقول : سمعت أبا نصر منصور ابن محمد بن إبراهيم الفقي يقول: سمعت أبا محمد جعفر بن محمد بن نصير يقول: روي عن حاتم أنه قال : من دخل في مذهبنا هذا فليجعل في نفسه أربع خصال من الموت: موتاً أبيض وهو الجوع، وموتاً أسود وهو: احتمال الأذى من الخلق، وموتاً أحمر وهو: العمل الخالص من الشوْب في مخالفة الهوى، وموتاً أخضر وهو: طرح الرقاع بعضها على بعض،

**ومنهم: أبو زكريا الرازي**: الواعظ أبو زكريا يحيى بن معاذ الرازي الواعظ نسيج وحدّه في وقته له لسان في الرجاء خصوصاً وكلام في المعرفة، خرج إلى بلخ وأَقام بها مدَّة، ورجع إلى نيسابور ومات بها سنة: ثمان وخمسين ومائتين، سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت عبد الله بن محمد ابن أحمد بن حمدان الكعبري يقول: سمعت أحمد بن محمد بن السرَّي يقول: سمعت أحمد بن عيسى يقول: سمعت يحيى بن معاذ يقول: كيف يكون زاهداً من لا وَرع له! تورّع عما ليس لك

ثم ازهد فيما لك، وبهذا الإسناد قال: جوع التوَّابين تجربة وجوع الزاهدين سياسة وجوع الصدِّيقين تكرمة، وقال يحيى: الفوت أشد من الموت لأن الفوت انقطاع عن الحق والموت انقطاع عن الخلق، وقال يحيى: الزهد ثلاثة أشياء القلَّة والخلوة والجوع، وقال يحيى: لا تربح على نفسك بشيء أجلّ من أن تشغلها في كل وقت بما هو أولى بها، وقيل: إن يحيى بن معاذ تكلم ببلخ في تفضيل الغنى على الفقر فأعطي ثلاثين ألف درهم فقال بعض المشايخ: لا بارك الله له في هذ المال فخرج إلى نيسابور فوقع عليه اللص وأخذ ذلك المال منه، أخبرنا عبد الله بن يوسف الأصبهاني قال: أنبأنا أبو القاسم عبد الله ابن الحسين بن بالويه الصوفي قال: سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول: سمعت الحسين بن علويه يقول: سمعت يحيى من خان الله في السرِّ هتك الله ستره في العلانية، سمعت عبد الله بن يوسف يقول: سمعت أبا الحسين محمد بن عبد العزيز المؤذِّن يقول: سمعت محمد بن محمد الجرجاني يقول: سمعت عليّ بن محمد يقول: سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول: تزكية الأشرار لك هُجْنة بك وحبُّهم لك عيب عليك وهانَ عليك من احتاج إليك،

**ومنهم: أبو حامد بن خضرويه البلخي**: أبو حامد أحمد بن خضرويه البلخي من كبار مشايخ خراسان صحب أبا تراب التخشبي، قدم نيسابور وزار أبا حفص وخرج إلى بسطام في زيارة أبي يزيد البسطامي وكان كبيراً في الفتوَّة، وقال أبو حفص: ما رأيت أحداً أكبر همَّة ولا أصدق حالاً من أحمد بن خضرويه، وكان أبو يزيد يقول: أستاذنا أحمد، سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت محمد بن حامد يقول: كنت جالساً عند أحمد بن خضرويه وهو في النزع وكان قد أتي عليه خمس وتسعون سنة، فسأله بعض أصحابه عن مسألة فدمعت عيناه وقال: يا بني بابٌ كنت أدقه منذ خمس وتسعين سنة وهو ذا يُفتح لي الساعة لا أدري أباب السعادة يُفتح أم بالشقاوة أنَّي لي أوان الجواب قال: وكان عليه سبعمائة دينار وغرماؤه عنده فنظر إليهم، وقال: اللهم إنك جعلت الرهون وثيقة لأرباب الأموال وأنت تأخذ عنهم وثيقَتَهم فأدّ عنيّ، قال: فدّق داقٌّ الباب وقال: أين غرماء أحمد فقضي عنه، ثم خرجت روحه ومات رحمه الله سنة أربعين ومائتين، وقال أحمد بن خضرويه: لا نوم أثقل من الغفلة ولا رق أملك من الشهوة ولولا ثقل الغفلة عليك لما ظفرت بك الشهوة،

**ومنهم: أبو الحسين بن أبي الحواري**: من أهل دمشق صحب أبا سليمان الداراني وغيره مات سنة: ثلاثين ومائتين، وكان الجنيد يقول: أحمد بن أبي الحواري: ريحانة الشام، سمعت الشيخ أبا

عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أبا أحمد الحافظ يقول: سمعت سعيد بن عبد العزيز الحلبي يقول: سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول: من نظر إلى الدنيا نظرة إرادة وحبّ لها أخرج الله نور اليقين والزهد من قلبه، وبهذا الإسناد يقول: من عمل عملا بلا اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فباطل عمله، وبهذا الإسناد قال أحمد بن أبي الحواري: أفضل البكاء: بكاء العبد على ما فاته من أوقاته على غير الموافقةَ، وقال أحمد: ما ابتلي الله عبداً بشيء أشد من الغفلة والقسوة،

**ومنهم: أبو حفص الحداد**: أبو حفص عمر بن مسلمة الحداد من قرية يقال لها كورد اباذ على باب مدينة نيسابور على طريق بخارى، قال أبو حفص: المعاصي بريد الكفر كما أن الحمَّى بريد الموت، وقال أبو حفص: إذا رأيت المريد يحب السماع فأعلم أن فيه بقية من البطالة، وقال: حُسن أدب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن، وقال: الفتوَّة: أداء الإنصاف وترك مطالبة الإنصاف، سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا الحسن محمد بن موسى يقول: سمعت أبا علي الثقفي يقول: كان أبو حفص يقول: من لم يزن أفعاله وأَحواله في كل وقت بالكتاب والسنَّة ولم يتهم خواطره فلا نعُده في ديوان الرجال،

**ومنهم: أبو تراب النخشبي**: أبو تراب عسكر بن حصين النخشبي صاحب حاتماً الأصمَّ وأبا حاتم العَّار المصري، مات سنة: خمس وأربعين ومائتين، قال ابن الجلاء: صحبت ستمائة شيخ ما لقيت فيهم مثل أربعة: أوَّلهم: أبو تراب النخشبي، وقال أبو تراب: إذا صدق العبد في العمل وجد حلاوته قبل أن يعمله فإذا أخلص فيه وجد حلاوته ولذَّته وقت مباشرة الفعل، سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت جدِّي إسماعيل بن نجيد يقول: كان أبو تراب النخشبي إذا رأى من أصحابه ما يكره زاد في اجتهاده وجدَّد توبته ويقول: بشؤمي دفعوا إلى ما دُفعوا إليه لأن الله عز وجل يقول: إن الله لا يغيِّر ما بقوم حتى يغِّيروا ما بأنفسهم قال: وسمعته يقول أيضاً لأصحابه: من لبس منكم مُرَقعة فقد سأل ومن قعد في خانقاه أو مسجد فقد سأل ومن قرأ القرآنِ من مصحف أو كيما يسمع الناس فقد سأل، قال: وسمعته يقول: كان أبو تراب يقول: بيني وبين الله عهد أن لا أمد يدي إلى حرام إلا قصرت يدي عنه، ونظر أبو تراب يوماً إلى صوفيٍّ من تلامذته قد مدَّ يده إلى قشر بطيخ قد طوى ثلاثة أيام فقال له أبو تراب: تمد يدك إلى قشر البطيخ أنت لا يصلح لك التصوف الزم السوق، سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا العباس البغدادي يقول: سمعت أبا عبد الله القارسي يقول: سمعت أبا الحسين الرازي يقول: سمعت يوسف ابن الحسين يقول: سمعت أبا تراب

ما تمنت نفسي عليّ شيئاً قط إلا مرة واحدة: تمنت عليَّ خبزاً وبيضاً وأنا في سفري فعدلت عن الطريق إلى قرية فوثب رجل وتعلق بي وقال: كان هذا مع اللصوص فبطحوني وضربوني سبعين خشبة، قال: فوقف علينا رجل صوفي فصرخ وقال: ويحكم هذا أبو تراب النخشبي فخلوني واعتذروا إليَّ وأدخلني الرجل منزله وقدَّم إليَّ خبزاً وبيضاً فقلت: كلْها بعد سبعين جلدة، وحكى ابن الجلاء قال: دخل أبو تراب مكة طيِّب النفس فقلت: أين أكلت أيُّها الأستاذ فقال: أكلة بالبصرة وأكلة بالنباج وأكلة هاهنا،

**ومنهم: أبو محمد عبد الله بن خبيق**: من زهَّاد المتصوِّفة صحب يوسف بن أَسباط، كان كوفيَّ الأصل، ولكنه سكن أَنطاكية، سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا الفرج الورثاني يقول: سمعت أبا الأزهر الميافارقيني يقول: سمعت فتح بن شخرف يقول: حدثني عبد الله ابن حبيق أول ما لقيته فقال لي: يا خراساني إنما هي أربع لا غير: عينك ولسانك وقلبك وهواك، فانظر عينك لا تنظر بها إلى ما لا يحل، وأنظر لسانك لا تقل به شيئاً يعلم الله تعالى خلافه من قلبك، وانظر قلبك لا يكن فيه غلٌّ ولا حقد على أحد من المسلمين، وانظر هواك لا تهوي به شيئاً من الشرِّ فإذا لم يكن فيك هده الأربع من الخصال فاجعل الرماد على رأسك فقد شقيت، وقال ابن خُبيق: لا تغتَمّ إلا من شيء يضرك غداً ولا تفرح إلا بشيء يسرُّك غداً، وقال ابن خبيق: وحشة العباد عن الحق أو حشتْ منهم القلوب ولو أنهم أنسوا برتبِهم لأنس بهم كل أحد، وقال: أنفع الخوف ما حجزك عن المعاصي وأطال منك الحزن على ما فاتك وألزمك الفكرة في بقية عمرك، وأنفع الرجاء: ما سهَّل عليك العمل، وقال: طول الاستماع إلى الباطل يطفئ حلاوة الطاعة من القلب،

**ومنهم: أبو علي الأنطاكي:** أبو علي أحمد بن عاصم الأنطاكي وكان ابو سليمان الداراني يسميه: جاسوس القلب لحدة فراسته، وقال أحمد بن عاصم: إذا طلبت صلاح قلبك فاستعن عليه بحفظ لسانك، وقال أحمد بن عاصم: قال الله تعالى: {إنما أموالكم وأولادكم فتنة} ونحن نستزيد من الفتنة

**ومنهم: أبو السري منصور بن عمار**: من أهل مرو من قرية يقال لها: يرانقان، وقيل إنه من بوشنج أقام بالبصرة: وكان من الواعظين الأكابر، وقال منصور بن عمار: من جزع من مصائب الدنيا تحوَّلت مصيبته في دينه، وقال منصور بن عمار: أحسن لباس العبد: التواضع والانكسار وأحسن لباس العارفين: التقوي قال الله تعالى: {ولباس التقوى ذلك خير}، وقيل: إن سبب توبته أنه

وجد في الطريق رقعة مكتوباً عليها " بسم الله الرحمن الرحيم " فرفعها فلم يجد لها موضعاً فأكلها فرأى في المنام كأن قائلا قال له: فتح الله عليك باب الحكمة باحترامك لتلك الرقعة، سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا العباس القاصّ يقول: سمعت أبا الحسن الشعراني يقول: رأيت منصور بن عمار في المنام فقلت له: ما فعل الله بك فقال: قال لي: أنت منصور بن عمار فقلت: بلى يا رب، قال: أنت الذي كنتّ تزهدِّ الناس في الدنيا وترغب فيها قلت: قد كان ذلك يا رب ولكني ما اتخذت مجلساً إلا بدأت بالثناء عليك وثنَّيت بالصلاة على نبيك صلى الله عليه وسلم وثلَّثت بالنصيحة لعبادك، فقال: صدق ضعوا له كرسياً يمجدني في سمائي بين ملائكتي كما كان يمجِّدني في أرضي بين عبادي،

**ومنهم: أبو صالح القصار**: أبو صالح حمدون بن أحمد بن عمارة القصار نيسابوري منه انتشر مذهب الملامتية بنيسابور مات: سنة إحدى وسبعين ومائتين، سئل حمدون: متى يجوز للرجل أن يتكلم على الناس فقال: إن تعين عليه أداء فرض من فرائض الله تعالى في علمه أو خاف هلاك إنسان في بدعة وهو يرجو أن ينجيه الله تعالى منها، وقال: من ظن أن نفسه خير من نفس فرعون فقد أظهر الكبر، وقال: مذ علمت أن للسلطان فراسة في الأشرار ما خرج خوف السلطان من قلبي، وقال: إذا رأيت سكراناً فتمايل لئلا تبغي عليه فتبتلي بمثل ذلك، وقال عبد الله بن منازل: قلت لأبي صالح: أوصني، فقال: إن استطعت أن لا تغضب لشيء من الدنيا فافعل، ومات صديق له وهو عند رأسه فلما مات أطفأ حمدون السراج، فقالوا له: في مثل هذا الوقت يزاد في السراج الدهنُ، فقال لهم: إلى هذا الوقت كان الدهن له ومن هذا الوقت صار الجهن للورثة، وقال حمدون: من نظر في سير السلف عرف تقصيره وتخلفه عن درك درجات الرجال، وقال: لا تفش على أحد ما تحب أن يكون مستوراً منك،

**ومنهم: أبو القاسم الجنيد بن محمد سيد هذه الطائفة وإمامهم**، أصله من نهاوند، ومنشؤه بالعراق، وأبوه كان يبيع الزجاج فلذلك يقال له: القواريري، صحب خاله السري والحارث المحاسبي ومحمد بن علي القصاب، مات سنة: سبع وتسعين ومائتين، سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت محمد بن الحسين البغدادي يقول: سمعت الفراغاني يقول: سمعت الجنيد وقد سئل: من العارف قال: من نطق عن سرَّك وأنت ساكت، سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت محمد ابن عبد الله الرازي يقول: سمعت أبا محمد الجريري يقول: سمعت الجنيد

يقول: ما أخذنا التصوف عن القيل والقال لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات، سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا محمد الجريري يقول: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا نصر الأصبهاني يقول: سمعت أبا علي الروذباري يقول: سمعت الجنيد يقول لرجل ذكر المعرفة وقال: أهل المعرفة بالله: يصلون إلى ترك الحركات من باب البرِّ والتقربُّ إلى الله عزَّ وجلَّ، فقال الجنيدِّ: إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال وهو عندي عظيمة والذي يسرق ويزني أحسن حالاً من الذي يقول هذا فإن العارفين بالله تعالى أخذوا الأعمال عن الله تعالى وإليه رجعوا فيها ولو بقيتُ ألف عام لم أنقص من أعمال البرِّ ذرَّة إلا أن يحال بي دونها، وقال الجنيد: إن أمكنك أن لا تكون آلة بينك إلا خزفاً فأفعل، وقال الجنيد: الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من أقتفى أثر الرسول عليه الصلاة والسلام، سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا عمر الأنماطي يقول سمعت الجنيد يقول: لو أقبل صادق على الله ألف ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة كان ما فاته أكثر مما ناله، وقال الجنيد: من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يُقتدى به في هذا الأمر لأن علمنا هذا سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا نصر الأصبهاني يقول: سمعت أبا علي الروذباري يقول عن الجنيد: مذهبنا هذا: مقيَّد بأصول الكتاب والسنَّة، وقال الجنيد: علمنا هذا مشيّد بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنبأنا محمد بن الحسين رحمه الله قال: سمعت أبا الحسين بن فارس يقول: سمعت أبا الحسين علي بن إبراهيم الحداد يقول: حضرت مجلس القاضي أبي العباس بن شريح فتكلَّم في الفروع والأصول بكلام حسن عجبت منه فلما رأي إعجابي قال: أتدري من أين هذا قلت: يقول به القاضي، فقال: هذا ببركة مجالسة أبي القاسم الجنيد، وقيل للجنيد: من أين استفدت هذا العلم فقال: من جلوسي بين يدي الله ثلاثين سنة تحت تلك الدرجة، وأومأ إلى درجة في داره، سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق رحمه الله يحكي ذلك وسمعته يقول: رؤى في يده سبحة فقيل له: أنت مع شرفك تأخذ بيدك سبحة! فقال: طريق به وصلت إلى ربي لا أفارقه، كان الجنيد يدخل كل يوم حانوته ويسبل الستر ويصلي أربعمائة ركعة ثم يعود إلى بيته، وقال أبو بكر العطوي: كنت عند الجنيد حين مات فرأيته ختم القرآن، ثم ابتدأ من البقرة، وقرأ سبعين آية ثم مات رحمه الله،

**ومنهم: أبو عثمان الجبري**: أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الجبري المقيم بنيسابور، وكان من الري صحب شاه الكرماني ويحيى ابن معاذ الرازي ثم ورد نيسابور مع شاه الكرماني على أبي

حفص الحداد وأقام عنده وتخرَّج به وزوجه أبو حفص ابنته، مات سنة ثمان وتسعين ومائتين وعاش بعد أبي حفص نيفا وثلاثين سنة، سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت أبا عمر بن حمدان يقول: سمعت أبا عثمان يقول: لا يكمل إيمان الرجل حتى يستوي في قلبه أربعة أشياء: سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت عبد الرحمن بن عبد الله يقول: سمعت بعض أصحاب أبي عثمان قول: سمعت أبا عثمان يقول: صحبت أبا حفص مدَّة وأنا شاب فطردني مرَّة وقال: لا تجلس عندي، فقمت ولم أوَله ظهري وانصرفت إلى ورائي ووجهي إلى وجهه، حتى غبت عن عينيه وجعلت على نفسي: أن أحفر على بابه حفرة لا أخرج منها إلا بأمره، فلما رأي ذلك أدناني وجعلني من خواصِّ أصحابه، قال: وكان يقول في الدنيا ثلاثة لا رابع لهم: أبو عثمان: بِنيسَابور والجنيد ببغداد وأبو عبد الله بن الجلاء بالشام، وقال أبو عثمان: منذ أربعين سنة ما أقامني الله تعالى في حال فكرهته ولا نقلني إلى غيره فسخته، سمعت الشيخ أبا الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت عبد الله ابن محمد الشعراني يقول: سمعت أبا عثمان يقول ذلك، ولما تغيَّر على أبي عثمان الحال مزّق ابنه أبو بكر قميصاً على نفسه ففتح أبو عثمان عينيه وقال: خلاف السُّنة يا بني في الظاهر علامة رياء في الباطن، سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن أحمد الملامتي يقول: سمعت أبا الحسين الوَّراق يقول: سمعت أبا عثمان يقول: الصحبة مع الله: بحسن الأدب ودوام الهيبة والمراقبة، والصحبة مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم باتِّباع سنَّته ولزوم ظاهر العلم، والصحبة مع أولياء الله تعالى بالاحترام والخدمة، والصحبة مع الأهل: بحسن الخلق، والصحبة مع الإخوان : بدوام البشر ما لم يكن إثما، والصحبة مع الجهَّال: بالدعاء لهم والرحمة عليهم، سمعت عبد الله بن يوسف الأصبهاني رحمه الله يقول: سمعت أبا عمرو بن نجيد يقول: سمعت أبا عثمان يقول: من أمَّر السنَّة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة ومن أمَّر الهوي على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة قال الله تعالى: وإن تطيعوه تهتدوا،

**ومنهم: أبو الحسين أحمد بن محمد النوري**: بغدادي المولد والمنشأ بغوي الأصل، صحب السريَّ السقطي وابن أبي الحواري، وكان من أقران الجنيد رحمه الله، مات سنة: خمس وتسعين ومائتين، وكان كبير الشأن حسن المعاملة واللسان، قال النوري رحمه الله: التصوُّف: ترك كل حظ للنفس، وقال النوري: أعزُ الأشياء في زماننا شيئان : عالم يعمل بعلمه وعارف ينطق عن حقيقة، سمعت أبا عبد الله الصوفي رحمه الله يقول: سمعت أحمد بن محمد البرذعي يقول: سمعت المرتعش يقول:

سمعت النوري يقول: من رأيته يدَّعي مع الله حالة تخرجه عن حد العلم الشرعي فلا تقربنَّ منه، سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت أبا العباس البغدادي يقول: سمعت الفرغاني يقول: سمعت الجنيد يقول: منذ مات النوري لم يخْبِر عن حقيقة الصدق أحد، وقال أبو أحمد المغازلي: وقال النوري: كانت المواقع غطاءً على الدرِّ فصارت اليوم مزابل على جيّف، وقيل: كان يخرج كلَّ يوم من داره ويحمل الخبز معه، ثم يتصدَّق به في الطريق ويدخل مسجداً يصِّلي فيه إلى قريب من الظهر ثم يخرج منه ويفتح باب حانوته ويصوم، فكان أهله يتوهَّمون أنه يأكل في السوق وأهل السوق يتوهَّمون أنه يأكل في بيته، وبقي على هذا في ابتدائه عشرين سنة،

**ومنهم: أبو عبد الله الجلاء:** أبو عبد الله أحمد بن يحيى الجلاء بغداديُّ الأصل أقام بالرملة ودمشق، من أكابر مشايخ الشام، صحب أبا تراب وذا النون وأبا عبيد اليُسري وأباه يحيى الجلاَّء، سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت محمد بن عبد العزيز الطبري يقول: سمعت أبا عمر الدمشقي يقول: سمعت ابن الجلاَّء يقول: قلت لأبي وأمي: أحبُّ أن تهباني لله عزَّ وجل، فقالا: قد وهبناك لله عز وجلَّ، فغبت عنهما مدَّة فلما رجعت كانت ليلة مطيرة فدققت الباب فقال لي أبي: من ذا قلت: ولدك أحمد، فقال: كان لنا ولد فوهبناه لله تعالى ونحن من العرب لا نسترجع ما وهبناه، ولم يفتح لي الباب، وقال ابن الجلاَّء: من استوى عنده المدح والذم فهو زاهد، ومن حافظ على الفرائض في أول مواقيتها فهو عابد ومن رأى الأفعال كلها من الله فهو مُوحِّد لا يرى إلا وَاحداً، ولما مات ابن الجلاَّء نظروا إليه وهو يضحك: فقال الطبيب: إنه حي، ثم نظر إلى مجسَّته فقال: إنه ميت، ثم كشف عن وجهه فقال: لا أدري أهو ميت أم حي!! وكان في داخل جلده عِرق على شكل الله، وقال ابن الجلاَّء رحمه الله كنت أمشي مع أستاذي فرأيت حدثاً جميلاً فقلت: يا أستاذي تُرى يعذِّب الله هذه الصورة فقال: أوَ نظرت إليهّ سترى غبَّه، قال: فنسيت القرآن بعده بعشرين سنة،

**ومنهم: رويم**: بغداديُّ من أجلَّة المشايخ، مات: سنة ثلاثة وثمانمائة، وكان مقرئاً وفقيها على مذهب داود، قال رويم: من حِكم الحكيم أن يوسِّع على إخوانه في الأحكام ويضيِّق على نفسه فيها فإن للتوسعة عليهم اتباع العلم والتضييق على نفسه من حكم الورع، سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت عبد الواحد ابن بكر يقول: سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول: سألت رويما فقلت: أوصني، فقال: ما هذا الأمر إلا ببذل الروح فإن أمكنك الدخول فيه مع هذا وإلا فلا تشتغل بترَّهات الصوفية، وقال رويم: قعودك مع كل طبقة من الناس أسلم من قعودك مع الصوفية فإن كل

الخَلق قعدوا على الرسوم وقعدت هذه الطائفة على الحقائق وطالب الخلق كلهم أنفسهم بظواهر الشرع وطالب هؤلاء أنفسَهم بحقيقة الورع ومداومة الصدق فمن قعد معهم وخالفهم في شيء مما يتحققون به نزع الله نورَ الإيمان من قلبه، وقال رويم: اجتزت ببغداد وقت الهاجرة ببعض السكك وأنا عطشان فاستقيت من دار ففتحت صبيَّة صوفيٌّ يشرب بالنهار!! فما أفطرتُ بعد ذلك اليوم قط، وقال رويم: إذا رزقك الله المقال والفعال فأخذ منك المقال وأبقى عليك الفعال فإنها نعمة وإذا أخذ منك الفعال وأبقى عليك المقال فإنها مصيبة وإذا أخذ منك كليهما فهي نقمة وعقوبة،

**ومنهم: أبو عبد الله البلخي**: أبو عبد الله محمد بن الفضل البلخي ساكن سمرقند: بلخي الأصل أخرج منها فدخل سمرقند ومات بها، وصحب أحمد بن خَضْرويه وغيره وكان أبو عثمان الحيري يميل إليه جداً، مات سنة: تسع عشرة وثلاثمائة، سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت أحمد ابن محمد القرَّاء يقول: سمعت أبا بكر بن عثمان يقول: كتب أبو عثمان الحيري إلى محمد بن الفضل يسأله: ما علامة الشقاوة فقال: ثلاثة أشياء: يُرزق العلم ويحرم العمل ويرزق العمل ويحرم الإخلاص ويرزق صحبة الصالحين ولا يحترمُ لهم، وكان أبو عثمان الحيري يقول: محمد بن الفضل سمسار الرجال، سمعت محمد الحسين يقول: سمعت عبد الله الرازي يقول: سمعت محمد ابن الفضل يقول: الراحة في السِّجن من أماني النفوس، سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت محمد بن الفضل يقول: ذهاب الإسلام من أربعة: لا يعملون بما يعلمون ويعملون بما لا يعلمون ولا يتعلمون مالا يعلمون ويمنعون الناس من التعلم، وبهذا الإسناد قال: العجب ممن يقطع المفاوز ليصل إلى بيته فيرى آثار النبوة كيف لا يقطع نفسه وهواه ليصل إلى قلبه فيرى آثار رِبه عزَّ وجلّ وقال: إذا رأيت المريد يستزيد من الدنيا فذلك من علامات إدباره، وسئل عن الزهد فقال: النظر إلى الدنيا بعين النقص والإعراض عنها تعزُّزاً وتظرفاً وتشرفاً، أبو بكر الزقاق الكبير أبو بكر أحمد بن نصر الزقاق الكبير كان من أقران الجنيد، من أكابر مصر، سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت الحسين بن أحمد يقول: سمعت الكتاني يقول: لما مات الزَّقاق انقطعت حُجَّةِ الفقراء في دخولهم مصر، وقال الزقاق: من لم يصحبه التقّي في فقر أكل الحرام المحض، سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت محمد ابن عبد الله بن عبد العزيز يقول: سمعت الزقَّاق يقول: تهت في تيه بني إسرائيل مقدار خمسة عشر يوماً فلما

وقعتُ على الطريق استقبلني إنسان جندي فسقاني شربة من ماء فعادت قسوتها على قلبي ثلاثين سنة،

**ومنهم: أبو عبد الله المكي**: أبو عبد الله عمرو بن عثمان المكي شيخ القوم وإمام الطائفة في الأصول والطريقة، مات ببغداد سنة: إحدى وتسعين ومائتين، سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت محمد بن عبد الله ابن شاذان يقول: سمعت أبا بكر محمد بن أحمد يقول: سمعت عمرو ابن عثمان المكي يقول: كل ما توهمه قلبك أو رسخ في مجاري فكرتك أو خطر في معارضات قلبك من حسن أو بهاء أو أنس أو جمال أو ضياء أو شبح أو نور أو شخص أو خيال فالله تعالى بعيد من ذلك ألا تسمع إلى قوله تعالى: {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير } وقال: {لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد}، وبهذا الإسناد قال: العلم قائد والخوف سائق والنفس حَرون بين ذلك جَموح خدَّاعة مراوغة فأحذرها بسياسة العلم وسقها بتهديد الخوف يتم لك ما تريد، وقال: لا تقع على الواجد عبارة لأنه سر الله عند المؤمنين،

**ومنهم سمنون**، وكنيته: أبو الحسن ويقال: أبو القاسم، صحب السرَّي وأبا أحمد القلانسي ومحمد بن علي القصَّار وغيرهم، قيل إنه أنشد: " وليس لي في سواك حظ فكيفما شئت فاختبرني " فأخذه الأَسر من ساعته فكان يدور على المكاتب ويقول: ادعوا لعمِّكم الكذَّاب، وقيل: إنه أنشد هذه الأبيات فقال بعض أصحابه لبعض: سمعت البارحة وكنت في الرُستاق صوت أستاذنا سمنون يدعو الله ويتضَرَّع إليه ويسأله الشفاء، فقال آخر: وأنا أيضاً كنت سمعت هذا البارحة وكنت بالموضع الفلاني، فقال ثالث ورابع مثل هذا فأخبر سمنون وكان قد امتُحن بعلّة الأسر وكان يصبر ولا يجزع فلما سمعهم يقولون هذا ولم يكن هو دعا ولا نطق بشيء من ذلك علم أن المقصود منه إظهار الجزع تأدُّباً بالعبودية وستراً لحاله فأخذ يطوف على المكاتب ويقول: ادعوا لعمَّكم الكذَّاب، سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت أبا العباس محمد ابن الحسن البغدادي يقول: سمعت جعفراً الخلدي يقول: قال لي أبو أحمد المغازلي، كان ببغداد رجل فرق على الفقراء أربعين ألف درهم فقال لي سمنون: يا أبا أحمد ألا ترى ما قد أنفق هذا وما قد عمله ونحن ما نجد شيئاً!! فمضينا إلى المدائن فصلّينا أربعين ألف صلاة، وكان سمنون ظريف الخلُق أكثر كلامه في المحبَّة، وكان كبير الشأن مات قبل الجنيد كما قيل،

**ومنهم: أبو عبيد البسري من قدماء المشايخ** صحب أبا تراب النخشَبي، سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت عبد الله بن عليٍّ يقول: سمعت الدُّقي يقول: سمعت ابن الجلاَّء يقول: لقيت ستمائة شيخ فما رأيت مثل أربعة: ذي النون المصري وأبي تراب وأبي عبيد البُسري، سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت أحمد بن محمد البَغوي يقول: سمعت محمد بن معمر يقول: سمعت أبا زرعة الحسني يقول: كان أبو عبيد البسري يوماً على جرجر يدرس قمحاً له، وبينه وبين الحج ثلاثة أيام إذ أتاه رجلان فقالا: فقال: لا، ثم إلتفت إليّ وقال: شيخك على هذا أقدر منهما، يعني نفسه،

**ومنهم: أبو الفوارس الكرماني**: أبو الفوارس شاه بن شجاع الكرماني كان من أولاد الملوك، صحب أبا تراب النَخْشَبيّ وأبا عُبيد البُسْري وأولئك الطبقة، وكان أحد الفتيان كبير الشأن مات قبل الثلاثمائة، وقال شاه: علامة التقوى الورع وعلامة الورع الوقوف عند الشبهات، وكان يقول لأصحابه: اجتنبوا الكذب والخيانة والغيبة ثم اصنعوا ما بدالكم، سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت جدِّي ابن نجيد يقول: قال شاه الكرماني: من غَضَّ بصره عن المحارم وأمسك نفسه عن الشهوات وعمر باطنه بدوام المراقبة وظاهره باتِّباع السنة وعوّد نفسه أكل الحلال لم تخطىء له فراسة،

**ومنهم: يوسف بن الحسين**: شيخ الرَيّ والجبال في وقته، وكان نسيج وحَده في إسقاط التصنُّع، وكان عالما أديباً صحب ذا النون المصري وأبا تراب النخشبي ورافق أبا سعيد الخرَّاز مات سنة: أربع وثلاثمائة، قال يوسف بن الحسين: لأن ألقي الله تعالى بجميع المعاصي أحبُّ إلى من أن ألقاه بذرَّةٍ من التصنّع، وقال يوسف بن الحسين: إذا رأيت المريد يشتغل بالرخص فاعلم أنه لا يجيء منه شيء، وكتب إلى الجنيد: لا أذاقك لله طعم نفسك فإنك إن ذقتها لم تذق بعدها خيراً أبداً، وقال يوسف بن الحسين: رأيت آفات الصوفية في صحبة الأحداث ومعاشرة الأضداد ورِفق

**ومنهم: أبو عبد الله الترمذي** أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي من كبار الشيوخ وله تصانيف في علوم القوم، صحب أبا تراب النَّخشبي وأحمد بن خضرويه وابن الجلاّء وغيرهم، سئل محمد بن عليَّ: عن صفة الخَلْق فقال: ضعف ظاهر ودعوى عريضة، وقال محمد بن عليٍّ: ما صَنفت حرفاً عن تدبير ولا لينسب إليَّ شيء منه ولكن كان إذا اشتّد عليَّ وقتي أتسلى به،

**ومنهم: أبو بكر الوراق**: الترمذي أبو بكر محمد بن عمر الوراق الترمذي أقام ببلخ، وصحب أحمد بن خضرويه وغيره وله تصانيف في الرياضيات سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن يقول: سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت محمد بن محمد البلخي يقول: سمعت أبا بكر الورَّاق يقول: من أرضي الجوارح بالشهوات غرس في قلبه شجر الندامات، سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أبا بكر البلخي يقول: سمعت أبا بكر الورّاق يقول: لو قيل للطمع من أبوك قال: الشك في المقدور، ولو قيل: ما حرفتك قال: اكتساب الذلِّ، ولو قيل: ما غايتك قال: الحرمان، وكان أبو بكر الورّاق يمنع أصحابه عن الأسفار والسياحات ويقول: مفتاح كل بركة الصبر في موضع إرادتك إلى أن تصحَّ لك الإرادة فإن صَحت لك الإرادة فقد ظهرت عليك أوائل البركة، أبو سعيد الخراز أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز من أهل بغداد، صاحب ذا النون المصري والنباجي وأبا عبيد البسريَّ والسري وبشراً وغيرهم، مات سنة: سبع وسبعين ومائتين، قال أبو سعيد الخرّاز: كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل، سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا عبد الله الرازي يقول: سمعت أبا العباس الصياد يقول: سمعت أبا سعيد الخرّاز يقول: رأيت إبليس في النوم وهو يمرّ عني ناحية فقلت له: تعال مالك فقال: إيش أعمل بكم وأنتم طرحتم عن نفوسكم ما أخادع به الناس!! فقلت: وما هو قال: الدنيا، فلما ولى عني التفت إليّ وقال: غير أن لي فيكم لطيفة، فقلت: وما هي قال: صحبة الأحداث، وقال أبو سعيد الخرَّاز: قالوا: لِمَ قال: لأني كنت معهم على نفسي،

**ومنهم: أبو عبد الله المغربي**: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل المغربي أستاذ إبراهيم بن شيبان وتلميذ عليّ بن رزين، عاش مائة وعشرين سنة، ومات سنة: تسع وتسعين ومائتين، كان عجيب الشأن لم يأكل مما وصلت إليه يد بني آدم سنين كثيرة، وقال أبو عبد الله المغربي: أفضل الأعمال عمارة الأوقات بالموافقات، وقال: أعظم الناس ذلا فقير داهن غنياً أو تواضع له، وأعظم الخلق عزا غنيّ تذلل للفقراء وحفظ حرمتهم،

**ومنهم: أبو الحسن علي بن سهل الأصبهاني**: من أقران الجنيد، قصده عمرو بن عثمان المكيِّ في ديْن ركبه فقضاه عنه وهو ثلاثون ألف درهم، لقي أبا تراب النخشبي والطبقة، سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت أبا بكر محمد ابن عبد الله الطبري يقول: سمعت عليَّ بن سهل يقول: المبادرة إلى الطاعة من علامة التوفيق، والتقاعد عن المخالفات من علامات التيقظ، وإظهار الدعاوي من رعونات البشري، ومن لم تصح مبادئ إرادته لا يسلم في منتهى عواقبه،

**ومنهم: أبو محمد الجريري**: أبو محمد بن محمد بن الحسين الجريري من كبار أصحاب الجنيد، وصحب سهل بن عبد الله، أُقعد بعد الجنيد في مكانه وكان عالماً بعلوم هذه الطائفة، كبير الحال، مات سنة: إحدى عشرة وثلاثمائة، سمعت أبا عبد الله الشيرازي يقول: سمعت أحمد بن عطاء الروذباري يقول: مات الجريري سنه الهبير فجزت به بعد سنة فذا هو مستند جالس وركبته إلى صدره وهو مشير إلى الله بأصبعه، من استولت عليه النفس صار أسيراً في حكم الشهوات محصوراً في سجن الهوى وحرّم الله على قلبه الفوائد فلا يستلذُّ بكلام الحق تعالى ولا يستحيله وإن كثر ترداده على لسانه لقوله تعالى: (سأصرف عن آياتي الذين يتكبَّرون في الأرض بغير الحق) ، وقال الجريري: رؤية الأصول باستعمال الفروع وتصحيح الفروع بمعارضة الأصول ولا سبيل إلى مقام مشاهدة الأصول إلا بتعظيم ما عظَّم الله من الوسائط والفروع،

**ومنهم: أبو العباس بن عطاء الآدمي**: من كبار مشايخ الصوفية وعلمائهم كان الخرّاز يعظِّم شأنه، وهو من أقران الجنيد وصحب إبراهيم المارستاني، مات سنة: تسع وثلاثمائة، سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا سعيد القرشي يقول: سمعت ابن عطاء يقول: من ألزم نفسه آداب الشريعة نوَّر الله قلبه بنور المعرفة ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب صلى الله عليه وسلم في أوامره وأفعاله وأخلاقه، وقال ابن عطاء: أعظم الغفلة غفلة العبد عن ربِّه عز وجلّ وغفلته عن أوامره ونواهيه وغفلته عن آداب معاملته، سمعت أبا عبد الله الشيرازي رحمه الله يقول: سمعت عبد الرحمن ابن أحمد الصوفيَّ يقول: سمعت أحمد بن عطاء يقول: كل ما سئلتَ عنه فاطلبه في مفازة العِلم فإن لم تجده ففي ميدان الحكمة فإن لم تجده فزِنه بالتوحيد فإن لم تجده في هذه المواضع الثلاثة فاضرب به وجه الشيطان،

**ومنهم: أبو إسحق الخواص**: من أقران الجنيد والنُّوري وله في التوكل والرياضات حظٌّ كبير، مات بالري سنة: إحدى وتسعين ومائتين، كان مبطوناً فكان كلما قام توضأ وعاد إلى المسجد وصلى ركعتين فدخل مرَّة الماء فمات، رحمه الله، سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت الخوّاص يقول: ليس العلم بكثرة الرواية إنما العالم من أتَّبع العلم واستعمله واقتدى بالسنن وإن كان قليل العلم، سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت أحمد بن علي ابن جعفر يقول: سمعت الأزديَّ يقول: سمعت الخوّاص يقول: دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبر وخلاء البطن وقيام الليل والتضرع عند السَحر ومجالسة الصالحين،

**ومنهم: أبو محمد الخراز**: أبو محمد عبد الله بن محمد الخراز صحب أبا حفص وأبا عمران الكبير، وكان من المتورعين، مات قبل العشرة والثلاثمائة، سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أبا نصر الطوسي يقول: سمعت الدقي يقول: دخلت على عبد الله الخرَّاز ولي أربعة أيام لم آكل فقال: يجوع أحدكم أربعة أيام فيصبح ينادي عليه الجوع، ثم قال: إيش يكون لو أن كلَّ نفس منفوسة تلفت فيم تؤمِّله عند الله ترى يكون ذلك كثيراً، وقال أبو محمد عبد الله الخرَّاز: الجوع طعام الزاهدين والذكر طعام العارفين،

**ومنهم: أبو الحسن الحمال**: أبو الحسن بنان بن محمد الحمال واسطي الأصل، كبير الشأن صاحب الكرامات، سئل بُنان عن أجلِّ أحوال الصوفية فقال: الثقة بالمضمون والقيام بالأوامر ومراعاة السر والتخلي من الكوفيين، سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت الحسن بن أحمد الرازي يقول: سمعت أبا علي الروذباري يقول: ألقي بنان الحمال بين يدي السبع فجعل السبع يشمه ولا يضره، فلما أخرج قيل: ما الذي كان في قلبك حيث شمَّك السبع قال: كنت أفكر في اختلاف العلماء في سؤر السبع،

**ومنهم: أبو حمزة البغدادي**: البزاز مات قبل الجنيد وكان من أقرانه، صحب السريَّ والحسن المسوحي، وكان عالماً بالقراءات فقيهاً، وكان من أولاد عيسى بن أبان وكان أحمد بن حنبل يقول له في المسائل، قيل: كان يتكلم في مجلسه يوم جمعة فتغير عليه الحبل فسقط عن كرسيه: ومات في الجمعة التالية، وقيل: مات سنة تسع وثمانين مائتين، قال أبو حمزة: من علم طريق الحق تعالى سهل عليه سلوكه ولا دليل على الطريق إلى الله تعالى إلا متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم في أحواله وأفعاله وأقواله، **وقال أبو حمزة**: من رُزق ثلاثة أشياء فقد نجا من الآفات: بطن خال من قلب قانع وفقر دائم معه زهد حاضر وصبر كامل معه ذكر دائم،

**ومنهم: أبو بكر الواسطي**: أبو بكر محمد بن موسى الواسطي خراساني الأصل، من فرغانة، صحب الجنيد والنوري، قال الواسطي: الخوف والرجاء زمامان يمنعان العبد من سوء الأدب، وقال: الواسطي: إذا أراد الله هوان عبد القاه إلى الأنتان والجيف يريد به صحبة الأحداث، سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت أبا بكر محمد ابن عبد العزيز المروزي يقول: سمعت الواسطي يقول: جعلوا سوء أدبهم إخلاصاً وشره نفوسهم انبساطاً ودناءة الهمم جلادة فعموا عن الطريق وسلكوا فيه المضيق فلا حياة تنموا في شواهدهم ولا عبادة تزكوا في محاضرتهم إن نطقوا فبالغصب

وإن خاطبوا فبالكبر وثب أنفسهم ينبىء عن خبث ضمائرهم وشرهم في المأكول يظهر ما في سويداء أسرارهم، قاتلهم الله أنى يؤفكون، سمعت الأستاذ أبا علي الدقَّاق رحمه الله يقول: سمع بعض المراوزة إنساناً صيدلانياً يقول: اجتاز الواسطيُّ يوم جمعة بباب حانوتي قاصداً إلى الجامع، فانقطع شسع نعله فقلت: أيها الشيخ أتأذن لي أن أصلح نعلك فقال: أصلح، فأصلحت شسعه فقال: أتدري لم أنقطع شسع نعلي قال: لأني ما اغتسلت للجمعة!! فقلت له: ياسيدي هاهنا حمام تدخله فقال: نعم، فأدخلته الحمَّام فاغتسل،

**ومنهم: أبو الحسن بن الصائغ**: واسمه: علي بن محمد بن سهل الدَّينوري، أقام بمصر ومات به وكان من كبار المشايخ، قال أبو عثمان المغربي: ما رأيت من المشايخ أنور من أبي يعقوب النهرجوري ولا أكثر هيبة من أبي الحسن بن الصائغ، مات سنة: ثلاثين وثلاثمائة سئل ابن الصائغ عن الاستدلال بالشاهد على الغائب فقال: كيف يستدل بصفات من له مثل ونظير على من لا مثل له ولا نظير! وسئل عن صفة المريد فقال: ما قال الله عز وجل: (ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم) الآية،

**ومنهم: أبو إسحق الرقي**: أبو إسحق إبراهيم بن داود الرقي من كبار مشايخ الشّام، من أقران الجنيد وابن الجلاَّء، وقد عمر وعاش إلى سنة: ست وعشرين وثلاثمائة، وقال إبراهيم الرقي: المعرفة: إثبات الحق على ما هو خارجا عن كل ما هو موهوم، وقال: القدرة ظاهرة والأعين مفتوحة، ولكن أنوار البصائر قد ضعفت، وقال: أضعفَ الخلق: من ضعف عن ردّ شهواته وأقوى الخلق: من قوي على ردِّها، وقال: علامة محبة الله: إيثار طاعته ومتابعة نبيه صلى الله عليه وسلم،

**ومنهم: ممشاد الدينوري** قال ممشاد، أدب المريد في التزام حُرمات المشايخ وخدمة الإخوان والخروج عن الأسباب وحفظ آداب الشرع على نفسه، وقال ممشاد: ما دخلت قط على أحد من شيوخي إلا وأنا خال من جميع مالي أنتظر بركات ما يَرد عليّ من رؤيته وكلامه فإن من دخل على شيخ بحظه انقطع عن بركات رؤيته ومجالسته وكلامه،

**ومنهم: خير النساج**: صحب أبا حمزة البغداديَّ ولقي السري وكان من أقران أبي الحسن النوري إلا أنه عمرَّ عمراً طويلاً، وعاش كما قيل مائة وعشرين سنة، وتاب في مجلسه: الشبلي والخوَّاص، وكان أستاذ الجماعة، وقيل: كان اسمه محمد بن إسماعيل من سامرة وإنما سُمي خير النسّاج لأنه

خرج إلى الحج فأخذ رجل على باب الكوفة وقال: أنت عبدي واسمك خير، يا خير فيقول: لبَّيك، ثم قال له الرجل بعد سنين: غلطت لا أنت عبدي ولا أسمك خير فمضى وتركه وقال: لا أغيرِّ اسماً سماني به رجل مسلم، وقال: الخوف سوط الله يقوّم به أنفساً قد تعودت سوء الأدب، سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت أبا الحسن القزويني يقول: سمعت أبا الحسين المالكي يقول: سألت من حضرَ موت خير النساج عن أمره فقال: لما حضرت صلاةُ المغرب غشى عليه ثم فتح عينيه وأومأ في ناحية البيت وقال: قف عافاك الله فإنما أنت عبد مأمور وأنا عبدٌ مأمور، وما أُمرت به لا يفوتك وما أمرت به يفوتني، ودعا بماء فتوضأ للصلاة ثم تمدّد، وغمض عينيه وتشهَّد ومات فرؤى في المنام فقيل له: ما فعل الله بك، قَالَ لَا تسالني عَن هَذَا وَلَكِنِّي استرحت من دنياكم الوضرة، سَمِعت أَبَا بكر الرَّازِيّ يَقُول سَمِعت خيرا النساج يَقُول من عرف من الدُّنْيَا قدرهَا وجد من الْآخِرَة حَقّهَا وَمن جهل من الْآخِرَة حَقّهَا قَتله من الدُّنْيَا نزرها،

**ومنهم: أبو حمزة الخراساني** بنيسابور أصله من محَّلة ملقاباذ، من أقران الجنيد والخرَّاز وأبي تراب النخشبي، وكان ورعاً ديّناً، قال أبو حمزة: من استشعر ذكر الموت حبب الله إليه كل باق وبغّض إليه كل فان: وقال: العارف بالله يدافع عيشَه يوماً بيوم ويأخذ عيشه يوما ليوم، وقال له رجل: أوصني، وقال: هيىء زادك للسفر الذي بين يديك، سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت أبا الطيب العكي يقول: سمعت أبا الحسن المصري يقول: سمعت أبا حمزة الخراساني يقول: كنت قد بقيت محرماً في عباء أسافر كل سنة ألف فرسخ تطلع الشمس علي وتغرب كلما حللت أحرمت،

**ومنهم: أبو بكر بن جحدر الشبلي**: بغداديُّ المولد والمنشأ، واصله من أُسرٌ وشنْة، صحب الجنيد ومن في عصره وكان شيخ وقته: حالاً وظرفاً وعلماً، مالكي المذهب، عاش سبعاً وثمانين سنة ومات سنة: أربع وثلاثين وثلاثمائة، وقبره ببغداد، ولما تاب الشبلي في مجلس خير النسَّاج أتى دماوند وقال: كنت والي بلدكم فاجعلوني في حل، وكانت مجاهداته في بدايته فوق الحدّ، سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق رحمه الله يقول: بلغني أنه اكتحل بكذا، كذا، ومن الملح ليعتاد السهر ولا يأخذه النوم ولو لم يكن من تعظيمه للشرع إلا ما حكاه بكران الدينوري في آخر عمره لكان كثيراً، سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت أبا العباس البغدادي يقول: كان الشبلي رحمه الله

يقول في آخر أيامه: وكان الشبلي إذا دخل شهر رمضان جد فوق جدّ من عاصره ويقول: هذا شهر عظمه ربي فأنا أوَّل من يعظِّمه، سمعت الأستاذ أبا عليٍّ يحكي ذلك عنه،

**ومنهم: أبو محمد المرتعش**: أبو محمد عبد الله بن محمد المرتعش نيسابوري من محَّلة الحيرة، وقيل: من ملقاباذ، صحب أبا حفص وأبا عثمان ولقي الجنيد وكان كبير الشأن، وكان يقيم في مسجد الشُّونزيّه، مات ببغداد سنة: سمان وعشرين وثلاثمائة، قال المرتعش: الإرادة: حبس النفس عن مراداتها والإقبال على أوامر الله تعالى والرضا بموارد القضاء عليه، وقيل له: إن فلاناً يمشي على الماء ،

**ومنهم: أبو علي الروذباري**: أبو علي أحمد بن محمد الروذباري بغداديٌّ أقام بمصر، ومات بها سنة: اثنتين وعشرين وثلاثمائة، صحب الجنيد والنوري وابن الجلاء والطبقة، أظرف المشايخ وأعلمهم بالطريقة، سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت أبا القاسم الدمشقي يقول: سئل أبو علي الروذباري عمن يسمع الملاهي ويقول: هي لي حلال لأني وصلت إلى درجة لا تؤثِّر في اختلاف الأحوال، فقال: نعم قد وصل ولكن إلى سقر!! وسئل عن التصوف فقال: هذا مذهب كله جدٌّ فلا تخلطوه بشيء من الهز، سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا علي الروذباري يقول: من علامة الاغترار أن تسيء فيحسن الله إليك فتترك الأنابة والتوبة وهما أنك وقال: كان أستاذي في التصُّوف: الجنيد، وفي الفقه: أبو العباس ابن شريح وفي الأدب: ثعلب وفي الحديث: إبراهيم الحربي، منهم: أبو محمد عبد الله بن منازل شيخ الملامتية وأوحد وقته، صحب حمدون القصّار، وكان عالماً وكتب الحديث الكثير، مات بنيسابور سنة: تسع وعشرين أو ثلاثين وثلاثمائة، سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت عبد الله المعلم يقول: سمعت عبد الله بن منازل يقول: لم يضيّع أحد فريضة من الفرائض إلا ابتلاه الله تعالى بتضييع السنن لم يُبلَ أحد بتصنيع السنن إلا وشك أن يبتلي بالبدع، سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أبا أحمد بن عيسى يقول: سمعت عبد الله بن منازل يقول: ومنهم: أبو علي الثقفي أبو علي محمد بن عبد الوهاب الثقفي إمام الوقت، صحب أبا حفص وحمدون القصَّار، وبه ظهر التصُّوف بنيسابور: مات سنة: ثمان وعشرين وثلاثمائة، سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا علي الثقفي يقول: لو أني رجلاً جمع العلوم كلها وصحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة: من شيخ أو إمام أو مؤدِّب ناصح، ومن لم يأخذ

أدبه من أستاذ يريَه عيوب أعماله ورعونات نفسه لايجوز الاقتداء به في تصحيح المعاملات، وقال أبو علي رحمه الله: يأتي على هذه الأمة زمان لا تطيب المعيشة فيه المؤمن إلا بعد إستناده إلى منافق، وقال: أف من أشال الدنيا إذا أقبلت وأف من حسراتها إذا أدبرت والعاقل من لا يركن إلى شيء إذا أقبل كان شغلاً وإذا أدبر كان حسرة، أبو الخير الأقطع مغربيُّ الأصل سكن تينَات، وله كرامات وفراسة حادَّة، كان كبير الشأن مات سنة: نيف وأربعين وثلاثمائة، قال أبو الخير: ما بَلغ أحد إلى حالة شريفة إلاَّ بملازمة الموافقة ومعانقة الأدب وأداء الفرائض وصحبة الصالحين،

**ومنهم: أبو بكر الكتاني**: أبو بكر محمد بن علي الكتاني بغدادي الأصل، صحب الجنيد والخراز والنوري، وجاور بمكة إلى أن مات سنة: اثنتين وعشرين وثلاثمائة، سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: نظر الكتَّاني إلى شيخ أبيض الرأس واللحية يسأل الناس فقال: هذا رجل أضاع حق الله في صِغره فضيعَّه الله في كبره، وقال الكتَّاني الشهوة زمام الشيطان فمن أخذ بزمامه كان عبده،

**ومنهم: أبو يعقوب اسحق بن محمد النهرجوري**: صحب أبا عمرو المكيَّ وأبا يعقوب السوسي والجنيد وغيرهم، مات بمكة مجاوراً بها سنة: ثلاثمائة، سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا الحسين أحمد بن علي يقول: سمعت النهرجوري يقول: الدنيا بحر والآخرة ساحل والمركب التقوي والناس سفْرَ، سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا بكر الرازيَّ يقول: سمعت النهرجوري يقول رأيت رجلاً في الطواف بفردعين يقول أعوذ بك منك، فقلت: ما هذا الدعاء فقال: نظرت يوماً إلى شخص فاستحسنته وإذا لطمة وقعت على بصري فألست عيني لكمة بنظرة، ولو زدت لزدناك، سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أحمد بن عليٍّ يقول: سمعت النهرجوري يقول: أفضل الأحوال ما قارن العلم،

**ومنهم: أبو الحسن علي بن محمد المزين**: من أهل بغداد من أصحاب سهل بن عبد الله والجنيد والطبقة، مات بمكة مجاوراً سنة: ثمان وعشرين وثلاثمائة، وكان ورعاً كبيراً، سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت المزِّين يقول: الذنب بعد الذنب عقوبة الذنب الأوَّل والحسنة بعد الحسنة ثواب الحسنة الأولى، وسئل المزين عن التوحيد فقال: أن تعلم أن

أوصافه تعالى بائنة لأوصاف خلق بَاينَهم بصفاته قدْماً كما باينوه بصفاتهم حدثاً، وقال: من لم يستغن بالله أحوجه الله إلى الخلق ومن استغنى بالله أحوج الله الخلق إليه،

**ومنهم: ابن الكاتب**: واسمه الحسن بن أحمد، صحب أبا علي الروذباري وأبا بكر المصري وغيرهما، كان كبيراً في حاله، مات سنة: نيف وأربعين وثلاثمائة، قال ابن الكاتب: إذا سكن الخوف في القلب لم ينطق اللسان إلا بما يعنيه، وقال ابن الكاتب: المعتزلة تزهوا الله تعالى من حيث العقل فأخطأوا والصوفية نزَّهوه من حيث العلم فأصابوا،

**ومنهم: مظفر القرمسيني**: من أشياخ الجبل، صحب عبد الله الخرَّاز وغيره، قال مظفر الفرمسيني: الصوم على ثلاثة أوجه: صوم الروحِ بقصر الأمل وصوم العقل بخلاف الهوى وصوم النفس بالإمساك عن الطعام وقال مظفر: أخَسُّ الإرفاق: أرفاق النسوان على أيّ وجه كان، وقال: الجوع إذا ساعدته القَشاعة فهو مزرعة الفِكرة وينبوع الحكمة وحياة الفطنة ومصباحُ القلب، وقال: أفضل أعمال العبيد: حفظُ أوقاتهم الحاضرة وهو أن لا يقصروا في أمر ولا يتجاوزوا عن حدِّ، وقال: من لم يأخذ الأدب عن حكيم لم يتأدَّب به مريد،

**ومنهم: أبو بكر الأبهري**: أبو بكر عبد الله بن طاهر الأبهري من أقران الشبليّ، من مشايخ الجبل، عالم وَرع صحب يوسف بن الحسين وغيره، مات بقرب من الثلاثين والثلاثمائة، سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا من حُكم الفقير أن لا يكون له رغبة فإن كان ولابد فلا تجاوز رغبتَه كفايتُه يعني المحتاج إليه، وبهذا الإسناد قال: إذا أحببت أخاً في الله فاقلل مخالطته في الدنيا،

**ومنهم: أبو الحسين بن بنان**: ينتمي إلى أبي سعيد الخرَّاز، من كبار مشايخ مصر، قال ابن بُنان: كل صوفيّ كان همٌّ الرزق قائماً في قلبه فلزومُ العمل أقرب إليه، وعلامة سكون القلب إلى الله: أن يكون بما في يد الله أوثقُ منه بما في يده، وقال: اجتنبوا دناءة الأخلاق كما تجتنبون الحرام، ومنهم: أبو إسحق القرمسيني شيخ وقته، وصحب أبا عبد الله المغربيَّ والخوَّاص وغيرهما، سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا يزيد المروزي الفقيه يقول سمعت إبراهيم بن شيبان يقول: من أراد أن يتعطَّل أو يتبطل فليلزم الرُّخص، وبهذا الإسناد قال: عِلم الفناء والبقاء يدور على إخلاص الوحدانية

وصحةِ العبودية وما كان غير هذا فهو المغاليط والزندقة، وقال إبرهيم: السِّفلة من يعي الله عزّ وجلَّ،

**ومنهم: أبو بكر بن يزدانيار**: أبو بكر الحسين بن علي بن يزدانيار من أرمينية، له طريقة يختص بها في التصوف، وكان عالماً ورعاً وكان ينكر على بعض العارفين في إطلاقات وألفاظ لهم، قال ابن يزدانيار: وإيَّاك أن تطمع في حبِّ الله وأنت تحب الفضول، وإيَّاك أن تطمع في المنزلة عند الله وأنت تحب المنزلة عند الناس، ومنهم: أبو سعيد بن الأعرابي واسمه: أحمد بن محمد بن زياد البصريّ، جاور الحرم ومات به سنة: إحدى وأربعين وثلاثمائة، صحب الجنيد وعمرو بن عثمان المكيّ والنوري وغيرهم، قال ابن الأعرابي: أخْسَر الأخسرين من أبدي للناس صالح أعماله وبارز بالقبيح من هو أقرب إليه من حبل الوريد، ومنهم: أبو عمرو الزجاجي النيسابوري أبو عمرو محمد بن إبراهيم الزجاجي النيسابوري صحب الجنيد وأبا عثمان والنوريَّ والخوَّاص ورويماً، مات سنة: ثمان وأربعين وثلاثمائة، سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت جدِّي أبا عمرو بن نجيد يقول: سئل أبو عمرو الزجاجي: ما بالك تتغير عند التكبيرة الأولى في الفرائض فقال: لأني أخشى أن أفتتح فريضتي بخلاف الصدق فمن يقول: الله أكبر وفي قلبه شيء أكبر منه أو قد كبرَّ شيئاً سواءه على مرور الأوقات وفقد كذّب نفسه على لسانه، وقال: من تكلم عن حالٍ لم يصل إليها كان كلامه فتنة لمن يسمعه ودعوى تتولد في قلبه وحرَمه الله الوصول إلى تلك الحال، وقد جاور بمكة سنين كثيرة لم يتطهرَّ في الحرم بل كان يخرج إلى الحلِّ ويتطهرَّ فيه،

**ومنهم: أبو محمد بن نصير**: أبو محمد جعفر بن محمد بن نصير صحب الجنيد وانتمى إليه وصحب النوري ورويما وسمنون والطبقة، مات ببغداد سنة: ثمان وأربعين وثلاثمائة، قال جعفر: لا يجد العبد لذّة المعاملة مع الله مع لذة النفس لأن أهل الحقائق قطعوا العلائق التي تقطعهم عن الحق قبلأن تقطعهم العلائق، سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت جعفراً يقول: إن ما بين العبد وبين الوجود أن تسكن التقوى قلبه فإذا سكنت التقوى قلبه نزلت عليه بركات العلم وزالت عنه رغبة الدنيا،

**ومنهم : أبو العباس السياري**: واسمه: القاسم بن القاسم، من مرو صحب الواسطي وانتمي إليه في علوم هذه الطائفة، وكان عالماً، سئل أبو العباس السيَّاري: بماذا يروض المريد نفسه فقال:

بالصبر على فعل الأوامر واجتناب النواهي وصحبة الصالحين وخدمة الفقراء، وقال: ما التذَّ عاقل بمشاهدة الحق قد لأن مشاهدة الحق فناء ليس فيها لذة،

**ومنهم : أبو بكر الدينوري**: أبو بكر محمد بن داود الدينوري المعروف بالدقيّ، أقام بالشام وعاش أكثر من مائة سنة، مات بدمشق بعد الخمسين والثلاثمائة، صحب أبن الجلاَّء والزقَّاق، قال أبو بكر الدقيّ، المعدة موضع يجمعُ الأطعمة فإذا طرحتَ فيها الحلال صدرت الأعضاء بالأعمال الصالحة وإذا طرحت فيها الشبهة اشتب عليك الطريق إلى الله تعالى – وإذا طرحت فيها التبعات كان بينك،

**ومنهم : أبو محمد الرازي**: أبو محمد عبد الله بن محمد الرازي مولده ومنشؤه بنيسابور، صحب أبو عثمان الحيريَّ والجنيد ويوسف بن الحسين ورويماً وسمنوناً وغيرهم، مات سنة: ثلاث وخمسين وثلاثمائة، سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت عبد الله الرازي يقول وقد سئل: ما بال الناس يعرفون عيوبهم ولا يرجعون إلى الصواب فقال: لأنهم اشتغلوا بالمباهاة بالعلم ولم يشتغلوا باستعماله واشتغلوا بالظواهر ولم يشتغلوا بآداب البواطن فأعمى الله قلوبهم وقيد جوارحهم عن العبادات،

**ومنهم : أبو عمرو إسماعيل بن نجيد**: وكان كبير الشأن، آخر من مات من أصحاب أبي عثمان، توفي بمكة سنة: ست وستين وثلاثمائة، سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت جدِّي أبا عمرو بن نجيد يقول: كل حال لا يكون عن نتيجة علم فإن ضررَه على صاحبه أكثر من نفعه، قال: وسمعته يقول: من ضيع في وقت من أوقاته فريضة افترضها الله عليه حرِمَ لذَّة تلك الفريضة ولو بعد حين، قال : وسئل عن التصوف فقال: الصبر تحت الأمر والنهي، قال: وقال : آفة العبد رضاه من نفسه بما هو فيه،

**ومنهم : أبو الحسن البوشنجي**: أبو الحسن علي بن أحمد بن سهل البوشنجي لقي أبا عثمان وابن عطاء والجريري وأبا عمر والدَّمشقيَّ، مات سنة: ثمان وأربعين وثلاثمائة، وسئل البوشنجي عن المروءة فقال: هي ترك استعمال ما هو محرَّم مع الكرام الكاتبين، وقال له إنسان: ادع الله لي، فقال: أعاذك الله من فتنتك، وقال: أوَّل الإيمان منوط بآخره،

**ومنهم : أبو عبد الله الشيرازي:** أبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي صحب رويماً والجريري وابن طاء وغيرهم، مات سنة: إحدى وسبعين وثلاثمائة، وهو شيخ الشيوخ وواحد وقته، وقال: ليس شيء أضر على المريد من مسامحة النفس في ركوب الرحل وقبول التأويلات، وسئل عن القرب فقال: قُربك منه بملازمة الموافقات وقُربه منك بدوام التوفيق، سمعت أبا عبد الله الصوفيَّ يقول: سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول: ربَّما كنت أقرأ في ابتداء أمري في ركعة واحدة عشرة آلاف مرةً قل هو الله أحد وربما كنت أقرأ في ركعة واحدة القرآن كله وربما كنت أصلي من الغداة إلى العصر ألف ركعة، سمعت أبا عبد الله بن باكويه الشيرازي رحمه الله يقول: سمعت أبا أحمد الصغير يقول: دخل يوماً من الأيام فقير فقال الشيخ أبي عبد الله أبن خفيف، بي وسوس!! فقال الشيخ: عهدي بالصوفيَّة يسخرون من الشيطان والآن الشيطان يسخر منهم، وسمعته يقول: سمعت أبا العباس الكرخي يقول: سمعت أبا عبد الله ابن خفيف يقول: ضعفت عن القيام في النوافل فجعلت بدل كل ركعة من أورادي ركعتين قاعداً للخبر: صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم،

**ومنهم أبو الحسين الشيرازي:** أبو الحسين بندار بن الحسين الشيرازي كان عالماً بالأصول كبيراً في الحال، صحب الشبلي، مات بأرَّجان سنة: ثلاث وخمسين وثلاثمائة، قال بُندار بن الحسين: لا تخاصم لنفسك فإنها ليست لك دعها لمالكها يفعل بها ما يريد، وقال بُندار: صحبة أهل البدع تورث الإعراض عن الحق، وقال بُندار: اترك ما تهوى لما تأمل،

**ومنهم: أبو بكر الطمستاني:** وكان أوحد وقته علماً وحالاً مات بنيسابور بعد سنة: أربعين وثلاثمائة قال أبو بكر الطمِّستاني: النعمة العظمة الخروج من النفس والنفس أعظم حجاب بينك وبين الله سمعت أبا عبد الله الشيرازي رحمه الله يقول: سمعت منصور ابن عبد الله الأصبهانيِّ يقول: سمعت أبا بكر الطمِّستاني يقول: إذا هَم القلب عوقب في الوقت، وقال: (الطريق واضح والكتاب والسنَّة قائم بين أظهرنا وفضل الصحابة معلوم لسبقهم إلى الهجرة ولصحبتهم فمن صحب منا الكتاب والسنة وتغرَّب عن نفسه والخلق وهاجر بقلبه إلى الله فهو الصادق المصيب)،

**ومنهم: أبو العباس الدينوري:** أبو العباس أحمد بن محمد الدينوري صحب يوسف بن الحسين وابن عطاء والجريريَّ، وكان عالماً فاضلاً ورد نيسابور وأقام بها مدّضة وكان يعظ الناس ويتكلم على لسان المعرفة ثم ذهب إلى سمرقند ومات بها بعد الأربعين وثلاثمائة، قال أبو العباس الدَّينوري:

أدْنى الذكر أن تنسى مادونه ونهاية الذكر أن يغيب الذاكر في الذكر عن الذكر، وقال أبو العباس: لسان الظاهر لا يغيَّر حكم الباطن، وقال أبو العباس الدينوري: أدنى الذكر أن تنسى ما دونه ونهاية الذكر أن يغيب الذاكر في الذكر عن الذكر، وقال أبو العباس: لسان الظاهر لا يغيَّر حكم الباطن، وقال أبو العباس الدينوري: نقضوا أركان التصوف وهدموا سبيلها وغيروا معانيها بأسامي أحدثوها: سمُّو الطمع زيادة وسوء الأدب إخلاصاً والخروج عن الحق شطحاً والتلذذ بالمذموم طيبة واتباع الهوي ابتلاء والرجوع إلى الدنيا وصلا وسوء الخلق صولة والبخل جلادة والسؤال عملاً وبذاءة اللسان ملامة، وما هذا كان طريق القوم،

**ومنهم: أبو عثمان سعيد بن سلام المغربي**: واحد عصره لم يوصف مثله قبله، صحب ابن الكاتب وحبيباً المغربيَّ وأبا عمرو الزجاجيَّ ولقي النهرجوري وابن الصائغ وغيرهم، مات بنيسابور سنة: ثلاث وسبعين وثلاثمائة، وأوصى بأن يُصلى عليه الإمام أبو بكر بن فورك رحمه الله تعالى، سمعت الأستاذ أبو بكر بن فورك يقول: كنت عند أبي عثمان المغربي حين قرب أجله وعليّ القوال الصغير يقول شيئاً فلما تغير عليه الحال أشرنا على عليّ بالسكوت ففتح الشيخ أبو عثمان عينيه وقال: لم لا يقول عليّ شيئاً فقلت لبعض الحاضرين: سلوه علام يسمع المستمع فإني أحتشمه في تلك الحالة فسألوه فقال: إنما يسمع من حيث يسمع، وكان في الرياضة كبير الشأن، وقال أبو عثمان: التقوى هي: الوقوف مع الحدود لا يُقصر فيها ولا يتعدَّاها، من آثر صحبة الأغنياء على مجالسة الفقراء ابتلاه الله بموت القلب، ومنهم: أبو القاسم النصراباذي أبو القاسم إبراهيم بن محمد النصراباذي شيخ خراسان في وقته، صحب الشبليَّ وأبا علي الروذباريَّ والمرتعش، جاور بمكة سنة: ست وستين وثلاثمائة، ومات بها سنة تسع وستين وثلاثمائة، وكان عالماً بالحديث كثير الرواية، سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت النصراباذي يقول: إذا بدا لك شيء من بوادي الحق فلا نلتفت معها إلى جنَّة ولا إلى نار فإذا رجعت عن تلك الحال فعظِّم ما عظمه الله، وسمعت محمد بن الحسين يقول: قيل للنصراباذي: إن بعض الناس يجالس النسوان ويقول: أنا معصوم في رؤيتهن، ما دامت الأشباح باقية فإن الأمر والهي باق والتحليل والتحريم مخاطب به ولن يجترئ على الشبهات إلا من تعرض للمحرمات، وسمعت محمد بن الحسين رحمة الله يقول: قال النصراباذي: أصل التصوف: ملازمة الكتاب والسنة وترك الأهواء والبدع وتعظيم حرمات المشايخ ورؤية أعذار الخلق والمداومة على الأوراد وترك ارتكاب الرخص والتأويلات،

**ومنهم: أبو الحسن الحصري البقري**: أبو الحسن علي بن إبراهيم الحصري البقري سكن بغداد، عجيب الحال واللسان شيخ وقته، ينتمي إلى الشبليّ، مات ببغداد سنة: إحدى وسبعين وثلاثمائة، قال الحصري: الناس يقولون: الحصري لا يقول بالنوافل وعلى أوراد من حال الشباب لو تركت ركعة لعوقبت، وقال: من ادَّعى في شيء من الحقيقةُ كذَّبته شواهد كشف البراهين،

**ومنهم: أبو عبد الله الروذباري**: أبو عبد الله بن أحمد بن عطاء الروذباري ابن أخت الشيخ أبي علي الروذباري، شيخ الشم في وقته مات بصور سنة: تسع وستين وثلاثمائة، سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت على بن سعيد المصيصي يقول: سمعت أحمد بن عطاء الروذباري يقول: كنت راكباً جملاً فغاصت رجلاً الجمل في الرمل فقلت: جل الله فقال الجمل: جل الله، وكان أبو عبد الله الروذباري إذا دعا أَصحابه معه إلى دعوة في دور السوقة ومن ليس من أهل التصوف لا يُخْبر الفقراء بذلك وكان يطعمهم شيئاً فإذا فرغوا أخبرهم ومضى بهم فكانوا قد أكلوا في الوقت فلا يمكنهم أن يمدوا أيديهم إلى طعام الدعوة إلا بالتعزز، وإنما كان يفعل ذلك لئلا تسوء ظنُون الناس بهذه الطائفة فيأثموا بسببهم، وقيل: كان أبو عبد الله الروذباري يمشي على أثر الفقراء يوماً وكذا كانت عادته أن يمشي على أثرهم وكانوا يمضون إلى دعوة فقال إنسان بقَّال: هؤلاء المستحلون وبسط لسانه فيهم وقال في اثناء كلامه: إن واحداً منهم قد استقرض منيّ مائة درهم، ولم يردها عليَّ ولست أدري أين أطلبه فلما دخلوا دار الدعوة قال أبو عبد الله الروذباري لصاحب الدار وكان من محِبي هذه الطائفة، إثنتي بمائة درهم إن أردت سكون قلبي، فأتاه بها في الوقت فقال لبعض أصحابه: أحمل هذه المائة إلى البقَّال الفلانيّ وقل له: هذه المائة التي استقرضها منك بعض أصحابنا وقد وقع له في التأخير بها عذر وقد بعثها الآن، فأقبل عذهر!! فمضى الرجل وفعل فلما رجعوا من الدعوة اجتازوا بحانوت البقَّال فأخذ البقال في مدحهم يقول: وقال أبو عبد الله الروذباري: أقبح من كل قبيح صوفي شحيح، قال أبو القاسم الأستاذ الإمام جمال الإسلام رضي الله عنه هذا هو ذكر جماعة من شيوخ هذه الطائفة، وكان الغرض من ذكرهم في هذا الموضع التنبيه على أنهم مجمعون على تعظيم الشريعة متصفون بسلوك طرق الرياضة مقيمون على متابعة السنة غير مخلين بشيء من آداب الديانة متفقون على أن من خلا من المعاملات والمجاهدات ولم يبن أمره على أساس الورع والتقوى كان مفترياً على الله سبحانه وتعالى فيما يدعيه متفونا هلك في نفسه وأهلك من أغتر به ممن ركن إلى أباطيله، ولو تقصينا وتتبعنا ما ورد عنهم: من ألفاظهم وحكاياتهم ووصف سيرهم مما يدل على

أحوالهم لطال به التاب وحصل منه الملال: وفي هذا القدر الذي لوحنا به في تحصيل المقصود غنية وبالله التوفيق، فأما المشايخ الذين أدركناهم وعاصرناهم وإن لم يتفق لنا لقياهم مثل: الاستاذ الشهيد لسان وقته وأوحد عصره أبي عليٍّ الحسن بن علي الدقاق والشيخ نسيج وحده في وقته أبي عبد الرحمن السلمي وابي الحسن علي بن جَهضم مجاور الحرم والشيخ أبي العباس القصار بطبرستان، وأحمد الأسود بالدينور وابي القاسم الصيرفي بنيسابور وابي سهل الخشاب الكبير بها، ومنصور بن خلف المغربي وأبي سعيد الماليني وأبي طاهر الخوزندي قدس الله أرواحهم وغيرهم فلو اشتغلنا بذكرهم وتفصيل أحوالهم لخرجنا عن المقصود في الإيجاز وغير ملْتَبَس من أحوالهم حسن سيرتهم في معاملاتهم، وسنورد من حكاياتهم طرفاً في مواضع من هذه الرسالة إن شاء الله تعالى " أهـ [انظر الرسالة القشيرية للإمام أبو القاسم القشيري رحمه الله]،

***

## المبحث الخامس عشر

## عقيدة أهل التصوف

**[المفتاح الأول]:** أهل التصوف أهل احترام للتخصص العلمي، هم سادة أهل السنة والجماعة في باب التزكية وتحقيق الإحسان، ولكنهم يحترمون التخصص العلمي الذي حبى الله تعالى به أهل

السنة والجماعة سواد أهل الإسلام الأعظم، لقد اصطلحت هذه الجماعة التي تمثل سواد الأمة الإسلامية الأعظم منذ أوائل ظهورها: على تسمية العلم الذي يشرح أركان الإسلام بعلم الفقه، والعلم الذي يشرح أركان الإيمان بالعقيدة، والعلم الذي يشرح مقام الإحسان بعلم التصوف، (التصوف) هو السعي لتحقيق مرتبة الإحسان الظاهر والباطن، ففي العقيدة تأسست لهم ثلاث مدارس: (المدرسة الأثرية)، (والمدرسة الأشعرية)، (والمدرسة الماتريدية)، وبها اكتملت علوم العقيدة، وفي الفقه تأسست لهم أربعة مذاهب، وهي: المذهب الحنفي، والمذهب المالكي، والمذهب الشافعي، والمذهب الحنبلي، وبها اكتملت علوم الفقه، وقد تنوعت الطرق التزكوية التي يسلكها الربانيون في تربيتهم للسالكين إلى منازل الإحسان أعلى منازل الدين، وبهذا التخصص الفريد، صار الإطار الواسع الصحيح لأهل السنة والجماعة يشمل سواد المسلمين الأعظم أتباع أئمة الهدى المتخصصين في العقيدة وفي الفقه وفي التزكية، والكل عالة على أهل السنّة والجماعة في باب التخصص العلمي ومدارسه العلمية والسلوكية الرصينة، أهل التصوف سادة يحترمون التخصص العقيدي في الامة، وهم يعلمون أنّ الجامعة الكلية لأهل السنة والجماعة في باب العقيدة: يمثلها: ثلاث مذاهب معروفة، وهي (المذهب الأثري) وعليه غالب الحنابلة إلا من مال إلى الحشو والتجسيم بسبب عدم العلم بقواعد التقديس، و (المذهب الأشعري) وعليه غالب المالكية والشافعية إلا من مال إلى الحشو أو الاعتزال، و (الأشاعرة) هم سواد العلماء المتخصصين في العقيدة على مذهب أهل السنة والجماعة، و (المذهب الماتريدي) وعليه غالب الأحناف إلا من مال إلى الحشو أو الاعتزال، أهل التصوف أهل احترام للتخصص العلمي، يحترمون التخصص العلمي الذي حبى الله تعالى به أهل السنة والجماعة سواد أهل الإسلام الأعظم، وعقائد السادة الصوفية تمثل السمو والعظمة، وتدل على أنّهم أهل الله تعالى وخاصته، وأنّهم قادة التنزيه والتقديس والتسبيح الاعتقادي، وأنّهم على أعلى وأعظم عقائد الإسلام،

**[المفتاح الثاني]:** قال الشيخ أبو بكر الكلاباذي في كتابه القيم: التعرف لمذهب أهل التصوف، قال في باب بيان عقيدة أهل التصوف: (واعلم أن الصوفية أجمعوا على أن الله واحد، فرد صمد، قديم عالم، قادر حي، سميع بصير، عزيز عظيم، جواد رؤوف، متكبر جبار، باق أول، إله مالك رب، رحمن رحيم، مريد حكيم، متكلم خالق رازق، موصوف بكل كمال يليق به، منزه عن كل نقص في حقه، لم يزل قديما بأسمائه وصفاته، غير مشابه للخلق بوجه من الوجوه، لا يشبه ذاته

الذوات، ولا صفاته الصفات، لا يجري عليه شيء من سمات المخلوقين الدالة على حدوثهم، موجودا قبل كل شيء، لا قديم غيره، ولا إله سواه، ليس بجسم ولا شبح، ولا صورة ولا شخص، ولا جوهر ولا عرض، لا اجتماع له ولا افتراق، لا يتحرك ولا يسكن، ولا ينقص ولا يزيد، ليس بذي أبعاض ولا أجزاء، ولا جوارح ولا أعضاء، ولا بذي جهات ولا أماكن، لا تجري عليه الآفات ولا تأخذه السنات، ولا تداوله الأوقات ولا تعينه الإشارات، ولا يحويه مكان ولا يجري عليه زمان، ولا تجوز عليه المماسة ولا العزلة، ولا الحلول في الأماكن، ولا تحيط به الأفكار ولا تحجبه الأستار، ولا تدركه الأبصار، وأجمعوا أن لله صفات على الحقيقة، هو بها موصوف من العلم والقدرة والقدم والحياة والإرادة والمشيئة والكلام، وأنها ليست بأجسام ولا أعراض ولا جواهر، كما أن ذاته ليس بجسم ولا عرض ولا جوهر، وأن له سمعا وبصرا ليسا كالأسماع والأبصار، وأنها صفات الذات، وقد أجمعوا على أنه لا تدركه العيون، ولا تهجم عليه الظنون، ولا تتغير صفاته ولا تتبدل أسماؤه، لم يزل كذلك، هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) أهـ [التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي]،

**[المفتاح الثالث]:** قال الشيخ العارف بالله قطب العارفين الإمام أحمد الرفاعي في كتابه القيم البرهان المؤيد، قال وهو يخاطب السالكين: (صونوا عقائدكم من التمسك بظاهر ما تشابه من الكتاب والسنة، لأن ذلك من أصول الكفر قال تعالي (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) (آل عمران 7) والواجب عليكم وعلي كل مكلف في المتشابه: الايمان بأنه من عند الله، أنزله علي عبده سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم وما كلفنا سبحانه وتعالي تفصيل علم تأويله قال جلت عظمته (وما يعلم تأويلة إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا) (آل عمران 7) فسبيل المتقين من السلف تنزيه الله تعالي عما دل عليه ظاهره، وتفويض معناه المراد منه إلي الحق تعالي وتقدس وبهذا سلامة الدين سئل بعض العارفين عن الخالق تقدست اسماؤه فقال للسائل: إن سألت عن ذاته، فليس كمثله شيء وإن سألت عن صفاته، فهو أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وإن سألت عن اسمه فـ {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَانُ الرَّحِيمُ} [الحشر: 21] وإن سألت عن فعله فـ {كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} [الرحمن: 29] وقد جمع إمامنا الشافعي رضي الله عنه جميع ما قيل في التوحيد بقوله: من انتهض لمعرفة مدبره فانتهي إلي موجود ينتهي إليه فكره فهو مشبه وإن اطمأن إلي العدم الصرف، فهو معطل وإن

اطمأن لموجود، واعترف بالعجز عن إدراكه فهو موحد، (أي سادة): نزهوا الله عن سمات المحدثين، وصفات المخلوقين وطهروا عقائدكم من تفسير معني الاستواء في حقه تعالي بالاستقرار، كاستواء الأجسام علي الأجسام المستلزم للحلول، تعالي الله عن ذلك واياكم والقول بالفوقية والسفلية، والمكان واليد والعين بالجارحة، والنزول بالاتيان والانتقال فإن كل ما جاء في الكتاب والسنة مما يدل ظاهره علي ما ذكر، فقد جاء في الكتاب والسنة مثله مما يؤيد المقصود فما بقي إلا ما قاله صلحاء السلف: وهو الإيمان بظاهر كل ذلك ورد علم المراد إلي الله ورسوله، مع تنزيه الباري تعالي عن الكيف وسمات الحدوث وعلي ذلك درج الأئمة وكل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره قراءته والسكوت عنه ليس لأحد أن يفسره إلا الله تعالي ورسوله ولكم حمل المتشابه علي ما يوافق أصل المحكم لأنه اصل الكتاب والمتشابه لا يعارض المحكم سأل رجل الإمام مالكا بن أنس رضي الله عنه عن قوله تعالي {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: 5] فقال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعا وأمر به أن يخرج وقال إمامنا الشافعي رضي الله عنه لما سئل عن ذلك آمنت بلا تشبيه، وصدقت بلا تمثيل، واتهمت نفسي في الإدراك، وأمسكت عن الخوض فيه كل الإمساك وقال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه: من قال لا أعرف الله أفي السماء هو أم في الأرض؟ فقد كفر لأن هذا القول يوهم أن للحق مكانا، ومن توهم أن للحق مكانا فهو مشبه وسئل الإمام أحمد رضي الله عنه عن الاستواء فقال: استوي كما أخبر، لا كما يخطر للبشر وقال الإمام ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: من زعم أن الله في شيء، أو من شيء، فقد أشرك إذ لو كان علي شيء لكان محمولا ولو كان في شيء لكان محصورا ولو كان من شيء لكان محدثا) أهـ [البرهان المؤيد للرفاعي ص 14 إلى 19]، وهذه درر من أقوال العارف بالله الشيخ الأكمل أحد أركان الطريق وأحد أشهر أئمة العارفين الذين اجتمعت الأمة على إمامتهم واعتقادهم، وهذه هي عقائد السادة الصوفية التي تمثل السمو والعظمة، وتدل على أنّهم أهل الله تعالى وخاصته، وأنّهم قادة التنزيه والتقديس والتسبيح الاعتقادي، وأنّهم على أعلى وأعظم عقائد الإسلام،

**[المفتاح الرابع]: قال الشيخ الإمام القشيري**: (الفصل الأول: بيان اعتقاد هذه الطائفة في مسائل الأصول: اعلموا –رحمكم الله–، أن شيوخ هذه الطائفة بنوا قواعد أمرهم على أصول صحيحة في التوحيد، صانوا بها عقائدهم عن البدع ودانوا بما وجدوا عليه السلف وأهل السنة من توحيد ليس

فيه تمثيل ولا تعطيل، وعرفوا ما هو حق القدم، وتحققوا بما هو نعت الموجود عن العدم، ولذلك قال سيد هذه الطريقة الجنيد، رحمه الله: "التوحيد إفراد للقدم من الحدث"، وأحكموا أصول العقائد بواضح الدلائل، ولائح الشواهد... إلى أن قال: هذه فصول تشتمل على بيان عقائدهم في مسائل التوحيد ذكرناها على وجه الترتيب، قال شيوخ هذه الطريقة، على ما يدلُ عليه متفرقات كلامهم، ومجموعاتهم، ومصنفاتهم في التوحيد: إن الحق، سبحانه وتعالى: موجود، قديم، واحد، حكيم، قادر، عليم، قاهر، رحيم، مريد، سميع، مجيد، رفيع، متكلم، بصير متكبر، قدير، حيٌّ أحد، باق، صمد، وأنه عالم بِعِلم، قادر بقدرة، مريد بإرادة، سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام، حيٌّ بحياة، باقٍ ببقاء، وله يدان هما صفتان، يخلق بهما ما يشاء، سبحانه، على التخصيص، وله الوجه الجميل، وصفات ذاته مختصة بذاته، لا يقال هي هو، ولا هي أغيار له، بل هي صفات له أزلية، ونعوت سرمدية، وأنه إحديُّ الذات، ليس يشبه شيئاً من المصنوعات، ولا يشبهه شيء من المخلوقات، ليس بجسم، ولا جوهر ولا عرّض، ولا صفاته أعراض، ولا يتصوَّر في الأوهام، ولا يتقدَّر في العقول، ولا له جهة ولا مكان، ولا يجري عليه وقت وزمان، ولا يجوز في وصفه زيادة ولا نقصان، ولا يخصُّه هيئة وقدٌّ، ولا يقطعه نهاية وحدٌّ، ولا يحله حادث، ولا يحمله على الفعل باعث، ولا يجوز عليه لون ولا كوْن، ولا ينصره مدد ولا عون، ولا يخرج عن قدرته مقدور، ولا ينفك عن حكمه مفطور، ولا يعزب عن علمه معلوم، ولا هو على فعله كيف يصنع وما يصنع ملوم، لا يقال له: أين، ولا حيث، ولا كيف، ولا يُستفتح له وجود: فيقال: متى كان: ولا ينتهي له بقاء: فيقال استوفى الأجل والزمان، ولا يقال: لِمَ فعل ما فعل، إذ لا علَّة لأفعاله، ولا يقال ما هو، إذ لا جنس له فيتميز بأمارة عن أشكاله، يُرى لا عن مقابلة، ويرى غيره لا عن مماقلة، ويصنع لا عن مباشرة ومزاولة، له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، يَفعل ما يريد، ويذل لحكمه العبيد، لا يجري في سلطانه إلا ما يشاء، ولا يحصل في ملكه غير ما سبق به القضاء، ما علم أنه يكون من الحادثات أراد أن يكون، وما علم أنه لا يكون، مما جاز أن يكون: أراد أن لا يكون، خالق إكساب العباد: خيرها وشرِّها، ومبدع ما في العالم من الأعيان والآثار: قُلُّها وكُثْرها، ومرسل الرسل إلى الأمم من غير وجوب عليه، ومتعبَّد الأنام على لسان الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، بما لا سبيل لأحد باللوم والاعتراض عليه، ومؤيد نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، بالمعجزات الظاهرة، والآيات الباهرة، بما أزاح به العذر، وأوضح به اليقين والنكر، وحافظ بيضة الإسلام بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم، بخلفائه الراشدين، ثم حارس الحق وناصره بما يوضحه من حجج الدين على ألسنة أوليائه، عصم

الأمة الحنفية عن الاجتماع على الضلالة، وحسم مادة الباطل بما نصب من الدلالة، وأنجز ما وعد من نصرة الدين بقوله: {ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون}، فهذه: فصول تشير إلى أصول المشايخ على وجه الإيجاز، وباللّه التوفيق) أهـ [الرسالة القشيرية: ص 2 إلى 9]،

**[المفتاح الخامس]: قال العارف بالله تعالى السيد عبد الوهاب الشعراني رحمه الله** في كتابه الانوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، (مقدمة تشتمل على جملة من عقائد القوم وبيان موافقتها لعقائد أهل السنة والجماعة، قال رحمه الله تعالى: اعلم يا أخي أنَّ القوم أجمعوا على أنَّ الله تعالى إله واحد لا ثاني له، منزه عن الصاحبة والولد، مالك لا شريك له، صانع لا مدبر معه، موجود بذاته من غير افتقار إلى موجد يوجده، بل كل موجود مفتقر إليه في وجوده، فالعالم كله موجود به، وهو تعالى موجود بذاته، لا افتتاح لوجوده، ولانهاية لبقائه، بل وجوده مطلق مستمر، قائم بنفسه، ليس بجوهر فيقدر له المكان، ولا بعرض فيستحيل عليه البقاء، ولا بجسم فتكون له الجهة والتلقاء، مقدس عن الجهة والاقطار، مرئي بالقلوب والابصار، استوى تعالى على عرشه كما قاله، وعلى المعنى الذي أراده، كما أن العرش وما حواه به استوى، له الاخرة والاولى، ليس له مثل معقول، ولا دلت عليه العقول، لا يحده زمان، ولا يقله مكان، والان على ما عليه كان، خلق المتمكن والمكان، وأنشأ الزمان، وقال: أنا الواحد الحي الذي لا يؤوده حفظ المخلوقات، ولا يرجع إليه صفة لم يكن عليها من صفة المصنوعات، تعالى أن تحله الحوادث أو يحلها، أو تكون قبله أو يكون قبلها، بل يقال: " كان ولا شيء معه "، لان القبل والبعد من صنع الزمان الذي أبدعه، فلا نطلق عليه تعالى ما لم يطلقه على نفسه، فإنه أطلق على نفسه: " الاول " و "الاخر "، لا القبل والبعد، فهو القيوم الذي لا ينام، والقهار الذي لا يرام، {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير}، خلق العرش وجعله حد الاستواء، وأنشأ الكرسي وأوسعه الارض والسماء، اخترع اللوح والقلم الاعلى، وأجراه كتابا في خلقه إلى يوم الفصل والقضاء، أبدع العالم كله على غير مثال سبق، وخلق الخلق، وأخلق ما خلق، أنزل الارواح في الاشباح أمنا، وجعل هذه الاشباح المنزلة إليها الارواح في الارض خلفا، وسخر لها ما في السماوات وما في الارض جميعا منه، فلا تتحرك ذرة إلا عنه، خلق الكل من غير حاجة إليه، ولا موجب أوجب ذلك عليه، لكن علمه بذلك سبق فلا بد أن يخلق ما خلق، فـ {هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو على كل شيء قدير}، أحاط بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عددا، يعلم السر وأخفى، يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور، كيف لا يعلم شيئا خلقه، {ألا

يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير} علم الاشياء قبل وجودها، ثم أوجدها على حد ما علمها، فلم يزل عالما بالأشياء، لم يتجدد له علم عند تجدد الاشياء بعلمه، أتقن الاشياء وأحكمها، يعلم الكليات والجزئيات على الاطلاق، فهو عالم الغيب والشهادة، فتعالى عما يشركون، فعال لما يريد، فهو المريد للكائنات في عالم الارض والسماوات، لم تتعلق قدرته تعالى بإيجاد شيء حتى أراده، كما أنه لم يرده سبحانه حتى علمه، إذ يستحيل أن يريد سبحانه وتعالى ما لم يعلم، أو يفعل المختار المتمكن من ذلك الفعل ما لا يريده، كما يستحيل أن توجد هذه الحقائق من غير حي، كما يستحيل أن تقوم هذه الصفات بغير ذات موصوفة بها، فما في الوجود طاعة ولا عصيان، ولا شيء من جميع المتضادات والمختلفات والمتماثلات، إلا وهو مراد للحق تعالى، وكيف لا يكون مرادا له وهو أوجده، فكيف يوجِد المختارُ ما لا يريد، لا راد لأمره، ولا معقب لحكمه، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، ويضل من يشاء، ويهدي من يشاء، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، لو اجتمع الخلائق كلهم على أن يريدوا شيئا لم يرد الله تعالى لهم أن يريدوه ما أرادوه، أو أن يفعلوا شيئا لم يرد الله إيجاده وأرادوه ما فعلوه ولا استطاعوا، ولا أقدرهم عليه، فالكفر، والايمان، والطاعة، والعصيان من مشيئته وحكمته وإرادته، ولم يزل سبحانه وتعالى موصوفا بهذه الارادة أزلا والعالم معدوم، ثم أوجد العالم من غير تفكر ولا تدبر، بل أوجده عن العلم السابق، وتعيين الارادة المنزهة الازلية القاضية على العالم بما أوجدته عليه من زمان ومكان وأكوان وألوان، فلا مريد في الوجود على الحقيقة سواه، إذ هو القائل سبحانه {وما تشاءون إلا أن يشاء الله}، وأنه تعالى كما علم ما حكم، وأراد فخص، وقدر فأوجد، كذلك سمع ورأى ما تحرك وسكن، أو نطق في الورى، من العالم الاسفل والاعلى، لا يحجب سمعه البعد فهو القريب، ولا يحجب بصره القرب فهو البعيد، يسمع كلام النفس في النفس، وصوت المماسة الخفية عند اللمس، يرى السواد في الظلماء، والماء في الماء، ولا يحجبه الامتزاج، ولا الظلمات ولا النور، وهو السميع البصير، تكلم سبحانه، لا عن صمت متقدم، ولا سكوت متوهم، بكلام قديم أزلي كسائر صفاته من علمه وإرادته وقدرته، كلم به موسى عليه الصلاة والسلام، سماه التنزيل والزبور والتوراة والانجيل والفرقان، من غير تشبيه ولا تكييف، إذ كلامه تعالى من غير لهاة ولا لسان، كما أن سمعه من غير أضمخة ولا آذان، كما أن بصره من غير أعين ولا أجفان، كما أن إرادته من غير قلب ولا جنان، كما أن علمه من غير اضطرار ولا نظر في برهان، كما أن حياته من غير بخار تجويف القلب حدث عن امتزاج الاركان، كما أنَّ ذاته لا تقبل الزيادة، ولا النقصان،

فسبحانه سبحانه من بعيد دان، عظيم السلطان، عميم الاحسان، جسيم الامتنان، كل ما سواه فهو عن وجوده فائض، وفضله وعدله الباسط والقابض، أكمل صنع العالم وأبدعه حين أوجده واخترعه، لا شريك له في ملكه، ولا مدبر معه فيه، إن أنعم فنَعَّم فذلك فضله، وإن أبلى فعذَّب فذلك عدله، لم يتصرف في ملك غيره فينسب إلى الجور والحيف، ولا يتوجه عليه لسواه حكمٌ فيتصف بالجزع لذلك والخوف، كل ما سواه فهو تحت سلطان قهره، ومتصرف عن إرادته وأمره، فهو الملهم نفوس المكلفين للتقوى والفجور، فهو المتجاوز عن سيئات من شاء هنا وفي يوم النشور، لا يحكم عدله في فضله، ولا فضله في عدله، لقدم صفاته كلها، وتنزهها عن الحدوث، أخرج العالم قبضتين، وأوجد لهم منزلتين، فقال: هؤلاء للجنة ولا أبالى، وهؤلاء للنار ولا أبالي، ولم يعترض عليه معترض هناك إذ لا موجود كان ثَمَّ سواه، فالكل تحت تصريف أسمائه، فقبضةٌ تحت أسماء بلائه، وقبضةٌ تحت أسماء آلائه، لو أراد سبحانه أن يكون العالم كله سعيدا لكان، أو شقيا لما كان في ذلك من شان، لكنه سبحانه لم يرد ذلك، فكان كما أراد، فمنهم الشقي والسعيد، هنا وفي يوم المعاد، فلا سبيل إلى تبدل ما حكم عليه القديم وقد قال تعالى في حديث فرض الصلاة: (هي خمس، وهي خمسون، {ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد})، لتصرفي في ملكي، وإنفاذ مشيئتي في ملكي، وذلك لحقيقة عميت عنها البصائر، ولم تعبر عليها الافكار ولا الضمائر إلا بوهب إلهي، وجود رحماني، لمن اعتني اللهُ به من عباده، وسبق له ذلك في حضرة إشهاده، فعلم حين أعلم أنَّ الالوهية أعطت هذا التقسيم، وأنها من دقائق القديم، فسبحان من لا فاعل سواه، ولا موجود بذاته إلا إياه {والله خلقكم وما تعملون} {لا يسأل عما يفعل وهم يسألون} {قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين}، وكما شهدنا لله تعالى بالوحدانية وما يستحقه من الصفات العلية، كذلك نشهد لسيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة إلى جميع الناس كافة، بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، وأنه صلى الله عليه وآله وسلم بلغ جميع ما أنزله إليه من ربه، وأدى أمانته، ونصح أمته، وقد ثبت أنه صلى الله عليه وآله وسلم وقف في حجة الوداع على كل من حضره من الاتباع، فخطب وذكَّر، وخوَّف وأنذر، ووعد وأوعد، وأمطر وأرعد، وما خصَّ بذلك التذكير أحدا دون أحد عن إذن الواحد الصمد، ثم قال: (" ألا هل بلغت "؟ فقالوا جميعا: " قد بلغت يا رسول الله "فقال صلى الله عليه وآله وسلم: " اللهم فاشهد)، ونؤمن بكل ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، مما علمنا ومما لم نعلم، فمما علمنا وتحققنا مما جاء به وقرر، أنَّ الموت عن أجل مسمى عند الله إذا جاء لا يؤخر، فنحن مؤمنون بهذا إيمانا لا ريب فيه ولا شك، كما آمنا

وأقررنا وصدَّقنا أنَّ سؤال منكر ونكير في القبر حق، وأنَّ عذاب القبر حق، والبعث من القبور حق، والعرض على الله تعالى حق، والحوض حق، والميزان حق، وتطاير الصحف حق، والصراط حق، والجنة والنار حق، وفريقا في الجنة وفريقا في السعير حق، وأنَّ كرب ذلك اليوم على طائفة حق، وطائفة أخرى {لا يحزنهم الفزع الا كبر} حق، وأنَّ شفاعة الانبياء والملائكة وصالحي المؤمنين حق، وشفاعة أرحم الراحمين حق، فتشفع أسماء الحنان والرحمة، عند أسماء الجبروت والنقمة، وكذلك نؤمن بأنَّ إيمان أهل النار كفرعون وغيره غير مقبول ولا نافع، وأنَّ جماعة من أهل الكبائر من الموحدين يدخلون جهنم ثم يخرجون بالشفاعة حق، وأنَّ كل ما جاءت به الكتب والرسل من عند الله تعالى عُلم أو جُهل حق، وكذلك نؤمن بأنَّ التأبيد للمؤمنين في النعيم المقيم حق، والتأبيد للكافرين والمنافقين والمشركين والمجرمين حق، فهذه عقيدة القوم رضي الله عنهم أجمعين، وعقيدة عليها حيينا وعلينا نموت كما هو رجاؤنا في الله عز وجل، فنسأل الله من فضله أن ينفعنا بهذا الايمان، ويثبتنا عليه عند الانتقال إلى الدار الحيوان، ويحلنا دار الكرامة والرضوان، ويحول بيننا وبين دار سرابيل أهلها قطران، ويجعلنا من العصابة التي تأخذ كتبها بالأيمان، وممن ينقلب من الحوض وهو ريان، ويرجح له الميزان، ويثبت منه على الصراط القدمان، إنَّه المنعم المحسان، آمين اللهم آمين، فأمعن يا أخي النظر في هذه العقيدة فإنها عظيمة، وإن حفظتها عن ظهر قلب كان أولى، والله يتولى هداك، اهـ [الانوار القدسية 10 – 15]، هذه هي عقائد أهل الطريق الأولياء الصالحين، أهل الرسوخ في العلم، أهل التحقيق والعرفان، هذه هي عقائد السادة الصوفية التي تمثل السمو والعظمة، وتدل على أنّهم أهل الله تعالى وخاصته، وأنّهم قادة التنزيه والتقديس، وأنّهم على أعلى وأعظم عقائد الإسلام،

***

## المبحث السادس عشر

# براءة أهل التصوف الحق من العقائد المخالفة للكتاب والسنة

**[المفتاح الأول]:** هناك من اتهم أئمة التصوف بالقول بالاتحاد والحلول، والاتصال والانفصال على معاني حسية محال نسبتها إلى الله تعالى، وهم من ذلك براء، فللاتحاد والحلول والاتصال والانفصال معان معنوية صحيحة، وهناك من لم يفهم قصد أهل التصوف من مصطلح (وحدة الوجود)، وأن هذه هي حالة شهودية مع الله تعالى يقل فيها احساس العارف بالوجود المحدث، حتى يتلاشى تماما احساسه بهذا الوجود المحدث، فلا يرى في الوجود إلا واجد الوجود بأسمائه وصفاته وأفعاله، فاطلقوا على تلك الحالة (وحدة الوجود) وهي حالة شهودية يشعر بها أهل العرفان، فكفروهم بهذا المصطلح، وهناك من اتهم أهل التصوف بالتفريق بين علوم الظاهر والباطن، وبين الشريعة والطريقة والحقيقة، بما يؤول إلى الاستهانة بالشريعة وأحكام الشريعة، وهذا لا يقول به أهل التصوف الحق، بل هم أول المعترضين عليه، فلم يقل بذلك إلا الأدعياء، قالوا: إن المقصود من الدين هو الحقيقة فقط، وعطلوا أحكام الشريعة، فأسقطوا عن أنفسهم التكاليف، وأباحوا المخالفات، وهؤلاء قلة جاهلون أدعياء وليسوا من أهل التصوف الحق، وأحيانا يغلب الحال بعض أهل التصوف فيشطح بما لا تقبله الشريعة، وهم في ساعة ذهول لا يقصدها، كالذي أخطأ من شدة الفرح فقال: اللهم انت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح، وقد تكون مدسوسة عليه، ولكن هؤلاء الموتورون يصرون على إلصاق كل التهم بالصوفية دون تفريق ودون مبالاة بما دس على الصوفية من أقوال وأفعال، ودون نظر إلى غلبة الحال على بعضهم، وفي هذا الفصل بيان لبراءة أهل التصوف الحق من هذه العقائد المخالفة للكتاب والسنة، وقد ذكر الغمام الطوسي في القرن الرابع في كتابه اللمع أكثر من ربع الكتاب في الرد على الادعياء والجهلاء من اهل التصوف،

**[المفتاح الثاني]: ما يقصده أئمة التصوف من الاتحاد والحلول:** هناك اختلاف عظيم بين ما يقصده أهل التصوف السني أهل حضرة الشهود أولياء الله تعالى من الاتصال والانفصال ومن الاتحاد والحلول، وما يفهمه البعض خطأ عن الاتحاد والحلول، **(الاتحاد)** معناه – في اللغة – أن

تتحد ذاتان من الذوات حتى تصيرا واحدا، **والحلول** معناه أن تحل ذات داخل أخرى، وكلاهما مستحيل في حق الله تعالى، وقد أجمع علماء أهل السنة والجماعة على أن ذلك مستحيل في حق ذات الله تعالى، أذ يستحيل أن يتحد القديم مع المحدث وإلا لما كان قديما أزلياً، لانه يستحيل على القديم قبول الحادث، وإلا لم يكن قديما، ويستحيل أن يحل الأزلي الباقي المنزه عن الفناء وعن الحدود في المحدث الفاني المحدود، وقد أجمع علماء أهل السنة والجماعة على كفر من اعتقد جواز الاتحاد والحلول بهذا المعنى على ذات الله تعالى، وأهل التصوف الحق القائمون على مرتبة الإحسان هم أهل المعرفة بالله وهم أهل التنزيه والتقديس لله، لا يجوز الظن فيهم بأنهم من القائلين بالاتحاد والحلول، ولهذا انبرى للدفاع عنهم تجاه تلك التهمة الباطلة الكثير من العلماء، **قال الإمام الشعراني** رحمه الله تعالى – وهو يتعجب من إلصاق هذه التهمة الشنيعة بأهل التصوف أهل المعرفة بالله –: (ولعمري إذا كان عُباد الأوثان لم يتجرؤوا أن يجعلوا آلهتهم عين الله بل قالوا: {ما نبعدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى}، فكيف يظن بأولياء الله تعالى أنهم يدعون الاتحاد بالحق على حد ما تتعقله العقول الضعيفة؟! هذا كالمحال في حقهم رضي الله عنهم، إذ ما من ولي إلا وهو يعلم أن حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق وأنها الخارجة عن جميع معلومات الخلائق لأن الله بكل شيء محيط) أهـ [اليواقيت والجواهر: 1: 83]، **إذن: ما ورد من كلام السادة الصوفية العارفين بالله مما يفيد ظاهرة الحلول والاتحاد؟** لا يقصدوه مطلقاً، وإنما مقصدهم من الكلام معنى آخر بعيد كل البعد عن الاتحاد والحلول الحسي الحقيقي، ألا وهو الاتحاد المجازي المعنوي (الاتصال المجازي)، عندما تصيرَ نفسُ العارف فانية عن الشعور بوجودها، غافلةً عن الشعور بجملتها، شُغلاً بالشهود القلبي في حضرة تجليات أسماء الله تعالى، آنذاك يغيب العارف عن نفسه، ويشعر بأنه يسمع بالله ويبصر بالله ويتكلم بالله، مصداقاً للحديث الصحيح فيما يرويه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن رب العزة سبحانه: {وما يزال عبدي يَتَقَرَّب إليَّ بالنوافل حتَّى أحبَّهُ، فإذا أحْبَبْته: كنتُ سَمْعَه الذي يَسْمَع به، وبَصَرَه الذي يُبْصِر به، ويَدَه التي يَبْطِش بها، ورِجْلَه التي يَمْشِي بها) [أخرجه البخاري]، وهذا ليس بغريب، فإن النسوة اللاتي قطعن أيديهن ذهلن وفنينّ عن أيديهن في جمال نبي الله يوسف عليه السلام، فبسبب جماله عليه السلام قطعن أيديهن، ولم يشعرن بألم القطع أبدا لأنهن كنّ في حالة فناء عن أنفسهن بجمال يوسف عليه السلام، فكيف بحال من تجلت عليه أنوار المعرفة بالله، فلا يشاهد سوى الحق لاستغراقه فيه بالكلِّية، والخلاصة: هذا الاتحاد يعني فناء العبد في شهود الرب، فيفنى عن كل ما سوى الله، **وما أجمل بيان العلامة جلال الدين السيوطي**

**رحمه الله تعالى لهذا الامر في كتابه "الحاوي للفتاوى"**: (واعلم أنه وقع في عبارة بعض المحققين لفظ الاتحاد إشارة منهم إلى حقيقة التوحيد فإن الاتحاد عندهم هو المبالغة في التوحيد والتوحيد معرفة الواحد والأحد فاشتبه ذلك على من لا يفهم إشارتهم فحملوه على غير محمله فغلطوا وهلكوا بذلك، إن أصل الاتحاد باطل محال مردود شرعا وعقلا وعرفا بإجماع الأنبياء ومشايخ الصوفية وسائر العلماء والمسلمين وليس هذا مذهب الصوفية وإنما قاله طائفة غلاة لقلة علمهم وسوء حظهم من الله تعالى فشابهوا بهذا القول النصارى الذين قالوا في عيسى عليه السلام اتحد ناسوته بلاهوته، وأما من حفظه الله تعالى بالعناية فإنهم لم يعتقدوا اتحادا ولا حلولا وإن وقع منهم لفظ الاتحاد فإنما يريدون به محو أنفسهم وإثبات الحق سبحانه... وأما قول أبي يزيد البسطامي رحمه الله تعالى الله تعالى: (سبحاني ما أعظم شأني) فهو في معرض الحكاية عن الله وكذلك قول من قال: (أنا الحق) محمول على الحكاية ولا يظن بهؤلاء العارفين الحلول والاتحاد لأن ذلك غير مظنون بعاقل فضلا عن المميزين بخصوص المكاشفات واليقين والمشاهدات) [الحاوي للفتاوى (2: 134]،

**[المفتاح الثالث]: الأدعياء وعقيدة الاتحاد والحلول:** يقول الحافظ السيوطي في كتابه [الحاوي للفتاوى: 2: 129]: " القول بالحلول والاتحاد الذي هو أخو الحلول، أول من قال به النصارى إلا أنّهم خصّوه بعيسى إلى أن قال: وأما المتوسمون بسمة الإسلام فلم يبتدع أحد منهم هذه البدعة... غير أن طائفة من غلاة المتصوفة نقل عنهم أنهم قالوا بمثل هذه المقالة وما زالت العلماء ومحققو الصوفية يتبنون بطلان القول بالحلول والاتحاد وينبهون على فساده ويحذرون من ضلاله" أهـ إذن أهل التزكية والتصوف ككل الطوائف الإسلامية انتسب إليها المحق والمدعي، والصادق والمغرض، لذا قد نجد على مر عصور التصوف لا يقول بهذه العقيدة الفاسدة إلا من طمس الله بصيرته، وليس هذا مذهب الصوفية، والصوفية منه برآء، **(تنبيه آخر)**: قول العارف بالله الشيخ أبي اليزيد البسطامي: (سبحاني)، وقول من قال: (أنا الحق)، وقول من قال (ما في الجبة إلا الله) فقد كان هؤلاء يقولون ذلك وهم في حالة الفناء المعروف عند أهل الحق والتمكين، فإذا أفاقوا أنكروا، وهذا ما يسميه أهل التصوف الشطح، وهم يعبرون به عن كل الألفاظ المستغربة التي يوهم ظاهرها معنى يخالف الشرع، وقد اعتبر أهل التصوف الشطح رعونة ينبغي أن يتنزه عنها الصوفي الكامل، ولكن عذروا قائلها بشروط، أولها: شدة الوجد، وأن يكون الصوفي في حال غياب العقل بسبب شدة الوجد، وأن يتم هذا الشطح والصوفي في حال من عدم الشعور، بمعنى أنه إذا أفاق أنكر ما قاله في حالة

الوجد، فالشطح رعونه وظاهره مستشنع لكن باطنه صحيح مستقيم، فالشطح للقول لا للمعنى الحاصل في السر، مع ال (تنبيه): انه ليس كل ما ورد ذكره في كتب الصوفية هو من الشطح الجاري على ألسنتهم بل: استغل كثير من الزنادقة والمستهزئين باب الشطح فادخلوا فيه الكثير من الدسائس والاكاذيب، فلقد استغل الزنادقة باب الشطح للترويج لعقيدة الاتحاد والحلول والتصوف منها براء، فحاولوا التشنيع على اهل التصوف، وحاولوا التلبيس على السذج بأن ما توصل إليه الزنادقة من تجانس الكون مع المكون، وحصول الاتحاد والحلول بين المكون والاكوان يتفق مع قول الصوفية مغالطين في ذلك عوام المسلمين، ومن ذلك كذبهم على الإمام الاكبر ابن عربي بانه قال: (ما الكلب والخنزير إلا إلهنا)، فمثل هذا الكلام افتراء صرف ومحض دس ولا يتصور ظهوره من عوام المؤمنين فكيف بظهوره من المحققين من الصوفية وهم أهل الأدب مع الله، **إن التصوف** : كغيره من العلوم الدينية، لم يَسْلم من الدس والتحريف من هؤلاء الدخلاء والمفترين، **فمنهم من أدخل في كتب الصوفية أفكاراً منحرفة، ومنهم من أراد أن يفسد دين المسلمين** بأشياء تمس عقائدهم، فنسب إلى بعض رجال الصوفية أقوالاً تخالف عقيدة أهل السنة، كالقول بالحلول والاتحاد، وبأن الخالق عين المخلوق، والكون عين المكوِّن، واسقاط التكاليف، **ومنهم من حاول تشويه تاريخ رجال الصوفية**، ونزع ثقة الناس بهم، فدَسَّ في كتبهم حوادث وقصصاً من نسج خياله، فيها ارتكاب للمنكرات واقتراف للآثام والكبائر، كما نجد ذلك كثيراً في الطبقات الكبرى للإمام الشعراني رحمه الله تعالى، وهو منها بريء، **وللأسف فهناك من يصدق هذه الاكاذيب، وينسبها إلى عقائد الربانيين اهل الله، وسادة السلوك وأئمة الطريق**، نسأل الله تعالى السلامة،

**[المفتاح الرابع]: ما يقصده أئمة التصوف من الحلول والاتحاد:** (الحلول) حال يصير معها الذاكر الى مقامٍ يفنى فيه عن نفسه وعن الخلق أجمعين، وتجري ينابيع الحكمة من قلبه، يحل في القلوب الإيمان بالله والمعرفة له، لا هو بذاته أو بصفاته يحل بهم، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، و (الاتحاد) هو شهود الوجود الحق الواحد المطلق الذي كلُّ الوجود به موجودٌ، وبنفسه معدوم، فليس لغير الله تعالى وجود ذاتي خاص به، فالكل بالله موجود وبنفسه معدوم، فمتى وصل السالك إلى رؤية الوجود موجودا بالله تعالى، عدم في وجوده بنفسه، فهذا عندهم هو الاتحاد،

**[المفتاح الخامس]: ما يقصده أئمة التصوف من وحدة الشهود ووحدة الوجود:** أهل التصوف الحق هم العارفون بالله الربانيون القائمون على مرتبة الإحسان وهم أهل التنزيه والتقديس لله، لا

يجوز الظن فيهم بأنهم يخالفون عقائد الكتاب والسنة كيف وهم أولياء الله، وأعلم الناس بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يُتصور مخالفتهم لعقائد أهل السنة والجماعة الناجية أبدا، كيف وهم أهل العلم اللدني، وأهل المعرفة شهودا، وهم أئمة أهل السنة والجماعة علما ومعرفة وتحقيقا، إذن: لابد من معرفة المنهل الذي منه يغترفون، أهل العرفان لا يعتقدون (وحدة الوجود) بل هم يشهدون هذه الوحدة، فهي حالة شهودية تخص الأولياء إذا بلغوا منازل عالية من السير إلى الله، فهم يقولون بما يشهدون، والقرآن الكريم يؤيد شهودهم، قال تعالى: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن: 26، 27]، فالفناء جاء بصيغة الاسم للدلالة على تحقق الفناء، ولا معنى للفناء إلا العدم، وكذلك قوله تعالى: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [القصص: 88]، ولا معنى للهلاك إلا العدم، وكذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ( أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل)، والباطل هو العدم، كما أنّ (الحق) اسم من أسماء الله تعالى، ومعناه: الثابت الوجود المتصف بالوجود الدائم وقد تكرر ذكره سبحانه في القرآن الكريم كثيراً، منها: قوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الأنبياء: 6]، وقوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} [الأنبياء: 62]، واسم (الحق) سبحانه أي واجب الوجود المتصف بالوجود الدائم، فهو الذي لم يزل ولا يزال، ولا وجود لشيء من الأشياء إلا به سبحانه، فأهل العرفان حكموا بما شهدوا، وأهل العرفان حكموا بما حكم الشرع، وأهل العرفان أهل فناء عن السوى والاغيار، وأهل فناء عن النفس والرسم والدنيا والآخرة، وأهل بقاء بالله، به يشهدون، وبه يسمعون وبه يبصرون وبه يتكلمون، فإن قالوا: بوحدة الوجود، فهم قد حكموا بالحق الأزلي الذي جاء به الشرع، والذي رأوه بعدما فنوا (كان الله ولم يكن شيء غيره)، (كان الله ولم يكن شيء معه)، وهم قد حكموا بما شاهدوه بالله، وبما رأوه ببصائرهم بالله، قال تعالى: {فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} [الحج: 46]، فما ذنب اهل العرفان إن شهدوا بما حجب عنه أكثر الخلق، فلا حجة للنافي على المثبت ولا حجة للجاهل على العالم، وفوق كل ذي علم عليم، **وهناك مقامان رفيعان من مقامات التصوف الحق، المقام الاول: (مقام الفناء)** هو أن تبدو للسالك من عظمة الله تعالى ما يغيبه عن كل شيء وينسيه كلَّ شيء، سوى الواحد الأحد الذي ليس كمثله شيء، مثاله – لتقريب المعنى – حال النسوة اللاتي قطعن أيديهن من جمال نبي الله يوسف عليه السلام، فبسبب جماله عليه السلام ذهلن وفنينّ عن أيديهن فقطعن أيديهن، ولم يشعرن

بألم القطع أبدا لأنهن كنّ في حالة فناء عن أنفسهن بجمال يوسف عليه السلام، فكيف بحال من تجلت عليه أنوار المعرفة بالله، وهي الحال التي يستغرق فيها الصوفي ويفنى عن نفسه وعن جميع من حوله، فلا يشاهد سوى الحق لاستغراقه فيه بالكلّية، **أما المقام الثاني: (مقام البقاء)** فهو أعلى من مقام الفناء لأنه شهود الخلق بالله، فالفناء انجذاب إلى حضرة الخالق والغيبة عن الخلق، و(البقاء) يمثل العودة إلى شهود عالم الخلق بالله، فيكون الولي فانيا عن أوصافه باقيا بأوصاف الحق ويؤيده الحديث: (فإذا أَحْبَبْته: كنتُ سَمْعَه الذي يَسْمَع به، وبَصَرَه الذي يُبْصِر به، ويَدَه التي يَبْطِش بها، ورِجْلَه التي يَمْشِي بها) [أخرجه البخاري]، فإذا قال الصوفي: (لا أرى شيئًا غير الله)، فهو في مقام الفناء، فلا يرى بقلبه شيئا سوى الله لأنه في غيبة بالخالق عن الخلائق، وإذا قال: (لا أرى شيئًا إلا وأرى الله فيه)، فهو في مقام البقاء فهو يرى الخلق ولكنها رؤية بالله، فهو يعلم بالفرق بين وجود الخالق ووجود المخلوق، ولكنه لا يشعر إلا بالوجود الأصلي الواجب الأزلي القديم الذي هو وجود الله تعالى وحده، وإذا نظرنا إلى علماء الأصول من أهل السنة والجماعة فإنهم يقولون: إن وجود الله عز وجل ذاتي تام كامل مستقل لا تأثير لغيره به، هو الأول فليس قبله شيء وهو الآخر فليس بعده شيء، كان ولم يكن شيء غيره، أمّا وجود الموجودات فهو حاصل بسبب إيجاد الله عز وجل لها ولولا مشيئة الله تعالى لم تكن لتوجد، وأن وجودها مستمر بإمداد الله تعالى لها بالوجود ولو انقطع الإمداد لعادت عدما كما كانت، فلا اشتراك إلا في الاسم، وأما الحقيقة فلا، إذ لا مقارنة بين الوجود الواجب والوجود الحادث، فإن الله تعالى وجوده لذاته وبذاته، وأما العالم فإن وجوده بالله، متعلق بالمشيئة، فإنه يبقى موجودا بمشيئة الله، ولكن إذا انقطع تعلق المشيئة الإلهية بالعالم، انعدم العالم، فالعالم، مُحدَث، ووجوده بهذه الصفة، ليس إلا وجودًا عابرًا بما هو صائر إلى زوال، بينما الحقُّ تعالى موجود أزلاً، وموجود أبدًا، وبذلك يكون وجود الخلق، قياسًا على وجود الحق، وجودًا اعتباريا، وجود الحقِّ وجود حقيقي، ووجود الخلق وجود اعتباري، فمن لاحظ الفرق الجوهري بين وجود العالم وبين وجود الله تعالى، أيقن أن وجود الخالق حقيقي، ووجود الخلائق اعتباري، فمن لاحظ قوة وجود الحق تعالى بالمقارنة مع وجود العالم، صار وجود العالم بالنسبة إلى وجود الله تعالى وجودا مجازيا، لأنه لا يقوم إلا بإيجاد الله تعالى، كما لا يقوم المجاز إلا بناء على لفظ له معنى حقيقي، والعارفون بالله تعالى قالوا: من نظر الى الموجد الممد سبحانه وتعالى رآه هو الموجود حقيقة، ومن لاحظ الإمداد الرباني لبقاء العالم، رأى الأشياء لولاه سبحانه عدماً، ولذلك قالوا: الوجود الحقيقي واحد وهو الله سبحانه وتعالى ووجود غيره لا يشابه وجوده بحال من

الأحوال، أهل المعرفة والإحسان، وأهل المقامات العظام، غلب عليهم الشهود في مقام (أن تعبد الله كأنك تراه) فاستغرقوا في بحر التوحيد والمشاهدة القلبية، ففني أحدهم عن نفسه وعن العالم من حوله، فلا يشهد بقلبه إلا الله، وهؤلاء غابوا عن شهود غير الله، فقالوا بوحدة الوجود، مع استقامتهم على شرع الله تعالى، وهذا القول منهم من الشهود والعرفان وعالي منازل الإحسان، وهي منازل عالية لا يبلغها عامة المؤمنين فلذليك يصعب عليهم تصورها، وليس معنى ذلك إنكارها، فليس كل ما لا يستوعبه المؤمن ينكر وجوده، ومن جهة ثانية، إذا نظرنا إلى الكون على انه تجليات أسماء الله تعالى الدالة على جناب ذاته صفاته وأفعاله، فإن الوجود من هذه الوجهة، واحد لا يتعدد ولا يتكثر هو وجود الرب المعبود بجناب ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وكل ما نراه، وكل ما نشاهده، وكل هذا الوجود إنما هو من آثار تجليات الحق سبحانه، فمن هذا المعنى يصح أيضا القول بوحدة الوجود،

**[المفتاح السادس]: ما يقصده أئمة التصوف من الحديث عن الشريعة والطريقة والحقيقة:** أهل التصوف الحق هم أهل المعرفة بالله وهم أهل التنزيه والتقديس لله لا يجوز الظن فيهم بأنهم من القائلين بشيء من العقائد المخالفة لعقائد أهل السنة والجماعة الناجية، ومن ذلك اتهام البعض أهل التصوف بالتفريق بين علوم الظاهر والباطن، وبين الشريعة والطريقة والحقيقة، بما يؤول بهم إلى الاستهانة بالشريعة وأحكام الشريعة، وهذا باطل، لأن من أشهر قواعد أهل الطريق قولهم: (كل حقيقة خالفت الشريعة فهي زندقة)، وكيف تخالف الحقيقةُ الشريعةَ وهي إنما نتجت من تطبيقها، **هناك تلازم تام بين الشريعة والعقيدة والحقيقة عند أهل التصوف الصحيح**، ولقد ورد في حديث جبريل المشهور تقسيمُ الدين إلى ثلاثة مراتب (الإسلام والأيمان والإحسان)، بدليل قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعمر: (فإنه جبريل أتاكم يعلمُكُمْ دينَكمْ) [أخرجه مسلم]، فركن الإسلام: هو الجانب العملي، من عبادات ومعاملات وأُمور تعبدية، ومحله الأعضاء الظاهرة الجسمانية، وقد اصطلح العلماء على تسميته بالشريعة، واختص بدراسته السادة الفقهاء، وركن الإيمان: وهو الجانب الاعتقادي القلبي، من إيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقضاء والقدر، وقد اختص بدراسته السادة علماء العقيدة، وركن الإحسان: وهو الجانب الروحي القلبي، وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وما ينتج عن ذلك من أحوال وأذواق وجدانية، ومقامات عرفانية، وعلوم وهبية، وقد اصطلح العلماء على تسميته بالحقيقة، وهناك تلازم وثيق بين الشريعة

والحقيقة، والمحسن هو الذي يجمع بين الشريعة والحقيقة، **وللوصول إلى هذا المقام الرفيع، مقام الإحسان**، لابد من سلوك الطريقة، وهي مجاهدة النفس، وتصعيد صفاتها الناقصة إلى صفات كاملة، والترقي في مقامات الكمال بصحبة المرشدين، فهي الجسر الموصل من الشريعة إلى الحقيقة، فالشريعة هي الأساس، والطريقة هي الوسيلة، والحقيقة هي الثمرة وهذه الأشياء الثلاثة متكاملة منسجمة، فَمَنْ تمسَّك بالأولى منها سلك الثانية فوصل إلى الثالثة، وليس بينها تعارض ولا تناقض، ولذلك يقول الصوفية في قواعدهم المشهورة: (كل حقيقة خالفت الشريعة فهي زندقة)، وكيف تخالف الحقيقةُ الشريعةَ وهي إنما نتجت من تطبيقها، **يقول الشيخ أحمد زروق** رحمه الله تعالى: (لا تصوف إلا بفقه، إذ لا تعرف أحكام الله الظاهرة إلا منه، ولا فقه إلا بتصوف، إذ لا عمل إلا بصدق وتوجه لله تعالى، ولا هما – التصوف والفقه – إلا بإيمان، إذ لا يصح واحد منهما دونه، فلزم الجميع لتلازمها في الحكم، كتلازم الأجسام للأرواح، ولا وجود لها إلا فيها، كما لا حياة لها إلا بها، فافهم) ["قواعد التصوف" للشيخ أحمد زروق قاعدة 3]، **وكما حفظ علماء الظاهر حدود الشريعة، كذلك حفظ علماء التصوف آدابها وروحها**، وكما أبيح لعلماء الظاهر الاجتهاد في استنباط الأدلة واستخراج الحدود والفروع، والحكم بالتحليل والتحريم على ما لم يَرِدْ فيه نص، فكذلك للعارفين أن يستنبطوا آداباً ومناهج لتربية المريدين وتهذيب السالكين، ولقد تحقق الصوفية الصادقون بالعبودية الحقة والإسلام الصحيح، إذ جمعوا بين الشريعة والطريقة والحقيقة، فكانوا القائمين على مرتبة الإحسان اعلى مراتب الدين، والخلاصة لابد للسالك من الالتزام بالشريعة ومن سلوك الطريق وفق الشريعة للوصول إلى الحقيقة، وهي مشاهدة الالوهية والربوبية والاسماء والصفات بالقلب والروح، **ولا يصل السالكون إلى الحقائق إلا بالتزام الشريعة وسلوك الطريقة، قال الشيخ عبد القادر الجيلاني** رحمه الله تعالى: (كل حقيقة لا تشهد لها الشريعة فهي زندقة، طِرْ إلى الحق عز وجل بجناحي الكتاب والسنة، ادخل عليه ويدك في يد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم) [الفتح الرباني: للشيخ عبد القادري الجيلاني ص29]، وقال منكراً على من يعتقد أن التكاليف الشرعية تسقط عن السالك في حال من الأحوال: (ترك العبادات المفروضة زندقة، وارتكاب المحظورات معصية، لا تسقط الفرائض عن أحد في حال من الأحوال) [الفتح الرباني للشيخ عبد القادري الجيلاني ص29]، وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى يقول: (إذا عارض كشفُك الصحيح الكتابَ والسنة فاعمل بالكتاب والسنة ودع الكشف، وقل لنفسك: إن الله تعالى ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة،

ولم يضمنها لي في جانب الكشف والإلهام) ["إيقاظ الهمم" ج2، ص302]، **وقال أبو سعيد الخراز** رحمه الله تعالى: (كلُّ باطنٍ يخالفه ظاهرٌ فهو باطلٌ) [الرسالة القشيرية ص27]،

**[المفتاح السابع]: هناك أُناس أدعياء ادَّعَوْا التصوف كذباً أو جهلا، انحرفوا عن الإسلام،** وقالوا: إن المقصود من الدين هو الحقيقة فقط، وعطلوا أحكام الشريعة، فأسقطوا عن أنفسهم التكاليف، وأباحوا المخالفات، وقالوا: إن المُعَوَّل عليه صلاح القلب، ويقولون: [نحن أهل الباطن، وهم أهل الظاهر]، ويذمون أهل العلم الظاهر الذي هو الشرائع والأحكام والحلال والحرام، ويطعنون في أهله ويقولون: هم محجوبون وهم أصحاب قشور، وأن علمهم الظاهر حجاب بينهم وبين الحقيقة، وكلامهم هذا قد يؤول إلى القدح في الشريعة المطهرة وفي الأعمال الصالحة التي جاءت الرسل بالحث عليها والاعتناء بها، وقد أنكر أئمة التصوف هذا التفريق، **قال الإمام الغزالي:** (من قال: إن الحقيقة تخالف الشريعة، أو الباطن يناقض الظاهر، فهو إلى الكفر أقرب إلى الإيمان) [الإحياء ٣: 100]، وقد آل بهم ذلك الإهمال في علم الظاهر والاستهانة به إلى القول بسقوط التكليف، وأهل التصوف الحق أجمعوا على أن التكاليف الشرعية لا تسقط عن المكلف بأي حال، حتى ولو بلغ درجة الوصول، بل إن الوقوف عند حدود الشرع والتمسك بأحكامه، هو المقياس الذي يحكم به على صدق الصوفي الواصل مهما ظهرت عليه من كرامات وأحوال، **يقول أبو يزيد البسطامي:** (لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى ارتقى في الهواء فلا تغتروا به، حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي، وحفظ الحدود، وأداء الشريعة " [الرسالة القشيرية: ١٤]، ويتشددون في الأمر إلى درجة أنهم يعتبرون أن من أخل بفريضة أو ضيعها يوشك أن يضيع دينه، ويسقط في مهاوي البدعة، وفي هذا يقول أبو محمد عبدالله بن منازل: (لم يضيع أحد فريضة من الفرائض إلا ابتلاه الله تعالى بتضييع السنن، ولم يبل أحد بتضييع السنن إلا أوشك أن يبتلى بالبدع) [الرسالة القشيرية: ٢٦]، **وقال الجنيد:** (إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال، وهذه عندي عظيمة، والذي يسرق ويزني أحسن حالا من الذي يقول هذا، وإن العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله، وإليه رجعوا فيها ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة، إلا أن يحال بي دونها، وإنه لأوكد في معرفتي وأقوى في حالي) أهـ [طبقات الصوفية ١٥٩، السلمي، الرسالة القشيرية ١٩]، ويوافقه على هذا الرأي أبو علي أحمد بن محمد الروذباري حين سئل عمن يسمع الملاهي ويقول هي لي حلال، لأني وصلت إلى درجة لا تؤثر في اختلاف الأحوال فقال: (نعم وصل، ولكن إلى سقر)

[الرسالة القشيرية: ٢٦]، **يقول الغزالي:** "ومن هؤلاء طائفة ظنت أن المقصود من العبادات المجاهدة، حتى يصل العبد بها إلى معرفة الله تعالى، فإذا حصلت المعرفة فقد وصل، وبعد الوصول يستغني عن الوسيلة والحيلة، فتركوا السعي والعبادة، وزعموا أنه ارتفع محلهم في معرفة الله سبحانه عن أن يمتهنوا بالتكاليف، وإنما التكاليف على عوام الخلق، [الإحياء ٣: 230]، وهؤلاء أدعياء على التصوف ضالون، لا يجوز أن نأخذ أعمالهم وأحوالهم حجة على السادة الصوفية الصادقين المخلصين، لاسيما وأِن السادة أئمة الصوفية قد نبهوا إلى خطرهم، وحذروا من صحبتهم ومجالستهم، وتبرؤوا من سيرهم وانحرافهم، **وقال الشيخ أحمد زروق** رحمه الله تعالى في قواعده: (وكل شيخ لم يظهر بالسنة فلا يصح اتباعه لعدم تحقق حاله، وإن صح في نفسه وظهر عليه ألف ألف كرامة من أمره) ["قواعد التصوف" للشيخ أحمد رزوق ص76]، **وقال سهل بن عبد الله التستري** رحمه الله تعالى: (احذر صحبة ثلاث من أصناف الناس: الجبابرة الغافلين، والقُرَّاء المداهنين، والمتصوفة الجاهلين) ["شرح الحكم" لابن عجيبة ج1، ص76]، **وقال السيد أحمد الرفاعي** رحمه الله تعالى: (لا تقولوا كما يقول بعض المتصوفة: " نحن أهل الباطن، وهم أهل الظاهر " هذا الدين الجامع باطنه لب ظاهره، وظاهره ظرف باطنه، لولا الظاهر لما بطن، لولا الظاهر لما كان الباطن ولما صح، القلب لا يقوم بلا جسد، بل لولا الجسد لفسد، والقلب نور الجسد، هذا العلم الذي سماه بعضهم بعلم الباطن، هو إصلاح القلب، فالأول عمل بالأركان وتصديق بالجَنان، إذا انفرد قلبك بحسن نيته وطهارة طويته، وقتلْتَ وسرقْتَ وزنيتَ، وأكلتَ الربا، وشربتَ الخمر، وكذبت وتكبرت وأغلظت القول، فما الفائدة من نيتك وطهارة قلبك؟ وإذا عبدت الله وتعففت، وصمت وتصدقت وتواضعت، وأبطن قلبُكَ الرياء والفساد، فما الفائدة من عملك؟) [البرهان المؤيد: للسيد أحمد الرفاعي: ص68]، **وينكر الشيخ عبد القادر الجيلاني** رحمه الله تعالى على من يعتقد أن التكاليف الشرعية تسقط عن السالك في حال من الأحوال، كما مَرَّ بك قوله: (ترك العبادات المفروضة زندقة، وارتكاب المحظورات معصية، لا تسقط الفرائض عن أحد في حال من الأحوال) [الفتح الرباني: للشيخ عبد القادر الجيلاني ص29]، **وقال شيخ الصوفية الإمام الجنيد** رحمه الله تعالى: (مذهبنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة) [طبقات الصوفية: للسلمي ص159]، **وقال أيضاً:** (الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول عليه الصلاة والسلام، واتبع سنته ولزم طريقته) [طبقات الصوفية: للسلمي ص159]،

**[المفتاح الثامن]: موقف الصوفية أنفسهم من شطحات بعضهم:** لقد ظهر هذا المصطلح (مصطلح الشطح) عند الصوفية وهم يعبرون به عن كل الألفاظ المستغربة التي يوهم ظاهرها معنى يخالف الشرع، وقد اعتبر أهل التصوف الشطح رعونة ينبغي أن يتنزه عنها الصوفي، ولكن عذروا قائلها بشروط، أولها: شدة الوجد، وأن يكون الصوفي في حال غياب العقل بسبب شدة الوجد، وأن يتم هذا الشطح والصوفي في حال من عدم الشعور، بمعنى أنه إذا أفاق أنكر ما قاله في حالة الوجد، ومثال ذلك قول العارف بالله الشيخ أبي اليزيد البسطامي وهو في حالة الوجد: (سبحاني)، وما نقل عن بعضهم في حال الوجد أيضا: (أنا الحق)، وقوله (ما في الجبة إلا الله) فقد كان يقول ذلك وهو في حالة الفناء المعروف عند أهل الشهود والعرفان، فإذا أفاق أنكر، فالشطح رعونه وظاهره مستشنع لكن باطنه صحيح مستقيم، فالشطح للقول لا للمعنى الحاصل في السر، **(تنبيه)** ليس كل ما ورد ذكره في كتب الصوفية هو من الشطح الجاري على ألسنتهم بل لقد استغل كثير من الزنادقة والمستهزئين باب الشطح فادخلوا فيه الكثير من الدسائس، فلقد استغل الزنادقة باب الشطح للترويج لعقيدة الاتحاد والحلول والتصوف منها براء، فحاولوا تلبيس الأمور على السذج بأن قولهم بتجانس الكون مع المكون، وحصول الاتحاد والحلول بين المكون والاكوان يتفق مع قول الصوفية مغالطين في ذلك عوام المسلمين، ومن ذلك كذبهم على الإمام الاكبر ابن عربي بانه قال: (ما الكلب والخنزير إلا إلهنا)، فمثل هذا الكلام افتراء صرف ومحض دس ولا يتصور ظهوره من عباد الوثن فكيف بظهوره من المحققين من الصوفية وهم أهل الأدب مع الله، **إن ما نراه في كتب الصوفية من الأمور التي يخالف ظاهرها نصوص الشريعة وأحكامها، هي:** إما أن تكون شطحا في حال الوجد، وإما أن تكون مدسوسة عليهم من قبل الزنادقة والحسدة وأعداء الإسلام، وإما أن يكون كلاماً قابلاً للتأويل، تحدثوا به من باب الإشارة أو الكناية أو المجاز، **وإما أن يكون اصطلاحا خاصا بهم لا يعلمه ولا يفهمه إلا أربابه المتخصصون فيه، وهذا موجود في كافة العلوم، فإن لكل فن من الفنون أو علم من العلوم كالفقه والحديث والمنطق والنحو اصطلاحات خاصة به، لا يعلمها إلا أرباب ذلك العلم، وللصوفية اصطلاحاتهم** الخاصة بهم، كالوقت، والمقام، والحال، والقبض والبسط، والاتصال والانفصال، والتجريد والتفريد، والجمع والتفرقة، والشريعة، والحقيقة، والطريقة، فربما نظر البعض إلى هذه المصطلحات على أنها أمور مبتدعة، فيضلل أصحابها مع أن لها معاني صحيحة في الشرع، شأنها شان كل المصطلحات في كل العلوم، فلابد لمن يريد الفهم عنهم من

صحبتهم حتى تتضح له عباراتهم، ويتعرف على إشاراتهم ومصطلحاتهم، فيستبين له مرادهم، على أن التصوف لا يُنال بقراءة الكتب، ولا بمعرفة الاصطلاحات أيضا، بل لابد من السلوك مع رجاله ومجالسة أهله، والتعلم على أيديهم، فإن التصوف خلق وسلوك لا ينال بقراءة الأوراق، ولكن بصحبة أهل الأذواق، والواجب تجاه كل ما نسب إلى أهل التصوف الحق، مما هو مخالف لشرع الإسلام، أن نوقن أنه مدسوس على القوم حتماً، لانهم اهل التمسك بالكتاب والسنة، وأن ما ثبت عنهم بالتأكيد، ويمكن تأويله وحمله على وجه صحيح من عقيدة أهل السنة والجماعة، وجب تأويله عليها، لأنها هي عقيدتهم التي يعتقدونها ويصرحون بها، **(تنبيه):** ينبغي التحذير من تمادى الاعتداد بالشطح، قال الإمام الغزالي في كتابه الإحياء: (وأما الشطح: فنعني به صنفين من الكلام أحدثه بعض الصوفية: **(الصنف الأول):** الدعاوي الطويلة العريضة في العشق مع الله تعالى، والوصال المغني عن الأعمال الظاهرة، حتى ينتهي قوم إلى دعوى الاتحاد، وارتفاع الحجاب، والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب، فيقولون: قيل لنا كذا، وقلنا: كذا... وهذا فن من الكلام عظيم ضرره في العوام، حتى ترك جماعة من أهل الفلاحة فلاحتهم، وأظهروا مثل هذه الدعاوي، **(الصنف الثاني):** من الشطح كلمات غير مفهومة، لها ظواهر رائقة، وفيها عبارات هائلة، وليس وراءها طائل، ولا فائدة لهذا الجنس من الكلام، إلا أنه يشوش القلوب، ويدهش العقول، ويحير الأذهان،،كلموا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله) [إحياء علوم الدين ١: 36]، إذن خلاصة الأمر في بيان موقف الصوفية أنفسهم من شطحات الصوفية أن الشطح رعونة ينبغي أن يتنزه عنها الصوفي، ولكن يعذر قائله بشروط، أولها: شدة الوجد، وأن يكون الصوفي في حال غياب العقل بسبب شدة الوجد، وأن يتم هذا الشطح والصوفي في حال من عدم الشعور، بمعنى أنه إذا أفاق أنكر ما قاله في حالة الوجد، وأن يكون معروفا بصحة الطريق وعلو الشأن فيه فليس من الادعياء أصحاب الدعاوي الطويلة العريضة التي لا أساس لها،

***

# المبحث السابع عشر

# تصحيح أفكار عن التصوف

**[المفتاح الأول]: التلازم بين الشريعة والعقيدة والحقيقة عند اهل التصوف الصحيح: قال الشيخ عبد القادر عيسى في كتابه " حقائق عن التصوف ":** لقد ورد في حديث جبريل المشهور الذي يرويه عمر بن الخطاب رضي الله عنه تقسيمُ الدين إلى ثلاثة أركان، بدليل قول الرسول صلى الله عليه وسلم لعمر: "فإنه جبريل أتاكم يعلمُكُمْ دينَكمْ" [أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، والإمام أحمد في مسنده في باب الإيمان والإسلام والإحسان ج1، ص64]، فركن الإسلام: هو الجانب العملي، من عبادات ومعاملات وأُمور تعبدية، ومحله الأعضاء الظاهرة الجسمانية، وقد اصطلح العلماء على تسميته بالشريعة، واختص بدراسته السادة الفقهاء، وركن الإيمان: وهو الجانب الاعتقادي القلبي، من إيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقضاء والقدر،، وقد اختص بدراسته السادة علماء التوحيد، وركن الإحسان: وهو الجانب الروحي القلبي، وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وما ينتج عن ذلك من أحوال وأذواق وجدانية، ومقامات عرفانية، وعلوم وهبية، وقد اصطلح العلماء على تسميته بالحقيقة، واختص ببحثه السادة الصوفية، ولتوضيح الصلة بين الشريعة والحقيقة نضرب لذلك مثلاً الصلاة، فالإتيان بحركاتها وأعمالها الظاهرة، والتزام أركانها وشروطها، وغير ذلك مما ذكره علماء الفقه، يمثل جانب الشريعة، وهو جسد الصلاة، وحضور القلب مع الله تعالى في الصلاة يمثل جانب الحقيقة، وهو روح الصلاة، فأعمال الصلاة البدنية هي جسدها، والخشوع روحها، وما فائدة الجسد بلا روح؟! وكما أن الروح تحتاج إلى جسد تقوم فيه، فكذلك الجسد يحتاج إلى روح يقوم بها، ولهذا قال الله تعالى: {أقيمُوا الصلاةَ وآتوا الزكاةَ} [البقرة: 110]، ولا تكون الإقامة إلا بجسد وروح، ولذا لم يقل: أوجدوا

الصلاة، ومن هذا ندرك التلازم الوثيق بين الشريعة والحقيقة كتلازم الروح والجسد، والمؤمن الكامل هو الذي يجمع بين الشريعة والحقيقة، وهذا هو توجيه الصوفية للناس، مقتفين بذلك أثر الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه الكرام، **وللوصول إلى هذا المقام الرفيع**، والإيمان الكامل، لابد من سلوك الطريقة، وهي مجاهدة النفس، وتصعيد صفاتها الناقصة إلى صفات كاملة، والترقي في مقامات الكمال بصحبة المرشدين، فهي الجسر الموصل من الشريعة إلى الحقيقة، قال السيد رحمه الله تعالى في تعريفاته: (الطريقة هي السيرة المختصة بالسالكين إلى الله تعالى، من قطع المنازل والترقي في المقامات) [تعريفات السيد ص94]، فالشريعة هي الأساس، والطريقة هي الوسيلة، والحقيقة هي الثمرة وهذه الأشياء الثلاثة متكاملة منسجمة، فَمَنْ تمسَّك بالأولى منها سلك الثانية فوصل إلى الثالثة، وليس بينها تعارض ولا تناقض، ولذلك يقول الصوفية في قواعدهم المشهورة: (كل حقيقة خالفت الشريعة فهي زندقة)، وكيف تخالف الحقيقةُ الشريعةَ وهي إنما نتجت من تطبيقها، **يقول إمام الصوفية أحمد زروق** رحمه الله تعالى: (لا تصوف إلا بفقه، إذ لا تعرف أحكام الله الظاهرة إلا منه، ولا فقه إلا بتصوف، إذ لا عمل إلا بصدق وتوجه لله تعالى، ولا هما [التصوف والفقه] إلا بإيمان، إذ لا يصح واحد منهما دونه، فلزم الجميع لتلازمها في الحكم، كتلازم الأجسام للأرواح، ولا وجود لها إلا فيها، كما لا حياة لها إلا بها، فافهم) ["قواعد التصوف" للشيخ أحمد زروق قاعدة 3، ص3]، **ويقول الإمام مالك رحمه الله تعالى:** (مَنْ تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن جمع بينهما فقد تحقق) ["شرح عين العلم وزين الحلم" للإمام مُلا علي القاري ج1، ص33]، تزندق الأول لأنه نظر إلى الحقيقة مجردة عن الشريعة، فقال بالجبر وأن الإنسان لا خيار له في أمر من الأمور، فهو يتمثل قول القائل: ألقاهُ في اليمِّ مكتوفاً وقال له إياك إياك أنْ تبتلَّ بالماءِ فعطَّل بذلك أحكام الشريعة والعمل بها، وأبطل حكمتها والنظر إليها، وتفسَّق الثاني لأنه لم يدخل قلبه نورُ التقوى، وسرُ الإخلاص وواعظ المراقبة، وطريقة المحاسبة، حتى يحجب عن المعصية، ويتمسك بأهداب السنة، وتحقق الثالث لأنه جمع كل أركان الدين: الإيمان، والإسلام، والإحسان، التي اجتمعت في حديث جبريل عليه السلام، **وكما حفظ علماء الظاهر حدود الشريعة، كذلك حفظ علماء التصوف آدابها وروحها**، وكما أبيح لعلماء الظاهر الاجتهاد في استنباط الأدلة واستخراج الحدود والفروع، والحكم بالتحليل والتحريم على ما لم يَرِدْ فيه نص، فكذلك للعارفين أن يستنبطوا آداباً ومناهج لتربية المريدين وتهذيب السالكين، ولقد تحقق السلف الصالح والصوفية الصادقون بالعبودية الحقة والإسلام الصحيح، إذ جمعوا بين الشريعة

والطريقة والحقيقة، فكانوا متشرِّعين متحققين، يهدون الناس إلى الصراط المستقيم، فالدين إن خلا من حقيقته جفَّت أصولُه، وذوت أغصانه، وفسدت ثمرته،

**مناقشة المتحاملين على الصوفية:** أما هؤلاء المعترضون على السادة الصوفية: إن كانوا ينكرون هذا التقسيم إلى [شريعة، وطريقة، وحقيقة] على النحو الذي بيَّناه آنفاً، فهم لاشك يريدون بذلك أن يفصلوا روح الإسلام عن جسده، وأن يهدموا ركناً هاماً من أركان الدين الثلاثة الموضحة في حديث جبريل عليه السلام، ويخالفوا علماء الإسلام وكبار فقهائه، يقول ابن عابدين رحمه الله تعالى في حاشيته المشهورة (بِرَدِّ المحتار): (الطريقة: هي السيرة المختصة بالسالكين من قطع المنازل، والترقي في المقامات)، ويقول في الصفحة التي تليها: (فالحقيقة: هي مشاهدة الربوبية بالقلب، ويقال: هي سر معنوي لا حدَّ له ولا جهة، وهي والطريقة والشريعة متلازمة، لأن الطريق إلى الله تعالى لها ظاهر وباطن، فظاهرها الشريعة والطريقة، وباطنها الحقيقة، فبطون الحقيقة في الشريعة والطريقة، كبطون الزبْد في لبنه، لا يُظفر من اللبن بزبده بدون مخضّه، والمراد من الثلاثة [الشريعة، والطريقة، والحقيقة] إقامة العبودية على الوجه المراد من العبد) [حاشية ابن عابدين ج3، ص303]، ويقول الشيخ عبد الله اليافعي رحمه الله تعالى: (إن الحقيقة هي مشاهدة أسرار الربوبية، ولها طريقة هي عزائم الشريعة، فمن سلك الطريقة وصل إلى الحقيقة، فالحقيقة نهاية عزائم الشريعة، ونهاية الشيء غير مخالفة له، فالحقيقة غير مخالفة لعزائم الشريعة) [نشر المحاسن الغالية ج1، ص 154]، وقال صاحب كشف الظنون في حديثه عن علم التصوف: (ويقال: علم التصوف علم الحقيقة أيضاً، وهو علم الطريقة، أي تزكية النفس عن الأخلاق الردية، وتصفية القلب عن الأغراض الدَّنية، وعلم الشريعة بلا علم الحقيقة عاطل، وعلم الحقيقة بلا علم الشريعة باطل، علم الشريعة وما يتعلق بإصلاح الظاهر بمنزلة العلم بلوازم الحج، وعلم الطريقة وما يتعلق بإصلاح الباطن بمنزلة العلم بالمنازل، وعقبات الطريق، فكما أن مجرد علم اللوازم، ومجرد علم المنازل لا يكفيان في الحج الصوري بدون إعداد اللوازم وسلوك المنازل، كذلك مجرد العلم بأحكام الشريعة وآداب الطريقة لا يكفيان في الحج المعنوي، بدون العمل بموجبيهما) [كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة ج1، ص413]، **وإن كان المعترضون يقرّون فكرة التقسيم السالفة الذكر، ولكنهم ينكرون هذه التسمية:** [الشريعة، والطريقة، والحقيقة]، نقول لهم: هذا تعبير درج عليه العلماء، وجرى عليه الفقهاء كما بيَّنا وهو اصطلاح، ولا مشاحة في الاصطلاحات، وإن كانوا يقرون التقسيم والتسمية،

ولكنهم ينكرون على الصوفية أحوالهم القلبية، وأذواقهم الوجدانية، وعلومهم الوهبية، نقول لهم: إن هذه أمور يكرم الله تعالى بها عباده المخلصين، وأحبابه الصادقين، ولا حجر على القدرة الإلهية، إنما هي أذواق ومفاهيم، وكشوفات وفتوحات، منحهم الله إياها، فقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "العلم علمان: علم في القلب، وفي رواية: علم ثابت في القلب، فذلك العلم النافع، وعلم على اللسان، فذلك حجة الله على خلقه" [رواه الحافظ أبو بكر الخطيب في تاريخه بإسناد حسن، ورواه ابن عبد البر النمري في كتاب العلم عن الحسن مرسلاً بإسناد صحيح كما في الترغيب والترهيب ج1، ص67]، ويدل على ذلك حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، فقد أخرج أبو نعيم في الحلية عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن معاذ بن جبل دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "كيف أصبحتَ يا معاذ؟"،قال: أصبحتُ مؤمناً بالله تعالى، قال: "إن لكل قول مصداقاً، ولكل حق حقيقة، فما مصداق ما تقول؟"، قال: يا نبي الله! ما أصبحت صباحاً قط إلا ظننت أني لا أمسي، وما أمسيت مساء قط إلا ظننت أني لا أصبح، ولا خطوت خطوة إلا ظننت أني لا أتبعها أخرى، وكأني أنظر إلى كل أمة جاثية تدعى إلى كتابها، معها نبيها وأوثانها التي كانت تعبد من دون الله وكأني أنظر إلى عقوبة أهل النار، وثواب أهل الجنة، قال: "عرفت فالزم" [أخرجه أبو نعيم في الحلية ج1، ص242]، **فلم يصل الصالحون إلى هذه الكشوفات والمعارف إلا بتمسكهم بالكتاب والسنة**، واقتفائهم أثر الرسول الأعظم وأصحابه الكرام، ومجاهدتهم لأنفسهم، من صيام وقيام، وزهدهم في هذه الدنيا الفانية، كما أكرم الله معاذاً رضي الله عنه بهذا الكشف الذي أقره عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: "عرفتَ فالزم"، وهذا الإمام الشعراني رحمه الله تعالى يتحدث عن إكرام الله تعالى للصوفية الذين ساروا على نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من أمثال معاذ رضي الله عنه فيقول: (اعلم يا أخي أن علم التصوف عبارة عن علم انقدح في قلوب الأولياء حين استنارت بالعمل بالكتاب والسنة، فكل من عمل بهما انقدح له من ذلك علوم وآداب وأسرار وحقائق، تعجز الألسنة عنها، نظير ما انقدح لعلماء الشريعة من أحكام، حين عملوا بما علموه من أحكامها) ["التصوف الإسلامي والإمام الشعراني لطه عبد الباقي سرور ص 70]، وقد كان علماء السلف الصالح رضي الله عنهم يعملون بكل ما يعلمون على وجه الإخلاص لله تعالى، فاستنارت قلوبهم، وخلصت من العلل القادحة أعمالهم، فلما ذهبوا وخلف من بعدهم أقوام لا يعتنون بالإخلاص في علمهم ولا في عملهم أظلمت قلوبهم، وحُجبت عن أحوال القوم فأنكروها، وهناك مغرضون يتحاملون على الصوفية مستشهدين بكلام ابن تيمية وغيره، ويتهمونهم زوراً

وبهتاناً، بأنهم يهتمون بالحقيقة فقط، ويهملون جانب الشريعة، وأنهم يعتمدون على كشفهم ومفاهيمهم ولو خالفت الشريعة، فهذا كله افتراء باطل، يشهد على بطلانه كلام ابن تيمية نفسه، **فقد تحدث ابن تيمية رحمه الله تعالى عن تمسك السادة الصوفية بالكتاب والسنة في قسم علم السلوك من فتاواه فقال:** (والشيخ عبد القادر [الجيلاني رحمه الله تعالى] ونحوه من أعظم مشائخ زمانهم أمراً بالتزام الشرع والأمر والنهي وتقديمه على الذوق والقدر، ومن أعظم المشائخ أمراً بترك الهوى والإرادة النفسية، فإن الخطأ في الإرادة من حيث هي إرادة إنما تقع من هذه الجهة، فهو يأمر السالك أن لا تكون له إرادة من جهته هو أصلاً، بل يريد ما يريد الربُّ عز وجل، إما إرادة شرعية إن تبين له ذلك، وإلا جرى مع الإرادة القدرية، فهو إما مع أمر الرب وإما مع خلقه، وهو سبحانه له الخلق والأمر، وهذه طريقة شرعية صحيحة) [مجموع فتاوى أحمد بن تيمية ج10، ص488.489]، **وقال أيضاً:** (فأما المستقيمون من السالكين كجمهور مشائخ السلف مثل الفضيل بن عياض، وإبراهيم بن أدهم، وأبي سليمان الداراني، ومعروف الكرخي، والسري السقطي، والجنيد بن محمد، وغيرهم من المتقدمين، ومثل الشيخ عبد القادر [الجيلاني]، والشيخ حماد، والشيخ أبي البيان، وغيرهم من المتأخرين، فهم لا يسوِّغون للسالك ولو طار في الهواء، أو مشى على الماء، أن يخرج عن الأمر والنهي الشرعيين، بل عليه أن يفعل المأمور، ويدع المحظور إلى أن يموت، وهذا هو الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف وهذا كثير في كلامهم) ["مجموع فتاوى أحمد بن تيمية" ج 10، ص516 – 517]،

**وهذه نبذة يسيرة من أقوال أئمة السادة الصوفية وتوجيهاتهم تشهد على تمسكهم بالكتاب والسنة : قال الشيخ عبد القادر الجيلاني** رحمه الله تعالى: (كل حقيقة لا تشهد لها الشريعة فهي زندقة، طِرْ إلى الحق عز وجل بجناحي الكتاب والسنة، ادخل عليه ويدك في يد الرسول صلى الله عليه وسلم) ["الفتح الرباني" للشيخ عبد القادري الجيلاني ص29]، وقال منكراً على من يعتقد أن التكاليف الشرعية تسقط عن السالك في حال من الأحوال: (ترك العبادات المفروضة زندقة، وارتكاب المحظورات معصية، لا تسقط الفرائض عن أحد في حال من الأحوال) ["الفتح الرباني" للشيخ عبد القادري الجيلاني ص29]، ويقول سهل التستري رحمه الله تعالى: (أصولنا سبعة أشياء: التمسك بكتاب الله تعالى، والاقتداء بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأكل الحلال، وكفِ الأذى، واجتناب الآثام، والتوبة، وأداء الحقوق) ["طبقات الصوفية" للسلمي ص210]، وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي

رحمه الله تعالى يقول: (إذا عارض كشفُك الصحيح الكتابَ والسنة فاعمل بالكتاب والسنة ودع الكشف، وقل لنفسك: إن الله تعالى ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة، ولم يضمنها لي في جانب الكشف والإلهام) ["إيقاظ الهمم" ج2، ص302.303]، **وقال أبو سعيد الخراز** رحمه الله تعالى: (كلُّ باطنٍ يخالفه ظاهرٌ فهو باطلٌ) ["الرسالة القشيرية" ص27]، **وقال أبو الحسين الوراق** رحمه الله تعالى: (لا يصل العبد إلى الله إلا بالله، وبموافقة حبيبه صلى الله عليه وسلم في شرائعه، ومَنْ جعل الطريق إلى الوصول في غير الاقتداء يضل من حيث يظن أنه مهتد) ["طبقات الصوفية" للسلمي ص300]، **وقال الشيخ عبد الوهاب الشعراني** رحمه الله تعالى: (إن طريق القوم محررة على الكتاب والسنة كتحرير الذهب والجوهر، فيحتاج سالكها إلى ميزان شرعي في كل حركة وسكون) ["لطائف المنن والأخلاق" للشعراني ج1، ص2]، وقال أيضاً: (إن حقيقة طريق القوم علم وعمل، سداها ولحمتها شريعة، وحقيقة، لا أحدهما فقط) ["لطائف المنن والأخلاق" للشعراني ج1 ص25]، **وقال الشعراني أيضاً**: (فَمَنْ دقَّق النظر عَلِمَ أنه لا يخرج شيء من علوم أهل الله تعالى عن الشريعة، وكيف يخرج والشريعة صلتهم إلى الله عز وجل في كل لحظة) ["التصوف الإسلامي والإمام الشعراني" لطه عبد الباقي سرور ص71]، **وسئل أبو يزيد البسطامي** رحمه الله تعالى عن الصوفي فقال: (هو الذي يأخذ كتاب الله بيمينه وسنة رسوله بشماله، وينظر بإحدى عينيه إلى الجنة، وبالأخرى إلى النار، ويأتزر بالدنيا، ويرتدي بالآخرة، ويلبي من بينهما للمولى: لبيك اللهم لبيك) ["شطحات الصوفية" لعبد الرحمن البدوي ص96]، **ومن جملة توجيه أبي يزيد رحمه** الله تعالى: (عشرة أشياء فريضة على البدن: أداء الفرائض، واجتناب المحارم، والتواضع لله، وكف الأذى عن الإخوان، والنصيحة للبَرّ والفاجر، وطلب مرضاة الله في جميع أموره، وطلب المغفرة، وترك الغضب، والكبرُ والبغيُ والمجادلةُ من ظهور الجفا، وأن يكون وصي نفسه يتهيأُ للموت) ["شطحات الصوفية" ص103]، ومع كل هذا نجد الحاقدين على التصوف إذا سمعوا بشيء من أخلاق القوم قالوا: [هذا منزع صوفي، لا شرعي] فيتوهم السامع أن التصوف أمر خارج عن أصل الشريعة، والحال أنه لب الشريعة كما رأيت، وإنَّ مَنْ يطالع كتب القوم السليمة من الدس، مثل: كتاب الحلية لأبي نعيم، والرسالة القشيرية، وكتاب التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي، واللمع للطوسي، والإحياء للغزالي، وطبقات الصوفية للسلمي، والرعاية لحقوق الله للمحاسبي، والوصايا للشيخ محي الدين بن عربي، وغير ذلك من كتب الصوفية، لا يكاد يجد خُلُقاً مما فيها يخالف الشريعة أبداً،

لكثرة محاسبة الصوفية لأنفسهم وأخذهم بالعزائم، فإن حقيقة طريق القوم علم وعمل، سداها ولحمتها شريعة وحقيقة،

**التحذير من الفصل بين الحقيقة والشريعة:** هناك أُناس ادَّعَوْا التصوف كذباً ونفاقاً، انحرفوا عن الإسلام، وقالوا: إن المقصود من الدين هو الحقيقة فقط، وعطلوا أحكام الشريعة، فأسقطوا عن أنفسهم التكاليف، وأباحوا المخالفات، وقالوا: إن المُعَوَّل عليه صلاح القلب، ويقولون: [نحن أهل الباطن، وهم أهل الظاهر]، فهؤلاء ضالون منحرفون زنادقة، لا يجوز أن نأخذ أعمالهم وأحوالهم حجة على السادة الصوفية الصادقين المخلصين، وإن السادة أئمة الصوفية قد نبهوا إلى خطرهم، وحذروا من صحبتهم ومجالستهم، وتبرؤوا من سيرهم وانحرافهم، قال أبو يزيد البسطامي رحمه الله تعالى لبعض أصحابه: (قم بنا حتى ننظر إلى هذا الرجل الذي قد شهر نفسه بالولاية، وكان رجلاً مقصوداً مشهوراً بالزهد، فمضينا إليه، فلما خرج من بيته ودخل المسجد رمى ببصاقه تجاه القبلة، فانصرف أبو يزيد ولم يسلّم عليه، وقال: هذا غير مأمون على أدب من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون مأموناً على ما يدعيه) ["الرسالة القشيرية" ص16]، وقال أيضاً: (لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرتقي في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة) ["الرسالة القشيرية" ص16]، **وقال الشيخ أحمد زروق** رحمه الله تعالى في قواعده: (وكل شيخ لم يظهر بالسنة فلا يصح اتباعه لعدم تحقق حاله، وإن صح في نفسه وظهر عليه ألف ألف كرامة من أمره) ["قواعد التصوف" للشيخ أحمد رزوق ص76]، **وقال سهل بن عبد الله التستري** رحمه الله تعالى: (احذر صحبة ثلاث من أصناف الناس: الجبابرة الغافلين، والقُرَّاء المداهنين، والمتصوفة الجاهلين) ["شرح الحكم" لابن عجيبة ج1، ص76]، **وقال السيد أحمد الرفاعي** رحمه الله تعالى: (لا تقولوا كما يقول بعض المتصوفة: [نحن أهل الباطن، وهم أهل الظاهر]، هذا الدين الجامع باطنه لب ظاهره، وظاهره ظرف باطنه، لولا الظاهر لما بطن، لولا الظاهر لما كان الباطن ولما صح، القلب لا يقوم بلا جسد، بل لولا الجسد لفسد، والقلب نور الجسد، هذا العلم الذي سماه بعضهم بعلم الباطن، هو إصلاح القلب، فالأول عمل بالأركان وتصديق بالجَنان، إذا انفرد قلبك بحسن نيته وطهارة طويته، وقتلْتَ وسرقْتَ وزنيتَ، وأكلتَ الربا، وشربتَ الخمر، وكذبت وتكبرت وأغلظت القول، فما الفائدة من نيتك وطهارة قلبك؟ وإذا عبدت الله وتعففت، وصمت وتصدقت وتواضعت، وأبطن قلبُكَ الرياء والفساد، فما الفائدة من

عملك؟) ["البرهان المؤيد" للسيد أحمد الرفاعي رحمه الله تعالى، توفي سنة 578هـ بأم عبيدة بالعراق ص68]، **وينكر الشيخ عبد القادر الجيلاني** رحمه الله تعالى على من يعتقد أن التكاليف الشرعية تسقط عن السالك في حال من الأحوال، كما مَرَّ بك قوله: (ترك العبادات المفروضة زندقة، وارتكاب المحظورات معصية، لا تسقط الفرائض عن أحد في حال من الأحوال) ["الفتح الرباني" للشيخ عبد القادر الجيلاني ص29]، **وقال شيخ الصوفية الإمام الجنيد** رحمه الله تعالى: (مذهبنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة) ["طبقات الصوفية" للسلمي ص159]، **وقال أيضاً**: (الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول عليه الصلاة والسلام، واتبع سنته ولزم طريقته، فإنَّ طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه) ["طبقات الصوفية" للسلمي ص159]، وذكر رجل عنده المعرفة **فقال**: أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات [الأعمال] من باب البر والتقرب إلى الله عز وجل، **فقال الجنيد** رحمه الله تعالى: (إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال [الصالحة التكليفية] وهو عندي عظيمة، والذي يسرق ويزني أحسن حالاً من الذي يقول هذا، فإن العارفين بالله تعالى أخذوا الأعمال عن الله تعالى، وإليه رجعوا فيها، ولو بقيتُ ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة إلا أن يحال بي دونها) ["الرسالة القشيرية" ص22]، **وقال أيضاً**: (ما أخذنا التصوف عن القيل والقال لكن عن الجوع [الصوم] وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات) ["الرسالة القشيرية" ص22]، **وقال إبراهيم بن محمد النصر أباذي** رحمه الله تعالى: (أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة، وترك الأهواء والبدع، وتعظيم حرمات المشايخ، ورؤية أعذار الخلق، وحسن صحبة الرفقاء، والقيام بخدمتهم، واستعمال الأخلاق الجميلة، والمداومة على الأوراد وترك ارتكاب الرخص والتأويلات، وما ضل أحد في هذا الطريق إلا بفساد الابتداء، فإن فساد الابتداء يؤثر في الانتهاء) [طبقات الصوفية للسلمي ص488]،

**الفقهاء الصوفية:** لقد كان علماء الشريعة الإسلامية من الفقهاء والمحدِّثين، يسيرون على أثر الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، فيجمعون بين الشريعة والطريقة والحقيقة، ويؤدون العبادات العملية متحققين بسر الإخلاص فيها، متذوقين حلاوتها، مدركين أسرارها، وقد كانت لهم مجاهدات لتهذيب نفوسهم وإصلاح قلوبهم، ولِمَا تحلَّوْا به من صلاح وتقوى ومعرفة نالوا هذه المراتب العلمية، ومنحهم الله تعالى هذا الفهم لكتابه والتعمق في شرعه، ونفع الله الأمة بعلومهم على مرِّ السنين والأيام، فكأنهم أحياء بآثارهم الخالدة وجهودهم العلمية المباركة، **نقل الفقيه الحنفي الحصكفي**

**صاحب الدر**: أن أبا علي الدقاق رحمه الله تعالى قال: (أنا أخذتُ هذه الطريقة من أبي القاسم النصر أباذي، وقال أبو القاسم: أنا أخذتها من الشبلي، وهو من السري السقطي، وهو من معروف الكرخي، وهو من داود الطائي، وهو أخذ العلم والطريقة من أبي حنيفة رضي الله عنه، وكلٌ منهم أثنى عليه وأقرّ بفضله،،) ثم قال صاحب الدر معلقاً: (فيا عجباً لك يا أخي! ألم يكن لك أسوة حسنة في هؤلاء السادات الكبار؟ أكانوا مُتَّهمين في هذا الإقرار والافتخار، وهم أئمة هذه الطريقة وأرباب الشريعة والحقيقة؟ ومَن بعدهم في هذا الأمر فلهم تبع، وكل ما خالف ما اعتمدوه مردود مبتدع) [الدر المختار ج1، ص43، وعليه حاشية ابن عابدين وهو محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي فقيه الديار الشامية وإمام الحنفية في عصره، له من التآليف [رد المحتار على الدر المختار] في خمسة مجلدات يعرف بحاشية ابن عابدين، وله رفع الأنظار عما أورده الحلبي على الدر المختار، والعقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية جزءان، ونسمات الأسحار شرح المنار، ومجموعة الرسائل،، مولده ووفاته في دمشق سنة 12521198هـ]، ولعلك تستغرب عندما تسمع أن الإمام الكبير، أبا حنيفة النعمان رحمه الله تعالى، يعطي الطريقة لأمثال هؤلاء الأكابر من الأولياء والصالحين من الصوفية!، فهلاَّ تأسى الفقهاء بهذا الإمام، فساروا على نهجه، وجمعوا بين الشريعة والحقيقة، لينفع الله بعلمهم، كما نفع بإمامهم الأعظم، الإمام الكبير، معدن التقوى والورع أبي حنيفة رحمه الله تعالى!، **يقول ابن عابدين** رحمه الله تعالى في حاشيته متحدثاً عن أبي حنيفة رحمه الله تعالى، تعليقاً على كلام صاحب الدر الآنف الذكر: (هو فارس هذا الميدان، فإن مبنى علم الحقيقة على العلم والعمل وتصفية النفس، وقد وصفه بذلك عامة السلف، فقال أحمد بن حنبل [رحمه الله تعالى] في حقه: إنه كان من العلم والورع والزهد وإيثار الآخرة بمحل لا يدركه أحد، ولقد ضُرِب بالسياط لِيَلِيَ القضاء، فلم يفعل، وقال عبد الله بن المبارك [رحمه الله تعالى]: ليس أحد أحق من أن يُقْتَدى به من أبي حنيفة، لأنه كان إماماً تقياً نقياً ورعاً عالماً فقيهاً، كشف العلم كشفاً لم يكشفه أحد ببصر وفهم وفطنة وتقى، وقال الثوري لمن قال له: جئتُ من عند أبي حنيفة: لقد جئتَ من عند أعبد أهل الأرض) ["حاشية ابن عابدين" ج1، ص43]، ومن هذا نعلم أن الأئمة المجتهدين والعلماء العاملين، هم الصوفية حقيقة،

**فإن قال قائل: لو أن طريق التصوف أمر مشروع، لوضع فيه الأئمة المجتهدون كتباً، ولا نرى لهم قط كتاباً في ذلك؟** يجيب الشعراني رحمه الله تعالى على هذا فيقول: (إنما لم يضع المجتهدون

في ذلك كتاباً لقلة الأمراض في أهل عصرهم، وكثرة سلامتهم من الرياء والنفاق، ثم بتقدير عدم سلامة أهل عصرهم من ذلك، فكان ذلك في بعض أناس قليلين، لا يكاد يظهر لهم عيب، وكان معظم همة المجتهدين إذ ذاك إنما هو في جمع الأدلة المنتشرة في المدائن والثغور مع أئمة التابعين وتابعيهم، التي هي مادة كل علم، وبها يُعرف موازين جميع الأحكام، فكان ذلك أهم من الاشتغال بمناقشة بعض أناس في أعمالهم القلبية التي لا يظهر بها شعار الدين، وقد لا يقعون بها في حكم الأصل، ولا يقول عاقل قط: إن مثل الإمام أبي حنيفة أو مالك أو الشافعي أو أحمد رضي الله عنهم، يعلم أحدهم من نفسه رياءً أو عُجباً أو كبراً أو حسداً أو نفاقاً ثم لا يجاهد نفسه ولا يناقشها أبداً، ولولا أنهم يعلمون سلامتهم من تلك الآفات والأمراض لقدموا الاشتغال بعلاجها على كل علم) ["لطائف المنن والأخلاق" للشعراني ج1 ص25-26]،

**[المفتاح الثاني]: الظلم الذي وقع على أهل التصوف بسبب الدس على أقوالهم: قال الشيخ عبد القادر عيسى في كتابه " حقائق عن التصوف ": الدس على العلوم الإسلامية: التفسير ـ الحديث ـ التاريخ ـ التصوف:** " لقد تعرض الإسلام منذ انبثاق فجره إلى خصوم أشداء، وأعداء ألِدَّاء حاولوا تقويض بنيانه، وتحطيم أركانه، عن طريق تشويه معالمه، ودس الأباطيل والخرافات في علومه، كما نرى ذلك في التفسير والحديث وفي التاريخ والتصوف، وغيرها،

**أما التفسير:** فكثيراً ما نقرأ في كتبه بعض الإسرائيليات التي ليست إلا أساطير كاذبة، وعقائد غير إسلامية، نقلها إلى الدين الإسلامي اليهود الذين اعتنقوا الإسلام غير مخلصين، أو مخلصين ولكن علقت بأذهانهم هذه الأساطير حين كانوا على دين اليهودية، فنقلوها عن كتب أنبيائهم التي دخلها التحريف والتغيير، وتقبَّلها بعض المسلمين على أنها صحيحة، وقد وفق الله تعالى علماء المسلمين إلى تمحيص هذه الإسرائيليات وتنبيه المسلمين إلى ضررها، وخصوصاً منها ما يضر بالعقيدة، كالإخبار بأن أيوب عليه السلام مرض حتى ظهر الدود على جسده، وكنسبة المعاصي إلى بعض الأنبياء، فقد زعموا أن داود عليه السلام عشق امرأة بعض جنوده، ثم أَرسلَ زوجَها لبعض المواقع الحربية لقتله، فقُتل وتزوجها، كما زعموا أن يوسف عليه السلام همَّ بامرأة العزيز هَمَّ فُحْشٍ وسوء، ولفَّقوا في ذلك قصصاً وحكايات لا تليق بمقام الرسل الكرام، الذين عصمهم الله من كل سوء وفاحشة، فالواجب على كل مسلم نبذُ هذه الإسرائيليات، والاعتماد على المصادر الإسلامية الصحيحة الشهيرة

**وأما الحديث:** فلقد حاول الدسَّاسون المغرضون تشويه معالم الإسلام عن طريق وضع أحاديث مكذوبة مفتراة على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم، يقصدون بذلك تحطيم العقيدة، ودس الأفكار الهدَّامة، كالتجسيم والتشبيه والفوقية والجهة، وغير ذلك من العقائد الفاسدة، كما وضعوا أحاديث في الترغيب والترهيب ما أنزل الله بها من سلطان، وإذا قيل لهم: لِمَ تكذبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يقول: "مَنْ كذب عليَّ متعمداً فليتبوأْ مقعده من النار"؟ [أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب العلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم في كتاب الإيمان، والترمذي في كتاب العلم، وابن ماجه في أبواب السنة] قالوا: نحن نكذب له لا عليه، كما كان بعضهم يضع الحديث تقرباً إلى الحكام، وتزلفاً إلى الملوك، رغبة في مطمع دنيوي ومكسب مادي، ولكن الله تعالى قيَّض لسنة رسوله صلى الله عليه وسلم علماء مخلصين غيورين، محَّصوا تلك الأحاديث، وبينوا الصحيحة من الضعيفة، والموضوعة من الحسنة، والمشهورة من الغريبة، كالمُزّي والزين العراقي والذهبي وابن حجر وغيرهم [وقد جمع بعض العلماء الغيورين على الأحاديث النبوية كتباً بيَّنوا فيها الأحاديث الموضوعة منها: اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي، وكشف الخفاء للعجلوني، وأسنى المطالب للحوت البيروتي]،

**وأما التاريخ:** فقد كان ميداناً خصباً للدس والافتراءِ، حيث ألصق المضللون في تاريخ الإسلام قصصاً وحوادث من نسيج خيالهم، حاولوا بذلك تشويه سيرة الخلفاء وملوك الإسلام، كما نسبوا إلى هارون الرشيد أُموراً غريبة منكرة، نجدها في أكاذيب ألف ليلة وليلة، ولا يخفى ما أحدثه المضللون الصليبيون والمستشرقون ومَنْ لفَّ لَفَّهم في تاريخ الإسلام من افتراءات وتُرَّهَاتٍ وأضاليل واضحة البطلان لم يقصدوا بها إلا التهديم والتشكيك، ولكن المؤرخين المسلمين المحققين كالذهبي، والطبري، وابن كثير، وابن الأثير، وابن هشام وغيرهم، قد دوَّنوا التاريخ الإسلامي، وهذبوه ونفوا عنه الدخائل، وأخرجوه نقياً سليماً، فعلى طالب الحقيقة أن يعود إلى هذه المراجع الصحيحة، كي يميز الخبيث من الطيب، والغث من السمين،

**وأما التصوف:** فكغيره من العلوم الدينية، لم يَسْلم من الدس والتحريف من هؤلاء الدخلاء والمفترين، **فمنهم من أدخل في كتب الصوفية أفكاراً منحرفة، وعبارات سيئة** ما أنزل الله بها من سلطان، كقولهم: " وما الكلبُ والخنزيرُ إلا إلهنا وما الربُّ إلا راهبٌ في كنيسة " {كَبُرَتْ كَلِمَةً تخرُجُ مِنْ أفوَاهِهِمْ إنْ يَقُولونَ إلا كَذِباً} [الكهف: 5]، **ومنهم من أراد أن يفسد دين المسلمين** بأشياء أُخر تمس

عقائدهم، فنسب إلى بعض رجال الصوفية أقوالاً تخالف عقيدة أهل السنة، كالقول بالحلول والاتحاد، وبأن الخالق عين المخلوق، والكون عين المكوِّن، **ومنهم من حاول تشويه تاريخ رجال الصوفية،** ونزع ثقة الناس بهم، فدَسَّ في كتبهم حوادث وقصصاً من نسج خياله، فيها ارتكاب للمنكرات واقتراف للآثام والكبائر، كما نجد ذلك كثيراً في الطبقات الكبرى للإمام الشعراني رحمه الله تعالى، وهو منها بريء كما سيأتي، **ومنهم المبشِّرون والمستشرقون،** وأبواق الاستعمار الذين درسوا كتب السادة الصوفية، وكتبوا عنهم المؤلفات لأجل التحريف والتزوير والدس، يقصدون بذلك أن يطعنوا الإسلام في صميمه، وأن يسلخوا روح الدين عن جسده، ولقد خُدع بهم أقوام أرادوا أن يفهموا التصوف من كتب هؤلاء المستشرقين، كأمثال [نكلسون الإنكليزي، وجولد زيهر اليهودي، وماسينيون الفرنسي وغيرهم]، فوقعوا في أحابيلهم، وتسمَّمُوا من أفكارهم، وانجرفوا في تيار محاربة الصوفية، ولا أدري كيف يثق مسلم صادق بأقوال عدوه المخادع الماكر؟ **ومنهم السُّذَّجُ الذين يصدقون هؤلاء وهؤلاء**، فيعتقدون بهذه الأمور المدسوسة ويثبتونها في كتبهم، وكل هذا بعيد عن الصوفية والتصوف،

**فإن قال قائل: إنَّ ما نسب إلى الصوفية من أقوال مخالفة هي حقاً من كلامهم بدليل وجودها في كتبهم المطبوعة المنشورة، نقول:** ليس كل ما في كتب الصوفية لهم، لأنها لم تسْلم من حملات الدس والتحريف، وما أحوجنا إلى تضافر جهود المؤمنين المخلصين لتنقية هذا التراث الإسلامي الثمين ممَّا لحق به من دس وتحريف، ولو ثبت بطريق صحيح عن بعض الصوفية كلام مخالف لحدود الشريعة فنقول: ليست كلمة فرد واحد حجة على جماعة، شعارها ومذهبها التمسك بالكتاب والسنة، حتى إنهم ليقولون: إن أول شرط الصوفي أن يكون واقفاً عند حدود الشريعة، وألا ينحرف عنها قيد شعرة، فإذا هو تخطى هذا الشرط، ووصف نفسه بأنه صوفي، فقد اختلق لنفسه صفة ليست فيه وزعم ما ليس له، وإن من إضاعة الوقت الثمين الانشغالَ بمثل هذه التُّرَّهَات والأباطيل المفتراة على هؤلاء القوم في هذه الأوقات التي يوجد ما هو أهم من المجادلة بها، فهي معروفة لدى الصوفية المحققين والعلماء المدققين، وعلينا أن نعرف أن التصوف ليس علماً نتلقاه بقراءة الكتب ومطالعة الكراريس، ولكنه أخلاق وإيمان، وأذواق ومعارف، لا ينال إلا بصحبة الرجال، الذين اهتدوا بهدي الرسول صلى الله عليه وسلم، وورثوا عنه العلم والعمل والأخلاق والمعارف، وهو علم ينتقل من الصدر إلى الصدر، ويفرغه القلب في القلب،

**وهناك أقوام مغرضون، درسوا كتب السادة الصوفية** وتتبعوا ما فيها من دس وتشويه وتحريف واعتبروها حقائق ثابتة، وارتكزوا عليها في حملاتهم العنيفة وتهجماتهم الشديدة على السادة الصوفية الأبرار، ولو أنهم قرأوا ما يعلنه رجال التصوف في جميع كتبهم من استمساكهم بالشريعة واعتصامهم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وتقيدهم بالمذاهب الإسلامية المعتبرة، وتَبَنِّيهِمْ عقيدة أهل السنة والجماعة، كما بيناه آنفاً في بحث بين الحقيقة والشريعة، لأدركوا تماماً أن ما ورد في كتبهم مما يناقض هذا المبدأ الواضح والمنهج السوي، إنما هو مؤول أو مدسوس، وإليك بعض أمثلة الدس المفتراة على الصوفية والعلماء في كتبهم: **يقول ابن الفراء** في طبقاته نقلاً عن أبي بكر المروزي ومسدد وحرب إنهم قد رووا الكثير من المسائل، ونسبوها للإمام أحمد بن حنبل،، وبعد أن يفيض في ذكر هذه المسائل يقول: (رجلان صالحان بُليا بأصحاب سوء: جعفر الصادق، وأحمد بن حنبل، أما جعفر الصادق فقد نسبت إليه أقوال كثيرة، دونت في فقه الشيعة الإمامية على أنها له، وهو بريء منها، وأما الإمام أحمد، فقد نسب إليه بعض الحنابلة آراء في العقائد لم يقل بها) [التصوف الإسلامي والإمام الشعراني لطه عبد الباقي سرور ص82]، **وسئل الإمام الفقيه ابن حجر الهيثمي** رحمه الله تعالى ونفعنا به: في عقائد الحنابلة ما لا يخفى على شريف علمكم، فهل عقيدة الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه كعقائدهم؟ **فأجاب بقوله:** (عقيدة إمام السنة أحمد بن حنبل رضي الله عنه وأرضاه وجعل جنان المعارف متقلبه ومأواه، وأفاض علينا وعليه من سوابغ امتنانه، وبوأه الفردوس الأعلى من جنانه، موافقةٌ لعقيدة أهل السنة والجماعة من المبالغة التامة في تنزيه الله تعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً، من الجهة والجسمية وغيرها من سائر سمات النقص، بل وعن كل وصف ليس فيه كمال مطلق، وما اشتهر بين جهلة المنسوبين إلى هذا الإمام الأعظم المجتهد من أنه قائل بشيء من الجهة أو نحوها فكذب وبهتان وافتراء عليه، فلُعن من نسب إليه، أو رماه بشيء من هذه المثالب التي برأه الله منها، وقد بين الحافظ الحجة القدوة الإمام أبو الفرج بن الجوزي من أئمة مذهبه المبرئين من هذه الوصمة القبيحة الشنيعة أن كل ما نسب إليه من ذلك كذب عليه وافتراء وبهتان، وأن نصوصه صريحة في بطلان ذلك وتنزيه الله تعالى عنه، فاعلم ذلك، فإنه مهم) [الفتاوى الحديثية لابن حجر المكي ص148]، وأما الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقد دُسَّ عليه كتاب نهج البلاغة أو أكثره، فقد ذكر الذهبي رحمه الله تعالى في ترجمة علي بن الحسين الشريف المرتضى أنه: (هو المتهم بوضع كتاب نهج البلاغة، ومَنْ طالعه جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، ففيه السب الصراح والحط

على السيدين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وفيه من التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التي من له معرفة بنَفَس القرشيين الصحابة، وبنَفَس غيرهم ممن بعدهم من المتأخرين جزم بأن الكتاب أكثره باطل) [ميزان الاعتدال للذهبي ج3 ص124]،

**وممن دُسَّ عليهم الإمام الشعراني** رحمه الله تعالى، وأكثر ما دُسَّ عليه في الطبقات الكبرى، ولقد أوضح ذلك في كتابه لطائف المنن والأخلاق فقال: (ومما مَنَّ الله تبارك وتعالى به عليَّ، صبري على الحسدة والأعداء، لما دسوا في كتبي كلاماً يخالف ظاهر الشريعة، وصاروا يستفتون عليَّ زوراً وبهتاناً، ومكاتبتهم فيَّ لِبابِ السلطان، ونحو ذلك، إعلم يا أخي أن أول ابتلاء وقع لي في مصر من نحو هذا النوع، أنني لما حججْتُ سنة سبع وأربعين وتسعمائة، زَوَّر عليَّ جماعة مسألة فيها خرق لإجماع الأئمة الأربعة، وهو أنني أفتيتُ بعض الناس بتقديم الصلاة عن وقتها إذا كان وراء العبد حاجة، قالوا: وشاع ذلك في الحج، وأرسل بعض الأعداء مكاتبات بذلك إلى مصر من الجبل، فلما وصلتُ إلى مصر، حصل في مِصْرَ رَجٍّ عظيم، حتى وصل ذلك إلى إقليم الغربية والشرقية والصعيد وأكابر الدولة بمصر، فحصل لأصحابي غاية الضرر، فما رجعتُ إلى مصر إلا وأجد غالب الناس ينظر إليَّ شذراً، فقلت: ما بال الناس؟ فأخبروني بالمكاتبات التي جاءتهم من مكة، فلا يعلم عدد من اغتابني، ولاث بعرضي إلا الله عز وجل، **ثم إني لما صنفت كتاب البحر المورود في المواثيق والعهود**، وكتب عليه علماء المذاهب الأربعة بمصر، وتسارع الناس لكتابته، فكتبوا منه نحو أربعين نسخة، غار من ذلك الحسدةُ، فاحتالوا على بعض المغفلين من أصحابي، واستعاروا منه نسخته، وكتبوا لهم منها بعض كراريس، ودسوا فيها عقائد زائغة ومسائل خارقة لإجماع المسلمين، وحكايات وسخريات عن جحا، وابن الراوندي، وسبكوا ذلك في غضون الكتاب في مواضع كثيرة، حتى كأنهم المؤلف، ثم أخذوا تلك الكراريس، وأرسلوها إلى سوق الكتبِيِّين في يوم السوق، وهو مجمع طلبة العلم، فنظروا في تلك الكراريس، ورأوا اسمي عليها، فاشتراها من لا يخشى الله تعالى، ثم دار بها على علماء جامع الأزهر، ممن كان كتب على الكتاب ومن لم يكتب، فأوقع ذلك فتنة كبيرة، ومكث الناس يلوثون بي في المساجد والأسواق وبيوت الأمراء نحو سنة، وأنا لا أشعر، وانتصر لي الشيخ ناصر الدين اللقاني، وشيخ الإسلام الحنبلي، والشيخ شهاب الدين بن الجلبي، كل ذلك وأنا لا أشعر، فأرسل لي شخص من المحبين بالجامع الأزهر، وأخبرَني الخبرَ فأرسلت نسختي التي عليها خطوط العلماء، فنظروا فيها، فلم يجدوا فيها شيئاً مما دسه هؤلاء

الحسدة، فسبُّوا من فعل ذلك، وهو معروف، وأعرفُ بعض جماعة من المتهوِّرين، يعتقدون فيَّ السوء إلى وقتي هذا، وهذا بناء على ما سمعوه أولاً من أُولئك الحسدة، ثم إن بعض الحسدة، جمع تلك المسائل التي دُسَّت في تلك الكراريس وجعلها عنده، وصار كلما سمع أحداً يكرهني، يقول له: إن عندي بعض مسائل تتعلق بفلان، فإن احتجت إلى شيء منها أطلعتك عليه، ثم صار يعطي بعض المسائل لحاسد بعد حاسد إلى وقتي هذا، ويستفتون عليَّ وأنا لا أشعر، فلما شعرتُ، أرسلت لجميع علماء الأزهر أنني أنا المقصود بهذه الأسئلة، وهي مفتراة عليَّ، فامتنع العلماء من الكتابة عليها) [كتاب "لطائف المنن والأخلاق" للشعراني ج2، ص190.191]،

**وقد ذكر المؤرخ الكبير عبد الحي بن العماد الحنبلي** رحمه الله تعالى في كتابه شذرات الذهب في أخبار من ذهب ترجمة الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى وبعد أن أثنى عليه، وذكر مؤلفاته الكثيرة، وأثنى عليها أيضاً قال فيه: (وحسده طوائف فدسوا عليه كلمات يخالف ظاهرها الشرع، وعقائد زائغة، ومسائل تخالف الإجماع، وأقاموا عليه القيامة، وشنَّعوا وسبُّوا، ورموه بكل عظيمة، فخذلهم الله، وأظهره الله عليهم وكان مواظباً على السنة، ومبالغاً في الورع، مُؤثِراً ذوي الفاقة على نفسه حتى بملبوسه، متحملاً للأذى، موزعاً أوقاته على العبادة، ما بين تصنيفٍ وتسليكٍ وإفادة،، وكان يُسمَعُ لزاويته دوي كدوي النحل ليلاً ونهاراً، وكان يحيي ليلة الجمعة بالصلاة على المصطفى صلى الله عليه وسلم، ولم يزل مقيماً على ذلك، معظَّماً في صدور الصدور، إلى أن نقله الله تعالى إلى دار كرامته) ["شذرات الذهب في أخبار من ذهب" للمؤرخ الفقيه الأديب عبد الحي الحنبلي المتوفى سنة 1089هـ، ج8، ص374]،

**وقال الشعراني رحمه الله تعالى** في كتابه اليواقيت والجواهر: (وقد دسَّ الزنادقة تحت وسادة الإمام أحمد بن حنبل في مرض موته، عقائد زائغة، ولولا أن أصحابه يعلمون منه صحة الاعتقاد، لافتتنوا بما وجوده تحت وسادته) [اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر للشيخ عبد الوهاب الشعراني ج1، ص8]،

**وكذلك ذكر الشيخ مجد الدين الفيروز أبادي** صاحب القاموس في اللغة: أن بعض الملاحدة صنف كتاباً في تنقيص الإمام الأعظم أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه وأضافه إليه، ثم أوصله إلى الشيخ جمال الدين بن الخياط اليمني، فشنَّع على الشيخ أشد التشنيع، فأرسل إليه الشيخ مجد الدين يقول له: (إني معتقد في الإمام أبي حنيفة غاية الاعتقاد، وصنفت في مناقبه كتاباً حافلاً وبالغتُ في تعظيمه

إلى الغاية، فأحرِقْ هذا الكتاب الذي عندك، أو اغسله، فإنه كذب وافتراء عليَّ) [لطائف المنن والأخلاق للشعراني ج1، ص127]،

**وقال الفقيه الكبير أحمد بن حجر الهيثمي المكي** رحمه الله تعالى: (وإياك أن تغترَّ بما وقع في كتاب الغنية لإمام العارفين، وقطب الإسلام والمسلمين، الشيخ عبد القادر الجيلاني، فإنه دسه عليه فيها مَنْ سينتقم الله منه، وإلا فهو بريء من ذلك، وكيف تروج عليه هذه المسألة الواهية مع تضلعه من الكتابِ والسنةِ وفقهِ الشافعيةِ والحنابلةِ، حتى كان يفتي على المذهبين، هذا مع ما انضم لذلك من أن الله مَنَّ عليه من المعارف والخوارق الظاهرة والباطنة، وما أنبأ عنه ما ظهر عليه وتواتر من أحواله،، إلى أن قال: فكيف يُتصور أو يُتوهم أنه قائل بتلك القبائح التي لا يصدر مثلها إلا عن اليهود وأمثالهم ممن استحكم فيهم الجهل بالله وصفاته وما يجب له وما يجوز وما يستحيل، سبحانك هذا بهتان عظيم) ["الفتاوى الحديثية" لابن حجر ص149]،

**وكذلك دسوا على الإمام الغزالي** عدة مسائل في كتاب الإحياء، وظفر القاضي عياض بنسخة من تلك النسخ فأمر بإحراقها ["اليواقيت والجواهر" ج1، ص8]، **قال الشعراني** رحمه الله تعالى: (وممَّا دسُّوا على الغزالي، وأشاعه بعضهم عنه، قولهم عنه إنه قال: [إن لله عباداً لو سألوه أن لا يقيم الساعة لم يقمها، وإن لله عباداً لو سألوه أن يقيم الساعة الآن لأقامها]، فإن مثل ذلك كذب وزور على الإمام حجة الإسلام رضي الله تعالى عنه وأرضاه، يجب على كل عاقل تنزيه الإمام عنه، لأنه يردُّ النصوص القاطعة الواردة في مقدمات الساعة، فيؤدي ذلك إلى تكذيب الشارع صلى الله عليه وسلم فيما أخبر، وإنْ وُجد ذلك في بعض مؤلفات الإمام فذلك مدسوس عليه من بعض الملاحدة، وقد رأيت كتاباً كاملاً مشحوناً بالعقائد المخالفة لأهل السنة والجماعة، صنَّفه بعض الملحدين ونسبه إلى الإمام الغزالي، فاطلع عليه الشيخ بدر الدين ابن جماعة، فكتب عليه: كذبَ والله وافترى مَنْ أضافَ هذا الكتاب إلى حجة الإسلام) ["لطائف المنن والأخلاق" للشعراني ج1، ص127]، **وقال أيضاً:** (وكذلك دسوا عليَّ أنا في كتابي المسمى بالبحر المورود جملةً من العقائد الزائغة، وأشاعوا تلك العقائد في مصر ومكة نحو ثلاث سنين، وأنا بريء منها كما بَيَّنْتُ في خطبة الكتاب لمَّا غيرتها، وكان العلماء كتبوا عليه وأجازوه، فما سكنت الفتنة حتى أرسلت إليهم النسخة التي عليها خطوطهم) ["اليواقيت والجواهر" ج1، ص8]، هذا وقد ملأ خصومُه الدنيا حوله حقداً وحسداً، وافتراء وكذباً وتضليلاً، لاسيما في كتبه المعروفة، وأشهرها الطبقات الكبرى، فلو قارن المُنْصِفُ بين كلام

الشعراني رحمه الله تعالى الذي يعلن فيه تمسك الصوفية بالشريعة، وقد مر بك في بحث بين الحقيقة والشريعة [انظر بحث بين الحقيقة والشريعة ص381 من هذا الكتاب] وبين كلامه في الطبقات الكبرى لرأى تبايناً ظاهراً، ولظهر له كذب ما في الطبقات،

**وكذلك دسوا على الشيخ محي الدين بن عربي** رحمه الله تعالى، قال الشعراني: (كان رضي الله عنه متقيداً بالكتاب والسنة، ويقول: كل مَنْ رمى ميزان الشريعة من يده لحظة هلك،، إلى أن قال: وهذا اعتقاد الجماعة إلى قيام الساعة، وجميع ما لم يفهمه الناس من كلامه إنما هو لِعُلُوِ مراقيه، وجميع ما عارض من كلامه ظاهر الشريعة وما عليه الجمهور فهو مدسوس عليه، كما أخبرني بذلك سيدي أبو طاهر المغربي نزيل مكة المشرفة، ثم أخرج لي نسخة الفتوحات التي قابلها على نسخة الشيخ التي بخطه في مدينة قونيه، فلم أر فيها شيئاً مما كنت توقفت فيه وحذفته حين اختصرت الفتوحات،، ثم قال الشعراني رحمه الله تعالى: إذا علمت ذلك، فيحتمل أن الحسدة دسوا على الشيخ في كتبه، كما دسوا في كتبي أنا، فإنه أمر قد شاهدته عن أهل عصري في حقي، فالله يغفر لنا ولهم آمين) ["اليواقيت والجواهر" للشعراني ج1 ص9]، **ذكر الفقيه الحنفي صاحب الدر المختار** أن: (من قال عن فصوص الحكم للشيخ محي الدين بن عربي، إنه خارج عن الشريعة، وقد صنفه للإضلال، ومَنْ طالعه ملحد، ماذا يلزمه؟ أجاب: نعم، فيه كلمات تباين الشريعة، وتكلف بعض المتصلِّفين لإرجاعها إلى الشرع، لكن الذي تيقنْتُه أن بعض اليهود افتراها على الشيخ قدس الله سره، فيجب الاحتياط بترك مطالعة تلك الكلمات، قال العلامة ابن عابدين رحمه الله تعالى في حاشيته على الدر المختار عند قوله: [لكن الذي تيقنْتُه]: وذلك بدليلٍ ثبت عنده، أو لسببِ عدمِ اطلاعه على مراد الشيخ فيها، وأنه لا يمكن تأويلها، فتعيَّن عنده أنها مفتراة عليه، كما وقع للشيخ الشعراني أنه افترى عليه بعض الحساد في بعض كتبه أشياء مكفرة، وأشاعها عنه، حتى اجتمع بعلماء عصره، فأخرج لهم مسودة كتابه التي عليها خطوط العلماء فإذا هي خالية عما افْتُرِيَ عليه، وقال ابن عابدين أيضاً عند قوله: [فيجب الاحتياط]: لأنه إن ثبت افتراؤها فالأمر ظاهر، وإلا فلا يفهم كلُّ أحد مرادَه فيها، فيُخشى على الناظر فيها من الإنكار عليه، أو فهم خلاف المراد) [حاشية ابن عابدين ج3، ص303، وصاحب الدر المختار الشيخ محمد علاء الدين الحصكفي المتوفى سنة 1088هـ]، **ومن المدسوس على الشيخ محي الدين** رحمه الله تعالى أيضاً: القول بأن أهل النار يتلذذون بدخولهم النار، وأنهم لو أخرجوا منها، تعذبوا بذلك الخروج، **قال الشعراني** رحمه الله تعالى: (وإن وُجد نحو ذلك في

شيء من كتبه فهو مدسوس عليه، فإني مررت على كتاب الفتوحات المكية جميعه فرأيته مشحوناً بالكلام على عذاب أهل النار) ["الكبريت الأحمر" ص276 طبعة 1277، كذا في مجلة العشيرة المحمدية عدد محرم 1381 ص21]، **وقال أيضاً:** (كذب مَنْ دسَّ في كتاب الفصوص والفتوحات، أن الشيخ محي الدين بن عربي قال بأن أهل النار يتلذذون بالنار، وأنهم لو أُخرجوا منها لاستغاثوا، وطلبوا الرجوع إليها، كما رأيت ذلك في هذين الكتابين، وقد حذفت ذلك من الفتوحات حال اختصاري لها، حتى ورد عن الشيخ شمس الدين الشريف، بأنهم دسوا على الشيخ في كتبه كثيراً من العقائد الزائغة التي نقلت عن غير الشيخ، فإن الشيخ مِنْ كُمَّل العارفين بإجماع أهل الطريق، وكان جليس رسول الله صلى الله عليه وسلم على الدوام، فكيف يتكلم بما يهدم شيئاً من أركان شريعته، ويساوي بين دينه وبين جميع الأديان الباطلة، ويجعل أهل الدارين سواء؟! هذا لا يعتقده في الشيخ إلا من عزلَ عنه عقله، فإياك يا أخي أن تصدق، من يضيف شيئاً من العقائد الزائغة إلى الشيخ، واحمِ سمعك وبصرك وقلبك، وقد نصحتُك والسلام، وقد رأيت في عقائد الشيخ محي الدين الواسطي ما نصه: ونعتقد أن أهل الجنة والنار مخلدون في دارَيْهِما، لا يخرج أحد منهم من داره أبد الآبدين ودهر الداهرين،، قال: ومرادنا بأهل النار الذين هم أهلها من الكفار والمشركين والمنافقين والمعطِّلين، لا عصاة الموحدين فإنهم يخرجون من النار بالنصوص) ["اليواقيت والجواهر" للشعراني ج2، ص205]، ويؤيد ما ذكرنا بأن هذا القول مدسوس على الشيخ محي الدين ما ذكره الشيخ نفسه في الباب الحادي والسبعين وثلثمائة من الفتوحات، عندما تغلق أبواب النار، كيف يصير أهلها كقطع اللحم حينما تغلي بهم النار ويصير أعلاها أسفلها، وكذلك ما ذكره الإمام الباجوري الشافعي في شرحه على جوهرة التوحيد: (وما يقال بتمرن أهل النار بالعذاب، حتى لو أُلْقُوا في الجنة لتألموا مدسوس على القوم [الصوفية] كيف وقد قال تعالى: {فذُوقُوا فَلَنْ نَزيدَكُم إلا عَذاباً} [النبأ: 30] [حاشية العلامة شيخ الإسلام إبراهيم الباجوري ص108]، فكيف يعتقد مسلم هذه العقيدة الفاسدة التي تخالف عقيدة أهل السنة والجماعة؟ وقد نص على ذلك الشيخ محمد بن يوسف الكافي، بعد أن ذكر فريق الجنة، وأنهم مخلدون فيها ومنعمون، ذكر فريق أهل النار فقال: (وفريق السعير خالدون فيه أبداً، لا ينقطع عنهم ألم العذاب، وقال بعضهم: [ينقطع عنهم، وينقلب في حقهم استلذاذاً، بحيث لو عُرضت عليهم الجنة لأَبوْها، لما هم فيه من الاستلذاذ]، ومعتقد هذا كافر بلا شك ولا ريب، لتكذيبه الله تعالى في خبره: {إنَّ الذينَ كَفَروا وماتوا وهُم كُفَّارٌ أولئكَ عليهِم لعنَةُ اللهِ والملائكَةِ والناسِ أجمعينَ، خالدينَ فيها لا يخفَّفُ عنهُمُ العذابُ ولا هُمْ يُنْظَرُونَ} [البقرة: 161 – 162]، وفي

خبره أيضاً: {إِنَّ الذينَ كفرُوا بآياتِنا سوف نُصْليهم ناراً كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودهُم بَدَّلْناهُم جُلوداً غيرها ليذوقوا العذابَ} [النساء: 56]، وغير ذلك من الآيات الدالة على استمرار عذابهم) [المسائل الكافية للشيخ محمد بن يوسف الكافي التونسي ص19]،

**ومما نسب إلى الشيخ محي الدين رحمه الله تعالى أيضاً افتراءً عليه القولُ: بسقوط التكليف، يقول العلامة الشعراني** رحمه الله تعالى: (وقد ذكر الشيخ محي الدين أنه لا يجوز لولي قط المبادرة إلى فعل معصية اطلع من طريق كشفه على تقديرها عليه، كما لا يجوز لمن كُشف له أن يمرض في اليوم الفلاني من رمضان، أن يبادر للفطر في ذلك اليوم، بل يجب عليه الصبر حتى يتلبس بالمرض، لأن الله تعالى ما شرع الفطر إلا مع التلَبُّس بالمرض أو غيره من الأعذار، قال: وهذا مذهبنا ومذهب المحققين من أهل الله عز وجل) [مجلة العشيرة المحمدية عدد محرم 1381 ص 21]

**ومما دُسَّ على العارف الكبير الشيخ إبراهيم الدسوقي** رحمه الله تعالى قوله: (أذن لي ربي أن أتكلم وأقول أنا الله، فقال لي: قل: أنا الله ولا تبالِ) وفي هذا من الشناعة والاجتراء، ما يغني عن الإطالة [مجلة العشيرة المحمدية عدد محرم 1381 ص23]،

**ومما دُسَّ على رابعة العدوية** رحمها الله تعالى، قولها عن الكعبة: [هذا الصنم المعبود في الأرض] [وقد عمد بعض المغرضين الدساسين إلى تقصي جميع النصوص المدسوسة والمكذوبة على الصوفية ليتخذها ذريعة في حملته المغرضة، وتهجمه الشنيع على الصوفية بأسلوب مقذع وعبارات منحطة بعيدة عن أخلاق الإسلام وصفات المؤمنين لا يدفعه إلى ذلك إلا حقد دفين وهوى نفسي ومآرب شخصية]، وهذا ابن تيمية نفسه يُكذِّب نسبة هذا القول إليها ويبين أنه مدسوس ومكذوب عليها، فقد قال حين سئل عن ذلك: (وأما ما ذكر عن رابعة من قولها عن البيت: إنه الصنم المعبود في الأرض، فهو كذب على رابعة المؤمنة التقية، ولو قال هذا من قال لكان كافراً يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، وهو كذب، فإن البيت لا يعبده المسلمون، ولكنهم يعبدون رب البيت بالطواف به والصلاة إليه) ["مجموعة الرسائل والمسائل" لابن تيمية ج1 ص80.81]،

**ولو ذهبنا نستقصي ألوان التزييف في التاريخ الإسلامي والتصوف لما وَسِعَتْنا هذه الرسالة،** إذ التصوف كان نصيبه من الدس والافتراء أعظم من غيره، لأن المزيفين أدركوا أن التصوف هو

روح الإسلام، وأن الصوفية هم قوته النافذة الضخمة وشعلته الوضاءة المشرقة، فأرادوا أن يطفئوا هذا النور، قال تعالى: {يُرِيدونَ لِيُطْفِئوا نورَ اللهِ بأفواهِهِم واللهُ مُتِمُّ نورِهِ ولو كَرِهَ الكافرونَ} [الصف: 8]، **وإننا لا ننسى أن الذي ساعد على الدس والتضليل والافتراء عدم الطباعة الفنية والمراقبة الشديدة في الماضي**، كما هي عليه اليوم في عصرنا الحاضر من الطبع المنظم، ومن العقوبات القانونية لمن يتجرأ على طبع شيء من الكتب بغير إذن مؤلفها، بخلاف عصر النسْخ للكتب الخطية، فقد كان الدساسون والكذابون يروجون كتباً فيها ما فيها من الدجل والكذب ما الله به عليم، ويُدخلون على كتب العلماء وخصوصاً الصوفية الدسائس والأباطيل، ولكن الله تعالى . وله الحمد . قيَّضَ لهذا الدين رجالاً سهروا على تنقية الكتب الإسلامية، وبيَّنوا المدسوس فيها من الصحيح، ونحن بهذا الكتاب المتواضع نساهم في تنقية التصوف الإسلامي مما علق به من دسائس وأمور دخيلة عليه، لنعيد له صفاءه وبريقه ولينتفع الناس من طاقاته الروحية ونفحته الإيمانية في هذا العصر الذي خيَّمت عليه ظلمات المادية وآثام الإباحية وتيارات الإلحاد والوجودية،،

**[المفتاح الثالث]: التماس العذر وتأويل كلام السادة الصوفية في حال الشطح: قال الشيخ عبد القادر عيسى في كتابه " حقائق عن التصوف ": " تأويل كلام السَّادة الصُّوفية:** إن ما نراه في كتب الصوفية من الأمور التي يخالف ظاهرها نصوص الشريعة وأحكامها، هي: إما أن تكون مدسوسة عليهم من قبل الزنادقة والحسدة وأعداء الإسلام كما بيَّنَّا، وإما أن يكون كلاماً قابلاً للتأويل، تحدثوا به من باب الإشارة أو الكناية أو المجاز، كما نرى ذلك في كثير من الكلام العربي، ونجده بارزاً في كتاب الله تعالى في مواطن عديدة، كما في قوله تعالى: {وأُشرِبُوا في قُلوبِهِمُ العِجْلَ} [البقرة: 93]، أي حب العجل، وقوله تعالى: {واسألِ القريَةَ} [يوسف: 82]، أي أهل القرية، وقوله عز وجل: {أَوَ مَنْ كانَ ميْتاً فأَحْيَيْنَاهُ} [الأنعام: 122]، أي كان ميت القلب، فأحياه الله تعالى، وقوله تعالى: {لتُخرِجَ الناسَ مِنَ الظُّلُماتِ إلى النورِ} [إبراهيم: 1]، أي من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، كما نلاحظ في بعض الآيات القرآنية الكريمة تعارضاً في الظاهر، ولكنا لو تعمقنا في فهمها، ودققنا في مدلولها ومتعلقها، لوجدناها قابلة للتأويل، وبذلك لا نستطيع أن نقول: إن في القرآن تعارضاً أو تصادماً، **فمثلاً**، يقول الله تعالى: {إنَّكَ لا تهدِي مَنْ أحبَبْتَ} [القصص: 56]، ويقول في موطن آخر: {وإنَّكَ لَتَهدِي إلى صراطٍ مُستَقيمٍ} [الشورى: 52]، فقد يرى مَنْ ليس عنده علم في التفسير أن بين النصَّيْن تعارضاً، لأن الأول ينفي عن الرسول صلى الله عليه وسلم الهداية، والثاني يثبت له الهداية،

ولكنه لو سأل أهل الذكر لأخبروه أن الهداية في الآية الأولى بمعنى خلْقِ الهداية، وأن معناها في الآية الثانية الدلالة والإرشاد، فلا تعارض بين النصَّين عند أهلِ الفهم، وكذلك نجد أن بعض الأحاديث النبوية الشريفة لا يصح حملها على ظاهرها، بل لابد من تأويلها على معان تلائم باقي نصوص الشرع، وتطابق صريح القرآن الكريم، وفي هذا المعنى يقول الإمام الشعراني رحمه الله تعالى: (وقد أجمع أهل الحق على وجوب تأويل أحاديث الصفات، كحديث: "ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الآخَر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيَه؟ من يَستغفرني فأغفرَ له؟" [أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب أبواب التهجد عن أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء]، وقد بلغ بأحد الضالين أن يقول، وكان على منبر، فنزل درجة منه وقال للناس: ينزل ربكم عن كرسيه إلى السماء، كنزولي عن منبري هذا، وهذا جهل ليس فوقه جهل) ["التصوف الإسلامي والإمام الشعراني" لطه عبد الباقي سرور ص105]، **ومن جملة التأويل في الحديث**، تأويل حديث "إن الله خلق آدم على صورته" [رواه مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة عن أبي هريرة رضي الله عنه وأول الحديث: "إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه،،"]، قال العلامة ابن حجر الهيثمي رحمه الله تعالى مؤولاً ذلك: (ويصح أن يكون الضمير لله تعالى كما هو ظاهر السياق، وحينئذٍ يتعين أن المراد بالصورة الصفة، أي أن الله تعالى خلق آدم على أوصافه، من العلم والقدرة وغيرهما، ويؤيد هذا الحديثُ الصحيح عن عائشة رضي الله عنها: "كان صلى الله عليه وسلم خُلُقُه القرآن" [هذا الحديث فقرة من حديث طويل ولفظه: "قال سعد بن هشام: يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: ألسْتَ تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قالت: فإن خُلُقَ نبي الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن"، رواه مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل]، وحديث: "تخلقوا بأخلاق الله تعالى"، فالمطلوب من الكامل أن يطهِّر أخلاقه، وأوصافه من كل نقص، ليحصل له نوعُ تأسٍّ بأخلاق ربه، أي صفاته، وإلا فشتَّان ما بين أوصاف القديم والحادث، وبهذا التقرير يُعلَم أن هذا الحديث غاية المدح لآدم عليه السلام، حيث أوجد الله فيه صفاتٍ كصفاته تعالى بالمعنى الذي قررته،، إلى أن قال: والحاصل أن الحديث إن أعيدَ الضمير فيه لله تعالى، وجب تأويله على ما هو المعروف من مذهب الخلف الذي هو أحكمُ وأعلمُ، خلافاً لفرقة ضلوا عن الحق، وارتكبوا عظائِم من الجهة والتجسيم اللذيْن هما كفر عند كثير من العلماء، أعاذنا الله من ذلك بمنِّه وكرمه) [الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيثمي ص214]، **قال العلامة المناوي** في شرحه على الجامع الصغير، عند

قوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله يقول يوم القيامة، يا ابن آدم مرضتُ فلم تعدني، قال: يا رب، كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أمَا علمتَ أنَّ عبدي فلاناً مرض فلم تعده؟ أما علمتَ أنك لو عُدتَه لوجدتني عنده"؟ [أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة عن أبي هريرة رضي الله عنه]... إلخ الحديث: (سئل بعض العارفين عن تَنَزُّلاتِ الحق في إضافة الجوع والظمأ لنفسه، هل الأَوْلى إبقاؤُها على ما وردت، أو تأويلها كما أوَّلها الحق لعبده حين قال: كيف أطعمك،، إلخ؟ فقال: الواجب تأويلها للعوام لئلا يقعوا في جانب الحق بارتكاب محظور وانتهاك حرمة، وأما العارف فعليه الإيمان بها على حد ما يعلمه الله، لا على حد نسبتها للخلق لاستحالته، وحقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق، فلا يجتمع قط مع خلقه في جنس ولا نوع ولا شخص، ولا تلحقه صفةُ تشبيه، لأنها لا تكون إلا لمن يجتمع مع خلقه في حال من الأحوال، ولذا أبقاها السلف على ظاهرها لئلا يفوتَهم كمال الإيمان، لأنه ما كلفهم إلا بالإيمان به لا بماأولوه، فقد لا يكون مراداً للحق، فالأدب إضافتنا إليه كلَّ ما أضافه لنفسه تعالى،، إلخ) [فيض القدير شرح الجامع الصغير للعلامة المناوي ج2 ص 313]، فإذا كان كلام سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وقد أوتي الفصاحة والبلاغة ووضوح اللفظ وإشراق التعبير وجوامع الكلم، قد احتاج في بعض الأحيان إلى التأويل، بحمل معانيه على غير ما يفيده ظاهر لفظه، فإن كلام غيره من أمته ممن لم يبلغ شأوه في البيان والفصاحة قابل للتأويل محتمل للتفسير من باب أولى، **ومن ناحية أخرى، فإن لكل فن من الفنون أو علم من العلوم كالفقه والحديث والمنطق والنحو والهندسة والجبر والفلسفة اصطلاحات خاصة به، لا يعلمها إلا أرباب ذلك العلم**، فهل يفهم الطبيب اصطلاح المهندس، أو يفهم المهندس اصطلاح الطبيب حين يعبر كل منهما عن آلاته ومسميات فنه؟ ومن قرأ كتب علم من العلوم دون أن يعرف اصطلاحاته، أو يطلع على رموزه وإشاراته، فإنه يؤول الكلام تأويلات شتى مغايرة لما يقصده العلماء، ومناقضة لما يريده الكاتبون فيتيه ويضل، **وللصوفية اصطلاحاتهم** التي قامت بعض الشيء مقام العبارة في تصوير مدركاتهم ومواجيدهم، حين عجزت اللغة عن ذلك، فلابد لمن يريد الفهم عنهم من صحبتهم حتى تتضح له عباراتهم، ويتعرف على إشاراتهم ومصطلحاتهم، فيستبين له أنهم لم يخرجوا عن الكتاب والسنة، ولم ينحرفوا عن الشريعة الغراء، وأنهم هم الفاهمون لروحها، الواقفون على حقيقتها، الحارسون لتراثها، **قال بعض العارفين:** (نحن قوم يحرم النظر في كتبنا على من لم يكن من أهل طريقنا) ["اليواقيت والجواهر" للشعراني ج1، ص22]، لأن الغاية من تدوين هذه العلوم إيصالها لأهلها، فإذا اطلع عليها مَنْ ليس من أهلها جهلها، ثم عاداها، لأن الإنسان عدو لما جهل، ولذلك قال

السيد علي بن وفا رحمه الله تعالى: (إنَّ من دَوَّنَ المعارف والأسرار لمْ يدوِّنها للجمهور، بل لو رأى مَنْ يطالع فيها ممَّن ليس هو بأهلها لنهاهُ عنها) [نفس المصدر السابق]،

**وتوضيحاً للموضوع** نقول: إن كلام السادة الصوفية في تحذير من لا يفهم كلامهم ولا يعرف اصطلاحاتهم من قراءة هذه الكتب ليس من قبيل كتم العلم، ولكن خوفاً من أن يفهم الناس من كتبهم غير ما يقصدون، وخشية أن يؤولوا كلامهم على غير حقيقته، فيقعوا في الإنكار والاعتراض، شأن من يجهل علماً من العلوم، لأن المطلوب من المؤمن أن يخاطب الناس بما يناسبهم من الكلام وما يتفق مع مستواهم في العلم والفهم والاستعداد، ولهذا أفرد البخاري في صحيحه باباً في ذلك فقال: "باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا، وقال علي رضي الله عنه: (حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يُكذَّبَ الله ورسولهُ؟" ["صحيح البخاري" كتاب العلم]، قال العلامة العيني رحمه الله تعالى في شرحه لهذا الحديث: (ترك بعض الناس من التخصيص بالعلم لقصور فهمهم، والمراد كلموهم على قدر عقولهم، وفي كتاب العلم لآدم بن إياس عن عبد الله بن داود عن معروف في آخره: "ودعوا ما ينكرون"، أي ما يشتبه عليهم فهمه، وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يُذكَر عند العامة، ومثله قول ابن مسعود رضي الله عنه، ذكره مسلم في مقدمة كتابه بسند صحيح قال: "ما أنتَ بمحدثٍ قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة"، لأن الشخص إذا سمع ما لا يفهمه، وما لا يتصور إمكانه يعتقد استحالته جهلاً، فلا يصدق وجوده، فإذا أُسنِدَ إلى الله ورسوله يلزم تكذيبهما) ["عمدة القاري شرح صحيح البخاري" للإمام العيني ج2، ص204،205]، **وقال الشيخ أحمد زروق** رحمه الله تعالى في قواعده: (في كل علم ما يخص وما يعم، فليس التصوف بأولى من غيره في عمومه وخصوصه، بل يلزم بذل أحكام الله المتعلقة بالمعاملات من كلٍ عموماً، وما وراء ذلك على حسب قابِله لا قدر قائِله، لحديث: "حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يُكذَّب الله ورسوله؟" [رواه البخاري تعليقاً في كتاب العلم باب من خص قوماً دون آخرين عن علي رضي الله عنه]، وقيل للجنيد رحمه الله تعالى: يسألك الرجلان عن المسألة الواحدة فتجيب هذا بخلاف ما تجيب هذا؟ فقال: الجواب على قدر السائل، قال عليه السلام: "أُمِرْنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم" [رواه الديلمي بسند ضعيف عن ابن عباس رضي الله عنهما]) [قواعد التصوف للشيخ زروق ص 7]، **ولهذا ذكر الشيخ محي الدين بن عربي** رحمه الله تعالى في الباب الرابع والخمسين من الفتوحات ما نصه: (اعلم أن أهل الله لم يضعوا الإشارات التي اصطلحوا عليها فيما بينهم لأنفسهم،

فإنهم يعلمون الحق الصريح في ذلك، وإنما وضعوها منعاً للدخيل بينهم، حتى لا يعرف ما هم فيه، شفقةً عليه أن يسمع شيئاً لم يصل إليه فينكره على أهل الله، فيُعاقَبُ بحرمانه، فلا يناله بعد ذلك أبداً، قال: ومن أعجب الأشياء في هذه الطريق، بل لا يوجد إلا فيها، أنه ما من طائفة تحمل علماً من المنطقيّين والنحاة وأهل الهندسة والحساب والمتكلمين والفلاسفة، إلا ولهم اصطلاح لا يعلمه الدخيل فيهم إلا بتوقيف منهم، لابد من ذلك، إلا أهل هذه الطريقة خاصة، فإن المريد الصادق إذا دخل طريقهم، وما عنده خبر بما اصطلحوا عليه، وجلس معهم، وسمع منهم ما يتكلمون به من الإشارات، فَهِمَ جميع ما تكلموا به، حتى كأنه الواضع لذلك الاصطلاح، ويشاركهم في الخوض في ذلك العلم، ولا يستغرب هو ذلك من نفسه، بل يجد علم ذلك ضرورياً لا يقدر على دفعه، فكأنه ما زال يعلمه، ولا يدري كيف حصل له ذلك، هذا شأن المريد الصادق، وأما الكاذب فلا يعرف ما يسمع، ولا يدري ما يقرأ، ولم يزل علماء الظاهر في كل عصر يتُوقون في فهم كلام القوم، وناهيك بالإمام أحمد بن سريج، حضر يوماً مجلس الجنيد، فقيل له: ما فهمتَ من كلامه؟ فقال: لا أدري ما يقول، ولكن أجد لكلامه صولة في القلب ظاهرة، تدل على عمل في الباطن وإخلاص في الضمير، وليس كلامه كلام مبطل، ثم إن القوم لا يتكلمون بالإشارة إلا عند حضور مَنْ ليس منهم، أو في تأليفهم لا غير،، ثم قال: ولا يخفى أن أصل الإنكار من الأعداء المبطلين إنما ينشأ من الحسد، ولو أن أولئك المنكرين تركوا الحسد، وسلكوا طريق أهل الله، لم يظهر منهم إنكار ولا حسد، وازدادوا علماً إلى علمهم، ولكن هكذا كان الأمر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) [اليواقيت والجواهر للشعراني ص19]، **وقال العلامة ابن عابدين** رحمه الله تعالى في حاشيته شارحاً كلام صاحب الدر المختار، حين سئل عن فصوص الحكم للشيخ محي الدين بن عربي: (يجب الاحتياط، لأنه إن ثبت افتراؤها فالأمر ظاهر، وإلا فلا يفهم كل واحد مراده فيها، فيُخشى على الناظر فيها من الإنكار عليه، أو فهم خلاف المراد، وللحافظ السيوطي رسالة سماها: [تنبيه الغبي بتبرئة ابن عربي]، ذكر فيها أن الناس افترقوا فيه فرقتين: الفرقة المصيبة تعتقد ولايته، والأخرى بخلافها، ثم قال: والقول الفصل عندي فيه طريقة لا يرضاها الفرقتان، وهي اعتقاد ولايته وتحريم النظر في كتبه، وقد نُقل عنه أنه قال: [نحن قومٌ يحرم النظر في كتبنا]، وذلك أن الصوفية تواطؤوا على ألفاظ، اصطلحوا عليها، وأرادوا بها معاني غير المعاني المتعارفة منها بين الفقهاء، فمن حملها على معانيها المتعارفة كفر، نص على ذلك الغزالي في بعض كتبه وقال: إنه شبيه بالمتشابه في القرآن والسنة، كالوجه واليد والعين والاستواء، وإذا ثبت أصل الكتاب عنه [عن الشيخ محي الدين] فلابدّ من ثبوتِ كلِّ

كلمة لاحتمال أن يُدس فيه ما ليس منه، من قِبَلِ عدو أو ملحد أو زنديق، وثبوتِ أنه قصد بهذه الكلمة المعنى المتعارف، وهذا لا سبيل إليه، ومن ادَّعاه كفر لأنه من أمور القلب التي لا يطلع عليها إلا الله تعالى، وقد سأل بعضُ أكابر العلماء بعضَ الصوفية: ما حملكم على أنكم اصطلحتم على هذه الألفاظ التي يُستشنع ظاهرها؟ فقال: غيرة على طريقنا هذا أن يدَّعيَه من لا يُحْسنه ويدخل فيه من ليس أهله) [حاشية ابن عابدين ج3 ص303]، **وسئل العلامة ابن حجر الهيثمي** رحمه الله تعالى: ما حكم مطالعة كتب ابن عربي وابن الفارض؟ فأجاب بقوله: (حكمها أنها جائزة مطالعة كتبهما، بل مستحبة، فكم اشتملت تلك الكتب على فائدة لا توجد في غيرها، وعائدة لا تنقطع هواطل خيرها، وعجيبة من عجائب الأسرار الإلهية التي لا ينتهي مددُ خيرها، وكم تَرجمت عن مقامٍ عجز عن الترجمة عنه من سواها، ورمزت برموز لا يفهمها إلا العارفون، ولا يحوم حول حومة حماها إلا الربانيون، الذين هم بين مواطن الشريعة الغراء وأحكام ظواهرها على أكمل ما ينبغي جامعون، ولذلك كانوا بفضل مؤلفيها معترفين،، إلى أن قال: هذا وإنه قد طالع هذه الكتب أقوام عوام جهلة طغام، فأدمنوا مطالعتها، مع دقة معانيها ورقة إشاراتها وغموض مبانيها، وبنائها على اصطلاح القوم السالمين عن المحذور واللوم، وتوقف فهمها بكمالها على إتقان العلوم الظاهرة، والتحلي بحقائق الأحوال والأخلاق الباهرة، فلذلك ضعُفتْ أفهامهم، وزلَّتْ أقدامهم، وفهموا منها خلاف المراد، واعتقدوه صواباً فباؤوا بخسار يوم التناد، وألحدوا في الاعتقاد، وهوت بهم أفهامهم القاصرة إلى هفوة الحلول والاتحاد، حتى لقد سمعتُ شيئاً من هذه المفاسد القبيحة، والمكفرات الصريحة، من بعض من أدمن مطالعة تلك الكتب، مع جهله بأساليبها وعظم ما لها من الخطب، وهذا هو الذي أوجب لكثير من الأئمة الحط عليها، والمبادرة بالإنكار إليها، ولهم في ذلك نوع عذر، لأن قصدهم فطم أولئك الجهلة عن تلك السموم القاتلة لهم، لا الإنكار على مؤلفيها من حيث ذاتهم وحالهم) [الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيثمي المكي ص216]، **وقال الشعراني** رحمه الله تعالى: (وبالجملة فلا تَحِلُّ قراءة كتب التوحيد الخاص، وكتب العارفين إلا لعالم كامل، أو من سلك طريق القوم، وأما من لم يكن واحداً من هذين الرجلين، فلا ينبغي له مطالعة شيء من ذلك، خوفاً عليه من إدخال الشُبَهِ التي لا يكاد الفَطِنُ أن يخرج منها، فضلاً عن غير الفطن، ولكن من شأن النفس كثرة الفضول، ومحبة الخوض فيما لا يعنيها) [التصوف الإسلامي والإمام الشعراني لطه عبد الباقي سرور ص 105.104]، **وقال الشيخ عبد الكريم الجيلي** رحمه الله تعالى في كتابه الإنسان الكامل: (ثم ألتمس من الناظر في هذا الكتاب، بعد أن أعلمه أني ما وضعت شيئاً في هذا الكتاب إلا وهو مؤيَّد بكتاب

الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأنه إذا لاح له شيء من كلامه بخلاف الكتاب والسنة، فليعلم أن ذلك من حيث مفهومه، لا من حيث مرادي الذي وضعتُ الكلام لأجله، فليتوقف عن العمل به مع التسليم، إلى أن يفتح الله عليه بمعرفته، ويحصل له شاهد ذلك من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم،، إلى أن قال: واعلم أن كل علم لا يؤيده الكتاب والسنة فهو ضلالة، لا لأجل ما لا تجد أنت له ما يؤيده، فقد يكون العلم في نفسه مؤيَّداً بالكتاب والسنة، ولكن قلة استعدادك منعك من فهمه، فلم تستطع أن تتناوله بيدك من محله، فتظن أنه غير مؤيد بالكتاب والسنة، والطريقُ في هذا التسليمُ) [الإنسان الكامل لعبد الكريم الجيلي ص5، وليحذر القارىء من مطالعة هذا الكتاب لأن فيه كلمات مخالفة لعقيدة أهل السنة، ولا تقبل التأويل بحال مع أنه قد ألف كتابه مؤيداً بالكتاب والسنة، كما نص عليه مؤلفه في مقدمة كتابه، ونحن متأكدون أن الكثير مما فيه مدسوس عليه، انظر بحث الدس من هذا الكتاب ص398]

**يتبين لنا من هذه النصوص التي نقلناها عن الفقهاء الأعلام والسادة الصوفية أمور أهمها: (أ)** أنه لا يصح لغير السالك في طريق الصوفية، أن يطالع كتبهم، خشية أن يفهمها على غير حقيقتها، وخلاف ما يريده مؤلفوها، لأنه بعيد عن فهم اصطلاحاتهم، ومعرفة إشاراتهم، غير أن كتب الصوفية إجمالاً تنقسم إلى ثلاثة أقسام: **(القسم الأول)**: يبحث عن تصحيح العبادات، وحسن إقامتها بصورتها وروحها، من الخشوع والحضور فيها مع الله تعالى، مع مراعاة آدابها الظاهرة كذلك، **(القسم الثاني )**: يبحث في مجاهدة النفس وتزكيتها، والقلب وأحواله، من تخليته عن صفاته الناقصة كالشكوك والوساوس والرياء والحقد والغل والسمعة والجاه والحسد وغيرها من الصفات المذمومة، وتحليته بالصفات الكاملة كالتوبة والتوكل والرضا والتسليم والمحبة والإخلاص، والصدق والخشوع والمراقبة وغيرها من الصفات الحسنة، وهذان القسمان مذكوران في كتاب الإحياء للإمام الغزالي، وقوت القلوب لأبي طالب المكي، وأمثالهما، وتسمى هذه العلوم علومَ المعاملة، **(القسم الثالث)**: يبحث عن المعارف الربانية والعلوم الوهبية والأذواق الوجدانية والحقائق الكشفية، ومعظم كتب الشيخ محي الدين ابن عربي رحمه الله تعالى من هذا القسم، كالفتوحات المكية والفصوص، وكذلك كتاب الإنسان الكامل للشيخ عبد الكريم الجيلي رحمه الله تعالى، وعلى أمثال هذه الكتب ينصبُّ التحذير من قراءتها لغير السالكين العارفين من الصوفية، وتسمى هذه العلوم علومَ المكاشفة، (ب) أن التصوف لا يُنال بقراءة الكتب، ولا بمعرفة الاصطلاحات بل لابد من السلوك مع رجاله ومجالسة

أهله، قال الشيخ الشعراني رحمه الله تعالى: (سمعت سيدي علياً الخواص رضي الله عنه يقول: إياك أن تعتقد يا أخي إذا طالعت كتب القوم، وعرفت مصطلحهم في ألفاظهم أنك صرت صوفياً، إنما التصوف التخلق بأخلاقهم، ومعرفة طرق استنباطهم لجميع الآداب والأخلاق التي تحلَّوْا بها من الكتاب والسنة) [لطائف المنن والأخلاق للشعراني ج2 ص149]، (ج) أن السادة الصوفية إنما وضعوا هذه الرموز والإشارات كي لا يأخذ علمهم إلا مَنْ سار في طريقهم، وقد بينا أن التصوف لا ينال بقراءة الأوراق، بل بصحبة أهل الأذواق، (د) أن النصوص التي فيها الكفر والزيغ والمُرُوق من الدين مدسوسة على القوم حتماً، لما رأيتَ من تمسكهم بالكتاب والسنة مما مر معك مِنْ نُقُول، (هـ) أن ما ثبت عنهم بالتأكيد، ويمكن تأويله وحمله على وجه صحيح من عقيدة أهل الحق، أهل السنة والجماعة، وجب تأويله عليها، لأنها هي عقيدتهم التي يعتقدونها ويصرحون بها، ويُثبتونها دائماً في مقدمات كتبهم كما هي سنتهم، وانظر إن شئت مقدمة الرسالة القشيرية، والفتوحات المكية، والتعرُّفَ لمذهب أهل التصوف، وإحياء علوم الدين وغيرها من الكتب، (و) أن ما نسب إليهم مما لا يمكن تأويله على وجه صحيح، إن صح عنهم فهو مردود على صاحبه، لا نسلمه له ولا نعتقده، بل نقول بكفر مُعْتَقِدِه، ولكنا لا نكفر شخصاً معيناً، لأنا لا ندري خاتمته، ولأننا مسؤولون أولاً وآخراً عن عقيدة أهل الحق، أهل السنة والجماعة، لا عن عقيدة أي إنسان آخر،

وإليك أيها القارىء الكريم بعض الأمثلة عن أُمور وعبارات أنكرها الجاهلون، فتحاملوا على الصوفية ووصَموهم بالخروج عن الشريعة، ولكنك حين تفهم مرادهم، وتطلع على قصدهم، يتبين لك أن إنكار المنكرين كان إما عن جهل وتسرع، أوعن حسد وتحامل، 1 – يقول الإمام الشعراني رحمه الله تعالى: (مما نُقِلَ عن القوم قولهم: [دخلنا حضرةَ الله، وخرجنا عن حضرةِ الله]، ليس مرادهم بحضرة الله عز وجل مكاناً معيناً، فإن ذلك ربما يُفهم منه التحيُّزُ للحق، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وإنما مرادهم بالحضرة حيث أطلقوا شهودُ أحدهم أنه بين يدي ربه عز وجل، فما دام يشهد أنه بين يديْ ربه عز وجل فهو في حضرته، فإذا حُجب خرج عن حضرته) [لطائف المنن والأخلاق للشعراني ج1، ص127]، 2 – وقال الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي رحمه الله تعالى: (كنت ذات يوم مع بعض إخواني فأنشدت قائلاً: " يا مَنْ يراني ولا أراه كم ذا أراهُ ولا يراني "، فقال ذلك الأخ الذي كان معي لما سمع هذا البيت: كيف تقول إنه لا يراك، وأنت تعلم أنه يراك؟ قال: فقلت مرتجلاً: " يا مَنْ يراني مذنباً ولا أراه آخذاً، كم ذا أراه منعِماً ولا يراني لائِذاً " [كتاب

النصرة النبوية للشيخ مصطفى المدني على هامش الرائية ص82]، 3 – وقال الشعراني رحمه الله تعالى: (ومما نقل عن الغزالي أنه قال: [ليس في الإمكان أبدع مما كان]، ولعل مراده رضي الله تعالى عنه أن جميع الممكنات أبرزها الله على صورةِ ما كانت في علمه تعالى القديم، وعلمه القديم لا يقبل الزيادة، وفي القرآن العظيم: {أَعْطَى كُلَّ شيءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هدى} [طه: 50]، فلو صح أن في الإمكان أبدع مما كان، ولم يسبق به علم الله تعالى للزم عليه تقدم جهل، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً،وهذا هو معنى قول الشيخ محي الدين بن عربي رحمه الله تعالى في تأويل ذلك: إن كلام حجة الإسلام في غاية التحقيق، لأنه ما ثَمَّ إلا رتبتان: قِدَمٌ وحدوث، فالحق تعالى له رتبة القِدَم، والحادث له رتبة الحدوث، فلو خلق الله تعالى ما خلق إلى ما لا يتناهى عقلاً، فلا يرقى عن رتبة الحدوث إلى رتبة القدم أبداً) ["لطائف المنن والأخلاق" للشعراني ج1، ص126]، 4 – وقال محمد أبو المواهب الشاذلي رحمه الله تعالى مؤولاً كلام أبي يزيد رحمه الله تعالى: [خضْنا بحراً وقفتْ الأنبياء بساحله]، (قلنا: خاض العارفون بحر التوحيد أولاً بالدليل، وبعد ذلك وصلوا إلى مرتبة الشهود والعيان، والأنبياء عليهم السلام وقفوا بأول وهلة على ساحل العيان، ثم وصلوا إلى ما لا يعبر عنه بالعرفان، فكانت بدايتهم عليهم السلام نهاية العارفين) [قوانين حكم الإشراق إلى كافة الصوفية في جميع الآفاق، قانون الولاية الخاصة ص58]، 5 – ومما نقل عن أبي الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى قوله: [يصل الولي إلى رتبة يزول عنه فيها كلفة التكليف]، فأجاب أبو المواهب بقوله: (قلنا: يكون الولي أولاً يجد كلفة التعب، فإذا وصل،وجد بالتكليف الراحة والطرب، من باب قوله صلى الله عليه وسلم: "أرحْنا بها يا بلال" [يا بلال أرحنا بالصلاة، رواه الإمام أحمد في مسنده، ورواه أبو داود في كتاب الأدب: باب في صلاة العتمة يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها عن سالم بن أبي الجعد]، ذلك مقصد الرجال) ["قوانين حكم الإشراق" ص59]، 6 – ومن الكلمات التي لها تأويل شرعي صحيح كلمة [مدد] التي يُردِّدها بعض الصوفية، فينادي بها أحدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يخاطب بها شيخه، وحجة المعترِض عليهم أن هذه الكلمة هي سؤال لغير الله واستعانة بسواه ولا يجوز السؤال إلا له ولا الاستعانة إلا به، حيث قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله" [أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وقال: حديث حسن صحيح]، ثم إن الله تعالى بيَّن في كتابه العزيز أنه هو مصدر الإمداد حين قال: {كُلاً نُمِدُّ هؤلاء وهؤلاء مِنْ عطاءِ ربِّك...} [الإسراء: 20]، وقد جهل

هؤلاء المعترضون أن السادة الصوفية هم أهل التوحيد الخالص، الذين يأخذون بيد مريديهم ليذيقوهم حلاوة الإيمان، وصفاء اليقين، ويخلصوهم من شوائب الشرك في جميع صوره وأنواعه،

ولتوضيح المراد من كلمة [مدد] نقول: لابد للمؤمن في جميع أحواله أن تكون له نظرتان: (نظرية توحيدية لله تعالى) بأنه وحده مسبب الأسباب، والفاعل المطلق في هذا الكون، المنفردُ بالإيجاد والإمداد، ولا يجوز للعبد أن يشرك معه أحداً من خلقه، مهما علا قدره أو سمت رتبته من نبي أو ولي،، (ونظرة للأسباب التي أثبتها الله تعالى بحكمته)، حيث جعل لكل شيء سبباً، فالمؤمن يتخذ الأسباب ولكنه لا يعتمد عليها ولا يعتقد بتأثيرها الاستقلالي، فإذا نظر العبد إلى السبب واعتقد بتأثيره المستقل عن الله تعالى فقد أشرك، لأنه جعل الإله الواحد آلهة متعددين، وإذا نظر للمسبِّب وأهمل اتخاذ الأسباب، فقد خالف سنة الله الذي جعل لكل شيء سبباً، والكمال هو النظر بالعينين معاً، فنشهد المسبِّبَ ولا نهمل السبب، ولتوضيح هذه الفكرة **نسوق بعض الأمثلة عليها:** (أ) إن الله تعالى وحده هو خالق البشر، ومع ذلك فقد جعل لخلقهم سبباً عادياً، وهو التقاء الزوجين، وتكوُّنُ الجنين في رحم الأم، وخروجه منه في أحسن تقويم، (ب) وكذلك فإن الله تعالى هو وحده المميت، ولكنه جعل للإماتة سبباً هو ملك الموت، فإذا لاحظنا المسبب قلنا: {اللهُ يَتَوَفَّى الأنْفُسَ...} [الزمر: 42]، وإذا قلنا: إن فلاناً قد توفاه ملك الموت، لا نكون قد أشركنا مع الله إلهاً آخر، لأننا لاحظنا السبب، كما بينه الله تعالى في قوله: {قُلْ يتوَفاكُمْ مَلَكُ الموتِ الذي وُكِّلَ بِكُم} [السجدة: 11]، (ت) وكذلك فإن الله تعالى هو الرزاق، ولكنه جعل للرزق أسباباً عادية كالتجارة والزراعة،، فإذا لاحظنا المسبب في معرض التوحيد، أدركنا قوله تعالى: {إنَّ اللهَ هوَ الرَّزَّاقُ ذو القوَّةِ المتِينُ} [الذاريات: 58]، وإذا لاحظنا السبب وقلنا: إن فلاناً يُرزَقُ من كسبهِ، لا نكون بذلك قد أشركنا، فرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده" [أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، عن المقدام رضي الله عنه]، وقد جمع الرسول صلى الله عليه وسلم بين النظرتين توضيحاً للأمر وبياناً للكمال في قوله: "وإنما أنا قاسم والله يعطي" [أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً، عن معاوية رضي الله عنه]، (ث) وكذلك الأمر بالنسبة للإنعام، ففي معرض التوحيد قوله تعالى: {وما بِكُم مِنْ نِعمَةٍ فَمِنَ اللهِ} [النحل: 53]، لأنه المنعم الحقيقي وحده، وفي معرض الجمع بين ملاحظة المسبِّب والسبب قوله تعالى: {وإذْ تَقولُ للذي أَنْعَمَ اللهُ عليهِ وأنْعَمْتَ عليه...} [الأحزاب: 37]، فليس الرسول

صلى الله عليه وسلم شريكاً لله في عطائه، وإنما سيقت النعم لزيد بن حارثة رضي الله عنه بسببه صلى الله عليه وسلم، فقد أسلم على يديه، وأُعتِقَ بفضله، وتزوج باختياره... (ج) وكذلك بالنسبة للاستعانة، إذا نظرنا للمسبب قلنا: "إذا استعنْتَ فاستعن بالله"، وإذا نظرنا للسبب قلنا: {وتعاونوا على البرِّ والتقوى} [المائدة: 2]، "والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه" [أخرجه مسلم في كتاب الذكر، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، عن أبي هريرة رضي الله عنه]، فإذا قال المؤمن لأخيه: أَعِنِّي على حمل هذا المتاع، لا يكون مشركاً مع الله تعالى أحداً أو مستعيناً بغير الله، لأن المؤمن ينظر بعينيه، فيرى المسبِّب والسبب، وكل من يتهمه بالشرك فهو ضال مضل، (ح) وهكذا الأمر بالنسبة للهداية، إذا نظرنا للمسبب، رأينا أن الهادي هو الله وحده، لهذا قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: {إنَّكَ لا تهدِي مَنْ أحبَبْتَ} [القصص: 56]، وإذا لاحظنا السبب، نرى قول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: {وإنَّكَ لَتَهدي إلى صراطٍ مُستَقيمٍ} [الشورى: 52]، أي تكون سبباً في هداية من أراد الله هدايته، (خ) والعلماء العارفون المرشدون هم ورثة الرسول صلى الله عليه وسلم في هداية الخلق ودلالتهم على الله تعالى، فإذا استرشد مريد بشيخه، فقد اتخذ سبباً من أسباب الهداية التي أمر الله بها، وجعل لها أئمة يدلون عليها {وجَعَلْنا مِنْهُم أَئِمَّةً يَهدُونَ بأمرِنا لمَّا صَبَروا وكانوا بآياتِنا يوقِنونَ} [السجدة: 24]، وصلة المريد هي صلة روحية، لا تفصلها المسافات ولا الحواجز المادية، وإذا كانت الجُدُر والمسافات لا تفصل أصوات الأثير فكيف تفصل بين الأرواح المطلقة؟! لذا قالوا: (شيخك هو الذي ينفعك بُعدُه كما ينفعك قربُه) وبما أن الشيخ هو سبب هداية المريد، فإن المريد إذا تعلق بشيخه، وطلب منه المدد، لا يكون قد أشرك بالله تعالى، لأنه يلاحظ هنا السبب، كما أوضحناه سابقاً، مع اعتقاده أن الهاديَ والمُمِدَّ هو الله تعالى، وأن الشيخ ليس إلا سبباً، أقامه الله لهداية خلقه، وإمدادهم بالنفحات القلبية، والتوجيهات الشرعية، ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو البحر الزاخر الذي يستمد منه هؤلاء الشيوخ وعنه يصدرون، فإذا سلمنا بقيام الصلة الروحية بين المريد وشيخه، سلمنا بقيام المدد المترتب عليها، لأن الله يرزق البعض بالبعض في أمر الدين والدنيا، ولعل القارىء الكريم بعد هذا، قد اكتفى بهذه الأمثلة من كلام القوم، وبتلك النقول الصريحة من عباراتهم، حتى إذا ما رأى كلاماً مشتبهاً يحتمل ويحتمل، أحسن الظن بهم، والتمس سبلاً لتأويل كلامهم بعد أن تبين له أن التأويل جائز في كلام الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وكلام الفقهاء والمحدثين والأصوليين والنحويين وغيرهم، ولهذا قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: (يحرم على كل عاقل أن يسيء الظن بأحد من أولياء الله عز وجل،

ويجب عليه أن يؤول أقوالهم وأفعالهم مادام لم يلحق بدرجتهم، ولا يعجز عن ذلك إلا قليل التوفيق) ["اليواقيت والجواهر" ج1، ص11]،

**[المفتاح الرابع]: برآءة الصوفية من عقيدة الاتحاد والحلول ووحدة الوجود: قال الشيخ عبد القادر عيسى في كتابه " حقائق عن التصوف ":** " إن من أهم ما يتحامل به المغرضون على السادة الصوفية اتهامهم جهلاً وزوراً بأنهم يقولون بالحلول والاتحاد، بمعنى أن الله سبحانه وتعالى قد حلَّ في جميع أجزاء الكون، في البحار والجبال والصخور والأشجار والإنسان والحيوان،، إلخ، أو بمعنى أن المخلوق عين الخالق، فكل الموجودات المحسوسة والمشاهدة في هذا الكون هي ذات الله تعالى وعينه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، ولاشك أن هذا القول كفر صريح يخالف عقائد الأمة، وما كان للصوفية وهم المتحققون بالإسلام والإيمان والإحسان أن ينزلقوا إلى هذا الدرك من الضلال والكفر، وما ينبغي لمؤمن منصف أن يرميهم بهذا الكفر جزافاً دون تمحيص أو تثبت، ومن غير أن يفهم مرادهم، ويطلع على عقائدهم الحقة التي ذكروها صريحة واضحة في أُمهات كتبهم، كالفتوحات المكية، وإحياء علوم الدين، والرسالة القشيرية وغيرها... ولعل بعض المغرضين المتحاملين على الصوفية يقولون: إن هذا القول بتبرئة السادة الصوفية من فكرة الحلول والاتحاد، إنما هو تهرب من الواقع أو دفاع مغرض عن الصوفية بدافع التعصب والهوى، فهلاً تأتون بدليل من كلامهم يبرىء ساحتهم من هذه التهم؟!، **فلبيان الحقيقة الناصعة نورد نبذاً من كلام السادة الصوفية تثبت براءتَهم مما اتُّهموا به من القول بالحلول والاتحاد**، وتحذيرَهم الناسَ من الوقوع في هذه العقيدة الزائغة، وتُظهِر بوضوح أن ما نسب إليهم من أقوال تفيد الحلول أو الاتحاد إما مدسوسة عليهم، أو مؤولة بما يلائم هذه النصوص الصريحة التالية الموافقة لعقيدة أهل السنة والجماعة، **يقول الشعراني** رحمه الله تعالى: (ولعمري إذا كان عُبَّاد الأوثان لم يتجرؤوا على أن يجعلوا آلهتهم عين الله، بل قالوا: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، فكيف يُظَن بأولياء الله تعالى أنهم يدَّعون الاتحاد بالحق على حدٍّ ما تتعقله العقول الضعيفة؟! هذا كالمحال في حقهم رضي الله تعالى عنهم، إذ ما مِن وليٍّ إلا وهو يعلم أن حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق، وأنها خارجة عن جميع معلومات الخلائق، لأن الله بكل شيء محيط) [اليواقيت والجواهر ج1 ص83]، والحلول والاتحاد لا يكون إلا بالأجناس، والله تعالى ليس بجنس حتى يحلَّ بالأجناس، وكيف يحل القديم في الحادث، والخالق في المخلوق!؟ إن كان حلولَ عَرَض في جوهر فالله تعالى ليس عرضاً، وإن كان

حلولَ جوهر في جوهر فليس الله تعالى جوهراً، وبما أن الحلول والاتحاد بين المخلوقات محال، إذ لا يمكن أن يصير رجلان رجلاً واحداً لتباينهما في الذات، فالتباين بين الخالق والمخلوق، وبين الصانع والصنعة، وبين الواجب الوجود والممكن الحادث أعظم وأولى لتباين الحقيقتين، وما زال العلماء، ومحققو الصوفية يبينون بطلان القول بالحلول والاتحاد، وينبهون على فساده، ويحذرون من ضلاله، **قال الشيخ محي الدين بن عربي** رحمه الله تعالى في عقيدته الصغرى: (تعالى الحق أن تحله الحوادث أو يحلها) [الفتوحات المكية للشيخ الأكبر محي الدين بن عربي، كما في اليواقيت والجواهر ج1، ص80-81]، **وقال في عقيدته الوسطى:** (اعلم أن الله تعالى واحد بالإجماع، ومقام الواحد يتعالى أن يحل فيه شيء، أو يحل هو في شيء، أو يتحد في شيء) [الفتوحات المكية للشيخ الأكبر محي الدين بن عربي، كما في اليواقيت والجواهر ج1، ص80-81]، **وقال في باب الأسرار** : (لا يجوز لعارف أن يقول: أنا الله، ولو بلغ أقصى درجات القرب، وحاشا العارف من هذا القول حاشاه، إنما يقول: أنا العبد الذليل في المسير والمقيل) [الفتوحات المكية للشيخ الأكبر محي الدين بن عربي، كما في اليواقيت والجواهر ج1، ص80-81]، **وقال في الباب التاسع والستين ومائة:** (القديم لا يكون قط محلاً للحوادث، ولا يكون حالاً في المحدَث) [الفتوحات المكية للشيخ الأكبر محي الدين بن عربي، كما في اليواقيت والجواهر ج1، ص80-81]، **وقال في باب الأسرار:** (من قال بالحلول فهو معلول، فإن القول بالحلول مرض لا يزول، وما قال بالاتحاد إلا أهل الإلحاد، كما أن القائل بالحلول من أهل الجهل والفضول) [الفتوحات المكية للشيخ الأكبر محي الدين بن عربي، كما في اليواقيت والجواهر ج1، ص80-81]، **وقال في باب الأسرار** أيضاً: (الحادث لا يخلو عن الحوادث، ولو حل بالحادثِ القديمُ لصح قول أهل التجسيم، فالقديم لا يحل ولا يكون محلاً) [الفتوحات المكية للشيخ الأكبر محي الدين بن عربي، كما في اليواقيت والجواهر ج1، ص80-81]، **وقال في الباب التاسع والخمسين وخمسمائة بعد كلام طويل:** (وهذا يدلك على أن العالم ما هو عين الحق، ولا حل فيه الحق، إذ لو كان عينَ الحق، أو حلَّ فيه لما كان تعالى قديماً ولا بديعاً) [الفتوحات المكية للشيخ الأكبر محي الدين بن عربي، كما في اليواقيت والجواهر ج1، ص80-81]، **وقال في الباب الرابع عشر وثلاثمائة:** (لو صحَّ أن يرقى الإنسان عن إنسانيته، والمَلَكُ عن ملكيته، ويتحد بخالقه تعالى، لصحَّ انقلاب الحقائق، وخرج الإله عن كونه إلهاً، وصار الحق خلقاً، والخلق حقاً، وما وثق أحد بعلم، وصار المحال واجباً، فلا سبيل إلى قلب الحقائق أبداً) [الفتوحات المكية للشيخ الأكبر محي الدين بن عربي، كما في اليواقيت والجواهر ج1، ص80-81]، وكذلك جاء في شعره

ما ينفي الحلول والاتحاد كقوله: " ودعْ مقالةَ قوم قال عالمُهم... بأنَّه بالإله الواحد اتحَدا... الاتحادُ مُحُالٌ لا يقول به... إلا جهولٌ به عن عقلهِ شَرَدَا... وعن حقيقتِه وعن شريعتِه... فاعبدْ إلهَك لا تشركْ به أَحَدا "، **وقال أيضاً في الباب الثاني والتسعين ومائتين:** (من أعظم دليل على نفي الحلول والاتحاد الذي يتوهمه بعضهم، أن تعلم عقلاً أن القمر ليس فيه من نور الشمس شيء، وأن الشمس ما انتقلت إليه بذاتها، وإنما كان القمر محلاً لها، فكذلك العبد ليس فيه من خالقه شيء ولا حل فيه) [الفتوحات المكية للشيخ الأكبر محي الدين بن عربي، كما في اليواقيت والجواهر ج1، ص80-81]، **قال صاحب كتاب نهج الرشاد في الرد على أهل الوحدة والحلول والاتحاد:** (حدثني الشيخ كمال الدين المراغي قال: اجتمعتُ، بالشيخ أبي العباس المرسي . تلميذ الشيخ الكبير أبي الحسن الشاذلي . وفاوضْته في هؤلاء الاتحادية، فوجدته شديد الإنكار عليهم، والنهي عن طريقهم، وقال: أتكون الصنعة هي عين الصانع؟!) [الحاوي للفتاوي في الفقه وعلوم التفسير للعلامة جلال الدين السيوطي ج2، ص134]، **وأما ما ورد من كلام السادة الصوفية في كتبهم مما يفيد ظاهره الحلول والاتحاد، فهو إما مدسوس عليهم، بدليل ما سبق من صريح كلامهم في نفي هذه العقيدة الضالة، وإما أنهم لم يقصدوا به القول بهذه الفكرة الخبيثة والنحلة الدخيلة، ولكن المغرضين حملوا المتشابه من كلامهم على هذا الفهم الخاطىء، ورموهم بالزندقة والكفر**، أما الراسخون في العلم والمدققون المنصفون من العلماء فقد فهموا كلامهم على معناه الصحيح الموافق لعقيدة أهل السنة والجماعة، وأدركوا تأويله بما يناسب ما عرف عن الصوفية من إيمان وتقوى، **قال العلامة جلال الدين السيوطي** رحمه الله تعالى في كتابه الحاوي للفتاوي: (واعلم أنه وقع في عبارة بعض المحققين لفظ الاتحاد، إشارة منهم إلى حقيقة التوحيد، فإن الاتحاد عندهم هو المبالغة في التوحيد، والتوحيد معرفة الواحد والأحد، فاشتبه ذلك على من لا يفهم إشاراتهِم، فحملوه على غير محمله، فغلطوا وهلكوا بذلك،، إلى أن قال: فإذن أصل الاتحاد باطل محال، مردود شرعاً وعقلاً وعرفاً بإجماع الأنبياء ومشايخ الصوفية وسائر العلماء والمسلمين، وليس هذا مذهب الصوفية، وإنما قاله طائفة غلاة لقلة علمهم وسوء حظهم من الله تعالى، فشابهوا بهذا القولِ النصارى الذين قالوا في عيسى عليه السلام: اتَّحَد ناسوتُهُ بلاهوتِهِ، وأما مَنْ حفظه الله تعالى بالعناية، فإنهم لم يعتقدوا اتحاداً ولا حلولاً، وإن وقع منهم لفظ الاتحاد فإنما يريدون به محو أنفسهم، وإثبات الحق سبحانه، **قال:** وقد يُذْكَر الاتحاد بمعنى فناء المخالفات، وبقاء الموافقات، وفناء حظوظ النفس من الدنيا، وبقاء الرغبة في الآخرة، وفناء الأوصاف الذميمة، وبقاء الأوصاف الحميدة، وفناء الشك، وبقاء اليقين، وفناء

الغفلة وبقاء الذكر، **قال:** وأما قول أبي يزيد البسطامي رحمه الله تعالى: [سبحاني، ما أعظم شأني] فهو في معرض الحكاية عن الله، وكذلك قول من قال: [أنا الحق] محمول على الحكاية، ولا يُظَنُّ بهؤلاء العارفين الحلول والاتحاد،لأن ذلك غير مظنون بعاقل، فضلاً عن المتميزين بخصوص المكاشفات واليقين والمشاهدات، ولا يُظَنُّ بالعقلاء المتميزين على أهل زمانهم بالعلم الراجح والعمل الصالح والمجاهدة وحفظ حدود الشرع الغلطُ بالحلول والاتحاد، كما غلط النصارى في ظنهم ذلك في حق عيسى عليه السلام، وإنما حدث ذلك في الإسلام من واقعاتِ جهلةِ المتصوفة، وأما العلماء العارفون المحققون فحاشاهم من ذلك،، **إلى أن قال:** والحاصل أن لفظ الاتحاد مشترك، فيطلق على المعنى المذموم الذي هو أخو الحلول، وهو كفر، ويطلق على مقام الفناء اصطلاحاً اصطلح عليه الصوفية، ولا مشاحة في الاصطلاح، إذ لا يمنع أحد من استعمال لفظ في معنى صحيح، لا محذور فيه شرعاً، ولو كان ذلك ممنوعاً لم يجز لأحد أن يتفوه بلفظ الاتحاد، وأنت تقول: بيني وبين صاحبي زيد اتحاد، وكم استعمل المحدِّثون والفقهاء والنحاة وغيرهم لفظ الاتحاد في معان حديثية وفقهية ونحوية، كقول المحدِّثين: اتحد مخرج الحديث، وقول الفقهاء: اتحد نوع الماشية، وقول النحاة: اتحد العامل لفظاً أو معنى، وحيث وقع لفظ الاتحاد من محققي الصوفية، فإنما يريدون به معنى الفناء الذي هو محو النفس، وإثبات الأمر كله لله سبحانه، لا ذلك المعنى المذموم الذي يقشعر له الجلد، وقد أشار إلى ذلك سيدي علي بن وفا، فقال من قصيدة له: " يظنُّوا بي حلولاً واتحاداً وقلبي مِنْ سوى التوحيد خالي "، فتبرأ من الاتحاد بمعنى الحلول، وقال في أبيات أُخَرَ: " وعلمُك أنَّ كلَّ الأمرِ أمْري هو المعنى المسمى باتحاد " فذكر أن المعنى الذي يريدونه بالاتحاد إذا أطلقوه، هو تسليم الأمر كله لله، وترك الإرادة معه والاختيار، والجريُ على مواقع أقداره من غير اعتراض، وترك نسبة شيءٍ ما إلى غيره) [الحاوي للفتاوي في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول والنحو والإعراب وسائر الفنون للعلامة جلال الدين السيوطي صاحب التآليف الكثيرة المتوفى سنة 911 هـ، ج2، ص134]، **ونقل الشعراني عن سيدي علي بن وفا** رحمهما الله تعالى قوله: (المراد بالاتحاد حيث جاء في كلام القوم فناء العبد في مراد الحق تعالى، كما يقال: بين فلان وفلان اتحاد، إذا عمل كل منهما بمراد صاحبه، ثم أنشد: " وعلمُك أنَّ كلَّ الأمرِ أمري هو المعنى المسمَّى باتحاد " [اليواقيت والجواهر للشعراني ج1، ص83]، **وقال العلامة ابن قيم الجوزية** رحمه الله تعالى في كتابه مدارج السالكين شرح منازل السائرين: (الدرجة الثالثة من درجات الفناء: فناء خواص الأولياء وأئمة المقربين، وهو الفناء عن إرادة السوى، شائماً برق الفناءِ عن إرادة ما سواه، سالكاً سبيل

الجمع على ما يحبه ويرضاه، فانياً بمراد محبوبه منه، عن مراده هو من محبوبه، فضلاً عن إرادة غيره، قد اتحد مراده بمراد محبوبه، أعني المراد الديني الأمري، لا المراد الكوني القدري، فصار المرادان واحداً،، ثم قال: وليس في العقل اتحاد صحيح إلا هذا، والاتحاد في العلم والخبر، فيكون المرادان والمعلومان والمذكوران واحداً مع تباين الإرادتين والعلمين والخبرين، فغاية المحبة اتحاد مراد المحب بمراد المحبوب، وفناء إرادة المحب في مراد المحبوب، فهذا الاتحاد والفناء هو اتحاد خواص المحبين وفناؤهم، قد فَنَوْا بعبادة محبوبهم، عن عبادة ما سواه، وبحبه وخوفه ورجائه والتوكل عليه والاستعانة به والطلب منه عن حب ما سواه، ومَنْ تحقق بهذا الفناء لا يحب إلا في الله، ولا يبغض إلا فيه، ولا يوالي إلا فيه، ولا يعادي إلا فيه، ولا يعطي إلا لله، ولا يمنع إلا لله، ولا يرجو إلا إياه، ولا يستعين إلا به، فيكون دينه كله ظاهراً وباطناً لله، ويكون الله ورسولهُ أحبَّ إليه مما سواهما، فلا يوادُّ من حادَّ الله ورسوله ولو كان أقرب الخلق إليه، " بل ُعادي الذي عادى مِن الناسِ كلِّهم جميعاً ولو كانَ الحبيبَ المصافيا "، وحقيقة ذلك فناؤه عن هوى نفسه، وحظوظها بمراضي ربه تعالى وحقوقه، والجامع لهذا كله تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله علماً ومعرفة وعملاً وحالاً وقصداً، وحقيقة هذا النفي والإثبات الذي تضمنتْهُ هذه الشهادة هو الفناء والبقاء، فيفنى عن تأله ما سواه علماً وإقراراً وتعبداً، ويبقى بتألهه وحده، فهذا الفناء وهذا البقاء هو حقيقة التوحيد، الذي اتفقت عليه المرسلون صلوات الله عليهم، وأُنزلت به الكتب، وخلقت لأجله الخليقة، وشرعت له الشرائع، وقامت عليه سوق الجنة، وأسس عليه الخَلْق والأمر،، إلى أن قال: وهذا الموضع مما غلط فيه كثير من أصحاب الإرادة، والمعصوم من عصمه الله، وبالله المستعان والتوفيق والعصمة) [مدارج السالكين شرح منازل السائرين ج1، ص90 و91 للعلامة الشهير ابن قيم الجوزية المتوفى 751هـ]، **وقال في موضع آخر**: (وإن كان مشمراً للفناء العالي، وهو الفناء عن إرادة السوى، لم يبق في قلبه مرادٌ، يزاحم مراده الديني الشرعي النبوي القرآني، بل يتحد المرادان، فيصير عين مراد الرب تعالى هو عين مراد العبد، وهذا حقيقة المحبة الخالصة، وفيها يكون الاتحاد الصحيح، وهو الاتحاد في المراد، لا في المريد ولا في الإرادة) [مدارج السالكين شرح منازل السائرين ج1، ص90 و91 للعلامة الشهير ابن قيم الجوزية المتوفى 751هـ]، **ورغم أن ابن تيمية مخاصم للسادة الصوفية**، وشديد العداوة لهم، فإنه يبرّىءُ ساحتهم من تهمة القول بالاتحاد، ويؤول كلامهم تأويلاً صحيحاً سليماً، أما تبرئته لساحتهم، فقد قال في فتاويه: (ليس أحد من أهل المعرفة بالله، يعتقد حلول الرب تعالى به أو بغيره من المخلوقات، ولا اتحاده به، وإن سُمع شيء من ذلك منقول عن

بعض أكابر الشيوخ فكثير منه مكذوب، اختلقه الأفاكون من الاتحادية المباحية، الذين أضلهم الشيطان وألحقهم بالطائفة النصرانية) [مجموع فتاوى ابن تيمية قسم التصوف ج11، ص74.75]، **وقال أيضاً** : (كل المشايخ الذين يُقتدَى بهم في الدين متفقون على ما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها من أن الخالق سبحانه مباين للمخلوقات، وليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته، وأنه يجب إفراد القديم عن الحادث، وتمييز الخالق عن المخلوق، وهذا في كلامهم أكثر من أن يمكن ذكره هنا) [مجموع فتاوى ابن تيمية قسم علم السلوك ج10، ص223]، وأما تأويله لكلامهم فقد قال في مجموعة رسائله: (وأما قول الشاعر في شعره: " أنا مَنْ أهوى ومَنْ أهوى أنا " فهذا إنما أراد به الشاعر الاتحاد المعنوي، كاتحاد أحد المحبّين بالآخر، الذي يحب أحدهما ما يحب الآخر، ويبغض ما يبغضه، ويقول مثل ما يقول، ويفعل مثل ما يفعل، وهذا تشابه وتماثل، لا اتحاد العين بالعين، إذا كان قد استغرق في محبوبه، حتى فني به عن رؤية نفسه، كقول الآخر: " غبتُ بكَ عنِّي فظننْتُ أنَّك أنِّي " فهذه الموافقة هي الاتحاد السائغ) [مجموع رسائل ابن تيمية ص52]، **من هذه النصوص المتعددة تبين لنا أن كل ما ورد في كلام السادة الصوفية من كلمة [اتحاد] إنما يراد بها هذا الفهم السليم الذي يوافق عقيدة أهل السنة والجماعة**، ولا يصح أن نحمل كلامهم على معان تخالف ما صرحوا به من تبنّيهم لعقيدة أهل السنة والجماعة، وما على المنصف إلا أن يحسن الظن بالمؤمنين، ويؤول كلامهم على معنى شرعي مستقيم [انظر بحث تأويل كلام السادة الصوفية ص 415]،

**<u>وحدة الوجود</u>**: اختلف علماء النظر في موقفهم من العارفين المحققين القائلين بوحدة الوجود، فمنهم من تسرع باتهامهم بالكفر والضلال، وفهم كلامهم على غير المراد، ومنهم من لم يتورط بالتهجم عليهم، فتثبت في الأمر ورجع إليهم ليعرف مرادهم، لأن هؤلاء العارفين مع توسعهم في هذه المسألة لم يبحثوا فيها بحثاً يزيل إشكال علماء النظر، لأنهم تكلموا في ذلك ودوَّنوا لأنفسهم وتلاميذهم لا لمن لم يشهد تلك الوحدة من غيرهم، لذلك احتاج الأمر للإيضاح لتطمئن به قلوب أهل التسليم من علماء النظر، **ومن العلماء الذين حققوا في هذه المسألة، وفهموا المراد منها السيد مصطفى كمال الشريف**، حيث قال: (الوجود واحد، لأنه صفة ذاتية للحق سبحانه وتعالى، وهو واجب فلا يصح تعدده، والموجود هو الممكن، وهو العالَمُ فصح تعدده باعتبار حقائقه، وقيامُه إنما هو بذلك الوجود الواجب لذاته، فإذا زال بقي الوجود كما هو، فالموجود غير الوجود، فلا يصح أن يقال الوجود اثنان: وجود قديم ووجود حادث، إلا أن يراد بالوجود الثاني الموجود من إطلاق المصدر

على المفعول، فعلى هذا لا يترتب شيء من المحاذير التي ذكرها أهل النظر على وحدة الوجود القائل بها أهل التحقيق،، إلى أن قال: الحِسُّ لا يرى إلا الهياكل أي الموجود، والروحُ لا تشهد إلا الوجود، وإذا شهدت الموجود فلا تشهده إلا ثانياً، على حدِّ مَنْ قال: ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله، وأراد بهذه الرؤية الشهودَ لا رؤية البصر، لأن الرؤية من خصائص البصر، والشهود من خصائص البصيرة، لذلك ورد: أشهد أن لا إله إلا الله، ولم يرد أرى، بل ولا يصح أن يقال: أرى) [رسالة وحدة الوجود للعلامة مصطفى كمال الشريف ص27 – 28]، وهكذا شأن العلماء المنصفين، يغارون على الشريعة الغراء، ويتثبَّتون في الأمور، دون أن يتسرعوا بتكفير أحد من المؤمنين، ويرجعون في فهم كل حقيقة إلى أهل الاختصاص بها، ونظراً لأن مسألة وحدة الوجود أخذت حظاً كبيراً من اهتمام بعض العلماء، وشغلت أذهان الكثير منهم، أردنا أن نزيد الموضوع إيضاحاً وتبسيطاً خدمة للشريعة وتنويراً للأفهام فنقول: **إن الوجود نوعان: وجود قديم أزلي**، وهو واجب، وهو الحق سبحانه وتعالى، قال تعالى: {ذلِكَ بأنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ} [الحج: 22]، أي الثابت الوجود، المحَقَّق، **ووجود جائز عرضي ممكن**، وهو وجود من عداه من المُحْدَثات، وإن القول بوحدة الوجود، وأن الوجود واحد هو الحق تعالى يحتمل معنيين: أحدهما حق، والثاني كفر، **ولهذا فالقائلون بوحدة الوجود فريقان: (1) الفريق الأول**: أرادوا به اتحاد الحق بالخلق، وأنه لا شيء في هذا الوجود سوى الحق، وأن الكل هو، وأنه هو الكل، وأنه عين الأشياء، وفي كل شيء له آية تدل على أنه عينه،، فقوله هذا كفر وزندقة وأشد ضلالة من أباطيل اليهود والنصارى وعبدة الأوثان، وقد شدَّد الصوفية النكير على قائله، وأفتَوْا بكفره، وحذَّروا الناس من مجالسته، قال العارف بالله أبو بكر محمد بناني رحمه الله تعالى: (فاحذر يا أخي كلَّ الحذر من الجلوس مع من يقول: ما ثَمَّ إلا الله، ويسترسل مع الهوى، فإن ذلك هو الزندقة المحضة، إذ العارف المحقق إذا صح قدمه في الشريعة، ورسخ في الحقيقة، وتَقَوَّىَ بقوله: ما ثَمَّ إلا الله، لم يكن قصدهُ من هذه العبارة إسقاطَ الشرائع وإهمال التكاليف، حاش لله أن يكون هذا قصده) [مدارج السلوك إلى ملك الملوك للعارف الكبير محمد بناني المتوفى 1284هـ]، **(2) الفريق الثاني**: قالوا ببطلان وكفر ما ذُكِرَ، من أن الخالق عين المخلوق، وإنما أرادوا بوحدة الوجود وحدة الوجود القديم الأزلي، وهو الحق سبحانه، فهو لاشك واحد منزه عن التعدد، ولم يقصدوا بكلامهم الوجود العرضي المتعدد، وهو الكون الحادث، نظراً لأن وجوده مجازي، وفي أصله عَدَمِيٌ لا يضر ولا ينفع، فالكون معدوم في نفسه، هالك فانٍ في كل لحظة، قال تعالى: {كُلُّ شَيءٍ هالِكٌ إلا وَجهَهُ} [القصص: 88]، وإنما يُظهره الإيجاد، ويُثْبتُه الإمداد، الكائنات

ثابتة بإثباته، وممحوةٌ بأَحدِّيَة ذاته، وإنما يُمْسكه سر القيومية فيه، وهؤلاء قسمان: 1 – قسم أخذ هذا الفهم بالاعتقاد والبرهان، ثم بالذوق والعَيان، وغلب عليه الشهود، فاستغرق في لُجج بحار التوحيد، ففني عن نفسه فضلاً عن شهود غيره، مع استقامته على شرع الله تعالى وهذا قوله حق، 2 – وقسم ظن أن ذلك علم لفظي، فتوغل في تلاوة عباراته، وتمسَّك بظواهر إشاراته، وغاب في شهودها عن شهود الحق، فربما هانت الشريعة في عينيه، لما يلتذ به من حلاوة تلك الألفاظ، فيقع على أم رأسه، ويتكلم بما ظاهره أن الشريعة في جهة يختص بها أهل الغفلة، والحقيقة في جهة أخرى يختص بها أهل العرفان، ولَعمري إن هذا لهو عين الزور والبهتان، وما ثَمَّ إلا شريعةٌ ومقامُ إحسان، وعلى كلٌّ فالأَوْلى بالصوفي في هذا الزمان أن يبتعد عن الألفاظ والتعابير التي فيها إيهام أو غموض أو اشتباه، لئلا يوقع الناس بسوء الظن به، أو تأويل كلامه على غير ما يقصده، ولأن كثيراً من الزنادقة والدخلاء على الصوفية قد تكلموا بمثل هذه العبارات الموهمة والألفاظ المتشابهة، لِيَظْهروا ما يُكِنُّونَه في قلوبهم من عقائد فاسدة، ولِيصلوا بذلك إلى إباحة المحرمات، ولِيبرِّرُوا ما يقعون فيه من المنكرات والفواحش، فاختلط الحق بالباطل، وأُخِذَ المؤمن الصادق بجريرة الفاسق المنحرف، لهذا سيَّجَ الصوفية بواطنهم وظواهرهم بالشريعة الغرَّاء، وأوْصَوْا تلامذتهم بالتمسك بها قولاً وعملاً وحالاً، فهي عندهم باب الدخول وسلم الوصول، ومَنْ حاد عنها كان من الهالكين، وقد مر بك كلام الصوفية في التمسك بالشريعة فارجع إليه في هذا الكتاب، **أما ما ثبت من كلام أعلام الصوفية مما فيه غموض أو اشتباه فمردُّه أحد سببين:** أ . إما لأنهم التزموا اصطلاحاتٍ ورموزاً وإشاراتٍ لا يفهمها غيرهم كما أشرنا إلى ذلك في بحث التأويل، ب . وإما لأنهم تكلموا بها في حالات الغلبة والشطح، ولذلك لا يجوز لمن لم يذق مذاقهم ولم يبلغ مراتبهم أن يقلدهم في هذه العبارات ويتشدق بها أمام الناس]، **وختاماً نقول:** إن تلك النقول عن العلماء الأعلام، وعن الصوفية أنفسهم، تكشف للقارىء الكريم أن الصوفية مُبَرؤُون مما نُسب إليهم من القول بالحلول والاتحاد، ووحدة الوجود، وأن كلامهم مؤوَّل على وجه شرعي، وموافق لما عليه أهل السنة والجماعة، من العقيدة الصحيحة السليمة، وأنهم ما نالوا هذه المواهب العرفانية إلا بالتمسك بالكتاب والسنة، وأنهم حقيقة رجال السلف الصالح . رضي الله عنهم . الذين تمسكوا بهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأفلحوا وتحققوا بالاتباع الكامل له عليه الصلاة والسلام، فنالوا الرضى من الله تعالى، وفازوا بسعادة الدارين، {وَمَنْ يُطِعِ اللهَ والرسولَ فأولئِكَ معَ الصِّدِّيقينَ والشهداءِ والصالحينَ وحَسُنَ أولئكَ رفيقاً} [النساء: 69]،

**[المفتاح الخامس]: برآءة التصوف الصحيح من أدعياء التصوف، وبيان من هم أعداء التصوف: قال الشيخ عبد القادر عيسى في كتابه " حقائق عن التصوف ":** " لقد شوَّهَ التصوفَ رجالٌ مغرِضونَ تَزَيَّوْا بزيه، وانتسبوا له، فأساؤوا إليه بأقوالهم وأفعالهم وسيرتهم، والتصوف منهم براء، فمن أجل خدمة الحق وإظهاره علينا أن نفرق بين أدعياء التصوف المنحرفين، وبين السادة الصوفية الصادقين العارفين، وخصوصاً الأئمة منهم الذين كانت لهم درجات عليا في الإيمان والتقوى والورع، وآثار كبرى في نشر الأخلاق والدين والدعوة إلى الله تعالى في سائر العصور والبلدان، وعلينا أن نقف وقفة رجل متمسك بشرعه ودينه ونقول: هناك فرق كبير بين التصوف والصوفي، وليس المتصوف بانحرافه وشذوذه ممثلاً للتصوف، كما أن المسلم بأفعاله المنكَرة ليس ممثلاً لإسلامه ودينه، ومتى كان في شريعة الحق والدين أن يُؤَاخذ الجار بظلم الجار؟ وأن يتحمل الإسلامُ في جوهره النقي أخطاءَ المسلمين المنحرفين؟ وأن تنسب إلى هذه الفئة الطيبة النقية أخطاءُ المتصوفة الشاذين؟ وإنكار بعض العلماء على أفعال شاذة منسوبة إلى الصوفية إنما يستهدف هؤلاء الغلاة المنحرفين من أدعياء التصوف، ولطالما حذَّر مرشدو الصوفية الناسَ منهم، قال الشيخ أحمد زروق رحمه الله تعالى في كتابه قواعد التصوف: (فغلاةُ المتصوفة كأهل الأهواء من الأصوليين، وكالمطعون عليهم من المتفقهين، يُرَدُّ قولُهم، ويُجتنَبُ فعلُهم، ولا يُترَكُ المذهب الحق الثابت بنسبتهم له وظهورهم فيه) إلخ [قواعد التصوف للشيخ أحمد زروق قاعدة 35، ص13]، إن الخير والشر موجود في كل طائفة من الناس إلى يوم القيامة، فليس كل الصوفية سواء، كما أنه ليس كل العلماء والفقهاء والمدرسين والقضاة والتجار والأمراء سواء، إذ فيهم الصالح وفيهم الأصلح، وفيهم الفاسد وفيهم الأفسد، هذا أمر ظاهر لا شبهة فيه عند الجمهور اعرفِ الحقَّ تعرفْ أهلَه، ويعرف الرجال بالحق لا الحق بالرجال، ونحن ننكر ما أنكره العلماء على هؤلاء الأدعياء من المتصوفة المنحرفين، الشاذين عن دين الله تعالى، وأما المتمسكون بالكتاب والسنة، المستقيمون على شرع الله تعالى فهم الذين نَعنيهم، ونقتفي أثرهم، وسنعرض لك في الفصل التالي شهادة علماء الأمة الإسلامية من سلفها إلى خلفها بهم،

**من هم أعداء التصوف:** إن الذين طعنوا في التصوف الإسلامي، وتهجموا عليه، واتهموه بشتى أنواع الأكاذيب والافتراءات، ورموه بالانحراف والزيغ، إما أن يكون باعثهم على ذلك الحقد والعداوة المتأصلة للإسلام، وإما أن يكون سبب وقوعِهم في هذا الإثم جهلهم المطبق بحقيقة التصوف:

1 – **أما الصنف الأول: فهم أعداء الإسلام من الزنادقة المستشرقين** وأذنابهم وعملائهم الذين صنعتْهم الصليبية الماكرة والاستعمار البغيض، لطعن الإسلام ودك حصونه، وتشويه معالمه، وبث سموم الفرقة والخصام بين صفوف أبنائه، وقد كشفهم السيدُ محمد أسد، في كتابه: الإسلام على مفترق الطرق في بحث: شبح الحروب الصليبية [انظر كتاب الإسلام على مفترق الطرق ص52، أما المؤلف فنمساوي الأصل وكان اسمه ليوبولدفايس، فاعتنق الإسلام وتسمى باسم "محمد أسد" وينصرف في الوقت الحاضر إلى ترجمة معاني القرآن الكريم وصحيح البخاري إلى اللغة الإنكليزية]، وقد عكف هؤلاء المغرضون على دراسة الإسلام دراسة دقيقة مستفيضة كي يعرفوا سرَّ قوَّته، ولِيعلموا من أي باب يلجون، وفي أي طريق يسيرون للوصول إلى أهدافهم الماكرة ومآربهم الخبيثة، ومن أشهر كتَّابهم: نكلسون الإنكليزي، وجولدزيهر اليهودي، وماسينيون الفرنسي وغيرهم، فتارة يدُسُّون السم في الدسم، ويمدحون الإسلام في بعض كتبهم كي ينالوا ثقة القارىء، فإذا اطمأنَّ إليهم، وركن إلى أقوالهم شككوه في عقائده، وحشوا قلبه بأباطيل ألصقوها بالإسلام زوراً وبهتاناً، وتارة ينْتحلون صفة الباحث العلمي المتجرد، أو يلبسون ثوب الغيور على الدين، المتباكي على تراثه، فيشنون حملةً شعْواء على التصوف، وقد عرفوا أنه روح الإسلام وقلبه النابض، فيدّعون أنه مقتبس من اليهودية أو النصرانية أو البوذية، ويتهمون رجاله بعقائد مكفرة وأفكار منحرفة ضالة، كالقول بالحلول والاتحاد، ووحدة الوجود، ووحدة الأديان، وغير ذلك، ونحن لا نعتِبُ عليهم لأنهم أعداء، وهذا شأن العدو الماكر، ولا ندخل في تفاصيل الردِّ عليهم، وتفنيد افتراءاتهم بعد أنْ علمنا أغراضهم ومآربهم الخبيثة، ولكننا نعتب على جماعة يدّعون الإسلام ثم يتبنَّون آراءَ هؤلاء الخصوم الألداء وخصوصاً في طعن الإسلام في روحه وجوهره، ألا وهو التصوف، فهل يصِح لمسلم عاقل أن يتخذ أقوال الأعداء المتحاملين المغرضين الكافرين حجة لطعن إخوته المؤمنين؟! سبحانك هذا بهتان عظيم، ولو كان هؤلاء المستشرقون صادقين في دفاعهم عن الإسلام مخلصين في زعمهم بتنقيته من الشوائب وغيرتهم عليه وحبهم له، فلماذا لم يعتنقوه؟! ولِمَ لم يتخذوه منهجاً لهم في حياتهم؟!

2 – **وأما الصنف الثاني: فهم الذين جهلوا حقيقة التصوف الإسلامي ولم يأخذوه عن رجاله الصادقين وعلمائه المخلصين، بل نظروا إليه نظرة سطحية بعيدة عن التمحيص والتبين**، وهؤلاء أقسام: (أ) **قسم أخذوا فكرتهم عن التصوف من خلال أعمال وسلوك بعض الدخلاء والمنحرفين**

من أدعياء التصوف، دون أن يُفرِّقوا بين التصوف الحقيقي الناصع، وبين بعض الوقائع المشوهة التي تصدر عن الدخلاء على الصوفية والتي لا تَمُتُّ إلى الإسلام بصلة [انظر بحث بين الصوفية وأدعياء التصوف ص449 في هذا الكتاب]، (ب) **وقسم خُدعوا بما وجدوه في كتب السادة الصوفية من أمور مدسوسة أو مسائل دخيلة**، فأخذوها على أنها حقائق ثابتة، دون تحقيق أو تثبت [انظر بحث الدس على العلوم الإسلامية ص 398 في هذا الكتاب] أو إنهم أخذوا الكلام الثابت في كتب الصوفية ففهموه على غير مراده، حسب فهمهم السطحي وعلمهم المحدود، وأهوائهم الخاصة، دون أن يرجعوا إلى كلام الصوفية الواضح الذي لا يحيد عن لب الشريعة، والذي يعطي الضوء الناصع والنور الكاشف لتأويل هذا الكلام المتشابه [انظر بحث التأويل ص 415 في هذا الكتاب]، مثلهم في ذلك كمثل الذي في قلبه زيغ ومرض، فأخذ الآيات القرآنية المتشابهة في القرآن الكريم فأوَّلها حسب هواه وانحرافه، دون أن يلتفت إلى سائر الآيات القرآنية المُحْكَمَة التي تُلْقي النور على معاني هذه الآيات المتشابهة وتوضح معانيها، وتبين أغراضها، قال الله تعالى في حقهم: {هُوَ الذي أنْزَلَ عليكَ الكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الكتابِ وأُخَرُ مُتشابهاتٌ فأمَّا الذينَ في قُلوبِهِم زيغٌ فيتَّبِعونَ ما تشابَهَ منهُ ابتغاءَ الفتنَةِ وابتغاءَ تأويلِهِ} [آل عمران: 7]، لهذا ولئلا يلتبس الأمر على جاهل أحمق أو مغرض متحامل، وضع علماء الصوفية عقائدهم صريحة واضحة لا تحيد عن مذهب أهل السنة والجماعة، ومنهم الشيخ محي الدين رحمه الله تعالى، فقد ذكر عقيدته واضحة مفصلة في مطلع كتابه الفتوحات المكية، وكذلك صاحب الرسالة القشيرية وغيرهما، (ج): **وقسم هم المغشوشون المخدوعون الذين أخذوا ثقافتهم وعلومهم عن المستشرقين** كما بيَّنَّا سابقاً، وتَبنَّوا مزاعمهم وأباطيلهم كأنها بَدَهياتٌ لا تقبل الجدل، أو تنزيل من حكيم حميد، ولم تسعفهم الفطانة والذكاء إلى إدراك حقيقة هؤلاء المستشرقين الذين نَصَبُوا أنفسهم وجنَّدوا ثقافتهم لهدم الإسلام، بتشويه معالمه، وطعنه في جوهره وروحه، إلا أن هذه الأمة الإسلامية لا تزال فيها طائفة ظاهرة على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله [أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الاعتصام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون" ومرَّ الحديث وعزوه ص42]، ولو اجتمع الثقلان على حربهم قبيلاً، يدعونَ مَنْ ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، ويبصرون بنور الله أهلَ الضلال والعمى، اهتدوا بهدي النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه، واستضاءوا بنوره على مر الأزمان والدهور،

***

# المبحث الثامن عشر

# أهل التصوف والمرجعية العقائدية

**[المفتاح الأول]: ينتسب أهل التصوف في العقيدة إلى إحدى ثلاث مدارس عقائدية :** تمثل التخصص العقائدي في دين الإسلام، لقد استقر لأهل السنة والجماعة في العقيدة ثلاثة مذاهب متخصصة لا رابع لها سوى الميل إلى الافراط أو التفريط، وهي (المدرسة الأثرية) مع ضرورة التنبيه إلى الفرق بين المدرسة الأثرية المتخصصة وبين المدرسة الحشوية المبتدعة، والمدرسة الثانية هي (المدرسة الأشعرية)، والمدرسة الثالثة: (المدرسة الماتريدية)،

**[المفتاح الثاني]: بداية ظهور التخصص في العقيدة:** أصول تلك الفرق الضالة المضلة المؤثرة في العالم الإسلامي أربعة هي (الخوارج) و (الروافض) و (المعتزلة) و (الحشوية)، وكان من أهم أسباب ظهوره تلك الفرق هو تتبع المتشابه الذي حذر منه القرآن الكريم بقوله تعالى: **{هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**

**يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} [آل عمران: 7}**، ففي الآية وصف الله تعالى متتبعي المتشابه بأن في قلوبهم زيغ يتتبعون المتشابه ويتركون المحكم ابتغاء الفتنة وهي الخلاف والفرقة بين المسلمين، وعلى ذلك فكل ما أدى تتبعه إلى الفرقة والخلاف بين المسلمين، فهو من المتشابه الذي ينبغي أن يرد إلى المحكم، ومثال ذلك الآيات المتعلقة بالقدر حيث أدى تتابع المتشابه فيها إلى ظهور القدرية (المعتزلة) في جهة والجبرية في جهة أخرى، وكذلك الآيات المتعلقة بالإيمان، فإنّ تتبع المتشابه فيها أدى إلى ظهور الخوارج والمعتزلة في جهة والجهمية والمرجئة في جهة أخرى، وكذلك الآيات المتعلقة بجناب ذات الله تعالى وتقدس حيث أدى تتابع المتشابه فيها إلى ظهور الجهمية والمعتزلة في جهة التعطيل حتى نفوا صفات الله تعالى المحكمة، وإلى ظهور الحشوية في جهة التجسيم، **وحتى نسبوا لوازم التجسيم من الحد والمقدار والصور والأشكال والكون في المكان إلى جناب ذات الله تعالى**، وهكذا فإنّ تتبع المتشابهات يؤدي إلى الزيغ والخلاف الفرقة والفتنة والضلال، **وعندما استفحل أمر الفرق الضالة**، بدأ اهل الحق في تأصيل المنهج العقائدي بالتوفيق في هذه المسائل بين كافة أدلة الكتاب والسنّه، ورد المتشابه إلى أمه وأصله، وهو المحكم فتبدو وكأنها نسيج واحد لا ترى فيه من فطور بل تتفق وتتآلف ولا يكون بينها تعارض ولا اختلاف وهذا الفقه هو ما تميز به علماء أهل السنّه والجماعة الأئمة الأعلام فجمعوا بين الأدلة ووفقوا بينها، وحملوا الأقوال المتعارضة على محاملها الصحيحة فصار الاعتقاد بكافة أحكامه ومسائله نسيج واحد يدل ويؤكد أنه دين الله عز وجل الذي رضيه لعباده، قال تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} [النساء: 82]، هذا هو فعل المتخصصين الراسخين في العلم الذين مكنهم علمهم من الاستنباط الصحيح، قال تعالى: {وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا} [النساء: 83]، وصار لأهل السنة والجماعة ثلاث مدارس في الأصول لا رابع لها إلا الميل إلى الاعتزال أو التشبيه، وهي **(المدرسة الأثرية)** وعليها فضلاء السادة الحنابلة إلا من مال إلى الحشو والتجسيم وسوء الادب مع الله تعالى بسبب عدم العلم بقواعد التقديس أو بسبب تسرب مفردات عقيدة الحشو إليهم، **(والمدرسة الأشعرية)** وعليها فضلاء السادة المالكية والسادة الشافعية وهم سواد العلماء المتخصصين في العقيدة على مذهب أهل السنة والجماعة – إلا من مال إلى الحشو أو الاعتزال –، **(والمدرسة الماتريدية)** وعليها فضلاء السادة الأحناف إلا من مال إلى

الحشو أو الاعتزال، وهذه المدارس الفاضلة الثلاث تمثل أهل السنة والجماعة في باب العقيدة، وعلماؤها هم **أهل الفقه الأكبر في الدين،**

**[المفتاح الثالث]: اتباع المتشابه هو الذي أهلك الفرق الضالة: ولهذا حذر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من اتباع المتشابهات، أخرج البخاري ومسلم عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: تَلا رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآيةَ: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ}، قالَتْ: قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: (فإذا رأيتَ الذين يتَّبِعون ما تَشابَه منه، فأولئك الذين سَمَّى اللهُ، فاحذَروهم) [متفق عليه]، والأمثلة الصحيحة الواقعية للمتشابه: جميع الآيات التي أدى اتباعها إلى الزيغ والضلال ومخالفة منهاج السنّة والجماعة الناجية، ومثال ذلك الآيات المتعلقة بالقدر، والآيات المتعلقة بالإيمان، والآيات المتعلقة بمتشابه الصفات والأخبار، وطريقة أهل السنة في ذلك هي التوفيق في هذه المسائل بين كافة أدلة الكتاب والسنّه، ورد المتشابه إلى أمه وأصله، وهو المحكم فتبدو وكأنها نسيج واحد لا ترى فيه من فطور بل تتفق وتتآلف ولا يكون بينها تعارض ولا اختلاف وهذا الفقه هو ما تميز به علماء أهل السنّه والجماعة الأئمة الأعلام فجمعوا بين الأدلة ووفقوا بينها، وحملوا الأقوال المتعارضة على محاملها الصحيحة فصار الاعتقاد بكافة أحكامه ومسائله نسيج واحد يدل ويؤكد أنه دين الله عز وجل الذي رضيه لعباده، قال تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} [النساء: 82]،**

**[المفتاح الرابع]: من الذي يعلم المتشابه: جميع من تكلم في تفسير القرآن نقل اختلاف العلماء في تحديد من الذي يعلم المتشابه، فمن قال أن الوقف لازم عند لفظ الجلالة {الله} من قوله تعالى: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ}، قال: لا يعلم المتشابه إلا الله وحده، وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ (أي المتشابه) كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا (أي المحكم والمتشابه) فنعمل بالمحكم ونفوض علم المتشابه إلى الله، وهو قول ابن عمر من الصحابة رضي الله عنهم، وهو قول: عروة بن الزبير وعمر بن عبدالعزيز وغيرهم من التابعين، وهو مذهب الكسائي والأخفش والفراء وأبي عبيد وغيرهم من أهل اللغة، وحكى الطبري نحوه عن يونس عن أشهب عن مالك بن أنس رحمه الله، ومن قال أنّ الوقف عند لفظ الراسخون في العلم من قوله تعالى: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ**

فِي الْعِلْمِ} قال: إنّ الله تعالى رزق الراسخين في العلم علم المتشابه، وهو قول ابن مسعود وأبي بن كعب وابن عباس وعائشة من الصحابة رضي الله عنهم، وهو قول مجاهد والربيع ومحمد بن جعفر بن الزبير والقاسم بن محمد وغيرهم من التابعين، [أنظر تفسير القرطبي والطبري وابن كثير في تفسير الآية]، والخلاف في المسألة لفظي: فإن من المتشابه ما لا يعلمه إلا الله تعالى وهو كل ما يتعلق بحقيقة ذات الله تعالى وحقيقة صفاته وحقيقة أفعاله ومنها سر القضاء والقدر الذي لا يعلم حقيقته إلا الله، ومهمة العلماء تجاه هذا المتشابه هو الإيمان وتفويض العلم الحقيقي فيه إلى الله وحده، لأنّه لا قبل لمخلوق في إدراك ذات الخالق وحقائق صفات الخالق، وللعلماء دور آخر مهم وهو تقليل أثر المتشابه وذلك بعدم تتبعه، وحمله ما أمكن على محكمه، وتفويض حقائق علمه إلى الله وحده، ومن المتشابه ما يمكن أن يعلمه العلماء مع الاجتهاد والاستنباط وإعمال الجهد في فهم النصوص، وحمل المتشابه على المحكم، ومثال ذلك كل ما يتعلق بالدين نفسه في مسائل الإيمان والكفر والتوحيد والشرك والسنّة والبدعة، وعموم مسائل الأسماء والأحكام مما لا يتعلق بحقائق ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله، ومن هذا التفصيل نعلم أن كلا القولين صحيح بالوقف على: لفظ الجلالة (الله) أو بالوقف على: (الراسخون في العلم)، ولكن وفق طبيعة المتشابه ونوعيه، إذ منه ما لا يعلمه سوى الله وحده، ومنه ما يعلمه الراسخون في العلم مع الاجتهاد والاستنباط،

**[المفتاح الخامس]**: آيات الصفات منها آيات محكمات وأخر متشابهات: منها آيات محكمات تدل على الكمال من كل وجه، وهناك آيات متشابهات يؤدي إثبات ظواهرها إلى نسبة النقص أو العجز أو الحدوث أو القصور إلى ذات الله تعالى وصفاته: فمن المحكم – على سبيل المثال – (صفة العلم) وهي صفة كمال من كل وجه، وضدها الجهل وهو مستحيل على جناب الله تعالى، و (صفة القدرة) وهي صفة كمال من كل وجه وضدها (العجز)، وهو مستحيل على جناب الله تعالى، وجميع الأسماء الحسنى الثابتة في حق الله تعالى تدل على صفات محكمة لله تعالى، أما المتشابهات فهي (الأخبار) التي توهم النقص أو العجز أو العيب في حق الله تعالى، وتلك المتشابهات أقسام: فمنها نصوص توهم الجارحة والتبعض والتجزئ إلى ذات الله تعالى كالوجه والعين واليد، وهذه تعارض صفة الاحدية لله تعالى، وهناك آيات توهم التغير والحدوث كالمجيء والإتيان والنزول والاستواء، وهذه تعارض صفة القدم الأزلي لله تعالى، سبحانه هو الأحد الصمد

القديم بجناب ذاته وصفاته، لا تدركه الحواس ولا يقاس بالناس ولا يشبه الخلق بوجه من الوجوه سبحانه،

**[المفتاح السادس]: (منهج السلف في المتشابهات): للسلف الصالح في فهم النصوص المتشابهة التي توهم التشبيه أو التجسيم أو الحدوث، منهجان صحيحان: المنهج الأول: هو تفويض المعنى المُراد من المتشابهات، والمنهج الثاني حمل المتشابهات على أمهاتها من المحكمات وبالتالي تزول الفتنة ويُقضى على الزيغ، [المنهج الأول هو تفويض المعنى المُراد من المتشابهات]: وهو يتعلق بالنصوص التي توهم الجارحة كالعين واليد، والنصوص توهم التغير والحدوث كالمجيء والإتيان والنزول، والنصوص توهم النقص والحد، ونسبتها إلى الله تعالى الاحد القديم بجناب ذاته وصفاته محال، ومذهب السلف الأول فيها: أن تروى هذه المتشابهات كما جاءت ويؤمن بها ولا تفسر ولا تتوهم ولا يقال كيف ولا معنى ويوكل علمها إلى الله تعالى ويعتقد مع ذلك تنزيه الله تعالى عن الشبيه والمثيل، وليس معنى ذلك أن السلف كانوا لا يدركون أي معنى لهذه النصوص المتشابهة، – حاش لله من هذا الظن السيئ بهم – بل كانوا يدركون المعنى الإجمالي الذي سيقت الآيات من أجله، ولكن لعلمهم الراسخ بما يجب لله من الأسماء والصفات وما يستحيل عليه من الصفات التي يلزم من إثباتها النقص أو التمثيل أو التشبيه، فكانوا لا يثبتون للمتشابه أي معنى يخالف التنزيه والتقديس، [المنهج الثاني للسلف في المتشابهات هو حمل المتشابهات على أمهاتها من المحكمات]، وذلك بتأويل النصوص وفق ما تسمح به قواعد اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم: والتأويل نوعان تأويل لسبب حقيقي تلزم به قواعد التقديس المستمدة من الكتاب والسنة، فهذا تأويل شرعي صحيح، ورد عن السلف الكرام بضوابط حكيمة، وهناك تأويل آخر للتلاعب بحقائق الدين والعقيدة، وهذا (تعطيل) وليس تأويل، وهذا ما اتهمت به الفرق الضالة كالجهمية والباطنية والمعتزلة، وهذا (التعطيل) لا يختلف على منعه وحرمته أحد من علماء أهل السنة والجماعة، أما (التأويل الصحيح بضوابطه)، فهذا قد ورد عن السلف الكرام، ومما يدل عليه أنّه ثابت عن الحبر البحر ترجمان القرآن عبد الله ابن عباس رضي الله عنه، ومن ذلك تأويله رضي الله عنه للفظ (الأعين) في قوله تعالى (واصنع الفلك بأعيننا) قال رضي الله عنه: (بمرأى منا)، وتأويله رضي الله عنه للفظ (الأيد) في قوله تعالى (والسماء بنيناها بأييد) قال رضي الله عنه: (بقوّة وقدرة)، تأويله رضي الله عنه للنور في قوله تعالى (الله نور السموات**

والأرض) بالهادي، وتأويله رضي الله عنه للفظ (الساق) في قوله تعالى (يوم يُكشف عن ساق) بالكرب شديد، فهذه هي تأويلات حبر الأمة وترجمان القرآن الذي دعا له رسول الله ‘ بقوله: (اللهمّ فقّهه في الدين وعلمه التأويل)، ومن تأويلات التابعين: تأويل مجاهد والسدي للفظ (الجنب) في قوله تعالى (أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرّطت في جنب الله) قال مجاهد: في أمر الله، وقال السدي: على ما تركت من أمر الله، وتأويل الضحاك وقتادة وسعيد بن جبير للفظ (الساق) قال الضحاك: هو أمر شديد، وقال قتادة: أمر فظيع وشدّة الأمر، وقال سعيد: شدة الأمر، وتأويل مجاهد والضحاك وأبي عبيدة للفظ (الوجه)، في قوله تعالى (فأينما تولُّوا فثم وجه الله) بقبلة الله، وقال الضحاك وأبو عبيدة في قوله تعالى (كلُّ شيء هالك إلا وجهه): أي إلا هو، وتأويل الحسن البصري (المجيء) في قوله تعالى: (وجاء ربك): بمجيء أمره وقضاؤه، وتأويله (الجنب) في قوله تعالى (أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله) قال: في طاعة الله، ومن تأويلات تابعي التابعين: تأويل الإمام مالك بن أنس للنزول في حديث النزول، بقوله: (ينزل أمره – تعالى – كل سَحَر، فأما هو عزّ وجلّ فإنه دائم لا يزول ولا ينتقل سبحانه لا إله إلى هو) اهـ [التمهيد 7: 143، سير أعلام النبلاء 8: 10 5، شرح النووي على صحيح مسلم 6: 370]، وقد تأول الإمام أحمد مجيء الله تعالى، في قوله تعالى (وجاء ربك) أنه جاء ثوابه، ثم قال البيهقي: وهذا إسناد لا غبار عليه [البداية والنهاية لابن كثير 10: 361]، وقد تأول الإمام البخاري (الوجه) في قوله تعالى (كلّ شئ هالك إلا وجهه) (إلا ملكه) [صحيح البخاري كتاب التفسير]، وقد تأول الإمام الطبري (العين) في قوله تعالى (ولتصنع على عيني) أي بمرأى مني ومحبة وإرادة، وهذا غيض من فيض ومنه يتبين أنّ للسلف الصالح في المتشابهات مسلكان، وكلاهما يخدم التقديس والتنزيه، الأول تفويض المعنى والثاني حمل الكلام على ما يقتضيه سياق الآيات من البلاغة والمجاز،

**[المفتاح السابع]**: (المدرسة الأثرية هم الامتداد الحقيقي والصحيح لمذهب السلف على المنهج الأول الذي هو تفويض المعنى المُراد من المتشابهات: الأثرية: هي النسبة الصحيحة الحقيقية للسلف الكرام وأهم علماؤه الأئمة مالك والشافعي وأحمد ابن حنبل وسفيان ابن عيينة، وسفيان الثوري ومذهبهم واضح وأهم أصوله: التفريق بين المحكم والمتشابه، تفويض كيفية المحكم وتفويض علم المتشابه، عدم الخوض بالحشو والتجسيم، والأثرية هم الامتداد الصحيح والحقيقي

للسلف الصالح في فهم النصوص المتشابهة، والمتمعن في مقالاتهم في المتشابه يجد أنّها ترتكز على كلمات لها مدلول عجيب على غلق باب الفتنة بتفويض المراد منها إلى الله، فمن ذلك: قولهم: ونؤمن بها ولا يقال كيف ولا نفسر ولا نتوهم، وقولهم: نؤمن بها ونفوض معناها المراد منها إلى الله تعالى ولا نفسرها، وقولهم: نترك التعرض لمعانيها، وقولهم: كل ما وصف الله به نفسه في القرآن فقراءته تفسيره والسكوت عنه، وقولهم: كل ما جاء في القرآن أو صح عن المصطفي عليه السلام من صفات الرحمن وجب الإيمان به وتلقيه بالتسليم والقبول وترك التعرض له، وقولهم: المذهب هو عدم الخوض في مثل هذا والسكوت عنه وتفويض علمه إلى الله تعالى، وقولهم: حرام على العقول أن تمثل الله تعالى وعلى الأوهام أن تحد وعلى الظنون أن تقطع وعلى النفوس أن تفكر وعلى الضمائر أن تعمق وعلى الخواطر أن تحيط، وقولهم: آمنت بالله وبما جاء عن الله وعلى مراد الله وآمنت برسول الله وبما جاء به رسول الله وعلى مراد رسول الله،

**[المفتاح الثامن]:** تنبيهات مهمة تتعلق بالأثرية: (تنبيه أول): مذهب الأثرية من تفويض معنى المتشابه ليس معناه الجهل بالمراد من الآيات: لقد فهم البعض من السلفية خطئاً أنّ معنى تفويض المعنى هو الجهل العريض بآيات الصفات، وهذه سقطة عظيمة وزلة عالم، لا ينبغي تتبعها لأنّ مذهب السلف وأهل الأثر في الألفاظ المتشابهات التي توهم التشبيه أو التجسيم أو الحدوث هو تفويض علمها إلى الله، واكتفوا بالمعنى الإجمالي المفهوم من سياق الآيات دون تتبع للمتشابهات، (تنبيه ثان): الأثرية لا يخوضون في المتشابه لفرط خوفهم من التكلم على الله تعالى بغير علم، لكنّهم يعرفون من أصول توحيد الذات وقواعد التقديس والتنزيه ما يمنعهم من نسبة النقص إلى ذات الله تعالى، إذ هم يعرفون الواجب والجائز والمحال في حق الله تعالى، وإذ هم منزهون لله تعالى عن المكان والزمان وحلول الحوادث، (تنبيه ثالث): الأثرية على وفاق تام مع الأشاعرة والماتريدية في أصول العقيدة، ولذلك يعترف الجميع بأن الطوائف الثلاث تمثل أهل السنّة والجماعة في باب العقيدة، قال العلامة السفاريني الحنبلي رحمه الله تعالى (لوامع الأنوار البهية 1 / 73): أهل السنة والجماعة ثلاث فرق: (الأثرية)، وإمامهم أحمد بن حنبل رضي الله عنه، و (الأشعرية)، وإمامهم أبو الحسن الأشعري رحمه الله، و (الماتريدية)، وإمامهم أبو منصور الماتريدي رحمه الله تعالى) اهـ، (تنبيه رابع): الفرق كبير بين الأثرية والحشوية، بل لا تصح المقارنة أصلاً، فإنّ الأثرية لديهم من قواعد التقديس والتنزيه ما يمنعهم من الحشو والخوض في ذات الله تعالى

وصفاته بما لا يليق، ولذلك نجدهم عند متشابهات الصفات يرون تفويض علم هذا المتشابه إلى الله، لأنّ ظاهره يوحي بما هو محال على الله تعالى من نسبة الأجزاء والأبعاض والجوارح إلى ذات الله تعالى، أو نسبة الحوادث من الحركة والسكون إلى الله تعالى القديم المنزه عن الحوادث، وأما الحشوية فليست لديهم قواعد للتنزيه ولا هم يعلمون من علم التقديس ما يردعهم عن الخوض في ذات الله تعالى وصفاته بما لا يليق، وهم لا يفرقون بين المحكم والمتشابه، وهم يرون اثبات المعنى الظاهر للمتشابهات وتفويض الكيفية إلى الله، (تنبيه خامس): لقد ذهل الحشوية عن حقيقة مذهب السلف والأثرية امتداد السلف الحقيقيون في تفويض علم المتشابه إلى الله تعالى، ثم لم يكتفوا بذلك حتى اتهموا الأثرية المفوضة في المتشابهات بالتجهيل والتبديع وأنهم أشر أهل البدع، مع أنهم هم امتداد السلف الحقيقيين، ثم لم يكتفوا بذلك حتى اتهموا الأشاعرة والماتريدية أكابر علماء العقيدة المتخصصين فيها على منهاج اهل الحق بأنّهم متعطلة ومؤولة وانّهم ليسوا من اهل السنّة والجماعة في باب الصفات، مع أنّ الحق والصواب أنّهم (الحشوية) هم الضالون في هذا الباب لأسباب عديدة، أهمها الذهول عن قواعد التقديس والتنزيه والتسبيح المتعلقة بذات الله تعالى، والمستمدة من الكتاب والسنة، وأدى ذلك إلى خلل في فهم قسم توحيد الذات (علم التقديس) الذي يعد مفخرة عقائد المسلمين، والذهول عن هذا القسم أدى إلى قصور واضح جلي في الإلمام بما يجب وما يجوز وما يستحيل في ذات الله تعالى، وإلى الوقوع في الحشو على حساب التقديس، بل واعتقاد التجسيم في بعض الأحيان وإن لم يشعروا بذلك، وممن تسربت إليه بدع الحشو (ابن تيمية)، ومذهبه التجسيم، ومفاده: أنّ الله تعالى موجود بذاته فوق العالم، والعالم المخلوق تحته، وهو موجود بذاته على عرشه، وأنه متناه لاسيما من جهة التحت، وأنّه يتحرك ويقبل الحوادث وينزل إلى السماء الدنيا نزولاً حقيقياً بذاته، كما دندن حول صفات الوجه واليدين والعينين والقدم والساق بما يُخيل أنّها أجزاء من الذات، وليست صفات منزهة عن الجارحة والجسمية، ووصف لله تعالى بالحد والنهاية والحدوث، وهل بعد تلك العقائد الفاسدة يبقى لنا شيء من التقديس الذي حبى الله تعالى به أمة التسبيح والتنزيه،

**[المفتاح التاسع]**: (الأشعرية والماتريدية هم الامتداد الحقيقي والصحيح لمذهب السلف على المنهج الثاني الذي هو: حمل المتشابهات على أمهاتها من المحكمات، وهذا المنهج يمثله من الصحابة حبر الامة عبد الله بن عباس الذي دعا له النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: اللهم

فقهه في الدين وعلمه التأويل، و (الأشاعرة): هم المتخصصون في العقيدة، أوسع مذاهب أهل السنّة والجماعة في العقيدة، ينتسبون إلى الإمام أبي الحسن الأشعري رحمه الله (270 هـ إلى 330 هـ)، وحفيد الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وهو الذي أظهر الله تعالى على يديه عقائد أهل السنّة، نصر الحديث، وكسر هجمة المعتزلة والمجسمة على الدين، هداه الله تعالى لتأصيل قواعد مذهب أهل السنة في العقائد بعد أن أمضى أربعين سنة من حياته على مذاهب الاعتزال، عرف من خلالها حقيقة مذهبهم، وتمرس بفنونهم وأساليبهم في الجدال، والنقاش، والنظر، مما مكّنه من الرد عليهم، وإبطال شبههم، فوجد فيه أهل السنة ضالتهم التي طالما بحثوا عنها فاتبعوه، وساروا على نهجه، لما رأوا فيه من القدرة على إفحام خصومهم، والدفاع عنهم، وتثبيت مذاهبهم، وعظماء أمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الأشاعرة، كالباقلاني، والقشيري، وأبي إسحاق الشيرازي، وأبي محمد الجويني، وولده أبي المعالي الجويني إمام الحرمين، وحجة الإسلام الغزالي، والقاضي أبي بكر بن العربي، والإمام فخر الدين الرازي، والحافظ ابن عساكر، وسلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام، والإمام الرافعي، والإمام النووي، والإمام السبكي، والحافظ ابن حجر العسقلاني والإمام الفقيه ابن حجر الهيتمي، والحافظ السيوطي، وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وغيرهم كثير، فهؤلاء هم الذين حفظ الله تعالى بهم دينه إلى يومنا هذا، ومن تجاهل هذه الحقيقة فقد خاصم التاريخ وتعامى عن الواقع المرئيّ لكل ذي عينين، والأشاعرة لم يبتدعوا مذهباً، وإنما كانوا مقررين لمذهب السلف، مناضلين عن عقائد الإسلام، وقد كان منهجهم عدلاً وسطاً في كافة مباحث الدين لم يحدثوا في دين الله حَدَثاً، ولم يأتوا فيه ببدعة، بل أخذوا أقاويل الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة في أصول الدين فنصروها أتم نصر بزيادة شرح وأحسن برهان، أنقذ الله تعالى بهم الأمة من الاعتزال والحشو، صاغوا المنهج الحق، القائم على الكتاب والسنّة، بعيداً عن بدع الخروج والتشيع، وبعيداً عن بدع التجهم والاعتزال وبعيدا عن بدع التجسيم والتشبيه والحشو، وكان تأصيل هؤلاء في كل أبواب العقيدة، في باب الإيمان والكفر، وباب التقديس والتنزيه والتوحيد، وباب السنّة والبدعة، وضبطوا أصول علم الإلهيات والنبوات والسمعيات، بما لا مزيد عليه، توسطاً واعتدالاً وصحة وبياناً، وكان منهاج هؤلاء يقوم على محاور: أهمها: الأول: دعم جميع أبواب العقيدة الصافية الصحيحة بالأدلة النقلية الصحيحة والبراهين العقلية الصريحة، والمحور الثاني: الذب عن الإشكالات التي أوردها أهل البدع على المنهج الحق الوسط العدل التي تميز به الأشاعرة، الثالث: قمع البدع العقائدية وإظهار

**عوارها وخطئها، وبهم أسكت الله تعالى أهل البدع وأذلهم، و (والماتريدية): ينتسبون إلى الإمام أبو منصور الماتريدي، وهو إمام الهدى وإمام المتكلمين ورئيس أهل السنة والجماعة وناصر السنة وقامع البدعة، ينتهي نسبه إلى الصحابي الجليل أبي أيّوب خالد بن زيد بن كليب الأنصاري، مضيف النّبي الأكرم صلَّى الله عليه و سلَّم في دار الهجرة، وتعتمد أسس الماتريدية على المذهب الحنفي في العقائد والفقه، وكان لأنصار أبي منصور الماتريدي الدور المهم في انضاج المذهب ونصرته ونشره وإشاعته، فقد كافحوا المعتزلة والمجسمة والحشوية، والحاصل هو أن الأشعريّ والماتريدي هما إماما أهل السنّة والجماعة في مشارق الأرض ومغاربها، وغالب ما وقع بين هذين الإمامين من الخلاف من قبيل اللّفظي، والأشاعرة والماتريدية هما جناحا أهل السنة والجماعة في باب العقيدة، وهما المذهبان المتخصصان في العقيدة على منهاجها،**

**[10] الجامعة الكلية لأهل السنة والجماعة في باب العقيدة:** لأهل السنة والجماعة في باب العقيدة: ثلاث مذاهب معتمدة، وهي (المذهب الأثري)، و (المذهب الأشعري) و (المذهب الماتريدي)، وأهل التصوف اهل احترام للتخصص الإسلامي، وهم يعتبرون المذاهب الثلاث: الأثرية والأشاعرة والماتريدية: هي المعبرة عن مذهب أهل السنّة والجماعة في باب العقيدة، وهي مدارس متفقة على أصول العقائد وبينها وئام عقائدي عظيم، فما اتفقوا عليه أصول العقيدة يجتمعون عليه، ويسعهم ما وسع تلك المذاهب من الاختلاف في فروع العقائد، هذه المذاهب الثلاث هي المرجعية العقائدية المعتمدة لديهم، عملا بقوله تعالى: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النحل: 43]، وقوله تعالى: **{ولا ينبئك مثل خبير} [فاطر: 14]،**

***

## المبحث التاسع عشر

# أهل التصوف والمرجعية الفقهية

**[المفتاح الأول]:** فقه أهل التصوف يمثل احترام التخصص الفقهي في الإسلام: لقد استقر لأهل السنة والجماعة في الفقه مذاهب أربعة، يأخذون الفقه عنها، المذهب الحنفي، والمذهب المالكي، والمذهب الشافعي، والمذهب الحنبلي، ولهم مذاهب فقهية أخرى غير هذه الأربع لكنها لم تنتشر ولم تؤصل ولم تُراجع أقوالها ولم يحصل لها الاشتهار مثل هذه المذاهب الأربعة، لقد جمع الله تعالى علوم الفقه كلها في مذاهب الأئمة الأربعة: فالإمام الأعظم أبو حنيفة يجمع فقه أهل العراق ويصبح الفقهاء عيال عليه في علم الفقه وإلى قيام الساعة، والإمام مالك عالم المدينة يجمع فقه أهل الحجاز وتُضرب إليه أكباد الإبل بحثاً عن علمه وفقهه، والإمام الشافعي يمزج فقه أهل الحجاز بفقه أهل العراق، ويضع علم أصول الفقه، ويملأ طباق الأرض علما وفقها، والإمام أحمد بن حنبل رابع الفقهاء المجتهدين يجمع الله تعالى له علم الحديث وعلم الفقه، وكأنّ الله عز وجل أراد من رحمته بأهل الإسلام أن يجمع علوم الفقه الإسلامي في مذاهب الأئمة الأربعة، على أنّ هناك أئمة مجتهدون سوى الأئمة الأربعة: وهم كثيرون أمثال: الأوزاعي بالشام، وسفيان الثوري بالعراق، والليث بن سعد بمصر، وسفيان بن عيينة بمكة، إلا أن هؤلاء الأئمة اندثرت مذهبهم ليس بسبب قلة علمهم ولكن بسبب قلة الأتباع ثم انقطاعهم عن تدوين علومهم على صورة متكاملة كما فعل أتباع الأئمة الفقهاء الأربعة، ولكن أقولهم لم تندثر لأنّها دخلت ضمن اطار أقوال المذاهب الأربعة التي تُعتبر بحق موسوعة الفقه على مذهب أهل السنّة والجماعة الواسع، وعلى ذلك: فإنّه يمكن القول بأنّ علوم الفقه كلها اجتمعت في مذاهب الأئمة الأربعة، وهي مذاهب منضبطة مدونة محررة معروفة، تخرج من خلالها آلاف الفقهاء، وهذه إشارة إلى هذه المذاهب الفقهية العريقة المؤصلة،

[2] المذهب الأول: (المذهب الحنفي): وإمام المذهب هو الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت، (ولد في الكوفة سنة 80هـ)، برع في الفقه حتى صار من بعده عيالاً عليه، قال ابن المبارك: أفقه الناس أبو حنيفة، وقال الشافعي: الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة، والإمام الأعظم أبو حنيفة:

يُعَدُّ هو المؤسِّس لأول مدرسة متخصصة في الفقه الإسلامي كعلم له منهج واضح، وقواعد رصينة، وموضوعات متكاملة تتناول جميع موضوعات الفقه، وكل من جاء بعده استفاد من طريقته في الفقه،

[3] المذهب الثاني: (المذهب المالكي): وإمام المذهب: هو إمام دار الهجرة أبو عبدالله مالك بن أنس، هو إمام أهل الحديث وإمام أهل الفقه، وإذا ذكر عالم المدينة فليس ثمة غيره، اشتُهر بعلمه الغزير وقوة حفظه للحديث النبوي وتثبُّته فيه، جمع فقه علماء مدرسة أهل الأثر بالمدينة جميعهم، وجمع فقه مدرسة أهل الرأي عن طريق الإمام الفقيه ربيعة الرأي، فكان آية في الفقه والعلم، وصدق فيه حديث النبي صلى الله عليه، فقد روى الإمام الترمذي عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم، فلا يجدون أحداً أعلم من عالم المدينة)، قال الشافعي: مالك حجة الله على خلقه، وقال أيضا: إذا ذكر العلماء فمالك النجم،

[4] المذهب الثالث: (المذهب الشافعي): وإمام المذهب: هو أبو عبدالله محمد بن إدريس شافع القرشي المطلبي، تلقى العلم بادئ الأمر في مكة على يد مسلم بن خالد الزنجي مفتي مكة (ت179 هـ)، ثم رحل إلى مالك في المدينة، وقرأ عليه الموطأ وأخذ عنه الحديث والعلم، ولزمه حتى مات، ثم خرج إلى العراق فلقي محمد بن الحسن وأخذ منه فقه العراق، فاجتمع له فقه الحجاز (مكة والمدينة) والعراق، ومزج طريقة أهل الحجاز بطريقة أهل العراق، ووضع للفقه أصولاً تضمنتها (الرسالة)، وإليه ينسب علم أصول الفقه، ثم استقر بمصر ومنها ملأ طباق الأرض علما وفقها، اعترف الجميع للشافعي بالرفعة والجلالة والتميُّز، والفقهاء بعده عيال عليه في الفقه وأصول الفقه لأنه هو الذي فتح هذا الباب، وصدق فيه حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: (اللهم اهد قريشاً فإن عالمها يملأ طباق الأرض علماً) أخرجه أبو داود الطيالسى في مسنده، وأبو نعيم في الحلية، وقال أبو نعيم: هذه الصفة لا تنطبق إلا على الشافعي، وروي عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال: إذا سئلت عن مسألة لا أعرف فيها خبراً، قلت فيها بقول الشافعي، لأنه إمامٌ عالمٌ من قريش، وقال عنه أيضا: كان أفقه الناس في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وقال أيضا: ما أحد مس محبرة ولا قلما إلا وللشافعي في عنقه منة، وقال أبو داود ما أعلم للشافعي حديثا خطأ،

[5] المذهب الرابع: (المذهب الحنبلي): إمام المذهب: هو إمام أهل السنة أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل، عُرف بولعه وشغفه بالعلم منذ صباه، أخذ عن كل علماء الحديث في العراق والشام

والحجاز، وجمع الأحاديث في كل الأقاليم ودوَّنها، جمع فقه أهل العراق ثم لازم الشافعي وتتلمذ على يديه في الفقه، وجمع الله تعالى له الحديث والفقه، قال عنه الشافعي: أحمد إمام في ثمان خصال: إمام في الحديث، إمام في الفقه، إمام في اللغة، إمام في القرآن، إمام في الفقر، إمام في الزهد، إمام في الورع، إمام في السنة،

**[المفتاح الثاني]:** [6] لقد استقر لأهل السنة والجماعة في الفقه هذه المذاهب الأربعة، وقد مال أهل الفقه إلى الاكتفاء بهذه المذاهب الأربعة في باب الفقه: لأسباب عديدة منها: (السبب الأول): بلوغ الأئمة الأربعة إلى مستوى فقهي لا يسهل الوصول إليه، فقد حباهم الله تعالى بقدر عظيم من العلم والفقه بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، مع الإلمام الكبير بآلات الاجتهاد والفقه، (السبب الثاني): صعوبة شروط التأهل لمرتبة الاجتهاد، حيث تقصر الهمم عن بلوغ رتبة الاجتهاد، وقد بين العلماء الضوابط والشروط التي يصل بها الفقيه إلى مرتبة الاجتهاد المطلق، وذكروا منها شروطا عشرة تتمثل في: معرفة آيات الأحكام من القرآن الكريم ومعرفة تفسيرها والناسخ والمنسوخ منها وأقوال الفقهاء حولها و معرفة أحاديث الأحكام من السنة، ومعرفة تفسيرها والناسخ والمنسوخ منها وأقوال الفقهاء حولها، و معرفة مسائل الإجماع، و معرفة وجوه القياس، و معرفة اللغة العربية، و معرفة أصول الفقه، ومعرفة مقاصد الشريعة العامة، وأن يكون لديه ملكة الاجتهاد، (السبب الثالث): وضع أصول الفقه للمذاهب الأربعة والذي يشمل جميع الطرق الموصلة إلى الرأي الفقهي، ولهذا فمن بلغ رتبة الاجتهاد المطلق (وما أعسرها) فلابد أن يسير وفق أصول الفقه لأحد المذاهب الأربعة، وبالتالي فلا داعي للاجتهاد خارج المذاهب الأربعة، ويمكنه الاجتهاد في إطارها، (السبب الرابع): تجرؤ كثير من مدّعي العلم على الفتيا، وقولهم هؤلاء رجال ونحن رجال مثلهم، وهذا ما أجبر العلماء على الاحتياط وضبط الأمور، وسد الذرائع لئلا يدخل في باب الاجتهاد من ليس من أهله، (السبب الخامس): الخبرة الجماعية التي اكتسبتها المذاهب الفقهية من خلال تضافر جهود علماء المذاهب على بلورة الطريقة المثلى لتدريس الفقه بأيسر الطرق وأحكمها، وضمان تأهل دارسيها بالإلمام الفقهي بجميع جوانب الفقه وأبوابه، وأصول الفقه، والقواعد الفقهية الجامعة، فقد صارت هذه المذاهب الأربعة – بفضل الجهود الجماعية لعلمائها – بمثابة مدارس وجامعات علمية متخصصة في علم الفقه، لها أساليبها التربوية والعلمية الناجحة المجربة في إفادة طلاب العلم الشرعي الفقه على أحسن الوسائل العلمية في تاريخ البشر،

**[المفتاح الثالث]:** لقد وضع الفقهاء ضوابط رصينة في حق الانتساب للمذاهب الفقهية الأربعة على وفق أن المذاهب الفقهية هي اجتهادات في فهم النصوص الشرعية قد تصيب وقد تخطيء، ولهذا فالحق ليس محصورا في أحدها لا يخرج عنه بل الحق موزع عليها جميعا، وقد كانت تلك المذاهب بمثابة المدارس المتخصصة في الفقه على منهاج أهل السنّة والجماعة، تخرج من خلالها آلاف من الفقهاء الائمة العلماء من المجتهدين في اطار مذاهبهم وأصول فقههم، ومن أهم ضوابط الانتساب إلى تلك المذاهب: (أ) أنّه يجوز اتباع مذهب من هذه المذاهب الأربعة ولكنه ليس واجبا شرعاً، وإنما هو من قبيل وضع الضوابط الفقهية لتلقي الفقه على أحسن وجه ممكن، لأنّه من الصعب جدا أن يكون في الفقه مثل تلك المدارس التي شارك في بناء صرحها الآلاف من الأدمغة التي لا يتيسر جمعها مرة أخرى، (ب) التزام مذهب بعينه من المذاهب الأربعة ليس واجبا ألزمنا الله به، وإنما هو من باب أخذ العلم من طريقه الصحيح وأهله المتخصصين فيه، (ت) المذاهب الأربعة متكافئة، وعلى ذلك يجوز تقليد أي واحد من هؤلاء الأئمة فكلهم على خير، (ث) من التزم مذهبا من تلك المذاهب لا يجوز له انتقاء الأقوال – وفق الهوى – من تلك المذاهب فيختار الأيسر مثلاً، بل عليه أن يلتزم بمذهب إمامه في شروطه وضوابطه، لأنّ الأئمة الفقهاء ربانيون راسخون في العلم فإن تشدد أحدهم في شرط يسّر في آخر، حتى يكون الضبط مع التيسير سمة الفقه، فمن تتبع رخص المذاهب ضل وأضل، ومن التزم بمذهب واحد ضبطت مسائله على منوال واحد عدل وسط، فلا يجوز الانتقاء بين أقوال المذاهب إلا عند الضرورة الملحة، أو وجود الدليل الراجح، ولا يملك ذلك إلا من بلغ مرتبة الاجتهاد في الفقه واستوفى شروطها، والحذر الحذر من التلفيق بين الأقوال، لأنّ التلفيق بينها قد يؤدي إلى إسقاط تكاليف أو تضييع حقوق العباد، أو فوضى في معاملات البشر وهذا لا يجوز شرعا، وفتح باب التنقل بين الأقوال شره أكثر من نفعه، وليس كل الناس علماء، ولا كل من تصدر للفقه أتقياء، (ج) يجوز لمن التزم مذهبا أن يتركه بكامله إلى التزام غيره من المذاهب بجملة أقواله، فجميع تلك المذاهب متكافئة والحمد لله، ويصعب، بل ويستحيل تفضيل أحداها على الأخرى بصورة الجزم، وقد حبى الله تعالى كل مذهب بخيرة الفقهاء والعلماء الذين شاركوا في بناء صرح المذهب الفقهي، (ح) من اتبع مذهباً فقهياً من المذاهب الأربعة لا يجوز له الطعن بغيره من المذاهب، ولا يجوز له التعصب من أجله، بمعنى أنّه الصواب ومن عداه خطأ، فهذا من التعصب المقيت الذى نهى عنه الشرع، (خ) لا انكار في المسائل الخلافية بين المذاهب الأربعة لأنّ لكلٍ دليله، والأدلة محتملة، ولا يقوى على الترجيح إلا من اكتملت له آلة

الاجتهاد، وملكة الفقه والترجيح، وهي لا تتيسر إلا لأقل القليل من العلماء، فهل يُفتح باب الانكار على مصراعية لأجل النادر الذي له حكم العدم، ولذلك فلا انكار في المسائل الخلافية بين المذاهب الأربعة، (د) الأئمة الأربعة ليسوا معصومين عن الخطأ بل يخطئون ويصيبون، ولكن خطؤهم مغمور في بحر صوابهم وهم بكل الأحوال مثابون على اجتهادهم، ومن اتبعهم مثاب مثلهم لأنّه سلك دربهم واحترم تخصصهم، ومن هنا كان اتفاقهم عصمة، وكان اختلافهم رحمة، والحاصل: أهل التصوف اهل احترام للتخصص الإسلامي، وهم يعتبرون المذاهب الأربعة: موسوعة الفقه على مذهب أهل السنّة والجماعة الواسع، ما اتفقوا عليه من آراء الفقه يجتمعون عليه، ويسعهم ما وسع المذاهب الأربعة من الاختلاف، هي المرجعية الفقهية المعتمدة لديهم، عملا يقوله تعالى: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النحل: 43]، وقوله تعالى: **{ولا ينبئك مثل خبير} [فاطر: 14]**،

***

## المبحث العشرون

## التصوف وسلامة القلب من أمراضه

**من احسن الكتب التي تناولت سلامة القلب وطهارته من كبائره ومعاصيه، كتاب إحياء علوم الدين للإمام حجة الإسلام الغزالي**، فإنه لم يكتب مثله في بابه، ومما جاء فيه في بيان

سلامة القلب وطهارته، قوله تعالى: {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الشعراء: 88 و 89]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب) فالقلب السليم هو الخالي من الامراض القلبية، والقلب المريض هو الحامل لتلك الامراض، قال تعالى: {فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ} [الأحزاب: 32]، وأمراض القلب هي تلك الأخلاق الرذيلة، علاجها يكون بضدها، فيعالج مرض الجهل بالعلم، ومرض البخل بالسخاء، ومرض الكبر بالتواضع، وكما أنه لابد من احتمال مرارة الدواء، وشدة الصبر عن المشتهيات لصلاح الأبدان المريضة، فكذلك لابد من احتمال المجاهدة، والصبر على مداومة مرض القلب بل ذلك أولى،

**فمن أمراض القلب: (الغضب)**، ومما يدل على ذم الغضب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم للرجل الذي قال له: أوصني، قال: (لا تغضب)، فردد عليه مراراً، قال: (لا تغضب)، وفى المتفق عليه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)، ومن الأسباب المهيجة للغضب: العجب، والمزاح، والمماراة، والمضادة، والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه، وهذه الأخلاق رديئة مذمومة شرعاً، فينبغي أن يقابل كل واحد من هذه بما يضاده، فيجتهد على حسم مواد الغضب وقطع أسبابه، وأما إذا هاج الغضب فيعالج بأمور: أحدها: أن يتفكر في الأخبار الواردة في فضل كظم الغيظ، والعفو، والحلم، والاحتمال، والثاني: أن يخوف نفسه من عقاب الله تعالى، وهو أن يقول: قدرة الله على أعظم من قدرتي على هذا الإنسان، فلو أمضيت فيه غضبى، لم آمن أن يمضى الله عز وجل غضبه على يوم القيامة فأنا أحوج ما أكون إلى العفو، والثالث: أن يحذر نفسه عاقبة العداوة، والانتقام، وتشمير العدو في هدم أعراضه، والشماتة بمصائبه، فان الإنسان لا يخلو عن المصائب، فيخوف نفسه ذلك في الدنيا إن لم يخف من الآخرة وهذا هو تسليط شهوة على غضب ولا ثواب عليه، لأنه تقديم لبعض الحظوظ على بعض، إلا أن يكون محذوره أن يتغير عليه أمر يعينه على الآخرة، فيثاب على ذلك، والرابع: أن يتفكر في قبح صورته عند الغضب على ما تقدم، وأنه يشبه حينئذ الكلب الضارى، والسبع العادي، وانه يكون مجانباً لأخلاق الأنبياء والعلماء في عادتهم، لتميل نفسه إلى الاقتداء بهم، والخامس: أن يتفكر في السبب الذي يدعوه إلى الانتقام، مثل أن يكون سبب غضبة أن يقول له الشيطان: إن هذا يحمل منك على العجز، والذلة

والمهانة، وصغر النفس، وتصير حقيراً في أعين الناس، فليقل لنفسه: تأنفين من الاحتمال الآن، ولا تأنفين من خزي يوم القيامة والافتضاح إذا أخذ هذا بيدك وانتقم منك، وتحذرين من أن تصغري في أعين الناس، ولا تحذرين من أن تصغري عند الله تعالى وعند الملائكة والنبيين، والسادس: أن يعلم أن غضبه إنما كان من شيء جرى على وفق مراد الله تعالى، لا على وفق مراده، فكيف يقدم مراده على مراد الله تعالى، هذا ما يتعلق بالقلب، وأما العمل، فينبغي له السكون، والتعوذ، وتغيير الحال، وإن كان قائماً جلس، وإن كان جالساً اضطجع، وقد أمرنا بالوضوء أيضاً عند الغضب، فهذه الأمور وردت في الأحاديث، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ)، وضد الغضب (كظم الغيظ)، قال الله تعالى: {والكاظمين الغيظ} [آل عمران: 134] فذكر ذلك في معرض المدح، وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : (من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه، دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي الحور شاء)، ويعالج الغضب بالحلم، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (إنما العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم)، وقال صلى الله عليه وآله وسلم لأشج بن قيس: (إن فيك خلقين يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة)، وقد حض القرآن الكريم على العفو، قال الله تعالى: {والعافين عن الناس} ، [آل عمران:134] وقال: {فمن عفا وأصلح فأجره على الله} [الشورى: 40] ، وفى الحديث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: (ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله)،

**ومن امراض القلوب: (الحقد والحسد):** والحقد ثمرة الغضب، والحسد من نتائج الحقد، وعن الزبير بن العوام رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء)، وفى الصحيحين: عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (لا تباغضوا، ولا تقاطعوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، كونوا عباد الله إخواناً)، وعلاج الحسد،يكون: تارة بالرضى بالقضاء، وتارة بالزهد في الدنيا، وتارة بالنظر فيما يتعلق بتلك النعم من هموم الدنيا وحساب الآخرة، فيتسلى بذلك ولا يعمل بمقتضى ما في النفس أصلاً، ولا ينطق، فإذا فعل ذلك لم يضره ما وضع في جبلته، والحسد له أسباب: أحدها: العداوة، والتكبر، والعجب، وحب الرياسة، وخبث النفس،وبخلها، وأشدها: العداوة والبغضاء، فإن من آذاه إنسان بسبب من الأسباب، وخالفه في غرضه، أبغضه قلبه، ورسخ في نفسه الحقد، والحقد يقتضي التشفي والانتقام، فمهما أصاب

عدوه من البلاء فرح بذلك، وظنه مكافأة من الله تعالى له، ومهما أصابته نقمة ساءه ذلك، فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما، ومنشأ الحسد حب الدنيا، فإن الدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين، وأما الآخرة، فلا ضيق فيها، فإن من احب معرفة الله تعالى، وملائكته، وأنبياءه، وملكوت أرضه وسماءه، لم يحسد غيره إذا عرف ذلك، لأن المعرفة لا تضيق على العارفين، بل المعلوم الواحد يعرفه ألف ألف عالم، ويفرح بمعرفة غيره، فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة، لأن مقصودهم معرفة الله سبحانه، وهو بحر واسع لا ضيق فيه، وغرضهم المنزلة عند الله، ولا ضيق فيما عند الله، لأن أجل ما عند الله من النعيم لذة لقائه، وليس فيه ممانعة ولا مزاحمة، ولا يضيق بعض الناظرين على بعض، بل يزيد الأنس بكثرتهم، و (الحسد) من الأمراض العظيمة للقلوب، ولا تداوى أمراض القلوب إلا بالعلم والعمل، والعلم النافع لمرض الحسد هو أن تعرف حقيقة أن الحسد ضرر عليك في الدين والدنيا، وأنه لا يضر المحسود في الدين ولا في الدنيا، بل ينتفع به، والنعمة لا تزول عن المحسود بحسدك، ولو لم تكن تؤمن بالبعث لكان مقتضى الفطنة إن كنت عاقلاً أن تحذر من الحسد، لما فيه من ألم القلب مع عدم النفع، فكيف وأنت تعلم ما فيه من العذاب في الآخرة، فهذه الأدوية العلمية، فإذا تفكر الإنسان فيها، أخمدت نار الحسد في قلبه، وأما العمل النافع فيه، فهو أن يتكلف نقيض ما يأمر به الحسد فإذا بعثه على الحقد والقدح في المحسود، كلف نفسه المدح له، والثناء عليه، وإن حمله الكبر، ألزم نفسه التواضع له، وإن بعثه على كف الأنعام عنه، ألزم نفسه زيادة في الإنعام، وقد كان جماعة من السلف إذا بلغهم أن شخصاً اغتابهم، أهدوا إليه هدية، فهذه أدوية نافعة للحسد جداً،

**ومن أمراض القلب حب الدنيا**، وما أكثر الآيات الواردة في القرآن العزيز بعيب الدنيا، والتزهيد فيها، وضرب الأمثال لها كثيرة كقوله تعالى: {زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب* قل أؤنبئكم بخير من ذلكم}[آل عمران:15-14] ، وقوله: {وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور} [آل عمران: 185] ، وقوله: {إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء} الآية [يونس: 24] ، وقوله: {اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة} [الحديد:20] ، وأما الأحاديث، ففي الصحيحين من رواية المستور بن شداد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم، فلينظر بم ترجع ؟)، وفى حديث آخر: (الدنيا

سجن المؤمن وجنة الكافر)[رواه مسلم]، وفى حديث آخر: (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء)، رواه الترمذي وصححه، وفى حديث آخر: (الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان لله منها)، ولقد عرضت على نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم مفاتيحها وخزائنها، لا ينقصها عند الله جناح بعوضة، فأبى أن يقبلها، وكره أن يحب ما أبغض خالقه، أو يرفع ما وضع مليكه، زواها الله عن الصالحين اختياراً، وبسطها لإعدائه اغتراراً، أفيظن المغرور بها المقتدر عليها أنه أكرم بها؟ ونسى ما صنع الله بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم حين شد على بطنه الحجر، والله ما أحد من الناس بسط له في الدنيا، فلم يخف أن يكون قد مكر به، إلا كان قد نقص عقله، وعجز رأيه وما امسك عن عبد فلم يظن أنه قد خير له فيها، إلا كان قد نقص عقله وعجز رأيه، وقيل: مثال طالب الدنيا، مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شراباً ازداد عطشاً حتى يقتله،

**ومن امراض القلوب: البخل والحرص والطمع**: وفى سنن الترمذى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم، بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه)، وقد كان السلف يخافون من فتنة المال، وكان عمر رضى الله عنه إذا رأى الفتوح يبكى ويقول: ما حبس الله هذا عن نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وعن أبى بكر لشر أراده الله بهما، وأعطاه عمر إرادة الخير له،

**ومن أمراض القلوب الرياء وحب الجاه عند الناس**: وروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (إن أخوف ما أخاف على أمتي الرياء والشهوة الخفية)، وهذه الشهوة الخفية يعجز عن الوقوف على غوائلها كبار العلماء، فضلاً عن عامة العباد، وإنما يبتلى بها العلماء والعباد المشمرون عن ساق الجد لسلوك سبيل الآخرة، فإنهم لما قهروا نفوسهم وفطموها عن الشهوات، وحملوها بالقهر على أسباب العبادات، لم تطمع في المعاصي الظاهرة، فاستراحت إلى التظاهر بالعلم والعمل، ووجدت مخلصاً من شدة المجاهدة في لذة القبول عند الخلق، ونظرهم إليها بعين الوقار والتعظيم، فأصابت النفس في ذلك لذة عظيمة، فاحتقرت فيها ترك المعاصي، فأحدهم يظن أنه مخلص لله عز وجل، وقد أثبت في ديوان المنافقين، وهذه مكيدة عظيمة لا يسلم منها إلا المقربون، ولذلك قيل: آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة، وكان أبو العالية رحمه الله إذا جلس إليه أكثر من أربعة قام، وكان خالد بن معدان رحمه الله إذا عظمت حلقته، قام وانصرف كراهة الشهرة،

وقال الزهري رحمه الله: ما رأينا الزهد في شيء أقل منه في الرياسة، نرى الرجل يزهد في المطعم والمشرب والمال، فإذا نوزع الرياسة، حامى عليها وعادى، قال رجل لبشر الحافي رحمه الله: أوصني، فقال: أخمل ذكرك، وطيب مطعمك، من غلب على قلبه حب الجاه، صار مقصور الهم على مراعاة الخلق، مشغوفاً بالتردد إليهم، والمرآة لهم، ولا يزال في أقواله وأفعاله ملتفتاً إلى ما يعظم منزلته عندهم، وذلك بذر النفاق، وأصل الفساد، ولذلك شبه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حب المال والشرف وإفسادهما للدين بذئبين ضاريين أرسلا في غنم، فحب الجاه إذاً من المهلكات، يجب علاجه، وعلاجه مركب من علم وعمل، أما الأول، فهو أن يعلم أن السبب الذي لأجله أحب الجاه، هو كمال القدوة على أشخاص الناس وقلوبهم، وذلك إذا صفا وسلم يكون في آخره الموت فينبغي أن يتفكر في نفسه في الأخطار والآفات اللاحقة لأصحاب الجاه في الدنيا، من تطرق الحسد إليهم، وقصدهم بالإيذاء، فتراهم خائفين على الدوام من زوال جاههم، فالاشتغال بمراعاة ذلك غموم عاجلة، مكدرة لحفظ الجاه، فلا يفي مرجو الدنيا بمخوفها، فضلاً عما يفوت في الآخرة، فهذا من حيث العلم، وأما العلاج من حيث العمل، فهو إسقاط الجاه من قلوب الخلق بأفعال توجب ذلك، كما روى أن بعض الملوك قصد زيارة رجل زاهد، فلما قرب منه، استدعى طعامه وبقلاً ولبناً وجعل يأكل بشره، ويعظم اللقمة فلما نظر إليه الملك سقط من عينه، وأكثر الناس إنما هلكوا لخوف مذمة الناس، وحب مدحهم، فصارت حركاتهم كلها على ما يوافق رضى الناس، رجاء المدح، وخوفاً من الذم، وذلك من المهلكات، فوجبت معالجته، وطريق ذلك أن ننظر إلى الصفة التي مدحت بها، إن كانت موجودة فيك فلا يخلو: إما أن يكون مما يفرح به كالعلم والورع، أو مما لا يصلح أن يفرح به، كالجاه والمال، أما الأول: فينبغي أن يحذر من الخاتمة، فإن الخوف منها شغل عن الفرح بالمدح، ثم إن كنت تفرح بها على رجاء حسن الخاتمة، فينبغي أن يكون فرحك بفضل الله عليك بالعلم والتقوى لا بمدح الناس، وأما القسم الثاني، وهو المدح بسبب الجاه والمال، فالفرح بذلك، كالفرح بنبات الأرض الذي يصير عن قريب هشيماً، ولا يفرح بذلك إلا من قل عقله، وإن كنت خالياً عن الصفة التي مدحت بها، ففرحك بالمدح غاية الجنون،

**ومن أمراض القلوب: (الرياء)**، وقد ورد ذم الرياء في الكتاب والسنة، من ذلك قوله تعالى: {فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون} [الماعون: 6-4] وقوله: {فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً، [الكهف: 110] وأما الأحاديث، فقد روى

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: (من عمل عملاً أشرك فيه غيرى، فهو للذي أشرك، وأنا منه بريء)، وفى حديث آخر: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: يا رسول الله: وما الشرك الأصغر؟ قال: الرياء، يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة إذ جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، هل تجدون عندهم خيراً)، وقال بشر الحافي: لأن أطلب الدنيا بمزمار أحب إلى من أن أطلبها بالدين، و (الرياء) جلى وخفى، فالجلى: هو الذي يبعث على العمل ويحمل عليه، وأخفى منه قليلاً رياء لا يبعث على العمل بمجرده، لكن يخفف العمل الذي أريد به وجه الله تعالى، كالذي يعتاد التهجد كل ليلة ويثقل عليه فإذا نزل عنده ضيف نشط له وسهل عليه، وأخفى من ذلك ما لا يؤثر في العمل ولا في التسهيل، لكنه مع ذلك مستبطن في القلب، ومتى لم يؤثر الدعاء في العمل لم يكن أن يعرف إلا بالعلامات، وأجلى علاماته أنه يسر باطلاع الناس على طاعته، فرب عبد مخلص يخلص العمل، ولا يقصد الرياء بل يكرهه، ويتم العمل على ذلك، لكن إذا اطلع الناس عليه سره ذلك وارتاح له، وروح ذلك عن قلبه شدة العبادة، فهذا السرور يدل على رياء خفي منه يرشح السرور، وأخفى من ذلك أن يختفي بحيث لا يريد الاطلاع عليه، ولكنه مع ذلك إذا رأى الناس أحب أن يبدؤوه بالسلام، وأن يقابلوه بالبشاشة والتوقير وينشطوا في قضاء حوائجه، ويسامحوه في المعاملة، ويوسعوا له المكان، فان قصر في ذلك مقصر، ثقل ذلك على قلبه، كأن نفسه تتقاضى الاحترام على الطاعة التي أخفاها، ومتى لم يكون وجود العبادة كعدمها في كل ما يتعلق بالخلق، لم يكن خالياً عن شوب خفي من الرياء، وكل ذلك يوشك أن يقص الأجر، ولا يسلم منه إلا الصديقون، وأما دواء (الرياء) وطريقة معالجة القلب فيه، ففيه مقامان: أحدهما: في قلع عروقه وأصوله التي منها انشعابه، والثاني: في دفع ما يخطر منه في الحال، المقام الأول: اعلم أن أصل الرياء حب الجاه والمنزلة، وإذا فصل، رجع إلى ثلاثة أصول، وهى حب لذة الحمد، والفرار من ألم الذم، والطمع فيما في أيدي الناس، ويشهد لذلك ما في الصحيحين: من حديث أبى موسى رضى الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم : فقال يا رسول الله، أرأيت الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، فأي ذلك في سبيل الله؟ فقال: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله )،

**ومن أمراض القلب: (الكبر)،** قال الله تعالى: {سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق} [الأعراف:146] وقال: {إنه لا يحب المستكبرين}[النحل:23] ، وفى حديث مسلم، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)، وقال سفيان بن عيينة رحمة الله : من كانت معصيته في شهوة، فارج له التوبة، فإن آدم عليه السلام عصى مشتهيا فغفر له، فإذا كانت معصيته من كبر، فاحش عليه اللعنة، فإن إبليس عصى مستكبراً فلعن، و (الكبر) خلق باطن تصدر عنه أعمال هي ثمرته، فيظهر على الجوارح، وذلك الخلق هو رؤية النفس على المتكبر عليه، يعنى يرى نفسه فوق الغير في صفات الكمال، فعند ذلك يكون متكبراً، وبهذا ينفصل عن العجب، فان العجب لا يستدعى غير المعجب، حتى لو قدر أن يخلق الإنسان وحده تصور أن يكون معجباً، ولا يتصور أن يكون متكبراً، إلا أن يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوقه، فإن الإنسان متى رأى نفسه بعين الاستعظام، حقر من دونه وازدراه، وصفة هذا المتكبر، أن ينظر إلى العامة كأنه ينظر إلى الحمير استجهالاً واستحقاراً، وآفة الكبر عظيمة، وفيه يهلك الخواص، وقلما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء، وكيف لا تعظم آفته، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أنه لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، وإنما صار حجاباً دون الجنة، لأنه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين، لأن صاحبه لا يقدر أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه، فلا يقدر على التواضع، ولا على ترك الحقد والحسد والغضب، ولا على كظم الغيظ وقبول النصح، ولا يسلم من الازدراء بالناس واغتيابهم، فما من خلق ذميم إلا وهو مضطر إليه، و (الكبر) من المهلكات، ومداواته فرض عين، ولك في معالجته مقامان: الأول: في استئصال أصله وقطع شجرته، وذلك بأن يعرف الإنسان نفسه ويعرف ربه، فإنه إذا عرف نفسه حق المعرفة، علم أنه أذل من كل ذليل، ويكفيه أن ينظر في أصل وجوده بعد العدم من تراب، ثم من نطفة خرجت من مخرج البول، ثم من علقة، ثم من مضغة، فقد صار شيئاً مذكوراً، بعد أن كان جماداً لا يسمع ولا يبصر، ولا يحس ولا يتحرك، فقد ابتدأ بموته قبل حياته، وبضعفه قبل قوته، وبفقره قبل غناه، وقد أشار الله تعالى إلى هذا بقوله :{من أي شيء خلقه * من نطفة خلقه فقدره} [عبس : 18، 19] ، ومن هذا حاله، كيف يتكبر؟ ومن العلاج العملي التواضع بالفعل لله تعالى ولعباده، وذلك بالمواظبة على استعمال خلق المتواضعين،

**ومن أمراض القلب: (العجب) :** روى عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (بينما رجل يتبختر في بردين وقد أعجبته نفسه، خسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة)، وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه)، والعجب يدعو إلى الكبر، لأنه أحد أسبابه، فيتولد من العجب الكبر، ومن الكبر الآفات الكثيرة، وهذا مع الخلق، فأما مع الخالق، فإن العجب بالطاعات نتيجة استعظامها، فكأنه يمن على الله تعالى بفعلها، وينسى نعمته عليه بتوفيقه لها، ويعمى عن آفاتها المفسدة لها، وإنما يتفقد آفات الأعمال من خاف ردها دون من رضيها وأعجب بها، و أما (علاج العجب): أن يعلم العبد: أن الله سبحانه هو المنعم عليه بإيجاده وإيجاد أعماله، فلا معنى لعجب عامل بعمله، ولا عالم بعلمه، ولا جميل بجماله، ولا غنى بغناه، إذ كل ذلك من فضل الله تعالى، وإنما الآدمي محل لفيض النعم عليه، وكونه محلاً له نعمة أخرى، وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (لن يدخل أحداً منكم عمله الجنة، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل)،

**ومن أمراض القلب: (الغرور):** فمن الناس من غرته الدنيا، فقال: النقد خير من النسيئة، والدنيا نقد، والآخرة نسيئة، وهذا محل التلبيس، فإن النقد لا يكون خيراً من النسيئة، إلا إذا كان مثل النسيئة، ومعلوم أن عمر الإنسان بالإضافة إلى مدة الآخرة ليس بجزء من ألف جزء إلى أن ينقطع النفس، وإنما أراد من قال: النقد خير من النسيئة، إذا كانت النسيئة مثل النقد، وهذا غرور الكفار، فأما ملابسو المعاصي مع سلامة عقائدهم، فإنهم قد شاركوا الكفار في هذا الغرور، لأنهم آثروا الدنيا على الآخرة، إلا أن أمرهم أسهل من أمر الكفار، من جهة أن أصل الإيمان يمنعهم من عقاب الأبد، ومن العصاة من يغتر، فيقول: إن الله كريم، وإنما نتكل على عفوه، وربما اغتروا بصلاح آبائهم، وقد قال العلماء: من رجا شيئاً طلبه، ومن خاف شيئاً هرب منه، ومن رجا الغفران مع الاصرار، فهو مغرور، وليعلم أن الله تعالى مع سعة رحمته شديد العقاب، وقد قضى بتخليد الكفار في النار، مع أنه لا يضره كفرهم، وقد سلط الأمراض والمحن على خلق من عباده في الدنيا، وهو سبحانه قادر على إزالتها، ثم خوفنا من عقابه، فكيف لا نخاف ؟! فالخوف والرجاء سائقان يبعثان على العمل، وما لا يبعث على العمل فهو غرور، يوضح هذا أن رجاء أكثر الخلق يحملهم على البطالة، وإيثار المعاصي، والعجب أن القرن الأول عملوا وخافوا، ثم أهل هذا الزمان أمنوا مع التقصير

واطمأنوا، أتراهم عرفوا من كرم الله تعالى ما لم يعرف الأنبياء والصالحون، ولو كان هذا الأمر يدرك بالمنى، فلم تعب أولئك وكثر بكاؤهم؟! وهل ذم أهل الكتاب بقوله تعالى: {يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا} [الأعراف:169] ، إلا لمثل هذا الحال؟، وأما من اغتر بصلاح آبائه، فهلا يذكر قصة نوح عليه السلام مع ابنه، وإبراهيم عليه السلام مع أبيه، ومحمد مع عمه صلى الله عليه وآله وسلم وعلى سائر النبيين، ويقع الاغترار في الأغلب في حق أربعة أصناف: العلماء، والعباد، والمتصوفة، والأغنياء، (الصنف الأول): العلماء فأما أهل العلم، فالمغترون منهم فرق أحكموا العلوم الشرعية والعقلية، وأهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصي، وإلزامهم الطاعات، واغتروا بعلمهم، وظنوا أنهم من الله بمكان، ولو نظر هؤلاء بعين البصيرة، علموا أن علم المعاملة لا يراد به إلا العمل، ولولا العمل لم يكن له قدر، قال الله تعالى: {قد أفلح من زكاها} [الشمس:9] ولم يقل: قد أفلح من تعلم كيف يزكيها، فإن تلا عليه الشيطان فضائل أهل العلم، فليذكر ما ورد في العالم الفاجر، كقوله تعالى: {فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث} [الأعراف: 176] ، و{كمثل الحمار يحمل أسفاراً} [الجمعة:5] ، ومنهم فرقة أخرى أحكموا العلم والعمل الظاهر، ولم يتفقدوا قلوبهم ليمحوا الصفات المذمومة منها، كالكبر والحسد والرياء، وطلب العلو، وطلب الشهوة، فهؤلاء زينوا ظاهرهم، وأهملوا بواطنهم، ونسوا قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)، فتعاهدوا الأعمال، ولم يتعاهدوا القلوب، والقلب هو الأصل، إذ لا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم، و (الصنف الثاني): أرباب التعبد والعمل، وهم فرق: فرقة أهملوا الفرائض واشتغلوا بالنوافل الفضائل، وربما تعمقوا في استعمال الماء حتى خرجوا إلى الوسوسة في الوضوء، فترى أحدهم لا يرضى بالماء المحكوم له بالطهارة شرعاً، بل يقدر الاحتمالات البعيدة في التنجس، ولا يقدر ذلك في مطعمه، فلو انقلب هذا الاحتياط من الماء إلى المطعم، لكان أشبه بسير السلف، فإن عمر رضى الله عنه توضأ من جرة نصرانية مع ظهور احتمال النجاسة، وكان مع هذا يدع أنواعاً من الحلال خوفاً من الوقوع في الحرام، وفرقة أخرى اغتروا بالصوم وأكثروا منه، وهم لا يحفظون ألسنتهم عن الغيبة والفضول، ولا بطونهم من الحرام عند الإفطار، ولا خواطرهم عن الرياء، وفرقة أخرى زهدت في المال، وقنعت بالدون من اللباس والطعام، وقنعت من المسكن بالمساجد، فظنت أنها أدركت رتبة الزهاد، وهم مع هذا شديدو الرغبة في الرياسة والجاه، فقد تركوا أهون الأمرين وباؤوا بأعظم المهلكين، وفرق أخرى حرصت على النوافل، ولم تعتن بالفرائض، فترى أحدهم يفرح بصلاة الضحى وصلاة

الليل، ولا يجد للفريضة لذة، ولا يحرص على المبادرة إليها في أول الوقت، وينسى قوله صلى الله عليه وآله وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل: (ما تقرب المتقربون إلا بمثل أداء ما افترضت عليهم)،، ويستعان على التخلص من الغرور بثلاثة أشياء، (العقل): وهو النور الأصلي الذي يدرك به الإنسان حقائق الأشياء، و (المعرفة): التي يعرف بها الإنسان نفسه وربه ودنياه وأخرته، و (العلم)، بكيفية سلوك الطريق إلى الله تعالى وآفاتها، والعلم بما يقربه منه ويهديه، وإذا فعل جميع ذلك ينبغي أن يكون خائفاً أن يخدعه الشيطان، ويدعوه إلى الرياسة ويخاف عليه أيضاً من الأمن من مكر الله تعالى، ولذلك قيل: والمخلصون على خطر عظيم ، وقال الإمام احمد رحمه الله للشيطان حين قال له عند الموت: فُتَّني، فقل: لا ، بعد، فلا ينبغي أن يفارق الخوف قلوب الأولياء أبداً، نسأل الله تعالى السلامة من الغرور، وحسن الخاتمة، إنه قريب مجيب،

***

## المبحث الحادي والعشرون

## التصوف وتزكية الأنفس

## (منهاج الصوفية في التزكية)

**[المفتاح الأول]:** التصوف وتزكية الأنفس: قال الله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا}، و (التزكية) لها في اللغة معنيان (الاول التطهير) والثاني (النماء) وكلاهما مراد، التطهير بتخلية النفس من طباعها الدنيئة، والثاني نماء النفس بتحليها بكريم الاخلاق، المعنى الاول: (التطهير)، تطهيرها من الأدران والأوساخ وتخليتها من الاخلاق الذميمة والصفات الرديئة، والثاني: تنميتها بزيادتها وتحليتها بالأوصاف الحميدة والأخلاق العظيمة، وتزكية النفس واجبة، فيلزم كل مسلم أن يعرف أمراض قلبه وكيفية تطهيره منها، وأن يعرف مراتب النفس وكيفية تزكيتها، وقد أقسم الله عز وجل في كتابه أحد عشر قسماً على فلاح من زكى نفسه وعلى خسران من أهمل ذلك، قال تعالى: {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا * وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} [الشمس: 1 إلى 10]، والنفس من أشد أعداء الإنسان لأنها تدعو إلى الطغيان وإيثار الحياة الدنيا، وسائر أمراض القلب إنما تنشأ من جانبها، ولذلك كان صلى الله عليه وآله وسلم يدعو الله عز وجل بقوله: (اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها)، كما أن تزكية النفس طريق الجنة، قال تعالى: {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى}، فهي إذن شرط لدخول الجنة،

**[المفتاح الثاني]:** تزكية النفس: تنقسم إلى قسمين رئيسين هما: التخلية، و التحلية، فالتخلية: يقصد بها تطهير النفس من أمراضها وأخلاقها الرذيلة، وأما التحلية: فهي ملؤها بالأخلاق الفاضلة وإحلالها محل الأخلاق الرذيلة بعد أن خليت منها، فالأخلاق الرذيلة مثل: الكفر والنفاق، والشرك والرياء، والعجب، والكبر، والبغض والحسد، والشح والبخل، والغضب، والحرص على الدنيا وإيثارها على الآخرة، وأما الأخلاق الفاضلة كالإخلاص والصدق، والتوكل والإنابة والتوبة، والصبر والشكر، والخوف، والرجاء، وحسن الخلق في التعامل مع الناس، والشفقة عليهم، ولكي يستطيع الإنسان الانتصار على نفسه ينبغي له يعتاد دائما على: اتهامها، وعدم تبرئتها، فإنه إذا لم يتهمها الإنسان أغوته وقادته إلى التهلكة، قال تعالى: {إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي}، وأن يعتاد على ترك الانتصاف لها من الغير، وعدم الانتصار لها من أحد حتى وإن كانت مظلومة، فإنها ظلومة جهولة، وإذا كانت هي المظلومة فقد قال الله عز وجل: {ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور}، وقال سبحانه: {ادفع بالتي هي أحسن}، والنفس إذا سرت وراءها وأطلقت لها الزمام سارت

بك إلى أسفل سافلين، وإن زكاها المسلم ودفعها إلى المراتب العالية انقادت له، قال تعالى: {فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى}، والنفس كالطفل تماماً كما يقول البصيري: (والنفس كالطفل إن تهمله شب على ** حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم)، فإذا عامل الإنسان نفسه على هذا النحو ملكها واستطاع توجيهها نحو الخير، ونحو التزكية ونحو الرشاد،

**[المفتاح الثالث]: لابد للسالك إلى الله من معرفة نفسه ومعرفة مراتبها السبعة، ولابد للسالك من معرفة السبل إلى تزكيتها**، وهذه المراتب السبعة هي: أمارة، ولوامة، ملهمة، ومطمئنة، وراضية، ومرضية، وكاملة، يقول الإمام العارف بالله الشيخ الرباني أبو الحسن الشاذلي: (فإذا ما ارتقت من نفس أمارة بالسوء إلى نفس لوامة، ومن لوامة إلى ملهمة، ومن ملهمة إلى مطمئنة، ومن مطمئنة إلى راضية، ومن راضية إلى مرضية، دخلت في حيز النفس الكاملة، وحينئذ تكون قد تخلصت من ران الطباع وكثافة ذميم الخصال وتحكم سجن الجسد فيها، فيكون لها الشفافية والإطلاق، فتتحكم هي في الجسد ولا يتحكم الجسد فيها، ويكون صاحبها روحانياً، وهذه المرتبة هي التي تسمى فيها النفس: روحاً)، **(النفس الأولى)**: النفس الأمارة بالسوء، جاء فيها قوله تعالى: {إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ}، والنفس الأمارة بالسوء عدوة للإنسان تأمره بالسوء، وهي من جند إبليس الرجيم لعنه الله، وهي سلاحه الذي يصيد به أهل المعصية والضلال، يستغل هواها وشهواتها وطباعها وشرورها من البخل والحرص والأمل والكبر والشهرة والحسد والغفلة والأمن والراحة والفترة والكسل والعجز والغرور، يستغل تلك الصفات الموجودة فيها من اجل إغواء الإنسان وإهلاكه، وهي امارة بالسوء إن غفل الإنسان عن محاسبتها هلك، وإن عجز عن مخالفتها قادته إلى النار، وهي رأس البلايا، ومأوى كل شر نعوذ بالله من شرها، والنفس الأمارة بالسوء هي نفوس الكفار ومن حذا حذوهم، لا تأمر صاحبها بخير، وإنما تأمره بالسوء، وهي مع ذلك راضية بأفعالها محسنة لها، **و (النفس الثانية)**: النفس اللوامة: أقسم به الله تعالى في القرآن الكريم، قال تعالى: {لا أقسم بيوم القيامة * ولا أقسم بالنفس اللوامة}، النفس اللوامة هي التي تفعل الخير وتحبه، وفي نفس الوقت تعمل المعصية وتكرهها، وتجدها إذا فعلت المعصية، شعرت بالندم والحسرة، وتلوم نفسها أي حال فعلها، وتمنت أنها لم تفعلها، وقد ذكر الله النفس اللوامة في القرآن الكريم لما لها من تأثير طيب على صاحبها في تبديل حاله من الشر إلى

الخير ومن الخطيئة إلى الطاعة، **و (النفس الثالثة)**: هي النفس الملهمة، قال تعالى (ونفس وما سواها فألهمها فجورها تقواها}، والنفس الملهمة بالتقوى: من صفاتها السخاوة والقناعة والعلم والتواضع والتوبة والصبر وتحمل الأذى، وهذه النفس قنطرة بين النفس اللوامة والنفس المطمئنة، وهي النفس التي الهمت معرفة الفجور والتقوى، وعلامتها أن يعرف صاحبها الدسائس الخفية الدقيقة من الرياء والعجب والتي قد تخفى على النفس اللوامة، **و (النفس الرابعة)** النفس المطمئنة: هي نفس تحب الخير وتفعله، وتكره المعصية وتجتنبها فعلاً وقولاً، ولا تشعر بالسعادة إلا بفعل الخير والطاعة لله، وتوصف هذه النفس بالنفس المطمئنة، والنفس المطمئنة تكون غاية ما تكون من الاطمئنان إذا تحققت في طاعة الله تعالى، ولهذه النفس صفات تتحلى بها وأهمها: الورع والإخلاص، قال الله تعالى في حق صاحبها: {الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله، ألا بذكر الله تطمئن القلوب}، **و** النفس المطمئنة نفس زالت عنها الشهوات وتبدلت عندها الصفات المذمومة بصفات محمودة، وصاحب النفس المطمئنة لابد وان يتنبه إلى أنها مع اطمئنانها لا تخلو من دسائس خفية جدا كالشرك الخفي وحب الرئاسة والاعجاب والثناء من الخلق، **و (النفس الخامسة)**: النفس الراضية: والرضى فوق الاطمئنان، فإذا تحققت النفس بهذه المنزلة، كان صاحبها راضيا بالله تعالى ربا وإلها وراضيا بقضاء الله وقدره، وراضيا عن دينه وشرعه، ومنقطعاً عن دعوى الاستقلال لنفسه، راضياً بكل ما يأتي من ربه مستسلماً إليه بكامل الرضا والقناعة، و (النفس الراضية) هي التي رضيت عن الله في جميع حالاتها، وهي النفس التي انقطع عنها عرق الرياء، واستوى عندها المدح والذم، وهي التي تواضعت ورضيت بكل ما يأتي به القضاء والقدر من غير أدنى اعتراض، تلك هي النفس الراضية، **و (النفس السادسة)**: النفس المرضية، هي التي حازت رضا الله، فهي راضية عن الله مرضية عند الله، وهي النفس التي جاء ذكرها في سورة الفجر، قال تعالى: {يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي}، و (النفس المرضية) أعلى من الراضية، لأنها لما رضيت عن الله فكان جزاؤها رضا الله عنها، فمن رضي فله الرضا، كما أنه: من سخط فله السخط، و (النفس المرضية): تدخل في زمرة عباد الله المقربين الذين تتحقق فيهم صفات العبودية الخالصة لله وحده، **و (النفس السابعة)**: النفس الكاملة المستقيمة، التي صارت صفات الكمال لها طبعا وسجية، وهي النفس التي صارت روحا نورانيا شريفا ساميا تؤهل صاحبها للدخول إلى عالم الولاية وعالم الشهود، وتجليات حضرة الحق، هذه النفس الكاملة ترفع صاحبها إلى كمال الخلق الإنساني، وتسمو بصاحبها إلى عالم الملائكة والطهر والمثال، (تنبيه)

العواقب مجهولة، والاعمال بالخواتيم، والنفس لا امان لها وإن بلغت مراتبها السبعة، فلا يأمن احد على نفسه، فلابد من مجاهدتها وتزكيتها في كل وقت وحين آناء الليل وأطراف النهار، لأنه لا يامن مكر الله إلا القوم الخاسرون، قال بعض العارفين: (النفس حية تسعى وإن بلغت مراتبها السبعة) نسأل الله حسن الختام،

**[المفتاح الرابع]: وسائل تزكية النفس**: أول الوسائل التي يتوصل بها إلى تزكية هذه النفس: تخلية النفس من أخلاقها الرذيلة التي منها الرياء والعجب والشح والبخل، والحرص والطمع، والأمن من مكر الله، وثاني تلك الوسائل العمل على تحليتها بالأخلاق الحميدة الفاضلة كالإخلاص والصدق والكرم والسخاء والجود، مع المحافظة على الفرائض، لأنها أفضل طاعة يتقرب بها العبد إلى مولاه، قال تعالى: {إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر}، وفي الحديث: (وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، والإكثار من النوافل، وفي تكملة الحديث القدسي: (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه)، **ثم (لزوم الاستغفار)** لقول الله عز وجل: {والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم}، وقوله تعالى: {ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما}، **وقوله تعالى: {وما تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُم مِنْ خير تجِدُوه عند اللهِ هوَ خيراً وأعظَمَ أجراً واستغفروا اللهَ إنَّ اللهَ غفورٌ رحيم} [المزمل: 20]، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكثر من الاستغفار تعليماً لأمته وتوجيهاً، كما روى أبو هريرة رضي الله عنه قوله: (والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة )، ثم (لزوم الذكر، والمداومة على ذكر الله)** لقوله سبحانه: {ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين} وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً}، وقوله تعالى: {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ}، وقوله تعالى: {وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا}، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (ألا أنبئكم بخير أعمالكم و أزكاها عند مليككم و أرفعها في درجاتكم و خير لكم من أنفاق الذهب و الورق و خير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم و يضربوا أعناقكم؟ قالوا بلى، قال: ذكر الله تعالى)، وقوله صلى الله عليه و سلم: (يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، و أنا معه إذا ذكرني، فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي و ان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، و ان تقرب إلي شبرا تقربت اليه ذراعا و ان تقرب إلى ذراعا تقربت اليه باعا و ان اتاني يمشي أتيته هرولة) وقوله صلي الله عليه

و سلم: للذي سأله فقال: (يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كَثُرَتْ عليَّ، فأخبرني بشيء أتشبث به)، قال صلي الله عليه و سلم: (لا يزال لسانُك رَطْباً من ذكر الله)، **ثم (المداومة على الأوراد)**، وأعظم الأوراد تلاوة القرآن، فلا بد من ورد يومي لقراءة القرآن، ويختلف الورد في القرآن الكريم من شخص إلى شخص وفق القدرة والهمة والوقت، وفي الحديث الذي رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم: (قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: (من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين)، وأقل مدة لختمة القران ثلاثة أيام، والحد الوسط أن يختم القرآن مرة كل أسبوع إذا تمكن من ذلك، والحد الأبعد أن يختم القرآن مرة كل شهر، **وأفضل أوقات الأوراد ما كان بعد الصلوات المفروضات، فإنها من خير الاوراد فضلا وبركة،وما كان بعد صلاة الفجر، وورد السحر وأفضله الاستغفار، لقوله تعالى: {وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}، وورد ما بعد صلاة العصر، وكذلك أوراد ختم الصلوات**، اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها،

**[المفتاح الخامس]:** اجتهد بعض العارفين من أهل الله تعالى المجربين الصادقين في الارتقاء بالنفس من اللوامة إلى النفس الكاملة عبر ذكر الله تعالى، وأهل الطريق اهل تجربة ومجاهدة وخبرة وكشف فلا يستهان بتجاربهم ومعارفهم، وذكر أنّ: الأنفس سبعة يمكن الارتقاء بها من خلال الذكر: (النفس الأولى: النفس الامارة بالسوء، قال: وذكرها (لا إله إلا الله) مائة ألف مرة، و بعد إكمال العدد يصلي السالك ركعتين حاجة لله تعالى بنية شراء نفسه الأمارة بهذه المائة ألف " لا إله إلا الله "، قال: [و] النفس الثانية: النفس اللوامة (قال: وذكرها (الله) مائة ألف مرة، و بعد إكمال العدد يصلي السالك ركعتين حاجة لله تعالى بنية شراء نفسه اللوامة بهذه المائة ألف "الله"، قال: [و] النفس الثالثة: النفس الملهمة، قال: وذكرها: (هو) مائة ألف مرة، و بعد إكمال العدد يصلي السالك ركعتين حاجة لله تعالى بنية شراء نفسه الملهمة بهذه المائة ألف " "هو"، قال: [و] النفس الرابعة: النفس المطمئنة، قال: وذكرها: (حي) مائة ألف مرة، وبعد إكمال العدد يصلي السالك ركعتين حاجة لله تعالى بنية شراء نفسه المطمئنة بهذه المائة ألف اسم الله " الحي"، قال: [و] النفس الخامسة: النفس الراضية، قال: وذكرها: (قيوم) مائة ألف مرة، وبعد إكمال العدد يصلي السالك ركعتين حاجة لله تعالى بنية شراء نفسه الراضية بهذه المائة ألف اسم الله " القيوم"، قال: [و] النفس السادسة: النفس المرضية قال وذكرها: (حق) مائة ألف مرة، وبعد إكمال العدد يصلي السالك ركعتين حاجة لله

تعالى بنية شراء نفسه المرضية بهذه المائة ألف اسم الله " الحق"، قال: [و] النفس السابعة: النفس الكاملة الصافية، قال: وذكرها: (قهار) مائة ألف مرة، وبعد إكمال العدد يصلي السالك ركعتين حاجة لله تعالى بنية شراء نفسه الكاملة بهذه المائة ألف اسم الله " القهار"، هذا والله أعلم)،

**[المفتاح السادس]:** الهدف من السلوك والتزكية هو وصول المرء إلى مقام الإحسان : وفي صحيح مسلم من حديث جبريل المشهور: (قال فأَخْبِرني عن الإحسان؟ قال "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) **قال الهروي في "منازل السائرين"**: هذا الحديث إشارة جامعة لمذهب هذه الطائفة، قال شارحه: لأن أصل هذه الطريقة الخاصة كمال المعرفة ودوام المراقبة للحق سبحانه في الحركات والسكنات، بل في الأنفاس واللحظات، حتى يستولي سلطان الحق على القلوب، فيضمَحل ما تعلقت به أو سكنت إليه من الأحوال والخطوب، **فالإحسان يشتمل على مقامين (المراقبة ثم المشاهدة)، والحديث بدأ بالمشاهدة إشارة إلى علوّها وسُموّها، وأنها المقصد الأهم، أما في السلوك والتَرقّي فيكون البدءُ بالمراقبة، لأن دوامها يورث المشاهدة**، ولهذا لما أراد الجُنيد الدخول في الطريق وذهب إلى خاله وأستاذه السري السقطي يفضي إليه برغبته، قال له: يا بني إني ألقنك ثلاث كلمات، إذا أردت أن تنام من الليل فقل عند نومك: الله معي، الله ناظر إليَّ، الله شاهد عليَّ، قال الجُنيد: فواظبت عليها نحو شهر، ثم قال لي أستاذي: يا بُني إذا كان الله معك وناظر إليك وشاهد عليك، فهل يصح أن تعصيه؟ قال الجُنيد فنفعني الله بهذه الكلمات طوال حياتي، كلما هَمَمت بمعصيةٍ تذكرتها فما عصيت الله قط، **فانظر كيف لقَّنَ السري تلميذه الجُنيد مقام المراقبة لأنه يُوصل إلى المشاهدة القلبية، أما المشاهدة البصرية فهي في الدنيا خاصة بنبينا صلى الله عليه وآله وسلم، لم تُعطَ لغيره**، قال ابن عباس: إن الله أعطى الخُلة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، وفي صحيح مسلم في حديث الدجّال وأنه يقول للناس أنا ربكم قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم "واعلموا أن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت" وسُئل الإمام مالك لِمَ لَمْ يرَ المؤمنون ربهم في الدنيا وإنما يرونه في الآخرة؟ فأجاب بأنهم في الدنيا فانون، والفاني لا يرى الباقي، وفي الآخرة أعطوا أبصاراً باقية، فرأوا الباقي بالباقي، إن مذهب أهل التصوف إنما يدور على تحقيق مرتبة الإحسان – أعلى مراتب الدين –، وهذه المرتبة العالية (مرتبة الإحسان) يسميها العلماء كذلك مرتبة السابق بالخيرات وذلك لقوله تعالى السابقين {ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله

ذلك هو الفضل الكبير} [فاطر: 32] ويسميها العلماء كذلك مرتبة المقربين لقوله تعالى {والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم} [الواقعة: 10-12]، وهي مرتبة الصديقين والسابقين والمقربين والمسارعين إلى عمل الخيرات والمتنافسين في القرب من رب العباد ونيل رضوانه، وهي مرتبة العارفين بالله السالكين طريقه الخائفين من مقامه وعذابه والطامعين في رضوانه والراجين لرحمته، ولهذه المرتبة العالية مقامات عظيمة متفاوتة تبدأ (بمقام المراقبة) وهو يُعلم من قوله صلى الله عليه وسلم (فإن لم تكن تراه فإنه يراك)) ويندرج المحسن في منازلها ومقاماتها حتى يبلغ (مقام المشاهدة القلبية)، وهي كما قال صلى الله عليه وسلم (أن تعبد الله كأنك تراه))، (فالمراقبة) تكون بمراقبة الله تعالى في الأعمال الظاهرة والباطنة مع اليقين الدائم بأن الله يراك في كل حين فتحسن العمل وتخلصه وتتقنه لله، ويتدرج المحسن بعد ذلك في منازل الإحسان عن طريق إتقان مقامات القلوب من التوبة والزهد والفقر والصبر والتوكل والرضا وإحسان أعمال القلوب من التقوى والمحبة والخوف والرجاء والخشية والإنابة والصبر والشكر والتقوى، وعن طريق العبادات والقربات والطاعات من الصلاة والصيام والصدقة والإنفاق والقيام وتلاوة القرآن، وعن طريق التنزه عن المكروهات فضلاً عن المحرمات، واتقاء الشبهات واجتناب الصغائر فضلاً عن الموبقات، فبإحسان أعمال القلب، وبإحسان أعمال اللسان، وبإحسان أعمال الجوارح لا يزال العبد يتقرب إلى الله، حتى يصبح من أولياء الله تعالى الصالحين، كما جاء في الحديث عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال (إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إِليَّ عبدي بشيء أحب إِليَّ مما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سَمْعه الذي يسمع به، وبصره الذي يُبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأُعطينّه، ولئن استعاذني لأُعيذنّه)) [أخرجه البخاري]، وآنذاك يُنعم عليه بالصعود في منازل الإحسان وأعلى تلك المنازل منزلة المشاهدة القلبية، وهي (أن تعبد الله كأنك تراه))، وهذه منزلة الصديقين الذين قرب علم يقينهم في الله من عين يقينهم فيه ففتح الله تعالى عليهم من أنواع القربى والمعرفة وأعمال القلوب ما شاء، ومهما وصل العبد في القربى من الله، وفي المعرفة والعلم وفي العبادة والطاعة ففيه تقصير، وكل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابين، وأهل مرتبة الإحسان السابقون بالخيرات، قد يُقصّر أحدهم في أوراده العبادية أو العلمية أو العملية فيكون ذلك في حقهم تقصير، وكما قيل [حسنات الأبرار سيئات المقربين]، وقد يكون منهم اللمم الذي وعدهم الله عليه المغفرة بقوله {الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلاّ اللمم إن ربك واسع المغفرة} [النجم: 31]،

ولهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الأسوة والقدوة، فقد كان صلى الله عليه وسلم يستغفر في المجلس الواحد أكثر من سبعين مرة، وفي اليوم والليلة أكثر من مائة مرة، وحاشى لله أن يكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل الخلق ذنب لله رب العالمين، حاشا لله أن يكون له ذنوب وخطايا من جنس ذنوبنا وخطايانا، بل هو من باب فضل الله العظيم على الرسول صلى الله عليه وسلم وطاقة البشر المحدودة فيكون الاستغفار بموجب عظم النعمة التي منَّ الله تعالى بها على رسوله صلى الله عليه وسلم، على أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأل جهداً في عبادة الله فهو أعبد الناس وأشكرهم وأحمدهم لله رب العالمين، ولذلك كانت المغفرة من الله تعالى له لكون ذلك الشكر خارج عن مقدور الخلق وجهدهم فمن من الخلق يستطيع القيام بحق الربوبية والألوهية وشكر الذات والأسماء والصفات والأفعال وهذه لا يقدرها قدرها إلاّ الله جل وعلا فهي فوق طاقة الخلق إلاّ أن أعظمهم شكراً لتلك الحقوق هو النبي صلى الله عليه وسلم، وقد كان استغفاره صلى الله عليه وسلم لعلمه بأن القيام بشكر الذات والأسماء والصفات والأفعال والقيام بحق الربوبية والألوهية هو فوق مقدور الخلق، وقد كان صلى الله عليه وسلم أعلم الناس بربه جل وعلا صلى الله وسلم عليه وآله وصحبه أجمعين صلاة وتسليماً دائمين مضاعفين إلى يوم الدين،

**[المفتاح السابع]:** الطريق الصوفي والمقامات والأحوال الصوفية: إن التصوف – في المقام الأول – خبرة عملية ذاتية، وليس ضربًا من العلوم النظرية مثل علم الفقه وعلم العقيدة، والمعرفة الصوفية لا تأتى من دروس نظرية فى الأمور بقدر ما تُحصَّل من مجاهدات ورياضات ذاتية، لذلك فإن الصوفية يتكلمون في التصوف عن تجربة وتذوق لا كعلم نظري مجرد، يتدرج السلوك الصوفي عبر عدد من (المراحل الروحية) التي تُسمَّى عندهم (بالمقامات والأحوال)، والمقامات تأتى في الغالب من المجاهدات الذاتية للصوفي كدوام الذكر والفكر والصيام والاجتهاد في العبادة والطاعة لاسيما عبادات القلب من الخشية والورع والتقوى والمحبة وغيرها، والأحوال تأتى فى الغالب من المواهب الإلهية بفضل من الله تعالى ومنة منه، ويختلف عدد وترتيب هذه المراحل الروحية من صوفي لآخر، ومجموع هذه المراحل الروحية يشكل ما يسمَّى (بالطريق الصوفي)، والطريق الصوفي لا بدَّ من سلوكه لكل من أراد الوصول إلى غايته، فلذلك يُسمَّى أيضًا (بالسلوك الصوفي)، ونظرًا لصعوبة هذا الطريق فهناك مبدأ عام عند المتصوفة يُثبت أن هذا السلوك الروحي يجب أن يتم تحت إرشاد شيخ محقِّق يساعد المريد في تقدمه الروحي مع تجنب مخاطره الخطرة لاسيما مع

تلبيس إبليس الذي أقسم على إضلال الناس أجمعين إلا عباد الله المخلصين، الطريق الصوفي طويل وعر وشاق لا يسلكه إلا الرجال الصادقون ولا يصل إلى درجاته العليا إلا المفردون من الاولياء الصالحين، وهو درجات بعضها فوق بعض – أوصلها العارفون إلى مائة درجة – تمثل في مجموعها مرتبة الإحسان، وتدور جميعها بين المراقبة والمشاهدة، كما بينها الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل عليه السلام المشهور وفيه: (قَالَ: فأخبرني عَنْ الإحسان؟ قَالَ: "أن تعبد اللَّه كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك")) [أخرجه مسلم]، ف (كأنك تراه) نهاية الطريق، و (فإنه يراك) بداية الطريق، وبينهما من المقامات والأحوال ما يشيب له رؤوس الولدان من الاجتهادات والمجاهدات، ولكي تعلم مدى صعوبة بلوغ تلك المقامات انظر إلى ما جاء في حلية الأولياء: " قال أبو بكر الكتاني وأبو الحسن الرملي رحمهما الله تعالى: سألْنا أبا سعيد الخراز، فقلنا: أخبرنا عن أوائل الطريق إلى الله تعالى؟ فقال: (التوبة)، وذكر شرائطها، ثم يُنقل من مقام التوبة إلى مقام (الخوف)، ومن مقام الخوف إلى مقام (الرجاء)، ومن مقام الرجاء إلى مقام (الصالحين)، ومن مقام الصالحين إلى مقام (المريدين)، ومن مقام المريدين إلى مقام (المطيعين)، ومن مقام المطيعين إلى مقام (المحبين)، ومن مقام المحبين إلى مقام (المشتاقين)، ومن مقام المشتاقين إلى مقام (الأولياء)، ومن مقام الأولياء إلى مقام (المقربين)، **وذكروا لكل مقام عشر شرائط**، إذا عاناها وأحكمها وحلَّت القلوب هذه المحلة أدمنت النظرة في النعمة، وفكرت في الأيادي والإحسان، فانفردت النفوس بالذكر، وجالت الأرواح في ملكوت عزه بخالص العلم به، واردةً على حياض المعرفة، إليه صادرة، ولِبابهِ قارعة، وإليه في محبته ناظرة، أما سمعت قول الحكيم وهو يقول: أُراعي سواد الليل أنساً بذكره و شوقاً إليه غير مستكره الصبر ولكن سروراً دائماً وتعرضاً وقرعاً لباب الرب ذي العز والفخر فحالهم أنهم قَرُبُوا فلم يتباعدوا، ورُفعت لهم منازل فلم يُخفَضوا، ونُوِّرتْ قلوبهم لكي ينظروا إلى مُلْك عدن بها ينزلون، فتاهوا بمن يعبدون، وتعززوا بمَنْ به يكتفون، حلَّوا فلم يظعنوا، واستوطنوا محلته فلم يرحلوا، فهم الأولياء وهم العاملون، وهم الأصفياء وهم المقربون، أين يذهبون عن مقام قربٍ هم به آمنون، وعزوا في غرف هم بها ساكنون، جزاءً بما كانوا يعملون، فلمثل هذا فليعمل العاملون) ["حلية الأولياء" لأبي نعيم ج10: ص248 . 249]، **ولكي يقطع المرء عقبات الطريق**، ويجتاز مقاماته لا بد له من مجاهدات نفسية ومواصلة للذكر والمراقبة والمحاسبة والخلوات، فالوصول إلى الله تعالى لا يُنال بالتشهي والتمني بل لا بد من إيمان وتقوى، وصدق في القصد، وإخلاص في الغاية، وعند ذلك يكرم الله السالكين إليه بالمعرفة الكاملة، والمنزلة العالية، **والغاية**

**الكبرى التي ليس دونها غاية من سلوك الطريق الصوفي** بمقاماته العظام من (المراقبة) إلى (المشاهدة) هي تحقيق رضا الله سبحانه وحب لقائه، وقد أيقنوا بالرجوع إلى الله لقوله تعالى: {أَفَحَسِبْتُم أَنَّما خلقْناكُم عبَثاً وأَنَّكُم إلينا لا ترجعون} [المؤمنون: 115]، فأحبوا لقاء مَنْ سيرجعون إليه، وجدُّوا واجتهدوا في سيرهم الحثيث رغبة في لقاء الله تعالى وهو عنهم راض، والسالك الصادق المخلص لا يطلب المقامات ولا يقصد المراتب والكرامات، وإنما هي منازل يقطعها في طريقه إلى الغاية الكبرى، قال ابن عطاء الله السكندري رحمه الله تعالى: (ما أرادت همة سالك أن تقف عند ما كُشف لها إلا ونادته هواتف الحقيقة: الذي تطلب أمامك) ["إيقاظ الهمم في شرح الحكم" ج1: ص51]،**ويختلف الواصلون في وصولهم إلى الله تعالى كل على حسب مقامه وهمته،** فمنهم من وصل في سيره إلى وحدة الأفعال ذوقاً وشهوداً، ويفنى فعله وفعل غيره، ويتذوق معنى قوله تعالى: {وما رميتَ إذ رميتَ ولكِنَّ اللهَ رمى} [الأنفال: 17]، وهذه رتبة في الوصول، ومنهم من يصل في سيره إلى وحدة الصفات ذوقاً وشهوداً، فيتذوق معنى قوله تعالى: {وما تشاؤون إلا أن يشاء اللهُ} [الدهر: 30]، ويتذوق معنى الحديث القدسي: "فإذا أحببْتُه كنتُ سمعَه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به" [أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق عن أبي هريرة رضي الله عنه]، وهذه رتبة في الوصول، ومنهم من يترقى إلى مقام الفناء في الذات، فيشهد عَرَضية كل شيء مقابل وجود الحق عز وجل، وتفيض عليه أنوار اليقين، ولسان حاله يقول: وجودي أن أغيبَ عن الوجود بِما يبدو عليَّ من الشهود ويتذوق قول الله تعالى: {كُلُّ مَنْ عليها فانٍ، وَيَبقى وَجهُ ربِّكَ ذو الجلال والإكرام} [الرحمن: 26 – 27]، وقول رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم: "أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لَبيد: ألا كلُّ شيء ما خلا الله باطلُ..." [أخرجه البخاري]، **والصوفية الصادقون في طريقهم للوصول إلى الله تعالى** قد جعلوا الكتاب دليلهم، عاملين بقوله تعالى: {وما خلقتُ الجنَّ والإنس إلا لِيَعبُدونِ} [الذاريات: 56]، وقوله تعالى: {فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ} [الذاريات: 50]، فلم تغرَّهم الدنيا بزخارفها ولم توقفهم بعلائقها، ومقتدين بسيد الأنبياء والمرسلين وإمام المتقين صلى الله عليه وسلم، عندما خاطبه المولى سبحانه بقوله تبارك وتعالى: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} [الأنعام: 162، 163]، فساروا وراءه صلى الله عليه وسلم متبعين له في جميع حالاته وأخلاقه وأفعاله، عملا بقوله تعالى: {قل إنْ كنْتُم تحبُّون اللهَ فاتَّبعوني يُحبِبْكُمُ اللهُ ويغفرْ لكُمْ ذنوبَكُم} [آل عمران: 31]، فساروا في طريقه الحنيف غير منحرفين إلى دنيا، ولا ملتفتين إلى عرض زائل،

عملا بقوله تعالى: {وأنَّ هذا صراطي مُستقيماً فاتَّبِعوه ولا تتَّبِعوا السُبُلَ فتفرَّقَ بكم عن سبيله} [الأنعام: 153]، يعلمون الغاية من وجودهم، ويحبون لقاء مَنْ سيرجعون إليه، عملا بقوله تعالى: {أفَحَسِبْتُم أنَّما خلقْناكُم عبَثاً وأنَّكُم إلينا لا ترجعون} [المؤمنون: 115]، فجدُّوا واجتهدوا في سيرهم الحثيث إلى الله، **والمقامات التي يمر بها السالك في سيره إلى الله تعالى كثيرة جدا**، أولها التوبة إلى الله، فمن لا توبة له لا سير له، وهي منطلق السالك في سيره إلى ربه، قال الله تعالى – في ذكر بعض تلك المقامات: {التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} [التوبة: 112]، وقال تعالى: {الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ} [آل عمران: 17]، وقال تعالى: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 35]، **وقد ذكر القشيري في رسالته** [الرسالة القشيرية] عدداً من تلك المقامات والأحوال والأخلاق، جاء منها باب التوبة وباب المجاهدة وباب الزهد وباب الصمت وباب الخوف وباب الرجاء وباب وباب الجوع وباب الخشوع وباب التواضع وباب مخالفة النفس وذكر عيوبها وباب الحسد وباب الغيبة وباب القناعة وباب الشكر وباب اليقين وباب الصبر وباب المراقبة وباب الرضا وباب العبودية وباب الإرادة وباب الإخلاص وباب الحياء وباب الفراسة وباب الخلق وباب الجود والسخاء وباب الغيرة وباب الولاية وباب الفقراء وباب التصوف وباب الأدب وباب الصحبة وباب التوحيد وباب الخروج من الدنيا وباب المعرفة بالله وباب الشوق، **وكذلك فإن الكلاباذي في كتابه:** [التعرف لمذهب أهل التصوف] ذكر مقامات السالكين، وذكر منها: مقامات التوبة والزهد والصبر والفقر والتواضع والخوف والتقوى والإخلاص والشكر والتوكل والرضا واليقين والذكر والأنس والقرب والمحبة والتجريد والتفريد والوجد والسكر والغيبة والشهود والجمع والتفرقة والفناء والبقاء والتوحيد، **وكذلك ذكر الإمام الغزالي في كتابه [إحياء علوم الدين في الربع الرابع منه ربع المنجيات]**، مقامات التوبة والصبر والرجاء والخوف والزهد والفقر والتوحيد والتوكل والمحبة والشوق والأنس والرضا والمحاسبة والمراقبة والتفكر، **وذكر الإمام أبو نصر السراج الطوسي في كتابه [اللمع]** مقامات التوبة والورع والزهد والفقر والصبر والتوكل والرضا والمراقبة والقرب والمحبة والخوف والرجاء والشوق والأنس والطمأنينة والمشاهدة واليقين، **وذكر الهروي في كتابه**

**[منازل السائرين] أنها ألف مقام، ذكر أصولها وجعلها مائة مقام، وقسمها عشرة أقسام، في كل قسم عشر مقامات، وقال في مقدمة كتابه:** " وبعد فإن جماعة من الراغبين في الوقوف على منازل السائرين إلى الحق عز اسمه من الفقراء من أهل هراة والغرباء طال علي مسألتهم إياي زمانا أن أبين لهم في معرفتها بيانا يكون على معالمها عنوانا فأجبتهم بذلك بعد استخارتي الله واستعانتي به، وسألوني أن أرتبها لهم ترتيبا يشير إلى تواليها ويدل على الفروع التي تليها وأن أخليه من كلام غيري وأختصره ليكون ألطف في اللفظ وأخف للحفظ، وإني خفت أني إن أخذت في شرح قول أبي بكر الكتاني إن بين العبد والحق ألف مقام من نور وظلمة طولت علي وعليهم فذكرت أبنية تلك المقامات التي تشير إلى تمامها وتدل على مرامها وأرجو لهم بعد صدق قصدهم ما قال أبو عبيد البسري إن لله عبادا يريهم في بداياتهم ما في نهاياتهم، ثم إني رتبته لهم فصولا وأبوابا يغني ذلك الترتيب عن التطويل المؤدي إلى الملال ويكون مندوحة عن التسآل فجعلته مائة مقام مقسومة على عشرة أقسام، **إلى أن قال:** وإني مفصل لك درجات كل مقام منها لتعرف درجة العامة منه ثم درجة السالك ثم درجة المحقق ولكل منهم شرعة ومنهاج ووجهة هو مولاها قد نصب له علم هو له مبعوث واتيح له غاية هو إليها محثوث وإني أسأل الله أن يجعلني في قصدي مصحوبا لا محجوبا وأن يجعل لي سلطانا مبينا إنه سميع قريب، واعلم أن الأقسام العشرة التي ذكرتها في صدر هذا الكتاب هي: **(قسم البدايات)**: وهو عشرة أبواب وهي: اليقظة، والتوبة، والمحاسبة، والإنابة، والتفكر، والتذكر، والاعتصام، والفرار، والرياضة، والسماع، ثم **(قسم الأبواب)**: وهو عشرة أبواب وهي: الحزن، والخوف، والإشفاق، والخشوع، والإخبات، والزهد، والورع، والتبتل، والرجاء، والرغبة، ثم **(قسم المعاملات)** وهو عشرة أبواب وهي: الرعاية، والمراقبة، والحرمة، والإخلاص، والتهذيب، والاستقامة، والتوكل، والتفويض، والثقة، والتسليم، ثم **(قسم الأخلاق)**: وهو عشرة أبواب وهي: الصبر، والرضى، والشكر، والحياء، والصدق، والإيثار، والخلق، والتواضع، والفتوة، والانبساط، ثم **(قسم الأصول)** وهو عشرة أبواب وهي: القصد، والعزم، والإرادة، والأدب، واليقين، والأنس، والذكر، والفقر، والغنى، ومقام المراد، ثم **(قسم الأودية)**: وهو عشرة أبواب وهي: الإحسان، والعلم، والحكمة، والبصيرة، والفراسة، والتعظيم، والإلهام، والسكينة، والطمأنينة، والهمة، ثم **(قسم الأحوال)** وهو عشرة أبواب وهي: المحبة، والغيرة، والشوق، والقلق، والعطش، والوجد، والدهش، والهيمان، والبرق، والذوق، ثم **(قسم الولايات)** وهو عشرة أبواب وهي: اللحظ، والوقت، والصفاء، والسرور، والسر، والنفس، والغربة، والغرق، والغيبة، والتمكن، ثم **(قسم الحقائق)** وهو

عشرة أبواب وهي: المكاشفة، والمشاهدة، والمعاينة، والحياة، والقبض، والبسط، والسكر، والصحو، والاتصال، والانفصال، ثم **(قسم النهايات):** وهو عشرة أبواب وهي: المعرفة، والفناء، والبقاء، والتحقيق، والتلبيس، والوجود، والتجريد، والتفريد، والجمع، والتوحيد، ثم أخذ في بيان تلك المقامات المائة، وجعل لكل مقام منها ثلاث درجات، درجة العامة، ثم درجة السالك، ثم درجة المحقق [أنظر منازل السائرين لشيخ الإسلام الهروي]، وبعد فتلك هي بعض المقامات والأحوال التي يقابلها الصوفي في طريقه إلى الله، حتى يصل إلى (وحدة الشهود) ومفادها أن: يصل الصوفي إلى نهاية الطريق أو إلى مقصده الأسمى في المراحل العليا من أمثال المعرفة والمحبة، حتى الفناء التام في الحقيقة العليا، أي في الله، وهناك يصير الصوفي في حضرة "ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من الأسرار الإلهية، وقد عبر بعض الصوفية عن تلك التجربة العميقة الفريدة بعبارات غريبة عُرفت بالشطحات الصوفية، التي أثارت الاستنكار بل الشك والرفض من طرف بعض الناس بسبب صياغتها اللفظية المذهلة المُغربة، فدارت المناقشات والمجادلات واختلفت الآراء حول تلك العبارات عبر القرون، كما سنرى فيما بعد، **وقد وُصفت هذه المراحل الثلاث من السلوك الصوفي بأسماء أخرى** من أهمها التقسيم الثلاثي الذى كثيرًا ما نجده عند المتصوفة على النحو التالي: **المرحلة الأولى: التي تتمثل في التزام الشريعة** (حيث يلتزم السالك بالحفاظ على أحكام الشريعة أشد التزام)، **ثم تأتى مرحلة الطريقة** (وهى مرحلة تهذيب الأخلاق والارتقاء بها بكسب الفضائل الحميدة وبالاتصاف بالصفات الإلهية حسب الحديث الشريف المشهور: "تخلَّقوا بأخلاق الله **وأخيرًا تأتى مرحلة الحقيقة**، وهى المرحلة النهائية وغاية السلوك الصوفي الذى يتم باللقاء بين العبد وربه، فيتحول العبد فيه تحولاً جذريًا إذْ إنه يدخل في حضرة الحقيقة الأسمى مع الفناء التام عن نفسه وعن كل ما سوى الله،

**[المفتاح الثامن]: أركان المنهاج العملي للتصوف الصحيح في التزكية وبلوغ مرتبة الإحسان:** المنهج العملي للتربية عند الصوفية يقوم على أركان ضرورية يمكن أجمال أهمها في ثمانية أركان هي (1) الصحبة، (2) الوارث المحمدي والشيخ المرشد، (3) أخذ العهد، (4) العلم، (5) مجاهدة النفس، (6) الذكر، (7) المذاكرة، (8) الخلوة، وفي بيان تلك الأركان التي تمثل المنهج العملي في بلوغ مرتبة الإحسان، ومنزلة الصوفية السنّية الحقة، يقول الشيخ عبد القادر عيسى في كتابه القيّم " حقائق عن التصوف " باب المنهج العملي في التصوف – باختصار يسير –

**[1] الصحبة، وبيان أهميتها وفائدتها وآثارها والدليل عليها من الكتاب والدليل عليها من السنة وأقوال العلماء والمحدثين في أهمية الصحبة وأقوال العارفين بالله**

**1 – أهميتها وفائدتها وآثارها:** إن للصحبة أثراً عميقاً في شخصية المرء وأخلاقه وسلوكه، والصاحب يكتسب صفات صاحبه بالتأثر الروحي والاقتداء العملي، والإنسان اجتماعي بالطبع لا بد أن يخالط الناس ويكون له منهم أخلاء وأصدقاء، فإن اختارهم من أهل الفساد والشر والفسوق والمجون انحدرت أخلاقه، وانحطت صفاته تدريجياً دون أن يشعر، حتى يصل إلى حضيضهم ويهوي إلى دركهم، أما إذا اختار صحبة أهل الإيمان والتقوى والاستقامة والمعرفة بالله تعالى فلا يلبث أن يرتفع إلى أوج علاهم، ويكتسب منهم الخُلق القويم، والإيمان الراسخ، والصفات العالية، والمعارف الإلهية، ويتحرر من عيوب نفسه، ورعونات خُلُقِهِ، ولهذا تُعرف أخلاق الرجل بمعرفة أصحابه وجلسائه، وما نال الصحابة رضوان الله عليهم هذا المقام السامي والدرجة الرفيعة بعد أن كانوا في ظلمات الجاهلية إلا بمصاحبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومجالستهم له، وما أحرز التابعون هذا الشرف العظيم إلا باجتماعهم بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبما أن رسالة سيدنا محمد عليه السلام عامة خالدة إلى قيام الساعة، فإن لرسول الله صلى الله عليه وسلم وُرّاثاً من العلماء العارفين بالله تعالى، ورثوا عن نبيهم العلم والخُلق والإيمان والتقوى، فكانوا خلفاء عنه في الهداية والإرشاد والدعوة إلى الله، يقتبسون من نوره ليضيؤوا للإنسانية طريق الحق والرشاد، فمَنْ جالسهم سرى إليه من حالهم الذي اقتبسوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومَنْ نصرهم فقد نصر الدين، ومن ربط حبله بحبالهم فقد اتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن استقى من هدايتهم وإرشادهم فقد استقى من نبع رسول الله صلى الله عليه وسلم، هؤلاء الوراث هم الذين ينقلون للناس الدين، مُمَثَّلاً في سلوكهم، حيَّاً في أحوالهم، واضحاً في حركاتهم وسكناتهم، هم من الذين عناهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك " لا ينقطع أثرهم على مر الزمان، ولا يخلو منهم قطر، ومن ناحية أخرى، فكل إنسان لا يخلو من أمراض قلبية، وعلل خفية لا يدركها بنفسه، كالرياء والنفاق والغرور والحسد، والأنانية وحب الشهرة والظهور، والعجب والكبر والبخل ... بل قد يعتقد أنه أكمل الناس خُلقاً، وأقومهم ديناً، وهذا هو الجهل المركب، والضلال المبين، قال تعالى: {قُلْ هل نُنَبِّئُكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنَّهم

يُحسنون صنعاً} [الكهف: 104.103]، فكما أن المرء لا يرى عيوب وجهه إلا بمرآة صافية مستوية، تكشف له عن حقيقة حاله، فكذلك لا بد للمؤمن من أخ مؤمن مخلص ناصح صادق، أحسن منه حالاً، وأقوم خُلقاً، وأقوى إيماناً، يصاحبه ويلازمه، فيريه عيوبه النفسية، ويكشف له عن خفايا أمراضه القلبية إما بقاله أو بحاله، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: "المؤمنُ مِرآةُ المؤمن "، وعلينا أن نلاحظ أن المرايا أنواع وأشكال، فمنها الصافية المستوية، ومنها الجرباء التي تُشوِّهُ جمال الوجه، ومنها التي تُكبِّر أو تُصغِّر، وهكذا الأصحاب، فمنهم الذي لا يريك نفسك على حقيقتها، فيمدحك حتى تظن في نفسك الكمال، ويُدخل عليك الغرور والعجب، أو يذمك حتى تيأس وتقنط من إصلاح نفسك، أما المؤمن الكامل فهو المرشد الصادق الذي صقلت مرآته بصحبة مرشد كامل، ورث عن مرشد قبله وهكذا حتى يتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو المرآة التي جعلها الله تعالى المثل الأعلى للإنسانية الفاضلة، قال تعالى: {لقد كان لكم في رسول الله أُسوةٌ حسنةٌ لِمَنْ كان يرجو الله واليومَ الآخرَ وذكرَ اللهَ كثيراً} [الأحزاب: 21]، فالطريق العملي الموصل لتزكية النفوس والتحلي بالكمالات الخلقية هو صحبة الوارث المحمدي والمرشد الصادق الذي تزداد بصحبته إيماناً وتقوىً وأخلاقاً، وتشفى بملازمته وحضور مجالسه من أمراضك القلبية وعيوبك النفسية، وتتأثر شخصيتك بشخصيته التي هي صورة عن الشخصية المثالية، شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن هنا يتبين خطأ من يظن أنه يستطيع بنفسه أن يعالج أمراضه القلبية، وأن يتخلص من علله النفسية بمجرد قراءة القرآن الكريم، والاطلاع على أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك لأن الكتاب والسنة قد جمعا أنواع الأدوية لمختلف العلل النفسية والقلبية، فلا بد معهما من طبيب يصف لكل داء دواؤه ولكل علة علاجها، {هو الذي بعثَ في الأمّيّين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويُزكّيهم ويُعلّمهم الكتابَ والحِكمةَ} [الجمعة: 2]، فالتزكية شيء، وتعليم القرآن شيء آخر، إذ المراد من قوله تعالى: {يزكيهم} يعطيهم حالة التزكية، ففرقٌ كبير بين علم التزكية وحالة التزكية كما هو الفرق بين علم الصحة وحالة الصحة، والجمع بينهما هو الكمال، وكم نسمع عن أناس متحيرين يقرؤون القرآن الكريم، ويطلعون على العلوم الإسلامية الكثيرة، ويتحدثون عن الوساوس الشيطانية، وهم مع ذلك لا يستطيعون أن يتخلصوا منها في صلاتهم!،

**2 – الدليل على أهمية الصحبة من كتاب الله تعالى:** 1 – قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللهَ وكُونوا معَ الصادقين} [التوبة: 119]، والصادقون: هم الصفوة من المؤمنين الذين عناهم الله

بقوله: {مِنَ المؤمنين رِجال صَدَقوا ما عاهدوا اللهَ عليهِ} [الأحزاب: 23]، 2 – قال تعالى: {واصبر نفسك مع الذينَ يدعون ربَّهم بالغداةِ والعشيّ يُريدونَ وجهَهُ ولا تَعْدُ عيناك عنهُم تُريد زينةَ الحياةِ الدنيا ولا تُطِعْ مَنْ أغفلنا قلبَه عن ذكرنا واتَّبَعَ هواهُ وكان أمرُه فُرُطاً} [الكهف: 28]، الخطاب هنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قبيل تعليم أُمته وإرشادها،

**3 – الدليل على أهمية الصحبة من الأحاديث الشريفة:** 1 – قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما مَثَلُ الجليسِ الصالح وجليسِ السوءِ كحاملِ المسكِ، ونافخ الكير، فحاملُ المسكِ إما أن يُحْذِيَكَ (يعطيك) وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخُ الكيرِ إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد فيه ريحاً منتنة) [رواه البخاري في صحيحه في كتاب الذبائح ومسلم في كتاب البر والصلة عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه]، 2 – عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قيل: يا رسول الله أيُّ جلسائنا خير؟ قال: "مَنْ ذكَّركُم الله رؤيتُهُ، وزاد في علمكم مَنْطقُه، وذكَّركم في الآخرة عملُه" [رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح كما في "مجمع الزوائد" ج10: ص226]

**4 – أقوال الفقهاء والمحدثين في أهمية الصحبة وآدابها:** يقول الشيخ الفقيه المحدث أحمد شهابُ الدين بن حجر الهيثمي المكي في كتابه "الفتاوى الحديثية": (والحاصل أن الأوْلى بالسالك قبل الوصول إلى هذه المعارف أن يكون مديماً لما يأمره به أستاذه الجامع لطرفي الشريعة والحقيقة، فإنه هو الطبيب الأعظم، فبمقتضى معارفه الذوقية وحكمه الربانية، يُعطي كل بدن ونَفْسٍ ما يراه هو اللائق بشفائها والمصلح لغذائها)،

**[2] البحث عن الوارث المحمدي:** مما سبق يتبين أهمية صحبة الوارث المحمدي للترقي في مدارج الكمال، وتلقي دروس الآداب والفضائل، واكتشاف العيوب الخفية والأمراض القلبية، ولكن قد يسأل سائل: كيف الاهتداء إليه؟ والوصول إلى معرفته؟ وما هي شروطه وأوصافه؟ فنقول: حين يشعر الطالب بحاجته إليه كشعور المريض بحاجته إلى الطبيب، عليه أن يصدق العزم، ويصحح النية، ويتجه إلى الله تعالى بقلب ضارع منكسر، يناديه في جوف الليل، ويدعوه في سجوده وأعقاب صلاته: (اللهم دلَّني على من يدلني عليك، وأوصلني إلى من يوصلني إليك)، عليه أن يبحث في بلده، ويفتش ويسأل عن المرشد بدقة وانتباه غير ملتفت لما يشيعه بعضهم من فقد المرشد المربي في هذا الزمن، وللمرشد شروط لا بد منها حتى يتأهل لإرشاد الناس وهي أربعة: 1 – أن يكون عالماً بالفرائض العينية، 2 – أن يكون عارفاً بالله تعالى، 3 – أن يكون خبيراً بطرائق تزكية

النفوس ووسائل تربيتها، 4 – أن يكون مأذوناً بالإرشاد من شيخه، أما **الشرط الأول:** فينبغي أن يكون المرشد عالماً بالفرائض العينية: كأحكام الصلاة والصوم والزكاة إن كان مالكاً للنصاب، وأحكام المعاملات والبيوع إن كان ممن يتعاطى التجارة... الخ، وأن يكون عالماً بعقيدة أهل السنة والجماعة في التوحيد، فيعرف ما يجب لله تعالى، وما يجوز وما يستحيل إجمالاً وتفصيلاً، وكذلك في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام، وهكذا سائر أركان الإيمان، وأما **الشرط الثاني:** فينبغي أن يتحقق المرشد بعقيدة أهل السنة عملاً وذوقاً بعد أن عرفها علماً ودراية، فيشهد في قلبه وروحه صحتها، ويشهد أن الله تعالى واحد في ذاته، واحد في صفاته، واحد في أفعاله، ويتعرف على حضرات أسماء الله تعالى ذوقاً وشهوداً، ويرجعها إلى الحضرة الجامعة، ولا يشتبه عليه تعدد الحضرات، إذ تعدد الحضرات لا يدل على تعدد الذات، وأما **الشرط الثالث:** فلا بد أن يكون قد زَكَّى نفسه على يد مربٍ ومرشد، فخبَرَ مراتب النفس وأمراضها ووساوسها، وعرف أساليب الشيطان ومداخله، وآفات كل مرحلة من مراحل السير، وطرائق معالجة كل ذلك بما يلائم حالة كل شخص وأوضاعه، وأما **الشرط الرابع:** فلا بد للمرشد من أن يكون قد أُجيز من شيخه بهذه التربية وهذا السير، فمن لم يشهد له الاختصاصيون بعلم يَدَّعيه لا يحق له أن يتصدر فيه، فالإجازة: هي شهادة أهلية الإرشاد وحيازة صفاته وعليها أُسِّسَتْ الآن فكرة المدارس والجامعات، فكما لا يجوز لمن لا يحمل شهادة الطب أن يفتح عيادة لمداواة المرضى، ولا يصح لغير المجاز في الهندسة أن يرسم مخططاً للبناء، وكما لا يجوز للذي لا يحمل شهادة أهلية التعليم أن يُدَرِّس في المدارس والجامعات، فكذلك لا يجوز أن يدَّعي الإرشاد غير مأذون له به من قِبَلِ مرشدين مأذونين مؤهَّلين، يتصل سندهم بالتسلسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم [على غرار علماء الحديث الذين تناقلوا أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسند رجلاً عن رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، واعتبروا السند أساساً لحفظ السنة النبوية من الضياع والتحريف ولهذا قال ابن المبارك: (الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء)]، وكما أنه لا يصح من العاقل أن يتداوى عند جاهل بالطب، كذلك لا يجوز للمرء أن يركن إلى غير المرشد المأذون المختص بالتوجيه والإرشاد، وكل من درس الوضع العلمي في الماضي يعرف قيمة الإجازة من الأشياخ وأهمية التلقي عندهم، حتى إنهم أطلقوا على من لم يأخذ علمه من العلماء اسم (الصحفي)، لأنه أخذ علمه من الصحف والمطالعة الخاصة، قال ابن سيرين رحمه الله: (إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم) وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عمر رضي الله عنهما بذلك فقال: (يا ابن

عمر دينَك دينَك إنما هو لحمك ودمك فانظرْ عمن تأخذ، خذ الدين عن الذين استقاموا، ولا تأخذ عن الذين مالوا)، **وقال بعض العارفين: ثم اعلم أن من علامات المرشد أموراً يمكن ملاحظتها: (منها):** أنك إذا جالسته تشعر بنفحة إيمانية، ونشوة روحية، لا يتكلم إلا لله، ولا ينطق إلا بخير، ولا يتحدث إلا بموعظة أو نصيحة، تستفيد من صحبته كما تستفيد من كلامه، تنتفع من قربه كما تنتفع من بعده، تستفيد من لحظه كما تستفيد من لفظه، (ومنها): أن تلاحظ في إخوانه ومريديه صور الإيمان والإخلاص والتقوى والتواضع، وتتذكر وأنت تخالطهم المُثُلَ العليا من الحب، والصدق والإيثار والأخوة الخالصة، وهكذا يُعرف الطبيب الماهر بآثاره ونتائج جهوده، حيث ترى المرضى الذي شُفوا على يديه، وتخرجوا من مصحه بأوفر قوة، وأتم عافية، علماً أن كثرة المريدين والتلاميذ وقلتهم ليست مقياساً وحيداً، وإنما العبرة بصلاح هؤلاء المريدين وتقواهم، وتخلصهم من العيوب والأمراض واستقامتهم على شرع الله تعالى، (ومنها): أنك ترى تلامذته يمثلون مختلف طبقات الأمة، وهكذا كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم،

**[3] أخذ العهد:** مما سبق ثبت أنه ينبغي لمريد الكمال أن يلتحق بمرشد يتعهده بالتوجيه ويرشده إلى الطريق الحق، ويضيء له ما أظلم من جوانب نفسه، حتى يعبد الله تعالى على بصيرة وهدى ويقين، يبايع المرشد، ويعاهده على السير معه في طريق التخلي عن العيوب والتحلي بالصفات الحسنة، والتحقق بركن الإحسان، والترقي في مقاماته، **وأخذُ العهد ثابت في القرآن، والسنة، وسيرة الصحابة: فمن القرآن:** قول الله تعالى: {إنَّ الذينَ يُبايعونَك إنَّما يبايعونَ اللهَ يدُ اللهِ فوق أيديهم فمَنْ نكث فإنَّما ينكث على نفسه ومَنْ أوفى بما عاهَدَ عليهُ اللهَ فسيؤتيهِ أجراً عظيماً} [الفتح: 10]، **ومن السنة:** فإن أخذ العهد والبيعة في السنة المطهرة ما كان يتخذ صورة واحدة من التلقين أو يختص بجماعة من المسلمين، وإنما كان أخذ العهد في السنة جامعاً بين بيعة الرجال، وتلقين الجماعات والأفراد، ومبايعة النساء، بل وحتى من لم يحتلم، **فأما بيعة الرجال:** فقد أخرج البخاري في صحيحه عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفَّى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه، فبايعناه على ذلك، **وأما التلقين جماعة:** فعن يعلى بن شداد قال: حدثني أبي

شداد بن أوس رضي الله عنه، وعبادة بن الصامت حاضر يصدقه قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "هل فيكم غريب؟" . يعني من أهل الكتاب . فقلنا: لا يا رسول الله، فأمر بغلق الباب فقال: "ارفعوا أيديكم وقولوا: لا إله إلا الله"، فرفعنا أيدينا وقلنا: لا إله إلا الله، ثم قال صلى الله عليه وسلم: "الحمد لله، اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة، وأمرتني بها، ووعدتني عليها الجنة، وإنك لا تخلف الميعاد"، ثم قال صلى الله عليه وسلم: "ألا أبشروا فإنَّ الله قد غفر لكم"، **وأما التلقين الإفرادي:** فإن علياً كرَّم الله وجهه سأل النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (يا رسول الله دلني على أقرب الطرق إلى الله، وأسهلها على عباده، وأفضلها عنده تعالى)، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "عليك بمداومة ذكر الله سراً وجهراً"، فقال علي: (كلُّ الناس ذاكرون فخصَّني بشيء)، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله، ولو أن السموات والأرضين في كفة ولا إله إلا الله في كفة لرجحت بهم، ولا تقوم القيامة وعلى وجه الأرض من يقول: لا إله إلا الله"، ثم قال علي: (فكيف أذكر؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: "غَمِّضْ عينيكَ واسمع مني لا إله إلا الله ثلاث مرات، ثم قلها ثلاثاً وأنا أسمع، ثم فعل ذلك برفع الصوت" [رواه الطبراني والبزار بإسناد حسن]، **وأما بيعة النساء:** فعن أُميمة بنت رُقَيْقِة قالت: (أتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة يبايعنه فقلن: نبايعك يا رسولَ الله على أن لا نشركَ بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيك في معروف، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فيما استطعتن وأطقتن"، فقلن: الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا، هَلُمَّ نبايعك يا رسول الله، فقال: "إني لا أُصافح النساء، إنما قولي لمئة امرأة كقولي لامرأة واحدة، **وأما بيعة من لم يحتلم:** فقد أخرج الطبراني عن محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم، أن النبي صلى الله عليه وسلم بايع الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم وهم صغار ولم يُبْقِلوا [يقال: أبقل وجهه، إذا نبتت لحيته] ولم يبلغوا، ولم يبايع صغيراً إلا منًّا، ثم نهج الورَّاث من مرشدي الصوفية منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في أخذ البيعة في كل عصر، فقد ذكر الأستاذ الندوي في كتابه "رجال الفكر والدعوة في الإسلام": (أن الشيخ عبد القادر الجيلاني فتح باب البيعة والتوبة على مصراعيه، يدخل فيه المسلمون من كل ناحية من نواحي العالم الإسلامي، يجددون العهد والميثاق مع الله، ويعاهدون على ألاَّ يشركوا ولا يكفروا، ولا يفسقوا، ولا يبتدعوا، ولا يظلموا، ولا يستحلوا ما حرَّم الله، ولا يتركوا ما فرض الله، ولا يتفانوا في الدنيا، ولا يتناسوا الآخرة، وقد دخل في هذا الباب . وقد فتحه الله على يد الشيخ عبد

القادر الجيلاني . خلق لا يحصيهم إلا الله، وصلحت أحوالهم، وحسن إسلامهم، وظل الشيخ يربيهم ويحاسبهم، ويشرف عليهم، وعلى تقدمهم، فأصبح هؤلاء التلاميذ الروحيون يشعرون بالمسؤولية بعد البيعة والتوبة وتجديد الإيمان)، **[تناقل الإذن]:** منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا تناقل هذا الإذنَ والتلقينَ والعهدَ رجالٌ عن رجال، فوصل إلينا محققاً مسلسلاً مسجلاً، والصوفية يُسمُّون البيعة والإذن والتلقين باسم "القبضة"، يتلقاها واحد عن واحد، يقبض كل منهما يد الآخر، فكأنما الْتقى السالب بالموجب فارتبط التيار واتصل السند، ونفذ التأثير الروحي المحسوس المجرب، وما هؤلاء المرشدون المجددون على توالي العصور والأزمان الذين يربطون قلوب الناس بهم حتى يوصلوها بنور سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلا كالمراكز الكهربائية التي توضع في الأماكن البعيدة عن المولِّد الكهربائي فتأخذ النور من مركز التوليد لتعطيه لمن حولها قوياً وهَّاجاً، فهذه المراكز ليست مصدر النور ولكنها موزعة له وناقلة، ولكن لبعد المسافة يضعف نور الشريط المتصل بالمولِّد، فاحتاج الأمر إلى هذه المراكز التي تعيد لهذا النور قوته وحيويته، وهكذا فإن المرشدين يجددون النشاط الإيماني في عصرهم، ويعيدون النور المحمدي إلى ضيائه وبريقه بعد تطاول الزمن وتعاقب القرون، وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام: "العلماء ورثة الأنبياء"

**[أدب المريد مع شيخه وإخوانه]: 1 – آداب المريد مع شيخه:** وهي نوعان: آداب باطنة، وآداب ظاهرة، **فأما الآداب الباطنة فهي:** 1 – الاستسلام لشيخه وطاعته في جميع أوامره ونصائحه، وليس هذا من باب الانقياد الأعمى الذي يهمل فيه المرء عقله ويتخلى عن شخصيته، ولكنه من باب التسليم لِذي الاختصاص والخبرة، بعد الإيمان الجازم بمقدمات فكرية أساسية، منها التصديق الراسخ بإذنه وأهليته واختصاصه وحكمته ورحمته، وأنه جمع بين الشريعة والحقيقة،، الخ، وهذا يشبه تماماً استسلام المريض لطبيبه استسلاماً كلياً في جميع معالجاته وتوصياته، ولا يُعَدُّ المريض في هذا الحال مهملاً لعقله متخلياً عن كيانه وشخصيته، بل يُعْتَبَرُ منصفاً عاقلاً لأنه سلَّم لذي الاختصاص، وكان صادقاً في طلب الشفاء، 2 – عدم الاعتراض على شيخه في طريقة تربية مريديه، لأنه مجتهد في هذا الباب عن علم واختصاص وخبرة، كما لا ينبغي أن يفتح المريد على نفسه باب النقد لكل تصرف من تصرفات شيخه، فهذا من شأنه أن يُضْعِفَ ثقته به ويَحجُبَ عنه خيراً كثيراً، ويَقطعَ الصلة القلبية والمدد الروحي بينه وبين شيخه، قال العلامة ابن حجر الهيثمي: (ومَنْ فتح باب الاعتراض على المشايخ والنظر في أحوالهم وأفعالهم والبحث عنها فإن ذلك علامة حرمانه وسوء

عاقبته، وأنه لا يَنْتُج قط، ومن ثَمَّ قالوا: [من قال لشيخه لِمْ؟ لَمْ يفلح أبداً]، وإذا أورد الشيطان على قلب المريد إشكالاً شرعياً حول تصرفٍ من تصرفات شيخه بغية قطع الصلة ونزع الثقة فما على المريد إلا أن يُحسِنَ الظن بشيخه ويلتمسَ له تأويلاً شرعياً ومخرجاً فقهياً، فإن لم يستطع ذلك فعليه أن يسأل شيخه مستفسراً بأدب واحترام، كما سيأتي في بحث مذاكرة المريد لمرشده، 3 – أن لا يعتقد في شيخه العصمة، فإن الشيخ وإن كان على أكمل الحالات فليس بمعصوم، إذ قد تصدر منه الهفوات والزلات، ولكنه لا يصر عليها ولا تتعلق همته أبداً بغير الله تعالى، ولكن لا ينبغي للمريد حين يعتقد في شيخه عدم العصمة أن يضع بين عينيه دائماً احتمال خطأ شيخه في كل أمر من أوامره أو توجيه من توجيهاته، لأنه بذلك يمنع عن نفسه الاستفادة، كمثل المريض الذي يدخل إلى طبيبه وليس في قلبه إلا فكرة احتمال خطأ الطبيب في معالجته فهذا من شأنه أن يُضعف الثقة ويُحدثَ الشكَّ والاضطراب في نفسه، 4 – أن يعتقد كمال شيخه وتمام أهليته للتربية والإرشاد، وإنما كَوَّن هذا الاعتقاد بعد أن فتش ودقَّقَ بادىء أمره، فوجد شروط الوارث المحمدي التي سبق ذكرها قد تحققت في شيخه، ووجد أن الذين يصحبونه يتقدمون في إيمانهم وعباداتهم وعلمهم وأخلاقهم ومعارفهم الإلهية، 5 – اتصافه بالصدق والإخلاص في صحبته لشيخه، فيكون جاداً في طلبه، منزهاً عن الأغراض والمصالح، 6 – تعظيمه وحفظ حرمته حاضراً وغائباً، قال إبراهيم بن شيبان القرميسيني: (من ترك حرمة المشايخ ابتلي بالدعاوي الكاذبة وافتضح بها)، وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني: (من وقع في عِرض وليٍّ ابتلاه الله بموت القلب)، 7 – أن يحب شيخه محبة فائقة شريطة أن لا ينقص من قدر بقية الشيوخ، وأن لا يصل غلوه في المحبة إلى حدٍّ فاسد، بأن يُخرج شيخه عن طور البشرية، وإنما تقوى محبة المريد لشيخه بموافقته له أمراً ونهياً، 8 – عدم تطلعه إلى غير شيخه لئلا يتشتت قلبه بين شيخين، ومثال المريد في ذلك كمثل المريض الذي يطبب جسمه عند طبيبين في وقت واحد فيقع في الحيرة والتردد [ينبغي الملاحظة أن المقصود بالشيخ هنا هو شيخ التربية لا شيخ التعليم، إذ يمكن لطالب العلم أن يكون له عدة أساتذة، ويمكن للمريد أن يكون له أساتذة في العلم لأن ارتباطه بهم ارتباط علمي، بينما صلة المريد بشيخ التربية صلة قلبية وتربوية]، **وأما الآداب الظاهرة فهي:** 1 – أن يوافق شيخه أمراً ونهياً، كموافقة المريض لطبيبه، 2 – أن يلتزم السكينة والوقار في مجلسه، فلا يتكىء على شيء يعتمده، ولا يتثاءب ولا ينام، ولا يضحك بلا سبب، ولا يرفع صوته عليه، ولا يتكلم حتى يستأذنه لأن ذلك من عدم المبالاة بالشيخ وعدم الاحترام له، ومن صحب المشايخ بغير أدب واحترام حرم مددهم وثمرات ألحاظهم وبركاتهم،

3 – المبادرة إلى خدمته بقدر الإمكان، فمن خَدَم خُدِم، 4 – دوام حضور مجالسه، فإن كان في بلد بعيد فعليه أن يكرر زيارته بقدر المستطاع، ولذلك قيل: (زيارة المربي ترقي وتربي)، وإن السادة الصوفية بنوا سيرهم على ثلاثة أصول "الاجتماع والاستماع والاتباع" وبذلك يحصل الانتفاع، 5 – الصبر على مواقفه التربوية كجفوته وإعراضه... الخ، التي يقصد بها تخليص المريد من رعوناته النفسية وأمراضه القلبية، 6 – أن لا ينقل من كلام الشيخ إلى الناس إلا بقدر أفهامهم وعقولهم لئلا يسيء إلى نفسه وشيخه، وقد قال سيدنا علي رضي الله عنه: (حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يُكذَّبَ الله ورسولُهُ؟) **2 – آداب المريد مع إخوانه:** 1 – حفظ حرمتهم غائبين أو حاضرين، فلا يغتاب أحداً منهم، ولا ينقص أحداً، لأن لحومهم مسمومة كلحوم العلماء والصالحين، 2 – نصيحتهم بتعليم جاهلهم وإرشاد ضالهم، وتقوية ضعيفهم، وللنصيحة شروط ينبغي التزامها، وهي ثلاثة للناصح، وثلاثة للمنصوح، فشروط الناصح: أن تكون النصيحة سراً، وأن تكون بلطف، وأن تكون بلا استعلاء، وشروط المنصوح: أن يقبل النصيحة، وأن يشكر الناصح، وأن يطبق النصيحة، 3 – التواضع لهم والإنصاف معهم وخدمتهم بقدر الإمكان إذ "سيد القوم خادمهم"، 4 – حسن الظن بهم وعدم الانشغال بعيوبهم وتوَكيلُ أمورهم إلى الله تعالى، 5 – قبول عذرهم إذا اعتذروا، 6 – إصلاح ذات بينهم إذا اختلفوا واختصموا، 7 – الدفاع عنهم إذا أُوذوا أو انتُهِكتْ حرماتهم، 8 – أن لا يطلب الرئاسة والتقدم عليهم لأن طالب الولاية لا يُوَلَّى،

**[4] العلم:** إن المسلم حين يعمل على تزكية نفسه وتطهير قلبه وتصحيح ظاهره وباطنه لا بد قبل ذلك أن يكون قد صحح إيمانه، وقام بجميع عباداته المفروضة واستقام في معاملاته، ولا يتحقق ذلك إلا بالعلم الصحيح، وهذا أمر بدهي واضح لأن فضل العلم أمر ظاهر، واشتراطه في تصحيح الأعمال أمر متفق عليه، وإننا نثبت بحث العلم في هذه الطبعة تأكيداً لبيان منزلته وشرفه ورداً على كثير من المتسرعين الذين يتوهمون أن رجال التصوف يقللون من شأن العلم ولا يعطونه ما يستحق من الاهتمام والعناية]أساس الأعمال وإمامها ومصححها، فكما أنه لا فائدة للعلم بلا عمل، كذلك لا ينفع عمل بلا علم، فالعلم والعمل توأمان لا ينفكان عن بعضهما، والسالك في طريق الإيمان والتعرف على الله تعالى والوصول إلى رضاه لا يستغني عن العلم في أية مرحلة من مراحل سلوكه، ولهذا اعتُبِرَ اكتساب العلم الضروري من أهم النقاط الأساسية في المنهج العملي للتصوف، إذ ليس التصوف إلا التطبيق العملي للإسلام كاملاً غير منقوص في جميع جوانبه الظاهرة والباطنة، **فضل**

**العلم في القرآن الكريم:** قال الله تعالى: {إنَّما يخشى اللهَ مِنْ عِبادِهِ العلماءُ} [فاطر: 28]، و قال تعالى: {هل يستوي الذين يعلمونَ والذين لا يعلمونَ} [الزمر: 9]، **فضل العلم في السنة الشريفة:** عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "مَنْ سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لَتَضَعُ أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع، وإن العالم ليستغفر لَهُ مَنْ في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماءَ ورثةُ الأنبياء، وإن الأنبياء لم يُوَرِّثُوا ديناراً ولا درهماً، وإنما وَرَّثُوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر، وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أبا ذر لأَنْ تغدو فتَعَلَّمَ آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة، ولأن تغدو فتَعَلَّمَ بابا من العلم عُمِلَ به أو لم يُعْمَلْ به خير لك من أن تصلي ألف ركعة"، وعن عثمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء" [رواه ابن ماجه في كتاب الزهد]، **حكم تعلم العلم:** ينقسم العلم من حيث حكمه الشرعي إلى ثلاثة أقسام: 1 – مأمور به، 2 – منهي عنه، 3 – مندوب إليه

**أ. العلوم المأمور بها:** وهي صنفان: **الصنف الأول: فرض عين**، وهو ما لا يسقط عن المكلف إلا بقيامه به بنفسه: 1 – تعلم عقيدة أهل السنة والجماعة مع الاستدلال الإجمالي على كل مسألة من مسائل الإيمانيات، 2 – تعلم ما يستطيع به المكلف أداء المفروض عليه من العبادات كالصلاة والزكاة والحج والصوم... 3 – مَنْ تعاطى شيئاً من المعاملات كالبيوع والإجارة والنكاح والطلاق... يفترض عليه تعلم ما يتمكن معه من تجنب الحرام والتزام حدود الشرع، 4 – تعلم أحوال القلب من التوكل والخشية والرضا لأن المسلم واقع طيلة عمره في جميع الأحوال القلبية، 5 – تعلم جميع الأخلاق الحسنة والسيئة كي يطبق الحسنة كالتوكل على الله والرضا عنه والتسليم له والتواضع والحلم... إلخ، ويجتنب السيئة كالكبر والغرور والبخل والحسد والحقد والرياء... إلخ [انظر بحث أهمية التصوف ص28] ومن ثَمَّ يجاهد نفسه على تركها، إذ إن المجاهدة فرض على كل مكلف ولا يمكن حصولها إلا بمعرفة الأخلاق المذمومة والممدوحة، ومعرفة طرق المجاهدات التي اشتغل بها السادة الصوفية، ولهذا قال أبو الحسن الشاذلي: (من مات ولم يتغلغل في علمنا هذا مات مصراً على الكبائر وهو لا يشعر، **الصنف الثاني: فرض كفاية**، وهو ما إذا قام به البعض سقط التكليف عن الباقين، وإذا لم يقم به أحد فالكل آثمون، والعلوم المفروضة كفائياً هي ما يتوقف عليها صلاح

الأمة، كالتعمق في علم الفقه زيادة على مقدار الحاجة [ولذلك لا بد في كل بلد من مُفْتٍ يكون مرجعاً للناس في أمور دينهم يقوم بهذا الفرض الكفائي ويسقط الإثم عن الناس]، وكذلك علم التفسير والحديث، وأصول الفقه، وأصول الاعتقاد، وكذلك علم الحساب، **ب . العلوم المنهي عنها:** 1 – فمنها الخوض في دراسة المذاهب الضالة والأفكار المشككة والعقائد الزائغة لا بنية الرد عليها ودفع خطرها، أما تعلمها لبيان زيغها ورد شبهاتها تصحيحاً للعقائد وذوداً عن الدين فهو فرض كفاية، 2 – علم التنجيم لمعرفة مكان المسروق ومواضع الكنوز ومكان الضالة ونحو ذلك مما يزعمونه، وهو من الكهانة، وقد كذبهم الشرع وحرم تصديقهم، أما تعلم علم النجوم للدراسات العلمية ولمعرفة مواقيت الصلاة والقِبلة فلا بأس به، 3 – علم السحر، إذا تعلمه للاحتراز عنه فيجوز ذلك كما قيل: عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لم يعرف الشر فإنه يقع فيه، **جـ . العلوم المندوب إليها:** ومنها معرفة فضائل الأعمال البدنية والقلبية، ومعرفة النوافل والسنن والمكروهات، ومعرفة فروض الكفاية، والتعمق في علوم الفقه وفروعها والعقائد وأدلتها التفصيلية،

**[5] مجاهدة النفس وتزكيتها: تمهيد:** سبق أن بينا في بحث أهمية التصوف أن للنفس صفات خبيثة وأخلاقاً مذمومة، وأن إزالتها فرض عين . كما نص على ذلك عامة الفقهاء . ولكن صفات النفس الناقصة لا تزول بالأماني ولا بمجرد الإطلاع على حكم تزكيتها أو قراءة كتب الأخلاق والتصوف، بل لا بد لها بالإضافة إلى ذلك من مجاهدة وتزكية عملية، وفطم لنزواتها الجامحة وشهواتها العارمة، **(تعريف المجاهدة):**، فمجاهدة النفس فطمها وحملها على خلاف هواها المذموم، وإلزامها تطبيق شرع الله تعالى أمراً ونهياً، **(دليلها من الكتاب والسنة):** قال الله تعالى: {والذينَ جاهَدوا فينا لنَهديَنَّهم سُبُلَنا} وقال العلامة المفسر ابن جزي في تفسير هذه الآية: (يعني جهاد النفس)، وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المجاهدُ مَنْ جاهد نفسَهُ في الله" [أخرجه الترمذي في كتاب فضائل الجهاد وقال: حديث حسن صحيح، وزاد البيهقي في "شعب الإيمان" برواية فضالة: "والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب"، "مشكاة المصابيح للتبريزي" كتاب الإيمان رقم 34]، وفي رواية: لله، **(حكمها):** تزكية النفس فرض عين كما سبق أن بينا ذلك ولا تتم إلا بالمجاهدة ومن هنا كانت المجاهدة فرض عين من باب: (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب)، **(قابلية صفات النفس للتغيير):** لا شك أن النفس الإنسانية قابلة لتغيير صفاتها الناقصة وتبديل عاداتها المذمومة، وإلا لم يكن هناك فائدة من

بعثة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، ولا ضرورة لمن بعده من ورثته العلماء العاملين والمرشدين المصلحين، وإذا كان كثير من سباع الطيور والبهائم قد أمكن ترويضها وتبديل كثير من صفاتها، فالإنسان الذي كرمه الله تعالى وخلقه في أحسن تقويم، من باب أولى، وليس المراد من مجاهدة النفس استئصال صفاتها بل تسييرها على مراد الله تعالى وابتغاء مرضاته، فصفة الغضب مذمومة حين يغضب المرء لنفسه، أما إذا غضب لله تعالى فعندها يصبح الغضب ممدوحاً كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغضب إذا انتُهكت حرمات الله أو عُطِّل حد من حدوده، ولكنه حين أُوذي في الله وضُرب وأُدمي عقبه يوم الطائف لم يغضب لنفسه، بل دعا لمن آذَوْه بالهداية والتمس لهم العذر فقال: "اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون"، **(طريقة المجاهدة)**: وأول مرحلة في المجاهدة: 1-عدم رضى المرء عن نفسه، وإيمانُه بوصفها الذي أخبر عنه خالقها ومبدعها: {إنَّ النفس لأمَّارةٌ بالسوء} [يوسف: 53]، 2-علمه أن النفس أكبر قاطع عن الله تعالى [والقواطع عن الله تعالى أربعة: النفس، والدنيا، والشيطان، والخلق، أما عداوة النفس والشيطان فظاهرة، وأما الخلق فملاحظة مدحهم وذمهم تعرقل سير السالك إلى ربه، وأما الدنيا فالاهتمام بها وانشغال القلب بتقلباتها قاطع كبير عن الله تعالى، ففي حالة الفقر تكثر هموم المرء فتشغله عن الله، وفي حال الغنى ينشغل بزينتها وزخرفها عن الله تعالى: {إنَّ الإنسانَ ليطغَى، أنْ رآهُ استغنَى} [العلق: 6 – 7]، أما إذا أخرج حبها من قلبه فإنها لا تضره، كما قال شيخ الصوفية سيدي عبد القادر الجيلاني رحمه الله: (أخرج الدنيا من قلبك، وضعها في جيبك أو في يدك فإنها لا تضرك) كما أنها أعظم موصل إليه وذلك أن النفس حينما تكون أمَّارة بالسوء لا تتلذذ إلا بالمعاصي والمخالفات، ولكنها بعد مجاهدتها وتزكيتها تصبح راضية مرضية لا تُسَرُّ إلا بالطاعات والموافقات والاستئناس بالله تعالى، 3-يتدرج في المجاهدة على حسب سيره، فهو في بادئ الأمر يتخلى عن المعاصي التي تتعلق بجوارحه السبعة، وهي: اللسان والأذنان والعينان واليدان والرجلان والبطن والفرج [لكل جارحة من الجوارح السبعة معاصٍ تتعلق بها، فمن معاصي اللسان*: الغيبةُ والنميمة والكذب والفحش، ومن معاصي الأذنين*: سماعُ الغيبة والنميمة والأغاني الفاحشة وآلات اللهو، ومن معاصي العينين *،: النظرُ للنساء الأجنبيات وعورات الرجال، ومن معاصي اليدين*: إيذاءُ المسلمين وقتلهم، وأخذ أموالهم بالباطل، ومن معاصي الرجلين*: المشيُ إلى محلات المنكرات والفجور، ومن معاصي البطن*: أكل المال الحرام، وأكل لحم الخنزير، وشرب الخمور، ومن معاصي الفرج*: الزنا واللواطة،،]، ثم يحلي هذه الجوارح السبعة بالطاعات المناسبة لكل منها [فمن

طاعات اللسان: قراءة القرآن الكريم، وذكر الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ومن طاعات العينين: النظر إلى وجوه العلماء والصالحين، والنظر إلى الكعبة المشرفة، والنظر التأملي لآيات الله في الكون، ومن طاعات اليدين: مصافحة المؤمنين، وإعطاء الصدقات، ومن طاعات الرجلين: المشي إلى المساجد وإلى مجالس العلم، وعيادة المريض، والإصلاح بين الناس، ومن طاعات البطن: تناول الطعام الحلال بنية التقوّي على طاعة الله تعالى، ومن طاعات الفرج: النكاح المشروع بغية الإحصان وتكثير النسل،] فهذه الجوارح السبعة منافذ على القلب إما أن تصب عليه ظلمات المعاصي فتكدره وتمرضه، وإما أن تُدخل عليه أنوار الطاعات فتشفيه وتنوره 4-ثم ينتقل في المجاهدة إلى الصفات الباطنة فيبدل صفاته الناقصة كالكبر والرياء والغضب... بصفات كاملة كالتواضع والإخلاص والحِلم، قال أبو عثمان المغربي رحمه الله: (من ظن أنه يُفتح له بهده الطريقة أو يكشف له عن شيء منها لا بلزوم المجاهدة فهو في غلط) **(رد الشبهات حول المجاهدة)**: إن قال قائل: إن رجال التصوف يُحَرِّمون ما أحل الله من أنواع اللذائذ والمتع، وقد قال الله تعالى: {قُلْ مَنْ حرَّمَ زينة الله التي أخرجَ لعبادِهِ والطيبات من الرزق...} [الأعراف: 32]، فنقول: إن رجال التصوف لم يجعلوا الحلالَ حراماً، إذْ أسمى مقاصدهم هو التقيد بشرع الله، ولكنهم حين عرفوا أن تزكية النفس فرضُ عين، وأن للنفس أخلاقاً سيئة وتعلقات شهوانية، توصِل صاحبها إلى الردى، وتعيقه عن الترقي في مدراج الكمال، وجدوا لزاماً عليهم أن يهذبوا نفوسهم ويحرروها من سجن الهوى، ففرقٌ كبير إذاً بين المجاهدة المشروعة المقيدة بدين الله تعالى، وبين المغالاة والانحراف وتحريم الحلال وتعذيب الجسد كما عليه البوذيون الكافرون، **والخلاصة:** مَنْ لم تكن له بداية محرقة "بالمجاهدات" لم تكن له نهاية مشرقة، والبدايات تدل على النهايات،

**[6] الذكر:** "أهل ذكري أهل مجالستي... الحديث" [من حديث قدسي أخرجه الإمام أحمد في مسنده]، **(معاني كلمة الذكر)**: أطلقت الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة كلمة "الذكر" على عدة معان:* فتارة قُصِدَ بها القرآن الكريم كما في قوله تعالى: {إنَّا نحن نزّلنا الذِّكرَ وإنّا لهُ لَحافظونَ} [الحجر: 9]، وتارة قُصِدَ بها *صلاة الجمعة: {يا أيُّها الذين آمنوا إذا نُودِيَ للصلاة من يوم الجمعة فاسعَوا إلى ذكرِ اللهِ} [الجمعة: 9]، وفي موطن آخر *عُنِيَ بها العلم: {فاسألوا أهل الذكر إنْ كنتم لا تعلمونَ} [الأنبياء: 7]، وفي معظم النصوص* أُريدَ بكلمة "الذكر" التسبيحُ والتهليل والتكبير والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وما إلى هنالك من الصيَغ، كما في قوله تعالى:

{فإذا قَضيتُمُ الصلاةَ فاذكروا اللهَ قياماً وقعوداً وعلى جنوبِكُم}، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله عز وجل يقول: أنا مع عبدي إذا هو ذَكرني وتحركت بي شفتاه"، وعن عبد الله بن بِسر أن رجلاً قال: (يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كَثُرَتْ عليَّ، فأخبرني بشيء أتشبث به)، قال: "لا يزال لسانُك رَطْباً من ذكر الله أما ما يقوله بعضهم*: (إن المراد بالذكر هو العلم بالحلال والحرام)، فجوابه: (أن لفظ الذكر مشترك بين العلم والصلاة والقرآن وذكر الله تعالى، لكن المعتبر في اللفظ المشترك ما غلب استعماله فيه عرفاً، وغيره إنما يصرف إليه بقرينة حالية أو لفظية، ولفظ الذكر قد غلب استعماله في ذكر الله حقيقة، ومن غير الغالب أن يطلق ويراد به العلم، كما قال تعالى: {فاسألوا أهل الذكر} فالمراد به العلم بقرينة السؤال، **(دليله من الكتاب والسنة) 1 – أما من الكتاب:** فقد قال تعالى: {فاذكُرُوني أذكُرْكُم} [البقرة: 152]، وقال تعالى: {الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جُنوبهم} [آل عمران: 191]، وجميع العبادات يشترط لصحتها شروط إلا ذكر الله تعالى، فإنه يصح بطهارة وغيرها وفي جميع الحالات: في القيام والقعود... وغيرها، ولهذا قال النووي: (أجمع العلماء على جواز الذكر بالقلب واللسان للمُحْدِث والجنب والحائض والنفساء، وذلك في التسبيح والتحميد والتكبير والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والدعاء، **2 – وأما من السنة:** فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربَّهُ مثل الحي والميت"، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن لله ملائكةً يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال: فيسألهم ربهم عز وجل . وهو أعلم بهم .: ما يقول عبادي؟ قال: يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك، قال: فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون: لا والله ما رأوْك، قال: فيقول: وكيف لو رأوْني؟ قال: يقولون: لو رأوْك كانوا أشد لك عبادةً وأشد لك تمجيداً، وأكثر لك تسبيحاً، قال: يقول: فما يسألونني؟ قال: يقولون: يسألونك الجنة، قال: يقول: هل رأوْها؟ قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوْها، قال: فيقول: فكيف لو أنهم رأوْها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوْها كانوا أشد عليها حرصاً، وأشد لها طلباً، وأعظم فيها رغبة، قال: يقول: فمِمَّ يتعوذون؟ قال: يقولون: من النار، قال: يقول: وهل رأوْها؟ قال: يقولون: لا والله ما رأوها، قال: يقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوْها كانوا أشد منها فراراً وأشد لها مخافة، قال: فيقول: أُشْهِدُكم أني قد غفرت لهم، قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة، قال: يقول: هم

الجلساء لا يشقى بهم جليسهم" [أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الدعوات]، وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، قالوا: يا رسول الله وما رياضُ الجنة؟ قال: حِلَق،

**(أقوال العلماء بالله في فضل الذكر):** قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: (لم يفرض الله تعالى على عباده فريضة إلا جعل لها حداً معلوماً، ثم عذر أهلها في حال العذر، غير الذكر، فإنه لم يجعل له حداً ينتهي إليه، ولم يعذر أحداً في تركه إلا مغلوباً على عقله، وأمرهم بذكره في الأحوال كلها، فقال عز من قائل: {فاذكُروا اللهَ قياماً وقعوداً وعلى جُنُوبِكُم} [النساء: 103]، وقال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً} [الأحزاب: 41] أي بالليل والنهار، وفي البر والبحر، والسفر والحضر، والغنى والفقر، وفي الصحة والسقم، والسر والعلانية، وعلى كل حال)،

**<u>(أقسام الذكر):</u> أ . ذكر السر والجهر:** إن ذكر الله تعالى مشروع سراً وجهراً، وقد رغَّب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الذكر بنوعيه: السري والجهري، إلاَّ أن علماء الشريعة الإسلامية قرروا أفضلية الجهر بالذكر إذا خلا من الرياء، أو إيذاء مُصَلٍّ أو قارىء أو نائم، مستدلين ببعض الأحاديث النبوية الشريفة، منها: 1 – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يقول الله: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرتُه في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرتُه في ملأ خير منهم" [أخرجه البخاري في صحيحه والترمذي والنسائي وابن ماجه]، والذكر في الملأ لا يكون إلا عن جهر، 2 – عن زيد بن أسلم رضي الله عنه قال: قال ابن الأدرع رضي الله عنه: (انطلقت مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة، فمر برجل في المسجد يرفع صوته، قلت: يا رسول الله عسى أن يكون هذا مرائياً؟ قال: "لا، ولكنه أوَّاه") [رواه البيهقي، كما في "الحاوي للفتاوي" للسيوطي ج1: ص391]، 3 – عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (إن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، قال ابن عباس: كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك إذا سمعته) [أخرجه البخاري في صحيحه، والمعنى كنت أعلم انصرافهم بسماع الذكر، كما قال صاحب "الفتح" الحافظ ابن حجر العسقلاني في ج2: ص259]،، فإنْ قلتَ: قال الله تعالى: {واذكُرْ ربَّكَ في نفسك تضرُّعاً وخيفةً ودون الجهرِ من القولِ} [الأعراف: 205]، قلت: الجواب على هذه الآية من ثلاثة أوجه: (الأول): إنها مكية كآية الإسراء: {ولا تجهر بصلاتِكَ ولا تخافِتْ بها} [الإسراء: 110]، وقد نزلت حين كان

النبي صلى الله عليه وسلم يجهر بالقرآن، فيسمعه المشركون فيسبون القرآن ومَنْ أنزله، فأُمِر بترك الجهر سداً للذريعة، كما نُهي عن سب الأصنام لذلك في قوله تعالى: {ولا تسُبُّوا الذين يدعونَ مِنْ دون الله فيسُبُّوا اللهَ عَدْواً بغيرِ علمٍ} [الأنعام: 108]، وقد زال هذا المعنى، وأشار إلى ذلك ابن كثير في تفسيره، (الثاني): إن جماعة من المفسرين . منهم عبد الرحمن بن زيد بن أسلم شيخ مالك، وابن جرير . حملوا الآية على الذاكر حال قراءة القرآن، وأنه أمرٌ له بالذكر على هذه الصفة تعظيماً للقرآن أن ترفع عنه الأصوات، ويقويه اتصالها بقوله تعالى: {وإذا قُرِئ القرآنُ فاستمعوا له وأنصتُوا} [الأعراف: 204]، قلت وكأنه لما أمر بالإنصات خشي من ذلك الإخلاد إلى البطالة، فنبه على أنه وإن كان مأموراً بالسكوت باللسان إلا أن تكليف الذكر بالقلب باقٍ حتى لا يغفل عن ذكر الله، ولذا ختم الآية بقوله: {ولا تَكُنْ مِنَ الغافلين} [الأعراف: 205]، (الثالث): ما ذكره الصوفية أن الأمر في الآية خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم الكامل المكمل، وأما غيره . ممن هو محل الوساوس والخواطر الرديئة . فمأمور بالجهر، لأنه أشد تأثيراً في دفعها، قلتُ: ويؤيده من الحديث ما أخرجه البزار عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من صلَّى منكم بالليل فليجهر بقراءته فإن الملائكة تصلي بصلاته، وتسمع لقراءته، وإنَّ مؤمني الجن الذين يكونون في الهواء، وجيرانه معه في مسكنه يصلون بصلاته، ويستمعون قراءته، وإنه ينطرد بجهره بقراءته عن داره وعن الدور التي حوله فُسَّاق الجن ومردة الشياطين"، فإن قلتَ: فقد نُقل عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه رأى قوماً يهللون برفع الصوت في المسجد فقال: ما أراكم إلا مبتدعين حتى أخرجهم من المسجد، قلت: هذا الأثر عن ابن مسعود ليس ثابتا كما أنه معارض بالأحاديث الكثيرة الثابتة المتقدمة، وهي مقدمة عليه عند التعارض، ثم رأيت ما يقتضي إنكار ذلك عن ابن مسعود، قال الإمام أحمد بن حنبل في كتاب الزهد: حدثنا حسين بن محمد حدثنا المسعودي عن عامر بن شقيق عن أبي وائل قال: هؤلاء الذين يزعمون أن عبد الله كان يَنْهى عن الذكر، ما جالستُ عبدَ الله مجلساً إلا ذَكَرَ الله فيه، وأخرج أحمد في الزهد عن ثابت البناني قال: إن أهلَ ذكر الله ليجلسون إلى ذكر الله وإن عليهم من الآثام أمثال الجبال، وإنهم ليقومون من ذكر الله تعالى ما عليهم منها شيء) ["الحاوي للفتاوي" في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول والنحو والإعراب وسائر الفنون للعلامة الكبير جلال الدين السيوطي المتوفى سنة 911هـ، ج1: ص394]،

**ب . ذكر اللسان وذكر القلب:** وقال الإمام النووي رحمه الله: (أجمع العلماء على جواز الذكر بالقلب واللسان للمحْدِث والجنب والحائض والنفساء وذلك في التسبيح والتحميد والتكبير والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والدعاء ونحو ذلك)، وقال الإمام النووي رحمه الله: (الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان، والأفضل منه ما كان بالقلب واللسان جميعاً، فإن اقتصر على أحدهما فالقلب أفضل، ثم لا ينبغي أن يُترك الذكر باللسان مع القلب خوفاً من أن يُظن به الرياء، بل يذكر بهما جميعاً، ويقصد به وجه الله تعالى)،

**ج . الذكر المنفرد والذكر مع الجماعة:** العبادات مع الجماعة . وفيها ذكر الله تعالى . تزيد في الفضل على العبادة في حالة الانفراد، ففي الجماعة تلتقي القلوب، ويكون التعاون والتجاوب، ويستقي الضعيف من القوي، والمُظْلِم من المُنَوَّر، عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من قوم يذكرون الله إلا حفَّتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده" [أخرجه مسلم في كتاب الذكر، والترمذي في كتاب الدعوات]، وعن معاوية رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على حَلْقةٍ من أصحابه فقال: "ما يُجْلِسُكُمْ؟ قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده فقال: إنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله يُباهي بكم الملائكة" قال العلامة ابن علان شارح الأذكار في معنى هذا الحديث: (والمعنى: إذا مررتم بجماعة يذكرون الله فاذكروا موافقة لهم، أو اسمعوا أذكارهم، فإنهم في رياض من الجنة حالاً أو مآلاً، **آداب الذكر المنفرد:** وينبغي أن يكون الذاكر على أكمل الصفات، فإن كان جالساً في موضع استقبل القِبلة متذللاً متخشعاً بسكينة ووقار، مطرقاً برأسه، ولو ذكر على غير هذه الأحوال جاز ولا كراهة في حقه، ولكن إن كان بغير عذر كان تاركاً للأفضل، *وينبغي أن يكون الموضع الذي يذكر فيه خالياً نظيفاً، فإنه أعظم في احترام الذكر والمذكور، ولهذا مُدح الذكر في المساجد والمواضع الشريفة، وينبغي أن *يكون فمُه نظيفاً، وإن كان به تغيُّرٌ أزاله بالسواك، إذا كانت هذه النظافة الحسية قد نُدبنا إليها* فإن نظافة القلب الذي هو محل نظر الرب تبارك وتعالى أولى بالاعتبار، والذكر محبوب في جميع الأحوال، والمراد من الذكر حضور القلب، فينبغي أن يلاحظ الذاكر ذلك ويتدبر معاني ما يذكر،

**آداب الذكر الجهري مع الجماعة:** الذكر الجهري له آداب ثلاثة: آداب سابقة، وآداب مقارنة، وآداب لاحقة، وكل قسم من هذه الثلاثة له ظاهر وباطن، 1 – **فظاهر الآداب السابقة:** أن يكون الذاكر

طاهر الثوب، طيب الرائحة متوضئاً، نقياً من الحرام كسباً وغذاء، وباطنها: أن يطهِّر قلبه بالتوبة الصادقة، ويتخلى عن جميع الأمراض القلبية، ويتبرأ من حوله وقوته، ويدخل الحضرة متحققاً بذله وفقره واحتياجه إلى نفحات الله وفضله، **2 – وظاهر الآداب المقارنة:** *أن يجلس حيث انتهى به المجلس إذا كان الإخوان جلوساً،* وإذا كانوا وقوفاً ذكر خلفهم بذكرهم حتى ينتبه له أقربهم ويفسح له ليدخل بينهم، وينتظم في حلقتهم،* فإذا أراد أن يخرج لعذر طارىء وصل بين مَنْ على جانبيه بلطف، وخرج حتى لا يقطع عليهما اشتغالهما بالذكر، *وأن يكون موافقاً لهم في وضعهم، فلا يشذ عنهم بمخالفة* وأن يغمض عينيه حتى لا يشغله أحد عن حضور قلبه مع الله تعالى، **وباطنها***: أن يجاهد في طرد وساوس الشيطان وهواجس النفس، وأن لا يشغل قلبَه أُمورُ الدنيا، وأن يجتهد في الحضور بقلبه وهمته فيما هو فيه من الذكر وما يَرِدُ عليه من واردات وأحوال، متهيئاً لما يَمنُّ الله به عليه من تجليات إفضاله، **تقبيل اليد:** الذي يمحص الحقائق، ويرجع إلى الأحاديث الصحيحة، وآثار الصحابة الكرام، وأقوال الأئمة المحققين، يجد أن تقبيل يد العلماء والصالحين والأبوين جائز شرعاً، بل هو مظهر من مظاهر الآداب الإسلامية في احترام أهل الفضل والتقى، وإليك بعض النصوص الصريحة في ذلك: 1 – أما ما ورد من الأحاديث: فعن صفوان بن عسال، قال: (قال يهودي لصاحبه: قم بنا إلى هذا النبي، فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسألا عن تسع آيات بينات، فذكر الحديث... إلى قوله: فقبلا يده ورجله، وقالا: نشهد أنك نبي الله)، رواه الإمام أحمد والترمذي وصححه، والنسائي وغيرهم، وروى أبو داود عن أم أبان بنت الوازع بن زارع، عن جدها زارع وكان في وفد عبد القيس، قال: (فجعلنا نتبادر من رواحلنا فنقبل يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجله)، وفي "شرح البخاري" للحافظ ابن حجر العسقلاني: (أن أبا لبابة، وكعب بن مالك، وصاحبيه، قبلوا يد النبي صلى الله عليه وسلم حين تاب الله عليهم) ج11: ص48، 2 – وأما ما ورد من الآثار: فقد أخرج الطبراني والبيهقي والحاكم عن الشعبي: (أن زيد بن ثابت صلى على جنازة فَقُرِّبتْ إليه بغلتهُ ليركبها فجاء عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، فأخذ بركابه، فقال زيد بن ثابت: خلِّ عنها يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال ابن عباس: هكذا أُمِرْنا أن نفعلَ بالعلماء والكبراء، فقبَّل زيد بن ثابت يد عبد الله وقال: هكذا أمِرنا أن نفعل بأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم)، وأخرج البخاري في "الأدب المفرد" من رواية عبد الرحمن بن رزين قال: (أخرج لنا سلمة بن الأكوع كفاً له ضخمة كأنها كف بعير فقمنا إليها فقبلناها)، كذا في شرح البخاري لابن حجر العسقلاني ج11: ص48، وعن ثابت: (أنه قبل يد أنس) وأخرج أيضاً:

(أن علياً قبل يد العباس ورجله)، وفي "غذاء الألباب شرح منظومة الآداب" للعلامة محمد السفاريني الحنبلي قال: (وفي الآداب الكبرى: وتباح المعانقة وتقبيل اليد والرأس تديّناً وتكرّماً واحتراماً مع أمن الشهوة) ج1: ص287، وقال الحافظ ابن الجوزي في "مناقب أصحاب الحديث": (ينبغي للطالب أن يبالغ في التواضع للعالم، قال: ومن التواضع تقبيل يده، وَقبَّل سفيانُ بن عيينة والفضيلُ بن عياض أحدهما يد الحسين بن علي الجعفي، والآخر رِجْلَه)، كذا في "شرح منظومة الآداب" للسفاريني ج1: ص287، **حكم القيام للعلماء والصالحين والوالدين:** أما حكم القيام لذوي الفضل فجائز، وهو من الآداب الإسلامية المطلوبة وقد نصت كتب الفقه في مختلف المذاهب على جوازه: **(أ. نصوص السادة الشافعية):** نقل العلامة الفقيه محمد الشربيني في كتابه "المغني المحتاج" ج3: ص135: (ويُسَنُّ القيامُ لأهل الفضل من علم وصلاح أو شرف أو نحو ذلك لا رياءً وتفخيماً، قال في الروضة: وقد ثبت فيه أحاديث صحيحة) ا هـ، وللإمام النووي رسالة خاصة سماها "رسالة الترخيص بالقيام لذوي الفضل" في جواز القيام للقادم، واستدل على ذلك بأحاديث كثيرة منها: 1 – أخرج الإمام مالك في قصة عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه، لمَّا فرَّ إلى اليمن يوم الفتح ورحلت امرأته إليه حتى أعادته إلى مكة مسلماً: (فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم وثب إليه فرحاً ورمى عليه رداءه)، 2 – وجاء بحديث عائشة رضي الله عنها: (قدم زيد بن حارثة المدينة والنبي صلى الله عليه وسلم في بيتي، فقرع الباب فقام إليه فاعتنقه وقبله)، 3 – وأخرج أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يحدثنا فإذا قام قمنا إليه حتى نراه قد دخل)،

**د . الذكر المقيد والذكر المطلق: أما الذكر المقيد:** فهو الذي ندبَنا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقيَّداً بزمان خاص أو مكان خاص، كالذكر بعد أداء كل صلاة، من تسبيح وتحميد وتكبير، وأذكار المسافر والآكل والشارب، وأذكار النكاح، **وأما الذكر المطلق:** فهو ما لم يقيد بزمان ولا مكان، ولا وقت ولا حال، ولا قيام ولا قعود، فالمطلوب من المؤمن أن يذكر ربه في كل حال حتى لا يزال لسانه رطباً بذكر الله، والآيات في ذلك كثيرة منها قوله تعالى: {فاذكُرُوني أذكُرْكُم} [البقرة: 152]، وقد وصفت السيدة عائشة رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقولها: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله في كل أحيانه)

**حكم الذكر بالاسم المفرد [الله]:** أما الذكر بالاسم المفرد [الله] فجائز بدليل قول الله تعالى: {واذْكُرِ اسمَ ربِّكَ وتبتَّلْ إليه تبتيلاً} [المزمل: 8]، وقوله تعالى: {واذْكُرِ اسمَ ربِّكَ بكرةً وأصيلاً} [الدهر:

25]، وقد ورد في الحديث الشريف الذي رواه أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله، الله" **[أخرجه مسلم في صحيحه** فهذا اسم مفرد ورد ذكره مكرراً في هذا الحديث، ثم إن الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي رَغَّبَتْ في الذكر جاءت عامة ومطلقة لم تخصص ذكراً معيناً، ولم يرد نص شرعي يُحَرِّمُ الذكرَ بالاسم المفرد [الله]، واعترض بعضهم أيضاً على الذكر بالاسم المفرد بحجة أنه لا يؤلف جملة تامة مفيدة كما في قولنا: الله جليل، والجواب على ذلك: أن الذاكر بهذا الاسم المفرد لا يكلم مخلوقاً فلا يُشترط أن يكون كلامه تاماً مفيداً، لأنه يذكر الله سبحانه الذي هو عالم بنفسه مطلع على قلبه،

**التحذير من ترك الذكر:** لقد حذر الله تعالى عباده من ترك ذكره في كتابه الكريم وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، كما حذر العارفون بالله من المربين المرشدين مريديهم من ترك الذكر كذلك، **أما في كتاب الله الكريم:** فقد قال تعالى: {ومَنْ يَعْشُ عن ذكر الرحمن نُقَيّضْ له شيطاناً فهو له قرين، وإنَّهم لَيَصُدُّونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون} [الزخرف: 36 – 37]، **وأما في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم:** فقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما منْ قوم يقومون من مجلس لا يذكرون فيه الله إلا قاموا عن مثلِ جيفة حمار، وكان عليهم حسرةً يوم القيامة"، وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها" [أخرجه الطبراني ورواه البيهقي بأسانيد أحدها جيد]،

**الحركة في الذكر:** الحركة في الذكر أمر مستحسن، لأنها تنشط الجسم لعبادة الذكر وهي جائزة شرعاً بدليل ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده والحافظ المقدسي برجال الصحيح من حديث أنس رضي الله عنه قال: (كانت الحبشة يرقصون بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقولون بكلام لهم: محمد عبد صالح، فقال صلى الله عليه وسلم: "ماذا يقولون؟" فقيل: إنهم يقولون: محمد عبد صالح، فلما رآهم في تلك الحالة لم ينكر عليهم، وأقرهم على ذلك، *والمعلوم أن الأحكام الشرعية تؤخذ من قوله صلى الله عليه وسلم وفعله وتقريره، فلما أقرهم على فعلهم ولم ينكر عليهم تبين أن هذا جائز، وفي الحديث دليل على صحة الجمع بين الاهتزاز المباح ومدحِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن الاهتزاز بالذكر لا يُسمى رقصاً محرماً، بل هو جائز لأنه ينشط الجسم للذكر، ويساعد على حضور القلب مع الله تعالى، إذا صحت النية، فالأمور بمقاصدها، وإنما الأعمال

بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى، ولنستمع إلى الإمام علي رضي الله عنه كيف يصف أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، قال أبو أراكة: (صلّيتُ مع علي صلاة الفجر، فلما انفتل عن يمينه مكث كأنَّ عليه كآبة، حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح صلى ركعتين، ثم قلب يده فقال: والله لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، فما أرى اليوم شيئاً يشبههم، لقد كانوا يصبحون صفراً شعثاً غبراً، بين أيديهم كأمثال رُكَب المَعْزى، قد باتوا لله سجداً وقياماً، يتلون كتاب الله يتراوحون بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا فذكروا الله مادوا [أي تحركوا] كما يميد الشجر في يوم الريح، وهملت أعينهم حتى تَبْلَّ . والله . ثيابُهم) ["البداية والنهاية في التاريخ" للإمام الحافظ المفسر المؤرخ إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى 774هـ، ج8: ص6، ويهمنا من عبارة الإمام علي رضي الله عنه قوله: (مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح)، فإنك تجده صريحاً في الاهتزاز، ويُبطل قولَ من يدَّعي أنه بدعة محرمة، ويثبت إباحة الحركة في الذكر مطلقاً، وقد استدل الشيخ عبد الغني النابلسي رحمه الله بهذا الحديث في إحدى رسائله على ندب الاهتزاز بالذكر، وقال: هذا صريح بأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتحركون حركة شديدة في الذكر، على أن الرجل غير مؤاخذ حين يتحرك ويقوم ويقعد على أي نوع كان حيث إنه لم يأت بمعصية ولم يقصدها كما ذكرنا، **والخلاصة:** يُفهم مما سبق أن الحركة في الذكر مباحة شرعاً، هذا بالإضافة إلى أن الأمر بالذكر مطلق يشمل جميع الأحوال، فمن ذكر الله تعالى قاعداً أو قائماً، جالساً أو ماشياً، متحركاً أو ساكناً... فقد قام بالمطلوب ونفَّذَ الأمر الإلهي، فالذي يدَّعي تحريم الحركة في الذكر أو كراهتها هو المطالَب بالدليل، لأنه يخصص بعض الحالات المطلقة دون بعض بحكم خاص،

**الإنشاد والسماع في المسجد:** عن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن من الشعر حكمة"، وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينقل اللَّبن مع القوم في بناء المسجد وهم يرتجزون ويقولون: (اللهم لا عيشَ إلا عيشُ الآخرة فانصر الأنصار والمهاجرة)، وعن سعيد بن المسيب قال: (مرَّ عمرُ في المسجد وحسان يُنشد، فلحِظَه عمر [أي نظر إليه نظرة إنكار]، فقال: كنت أُنشد وفيه من هو خير منك [يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم]، ثم التفت إلى أبي هريرة فقال: (أُنشِدُك بالله أسمعتَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: "أجب عني، اللهم أيده بروح القدُس؟" قال: نعم)، وعن عائشة رضي الله عنها: كان النبي صلى الله عليه وسلم يضع لحسان منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه

وسلم، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن الله يؤيد حسانَ برُوح القدُس ما نافح أو فاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم"، ذكر الإمام الشاطبي في كتابه "الاعتصام": (أن أبا الحسن القرافي الصوفي يروي عن الحسن البصري رحمه الله: أن قوماً أتوا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالوا: يا أمير المؤمنين إن لنا إماماً إذا فرغ من صلاته تغنَّى، فقال عمر رضي الله عنه: مَنْ هو؟ فذُكر الرجل، فقال: قوموا بنا إليه، فإنا إن وجهنا إليه يظن أنا تجسسنا عليه أمره، قال: فقام عمر رضي الله عنه مع جماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حتى أتوا الرجل وهو في المسجد، فلما أن نظر إلى عمر قام فاستقبله فقال: يا أمير المؤمنين ما حاجتك؟ وما جاء بك؟ إن كانت الحاجة لنا كنا أحق بذلك منك أن نأْتيك، وإن كانت الحاجة لله فأحق مَنْ عظمناه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له عمر: ويحك بلغني عنك أمر ساءني، قال: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: أَتَتَمجَّن في عبادتك؟! قال: لا يا أمير المؤمنين، لكنها عظة أعظ بها نفسي، قال عمر: قلْها فإن كان كلاماً حسناً قلتُه معك، وإن كان قبيحاً نهيتُك عنه فقال: "وفؤادي كلما عاتبْتُه في مدى الهجران يبغي تعبي، لا أُراه الدهرَ إلا لاهياً في تماديه فقد برَّحَ بي، يا قرينَ السوء ما هذا الصِّبّا فَنِيَ العمرُ كذا في اللعب، وشباب بَانَ عني فمضى قبل أن أقضي منه أربي، ما أُرَجِّي بعده إلا الفَنا ضيَّقَ الشيبُ عليَّ مطلبي، ويْحَ نفسي لا أراها أبداً في جميلٍ لا ولا في أدب، نفسُ لا كنتِ ولا كان الهوى راقبي المولى وخافي وارهبي "، فقال عمر رضي الله عنه: نفسُ لا كنتِ ولا كان الهوى راقبي المولى وخافي وارهبي، ثم قال عمر رضي الله عنه: على هذا فليغنِّ مَنْ غنَّى) ["الاعتصام" للإمام الشاطبي ج1: ص220]، وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه: (الشعر كلام، فحَسَنُه حَسَنٌ، وقبيحه قبيح)، وأما الحداء فقد قال حجة الإسلام الغزالي في "الإحياء": (لم يزل الحداء وراء الجمال من عادة العرب في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة رضي الله عنهم، وما هو إلا أشعار تُؤَدّى بأصوات طيبة وألحان موزونة، ولم يُنْقَل عن أحد من الصحابة إنكاره) وعن أنس رضي الله عنه: (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في سفر، وكان غلام يحدو بهن يقال له أنجشة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "رويدَك يا أنجشة سَوْقك بالقوارير" قال أبو قلابة: يعني ضَعَفَة النساء)

**فوائد الذكر إجمالاً:** 1 – عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من قوم يذكرون الله، إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم

السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده" 2 – عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يقول الرب تبارك وتعالى: من شغله قراءة القرآن وذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين"، 3 – عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يقول الرب يوم القيامة سيَعلَم أهلُ الجمع اليوم مَنْ أهل الكرم، فقيل: ومن أهل الكرم يا رسول الله؟ قال: أهل مجالس الذكر في المساجد"، 4 – وعن معاوية رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على حَلْقةٍ من أصحابه فقال: "ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده، فقال: أتاني جبريل فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة"، 5 – وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله إلا ناداهم منادٍ من السماء: قوموا مغفوراً لكم قد بُدلت سيئاتكم حسنات" 6 – وعن ثابت قال: كان سلمان في عصابة يذكرون الله، فمرَّ النبي صلى الله عليه وسلم فكفوا، فقال: "ما كنتم تقولون؟ قلنا: نذكر الله، قال: إني رأيت الرحمة تنزل، فأحببت أن أشارككم فيها، ثم قال: الحمد لله الذي جعل في أُمتي من أُمرت أن أصبر نفسي معهم"

**ورد الصوفية ودليله من الكتاب والسنة: (الورد)**: بالكسر، كما في المصباح: الوظيفة من قراءة ونحو ذلك، والجمع: أوراد، ويطلقه الصوفية على أذكار يأمر الشيخ تلميذه بذكرها صباحاً بعد صلاة الصبح

**[حكم ذكر الله بعد صلاة الصبح]**: إن من أفضل الأعمال بعد صلاة الفجر، الاشتغال بذكر الله تعالى، خلافاً لما يظن بعض الناس بأن الاشتغال بقراءة القرآن بعد صلاة الصبح أولى وأفضل، وقد وردت في ذلك أحاديث كثيرة منها: 1 – عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من صلى صلاة الغداة [الصبح] في جماعة ثم جلس يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم قام فصلى ركعتين انقلب بأجر حجة وعمرة، 2 – وعن معاذ بن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من صلى صلاة الفجر ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس وجبت له الجنة"، رواه أبو يعلى كذا في المصدر السابق ج10: ص105، **والوارد في اللغة**: هو الطارق والقادم، يقال ورد علينا فلان أي قدم، وفي الاصطلاح: ما يُتْحفه الحق تعالى قلوبَ أوليائه من النفحات الإلهية، فيكسبه قوة محركة، وربما يدهشه، أو يُغيّبه عن حسه، ولا يكون إلا بغتة، ولا يدوم على

صاحبه ["شرح الحكم" لابن عجيبة ج1 : ص160]، والورد يضم ثلاث صيغ من صيغ الذكر المطلوبة شرعاً، والتي دعا إليها كتاب الله تعالى، وبينت السنة الشريفة فضلها ومثوبتها،

1 – **الاستغفار:** بصيغة [أستغفر الله] مائة مرة، بعد محاسبة النفس على الزلات لتعود صفحة الأعمال نقية بيضاء، وقد أمرنا الله تعالى بذلك بقوله: {وما تُقَدِّمُوا لأنْفُسِكُم مِنْ خير تجِدُوه عند اللهِ هوَ خيراً وأعظَمَ أجراً واستغفروا اللهَ إنَّ اللهَ غفورٌ رحيم} [المزمل: 20]، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر من الاستغفار تعليماً لأمته وتوجيهاً، كما روى أبو هريرة رضي الله عنه قوله: "والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة" وعن عبد الله بن بِسر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "طوبى لمن وَجد في صحيفته استغفاراً كثيراً"

2 – **الصلاة على النبي** صلى الله عليه وسلم: بصيغة [اللهم صلِّ على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلِّم] مائة مرة مع استحضار عظمته صلى الله عليه وسلم، وتذكُّرِ صفاته وشمائله، والتعلق بجنابه الرفيع، محبة وتشوقاً، وقد أمرنا الله تعالى بذلك بقوله: {إنَّ اللهَ وملائكَتَهُ يُصلُّونَ على النبيّ يا أيُّها الذين آمنوا صَلُّوا عليهِ وسلِّمُوا تسليماً} [الأحزاب: 56]، وكذلك رغَّب رسول الله صلى الله عليه وسلم بكثرة الصلاة والسلام عليه فقال: "من صلَّى عليَّ واحدةً صلَّى الله عليه بها عشراً" وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من صلى عليَّ واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحُطَّتْ عنه عشرُ سيئات ورُفعتْ له عشر درجات"، وقال صلى الله عليه وسلم أيضاً: "أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاة"

3 – **كلمة التوحيد:** بصيغة: [لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير] مئة مرة، أو [لا إله إلا الله] فقط مائة مرة، مع التفكير بأنه لا خالق ولا رازق ولا نافع ولا ضار ولا قابض ولا باسط، إلا الله وحده، ولهذا دعانا الله تعالى إلى هذا التوحيد الخالص فقال: {فاعلَمْ أنَّهُ لا إله إلا اللهُ} [محمد: 19]، وكذلك رغبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإكثار من ترداد كلمة التوحيد، وبين أفضليتها ومثوبتها، فقال: "أفضل الذكر لا إله إلا الله"، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "جددوا إيمانكم، قيل: يا رسول الله وكيف نجدد إيماننا؟ قال: أكثروا من قول لا إله إلا الله"

**[7] المذاكرة**: **المذاكرة:** هي استفادة المريد من خبرة مرشده بسؤاله عن أحكام شرعية تتعلق بتصحيح العقائد أو العبادات أو المعاملات، أو بأن يعرض له ما يحدث معه من أحوال قلبية وخواطر نفسية وشيطانية قد تلتبس عليه فتوقعه في شكوك وأوهام، كالشكوك في العقائد الإيمانية، وكالتعلقات الدنيوية، التي يقف حيالها حائراً مضطرباً، أو بأن يكشف له عن أمراضه القلبية كالكبر والحسد والنفاق وحب الرئاسة، وعن رعوناته النفسية كالتحدث عن كراماته ومرائيه بغية الثناء والشهرة... وغير ذلك من الصفات الناقصة بغية معرفة طريق الخلاص منها، وهكذا يرجع المريد لمرشده في جميع أحوال سيره لاجتياز العقبات التي تعترض طريقه، وقد يذاكر المريد شيخه في أحواله الطيبة ومقامات سيره، واستشراف روحه للحضرة الإلهية، وما يرد على قلبه من واردات رحمانية أو ملكية ومفاهيم قرآنية وعلوم وهبية... والقصد من ذلك الاستيثاق من صحتها حتى يكون المريد على بصيرة من مراحل سيره، ومثل المريد مع مرشده كمثل المريض الذي يكشف لطبيبه كل ما يلقاه من أعراض مرضية، كما يخبره عن جميع مراحل تحسن جسمه وصحته، ومن جهة أخرى فإن المذاكرة تُقوِّي الصلة بين المريد والمرشد، فتزداد المحبة ويقوى التجاوب، كما أن المريد يستفيد بالمذاكرة من شيخه علماً وحالاً ومعرفة، لأن العلم روح تنفخ لا مسائل تنسخ، فالمذاكرة إذن تطبيق عملي لأدب من آداب الشرع، وخلق أساسي من أخلاق الإسلام، وهو الشورى التي مدح الله بها المؤمنين بقوله: {وأمرُهُمْ شُورى بينَهُم} [الشورى: 38]، والتي دعا إليها الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام بقوله: "المستشار مؤتمن" [رواه الترمذي عن أبي هريرة في كتاب الأدب وقال: حديث حسن، والبخاري في "الأدب المفرد" في باب المستشار مؤتمن]، وإذا كانت الشورى هي للاستفادة من خبرة أهل الاختصاص في أي جانب من جوانب الحياة، كالمريض الذي يستفيد من خبرة الطبيب، والبَنَّاءِ الذي يستفيد من خبرة المهندس، والمظلوم الذي يستفيد من خبرة المحامي... إلخ، فإن المذاكرة هي للاستفادة من خبرة المرشد في ميدان التطبيق العملي لدين الله تعالى، وقد نوَّه الله تعالى لهذه الاستفادة بقوله: {فاسألُوا أَهْلَ الذِّكرِ إنْ كُنتُم لا تعلمونَ} [النحل: 43]، وبقوله تعالى: {الرحمنُ فاسألْ بِهِ خبيراً} [الفرقان: 59]،

**الفرق بين المذاكرة وبين الاعتراف عند النصارى:** يفرق بين من يأتي لإنسان مثله فيكشف له عن آثامه وجرائمه بغية أن يغفر له، كما هو الأمر عند النصارى، وبين من يأتي لخبير عالم فيكشف

له عن أمراضه وأحواله بغية أن يدله على الطريق العملي للتخلص منها، كما يكشف المريض عن أمراضه ولو كانت مما يُستحى منها من أجل تشخيص الداء ووصف الدواء الناجع

**الفرق بين المذاكرة وبين المجاهرة بالمعصية:** هناك فرق كبير بين من يرتكب الإثم، ثم يأتي للناس يحدّث عنه من باب المباهاة والتلذذ بذكره والدعوة إليه، وبين من يندم على ذنبه ويتحير في معرفة العلاج الجذري الذي ينقذه من وضعه المذموم، فيأتي ليستفيد من خبرة مرشده، قال الإمام النووي معلقاً على حديث: "كل أمتي معافاةٌ إلا المجاهرين، وإن من الإجهار أن يعمل الرجل بالليل عملاً، ثم يصبح وقد ستره الله تعالى عليه، فيقول: يا فلان عملتُ البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه" [رواه البخاري في صحيحه في كتاب الأدب، ومسلم في كتاب الزهد والرقائق]: (يكره للإنسان إذا ابتُلِيَ بمعصية أو نحوها أن يخبر غيره بذلك، بل ينبغي أن يتوب إلى الله تعالى، فيقلع عنها في الحال، ويندم على ما فعل، ويعزم ألا يعود إلى مثلها أبداً، فهذه الثلاثة هي أركان التوبة، لا تصح إلا باجتماعها، فإن أخبر بمعصيته شيخه أو شبهه ممن يرجو بإخباره أن يعلمه مخرجاً من معصيته، أو يعلمه ما يسلم به من الوقوع في مثلها، أو يعرفه السبب الذي أوقعه فيها، أو يدعو له، أو نحو ذلك، فلا بأس به، بل هو حسن، وإنما يُكره إذا انتفت هذه المصلحة) ["الأذكار" للنووي ص327]، ونقل الإمام المناوي في معرض شرحه لحديث المجاهرة قول الإمام الغزالي: (الكشف المذموم إذا وقع على وجه المجاهرة والاستهزاء، لا على وجه السؤال والاستفتاء، بدليل خبر من واقع امرأته في رمضان [روى هذا الخبر البخاري في صحيحه]، فجاء فأخبر المصطفى عليه الصلاة والسلام، فلم ينكر عليه) ["فيض القدير شرح الجامع الصغير" ج5: ص 12]،

## [8] الخلوة: تعريفها، طريقتها، مشروعيتها، فوائدها،

**1 – تعريفها:** قال الشيخ أحمد زروق في قواعده: (الخلوة أخص من العزلة، وهي بوجهها وصورتها نوع من الاعتكاف، ولكن لا في المسجد، وربما كانت فيه، وأكثرها عند القوم لا حدَّ له، لكن السنة تشير للأربعين بمواعدة موسى عليه السلام، والقصد في الحقيقة ثلاثون، إذ هي أصل المواعدة، وجاور عليه الصلاة والسلام بحراء شهراً كما في مسلم [أخرج مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "جاورت بحراء شهراً،، وأقلها عشرة لاعتكافه عليه الصلاة والسلام للعشر، وهي للكامل زيادة في حاله، ولغيره

ترقية، ولا بد من أصل يُرجع إليه، والقصد بها تطهير القلب من أدناس الملابسة، وإفراد القلب لذكر واحد، وحقيقة واحدة، ولكنها بلا شيخ مخطرة، ولها فتوح عظيم، وقد لا تصح بأقوام، فليعتبر كل أحد بها حالَه) ["قواعد التصوف" ص39 لأبي العباس الشيخ أحمد الفاسي المشهور بزروق توفي سنة 899هـ في طرابلس الغرب]، فالخلوة إذن: انقطاع عن البشر لفترة محدودة، وترك للأعمال الدنيوية لمدة يسيرة، كي يتفرغ القلب من هموم الحياة التي لا تنتهي، ويستريح الفكر من المشاغل اليومية التي لا تنقطع، ثم ذكرٌ لله تعالى بقلب حاضر خاشع، وتفكرٌ في آلائه تعالى آناء الليل وأطراف النهار، وذلك بإرشاد شيخ عارف بالله، يُعلِّمه إذا جهل، ويذكِّره إذا غفل، وينشطه إذا فتر، ويساعده على دفع الوساوس وهواجس النفس،

2 – **طريقتها:** يذكر الغزالي رحمه الله طريقة الخلوة ومراحلها ومقاماتها، فيبين: (أن الشيخ* يُلزِم المريد زاوية ينفرد بها، ويوكل به من يقوم له بقدر يسير من القوت الحلال . فإنَّ أصل الدين القوت الحلال .* وعند ذلك يلقنه ذكراً من الأذكار، حتى يشغل به لسانه وقلبه، فيجلس ويقول مثلاً: الله، الله، أو سبحان الله، سبحان الله، أو ما يراه الشيخ من الكلمات، فلا يزال يواظب عليه، حتى يسقط الأثر عن اللسان، وتبقى صورة اللفظ في القلب، ثم لا يزال كذلك حتى تُمحى من القلب حروف اللفظ وصورته، وتبقى حقيقة معناه لازمة للقلب، حاضرة معه، غالبة عليه، قد فرغ عن كل ما سواه، لأن القلب إذا اشتغل بشيء خلا عن غيره . أيَّ شيء كان . فإذا اشتغل بذكر الله تعالى وهو المقصود، خلا لا محالة من غيره،* وعند ذلك يلزمه أن يراقب وساوس القلب، والخواطر التي تتعلق بالدنيا، وما يتذكر فيه مما قد مضى من أحواله وأحوال غيره، فإنه مهما اشتغل بشيء منه . ولو في لحظة . خلا قلبه عن الذكر في تلك اللحظة، وكان أيضاً نقصاناً، فليجتهد في دفع ذلك، ومهما دفع الوساوس كلها، وردَّ النفس إلى هذه الكلمة، جاءته الوساوس من هذه الكلمة، وإنها ما هي؟ وما معنى قولنا: الله؟ ولأي معنى كان إلهاً، وكان معبوداً؟ ويعتريه عند ذلك خواطر تفتح عليه باب الفكر، وربما يَرِدُ عليه من وساوس الشيطان ما هو كفر وبدعة، ومهما كان كارهاً لذلك، ومُتَشمِّراً لإماطته عن القلب لم يضره ذلك، **وهذه الوساوس منقسمة إلى قسمين:** أ . ما يعلم قطعاً أن الله تعالى منزه عنه، ولكن الشيطان يُلْقي ذلك في قلبه، ويُجريه على خاطره، فَشَرْطُهُ أن لا يبالي به، ويفزع إلى ذكر الله تعالى، ويبتهل إليه ليدفعه عنه، كما قال تعالى: {وإمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشيطانِ نَزْغٌ فاستعذ باللهِ إنَّهُ سميعٌ عليمٌ} [الأعراف: 200]، و قال تعالى: {إنَّ الذينَ اتَّقَوا إذا مسَّهُم

طائفٌ مِنَ الشيطان تذَكَّروا فإذا هم مبصرونَ} [الأعراف: 201]، ب . ما يشك فيه، فينبغي أن يَعرض ذلك على شيخه، بل كلُّ ما يجد في قلبه من الأحوال، من فترة أو نشاط، أو التفات إلى علْقة، أو صدق في إرادة، فينبغي أن يُظهر ذلك لشيخه، وأن يستره عن غيره، فلا يطلع عليه أحداً) ["الإحياء" للغزالي ج3: ص66]،

**3 – مشروعيتها:** ليست الخلوة ابتداعاً من الصوفية، وإنما هي امتثال لأمر الله تعالى في كتابه العزيز، وتأسٍّ واقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد كان يخلو بغار حراء يتعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، حتى جاءه الحق، وهو في غار حراء، وبهذا تكون قد ثبتت مشروعيتها، **الدليل عليها من القرآن الكريم:** قال تعالى: {واذكرِ اسم ربِّكَ وتَبَتَّلْ إليه تبتيلاً} [المزمل: 8]، قال العلامة أبو السعود مفسراً قوله تعالى: {واذكُرِ اسمَ ربِّك...} [المزمل: 8]: (ودُم على ذكره تعالى ليلاً ونهاراً على أي وجه كان، من التسبيح والتهليل والتحميد... إلى أن قال: وانقطعَ إليه بمجامع الهمة واستغراق العزيمة في مراقبته، وحيث لم يكن ذلك إلا بتجريد نفسه عليه الصلاة والسلام عن العوائق الصادرة المانعة عن مراقبة الله تعالى، وقطع العلائق عما سواه) [تفسير العلامة أبي السعود على هامش تفسير فخر الدين الرازي ج8: ص338]، وكل أمرٍ أُمِر به صلى الله عليه وسلم تشريع له ولأمته إلا فيما خُصَّ به، وخصوصياته معروفة، وهذا الأمر في هذه الآية المذكورة عام له ولأمته، **الدليل عليها من السنة:** عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (أولُ ما بُدِيءَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبِّبَ إليه الخلاءُ، وكان يخلو بغار حِراءَ، فيتَحَنَّثُ فيه . وهو التعبد . الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة، ويتزود لمثلها، حتى جاءه الحق، وهو في غار حراء) [رواه البخاري في صحيحه باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم]، قال ابن أبي جمرة في شرحه لهذا الحديث: (في الحديث دليل على أن الخلوة عون للإنسان على تعبده وصلاح دينه، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما اعتزل عن الناس وخلا بنفسه، أتاه هذا الخير العظيم، وكل أحد امتثل ذلك أتاه الخير بحسب ما قسم له من مقامات الولاية، وفيه دليل على أن الأوْلى بأهل البداية الخلوة والاعتزال، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان في أول أمره يخلو بنفسه، وفيه دليل على أن البداية ليست كالنهاية، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أول ما بُدِيءَ في نبوته بالمرائي، فما زال عليه الصلاة والسلام يرتقي في الدرجات والفضل،

حتى جاءه المَلكُ في اليقظة بالوحي، ثم ما زال يرتقي، حتى كان كقاب قوسين أو أدنى، وهي النهاية، فإذا كان هذا في الرسل فكيف به في الأتباع؟! لكن بين الرسل والأتباع فرق، وهو أن الأتباع يترقون في مقامات الولاية . ما عدا مقام النبوة، فإنه لا سبيل لهم إليها، لأن ذلك قد طُويَ بساطه . حتى ينتهوا إلى مقام المعرفة والرضا، وهو أعلى مقامات الولاية، ["بهجة النفوس" شرح مختصر البخاري للإمام الحافظ أبي محمد عبد الله بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي المتوفى 699 هـ، ج1: ص10 . 11]، **(إشكال):** فإن قلتَ: أمر الغار قبل الرسالة، ولا حكم إلا بعد الرسالة؟ قال المحدث القسطلاني مجيباً: (إنه أول ما بدىء به عليه الصلاة والسلام من الوحي الرؤيا الصالحة، ثم حُبِّبَ إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء كما مر، فدل على أن الخلوة حكم مرتب على الوحي، لأن كلمة [ثم] للترتيب، وأيضاً لو لم تكن من الدين لنهى عنها، بل هي ذريعة لمجيء الحق، وظهورُه مبارك عليه وعلى أمته تأسِّياً وسلامة من المناكير وضررها، ولها شروط مذكورة في محلها من كتب القوم) ["إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري" للقسطلاني ج1 : ص62]، وقال المحدث الكشميري رحمه الله تعالى معلقاً على هذه الفقرة من الحديث: (ثم حُبِّبَ إليه الخلاء): (وهذا على نحو مجاهدات الصوفية وخلواتهم، ثم إن اعتكاف الفقهاء وخلوات الصوفية عندي قريب من السواء) ["فيض الباري على صحيح البخاري" ج1: ص23]، وقال الزهري رحمه الله تعالى: (عجباً من الناس، كيف تركوا الاعتكاف، ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل الشيء ويتركه، وما ترك الاعتكاف حتى قُبِض) ["حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح" ص463]، هذه أقوال علماء الحديث وشراحه في الخلوة من حيث تسميتها، ومن حيث مشروعيتها، ومن حيث فوائدها، ومن حيث اعتناء السلف الصالح بها

اضافات: وللعلماء في عبادته في خلوته قولان: قال بعضهم: كانت عبادته بالفكر، وقال بعضهم: بالذكر، وهذا القول هو الصحيح، ولا تعريج على الأول ولا التفات إليه، لأن **خلوة طلاب طريق الحق على أنواع: الأول:** أن تكون خلوتهم لطلب مزيد علم الحق من الحق لا بطريق النظر والفكر، وهذا غاية مقاصد أهل الحق، **الثاني:** أن تكون خلوتهم لصفاء الفكر لكي يصح نظرهم في طلب المعلومات، وهذه الخلوة لقوم يطلبون العلم من ميزان العقل، **الثالث:** خلوة يفعلها جماعة لدفع الوحشة من مخالطة غير الجنس، والاشتغال بما لا يعني، فإنهم إذا رأوا الخلق انقبضوا، فلذلك اختاروا الخلوة، **الرابع:** خلوة لطلب زيادة لذة توجد في الخلوة، **وخلوة حضرة صاحب الرسالة من**

**القسم الأول**، قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: (ومن أحب أن يفتح الله قلبه، ويرزقه العلم، فعليه بالخلوة وقلة الأكل، وترك مخالطة السفهاء وبعض أهل العلم الذي ليس معهم إنصاف ولا أدب) ["بستان العارفين" للإمام الفقيه الحافظ أبي زكريا محي الدين النووي المتوفى 676هـ ص47]، وقال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: (وأما الخلوة ففائدتها دفع الشواغل، وضبط السمع والبصر، فإنهما دهليز القلب، والقلب في حكم حوض تنصب إليه مياه كريهة كدرة قذرة من أنهار الحواس، ومقصود الرياضة تفريغ الحوض من تلك المياه ومن الطين الحاصل منها، ليتفجر أصل الحوض، فيخرج منه الماء النظيف الطاهر، وكيف يصح له أن ينزح الماء من الحوض، والأنهار مفتوحة إليه؟ فيتجدد في كل حال أكثر مما ينقص، فلا بد من ضبط الحواس إلا عن قدر الضرورة، وليس يتم ذلك إلا بالخلوة) ["الإحياء" للغزالي ج3: ص66]، وقال الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي (رحمه الله تعالى): (فإن المتأهب الطالب للمزيد، المتعرض لنفحات الجود بأسرار الوجود إذا لزم الخلوة والذكر، وفرَّغ المحل من الفكر، وقعد فقيراً لا شيء له عند باب ربه، حينئذ يمنحه الله تعالى، ويعطيه من العلم به والأسرار الإلهية والمعارف الربانية التي أثنى الله سبحانه بها على عبده خضر فقال: {عبْداً مِنْ عِبادِنا آتيناهُ رحمَةً مِنْ عندِنا وعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنّا علماً} [الكهف: 65]، وقال تعالى: {واتَّقوا اللهَ ويُعَلِّمُكُمُ اللهُ} [البقرة: 282]، قال تعالى: {إنْ تتَّقوا اللهَ يَجعَلْ لكُمْ فُرقاناً} [الأنفال: 29]، وقال: {ويجعلْ لَكُمْ نُوراً تمشونَ به} [الحديد: 28]، وقيل للجنيد: بم نلت ما نلت؟ فقال: بجلوسي تحت تلك الدرجة ثلاثين سنة، وقال الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله تعالى في كتابه "مذكرات في فقه السيرة": (يجب على الداعية إلى الله أن تكون له بين الفَيْنة والفَيْنة أوقات يخلو فيها بنفسه، تتصل فيها روحه بالله جل شأنه، وتصفو فيها نفسه من كدورات الأخلاق الذميمة والحياة المضطربة من حوله، ومثل هذه الخلوات تدعوه إلى محاسبة نفسه إن قصرت في خير، أو زلت في اتجاه، أو جانبت سبيل الحكمة، أو أخطأت في منهج أو طريق، أو انغمست مع الناس في الجدال والنقاش، حتى أنْسَتْهُ تذكُّرَ الله والأنس به، وتذكر الآخرة وجنتها ونارها والموتِ وغصصه وآلامه، ولذلك كان التهجد وقيام الليل فرضاً في حق النبي صلى الله عليه وسلم، مستحباً في حق غيره، وأحق الناس بالحرص على هذه النافلة هم الدعاة إلى الله وشريعته وجنته، وللخلوة والقيام لله بالعبودية في أعقاب الليل لذة لا يدركها إلا من أكرمه الله بها، وقد كان إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول في أعقاب تهجده وعبادته: نحن في لذة لو عرفها الملوك لقاتلونا عليها) ["مذكرات في فقه السيرة" للدكتور مصطفى السباعي ص18]، وقد قالوا: إن القلب كالمعدة إذا قويت عليها

الأخلاط مرضت، ولا ينفعها إلا الحمية، وهو قلة موادها، ومنعها من كثرة الأخلاط (المعدة بيت الداء، والحمية رأس الدواء)، وكذلك القلب إذا قويت عليه الخواطر واستحوذ عليه الحس مرض، وربما مات، ولا ينفعه إلا الحمية منها، والفرار من مواطنها، وهي الخلطة، فإذا اعتزل الناس واستعمل الفكرة نجح دواؤه، واستقام قلبه، وإلا بقي سقيماً حتى يلقى الله بقلب سقيم بالشك والخواطر الرديئة، نسأل الله العافية، قال الجنيد رحمه الله تعالى: أشرف المجالس الجلوس مع الفكر في ميدان التوحيد، وقال أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: ثمار العزلة الظفر بمواهب المنة، وهي أربعة: كشف الغطاء، وتنزل الرحمة، وتحقيق المحبة، ولسان الصدق في الكلمة،

**ثم ذكر للخلوة عشر فوائد:** 1 – السلامة من آفات اللسان، فإنَّ مَنْ كان وحده لا يجد معه من يتكلم، ولا يسلم في الغالب من آفاته إلا من آثرَ الخلوة على الاجتماع، 2 – السلامة من آفات النظر،فإنَّ من كان معتزلاً عن الناس سلم من النظر إلى ما هم مُنْكَبُّون عليه من زهرة الدنيا وزخرفها، قال بعضهم: (من كثرت لحظاته دامت حسراته)، 3 – حفظ القلب وصونه عن الرياء والمداهنة وغيرهما من الأمراض، 4 – حصول الزهد في الدنيا والقناعة منها، وفي ذلك شرف العبد وكماله، 5 – السلامة من صحبة الأشرار ومخالطة الأرذال، وفي مخالطتهم فساد عظيم، 6 – التفرغ للعبادة والذكر، والعزم على التقوى والبر، 7 – وُجْدانُ حلاوة الطاعات، وتمكن لذيذ المناجاة بفراغ سره، قال أبو طالب المكي في "القوت": (ولا يكون المريد صادقاً حتى يجد في الخلوة من الحلاوة والنشاط والقوة ما لا يجده في العلانية)، 8 – راحة القلب والبدن، فإن في مخالطة الناس ما يوجب تعب القلب، 9 – صيانة نفسه ودينه من التعرض للشرور والخصومات التي توجبها الخلطة، 10 – التمكن من عبادة التفكر والاعتبار، وهو المقصود الأعظم من الخلوة) ["إيقاظ الهمم في شرح الحكم" لأحمد بن عجيبة ج1: ص30]، **والخلاصة:** إن الخلوة نوعان: خلوة عامة، ينفرد بها المؤمن ليتفرغ لذكر الله تعالى بأية صيغة كانت، أو لتلاوة القرآن الكريم، أو محاسبة نفسه، أو ليتفكر في خلق السموات والأرض، وخلوة خاصة: يقصد منها الوصول إلى مراتب الإحسان والتحقق بمدارج المعرفة، وهذه لا تكون إلا بإشراف مرشدٍ مأذون، يُلَقِّنُ المريدَ ذكراً معيناً، ويكون على صلة دائمة به ليزيل عنه الشكوك ويدفعه إلى آفاق المعرفة، ويرفع عنه الحجب والأوهام والوساوس،

**[المفتاح التاسع]: طريق الوصول إلى التزكية والإحسان بالمقامات القلبية: قال عبد القادر عيسى في كتابه " حقائق عن التصوف "** الباب الثالث طريق الوصول إلى الله: طريق الوصول

إلى الله تعالى هو تلك المقامات القلبية: كالتوبة والمحاسبة والخوف والرجاء والمراقبة... والصفات الخُلُقية: كالصدق والإخلاص والصبر... التي يتحلى بها السالك في طريقه إلى معرفة الله تعالى معرفة ذوقية، والوصول إلى مقام الإحسان الذي لا حدَّ لمراتبه، وليس المراد بالوصول المعنى المفهوم بين ذوات الأشياء، فإن الله تعالى جلَّ أن يحده مكانٌ أو زمانٌ، **ولذا قال ابن عطاء الله السكندري:** (وصولك إلى الله وصولك إلى العلم به، وإلا فجَلَّ ربُّنا أن يتصل به شيء، أو يتصل هو بشيء) ["إيقاظ الهمم" ج2: ص295]، **وقال الإمام الغزالي** رحمه الله تعالى: (معنى الوصول هو الرؤية والمشاهدة بسر القلب في الدنيا، وبعين الرأس في الآخرة، فليس معنى الوصول اتصال الذات بالذات، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً) ["روض الطالبين" للغزالي ص150]، وإن السير في طريق الوصول إلى الله تعالى صفة المؤمنين الصالحين، ومن أجله جاء الأنبياء والمرسلون، وإليه يدعو العلماء والمرشدون، كي يرتقي المرء من حضيض المادية والحيوانية إلى مستوى الإنسانية والملكية، ويذوق نعيم القرب ولذة الأنس بالله تعالى، وإن الطريق واحدة في حقيقتها، وإن تعددت المناهج العملية، وتنوعت أساليب السير والسلوك تبعاً للاجتهاد وتبدل المكان والزمان، ولهذا تعددت الطرق الصوفية وهي في ذاتها وحقيقتها وجوهرها طريق واحدة...، **ولقد عني رجال التصوف برسم معالم هذا الطريق**، وتوضيح منازله ومقاماته، ووسائل السير فيه، قال أبو بكر الكتاني وأبو الحسن الرملي رحمهما الله تعالى: سألْنا أبا سعيد الخراز، فقلنا: أخبرنا عن أوائل الطريق إلى الله تعالى؟ فقال: (التوبة، وذكر شرائطها، ثم يُنقل من مقام التوبة إلى مقام الخوف، ومن مقام الخوف إلى مقام الرجاء، ومن مقام الرجاء إلى مقام الصالحين، ومن مقام الصالحين إلى مقام المريدين، ومن مقام المريدين إلى مقام المطيعين، ومن مقام المطيعين إلى مقام المحبين، ومن مقام المحبين إلى مقام المشتاقين، ومن مقام المشتاقين إلى مقام الأولياء، ومن مقام الأولياء إلى مقام المقربين، وذكروا لكل مقام عشر شرائط، إذا عاناها وأحكمها وحلَّت القلوب هذه المحلة أدمنت النظرة في النعمة، وفكرت في الأيادي والإحسان، فانفردت النفوس بالذكر، وجالت الأرواح في ملكوت عزه بخالص العلم به، واردةً على حياض المعرفة، إليه صادرة، ولِبابهِ قارعة، وإليه في محبته ناظرة، أما سمعت قول الحكيم وهو يقول: أُراعي سواد الليل أنساً بذكر هو شوقاً إليه غير مستكره الصبر ولكن سروراً دائماً وتعرضاً وقرعاً لباب الرب ذي العز والفخر فحالهم أنهم قَرُبُوا فلم يتباعدوا، ورُفعت لهم منازل فلم يُخفَضوا، ونُوِّرتْ قلوبهم لكي ينظروا إلى مُلْك عدن بها ينزلون، فتاهوا بمن يعبدون، وتعززوا بمَنْ به يكتفون، حلَّوا فلم يظعنوا، واستوطنوا محلته فلم يرحلوا، فهم الأولياء وهم

العاملون، وهم الأصفياء وهم المقربون، أين يذهبون عن مقام قربٍ هم به آمنون، وعزوا في غرف هم بها ساكنون، جزاءً بما كانوا يعملون، فلمثل هذا فليعمل العاملون) ["حلية الأولياء" لأبي نعيم ج 10: ص248 . 249]، ولكي يقطع المرء عقبات الطريق، ويجتاز مقاماته لا بد له من مجاهدات نفسية ومواصلة للذكر والمراقبة والمحاسبة والخلوات، فالوصول إلى الله تعالى لا يُنال بالتشهي والتمني بل لا بد من إيمان وتقوى، وصدق في القصد، وإخلاص في الغاية، وعند ذلك يكرم الله السالكين إليه بالمعرفة الكاملة، والسعادة القلبية الحقة، قال الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي رحمه الله تعالى: (إن طريق الوصول إلى علم القوم الإيمان والتقوى {ومَنْ يتَّقِ اللهَ يجعلْ لَهُ مَخْرَجاً ويَرْزُقْهُ مِنْ حيث لا يحتسِبُ} [الطلاق: 3] ، والرزق نوعان: روحاني وجسماني، قال الله تعالى:{واتَّقوا اللهَ ويُعَلِّمُكُمُ اللهُ} [البقرة: 282]، أي يعلمكم ما لم تكونوا تعلمونه بالوسائط من العلوم الإلهية) ["النصرة النبوية" للشيخ مصطفى المدني ص84 بتصرف]، ومن كلام الشيخ محي الدين يتبين أن الإنسان لا يمكن له أن يسير إلى الله تعالى إلا بإيمان صحيح وعقيدة ثابتة، وقلب يرعى حدود الله، وأعمال مقيدة بشريعة الله، وأخلاقٍ عالية مقتبسة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن لم يترفَّع عن الشهوات الدنيئة والرعونات النفسية لا بد إلا أن ينحرف في سيره، أو ينقطع في منتصف الطريق، فيضل ويشقى... **والصوفية في طريقهم للوصول إلى الله تعالى قد جعلوا قدوتهم ورائدهم سيد الوجود وإمام المتقين محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم**، فنهجوا نهجه حين فرَّ عليه الصلاة والسلام إلى ربه، ولجأ إليه بعيداً عن الجو الوثني وعبادة الأصنام والأحجار وعن صخب الحياة وأوضارها، قال الله تعالى: {يا أيُّها النبيُّ إنَّا أرسلْناكَ شاهداً ومُبَشِّراَ ونذيراً، وداعياً إلى اللهِ بإذنِهِ وسِراجاً منيراً} [الأحزاب: 45،46]، فساروا وراءه متبعين له في جميع حالاته وأخلاقه وأفعاله، وقال الله تعالى: {قل إنْ كنْتُم تحبُّون اللهَ فاتَّبعوني يُحبِبْكُمُ اللهُ ويغفرْ لكُمْ ذنوبَكُم} [آل عمران: 31]، فساروا في طريقه الحنيف الذي سنه لهم غير منحرفين ولا ملتفتين، وسمعوا نداء الله: {وأنَّ هذا صراطي مُستقيماً فاتَّبِعوه ولا تتَّبِعوا السُبُلَ فتفرَّقَ بكم عن سبيله} [الأنعام: 153]، وقوله تعالى: {وما خلقتُ الجنَّ والإنس إلا لِيَعبُدونِ} [الذاريات: 56]، فلم تغرَّهم الدنيا بزخارفها ولم توقفهم بعلائقها، وسمعوا هواتف الحقيقة تهتف من وراء حجب الغيب: {أفَحَسِبْتُم أنَّما خلقْناكُم عبَثاً وأنَّكُم إلينا لا ترجعون} [المؤمنون: 115]، فأحبوا لقاء مَنْ سيرجعون إليه، وجدُّوا واجتهدوا في سيرهم الحثيث حتى وصلوا إلى ربهم سالمين غانمين... هناك مقاماتٍ كثيرةً، فقد ذكر شيخنا محمد الهاشمي رحمه الله تعالى تفاصيلها، فقال: (ومنهم من جعلها مائة وسماها منازل السائرين إلى الله

تعالى، وقد ألف شيخ الإسلام أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي الفقيه الحنبلي المفسر الصوفي المتوفى سنة 481هـ في ذلك رسالةً، ذكرَ فيها مائة منزلة، وأجاد في تقسيمها وإيضاحها، وأفاد الراغبين في الوقوف عليها، وسماها: منازل السائرين إلى الحق عز شأنه) ["شرح شطرنج العارفين" لسيدي الشيخ محمد الهاشمي رحمه الله ص12] [للتوسع راجع كلام الشيخ عبد القادر عيسى في كتابه " حقائق عن التصوف " الباب الثالث طريق الوصول إلى الله]،

***

## المبحث الثاني والعشرون

## ثمرَات مناهج التصوف التربوية

**[المفتاح الأول]: قال عبد القادر عيسى في كتابه حقائق عن التصوف** الباب الرابع من ثمرَات التصوف: من ثمرَات التصوف 1 – الحب الإلهي، 2 – الكشف، 3 – الإلهام، 4 – كرامات الأولياء،

**[1] (الحب الإلهي):** المحبة لله هي الغاية القصوى من المقامات، والذروة العليا من الدرجات، فما بعد إدراك المحبة مقام إلا وهو ثمرة من ثمارها، وتابع من توابعها، كالشوق والأنس والرضا،، ولا قبل المحبة مقام إلا وهو مقدمة من مقدماتها كالتوبة والصبر والزهد،، ["الإحياء" للإمام الغزالي

كتاب المحبة والشوق ج13، ص2570]، والمحبة لا تُحدُّ بحد أوضح منها، والتعاريف والحدود لا تزيدها إلا خفاءً، فتعريفها وُجودها، إذ التعاريف للعلوم، أما المحبة فهي حالة ذوقية تفيض على قلوب المحبين، ما لها سوى الذوق إفشاء، وكل ما قيل في المحبة ما هو إلا بيان لآثارها، وتعبير عن ثمارها، وتوضيح لأسبابها، **قال الشيخ الأكبر** ابن عربي الحاتمي رحمه الله تعالى: (واختلف الناس في حدّها، فما رأيت أحداً حدَّها بالحد الذاتي، بل لا يتصور ذلك، فما حدَّها مَنْ حدّها إلا بنتائجها وآثارها ولوازمها، ولاسيما وقد اتصف بها الجناب الإلهي العزيز وهو الله، وأحسن ما سمعت فيها ما حدثنا به غير واحد عن أبي العباس الصنهاجي، قالوا: سمعناه وقد سئل عن المحبة، فقال: الغيرة من صفات المحبة، والغيرة تأبى إلا الستر، فلا تُحد) ["الفتوحات المكية" لابن عربي الحاتمي الطائي، الباب الثامن والسبعون بعد المئة في معرفة مقام المحبة]، **وقال ابن الدباغ** رحمه الله تعالى: (فإن المحبة لا يعبّر عنها حقيقة إلا مَنْ ذاقها، ومن ذاقها استولى عليه من الذهول على ما هو فيه أمر لا يمكنه معه العبارة، كمثل من هو طافح سكراً، إذا سئل عن حقيقة السكر الذي هو فيه، لم يمكنه العبارة في تلك الحال، لاستيلائه على عقله، والفرق بين السكرين: أن سكر الخمر عرضي، يمكن زواله، ويعبر عنه في حين الصحو، وسكر المحبة ذاتي ملازم، لا يمكن من وصل إليه أن يصحو عنه، حتى يخبر فيه عن حقيقته، كما قيل: يصحو من الخمر شاربوها والعشق سكر على الدوام ["مشارق أنوار القلوب ومفاتح أسرار الغيوب" لعبد الرحمن بن محمد الأنصاري المعروف بابن الدباغ ص21]، لذلك لما سئل الإمام الجنيد رحمه الله تعالى عن المحبة، كان جوابَه فيضانُ الدموع من عينيه، وخفقان القلب بالهيام والشوق، ثم عبر عما يجده من آثار المحبة، قال أبو بكر الكتاني رحمه الله تعالى: (جرتْ مسألةٌ في المحبة بمكة أعزها الله تعالى أيام الموسم، فتكلم الشيوخ فيها، وكان الجنيد أصغرهم سناً، فقالوا: هات ما عندك يا عراقي! فأطرق رأسه، ودمعت عيناه ثم قال: عبدٌ ذاهب عن نفسه، متصل بذكر ربه، قائم بأداء حقوقه، ناظر إليه بقلبه، أحرق قلبه أنوارُ هيبته، وصفاء شربه من كأس وُدِّه، وانكشف له الجبار من أستار غيبه، فإن تكلم فبالله، وإن نطق فعن الله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكن فمع الله، فهو بالله ولله ومع الله، فبكى الشيوخ وقالوا: ما على هذا مزيد، جزاك الله يا تاج العارفين) ["مدارج السالكين" ج3، ص11]،

**<u>دليلها وفضلها:</u>** الأدلة على محبة الله لعبده، ومحبة العبد لربه كثيرة، قال الله تعالى: {يُحِبُّهُم ويُحِبُّونَهُ} [المائدة: 54]، وقال تعالى: {والذين آمنوا أَشَدُّ حُبّاً للهِ} [البقرة: 165]، وقال تعالى: {قل

إِنْ كُنْتُم تُحِبُّونَ اللهَ فاتَّبِعوني يُحْبِبْكُمُ اللهُ ويغفِرْ لكُمْ ذنوبَكُم} [آل عمران: 31]، ويحببكم الله: دليل على المحبة وفائدتها وفضلها، وفي السنة عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاث مَنْ كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار" [أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يقول الله تعالى: مَنْ عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إِليَّ عبدي بشيء أحبَّ إِليَّ من أداء ما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إِليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإِذا أحببتُه كنتُ سمعُه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإِن سألني لأعطينَّه، ولئن استعاذني لأعيذنه" [أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق باب التواضع]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إِذا أحب الله العبد دعا جبريلَ فقال: إِني أحب فلاناً فأحبَّه، فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إِن الله يحب فلاناً فأحِبُّوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض" [أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة]، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "كان من دعاء داود عليه السلام: اللهم إِني أسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذي يبلغني حبك، اللهم اجعل حبك أحب إِلي من نفسي وأهلي ومن الماء البارد" [أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات وقال: حسن غريب]، **والقرآن والسنة مملوآن بذكر مَنْ يحبه الله من عباده**، وذكر ما يحبه من أعمالهم وأقوالهم وأخلاقهم كقوله تعالى: {واللهُ يُحِبُّ الصابرينَ} [آل عمران: 146]، {واللهُ يُحِبُّ المحسنينَ} [المائدة: 93]، {إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التوابينَ ويُحِبُّ المُتَطَهِّرينَ} [البقرة: 222]، وقوله في ضد ذلك: {واللهُ لا يُحِبُّ الفسادَ} [البقرة: 205]، {واللهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مختالٍ فخورٍ} [الحديد: 23]، {واللهُ لا يُحِبُّ الظالمينَ} [آل عمران: 57]، وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الله ورسوله من شرائط الإيمان في أحاديث كثيرة فقال: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إِليه من أهله وماله والناس أجمعين" [رواه البخاري ومسلم في صحيحهما في كتاب الإيمان عن أنس رضي الله عنه]، وقد وجه الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم أصحابه للمحبة، لما لها من الأثر العظيم والمقام الرفيع، ولَفَتَ أنظارهم إِلى نعمه تعالى وبالغ إِفضاله، ثم بيَّن لهم أنَّ حبهم لله يقتضي حبهم لحبيبه الأعظم عليه الصلاة والسلام، كما أنَّ حبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوصلهم إِلى حب الله تعالى، قال عليه الصلاة والسلام: "أَحِبُّوا الله لما يغذوكم من نعمه، وأَحِبّوني بحب الله"

[رواه الترمذي في كتاب المناقب وقال: حسن غريب رواه الترمذي في كتاب المناقب وقال: حسن غريب]، وقد بشر الرسول صلى الله عليه وسلم المحبين بالمعية مع محبوبهم، فقد روى أنس رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم متى الساعة يا رسول الله؟ قال: "ما أعددتَ لها؟" قال: ما أعددتُ لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكني أحب الله ورسوله، قال: "أنت مع مَنْ أحببتَ"، قال أنس: فقلنا ونحن كذلك؟ قال: "نعم"، ففرحنا بها فرحاً شديداً [رواه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب، ومسلم في صحيحه في كتاب البر عن أنس رضي الله عنه]، والأحاديث في المحبة كثيرة، وكلها تشير إلى عظيم فضلها، وبالغ أثرها، وحين تحقق الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم بمحبة الله ورسوله بلغوا أوج الكمال في الإيمان والأخلاق والتضحية، وأنستهم حلاوة المحبة مرارة الابتلاء وقساوة المحن، وحملهم دافع المحبة على بذل الروح والمال والوقت، وكلِّ غالٍ ونفيسٍ في سبيل محبوبهم لعلهم يحوزون رضوانه وحبه، والحقيقة أن الإسلام أعمال وتكاليف وأحكام، وروحه المحبة، والأعمال بلا محبة أشباح لا حياة فيها،

**<u>الأسباب المورثة للمحبة:</u>** ذكر العلماء من الأسباب المورثة للمحبة أموراً كثيرة، وأهمها عشرة: أحدها: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به، الثاني: التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض، فإنها توصل إلى درجة المحبوبية بعد المحبة، الثالث: دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب والعمل والحال، فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا التذكر، الرابع: إيثار محابّه على محابِّك عند غلبة الهوى، والتسنُّمُ إلى محابِّه وإنْ صعب المرتقى، الخامس: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومشاهدتُها ومعرفتها، وتقلبُه في رياض هذه المعرفة ومباديها، فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبَّه لا محالة، السادس: مشاهدة بره وإحسانه وآلائه ونعمه الباطنة والظاهرة، فإنها داعية إلى محبته، السابع: انكسار القلب بكليته بين يديه تعالى تذللاً وتواضعاً، الثامن: الخلوة به وقت التجلي الإلهي لمناجاته لاسيما في الأسحار، وتلاوةُ كلامه، والوقوفُ بالقلب والتأدبُ بين يديه، ثم ختْمُ ذلك بالاستغفار والتوبة، التاسع: مجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطايب ثمرات كلامهم، كما ينتقي أطايب الثمر، ومن الأدب في مجالستهم ألاَّ تتكلم في حضرتهم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام، وعلمتَ أن فيه مزيداً لحالك ومنفعة لغيرك، العاشر: مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل [انظر كتاب "مدارج السالكين" ص11 – 12]، فمن هذه الأسباب وغيرها وصل المحبون إلى منازل المحبة،

**علامات المحبة:** كثير من الناس من يدَّعي محبة الله ورسوله، وما أسهل دعوى اللسان، فلا ينبغي للإنسان أن يغتَرَّ بخداع النفس، بل عليه أن يعلم أن للحب علامات تدل عليه، وثماراً تظهر في القلب واللسان والجوارح، فإذا أراد ألاَّ يغش نفسه فلْيضعْها في موازين الحب، ولْيمتحْنها بعلاماته، وهي كثيرة، منها: 1 – حب لقاء الحبيب بطريق الكشف والمشاهدة في دار السلام، فلا يُتصور أن يحب القلب محبوباً إلا ويحب مشاهدته ولقاءه، وإذا علم أنه لا وصول إلا بالارتحال من الدنيا ومفارقتها بالموت، فعليه أن يكون محباً للموت غير فارٍّ منه، لأن الموت مفتاح اللقاء، قال عليه الصلاة والسلام: "مَنْ أحب لقاء الله أحب الله لقاءه" [رواه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق، ومسلم في صحيحه في كتاب الذكر، باب من أحب لقاء الله]، ولهذا كان الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، يحبون الشهادة في سبيل الله، ويقولون حين يُدَعْون للمعركة: مرحباً بلقاء الله، 2 – أن يكون مؤثِراً ما أحبه الله تعالى على ما يحبه في ظاهره وباطنه، فيلزم الطاعة، ويجتنب الكسل واتباع الهوى، ومَنْ أحبَّ الله لا يعصيه، ولذلك قال ابن المبارك رحمه الله تعالى: " تعصي الإلهَ وأنتَ تُظهر حبَّه هذا لَعمري في القياس بديعُ... لو كان حبُّك صادقاً لأطعتَه إنَّ المحبَّ لمن يحبُّ مطيعُ "، فطاعة الله تعالى ومحبته تستلزم اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم في الأقوال والأفعال والأخلاق، قال تعالى: {قل إنْ كُنْتُمْ تُحِبُّون الله فاتَّبِعوني يُحبِبْكُم اللهُ ويغْفِرْ لكم ذنوبَكُمْ} [آل عمران: 31]، 3 – أن يكون مكثراً لذكر الله تعالى، لا يفتُرُ عنه لسانه، ولا يخلو عنه جنانه، فمَنْ أحبَّ شيئاً أكثر من ذكره: خيالُكَ في قلبي وذِكرُكَ في فمي ومثواكَ في قلبي فأين تُغيَّبُ، 4 – أن يكون أنسه بالخلوة ومناجاتهِ لله تعالى وتلاوةِ كتابه، فيواظب على التهجد ويغتنم هدوء الليل وصفاء الوقت، فأقل درجات المحبة التلذذُ بالخلوة بالحبيب، والتنعمُ بمناجاته، 5 – أن لا يتأسف على ما يفوته مما سوى الله عز وجل، ويُعظمَ تَأسفَه على فوت كل ساعة خلتْ عن ذكر الله وطاعته، فيكثر رجوعه عند الغفلات، بالاستعطاف والتوبة، 6 – أن يتنعم، ويتلذذ بالطاعة، ولا يستثقلها، ويسقطَ عنه تعبها، 7 – أن يكون مشفقاً على جميع عباد الله رحيماً بهم، شديداً على جميع أعداء الله، كما قال تعالى: {أشدَّاءُ على الكُفَّارِ رُحَماءُ بينَهُم} [الفتح: 29]، 8 – أن يكون في حبه خائفاً متفائلاً تحت الهيبة والتعظيم، وقد يُظن أن الخوف ينافي الحب، وليس كذلك، بل إدراك العظمة يوجب الهيبة كما أن إدراك الجمال يوجب الحب، وللمحبين مخاوف على حسب مراتبهم، كخوف الإعراض وخوف الحجاب وخوف الإبعاد... 9 – كتمان الحب، واجتناب الدعوى، والتوقي من إظهار الوجد والمحبة تعظيماً للمحبوب وإجلالاً له، وهيبة منه، وغَيْرة على سره...، 10 – الأنس بالله والرضا به، وعلامة الأنس بالله

عدمُ الاستئناس بالخلق والتلذذُ بذكر الله، فإن خالطهم فهو كمنفرد في جماعة ومجتمع في خلوة، قال علي كرم الله وجهه في وصف المحبين المستأنسين بالله: هم قوم هجم بهم العلم على حقيقة الأمر، فباشروا روح اليقين، واستلانوا بما استوعر المُتْرفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، صحبوا الدنيا بأبدانٍ أرواحُها معلقة بالمحل الأعلى، أولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة إلى دينه [نظر كتاب المحبة والشوق من "إحياء علوم الدين" للغزالي، و"الفتوحات المكية" لابن عربي]،

**مراتب المحبة:** ذكر العلماء للمحبة مراتب عشراً: أولها العلاقة: وسميت بذلك لتعلق القلب بالمحبوب، الثانية الإرادة: وهي ميل القلب إلى محبوبه وطلبهُ له، الثالثة الصبابة: وهي انصباب القلب إلى المحبوب بحيث لا يملكه صاحبه، كانصباب الماءِ في المنحدر، الرابعة الغرام: وهو الحب اللازم للقلب لا يفارقه، بل يلازمه كملازمة الغريم لغريمه، الخامسة الوداد: وهو صَفوُ المحبة، وخالصها، ولبها، السادسة الشغف: وهو وصول الحب إلى شغاف القلب، قال الإمام الجنيد رحمه الله تعالى: الشغف أن لا يرى المحب جفاءً، بل يراه عدلاً منه ووفاءً، " وتعذيبُكم عذبٌ لديَّ وجَوْرُكم عليَّ بما يقضي الهوى لكمُ عدلُ "، السابعة العشق: وهو الحب المفرط الذي يُخاف على صاحبه منه، الثامنة التتيُّم: وهو التعبد والتذلل، يقال: تيَّمه الحب أي ذَلَّلَهُ وعبَّده، التاسعة التعبد: وهو فرق التتيم، فإن العبد لم يبق له شيء من نفسه، العاشرة الخلة: انفرد بها الخليلان إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وهي المحبة التي تخللت روح المحب وقلبه، حتى لم يبقَ موضع لغير المحبوب [انظر كتاب "مدارج السالكين" ص18]، وإذا تمكن الحب من القلب أخرج هذه الدنيا الفانية من سويدائه، وعاش صاحبه حياة طيبة منعمة، لا يعرف الهمُّ سبيلَه إليه، مر بعض الصوفية على رجل يبكي على قبر، فسأله عن سبب بكائه فقال: إنّ لي حبيباً قد مات، فقال: لقد ظلمتَ نفسك بحبك لحبيب يموت، فلو أحببتَ حبيباً لا يموت لما تعذبت بفراقه، وفي واقعنا أمثلة كثيرة عمن يسترخص موته عند يأسه من لقاء من يحبه، أو انقطاع أمله مما تعلق قلبه به من متاع زائل، فالانتحار، وحرق النفس والترامي على صخرة الموت،، أمور كلنا نسمعها عن محبين بائسين خاسرين، فأين هؤلاء من أحباب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم الذين أحبوا الله، ورضوا به رباً، وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم رسولاً، وبالإسلام ديناً! فمنهم مَنْ أحب الموت، ورحب به ليلقى مِن ورائه أحبابَه،، (غداً ألقى الأحبة، محمداً وصحبه) [قال ذلك بلال رضي الله عنه عند احتضاره، ومرَّ عزوه في صفحة 293]، ومنهم مَنْ ضحى بنفسه ودمه في ساحات الجهاد، لينال رضوان الله ويحظى بلقائه، ومنهم ومنهم،،

وفرق كبير بين من يضحي بنفسه في سبيل الله تعالى، وبين من يضحي بنفسه لفقد شيء خسيس تافه: " أنت القتيلُ بأيِّ مَنْ أحببتَه فاخترْ لنفسك في الهوى مَنْ تصطفي "، وأعلى وأغلى الثمرات التي يقطفها المحب، هو الحب المتبادل: {يُحِبُّهُم ويُحِبُّونَهُ} [المائدة: 54]، والرضى المتبادل: {رَضِيَ اللهُ عَنْهُم ورَضُوا عنْهُ} [البينة: 8]، والذكر المتبادل: {فاذكروني أذكُرْكُم} [البقرة: 152]، مر عيسى عليه السلام على طائفة من العبَّاد، قد وهنت أبدانهم، وتغيرت ألوانهم من العبادة، فقال لهم: من أنتم؟ فقالوا: نحن عباد الله تعالى، فقال: ولأي شيء تعبدتم؟ قالوا: خَوَّفَنا الله من ناره، فخفنا منها، فقال: إن الله تعالى قد أَمَّنكم مما خفتم منه، ثم جاوزهم لآخرين أشد منهم عبادة، فقال: لأي شيء تعبدتم؟ قالوا: شَوَّقنا الله جنتَه وما أعد فيها لأوليائه، فنحن نرجوها بعبادتنا، فقال: إن الله أعطاكم ما رجوتم، ثم جاوزهم ومر بآخرين يتعبدون فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن المحِبون لله عز وجل، لم نعبده خوفاً من ناره، ولا شوقاً إلى جنته، ولكن حباً له وتعظيماً لجلاله، فقال أنتم أولياء الله حقاً، وقد أُمِرْتُ أن أُقيم معكم، وأقام بين أظهرهم ["نور التحقيق" ص84]، يشير هذا الشاهد إلى أن الناس يتفاوتون باختلاف هممهم، فمنهم من يريد الدنيا، ومنهم من يريد الآخرة، ومنهم من يريد الله تعالى، سمع بعض الصوفية قارئاً يقرأ: {مِنْكُم مَنْ يريدُ الدُّنيا ومِنْكُم مَنْ يريدُ الآخرة} [آل عمران: 152]، فقال: وأين من يريد الله؟!،،ولهذا قال الإمام علي رضي الله عنه: (إن قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، وإن قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وإن قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار)... والحب فطرة في النفس الزكية، تنزع بها إلى تفهم حقيقتها والشوق إلى التعرف على خالقها، ويزداد الحب كلما ازداد الإيمان، وبمقدار كمال النفس يكون الحب، وعلى قدر الحب تكون السعادة ويكون النعيم، وحب الله تعالى يسمو بالذوق الإنساني، إذ يحوّل صاحبه إلى لطيفة راضية مطمئنة، ولقد جرّد الصوفية الحب عن المطامع والشهوات، وأخلصوا الحب لله تعالى، فليس في حبهم علة، ولا لعشقهم دواء إلا رضى مولاهم... ولقد عرف الصوفية طريق الحب فساروا فيه، قال الله تعالى في الحديث القدسي: "وما تقربَ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أُحبَّه، فإذا أحببْتُه كنت سمعَهُ الذي يسمع به، وبصرَهُ الذي يبصر به، ويدَهُ التي يبطشُ بها، ورجلَهُ التي يمشي بها، وإنْ سألني لأعطينَّه، ولئن استعاذني لأعيذنَّه" [رواه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق باب التواضع عن أبي هريرة رضي الله عنه]، **وهو أصل السلوك إلى الله تعالى**، والوصول إلى معرفته، سئل ذو النون المصري رحمه الله تعالى عن المحبة فقال: (أن تحب ما أحب الله، وتبغض ما أبغض الله، وتفعل الخير كله، وترفض كل ما يشغل عن

الله، وأن لا تخاف في الله لومةَ لائم، مع العطف على المؤمنين، والغلظة على الكافرين، واتِّباعِ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدين) ["طبقات الصوفية" للسلمي ص18]، وقال أيضاً: (من علامات المحب لله، متابعةُ حبيب الله في أخلاقه وأفعاله وأمره وسنته) ["طبقات الصوفية" للسلمي ص18]، وقال السيد أحمد الرفاعي رحمه الله تعالى: (من أحب الله علَّم نفسه التواضع، وقطع عنها علائق الدنيا، وآثر الله تعالى على جميع أحواله، واشتغل بذكره، ولم يترك لنفسه رغبة فيما سوى الله تعالى، وقام بعبادته،،) ["البرهان المؤيد" للسيد أحمج الرفاعي ص59]، وقال محمد بن علي الترمذي الحكيم رحمه الله تعالى: (حقيقة محبته دوام الأنس بذكره) ["طبقات الصوفية" ص219]، وقال ابن الدباغ رحمه الله تعالى: (ولما كان مطلبَ ذوي العقول الكاملة والنفوس الفاضلة نَيْلُ السعادة القصوى التي معناها الحياة الدائمة في الملأ الأعلى، ومشاهدةُ أنوار حضرة قدس المولى، والتلذذُ بمطالعة الجمال الإلهي الأسنى، ومعاينة مطالع النور القدس الأبهى، وهذه السعادة لا تحصل إلا لنفس زكية، قد سبقتْ لها في الأزل العنايةُ الربانية، بتيسيرها لسلوك الطرق العلمية والعملية المفضيات بها إلى المحبة الحقيقية، والشوق إلى الأنوار الإلهية، وبحصول هذه السعادة يحصل للنفوس العارفة من اللذة والابتهاج ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فيجب على كل ذي لب المبادرةُ إلى تحصيل هذا الأمر الجليل، وورود هذا المورد السلسبيل الذي لم يصل إليه من الناس إلا القليلُ، فالعاشق يحنُّ إلى هذا الموطن الجليل، وينجذب جملة إلى ظله الظليل ونسيمه العليل، وورودِ منهله العذب، فلا يشيم البرقَ إلا لأنه يأتي من ذلك الجناب الرفيع، ويخبر عن سر جماله البديع، فلهذا كان لَمعانُ البُروق يقطع بالشوق أفلاذ كبد المشوق) ["مشارق أنوار القلوب" لابن الدباغ المتوفى سنة 696هـ، ص36]، بمثل هذا الذوق وصل الصوفية إلى الاطمئنان والرضا في ظلال الحب الإلهي، ورأوا متعاً روحية دونها متع الحياة وشهواتها، وحسبهم أنهم يُسَرّون مع الله، وينعمون بقربه، ويشعرون بفضله وجوده {رَضِيَ اللهُ عنْهُم ورَضُوا عنْهُ} [البينة: 8]، {يُحِبُّهم ويُحِبُّونَهُ} [المائدة: 54]، فاختارهم بعد ما أحبّهم ورضي عنهم، أولئك خلاصة خلقه، وخواص أحبابه،

**[2] (الكشف): تعريفه:** قال السيد رحمه الله تعالى في تعريفاته: (الفِراسة في اللغة: التثبت والنظر، وفي اصطلاح أهل الحقيقة: هي مكاشفة اليقين، ومعاينة الغيب) [تعريفات السيد ص110]، وقال العارف بالله ابن عجيبة رحمه الله تعالى: (الفراسة هي خاطر يهجم على القلب، أو وارد يتجلى

فيه، لا يخطىء غالباً إذا صفا القلب، وفي الحديث: "اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله" [رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في كتاب التفسير]، وهي على حسب قوة القرب والمعرفة، فكلما قوي القرب، وتمكنت المعرفة صدقت الفراسة، لأن الروح إذا قربت من حضرة الحق لا يتجلى فيها غالباً إلا الحق ["معراج التشوف" ص18]، **والكشف نور يحصل للسالكين في سيرهم إلى الله تعالى**، يكشف لهم حجاب الحس، ويزيل دونهم أسباب المادة نتيجة لما يأخذون به أنفسهم من مجاهدة وخلوة وذكر [قال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله تعالى: (إن جلاء القلب وإبصاره يحصل بالذكر، وإنه لا يتمكن منه إلا الذين اتقوا، فالتقوى باب الذكر، والذكر باب الكشف، والكشف باب الفوز الأكبر، وهو الفوز بلقاء الله تعالى)، "إحياء علوم الدين" للغزالي ج3، ص11]، فتنعكس أبصارهم في بصائرهم، فينظرون بنور الله وتنمحي أمامهم مقاييس الزمان والمكان، فيطَّلعون على عوالمَ من أمر الله اطلاعاً لا يستطيعه مَنْ لا يزال في قيد الشهوات والشكوك والبدع العقائدية والوساوس الشيطانية، ولا تتسع له إلا تلك القلوب النيّرة السليمة التي زالت عنها ظلمات الدنيا وغواشيها، وانقشعت عنها غيوم الشكوك ووساوسها، وكثافةُ الماديات وأوضارها، نعم إنَّ من غض بصره عن المحارم، وكفَّ نفسه عن الشهوات، وعمَّر باطنه بمراقبة الله تعالى، وتعوَّد أكل الحلال لم يخطىء كشفه وفراسته، ومن أطلق نظره إلى المحرمات تنفست نفسه الظلمانية في مرآة قلبه فطمست نورها، ويرجع هذا الكشف إلى أن العبد إذا انصرف عن الحس الظاهر إلى الحس الباطن تغلبت روحه على نفسه الحيوانية المتلبسة ببدنه . والروح لطيفة كشَّافة . فيحصل له حينئذ الكشف، ويتلقى واردات الإلهام، **يقول المؤرخ ابن خلدون** رحمه الله تعالى فيما نحن بصدده: (ثم إن هذه المجاهدة والخلوة والذكر يتبعها غالباً كشف حجاب الحس، والاطلاع على عوالم من أمر الله ليس لصاحب الحس إدراكُ شيء منها، والروح من تلك العوالم، وسبب هذا الكشف أن الروح إذا رجع عن الحس الظاهر إلى الباطن، ضعفت أحوال الحس، وقويت أحوال الروح، وغَلَب سلطانه، وتجدد نُشُوؤهُ، وأعان مع ذلك الذكر، فإنه كالغذاء لتنمية الروح، ولا يزال في نمو وتزايد إلى أن يصير شهوداً، بعد أن كان عِلماً، ويكشف حجاب الحس، ويتم صفاء النفس الذي لها من ذاتها، وهو عين الإدراك، فيتعرض حينئذ للمواهب الربانية والعلوم اللدنية والفتح الإلهي،، إلى أن قال: وهذا الكشف كثيراً ما يَعرِض لأهل المجاهدة، فيدركون من حقائق الوجود ما لا يدرك سواهم،، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم على مثل هذه المجاهدة، وكان حظهم من هذه الكرامات أوفر الحظوظ، لكنهم لم يقع لهم بها عناية، وفي فضائل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم كثير منها،

وتبعهم في ذلك أهل الطريقة ممن اشتملت الرسالة القشيرية على ذكرهم ومن تبع طريقتهم من بعدهم) ["مقدمة ابن خلدون" ص329]، وهذا الكشف وراثة محمدية صادقة، وَرِثَها أصحابه رضي الله عنهم، بسبب صدقهم وتصديقهم وصفاء سريرتهم،

**الكشف عند رسول الله صلى الله عليه وسلم**: وقبل أن نذكر شيئاً عن هؤلاء المورثين من الصحابة ومَنْ بعدهم، نذكر نوعاً من كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي منحه الله إياه، على أن الكشف له عليه الصلاة والسلام معجزة، وللصحابة والأولياء من بعده كرامة، وكلٌ كرامة لولي معجزةٌ لنبيه صلى الله عليه وسلم، عن أنس رضي الله عنه قال: أُقيمت الصلاة، فأقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه فقال: "أقيموا صفوفكم وتراصُّوا، فإني أراكم من وراء ظهري" [رواه البخاري في صحيحه في كتاب أبواب الجماعة، ومسلم في كتاب الصلاة]، ولما كان الكشف بعيداً عن عالم الحس، وينمحي أمامه المقياس الزماني والمكاني، لذلك كان صلى الله عليه وسلم يستوي عنده في الرؤية القرب والبعد: يقول أنس رضي الله عنه: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيداً، وجعفراً وابن رواحة، ورفع الراية إلى زيد، فأُصيبوا جميعاً، فنعَاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس قبل أن يجيءَ الخبر، فقال: "أخذ الراية زيد فأُصيب، ثم أخذها جعفر فأُصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأُصيب، وإن عيني رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان، ثم أخذها خالد بن الوليد من غير إمرة، فَفُتِح له" [رواه البخاري في صحيحه في كتاب الجنائز وكتاب المناقب]، قاله صلى الله عليه وسلم يوم غزوة مؤتة،

**الكشف في القرآن الكريم**: قال الله تعالى في حق إبراهيم خليل الله عليه السلام: {وكذلِكَ نُري إبراهيمَ مَلكُوتَ السمواتِ والأرضِ ولِيَكُونَ مِنَ الموقنينَ} [الأنعام: 75]، وكذلك ما أخبر الله عز وجل عن الخضر عليه السلام، حين صحب موسى عليه السلام في المسائل الثلاثة: (الأولى): انكشف للخضر أن السفينة التي ركبها مجاناً في طريقهم عبر البحر، سيأخذها ملك غاشم ظلماً، فخرقها ليعيبها ولينقذها من شر ذلك الغاصب مكافأة للمعروف بالمعروف: {أمَّا السفينَةُ فكانتْ لمساكينَ يعمَلُونَ في البحر فأردْتُ أنْ أعيبَها وكانَ وراءهم مَلِكٌ يأخُذ كلَّ سفينَةٍ غَصْباً} [الكهف: 79]، (الثانية): كُشف له عن الغلام، إن بقي حياً فسيقتل أبويه في كبره، ويوقعهما في الكفر، فقتله رحمة بأبويه المؤمنيْن، واستجابة لإرادة الله تعالى بإبداله بخير منه زكاةً ورحمة: {وأمّا الغلامُ فكانَ أبواهُ مؤمنينِ فخشينا أنْ يُرهِقَهما طُغياناً وكُفراً، فأردنا أن يُبدِلَهُما رَبُّهما خيراً منه زكاةً وأقرب رُحْماً}

[الكهف: 81.80]، (الثالثة): كشف له الكنز الذي تحت الجدار، وكان لغلامين يتيمن من أب صالح، فأقام الجدار حفظاً للكنز، ورحمةً للغلامين، ومحبةً لأبيهما الصالح، بلا أجر وبلا مقابل، مروءةً وإخلاصاً: {وأمّا الجدارُ فكانَ لغُلامينِ يتيمينِ في المدينة وكان تحتهُ كنزٌ لهما وكانَ أبوهما صالحاً فأرادَ ربُّكَ أنْ يبْلُغا أشُدَّهما ويَسْتَخرِجا كنْزَهُما رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ} [الكهف: 82]،

**<u>الكشف عند الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين:</u>** (1) **الكشف عند أبي بكر الصديق** رضي الله عنه: وهو الذي شهد الله له بالصدِّيقية بقوله: {والذي جاء بالصِّدْقِ [رسول الله صلى الله عليه وسلم] وصَدَّقَ بِهِ [أبو بكر رضي الله عنه]}، وإني أذكر واقعة واحدة من كثير، تكشف لنا الغطاء عن ذلك، ومن أين لإنسانٍ أن يحصيَ مآثِرَ أبي بكر رضي الله عنه، عن عروة عن أبيه رضي الله عنهما، عن عائشة رضي الله عنها: أن أبا بكر لما حضرته الوفاة، دعاها فقال: إنه ليس في أهلي بعدي أحد أحب إليَّ غنى منك، ولا أعز علي فقراً منك وإني كنت نحلتك [النَّحلة: العطية والهبة ابتداء من غير عوض ولا استحقاق كذا في غريب الحديث لابن الأثير ج4 ص139] من أرض بالعالية جَدادَ [الجداد: قال ابن الأثير: الجداد بالفتح والكسر: صرام النخل وهو قطع ثمرتها يقال جد الثمرة يجدها جداً ج1، ص173] . يعني: صرام . عشرين وسقاً [الوسق: قال في القاموس: ستون صاعاً أو حمل بعير، وأوسق البعير حمله حملاً]، فلو كنتِ جددْتِهِ تمراً عاماً واحداً انحازَ لك، وإنما هو مال الوارث، وإنما هما أخواك وأختاك، فقلتُ: إنما هي أسماء، فقال: وذاتُ بطنِ ابنةِ خارجة، قد أُلقي في روُعي أنها جاريةٌ فاستوصي بها خيراً، فولدت أُمَّ كلثوم [أخرجه ابن سعد في الطبقات، ذكر وصية أبي بكر، ج3، ص195]، قال التاج السبكي رحمه الله تعالى: (وفيه كرامتان لأبي بكر رضي الله عنه: (إحداهما): إخبارُه أنه يموت في ذلك المرض، حيث قال: وإنما هو اليوم مالُ وارث، (والثانية): إخبارُه بمولود يولد له، وهو جارية، والسر في إظهار ذلك استطابة قلب عائشة رضي الله عنها في استرجاع ما وهبه لها ولم تقبضْه، وإعلامها بمقدار ما يخصها، لتكون على ثقة، فأخبرها بأنه مال وارث، وأنَّ معها أخوين وأختين ["حجة الله على العالمين" للشيخ يوسف النبهاني البيروتي ص860]، (2) **الكشف عند عمر بن الخطاب الخليفة الثاني رضي الله عنه** : وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه من الملهَمين، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقد كان فيمَنْ قبلكم من الأمم ناس مُحدَّثون، فإن يكُ في أمتي أحدٌ فإنه عمر" [رواه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب، ومسلم في كتاب فضائل

الصحابة]، فإن أمته عليه الصلاة والسلام أفضلُ الأمم، وإذا ثبت أنهم وُجدوا في غيرها فوجودهم فيها أولى، وإنما أورده مورد التأكيد، كقول القائل: إن كان لي صديق ففلان، يريد اختصاص كمال الصداقة لا نفيها عن غيره، والمحدَّث: هو الملهَمُ الصادق الظن، وهو مَنْ أُوقِعَ في قلبه شيءٌ من قِبل الملأ الأعلى، فيكون كالذي حدثه غيرُه، قال التاج السبكي رحمه الله تعالى: (كان عمر رضي الله عنه قد أمَّرَ سارية بن زنيم الخلجي على جيش من جيوش المسلمين، وجهزه على بلاد فارس، فاشتد على عسكره الحال على باب نهوند وهو يحاصرها، وكثرت جموع الأعداء، وكاد المسلمون ينهزمون، وعمر رضي الله عنه بالمدينة، فصعد المنبر وخطب، ثم استغاث في أثناء خطبته بأعلى صوته: [يا سارية! الجبل، من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم] [قال العجلوني: وإسناده كما قال الحافظ ابن حجر حديث حسن ج2، ص380]، فأسمع الله تعالى سارية وجيشه أجمعين، وهم على باب نهاوند صوتَ عمر، فلجؤوا إلى الجبل، وقالوا هذا صوت أمير المؤمنين، فنجوا وانتصروا)، وقال التاج السبكي رحمه الله تعالى: (لم يقصد إظهار الكرامة، وإنما كُشِف له، ورأى القوم عياناً، وكان كمن هو بين أظهرهم حقيقة، وغاب عن مجلسه بالمدينة واشتغلت حواسه بما دهم المسلمين، فخاطب أميرهم خطاب مَنْ هو معه) ["حجة الله على العالمين" للشيخ يوسف النبهاني البيروتي ص860]، ففي هذه القصة شيئان: (الأول): الكشف الصحيح والرؤية العيانية على بعد آلاف الأميال، وأين (التلفزيون) في مثل هذه القصة الواقعة قبل أربعة عشر قرناً؟ (الثاني): إبلاغ صوته ساريةَ على هذا البعد الشاسع، ورأى عمر رضي الله عنه قوماً من مذحج فيهم الأشتر فصعَّد النظر فيه وصوَّب ثم قال: (قاتله الله إني لأرى للمسلمين منه يوماً عصيباً فكان منه ما كان) ["فيض القدير شرح الجامع الصغير" للعلامة المناوي ج1، ص143]، وأخرج ابن عساكر عن طارق بن شهاب قال: (إنْ كان الرجل ليحدث عمر بالحديث فيكْذِبُه الكِذبة فيقول: احبس هذه، ثم يحدثه بالحديث فيقول: احبس هذه، فيقول له: كل ما حدثتُك حق إلا ما أمرتني أن أحبسه) ["تاريخ الخلفاء" للعلامة جلال الدين السيوطي ص127 – 128]، وأخرج عن الحسن قال: (إن كان أحد يعرف الكذب إذا حُدّث فهو عمر بن الخطاب) ["تاريخ الخلفاء" للعلامة جلال الدين السيوطي ص127 – 128]، وأخرج البيهقي في الدلائل عن أبي هدية الحمصي قال: (أُخبِر عمر بأن أهل العراق حَصبَوا أميرهم، فخرج غضبان، فصلى فسها في صلاته، فلما سلم قال: اللهم إنهم قد لبَّسوا عليّ فالبس عليهم، وعجِّلْ عليهم بالغلام الثقفي يحكم فيهم بحكم الجاهلية، لا يقبل من محسنهم، ولا يتجاوز عن مسيئهم)، قلت: أشار به إلى الحجاج، قال ابن لهيعة: وما وُلِدَ الحجاج يومئذ ["تاريخ الخلفاء" للعلامة جلال الدين السيوطي ص

127 – 128]، (3) **الكشف عند عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه:** ذكر التاج السبكي رحمه الله تعالى في الطبقات وغيره: (أنه دخل على عثمان رضي الله عنه رجل، كان قد لقي امرأة في الطريق، فتأملها، فقال له عثمان رضي الله عنه: يدخل أحدكم، وفي عينيه أثر الزنا؟ فقال الرجل: أوحْيٌ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: لا، ولكنها فراسة المؤمن)، وإنما أظهر عثمان هذا تأديباً للرجل، وزجراً له عن شيءٍ فعله ["حجة الله على العالمين" للنبهاني ص862]، (4) **الكشف عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه:** الذي رباه رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجره، ولما آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين أصحابه قال له: "أنت أخي" [أخرجه الترمذي في كتاب المناقب عن ابن عمر، وقال: حسن غريب]، وقال له أيضاً: "ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟" [رواه البخاري في المغازي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه]، عن الأصبغ رحمه الله تعالى قال: أتينا مع عليّ فمررْنا بموضع قبر الحسين، فقال علي: (ههنا مناخ ركابهم، وههنا موضع رحالهم، وههنا مهراق دمائهم، فتية من آل محمد صلى الله عليه وسلم يقتلون بهذه العَرْصة، تبكي عليهم السماء والأرض) ["الرياض النضرة في مناقب العشرة" للمحب الطبري ج2، ص295]، وقال علي رضي الله عنه لأهل الكوفة: (سينزل بكم أهلُ بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيستغيثون بكم فلم يغاثوا) فكان منهم في شأن الحسين ما كان ["فيض القدير شرح الجامع الصغير" للعلامة المناوي ج1، ص143]، ولو أردنا أن نستقصي تراجم الصحابة الكرام رضي الله عنهم في كشفهم وفراستهم، لخرجنا عن موضوعنا في رسالتنا هذه،

**كشف العارفين:** روي عن الإمام الشافعي ومحمد بن الحسن رحمهما الله تعالى: (أنهما كانا بِفِناء الكعبة، ورجل على باب المسجد فقال أحدهما: أراه نجاراً، وقال الآخر: بل حداداً، فتبادر من حضر إلى الرجل فسأله فقال: كنت نجاراً وأنا اليوم حداد) ["تفسير القرطبي" ج10، ص44]، وعن أبي سعيد الخراز رحمه الله تعالى قال: (دخلت المسجد الحرام، فرأيت فقيراً عليه خرقتان، فقلت في نفسي: هذا وأشباهه كَلٌّ على الناس، فناداني وقال: {واعلموا أنَّ اللهَ يعلَمُ ما في أنْفُسِكُم فاحذَروهُ} [البقرة: 235]، فاستغفرْتُ الله في سرِّي، فناداني وقال: {وهوَ الذي يَقْبَلُ التوبَةَ عن عبادِهِ} [الشورى: 25]، ثم غاب عني، ولم أره) ["الإحياء" للغزالي ج3 ص21]، ومثل هذا وقع لغيره، يقول خير النسَّاج رحمه الله تعالى: (كنت جالساً في بيتي، فوقع لي أن الجنيد بالباب، فنفيت عن قلبي ذلك، فوقع ثانياً وثالثاً، فخرجت، فإذا الجنيد، فقال: لِمَ لم تخرج مع الخاطر الأول؟) ["الرسالة القشيرية"

ص110]، وحُكي عن إبراهيم الخوّاص رحمه الله تعالى قال: (كنت في بغداد في جامع المدينة، وهناك جماعة من الفقراء، فأقبل شاب ظريف طيب الرائحة، حسن الحرمة حسن الوجه، فقلت لأصحابنا: يقع لي أنه يهودي، فكلهم كرهوا ذلك، فخرجت وخرج الشاب، ثم رجع إليهم وقال: إيش قال الشيخ؟ فاحتشموه، فألح عليهم فقالوا: قال: إنك يهودي، قال: فجاءني، وأكبَّ على يدي وأسلم، فقيل: ما السبب؟ قال نجد في كتبنا أن الصدّيق لا تخطئ فراسته فقلتُ: أمتحنُ المسلمين، فتأملتهم فقلت: إن كان فيهم صدّيق، ففي هذه الطائفة لأنهم يقولون حديثه سبحانه، فلبَّستُ عليهم، فلما اطّلع عليَّ وتفرَّس فيَّ علمتُ أنه صدّيق، وصار الشاب من كبار الصوفية) ["الرسالة القشيرية" ص110]، ولا عجب في ذلك فقد أخبر عن هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: "إن لله عباداً يعرفون الناس بالتوسم" [رواه البزار والطبراني في الأوسط عن أنس بن مالك، وإسناده حسن، كما في مجمع الزوائد ج10 ص268]، ووقف نصراني على الجنيد رحمه الله تعالى، وهو يتكلم في الجامع على الناس، فقال: أيها الشيخ! ما معنى حديث: "اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله" [رواه الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري، في كتاب التفسير]، فأطرق الجنيد ثم رفع رأسه وقال: أسلمْ فقد جاء وقت إسلامك، فأسلم الغلام ["الفتاوى الحديثية" لابن حجر الهيثمي ص229]، وحديث الفراسة أصل في الكشف الذي يقع لكثير من الأولياء، تجد الواحد منهم يكاشف الشخص بما حصل له في غيبته، كأنه حاضر معه، وهي فتنة في حق مَنْ لم يتخلق بأخلاق الرحمن، وقد يكون الكشف عن أصحاب القبور منعَّمين أو معذَّبين: قال العلامة عبد الرؤوف المناوي رحمه الله تعالى عند شرحه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لولا أن لا تَدافَنوا لدعوتُ الله أن يُسمعكم من عذاب القبر" [أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجنة ومتعة نعيمها، والنسائي عن أنس ابن مالك رضي الله عنه]، وإنما أَحبَّ إسماعهم عذاب القبر دون غيره من الأهوال لأنه أول المنازل، وفيه أن الكشف بحسب الطاقة، ومَنْ كُوشف بما لا يطيقه هلك، **(تنبيه)**: قال بعض الصوفية: (والاطلاع على المعذَّبين والمنعَّمين في قبورهم واقع لكثير من الرجال، وهو هول عظيم، يموت صاحبه في اليوم والليلة موتات، ويستغيث ويسأل الله أن يحجبه عنه، وهذا المقام لا يحصل للعبد إلا بعد غلبة روحانيته على جسمانيته، حتى يكون كالروحانيين، فالذين خاطبهم الشارع هنا هم الذين غلبت جسمانيتهم لا من غلبت روحانيتهم، والمصطفى صلى الله عليه وسلم كان يخاطب كل قوم بما يليق بهم) ["فيض القدير، شرح الجامع الصغير" للعلامة المناوي ج5، ص342]، وما حكي من فراسة المشايخ وإخبارهم عن اعتقادات الناس وضمائرهم يخرج عن الحصر، إلا أن الجاحد لا تفيده هذه الشواهد

والأخبار مما ذكرناه من النقول الصحيحة عن الصحابة والتابعين ومَنْ بعدهم، مادام لا يؤمن إلا بالمادة ولا يصدِّق ما وراءها، قال تاج الدين السبكي رحمه الله تعالى: (اعلم أن المرء إذا صفا قلبه صار ينظر بنور الله، فلا يقع بصره على كدرٍ أو صافٍ إلا عرفه، ثم تختلف المقامات، فمنهم من يعرف أن هناك كدراً ولا يدري ما أصله، ومنهم من يكون أعلى من هذا المقام فيدري أصله، كما اتفق لعثمان رضي الله عنه، فإنَّ تأمُّل الرجل للمرأة أورثه كدراً فأبصره عثمان، وفهم سببه، **وهنا دقيقة:** وهي أن كل معصية لها كدر، وتُورِث نكتة سوداء في القلب فيكون رَيْناً، كما قال تعالى: {كلا بلْ رانَ على قُلُوبِهِمْ ما كانوا يَكْسِبُونَ} [المطففين: 14]، إلى أن يستحكم والعياذ بالله، فيظلم القلب وتغلق أبواب النور فيُطْبَع عليه، فلا يبقى سبيل إلى التوبة، كما قال تعالى: {وَطُبِعَ على قلوبِهِمْ فَهُمْ لا يفقَهُونَ} [التوبة: 87]، إذا عرفتَ هذا، فالصغيرة من المعاصي تورث كدراً صغيراً بقدرها قريب المحو بالاستغفارِ وغيره من المكفرات، ولا يدركه إلا ذو بصر حادٌّ كعثمان رضي الله عنه، حيث أدرك هذا الكدر اليسير، فإنَّ تأمُّل المرأة والنظر إليها أدركه عثمان وعرف أصله [قال العلامة الألوسي في كتابه "روح المعاني" عند قوله تعالى: {قل للمُؤمِنينَ يغُضُّوا مِنْ أبصارِهِم} [النور: 30]: (ثم إن غض البصر عما يحرم النظر إليه واجب، ونظرة الفجأة . لاتَعَمَّد فيها . معفو عنها، فقد أخرج أبو داود، والترمذي وغيرهما عن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تُتْبِع النظرة النظرة، فإن لك الأولى وليست لك الآخرة" تفسير روح المعاني للعلامة الألوسي ج 18، ص125، وعن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كل عين زانية"، رواه البزار والطبراني ورجالهما ثقات، وعن علقمة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "زنا العينين النظر"، رواه الطبراني، الحديثان في مجمع الزوائد، ج6، ص256، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعني عن ربه عز وجل: "النظرة سهم مسموم من سهام إبليس، مَنْ تركها مِنْ مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه"، رواه الطبراني والحاكم من حديث حذيفة وقال: صحيح الإسناد، وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لَتغضُّن أبصاركم ولَتحفظُن فروجكم، أو ليكسفَن الله وجوهكم"، رواه الطبراني، وعنه أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة ثم يغض بصره إلا أحدث له الله عبادة يجد حلاوتها في قلبه"، رواه الإمام أحمد، في الترغيب والترهيب ج3، ص36.34]، وهذا مقام عالٍ يخضع له كثير من المقامات، وإذا انضم إلى الصغيرة صغيرة أخرى ازداد الكدر، وإذا تكاثرت الذنوب حتى وصلت . والعياذ بالله . إلى ما وصفناه من ظلام القلوب صار بحيث

يشاهده كل ذي بصر، فمن رأى متضمخاً بالمعاصي قد أظلم قلبه، ولم يتفرس فيه ذلك فليعلم أنه إنما لم يبصره لما عنده من العمى المانع للأبصار، وإلا فلو كان بصيراً لأبصر هذا الظلام الداجي، فبقدر بصره يبصر، فافهم ما نتحفك به) ["حجة الله على العالمين" للنبهاني البيروتي ص862]، فالفراسة أمر جائز الوقوع، وهي منحة إلهية يكرم الله بها عباده الصالحين الذين تمسكوا بدينهم، وحفظوا جوارحهم، وصقلوا قلوبهم، وهذبوا نفوسهم، قال المناوي في شرح الجامع الصغير عند قوله عليه الصلاة والسلام: "إنَّ لكل قوم فراسة، وإنما يعرفها الأشراف": (قاعدة الفراسة وأسُّها: الغض عن المحارم، قال الكرماني: من عمّر ظاهره باتباع السنة، وباطنه بدوم المراقبة، وكفَّ نفسه عن الشهوات، وغض بصره عن المخالفات، واعتاد أكل الحلال لم تخطئ فراسته ابداً، اهـ فمن وُفِّق لذلك أبصر الحقائق عياناً بقلبه) ["فيض القدير شرح الجامع الصغير" للمناوي ج2، ص515]، وعلى كلٍ فالقلوب تختلف باختلاف صقلها وتنظيفها من أدران الذنوب المظلمة، فهي كالزجاج كلما صقل ازداد ثمنه، وكشف الجراثيم التي لا ترى، فأين زجاج النافذة من زجاج المجهر الذي يكشف الجراثيم الدقيقة؟ وكما لا يقاس زجاج النافذة بزجاج المجهر، كذلك لا تقاس القلوب الصافية المصقولة بالقلوب المكدرة المظلمة، ولا تقاس الملائكة بالشياطين، فمن جدَّ وجد، ومن سار على الطريق وصل، ومن أتقن المقدمة وصل إلى النتيجة، والبدايات تدل على النهايات،

**[3] الإلهـــــــام: قال الشريف الجرجاني رحمه الله تعالى في تعريفاته:** (الإلهام: ما يُلقَى في الرُّوع بطريق الفيض، وقيل: الإلهام ما وقع في القلب من علم، وهو يدعو إلى العمل من غير استدلال بآية، ولا نظر في حجة) ["تعريفات الشريف" الجرجاني ص23]، والإلهام إما أن يكون من قِبَلِ الله تعالى، أو من قبل ملائكته، يُفْهَم منه أمر أو نهي أو ترغيب أو ترهيب،، أما الذي من قِبل الله تعالى: فحكى لنا حضرةُ الله تعالى في كتابه عن مريم رضي الله عنها حينما أوتْ إلى شجرة النخل في أيام الشتاء، فخاطبها بإلهام ووحي من دون واسطة وقال لها: {وهُزِّي إليكِ بجذْعِ النَّخلة تُساقِطْ عليكِ رُطَباً جَنياً، فكُلِي واشرَبي وقرّي عيناً} [مريم: 25]، قال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى عند تفسير هذه الآية: (إنَّ ذلك كان على سبيل النفث في الروع والإلهام والإلقاء في القلب، كما كان في حق أُم موسى عليه السلام في قوله: {وأوحينَا إلى أُمِّ موسى} [القصص: 7] ["التفسير الكبير" للإمام فخر الدين الرازي ج2، ص669]، وكذلك أخبرنا عن أُم موسى عليه السلام، حينما ضاق بها الحال من أمر ابنها عليه السلام، وداهمها جنود فرعون لقتله، فألهمها، وأوحى إليها

بلا واسطة، فقال تعالى: {وأوحينَا إلى أُمِّ موسى أنْ أرضِعيهِ فإذا خِفتِ عليه فألْقِيهِ في اليَمِ ولا تخافي ولا تحزَني إنَّا رادُّوه إليكِ وجاعِلُوه مِنَ المرسلينَ} [القصص: 7] [قال العلامة الألوسي في تفسيره عند هذه الآية ج16، ص170: (والمراد بالإيحاء عند الجمهور ما كان بإلهام، كما في قوله تعالى: {وأوحَى ربُّكَ إلى النَّحْلِ} [النحل: 68]،، إلى أن قال: وإلهام الأنفس القدسية مثل ذلك لا بُعد فيه، فإنه نوع من الكشف)]، ألقتْ ابنها وفلذة كبدها بين أمواج البحر الخضم، إلى أين يذهب هذا الولد الكريم بين هياج موج البحر يا ترى؟! إنه الهلاك بعينه، لكنها كانت على يقين من أمرها، لِمَا اعتادت من سماع الوحي الذي يأتيها من ربها بلا واسطة، في خلوتها وجلوتها، **(هذه امرأة مؤمنة، وولية وليست نبية)** [اتفق الأكثرون على أن أم موسى لم تكن نبية لأن النبوة منحصرة في الرجال، {وما أرسَلْنا قبلَكَ إلا رجالاً نوحي إليهِم} [يوسف: 109]، والوحي جاء في القرآن لا بمعنى النبوة، بل بالإلهام كما قال تعالى: {وإذ أوحيتُ إلى الحواريينَ} [المائدة: 111]، {وإذ أوحينا إلى أمِّكَ ما يُوحَى} [طه: 38]]، وتلك مريم رضي الله عنها في أُمة إسرائيلية، فما بالك بالأمة المحمدية التي شهد الله لها بالخيرية على سائر الأمم؟! قال تعالى: {كُنْتُم خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَتْ للناسِ تأمُرونَ بالمعروفِ وتنْهَونَ عن المُنْكَرِ} [آل عمران: 110]، وأما الإلهام من قبل الملائكة: فالمَلَك يحدِّث الإنسانَ، كما قال صلى الله عليه وسلم: "،،وأما لَمَّةُ الملك فإيعادٌ بالخير وتصديقٌ بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله" [رواه الترمذي في كتاب التفسير، تفسير سورة البقرة عن ابن مسعود رضي الله عنه وقال: حديث حسن غريب، واللمة: الهمة والخطرة تقع في القلب، كما في غريب الحديث]، **قال الإمام فخر الدين الرازي** رحمه الله تعالى عند قوله تعالى: {وإذْ قالتْ الملائِكَةُ يا مريَمُ إنَّ اللهَ اصطفاكِ وطَهَّرَكِ واصطَفاكِ على نساءِ العالَمينَ} [آل عمران: 42]: (اعلم أن مريم عليها السلام ما كانت من الأنبياء لقوله تعالى: {وما أرْسلْنا مِنْ قَبْلِكَ إلا رِجالاً نوحِي إليهِم مِنْ أهْلِ القرى} [يوسف: 109]، وإذا كان كذلك، كان إرسال جبريل عليه السلام كرامة لها، وكلمها شفاهاً، وليس هذا خاصاً بها، بل هناك كثير من الصالحين كلمتهم الملائكة عليهم السلام) ["التفسير الكبير" للإمام فخر الدين الرازي ج2، ص669]، فقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى، فأرصد الله على مَدْرجتِه مَلَكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أُريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تَرُبُّها؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله عز وجل، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه" [رواه مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة باب فضل الحب في الله عن أبي هريرة رضي الله عنه]، أرصد الله على مدرجته ملكاً: أي وكَّله

بحفظ المدْرجَة، وهي الطريق وجعله رصَداً: أي حافظاً مُعَداً، تَرُبُّها: أي تحفظها وتربيها كما يربي الرجلُ ولدَه، قال العلامة محمد بن علاّن الصديقي الشافعي رحمه الله تعالى شارح رياض الصالحين عند قوله: "فأرصد الله تعالى على مدرجته مَلَكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟": (ظاهره أن المَلكَ خاطبه وشافهه) [دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ج3، ص232]، وقال الله تعالى: {إنَّ الذين قالوا ربُّنا اللهُ ثُمَّ استقاموا تَتَنَزَّلُ عليهِمْ الملائِكَةُ أنْ لا تخافوا ولا تحزَنُوا وأبْشِروا بالجَنَّةِ التي كنتم توعَدُونَ، نحنُ أولياؤكُم في الحياة الدنيا وفي الآخِرة} [فصلت: 31.30]، **قال العلامة الألوسي** رحمه الله تعالى مفسراً تنزل الملائكة في هذه الآية: (تتنزل عند الموت والقبر والبعث، وقيل: تتنزل عليهم: يمدونهم فيما يَعِنُّ ويطرأ لهم من الأمور الدينية والدنيوية، بما يشرح صدورهم، ويدفع عنهم الخوف والحزن، بطريق الإلهام، وهذا هو الأظهر، لما فيه من الإطلاق والعموم الشاملِ لتنزلهم في المواطن الثلاثة وغيرها، وأن جمعاً من الناس يقولون بتنزل الملائكة على المتقين في كثير من الأحايين، وإنهم يأخذون منهم ما يأخذون، فتذكر، ثم قال في قوله تعالى: {وأبشِروا بالجَنَّة التي كنْتُم توعَدونَ} [فصلت: 31]، أي التي كنتم توعدونها في الدنيا على ألسنة الرسل عليهم السلام، هذا من بشاراتهم في أحد المواطن الثلاثة، وقال في قوله تعالى: {نحنُ أولياؤكُمْ في الحياة الدنيا} [فصلت: 31]: من بشاراتهم في الدنيا، أي أعوانكم في أموركم، نلهمكم الحق ونرشدكم إلى ما فيه خيركم وصلاحكم، إلى أن قال: إن الملائكة تقول لبعض المتقين شفاهاً في غير تلك المواطن: نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا) [روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة محمود الألوسي البغدادي رحمه الله تعالى المتوفى سنة 1270هـ، ج24 ص107]، وقال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآيات: (ثم إنه تعالى أخبر عن الملائكة أنهم قالوا للمؤمنين {نحنُ أولياؤكُمْ في الحياة الدنيا وفي الآخِرَةِ} [فصلت: 31]: ومعنى كونهم أولياء للمؤمنين أن للملائكة تأثيرات في الأرواح البشرية بالإلهامات والمكاشفات اليقينية والمقامات الحقيقية، كما أن للشياطين تأثيرات في الأرواح بإلقاء الوساوس فيها وتخييل الأباطيل إليها، وبالجملة فكون الملائكة أولياء للأرواح الطيبة الطاهرة حاصل من جهات كثيرة معلومة لأرباب المكاشفات والمشاهدات، فهم يقولون: كما أن تلك الولاية كانت حاصلة في الدنيا، فهي تكون باقية في الآخرة، فإن تلك العلائق ذاتية لازمة غير قابلة للزوال، بل كأنها تصير بعد الموت أقوى وأبقى، وذلك لأن جوهر النفس من جنس الملائكة، وهي كالشعلة بالنسبة إلى الشمس، والقطرة بالنسبة إلى البحر، والتعلقات الجسمانية هي التي تحول بينها وبين الملائكة، كما قال صلى الله عليه وسلم: "لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا

إلى ملكوت السماوات"، فإذا زالت العلائق الجسمانية والتدبيرات البدنية، فقد زال الغطاء والوطاء، فيتصل الأثر بالمؤثر، والقطرة بالبحر والشعلة بالشمس، فهذا هو المراد من قوله: {نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة} [فصلت: 31] [تفسير الإمام الرازي ج7، ص371]، وقد كان عمران بن الحصين رضي الله عنه يسمع تسبيح الملائكة حتى اكتوى، فانحبس ذلك عنه، ثم أعاده الله إليه، وروى ابن الأثير رحمه الله تعالى في أسد الغابة بسنده إليه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الكَيّ، قال عمران: فاكتوينا، فما أفلحنا ولا نجحنا، قال: وكانت الملائكة في مرضه تسلم عليه، فاكتوى ففقد التسليم ثم عادت إليه [وقد ألف العلامة الكبير جلال الدين السيوطي رسالة سماها "تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك" ننقل منها ما يهمنا في موضوعنا الذي نتكلم فيه، **قال جلال الدين السيوطي** رحمه الله تعالى: (أخرج مسلم في صحيحه عن مطرف قال: قال لي عمران بن حصين رضي الله عنه: قد كان يسلم علي حتى اكتويت فترك ثم تركت الكي فعاد، وأخرج مسلم من وجه آخر عن مطرف قال: بعث إلي عمران بن حصين في مرضه الذي توفي فيه فقال: إني محدثك فإن عشتُ فاكتمْ عني، وإن متُّ فحدِّثْ بها إن شئتَ: إنه قد سُلِّم عليّ، **قال النووي في شرح مسلم:** معنى الحديث الأول أن عمران بن حصين كانت به بواسير، فكان يصبر على ألمها، وكانت الملائكة تسلم عليه، واكتوى، وانقطع سلامهم عليه، ثم ترك الكي فعاد سلامهم عليه، قال: وقوله في الحديث الثاني: فإن عشتُ فاكتمْ عني، أراد به الإخبار بالسلام عليه، لأنه كره أن يُشاع عنه ذلك في حياته لما فيه من التعرض للفتنة بخلاف ما بعد الموت، **وقال القرطبي في شرح مسلم:** يعني أن الملائكة كانت تسلم عليه إكراماً له واحتراماً، إلى أن اكتوى فتركت السلام عليه، ففيه إثبات كرامات الأولياء، **وقال القاضي أبو بكر بن العربي** أحد الأئمة المالكية، شارح صحيح الترمذي، في كتاب قانون التأويل: ذهبت الصوفية إلى أنه إذا حصل للإنسان طهارة النفس في تزكية القلب، وقطع العلائق، وحسم مواد أسباب الدنيا من الجاه والمال والخلطة بالجنس، والإقبال على الله تعالى بالكلية، علماً دائماً وعملاً مستمراً، كشفت له القلوب، ورأى الملائكة وسمع أقوالهم، واطلع على أرواح الأنبياء، وسمع كلامهم، ثم قال ابن العربي من عنده: ورؤية الأنبياء والملائكة وسماع كلامهم ممكن كرامة، وللكافر عقوبة)، الحاوي للفتاوي ج2 ص257، 258 للعلامة جلال الدين السيوطي المتوفى سنة 911هـ]، **ولقد سمى الصوفية العلم الناتج من الإلهام علماً لدنياً حاصلاً بمحض فضل الله وكرمه** بغير واسطةِ عبارةٍ، بطريق الفيض الإلهي، والإلهام الرباني، لا بطريق التعليم اللفظي، والتدريس القولي، وقد سئل الإمام الغزالي عن الإلهام فقال: (الإلهام ضوء من سراج الغيب، يسقط

على قلبٍ صافٍ لطيفٍ فارغٍ) كل هذا يدل على إمكان الكشف وصحة الإلهام، إذا كان القلب صافياً فارغاً من علائق الدنيا وهمومها، ومِنْ صدأ الذنوب وظلماتها، فالشياطين الظلمانية لا تقع إلا على القلوب العفنة، كما يقع الذباب على الأواني الوسخة، فتُحجبُ القلوب عن مطالعة ما حُجب عنها، يقول صلى الله عليه وسلم: "لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء" [رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه]، وتُصرَفُ وسوستُها عن تلك القلوب بذكر الله تعالى ومراقبته: "إن الشيطان واضع خَطمه على قلب ابن آدم، فإنْ ذَكَرَ الله خنسَ وإن نسي الْتقم قلبه" [رواه ابن أبي الدنيا، وأبو يعلى والبيهقي عن أنس، كما في الترغيب والترهيب، خطمه: فمه، ج2، ص400]، لأن القلب إذا اعتاد الوسوسة، والغفلة عن ذكر الله تعالى مَرِضَ، وأما إذا اعتاد الذكر، وسُقيَ بأنواره، وسطعت عليه شمس تجليات الله تعالى حيِيَ وكان في عداد الأحياء، يقول عليه الصلاة والسلام: "مثل الذي يذكر ربه، والذي لا يذكر ربَّه مثل الحي والميت" [رواه البخاري في صحيحه في كتاب الدعوات عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه]، **فإذا واظب المؤمن على ذكر الله تعالى**، وكان مستقيماً على شرعه متحلياً بالتقوى، مستأنساً بربه صار حياً بالله، ويقول القوم: القلوب نوعان: قلب لا يولد ولم يأنِ له أن يولد، بل يظل جنيناً في بطن الشهوات والغي والضلال، وقلب وُلد، وخرج إلى فضاء التوحيد، وحلَّق في سماء المعرفة، وخلص من ظلمات النفس وشهواتها واتباع هواها، فقرَّت عينُه بالله تعالى وأنارت جوانبَهُ أشعةُ اليقين، وجعلته مرآةً شفافة، لا سبيل للشيطان إليه، ولا سلطان له عليه، وليس هذا ببعيد، فالطاقة الروحية قد انطلقت إلى عالم الغيب، وصار صاحبها حَيَّاً بعد أن كان ميتاً، ومنوراً بعد أن كان مظلماً، وملكياً بعد أن كان شيطانياً: {أَوَ مَنْ كانَ مَيْتاً فأحيَيناهُ وجعلنا لهُ نوراً يمشي بهِ في الناسِ} [الأنعام: 122]، ولا شك أن تلك الأسرار الروحية، لا تُدرك بمجرد الكلام، فمن لا نصيب له في شيء منها لا يضره أن يكلها إلى أربابها، وأن يعطي القوس باريها: " فللكثافةِ أقوامٌ لها خُلقوا وللمحبةِ أكبادٌ وأجفان "، وأدنى النصيب من هذا العلم التصديق به وتسليمه لأهله، وأقل عقوبة مَنْ ينكره أن لا يُرزق منه شيئاً، وهو علم الصديقين والمقربين [وفي الإحياء للغزالي بحث مستفيض في الموضوع فليُرجع إليه]،

**[4] كـــــرامات الأولياء:** كثر تساؤل الناس في هذا الزمان عن الكرامات، هل هي ثابتة في الشرع؟ هل لها دليل من الكتاب والسنة؟ ما هي الحكمة من إجرائها على يد الأولياء والمتقين؟،، إلخ، وبما أن موجات الإلحاد والمادية، وتيارات التشكيك والتضليل قد كثرت في هذا الوقت، فأثرت

في عقول كثير من أبنائنا، وأضلَّت العديد من مثقفينا، وحملتهم على الوقوف من الكرامات موقف المنكر الجاحد، أو الشاكِّ المتردِّد، أو المستغرب المتعجب نتيجة لضعف إيمانهم بالله وقدرته وقلة تصديقهم بأوليائه وأحبابه، فلا يسعنا إلا أن نعالج هذا الموضوع إظهاراً للحق، ونصرة لشريعة الله تعالى،

**إثبات الكرامات:** لقد ثبتت كرامات الأولياء في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفي آثار الصحابة رضوان الله عليهم، ومَنْ بعدهم إلى يومنا هذا، وأقرها جمهور العلماءِ من أهل السنة والجماعة، من الفقهاء والمحدِّثين والأصوليين ومشايخ الصوفية، وتصانيفُهم ناطقة بذلك، كما ثبتت كذلك بالمشاهدة العيانية في مختلف العصور الإسلامية، فهي ثابتة بالتواتر في المعنى، وإن كانت التفاصيل آحاداً، ولم ينكرها إلا أهل البدع والانحراف ممن ضعف إيمانهم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله [قال العلامة اليافعي رحمه الله تعالى: (والناس في إنكار الكرامات مختلفون، فمنهم من ينكر كرامات الأولياء مطلقاً، وهؤلاء أهل مذهب معروف، عن التوفيق مصروف، ومنهم من يكذب بكرامات أولياء زمانه ويصدق بكرامات الأولياء الذين ليسوا في زمانه كمعروف الكرخي والإمام الجنيد وسهل التستري وأشباههم رضي الله عنهم، فهؤلاء كما قال أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: والله ما هي إلا إسرائيلية، صدقوا بموسى وكذبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم لأنهم أدركوا زمنه، ومنهم من يصدق بأن لله تعالى أولياء لهم كرامات ولكن لا يصدق بأحد معيَّنٍ من أهل زمانه)، روض الرياحين، للإمام اليافعي ص18]،

**الدليل عليها من كتاب الله تعالى:** 1 – قصة أصحاب الكهف وبقائهم في النوم أحياء سالمين عن الآفات مدة ثلاثمائة وتسع سنين، وأنه تعالى كان يحفظهم من حر الشمس: {وتَرى الشمسَ إذا طَلَعَتْ تَزاوَرُ عنْ كهفِهِم ذاتَ اليمينِ وإذا غَرَبَتْ تقرِضُهُم ذاتَ الشمالِ} [الكهف: 17]، إلى أن قال: {وتحسَبُهُم أيقاظاً وهُمْ رُقودٌ ونُقلِّبُهُم ذات اليمين وذات الشمال وكلْبُهُم باسِطٌ ذراعيهِ بالوصيدِ} [الكهف: 18]، إلى أن قال: {ولَبِثوا في كَهْفِهِم ثلاثمئةٍ سنين وازدادوا تسعاً} [الكهف: 25] [قال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى في تفسيره الكبير عند قصة أصحاب الكهف: (احتج أصحابنا الصوفية بهذه الآية على صحة القول بالكرامات وهو استدلال ظاهر، فنقول: الذي يدل على جواز كرامات الأولياء القرآن والأخبار والآثار والمعقول،،) انظره مفصلاً في التفسير الكبير للعلامة فخر الدين الرازي ج 5 ص682]، 2 – هزُّ مريم جذعَ النخلة اليابس، فاخضرَّ وتساقط منه الرُّطَبُ الجني في غير أوانه،

قال تعالى: {وهُزِّي إليكِ بجذْعِ النَّخْلَةِ تُساقِطْ عليكِ رُطَباً جنيّاً} [مريم: 25]، 3 – ما قص الله علينا في القرآن، من أن زكريا عليه السلام كان كلما دخل على مريم المحراب، وجد عندها رزقاً، وكان لا يدخل عليها أحد غيره عليه السلام فيقول: يا مريم أنَّى لك هذا؟ تقول: هو من عند الله، قال الله تعالى: {كلَّما دخَلَ عليها زكريا المحرابَ وَجَدَ عندَها رِزْقاً قال يا مريمُ أنَّى لكِ هذا قالَتْ هوَ مِنْ عندِ اللهِ} [آل عمران: 37]، 4 – قصة آصف بن برخيا مع سليمان عليه السلام على ما قاله جمهور المفسرين في قوله تعالى: {قالَ الذي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتابِ أنا آتيكَ بهِ قبْلَ أنْ يرتَدَّ إليكَ طرفُكَ} [النمل: 40]، فجاء بعرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين قبل ارتداد الطرف،

**<u>الدليل عليها من السنة الصحيحة</u>**: 1 – قصة جُرَيْجٍ العابد الذي كلمه الطفل في المهد، وهو حديث صحيح أخرجاه في الصحيحين [عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى، وكان في بني إسرائيل رجل يقال له جُرَيْج، كان يصلي فجاءته أمه، فدعتْه، فقال: أُجيبُها أوْ أصلي؟ فقالت: اللهم لا تمتْه حتى تريه وجوه المومسات، وكان جريج في صومعته فتعرّضت له امرأة وكلمته، فأبى، فأتت راعياً، فأمكنته من نفسها، فولدت غلاماً، فقالت: من جريج، فأتوه فكسروا صومعته، وأنزلوه وسبّوه، فتوضأ وصلّى، ثم أتى الغلام، فقال: مَن أبوك يا غلام؟ فقال: الراعي، قالوا: نبني صومعتك من ذهب؟ قال: لا، إلا من طين،،"]، 2 – قصة الغلام الذي تكلم في المهد [وهذا تمام الحديث المذكور آنفاً: "،، وكانت امرأة ترضع ابناً لها من بني إسرائيل، فمر بها رجل راكب ذو شارة، فقالت: اللهم اجعل ابني مثله، فترك ثديها وأقبل على الراكب، فقال: اللهم لا تجعلني مثله، ثم أقبل على ثديها يمصه"، قال أبو هريرة: كأني أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم يمص إصبعه، "ثم مرَّ بأمَة، فقالت: اللهم لا تجعل ابني مثل هذه، فترك ثديها، فقال: اللهم اجعلني مثلها، فقالت: لِمَ ذاك؟ فقال: الراكب جبار من الجبابرة، وهذه الأمَة يقولون: سرقت، زنت، ولم تفعل"، رواه البخاري في صحيحه في كتاب ذكر بني إسرائيل، واللفظ له، ومسلم في كتاب بر الوالدين]، 3 – قصة الثلاثة الذين دخلوا الغار، وانفراج الصخرة عنهم بعد أن سَدَّتْ عليهم الباب، وهو حديث متفق عليه [وعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم، حتى أووا المبيت إلى غار، فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل، فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان

شيخان كبيران، وكنت لا أغبِق قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى بي في طلب شيء يوماً، فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبْتُ لهما غبُوقهما، فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثْتُ والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برِقَ الفجر، فاستيقظا، فشربا غبوقهما، اللهم إن كنتُ فعلت ذلك ابتغاء وجهك فَفَرِّج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج"، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "وقال الآخر: اللهم إنه كانت لي بنتُ عم، كانت أحب الناس إلي، فأردتها على نفسها، فامتنعت مني: حتى ألمَّتْ بها سنة من السنين فجاءتني، فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلتْ، حتى إذا قدرتُ عليها قالت: لا أحل لك أن تفضَّ الخاتم إلا بحقه، فتحرَّجْتُ من الوقوع عليها فانصرفْتُ عنها وهي أحب الناس إلي، وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرجْ عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها"، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "وقال الثالث: اللهم استأجرت أجراء، فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهبَ، فثمَّرتُ أجرَه، حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين، فقال: يا عبد الله! أدِّ إليَّ أجري، فقلت له: كلُّ ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق فقال: يا عبد الله: لا تستهزىء بي، فقلت: إني لا أستهزىء بك، فأخذه كله، فاستاقه، فلم يترك منه شيئاً، اللهم فإن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك فافرجْ عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، فخرجوا يمشون"، أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإجارة واللفظ له، ومسلم في كتاب الذكر]،

4 – قصة البقرة التي كلمت صاحبها، وهو حديث صحيح مشهور [روى سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "بينما رجل راكب على بقرة قد حمل عليها، فالتفتت إليه البقرة فقالت: إني لم أُخلَق لهذا، وإنما خلقت للحرث، فقال الناس: سبحان الله بقرة تتكلم! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: آمنْتُ بهذا أنا وأبو بكر وعمر"، رواه البخاري في صحيحه في كتاب المزارعة، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، والترمذي في كتاب المناقب]،

**<u>الدليل عليها من آثار الصحابة</u>**: وقد نُقِل عنهم من الكرامات الشيء الكثير، 1 – قصة أبي بكر رضي الله عنه مع أضيافه في تكثير الطعام، حتى صار بعد الأكل أكثرَ مما كان، وهو حديث صحيح في البخاري [أخرج البخاري: أن أبا بكر كان عنده أضياف، فقدم لهم الطعام فلما أكلوا منه ربا من أسفله حتى إذا شبعوا قال لامرأته: (ياأخت بني فراس ما هذا؟ قالت: وقرة عيني لهي [تعني

القصعة] أكثر منها قبل أن يأكلوا،، إلى آخر القصة]، 2 – قصة عمر رضي الله عنه، وهو على منبر المدينة ينادي بقائده: يا سارية الجبل! وهو حديث حسن [انظر الحديث ص 344]، 3 – قصة عثمان رضي الله عنه مع الرجل الذي دخل عليه، فأخبره عما أحدث في طريقه من نظره إلى المرأة الأجنبية، الحديث [انظر الحديث ص 346]، 4 – سماع علي بن أبي طالب رضي الله عنه كلامَ الموتى، كما أخرجه البيهقي [أخرج البيهقي عن سعيد بن المسيب قال: (دخلنا مقابر المدينة مع علي رضي الله عنه، فنادى: يا أهل القبور السلام عليكم ورحمة الله، تخبرونا بأخباركم أم نخبركم؟ قال: فسمعنا صوتاً: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته يا أمير المؤمنين خبِّرنا عما كان بعدنا، فقال علي: أما أزواجكم فقد تزوجن، وأما أموالكم فقد اقتُسمت، والأولاد قد حُشِروا في زمرة اليتامى، والبناء الذي شيدْتم فقد سكنه أعداؤكم، فهذه أخبار ما عندنا، فما أخبار ما عندكم؟ فأجابه ميت: قد تخرَّقت الأكفان، وانتثرت الشعور، وتقطعت الجلودَ، وسالت الأحداق على الخدود، وسالت المناخر بالقيح والصديد، وما قدَّمناه وجدناه وما خلَّفناه خسرناه، ونحن مُرْتَهنون)]، 5 – قصة عبَّاد بن بشر وأسيد بن حضير رضي الله عنهما اللذيْن أضاءتْ لَهمَا عصا أحدهما عندما خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة، وهو حديث صحيح أخرجه البخاري [أخرج الحاكم في كتاب معرفة الصحابة وصححه والبيهقي وأبو نعيم وابن سعد، وهو في البخاري من غير تسمية الرجلين: "أن أسيد بن حضير وعباد بن بشر رضي الله عنهما كانا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاجة حتى ذهب من الليل ساعة، وهي ليلة شديدة الظلمة، خرجا وبيد كل واحد منهما عصا فأضاءت لهما عصا أحدهما فمشيا في ضوئها، حتى إذا افترقت بهما الطريق أضاءت للآخر عصاه، فمشى كل واحد منهما في ضوء عصاه حتى بلغ أهله"]، 6 – قصة خبيب رضي الله عنه في قطف العنب الذي وُجدفي يده يأكله في غير أوانه، وهو حديث صحيح [أخرج البخاري في صحيحه في باب غزوة الرجيع عن أبي هريرة رضي الله عنه أن خبيباً كان أسيراً عند بني الحارث بمكة، في قصة طويلة، وفيها أن بنت الحارث كانت تقول: (ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب، لقد رأيته يأكل من قطف عنب، وما بمكة يومئذ ثمرة وإنه لموثَق في الحديد، وما كان إلا رزق رزقه الله)]، 7 – قصة سعد وسعيد رضي الله عنهما، وهي أن كلاً منهما دعا على من كذب عليه، فاستجيب له، أخرجه البخاري ومسلم [الأول] منهما: سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، فقد أخرج الشيخان والبيهقي من طريق عبد الملك بن عمير عن جابر رضي الله عنه قال: شكا ناس من أهل الكوفة سعد بن أبي وقاص إلى عمر (فبعث معه من يسأل عنه بالكوفة، فطِيف به في مساجد الكوفة،

فلم يُقل له إلا خير حتى انتهى إلى مسجد، فقال رجل يُدْعى أبا سعدة: أما إذ أنشدتنا فإن سعداً كان لا يقسم بالسوية ولا يسير بالسرية ولا يعدل في القضية، فقال سعد: اللهم إن كان كاذباً فأطلْ عمره، وأطل فقره وعرضه للفتن، قال ابن عمير: فرأيتُه شيخاً كبيراً قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر وقد افتقر يتعرض للجواري في الطريق يغمزهن، فإذا قيل له: كيف أنت؟ يقول: شيخ كبير مفتون أصابتني دعوة سعد)، و [الثاني]: سعيد بن زيد رضي الله عنه، فقد أخرج مسلم في كتاب المساقاة عن عروة بن الزبير رضي الله عنه: (أن أروى بنت أويس ادعت على سعيد بن زيد أنه أخذ شيئاً من أرضها فخاصمته إلى مروان بن الحكم، فقال سعيد: أنا كنت آخذ من أرضها شيئاً بعد الذي سمعتُه من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: وما سمعتَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من أخذ شبراً من الأرض ظلماً طُوِّقه إلى سبع أرضين" فقال له مروان: لا أسألك بَيِّنَةً بعد هذا، فقال: اللهم إن كانت كاذبة فَعَمِّ بصرها واقتلها في أرضها، قال: فما ماتت حتى ذهب بصرها، ثم بينا هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حفرة فماتت)]، 8 – قصة عبور العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه البحر على فرسه ونبع الماء بدعائه، أخرجه ابن سعد في الطبقات [كان أبو هريرة يقول: (رأيتُ من العلاء بن الحضرمي ثلاثةَ أشياء لا أزال أحبه أبداً، رأيته قطع البحر على فرسه يوم دارينَ، وقدم من المدينة يريد البحرين، فلما كانوا بالدهناء نفد ماؤهم، فدعا الله فنبع لهم من تحت رملة، فارتووا وارتحلوا، وأنسي رجل منهم بعض متاعه، فرجع فأخذه ولم يجد الماء، وخرجتُ معه من البحرين إلى صف البصرة فلما كنا بلِياسٍ مات ونحن على غير ماء، فأبدى الله لنا سحابة فمُطرنا فغسلناه وحفرنا له بسيوفنا ولم نُلْحِدْ له، فرجعنا لنُلْحِدَ له فلم نجد موضع قبره)، الطبقات الكبرى لابن سعد، ج4، ص363]، 9 – قصة خالد بن الوليد رضي الله عنه في شربه السم، أخرجه البيهقي وأبو نعيم والطبراني وابن سعد بإسناد صحيح [أخرج البيهقي وأبو نعيم عن أبي السفر قال: نزل خالد بن الوليد الحيرة، فقالوا له: احذر السم لا تسقيكه الأعاجم فقال: ائتوني به، فأخذه بيده وقال: بسم الله وشربه، فلم يضره شيئاً، انظر تهذيب التهذيب لابن حجر ج3، ص125]، 10 – إضاءة أصابع حمزة الأسلمي رضي الله عنه في ليلة مظلمة، أخرجه البخاري في التاريخ [أخرج البخاري في التاريخ عن حمزة الأسلمي رضي الله عنه قال: (كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر، فتفرقنا في ليلة ظلماء، فأضاءت أصابعي حتى جمعوا ظهرهم وما هلك منهم وإن أصابعي لتنير)، انظر تهذيب التهذيب ج3، ص30]، 11 – قصة أم أيمن وكيف عطشت في طريق هجرتها، فنزل عليها دلو من السماء فشربتْ، رواه أبو نعيم في

الحلية [عن عثمان بن القاسم قال: (خرجت أم أيمن مهاجرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة وهي ماشية ليس معها زاد وهي صائمة في يوم شديد الحر، فأصابها عطش شديد حتى كادت أن تموت من شدة العطش، قال: وهي بالروحاء أو قريباً منها، فلما غابت الشمس قالت: إذا أنا بحفيف شيء فوق رأسي، فرفعتُ رأسي، فإذا أنا بدلو من السماء مدلًّى برشاء أبيض، قالت: فدنا مني حتى إذا كان حيث أستمكن منه تناولْتُه فشربت منه حتى رويت، قالت: فلقد كنت بعد ذلك اليوم الحار أطوف في الشمس كي أعطش، وما عطشْتُ بعدها، أخرجه أبو نعيم في الحلية ج2، ص 67]، 1 2 – سماع بعض الصحابة سورة الملك، من قبر بعد أن ضرب خباء فوقه، رواه الترمذي [عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ضرب بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة {تبارك الذي بيده الملك} حتى ختمها،فأتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم، فقال يا رسول الله: إني ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الملك حتى ختمها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هي المانعة، هي المنجية تنجيه من عذاب القبر"، أخرجه الترمذي في كتاب فضائل القرآن، وقال: حديث حسن غريب]، 1 3 – تسبيح القصعة التي أكل منها سلمان الفارسي وأبو الدرداء رضي الله عنهما وسماعهما التسبيح، رواه أبو نعيم [أخرج البيهقي وأبو نعيم عن قيس قال: (بينما أبو الدرداء وسلمان يأكلان من صحفة إذا سبَّحتْ وما فيها)]، 14 – قصة سفينة رضي الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الأسد، أخرجه الحاكم في المستدرك وأبو نعيم في الحلية [عن محمد بن المنكدر أن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ركبتُ البحر فانكسرتْ سفينتي التي كنت فيها، فركبْتُ لوحاً من ألواحها، فطرحني اللوح في أجمة فيها الأسد، فأقبل إليَّ يريدني، فقلت: يا أبا الحارث أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فطأطأ رأسه وأقبل إليَّ، فدفعني بمنكبه حتى أخرجني من الأجمة ووضعني على الطريق، وهمهم فظننت أنه يودعني، فكان ذلك آخر عهدي به)، أخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب معرفة الصحابة ج3، ص606، وقال: صحيح على شرط مسلم، وأبو نعيم في الحلية ج1، ص368 وسفينة هو: قيس بن فروخ وكنيته أبو عبد الرحمن، ذكره ابن حجر في التهذيب ج4، ص125]، هذا غيض من فيض، وقليل من كثير مما ورد عن كرامات صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم توالى ورود الكرامات الكثيرة على يد الأولياء في عهد التابعين وتابعي التابعين إلى يومنا هذا، مما يصعب عده، ويضيق حصره [قال العلامة التاج السبكي في الطبقات الكبرى: للكرامة أنواع: النوع الأول إحياء الموتى، 2 – كلام الموتى، 3 – المشي على

الماء، 4 – انقلاب الأعيان، 5 – إنزواء الأرض، 6 – كلام الحيوانات والجمادات، 7 – إبراء العلل، 8 – طاعة الحيوان، 9 – طي الزمان، 10 – نشر الزمان، 11 – إمساك اللسان عن الكلام وانطلاقه،، إلى أن عد خمسة وعشرين نوعاً، وذكر لكل نوع مثالاً وحكاية جرت للعلماء ومشايخ الصوفية فراجعه هناك تجده مفصلاً]، وقد ألف العلماء في ذلك مجلدات كثيرة، وصنف أكابر الأئمة منهم مصنفات في إثبات الكرامة للأولياء، منهم: فخر الدين الرازي وأبو بكر الباقلاني، وإمام الحرمين، وأبو بكر بن فورك، وحجة الإسلام الغزالي، وناصر الدين البيضاوي، وحافظ الدين النسفي، وتاج الدين السبكي، وأبو بكر الأشعري، وأبو القاسم القشيري، والنووي، وعبد الله اليافعي، ويوسف النبهاني، وغيرهم من العلماء المحققين الذين لا يحصى عددهم، وصار ذلك علماً قوياً يقينياً ثابتاً، لا تتطرق إليه الشكوك أو الشبهات، وقد يتساءل بعضهم: لماذا كانت كرامات الصحابة على كثرتها أقل من كرامات الأولياء الذين جاؤوا بعد عصر الصحابة؟!،، ويجيب على ذلك تاج الدين السبكي في الطبقات بقوله: (الجواب: ما أجاب به الإمام الجليل أحمد بن حنبل رضي الله عنه حين سئل عن ذلك، فقال: أُولئك كان إيمانهم قوياً، فما احتاجوا إلى زيادة شيء يقوون به، وغيرهم كان إيمانهم ضعيفاً لم يبلغوا إيمان أولئك فقووا بإظهار الكرامات لهم) [جامع كرامات الأولياء للشيخ يوسف النبهاني البيروتي ج1، ص20]،

**<u>الحكمة من إجراء الكرامات على يد الأولياء</u>**: اقتضت حكمة الله تعالى أن يكرم أحبابه وأولياءه بأنواع من خوارق العادات، تكريماً لهم على إيمانهم وإخلاصهم، وتأييداً لهم في جهادهم ونصرتهم لدين الله، وإظهاراً لقدرة الله تعالى، ليزداد الذين آمنوا إيماناً، وبياناً للناس أن القوانين الطبيعية والنواميس الكونية إنما هي من صنع الله وتقديره، وأن الأسباب لا تؤثر بذاتها، بل الله تعالى يخلق النتائج عند الأسباب لا بها، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، وقد يقول معترض: إن تأييد الحق ونشر دين الله لا يكون بخوارق العادات، بل يكون بإقامة الدليل المنطقي والبرهان العقلي، فنقول: نعم لابد من نشر تعاليم الإسلام بتأييد العقل السليم والمنطق الصحيح والحجة الدامغة، ولكن التعصب والعناد يدعوان إلى أن تخرق العادات بالكرامات كما اقتضت حكمة الله أن يؤيد أنبياءه ورسله بالمعجزات إظهاراً لصدقهم، وتأييداً لهم في دعوتهم، وحملاً للعقول المتحجرة والقلوب المقفلة أن تخرج من جمودها، وتتحرر من تعصبها، فتفكر تفكيراً سليماً مستقيماً يوصلها إلى الإيمان الراسخ، واليقين الجازم، ومن هنا يظهر أن الكرامة والمعجزة تلتقيان في بعض الحِكَم والمقاصد، إلا أن

الفارق بينهما أن المعجزة لا تكون إلا للأنبياء عليهم السلام، والكرامة لا تكون إلا للأولياء، وكلُّ كرامة لولي معجزةٌ لنبي،

**الفرق بين الكرامة والاستدراج:** لا بد من التنبيه إلى الفرق بين الكرامة والاستدراج، وذلك لأننا نشاهد بعض الفسقة المنسوبين للإسلام تجري على يديهم خوارق العادات، مع أنهم مجاهرون بالمعصية، منحرفون عن دين الله تعالى، فالكرامة لا تكون إلا على يد وليٍّ، وهو صاحب العقيدة الصحيحة، المواظب على الطاعات، المتجنب للمعاصي، المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات، وهو الذي قال الله تعالى فيه: {ألا إنَّ أولِياءَ اللهِ لا خوفٌ عليهِمْ ولا هُمْ يحزَنُونَ، الذينَ آمنوا وكانُوا يتَّقونَ} [يونس: 63.62]، وأما ما يجري على يد الزنادقة والفسقة من الخوارق كطعن الجسم بالسيف وأكل النار والزجاج وغير ذلك، فهو من قبيل الاستدراج، ثم إن الولي لا يسكن إلى الكرامة، ولا يتفاخر بها على غيره، قال العلامة فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير: (إن صاحب الكرامة لا يستأنس بتلك الكرامة، بل عند ظهور الكرامة يصير خوفه من الله تعالى أشد، وحذره من قهر الله أقوى، فإنه يخاف أن يكون ذلك من باب الاستدراج، وأما صاحب الاستدراج، فإنه يستأنس بذلك الذي يظهر عليه، ويظن أنه إنما وجد تلك الكرامة لأنه كان مستحقاً لها، وحينئذٍ يحتقر غيره، ويتكبر عليه، ويحصل له أَمْنٌ مِنْ مكْرِ الله وعقابه، ولا يخاف سوء العاقبة، فإذا ظهر شيء من هذه الأحوال على صاحب الكرامة دل ذلك على أنها كانت استدراجاً لا كرامة، فلهذا قال المحققون: أكثر ما اتفق من الانقطاع عن حضرة الله إنما وقع في مقام الكرامات، فلا جَرَمَ أن ترى المحققين يخافون من الكرامات، كما يخافون من أنواع البلاء، والذي يدل على أن الاستئناس بالكرامة قاطع عن الطريق وجوه) ثم ذكرها حتى عدَّ إحدى عشرة حجة، نذكر منها واحدة، قال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى: (إنَّ من اعتقد في نفسه أنه صار مستحقاً لكرامة بسبب عمله، حصل لعمله وقع عظيم في قلبه، ومَنْ كان لعمله وقع عنده كان جاهلاً، ولو عرف ربه لعلم أن كل طاعات الخلق في جنب جلال الله تقصير، وكل شكرهم في جنب آلائه ونعمائه قصور، وكلُّ معارفهم وعلومهم في مقابلة عزته حيرةٌ وجهلٌ، رأيت في بعض الكتب أنه قرأ المقرئ في مجلس الأستاذ أبي علي الدقاق قوله تعالى: {إليهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ والعَمَلُ الصالحُ يرفَعُهُ} [فاطر: 10]، فقال: علامةُ أن الحق رفع عملك أن لا يَبْقى عندك [أي عملك] فإن بقي عملك في نظرك فهو مدفوع، وإن لم يبق معك فهو مرفوع) ["تفسير الرازي" ج5، ص692]، وعلى هذا فإننا حين نرى أحداً من الناس

يأتي بخوارق العادات لا نستطيع أن نحكم عليه بالولاية، ولا يمكن أن نعتبر عمله هذا كرامة حتى نرى سلوكه وتمسكه بشريعة الله، قال أبو يزيد رحمه الله تعالى: (لو أن رجلاً بسط مُصلاَّه على الماء وتربَّعَ في الهواء فلا تغترُّوا به حتى تنظروا كيف تجدونه في الأمر والنهي) ["اللمع" للطوسي ص400]،

**<u>موقف الصوفية من الكرامات</u>:** إن بعض المنحرفين عن الصوفية يدَّعي أن مقصد الصوفية من سيرهم هو الوصول إلى الكرامات [من بينهم عبد الرحمن الوكيل الذي دفعه الحقد الدفين والخلق الذميم إلى التهجم على السادة الصوفية وتزييف كلامهم والدس عليهم، فجمع الأشياء التي دُسَّتْ على الصوفية وجعلها في كتاب له] وهم في هذا إنما يُترجمون عما في نفوسهم من أمراض خبيثة وعلل دفينة، مع أننا نرى الصوفية يهتمون بتزكية النفس وتخليصها من صفاتها المذمومة كالرياء والنفاق، وتحليتها بالصفات العالية، أن يكون سيره معهم بعيداً عن العلل والغايات، وألا يبتغي إلا وجه الله تعالى ورضاه، كما نراهم يستترون من الكرامة بعداً عن شبهة الرياء، قال الشيخ أبو عبد الله القرشي رحمه الله تعالى: (من لم يكن كارهاً لظهور الآيات وخوارق العادات منه كراهية الخلق لظهور المعاصي فهو في حقه حجاب، وسترها عليه رحمة، فإنَّ من خرق عوائد نفسه لا يريد ظهور شيء من الآيات وخوارق العادات له، بل تكون نفسه عنده أقل وأحقر من ذلك، فإذا فَنِيَ عن إراداته جملةً فكان له تحقق في رؤية نفسه بعين الحقارة والذلة، حصلت له أهلية ورود الألطاف، والتحقق بمراتب الصديقين) [نور التحقيق لحامد صقر ص127]، وقال علي الخواص رحمه الله تعالى: (الكُمَّل يخافون من وقوع الكرامات على أيديهم، ويزدادون بها وجلاً وخوفاً لاحتمال أن تكون استدراجاً) [اليواقيت والجواهر لعبد الوهاب الشعراني ج2 ص113]، ثم إن الصوفية يمنعون إظهار الكرامة إلا لغرض صحيح، كنصرة شريعة الله أمام الكافرين والمعاندين [كما حدث مع الشيخ محي الدين بن عربي في قصته مع الفيلسوف، وهو يرويها لنا بقوله: (حضر عندنا سنة ست وثمانين وخمسمائة فيلسوفٌ ينكر النبوة على الحد الذي يثبتها المسلمون، وينكر ما جاءت به الأنبياء من خرق العوائد وأن الحقائق لا تتبدل، وكان زمن البرد والشتاء وبين أيدينا منقل عظيم يشتعل ناراً، فقال المنكر المكذب: إن العامة تقول: إن إبراهيم عليه السلام أُلقي في النار فلم تحرقه، والنار محرقة بطبعها الجسوم القابلة للاحتراق، وإنما كانت النار المذكورة في القرآن في قصة إبراهيم عبارة عن غضب نمرود وحنقه، فهي نار الغضب، فلما فرغ من قوله قال له بعض الحاضرين [أي الشيخ محي الدين

نفسه]: فإن أريتك أنا صدق الله في ظاهر ما قاله في النار أنها لم تحرق إبراهيم، وأن الله جعلها عليه . كما قال . برداً وسلاماً، وأنا أقوم لك في هذا المقام مقام إبراهيم في الذبِّ عنه؟ فقال المنكر: هذا لا يكون، فقال له: أليست هذه النار المحرقة؟ قال: نعم، فقال: تراها في نفسك، ثم ألقى النار التي في المنقل في حِجْر المنكر، وبقيتْ على ثيابه مدة يقلبها المنكر بيده، فلما رآها لم تحرقه تعجب، ثم ردها إلى المنقل، ثم قال له: قرّبْ يدك أيضاً منها، فقرَّبَ يده فأحرقته، فقال له: هكذا كان الأمر، وهي مأمورة، تحرق بالأمر وتترك الإحراق كذلك، والله تعالى الفاعل لما يشاء، فأسلم ذلك المنكِرُ واعترف)، الباب الخامس والثمانون ومائة من الفتوحات المكية ج2، ص371] وكإبطال سحر الكافرين والضالين أو الفسقة المشعوذين الذين يريدون أن يضلوا الناس عن دينهم ويشككوهم في عقائدهم وإيمانهم [ومن ذلك ما ذكره العلامة ابن حجر الهيثمي في الفتاوى الحديثية من أنَّ صوفياً ناظر برهمياً، والبراهمة قوم تظهر لهم خوارق لمزيد الرياضات، فطار البرهمي في الجو، فارتفعت إليه نعل الشيخ ولم تزل تضرب رأسه وتصفعه حتى وقع على الأرض منكوساً على رأسه بين يدي الشيخ والناس ينظرون، انظر الفتاوى الحديثية لابن حجر ص222]، أما إظهارها بدون سبب مشروع فهو مذموم، لما فيه من حظ النفس والمفاخرة والعجب، **قال الشيخ محي الدين** رحمه الله تعالى: (ولا يخفى أن الكرامة عند أكابر الرجال معدودة من جملة رعونات النفس، إلا إنْ كانت لنصر دين أو جلب مصلحة، لأن الله تعالى هو الفاعل عندهم، لا هُمْ، هذا مشهدهم، وليس وجه الخصوصية إلا وقوع ذلك الفعل الخارق على يدهم دون غيرهم، فإذا أحيا كبشاً مثلاً أو دجاجة فإنما ذلك بقدرة الله لا بقدرتهم، وإذا رجع الأمر إلى القدرة فلا تعجب) [الباب الخامس والثمانون والمائة من الفتوحات المكية، كذا في اليواقيت والجواهر للشعراني ج2، ص117]، ثم إن الصوفية يعتبرون أن أعظم الكرامات هي الاستقامة على شرع الله تعالى، **قال أبو القاسم القشيري** رحمه الله تعالى في رسالته: (واعلم أن من أجلِّ الكرامات التي تكون للأولياء دوام التوفيق للطاعات، والحفظ من المعاصي والمخالفات) ["الرسالة القشيرية" ص160]، **وذُكر عند سهل بن عبد الله التستري** رحمه الله تعالى الكرامات فقال: (وما الآياتُ وما الكراماتُ؟! أشياء تنقضي لوقتها، ولكن أكبر الكرامات أنْ تُبدّلَ خُلُقاً مذموماً من أخلاق نفسك بخُلق محمود) ["كتاب اللمع" للطوسي ص400]، **وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي** رحمه الله تعالى: (الكرامة الحقيقية إنما هي حصول الاستقامة، والوصول إلى كمالها، ومرجعها أمران: صحة الإيمان بالله عز وجل، واتباع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهراً وباطناً، فالواجب على العبد أن لا يحرص إلاّ عليهما ولا تكون له همة إلا في الوصول

إليهما، وأما الكرامة بمعنى خرق العادة فلا عبرة بها عند المحققين، إذ قد يُرْزَقُ بها من لم تكتمل استقامته، وقد يُرْزَق بها المستدرَجون) وقال: (إنما هي كرامتان جامعتان محيطتان، كرامة الإيمان بمزيد الإيقان وشهود العيان، وكرامة العمل على الاقتداء والمتابعة ومجانبة الدعاوي والمخادعة، فمن أعطيهما ثم جعل يشتاق إلى غيرهما فهو عبد مُفْتَرٍ كذاب، ليس ذا حظ في العلم والعمل بالصواب، كمن أُكرم بشهود الملك على نعت الرضا فجعل يشتاق إلى سياسة الدواب وخلع الرضا) [نور التحقيق ص128]، **وقال الشيخ محي الدين بن عربي** رحمه الله تعالى: (واعلم أن الكرامة على قسمين: حسية ومعنوية، ولا تعرفُ العامةُ إلا الحسية، مثل الكلام على الخاطر، والإخبار بالمغيبات الماضية والكائنة والآتية، والأخذ من الكون، والمشي على الماء، واختراق الهواء، وطي الأرض، والاحتجاب عن الأبصار، وإجابة الدعاء في الحال، ونحو ذلك، فالعامة لا تعرف الكرامات إلا مثل هذا، وأما الكرامة المعنوية فلا يعرفها إلا الخواص من عباد الله تعالى، والعامة لا تعرف ذلك وهي أن يُحفظ على العبد آداب الشريعة، وأن يُوفَّق لفعل مكارم الأخلاق واجتناب سفاسفها، والمحافظة على أداء الواجبات مطلقاً في أوقاتها والمسارعة إلى الخيرات، وإزالة الغل والحقد من صدره للناس والحسد وسوء الظن، وطهارة القلب من كل صفة مذمومة، وتحليته بالمراقبة مع الأنفاس، ومراعاة حقوق الله تعالى في نفسه وفي الأشياء، وتفقد آثار ربه في قلبه، ومراعاة أنفاسه في دخولها وخروجها، فيتلقاها بالأدب إذا وردتْ عليه ويُخرجها وعليه حلة الحضور مع الله تعالى، فهذه كلها عندنا كرامات الأولياء المعنوية التي لا يدخلها مكر ولا استدراج) [الباب الرابع والثمانون ومائة من الفتوحات المكية ج2، ص369]، **ثم إن السادة الصوفية لا يعتبرون ظهور الكرامات على يد الولي الصالح دليلاً على أفضليته على غيره، قال الإمام اليافعي** رحمه الله تعالى: (لا يلزم أن يكون كلُّ مَنْ له كرامة من الأولياء أفضلَ من كل من ليس له كرامة منهم، بل قد يكون بعض مَنْ ليس له كرامة منهم أفضل من بعض مَنْ له كرامة، لأن الكرامة قد تكون لتقوية يقين صاحبها، ودليلاً على صدقه وعلى فضله لا على أفضليته، وإنما الأفضلية تكون بقوة اليقين، وكمال المعرفة بالله تعالى) [كتاب نشر المحاسن الغالية لعبد الله اليافعي ص119]، كما أن الصوفية يعتبرون أن عدم ظهور الكرامة على يد الولي الصالح ليس دليلاً على عدم ولايته، قال الإمام القشيري رحمه الله تعالى في رسالته: (لو لم يكن للولي كرامة ظاهرة عليه في الدنيا، لم يقدح عدمها في كونه ولياً) وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في شرحه لرسالة القشيري عند هذا الكلام: (بل قد يكون أفضل

ممَّنْ ظهر له كرامات، لأن الأفضلية إنما هي بزيادة اليقين لا بظهور الكرامة) [الرسالة القشيرية ص159]،

***

## المبحث الثالث والعشرون

## أخلاق وآداب أهل التصوف الحق

**قام العارف بالله تعالى السيد عبد الوهاب الشعراني رحمه الله في كتابه الانوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، برسم آداب الطريق، التي لا غنى لأهل التصوف عنها**، وألف الشعراني هذا الكتاب في أواخر حياته، رسم فيه آداب الطريق، وحشد فيه مجموعة طيبة من أقوال و آراء كبار رجال التربية الصوفية، يقول: وضعت هذه الرسالة كالميزان التي يوزن بها المحق و المبطل، فمن وافق حاله ما فيها فليحمد الله، و إلا فليستغفر من دعاويه الكاذبة، وذكر في كتابة: نبذه من آداب المريد في نفسه، أنتقي منها مع الإيجاز الشديد:

**(فمنها): الصدق في طلبه للطريق ومحبة الشيخ**، فإن وظيفة الشيخ أنه يستخرج للمريد ما هو كامن فيه لا غير، فإن الله تعالى قد بث في كل روح جميع ما يتعلق بصاحبها من المحامد والمذام،

وليس مع الشيخ شيء يعطيه للمريد خارجا عنه، فإن حكم المريد في ابتداء أمره، حكم النواة الكامن فيها النخلة التي هي هنا عبارة عن الصدق في الطريق أو الكذب فيها، فإن كان صادقا تفرعت ثمرة صدقه وأثمرت، ومن شأن المريد أن يصدق في محبة الشيخ لأنه دليله في السوك في الغيب كدليل الحجاج في الليالي المظلمة ومن لازم المحبة الطاعة، ومن لازم عدم المحبة المخالفة، ومن خالف دليله تاه وانقطع سيره وهلك،

**و(منها): التوبة من سائر الذنوب:** فمن شان المريد أن لا يدخل في عهد شيخ حتى يتوب من سائر الذنوب الظاهرة والباطنة، كما أنه ينبغي له أن يرضى سائر الخصوم في العرض والمال فإن حضرة الطريق هي حضرة الله عز وجل، ومن لم يتطهر من سائر الذنوب باطنا وظاهرا، لا يصح له دخولها، فحكمه حكم من دخل الصلاة وفي بدنه أو ملبوسه نجاسة لا يعفى عنها أو لم يصبها الماء فإن صلاته باطلة ولو كان شيخه من اكبر الاولياء، وهذا الباب قد أغفله غالب الناس فيأخذون العهد على المريد وعليه الذنوب الظاهرة والباطنة، فضلا عن حقوق العباد في المال والعرض، فلا يصح له نتاج في الطريق،

**ز(منها): ملازمة المجاهدة لنفسه:** فمن زين ظاهره بالمجاهدة زين الله باطنه بالمشاهدة، ومن لم يجاهد نفسه في بدايته لا يشم من الطريق رائحة، لان من خصائص طريق أهل الله تعالى أن العبد إذا لم يعط الطريق كله لا تعطه الطريق بعضها، ومن ظن أنه يفتح عليه بشي من هذه الطريق بغير مجاهدة فقد رام المحال،

**و(منها): قلة الكلام:** فمن شان المريد أن لا يتكلم إلا بضرورة أو لحاجة شرعية

**و(منها): كثرة الجوع بطريقه الشرعي** وهو معظم أركان الطريق، فكما أن الشارع جعل معظم الحج عرفة، كذلك أهل الله جعلوا الجوع هو الطريق،، وأركان الطريق أربعة أشياء: الجوع، والعزلة، والسهر، وقلة الكلام، إذا جاع المريد تبعه الا ركان الثلاثة بالخاصية، إذا الجوعان من شأنه أن يقل كلامه، ويكثر سهره، وكان أبو القاسم القشيري رحمه الله تعالى يقول: " إنما أساس باب الطريق الجوع لانهم لم يجدوا ينابيع الحكمة تحصل لهم إلا به،

**و(منها): ملازمة الادب مع الله تعالى،** فمن شأن المريد معانقة الادب على الدوام مع الله تعالى ومع أوليائه وإخوانه فلا يسامح نفسه في سوء أدب، وكان أبو على الدقاق رحمه الله يقول: " يصل

العبد بعبادته إلى الجنة ولا يصل إلى حضرة ربه إلا بالأدب في العبادة، ومن لم يراع الادب في طاعته فهو محجوب عن ربه بسبعين حجاب،

**و(منها): مخالفة هوى النفس،** فلا يوافقها قط فيما تهواه، وقد أجمع الاشياخ على أن رأس مال المريد مخالفة نفسه، ومن أطلق عنان نفسه فيما تهواه، فقد أهلكها، وأعظم حجاب بينك وبين ربك موافقة نفسك،

**و(منها): عدم الاخلال بأركان الطريق وشروطها**، فمتى انهدم ركن منها أو شرط تبعه الباقي، وأركان الطريق أربعة: الجوع، العزلة، الصمت، السهر، وما زاد على هذه الاربعة فهو من التوابع وقالوا: من ضيع الاصول حرم الوصول،

**و(منها): اختيار شيخ متبحر في علوم الشريعة،** فلا يتتلمذ إلا لشيخ قد تضلع من علوم الشريعة، وذلك ليكفيه عن الاجتماع على غيره،

**و(منها): أن لا يكون له في الطريق إلا شيخ واحد،** فلا يجعل له قط شيخين – أي في الطريق – لان مبني طريق القوم على التوحيد الخالص،

**و(منها): حذف العلائق الدنيوية،** فإن من كان له علاقة دنيوية فقل أن يفلح، لان تلك العلاقة تجره إلى وراء ومن هنا قالوا للمريد تفقه في دينك أولا ثم تعال ادخل الطريق وذلك ليقل التفاته إلى غير الطريق،

**و(منها): دلالة حاله على مقامه**، فإن ادعى المحبة لله كان لونه يميل إلى الاصفرار، وان أدعى الزهد في الدنيا، كان مجانبا للأشرار، وان ادعى الجوع كان جسمه مائلا إلى الاضمار،

**و(منها): الاخذ بالأحوط في الدين**، ويخرج من خلاف العلماء إلى وفاقهم ما أمكن، فإن رخص الشريعة انما جعلت للضعفاء وأصحاب الضرورات والاشغال، وأما القوم فليس لهم شغل إلا مؤاخذة نفوسهم بالعزائم، ولذلك قالوا: إذا انحط الفقير عن درج الحقيقة إلى رخص الشريعة فقد فسخ عهده مع الله تعالى ونقضه،

**و(منها): اخفاء أحواله التي تكون بينه وبين الله تعالى ما أمكن**، حتى يرسخ في مقام مراعاة الله تعالى وحده دون أحد من خلقه، فلا يكاد أحد يأخذ من الفقير الصادق مقاما، لا يعرف له حالا

من شدة كتمانه، وقد أجمع أهل الطريق على أنه إن لم يكن المريد غير ملاحظ للخلق في الباعث على أعماله لا يجيء منه شيء، وأجمعوا أيضا على أن كل مريد أحب الظهور وأن يطلع الناس على كمالاته فهو مقطوع به لا سيما إن صار الناس يتبركون به فإنه يهلك بالكلية،

**و(منها): تحمل شدائد الطريق،** وانه لا ينصرف عنها إلى غيرها إذا أصابته الاسقام والالام، وانه لا يترخص عند هجوم الفاقات والضرورات أبدا،

**و(منها): مداومة الذكر**، فإن الشيوخ لم يجدوا للمريد دواء أسرع في جلاء قلبه من مداومة ذكر الله عز وجل،

**و(منها): الاحتمال والصفح والرضا والتسليم**، فيجعل رأس ماله الاحتمال والصفح عن كل من أتى إليه بمكروه بطيبة نفس، ويتلقى كل ما يستقبله من أهل الزاوية أو السوق وغيرهم بالرضى والتسليم فإن لم يستطع فبالصبر لا أنزل من ذلك، فإن لم يصبر على جفاء الاخوان لا يصلح للطريق فليخرج إلى العامة ويترك طريق القوم،

**و(منها): عدم الالتفات إلى عرض الدنيا**، بل الواجب عليه أن يربط الدنيا كلها في صرة ويرميها في بحر الاياس وليتساوى عنده الذهب والتراب في عدم الترجيح والميل فيكون الذهب عنده كالتراب، وذلك حتى لا ينافس أهل الدنيا ولا يزاحمهم على تللك الجيفة،

**و(منها): غض البصر عن رؤية الصور المستحسنة ما أمكن**: فإن النظر إليها كالسهم الذي يصيبه في قلبه فيقتله لا سيما إن نظر بشهوة فإنه كالسهم المسموم الذي يذيب جسم الانسان في لمحة، ومن اكبر القواطع على المريد مصاحبة الاحداث والنسوان والمساكنة إليهم بميل القلب، ومن ابتلاه الله بشيء من ذلك فبإجماع القوم: ذلك عبد أهانه وخذله بل وعن مصالح نفسه شغله، ولو لم يكن إلا أنه شغل قلبه بمخلوق فأدخل فيه الشيطان وحرم محبة الحق قلبه،

**و(منها): السعي لبلوغ مقامات أهل الطريق،** فلا يقنع بحكايات أهل الطريق دون منازلة مقاماتهم ويصير يحكي المقامات حتى كأنه نزلها، فإن ذك من أكبر القواطع على المريد وهو من النفاق والخيانة في الطريق،

**و(منها): عدم التصدر للإرشاد إلا بإذن الشيخ،** فلا يصدر لإلقاء درس في علم الظاهر والباطن حتى يشهد له شيخه بالإخلاص فيه، وكذلك لا يجعل له مريدا، فلو أن كل مريد تصدر لإلقاء درس، أو لتعليم الطريق قبل خمود نار بشريته، والاذن له من شيخه فقد قطع به وضل وأضل، وحجبت عنه الحقائق وعدم الخلق والانتفاع به، وكل شيخ جعل مريده واعظا قبل خمود نار بشريته فقد غشه وظلمه،

**و(منها): المحافظة على آداب الشريعة،** فإن الترقي كله في امتثال أمر الشارع،

**و(منها): مجاهدة النفس في ترك الشهوات،** فقد قالوا: من وافق شهوته عدم صفوته

**و(منها): حفظ العهد مع الله تعالى،** على ملازمة التوبة من كل ذنب فإن نقض العهد من أعظم الذنوب،

**و(منها): قصر الامل،** وذلك حتى يجد في الطاعات ويجتنب المخالفات، فإن من كان طويل الامل لازمه التسويف بالخيرات، والوقوع في المخالفات، ومن هنا قالوا: إن الفقير ابن وقته، لا نظر له إلى ماض ولا آت، لان نظره تفويت للوقت لحاصل،

**و(منها): التجرد وعدم الالتفات إلى ما يملك من حطام الدنيا، حتى يصير لا التفاف له إلى شيء دون الله تعالى، وفي كلام سيدي أحمد الرفاعي رحمه الله:** " ملتفت لا يصل، ومتسلل لا يفلح ومن لم ير في نفسه النقصان، فكل أوقاته نقصان "،

**و(منها): التباعد عن مجالسة الغافلين من أبناء الدنيا** من التجار والمباشرين ونحوهم فإن مجالستهم: سم قاتل للمريد، لضعفه ولكثرة غفلتهم عن الله تعالى، واشتغالهم بأمور الدنيا فيسرق طبع المريد منهم محبة العلائق الدنيوية، والمريد إنما عمله على حذف العلائق، وإن قدر أنهم ينتفعون بالفقير، فهو نقص له، قال تعالى: {ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا}، وما رأينا أحدا من المريدين خالط أبناء الدنيا إلا مات قلبه، وعدم الميل إلى مجالس الذكر والخير،

**و(منها): التباعد عن فعل ما يميت قلبه،** ككثرة اللغو والغفلة فإن ذلك مجرب لموت القلب، وليس عمل الفقير إلا بتحصيل حياة قلبة عن شيء يشغله عن الله تعالى،

**و(منها): أن لا يقطع مجلس الذكر قبل أن يغيب عن الا كوان كلها**، فإن الذكر إنما شرع للحضور مع الحق جل وعلا، ومادام المريد يشهد شيئا من الاكوان فهو لم يدخل حضرة الحق، ولا يفتح على المريد بشيء من المواهب وهو يستحضر في ذهنه شيئا من الكون، إذ الفتح لا يكون إلا لمن شهد الحق تعالى بقلبه، وغفل عما سواه، فلا ينبغي للمريد قطع مجلس الذكر، قبل أن تحصل له الغيبة عن الاكوان، لان من قطعه قبل هذه الغيبة، فكأنه لم يذكر الله شيئا من حيث الثمرة التي هي الرقى، وإن كتب له بذلك حسنات،

**و(منها): تجنب الاعتناء بظاهره إلا بقدر الضرورة**، فمن نظر إلى ظاهره انقطع عن السير، والمريد يجب عليه أن يقلل من علائق الدنيا، ومن الالتفات إليها، وإلى التزين بملابسها، فعلم أن كل مريد أشتغل عن إصلاح حاله بنظافة ثيابه، ولبس الاصواف الرفيعة وغيرها لا يفلح في طريق القوم، ولو كان شيخه من أكبر الا ولياء،

**و(منها): مداومة النشاط ومجاهدة الكسل**، فمن شأن المريد أن يكون ذا نهضة ونشاط على الدوام، فلا يرمي بنفسه إلى الكسل وقتا من الاوقات،

**و(منها): مداومة ذكر الله في سائر الاوقات**، فمن شأن المريد أن يكون لهجا بذكر الله عز وجل في سائر أوقاته ولا يجيب قط من عدله عنه إلى غيره، إلا بطريق شرعي، فإن الطريق لا تقبل الشركة معها، وكل من لم يعطها كله لا تعطه بعضها، فلا يزال المريد يلهج بذكر اسم الله، حتى يحصل له الخضور الدائم مع الله فهناك يستغنى عن ذكر اللسان بالشهود القلبي، وما دام لم يحصل له الحضور الدائم مع الله فهناك لا يستغنى عن ذكر اللسان في سائر الاوقات،

**و(منها): إتباع الشرع في سنن الفطرة وآداب الطعام ونحو ذلك**: فمن أدبه اتخاذ المشط والمقص والسواك والخلال، والابرة ومحك الظهر والرأس، واتخاذ أو القطيفة لمسح الاعضاء بعد الوضوء، واتخاذ السجادة للصلاة عليها إذا لم يجد مكانا طاهرا، وكل شيء ندب الشارع إليه فتهيئة أسبابه من السنة، وكذلك من أدبه استعمال الطيب في الابط، ووضع الطعام على السفرة دون الارض، تعظيما للنعمة وخوفا من أن يقع الفتات على الارض والله أعلم،

**و(منها): الايثار لغيره على نفسه**، وقد أجمع الاشياخ على أن المريد إذا كان شأنه احتمال الاذى، فلا بد من رفعته على جميع أقرانه، إما في الدنيا وإما في الا خرة وإما فيهما معا، ومن شأن المريد

أن لا يتأثر على شيء فاته من الدنيا، ومتى تأثرت منه شعرة إذا دخل اللصوص وأخذوا جميع ما فيها فهو كاذب في الطريق، والصادق ينشرح لكل شيء فاته من الدنيا فضلا عن التأثر عليه،

**و(منها): التباعد عمن لا يعمل بعلمه**، لئلا يسرق طباعة مثله فيهلك، فإن جليس السوء أضر على جليسه من إبليس فإن إبليس إذا وسوس للمؤمن عرف المؤمن أنه عدو مضل مبين، وإذا أطاع وسواسه عرف أنه عصى ربه عز وجل فيأخذ في التوبة من ذنبه وكثرة الاستغفار عنه، ولا هكذا إخوان السوء لأنه يلبس الحق بالباطل على وفق غرضه وهواه، ولا يكاد يعتذر عن ذنب وربما احتج بالقضاء والقدر، وجادل بالباطل، ومن خالط مثل هذا ضل سعيه، وقد قالوا: ستون من مردة الشيطان، لا يفسدون ما يفسده قرين السوء في لحظة،

**و(منها): عدم الالتفات إلى ما خرج عنه قبل دخوله في الطريق**، لا إلى دار ولا ضيعة، فإن الالتفات إلى ذلك من أضر شيء على المريد الضعيف، وربما انتكس إلى حال أقبح مما كان عليه قبل دخوله في الطريق، وقد كان الجنيد رضي الله عنه يقول: لو أقبل صدقا على الله تعالى ألف عام ثم أدبر عنه لحظة كان ما فاته في تلك اللحظة أكثر مما ناله قبل ذلك، وإيضاح ذلك أن كل لحظة متضمنة لجميع الا مداد السابقة، ويزيد عليها بمدد الوقت، فإن وجود الحق تعالى لم يزل فياضا على الدوام،

**و(منها): الاجتهاد في طاعة ربه في أول بدايته**: فإنهم قالوا: من لم يكن مجتهدا في بدايته، لا يفلح في نهايته،

**و(منها): البعد عن الجدال وكل ما فيه حظ للنفس**، ومن شأن المريد أن لا يكون عنده منافسة لاحد، ولا جدال في شريعة ولا حقيقة، ولا منافسة في تصحيح أعمال غيره، لان ذلك من وظيفة الاشياخ، وأما المريد فإن اشتغل بذلك، قطعة عن السير وأورث عنده الرئاسة والعجب، فهلك من حيث لا يشعر، بل الواجب عليه أن يكون عمالا في طريق الترقي، ولا يمل منها كسلا ليلا ونهارا، وللجدال أقوام وللتسليم أقوام، وكان سيدي إبراهيم الدسوقي رحمه الله يقول: من شرط المريد الصادق، أن يكون خارجا عن حظوظ نفسه كلها، لا التفات له إلى حظ من الحظوظ من مال أو جاه أو نسبة إلى صلا ح، يرضى بالتلف والضيق، ويفرح بالخمول وعدم الشهرة، كما هو شأن الصادقين لان الفلاح والنجاح لا يصح إلا لمن ترك حظوظ نفسه وقابل الاذى بالاحسان، والشر بالاحتمال،

وكان يقول: من شرط المريد الصادق أن لا يكون له فعل ردىء، ولا يصرفه عن طريق القوم صارف، ولا يرده عنها السيوف والمتالف،

**و(منها): البعد عن الحرام والشبهات،** فمن شأن المريد أن يفتش على الحل في اللقمة،

**و(منها): الصبر على السهر والجوع والعزلة مع المحبة والتسليم للشيخ:** فمن شأنه أن يكون ذا صبر شديد على ملازمة السهر، والجوع، والعزلة عن الناس ببدنه وقلبه، فقد قال سيدي إبراهيم الدسوقي: إن الطريق إلى الله تعالى تفني الجلاد وتفتت الاكباد وتضعف الا جساد، وتدفع للسهاد، وتسقم القلب، وتذيب الفؤاد، وكان يقول: من أعظم ما يؤمن به المريد المحبة والتسليم للشيخ، وإلقاء عصى المعاندة والمخالفة، والسكون تحت مراد شيخه وأمره، فإذا كان كل يوم يزداد محبة في شيخه وفي التسليم له، سلم من القطع فإن عوارض الطريق وعقبات الالتفاتات والارادات هي التي تقطع الا مداد وتحجب المريد عن المراد والله أعلم،

**و(منها): الحرص على شهود الاسحار وفعل السنن والاوراد والتباعد عن المعصية، وترك الادعاء:** فمن علامة كذب المريد في دعواه كمال الصدق في محبة ربه، نومه في الاسحار، وإذا عمل المريد بالرخص بعد أن كان يعمل بالعزائم، نقل بعد ذلك إلى فعل المحظورات، وقد أجمعوا على أنه ما قطع مريد ورده إلا انقطعت عنه الامداد في ذلك اليوم، وإيضاح ذلك، أن طريق القوم تصديق وتحقيق، وجهد وعمل، وغض بصر وطهارة قلب، ويد وفرج ولسان، ومن خالف شيئا من أفعالها رفضته الطريق كرها عليه، وقد كان سيدي إبراهيم الدسوقي رضي الله عنه يقول: يجب على المريد أن يجمع همة العزم، ليعرف الطريق بالذوق لا بالوصف والقلم، وكان يقول: كيف يدعي أحدكم محبة ليلى، وهو ليلا ونهارا مع عذالها، ولوامها والمنكرين على أهلها، والمعترضين عليها بالجهل، والخائنين لعهودهم، وكان يقول: من شرط المريد الصادق أن لا يكثر من مجالسة أرباب المحال، وزخارف الاقوال، ولقلقة اللسان، وإنما يجالس من أخذته الطريق ودقه التمزيق، وتفرق عنه كل صديق، وذاب قلبه، فليمتحن نفسه بالأنس بالله تعالى، لان الانس بالله من علامة القرب والرضى، وتركه من علامة البعد،

**و(منها): توبيخ النفس وحثها على السير في الطريق:** كلما وقفت مع حظ من حظوظها، ويقدم حذف العلائق على كل عمل، وينبغي له كلما تعب من عبادة أن يقول لنفسه اصبري: فإن الراحة أمامك، وإنما أريد بتعبك إكرامك،

**و(منها): الخلو من الحسد والغيبة وغيرها من الصفات الذميمة:** لا يكون عنده حسد، ولا غيبة، ولا بغي، ولا مخادعة، ولا مكابرة، ولا مماراة ومماقلة، ولا مكاذبة، ولا مصادقة، ولا كبر، ولا عجب، ولا ترفه ولا افتخار، ولا شطح،لا حظوظ نفس، ولا تصدر في مجالس، ولا رؤية نفس على أحد من المسلمين، ولا جدال، ولا امتحان ولا تنقيص لاحد من أهل الطريق، ولا من تزيق بالزيق، ومن ادعى الصدق في الا دارة وعنده خصلة واحدة مما ذكرنا،فهو غير صادق، ولا يجيء منه شيء في الطريق، لان هذه الصفات توقف صاحبها عن السير، بل تطرده عن حضرة الله عز وجل إلى حضرة الشياطين، لأنها صفاتهم والله أعلم،

**و(منها): أن يسد عنه باب مراعاة تعظيمه من المخلوقين:** فلا يلتفت إلى أحد من الخلق أقبل عليه أو أدبر عنه، إلا بطريقة الشرعي، لان من شرط المريد الصادق، أن يحب العزلة عن الناس ولا يطلب له مقاما عند أحد منهم، فما له ولهم، فلا ينبغي له حضور المجالس التي فيها لغو، أو مداهنة، أو جدال، أو عجب أو رياء، ولو كانت مجالس علم وقد قلت السلامة من هذه الا مور في طلبة العلم، فعليك يا أخي بالوحدة إلافي حضور الجماعات، ومجالس العلم السالمة مما ذكر، وكان سيدي إبراهيم الدسوقي رحمه الله يقول: من شرط المريد الصادق أن لا يمل من شهود رؤية التقصير في سائر أحواله، فإن رؤية التقصير تفتح له باب المزيد في الدرجة، وقد يعطي المولى من هو قاصر مالا يعطيه لأهل المحابر،

**و(منها): التقليل من النوم لا سيما وقت السحر، والثبات والصدق في طلب الطريق،** فمن شأن المريد أن يقلل من النوم ما أمكن لا سيما وقت الاسحار، فإن النوم ليس له فائدة فيه فائدة دنيوية، ولا أخروية بالاصالة، وإنما كثرته خسران لأنه أخو الموت، وقد كان سيدي ابراهيم الدسوقي رحمه الله يقول: كيف يدعي المريد الصادق في الحب للطريق، وهو ينام وقت الغنائم، وقت فتح الخزائن، ووقت نشر العلوم، وإظهار المكتوم؟ أما يستحي الكذاب من الدعاوي!؟ همته راقدة،

وعزيمته خامدة، وهو مع ذلك يدعي الصدق !؟ ثم يقول: والله ما صدق مريد في محبة الطريق إلا نبعت الحكمة من قلبه وصار يبرئ الاكمه والابرص ويحي الموتى بإذن الله تعالى،

**و(منها): تحمل الاذى والمواظبة على النسك والعبادة ليلا ونهارا:** لا يحيد ولا يميل حتى يسكن من حب الله عز وجل، فإذا سكن من حبه فهناك لا يلتفت لسواه في الدارين إلا بإذنه، وكان سيدي ابراهيم الدسوقي رحمه الله يقول: يا ولدي إن كنت صادقا في إرادتك، وصفاء معاملتك، وطهارة سريرتك، فإياك أن تدعي أنك شممت للطريق رائحة، ولا ترى نفسك إلا عاصيا مفلسا، فكم تلف من غرور النفس مريد؟ وكان يقول: يا ولدي إن طلبت أن تكون مريدي حقا فقم قياما دائما وجاهدا ملا زما، ولا تمل، ولا ترخص لنفسك في ترك العبادة وقتا واحدا بحجة العجز عنها، فإن الناقد بصير، وكان إذا رأى من لبس لبس القوم وخالفهم في الا خلا ق ينبهه على ذلك، وكان يقول: ليس كل من تزيا بزي القوم يكون صادقا في طلب طريقهم فإن الزي أمر ظاهر، والقوم عملهم قلبي باطني وما رأينا أحدا قط لبس جبة بيضاء وأرخى له عذبة وكتب له إجازة صار شيخا بذلك أبدا، وكان يقول: إذا لم يكن قلب المريد شفافا، أي صافيا من الكدورات، لا يظهر لفتيلة قلبه نور، ولو عمل بجميع أعمال الصالحين، ومن هنا شرطوا التوبة للمريد من سائر الزلات، ليستنير قلبه، ثم استنار وظهر نوره للخاص والعام، فمن الادب ستر نفسه، يحجب الناس عن شهود ذلك النور ليخرج من الدنيا برأس ماله كاملا من غير نقص، وكان يقول: من شأن المريد أن لا يكون في صحيفته شيء من الزلات، بل تطوي صحيفته كل يوم مضمخة معنبرة ممستكة معطرة بأعمال ها الزكية، وشيمه المرضية، والله أعلم،

**و(منها): أن تكون أعماله على وفق الشريعة المطهرة نصا أو استنباطا سالمة من الشطح عن ظاهر الشريعة:** فإن الشريعة هي الحد القاطع، والسيف اللامع لعصمتها بخلاف ما يدعي أنه باطن مما يخفي على العلماء وجه استنباطه من الكتاب والسنة فإنه غير معصوم، وكان سيدي ابراهيم الدسوقي رضي الله عنه يقول: من أحب أن يكون صادقا في إرادته، وجميع أعماله وأقواله، فليحبس نفسه في قمقم الشريعة وليختم عليها بخاتم الحقيقة، وليقتلها بسيف المجاهدة، وتجرع المرارات،

**و(منها): الصبر على الجوع:** فمن شأن المريد الصبر على الجوع بل نسيان الا كل بالكلية اشتغالا بربه عز وجل، وقد كان الشبلي يقول: مكثت سنين أيام بدايتي وأن لا آ كل إلا يوم الجمعة من طعام أبي القاسم الجنيد، فكنت لا أتذكر إلا حين أحضر عنده يوم الجمعة، وما لم أحضر لا يحظر الا كل على بالي، وكان سيدي إبراهيم الدسوقي رحمة الله يقول: قاعدة الطريق للمريد، ومحكمها ومجلاها هي الجوع، وذلك لأنه يغسل من الجسد مواضع إبليس، فمن أراد السعادة فعليه بالجوع الشرعي، ولا يأكل إلا على فاقة، ومن طلب شربة بلا حمية أخطأ طريق الدواء، وقد تقدم أن الجوع أحد أركان الطريق عند الابدال وهي أربعة: الجوع، والسهر، والعزلة، والصمت، ومن جاع استتبعه الأركان الثلاثة الباقية بخلاف العكس، فمن شبع وأراد الصمت أو السهر أو العزلة في طاعة الله تعالى مع عدم الخواطر المشغلة عن كمال الاقبال فلا يقدر على ذلك والله أعلم،

**و(منها): الاشتغال بذكر الله تعالى مع حضور القلب:** فالمريد من شأنه أن لا يكثر من مطالعة كتب القوم وغيرها بل يشتغل بذكر ربه عز وجل فإنه هو الجلاء لقلبه، فالاصل التي يبني عليها المريد أمره أربعة أشياء: اشتغال اللسان بذكر الله عز وجل مع حضور القلب، وجبر القلب على جمعه لمراقبة الله عز وجل، ومخالفة النفس والهوى من أجله تعالى، وتصفية اللقمة لعبوديته من الشبهة، وهذه الرابعة هي القطب، وبها تزكو الجوارح، ويصفو القلب، والاكسير الذي يقلب عين طينة العبد ذهبا خالصا هو الا كثار من ذكر الله تعالى مع الاخلاص،

**و(منها): أن لا يسامح نفسه في الاشتغال بشيء من الاكوان ولا يصحب أبناء الدنيا:** فلا يسامح نفسه في الاشتغال بشيء من الا كوان فإن في ذلك الحجاب عن الرحمن ومن فعل ذلك ذل وهان كما أن من شغل قلبه بالرحمن عز وجل وخضعت له الاذقان وتأمل قوله تعالى: يا عبدي خلقت كل شيء من أجلك وخلقتك من أجلي فلا تشغل بما خلق لك عما خلقتك له، وكذلك ينبغي أن يحذر المريد من الميل إلى صحبة أبناء الدنيا المعرضين عن الطريق، فإن كل مريد تجمل بصحبة أبناء الدنيا فكأنه نادى على نفسه بأنه ممن أهانه ربه ومن يهن الله فما له من مكرم، وفي القرآن العظيم: {فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا}، أي أقبل بكليتك علينا وعلى من يريدنا تسلم وتغنم والله أعلم،

**و(منها): العناية بطهارة الظاهر والباطن:** فإن المريد من شأنه أن يكون ناهض الهمة، خفيفا في أمر الطهارة بسرعة، فلا يزيد على الغسلات الشرعية، فإن ذلك من وساوس الشيطان، وإياك ايها المريد الصادق أن تشتغل بطهارة ثيابك وبذلك تنسى طهارة قلبك كما عليه طائفة الموسوسين، فإن ذلك يشغلك عن تدقيق النظر في تطهر قلبك فتضيع الوقت وتكتسب المقت وعليك بالطهارة الحقيقية وهي أن تلجأ إلى الله تعالى وتتضرع إليه أن يطهرك بصلاته الطيبات، ويزكيك بتحياته المباركات،

**و(منها): التورع عن الحرام والشبهات:** فإن المريد من شأنه أن يكون ورعا عن الحرام والشبهات في مأكله، وملبسه، ومنطقه، وسمعه، وبصره ويده، ورجله، وقلبه، وفرجه، وعمدة ذلك كله الورع في اللقمة، لان الاعمال تنشأ من جوارح العبد على صورة اللقمة في الحل والحرمة، فلو أراد من أكل الحلال أن يعصي لما قدر، ولو أراد آكل الحرام أن يطيع لما قدر، وقد كان إبراهيم ابن أدهم يقول: أطب مطعمك، ولا عليك بعد ذلك أن لا تصوم النهار ولا تقوم الليل، يعني نفلا،

**و(منها): أن لا يستبطئ الفتح عليه:** بل يعبد الله تعالى لوجهة الكريم سواء أفتح عين قلبه ورفع عنه الحجاب ام لا؟ فإن العبادة من شروط العبودية وقد كان الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله يقول: إياك أن تترك المجاهدة إذا لم تر أمارات الفتح، بل دم على المجاهدة فإن الفتح بعدها أمر لازم لابد منه، تطلبه الاعمال وتناله الانفس ولكن للفتح وقت لا يتعداه فلا تتهم ربك فإنه لابد لأعمالك من الثمرة إذا كنت مخلصا وارفع من نفسك التهمة لربك جملة واحدة،

**و(منها): أن يلازم الزهد في الدنيا،** فإنه أساسه الذي يبني عليه جميع أحكام الطريق إذ الراغب في الدنيا لا تفتح له أعمال الاخرة، وقد كان سيدي أحمد بن الرفاعي رحمه الله يقول: أول أساس يضعه المريد الصادق في الطريق: الزهد في الدنيا، فمن لم يزهد في الدنيا لا يصح له بناء شيء بعده، وكان يقول: لا يكون المريد صادقا حتى يسأل الله تعالى بتوجه قلب تام أن الله تعالى يحول عنه كل ما يشغله عنه من مال وولد ويفرح بالفقر إذا أقبل، وكان يقول: لا يصل أحد إلى صفاء المعاملة مع الله تعالى حتى يترك حظوظ نفسه في الدنيا والاخرة، ويعبد الله تعالى امتثالا لأمره ومحبة لمشاهدته،

**و(منها): استيفاء مراحل المريد:** المريد أولا يسمع، وثانيا يفهم، وثالثا يعلم، ورابعا يشهد، وخامسا يعرف، فما أعز طريق القوم، وما أعز من يطلبها، وما أعز من يجد من يدله عليها، وما أعز من يثبت عليها حتى يبلغ مبلغ الرجال،

**و(منها): اتباع شرط المريد:** ومن شروط المريد الصادق: أن لا يهدأ له شوق إلا بلقاء الله تعالى، واللقاء في الدنيا والبرزخ بالمشاهدة بالقلب، وفي الآخرة بالنظر بالعين، وكان الشيخ أبو مدين المغربي يقول: ليس للقلوب إلا وجهة واحدة متى توجه إليها حجب عن غيرها فإن توجه إلى الدنيا حجب عن الآخرة وإن توجه إلى الآخرة حجب عن الدنيا، وإن توجه إلى حضرة الله حجب عن الدارين،

**و(منها): دوام الذكر مع كل أنفاسه،** فإن أقرب رحلة للمريد إلى حضرة الحق هي دوام الذكر، فقد أجمعوا على أن من دامت أذكاره صفت أسراره ومن صفت أسراره كان في حضرة الله قراره، وأفضل أوراد المريد الذكر، وأفضل صيغ ذكر المريد قول (لا إله إلا الله) ما دام له هوى، فإن فنيت أهويته كلها كان ذكر اسم الجلالة (الله) أنفع له، ومن حرم الأوراد في بدايته حرم الواردات في نهايته، والمريد لا يترك الأوراد ولو بلغ المراد،

***

## المبحث الرابع والعشرون

## مقامات ومنازل وأحوال التصوف

**[المفتاح الأول]:** جميع مقامات السير إلى الله تعالى تجمعها رتب ثلاث: (الرتبة الأولى: رتبة المريد): وهي رتبة أخذ القاصد في السير، وهذه الرتبة تتعلق بأهل الإرادة، وهم أهل المنازل من المنزل الاول (اليقظة) وحتى المنزل الأربعين (الانبساط)، وهي منازل نفسية تتناول تزكية النفس، و (الرتبة الثانية: رتبة السالك) وهي رتبة دخول السالك في الغربة، وهم الخاصة، وهم أهل المنازل من الحادي والأربعين ( القصد) وحتى المنزل السبعين (الذوق)، وهي منازل قلبية تتناول سلامة القلب وتنوره، و (الرتبة الثالثة: رتبة الولي العارف) وهي رتبة حصول الولي على المشاهدة الجاذبة إلى عين التوحيد في طريق الفناء، وهي رتبة تتعلق بأهل الولاية والمعرفة وهم خاصة الخاصة، وهم اهل المنازل من الحادي والسبعين (اللحظ) إلى المنزل المائة (التوحيد)، وهي منازل روحية، فمن كان يسير بنفسه يغلبه العلم فهو من اهل الإرادة، ومن كان يسير بقلبه يغلبه الحال فهو من اهل السلوك، ومن كان يسير إلى الله تعالى بروحه يغلبه العرفان فهو من أهل الولاية،

**[المفتاح الثاني]:** **أهم منازل الرتبة الأولى :** (رتبة المريد): أربعون: هي اليقظة، والتوبة، والمحاسبة، والإنابة، والتفكر، والتذكر، والاعتصام، والفرار، والرياضة، والسماع، والحزن، والخوف، والإشفاق، والخشوع، والإخبات، والزهد، والورع، والتبتل، والرجاء، والرغبة، والرعاية، والمراقبة، والحرمة، والإخلاص، والتهذيب، والاستقامة، والتوكل، والتفويض، والثقة، والتسليم، والصبر، والرضى، والشكر، والحياء، والصدق، والإيثار، والخلق، والتواضع، والفتوة، والانبساط، و **أهم منازل الرتبة الثانية:** (رتبة السالك) ثلاثون: هي: القصد، والعزم، والإرادة، والأدب، واليقين، والأنس، والذكر، والفقر، والغنى، والاجتباء، والإحسان، والعلم، والحكمة، والبصيرة، والفراسة، والتعظيم، والإلهام، والسكينة، والطمأنينة، والهمة، والمحبة، والغيرة، والشوق، والقلق، والعطش، والوجد، والدهش، والهيمان، والبرق، والذوق، و **أهم منازل الرتبة الثالثة:** (رتبة الولاية) ثلاثون: هي اللحظ، والوقت، والصفاء، والسرور، والسر، والنفس، والغربة، والغرق، والغيبة، والتمكن، والمكاشفة، والمشاهدة، والمعاينة، والحياة، والقبض، والبسط، والسكر، والصحو، والاتصال، والانفصال، والمعرفة، والفناء، والبقاء، والتحقيق، والتلبيس، والوجود، والتجريد، والتفريد، والجمع، والتوحيد،

**[المفتاح الثالث]:** قام الهروي في كتابه منازل السائرين بتقسيم منازل السير إلى عشرة أقسام، تتمثل في قسم البدايات، ثم قسم الأبواب، ثم قسم المعاملات، ثم قسم الأخلاق، ثم قسم الأصول، ثم قسم الأودية، ثم قسم الأحوال، ثم قسم الولايات، ثم قسم الحقائق، ثم قسم النهايات، والأقسام الأربعة الأولى: البدايات والأبواب والمعاملات والأخلاق، مجالها النفس وهي تتعلق بترقية النفس وتزكيتها، وهي أقسام الرتبة الاولى (رتبة المريد)، والأقسام الثلاثة التالية: قسم الأصول وقسم الأودية وقسم الاحوال مجالها القلب، وتتعلق بمجاهدات القلب في السير إلى الله، وهي أقسام الرتبة الثانية (رتبة السالك)، والأقسام الثلاثة الأخيرة: قسم الولايات و قسم الحقائق و قسم النهايات، إنما هي من أبواب الاجتباء الرباني وجميعها يتعلق بالروح وصفاء الروح، وتأهله للدخول على حضرة الحق، وهي أقسام الرتبة الثالثة (رتبة الأولياء)، وجميع منازل السائرين المائة والتي تبدأ باليقظة وتختتم بالتوحيد، لا شك أن لها سر في ذلك الترتيب الدقيق، فهؤلاء هم أهل الله وهم أهل العلم اللدني الذي يستحيل أن يتعارض، لأنه يخرج من مشكاة واحدة، فمن فهم هذا الترتيب سهل عليه فهم العلم ومن لم يفهم ترتيب الأقسام والمنازل على تلك الصورة لن يستوعب هذا العلم ولو درسه مرات عديدة،

**[القسم الرابع]: قسم البدايات فيه عشرة منازل:** تبدأ باليقظة، ثم التوبة، ثم المحاسبة، ثم الإنابة، ثم التفكر، ثم التذكر، ثم الاعتصام، ثم الفرار، ثم الرياضة، ثم السماع، أول المنازل **(اليقظة)** وهي الاستعداد للسفر إلى الله، أول السير القيام، واليقظة هي القيام الذي يسبق السير، واليقظة هي القومة لله من الغفلة، وهي أول ما يستنير به قلب العبد للسير إلى الله، فمن طالع عظيم نعم الله تعالى عليه وعظيم تقصيره في حق الله، وأحس بأيامه تجري وعمره يتناقص وأنه قد اقترب وقت اللقاء، فإنه يشعر بالندم على ضياع العمر في غير طاعة الله والتقرب إلى مولاه، فإنه يتيقظ وتتنبه نفسه ويشمر ساعديه للسير إلى الله، فإذا تنبهت النفس وأفاقت، تيقظت، ومتى تيقظت تابت ودخلت إلى مقام **(التوبة)**، والتوبة يحتاج إليها كل عبد، قال الله عز وجل: {ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون}، فمن لم يتب مهما كان حاله كان من الظالمين، فمتى عرف العبد ذنبه وأيقن سوء أدبه وقلة حيائه مع الملك الجليل بعصيانه تاب إلى الله، وشرائط التوبة ثلاثة أشياء: الندم بالقلب، والاعتذار باللسان، والإقلاع عن الذنوب بجوارحه، ورد الحقوق لأصحابها، فإذا تابت النفس التوبة النصوح حاسبت نفسها على كل جليل وصغير، ودخلت إلى مقام **(المحاسبة)**، ونظرت إلى ما قدمت وما أخرت، وقاست بين عظيم النعم من المنعم الكريم وعظيم الجناية والجحود في حق المتفضل بالنعم سبحانه،

ساء ظنها بالنفس الامارة بالسوء، وعلمت ان التقصير في حق الله تعالى عظيم، فحاسبتها، فإذا حاسبتها حسابا دقيقا، قلت السيئات، وغلبت الحسنات، ودخلت إلى مقام **(الإنابة)**، والمنيب يرجع إلي الله تعالى إصلاحا لعمله وتفانيا في طاعته بعد أن اعتذر عن ذنبه في مقام التوبة، وإذا كان رجوع التائب إلى الله تعالى عهدا أن لا يعود إلى المعصية، فإن رجوع المنيب يكون وفاء لفضل الله تعالى عليه وأداء لنعم الله تعالى عليه، وإذا كان التائب يرجع إلى الله تعالى إجابة لقوله تعالى: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}، فإن المنيب يرجع إلى الله تعالى بصدق حاله مع الله {مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ}، فإذا أنابت النفس إلى بارئها وخالقها تداركتها رحمة الله، ودخلت إلى مقام **(التفكر)**، والتفكر هو عبادة الأولياء، والتفكر هو رؤية الآيات بالبصيرة، فإنها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلب التي في الصدور، والتفكر هو استعمال (البصيرة) في الوصول إلى الحق سبحانه، الكون كتاب مفتوح امتلا بالآيات، جعله الله تبارك وتعالى عبرة لمن تفكر يقف على بديع صنع الله الذي أتقن كلّ شيء، التفكر في الآيات الكونية والقرآنية يكشف عن عظمة الخالق في خلقه، وقد سئل الأعرابي البسيط عن الدليل على وجود الله، فقال: البعرة تدل على البعير، والروث على الحمير، وآثار الأقدام على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، أما تدل على الصانع الحليم العليم القدير؟ أن التفكر يورث الحكمة، ويحيي القلوب، ويغرس فيها الخوف والخشية من الله عز وجل، ولو تفكر الناس في عظمة الله حق التفكر ما عصوا الله عز وجل طرفة عين، ومن نتائج التفكر الاتعاظ والدخول إلى مقام **(التذكر)** ، وقد ورد الأمر بالتذكر في القرآن الكريم أكثر من أربعين مرة، وورد الأمر بالتفكر في أربعة عشرة آية، فهذا يدل على أن التذكر فوق التفكر، قال تعالى: {إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ}، وقال تعالى: {وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}، والتذكر هو الرجوع إلى الفطرة الأولى لتذكر الرب الخالق الرازق، وكل ما يريده العبد ويطلبه اهل السلوك ويسافر إليه اهل التزكية فإنما هو أقرب إليهم من ذواتهم ومن حبل الوريد، وهذا من أعظم نعم الله تعالى على العبد، أن رحلة المسير لا تتطلب من السالك سوى تزكية نفسه وتحلية قلبه وصفاء روحه وعندها يتذكر الميثاق الأول: {ألست بربكم قالوا بلى شهدنا}، إذن المطلوب موجود قريب بالغ القرب ولا يحتاج إلا إلى التذكر، {وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ}، فلا بد من اليقظة ثم التوبة ثم المحاسبة ثم الانابة ثم التفكر فيذوب الران وتنجلي الغشاوة فيتم التذكر، والتذكر الدائم لنعم الله يورث العبد التزام الطاعة وشكر النعمة، وهذا يؤهله للدخول إلى مقام **(الاعتصام)** بالله وبحوله وقوته، والاعتصام منزلة عالية، وقد أمر به القرآن الكريم

في مواضع عديدة من كتاب الله تعالى، منها قوله تعالى: {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا}، وللاعتصام مرتبتان: الأولى: الاعتصام بحبل الله ويكون بالمحافظة على طاعة الله مراقبا لأمره وسائرا على شرعه، والثانية وهي الأعلى: وهي الاعتصام بالله بالفناء عن السوى والأغيار، و (الاعتصام) يؤهل السائر للدخول إلى مقام **(الفرار)** والفرار: هو الفرار مما سوى الله تعالى إلى الله وحده، قال تعالى: {فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ}، إذن الفرار إلى الله تعالى منزل عظيم، وهو فرار من السوى إلى الله، ولكن لما كان أهل الطريق يعلمون أنه في الحقيقة ما من سوى، وانه لا موجود بحق سوى الله تعالى، وكل ما سواه فهو من تجليات جناب ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، كان فرارهم من الله إلى الله، كما قال تعالى: {وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ}، فروا من غضبه إلى رضاه، وفروا من معصيته إلى طاعته، وفروا من صفات جلاله إلى صفات إكرامه، وآنذاك ما أشد حاجة المريد إلى رياضة نفسه، فيدخل في مقام **(الرياضة)** لزيادة إرادته ومضاعفة قدرته على الطاعة والعبادة، و (الرياضة) تمرين النفس على قبول الصدق أي مع الله تعالى، فلا يريد بعمله إلا الله، و (الرياضة) تدريب على أن لا يعمل عملا ولا يتصرف تصرفا إلا إذا كان موافقا للشريعة، و (الرياضة) تصفية الأعمال بالإخلاص، عن النفاق والرياء والعجب، و (الرياضة) توفير حقوق الحق سبحانه بالعبودية والطاعة، وتوفير حقوق الخلق بحسن الخلق، و (الرياضة) بجمع القلب بالحضور مع الله، وجمع الهمه في السلوك إلى الله فلا يلتفت إلى ما سوى الله، و (الرياضة) بالاقبال على الله تعالى بالكلية، والاعراض عن كل ما سوى الله، فإذا تريض السالك تلطف سره وطهرت سريرته فيتأثر أشد التأثر بسماع الوعد والوعيد، وهذا يؤهله للدخول إلى مقام **(السماع)** فيسمع بالله لا بنفسه ويتأثر بزواجر الوعيد، وللسماع منزلة عظيمة، وقد قصر القرآن الاستجابة لأهل السماع، فقال تعالى: {إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ}، أي لا يستجيب لأمر الله إلا أهل استماع الحق استماع طاعة وتدبر وتفكر، وأهل الله لا يلتذون بشيء من السماع كما يلتذون بسماع كلام الله، ولذلك كان أعظم السماع عند أهل الله تعالى هو سماع كلام الله تعالى سماع تدبر وعظة، ولهذا قال تعالى: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}، وأهل الله: لا يسمعون إلا لله ولا يسمعون إلا بالله، فإذا أتم السالك منزل السماع، أتم البدايات بتمام منازل البدايات، فيرتقي إلى (قسم الأبواب)، حيث منازل الحزن، والخوف، والإشفاق، والخشوع، والإخبات، والزهد، والورع، والتبتل، والرجاء، والرغبة،

**[القسم الثاني]:** ترتيب الشيخ الانصاري الدقيق لمنازل القسم الثاني: [قسم الأبواب] و فيه عشرة منازل: تبدأ بمنزل الحزن، ثم الخوف، ثم الإشفاق، ثم الخشوع، ثم الإخبات، ثم الزهد، ثم الورع، ثم التبتل، ثم الرجاء، وآخرها الرغبة، فإنّ السالك إذا أتم قسم البدايات بمنازله العشرة (اليقظة، والتوبة، والمحاسبة، والإنابة، والتفكر، والتذكر، والاعتصام، والفرار، والرياضة، والسماع) ارتقت نفسه، وانفتحت عليها أبواب التزكية والسلوك والترقية، ودخل إلى قسم الأبواب، وأول منازل قسم الأبواب: **(الحزن)**، والحزن درجات منها: الحزن على التفريط في العبودية، والتقصير في حق الله تعالى وفي طاعته، وحزن على التورط في الجفاء، والوقوع في المعاصي والآثام والبعد عن الله وعن ذكر الله، وحزن على ضياع الأيام في غير طاعة الله، ومنها: الحزن على تعلق القلب بالدنيا وشواغلها والحزن على اللحظات التي تمر في غير ذكر الله وشهود فضله، وهذا (الحزن) يؤهله للدخول إلى مقام **(الخوف)** خوف المبتدئين، وهو الخوف من العقوبة، وخوف الخاصة، لا يخافون العقاب وإنما يخافون الاحتجاب، يخافون من تبدل الحال، يخافون المكر، قال تعالى: {فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ}، وأما خاصة الخاصة فلهم من الخوف هيبة الإجلال، لأنها متعلقة بتجليات أسمائه، وهي أعظم منازل الخوف، وهذه الهيبة تأتي لأهل المعرفة لتصونهم عن انخلاعهم من أدب العبودية، فإذا تملك الخوف السائر وضاقت عليه الارض بما رحبت، تأهل لمنزلة **(الإشفاق)** فتشفق نفسه عليه من سوء الخاتمة، و (الإشفاق) خوف مشوب برحمة ورقة، إشفاق من الوقوف بين يدي الله تعالى للحساب، وإشفاق على النفس أن تجمح إلى العناد، وأن تميل إلى الهوى والعناد، وإشفاق على العمل أن لا يقبل بسبب عدم الصدق فيه أو الصواب، وإشفاق على الوقت أن يشوبه تفرق إلى ما سوى الله، واشفاق على القلب أن يزاحمه أمر يعوقه عن الارتقاء في منازل السالكين، فإذا أتم السائر مقام الإشفاق تأهل لمقام **(الخشوع)**، تخشع جوارحه وظواهره في طاعة الرب الجليل، و (الخشوع) هو التذلل للأمر، وهو التعبد لله في غاية الخضوع، و هو الاستسلام للحكم مع اظهار غاية التسليم، وهو الاتضاع لنظر الحق، ليقينه في أن الله يراه ويسمع كلامه ويرى أفعاله ويعلم بسره ونجواه، وخشوع أهل الطريق هو سكون هيبة وإجلال لعظمة الحق، ومحبة لجميل منته، ورغبة في رضاه ورهبة من نقمته وغضبه، فإذا أتم السائر مقام الخشوع تأهل لمقام **(الإخبات)** فيخبت القلب لبارئه تمام الاخبات، والاخبات هو الخشوع مع السكون إلى الله مع شدة اللجوء إليه والشوق إلى رؤياه، وفي منزل الاخبات، تستغرق العصمة الشهوة، وتستدرك الإدارة الغفلة، ويغلب طلب الحق والانس به والشوق إليه السلوى عنه والانشغال عنه، فلا يعاني صاحب الاخبات لا من

شهوة ولا من غفلة ولا من سلوى، لان الاخبات احرق ذلك كله، فلا تقطع الطريق عليه فتنة، والسائر بوصوله إلى منزل الاخبات يكون قد أمن من التردد في السير، وقد امن من الرجوع في نية السفر، وقد سلك من الطريق ما يمنعه من العودة، وبالتالي فهو في مأمن من النظر إلى الدنيا وإلى شهوات النفس وملذاتها وقد قطع من طريق سفر النفس نحو كمالها اكثره، وقد بدأ يشعر بالأنس في مناجاة الله تعالى وذكره بما يمنعه من مجرد التفكير في إلغاء الرحلة المباركة إلى الله، فإذا بلغ ذلك تأهل لمنزلة **(الزهد)** فيزهد في الفاني ويرجو الباقي، والزهد اسقاط الرغبة بالكلية عن الدنيا مع عدم الميل إليها، او التشوق إلي ملذاتها، وهو للعامة قربة، وهو للمريد ضرورة لأنه لو لم يزهد في الدنيا لم يستطع الترقي في المنازل، فأول شروط الترقي في المنازل الزهد في الدنيا، والمريد إنما سمي مريدا لجمعه الإرادة والهمة على إرادة الله وترك الدنيا وعلى السير والترقي في المنازل إلى الله فلو لم يزهد لما صح أن يُقال عنه انه مريد، والزهد خسة للخاصة، لانهم اهل عرفان، عرفوا حقيقة الدنيا، فهم لا يرون الدنيا تستحق أصلا ان يُزهد فيها لأنها دار الغرور، فهم يزهدون في الزهد فيها، فإذا بلغ السائر ذلك الزهد: تأهل لمنزلة **(الورع)** فيبتعد عن الشبهات وينقطع عن الشهوات ابتغاء مرضات رب البريات، والورع معناه غاية الحذر في التوقي من الشبهات مخافة الوقوع في الحرام، ومعناه تضييق على النفس في ترك التوسع في المباح مخافة الوقوع فيما حرمه الله، ومعناه ترك ما لا باس به اتقاء الوقوع فيما به البأس، وترك بعض الحلال لأجل البعد عن الشبهات، ومعناه ترك الفضول وما زاد على حاجة الانسان الضرورية، من اجل اغتنام الأوقات في السير إلى الله، ومعناه التورع عن كل شاغل يضيع الوقت ومعناه: التورع عن التعلق بما سوى الله من امور الدنيا والنفس والخلق، فإذا بلغ السائر تلك المعاني من الورع تأهل لمنزل **(التبتل)** إلى الله والانقطاع لطاعته والحرص على مرضاته، التبتل هو التجرد عن كل ما سوى الله إلى الله، والمتبتل إلى الله هو الذي جرد نفسه عن كل ما سوى الله، فمن انقطع عن الدنيا لأجل الآخرة فقد تبتل ولكن للآخرة، ومن انقطع عن السوى لأجل الله فقد تبتل إلى الله، قال تعالى (وتبتل إليه تبتيلا)، أي إلى الله، فالعبد الصادق في تبتله، يعمل بمقتضى عبوديته لله، يتبتل إلى الله تعالى لأنه سبحانه المستحق للعبودية لجناب ذاته، والمتبتل إلى الله منقطع عن حظوظ النفس فلا يخاف إلا الله، ولا يرجو إلا الله، والمتبتل إلى الله يجانب الهوى ويرفض الأهواء ولا يانس غلا إلى الله، والمتبتل إلى الله لا يشغله شاغل عن قصد الوصول إلى الله تعالى، فإذا بلغ المتبتل إلى الله تلك المعاني أكرمه الله تعالى بمقام **(الرجاء)** فلا يرجو إلا الله، ولا يرجو إلا لقاء الحق عز وجل، وهذا

الرجاء ينغص للعيش الدنيوي، ويزهد في الخلق، فإذا صفت روحه عن التعلق بغير الله، أكرمه الله تعالى بمقام **(الرغبة)** فلا يرغب إلا إلى الله، والرغبة أعلى من الرجاء، لأن الرجاء طمع يحتاج إلى تحقيق والرغبة سلوك على تحقيق، وهذه الرغبة تبعث على الاجتهاد، وهذه الرغبة تصون السالك من وهن الفترة وتمنع صاحبها من تتبع الرخص، وهذه الرغبة تجعل صاحبها من أهل العزائم الذين لا يبالون في الله أي شيء، ولا ينظرون إلى مخلوق، بل همهم وقصدهم هو الله، ولو مشى أحدهم على الجمر، وهذه الرغبة الصادقة لا تبقى من المجهود إلا مبذولا ولا تدع للهمة ذبولا ولا تترك غير المقصود مأمولا، فهي لا تلوى على شيء ولا تلتفت إلى السوى، ومرادها في سيرها هو الحق تعالى ولا شيء سواه، فإذا أتم السالك منازل الابواب العشرة: (الحزن، والخوف، والإشفاق، والخشوع، والإخبات، والزهد، والورع، والتبتل، والرجاء، والرغبة) انتقل إلى القسم الثالث من أقسام منازل السائرين، ألا وهو قسم المعاملات مع الحق تبارك وتعالى، وهو عشرة منازل أيضا وهي: الرعاية، والمراقبة، والحرمة، والإخلاص، والتهذيب، والاستقامة، والتوكل، والتفويض، والثقة، والتسليم،

**[القسم الثالث]**: ترتيب الشيخ الانصاري الدقيق لمنازل القسم الثالث: قسم المعاملات فيه عشرة منازل: تبدأ بمنزل الرعاية، ثم المراقبة، ثم الحرمة، ثم الإخلاص، ثم التهذيب، ثم الاستقامة، ثم التوكل، ثم التفويض، ثم الثقة، وأعلاها التسليم، فأول ما يبتدئ من منازل المعاملات هو منزل: **(الرعاية)**، رعاية الأعمال والأقوال والأوقات، الرعاية تشمل صيانة وحفظ وعناية الأعمال، وصيانة وحفظ وعناية الأحوال، وصيانة وحفظ وعناية الأوقات، رعاية الأعمال: تكون بتكثيرها وتحقيرها بالنظر إليها على أنها لا تليق بحضرة الحق سبحانه، وان الله تعالى غني عنها، وأنها معلولة، بالرياء والنفاق والنقص، فلابد من الوجل من عدم قبولها، ورعاية الأحوال أن يتهم نفسه فيها حتى تنكسر نفسه فلا يصيبها عجب ولا رياء، ورعاية الأوقات تكون بوقوفه كل وقت مع خطواته يصححها ولا يتجاوز كل خطوة إلا وقد استوفى حقها، ويرى أن ما هو فيه إنما هو من سابق عناية الله تعالى له، فلا فضل له فيه، وإنما الفضل فيه والتوفيق فيه إنما هو لله، ولا يتم له منزل الرعاية حتى يذهب عن شهود صفائه، فيغيب بالله تعالى عن شهود صفائه، فيكون له الفناء الكلي في الله فلا يرى لنفسه عمل ولا منزل ولا صفاء ولا كدر، ذاهب بالله عن نفسه، وتلك هي الدرجة العالية من الرعاية، تؤهل السالك إلى مقام **(المراقبة)** مراقبة الحق سبحانه في السير إليه، والمراقبة علم

العبد باطلاع الرب سبحانه عليه، والمراقبة هي دوام ملاحظة الله تعالى على الدوام، مراقبة متواصلة لا تنقطع، بين تعظيم لله يتلاشى معه وجود الخلائق، واحساس بالقرب يحمل على التفاني في الطاعة والبعد عن المعصية، وسرور بالقرب من الله يبعث على السير الحثيث إلى الله وإلى ترقي المنازل نحو الله بلا فتور ولا وهن ولا تراخي، ومراقبة نظر الحق فلا تفعل إلا ما يرضيه، ولا يلقاك إلا في مواضع محبته، ولا يفتقدك إلا في مواضع غضبه وعقابه، فينشأ عن تلك المراقبة مقام **(الحرمة)** بتعظيم الحرمات: و الحرمة هي مراعاة الشرع بفعل الأوامر وترك النواهي، وأداء حق العبودية لا يرى لنفسه في عبادته فضلا، والحرمة أن يراعي الأدب ولا يخرج عن اطار العبودية، ويعظم حرمات الله، فينشأ عن تعظيم الحرمات تحقق **(الإخلاص)**، والإخلاص تصفية العمل من كل شائبة رياء أو آفة تُخل بالعمل كالعجب به أو التزين به، فلا يكون العمل إلا لله، ولا يعتد بعمله، ولا يرى عمله من كسب نفسه بل توفيق من الله، فلا يستحسن عمله، ولا يقف معه، ولا يطلب عليه اجرا، بل يبرأ إلى الله منه ومن تقصيره فيه، ويستغفر الله من القصور فيه لأنه لا يليق بالجليل سبحانه، بل ويشعر بالخجل من العمل مع بذل أقصى المجهود فيه، فإذا تم الاخلاص وتحقق، يتوجه السالك إلى مقام **(التهذيب)**، ويكون ذلك بمخالفة العادات إلى العبادات ونسيان حظوظ النفس في تلك العبادات، والتهذيب: هو تحسين الأدب والخلق والعمل، به تطهر العبودية من الخلل والنقص، وبه تتخلص النفس من دنس الطبائع ولوث التعلق بغير الله، وبه تتأهل النفس للسير إلى الله تعالى بلا علائق وهو بمثابة الكير الذي ينقي خبث النفس، فلا بد من التهذيب، فلا يكون العمل إلا خالصا لله، فإذا تم (التهذيب) تأهل السالك إلى منزل **(الاستقامة)** في السير إلى الله، والاستقامة هي سلوك الصراط المستقيم، من غير ميل عنه يمنة ولا يسرة، والاستقامة تشمل كذلك فعل الطاعات كلها، الظاهرة والباطنة، وترك المنهيات كلها، الظاهرة والباطنة، مع الاستمرار على ذلك، والاستقامة: هي السير إلى الله بلا أدنى انحراف، ولا تكون الاستقامة إلا بطلب الله وحده، فلا يطلب السالك دنيا ولا آخرة، بل يطلب القرب من الله، ويسلك إلى الله ويتوجه بقلبه إلى الله ولا يشغله شيء عن الله، ولا تتم الاستقامة إلا بترك رؤية الاستقامة نفسها، فإن استقام المرء حق الاستقامة تأهل لمنزلة **(التوكل)** على الله، وعلامة المتوكل: أن لا يسأل أحدا ولا يحبس خيرا، وأن يكون العبد بين يدي الله عزَّ وجل كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف شاء لا يكون له أدنى اعتراض، والتوكل : كِلَهُ الأمر كله إلى مالكه والتعويل على وكالته، ومن توكل على الله حق توكله تأهل لمنزلة **(التفويض)** بتفويض الأمر إلى الله، العبد يبدا بالتوكل على الله تعالى في كل أمر من

أموره، ومع زيادة التوكل وتحققه، يصل العبد إلى التفويض الكامل لله، فيترك أمره كله لله تعالى طالبا منه أن يتولاه هو بعنايته وتدبيره لأمره كله، والتفويض عين الاستسلام، وهو عين الاستسلام والانقياد لله بالكلية واسلام الوجه له والبراءة من الحول والقوة إلى الله، ومن فوض أمره كله لله تأهل لمنزلة **(الثقة بالله)** وبكفايته وعنايته ورعايته، والثقة بالله، أن لا تطلب غير ما حكم الله، ولا تريد إلا ما أراد الله، ولا تعترض على قضاء الله، والثقة بالله أن تفنى إرادتك في إرادة الحق فلا تريد إلا ما أراده الحق، فيستوي عندك الرخاء والبلاء، والثقة بالله ثقة بحكم الله، وأن ما قدره الله سيكون لا محالة، وأن ما قسم له لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه رفعت الأقلام وجفت الصحف، فإذا تمكنت الثقة بالله من قلب السالك تأهل لمنزلة **(التسليم)** لله ولأمر الله ولقضاء الله، والتسليم يعني تسليم الأمور إلى صاحبها دون أدنى اعتراض ظاهرا ولا باطنا، لقوله تعالى: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ}، وقوله تعالى: {قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ}، وقوله تعالى: {وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}، والتسليم: تسليم أمور الغيب كلها إلى الله، والتسليم لحكمة الله تعالى في ذلك دون أدنى اعتراض، ولابد من الاذعان لما يقضي به الملك الديان، ومنزلة التسليم هي آخر منازل المعاملات، وبعدها ينتقل السالك إلى القسم الرابع قسم الأخلاق، و قسم الأخلاق هو القسم الرابع والاخير في سفر النفس إلى الله، بعد أقسام البدايات والأبواب والمعاملات، والأخلاق مواريث المعاملات، لأن الأخلاق ملكات في النفس تصدر منها الأفعال، فإذا تكررت المعاملات القلبية مع الله، من الرعاية، والمراقبة، والحرمة، والإخلاص، والتهذيب، والاستقامة، والتوكل، والتفويض، والثقة، والتسليم، أورثت عظيم الأخلاق، وقسم الأخلاق: عشرة منازل عالية، وعشرة أخلاق عظيمة، تبدأ بالصبر وتنتهي بالانبساط، وهي: الصبر، والرضا، والشكر، والحياء، والصدق، والإيثار، والخلق، والتواضع، والفتوة، والانبساط،

**[القسم الرابع]**: ترتيب الشيخ الانصاري الدقيق لمنازل القسم الرابع: [قسم الأخلاق]: فإذا تكررت المعاملات القلبية مع الله، من الرعاية، والمراقبة، والحرمة، والإخلاص، والتهذيب، والاستقامة، والتوكل، والتفويض، والثقة، والتسليم، أورثت عظيم الأخلاق، وقسم الأخلاق: عشرة منازل عالية، وعشرة أخلاق عظيمة، تبدأ بالصبر وتنتهي بالانبساط، وهي: الصبر، والرضا، والشكر، والحياء، والصدق، والإيثار، والخلق، والتواضع، والفتوة، والانبساط، فأول ما يبتدئ من منازل الأخلاق: **(الصبر)** فيصبر على الطاعات ويصبر عن المعاصي والسيئات، ويصبر على المكاره والابتلاءات،

و (الصبر) من أعظم الأخلاق حتى زادت مواضع ذكره في القرآن الكريم عن مائة موضع، لان أكثر الأخلاق ترجع إليه، وتصدر عنه، والصبر هو حبس النفس عن إظهار الجزع، وعدم الشكوى إلى غير الله، والصبر منه: الصبر عن المعصية، بالابتعاد عنها حياء من الله وتعظيما لأمر الله، ومنه: الصبر على الطاعة بالمحافظة عليها في أوقاتها وتحقيق الإخلاص فيها، ورؤيتها من الله، ومنه: الصبر على البلاء، ومتى تحقق العبد بمنزل الصبر ارتقى إلى منزل (الرضا) فيرضى بالله وبقضاء الله ويرضى عن الله، والرضا: سرور القلب بُمرِّ القضاء، ولهذا كان الرضا أعلى وأجل من الصبر، والرضا أساس الدين، فلا يسلم العبد حتى يرضى بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد . صلى الله عليه وسلم . نبياً، والرضا منزل للوقوف الصادق مع الله ومع مراد الله، وحقيقة الرضا فناء الإرادة، وهي أول ما يفنى في طريق أهل الفناء، والرضا درجات: أولها: الرضا بالله ربا وبدينه دينا وبنبيه نبيا ورسولا، ثم: الرضا عن قضاء الله وقدره وتدبيره، وأعلاها: فناء الإرادة في إرادة الله والرضا برضا الله فلا يرى العبد لنفسه سخطا ولا رضى، فكل ما يختاره الله تعالى له فهو حسن عنده، فلا يختار إلا ما يختاره الله،ولا يتم منزل الرضا إلا: باستواء الحالات عند العبد، فلا يفرح بحصول مرغوب ولا يحزن بفواته، ويتساوى عنده النعمة والبلاء، وأن يسقط الخصومة مع الخلق، فلا يخاصم أحدا لشيء من أمور الدنيا، ولا يسأل أحدا شيئا شيئا من امورها، ومتى تحقق العبد بمنزل الرضا ارتقى إلى منزل (الشكر) فيشكر الله في السراء والضراء، ويرى البلاء نعمة من الله تستحق الشكر والوفاء، والشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح، وشكر بالقلب أن يشهد بقلبه نسبة النعمة للمنعم سبحانه {وما بكم من نعمة فمن الله}، وأما باللسان: فهو إظهار الشكر لله بالتحميد {وأما بنعمة ربك فحدث}، وأما بالجوارح: فهو استعمال نعم الله عز وجل في طاعته، ولا يتم منزل الشكر إلا بان يرى نفسه ليس أهلا للنعم، ولا يتم منزل الشكر أيضا إلا بالشكر في المكاره كما يكون في المحاب، وإظهار الفرح والسرور على الشدائد والمكاره، ولذا كان الشكر أعلى من الرضا، لأن الرضا رضا بمر القضاء، والشكر فرح بمر القضاء، ومتى تحقق العبد بمنزل الشكر ارتقى إلى منزل (الحياء)، فيستحي أن يسأل ربه غير ما هو فيه وهذا حق الحياء، والحَيَاء خُلُق يبعث صاحبه على اجتناب القبيح، ويمنع مِن التقصير في حقِّ كل ذي الحقِّ، والحياء ينشأ عند السالك من علمه الدائم بأن الله تعالى يراه في كل أحواله، فينشأ من هذا العلم الحياء من الله، والحياء يتولد من أمرين هما التعظيم والمحبة، فمن عظم الله وأحبه فقد بدأ السير في منزل الحياء، والحياء يدفع إلى تحمل المجاهدة في الله، ويدعو إلى ركوب المحبة في السير إلى الله، وأعظم الحياء هو

الحياء الذي يتولد من الدخول على حضرة الملك سبحانه وشهود تجلياته، ومتى تحقق العبد بمنزل الحياء ارتقى إلى منزل **(الصدق)**، والصدق : استواء السر والعلانية، والصادق : من صدق في أقواله وأفعاله وأحواله، وأول الصدق: صدق النية، واعلاه أن يوقن أنه ليس لنفسه في ادعاء صدقه نصيب، قال تعالى {والذين يؤتون ما آتو وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون}، ومتى تحقق العبد بهذا الصدق مع الله ارتقى إلى منزل **(الإيثار)** يؤثر الحق على الخلق، ويؤثر الخلق على نفسه، ويؤثر ما يؤثره الله تعالى، فهو مع الله، يؤثر إيثار الله تعالى في التدبير والتصريف، ومتى تحقق العبد بمنزل الإيثار ارتقى إلى منزل **(الخلق)**، الخلق العظيم مع خلق الله ومع الناس، وحَقِيقَةُ حُسْنِ الْخُلُقِ مع الخالق أن تعلم أن كل ما يأتي منك يوجب عذرا وكل ما يأتي من الحق يوجب شكرا وأن لا ترى له من الوفاء بدا، قال تعالى: {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ}، وقال تعالى: {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ}، وقال تعالى: {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ}، وحَقِيقَةُ حُسْنِ الْخُلُقِ مع الخلق: بذل المعروف للخلق، وكف الأذى عن الخلق، واحتمال الأذى من الخلق، وطلاقة الوجه لهم والبشر عند مقابلتهم، ومتى تحقق العبد بمنزل الخلق مع الخالق ومع الخلق: ارتقى إلى منزل **(التواضع)**، والتواضع هو أن يتضع العبد لأنه عبد لصولة الحق لأنه الرب، فيتضع العبد لحكم ربه وإرادته ومشيئته فلا يقابل الربوبية إلا بذل العبودية، فهذا هو التواضع للحق، والتواضع للمسلمين، كما قال تعالى: {أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ}، وكما قال تعالى: {أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ}، فيتواضع للمسلمين ببذل المعروف وحمل الاذى، ومتى تحقق العبد بمنزل التواضع ارتقى إلى منزل **(الفتوة)** فلا يشهد لنفسه فضلا، بل يكون شاهدا لربه على تقصير نفسه، ولا يرى له على أحد حقا، فيترك الخصومة ويتغافل عن الزلة وينسى الأذية، ويقرب من يقصيه ويكرم من يؤذيه ولا يحوج أحدا معه إلى شفاعة ولا اعتذار، و الفتوة: الصفح عن عثرات الإخوان، والفتوة: كفّ الأذى وبذل الندى، وخلاصة الفتوة محو أنانية النفس ورعوناتها، فلا تشهد لك على أحد فضلا، ولا ترى لك حقا على أحد، بل ترى الحقوق واجبة عليك إلى الجميع، وهي على ثلاث درجات: أولها: ترك الخصومة والتغافل عن الزلة ونسيان الأذية، فينسى أذية كل من آذاه، لأنه مشغول بصفاء نفسه ووقته مع الله، والدرجة الثانية من الفتوة: أن تقرب من يقصيك وتكرم من يؤذيك وتعتذر إلى من يجنى عليك سماحا، والدرجة الثالثة من الفتوة: أن لا يلتفت إلى سوى الله، لا إلى نفسه ولا إلى الخلق، ومتى تحقق العبد بمنزل الفتوة ارتقى إلى منزل **(الانبساط)**، فينبسط مع الخالق بالحب والقرب والود، وينبسط مع الخلق بكمال الخلق،

فلا يعتزلهم ضنا على نفسه، ولا يترك صحبتهم حفاظا على منزلته وقدره، وأن يواسيهم بما زاد عنده عن حاجته ويوسع عليهم مما في يده ولا يمنعهم شيئا مما أعطاه الله، وأن يسعهم بخلقه، فيحتمل سيء أخلاقهم وسوء عشرتهم، ويدفع لهم بالتي هي أحسن، ومنزل (الانبساط) هو آخر منازل الأخلاق، وبه تنتهي مراحل النفس وتبدأ مجاهدات القلب،

**[القسم الخامس]**: ترتيب الشيخ الانصاري الدقيق لمنازل القسم الخامس: [قسم الأصول]: فمع قسم الأصول تبدأ مرحلة جديدة من السير تتعلق بالخاصة، وهي (الرتبة الثانية) هي رتبة الغربة، ولها ثلاثون منزلا على ثلاثة أقسام، هي: قسم الأصول ثم قسم الأودية، ثم قسم الأحوال، (الرتبة الأولى) من منازل السائرين هي (رتبة تزكية النفس): وهي رتبة القصد إلى السير، وتتعلق بالمبتدئ في السير، ولها أربعون منزلا على أربعة أقسام هي: قسم البدايات، ثم قسم الأبواب، ثم قسم المعاملات، ثم قسم الأخلاق، فإن: (الرتبة الثانية) هي رتبة الغربة، ولها ثلاثون منزلا على ثلاثة أقسام، هي: قسم الأصول ثم قسم الأودية، ثم قسم الأحوال، وهي (رتبة القلب)، فإن المقام الأساسي المفترض للإنسان هو القلب، قال تعالى: {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}، فعلق النجاة على القلب السليم من الآفات، وقسم الأصول فيه عشرة منازل: تبدأ بمنزل القصد، ثم العزم، ثم الإرادة، ثم الأدب، ثم اليقين، ثم الأنس، ثم الذكر، ثم الفقر، ثم الغنى، ثم الاجتباء، إنّ أول ما يتعلق بالقلب من أقسام السلوك، هو قسم الأصول، وسمي هذا القسم أصولا لان منازله هي مباني السلوك وأساس السير واركان الإرادة عند المريد، وهي مفاوز للقلب يقطعها السالك من أجل الانتقال إلى الرتبة الثالثة، وتبدأ منازل هذا القسم بمنزلة **(القصد)**: وهو عقد النية على التجرد للطاعة، وصدق القصد يبعث على الترقي في المنازل، ويخلص من التردد ويدعو إلى مجانبة الأغراض، فلا يطلب السائر لقصده عوضا ولا غرضا، ولا حظا من حظوظ الدنيا ولا من الآخرة، السائر يجرد قصده لله، قصد لا يلتقي سببا إلا قطعه، ولا يدع حائلا إلا منعه، ولا تحاملا إلا سهله، لا يهدا القصد دون اقتحام في بحر الفناء، فإذا صدق القصد، ترقى السالك إلى مقام **(العزم)**، العزم على طاعة الله، وإماتة الهوى في الله، والاستغراق في اتمام السير إلى الله، والعزم هو الجد والثبات على الامر، والعزم يميت الهوى، ويديم نور الانس، وينير الطريق بأنوار التجليات، والعزم يجمع جميع الهموم في هم واحد، وهو الدخول على حضرة الحق، فإذا صدق العزم، ترقى السالك إلى مقام **(الإرادة)**، وهي تعلق القلب بالله طلبا لقربه، ويكون ذلك بخلع كل شاغل عن الطريق،

والارادة: ترك الغفلة وترك الشهوة والانسلاخ عن العادات مع أداء الواجبات والمستحبات والكف عن المحرمات والمكروهات، والارادة صدق القصد إلى الحق سبحانه، منزها عن الأغراض والأعواض فلا يطلب لقصده دنيا ولا آخرة، ولا يطلب إلا رضا الله، والإرادة بعد عن كل ما يشغل عن السير في الطريق إلى الله، والإرادة جمع الهمة على السير إلى الله وحده، فإذا صدقت الإرادة مع ملازمة الرعاية للأقوال والاعمال والأحوال، ترقى السالك إلى مقام **(الادب)**، وللأدب عند أهل الطريق شأن كبير في سيرهم وسلوكهم إلى الله، الأدب مع الله والادب مع الخلق، الأدب مع الله بتحقق تذلل العبودية أمام عزة الربوبية، والتسليم أمام كمال المشيئة، وأن يعلم أن مقام العبد دائما هو التقصير، فما أصابه من خير أو حسنة أو طاعة فمن الله وما أصابه من مصيبة فمن نفسه، وأدبه مع إخوانه: أن يعتقد أنهم خير منه لأنهم سبقوه في طاعة الله، وهو سبقهم إلى معصية الله، فيعتقد الإحسان في إخوانه والنقص في نفسه، و(الأدب) شرط أساسي في كل ركن من أركان الطريق إلى الله، وسوء الأدب يفسد السلوك كله، ولذلك قالوا: (لا سير بلا أدب)، وقالوا: (التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف)، وقالوا: (بالأدب تطوى المسافات)، وقالوا: (من لزم آداب الأوقات، بلغ مبلغ الرجال)، وقالوا: العبد يصل بطاعته إلى الجنة وبأدبه في طاعته إلى الله، فإذا صدق الادب، ترقى السالك إلى مقام **(اليقين)**، واليقين غاية درجات المبتدئين، وهو أول خطوة من خطوات الخاصة، حتى قال بعض العارفين: أنه الحد الفاصل بين العامة والخاصة، و (اليقين) مراتب: علم اليقين، وهو ما يعلمه الإنسان عن طريق السمع والخبر، وعين اليقين وهو ما يعلمه الإنسان ويوقن به عن طريق المشاهدة والنظر، وهو أقوى من اليقين الاول لأنّه ليس الخبر كالعيان وحق اليقين، وهو أعلى درجات اليقين لأنّه لا يقتصر على الرؤية والمشاهدة، وإنّما يتعداها إلى المعاينة والمعايشة الدائمة المستمرة، فإذا صدق اليقين، ترقى السالك إلى مقام **(الانس)** وهو أول منازل الخاصة بعد اليقين، وهو الانس بالله، واستحلاء ذكر الله، وقرة العين بالعبادة، و (الأنس) هو الألفة وهو المحبة، و هو ثمرة الطاعة، وهو الشعور بشدة القرب من الله، فمن انس بالله، فإن الله تعالى مؤنسه، ومن علامات الانس: أن لا يفتر القلب عن ذكر الله، ولا يسأم من عبادته، ويشتاق إلى لقائه، فإذا صدق الأنس، ترقى السالك إلى مقام **(الذكر)**، وفي هذا المنزل يتخلص السالك من الغفلة والنسيان والفتور، ويبقى مع الذكر بقلبه ولسانه، فلا يلتفت قلبه إلى سوى الله، ولا يفتر لسانه عن ذكر الله، فإذا صدق الذكر، ترقى السالك إلى مقام **(الفقر)**، الفقر إلى الله، وأوله نفض اليدين من الدنيا، ثم صدق الاضطرار إلى الله، وذهول القلب عما سواه وعدم التفاته

إلا إلى الله، فالعبد عبد لا يملك شيئا وإنما هو وما يملك ملك لسيده، وبالتالي فإن الإنسان فقير إلى الله لأنه عبد الله، فهو وما يملك ملك لله، والفقير حقا من يرى ذلك، فهو لا يرى الملك إلا لله، فمن ادعى ملك شيء لا يصح له ادعاء منزلة الفقر، وقد اتفق أهل الطريق على أن من لم يبلغ منزلة الفقر فليس من أهل الطريق المقتدى بهم في هذا الشأن، ومن هذا القبيل كانوا يسمون اهل الطريق (الفقراء) لأن من لم يتحقق بالفقر (الافتقار إلى الله) فلا يكون من أهل الطريق المقتدى بهم في هذا الشأن، فإذا صدق الفقر، ترقى السالك إلى مقام **(الغنى بالله)** غنى القلب بالله عما سواه، غنى القلب بالله عن كل سبب، و(غنى النفس) عن كافة حظوظها، و (وغنى العارف بالحق)، ومن كان غنيا بالله، فهو الغني حقا لأنه غني بالغني المطلق سبحانه، فإذا تحقق الفقر إلى الله والغنى بالله عما سواه، تحقق الاجتباء من المولى الغني الكريم، وترقى السالك إلى مقامات المريد إلى مقام **(المراد)**، والمراد هو المجتبى في قوله تعالى: {اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ}، وفي هذا المنزل يضع الله تعالى عن العبد عوار النقص ويستخلصه لرضاه، ويصطنعه لنفسه، فالمريد عند أهل الطريق هو المبتدىء، وهو المجتهد المنيب، والمراد: هو المنتهي، وهو المجتبى المختار، كما في قوله تعالى: {اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ}، فالمريد متعنٍ مجتهد، والمراد: مراد، تتولاه رعاية الحق سبحانه، المريد يسير والمراد يطير، وأكثر أهل الطريق على أن المريد يرتقي في المنازل باجتهاده إلى أن يصير مرادا، كأنه كان محبا، فصار محبوبا، فكل مريد صادق نهاية أمره أن يكون مرادا، وهذا من رحمة الله بالأولياء وأهل الطريق، وبهذا المنزل تنتهي الأصول ومباني السلوك وأسس السير في الطريق، ويبدأ قسم الاودية، وهو القسم السادس من أقسام السلوك،

**[القسم السادس]**: ترتيب الشيخ الانصاري الدقيق لمنازل القسم السادس: [قسم الأودية]: أقسام المنازل عشرة، الأقسام الأربعة الأولى (من قسم البدايات وإلى قسم الأخلاق) تتعلق بترقية النفس، وهي أقسام المريدين المبتدئين في السير، ثم الأقسام الثلاثة التالية (قسم الأصول، ثم قسم الأودية، ثم قسم الأحوال)، وهي أقسام السائرين أهل الخصوص، وهي تتعلق بمجاهدات القلب نحو الكمال الإنساني، ثم الأقسام الثلاثة الأخيرة التي تتعلق بالروح النوراني العلوي (قسم الولايات، ثم قسم الحقائق، ثم قسم النهايات) وهي أقسام الأولياء العارفين أهل خاصة الخاصة المقربين، أهل الدخول على حضرة الحق حيث المشاهدات والمعاينات وعظيم التجليات، وهذا القسم السادس الذي نحن

بصدد البدء فيه: (قسم الأودية) يتناول عشرة منازل: تبدأ بمنزل الإحسان، ثم العلم، ثم الحكمة، ثم البصيرة، ثم الفراسة، ثم التعظيم، ثم الإلهام، ثم السكينة، ثم الطمأنينة، وتنتهي بمنزل الهمة، وقد سميت منازل هذا القسم (أودية) لان معظم السير والسلوك إنما هو فيها، وهي كالأودية قد يكون فيها المهالك والمخاوف وقد يقع فيها الزلل لأن للسعي فيها قوة وللعقل فيها مدخل وللشيطان فيها مكائد، ولولا التأييد الإلهي والهداية الربانية لضل في تلك الأودية أكثر السالكين، ولكن الله تعالى برحمته يهدي لنوره من يشاء، وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ، وأول منازل الأودية: منزل **(الإحسان)** ، بكل معاني الاحسان، الإحسان في النية، بأن تكون النية جازمة لله وحده ليس لشيء سواه، صافية من شوب الرياء والنفاق والأغراض والاعواض فلا يطلب لعمله أجرا سوى الله، والإحسان في الأحوال، فيراها من الله منة وفضلا، ويحفظها عن النشر غيرة عليها ويسترها عن أعين الناس ويجتهد في تصحيحها وتمحيصها، والإحسان في الوقت فيجعله كله لله، ويجعل هجرته إلى الله تعالى بلا انقطاع، لا منتهى ولا غاية، فمن طلب منزل الإحسان بصدق بلغه الله تعالى هذا المنزل لأنه سبحانه قال {هل جزاء الاحسان إلا الاحسان}، فإذا أكرم الله السالك رقاه إلى منزل **(العلم اللدني)**: علم خفي ينبت في الأسرار الطاهرة، ويظهر في الأنفاس الصادقة لأهل الهمة العالية، واول العلم: علم جلي مستمد من أدلة الشرع (الكتاب والسنة)، وثمرته علم خفي ينبت القلوب الطاهرة، يدل على احوال صادقة ومنازل عالية، وثمرته علم رباني من علم الله، يتجلى به الله تعالى على أوليائه، فإذا أكرم الله السالك رقاه من منزل العلم إلى منزل **(الحكمة)**، ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا، قال تعالى: {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ}، وأول الحكمة: أن تعطي كل شيء حقه ولا تعديه حده ولا تعجله وقته، ثم أن تشهد نظر الله في وعيده وأن تعرف عدله في حكمه فكل ما حكم به الله تعالى عدل محض لا ظلم فيه، وأن تلحظ بره في منعه، فإنه سبحانه ما منع شيئا إلا لعلة وشر وفساد، ثم أن تبلغ في استدلالك البصيرة، وأن تبلغ في إرشادك الحقيقة، وأن تبلغ في إشاراتك الغاية، فإذا أكرم الله السالك رقاه من منزل الحكمة إلى منزل **(البصيرة):** والبصيرة هي اكتحال عين القلب بنور الهداية، وأول البصيرة: أن تعلم أن الشرع صادر عن الحق فتتبعه وتغار عليه ان ينتهك، ثم أن تعلم ان القضاء والقدر صادر عن الحق، فلا ظلم فيه، يهدي من يشاء بمحض فضله، ويضل من يشاء بمحض عدله، هو أعلم بمن يستحق الضلال، وهو أعلم بمن اهتدي، ثم بصيرة أهل العرفان التي تفجر المعرفة وتثبت الإشارة لأن الحقائق ألطف من أن تُعرف، وتنبت الفراسة في القلب من غير استدلال

بشاهد ولا احتياج لتجربة، فإذا اكرم الله تعالى السالك رقاه من منزل البصيرة إلى منزل **(الفراسة)** : فمن طهر نفسه وخالف هواه والشيطان وزهد في الدنيا وأكل المال الحلال وحرص على طاعة الله، وترك فضول الدنيا لعادت فراسته إلى صدقها وصفائها ولنظر إلى الأمور بنور الله، فلا تكاد تخطئ له فراسة، وهذا معنى حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله)، يعني: بنور خصه به الحق سبحانه، فراسة ربانية صافية تضيء بنور الله، وترى بتوفيق الله، وتورث صاحبها التعظيم لأمر الله، ولهذا كان المنزل التالي في الترقي هو منزل: **(التعظيم)** لله ولشرع الله ولحكم الله، تعظيم المريدين: (تعظيم شرع الله) بالطاعة والانقياد فلا يُخالف، ثم تعظيم السالكين: تعظيم (قضاء الله وقدره) بالرضا والتسليم فلا يُعارض، ثم تعظيم العارفين وهو تعظيم الحق وحده، فلا تطلب سواه، ولا تبغي إلا وجهه، ويورث التعظيم في قلب السالك **(الإلهام)** الصائب، والإلهام مقام المحدثين، وهو فوق الفراسة لأن الفراسة تقع نادرا، والإلهام لا يكون إلا في مقام عتيد، وأول الإلهام إلهام الانباء والاخبار وهو إلهام المريدين، ثم إلهام الكشف والشهود وهو إلهام السالكين، وأعلاه إلهام يجلو عين التحقيق، يبصر به الحقائق على ما هي عليه، وهو إلهام العارفين، ويورث منزل الإلهام في قلب السالك **(السكينة)** إلى الله، قال تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ}، والسكينة شيء من لطائف صنيع الحق يُلقي على لسان المحدث الحكمة كما يُلقي الملك الوحي على قلوب الأنبياء، وتُنطق المحدثين بالحقائق مع ترويح القلوب بنور الكشف وكشف الشبه بجلاء اليقين، وهذه السكينة تنور القلب بنور الحق سبحانه، والسكينة تجمع لأصحابها نور الإيمان وقوة اليقين وروح البصيرة، والسكينة راحة وطمأنينة ووقار يُعظم الناس به أصحاب تلك السكينة، وتلك هي السكينة التي جعلها الله تعالى لأهل الطريق، و (السكينة) تنبت في القلب **(الطمأنينة)**، وأول الطمأنينة طمأنينة القلب بذكر الله، وهي طمأنينة المريدين، والثانية طمأنينة الروح إلى نور الله، وهي طمأنينة السالكين، وأعلى الطمأنينة طمأنينة الدخول على حضرة الحق، وشهود تجليات الحق سبحانه، وهي طمأنينة الأولياء أهل المعرفة والتحقيق، والرجوع إلى الله تعالى يكون بالنفس المطمئنة إلى الله، وهذه النفس المطمئنة هي التي تستحق شرف الانتساب إلى عبوديته ودخول جنته، قال تعالى {يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي}، وجنة العارف هي حضرة الحق حيث لا يؤذن للدخول عليها وشهود تجلياتها سوى أولياء الحق الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، والطمأنينة تقوي همة السالك، وترقيه إلى **(منزل الهمة)**: والهمة قوة تدفع العبد إلى طلب الحق

سبحانه طلبا صرفا، لا رغبة في ثواب ولا خوفا من عقاب، بل خالصة لوجه الله، والهمة الصادقة: همة لا يقوى صاحب الهمة على دفعها، ولا يصبر عنها لأنه تحت قهر سلطانها فلا يتركها، ولا يلتفت عنها، واول الهمة: همة تورث الزهد في الدنيا، و الدرجة الثانية من الهمة: همة تجعل صاحبها يجد في السير لا يلتفت إلى شيء سوى الوصول إلى الحق، وهي همة السالكين، و الدرجة الثالثة من الهمة: همة تصاعد عن الأحوال والمقامات وتزري بالأعواض والدرجات وتنحو عن النعوت نحو الذات، وهذه هي همة الأولياء لا ينظرون إلى أحوال ولا مقامات ولا منازل، ولا يأبهون بالأعواض والدرجات، فهمتهم همة تصون القلب من خسة الرغبة في الفاني وتحمله على الرغبة في الباقي وتصفية من كدر التواني، وبهذا المنزل تنتهي منازل الاودية، وتبدأ منازل القسم السابع (قسم الاحوال)، حيث تتعاقب على القلب الأحوال، وتتوالى المواهب والعطايا، واول تلك الاحوال وأساسها المحبة، ثم الغيرة، ثم الشوق، ثم القلق، ثم العطش، ثم الوجد، ثم الدهش، ثم الهيمان، ثم البرق، وآخرها الذوق، وبعده تنطلق الروح في سفرها إلى الله تعالى في قسم الولايات،

**[القسم السابع]**: ترتيب الشيخ الانصاري الدقيق لمنازل القسم السابع: [قسم الأحوال]: (قسم الأحوال) هو آخر أقسام السير القلبي إلى الله تعالى، وبعده تبدأ أقسام السير الروحي إلى الله وهي أقسام تتعلق بالأولياء والعارفين، و (قسم الأحوال) بمنازله آخر منازل القلب التي تمهد لانطلاق الروح، حيث تتعاقب على القلب الأحوال، وتتوالى المواهب والعطايا، واول تلك الاحوال وأساسها المحبة، قسم الأحوال يبدأ بالمحبة، ثم الغيرة، ثم الشوق، ثم القلق، ثم العطش، ثم الوجد، ثم الدهش، ثم الهيمان، ثم البرق، وآخرها الذوق وهو آخر المنازل القلبة وما بعده منازل الروح المتعلقة بالأولياء، في (قسم الاحوال) تتعاقب علي السالك الأحوال، تنقلب الإرادة (محبة)، وتتوهج (الغيرة) ويزداد (الشوق)، ويبدأ (القلق)، ويستولي علي السائر (العطش) ويغلبه (الوجد)، ويؤرقه (الدهش)، الذي يغلب على عقله وصبره وعلمه وحاله، فيرتقي إلى (الهيمان)، ثم تشتد به (الحيرة)، فلا يقوى على فراق المحبوب، يهيم على وجهه طلبا للشهود، فإن تغمدته العناية أبرقت له (البرق) من جانب اللطف الإلهي، والبرق تثبيت إلهي وكشف رباني يريح المحب من خوف الانقطاع، وكثرة البرق يورث تذوق حلاوة العبودية، وفي منزل: (الذوق)، يتذوق المحب طعم الأنس بالله فلا يعلق به شاغل ولا يفتنه عارض ولا تكدره تفرقة، ولا يخاف الانقطاع بعد الوصال، وبهذا المنزل تنتهي منازل قسم الاحوال، (إذن): أول منازل (قسم الأحوال): **(المحبة)**، و المحبة لله من أعظم أعمال

القلب، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ}، و حقيقة المحبة: (تعلق القلب) بالله وحده، بين همة عظيمة في السير إلى الله وبين متعة الانس بالقرب من الله، (والمحبة أول أودية الفناء) لأن المحبة الصادقة تقتضي الفناء في المحبوب، وهي آخر منزل تلقى فيه العامة مع الخاصة، فما قبل مقام المحبة من المقامات إنما هي محبة النفس وليست محبة الله الخالصة على مصطلح اهل الطريق، لأنها محبة أغراض لأعواض، العامة تحبون الله لما يأتيهم به من خير وفضل ولما ينتظرونه من أجر وثواب في الدنيا والآخرة، فهي عند التحقيق محبة أغراض لأعواض، فلا تصح دعوى المحبة الخالصة، أما محبة أهل الطريق فهي محبة الله تعالى لجناب ذاته، فليس المحرك لها الأجر والثواب والأعواض، فلو لم تكن هناك جنة ولا نار لعبدوه ولأحبوه لجناب ذاته بجلاله وجماله، وتلك هي المحبة الحقيقية والخالصة، فليست محبة أغراض لأعواض، والمحبة هي سمة الطائفة وعنوان الطريقة ومعقد النسبة، بها يُعرفون وإليها ينتسبون، هم أهل منازل المحبة يتحركون بالمحبة، وتتحول (المحبة) إلى **(غيرة)**، حيث لا يستطيع صاحب الغيرة احتمال البعد عن محبوبه، ضنا بمحبوبه، وأول الغيرة: غيرة العابد على الطاعات فيسارع إليها، والدرجة الثانية من الغيرة: (غيرة المريد والسالك): على وقت فات، فيندم على كل وقت لم يكن في السير إلى الله، والدرجة الثالثة من الغيرة: غيرة العارف على الحقائق إذا حجبها حجاب، وغيرته على مجرد (نَفَس) واحد يتعلق بغير الحق جل جلاله، والغيرة تورث الشوق، ومنزل **(الشوق)**، هو المنزل الثالث من منازل الأحوال، واول الشوق: هو الشوق إلى الجنة، واعلى منه الشوق إلى الله تعالى، شوق ناشئ من رؤية إنعامه وإحسانه، والدرجة العالية من الشوق، وهي درجة أهل المعرفة والتحقيق الذين لا يشغلهم عن الله شاغل ولا يطفئ شوقهم إلى الله تعالى شيء، فهي نار لا تهدأ حتى يتم اللقاء، فلا يزول همه ولا يهدأ حزنه وهو في حضرة شهود الأفعال والصفات حتى تنكشف الحجب ويحظى بالجمع في حضرة جناب الذات الأحدية، ويلي الشوق: منزل **(القلق)**، وهو المنزل الرابع من منازل قسم الاحوال، حيث يحرك الشوق صاحبه فيسقط الصبر، فلا يقوى على فراق الحبيب ولا يقر له بدونه قرارا، فيبدا القلق، واول القلق: قلق يضيق الصدر ويوحش عما سوى الحق، والدرجة الثانية من القلق، وهي درجة المتوسطين، وهو: قلق شديد فوق احتمال طاقة السالك لا يكاد له استقرار ولا يكون له صبر ولا احتمال، والدرجة الثالثة من القلق وهي قلق الأولياء، وهو: (قلق لا يرحم أبدا، ولا يقبل أمدا)، فإنه حاكم على صاحبه يذهب به في طريق الفناء حتى يهلكه في طلب الحق، فإذا اشتد القلق صار العطش، ومنزل **(العطش)**،

وهو المنزل الخامس من منازل قسم الاحوال، وأوله: عطش المريد إلى وارد يشهد له بصحة سلوكه واستقامة طريقه، والدرجة الثانية من درجات العطش وهي درجة أهل الخصوص، وهي عطش السالك إلى أجل معلوم محدد يعرفه ويسعى إلى طيه من اجل الوصول إلى حضرة الحق، والدرجة الثالثة من العطش وهي درجة الأولياء، وهي عطش الولي العارف إلى تجلٍ عظيم من رب كريم، تجل لا حجاب فيه، فهو يطلب أعلى المقامات وغاية التمكين، فلا يعرج دون هذه الغاية على انتظار ولا سكون حتى يدخل على حضرة حناب الذات الأحدية التي هي مقام التوحيد أعلى منازل السائرين، وإذا اشتد العطش كان الوجد، ومنزل **(الوجد)**، وهو المنزل السادس من منازل قسم الأحوال، و (الوجد) نور يقذفه الله تعالى إلى القلب، فيربط على القلب بقوة الإيمان، واوله: وجد يأتي بغتة، ينتبه له قلب المريد، والدرجة الثانية من الوجد: وجد يستفيق له الروح، بتجلٍ من تجليات الحق الأزلية، والدرجة الثالثة من الوجد: وجد يخطف العبد من يد الكونين (الدنيا والآخرة) فيفنيه عن شهود الدنيا والآخرة، ويصفي حقيقته من أدران الحظوظ المتعلقة بالدارين، ويحرره من رق الانتساب إلى الماء والطين، وهذا الوجد هو وجود الحق، ولا يكون وجود الحق إلا بعد خمود البشرية، وفناء الواجد عن الاغيار والسوى، فإذا تحقق الوجد، كان الدهش، ومنزل **(الدهش)**، وهو المنزل السابع من منازل قسم الأحوال، والدهش: حيرة تأخذ السائر على حين بغتة تغلب على عقله وقلبه وعلمه، وأوله: دهشة المريد عند صولة الوجد على طاقته، فيبدأ في البكاء، وعند صولة الكشف فيركن إلى السكون، والدرجة الثانية: دهشة السالك عند شهود فناء السوى في حضرة الحق، فيرى ببصر الحق ويشاهد الحق بالحق في مقام المشاهدة فيدهش، والدرجة الثالثة: دهشة العارف عند شهود القرب من الحق فيدهش في أنوار بحر التجليات، فإذا تحقق الدهش، كان الهيمان، ومنزل **(الهيمان)**، وهو المنزل الثامن من منازل قسم الاحوال، واول الهيمان: هيمان العبد في النظر إلى عظيم فضل الله تعالى عليه وهو لا يستحق ذلك، والدرجة الثانية: هيمان في تلاطم أمواج المكاشفات والغيبيات والانوار في الحضرات الأسمائية وتجلياتها الجلالية والجمالية، والدرجة العالية من الهيمان: هيمان ناشئ عن فناء العبد في بقاء الرب، عند الغرق في بحر شهود الحضرة الأحدية، وهو أشد الهيمان حيث يغيب صاحبه عن الاحساس، وتصدر عنه حركات وسكنات تدل على محض الهيمان، فإن تحقق الهيمان ترقى السالك إلى منزل **(البرق)**، وهو المنزل التاسع من منازل قسم الاحوال، والبرق هو مبدأ طريق الولاية، فأول ما يدعو للدخول في طريق الإرادة والسير هو مقام اليقظة، وأول ما يدعو للدخول إلى طريق الولاية هو مقام البرق، وأول البرق: برق يستكثر فيه

العبد القليل من العطاء لأنه عطاء الولاية، ويستقل فيه الكثير من الأعباء لما اكرمه الله تعالى به من الكرامة، والدرجة الثانية من البرق، برق يستقصر فيه العبد الأمل لشدة الخوف من الله، ويزهد في الخلق لأنه مشغول بالحق، والدرجة الثالثة من البرق: برق يلمع من جانب اللطف في عين الافتقار إلى الله، فينشئ سحاب السرور بمشاهدة أنوار اللطف الرباني، وما يرى من الألطاف الإلهية والكرامات الربانية، فإذا توالت البروق وكثرت العطيات، ترقى السائر إلى منزل **(الذوق)**، ومقام (الذوق) آخر الأحوال القلبية، وهو بمثابة التمهيد لمنازل الأولياء، وكما قال أهل الطريق: الذوق نهاية المراقبة وبداية المشاهدة، واول الذوق: (ذوق التصديق) الناشئ من التصديق الجازم بموعود الله تعالى باللقاء والقرب، والدرجة الثانية من درجات الذوق: هو (ذوق الإرادة) الناشئ من الارادة الجازمة الصادقة حتى يصل إلى الله فيجد الأنس به، والدرجة الثالثة من درجات الذوق وهو (ذوق العارف): طعم الاتصال بلا انقطاع، وذوق العارف بالله طعم الجمع بلا تفرقة، وذوق العارف بالله طعم المشاهدة والعيان بلا حُجب، ومقام (الذوق) آخر قسم الأحوال القلبية، وبه تتحرر الروح وتبدأ أقسام النهايات، وهي الولايات والتحقيق والنهايات، وجميع هذه المنازل يتعلق بمقامات الروح، واهل الولايات الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون،

**[القسم الثامن]**: ترتيب الشيخ الانصاري الدقيق لمنازل القسم الثامن (قسم الولايات): قسم الولايات به عشرة منازل: أولها: منزل **(اللحظ)**: وهو أول التجليات، وأول طريق الشهود، ويتمثل في ملاحظة الفضل على نعمة الولاية ملاحظة تمنع من الامن من مكر الله، وتبعث على الشكر لأفضال الله، واللحظ أول طريق الدخول على الحضرة المقدسة، حضرة الأسماء، وأول اللحظ: ملاحظة الفضل: فيلحظ العبد العطاء الرباني بحكم العناية الأزلية، وهذه الملاحظة تجعله يستحي من سؤال ربه وقد أغناه، والدرجة الثانية من درجات الملاحظة: ملاحظة نور الكشف وهي تلبس السالك لباس الولاية وتذيقه حلاوة المشاهدة، وتعصمه من عوار التسلي لان أهل الولاية لا فراغ عندهم للتسلي، والدرجة الثالثة من الملاحظة: وهي للأولياء العارفين: (ملاحظة عين الجمع) وشهود الحقيقة الأحدية بالفناء المحض عن السوى والأغيار، وهي أعلى درجات الملاحظة، فإذا تمكن السائر في منزل اللحظ ترقى بفضل الله تعالى إلى منزل **(الوقت)** وهو الوقت المؤذن للدخول على حضرة الشهود قال تعالى: {ثم جئت على قدر يا موسى}، والوقت منزل نحو التمكن في الولاية، وفيه يستغرق السالك في وجود الحق سبحانه، فلا يرى في الوجود ولا يشهد سوى تجليات الأسماء والصفات

والأفعال، وللوقت ثلاثة معان: المعنى الأول: وقت يجذب إلى الرغبة في لقاء الله، والمعنى الثاني هو: اسم لطريق سالك يسير إلى التمكن في الولاية، والمعنى الثالث: لا يبقى للوقت وجود، حيث الوقت كله لله، عندما يتجلى الحق سبحانه بجناب ذاته في الحضرة الأحدية، و الوقت يؤهل السالك إلى منزل **(الصفاء)**، إذ لا يؤذن في دخول الحضرة لغير الأصفياء، صفاء حال يدخل به الولي إلى حضرة الشهود، ويذوق به حلاوة المناجاة وينسى به الكون وما فيه، و (الصفاء): على ثلاث درجات: الاولى: (صفاء علم) قائم على اتباع الكتاب والسنّة، والثانية (صفاء حال) يتمثل في تنور القلب بالكمالات والتجليات التي ترد من الحق إليه، والثالثة: (صفاء اتصال): وهو صفاء الفناء عن السوى في الله تعالى، وهو صفاء البقاء بالحق بعد الفناء عن السوى، يرى بالحق ويسمع بالحق ويعلم بالحق، والتمكن من الصفاء يؤهل السائر للترقي إلى منزل **(السرور)**، قال تعالى: {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ}، والسرور على ثلاث درجات: (الدرجة الأولى) سرور ذوق لمن أيقن في وعد الله تعالى بالوصول، وسرور لمن دل الطريق إلى الله، وسرور لمن أيقن في جمع القصد والتوجه بالكلية إلى الله، والدرجة الثانية: سرور شهود للتجليات الأسمائية الجمالية والجلالية، والدرجة الثالثة: سرور ينشأ من شهود الحضرة الأحدية، وهو سرور تام يضحك الروح لمشاهدتها لجمال جناب الذات تعالى وتقدس، وليس بعد هذا السرور سرور، والسرور: يذهب بأحزان الولي، ويؤهل الولي للترقي إلى منزل **(السر)**، وسمي بمقام السر لأن الولي فيه لا يعلم بحقيقة حاله، فهو في تحير يزداد مع تمكن هذا المقام، مقام لطيف، من بلغه فهو من (الأخفياء) والسر من أرق مقامات أهل الولاية، والأخفياء على ثلاث طبقات: الطبقة الأولى: علت هممهم حتى أنهم لا ترضى همتهم بغير جناب الذات، فهم لا يسكنون إلى الحضرات الأسمائية حتى يؤذن لهم في شهود حضرة الذات، وهؤلاء لم يعرفوا بين الناس باسم، وهم ذخائر الله عز وجل حيث كانوا يدفع الله عز وجل بهم عن اهل الأرض البلاء، والطبقة الثانية: أهل تمكين تنزلوا عن مقامهم إلى منازل العامة مع أنهم في مقام خاصة الخاصة، كلموا الناس على قدر عقولهم وما تبلغه أفهامهم، هم مع الناس بظواهرهم وهم مع الله بأرواحهم، يسترون أحوالهم عن الخلق، ينتفع الناس بعلومهم ومعارفهم وهم مع الله في حضرة الشهود بأرواحهم، والطبقة الثالثة: طائفة أخفاهم الله تعالى به عن أنفسهم، يحسبهم الجاهل مجانين، ولكن المحقق لحالهم يعلم بالشواهد صحة حالهم وعلو مقامهم، فإذا تمكن السائر في منزل السر ترقى بفضل الله تعالى إلى منزل **(النَفَس)**، حيث تنجلي عنهم حالة الاستتار، ويسمى نفسا لتروح المتنفس به، وهو نفس ينقل المحب من مقام السر إلى روح المعاينة،

والانفاس ثلاثة: النفس الأول: نفس في حين احتجاب المحبوب واختفاؤه بعد التجلي، وهو يوجب تنفس الحزين المكروب، والنفس الثاني: نفس في حين التجلي والشهود وهو نفس شاخص عن مقام السرور، والنفس الثالث: نفس مطهر من دنس السوى ولوث الغيرية، نفس مطهر بماء القدس من عند القدوس تعالى وتقدس، نفس قائم بإمدادات الحي القيوم، نفس قائم عند التجلي الذاتي لجناب الذات حيث القدم والأزل، وحيث البقاء والأبد لأبد الأبد، فإذا تمكن السائر في منزل النفس ترقى بفضل الله تعالى إلى منزل **(الغربة)**: فيتبدل حال المحب فيرى المحب محبوبا، ويرى الشاهد مشهودا ويرى الطالب في حضرة الشهود صار مطلوبا، فيكون غريبا عن الأوطان والاحوال، واول الغربة: الغربة عن الأوطان، والدرجة الثانية: غربة الحال، والدرجة الثالثة: غربة الهمة وهي غربة طلب الحق وهي غربة العارف، لأنه غريب الدنيا وغريب الآخرة، لفنائه عن نفسه وعن الأغيار في الله ولبقائه بالله بعد فنائه في الله، ولانفراده بأنوار الشهود وتجليات حضرة جناب ذات الحق الأحد سبحانه، فإذا تمكنت منه الغربة وصار إلى غربة الغربة، ترقى إلى منزل **(الغرق)** فيغرق عن العلم في عين الحال ويغرق عن الإشارة في الكشف ويغرق عن الشواهد في الجمع، والدرجة الأولى من الغرق: الغرق في الأحوال: كالمحبة، والغيرة، والشوق، والقلق، والعطش، والوجد، والدهش، والهيمان، والدرجة الثانية من الغرق: الغرق في الشهود فلا يشعر لا بنفسه ولا بالسوى، والدرجة الثالثة من الغرق: الغرق في حالة الجمع مع الله، والجمع غاية مقامات السالكين وهو طرف بحر التوحيد، وصاحب هذه الدرجة رجل غارق في رؤية المعارف القديمة والحقائق الأزلية، ومن كان هذا حاله فهو الغريق حقا وصدقا، فإذا تمكن منه الغرق في الجمع، ترقى إلى منزل **(الغيبة)** غيبة العارف عن عيون الأحوال والشواهد والدرجات إلى حصن الجمع، وأول الغيبة: (غيبة المريد): غائب عن كل ما يشغله عن الله، برفض العلائق التي تشغله عن الله، وقطع العلائق التي تعوقه عن السير في طريق الله، والدرجة الثانية من درجات الغيبة: (غيبة السالك): غائب بالأحوال من المحبة، والغيرة، والشوق، والقلق، والعطش، والوجد، والدهش، والهيمان، غائب في الأحوال مع الله، والدرجة الثالثة من درجات الغيبة: غيبة العارف الواصل إلى حضرة الجمع، حضرة جناب الذات، فهو في حالة جمع مع الحق، على طرف بحر التوحيد، قد أفناه الجمع عما سوى الله، وتلك أعلى درجات الغيبة، وليس بعدها غيبة، فإذا تعمق في الجمع، وتمكنت منه الغيبة، ترقى إلى منزل **(التمكن)** وهو إشارة إلى غاية الاستقرار في حضرة الشهود، فتجتمع للمحب صحة الانقطاع وصفاء الحال، ويكون في حضرة الشهود متمكنا مستقرا، والدرجة الأولى من درجات

التمكن: (تمكن المريد) وهو أن يجتمع له صحة القصد في سيره إلى الله مع قطع الالتفات إلى السوى، والدرجة الثانية من درجات التمكن: (تمكن السالك) وهو أن يجتمع له صحة انقطاع عما سوى الحق، مع صفاء حال يوافق العلم ويلازم الهمة، والدرجة الثالثة من درجات التمكن: (تمكن العارف) وهو أن يحصل له التمكن في حضرة الحق (الحضرة الأحدية)، فلا تكون هناك حجب تمنع من الشهود، وهذا هو التمكن الحقيقي، وهذا موطن الغيب المطلق، ولا يكون الولي متمكنا إلا إن بلغ تلك الرتبة، والتمكن آخر مقامات قسم الولايات،

**[القسم التاسع]**: ترتيب الشيخ الانصاري الدقيق لمنازل القسم القسم التاسع: قسم الحقائق]: منازل القسم التاسع: هي منازل قسم الحقائق: وهي عشرة منازل: تبدأ بمنزل المكاشفة، ثم المشاهدة، ثم المعاينة، ثم الحياة، ثم القبض، ثم البسط، ثم السكر، ثم الصحو، ثم الاتصال، ثم الانفصال، ومنازل هذا القسم هي منازل الأولياء الذين فرغوا من السلوك، فألهمهم الله تعالى بالحقائق، وأنزلهم منازل الأولياء العارفين بالله، وألهمهم بالمكاشفات ثم أكرمهم بالمشاهدات ورفع عنهم الحجب، وتفضل عليهم بالمعاينات، واحياهم بحياته، قبض بعضهم إليه ضنا بهم عن الخلائق، وبسط بعضهم رحمة للخلق، وجعلهم للدنيا كالشمس وللناس كالعافية فليس للناس عنهم عوض، وأول منازل هذا القسم: منزل **(المكاشفة)**: وهي بلوغ ما وراء الحجاب، مكاشفة عين لا مكاشفة علم ولا مكاشفة حال، وهي على ثلاث درجات: (الأولى): مكاشفة لتجليات الأسماء الحسنى الجمالية والجلالية، حينا دون حين، فإذا فني عن رؤية نفسه في كشفه، كانت المكاشفة مستديمة لا يقطعها حظ من حظوظ الدنيا ولا الآخرة، وأما الدرجة الثالثة: فهي (مكاشفة عين) بعين الحقيقة، تُغيّب المكاشف عن السوى، وغاية هذه المكاشفة المشاهدة، فإذا تمكنت منه المكاشفة، ترقى إلى منزل **(المشاهدة)**، لان المكاشفة شهود مع وجود بعض الحجاب، والمشاهدة سقوط الحجاب، وهي على ثلاث درجات: (الأولى): مشاهدة معرفة، تقف بفناء الجمع، تنتظر الإذن بالدخول وكشف الحجاب، والدرجة الثانية من درجات المشاهدة: (مشاهدة معاينة) فوق مشاهدة المعرفة، لأن المعاينة أعلى من المعرفة، والدرجة الثالثة من درجات المشاهدة: (مشاهدة جمع) في حضرة شهود جناب الذات الأحدية، حيث شهود الحق بلا خلق، والعارف في حضرة الجمع يرى الحق بالحق، مشاهدة جمع تجذب إلى عين الجمع، ليبدا الترقي إلى منزل المعاينة الذي هو اعلى من المشاهدة، فإذا تمكنت المشاهدة، ترقى الولي إلى منزل **(المعاينة)**، وهي أوسع من المشاهدة، والمعاينات ثلاث: الاولى: معاينة الأبصار، والثانية:

معاينة عين القلب وهي معرفة الشيء على نعته علما يقطع الريبة ولا تشوبه حيرة، والمعاينة الثالثة: معاينة عين الروح وهي التي تعاين الحق عيانا محضا والأرواح إنما طهرت وأكرمت بالبقاء لتشاهد بهاء العزة وتجذب القلوب إلى فناء الحضرة، وغاية المعاينة الترقي إلى منزل (الحياة)، فيحيي بحياة الله الأزلية الأبدية، حياة بالحق تميت الاعتلال، وتمنع الانفصال عن التجليات الربانية، وتورث الاتصال بحضرة الشهود الازلية، والحياة أنواع: الحياة الأولى: حياة العلم من موت الجهل، والحياة الثانية: حياة الجمع من موت التفرقة، والحياة الثالثة: حياة الوجود وهي حياة بالحق بعد الفناء عن السوى والأغيار، فإذا تمكن المحب من منزل الحياة، قبضه الله تعالى إليه، ورقاه إلى منزل (القبض)، وهذا مقام الضنائن الذين ادخرهم الحق اصطناعا لنفسه وضن بهم على أعين العالمين، فأخفاهم عن عيون الخلق، حتى يرزقهم الانس به وحده، استخلاصا لنفسه، وهؤلاء مشغولون بالله وحده، غائبون عن رؤية انفسهم، يغار الحق عليهم فقبضهم إليه، ثم يبسط من شاء منهم ويرقيه إلى مقام (البسط) رحمة بالناس ليستضيئوا بنوره، ويتعلموا من حاله، وهؤلاء هم أعلام الطريق وأئمة الهدى ومصابيح الدجى للسالكين، وهؤلاء بسطهم الله تعالى رحمة للخلق يباسطونهم ويلابسونهم ليحصل للناس البركة بمعاشرتهم، فيستضئون بنورهم الرباني، والمكاشفات والمشاهدات والمعاينات مجموعة في بواطنهم لا تتشتت بمعاملة الناس، بل يشاهدون الحق في خلقه، فلا يحتجبون بهم عنه، بل يعاملونهم لله بالله، و سرائرهم محفوظة لا يعلم بها إلا الله، فلا يظهرون للخلق ما لا يجوز إظهاره، ولا ما لا تحتمله عقولهم وافهامهم، وهؤلاء لا يكون منهم شطح ولا بوح ولا تغير وذلك لقوة تمكنهم وتمام استقامتهم، وهؤلاء أعلام الطريق وأئمة الهدى، ومنهم الربانيين العارفين أصحاب مدارس التزكية والتربية والتصوف في العالم الإسلامي، الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت 561هـ)، والشيخ أحمد الرفاعي (ت 578هـ)، والشيخ أحمد البدوي (ت 634 هـ)، والشيخ أبو الحسن الشاذلي (ت656هـ)، ولا تخلو الأرض من هؤلاء الاولياء، وقد يغلب البسط، فيترقى الولي إلى مقام (السكر) لسقوط التمالك من شدة الطرب بالانس بالله، وللسكر ثلاث علامات: (العلامة الأولى): الضيق عن الاشتغال بالاخبار لشدة شغله بالمحبوب، كل ذلك والتعظيم للأخبار قائم فهو معظم للكتاب وللسنة، متبع لما جاء فيهما، متشاغل بالله موافق له في أمره ونهيه معظم لشرعه مطيع لأمره، و (العلامة الثانية): الغرق في لُجة بحر الشوق والتمكن في العلم والعمل ولزوم الشرع والورع دائم، و (العلامة الثالثة) الغرق في بحر السرور بشواهد قرب المحبوب، مع ان صبره عن المحبوب مفقود، فهو غريق في بحر السرور يستولي عليه السرور بقرب رؤية الحق، والصبر عن

المحبوب مفقود لغلبة الشوق، فحاله كما قال الشيخ: (الغرق في بحر السرور والصبر هائم)، فإذا شاء الله تعالى للمحب الترقي نقله إلى منزل **(الصحو)** والصحو فوق السكر، فإن السكر إنما هو في الحق والصحو إنما هو بالحق، والصحو من منازل الحياة، لأنه صحو بالحق، وهو من أودية الجمع لأنه في حضرة جناب الذات الأدية بالله، وهو من لوائح الوجود، لأنه فانٍ عن نفسه باقٍ بالموجود الحق يرى بالله وحدة الوجود الحق، فإذا تمكن الصحو ارتقى المحب إلى مقام **(الاتصال)** بالحقائق، وبحضرة الشهود وهذا الاتصال لا يدرك منه نعت ولا مقدار، وللاتصال ثلاث درجات: اتصال الاعتصام، ثم اتصال الشهود، ثم اتصال الوجود، فالدرجة الأولى من درجات الاتصال: (اتصال الاعتصام بالله)، ومعناه: الترقي عن كل موهوم بالفناء عما سوى الله، فلا يرى سواه، فهذا هو الاعتصام بالله، والدرجة الثانية من درجات الاتصال: (اتصال الشهود) أي اتصال الشهود لجناب الحق في حضرة الشهود، وإنما يكون ذلك بالترقي عن حضرة الأسماء والصفات والتجليات الأسمائية إلى حضرة الحق ذاته، والدرجة العليا من درجات الاتصال: اتصال الوجود، وإنما يكون ذلك بفناء العبد عن وجوده في الوجود الحق، وهذا الاتصال هو أعلى معاني الاتصال، وليس بعده سوى الانفصال بالكلية عما سوى الله، فإن دام الاتصال وتمكن الاتصال، ارتقى المحب إلى مقام **(الانفصال)** عن الكونين الدنيا والآخرة، فلا يرضى عن مقامه عوضا لا من الدنيا ولا من الآخرة، والوجه الأول من وجوه الانفصال: انفصال العبد عن الكونين الدنيا والآخرة، انفصال التعلق والتوجه والمبالاة والاشتغال، فلا يحتجب بهما عن الله، ولا يتعلق بهما من دون الله ولا ينظر إليهما، ولا يكون لهما أو لأحدهما أدنى قدر أو وزن في القلب، فهذا الانفصال الأول هو شرط الاتصال بحضرة جناب الله، والوجه الثاني من وجوه الانفصال: انفصال عن رؤية الانفصال السابق، لان الكونين لا يساويان شيئا إذا ما قورنا بالشهود والدخول على حضرة الحق، والوجه الثالث من وجوه الانفصال يلغي الوجهين الأول والثاني، فهو انفصال ناتج عن شهود حقيقة أزلية جناب الذات في الحضرة الأحدية، فجناب الحق أجل من ان يتصل به شيء أو أن ينفصل منه شيء، والانفصال والاتصال في العلة سيان، لان مبناهما على توهم وجود الغير وفي الحقائق فلا موجود إلا الموجود الحق وكل ما سواه عند التحقيق وهم وظلال لتجليات جناب الذات بأسمائه وصفاته وأفعاله، والظل لا يستقل بنفسه، وعند التحقيق فالظل ظل لا حقيقة لاستقلاله، وعند التحقيق لا غير ولا سوى، ولا موجود إلا الحق، فكيف يمكن توهم الاتصال والانفصال، جناب الحق أجل من ان يتصل به شيء أو أن ينفصل منه شيء، كيف وله الأحدية المطلقة فلا جزء ولا كل ولا اتصال ولا انفصال، ولا كفء

ولا مثيل، أحد صمد لم ينفصل منه شيء ولا يتصل به شيء ولم يكن له كفوا أحد، {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} له الأحدية المطلقة فلا جزء ولا كل، {اللَّهُ الصَّمَدُ} له الغنى المطلق فلا حاجة ولا علة {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ} لم ينفصل منه شيء ولم يتصل به شيء {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} فليس كمثله شيء، وبهذا المنزل تنتهي منازل قسم الحقائق، وتبدأ منازل قسم النهايات، وهي أعلى مقامات السلوك وأرقى منازل الشهود، وهي مقامات يرى فيها العارف بربه لا بنفسه،

**[القسم العاشر]**: ترتيب الشيخ الانصاري الدقيق لمنازل القسم العاشر: [قسم النهايات]: قسم النهايات: عشرة منازل: تبدأ بمنزل المعرفة، ثم الفناء، ثم البقاء، ثم التحقيق، ثم التلبيس، ثم الوجود، ثم التجريد، ثم التفريد، ثم الجمع، وأعلاها التوحيد، وهو أعلى المنازل وهو بحر لا ساحل له، وتبدأ النهايات بمقام **(المعرفة)**: الدرجة الأولى: معرفة صفات الله تعالى، وهذه هي المعرفة التي يعرفها الفقهاء والمتكلمون بأدلة الكتاب والسنة، والمعرفة الثانية هي معرفة جناب الذات، وهذه المعرفة تختص بالخاصة أهل الحضرة الواحدية، حيث شهود تجليات الأسماء الحسنى الجلالية والجمالية، فإذا انكشف هذا الحجاب عن وجه الذات في الحضرة الاحدية ارتقى الشاهد من حضرة الكثرة الأسمائية إلى حضرة جناب الذات، وهذه هي الدرجة الثالثة من المعرفة هي درجة خاصة الخاصة أهل الحضرة الأحدية، وهي أعلى درجات المعرفة، فإذا تمكنت المعرفة ارتقى الولي إلى مقام **(الفناء)**: والفناء في هذا الباب اضمحلال ما دون الحق علما ثم جحدا ثم حقا، وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى: فناء المعرفة في المعروف، وهو أن يعرف أن الحق هو عين الوجود من حيث هو الوجود الحق المطلق، وما عداه هو العدم المطلق، فيجحد ما دون الحق، لشهود الحق هو الموجود الحق، فلا يبقى لغير الحق رسم فلا موجود إلا الحق، والدرجة الثانية من درجات الفناء: فناء شهود الطلب، بالوصول إلى المطلوب والدخول على حضرة الحق، والدرجة الثالثة من درجات الفناء: هو الفناء عن شهود الفناء، وهو نهاية مقام الفناء وبداية مقام البقاء، في الحضرة الاحدية التي تقهر كل شيء فلا يبقى إلا جناب الذات، ويكون الفناء المحض للولي في حضرة الحق حيث فناء الرسوم وانطماس الآثار، و الفناء عن شهود الفناء، ولا يبقى إلا الأحد تعالى وتقدس، فإذا بلغ العارف هذا الفناء، امتن الحق سبحانه بترقيته إلى مقام **(البقاء)**، ففي منزل الفناء يفنى العارف في الذات

الأحدية، وفي منزل البقاء يبقي ببقاء الحق، ومنزل البقاء على ثلاث درجات: الدرجة الأولى: بقاء المعلوم بعد سقوط العلم عينا لا علما، والدرجة الثانية: بقاء المشهود بعد سقوط الشهود وجودا لا نعتا، والدرجة الثالثة: بقاء ما لم يزل حقا وهو الحق سبحانه، بإسقاط ما لم يكن، وهو كل ما سوى الله، وفي هذا المقام يكون العبد موجودا بالله باقيا ببقاء الله بعد فنائه التام عما سوى الله، يشاهد الحق بعين الحق باقيا ببقائه، حيا بحياته، عالما بعلمه، يسمع بسمع الله، ويبصر ببصر الله ويتكلم بالله، فإذا تمكن الولي من منزل البقاء، ارتقى إلى مقام **(التحقيق)**: والتحقيق يكون بعد مقام البقاء، وهو تحقيق البقاء بالله في الله، وهو تجريد ما صحبك من صفات الحق، عن صفاتك في مقام البقاء بالله، فلا ينازع علم العارف المحدث علم الله القديم ولا ينازع شهوده المحدث شهود الله القديم ولا ينازع وجوده الإضافي وجود الحق، فيتم التحقيق بالحق، في حضرة الحق حيث تسقط الشهادات وتبطل العبارات وتفنى الإشارات، وللتحقيق ثلاث درجات: الدرجة الأولى: أن لا يخالج علمك علمه، وأما الدرجة الثانية من التحقيق: أن لا ينازع شهودك شهوده، وأما الدرجة الثالثة من التحقيق: أن لا يناسم رسمك سبقه، وهذا غاية التحقيق، حيث تسقط الشهادات وتبطل العبارات وتفنى الإشارات، فإذا بلغ العارف هذا التحقيق، امتن الحق سبحانه بترقيته إلى مقام **(التلبيس)**، فيظهر للناس في رسوم الخلق، هداية للخلق ورحمة بهم، وهذه درجة الأئمة الربانيين الصادرين عن وادي الجمع المشيرين عن عينه، والتلبيس هو منزل الوارثين، الذين يلبسون على الناس صيانة لأنفسهم ورحمة بالخلق، ويكون التلبيس بكتمان الكرامات، صيانة لأنفسهم من الرعونة ورحمة بالناس أن يعظموهم بما لا ينبغي، ويكون التلبيس بالأخذ بالأسباب توسيعا على الناس لا لأنفسهم، لانهم يعلمون ضعف الناس وانهم اهل حجاب لا يقدرون على الانقطاع إلى الله بالكلية عاجزون عن فعل ذلك، لذلك يلبسون عليهم بمزاولة الاسباب ترحما عليهم وتوسيعا عليهم، فإذا امتن الحق سبحانه بترقية الوارث رقاه بعد ذلك إلى مقام **(الوجود)** الوجود الأزلي القديم بالله منخلعا عن ذاته المحدثة، مستغرقا في الأولية التي لا ابتداء لها، و (الوجود) اسم لثلاثة معان تتعلق بالوجود: [الوجود الأول]: (وجود علم لدني) حاصل من عند الله تعالى بلا واسطة يقطع علوم الاستدلال، و [الوجود الثاني]: وجود الحق وجود عين حقيقة في حضرة الجمع بجناب الذات، حيث تنتفي الاثنينية، فتنقطع العبارة ولا مساغ

للإشارة، و [الوجود الثالث]: مقام اضمحلال رسم الوجود بالفناء في أزلية الحق إذ لا رسم للحادث عند تجلي القديم، وهذه الدرجة هي أصفى مراتب الشهود، ونهاية مقام الوجود، فإذا امتن الحق سبحانه بترقية العارف رقاه بعد ذلك إلى مقام **(التجريد)** فيذوب عن ذاته ويغيب عن نفسه في عين الجمع، وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى تجريد عين الكشف عن كسب اليقين، فيكون عالما بعلم الله لا بعلمه، و [الدرجة الثانية من درجات التجريد]: (تجريد عين الجمع عن درك العلم) بتجريد حقيقة الجمع بالذات عن الإدراك العلمي، فالعلم صفة، وعين الجمع جمع بالذات، والجمع لا يكون إلا بمحو الرسوم والصفات، و [الدرجة الثالثة تجريد الخلاص من شهود التجريد]، فإنه إن شهد تجريده كان شهوده شاهدا ببقاء ذاته، فلا يكون مُجرّدا، فكانت الدرجة العالية من التجريد تقتضي: تجريد الخلاص من شهود التجريد، وصاحب مقام التجريد يشهد بالله لا بنفسه، فيكون آنذاك خالصا من شهود التجريد، فإذا امتن الحق سبحانه بترقية العارف رقاه بعد ذلك إلى مقام **(التفريد)** بالإشارة من الحق للحق فليس في الوجود سوى الحق واجب الوجود، و (التفريد): أن يتفرد الولي عن الأشكال، وينفرد في الأحوال، فلا يرى لنفسه حالاً، بل يغيب برؤية الحق جل جلاله عنها، وصاحب منزل التفريد هو المنفرد عن السوى والاغيار فلا يأنس بها ولا يستوحش منها لأنه مشغول بالحق عنها، والتفريد درجات: أولها: تفريد أهل البدايات بتخليص الإشارة إلى الحق، وتفريد اهل التوسط تخليص الإشارة بالحق، وتفريد اهل النهايات يكون بتخليص الإشارة عن الحق، فإذا امتن الحق سبحانه بترقية العارف رقاه بعد ذلك إلى مقام **(الجمع)**: والجمع ما اسقط التفرقة وقطع الإشارة، والجمع غاية مقامات السالكين وهو طرف بحر التوحيد، وهو على ثلاث درجات، جمع علم ثم جمع وجود ثم جمع عين، فأما جمع العلم فهو تلاشي علوم الاستدلال وانطماسها في العلم اللدني عند تجلي علم الحق الازلي، وأما جمع الوجود فهو تلاشي نهاية الاتصال في عين وجود الحق، وأما جمع العين فهو تلاشي كل ما تقله الإشارة في ذات الحق، حيث الترقي من الحضرة الواحدية إلى الحضرة الأحدية وهذا هو طرف بحر التوحيد الذي لا ساحل له، لتعلقه بالمنزه عن الحدود والغايات والنهايات، فلا حد ولا غاية ولا نهاية، فإذا امتن الحق سبحانه بترقية العارف رقاه بعد ذلك إلى مقام **(التوحيد)**، وهو أعلى مقامات السالكين، وما سوى هذا المقام فكله مصحوب

العلل، وهو مقام اختصه الحق لنفسه، وأول ساحله: إسقاط الحدث وإثبات القدم، وكل ما سوى الله حدث، فلا يوحده حق توحيده سوى إياه، ومهما بلغ العارفون وترقوا في علوم التوحيد ومعارفه، فإنّهم على ساحل بحر لا حد له ولا منتهى له، وهو نقطة في بحر توحيد الأنبياء والمرسلين، ومهما بلغ العبد وترقى في تجليات التوحيد ومعارفه، فإنّه قاصر عن بلوغ كمال التوحيد الذي لا حد له ولا منتهى، لتعلقه بالمنزه عن الحدود والغايات والنهايات، فلا حد ولا غاية ولا نهاية، والتوحيد على ثلاثة وجوه: الوجه الأول توحيد العامة الذي يصح بالشواهد، والوجه الثاني توحيد الخاصة وهو الذي يثبت بالحقائق، والوجه الثالث توحيد قائم بالقدم، وهذا التوحيد لا يصح إلا بالقدم لأنه اسقاط الحدث واثبات القدم، وهذا هو توحيد العارفين، وهو نقطة في بحر توحيد الأنبياء والمرسلين، ومهما بلغ العبد وترقى في تجليات التوحيد ومعارفه، فإنّه قاصر عن بلوغ كمال التوحيد الذي لا حد له ولا منتهى، لتعلقه بالمنزه عن الحدود والغايات والنهايات، فلا حد ولا غاية ولا نهاية، اللهم افتح علينا فتوح العارفين وخذ بأيدينا إلى الحق المبين، واغفر لنا يا أرحم الراحمين،

***

## المبحث الخامس والعشرون

## أقطاب التصوف

**[المفتاح الأول]: رجال السلسلة الصوفية الواصلة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فمنهم: الحسن البصري**: كان إماما في الفقه والحديث والتفسير وعلوم القرآن واللغة والأدب والبلاغة والتصوف، لبس الخرقة من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنه كما صحح ذلك الحافظ جلال الدين السيوطي رحمه الله، وقد أطبق القوم على أنه إمام طريق التصوف من التابعين، وقد انتهت إليه أسانيد الصوفية على الغالب، قال محمد بن الحسن: كان الحسن البصري قدوة وإماما في الشريعة والطريقة والسنة، وقال غيره: من أحب اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والعمل بما كان عليه أصحابه، فليقتدِ بالحسن، وكان الحسن يقول: من لبس الصوف تواضعا لله زاده الله نورا في بصره وقلبه، ومن لبسه إظهارا للزهد في الدنيا والتكبر به على الإخوان في نفسه، كُوِّرَ في جهنم مع الشياطين، وكان يقول: ما كل الناس يصلح للبس الصوف لأنه يطلب صفاءً ومراقبة لله عز وجل، وقيل مرة: ما سبب لباسك الصوف فسكت فقيل له: ألا تجيب؟ فقال: إن قلتُ زهدا في الدنيا زكيتُ نفسي، **ومنهم: العارف بالله داود الطائي** : وهو من أكابر القوم والأعيان وأشياخ الطريق أهل العرفان، والزاهد العارف، خليفة الحسن البصري الإمام أبو سليمان داود بن نصير الطائي الكوفي رضي الله عنه، كان ممن شغل نفسه بالعلم ودرس الفقه وغيره من العلوم ثم اختار بعد ذلك العزلة، وآثر الانفراد والخلوة، ولزم العبادة، واجتهد فيها إلى آخر عمره، كان يقول: إن كنت لا أشرب إلا باردا ولا آكل إلا طيبا ولا ألبس إلا لينا فما أبقيت لآخرتي، وقال: صُمْ الدنيا، واجعل إفطارك الموت، وصاحب أهل التقوى ولا تدع الجماعة، **ومنهم العارف بالله معروف الكرخي**: من أكابر القوم العارفين، السالك طريق سيد المرسلين، الزاهد الذي انتهت إليه رئاسة الطريق، خليفة القطب أبو سليمان داود الطائي المعروف، قال أخوه عيسى: كنتُ أنا وأخي معروف في الكُتَّاب وكنا نصارى، وكان المعلم يعلم الصبيان عبارات النصرانية، أب وابن، فيصيح أخي معروف أحدٌ أحد، فيضربه المعلم على ذلك ضربا شديدا، حتى ضربه يوما ضربا عظيما، فهرب على وجهه، فكانت أمي تقول: لئن ردَّ الله علي ابني معروفا لأتبعنه على أي دين كان، فقدم عليها معروف بعد سنين كثيرة فقالت له: يا بُني على أي دين أنت؟ قال: على دين الإسلام، قالت: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فأسلمت أمي، وأسلمنا كلنا، عن يحيى بن جعفر، قال: رأيت معروفا يؤذن فلما قال: أشهد أن لا إله إلا الله، رأيت شعر لحيته وصدغه قائما كأنه زرع، وقال سري: سألت معروفا عن الطائعين بأي شيء

قدروا على الطاعة لله عز وجل؟، قال: بخروج الدنيا من قلوبهم، وكان يقول: إذا أراد الله بعبد خيرا فتح عليه باب العمل، وأغلق عليه باب الجدل، وإذا أراد به شرا أغلق عليه باب العمل وفتح عليه باب الجدل، كان رضي الله عنه من السادات الاجلاء، وكراماته رضي الله عنه كثيرة، فمنها ما رواه خليل الصياد قال: غاب ابني إلى الأنبار فوَجدَتُ أمُّه وجدا شديدا فأتيتُ معروفا فقلت له: يا أبا محفوظ ابني قد غاب فوَجدَت أمه وجدا شديدا، قال: فما تشاء؟ قلت: تدعو الله أن يرده عليها فقال: اللهم إن السماء سماؤك، والأرض أرضك، وما بينهما لك، فأتِ به، قال خليل: فأتيتُ باب الشام فإذا ابني منبهر، فقلت: يا محمد أين كنتَ؟ فقال: يا أبتِ الساعة كنت بالأنبار، وعن أبي بكر الزجاج، قال: قيل لمعروف الكرخي في عِلَّتِه: أوصِ، فقال: إذا متُّ فتصدقوا بقميصي هذا فإني أحب أن أخرج من الدنيا عريانا كما دخلت إليها عريانا، **ومنهم العارف بالله السري السقطي**: الإمام الهمام المعروف بطبيب الغذاء وتصفية القلوب، خالُ الجنيد البغدادي وأستاذه، وهو تلميذ معروف الكرخي، كان وحيدَ زمانه وفريدَ دهره في الورع وأحوال السنة وعلوم التوحيد، قال العباس بن مسروق: بلغني أن السري كان يتجر في السوق، فجاء معروف يوما ومعه صبي يتيم، فقال له: أكْسُ هذا اليتيم قال السري: فكسوته، ففرح به معروف وقال: بغَّضَ الله إليك الدنيا، وأراحك مما أنت فيه، فقمت من الحانوت وليس شيء أبغض إليَّ من الدنيا، وكل ما أنا فيه من بركات معروف، يقول الجنيد: ما رأيت أعبدَ من السري، أتت عليه ثمانٌ وتسعون سنة ما رؤي مضطجعا إلا في علة الموت، وقال الجنيد: سمعت السري يقول: أعرف طريقا مختصرا قصدا إلى الجنة، فقلت: ما هو؟ فقال: لا تسأل من أحد شيئا، ولا تأخذ من أحد شيئا، ولا يكن معك شيء تعطي منه أحدا، وكان يقول: المغبون من فنيت أيامه بالتسويف، وكان يقول: احذر أن تكون ثناء منشورا وعيبا مستورا، وكان يقول: التوكل الانخلاع عن الحول والقوة، وكان يقول: أربع خصال ترفع العبد: العلم والأدب والعفة والأمانة، وكان يقول: تصفية العمل من الآفات أشد من العمل، وكان يقول: من استعمل التسويف طالت حسرته يوم القيامة، وقال أبو بكر العطشي للسري السقطي: ماذا أراد أهل الجوع بالجوع، فقال: ماذا أراد أهل الشبع بالشبع، إن الجوع أورثهم الحكم، وإن الشبع أورثهم الغم، وكان يقول: من لم يعرف قدر النعم سُلِبها من حيث لا يعلم، ومن هانت عليه المصائب أحرز ثوابها، وكان يقول: اجعل فقرك إلى الله تستغني به عمن سواه، وكان يقول: أحسن الأشياء خمسة: البكاء على الذنوب، وإصلاح العيوب، وطاعة علام الغيوب، وجلاء الرين عن القلوب، وأن لا تكون لما تهوى ركوب، وكان يقول: أشتهي ان أموت ببلد غير بغداد، فقيل لمَ؟ فقال أخاف أن لا يقبلني قبري

فأفتضح، **ومنهم العارف بالله لسان الطائفة أبو القاسم الجنيد البغدادي**: الشيخ الإمام مقتدى الإسلام مفتي الفريقين وشيخ الطائفتين، قال السبكي: سيد الطائفة ومقدم الجماعة وإمام أهل الخرقة وشيخ طريقة التصوف وعَلم الأولياء في زمانه، وقال الرافعي: صحب خاله السري السقطي والحارث بن أسد المحاسبي وغيرهما من أجلة المشايخ، وممن صحبه من أجلة العلماء أبو العباس بن شريح الفقيه، وتفقه على أبي ثور صاحب الإمام الشافعي، وله رحمه الله كلام كثير في بيان طريق الصوفية، وكان يقول: طريقنا مقيد بالكتاب والسنة، واشتهر عنه كرامات منها أن الشيخ كان يتكلم على الناس فوقف غلام نصراني متنكرا وقال: أيها الشيخ ما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى) [رواه الترمذي]، فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال له: أسلم فقد حان وقت إسلامك، فأسلم الغلام، والناس معتقدون أن هذا للجنيد كرامة واحدة وإنما فيه كرامتان إحداهما اطلاعه على كفر الغلام، والثانية اطلاعه على أنه سيسلم في الحال، وكان رحمه الله من صغره ناطقا بالمعارف والحِكم حتى إن خاله السري سأل عن الشكر والجنيد يلعب مع الصغار فقال له: ما تقول يا غلام؟ قال: الشكر أن لا تستعين بنعمه على معاصيه، واتفق العلماء على أن طريقة الجنيد طريقة متبعة، ومذهبه مذهب سالم،، أخذ الطريقة ولبس الخرقة من يد خاله السري السقطي رضي الله عنه، وهو لبسها من يدِ الإمام معروف الكرخي، وهو لبسها من يد الإمام داود الطائي، وهو لبسها من يد الإمام الحسن البصري وهو لبسها من يد سيد الأئمة وإمام الأمة سيدنا ومولانا الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كما صحح ذلك السيوطي، والإمام الجنيد ورث هؤلاء الأكابر، وشرح مضمر فضلهم، وكشف كنوز معارفهم، قام نائبا عن السلف وإماما للخلف، وجمع لهم مذهبا، وبنى لهم طريقا يتوصل الناس به إلى منازلهم ومعارفهم، وكل الأئمة الأقطاب إنما ينتسبون إليه وإلى طريقته،

**[المفتاح الثاني]: الأئمة الأقطاب هم أصحاب الطرق المتبعة المعروفة**، وكبارهم: العارف بالله القطب الشيخ عبدالقادر الجيلاني، و العارف بالله القطب الشيخ احمد الرفاعي، و العارف بالله القطب الشيخ إبراهيم الدسوقي، و العارف بالله القطب الشيخ أحمد البدوي، العارف بالله القطب الشيخ أبو الحسن الشاذلي، وهؤلاء هم أهل الهمم العلية والآداب القدسية، والمدارك الناجحة، والتجارة الرابحة، عرفوا حد البشرية، وما تجاوزوا مقام العبودية، ولا حجبتهم الحجب المستعارة الفانية عما وراءها من الشؤونات الصحيحة الباقية، فألجموا الألسن عن الكلام بغير الحق، وتبعهم على ذلك

جم غفير من المسلمين، فهم أعيان الأولياء وأقطاب العرفاء شهرتهم سارت شرقا وغربا وأتباعهم عجما وعربا، هم السادة أصحاب الطرق المشهورة والمسالك المنصورة،

**منهم العارف بالله القطب الشيخ عبدالقادر الجيلاني**: من أشياخ الخرقة وقادة الطريقة وسادات فرسان الحقيقة الإمام العارف الرباني شيخ الإسلام السيد: أبو محمد محي الدين عبدالقادر الحسني، أخذ العلوم الشرعية والفنون الدينية حتى فاق أهل زمانه وتميز من بين أقرانه، ذا سمت بهي، وقدر علي، وعلم وفي، رضي الله عنه، وكان يزدحم عليه الخلق، وكان الناس يأتون على الخيل والبغال والحمير والجمال يقفون بما وراء الحلقة والمجلس كالسور، وكان يحضر المجلس نحو سبعين ألفا، وكان إذا صعد الكرسي لا يتكلم أحدٌ هيبةً له، ومن بعض كراماته أن أقصى الناس في مجلسه يسمع صوته كما يسمع أدناهم منه على كثرتهم، وكان يقول: اتبعوا ولا تبتدعوا، وأطيعوا ولا تمزقوا، واصبروا ولا تجزعوا، وانتظروا الفرج ولا تيأسوا، واجتمعوا على ذكر الله ولا تفرقوا، وتطهروا بالتوبة عن الذنوب ولا تلَطخوا، وعن باب مولاكم لا تبرحوا، وكان يقول قدس الله سره: كونوا بوابين على باب قلوبكم، وأدخلوا ما يأمركم الله بإدخاله، وأخرجوا ما يأمركم بإخراجه، ولا تدخلوا الهوى قلوبَكم فتهلكوا، احذروا ولا تركنوا، وخافوا ولا تأمنوا، وفتشوا ولا تغفلوا فتطمئنوا ولا تضيفوا إلى أنفسكم حالا ولا مقاما، ولا تدعوا شيئا من ذلك، ولا تخبروا أحدا بما يطلعكم الله عليه من الأحوال، فإن الله تعالى يحول بين العبد وقلبه، فيزيلكم عما أخبرتم الناس به، ويعزلكم عما تخيلتم ثباته، بل احفظوا ذلك ولا تتعدوا، فإن كان الثبات والبقاء فاشكروا الله عليه فإنه موهبة منه، وكان يقول قدس الله سره: إياكم أن تحبوا أحدا أو تكرهوه إلا بعد عرض افعاله على الكتاب والسنة كيلا تحبوه بالهوى وتبغضوه بالهوى، واعلموا أنه لا يجوز لكم هجر أحد على الظن والتهمة، وكان يقول: من علامة حب الآخرة الزهدُ في الدنيا، ومن علامة حب الله فيما سواه، وهو شيخ الطريقة القادرية السنية، والتي عمّ ذكرها في الآفاق، وإليه ينتسب مشايخ هذه الطريقة البهية، أمدنا الله بأمداده النورانية، ونفعنا والمسلمين ببركاته،

**ومنهم العارف بالله القطب الشيخ احمد الرفاعي:** السيد الشريف مرشد الإسلام وصاحب منقبة تقبيل يد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم سيدنا أبو العباس الشيخ أحمد الرفاعي الكبير السيد الحسيني، شيخ الطريقة والحقيقة الإمام الكبير، والزاهد العارف القطب الغوث، أبو العلمين، وارث العلم النبوي، انعقد الإجماع في حياة مشايخه واتفقت كلمتهم على عظيم شأنه، كان عَلما شامخا،

وجبلا راسخا، وعالما جليلا، ومحدثا فقيها مفسرا، متمكنا في الدين، وسهلا على المسلمين، هيّنا ليّنا هشّا بشّا، ليّن العريكة، حسنَ الخَلْق، كريم الخُلق، حلو المكالمة، لطيف المعاشرة، لا يمله جليسه، حمولا للأذى، وفيا إذا عاهد، صبورا على المكاره، متواضعا من غير ذلة، كاظما للغيظ من غير حقد، أعرفَ اهل عصره بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأعلمَهم بها، بحرا من بحار الشرع، سيفا من سيوف الله، وارثا أخلاق جده رسول الله، وكان رضي الله عنه أبا الأيتام، ربيع المساكين، يجبُر اليتيم ويربيه، ويقرب المساكين، ويعطي الأرامل من غير سؤال، ويسعف المحتاج من غير إهمال، وكان يجمع الحطب، ثم يفرقه على الأرامل والمساكين والمرضى والزَمنى والمشايخ، ويقول: الشفقة على الإخوان مما يقرب إلى الله، وكان يقول: أنا حُميد اللاش، أنا لاش اللاش،، وكان يمشي إلى الزمنى فيغسل ثيابهم، ويفلي رءوسهم وثيابهم، ويحمل إليهم الطعام، ويأكل معهم ويجالسهم، ويسال الله تعالى لهم العافية، ويسالهم الدعاء، وكذلك كان يفعل مع العميان والمرضى والعرجان، وكان يقضي حوائج العجائز والأرامل من النصارى ويخدمهم ويحسن إليهم حتى أسلم خلقٌ كثير منهم على يديه، وكانوا يسمونه أبا الأيتام والمساكين، وكان يقول: وصلنا إلى ما وصلنا إليه بالشفقة على عباد الله، وهو شيخ الطريقة الرفاعية السنية، والتي عمّ ذكرها في الآفاق، وإليه ينتسب مشايخ هذه الطريقة البهية، أمدنا الله بأمداده النورانية، ونفعنا والمسلمين ببركاته،

**ومنهم العارف بالله القطب الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله الشاذلي**، الإمام الرباني القطب الزاهد، تتلمذ على الولي العارف أبي محمد عبد السلام بن بشيش، وكان له أكبر الأثر في حياته، ثم رحل إلى تونس، واعتكف للعبادة في جبل زغوان، وهناك ارتقى منازل عالية، رحل بعد ذلك إلى مصر وأقام بالإسكندرية، وفيها أصبح له أتباع ومريدون، وانتشرت طريقته في مصر والعالم كله بعد ذلك، ومن أهم تلامذته: الولي العارف: أبو العباس المرسي: قال عن نفسه: (والله لو حُجب عني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين)، ثم خلف على مشيخة الشاذلية بعد أبي العباس المرسي ياقوتُ العرش، وكان حبشيًّا، وسمي بالعرش لأن قلبه لم يزل تحت العرش، وما على الأرض إلا جسده، والعارف بالله الإمام الشاذلي له العديد من الكرامات، وكان يقول: إذا عارض كشفك الكتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة ودع الكشف، وقل لنفسك إن الله تعالى قد ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة، ولم يضمنها لي في جانب الكشف

ولا الإلهام ولا المشاهدة، وكان يقول: كل علم يسبق إليك فيه الخاطر، وتميل إليه النفس وتلذّ به الطبيعة فارمِ به، وإن كان حقًّا، وخذ بعلم الله الذي أنزله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم واقتدِ به وبالخلفاء والصحابة والتابعين من بعده، وهو شيخ الطريقة الشاذلية السنية، والتي عمّ ذكرها في الآفاق، وإليه ينتسب مشايخ هذه الطريقة البهية، أمدنا الله بأمداده النورانية، ونفعنا والمسلمين ببركاته،

**ومنهم العارف بالله القطب الشيخ إبراهيم الدسوقي**: السيد الحسيني القطب الغوث الشهير حامل لواء المعالي، وقائد ركبان الأعالي، الواقف على متن المنهاج الحقيقي، شهد له رجال وقته بالولاية الكبرى والقطبية العظمى وانتهت إليه رئاسة الطريق، يقول الشيخ الشعراني: هو أحد الأئمة الذين خرق له العادات، وأوقع له الهيبة في القلوب، وانعقد على فضله إجماع المشايخ، وكان مقصودا بحل المشكلات، فهو الشيخ الكامل صاحب الأفهام العرفانية، والعلوم اللدنية، والأسرار الربانية كان له المقام العالي في قلوب العلماء والملوك والمهابة في الصدور، وقُصِدَ للزيارة والتبرك من سائر الآفاق، وأمر التمساح أن يلفظ الصبي الذي ابتلعه فخرج التمساح ولفظه بحضرة الناس، فإن الله قد خرق له العادات وأظهر على يديه العجائب وكان يقول قدس الله سره: من لم يكن عنده شفقة ورحمة على خلق الله لا يرقى مراقي أهل الله، وكان يأخذ العهد على المريد، فيقول له: يا فلان اسلك طريق النسك على كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان وحج البيت إن استطعت إليه سبيلا، وعلى أن تتبع جميع الاوامر الشرعية، والأخبار المرضية، والاحتفال بطاعة الله عز وجل قولا وفعلا واعتقادا، وأن لا تنظر يا ولدي إلى زخارف الدنيا ومطاياها وقماشها ورياشها وحظوظها، واتبع نبيك في أخلاقه، فإن لم تستطع فاتبع خُلُق شيخك، فإن نزلت عن ذلك هلكت، واعلم يا ولدي أن التوبة ما هي بكتابة درج ورق ولا كلام من غير عمل إنما بالتوبة العزمُ على ارتكاب ما الموتُ دونه، فصف أقدامك يا ولدي في حندس الليل البهيم، ولا تكن ممن يشتغل بالبطالة ويزعم أنه من أهل الطريق، وكان يقول قدس الله سره: لو هاجر الناس مهاجرة صحيحة طالبين الله خالصا ودخلوا تحت أوامره لاستغنوا عن الأشياخ، ولكنهم جاءوا إلى الطريق بعلل وأمراض فاحتاجوا إلى حكيم، وكان يقول قدس الله سره: قوة المبتدي الجوع ومطره الدموع وفطره الرجوع، وأما من أكل ونام ولغا في الكلام، وترخص وقال ما على فاعل ذلك من ملام فلا يجيء منه شيء والسلام، وهو شيخ الطريقة البرهانية الدسوقية

السنية، والتي عمّ ذكرها في الآفاق، وإليه ينتسب مشايخ هذه الطريقة البهية، أمدنا الله بأمداده النورانية، ونفعنا والمسلمين ببركاته

**ومنهم العارف بالله القطب الشيخ أحمد البدوي**: الشيخ الأكبر والأسد الغضنفر أبو الفتيان وقطب أهل العرفان، يقول الشيخ الشعراني: هو شيخ الخرقة أبو العباس أحمد البدوي الحسيب النسيب رضي الله عنه، وشهرته في مصر والشام والحجاز واليمن والهند والسند والروم والغرب تغني عن تعريفه، وكان مولده بمدينة فاس بالمغرب، فإن أجداده الشرفاء انتقلوا أيام الحَجاج إلى أرض المغرب لما كثر القتل في الأشراف ولما بلغ سبع سنين سمع أبوه قائلا يقول له في منامه يا علي انتقل من هذه البلاد إلى مكة، قال الشريف حسن أخو السيد أحمد: فأقمت أنا وإخوتي وكان أحمد أصغرنا سنا وأشجعنا قلبا، وكان لكثرة تلثمه سميناه بالبدوي، فأقرأته القرآن ولم يكن في فرسان مكة أشجع من أخي أحمد، حتى كانوا يسمونه في مكة العطاب، فلما جاءته المواهب الإلهية وتغيرت أحواله واعتزل الناس ولازم الصمت، فكان لا يكلم الناس إلا بالإشارة، ثم إنه رأى في منامه ثلاث مرات قائلا يقول له: قم ثم سر إلى طندتا فأن بها مقامَك فسار إلى طندتا دخل إلى دار بن شحيطة شيخ البلد فصعد إلى سطح غرفته، وأقام فوق السطح نحو اثنتي عشرة سنة، وكان يمكث أياما لا يأكل ولا يشرب ولا ينام، عُرض عليه التزويج فامتنع لإقباله على العبادة، واشتهر بالعطاب لكثرة عطبه لمن يؤذيه، وكان إذا عرض له الحال يصيح صياحا عظيما متواصلا، ويؤثر عنه كرامات كثيرة وخوارق شهيرة من أشهرها قصة المرأة التي أسر ولدَها الفرنج فلاذت به فأحضره إليها في قيوده، وهو شيخ الطريقة البدوية السنية، والتي عمّ ذكرها في الآفاق، وبعد فهؤلاء بعض رجال هذا الطريق الأولياء العارفين والسالكين الواصلين، والصديقين الوارثين، أمدنا الله بأمدادهم النورانية، ونفعنا والمسلمين ببركاتهم السنية،

***

# المبحث السادس والعشرون

# مدارس التصوف

**[المفتاح الأول]:** تعريف **الطريق لغة:** هي السيرة، وطريقة الرجل: مذهبه، يقال: هو على طريقة حسنة وطريقة سيئة، **واصطلاحا:** اسم لمنهج أحد العارفين في التزكية والتربية والأذكار والأوراد أخذ بها نفسه حتى وصل إلى معرفة الله، فينسب هذا المنهج إليه ويعرف باسمه، فيقال الطريقة الشاذلية والقادرية والرفاعية نسبة لرجالاتها، واسم الطريقة مقتبس من القرآن الكريم من قوله تعالى: **{وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا} [الجن: 16]**، و **(الطرق الصوفية):** هي مدارس في التزكية والتربية مرتبطة بواسطة السند المتصل، وجميعها تتبنى عقيدة أهل السنة والجماعة من الأثرية أو الأشاعرة أو الماتريدية، وتتبع أحد المذاهب الأربعة السنية، والاختلاف بينها إنما هو في طريقة التربية والسلوك إلى الله، تختلف الطرق التي يتبعها مشايخ الطرق في تربية طلابها ومريديها باختلاف مشاربهم واختلاف البيئة الاجتماعية التي يظهرون فيها، وكل هذه الأساليب لا تخرج عن كتاب الله وسنة رسوله، بل هي من باب الاجتهاد المفتوح للأمة، ولذلك قيل: لله طرائق بعدد أنفاس الخلائق، فقد يسلك بعض المشايخ طريق الشدة في تربية المريدين فيأخذونهم بالرياضات العنيفة ومنها كثرة الصيام والسهر وكثرة الخلوة والاعتزال عن الناس وكثرة الذكر والفكر، وقد يسلك بعض المشايخ طريقة اللين في تربية المريدين فيأمرونهم بممارسة شيء من الصيام وقيام مقدار من الليل وكثرة الذكر، ولكن لا يلزمونهم بالخلوة والابتعاد عن الناس إلا قليلا، ومن المشايخ من يتخذ طريقة وسطى بين الشدة واللين في تربية المريدين،

**[المفتاح الثاني]: نبذة عن الطريقة القادرية:** احدى الطرق الصوفية السنية والتي تنتسب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني (471 هـ – 561 هـ)، وينتشر أتباعها في بلاد الشام والعراق ومصر وشرق أفريقيا، وقد كان لرجالها الأثر الكبير في نشر الإسلام في قارة أفريقيا وآسيا، وفي الوقوف

في وجه المد الأوروبي الزاحف إلى المغرب العربي، **ومن أهم قواعد وأسس الطريقة القادرية:** (1) **الالتزام بالكتاب والسنة:** يقول الشيخ عبد القادر الجيلاني: (طريقتنا مبنية على الكتاب والسنة فمن خالفهما فليس منا)، ويقول: (اجعل الكتاب والسنة جناحيك طر بهما إلى الله)، (2) **الجَدُّ والكَدُّ ولزوم الحَدِ حتى تنقد:** ومعنى (جد) الجدية في سلوك الطريق إلى الله، ومعنى (كد) بذل الجهد والجوارح والنفس والروح في السير إلى الله بدون هوادة ولا تراخي، ومعنى(لزوم الحد) الالتزام بالشريعة وتحليل الحلال وتحريم الحرام والوقوف عند حدود الله وعدم تجاوزها، ومعنى (حتى تنقد) حتى تجف النفس عن المعاصي والذنوب والشهوات والملذات والأخلاق السيئة ولا يبقى فيها إلا الله جل في علاه، (3) **الاجتماعُ والاستماعُ والإتباعُ حتى يحصل الانتفاع:** ومعنى هذا الاجتماع بالصالحين والعلماء والمرشدين والأخوة في الله والاستماع لهم بأدب وإتباع ما يقولون وما يأمرون من الهدي النبوي وبذلك يحصل لدينا الانتفاع والوصول لما وصلوا إليه، (4) **الاعتقاد بشيخ الطريقة العقيدة الصحيحة:** ومعنى هذا أن يحبوه ويحترموه ويقدروه ولا يهملوه ولا يعظمونه فوق الحد المطلوب ولا يغلوا في حبه ولا يعتقدوا فيه العصمة فإنه بشر يخطئ ويصيب لكنه محفوظ بعناية الله، يقول الشيخ عبد القادر الجيلاني في كتابه الغنية: (يا بني إياك أن تنظر إلى شيخك أنه معصوم إنما هو بشر يخطئ ويصيب فإن رأيت منه مخالفة فابحث له عن عذر شرعي فإن لم تجد له عذر فاستغفر له الله فإنه بشر يخطئ ويصيب)، (5) **حب الشيخ:** لأنه دليلنا إلى حب الله ورسوله (6) **الدعوة إلى الله**، (7) **كثرة الذكر لله تعالى:** فالذكر هو المعراج في السير إلى الله في الطريقة القادرية، فمن أهم أعمال المريد كثرة الأذكار والمداومة عليها وعلى الاستغفار والصلاة على الرسول بالليل والنهار وبذلك يرتقي المريد في مقامات المحبة لله ولرسوله والذكر هو الوسيلة العظمى لتزكية النفس وتربيتها وتحليتها بالأخلاق المحمدية، (8) **محبة آل البيت:** وحبهم مقدم على كل من سواهم من الناس لأنهم بضعة النبي ووصيته لأمته، مع الحب والتقدير والإكبار والإجلال للصحابة وعلى رأسهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب، (9) **حب كل الأولياء والصالحين:** وحب مشايخ ومرشدين الطرق الأخرى، ولا يفرقون ولا يميزون بين طريقة وأخرى، ولا يتعصبون لطريقتهم ولا يطعنون بالطرق الأخرى التي تنهج منهج الكتاب والسنة، وذلك كله مع المحبة والتعظيم والتقدير لطريقتهم ولمشايخهم كما ينبغي أن يكون، [قواعد وأسس الطريقة القادرية]، و**شروط الشيخ المرشد عند القادرية:** أسس الإمام الجيلاني طريقته وفق الكتاب والسنة ووضع لها ضوابط شرعية حتى لا يكثر الشطط والنقصان والتغيير والابتداع ويدعي

المشيخة من يقدر ومن لا يقدر ومن يعلم ومن لا يعلم، فوضع الشيخ ضوابط وشروط ينبغي أن تتوفر بالشيخ المرشد الذي يتصدر للإرشاد وهذه الشروط هي: " إذا لم يكن للشيخ خمس فوائد... وإلا فدجالٌ يقود إلى جهل... عليم بأحكام الشريعة ظـاهراً... ويبحث عن علم الحقيقة عن أصل... ويظهر للورَّادِ بالبشر والقرى... و يخضع للمسكين بالقول والفعل... فهذا هو الشيخ المعظم قـدره... عليم بأحكام الحرام من الحل... يهذب طـلاب الطـريق ونفسه... مهذبة من قبل ذو كرم كلي "، لقد بين الشيخ في هذه الأبيات بعض شروط الشيخ المربي وهي خمس، فإن لم تتوفر فيه فليس لديه الأهلية للإرشاد وهذه الشروط هي: (1) أن يكون عالماً بأحكام الشريعة والدين عالم بالحلال والحرام عالم بحدود الشرع وعالم بالسنة النبوية وعالم بما علم من الدين بالضرورة، (2) أن يكون عالماً بعلم الحقيقة والطريقة وعالم بأحوال القلوب والنفوس وطرق تزكيتها وخبير بأحوال السالكين وتدرجهم في الطريق إلى الله ويكون قد أخذ هذا العلم من شيخ مرشد كامل عبر سند متصل إلى رسول الله وهذا معنى قول الشيخ (ويبحث عن علم الحقيقة عن أصل)، (3) أن يكون كريماً سخياً مع ضيوفه فما جبل ولي الله إلا على السخاء وحسن الخلق ورحابة الصدر وهذا معنى قول الشيخ (ويظهر للورَّادِ بالبشر والقرى)، (4) أن يكون متواضعاً للمؤمنين يخضع لهم بالقول والفعل وهذه الخصلة هي من خصال النبي حيث أمره الله فقال له {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ}، (5) أن يكون قد ناجحاً في تربية المريدين وتزكية نفوسهم ولن يكون له هذا إلا إذا كان قد زكى نفسه قبل ذلك على يد شيخ خبير بارع وأن يكون قد أذن له بالإرشاد والمشيخة من قبل شيخه وفق سند متصل وهذا معنى قول الشيخ (يهذب طلاب الطريق ونفسه مهذبة من قبل ذو كرم كلي)، **ومن آداب المريد في الطريقة القادرية:** (1) المداومة على صلاة الجماعة في المسجد، (2) ذكر التوحيد بالليل والنهار وبعد كل فريضة (200) مرة والالتزام بالأذكار الواردة عن النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، (3) تلاوة القرآن الكريم بمعدل جزأين في اليوم والليلة، (4) دوام الوضوء في الليل والنهار وقبل النوم وذكر الله وقراءة القرآن الكريم قبل النوم، (5) صحبة الفقراء والمساكين وخفض الجناح للمؤمنين وهجر أبناء الدنيا إلا لحاجة ضرورية دون الخوض معهم فيما يخوضون، (6) أن يتذكر الموت والقبر والحساب والحشر بالليل والنهار قدر الاستطاعة، (7) أن لا يأكل بغفلة ولا بشهوة بل يأكل بنية الامتثال لأمر الله تعالى (كلوا من طيبات ما رزقناكم) وبنية التقوي على طاعة الله تعالى، (8) أن يحفظ سمعه وبصره إذا مشى في الطريق عن كل ما حرم الله وأن لا يكثر من الالتفات وإذا ألتفت بكل جسده لا برأسه تأسياً بالحبيب صلى الله عليه وآله وسلم، (9)

صوم الأيام المسنونة الواردة عن الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم، (10) أداء السنن والنوافل والرواتب الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كالضحى والإشراق والأوابين والوتر وقيام الليل والتهجد وغيرها من السنن، (11) الصبر على البلاء والشدائد والمحن، (12) من اهم أخلاق الصوفي: ترك الجفا وصدق الوفا وحسن الخلق ولين الطبيعة، ولا يتكبر ولا ينازع إلا في الحق من أمر الدين، سخي اليد قانعاً بالقليل ولا ينتصر لنفسه، وان يكون ناصحاً للمسلمين محباً للمساكين، ولا يحسد أحداً ولا يسأل إلا الله، ولا يغضب إلا لما يُغْضِبُ الله، ولا يرضى إلا بما يرضي الله، ولا يسخط إلا على ما يسخط الله ويحفظ حدود الشريعة، **ومن أوراد الطريقة القادرية:** ورد الأذكار دبر الصلوات: وهو أن تقول دُبر كُل صلاة مكتوبة: حسبُنا الله ونعم الوكيل (مائتي مرة)، أستغفر الله العظيم (مائتي مرة)، لا إله إلا الله الملك الحق المبين (مائتي مرة)، اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (مائتي مرة)، وتزيد بعد الفجر والمغرب لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين (سبعاً)، اللهم يا لطيف أسألك اللطف فيما جرت به المقادير (سبعاً)، اللهم يا واحد يا أحد يا موجود يا جواد انفحني بنفحة خير منك تغنيني بها عمن سواك (سبعاً)، اللهم بارك لي في الموت وفيما بعد الموت (أربعاً وعشرون)، اللهم صلي على سيدنا محمد وارضىَ على روح غوث الثقلين سيدي الشيخ عبد القادر الجيلي وارضىَ عن شيخي وعن أشياخي أولهم وأخرهم واجزهم عني خيرا (ثلاث مرات)، اللهم إني أعوذ بك من كُلَ صاحب يرديني ومن كُلَ أمل يغويني ومن كُلَ عمل يخزيني ومن كُل غني يطغيني ومن كُل فقر يلهيني، اللهم إني أعوذ بك من الهم و الحزَن وأعوذ بك من الجُبن والبُخل وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من غلبة الدين و قهر الرجال وأعوذ بك من قلب لا يخشع وعين لا تدمع ونفس لا تقنع وعلم لا ينفع وأعوذ بك من هؤلاء الأربع، **[من اوراد الطريقة القادرية الكسنزانية]:** بالإضافة الى فروض الشريعة المعروفة من صوم وصلاة وغيرها يفرض نهج الطريقة على المريد فروضا اضافية وهي عبارة عن اذكار وبأعداد محددة وضعها مشايخ الطريقة بعد ان تكشفت لهم اسرارها الروحية بفضل مكانتهم عند الله سبحانه وتعالى وعلمهم الرباني الذي اكرمهم به، ولهذه الاوراد فوائد عظيمة في تطهير قلب المريد من هوى النفس وكل ما نهى عنه الله عز وجل ومساعدته في السير على درب الترقي الروحي الذي اخذ العهد على سلوكه، ونتيجة لمجاهدات مشايخ الطريقة الكسنزانية وعباداتهم وخلواتهم فقد انكشفت لهم سلسلة من الاوراد ذات الاسرار الروحية العظيمة القدر وهذه الاوراد هي زاد المريد في رحلته على نهج الطريقة، قال تعالى: {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى}، وتقسم الاوراد الى قسمين: (الاوراد

اليومية): وعددها ثمانية، خمسة منها بعد كل صلاة وواحدة قبل صلاة المغرب بساعة ويسمى ورد العصر، اضافة الى قراءة سورة الفاتحة مئة مرة والصلاة على الرسول الاعظم الف مرة خلال اليوم الواحد، (الاوراد الدائمة): وهي عبارة عن تسعة عشر ورداً يقوم بها المريد بشكل فردي ويتم تكرار كل واحد منها مئة الف مرة وعند الانتهاء من الورد التاسع عشر يعود المريد مرة ثانية من الورد الاول وهكذا يدور حتى نهاية العمر لقوله تعالى: {واعبد ربك حتى يأتيك اليقين}، ويمكن للمريد ان يقوم بهذه الاوراد في أي وقت باستثناء ليلة الجمعة ونهارها المخصصين للصلاة على الرسول وفيما يلي جدولا بهذه الاوراد: [الاوراد اليومية]: (أولا): بعد صلاة الفجر: لا إله إلا الله (300) مرة، لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله (100) مرة، الله (300) مرة، (30) مرة سورة الفاتحة، استغفر الله العظيم (100) مرة، (ثانيا): بعد صلاة الظهر: لا اله الا الله (165) مرة، سورة الفاتحة (25) مرة، استغفر الله (100) مرة، (ثالثا): بعد صلاة العصر: لا اله الا الله (165)، سورة الفاتحة (20) مرة، استغفر الله (100) مرة، (رابعا): قبل صلاة المغرب بساعة واحدة (ورد العصر): يا الله يا حي يا قيوم (66) مرة، يا الله مولاي الله (66) مرة، يا هو (66) مرة، يا حي (66) مرة، يا واحد (66) مرة، يا عزيز (66) مرة، يا ودود (66) مرة، يا رحمن (66) مرة، يا رحيم (66) مرة، يا أرحم الراحمين (66) مرة، (خامسا): بعد صلاة المغرب: لا اله الا الله (165)، سورة الفاتحة (15) مرة، استغفر الله (100) مرة، (سادسا): بعد صلاة العشاء: لا اله الا الله (300) مرة، لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله (100) مرة، الله (300) مرة، استغفر الله (100) مرة، سورة الفاتحة (10) مرات، اللهم صل على سيدنا محمدا الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى اله وصحبه وسلم تسليما (100) مرة، سورة الاخلاص (200) مرة،

**[المفتاح الثالث]: نبذة عن الطريقة الرُفاعية: الرفاعية** هي طريقة سنية صوفية ينتشر أتباعها في العراق ومصر وسوريا وغرب آسيا، تُنسب إلى الفقيه العارف بالله الشيخ أحمد بن علي الرفاعي الحسيني (512 هـ – 578 هـ) الملقب بـ "أبو العلمين" و"شيخ الطرائق" و"الشيخ الكبير"، وأهم مبادئ الطريقة الرفاعية: العمل بمقتضى ظاهر الكتاب والسنة، ثم أخذ النفس بالمجاهدة والمكابدة، والإكثار من الذكر، وقراءة الورد، وذلك وفق إرشادات الشيخ وتوجيهاته، مع ضرورة التسليم له والانصياع

لأوامره، **ومن أوراد الرفاعية:** صباحًا ومساء: بسم الله الرحمن الرحيم، فاتحة الكتاب (3 مرات)، ءاية الكرسي (3 مرات)، ءامن الرسول بما أنزل إليه من ربه... إلى ءاخر السورة (3 مرات)، لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير (3 مرات)، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر (3 مرات)، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم (3 مرات)، ربنا اغفر لنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم (3 مرات)، اللهم صل على سيدنا محمد اللهم صل عليه وسلم (3 مرات)، أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق (3 مرات)، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم (3 مرات)، رضينا بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبسيدنا محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم نبيًا ورسولاً (3 مرات)، بسم الله الحمد لله الخيرُ والشرُ بمشيئةِ اللهِ (3 مرات)، ءامنا بالله واليوم الآخر تبنا إلى الله باطنًا وظاهرًا (3 مرات)، يا ربنا واعف عنا وامح الذي كان منا يا الله (3 مرات)، يا ذا الجلال والإكرام أمِتنا على دين الإسلام (3 مرات)، يا قوي يا متينُ اكفنا شرَ الظالمين (7 مرات)، أصلح الله أمرَ المسلمينَ صَرَفَ اللهُ شرَّ المؤذين (9 مرات)، يا عليُّ يا كبيرُ يا عليمُ يا قديرُ يا سميعُ يا بصيرُ يا لطيفُ يا خبيرُ (3 مرات) . يا فارجَ الهمِّ يا كاشفَ الغَمِّ يا مَن لعبدِهِ يغفرُ ويرحم (3 مرات)، أستغفرُ اللهَ ربَّ البرايا أستغفرُ اللهَ مِنَ الخطايا (3 مرات)، لا إله إلا اللهُ محمدٌ رسولُ الله (50 مرة)، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم، **وكان من أوراده رحمه الله:** قراءة سورة الفاتحة (12 مرة)، آية الكرسي (12 مرة) قبل شروق الشمس وقبل غروبها، أو صباحًا ومساءً، ومن فاته صباحًا فله أن يقضيه إلى العصر وكذلك من فاته مساءً له أن يقضيه ليلاً إلى طلوع الفجر، وكان من أوراده رحمه الله: المسبعات العشر: وهو أن تقرأ قبل طلوع الشمس وبسطها على الأرض، وقبل الغروب: فاتحة الكتاب (سبع مرات)، و قل أعوذ برب الناس (سبع مرات)، و قل أعوذ برب الفلق (سبع مرات)، و قل هو الله أحد (سبع مرات)، و قل يا أيها الكافرون (سبع مرات)، و آية الكرسي (سبع مرات)، و سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر (سبع مرات)، و الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم (سبع مرات)، و اللهم اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات (سبع مرات)، و اللهم افعل بي وبهم عاجلاً وءاجلا في الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهلٌ ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن له أهلٌ إنك غفور حليم جواد كريم رؤف رحيم (سبع مرات)، **[بعض أوراد الرفاعية]:** كان من أوراد السيد أحمد الراتبة، مما يقرؤه صباحًا ومساء، وبعض مشايخ الطريقة اختار قراءته ليلة الخميس وليلة

الاثنين: " بسم الله الرحمن الرحيم، فاتحة الكتاب (3 مرات)، ءاية الكرسي (3 مرات)، ءامن الرسول بما أنزل إليه من ربه... إلى ءاخر السورة (3 مرات)، لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير (3 مرات)، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر (3 مرات)، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم (3 مرات)، ربنا اغفر لنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم (3 مرات)، اللهم صل على سيدنا محمد اللهم صل عليه وسلم (3 مرات)، أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق (3 مرات)، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم (3 مرات)، رضينا بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبسيدنا محمدٍ صلى الله عليه وسلم نبيًا ورسولاً (3 مرات)، بسم الله الحمد لله الخيرُ والشرُ بمشيئةِ اللهِ (3 مرات)، ءامنا بالله واليوم الآخر تبنا إلى الله باطنًا وظاهرًا (3 مرات)، يا ربنا واعف عنا وامح الذي كان منا يا الله (3 مرات)، يا ذا الجلال والإكرام أمِتنا على دين الإسلام (3 مرات)، يا قوي يا متينُ اكفنا شرَ الظالمين (7 مرات)، أصلح الله أمرَ المسلمينَ صَرَفَ اللهُ شرَّ المؤذين (9 مرات)، يا عليُّ يا كبيرُ يا عليمُ يا قديرُ يا سميعُ يا بصيرُ يا لطيفُ يا خبيرُ (3 مرات) . يا فارجَ الهمِّ يا كاشفَ الغَمِّ يا مَن لعبدِهِ يغفرُ ويرحم (3 مرات)، أستغفرُ اللهَ ربَّ البرايا أستغفرُ اللهَ مِنَ الخطايا (3 مرات)، لا إله إلا اللهُ محمدٌ رسولُ الله (50 مرة)، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم، **وكان من أوراده رحمه الله:** قراءة سورة الفاتحة (12 مرة)، آية الكرسي (12 مرة) قبل شروق الشمس وقبل غروبها، أو صباحًا ومساءً، ومن فاته صباحًا فله أن يقضيه إلى العصر وكذلك من فاته مساءً له أن يقضيه ليلاً إلى طلوع الفجر، **وكان من أوراده رحمه الله:** قراءة الفاتحة، محمدٌ رسولُ الله والذين معه أشداءُ على الكفارِ رُحَماءُ بينهم تراهم رُكّعاً سُجَّدًا يبتغون فضلاً من الله ورضوانًا سيماهم في وجوههم من أثرِ السجود ذلك مَثلهُم في التوراة ومَثلهم في الإنجيل كزرعٍ أخرج شطأهُ فآزره فاستغلظ فاستوى على سُوقِه يُعجِبُ الزُرّاعَ ليَغيظَ بهمُ الكفارَ وعَدَ اللهُ الذين ءامنوا وعملوا الصالحاتِ منهم مغفرةً وأجرًا عظيمًا، سورة الأعلى، سورة القدر، سورة النصر، سورة الإخلاص، سورة الفلق، سورة الناس، **وكان من أوراده رحمه الله:** سورة الفاتحة، بسم الله الرحمن الرحيم: اللهم صل وسلم وشرّف وبارك وعظّم بكل وقتٍ من الأوقاتِ وساعةٍ من الساعات مِلأ الأرضين والسموات على سيد السادات وإمام القادات ورئيس الكل في الحضرات وعلى ءاله وأصحابه، أصحابِ الكمالات وعلى المشايخ العارفين أصحاب الحالات، والسلامُ على الفردِ الأمجدِ القطبِ الغوثِ الأوحدِ النائبِ عن رسولِ الله في مِلكِ الله والآمرِ بأمرِ

الله في أرض الله، ورضي اللهُ تعالى عن الإمامَين والسبعةِ الأقطاب وعن الأبدال والأنجاب والأطرازِ الأحباب والأوتادِ والأفرادِ والرجالِ أهلِ الإرشاد والقائمين بمصالح العباد وعلى صُلحاءِ لمسلمين، رحمةُ الله وبركاتهُ إنه البَرُ المعين، ونسألُ اللهُ أجمعين أن يَمُدَنا بمدد رسولهِ الأكرم وحبيبِه الأعظمِ صلى الله عليه وسلم وبمدد الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام، والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وسلامٌ على المرسلين والحمد لله رب العالمين، سورة الفاتحة، وبعده يشرع مع الإخوان في الذكر: لا إله إلا الله (111 مرة)، الله (111 مرة)، سورة الفاتحة، ثم بعد ختام الذكر الشريف يقف مستقبل القبلة ويقولون: الصلاة والسلام عليك يا سيدنا يا رسول الله، الصلاة والسلام عليك يا سيدنا يا حبيب الله، الصلاة والسلام عليك يا أفضل خلق الله و يا خاتم الأنبياء ورسل الله، الصلاة والسلام عليكم يا أنبياء الله أجمعين، سورة الفاتحة ويدعو المرشدُ بما يسهله الله ويتصافحون، وكان من أوراده رحمه الله: هذه الصلاة المباركة: اللهم صل على سيدنا محمد طب القلوبِ ودوائها وعافيةِ الأبدانِ وشفائها ونورِ الأبصار وضيائها وعلى ءاله وصحبه وسلم في كل يوم مائة مرة، **وكان من أوراده رحمه الله:** هذه الصلاة الشريفة: اللهم صل على سيدنا محمدٍ صلاةً تُكتبُ بها السطورُ وتُشرَحُ بها الصدور وتهُونُ بها جميعُ الأمور برحمةٍ منك يا عزيزُ يا غفور وعلى ءاله وصحبه وسلِم في كل يوم مائة مرة، وكان من أوراده رحمه الله: هذه الصلاة الشريفة: اللهم صل على سيدِنا محمدٍ النبي الأمي الطاهرِ الزكي، صلاةً تُحَلُ بها العُقَدُ وتُفَكُ بها الكرَبُ وعلى ءاله وصحبه وسلِم في كل يوم مائة مرة، قال السيد إبراهيم الراوي: من أوراد السيد الرفاعي رضي الله عنه هذا الورد الشريف وكان يقرؤه قبل طلوع الشمس يوم الجمعة كما في الوظائف وهو: اللهم صل على سيدنا محمدٍ النبيِ المليحِ صاحبِ المقامِ الأعلى واللسان الفصيح وعلى ءاله وصحبه وسلم، اللهم يا الله صل على سيدنا محمدٍ ومن والاه، عددَ ما تعلمه من بدء الأمر ومنتهاه وعلى ءاله وصحبه وسلم، الصلاة والسلام عليك يا سيد المرسلين، أنت لها ولكل كربٍ عظيم، يا رب فرّج عنا بفضل بسم الله الرحمن الرحيم (ألف مرة)، ومن أوراده رضي الله عنه هذا الاستغفار الشريف، أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه من كل ذنب أذنبته عمدًا أو خطأ سرًا أو علانية، من الذنب الذي أعلم ومن الذنب الذي لا أعلم إنه هو الذي يعلم وأنا لا أعلم وهو علام الغيوب وغفار الذنوب وستار العيوب وكشّافُ الكروب ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، في كل يوم مائة مرة، وكان من أوراده رحمه الله: أنّه كان يصلي أربع ركعات بألف (قل هو الله أحد)، ويستغفر الله كل يوم ألف مرة، واستغفاره قوله: لا إله إلا أنت

سبحانك إني كنت من الظالمين عملتُ سوءًا وظلمت نفسي وأسرفتُ في أمري ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت، وكان من أوراده رحمه الله: في كل يوم: سورة سبح اسم ربك الأعلى مائة مرة، ولا إله إلا الله بعد كل صلاة مائتين وإحدى وعشرين مرة، ولا إله إلا اللهُ الملكُ الحقُ المبين محمدٌ رسول الله الصادقُ الوعدِ الأمينُ . في كل يوم مائتين وثلاثًا وعشرين مرة،وكان من أوراده رحمه الله: في كل ليلة جمعة سورة (يس) مرة واحدة، وسورة (سبح اسم ربك الأعلى) سبع مرات، والأسماء الحسنى مائة مرة، ولا إله إلا الله ألف مرة، وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم مائتين وخمسة وعشرين مرة، وقراءة سورة الكهف وسورة الحشر في كل ليلة جمعة ويومها، وكان من أوراده رحمه الله: المسبعات العشر: وهو أن تقرأ قبل طلوع الشمس وبسطها على الأرض، وقبل الغروب: فاتحة الكتاب (سبع مرات)، و قل أعوذ برب الناس (سبع مرات)، و قل أعوذ برب الفلق (سبع مرات)، و قل هو الله أحد (سبع مرات)، و قل يا أيها الكافرون (سبع مرات)، و آية الكرسي (سبع مرات)، و سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر (سبع مرات)، و الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (سبع مرات)، و اللهم اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات (سبع مرات)، و اللهم افعل بي وبهم عاجلاً وءاجلا في الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهلٌ ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن له أهلٌ إنك غفور حليم جواد كريم رؤف رحيم (سبع مرات)،

**[المفتاح الرابع]: نبذة عن الطريقة الشاذلية**: طريقة صوفية أسسها الشيخ العارف بالله الإمام أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي المغربي، الزاهد، (ت 656هـ)، من أهم أقواله: " إذا عارض كشفك الكتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة ودع الكشف، وقل لنفسك إن الله تعالى قد ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة، ولم يضمنها لي في جانب الكشف ولا الإلهام ولا المشاهدة "،، **والتزكية عند الشاذلية**: تقوم على: (1) التوبة، وهي نقطة انطلاق المريد أو السالك إلى الله تعالى، والإخلاص، والخلوة حيث يدخل المريد الخلوة لمدة ثلاثة أيام قبل سلوك الطريق، و (2) الذكر: والأصل فيه ذكر الله تعالى، ثم الأوراد، وقراءة الأحزاب المختلفة في الليل والنهار، والذكر المشهور لدى الشاذلية هو ذكر الاسم المفرد (الله الله الله) والزهد: ومعناه الزهد في الحلال وترك الحرام، ثم فراغ القلب مما سوى الله، وهذا هو زهد العارفين، (3) تزكية النفس: وقد ركزت

الشاذلية على أحوال للنفس، وبيانها أن النفس مركز الطاعات إن زَكَتْ واتقت، وهي مركز الشهوات في المخالفات، وهي مركز الميل إلى الراحات، وهي مركز العجز في أداء الواجبات، لذلك يجب تزكيتها حتى تكون مركز الطاعات فقط، و (4) الورع: وهو العمل لله وبالله على البينة الواضحة والبصيرة الكامنة، و (5) التوكل: وهو صرف القلب عن كل شيء إلا الله، و(6) الرضى: وهو رضى الله عن العبد، و (7) المحبة: وهي سفر القلب في طلب المحبوب، ولهج اللسان بذكره على الدوام، وللحب درجات لدى الشاذلية وأعلى درجاته ما وصفته رابعة العدوية بقولها: أحبك حبَّين: حب الهوى وحبًّا لأنك أهل لذاك، ويقول أهل التصوف أنّ مفتاح طريقته هو الحب في مقابل طريق المجاهدة المعروف قبله، **وأصول الشاذلية في الوصول:** الشاذلية بنوا طريقتهم على أصل واحد، هو إسقاط التدبير مع الحق، ففروعهم راجعه لإتباع السنه، وشهود المنه، والتسليم للحكم، بملاحظة الحكمة، **ومن أوراد الطريقة الشاذلية:** بعد صلاة الصبح وبعد صلاة المغرب يقول المريد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، وما تقدموا لأنفسكم من خيرٍ تجدوهُ عند الله هو خيراً وأعظمُ أجراً واستغفروا الله إنَّ الله غفورٌ رحيم، استغفر الله (99 مرة)، استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً، اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم (99 مرة)، اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً بقدر عظمة ذاتك في كُلِ وقتٍ وحين، فاعلم أنه لا إله إلا الله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيءٍ قدير (99 مرة)، لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، سورة الإخلاص مع البسملة، الفاتحة، ثم يدعو لنفسه ولشيخه وللمسلمين، **[الطريقة المحمدية الشاذلية]:** وهي الطريقة الصوفية الشرعية، التي جددها شيخنا الإمام الرائد الشيخ محمد زكي الدين بن إبراهيم الخليل بن علي الشاذلي، ومن مبادئ هذه الطريقة: التمسك بشرع الله تعالى ومتابعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله، والاقتداء بالسلف الصالح رضوان الله عليهم، والحب والنصح لكل مسلم، لذلك ليس في الطريقة المحمدية الشاذلية طبلٌ ولا زمر، ولا رقص ولا مواكبٌ، ولا راياتٌ ولا أوشحة، ولا شعوذةٌ ولا تجارة، ولا ضرائب ولا مكوس ولا أكل لأموال الناس بالباطل، ولا يجوز فيها التظاهر والتفاخر على الإطلاق، وإنما هي صورة صحيحة من أعمال السلف الصالح، ويشترط عندنا لقراءة الأوراد والأحزاب والأذكار والأدعية (منفرداً أو في جماعة) حسن التوجه، وتمام

الأدب، وصحة النطق، والفهم ولو إجمالاً، واستحضار الرابطة الروحية، بعد التوبة والاستغفار والاستفتاح بشيء من كتاب الله تعالى، ولكي تتعرف على الطريقة المحمدية الشاذلية ينبغي مطالعة كتاب (البداية)، و (الدليل المجمل)، وأعداد مجلة (المسلم)، وكتاب (البيت المحمدي)، ثم الكتب الأساسية للطريقة وهي: (أصول الوصول، أبجدية التصوف، الوسيلة والقبور)،

**[المفتاح الخامس]: نبذة عن الطريقة الأحمدية أو البدوية:** إحدى الطرق الصوفية السنيّة التي تنسب إلى الشيخ أبي الفتيان شيخ العرب **أحمد بن علي بن يحيى** الحسيني،(ت 675 هـ)، أحد أقطاب التصوف، يُنسب إليه العديد من الكرامات، **من أوراد الطريقة البدوية:** [في الصباح والمساء]: (لا إله إلا الله محمد رسول الله (مائة مرة)، (اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم) (مائة مرة)، (أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحي القيوم و أتوب إليه) (مائة مرة)، (بسم الله الرحمن الرحيم، قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد و لم يولد، ولم يكن له كفواً أحد) (مائة مرة)، (لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم) (مائة مرة)، (الصلاة الكبرى لسيدي أحمد البدوي) (ثلاث مرات)، [ورد الليل]: سورة الفاتحة، آية الكرسي (الله لا إله إلا هو الحى القيوم ...) (21 مرة)، خواتيم سورة البقرة (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه) إلى آخر السورة (21 مرة)، سورة يس، سورة الدخان، سورة الواقعة، سورة الملك، سورة الضحى، سورة الشرح، سورة القدر، سورة الزلزلة، سورة العصر، سورة الفيل، سورة قريش، سورة الكوثر، سورة الكافرون، سورة الإخلاص (ثلاث مرات)، سورة الفلق (ثلاث مرات)، سورة الناس (ثلاث مرات)، و ختاماً الفاتحة، **[من أوراد الطريقة البدوية]:** [في الصباح والمساء]: (لا إله إلا الله محمد رسول الله (مائة مرة)، (اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم) (مائة مرة)، (أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحي القيوم و أتوب إليه) (مائة مرة)، (بسم الله الرحمن الرحيم، قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد و لم يولد، ولم يكن له كفواً أحد) (مائة مرة)، (لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم) (مائة مرة)، (الصلاة الكبرى لسيدي أحمد البدوي) (ثلاث مرات)، [ورد الليل]: سورة الفاتحة، آية الكرسي (الله لا إله إلا هو الحى القيوم ...) (21 مرة)، خواتيم سورة البقرة (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه) إلى آخر السورة (21 مرة)، سورة يس، سورة الدخان، سورة الواقعة، سورة الملك، سورة الضحى، سورة الشرح، سورة القدر، سورة الزلزلة، سورة العصر، سورة الفيل، سورة قريش، سورة الكوثر، سورة الكافرون، سورة

الإخلاص (ثلاث مرات)، سورة الفلق (ثلاث مرات)، سورة الناس (ثلاث مرات)، و ختاماً الفاتحة ، **[حزب التحصين لسيدي أحمد البدوي]:** بسم الله الرحمن الرحيم و به نستعين: حصنت نفسي و أهلي و مالي و بيتي و أصحابي و أحبابي، من جميع خلق الله، بالتحصن الذي أسمه الله، سوره لا اله إلا الله، بابه محمد رسول الله، مفتاحه لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم، أنا الأسد، سهمي نفذ منه المدد، لا أبالي من أحد، بفضل بسم الله الرحمن الرحيم * قل هو الله أحد * نفت الكثرة و العدد * الله الصمد * نفت النقص و التقليد *لم يلد و لم يولد * نفت العلة و المعلول * و لم يكن له كفوا أحد * نفت الشبيه و النظير و المثيل و التعطيل، اللهم يا مسبل الستر عند أحاطة البلاء و يا منزل الستر من عنان السماء إلي سدرة المنتهى، اكفني اللهم شر من تأمر على و نهى،اللهم إن جاءني الأعداء فردهم (ثلاثا) و أنجاروا على فهدهم (ثلاثا) انك آنت الله ربى و ربهم، و رب الخلائق كلهم * فسيكفيهم الله و هو السميع العليم * (ثلاثا) و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم، و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم تسليما (سبعا) ، **[حزب الدرع المتين لسيدي أحمد البدوي]:** بسم الله الرحمن الرحيم: الله أكبر (ثلاثا) بسم الله على نفسي و ديني،اللهم أنت عمادي، و عليك اعتمدت، و أنت سندى و إليك استندت، أنت المقدم و أنت المؤخر، و أنت الأول و الأخر و الظاهر و الباطن، و أنت بكل شيء عليم، اللهم ألق على من نعوت ربو بيتك ما تخضع له رقاب الجبابرة، و تذل لتجليه طغاة الأكاسرة،و تعنوا لعظمته وجوه المردة، تحصنت بذي العزة و الجبروت، و اعتصمت بالحي القيوم الذي لا يموت، و أدخلت نفسي و ديني و أولادي و مالي في حرز الله المنيع، و في ودائعه التي لا تضيع، و في ستر الله الذي لا يهتك، و جوار الله الذي لا يفتك، و ذلت كل عين نظرتي بسوء بإذن الله، و جعلت على نفسي و ديني و أولادي و مالي دائرة من حفظ الله، أقفالها لا اله إلا الله، و مفتاحها لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم، {صم بكم عمى فهم لا يرجعون أو كصيب من السماء فيه ظلمات و رعد و برق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت و الله محيط بالكافرين يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه و إذا أظلم عليهم قاموا و لو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير}، {وجعلنا من بين أيديهم سدا و من خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون}، ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم إلينا بالمحبة و التبجيل، و عنا بالمذلة والتنكيل، بحيث لم تجعل لهم علينا سبيلا يا كفيل يا جليل ياذا الطول و الحول، و القوة و الصول، يا مانع لا يمنع منه منيع، و يا صانع لا يعذب عن علمه صنيع، يا من حجابه النور، و يا من حزبه لا يبور، يا

عزيز يا غفور، يا من أحاط علمه بالدهور، و عظمته بالعرش و البحور، يا من يعلم خائنة الأعين و ما تخفى الصدور، أنت الحي القيوم القائم على كل نفس بما كسبت، و أنت الحكم العدل الذي لا تجور، اللهم إني أعوذ بوجهك من تقلب الدهور، و من دعوى الثبور، و من الغواية و الغرور، و من كشف الستور، أنت الذي تجير بين الظلمات والنور، و بين الحزن و السرور، و بين سائر البحور، و أعوذ بوجهك من جور الرجال، و من الخوف و الزلزال، و من المصيبة في النفس و الولد و الأهل و المال، و من النكال و سوء الحال، و خيبة الآمال و رد السؤال، وفساد العقل و الخبال، و من الجنون و البرص و الجذام، و سيئ الأسقام، و الداء الأكبر، و الريح الأحمر، و اليرقان الأصفر، و من الحمى و المليلة، و السل و القولنج و الدخيلة، اللهم أجرني من جميع العلل، و عافني من العجز و الكسل، و نجنى من التواني و الفشل، و حل بيني وبين الأمارة بالسوء، يا من يحول بين المرء و قلبه، يا قادر يا مقتدر يا الله يا الله، يا ذا الجلال و الإكرام، برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، و لا تكلني إلي نفسي طرفة عين، و لا أقل من ذلك، يا الله يا الله يا الله، يا رب محمد صلى الله عليه و آله و سلم ، **[الصلاة النورانية للسيد البدوي]:** اللهم صل و سلم و بارك على سيدنا و مولانا محمد شجرة الأصل النورانية و لمعة القبضة الرحمانية، و أفضل الخليقة الإنسانية، و أشرف الصورة الجسمانية، و معدن الأسرار الربانية، و خزائن العلوم الاصطفائية، صاحب القبضة الأصلية، و البهجة السنية، و الرتبة العلية، من اندرجت النبيون تحت لوائه، فهم منه و إليه، و صل و سلم و بارك عليه و على آله و صحبه عدد ما خلقت و رزقت و أمت و أحييت إلي يوم تبعث من أفنيت، و سلم تسليما كثيرا والحمد لله رب العالمين، [انظر كتاب دروع الوقاية بأحزاب الحماية، وكتاب شوارق الأنوار من أدعية السادة الأخيار، وكلاهما للسيد الشريف محمد بن علوى المالكى الحسنى]،

**[المفتاح السادس]: نبذة عن الطريقة البرهانية**، أو الطريقة البرهامية، أو الطريقة الدسوقية: إحدى الطرق الصوفية السنيّة التي تنسب إلى الشيخ برهان الدين إبراهيم الدسوقي، نسبة إلى مدينة دسوق بشمال مصر التي نشأ فيها وعاش بها حتى وفاته، أما أتباعه فقد لقبوه بالعديد من الألقاب، أشهرها برهان الدين وأبا العينين، **ومنهاج التزكية عند الدسوقي:** العمل بأحكام القرآن والسنة، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، ويقوم على المكابدة والمجاهدة وسلك طريق النسك والزاهدين، وذلك بالإكثار من الصيام والقيام والذِكر وقراءة القرآن، وبالتسبيح

والتقديس والدعاء والابتهال، بجانب الزهد في الدنيا والترفع عن اللذائذ والشهوات، والابتعاد عن ضروب اللهو، وأن يرضى المريد بقضاء الله وقدره، **وكان يخاطب أتباعه بقوله: " يا أولادي ناشدتكم بالله، لا تسيئوا إلى طريقي، ولا تلبسوا في تحقيق، ولا تدلسوا ولا تدنسوا، وإن كنتم صحبتمونا لتأخذوا مِنّا أوراقاً من غير عمل فلا حاجة لنا بكم** "، وكان ينصح مريديه باتباع الشريعة الإسلامية بحذافيرها، وكان هدفه الأساسي البلوغ باتباعه إلى منزلة (وحدة الشهود) وهي المقصودة بقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: (أن تعبد الله كأنك تراه)، وتُسمى طريقة الدسوقي بعدة أسماء، فتُسمّى أحياناً **بالطريقة الدسوقية**، نسبة إلى مدينة دسوق مقر ميلاد وإقامة وعبادة (إبراهيم الدسوقي)، وتُعرف أيضاً **بالبُرهامية** نسبة إلى اسم مؤسسها "إبراهيم"، وكذلك تسمّى **بالبرهانية**، نسبة إلى لقب إبراهيم الدسوقي وهو برهان الدين، وقد قال محمد بن علي السنوسي مؤسس الطريقة السنوسية عن الطريقة الدسوقية: (وأما طريق السادة البرهانيّة –الدسوقية – فهو المنسوب إلى الشيخ برهان الدين إبراهيم الدسوقي، وهو مبني على الذِكر الجهري، ولزوم الجد في الطاعات، وارتكاب خطر أهوال المجاهدات، وذبح النفس بسكين المخالفات، وحبسها في سجن الرياضة، حتى يفتح الله عليها بالسراج في رياض المعرفة، ومن شأن هذه الطريقة السنية الاستكثار بذِكر "دايم" –بياء النداء– سيما في ضم مجالس التلاوة والذِكر الجهري بالجلالة مع الهوية،) **[السلسبيل المعين في الطرائق الأربعين لمحمد بن علي السنوسي]**، وقال الشعراني: " الطريق عند الدسوقي يمكن تلخيصها في كلمتين: تعرف ربك وتعبده، فمن قَبل ذلك فقد أدرك الحقيقة والشريعة "، **ومن أوراد الطريقة البرهانية الدسوقية**: التي تقرأ مرة في الصباح ومرة في المساء، **أولا: خاتم الصلوات:** ويقرأ عقب كل صلاة مفروضة: بسم الله الرحمن الرحيم: اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يرجع السلام فحيينا ربنا بالسلام وأدخلنا الجنة: دارك دار السلام تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام (أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا أنت): 3 مرات، بسم الله الرحمن الرحيم: 13 مرة، (سورة الفاتحة): مرة، (آية الكرسي): مرة، لقد جاءكم رسول من أنفسكم): مرة، (الكافرون): مرة، (الصمدية): مرة، (المعوذتان): كل منهما مرة واحدة، (سبحان الله): 33 مرة، (الحمد لله): 33 مرة، (الله أكبر): 34 مرة، (الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، اللهم اغفر لأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، اللهم ارض عن أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، اللهم الطف بأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، اللهم تفضل على أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، اللهم استر أمة محمد صلى الله

عليه وآله وسلم، اللهم آت نفسى هداها وألهمها رشدها وتقواها وزكها وأنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها، اللهم إنى أسألك من كل خير سألك منه حبيبك سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأستعيذ بك من كل شر استعاذ بك منه حبيبك سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، آمين)، (يا دايم): 66 مرة، **وثانيا: الأساس:** ويقرأ مرة بعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر: بسم الله الرحمن الرحيم 100 مرة، أستغفر الله العظيم هو التواب الرحيم 100 مرة، لا إله إلا الله 100 مرة، ·يا دايم 300 مرة، اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم 100 مرة،

**[المفتاح السابع]: نبذة عن الطريقة النَقشبندية:** إحدى الطرق الصوفية السنيّة التي تنسب إلى الشيخ: بهاء الدين محمد بن محمد بن محمد الحسيني المشهور بالنقشبند (ت 791 هـ)، وقد ربى عشرات الالوف من المريدين وقد وصل بعضهم درجة الإجازة المطلقة وقد اجتازوا درجات البقاء بعد الفناء، **[أصول الطريقة النقشبندية]:** قال حضرة الشيخ طارق بن محمد السَّعْدِي: " أصول الطريقة النقشبندية أربعة أصول: **(الأصل الأول): صُحْبَة الشيخ الكامل:** بأن يجتهد – ولو بِشَدِّ الرِّحال – لبلوغ الشيخ الكامل، والظفر بصحبته، وهنا أمور: (1): **حكم وأثر الصحبة:** قال الله تعالى: {واصبر نفسك مع الذين يدعون ربَّهم بالغداة والعشي يُريدون وجهه} [الكهف: 28]،، وقال سيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم: {إنما مَثَلُ الجليس الصالح وجليس السوء: كحامل المِسك، ونافخ الكير، فحامل المِسك: إما أن يُحْذيك، وإما أن تبتاعَ منه، وإما أن تجِد منه ريحاً طيبةً، ونافخ الكير: إما أن يُحْرِقَ ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً مُنتِنةً} [متفق عليه]، لذلك قال في موضع آخر: {لا تصاحب إلا مؤمناً}، وقال صلى الله عليه وسلم: {الرجلُ على دِين خليله، فلينظر أحدكم من يُخالل} [الترمذي]، ولا شك أن صحبة الشيخ الكامل: أسماها درجة، وأعلاها منزِلة، ومن ثم، قال الإمام السلمي:" إنما (التصوف): بركات تعود على أربابها من جهة الأولياء والمشايخ، وتأثيرِ آدابٍ وأخلاق "اهـ، وقال السَّجْزِي:" أنفع شيء للمريدين: صُحبةُ الصالحين، والاقتداءُ بهم في أفعالهم وأخلاقهم وشمائلهم "اهـ، وقال الإمام السَّهروردي:" الشيخ للمُريدين: أمين الإلهام، كما أن جبريل أمين الوحي، فكما لا يخون جبريل في الوحي لا يخون الشيخُ في الإلهام، وكما أن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى فالشيخ مُقتدٍ برسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهراً وباطناً، لا يتكلم بهوى النفس "اهـ، وقال الشيخ أمين الكردي:" الشيخ العارف الواصل: وسيلة المريد إلى الله، وبابه الذي يدخل منه على الله، فمَن لا شيخ له يُرشده، فمرشده الشيطان "اهـ، وقال الإمام

أبو علي الثقفي:" لو أن رجلا جمع العلومَ كلها، وصحب طوائفَ الناس، لا يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة من شيخ أو إمام أو مؤدب ناصح، ومَن لم يأخذ أدبه من آمر له وناهٍ (يُرِيه عُيوبَ أعماله، ورعونات نفسِه)، لا يجوز الاقتداء به في تصحيح المعاملات "اهـ، وقال الإمام السلمي:" إن من لم يتأدَّب بشيخ: فهو بطَّال، ومَن لم يلحقه نظرُ شيخٍ وشفقتُهُ: لا يجيئ منه شيء "اهـ، **ثانياً: صِفَة الشيخ الكامل:** الشيخ الكامل: هو المُتَصَوِّفُ على يد وارثٍ مُحمَّديٍّ صحيح النِّسبَة، **المأذُون بالإرشاد المُطلق،** بحيث تكون أعماله تُرجُمان الكتاب والسُّنَّة، مُقيَّدةً بهما، قال الشيخ أمين الكردي:" لا يجوز التَّصدّر لأخذ العهد على المريدين وإرشادهم إلا بعد التربية والإذن – كما قالت الأئمَّةُ –، إذ لا يخفى: أن مَن تصدَّر لذلك وهو غير أهل له فما يُفسده أكثر مما يُصلحه، وعليه إثم قاطع الطريق، فهو بمعزل عن رُتبة المُريدين الصَّادقين، فضلاً عن المشايخ العارفين "اهـ، و**علامته:** العلم بما يحتاج إليه المُريدون من الأحكام الشرعيَّة والأعمالِ ظاهراً وباطناً، والحِكمةِ في الإرشاد بها، وحفظ حُرمات مَنْ أدَّبَهم وتأدَّبوا به، **وواجبه:** أن يُعلِّم المريدين حاجتهم، ويُرشِدَهم إلى العَمَلِ بالعِلم، واستثمار النعمة ووسائل العمل، وإفناءِ العُمُر بالحّقِّ، والمُعاملَةِ في الحَقِّ، فقد قال سيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم: {لا تزول قَدَما عبدٍ يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عُمُره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن مالِه من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وماذا عمل فيما علم} [الترمذي، وغيره]، وذلك ما أجمله مولانا الإمام الجنيد بقوله:" مَن دلَّك على الله فكُنْ مَعَهُ، ومَن دلَّك على الدنيا فتباعد عنه "اهـ، **ثالثاً: صفة المُريد الصَّادق:** المريد الصَّادق المُوَفَّق: من عَقِلَ عن الله قولَه: {فاستقم كما أُمِرت}، ووحيَه: {أن تعبد الله كأنك تراه}، على عذر: {واتقوا الله ما استطعتم}، و{لا يكلف الله نفساً إلا وسعها}، فكان هَمُّه: (إلهي أنت مَقصودي ورضاك مَطلوبي)، وهِمَّته: السعي للإحسان ظاهراً وباطناً، فلا يلهيه عائد ولا بارِق، ولا يُعِيقه عارض ولا عائق، ولا يقطعه ذنب مارق، ولا إثم حارق، فيُلقي نفسَه بين يدي مولاه، يُقلبه في أحكامه كيفما شاء، موظِّفاً ظاهرَه وباطنَه بما بلغه من حقوقه، دون اعتبار للحال عند الأداء، ولا انقطاع عن المجاهدة إن أساء، أعماله مبنيَّة على ضرورة الالتزام، وانقياد النفس لسبيل الملك العلام، بالإحسان أو الإرغام، تحقيقاً لقول الله: {وما خلقت الجنَّ والإنس إلا ليعبدون} [البينة: 5]، وهو معتز بإنابته، مفتخرٌ بتوبته، لا يتأثَّرُ بسوء اقترفَه في زلته، أو تقصير وعَيْب ولو ظلماً أُخِذَ به، ويصبر على آثار ذلك، وأذى كل جاهل هالك، قد تحقَّق فيه قول الله: {واصطنعتك لنفسي} [طه: 41]، **رابعاً: آداب الصحبة: وهي مُتَبَادلة بين الشيخ والمُريد: فـ(آداب صحبة الشيخ للمريد):** الآداب الثابتة عن سيدنا رسول الله محمد صلى

الله عليه وسلم مع أصحابه، ومن هذه الآداب: قول الله تعالى: {وإذا جاءَك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلامٌ عليكم، كَتَبَ ربُّكم على نفسه الرَّحمة} [الأنعام 54] يعني: فاستثمِر إيمانهم الذي أحضرهم إليك لنهيهم عن الفحشاء والمنكر والبغي، بالحكمة المتمثلة: بقَبولهم، وإعلامهم بمباركة الله تعالى فعلَهم، ورحمته الواسعة، لعونهم على المتابعة والاجتهاد في السّمو، وقول الله تعالى: {ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ يُريدون وجهه} [الأنعام: 52]، {خُذ العفوَ وأمر بالعُرفِ وأعرض عن الجاهلين} [الأعراف: 199]، {فأما اليتيم فلا تقهر، وأما السائل فلا تنهر} [الضحى: 9]، **و(آداب صحبة المريد للشيخ)**: الآداب الثابتة لسيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم على أصحابه، والأمَّةِ جميعاً، ومن هذه الآداب: قول الله تعالى: {ومَن يُعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب} [الحج: 32]، قال الإمام الثقفي:" مَن صحب الأكابرَ على غير طريق الحُرْمَة: حُرِمَ فوائدَهم وبركاتِ نظرهم، ولا يظهر عليه من أنوارهم شيء "اهـ، وقول الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تُقدِّموا بين يدي الله ورسوله، واتقوا الله، إن الله سميع عليم * يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبَط أعمالكم وأنتم لا تشعرون} [الحجرات: 1 – 2]، وقول الله تعالى: {واعلموا أن فيكم رسول الله، لو يطيعكم في كثير من الأمر لَعَنِتُّم، ولكنّ الله حبَّبَ إليكم الإيمانَ وزيَّنه في قلوبكم وكرَّه إليكم الكفرَ والفُسوقَ والعِصيان، أولئك هم الراشِدون} [الحجرات: 7]، قال أبو علي الروذباري:" مَن صَحب الصوفيَّة، فليَصحبهم بلا نَفسٍ ولا قلبٍ ولا مُلكٍ، فمتى نظر إلى شيء مِن أسبابه قَطَعَهُ ذلك عن بلوغِ قصدِه "اهـ، وقال الإمام السَّهروردي:" أدب المريد مع الشيخ: أن يكون مسلوبَ الاختيار، لا يتصرَّف في نفسِه وماله إلا بمراجعة الشيخ وأمره "اهـ،، وقد ذكر الأكابر ثلاثة **شروط لصُحبة الشيخ** الكامل: **الأول:** صُحبته خِدمة له، وانتساباً إليه، واعتزازاً به، وإقبالاً عليه، قال الله تعالى: {قُلْ إن كُنتُمْ تُحِبُّونَ الله فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ الله وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَالله غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [آل عمران: 31]، **والثاني:** عدم الاعتراض أو الإنكار عليه في شيء من أفعاله مطلقاً (ظاهراً وباطناً)، حتى أنه ينبغي أن يعدَّ الخطرات الوهميَّة في ذلك ذنوباً يجب الاستغفار منها، **والثالث:** الكينونة بين يديه كالميِّت بين يدي الغاسِل: لا يخالفه في شيء مطلقاً، ولا ينتَصِرُ لجانب نفسِه مع شيخه أبدا، قلت: ويُشْتَرَط أن لا يَتَوَجَّه إليه ظاهراً أو باطِناً إلا من خلال صورته الباطنة النورانيَّة، وكمالاته المَعْنَوِيَّة، **[الأصل الثاني]: (رابطة الشيخ)**، وهي: رَبْطُ القلب بالشيخ، وهذه الرابطة مما تلقَّيناه عن سيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، بالسَّنَد المُتَّصل الذي تقدَّم ذكره في السلسلة النقشبنديَّة الشريفة، ومع ذلك **فإن لها أدلة وشواهد**

**من الشرع والسِّيَر**، منها: قول الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله **وابْتَغُوا إليه الوَسِيْلَة**} [المائدة: 35]، وحقيقة الرابطة: توسُّل وتقرُّب إلى الله تعالى، وقول سيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم في قول الله تعالى: {ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون}: {يُذكر الله بذكرهم} [الطبراني]، وقوله صلى الله عليه وسلم: {إن **من الناس مفاتيح لذكر الله**، إذا **رُؤوا** ذُكر الله} [الطبراني، صححه ابن حبان، وقال السيوطي: حسن]، وقوله صلى الله عليه وسلم: {خمس من العبادة: النظر إلى المصحف، والنظر إلى الكعبة، والنظر إلى الوالدين، والنظر في زمزم – وهي تحط الخطايا –، **والنظر في وجه العالم**} [الدارقطني، قال السيوطي: صحيح]، قال محمد البغدادي:" الرابطة: هي طريق مستقل للوصول، عبارة عن ربط القَلب بالشيخ الواصِل إلى مقام المُشاهدة، المُتحقِّق بالصِّفات الذَّاتيَّة، وحِفظ صورته في الخيال، ولو بغَيبَته، فرؤيته بمقتضى الذين: {إذا رؤوا ذُكِر الله}، تحصل بها الفائدة، كما تحصل بها الفائدة من الذِّكر بِمُوجب: {هم جُلَسَاء الله تعالى}، ولا يخفى ما ورد من الأحاديث في الحَثِّ على الجليس الصالح، **[الأصل الثالث]: (التزام الأوراد والوظائف)**، فيفهم أنها الأصل الأصيل بعد ما فرضه الله تعالى عليه من الأحكام العامَّة، فلا يغفل عنها، أو يُفَرِّط فيها، كما لا يفعلها على فضلةٍ أو فراغٍ، بل يعتقد أن ما سواها من أمور الدنيا، ولو مما يُستعان به على الآخرة يُبَاشَرُ في أوقات فضلتها وعند الفراغ منها، ثم لا يزيد فيها أو ينقص منها أو يباشر غيرها في وجه من الوجوه، إلا بإذن شيخه،، وذلك معنى قول الله تعالى: {أفمَن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمَّن يمشي سوياً على صراط مستقيم} [الملك: 22]، **[الأصل الرابع]: (المُراقبة)**، أي مراقبة الله تعالى، وهي: العِلم باطلاع الله تعالى، والاستغراق في ذلك، ومُلازمة القَلب له،، قال الله تعالى: {وكان الله على كلِّ شيءٍ رقيباً} [الأحزاب: 52]، فإذا بلغ المريدُ إلى انتفاء علمه بنفسه وبالأكوان، حصل له مبادئ الفناء، وإذا فنا عن فنائه، وهو المُسمَّى بـ(الفناء التام)، أو (مبادئ البقاء): حصل له أول درجة من درجات التصوّف، وهي: الولاية الصّغرى، وإذا تمَّ له البقاء: شرَّفه الله تعالى بمقام التصوف، وهو: الولاية الكُبرى، وإلى ذلك الإشارة بقول سيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم: {أن تعبُدَ الله كأنَّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يَراك} [مسلم] " أهـ [انظر المنة – مختصراً– 57 – 80]، **[أعمال المريد النقشبندي اليومية]**: قال حضرة الشيخ طارق بن محمد السَّعْدِي:" أعمال المريد النقشبندي اليومية: جملةُ أحواله في اليوم والليلة، وهي على الترتيب التالي: صلاة التَّهجُّد، وأداء توابعها من الأعمال حتى طلوع الفَجر، صلاة الفجر سُنَّة وفرضاً، الاشتغال بعدها بقراءة قرآن كريم، أو بالأذكار الشريفة،

حتى شروق الشَّمس قدر رمح أو رمحين، روى مسلم: أن سيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم: (كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلي فيه الصبح حتى تطلع الشمس))، وصلاة الإشراق قال سيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم: {مَنْ صَلَّى الفَجْرِ في جَماعَةٍ ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ الله تَعالى حتَّى تَطْلُعَ الشَمْسُ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ كانَتْ كأجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ تامَّةٍ تامةٍ تامةٍ} [الترمذي]، قراءة (ختم الخواجكان) في مجلس الخليفة، أو وكيله، صلاة الضُّحى، القيلولة، حضور المسجد أول وقت صلاة الظهر، ثم أداءها جماعة، حضور المسجد أول وقت صلاة العَصر، ثم أداءها جماعة، الاشتغال بعدها بالأذكار، أو المُراقَبة، أو محاسبة النَّفْسِ، حتى دخول وقت المغرب، حضور المسجد أول وقت صلاة المغرب، ثم أداءها جماعة، الاشتغال بعدها بالأذكار، أو المُراقَبة، أو محاسبة النَّفْسِ، حتى دخول وقت العِشاء، حضور المسجد أول وقت صلاة العشاء، ثم أداءها جماعة، ثم قراءة قرآن كريم: آخر سورة البقرة، وآخر سورة الحشر، وسورة المُلك، وسورة الكافرون، وسورة الإخلاص، والمُعوَّذتين، وقول: (أستغفر الله الذي لا الذي لا له إلا هو الحيُّ القيوم وأتوب إليه)، ثلاث مرات قبل النوم، ثم النوم على الأذكار أو المُراقبة، فإن تخلل وقت من الأوقات وظيفة نبويَّة شريفة عامَّة، فليفعلها السالك، إذ **ليس المقصود من أعمال الطريقة تعطيل الأعمال الأخرى، وإنما عمل ما اختصت به، (فائدة):** الحضور بالأعمال العِباديَّة لازم على الدَّوام إلا لضرورة شرعيَّة، ومنها – هنا –: الرخصة أو المباح لحِكمةٍ مَرعِيَّة، فإن الله تعالى قال في كتابه العزيز: {وما خلقت الجنَّ والإنس إلا لِيَعبدون} [الذاريات: 56]، ثم بيَّن لنا الأعمال التي يجب علينا تقديمها على غيرها مما أباحه للناس، فيترك العبد ما بين يديه لأدائها لزوماً، وهي المعروفة شرعاً بالواجبات العَينيَّة، ويَتْبَعُها الواجبات الكِفائيَّة، ثم قال تعالى: {فإذا فَرَغْتَ فانْصَب * وإلى ربِّك فارْغَب} [الشَّرح: 7 – 8]، مرشداً العبادَ إلى الوظيفة حال الفراغ من الضرورات الشرعيَّة: أنها الإنابة إلى الله تعالى، ومعاملته بما تيسَّر من ذكر أو مراقبة أو محاسبة نفس، قال سيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم:{كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل، وعُدَّ نفسك من أصحاب القُبور} [الترمذي]، ولنا فيه صلى الله عليه وسلم {أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو الله وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ الله كَثِيراً} [الأحزاب: 21]، ولنا في خُلَفَائه ووَرَثَتِه وَمنْ قُصَّ علينا خبره ممَّن اتَّقَى الله تعالى وعَقِلَ الحقَّ من الباطل وميَّز الخبيث من الطَّيب {أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو الله وَالْيَوْمَ الآخِرَ، وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ الله هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} [الممتحنة: 6]، و أهم أوقات النقشبندية: الأوقات الأربعة: ثلث الليل الأخير، وبعد الفجر حتى طلوع الشمس، وبعد العَصر حتى غُروب الشَّمس، وبين العِشَائين (المغرب والعِشاء):

هي من أهم الأوقات عندنا، فعلى السالك اغتنامها ما أمكن، والله وليُّ الصابرين، " انتهى مختصراً [المنة: 149 – 153]، **[بعض أوراد الطريقة النقشبندية]:** أدب الذكر في الطريقة النقشبندية العلية أن يبدأ السالك بهذه الآداب مرة واحدة كل 24 ساعة: حيث ورد في الحديث القدسي "أنا جليس من ذكرني"، ونقول، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، بسم الله الرحمن الرحيم، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى عليه وسلّم (ثلاث مرات)، أستغفر الله (70 مرة)، الفاتحة (مرة واحدة)، خواتيم سورة البقرة {آمن الرسول} (مرة واحدة)، سورة الشرح (سبع مرات)، سورة الإخلاص (أحدى عشرة مرة)، المعوذتين (مرة واحدة)، لا إله إلا الله (عشر مرات) وفي آخر مرة نزيد محمد رسول الله، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم (عشر مرات)، الصلوات الشريفة المأثورة: صل يا رب وسلم على جميع الأنبياء والمرسلين وآل كل أجمعين والحمد لله رب العالمين، على أشرف العالمين سيدنا محمد الصلوات، على أفضل العالمين سيدنا محمد الصلوات، على أكمل العالمين سيدنا محمد الصلوات، صلوات الله تعالى وملائكته وأنبيائه ورسله وجميع خلقه على محمد وعلى آل محمد عليه وعليهم السلام ورحمة الله تعالى وبركاته، ورضي الله تبارك وتعالى عن سادتنا أصحاب رسول الله أجمعين وعن التابعين بهم بإحسان وعن الائمة المجتهدين الماضيين، وعن العلماء المتقين وعن الأولياء الصالحين والحمد لله رب العالمين، الفاتحة (مرة واحدة)، الله، الله، الله حق، الله، الله، الله حق، الله، الله، الله حق، **(أوراد المبتدي)** : ذكر اسم الجلالة الله 1500 إلى 2500 إلى 5000 مرة}اللسان}، ذكر اسم الجلالة الله 1500 إلى 2500إلى 5000 مرة{ بالقلب}، لا إله إلا الله محمد رسول الله 100 إلى 1000 مرة، في الآخر اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم 300 مرة، وفي كل يوم اثنين، وخميس، وجمعة 500 مرة، **(أوراد المستعد)**: ذكر اسم الجلالة الله 2500 مرة{ باللسان}، ذكر اسم الجلالة الله 2500 مرة{ القلب}، لا إله إلا الله محمد رسول الله 500 إلى 1000 مرة، في الآخر اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم 500 مرة، وفي كل يوم اثنين، وخميس، وجمعة 1000 مرة، ( **أوراد المريد)**: ذكر اسم الجلالة الله 5000 مرة{ باللسان}، ذكر اسم الجلالة الله 5000 مرة{ بالقلب}، لا إله إلا الله محمد رسول الله 1000 مرة، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم 1000 مرة، وفي كل يوم اثنين، وخميس، وجمعة 2000 مرة، قراءة جزء من القرآن الكريم يومياً، وإذا تعذر ذلك قراءة إخلاص الشريف من 100 إلى 1000 مرة، قراءة حزب دلائل الخيرات يومياً، وإذا تعذر ذلك قراءة الصلوات الشريفة 100 مرة، يا صمد 500 مرة، الحمد لله الذي جعلنا

من أمة سيدنا محمد صلى لله عليه وسلم 500 مرة، الحمد لله الذي لم يجعلنا من سائر الأمم 500 مرة، أستغفر الله 500 مرة، عن كل ما صدر من ذنوب من كل عضو من أعضائنا من يوم أن خلقنا إلى يومنا هذا، أستغفر الله 500 مرة، بنية حفظ كل عضو من أعضائنا إلى يوم القيامة، يا ودود 300 مرة، بنية أن يخلينا الله عز وجل من وحشة النفوس ويكسينا حلة الأنس والشهود،

**[المفتاح الثامن]: نبذة عن الطريقة الخلوتية:** أسسها الشيخ محمد بن أحمد بن محمد كريم الدين الخلوتي، (ت 986 هـ)، والخلوتي: نسبة إلى الخلوة الصوفية، كان من أتباع الطريقة السهروردية وأخذ التصوف عن إبراهيم الزاهد، ثم استقل بطريقته، وتفرغ لتعليم المريدين، وللطريقة فروع عديدة في فلسطين وفي مصر وفي الجزائر وفي تركيا، **[أركان الطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية]** : للطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية أركان سبعة، تحدث عنها بالإجمال الشيخ العارف بالله الشيخ خير الدين الشريف كمنهج تربوي يومي للسالك، وهذه الأركان هي: الركن الأول (الحب) و الركن الثاني (الامتثال)، والركن الثالث (الذكر)،والركن الرابع (الفكر)، و الركن الخامس (الصمت)، و الركن السادس (الخلوة) و الركن السابع (الجوع)، **(الركن الأول): (الحب):** الحب هو الركن الأول من أركان الطريقة و المفتاح لما يليه من أركان فإذا تمكن الحب في قلب المسلم كان محركا و موقظا لطاقات كامنة تسري لتنير دربه وتعمر بالإيمان قلبه، وإذا قلنا "الحب" فإننا نعني حب الله و حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآل بيته و صحبه الكرام، أما حب الله فهو الغاية والمنتهى و أما حب رسول الله فهو حب من به أحببنا الله و عرفناه، فهو باب الله والطريق الموصل إلى الله لا يكمل إيمانه إلا بكمال حبه، وعن حب آل بيته صلى الله عليه وسلم قال: (أحبوا الله لما يغذوكم من نعمه، وأحبوني بحب الله، وأحبوا آل بيتي بحبي)، قال الشيخ أبو بكر الواسطي رحمه الله: من عرف الله أحبه، ومن أحبه أطاعه، و من أطاعه قطع عن قلبه كل ما دونه، و من حرم المعرفة، حرم حلاوة الطاعة، و من حرم حلاوة الطاعة، حرم المؤانسة في الخلوة، فلا يجد في المعاملة رؤية المنة، ولا يعرف قدر الله على الحقيقة، و يغلب في الأحوال فيسقط عن استقامة السر مع الحق، **(الركن الثاني): (الامتثال):** يأتي هذا الركن من أركان الطريقة و يتجلى في حياة المسلم بعد أن يتحقق ركن الحب فطاعة المحب لمحبوبه هي أقل ما يمكن أن يفرزه الحب وهذا الأمر يكون بين عوام الناس فكيف لو كان المحبوب هو الله و رسوله والمحب صادق في حبه لا يرجو إلا رضى المحبوب، والطاعة و الامتثال هنا هي ما جاء في قوله تعالى:{يا أيها الذين آمنوا

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الأمر منكم} و قال: {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليم}، وأخرج الشيخان عن عبادة بن الصامت قال: (بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة، في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وألاّ ننازع الأمر أهله، قال: إلاّ أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان)، و ثمرة الطاعة قوله تعالى: {ومن يطع الله و رسوله فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين و حسن أولئك رفيقا}، إن التحقق الصحيح من معاني هذا الركن (الامتثال) لا يتم إلا بمتابعة شيخ عارف وعهد على الطاعة وصحبة وأخوة، فعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه)، **(الركن الثالث): (الذكر):** قال تعالى: {أذكروني أذكركم}، قال ثابت البناني إني أعلم متى يذكرني ربي عز وجل، ففزعوا فقالوا كيف تعلم ذلك، فقال إذا ذكرته ذكرني، وقال تعالى: " فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا" و قال " فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما و قعودا و على جنوبكم"، قال ابن عباس أي بالليل و النهار في البر و البحر و السفر والحضر والغنى والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية، وقال تعالى: {ولذكر الله أكبر}، قال ابن عباس له وجهان أحدهما أن ذكر الله تعالى لكم أعظم من ذكركم إياه والآخر أن ذكر الله أعظم من كل عبادة سواه، واستكمالا للركن الأول (الحب) فإن من علامات الحب هي الذكر بل كثرة الذكر، هل رأيت أو سمعت محبا لا يذكر محبوبه أو يذكره قليلا، فالأصل في الذكر أن يكون كثيرا، قال تعالى "يا أيها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا" لا بل إن قلة الذكر من صفات المنافقين، قال تعالى "يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا"، و الذكر هو دواء القلوب وإحياؤها، به تسكن النفس وتسمو الروح و لذلك كان تركيز الطريقة على الذكر من خلال تنظيم أوراد للطريقة أمرا في غاية الأهمية حتى يكون القلب دائم الاتصال بربه راضيا محبا صابرا، و ما أجمل أن تعلم أن حلق الذكر يشهدها الله وتشهدها الملائكة وهي رياض الجنة يشهد الله ملائكته "فأشهدكم أني قد غفرت لهم، قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم و إنما جاء لحاجة، قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم"، أخرج البخاري في صحيحه (باب التوحيد) والترمذي والنسائي وابن ماجة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يقول الله: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه، إذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي (وهذا دليل على ذكر السر)، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم (وهذا دليل على ذكر الجهر) ، **(الركن الرابع ): (الفكر):** نظرا لما للفكر و التفكر من

عظيم شأن في ديننا فقد جعل ركنا من أركان الطريقة، قال تعالى: "إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب"، ولما للفكر من ارتباط قوي بالذكر فقد جاءت الآية التالية بقوله تعالى" الذين يذكرون الله قياما و قعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات و الأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار"، هذه الآية الكريمة هي التي جعلته صلى الله عليه وسلم يقوم في ليلته يصلي فبكى حتى بل لحيته ثم سجد حتى بل الأرض ثم اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذن الصبح فقال: يا رسول الله ما يبكيك و قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك و ما تأخر؟ فقال: ويحك يا بلال، و ما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله تعالى علي في هذه الليلة " إن في خلق السماوات و الأرض"، و خلاصة الأمر أن تجعل جانبا من تفكرك يتعلق بآفات النفس والتفكر بالخلاص منها والسعي لتحويلها إلى خصال محمودة، فعلى السالك أن يتفكر في آفات نفسه كالبخل والكبر والعجب والحسد وشدة الغضب والرياء وحب المال والجاه وشره الطعام والوقاع، وجانب آخر يتعلق بأمور محمودة على السالك التفكر فيها والإكثار منها كالندم على الذنوب والرضى والصبر والشكر والزهد والإخلاص وحسن الخلق والحب، ثم إن على السالك أن يتفكر كل يوم ويحاسب نفسه بقية النهار على نهاره كيف أمضاه، وهل اجتنب النواهي وجاء بالأوامر الشرعية، **(الركن الخامس): (الصمت):** والصمت ركن رئيسي لعلاج آفات اللسان ودوره مهم في ترويض النفس ومجاهدتها فعندما يكون القلب نظيفا فإن اللسان ومع الضبط لا ينطق إلا بالخير في معظم أحواله بإذن الله ولكن من كانت آفات نفسه و لسانه تسيطر عليه فإن أحد أساليب العلاج الناجحة تكون الصمت، قال تعالى: "ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد"، و عن معاذ بن جبل قال (قلت يا رسول الله أنؤاخذ بما نقول؟ فقال ثكلتك أمك يا ابن جبل، و هل يكب الناس على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم)، وإذا كان الصديق يمد لسانه بيده ويقول (هذا الذي أوردني الموارد) فكيف بنا نحن، ولذلك كان هذا الركن ضروري لكل مسلم إذ لا يخلو مسلم من آفات فهو بحاجة لضبط لسان و ضبط نفس، و في الحديث المتفق عليه عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت)، وقال صلى الله عليه وسلم (إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق و المغرب)، **(الركن السادس): (الخلوة):** وهي نوع من أنواع الاعتكاف يقصد بها تنقية القلب مما علق به من ران أثناء ممارسة الحياة العادية بما فيها من مفاتن ومعاصٍ، فينصح السالك ما بين الفترة والأخرى بهذا الاعتكاف، يفرد فيه القلب لذكر الله والتفكر بمخلوقاته، ولا بد لهذه من شيخ يعالج آفات النفس كما يعالج الطبيب علل الجسد، ولا يفهم

من هذا المعنى الرهبنة، كما عند النصارى، أو الانقطاع عن الناس وترك الأهل والأولاد بلا معيل، فإن هذا تواكل ينافي التوكل، حاربه الشرع الحنيف، فهي إذن ابتعاد عن الدنيا بكل زخارفها فترة من الوقت، يستريح فيها الجسد والفكر من مشاغل الدنيا، ويأخذ فيها القلب جرعة من الإيمان تدفعه في عليين، وقد علم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يترك الاعتكاف حتى قبض، فكان يخلو في العشر الأواخر من رمضان، وقد سماه الفقهاء اعتكافاً، قال تعالى:" ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا" و قال "كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون"، و في الحديث الذي يرويه البخاري في صحيحه (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله) وذكر (رجلا ذكر الله خاليا ففاضت عيناه)، وهكذا فإن المقصود من الخلوة هو تخلية القلب و تصفيته من علله وأمراضه وخواطر الشيطان ووساوسه ليستعد لتلقي العلوم والنفحات الربانية، **(الركن السابع): (الجوع):** هذا هو الركن السابع والأخير من أركان الطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية، أستهله بآيات من كتاب الله تدل على حقيقة فهمنا لهذا الركن، يقول الله تعالى {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ} (32 الأعراف)، ويقول أيضاً {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}(87 المائدة)، فلسنا ممن يحرم ما أحل الله، إلا أننا ننادي بالاعتدال والتوسط في التعامل مع شهوة البطن، ونرمي بذلك إلى المجاهدة وعدم الإفراط في تناول الطعام والبغي بغير الحق، لأن البغي في الشيء الحلال حرام، وهو من الإسراف الذي نهى الله تعالى عنه {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} (31 الأعراف) ومصداقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم (ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه، فإن كان لابد فاعلاً فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنَفَسِه)، وهذا هو الاعتدال بعينه فإن البطون إذا شبعت أشغلت القلب بالدنيا وشغلته عن الذكر وصفاء النفس، والجسم إذا جاع فر الشيطان من ظله وإذا خاض في لذائذ شهواته تمكن الشيطان منه، (الجوع) من أول أبواب مجاهدة النفس فلا بد من ضبط الشهوة بتضييق مجاري الشيطان، قال صلى الله عليه وسلم (إن الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم فضيقوا مجاري الشيطان بالجوع و العطش)، وصيام النافلة هو جزء من التطبيق العملي لهذا الركن ولهذا المفهوم المعتدل لحقيقة الجوع، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحث على صيام النافلة من هذا الباب، فقد أمر عليه الصلاة والسلام بصيام الأيام البيض من الشهر القمري (13، 14، 15) وحث على صيام يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع، ثم قال (خير الصيام صيام أخي داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً) إلى آخر أنواع صيام النافلة، وما ذلك إلا

دربة على قيادة النفس وإحكام السيطرة عليها، **[من أوراد الطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية]: (وِرْدُ السُّبْحَةِ)**: يُقرأ سراً بشكل منفرد صباحاً ومساءً أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه (100) مرة، اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم (100) مرة، لا إله إلا الله (100) مرة، حسبنا الله ونعم الوكيل (100) مرة، ويختم بقوله لا إله إلا الله محمد رسول الله، ثم يقرأ الفاتحة، و **(ورد السحر)** ورد السحر: قال تعالى:{وبالأسحار هم يستغفرون}، قد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أن الله تعالى ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول: هل من تائب، فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فاغفر له؟ هل من سائل فيعطى سؤاله؟: حتى يطلع الفجر))، إن ورد السحر الذي يقرؤه أتباع الطريقة الخلوتية ما هو إلا امتثال للآية الكريمة وللحديث القدسي، وهذا الورد يقرأ قبيل الفجر بساعة وهو أفضل الأوقات لكثرة التجليات الإلهية، ويبدأ ورد السحر بقراءة الفاتحة وأوائل سورة البقرة، وآية الكرسي وخواتيم سورة البقرة، ويكرر قوله تعالى:{واعف عنا واغفر لنا وارحمنا} ثلاثاً، ويقرأ قوله تعالى:{لقد جاءكم رجل من لأنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم}، ويكرر {فإن تولوا}، حتى آخر الآية سبع مرات لقوله صلى الله عليه وسلم: (من قال حين أصبح وحين أمسى حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم))، سبع مرات كفاه الله ما أهمه، ويقرأ بعدها سورة الإخلاص ثلاث مرات وسورة الفلق وسورة الناس، وقد وردت فضائل هذه السور في أحاديث كثيرة لا حاجة إلى إعادة ذكرها، بعد ذلك يقول استغفر الله العظيم سبعين مرة لقوله تعالى:{وبالأسحار هم يستغفرون}. وقال أيضاً{وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون}. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة))، ويقول كذلك (بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم)) ويكررها ثلاثاً،

**[المفتاح التاسع]: نبذة عن الطريقة السنوسية**: طريقة صوفية ودعوة إسلامية ظهرت في ليبيا، وعمت مراكزها الدينية شمالي أفريقيا والسودان والصومال، وبعض البلاد الإسلامية، أسسها الشيخ محمد بن علي السنوسي (ت 1202 هـ)، وُلد في الجزائر، ونشأ في بيت علم وتُقىً، وعندما بلغ سن الرشد تابع دراسته في جامعة مسجد القرويين بالمغرب، ثم أخذ يجول في البلاد العربية

يزداد علماً فزار تونس وليبيا ومصر والحجاز واليمن ثم رجع إلى مكة وأسس فيها أول زاوية لما عُرِف فيما بعد بالحركة السنوسية، وله نحو أربعين كتاباً ورسالة منها: إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن، ومن أهم روادها: الشيخ المهدي محمد بن علي السنوسي، خلف والده في قيادة الدعوة السنوسية، والشيخ أحمد الشريف السنوسي والشيخ البطل المجاهد عمر المختار (ت 1350 هـ)، و السنوسية حركة تجديدية إسلامية: قامت على ثغر الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والجهاد في سبيل الله ضد المستعمرين الصليبيين من الإيطاليين وغيرهم، والجهاد في سبيل الله تعالى كان هو الشعار الدائم للسنوسية، **[من أوراد الطريقة السنوسية]:** أولها القران الكريم وهو على الترتيب التالي يقرا عقب صلاة الصبح نصف جزء، ويعقبه قراءة الاخلاص ثلاث مرات، وكفارة المجالس ثلاث مرات، ثم اسم الله تعالى اللطيف (129 مرة)، وبعد صلاة المغرب يقرا نصف جزء من القران الكريم مثل ما قرا عقب الصبح وان شاء قرا الجزء كله عقب الصبح اذا كان ذلك ايسر له، الى جانب ورد يومي يقرا خلال اليوم وهو مقسم لثلاثة الصغير والاسط والكبير يتدرج المريد من خلالهن حسب التربية والارادة وما يراه الشيخ وهي: الورد الصغير: بسم الله الرحمن الرحيم، استغفر الله مائة مرة، لا اله الا الله محمد رسول الله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله ثلاث مائة مرة، اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى اله وصحبه وسلم مائة مرة، أما الورد الوسط: استغفر الله العظيم واتوب اليه مائة مرة، لا اله الا الله محمد رسول الله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله ثلاث مائة مرة، الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة، أما الورد الكبير: استغفر الله العظيم واتوب اليه مائة مرة، لا اله الا الله محمد رسول الله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله من (300 مرة) إلى (3000 مرة) إلى (24000 مرة)، فالأول لأهل التبرك والثاني لأهل الإرادة والثالث لأهل التجريد من أهل العكفات ،، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بأي صيغة، وأولها (مائة مرة) لأهل التبرك والمنتسبين (وألفين) لأهل الإرادة والمتجردين وخصوصاً أهل الخلوات، والمدار كله على الاستطاعة، وصلاة النوافل: الفجر اثنتان والضحى أربع وقبل الظهر أربع وبعده اثنتان وقبل العصر أربع وبعد المغرب اثنتان وقبل العشاء اثنتان وعشر ركعات صلاة التهجد واثنان الشفع، وركعة الوتر، فالجملة خمسون صلاة مع الفريضة، والزيادة خير، فإن فاتته الصلاة ليلاً صلى بدلها نهاراً والعكس بالعكس، ( **الانتشار):** انتشرت الدعوة السنوسية في أفريقيا الشمالية كلها، وقد امتدت زواياها من مصر إلى مراكش، ووصلت جنوبًا إلى الصحراء في السودان والصومال وغرباً إلى الجزائر وكذلك انتشرت

الدعوة السنوسية في خارج أفريقية حيث وصلت إلى أرخبيل الملايو في الشرق الأقصى، وقد استطاعت السنوسية أن تنشر الإسلام في القبائل الوثنيَّة الإفريقية وتؤسس المدارس التعليمة والزوايا، ولم يقتصر التعليم على الذكور بل امتد التعليم إلى النساء والأطفال من الجنسين، واستعانت الدعوة بالنساء لنشر الإسلام بين نساء القبائل الوثنية،

**[المفتاح العاشر]: نبذة عن الطريقة التيجانية:** طريقة صوفية أسسها الشيخ العارف بالله الإمام أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار ابن أحمد بن محمد سالم التيجاني (ت 1230 هـ)، كان مولده في قرية عين ماضي من قرى الصحراء بالجزائر حاليًّا، حفظ القرآن الكريم ودرس شيئًا من الخليل، ودرس العلوم الشرعية، وارتحل متنقلاً بين فاس وتلمسان وتونس والقاهرة ومكة والمدينة ووهران، أنشأ طريقته عام (1196هـ) في قرية أبي سمغون وصارت فاس المركز الأول لهذه الطريقة، ومنها تخرج الدعوة لتنتشر في أفريقيا بعامة،، ومن أهم تلامذته: علي حرازم أبو الحسن بن العربي برادة المغربي الفاسي وقد توفي في المدينة النبوية، ومحمد بن المشري الحسني السابحي السباعي (ت 1224هـ) صاحب كتاب الجامع لما افترق من العلوم وكتاب نصرة الشرفاء في الرد على أهل الجفاء، وأحمد سكيرج العياشي 1295 هـ، ولد بفاس، ودرس في مسجد القرويين، وعين مدرسًا فيه، تولى القضاء، وزار عددًا من مدن المغرب، وله كتاب الكوكب الوهاج وكتاب كشف الحجاب عمن تلاقى مع سيدي أحمد التيجاني من الأصحاب، وعمر بن سعيد بن عثمان الفوتي السنغالي: (ت 1283 هـ)، تلقى علومه في الأزهر بمصر، ولما رجع إلى بلاده أخذ ينشر علومه بين الوثنيين، وكانت له جهود طيبة في مقاومة الفرنسيين، وأهم مؤلفاته رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم، ومحمد عبد الحافظ بن عبد اللطيف بن سالم الشريف الحسني التيجاني المصري (ت 1398 هـ) وهو رائد التيجانية في مصر، وقد خلف مكتبة موجودة الآن في الزاوية التيجانية بالقاهرة وله كتاب الحق والخلق، وله الحد الأوسط بين من أفرط ومن فرط، وشروط الطريقة التيجانية كما أسس مجلة طريق الحق سنة 1370 هـ) **[التزكية عند التيجانية]:** يسعى التيجانيون إلى تحقيق مرتبة (وحدة الشهود) التي جاءت في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (أن تعبد الله كأنّك تراه)) والذي جاء في حديث جبريل المشهور قال: (فأخبرني عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)) – إلى قوله صلى الله عليه وسلم – (يا عمر أتدري من السائل؟ قلت الله و رسوله أعلم، قال: إنه جبريل أتاكم يعلّمكم دينكم)) [أخرجه مسلم] ، **[من أوراد الطريقة التيجانية]:**

**(الورد اللازم) ويشمل:** دعاء الإفتتاح، أعوذ بالله من الشيطان الرّجيم، فاتحة الكتاب، **أستغفر الله: 100 مرّة،** سُبْحَانَ ربّكَ ربِّ العِزّةِ عمَّا يَصِفُونَ وَ سَلام عَلى المُرْسَلِينَ وَ الحَمْدُ للهِ ربِّ العَالَمِينَ، **صلاة الفاتح لما أغلق** (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، الفاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ و الخاتِمِ لِمَا سَبَقَ، نَاصِرِ الحَقِّ بَالحَقِّ و الهَادِي إلى صِرَاطِكَ المُسْتَقِيمِ، و عَلَى آلِهِ حَقَّ قَدْرِهِ و مِقْدَارِهِ العَظِيمِ): **100 مرّة،** سُبْحَانَ ربّكَ ربِّ العِزّةِ عمَّا يَصِفُونَ وَ سَلام عَلى المُرْسَلِينَ وَ الحَمْدُ للهِ ربِّ العَالَمِينَ، **لا اله إلا الله: 100 مرّة،** سيّدنا محمّد رسول الله عليه سلام الله، إِنَّ الله وَ مَلائكتهُ يُصَلّونَ عَلى النَّبيّ يَا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُوا صَلّوا عَلَيْهِ وَ سَلّمُوا تَسْلِيمًا، صلى الله عليه و على آله و صحبه و سلّم تسليما، سُبْحَانَ ربّكَ ربِّ العِزّةِ عمَّا يَصِفُونَ وَ سَلام عَلى المُرْسَلِينَ وَ الحَمْدُ للهِ ربِّ العَالَمِينَ ، **[الوظيفة]:** وتشمل: دعاء الإفتتاح، أعوذ بالله من الشيطان الرّجيم، فاتحة الكتاب، **أستغفر الله العظيم الذي لا اله إلا هو الحيّ القيوم: 30 مرّة،** سُبْحَانَ ربّكَ ربِّ العِزّةِ عمَّا يَصِفُونَ وَ سَلام عَلى المُرْسَلِينَ وَ الحَمْدُ للهِ ربِّ العَالَمِينَ، **صلاة الفاتح لما أغلق** (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، الفاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ و الخاتِمِ لِمَا سَبَقَ، نَاصِرِ الحَقِّ بَالحَقِّ و الهَادِي إلى صِرَاطِكَ المُسْتَقِيمِ، و عَلَى آلِهِ حَقَّ قَدْرِهِ و مِقْدَارِهِ العَظِيمِ): **50 مرّة،** سُبْحَانَ ربّكَ ربِّ العِزّةِ عمَّا يَصِفُونَ وَ سَلام عَلى المُرْسَلِينَ وَ الحَمْدُ للهِ ربِّ العَالَمِينَ، **لا اله إلا الله: 100 مرّة،** سيّدنا محمّد رسول الله عليه سلام الله، جوهرة الكمال: 12 مرّة، إِنَّ الله وَ مَلائكتهُ يُصَلّونَ عَلى النَّبيّ يَا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُوا صَلّوا عَلَيْهِ وَ سَلّمُوا تَسْلِيمًا، صلّى الله عليه و على آله و صحبه و سلّم تسليما، سُبْحَانَ ربّكَ ربِّ العِزّةِ عمَّا يَصِفُونَ وَ سَلام عَلى المُرْسَلِينَ وَ الحَمْدُ للهِ ربِّ العَالَمِينَ، **[الهيللة]:** بعد عصر يوم الجمعة جماعة، لا قضاء فيها و صفتها: دعاء الإفتتاح، أعوذ بالله من الشيطان الرّجيم، فاتحة الكتاب، **أستغفر الله العظيم الذي لا اله إلا هو الحيّ القيوم: 3 مرّات، صلاة الفاتح لما أغلق** (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، الفاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ و الخاتِمِ لِمَا سَبَقَ، نَاصِرِ الحَقِّ بَالحَقِّ و الهَادِي إلى صِرَاطِكَ المُسْتَقِيمِ، و عَلَى آلِهِ حَقَّ قَدْرِهِ و مِقْدَارِهِ العَظِيمِ): **3 مرّات،** إِنَّ الله وَ مَلائكتهُ يُصَلّونَ عَلى النَّبيّ يَا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُوا صَلّوا عَلَيْهِ وَ سَلّمُوا تَسْلِيمًا، صلّى الله عليه و على آله و صحبه و سلّم تسليما، سُبْحَانَ ربّكَ ربِّ العِزّةِ عمَّا يَصِفُونَ وَ سَلام عَلى المُرْسَلِينَ وَ الحَمْدُ للهِ ربِّ العَالَمِينَ، **لا اله إلا الله: 1200 مرّة،** سيّدنا محمّد رسول الله عليه سلام الله، أعوذ بالله من الشيطان الرّجيم، فاتحة الكتاب، **صلاة الفاتح لمل أغلق: 3 مرّات،** إِنَّ الله وَ مَلائكتهُ يُصَلّونَ عَلى النَّبيّ يَا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُوا صَلّوا عَلَيْهِ وَ سَلّمُوا تَسْلِيمًا، صلّى الله عليه و على آله و صحبه و سلّم تسليما، سُبْحَانَ ربّكَ ربِّ العِزّةِ عمَّا يَصِفُونَ وَ سَلام عَلى المُرْسَلِينَ وَ الحَمْدُ للهِ

ربِّ العَالَمِينَ، **[بعض الأدعية قبل الذكر و بعده]:** قبل الشّروع في الورد أو الوظيفة أو الهيللة: المقصد الذي تتبني عليه الأذكار: اللّهم إنّي نويت تلاوة هذا الورد تعظيما وإجلالا لك وابتغاء مرضاتك و قصدا لوجهك الكريم، مخلصا لك من أجلك و أقول بإمدادك و عونك وحولك و قوّتك، و ما وهبتني من إنعامك و توفيقك مستعينا بك"، ومما يدعى به بعد الختام: اللّهم لك الحمد كما أنت أهله، وصلّ على سيّدنا محمّد كما هو أهله، فافعل بنا ما أنت أهله فإنك أهل التّقوى و أهل المغفرة، جزى الله عنّا سيّدنا محمّد صلى الله عليه و سلم خيرا كما هو أهله، جزى الله عنّا شيخنا ووسيلتنا الى ربّنا سيّدي أحمد التّجاني خيرا كما هو اهله، جزى الله عنّا جميع أشياخنا والوالدين منّا خيرا، اللّهم ارض عنهم رضى لا سخط بعده، **[الكذب على الشيخ التيجاني والدس في أقواله]:** لقد ابتليت الطريقة التيجانية بالكذب عليها من قبل أعداء المسلمين، ومن قبل المنافقين والجاهلين، وذلك لأنّها حملت لواء الجهاد ضد الفرنسيين في أفريقيا، وكان لها في نيجيريا بمفردها حوالي عشرة ملايين مريد، فأرادوا إضعافها، وذلك بالتقول على شيخها والدس في أقواله بما يوحي الكفر والمروق، ومن ذلك، أنّهم يدعون أنّ الشيخ أحمد التيجاني قال أنّ قراءة صلاة الفاتح مرة واحدة تعدل قراءة القرآن ست مرات، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أخبره مرة ثانية بأن المرة الواحدة منها تعدل من كل ذكر ومن كل دعاء كبير أو صغير، ومن قراءة القرآن ستة آلاف مرة، لأنه كان من الأذكار، وأن من تلا صلاة الفاتح عشر مرات كان أكثر ثواباً من العارف الذي لم يذكرها، ولو عاش ألف ألف سنة، وأنّ من قرأها مرة كُفِّرت بها ذنوبه، ووزنت له ستة آلاف من كل تسبيح ودعاء وذكر وقع في الكون، والشيخ التيجاني بريء من ذلك كله، **[نص رسالة العارف بالله الشيخ محمد الحافظ التجاني رحمه الله شيخ الطريقة في مصر في رد الأكاذيب عن الطريقة التيجانية]:** " بسم الله الرحمن الرحيم: قرأت في العدد (266) من مجلة الرسالة أسئلة من ألبانيا الى الاستاذ الحجوي وهذا نص السؤال:" ان الطريقة التجانية المنتشرة في أكثر البلاد حتى البلاد الأرناؤودية ولا سيما بلدتنا أشقودرة هل المندمج فيها غير مناف للشريعة الغراء؟ ومنتسبو تلك الطريقة يدعون أفضلية قراءة (صلاة الفاتح) لما أغلق على تلاوة القرآن ستة آلاف مرة وهو أكبر الأذكار متأولين بأن ذلك بالنسبة لمن لم يتأدب بآداب القرآن كما فصله في كتاب جواهر المعاني المنسوب الى التجانية، وأن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بتلك الصلاة الخاصة انما يترتب عليها الثواب اذا اعتقد انها من كلام الله القديم قوله عليه السلام: {من صلى علي مرة صلى الله عليه عشراً}، وان تلك الصلاة مع فضيلتها بتلك المثابة لم يعلمها النبي عليه السلام لأحد الا لمؤسس تلك الطريقة،

وفي ذلك ما لا يخفى من لزوم الكتمان ومنافاته للتبليغ المأمور به عليه السلام؟ وان مؤسس تلك الطريقة افضل الاولياء مع ان الاجماع هو ان الافضل بعد نبينا محمد عليه السلام، الخلفاء اربعة على الترتيب المعلوم، وان من انتسب الى تلك الطريقة يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب وتغفر ذنوبه الكبار والصغار حتى التبعات وغير ذلك مما هو مبسوط في الكتب التجانية، وحيث اننا _ أهل هذه الطريقة أحق الناس ببيان ما نحن عليه _وكان في تلك الاسئلة تحريف عن الحقيقة التي عرفناها ونقلناها عن شيوخنا قاطبة، **فإنني أعلن بلسان كل من ينتسب الى هذه الطريقة أن من يعتقد أن صلاة الفاتح أو غيرها من الصلوات أفضل من القرآن فهو ضال مضل ما عرف الاسلام، وليس هناك في طريقتنا من يعتقد تلك العقيدة الزائغة، وقد قال شيخ الطريقة الأكبر في جواهر المعاني: أما تفضيل القرآن على جميع الكلام من الاذكار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الكلام فأمر أوضح من الشمس كما هو معلوم في استقراءات الشرع واصوله** شهدت به الاثار الصحيحة، أما الذي نقول به فهو أن من لم يحسن أدب تلاوة الكتاب الواجبة، فلأن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم أفضل له من أن يتلو القرآن وهو مخل بشروط تلاوته، فالمقارنة في حال التالي لا في حال المتلو فانه لا خلاف في أفضلية القرآن، فأي شيء في ذلك وهو الذي يقول به العلماء؟!على أنه لا حرج في رجاء الإثابة على العمل القليل بالجزاء الكثير وإن كان العامل لا يستحقه ولا العمل، والفضل الالهي يتسع لإثابة المؤمن على تسبيحه واحدة بجزاء عمل كثير من محض الفضل الالهي بغير استحقاق، وقد صح في التأمين والتسبيح والذكر شيء من ذلك، وليس هذا من باب تفضيل غير القرآن على القرآن بأي وجه من الوجوه، ولا يذكر هذا ليتكل عليه المؤمنون فالمؤمن يعمل ويخاف ويرجو _وعدم الأمن أصل في العمل في الطريق _ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون، وأن من مكارم الأخلاق حسن الظن بالله وحسن الظن بعباد الله، وليس هناك في طريقتنا من يعتقد أن الشيخ أفضل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما زعم السائل وقد صرح في جواهر المعاني أنهم أفضل ممن بعدهم مستدلاً بما روي عنه صلى الله عليه وسلم: (أن الله أصطفى أصحابي على العالمين سوى النبيين والمرسلين)، وقال: أعمالنا معهم كسير النملة مع سرعة طيران القطاة، وذكر أن أعمال من بعدهم في صحيفتهم أما دعوى تفضيله على النبيين فهي دعوى لا تستحق أن يلتفت إليها لوضوح بطلانها، أما صلاة الفاتح ودعوى أن أهل الطريقة يقولون أن النبي صلى الله عليه وسلم كتمها عن أصحابه وأعطاها للشيخ وكونها من كلام الله القديم فهذه الصلاة موجوده قبل الشيخ وهي

منسوبه لسيدي محمد البكري وهو موجود قبل ولادة الشيخ بزمن طويل فكيف تكون مكتومة؟ ومن نسب الكتمان له صلى الله عليه وسلم فيما أمر بتبليغه فهو كافر مرتد، وكذلك من أعتقد أنها من أي نوع من أنواع وحي النبوة، ولم يقل أحد عندنا أنها من الاحاديث القدسية،والذي حققه حجة هذه الطريقة سيدي العربي بن السائح في كتابه (بغية المستفيد) انها يصح أن تكون من الإلهام الذي يجوز للأولياء، قال صلى الله عليه وسلم (ذهبت النبوة وبقيت المبشرات، قالوا وما المبشرات يا رسول الله؟ قال: الرؤيا الصالحة يراها العبد الصالح أو ترى له، والرؤيا ليست بقاصرة على مايراه المرء في نومه كما هو معروف في اللغه وذكر الحافظ بن حجر في شرح حديث إبن عباس هي رؤية عين أريها صلى الله عليه وسلم الخ في البخاري فيصح أن تشمل ما هو معروف بالإلهام والمشاعر والوقائع والتحديث ونحوه مما حقق العلماء أنه جائز أن يكون نصيب الولي من ميراث النبوة، ويجب عرض ذلك على الشريعة فما وافقها أخذ به وما لا فلا، وقد يكون له تاويل كالرؤيا المنامية سواء بسواء، وصح عنه صلى الله عليه وسلم (أنه كان فيمن قبلكم رجال يكلمون من غير ان يكونوا انبياء، وأهل هذه الطريقة قاطبة في أنحاء المعمورة ليس فيهم واحد على غير مذاهب أهل السنة والجماعة فهم حنفية أو مالكية أو شافعية أو حنابلة، ومعتقدهم معتقد أهل السنة الذي عليه الفقهاء والمحدثون والاصوليون والصوفية، وقد بلغ فيهم الكثيرون الإمامة في عصرهم في أقطارهم كسيدي إبراهيم الرياحي شيخ الاسلام في تونس وسيدي أحمد كلانباني شيخ الجماعة بفاس، والفقيه قنون، وسيدي علي بن عبد الرحمن مفتي وهران وسيدي محمد الحافظ العلوي الشنقيطي، وكل ما يوهم في كتبنا غير هذه العقيدة فقد تصدى علماء الطريقة لبيان المراد منها وحمله على الوجه الذي يوافق ما عليه الجماعة ولنا اسوة بمن سبقنا من العلماء، **أما ما نسب للشيخ رضي الله عنه مما لا يمكن تأويله ولا يمكن حمله على وجه صالح فنحن نراه كذباً عليه ونرده**، وقد سأل (أيكذب عليك؟ قال نعم _ اذا سمعتم عني شيئا فزنوه بميزان الشرع) وقد كذب على الله والرسول والصالحين فأي حرج ان يكذب عليه، وأن الواقع هو أوضح دليل على براءة الشيخ وطريقته من هذه الأكاذيب المفتراة أو التي ولدها فهم في كلامه لا نقول به يحسب صريحا فهو عندنا مؤول يحرم الأخذ بظاهره، ذلك الواقع أننا نجد أصحابه لا يقولون بها، وقد أطبق علماء الطريق من عصر الشيخ على إعلان البراءة منها صريحا وبيان أن من يعتقدها ليس في الطريق في شيء، ومعلوم أن أتباع كل إمرئ أخبر الناس بما هو عليه، وصريح كلامه الذي لا إبهام فيه ولا غموض هو المرجع الصحيح وقد تبرأ من كل قول يخالف الشرع ولم يجعل ميزانا بينه وبين أتباعه غيره، وإذاً فليس

في هذه الأمور معضلة من معضلات العصر ولكن المعضل حقيقة هو النزاع فيما بيننا معشر المسلمين ولا شك أن لأعداء الإسلام المصلحة في التفرقة، ولا أدري ألم يحن الوقت الذي يترك فيه نزاع الطوائف الاسلامية ويوضع سلاح الافتراء والتحريف وسوء الظن الذي يتحاربون به؟ وهلا ييسر لهم من يسعى في التفاهم على أساس حسن الظن بينهم وجمع كلمتهم والتماس المعاذير لمن لعل له العذر منهم؟ وليس هذا كل ما يقال عن الطريق فقد ذهب نزاع الطوائف إلى حمل كل موهم في كتبنا على أسوأ الوجوه مما لا يخطر على بال أحد منا ولم نسمعه إلا من خصوم الطريق وإلى أبعد من هذا، إلى التدليس كما يقال: فويل للمصلين _ ويترك الذين هم عن صلاتهم ساهون، وإلى الاختلاق والكذب على التاريخ وعلى الأحياء من العلماء، ووصل حتى إلى الأمور الشخصية، ولست بعد ذلك بصدد التعرض لجواب الاستاذ الحجوي لان هذا هو الذي لدينا ونبرأ من كل ما يخالف شرع الله وشرع رسوله صلى الله عليه وسلم، وأصحاب هذه الطريق ولله الحمد من أشد الناس قياماً بالقرآن تلاوة ومدارسة، وبالسنة علماً وعملاً، وأساسها تصحيح العقيدة والقيام بالواجبات، والانتهاء عن المحرمات جميعها، والتقرب إلى الله بالنوافل على حسب الاستطاعة مع عدم الأمن _ ولا واجب عندنا إلا ما أوجبه الشارع ومنه وفاء المكلف بنذره بشرطه المعروف في الفقه ولا مندوب إلا ما ندب اليه ولا حكم إلا الله، وليكتب خصوم الطريق (قائمة) بكل ما يخالف الكتاب والسنة من العقائد فنكتب تحتها هذا باطل لا نقول به ونستطيع أن نريهم من كلام الشيخ نفسه ما يرده، والفقهاء فيها ممن لهم الباع الطائل في الأصول والفقه كثيرون ولله الحمد وكلهم أهل سنة وإستقامة وقد بينوا ذلك وشرحوه، وقد عاشرت كثيراً ممن بالمشرق والمغرب من السادة التجانيين فما وجدت أحداً منهم يعتقد شيئا مما يتهم به أهل الطريق مما يخالف الكتاب والسنة وعلى فرض أن جاهلاً أعتقد ذلك فليس منا لمخالفته إعتقادنا ونحن من إعتقاده بريئون وإذن فذلك الإنكار المتفرع على تلك العقائد الزائغة لا يصلنا منه شيء فهو موجه إلى غيرنا مما يعتقدها، والطريقة وشيخها وأتباعه يبرأون من كل ما يخالف كتاب الله وسنة رسوله وليس لديهم إلا ما عليه أهل السنة والجماعة، محمد الحافظ التجاني، الزاوية الكبرى في القاهرة " أهـ [نقلاً عن إرشيف منتديات روض الرياحين]، وانظر كذلك كتاب الانتصاف في رد الافتراء على السادة التجانية للشيخ محمد الحافظ التجاني، **[أركان الطريقة التجانية]:** تقوم الطريقة التجانية على ثلاثة أركان، وهى: (1) الاستغفار، (2) الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، الهيللة (لا إله إلا الله)، والأذكار اللازمة في هذه الطريقة الجليلة هي: وردى الصباح والمساء، والوظيفة، وذكر الجمعة، وكلها تقوم على كل أو

بعض هذه الأركان الثلاثة، وهذه الأذكار اللازمة هي أس الطريقة وأساسها، وليس وراءها ذكر لازم، ومدار الطريقة هي في المداومة علي أذكارها اللازمة بشروطها وآدابها، ومن آكد هذه الشروط وأعظمها المحافظة على الصلوات الخمس في أوقاتها، بإتمام أركانها وأدائها على حدودها المحدودة لها شرعا، في جماعة غير مبتدعة، وامتثال الأوامر واجتناب النواهي، بقدر الوسع والإمكان، كل ذلك مع بذل الجهد فى إخلاص النية، وتطهير الطوية، والصدق في معاملة الحق والخلق، والتخلي عن كل مذموم والتحلي بكل محمود، وعدم الأمن من مكر الله، والطريقة التجانية : طريقة شكر، جارية على طريقة السلف الصالح من الصدر الأول القائمة على الشكر والفرح بالمنعم سبحانه وتعالى وعلى الرياضة القلبية، فطريقة الشكر التي كان عليها قلوب الأصفياء من الصحابة وغيرهم هي عبادة الله تعالى على إخلاص العبودية والبراءة من جميع الحظوظ، مع الاعتراف بالعجز والتقصير في توفية الربوبية حقها وسكون ذلك في القلب على الدوام، فسير طريقة الشكر هو سير القلوب، بالنظر في أحوال القلب وما يصلحه وما يفسده، على سنن الاعتدال والتقيد بالشريعة المطهرة والسنة الشريفة وآدابها، دون إفراط ولا تفريط، **[أماكن انتشار الطريقة التيجانية]** : بدأت من فاس وما زالت تنتشر حتى صار لها أتباع كثيرون في بلاد المغرب والسودان الغربي (السنغال) ونيجيريا وشمالي أفريقيا ومصر والسودان وغيرها من أفريقيا، ويقدر صاحب كتاب التيجانية علي بن محمد الدخيل الله يقدر في عام 1401هـ عدد التيجانيين في نيجيريا وحدها بما يزيد على عشرة ملايين نسمة،

***

## المبحث السابع والعشرون

## الطرح الصوفي في الإصلاح العلمي والعملي والسياسي والأخلاقي

أهل التصوف هم على أعلى الهرم العلمي الإسلامي لأنهم القائمون على تحقيق أعلى مراتب الدين (مرتبة الإحسان الظاهر والباطن) هم العلماء بالله، ولذا كان علمهم هو الزلال المصفى، ويتضح علمهم الصافي المصفى من خلال إدراك مذهبهم في تلك المباحث الشائكة والعلوم الفريدة:

(1) الصوفية وأحكام الإيمان والكفر،

(2) الصوفية وأحكام التوحيد والشرك،

(3) الصوفية وأحكام السنة والبدعة،

(4) الصوفية وأحكام السياسة الشرعية،

(5) الصوفية وأهل السنة والجماعة سواد المسلمين الأعظم،

(6) الصوفية وحرمة أهل الإسلام،

(7) الصوفية وعلم التقديس،

(8) الصوفية وعلم الأخلاق،

(9) الصوفية واحترام التخصص العلمي الإسلامي،

وسوف أتناول بمشيئة الله تعالى في الفصول التالية الطرح الصوفي في تلك المسائل والقضايا،

***

# المبحث الثامن والعشرون

# الصوفية وأحكام الإيمان والكفر

**[المفتاح الأول]: أهل التصوف الحق أحرص الناس على حرمة أهل الإسلام:** أهل (لا إله إلا الله – محمد رسول الله)، لا يتورطون في تكفير أحد من أهل القبلة أبدا، نبراسهم في ذلك قول النبي **صلى الله عليه وآله وسلم: (من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله ورسوله فلا تخفروا الله في ذمته) [أخرجه البخاري]، ولا يصح عندهم تفريغ الحديث من معناه، فمن صلى صلاة المسلمين واستقبل قبلتهم وأكل ذبيحتهم فذلك المسلم الذي له ما للمسلمين، وعليه ما على المسلمين**، والنبي **صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (**كُلُّ المُسْلم عَلَى المُسْلم حَرَامٌ، دَمُهُ ومَالُهُ وعرْضُهُ) [رواه مسلم]، المسلم عنهم: هو كل من قال (لا إله إلا الله * محمد رسول الله): مقرا لها بلسانه، معتقدا لها بقلبه، منقادا لها ببدنه، **هذا المسلم:** لا يكفرونه بذنب ولا خطأ ولا جهل ولا تأويل ولا بدعة حتى ينكر معلوما من الدين بالضرورة ويقيم عليه الفقهاء الحجة الشرعية التامة المستوفية لشروطها وموانعها بذلك، فإن اختلف الفقهاء رجحوا لأنفسهم السلامة، فلا يتورطون في تكفيره، ورجحوا للمسلم جانب حسن الظن والمخارج الحسنة، ولسان حالهم يقول: لان نخطئ في إدخال كافر في الإسلام فنحقن دمه، خير لنا من أن نخطئ في اخراج مسلم من اسلامه إلى الكفر فنستحل دمه وماله وعرضه،

**[المفتاح الثاني]:** أهل التصوف الحق أكرمهم الله تعالى بالعلم الراسخ الذي يفرقون به بين الإيمان القلبي (الاعتقاد) وبين إيمان الجوارح (العمل)، **ودليلهم على ذلك الكتاب والسنة، فأما الكتاب، فقد وجدوا أنّ القرآن الكريم يفصل بين الإيمان والعمل وذلك بعطف العمل على الإيمان مع أن العمل في جملته من الإيمان، وقد تكرر كثيرا في القرآن الكريم قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}، وإذا كان الإيمان يشمل العمل فإن التفريق في الآيات بين الإيمان**

والعمل يوجب التفريق بين إيمانين، أصل وفرع، أصل لا يصح الإيمان بغيره، وفرع يضاف إليه فيزيده، وقد فهموا من هذا الفصل أن المقصود بالإيمان هو الأصل المقتضي للعمل، وهو الذي لا يصح الإيمان بدونه، وهو اعتقاد القلب، وأما الفرع فهو يتعلق بما زاد على الأصل المنجي من الكفر الأكبر، كما وجدوا أنّ القرآن الكريم ينف الإيمان عن قوم مسلمين، كما في قوله تعالى: {قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا}، فالأعراب مسلمون جفاة نادوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من وراء الحجرات ورفعوا أصواتهم فوق صوته غلظة منهم وجفاءً لا نفاقاً وكفراً أمرهم الله تعالى بحسن الأدب مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ووعدهم خيرا إن أطاعوا الله والرسول:{وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً إن الله غفور رحيم}، فلا شك أن هذا الإيمان ليس نفيه الكفر الأكبر المخرج من الإسلام، لأن القرآن أثبت لهم الإسلام، كما وجدوا في سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم: نفي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الإيمان عن أشخاص مسلمين، كما في قوله صلى الله عليه وآله وسلم (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن) [أخرجه مسلم]، لذلك كان من فقه أحكام الإيمان عندهم: تقسيم الإيمان إلى (أصل) لا يصح الإيمان بدونه، وهذا الإيمان يمنع صاحبه من الخلود الأبدي في النار خلود الكافرين الجاحدين المكذبين، وليس بعده إلا الكفر الأكبر الموجب للخلود الأبدي في النار، وإلى (فرع): زائد عن الأصل يؤهل صاحبه لدخول الجنة ابتداءً، وهذا الإيمان ليس نفيه وصف بالكفر الأكبر وإنما نفيه يدل على الكفر في إطار الملة أو الفسوق أو العصيان وفق قرائن الأدلة الدالة على إحداها، والمنفي عنه هذا الإيمان (الفرع) ليس كافراً الكفر الأكبر بل هو مسلم معه مطلق الإيمان الذي منعه من الكفر الأكبر الموجب للخلود الأبدي في النار،

**[المفتاح الثالث]:** أهل التصوف الحق: يقسمون الإيمان إلى ثلاثة أقسام: (الأصل) الذي يصح معه اسم الإيمان وحكمه، و (الواجب) الذي أوجبه الله تعالى على عباده، و (المستحب) الذي به كمال الإيمان: القسم الأول: وهو أصل الإيمان ومطلق الإيمان وهو أدنى ما يصح به الإيمان، وهذا الإيمان يمنع صاحبه من الخلود الأبدي في النار خلود الكافرين الجاحدين المكذبين، ونفي هذا الإيمان معناه الكفر الأكبر الموجب لأحكام الردة والخلود الأبدي في النار، والقسم الثاني: وهو الإيمان الواجب المأمور به، وهو بأداء الواجبات والكف عن المحرمات إضافة إلى عناصر الأصل

**والتي لا يصح الإيمان إلاّ بها، وهذا الإيمان يسميه العلماء " الإيمان الواجب " وهذا الإيمان هو إيمان المقتصد الذي يؤدي الواجب الذي عليه ويكف عن المحرمات التي نُهي عنها، والقسم الثالث : وهو الإيمان المستحب ويكون بأداء السنن والمندوبات والتنزه عن المكروهات فضلاً عن أداء أصل الإيمان وواجبه، وهذا الإيمان هو إيمان المحسنين السابقين إلى الخيرات بإذن الله عز وجل، والإيمان الواجب هو الذي يمنع صاحبه من دخول النار ابتداء ويهي صاحبه لدخول الجنة ابتداء، أما المستحب فإنما يرفع درجة صاحبه في عِلّيّين، وحدود الإيمان الواجب: أداء الفرائض والكف عن المحرمات والوقوف عند حدود الله دون تعد لها، ودرجات الإيمان المطلق المستحب عديدة: تتمثل في أداء السنن والمستحبات والقربات والتنزه عن الشبهات والمكروهات وإحسان أعمال القلوب واللسان والجوارح، وضد الإيمان الأصل: الكفر الأكبر المخرج من الملة، ومن أتى بأصل الإيمان وصح له هذا الأصل فهو في مأمن من الكفر الأكبر الموجب للخلود الأبدي في النار، وضد الإيمان الواجب الكفر ولكن في إطار الملة أو الفسوق أو العصيان وفق قرب المتروك منه أو بعده عن الإيمان الأصل، فالأقرب للإيمان الأصل كالصلاة فإن تركها كفر ولكن دون كفر، وما كان بعيدا عن الأصل فإن ضده العصيان، فإن تكرر كان ضده الفسوق، وأياً كان المتروك من الإيمان الواجب، فلا يبلغ منه شيء أن يخرج من الملة بكفر أكبر حتى يأتي على أصل الإيمان من الإقرار والاعتقاد على وجه الإجمال حين الإجمال، والتفصيل حين التفصيل،** أما ما كان ضدا للإيمان المستحب فهو نقص الدرجة عن الكمال،

**[المفتاح الرابع]: أهل التصوف الحق: يقسمون العمل إلى قسمين عمل القلب وهو القبول والانقياد القلبي والاذعان، وعمل الجوارح من صلاة وصيام وزكاة وحج وسائر العبادات والطاعات، وأدخلوا القسم الأول (عمل القلب) في أصل الإيمان، وأدخلوا القسم الثاني (عمل الجوارح) فيما زاد عن الأصل من الإيمان الواجب والمستحب، وهذا الفقه في الدين عند أهل السنّة والجماعة جعلهم يتميزون عن كافة الفرق الضالة في مسائل واحكام الإيمان سواء بالتفريط أو الافراط، فهم تميزوا عن المرجئة المفرطة في مسائل الإيمان فأدخلوا (عمل القلب) في أصل الإيمان، لأنّ المرجئة لا يدخلون أي عمل في الإيمان الأصل، وتميزوا عن الخوارج والمعتزلة الغالية في مسائل وأحكام الإيمان فأخرجوا (عمل الجوارح) عن أصل الإيمان، لأن الخوارج أدخلوا عمل الجارحة في الأصل وبالتالى غالوا في تكفير المسلمين بغير حق،**

**[المفتاح الخامس]: أهل التصوف الحق أكرمهم الله تعالى بالعلم الراسخ الذي يعظمون به أهل الإسلام، لذا فإنهم يخرجون عمل الجارحة عن أصل الإيمان**، وعناصر أصل الإيمان ثلاثة عند أهل التصوف: هي: (1) إقرار اللسان، (2) قول القلب (التصديق)، (3) عمل القلب (الإنقياد)، وأما أعمال الجوارح فهي خارجة عن الأصل داخلة في مسمى الإيمان، وبعضها يدخل في الإيمان الواجب وهو أداء الفرائض والكف عن المحرمات، وبعضها يدخل ضمن عناصر الإيمان المستحب وهو أداء النوافل والكف عن المكروهات، وبالرجوع إلى كتاب الله عز وجل وأحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم سنجد الكتاب والسنة يؤكدان ذلك ويؤيدانه تمام التأكيد،

**[المفتاح السادس]: من الأدلة على صحة هذه القاعدة: أنّ الإيمان جاء مقروناً بالعمل الصالح في أكثر من خمسين موضعاً في كتاب الله عز وجل: منها قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ} [البينة: 7]، فهذه الآيات التي فيها عطف العمل على الإيمان، والعطف يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه مع اشتراك المعطوف والمعطوف عليه في الحكم الذي ذكر لهما، وكثرة الآيات التي عُطف فيها العمل على الإيمان أكبر دليل على المغايرة، فدل ذلك الحرص على الفصل بين لفظ الإيمان ولفظ العمل الصالح في القرآن الكريم على التغاير بين دلالة الإيمان ودلالة العمل الصالح، فالإيمان هاهنا المقصود به الإيمان الأصل الذي يعطي لصاحبه اسم الإسلام وحكمه ويمنع من دخوله في الكفر الأكبر وأحكامه، والمقصود بالعمل الصالح هو الإيمان الواجب المتمثل في أداء الواجبات والكف عن المحرمات ذلك الإيمان الذي تتحقق به النجاة من الكفر في إطار الملة ومن لقب الفسوق ومن دخول النار ابتداء، ويستحق به صاحبه الحمد والثناء، ومن الأدلة على ذلك أيضاً: الآيات الكثيرة في كتاب الله عز وجل الدالة على أن أصل الإيمان منبعه في القلب:** كقوله تعالى: {وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ}، وكقوله تعالى: {إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ}، وقوله تعالى: {وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ} [الحجرات: 14]، وقوله تعالى: {أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ} [المجادلة: 22]، فدلت الآيات على أن مقر الإيمان هو القلب، وكقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (التقوى هاهنا)، ويشير إلى صدره ثلاثاً، وكقوله صلى الله عليه وآله وسلم، (ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) [أخرجه البخاري] وكقوله صلى الله عليه وآله وسلم فيما يرويه عن الله عز وجل: (أخرجوا من النار من وجدتم في قلبه مثقال ذرة من

إيمان) [أخرجه البخاري]، فهذه الأدلة من الكتاب والسنة تدلنا على أن أهم الإيمان وأصله هو ما وقر في القلب وأن هذا الأصل هو الفاروق بين الخلود الأبدي في النار وعدم الخلود فيها، **(ثالثا): ومن الأدلة على ذلك أيضاً: الأدلة من الكتاب والسنة على أن أصل الكفر ومنبعه أيضاً هو القلب:** ومن ذلك قوله تعالى: {طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ}وقوله تعالى:{خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ} وقوله تعالى:{كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ} وقوله تعالى:{لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ،، إلى قوله تعالى أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ}فهذه الآيات تدلنا على أن محل الكفر الأكبر هو القلب وأنه ضد لأصل الإيمان المنجي من الكفر الأكبر، **ومن الأدلة على ذلك أيضاً: أنّ الإيمان جاء في كتاب الله عز وجل مقروناً بالعمل الصالح وجاء أيضاً مقروناً بضده:** ومثاله قوله تعالى {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا}[الحجرات: 9] فعبر القرآن الكريم عن المقتتلين بلفظ الإيمان مع أن الحديث الصحيح مفاده (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) فعلينا عند الجمع بين الآية والحديث أن المقتتلين من المسلمين لهم مسمى الإيمان بما أتوا به من الأصل وأن كفرهم في إطار الملة وليس خارجها، ومثاله أيضاً قوله تعالى: {فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ،،}[البقرة: 178] فجاء التعبير القرآني بإثبات أخوة القاتل لولي الدم ولا شك أنه قد أتى بضد العمل الصالح الذي هو من قبيل الإيمان الواجب وهذا بخلاف من انتفى عنه التصديق . مثلاً . فأولئك قال عنهم الله عز وجل:{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ} [البقرة: 8 – 9] وحكم عليهم القرآن الكريم بالنفاق وجعل الدرك الأسفل من النار مأواهم يوم القيامة، **والأدلة من السنة على صحة هذه القاعدة كثيرة منها: (1): ما أخرجه مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقي الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة) [مسلم: ح 44]،والحديث يدل على أن الإقرار بالشهادتين مع اعتقادهما سبب لدخول الجنة وإن دخل النار بذنوبه فإنه لا يخلد فيهما خلود الجاحدين لأن مآله إلى الجنة،(2): ما أخرجه مسلم في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار) [مسلم: ح 47] فمن أقر بالشهادتين واعتقدهما حرم الله عز وجل عليه الخلود الأبدي في النار وهذا ما يجب حمل الحديث عليه إذ هو مذهب أهل السنة والجماعة لا يعرفون غيره فيقولون بأن أصحاب الكبائر في المشيئة، وقد دلت الأخبار الصحيحة على أن بعضهم يدخل النار بقدر ذنوبه ثم يخرج بالشفاعة أو ضمن قبضة الرحمن الذين لم يعملوا خيراً**

**قط، (3): ما أخرجه مسلم في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) اذهب بنعلي هاتين فمن لقيت وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة ([صحيح مسلم: ح 52]، ففي الحديث دلالة على أن كل من شهد الشهادتين معتقداً لهما ومات على ذلك فإن مآله إلى الجنة، (4): ما أخرجه مسلم في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله إلا حرمه الله على النار، قال (أي معاذ) يا رسول الله أفلا أخبر بها الناس فيستبشروا قال: " إذا يتكلوا " فأخبر بها معاذ عند موته تأثماً)[صحيح مسلم: ح 53]، (5): ما أخرجه مسلم في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم(ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة " قلت – أي راوي الحديث وهو أبو ذر – رضي الله عنه – وإن زنى وإن سرق قال: (وإن زنى وإن سرق) ثلاثاً ثم قال في الرابعة (على رغم أنف أبي ذر) فخرج أبو ذر وهو يقول وإن رغم أنف أبي ذر) " [صحيح مسلم: ح 154]، وبعد فهذه بعض الأحاديث التي تدل على صحة ما ذكرناه من كون أصل الإيمان المنجي من الخلود الأبدي في النار الإقرار بالشهادة مع اعتقادها، واعتقادها يشمل قول القلب أي تصديقه وعمل القلب بالانقياد لها إذ لا تصح الشهادة إلا بذاك، ومن الأدلة على ذلك أيضاً: [أحاديث الشفاعة]:** فإنها تبين الحد الأدنى من الإيمان الذي يصح به اسم الإيمان وحكمه، لأنها تتحدث عن آخر أهل الجنة دخولاً للجنة، والجنة لا يدخلها إلا نفس مؤمنة، وما دام هؤلاء قد دخلوا الجنة فقد حازوا مسمى الإيمان، ولما كان هؤلاء آخر أهل الجنة دخولاً للجنة كان عندهم أدنى الإيمان الذي يأخذ به اسم الإيمان وحكمه وكان عندهم أصل الإيمان الذي أتاح له دخول الجنة، لذلك ذهب الفقهاء إلى جمع هذه الأحاديث من كتب الصحاح والسنن وتتبعها والتوفيق بينها لبيان الحد الواضح لأدنى الإيمان المنجي من الخلود الأبدي في النار، وقد بينت هذه الأحاديث أن للشفاعة مراحل عدة: المرحلة الأولى: شفاعات المؤمنين وهذه للمصلين يعرفونهم بأثر السجود فالنار لا تأكل منهم أثر السجود، والمرحلة الثانية: شفاعات الملائكة لمن بقي من المصلين لا يعرفهم المؤمنون فيخرجونهم أيضاً ويعرفونهم بأثر السجود، والمرحلة الثالثة: شفاعات النبيين وهي ولا شك لمن كان حالهم أدنى وأسوأ من سابقيهم ممن أخرجهم المؤمنون والملائكة، والمرحلة الرابعة: شفاعات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهي ثلاث تنال آخرها من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان فيخرجهم من النار، والمرحلة الأخيرة: وفيها يطلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الله عز وجل الشفاعة الرابعة له وهي في حق من اقتصر على قول لا إله إلا الله معتقداً

لها مجردة عن الأعمال، فيقول الله عز وجل كما جاء في الحديث: (ليس ذاك إليك وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لأخرجن من قال لا إله إلا الله)، [متفق عليه واللفظ لمسلم]، وما أخرجه البخاري– رحمه الله – في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه وفيه: " يشفع النبيون والملائكة والمؤمنون فيقول الجبار: بقيت شفاعتي، فيقبض قبضة من النار فيخرج أقواماً قد امتحشوا، فيدخلون الجنة فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الرحمن، أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه) [صحيح البخاري ك التوحيد باب / 24 ح 7439]، وما أخرجه مسلم– رحمه الله – في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري أيضاً وفيه: " فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط، يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه " [صحيح مسلم كتاب الإيمان باب 81 ح 302]، فالشفاعة الرابعة تدل على خروج الأعمال عن حد إيمان أصحاب القبضة ويؤكد ذلك حديث مسلم رحمه الله: (فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج قوماً لم يعملوا خيراً قط)[مسلم: ح 302]، فالحديث صريح الدلالة على أن إيمان أصحاب القبضة كان مجرداً عن الأعمال لقوله صلى الله عليه وآله وسلم(لم يعملوا خيراً قط) وفيه نفي مؤكد بلفظ (قط) بمعنى لم يعملوا خيراً أبداً، ويؤيد ذلك ويؤكده مجموع الأدلة المأخوذة من الأحاديث السابقة لهذا الحديث، فكلها قد تضافرت على إثبات إيمان مجرد من الأعمال لأصحاب القبضة الذين هم أقل الخلق إيماناً وآخر أهل الجنة دخولاً، وما أقوله من الاستدلال بهذه الأحاديث على هذا النحو ليس بدعاً من القول بل هو ما قاله العلماء منذ تعرضهم لشرح أحاديث الشفاعة والاستدلال بها، **إذن محصلة هذا الباب الجليل:** باب الإيمان والكفر عند اهل التصوف الحق: هو تلك القواعد: الإيمان قول وعمل، والإيمان أصل وفرع والأصل قول وعمل والفرع قول وعمل، وعمل الأصل يختلف عن عمل الفرع، فإن عمل الأصل هو عمل القلب من الانقياد والاذعان والتعظيم، وعمل الفرع هو كافة أعمال الجوارح التي تدخل في مسمى الإيمان، وعناصر أصل الإيمان في الشرع ثلاثة (قول القلب وعمل القلب وإقرار اللسان) وأما أعمال الجوارح فهي خارجة عن الأصل داخلة في مسمى الإيمان، فمما يدل على أنه لا يصح الإقرار إلا بالتصديق: قوله عز وجل {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ}[البقرة: 8 – 9]، وقوله جل شأنه: {إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا

نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ}[المنافقون: 1]، ومما يدل على أنه لا يصح الإقرار والتصديق إلا بالانقياد القلبي: ما جاء في كتاب الله تعالى عن كفر إبليس الرجيم مع أنه يقيناً كان مصدقاً وإنما أتى كفره من قبل عدم الانقياد وليس من قبل التكذيب كما ذكر ذلك المولى تعالى في سورة البقرة بقوله تعالى {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} [البقرة: 34] وفي سورة الإسراء نجد قول الله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا * قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء: 61 – 62]، في الآيات دلالة واضحة على أن كفر إبليس إنما هو لمعاندة أمر الله تعالى وليس لتكذيبه والمعاندة واضحة في قوله (أأسجد لمن خلقت طيناً)، فهذا معاندة للأمر واستكبار عن اتباعه وليس هو من باب التكذيب أبداً، وفي سورة ص نجد قول الله تعالى: {قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ}[ص: 71 – 85]، وفي هذه الآيات دلالات عديدة على تصديق إبليس وأنه إنما أتي من قبل انتفاء عمل القلب وهو انقياده وإذعانه لأمر الله، وبالتالي استكباره عن طاعة الله وهذا هو كفر إبليس الحقيقي، ومعصية إبليس لم تكن في ترك السجود وإلا فقد أكل آدم من الشجرة بعد أن نهاه الله تعالى عنها ولكنه عصى الله بجوارحه وقلبه منقاد لأمر الله يعلم أنه ما كان ينبغي له مخالفة أمر الله في شيء ولذلك لما تاب وأناب تاب الله تعالى عليه، أما إبليس فلم يكن تركه للسجود معصية جارحة وإنما هو استكبار القلب وعناده وخلوه عن الانقياد لأمر الله فاستحق الكفر والرجم، ولو نظرنا إلى الآيات لوجدناه يخاطب الله عز وجل بقوله " رب فأنظرني إلى يوم يبعثون " فهو مصدق بالله بربوبيته له وللعالمين أجمعين، ولم يكن مكذباً بشيء من ذلك أبداً بل هو يحلف بعزة الله ويعلم أنها صفة جليلة للرحمن سبحانه فيقول " فبعزتك لأغوينهم أجمعين " ومن ذلك كله نعلم يقيناً أن التصديق المجرد لا ينفع بشيء حتى يضاف إليه انقياد القلب وإذعانه وخضوعه لأمر الله، وعلى ذلك: فعناصر الأصل ثلاثة هي: (1) إقرار اللسان (2) قول القلب (التصديق) (3) عمل القلب (الإنقياد)، وأما أعمال الجوارح فهي خارجة عن الإيمان الأصل داخلة في الإيمان الواجب، فلا مجال لتكفير المسلم الكفر الأكبر إلا بما ينقض أصل الإيمان من التصديق والانقياد والإقرار، وهذه **من أعظم ضوابط أهل السنة والجماعة في الباب،**

**[المفتاح السابع]: أهل التصوف الحق:** لا يكفرون مسلما بعمل خال عن الاعتقاد، فالإيمان الاعتقادى يضاده الكفر الاعتقادى، والإيمان العملي يضاده الكفر العملي، والكفر العملي لا يخرج المسلم من الدائرة الإسلامية، والملة بالكلية، كما لا يخرج الزاني والسارق والشارب من الملة وإن زال عنه اسم الإيمان، وإنما عبر عنه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم {بالكفر} ليدلنا على وخامة هذا الفعل وخطورة عاقبته التي قد تؤول بصاحبه إلي خذلان الله عز وجل له فيضرب على قلبه قبل الموت، فيموت كافراً، نسأل الله السلامة وحسن الختامة، وليس بعد هذا التحذير النبوي البليغ من تحذير، **إلا أن الكفر العملي لا يخرج المسلم من الدائرة الإسلامية،**

**[المفتاح الثامن]: أهل التصوف الحق:** يفرقون بين الكفر الأكبر وبين الكفر دون كفر، ف (الكفر الأكبر): هو الكفر المناقض لأصل الإيمان (الإقرار والتصديق والانقياد)، ولهذا كان ستة أنواع منها ما يضاد الإقرار ومنها ما يضاد التصديق ومنها ما يضاد **الانقياد: فكفر التكذيب يضاد الإقرار والتصديق، وكفر الجحود يضاد الإقرار، وكفر العناد ومنه الاستكبار والإباء يضاد الانقياد، وكفر الشك يضاد التصديق، وكفر النفاق يضاد التصديق، وكفر الإعراض يضاد الإقرار والتصديق، وكل ما يناقض أصل الإيمان فهو كفر أكبر مخرج من الملة ومآله إلى أحد أنواع هذه الستة الذي ذكرها الفقهاء في أنواع الكفر الأكبر، وأما (الكفر دون الكفر الأكبر): وهو ما يسميه بعض العلماء بالكفر داخل إطار الملة أو بالكفر الأصغر، وهذا الكفر لا مناقضة فيه لأصل الإيمان وإنما هو يناقض الإيمان الواجب القريب من أصل الإيمان، ولهذا كانت خطورته في أنه يفتح طريقاً عريضاً نحو الكفر الأكبر ويخشى على صاحبه بسوء الخاتمة، وذلك لأن الإيمان من شأنه الزيادة والنقصان، ومن يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه، وصاحب الكفر دون الكفر الأكبر مفرط في الإيمان الواجب من أصل الإيمان فهو يكاد ويوشك أن يقع فيما ينقض أصل الإيمان، ومن أمثلة هذا الكفر قتل المسلمين وقتالهم لأنه قريب من اعتياد ذلك واستحلاله، واستحلاله كفر أكبر، ومن أمثلته النياحة على الميت لأنه قريب من اعتياد الاعتراض على قضاء الله وقدره، والظن السيئ بالله، وهو بذلك قريب من الكفر الأكبر، ومن أمثلته تكفير المسلم لأخيه المسلم بغير وجه حق لأنه قريب إلى استحلال دمه وماله وعرضه بغير وجه حق، وهكذا فكل ما حكم الشرع بكونه كفر دون كفر، فهو دلالة على قربه من الكفر الأكبر وأنّ اعتياده طريق إلى الكفر الأكبر المضاد لأصل**

الإيمان والموجب للخلود الأبدي في النار، ومن أمثلته أيضاً ترك الصلاة تكاسلا لأنّه قريب من اعتياد ذلك وجحوده فيختم له بسوء الخاتمة، نسأل الله عز وجل التثبيت وحسن الخاتمة،

**[المفتاح التاسع]**: من قواعد أهل التصوف الحق في هذا الباب: هذه القاعدة: (الكفر الأكبر كفر جحود واعتقاد، وكفر العمل لا يكون كفراً أكبر حتى يصاحبه كفر القلب من زوال قوله أو عمله) وهي قاعدة مطردة، فكل ما كان من الكفر يمس الاعتقاد فهو كفر أكبر مخرج من الملة، وكل ما كان من الكفر يتعلق بالعمل المحض المجرد عن الاعتقاد فهو كفر دون كفر، ولا يخرج عن هذه القاعدة المطردة سوى الأعمال التي أجمع فقهاء أهل السنّة والجماعة على كفر فاعلها كإهانة المصاحف وسب الدين، وهذه الأعمال لا تصدر إلا مع ذهاب عمل القلب وانقياده، وإذا خلا القلب من الانقياد زال أصل الإيمان وحل محله الكفر الأكبر، فهذه الأعمال إنما كانت كفراً أكبر لأنها لكفر القلب فحلّت محله، وهذا هو السر في جعلها من الكفر الأكبر المخرج من الملة، فهي فيما يظهر للناس كفر عملي وفي حقيقتها كفر اعتقادي يضاد أصل الإيمان في القلب،

**[المفتاح العاشر]**: من قواعد أهل التصوف الحق في هذا الباب: هذه القاعدة: (التولي عن الطاعة كفر أكبر إذا كان التولي بالقلب والجوارح، وكفر دون كفر إذا كان التولي بالجوارح فقط): فإنّ المأمور به إذا تركه العبد فإما أن يكون مؤمناً بوجوبه أو لا يكون، فإن كان مؤمناً بوجوبه تاركاً لأدائه فلم يترك الواجب كله بل أدى بعضه وهو الإيمان به وترك بعضه وهو العمل به، وكذلك المحرم إذا فعله إما أن يكون مؤمناً بتحريمه أو لا يكون فإن كان مؤمناً بتحريمه فاعلاً له فقد جمع بين أداء واجب وفعل محرم فصارت له حسنه وسيئة، وعليه فالمسلم لا يكفر الكفر الأكبر إلا بتوليه التام عن الطاعة بقلبه وجوارحه معاً، فإن اعتقد الطاعة بقلبه وأقر بها فليس متولياً بالكلية لأنه قد أتى بنصف الطاعة وأصلها، وهو طاعة القلب بالإقرار بوجوبها، وبالتالي فقد أتى بحسنة تحفظ له أصل إيمانه وتنجيه من الخلود الأبدي في النار خلود الجاحدين، وأتى بسيئة تُزيل عنه إيمانه الواجب الذي يُنجي من دخول النار إبتداءً،

**[المفتاح الحادي عشر]**: من قواعد أهل التصوف الحق في هذا الباب: هذه القاعدة: (كفر تارك الحكم بما أنزل الله، كفر أكبر للمستحل الناقض باستحلاله لأصل الإيمان، وكفر دون كفر لمن حافظ على أصل الإيمان، وكان تفريطه في عمل الجارحة فقط)، وقوله تعالى {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا

**أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} [المائدة: 44]، فمن أقر بلسانه واعتقد بقلبه وجوب الحكم بما أنزل الله، فقد حكم بقبله بما أنزل الله، ولم يترك حكم الله بالكلية فلا ينطبق عليه الكفر الأكبر، وإنما هو كفر عملي لا يخرج من الملة، ومن جحد حكم الله بقلبه، فقد كفر الكفر الأكبر المخرج من الملة، ولذلك اتفقت كلمة الصحابة والتابعين ومن بعدهم على التفصيل في المسألة، قال حبر الأمة عبد الله بن عباس قوله {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} قال: من جحد ما أنزل الله فقد كفر، ومن أقر به فهو ظالم فاسق [تفسير الطبري جـ6/257]،**

**[المفتاح الثاني عشر]: من قواعد أهل التصوف الحق في هذا الباب: هذه القاعدة:** (ترك الصلاة كفر لنص الشرع عليه، ولكنه كفر أكبر إذا كان الترك بالقلب – جحد الصلاة –، وكفر في إطار الملة إذا صح الاعتقاد واقتصر الترك على عمل الجارحة، ومنه الجمع بين قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر)، وبين قوله – صلى الله عليه وآله وسلم – (خمس صلوات افترضهن الله على العباد ... من أتى بهن ... ومن لم يأت بهم لم يكن له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة) ولا يكون تحت المشيئة إلا مؤمن، ولهذا قال النووي في شرح المهذب بعد أن ساق أدلة من قالوا إنه غير كافر: (ولم يزل المسلمون يورثون تارك الصلاة ويورثون عنه ولو كان كافراً لم يغفر له ولم يرث ولم يورث)، انتهي،

**[المفتاح الثالث عشر]: من قواعد أهل التصوف الحق في هذا الباب: هذه القاعدة:** (موالاة الكافرين على المؤمنين كفر لنص الشرع عليه، قال تعالى: {ومن يتولهم منكم فإنه منهم}، ولكنه كفر أكبر إذا كانت الموالاة على دينهم، وكفر في إطار الملة إذا صح الاعتقاد والإقرار واقتصرت الموالاة على الظاهر)، ودليله ما أخرجه البخاري ومسلم في قصة حاطب رضي الله عنه ومكاتبته لقريش بأمر مسير النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين إليهم لفتح مكة، وفي الحديث قوله صلى الله عليه وآله وسلم (ما هذا يا حاطب؟ قال لا تعجل عليّ يا رسول الله، إني كنت امرأً من قريش ولم أكن من أنفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكة فأحببت إذ فاتني من النسب فيهم أن اصطنع إليهم يداً يحمون قرابتي، وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً عن ديني فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنه قد صدقكم فقال عمر دعني يا رسول الله فأضرب عنقه فقال (إنه شهد بدراً وما يدريك لعلّ الله عز وجل اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) " [البخاري ح (4890)]، فموالاة الكافرين: يحتمل أن تكون

موالاة باطنة على الدين ويحتمل أن تكون موالاة ظاهرة على سبيل التقية والمصانعة، ولوجود هذا الاحتمال لم يحكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليه بالكفر حتى تبين قصده بالسؤال، فلمّا علم أنها موالاة ظاهرة على سبيل التقية والمصانعة دلّهم على أنّ صنيعه هذا ذنب من الذنوب وكبيرة من الكبائر التي تدخل ضمن إطار الذنوب التي تكفرها الحسنات،

**[المفتاح الرابع عشر]**: أهل التصوف الحق أحرص الناس على حرمة أهل الإسلام أهل (لا إله إلا الله – محمد رسول الله)، لا يتورطون في تكفير أحد من أهل القبلة أبدا، ومن قواعدهم التي تضبط باب الإيمان والكفر: (1) الإيمان الاعتقادى يضاده الكفر الاعتقادى، والإيمان العملي يضاده الكفر العملي، والكفر العملي لا يخرج المسلم من الدائرة الإسلامية، (2) هناك فرق واسع بين الكفر الأكبر وبين الكفر دون كفر، الكفر الأكبر: يخرج من الملة بالكلية فلا يأخذ صاحبه أبداً . اسم الإسلام ولا حكمه، لا في الدنيا ولا في الآخرة، وأما (الكفر دون الكفر الأكبر): فهو داخل إطار الملة وهذا الكفر لا مناقضة فيه لأصل الإيمان، وصاحيه له اسم الإيمان وحكمه، (3) الكفر الأكبر: كفر اعتقاد وجحود، والكفر دون كفر: كفر عمل مجرد عن الاعتقاد، والكفر الأكبر هو ما كان ضداً لأصل الإيمان أو لعنصر من عناصره الثلاثة [الإقرار – التصديق – الانقياد]، والكفر دون كفر هو ما كان ضداً للإيمان الواجب أو لعنصر من عناصره الأساسية التي حكم الشرع على تاركه بالكفر أي الكفر في إطار الملة، وبالتالي لا يُكَفَّر أحد من أهل القبلة شهد بالشهادتين: مقرا لهما بلسانه، معتقدا لهما بقلبه، هذا المسلم: لا يجوز تكفيره الكفر الأكبر بعمل حتى يأتي على أصل إيمانه واعتقاده، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: (كُلُّ المُسْلم عَلَى المُسْلم حَرَامٌ، دَمُهُ ومَالُهُ وعرْضُهُ) [رواه مسلم]،

***

# المبحث التاسع والعشرون

# الصوفية وأحكام التوحيد والشرك

**[المفتاح الأول]:** لقد **أكرم الله تعالى أهل التصوف بفقه مسائل وأحكام علم التوحيد**، اعتقادا وشهودا، هم أهل الفهم الواسع **لحقائق التوحيد، وأنه يشمل الدين كله، إذ التوحيد هو المرادف لشهادة التوحيد (لا إله إلا الله)، وليس هناك في الوجود كلمة تصلح للاعتراف بالتوحيد وحقائقه سوى شهادة التوحيد (لا إله إلا الله)، ولا يجزئ عن شهادة (لا إله إلا الله) شيء سواها، فلا يمكن أن يحل محلها قولنا (لا رب إلا الله)، ولا قولنا (لا معبود إلا الله)، ولا قولنا (لا كمال إلا لله)، وما ذاك إلا لأنّ قول المسلم (لا إله إلا الله) يشمل ذلك كله، ويزيد عليه، ف (لا إله إلا الله) يدخل في معناها لزاماً توحيد الذات تعالى وتقدس، وتوحيد الأسماء والصفات والأفعال فلا خالق إلا الله، وتوحيد الربوبية فلا رب للكون سواه، وتوحيد العبودية فلا معبود بحق سواه، كل ذلك لله وحده لا إله إلا هو، لقد أكرم الله تعالى أهل السنة بجمع تلك المباحث وصياغتها بحيث تستوعب جميع الاقسام دون أن تهمل أي قسم منها، ودون أن يكون هناك خلل بسبب إهمال أحد تلك الأقسام، ووضعوا لكل قسم ضوابطه التي تمنع من الغلو فيه، وبهذا يخرج دارس علم التوحيد على علم راسخ للتوحيد يحيط بكافة جوانبه العظيمة، بلا غلو ولا تقصير، وبلا إفراط ولا تفريط، وفي المقابل انحرف الوهابيون في باب التوحيد بسبب اتباع المتشابهات من آيات التوحيد والشرك،** فأتوا بآيات نزلت في المشركين فأنزلوها على المسلمين، وما دروا حقيقة حقيقة الشرك، ولا حقائق التوحيد، وما دروا حقيقة الإسلام، ولا ما هو إطاره الواسع الذي يدخل فيه كل مسلم،

**[المفتاح الثاني]: إن علم التوحيد من أهم العلوم التي يؤدي غيابها إلى وجود خلل الفكري والعقدي عند بعض فرق المسلمين**، وهو علم بالغ الأهمية للقضاء على فوضى الغلو في اتهام الامة بالشرك الأكبر ومن ثم استحلال حرمات ومحارم أهل الإسلام، إنّ فقه مسائل وأحكام التوحيد على

المنهاج الحق لعلماء أهل السنة والجماعة يحتم علينا استيعاب **عدة معان تستوفيها شهادة التوحيد (لا إله إلا الله)**: أولها: توحيد الله تعالى في جناب ذاته ليس كمثله شيء ولا نحيط به علما، وثانيها: توحيد الله تعالى في أسمائه الحسنى، وثالثها: توحيد الله تعالى في صفاته، ورابعها: توحيد الله تعالى في أفعاله، وخامسها: توحيد الله تعالى في ربوبيته لخلقه، فلا رب للعالمين سواه، وسادسها: توحيد الله تعالى في عبوديته، فلا معبود بحق إلا إياه، وسابعها: البراءة من الشرك في الإلهية بجميع أقسامها،

**[المفتاح الثالث]: لقد تسبب الذهول (أولا) عن اضافة قسم توحيد الذات إلى أقسام التوحيد عند الوهابية، إلى خلل في فهم التوحيد والإحاطة بأهم جوانبه، إذ توحيد الذات هو قسم التقديس الذي يعد مفخرة عقائد المسلمين الموحدين المنزهين المقدسين، والذهول عن هذا القسم (قسم توحيد الذات) أدى إلى قصور واضح جلي في الإلمام بما يجب وما يجوز وما يستحيل في ذات الله تعالى، وأدى إلى الوقوع في زيادة الإثبات على حساب التقديس عند بعض طوائف أهل السنة والجماعة، بل واعتقاد التجسيم وإن لم يشعروا بذلك، إنّ دراسة علم التقديس (قسم توحيد جناب الذات) هو عصمة المسلم من التمثيل والتشبيه والتكييف، وذلك لأنّ دراسة هذا العلم يؤدي إلى التقديس الكامل والتنزيه المطلق لله تعالى، والفهم الصحيح للآيات التي تتناول نفي المثل والند والكفء والشريك لله تعالى، ويؤدي إلى وضع الحاجز الذي يمنع من الولوج في التشبيه والتمثيل والتجسيم وغير ذلك من البدع الضالة في حق جناب ذات الله سبحانه، والعيش مع الله على التنزيه والاعتراف بالعجز عن الإدراك والإحاطة كما في قوله تعالى: {وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} [طه: 110]، وقوله تعالى: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الأنعام: 103]، إن معرفة قسم توحيد جناب الذات من أقسام التوحيد يؤهل دارسه لتصفية الأذهان عن المحسوس والموهوم، والخروج من حيز الحس الضيق إلى علم الإلهيات الذي يضع قواعد التنزيه التي تتعامل مع ذات الله تعالى الذي ليس كمثله شيء فلا يتقيد بحس ولا وهم، ومن ذلك نفي احتياج الله تعالى للمكان لأنه خالق المكان، ولأن المكان يحيط بمن فيه، والله تعالى بكل شيء محيط، ولأنّ المكان قاهر لمن هو داخله بالحد والإحاطة، والله تعالى هو القاهر لكل شيء ومن ذلك قهره للمكان لأنه هو الذي كون المكان، ومن ذلك نفي تقيد الله تعالى بالزمان، لأنه خالق الزمان فلا يجري عليه زمان، ومن ذلك نفي الحد والمقدار عن ذات الله، لأنّ الحد نقص يضاد الكمال لأنّه**

**يدل على النهاية، والكمال يضاد التناهي، الذي هو صفة المخلوق المحدود، ولأنّه سبحانه هو الذي حد الحدود على خلقه وقدر عليهم المقادير فكانت دليلا على أنّهم مخلوقون مربوبون لخالقهم الذي قهرهم بالحدود، أمّا هو سبحانه فهو أكبر من الحدود التي تدل على نهاية الذات، وإذا كانت صفاته ليست محدودة فإنّ الذات الموصوفة بتلك الصفات ليست محدودة، ومن ذلك نفي الحلول، إذ كيف يحل المنزه عن الحدود في المحدود، جل أن يحل في مخلوقاته وجل سبحانه أن تحل فيه مخلوقاته إذ يمتنع على قديم الذات أن يقبل المحدث المخلوق ولو قبل المحدثات لم يؤتمن عليه قبول الفناء، ومن ذلك نفي الاتحاد إذ كيف يتحد المحدث مع القديم والمخلوق مع خالقه، ونفي التغير والحدوث والآفات إذ التغير والحدوث والآفات علامات النقص تنزه صاحب الكمال والجلال عنها، ونفي الجوارح والابعاض و نفي الكل والأجزاء إذ الجزء محتاج إلى كله والكل يكمله الجزء وجميعها يضاد الأحدية و الصمدية سبحانه الواحد الأحد الصمد المنزه عن الجسمية ومستلزماتها،**

**[المفتاح الرابع]: أيضا فإن الذهول عن فقه توحيد العبودية عند الوهابية آثاره خطيرة،** لأنّ الفقيه ينبغي أن يفرق بين أصل العبادة الذي هو اعتقاد الربوبية والألوهية لمن تصرف له الطاعة المصحوبة بالحب والتذلل والخضوع والخوف والرجاء، وبغير هذا الاعتقاد لا تكون الطاعة عبادة، وبين صور العبادة التي تتمثل في العديد من هيئات العبادة كالسجود والصلاة والذبح والدعاء وغير ذلك من هيئات العبادة، فمن صرف السجود _ وهو غاية مظاهر التذلل والخضوع _ لغير الله اعتقادا له بالربوبية والألوهية فهو مشرك بالله الشرك الأكبر ومن صرفه بغير اعتقاد الربوبية والألوهية لمن سجد له فلا يكون عبادة ومنه سجود الملائكة لآدم وسجود آل يعقوب ليوسف عليه السلام، هذا وإن كان النهي عن السجود لغير الله تعالى هو الذي جاء به الإسلام، ولكن من سجد بنية التكريم بغير اعتقاد، فلا يكفر عند الفقهاء، ولا يعد مشركاً بالله الشرك الأكبر المخرج من الملة، وإنما هي معصية من المعاصي التي لا يجوز فعلها بحال، إنّ التعريف الصحيح للعبادة هو عبارة عن الأفعال والأقوال الظاهرة والباطنة الدالة على الذل والخضوع المقترن باعتقاد الربوبية والألوهية أو شيء من مفرداتهما في حقّ المخضوع له، فكل طاعة تقترن بالاعتقاد تكون عبادة، فمن صرفها لله وحده فهو موحد، وإن صرفها لغير الله تعالى كان مشركاً، والعبادة (أي عبادة)، لها أصل وصورة، فالأصل هو العقيدة الخاصة التي تدفعه إلى عبادة المخضوع له وهي اعتقاد الألوهية والربوبية فيه، والصورة هي الفعل او القول الدال على الطاعة مع المحبة والخضوع و

التذلّل، ومنه يتبين أنّ للعبادة ركن ركين، لا تكون عبادة بدونه ألا وهو العقيدة التي تدفع الإنسان إلى عبادة المعبود، فإن صرفها لله وحده كان عابدا موحدا لله، وإن صرف شيئاً منها لغير الله فقد عبده من دون الله، وأمّا الفعل أو القول كالسجود والذبح والدعاء فهذه مفردات للعبادة وصورٌ لها، فمن صرفها بغير اعتقاد ربوبية وألوهية لمن يصرف إليه فليس من الشرك الأكبر المخرج من الملة، وفعله أو قوله يدور بين الشرك في إطار الملة او البدعة أو المعصية ولا تستحل محارمه بغير اعتقاد،

**[المفتاح الخامس]: لقد أخطأ الوهابية في باب التوحيد والشرك في تفسير العبادة**، ففسروها بمعناها اللغوي وهو الإتيان بأقصى غاية الذل والخضوع، وذهلوا عن ضابطها الذي يضبط أحكامها ألا وهو الإتيان بأقصى غاية الذل والخضوع لمن يعتقده إلها له صفات الإلهية واستحقاق العبادة من دون الله، أو لمن يعتقده رباً له بعض مفردات الربوبية استقلالا كالقدرة على النصرة والعز والنفع والضر من دون الله، وقد كفر المشركون بسجودهم لأوثانهم و دعائهم إيّاهم، وغيرهما من أنواع الخضوع لتحقّق هذا القيد فيهم، وهو اعتقادهم ربوبية ما خضعوا له، أو اعتقاد ألهيتهم من دون الله، وقد كانوا يسمونها آلهة ويعبدونها ويظنون فيها النصر والعزة، قال تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ (74)} [يس: 74]، وقال تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا} [مريم: 81]، وقال تعالى حكاية عن اعتقادهم {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ} [ص: 5]، إنّ من أعظم الخلل في باب التوحيد والشرك المقارنة بين جهل المسلمين وبين شرك المشركين الأصليين: المسلم يعتقد أنّه لا معبود بحق سوى الله، والمشرك يتخذ من دون الله أندادا وشركاء، والمسلم يقر ويعتقد أنّه لا إله إلا الله، والمشرك يعتقد بوجود آلهة مع الله، ويقول: {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ} [ص: 5]، والموحد يعتقد أنّ الشفاعة لله جميعا، لقوله تعالى: {قُلْ للّهِ الشَّفاعَةُ جَمِيعاً}[الزمر: 44] وأنّ شفاعة الخلائق لا تكون قسراً على الله، وإنما لمن ارتضى، لقوله تعالى: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى} [الأنبياء: 28]، والمشرك يعتقد وجود الشافعين إلزاما على الله بما لهم من شراكة – على اعتقادهم الباطل – مع الله، ويدل عليه قوله تعالى: {وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ} [الأنعام: 94]، والمسلم يرى أنّ العزّة بيد اللّه سبحانه كما في قوله تعالى: {فَلِلّهِ الْعِزَّةُ جَميعاً} [فاطر: 10]، والمشرك يرى أنّ العزة بيد الأصنام والأوثان بدليل قوله تعالى: {وَاتّخَذُوا مِنْ دُونِ اللّهِ آلهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزّاً} [مريم: 81]، والمسلم يرى النصر

من عند الله تعالى وحده فهو الناصر وهو المعين، والمشرك يتخذ من دون الله آلهة لعلهم ينصرونه لقوله تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ} [يس: 74]، والمسلم يقر ويعتقد بنبوة ورسالة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ويقولون (لا إله إلا الله – محمد رسول الله) معتقدين لها، والمشرك لا يؤمن بالرسول، ويقول – كما حكاه عنه القرآن الكريم –: {وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ * أَؤُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ} [ص: 4 إلى 8]، ولذلك لا يصح مقارنة أفعال المسلمين ممن يتوسلون إلى الله تعالى بالصالحين من عباده ويفعلون أموراً قد تنسب إلى الجهل والبدعة ولا تنسب إلى الشرك في حق المسلم بحال، كالطواف حول القبور، وذلك لأنّ العقد سليم بأنّه لا إله إلا إله الله وأنّه لا معبود بحق سواه، وتلبسهم بصرف بعض العبادات جهلاً إلى غير الله لا يخول اتهامهم بالشرك الأكبر المخرج من الملة لأنّ ضابط الشرك الأكبر هو صرف العبادة بنية العبادة لمن تعتقد فيه الألوهية والربوبية أو شيء من صورهما، ومنه يتبين خطأ من أقدم على تكفير طائفة عريضة من جهال المسلمين واتهامهم بالشرك الأكبر، واستحلال دمائهم وأموالهم، وما ذاك إلا بسبب عدم تحريره الضابط للتفريق بين الشرك الأكبر والأصغر، وأنّ الأول اعتقادي والثاني عملي، والمسلم لا يشرك الشرك الأكبر إلا باعتقاد آلهة مع الله وأنداد من دون الله يصرفون إليهم العبادة من دون الله، وهذا لا يكون من مسلم أبدا،

**[المفتاح السادس]: أسس وركائز اعتمدها أهل التصوف تمنع من الغلو في توحيد الربوبية:**

المشركون كانوا معترفين ببعض مفردات الربوبية ولم يكونوا على توحيد الربوبية: مفردات الربوبية كثيرة تشمل الخلق والرزق والتدبير والتصريف والرعاية والهداية والحفظ والسيادة والقهر والحكم والأمر، وتوحيد الربوبية لا يطلق إلا على من اعتقدها خالصة لله ليس له فيها شريك ولا معين، وقد كان المشركون على إيمان ببعض مفردات الربوبية كالخلق والرزق، وكفر بالبعض الآخر كالبعث والنشور والانفراد بتدبير الأمور، وكذلك كانوا يشركون أصنامهم مع الله ويعتقدون أن لها تدبيرا مستقلا في الكون وأنها تحفظهم وترزقهم وتنصرهم وتشفع لهم عند رب السماء والأرض شفاعة جبرية على الله بما لها من صفات الألوهية والربوبية في اعتقادهم، وهؤلاء لا يمكن بحال

وصفهم بتوحيد الربوبية لأنهم أشركوها لأصنامهم مع الله، كما أنه لا يمكن بحال وصفهم بتوحيد العبودية إن عبدوا الله وأشركوا معه غيره من معبوداتهم الباطلة، وقد أشار القرآن الكريم إلى الشرك الواقع في الربوبية عند الأمم السابقة في العديد من الآيات منها قوله تعالى {وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ} [آل عمران: 64]، وقوله تعالى: {وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنَّبِيِّيْنَ أَرْبَابًا} [آل عمران:80]، وقوله تعالى: {اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ)[التوبة: 31،]، وقوله تعالى: {أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} [يوسف: 39]، والأدلة على كون المشركين في كل زمان وفي زمان الرسول كانوا على الشرك في الربوبية كثيرة (منها): اعتقادهم بأن لآلهتهم قدرة ذاتية على النفع والضر وهذا يعني ربوبيتها وهذا شرك في توحيد الربوبية وذلك باعتقادهم بقدرة غير الله على الضر والنفع والإعزاز والإذلال والنصر مستقلا عن الله، في مثل قوله تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا} [مريم: 81]، وقوله تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ} [يس: 74]، وقوله تعالى: {فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ مِن شَيْءٍ} [هود: 101]، وقوله تعالى: {أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ} [الأنبياء: 43]، وقد كانوا يخوفون الرسل من بطش آلهتهم وهذا يعني اعتقادهم أنها تنفع وتضر استقلالا وهذا واضح لمن تدبره في مثل قوله تعالى: {إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوَءٍ} [هود: 54]، وقوله تعالى: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} [الزمر: 36]، وذلك أنهم خوفوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم معرة معاداة الأوثان، وقالوا: لتكفن عن شتم آلهتنا أو ليصيبنك منهم خبل أو جنون، و (منها): اعتقاد المشركين بوجود الشريك الذي له تأثير مستقل في الخلق وتدبير مملكة الله، ولهذا أمر الله تعالى رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم إخبار المشركين بالبراءة من الشريك كما في قوله تعالى: {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلَّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا} [الإسراء: 111]، وهذا يعني أن شرك المشركين لا يقتصر على شرك العبادة، ولكن معه شرك الربوبية الي يشمل اعتقاد الشريك في الملك والتدبير، و (منها): اعتقاد المشركين بوجود الند لله:، والند هو الضد والشبيه والمثيل الذي له مشاركة في الملك والخلق والتدبير، والمشركون كانوا يعتقدون في أصنامهم ومعبوداتهم أنها أنداد لله، قال تعالى: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ} [ابراهيم: 30]، وقال تعالى: {قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [فصلت: 9]، وقوله تعالى: {فَلَا

تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: 22]، وقال تعالى: {أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي المَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الشورى: 9]، و (منها): أنهم كانوا يساوون بين الله تعالى وبين معبوداتهم في الإلهية والربوبية: قال تعالى واصفا معتقد المشركين الذي أوداهم إلى النار: {قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [الشعراء: 96 إلى 98] فهذه الآيات التي تحكي عقيدة المشركين و هي أنّهم جعلوا للّه سبحانه تعالى أنداداً و أنّهم كانوا يسوّون آلهتهم بربّ العالمين في صفات ربوبيته وتدبيره وتصريفه للكون وما فيه، ونستفيد مما سبق أنّ المشركين لم يكونوا على توحيد الربوبية أبداً، وأنّ من ظنّ أنهم كانوا على توحيدها لم يكن على صواب في ذلك،

**[المفتاح السابع]: معنى العبودية والمقصود من توحيد العبودية عند اهل التصوف:** العبودية هي الطاعة مع الخضوع والتذلل والاستسلام والانقياد لمن نعتقده إلها له صفات الربوبية واستحقاق العبودية، هذا هو المعنى الحقيقي بضابطه الفقهي للعبودية، فمن صرف مفردات العبادة لمن يعتقده إلها فقد اتخذه معبودا له سواء أكان هذا المعبود هو الله المعبود بحق، أو المعبودات الباطلة من دون الله، إن ضوابط الفقه في الدين توجب وجود معنى وراء الطاعة والمحبة والخضوع والتذلل يستقيم له مسمى العبادة، فهذه المعاني قد تصرف للوالدين وتكون من أعظم البر بهما ولا يصح تسميتها عبادة قال تعالى {وَاخْفِضْ لَهُما جناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ} [الإسراء:24] ولا يعد التذلل لهما عبادة وكذلك من باب الأولى الطاعة والمحبة، وكذلك فما هو الفرق بين سجود الملائكة لله وسجودهم لآدم، الهيئة واحدة هي هيئة السجود (وهي أقوى هيئة تدل على التذلل والخضوع)، الفعل واحد هو السجود، والنية تختلف الاول بنية العبودية لله والثاني بنية طاعة الله تكريما لآدم، إذ قوله تعالى: {وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم} لم يكن سجود عبادة لآدم وإنما سجود تكريم لم أكرمه الله تعالى بالعلم، فشتان ما بين السجود للتكريم، والسجود بنية العبادة، كذلك: الفرق بين سجود نبي الله يعقوب وبنيه لله وسجودهم ليوسف عليه السلام، الاول بنية العبودية لله والثاني تكريما ليوسف في قوله تعالى: {وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا}، وهذا المعنى هو الضابط لفقه العبادة فشتان ما بين السجود للتكريم، والسجود بنية العبادة، ومن سجد بنية العبادة، فإنه لا يسجد سجود عبودية إلا لمن يعتقده إلها وربا ومعبودا، إذن الاعتقاد هو ضابط الفقه في مسائل العبادة، والاعتقاد الضابط للعبودية هو اعتقاد الربوبية والألوهية أو شيئاً من مفرداتهما فيمن

تصرف إليه العبادة: فمن صرف الطاعة الممتزجة بالمحبة والذل والخضوع لغير الله معتقدا ربوبيته وألوهيته فهو عابد له من دون الله، ومن صرفها بغير هذا الاعتقاد فلا يصح تسميتها بالعبادة،

**[المفتاح الثامن]: خطورة الذهول عن فقه ضابط العبادة (اعتقاد مفردات الربوبية والألوهية أو بعضها للمعبود):** العبادة لها أصل هو اعتقاد الربوبية والألوهية واستحقاق العبودية لمن تصرف له الطاعة المصحوبة بالحب والتذلل والخضوع والخوف والرجاء، وبغير هذا الاعتقاد لا تكون الطاعة عبادة، ولها (للعبادة) صور تتمثل في العديد من هيئات العبادة كالسجود والصلاة والذبح والدعاء وغير ذلك من هيئات العبادة، فمن صرف السجود _ وهو غاية مظاهر التذلل والخضوع _ لغير الله اعتقادا له بالربوبية والألوهية فهو مشرك بالله الشرك الأكبر ومن صرفه بغير اعتقاد الربوبية والألوهية لمن سجد له فلا يكون عبادة ومنه سجود الملائكة لآدم وسجود آل يعقوب ليوسف عليه السلام، هذا وإن كان النهي عن السجود لغير الله تعالى هو الذي جاء به الإسلام، ولكن من سجد بنية التكريم بغير اعتقاد، فلا يكفر، ولا يعد مشركاً بالله الشرك الأكبر المخرج من الملة، وإنما هي معصية من المعاصي التي لا يجوز فعلها بحال،

**[المفتاح التاسع]: تعريف العبادة عند اهل التصوف:** التعريف الصحيح للعبادة ينبغي أن يشتمل على الضابط الذي يمنع من اتهام المسلم بالشرك الاكبر وهو لم يتخذ مع الله تعالى إلهاً آخر، ولهذا فإن تعريف العبادة هو عبارة عن الأفعال والأقوال الظاهرة والباطنة الدالة على الذل والخضوع المقترن باعتقاد الألوهية والربوبية واستحقاق العبودية في حقّ المخضوع له، فكل طاعة تقترن بالاعتقاد تكون عبادة، فمن صرفها لله وحده فهو موحد، وإن صرفها لغير الله تعالى كان مشركاً، والعبادة (أي عبادة)، لها أصل وصورة، فالأصل هو العقيدة الخاصة التي تدفعه إلى عبادة المخضوع له وهي اعتقاد الألوهية والربوبية فيه، والصورة هي الفعل او القول الدال على الطاعة مع المحبة والخضوع و التذلّل، ومنه يتبين أنّ للعبادة ركن ركين، لا تكون عبادة بدونه ألا وهو العقيدة التي تدفع الإنسان إلى عبادة المعبود، فإن صرفها لله وحده كان عابدا موحدا لله، وإن صرف شيئاً منها لغير الله فقد عبده من دون الله، وأمّا الفعل أو القول كالسجود والذبح والدعاء فهذه مفردات للعبادة وصورٌ لها، فمن صرفها بغير اعتقاد ربوبية وألوهية لمن يصرف إليه فليس من الشرك الأكبر المخرج من الملة، وفعله أو قوله يدور بين الشرك في إطار الملة او البدعة أو المعصية ولا تستحل محارمه بغير اعتقاد

**[المفتاح العاشر]: أسس وركائز عند أهل التصوف تمنع من الغلو في توحيد العبودية: (أ) الاعتقاد هو الضابط في مسائل العبادة:** فمن صرف مفردة من مفردات العبادة بنية العبودية لغير الله وقع في الشرك الأكبر ومن صرفها بغير نية العبودية لغير الله لم يكن شركا أكبر، **(ب)** العبادة لها أصل هو اعتقاد الربوبية والألوهية لمن تصرف له الطاعة المصحوبة بالحب والتذلل والخضوع والخوف والرجاء، وبغير هذا الاعتقاد لا تكون الطاعة عبادة من صرفها لغير الله تعالى كان مشركاً الشرك الأكبر، والعبادة لها صور ومفردات تتمثل في العديد من هيئات العبادة كالسجود والصلاة والذبح والدعاء وغير ذلك من هيئات العبادة، ولكل مفردة من هذه العبادات ركنان: الركن الأول: الاعتقاد أو ما يسميه العلماء القصد والنية للعبادة، والركن الثاني: العمل العبادي الدال على الطاعة والانقياد، فمن صرف العبادة بركنيها إلى غير الله صار مشركا الشرك الأكبر بالله وخرج من دين الإسلام إلى الكفر، ومن صرف العمل أو القول العبادي بغير اعتقاد ربوبية وألوهية لمن يصرف إليه فليس من الشرك الأكبر المخرج من الملة وفعله أو قوله يدور بين الشرك في إطار الملة او البدعة أو المعصية ولا تستحل محارمه بغير اعتقاد، (ت) **من صرف السجود** _ وهو غاية مظاهر التذلل والخضوع _ لغير الله اعتقادا له بالربوبية والألوهية فهو مشرك بالله الشرك الأكبر ومن صرفه بغير اعتقاد الربوبية والألوهية لمن سجد له – كأن فعله تكريماً أو تعظيماً فلا يكون عبادة، **(ث)** ما قيل في السجود يقال مثله في الدعاء، فمن دعا من يعتقد فيه صفات الربوبية او بعضها فهذا من الشرك الاكبر، ومن دعا بنية التوسل إلى الله تعالى بدعاء من يدعوه، فهذا باب آخر من أبواب الفقه موجود في أحكام التوسل، إلا أنّه ليس من باب الشرك واتخاذ آلهة من دون الله، **(ج)** ما قيل في السجود يقال مثله في الذبح، وفقهاء أهل السنة متفقون على التفصيل في مسألة الذبح تبعاً للعقيدة، فمن ذبح لمن يعتقد فيه صفات الربوبية او بعضها فهذا من الشرك الاكبر، ومن ذبح بنية الإكرام أو الاحترام، وكذلك كل من ذبح بغير نية التعبد واعتقاد ربوبية المذبوح له، فهذا كله لا يدخل في باب الشرك الاكبر، (ح) وما قيل في السجود يقال مثله في النذر، فمن نذر لمن يعتقد فيه الربوبية وصفاتها، فهذه عبادة صرفها لغير الله تعالى شرك أكبر، وإن كان النذر خاليا من ذلك الاعتقاد فليس بعبادة، (خ) وما قيل في مفردات العبادة يُقال مثله في الشفاعة، فمن اعتقد لاحد شفاعةً الزاماً على الله تعالى بما للشافع من شراكة توجب له الشفاعة، فهذا من الشرك الأكبر، أما من اعتقد أنها تفضلٍ من الله تعالى لمن شاء من الصالحين من عباده، فهذه عقيدة أهل الإسلام، وهي ثابتة بفضل الله تعالى للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، السجود يقال مثله في الذبح، وفقهاء أهل السنة متفقون

على التفصيل في مسألة الشفاعة تبعاً للعقيدة، فمن صرفها لمن يعتقد فيه صفات الربوبية او بعضها كالشراكة في التدبير أو الشفاعة للللازمة على الله تعالى، فهذا الشرك الاكبر، **(د)** وما قيل في مفردات العبادة يُقال مثله في الاستعانة، فمن استعان بمن يظن به صفات الربوبية والالوهية او بعضها، فقد أشرك الشرك الاكبر المناقض لتوحيد الألوهية، ومن استعان بمن يظن فيه النفع بإذن الله تعالى وحده، فهذا لا علاقة له بمعاني التوحيد والشرك، وذلك لأنّ كل مسلم لابد له أن يستعين بالأسباب التي جعلها الله تعالى بمثابة القوانين الضابطة للحياة، فمن طلب المال استعان عليه بالعمل، وهو يعلم أنّ الرزق بيد الله تعالى، ومن طلب الولد استعان عليه بالزواج، وهو يعلم أنّ الولد بيد الله يهب لمن يشاء، ويجعل من يشاء عقيما، وهكذا، وقد جعل الإسلام الأخذ بالأسباب من أركان التوكل الصحيح على الله، وهو لا ينافي افراد الله تعالى بالاستعانة كما في قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: 5]، فالآية قصر للاستعانة بالله وحده، والقصد على وجه الاستقلال، فإنه لا يملك التدبير والتصريف إلا هو، وكما علمنا القرآن الكريم توحيد الاستعانة بالله تعالى، فقد علمنا الأخذ بالأسباب ومنها الاستعانة بالصبر والصلاة، كما في قوله تعالى: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ} [البقرة: 45]، وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (153} [البقرة: 153]، وضابط الاستعانة، أنّ من اعتقد أنّ أحداً له تأثير مستقل من دون الله فهذا شرك الاستعانة، ومن اعتقد أنّ الأمر كله بيد الله وحده لا شريك له، وليس لأحد معه أمر ولا تأثير، فلا بأس أن يأخذ بأسباب التوفيق والقبول والقربى من الله، والخلاصة أنّ الرب الناصر القادر هو الله وحده، ولكنّه . مع ذلك أقام هذا الكون على سلسلة من الاَسباب والعلل التي تعمل بقدرته وأمره، والأخذ بهذه الأسباب مع تعلق القلب بالله وحده هو عين التوكل على الله، وبعد فهذا هو الضابط العام لمفردات العبادات التي ينبغي أن لا تصرف إلا لله وحده، فصرفها لغير الله تعالى بنية العبادة لذلك الغير كفر وشرك بالله، وصرفها لمن نعتقد فيه الربوبية والالوهية (لأنهما متلازمان) أو بعض صفاتهما فهو كفر وشرك بالله، وإن خلت من النية والاعتقاد، فهي وفق حكمها الشرعي فقد تكون شرك دون شرك وقد تكون كبيرة من الكبائر، وقد تكون جائزة كالاستعانة بالأسباب مع ربط القلب بخالق الأسباب، (ذ) إنّ الشرك الأكبر المنافي لتوحيد العبودية هو صرف العبادة إلى غير الله مع اعتقاد وجود نوع من شراكته مع الله في شيء الربوبية أو الألوهية، كأن يعتقد فيه نوع من التدبير والتصريف باستقلال عن الله، أو شفاعة ملزمة على الله، أو استحقاق أن يعبد من دون الله، فمن

صرف السجود لمن يعتقد شراكته مع الله في صفات الربوبية أو الالوهية فقد أشرك في عبوديته لله تعالى، وأتى بالشرك الأكبر الذي لا يغفره الله لمن مات مصراً عليه،

**[المفتاح الحادي عشر]: ضابط الشرك الأكبر المحبط للعمل عند اهل التصوف:** الشرك قسمان: أكبر يتعلق بالقلب والاعتقاد، وأصغر يتعلق بالعمل والجوارح، وهذا من أعظم الفقه في دين الله تعالى ومن الموازين الربانية لضبط مسائل وأحكام الشرك، وإلا دخلت الأمة في فوضى التشريك والتكفير واستحلال دماء وأموال وحرمات أهل القبلة، واتهام أهل الجهل والبدعة بالشرك الأكبر المخرج من الملة والعياذ بالله، وشرك العبادة الأكبر شرك اعتقاد: ويتناول اعتقاد إلوهية أو ربيوبية أو استحقاق عبودية غير الله، وعلى ذلك فمناط الشرك الأكبر هو الاعتقاد القلبي، وإن الاضطراب الحاصل في تحديد حقيقة الشرك الأكبر أوقع الكثير من المنتسبين للعلم في اتهام المسلمين بالشرك الأكبر في مسائل لا تبلغ بهم هذا المبلغ لأنها خالية من اعتقاد شريك مع الله في ألوهيته أو ربوبيته أو استحقاقه للعبودية، ومن أعظم قواعد أهل السنة والجماعة في ضبط مسائل الشرك: قولهم أنّ: الشرك الأكبر اعتقادي والشرك الأصغر عملي: فلا يكون العمل الشركي دالا على الشرك الأكبر إلا باعتقاد ألوهية غير الله أو ربوبيته أو استحقاق غيره للعبادة، وهذا الضابط هو العاصم من التكفير واتهام المسلم بالشرك الاكبر المخرج من الملة، بمعنى أنه كل من يقول أنا لا أعبد إلا الله وما أقوم به ليس عبادة لغير الله، لا يمكن أن يقال له: لا بل أنت مشرك، أنت تعبد غير الله لأننا نحن نعرف معنى العبادة وأنت لم تعرفها، هو مسلم بمجرد اعتقاده بأن العبادة لا تكون إلا لله ولم يقصد غير الله بالأعمال العبادية، وكل مقر بلسانه بكلمة التوحيد مسلم ليس لنا أن تتهمه بالشرك ما دام يأبى الشرك بالله، والاتهام بالشرك أخطر أنواع التكفير والمقر بلسانه بكلمة التوحيد(لا إله إلا الله) مسلم، ليس لنا أن تتهمه بغير ذلك، ما كان مقرا بأن الله هو الخالق المدبر المعبود وحده لا شريك ولا يمكن أن نحكم بكفره إلا إذا أنكر ما هو ضروري من الدين مع انتفاء الشبهة في حقه، وقد ردع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن اتهام اي مسلم بالشرك او الكفر، ففي صحيح مسلم: (إذا كفر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما) [صحيح مسلم ج1 ص 79]،

**[المفتاح الثاني عشر]: جهود اهل التصوف في بيان أخطاء الوهابية في باب الشرك:**

[1] **من ذلك خطأ المقارنة بين جهل المسلمين وبين شرك المشركين الأصليين:** المسلم يعتقد أنّه لا معبود بحق سوى الله، والمشرك يتخذ من دون الله أندادا وشركاء، والموحد يقر ويعتقد أنّه لا إله إلا الله، والمشرك يعتقد بوجود آلهة مع الله، ويقول: {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ} [ص: 5]، والمسلم يعتقد أنّ: {اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}، والمشرك ينسب إليه الولد والوالد والصاحبة والبنات، والمسلم يوحد الله تعالى في أسمائه وصفاته وأفعاله، ولا يرى له مثيلاً ولا نظيراً في الأسماء والصفات والاَفعال فهو المتفرّد في أسمائه وصفاته وأفعاله، والمشرك يلحد في أسمائه ويشتق منها أسماء لآلهته، كالعزى من العزيز، ويلحد في صفاته وأفعاله، وينسب إلى آلهته صفات القدرة والنفع والضر والإعزاز والإذلال، ويسوي الاَصنامَ بربّ العالمين كما في قوله تعالى – وهم يتعاتبون في النار –: {تَاللّه إِنْ كُنّا لَفِي ضَلالٍ مُبين* إِذْ نُسَوّيكُمْ بِرَبِّ الْعالَمين} [الشعراء: 97، 98]، والموحد يعتقد أنّ الشفاعة لله جميعا، لقوله تعالى: {قُلْ للّهِ الشَّفاعَةُ جَمِيعاً}[الزمر: 44] وأنّ شفاعة الخلائق لا تكون قسراً على الله، وإنما لمن ارتضى، لقوله تعالى: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى} [الأنبياء: 28]، والمشرك يعتقد وجود الشافعين إلزاما على الله بما لهم من شراكة – على اعتقادهم الباطل – مع الله، ويدل عليه قوله تعالى: {وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ} [الأنعام: 94]، والمسلم يرى أنّ العزّة بيد اللّه سبحانه كما في قوله تعالى: {فَلِلّهِ الْعِزَّةُ جَميعاً} )فاطر: 10) والمشرك يرى أنّ العزة بيد الاَصنام والاَوثان بدليل قوله تعالى: {وَاتّخَذُوا مِنْ دُونِ اللّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزّاً} [مريم: 81]، والمسلم يرى النصر من عند الله تعالى وحده فهو الناصر وهو المعين، والمشرك يتخذ من دون الله آلهة لعلهم ينصرونه لقوله تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ} [يس: 74]، والمسلم يقر ويعتقد بنبوة ورسالة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ويقولون (لا إله إلا الله – محمد رسول الله) معتقدين لها، والمشرك لا يؤمن بالرسول، ويقول – كما حكاه عنه القرآن الكريم –: {وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ * أَؤُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ} [ص: 4 إلى 8]، ولذلك لا يصح مقارنة أفعال جهلاء المسلمين ممن يتوسلون إلى الله تعالى بالصالحين من عباده ويفعلون أموراً تنسب إلى الجهل والبدعة ولا تنسب إلى الشرك في حق المسلم بحال، كالطواف حول القبور والتبرك بالصخور، وذلك لأنّ العقد سليم بأنّه لا إله إلا إله الله وأنّه

لا معبود بحق سواه، وتلبسهم بصرف بعض العبادات جهلاً إلى غير الله لا يخول اتهامهم بالشرك الأكبر المخرج من الملة لأنّ ضابط الشرك الأكبر هو صرف العبادة بنية العبادة لمن تعتقد فيه الألوهية والربوبية أو شيء من صورهما، ومنه يتبين خطأ من أقدم على تكفير طائفة عريضة من جهال المسلمين واتهامهم بالشرك الأكبر، واستحلال دمائهم وأموالهم، وما ذاك إلا بسبب عدم تحريره الضابط للتفريق بين الشرك الأكبر والأصغر، وأنّ الأول اعتقادي والثاني عملي، والمسلم لا يشرك الشرك الأكبر إلا باعتقاد آلهة مع الله وأنداد من دون الله يصرفون إليهم العبادة من دون الله، وهذا لا يكون من مسلم أبدا،

**[2] ومن تلك الأخطاء في باب الشرك:** خطأ من اعتقد أن الشفاعة الإسلامية لها علاقة بالشرك: الشفاعة معتقد صحيح في دين الله ولا علاقة لشفاعة المسلمين بالشرك: هناك فرق أصيل بين عقيدة المسلمين في الشفاعة وعقيدة المشركين في الشفاعة، فالمسلم يعتقد أنّ الشفاعة تكون للصالحين فيما يأذن به الله ويرضاه سبحانه، كما في قوله تعالى: {يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا} [طه: 109]، وقوله تعالى: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى} [الأنبياء: 28]، وقوله تعالى {مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ} [يونس: 3]، واعتقاد الشفاعة بهذه الضوابط لا يمكن أن يكون موجبا مستقلا للوقوع في الشرك الأكبر، بل هو على النقيض من ذلك توحيد وطاعة ووسيلة إلى رضا الله تعالى، أما المشركون فيعتقدون شفاعة آلهتهم ومعبوداتهم إلزاما على الله تعالى بموجب شراكتهم لله تعالى في ملكه وربوبيته وألوهيته، فهذه شفاعة شرك وكفران، ودليل ذلك قوله تعالى: {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ} [الأنعام: 94]، فالمشركون – كما تدل الآية –: {وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ} يزعمون أن شفاعة معبوداتهم واجبة بما لها من شراكة مع الله، تعالى الله عما يشركون، مما سبق يعلم خطا من جعل ضابط الشرك الأكبر في الآية هو مجرد اتخاذ الوسائل والشفعاء والوسطاء،

**[3] ومن تلك الأخطاء في باب الشرك:** خطأ المقارنة بين التوسل وبين الشرك بالله: (أ) التوسل هو التقرب إلى الله، والوسيلة هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [المائدة: 35]، والآية عامة في إثبات شرعية التوسل وفضيلته، ولم تتعرض للوسائل الشرعية الجائزة في باب التوسل، قال

تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا} [الإسراء: 57]، والآية كذلك عامة في إثبات شرعية التوسل وفضيلته، ولم تتعرض كذلك لبيان الوسائل الشرعية الجائزة في باب التوسل، وقال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا} [النساء: 64]، تصرّح الآية الكريمة بأن التوسل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والاستشفاع به إلى الله عز وجل والاستغفار منه لمغفرة المعاصي، مؤثر وموجب للتوبة والرحمة الإلهية، والآية الكريمة مطلقة لم تحدد الاستغفار بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم في حياته فقط، أو أنها صالحة إلى يوم القيامة، قال المانعون للتوسل بذات النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن الآية تتعلق بحياته دون موته لأنه لا إدراك له بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، فكيف يتوسل إلى الله تعالى لمغفرة ذنوبهم، وقال المجيزون للتوسل – وهم جمهور الفقهاء (المالكية والشافعية ومتأخرو الحنفية وهو المذهب عند الحنابلة): إن هذه الآية صالحة إلى يوم القيامة سواء في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو بعد وفاته، لاسيما وقد جاءت الأدلة التي تدل على إدراك النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قبره لحال أمته، وبالتالي فلا فرق بين حياته وموته، ومن فرق بين حياته وموته صلى الله عليه وآله وسلم فعليه أن يأتي بدليل مقيد للإطلاق الذي عليه الآية الكريمة، (ب) الخطأ في فهم المقصود من التوسل: ظن البعض أنَّ المقصود من التوسل هو اتخاذ واسطة بين العبد وربه، وأدى هذا الظن إلى خلل في فهم موضوع التوسل، واعتقاد أنه مخالف للتوحيد ويفتح بابا إلى الشرك، وإلى غلو في تقييم بحث التوسل وإلحاقه بباب التوحيد، واعتقاد أن المتوسلين إنما يدعون غير الله، ويتخذونهم وسطاء يقربونهم إلى الله زلفا، وهذا خطأ جسيم وفهم خاطئ لموضوع التوسل، إذ التوسل إنما هو طلب القربى إلى الله تعالى بالوسائل الجائزة شرعاً، وليس من باب اتخاذ واسطة بين العبد وربه أبدا، وهذا هو السر في الخلاف الحاصل في المسالة، فلو حررنا موضع النزاع في فهم التوسل، ونظرنا إلى الوسائل المشروعة للتوسل، فما أجازه الشرع من معاني التوسل أجزناه، وما منعه الشرع من معاني التوسل منعناه، لا نفتئت على الشرع ولا نتقدم عليه برأي دون دليل، والمسألة فقهية بابها الفقه وليس العقيدة والتوحيد والشرك، والمعنى المقصود من (التوسل) إذا قاله المسلم، هو طلب القربى إلى الله تعالى بالوسائل الجائزة شرعاً، وليس المقصود به أبداً اتخاذ واسطة بين الله تعالى وبين العبد على غرار ما يفعله المشركون المنكرون لرسالة الإسلام،

***

# المبحث الثلاثون

# الصوفية وعلم السنة والبدعة

أهل التصوف هم على أعلى الهرم العلمي الإسلامي لأنهم القائمون على تحقيق أعلى مراتب الدين (مرتبة الإحسان) ولذا كان علمهم هو الزلال المصفى، ومن ذلك قواعدهم في هذا العلم الشائك علم السنة والبدعة، فهم أضبط الناس فهما لمعاني هذا العلم، وهم أبعد الناس عن الخل في هذا العلم إفراطا او تفريطا، ومن مفاتيح أهل التصوف التي تضبط هذا العلم:

**[المفتاح الأول]: اكتمال الدين لا يعني أن نصوص الكتاب والسنة أحاطت بكل جزئيات الدين،** قال تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: 3]، الآية الكريمة لا يُفهم منها أن نصوص الكتاب والسنة قد أحاطت بكل الجزئيات، وإنما أحاطت

بالأصول، إنّ نصوص الكتاب والسنة أحاطت بأصول المسائل وطرق الاستنباط بل وكثير من الجزئيات ولذلك اعتمد الفقهاء (القياس) كأصل رابع للاجتهاد بعد الكتاب والسنة والإجماع، واجتهدوا على أن يستنبطوا من نصوص الكتاب والسنة ما يحقق مقاصدهما، ومما يؤكد ذلك: قوله صلى الله عليه وآله وسلم عن رب العزة سبحانه: (وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان)، [حسّنه النووي في " الأربعين النووية "]، إذن معنى الآية الصحيح أن الله تعالى أكمل لنا قواعد الدين وأصوله ومبادئه، وترك لفقهاء الإمة المجتهدين أن يستنبطوا منها الحكم الشرعي الذي يلائم كل محدثة تجد على حياة المسلمين، وهذا يدل على صواب من استدل بالآية على تبديع وتضليل كل محدثة في الدين ليس لها أصل في دين الله، ويدل على خطأ من استدل بالآية على تبديع كل محدثة في الدين ولو كانت مستمدة من أصول الدين وقواعده لأنه باتفاق علماء أهل السنة أن من شروط البدعة أن لا يكون لها أصل من كتاب الله لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (من أحدث في أمرِنا هذا ما ليس منه فهو رد () [متفق عليه]، ومعنى الحديث: من اخترع في الدين ما لا يشهد له أصل من أصوله فهو مردود عليه، ومما يستفاد من الحديث الشريف معرفة شرطين للبدعة: الأول: أن ينسب إلى الدين، والثاني: أن لا يكون له أصل من دين الله يشهد له الحديث، فقوله صلى الله عليه وآله وسلم (من أحدث في أمرِنا هذا) دل على الشرط الأول للبدعة وهو الإضافة إلى الدين، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم (ما ليس منه) دل على الشرط الثاني للبدعة ألا وهو أن لا يكون لها أصل من الدين تنتسب إليه، ونستفيد كونها بدعة ضلالة من قوله صلى الله عليه وآله وسلم (فهو رد)، **قال ابن رجب: هذا الحديث يدل منطوقه على أن كل عمل ليس عليه أمر الشارع فهو مردود ويدل بمفهومه على أن كل عمل عليه أمره فهو غير مردود، وقال الحافظ ابن حجر: هذا الحديث معدود من أصول الإسلام وقاعدة من قواعده فإن معناه: من اخترع في الدين ما لا يشهد له أصل من أصوله فلا يلتفت إليه**، إذن معنى الآية الصحيح أن الله تعالى أكمل لنا قواعد الدين وأصوله ومبادئه، وترك لفقهاء الإمة المجتهدين أن يستنبطوا منها الحكم الشرعي الذي يلائم كل محدثة تجد على حياة المسلمين،

**[المفتاح الثاني]**: قوله تعالى: {ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} (الحديد: 27)، هذه

الآية دليل على وجود البدعة الحسنة، فالآية تعبّر عن الرهبانية بأنّها كانت من مبتدعات الرهبان ولم تكن مفروضة عليهم من قبل، وإنّما تكلّفوها من عند أنفسهم ابتغاء مرضاة الله، وأن الله تعالى قد تقبل منهم هذه البدعة وألزمهم به، وإنما عاب على أولئك الذين جاءوا من بعدهم فلم يراعوها حق رعايتها، ومن دقق في سياق الآية علم يقينا أن النصارى ابتدعوا الرهبانية ابتغاء رضوان الله، وأن الله لم يكتبها عليهم ابتداء، ولكن لما ألزموا أنفسهم بها تقبلها الله من الذين راعوها حق رعايتها وآتاهم اجرهم، وعاتب الذين أهملوا في حقها وكانوا من الفاسقين، قال تعالى: {وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ}، **إذن لمن تدبر برحابة صدر يجد أنّ القرآن الكريم أثبت جواز ابتداع ما فيه خير وزيادة قربى إلى الله، وهذا ما فهمه الصحابي الجليل أبو امامة، فقد أخرج الطبراني في الاوسط عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: (إن الله فرض عليكم صوم رمضان ولم يفرض قيامه وإنما قيامه شيء أحدثتموه فدوموا عليه فإن أناسا من بني إسرائيل ابتدعوا بدعا فعابهم الله بتركها فقال: {ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها})**،

**[المفتاح الثالث]: فقه الأحاديث الواردة في ذم البدعة:** قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمدٍ، وشر الأمور محدَثاتها، وكل محدَثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة) [أخرجه مسلم]، هذا الحديث العظيم يستدل به البعض على ضلال كل محدثة في الدين وعلى أنه لا توجد بدعة في الدين تكون حسنة، ووجه الدلالة فيه: أن لفظ (كل) في الحديث يفيد العموم فكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، ولكن هل من الممكن أن تأتي (كل) على معنى الغالب والأكثر وليس جميع مفردات البدع والمحدثات، وبالتالي يكون التحذير من بدع الضلالة التي تمثل غالب المحدثات والكثرة الكاثرة منها، ولا يمنع ذلك من وجود محدثات لها أصل من الشرع وتدل على خير لا خلاف لأحد فيه، فإنّ الذي يتدبر آيات الكتاب العزيز يدرك أن كلمة (كل) قد تأتي والمراد بها التعميم الشامل فيما دخلت عليه، ومن ذلك قوله تعالى: {وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}، وقد تأتي (كل) والمراد بها تعميم هو دون التعميم الشامل لكل ما يصدق عليه اللفظ، ومن ذلك قوله تعالى: {بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ}، أي تدمر كل شيء أرسلت بهلاكه، لأنها لم تدمر هوداً عليه السلام ومن كان آمن به،

ولم تدمر مساكنهم، ومن ذلك قوله تعالى: {وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ}، (وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيء) أي من الأمور التي يحتاج إليها الملك في تدبير أمور المملكة، ومن ذلك قوله تعالى: {يأخذ كل سفينة عصبا}، والمعنى كل سفينة سليمة عصبا بدليل أنه لم يأخذ سفينة الخضر، ومن ذلك قوله تعالى عن ملكة سبأ: {وأوتيت من كل شيء}، ولم تؤت ملك السموات ولا الأرض، وإنما المعنى وأوتيت من كل شيء يحتاج إليه اهل الملك، **من ذلك قوله تعالى: {إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم}، واسم الموصول من حيث العموم، ولكن مما لا شك فيه أن عيسى عليه السلام وأمه والملائكة عُبِدوا من دون الله لكنهم غير مقصودين في: فتبين أنه من العام الذي أريد به الخصوص، ومنه أيضا قوله تعالى {الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم}، فالمراد بالناس في الأول المخبرين وهم لاشك عدد محدود وفي الثاني أبو سفيان وجماعته من مشركي مكة الذين قاتلوا المسلمين في أحد، ومنه أيضا قوله تعالى {فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء}، وأبواب الرحمة لم تفتح عليهم، ومنه قوله تعالى {وشاورهم في الأمر}، ومن المعلوم أنه لا يشاورهم في التشريع والأحكام قال سيدنا ابن عباس رضي الله عنه: (وشاورهم في الأمر) أي في بعض الأمر، ومنه أيضا قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها) [أخرجه مسلم] وهو من حيث العموم وقطعا ليس على عمومه فمن صلى في هذين الوقتين وترك بقية الصلوات لا يدخل في عموم هذا الحديث فهو من العام الذي أريد به الخصوص أو من العام المخصوص بالنصوص**، وعلى هذا يمكن أن نفهم من قوله صلى الله عليه وآله وسلم (وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة) هو الغالب أو العام المخصوص، والمعنى أن كل محدثة مما لا يندرج تحت نص من نصوص الكتاب أو السنة ولا يتفق مع مقاصدهما فهو بدعة مذمومة شرعاً، وكل بدعة بهذا المعنى فهي ضلالة، فإن قال قائل: لم لا نحمل هذا اللفظ الوارد في الحديث الشريف على العموم؟ ! فالجواب: أنه إذا حملناه على العموم الشامل بإطلاق فإن هذا يؤدي إلى مخالفة ما كان عليه الهدي النبوي، فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: (مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ... وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ،، الحديث) [أخرجه مسلم]، وقال النووي في شرح الحديث: (وفي هذا الحديث تخصيص قوله صلى الله عليه وآله وسلم كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)، وأن المراد به المحدثات الباطلة والبدع المذمومة) أهـ، وما فعله النووي هو الفقه في دين الله حتى لا تتعارض النصوص ويضرب بعضها

بعضا، والقاعدة الأصولية تنص على أن الجمع بين الادلة مقدم على الترجيح بينها، كما قال النووي عند ذكره لحديث: **(كل بدعة ضلالة)، قال: (هذا عام مخصوص والمراد به المحدثات التي ليس في الشريعة ما يشهد لها بالصحة فهي المراد بالبدع، وقال الحافظ ابن رجب في شرحه للحديث: المراد بالبدعة ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه وأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعا وإن كان بدعة لغة، وقال الحافظ ابن حجر: المراد بقوله (كل بدعة ضلالة) ما أحدث ولا دليل له من الشرع بطريق خاص ولا عام، فليس هذا الحديث إذا كلية تقتضي شمول الضلالة لكل محدث بل هو من قبيل العام المخصوص أو العام الذي أريد به الخصوص،**

**[المفتاح الرابع]: من الأحاديث الدالة على إمكانية وجود البدعة الحسنة:** (1) ما أخرجه مسلم في صحيحه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم (مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ) قال النووي: في شرح الحديث: " وفي هذا الحديث تخصيص قوله صلى الله عليه وآله وسلم كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)، وأن المراد به المحدثات الباطلة والبدع المذمومة " أهـ، وقال أيضا: " قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (من سن سنة حسنة ومن سن سنة سيئة) الحديث وفي الحديث الآخر (من دعا إلى الهدى ومن دعا إلى الضلالة)، هذان الحديثان صريحان في الحث على استحباب سن الأمور الحسنة، وتحريم سن الأمور السيئة، وأن من سن سنة حسنة كان له مثل أجر كل من يعمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة كان عليه مثل وزر كل من يعمل بها إلى يوم القيامة، وأن من دعا إلى هدى كان له مثل أجور متابعيه، أو إلى ضلالة كان عليه مثل آثام تابعيه، سواء كان ذلك الهدى والضلالة هو الذي ابتدأه، أم كان مسبوقا إليه، (2) وأخرج البخاري في صحيحه ومالك في الموطأ: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط فقال: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب خرج ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم فقال عمر نعم البدعة هذه) [صحيح البخاري مع الفتح 5: 155]، فهذا نص صحيح عن عمر، بوجود بدعة محمودة شرعا، تقابل البدعة المذمومة شرعا، قال بن حجر في شرح الحديث: [والبدعة أصلها ما أحدث على غير مثال سابق، وتطلق في الشرع في مقابل السنة فتكون مذمومة،

والتحقيق أنها إن كانت مما تندرج تحت مستحسن في الشرع فهي حسنة وإن كان مما تندرج تحت مستقبح في الشرع فهي مستقبحة] أهـ، [صحيح البخاري مع الفتح 5: 155-156]، (3) وأخرج البخاري في صحيحه: عن رِفاعة بن رافع قال: (كنا يومًا نصلي وراء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلما رفع رأسه من الركعة قال: " سمع الله لمن حمده"، قال رجل وراءه: ربنا ولك الحمد حمدًا كثيراً طيبًا مباركًا فيه، فلما انصرف قال: " من المتكلم" قال: أنا، قال: " رأيت بضعة وثلاثين ملكًا يبتدرونها أيهم يكتبها أول")، قال الحافظ ابن حجر في الفتح في شرح هذا الحديث: " واستدل به على جواز إحداث ذكر في الصلاة غير مأثور إذا كان غير مخالف للمأثور" اهـ [فتح الباري: كتاب الصلاة (8: 312)]،

**[المفتاح الخامس]: قواعد ذهبية في التفريق بين البدعة الحسنة وبدعة الضلالة:** لضبط باب السنة والبدعة لا مانع من وضع ضوابط شرعية تضبط الباب، وتفرق بين المحدثة التي هي سنة حسنة (بدعة حسنة) من سنها كان له أجرها واجر من عمل بها، وبين المحدثة التي هي سنة سيئة (بدعة ضلالة) كان عليه وزرها ووزر من عمل بها، **فمن شروط كون المحدثة بدعة ضلالة ثلاثة شروط: (الاول)**: أن يكون مجالها في الدين فتنسب إليه، فالابتداع لا يكون إلا في شيء ينسب إلى الدين، والأشياء العاديّة لا يدخلها الابتداع، **و (الثاني)**: أن لا يكون لها أصل في الشرع، إذ لو كان لها أصل في الشرع فلا تكون بدعة ضلالة، فإما ان تكون سنة أو مصلحة مرسلة من مصالح الشرع المعتبرة، أو فعل خير يؤجر عليه، **و (الثالث)**: ألا تكون واقعة تحت عموم ما ندب الله إليه أو رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وبالتالي فلا يكون بدعة ضلالة: ما أحدث من مصالح دنيوية ولا يقصد بها الدين، وما أحدث مما فيه مصلحة ولا تخالف الشرع، وما أحدث في الدين من تجديد سنة اندرست، أو هيئة فيها مصلحة تندرج تحت عموم وأصل ندب إليه الشرع من أفعال المعروف، **ومن شروط كون المحدثة بدعة حسنة شروط: (الشرط الاول)**: أن تكون مندرجة تحت أصل من أصول الشريعة، أو داخلة تحت شيء من مقاصدها، أو أمر عام من أوامرها، وهذا الشرط مجمع عليه بينهم حتى لا يدخل في الدين ما ليس منه، **و (الشرط الثاني)**: أن لا يكون فيها مخالفة للكتاب أو السنة أو الإجماع ولا تصادم هذه البدعة نصاً من نصوص الشريعة، ولا يكون في فعلها إلغاء لسنة من سنن الدين، فإذا صادمت سنة من سنن الدين أو أدت إلى تغييرها صارت بدعة مذمومة، **و (الشرط الثالث)**: أن تكون حسنة من أمور الخير لا خلاف فيما تدل عليه من الخير، وبهذه

الشروط ينضبط الباب، **و (أهل التصوف ومعهم جمهور الفقهاء)**: يثبتون وجود البدعة الحسنة، ويجزمون بأن الدين تام كامل بأصوله وقواعده ولكن هذه الأصول والقواعد أشارت إلى وجود المحدث النافع والبدعة الحسنة التي تعود على المسلمين بالخير والأجر، واستدلوا لمذهبهم بالكثير من الأيات والأحاديث وأقوال الصحابة وأعمالهم، وهؤلاء فهموا من أدلة الشرع ما يدل على تقسيم المحدث إلى حسن يوافق الكتاب والسنة وقبيح يخالف الكتاب والسنة، وقالوا: أن الدليل الأول على تقسيم البدعة هو تقسيم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لها بقوله (من سن في الإسلام سنة حسنة...،ومن سن في الإسلام سنة سيئة)، ويؤيده ما جاء عن فقيه قريش الإمام الشافعي الذي ملأ الأرض علما رحمه الله: حيث روى الحافظ البيهقي بإسناده الصحيح في المدخل: قال الشافعي رحمه الله: (البدعة بدعتان بدعة خالفت كتابا وسنة وإجماعا وأثرا عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عله وسلم فهذه بدعه ضلاله وبدعه لم تخالف شيئا من ذلك فهذه قد تكون حسنة لقول عمر نعمت البدعة هذه) أهـ، وعلى هذا القول عامة الشافعية والأحناف والمالكية وعدد من فقهاء الحنابلة، وقد نقل بعض المالكية إجماع المالكية عليه، ونص عليه الكثير من علماء الأمة على مر عصور الإسلام، ونص عليه: الإمام الغزالي والإمام فخر الدين الرازي وسلطان العلماء الإمام العز بن عبدالسلام والإمام القرافي والفقيه الرباني الإمام النووي وأمير المؤمنين في الحديث الحافظ ابن حجر العسقلاني والإمام السيوطي والإمام الزرقاني والأمام الكرماني وابن عابدين الشامي والإمام الحافظ ابن العربي المالكي والعلامة ابن الأثير الجزري والإمام شهاب الدين أبو شامة وغيرهم كثير وهؤلاء هم ورثة النبوة وأركان العلم عند أهل السنة والجماعة فمن بدع هؤلاء الفقهاء في فهمهم لتقسيم البدعة فليراجع عقله أو يراجع دينه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم،

**[المفتاح السادس]: لا يجوز التبديع بعمل ورد فيه حديث ضعيف**: إن الفقه السديد في مسألة العمل بالحديث الضعيف له دور عظيم في ضبط مفهوم السنة والبدعة، والحديث الضعيف: هو ما فقد شرطًا أو أكثر من شروط القبول أو من شروط الحديث المقبول، وهذا يعني أن نسبته إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نسبة ضعيفة، وليس معنى حكم العلماء على الحديث بالضعف أنَّ النبي لم يقله، فهذا ما لا يستطيع أحدٌ أن يجزم به، نقل الإمام النووي رحمه الله تعالى اتفاق المحدثين والفقهاء على جواز الأخذ بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال والترغيب والترهيب ما لم يكن موضوعا، (ب) شروط الحديث الضعيف الذي أجاز الفقهاء والمحدثون العمل به: (أحدها):

أن يكون الضعف غير شديد، فيخرج من انفرد من الكذابين، والمتهمين بالكذب، ومن فحش غلطه، (الثاني): أن يندرج تحت أصل معمول به، (الثالث): أن لا يعتقد عند العمل به ثبوته، بل يعتقد الاحتياط، وقد اتفق الفقهاء من المذاهب الأربعة المتخصصة في الشريعة على العمل بالحديث الضعيف بشروطه، وعلى أنه لا يُعمل بالحديث الضعيف في الأحكام والعقائد، ولكن يُعمل به في فضائل لأعمال والترغيب والترهيب والتفسير والمغازي والسير بشروط اعتمدها الأئمة الثقات، ولا يجوز التبديع بعمل ورد فيه حديث ضعيف: لعدة أسباب منها: (أ) احتمال ثبوته بوجه من الوجوه، (ب) أن العمل بالضعيف مستحب عند بعض الأئمة احتياطاً حتى لو اشتدّ ضعفه، (ت) إثبات الأئمة هذه الأحاديث بأسانيدهم فما من كتاب إلا فيه ضعيف عدا الصحيحين والموطأ على خلاف في الموطأ، (ث) دخول الضعيف في مسائل الاجتهاد وليس في المحدثات،

**[المفتاح السابع]: لا يجوز التبديع بالسنة التركية:** إن الفقه السديد في مسألة الترك له دور عظيم في ضبط مفهوم السنة والبدعة: **(أ)** فالسّنة عند أهل الأصول، تعني ما نقل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قول أو عمل أو تقرير، وعلى ذلك فهي ثلاثة أقسام: السنن القولية، والسنن الفعلية، والسنن التقريرية، وأما الترك المجرد من القرائن فهو عدم فعل، والعدم ليس بشيء، ولا يصلح دليلاً لجواز شيء أو حرمته، وقد حذرنا الله تعالى من التشريع والتحريم بغير هدى من الله وبما لم يأذن به الله، كما في قوله تعالى: {وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ} [النحل: 116]، وقوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [الأعراف: 33]، فكيف إذا كان تحريم المباح يعقبه الاتهام بالبدعة والضلالة لانّ كل بدعة ضلالة، إن هذا لهو من أسوأ التقول على دين الله تعالى بما ليس فيه، فالزعم بأن الترك المجرد سنّة فهذا ادخال في الدين ما ليس فيه، ولم يقل به أحد من الأئمة المجتهدين المقتدى بهم في الدين، وهو تقول على دين الله بغير علم، وبما لم يأذن به الله، وهو في حد ذاته بدعة بإدخال ما ليس من الدين إليه، **(ب)** الدليل على أنّ الترك ليس بتشريع ولا يؤخذ منه حكم شرعي، ما جاء في الصحيحين من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (دعوني ما تركتكم فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم) [متفق عليه]، دليل على أنّ الترك لا يدل

على أمر أو نهي أو تشريع، وإلا لما أخبرهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: (دعوني ما تركتكم فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم)، ففرق بين الترك والنهي والأمر، ففي الترك قال: (دعوني ما تركتكم) وفي النهي قال: (فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه)، وفي الامر قال: (وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم)، **(ت)** من الأدلة على أنّ الترك ليس بتشريع ولا يؤخذ منه حكم شرعي، ما أخرجه مسلم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه) [أخرجه مسلم] (ذروني ما تركتكم) دليل على أن الأصل عدم الوجوب، وأنه لا حكم قبل ورود الشرع، وهذا هو الصحيح عند محققي الأصوليين لقوله تعالى: وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) أهـ، **(ث)** ترك النبي صلى الله عليه وآله وسلم أفعالاً كثيرة تعد من المستحبات والطاعات عمداً لاعتبارات عديدة، فقد كان يترك بعض العبادات والطاعات خشية أن تفرض على الناس فيعجزوا عنها، مع أنها من الطاعات وعمل الخير، وهذه الامور تركها الرسول، ولكنها في شرع الله تعالى من الطاعات والقربات، **(ج)** ترك النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعض العبادات والطاعات التي ثبتت فضيلتها حتى لا يشق على المسلمين، رفقاً بهم، ومن ذلك تركه للخروج في جميع السرايا للجهاد في سبيل الله، كما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة: قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (والذي نفس محمد بيده: لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبداً، ولكن لا أجد سعة فأحملهم، ولا يجدون سعة، ويشق عليهم أن يتخلفوا عني، والذي نفس محمد بيده: لوددت أني أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل) [أخرجه مسلم]، **(ح)** ترك النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعض العبادات والطاعات التي ثبت أنها أفضل الطاعات لشيء في علم الله تعالى ولعله حتى لا يشق على المسلمين رفقاً بهم أن يقتدوا به، ومن ذلك صيام يوم وافطار يوم، وقد نص حديثه صلى الله عليه وآله وسلم على أن أفضل الصيام صيام داود، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، ومع ذلك تركه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم ينقل عنه قط أنه كان يصوم هكذا، مع أنّه أفضل الصيام بنص حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، **(خ)** ترك النبي صلى الله عليه وآله وسلم الخلوة التي كان يواظب على فعلها قبل البعثة، مع أنّه أجازها للمسلم عند فساد الزمان، فهل تركه لها يدل على بطلانها وأنها لا تجوز، أم أنّ الترك في هذه الحالة لا يدل إلا على أن الفعل المتروك لم يعد مستحباً، فيعود جائزاً مباحاً، إلا أن يأتي دليل على الكراهية أو التحريم، **(د)** قد يترك النبي بعض العمل لاعتبارات كثيرة أخرى

منها ما نعلم سببه، ومنها ما لا نعلم سببه، والترك في جميع الأحوال عدم فعل، والعدم لا يصلح دليلاً على شيء في الشرع مطلقاً، إلا أن يصاحبه نهي أو أمر من الشارع بشيء، **(ذ)** لقد تسبب اعتماد مبدأ (السنة التركية) كدليل على التبديع إلى غلو شنيع في مسائل التبديع، أخرجها عن إطار التوسط والاعتدال إلى مجال الغلو والتنطع، **(س)** خلاصة الأمر أنّ مسألة ترك النبي صلى الله عليه وآله وسلم، هو على الإباحة الأصلية المطلقة، حتى يأتي دليل من دين الله تعالى بترجيح الترك أو الفعل، ولا يجوز أبداً استعمال هذا الأمر (السنّة التركية) للتبديع والتفسيق ورمي الناس بالبدعة والضلالة،

**[المفتاح الثامن]: لا يجوز التبديع بشيء ما ثبت عن أحد الصحابة أو بعضهم فعله أو قوله:** لأن الصحابة كلهم ثقات عدول لا يجوز إطلاق البدعة على أفعالهم لاقترابهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولهم من الفهم ما لا تدركه مفاهيمنا، وثبت عندهم ما لم يصلنا، نعم قد يخالفه صحابة آخرون ولكن ما دام الصحابي متمسكاً برأيه ولم يرجع عنه فليس لأحد أن يعتبر فعله خارجاً عن السنة ما لم يرد فيه دليل على تخطئة صاحب هذا الفعل كحديث الفئة الباغية وحديث إسرائيل قد يكون فعل الصحابي مرجوحاً ولكن وسمه بالبدعة أو من يفعل فعله جريمة وشناعة، اشتهر بها الرافضة والخوارج،

**[المفتاح التاسع]: لا يجوز التبديع بكل ما جاز فيه وجه من وجوه الاجتهاد** إما بالفهم لما نص عليه أو بالاستنباط، فكل دليل ظني في ثبوته أو دلالته أو ما لم يرد فيه دليل جاز الاجتهاد فيه إلا ما ورد التحريم من الخوض فيه أو التعرض إليه، ولك أن تعجب ممن يرى اجتهاده حقاً واجتهاد غيره جهلاً وضلالاً،

**[المفتاح العاشر]: لا يجوز التبديع بعمل يكون منتسباً إلى أصل من الكتاب أو السنة أو متفرعاً عنهما أو نابعاً منهما أو منطلقاً من مقاصدهما:** من هذا المنطق رأينا الصحابة في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينطلقون دون حرج في ذلك وهو يقرّهم على ذلك كالصحابي الذي حمد الله بعد الرفع من الركوع بثناء جاء به من عنده منطلقاً من أصل الحمد في هذا الموضع من الصلاة فامتدح الرسول فعله وأخبره بأن الملائكة نزلت لترفعها، وكما فعل بلال رضي الله عنه يوم كان يصلي لكل وضوء ركعتين فسمع الرسول خشخشة نعليه في الجنة وأمثلة لا تحصى في هذا الباب،

**[المفتاح الحادي عشر]: لابد من التفريق بين البدعة الإضافية و البدعة الحقيقية، [البدعة الحقيقية]:** هي البدعة التي أُحدثت بأصلها ووصفها، لذا فهي تُعارض السنّة من كل وجه، وينطبق عليها تعريف بدعة الضلالة من كل وجه كما تنطبق عليها ضوابط البدعة التي لا تكون إلا بدعة ضلالة، ألا وهي: الأول: أن يكون مجالها في الدين، والثاني: أن لا يكون لها أصل في الشرع، إذ لو كان لها أصل في الشرع فلا تكون بدعة، ومثال تلك البدعة غالب البدع العقائدية كبدع التشيع والخروج والاعتزال والتجسيم والتشبيه والقدر والتجهم والجبر، فإنّها بدع من جميع وجوهها، خارجة عن الشرع من كل وجه، وهي بدع ضلالة تستحق الوعيد بالنار، **[أما البدعة الإضافية]:** فهي البدعة التي لها أصل في الدين ترجع إليه ولكنها تزيد على الأصل بتخصيص وصف معين، وذلك كتخصيصها بوقت محدد أو هيئة محددة، وعلى ذلك فهي بدعة في وصفها لا أصلها، لأنها مستندة إلى دليل، وشتان ما بين البدعة الحقيقية التي لا اصل لها في الدين بل تُعارضه وتضاد سننه، وما بين البدعة الإضافية التي لها أصل في الدين، **وخلاصة الفقه فيها:** أنّ ما كان أقرب إلى التشريع منه إلى التنظيم والترتيب والتزام الأوراد، فهذا لا يجوز ولا يصح فعله، ومثال ذلك: الأذان للعيدين، وأمّا ما كان اقرب إلى التنظيم والترتيب والتزام الأوراد، فهذا لا يكون بدعة ضلالة بحال ومثاله التزام أذكار مخصوصة بصفة منتظمة على سبيل الاجتهاد في العبادة كمن يجعل له ورداً بختم جزء قرآن مثلاً بعد صلاة الفجر، أو يجعل له ورد تسبيح ألف تسبيحة بعد صلاة العصر مثلاً، فهذا لا حرج منه البتة، لأنّه ليس من باب التشريع وإنّما من باب تنظيم العبادة والاجتهاد فيها، هذا حتى لو كان له أتباع يقلدونه فيما يفعل ويلتزمون به، فإنّه لما جاز له جاز لغيره، ومنه أيضاً الاجتماع للذكر أو للعلم في وقت معين يتفق عليه الجميع، ويُلحق به الصلاة على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عقب الآذان، فإنّه في أصله سنّة ولكن اختلفت الهيئة من السر إلى الجهر، فإن كان فاصل يفصل بين الآذان والصلاة على الرسول فلا بأس ولا حرج لأنّها تذكر الناسي بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم عقب الآذان،

**[المفتاح الثاني عشر]: قاعدة: (لا تبديع ولا تفسيق ولا إنكار في المسائل الخلافية بين المذاهب الفقهية الأربعة المعتمدة، ولا يجوز التشنيع عليها،** ومن صنع شيئاً من ذلك فهو المبتدع، نعم يجوز بيان ما يراه المجتهد أنه راجحا وله أن يبين أن قول معارضه مرجوح، ولكن في ظل احترام رأي الآخرين، بدون تبديع ولا تفسيق، كما لا يجوز له مهما بلغ علمه واجتهاده، أن يحمل الناس

على رأيه واجتهاده، وهذه القاعدة " قاعدة: (لا إنكار ولا تبديع ولا تفسيق في مسائل الخلاف الفرعية) " تعتبر من أهم القواعد الفقهية التي تصبغ المجتمع المسلم بالتراحم والألفة والتراضي، وهي تتعلق بالأساس بالمذاهب السنية المتخصصة سواء في العقيدة أو في الفقه أو في التزكية، لأنّها مدارس مؤصلة روجعت آراؤها على أيدي آلاف المجتهدين الأئمة العلماء فكانت في مأمن من البدعة والضلالة والخطأ الجسيم، وتعددها رحمة بالأمة واستيعاب لجميع الاجتهادات الصحيحة التي تخضع لقواعد اللغة والشريعة، كما أن الاختلاف في تلك المسائل الفرعية سعة ورحمة، لأنه لو كان قولاً واحداً كان الناس في ضيق، وما دام المختلفون أئمة يقتدى بهم، فلا بأس بالاقتداء بأحدهم، وأولى المذاهب بذلك مدارس العقيدة الثلاث على منهاج أهل السنة والجماعة (الأثرية والأشعرية والماتريدية) فهي متفقة في الأصول، والخلاف بينها في فروع لا توجب تبديعا ولا تفسيقا، وأولى المذاهب بذلك مدارس الفقه الأربعة، وهي متفقة في الأصول، والخلاف بينها في فروع لا توجب تبديعا ولا تفسيقا، وهذا ما جعل الإمام النووي، رحمه الله يقول: (إنما ينكرون ما أجمع عليه، أما المختلف فيه فلا إنكار فيه، لأنه على أحد المذهبين: كل مجتهد مصيب، وهذا هو المختار عند كثيرين من المحققين أو أكثرهم) [شرح النووي على مسلم،2/ 23]، (ح) لا مناص من الاختلاف في فروع العلم: لأسباب عديدة، منها: التفاوت والتباين الذي فطر الله تعالى عليه البشر من حيث تفاوتهم في القدرة على الإدراك والاستيعاب، بما فضل الله به بعضهم على بعض من الفهم والعلم والحفظ وسَعة الاطلاع، ومنها: الاختلاف في ثبوت النص وعدم ثبوته وذلك تبعاً للاختلاف في توثيق الرجال والرواة وتضعيفهم، ومنها: الاختلاف في فهم النص: بسبب كونه مشتركا بين معانٍ كثيرة، أو مجملاً لم يبين معناه، وإذا كان هذا هو حال الاختلاف والتنوّع في المذاهب الفقهية، فلا يوجد أي داع لتبديع المخالف ولا تفسيقه، والخلافات الفرعية بين علماء المذاهب هي من باب الاجتهاد وليست من باب البدع، ولا يبدع بها إلا حشو ضال وقع في الغلو في باب السنة والبدعة بسبب جهله بضوابط أهل الحق في هذا الباب، والمجتهد في هذه الأمور الفرعية مأجور في كل حال، سواء أخطأ أو أصاب ما كان مالكا لأدوات الاجتهاد، المصيب له فيها أجران والمجتهد المخطئ له اجر واحد، وهذا الاختلاف يُحمل على الحديث: (إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ) [متفق عليه]،

**[المفتاح الثالث عشر]: من القواعد التي تضبط باب السنة والبدعة وتمنع من الغلو فيه: التحذير من التوسع في باب سد الذرائع، فإنه لا يجوز تحريم المباح بزعم سد الذرائع إلى البدعة،** لأنّ الله تعالى يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} [الصف: 3]، فالقول إن شيئاً مما أحله الله لا يجوز، مثل القول: إن شيئاً مما حرمه الله يجوز، وهذا من القول على الله بغير علم، وقد قال الله تعالى: {وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ} [النحل: 116]، والأصل في الأشياء الإباحة: لقول الله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا} [سورة البقرة: 29]، وقوله تعالى: {وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ} [سورة الجاثية: 13]، وكل قضية سكت عنها الدين قضية مباحة: فلا حرام إلا ما ورد فيه نص صحيح صريح، وكل قضية سكت عنها الدين مباحة، ما لم يرد في تحريمها نص شرعي، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو، فاقبلوا من الله عافيته) [أخرجه الحاكم (3419)، وصححه ووافقه الذهبي]، وتحريم القول بأن هذا حلال وهذا حرام من دون دليل قطعي، وذلك لقوله تعالى: {وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ} [النحل: 116]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (هلك المتنطعون، هلك المتنطعون، هلك المتنطعون) [أخرجه مسلم]، إذ تحليل الحرام وتحريم الحلال من أكبر الكبائر، والمتنطعون هم الذين يسارعون أن يقولوا كلمة " حرام " على ما أحله الله، وقد قال الفقهاء: أجرؤكم على الفتية أجرؤكم على النار،

**[المفتاح الرابع عشر]: من القواعد التي تضبط باب السنة والبدعة وتمنع من الغلو فيه: التفريق بين الأعمال العادية والأعمال التعبدية،** الأمر العادي: هو ما يجرى بين الناس من تصرفات لتحقيق المصلحة فيها مما لا يقصد به التقرب إلى الله تعالى ولكنها تحقق المقاصد التي يراعيها الشرع، وهو بخلاف الأمر التعبدي القائم على أساس الانقياد والخضوع لدين الله تعالى والسير وفق ما أمر به شرع الله، وقد وضع بذاته للتقرب إلى الله تعالى، كالذكر، والصلاة، والابتداع المنهى عنه هو ما يدخل في الأمور التعبدية، وأما الأمور غير التعبدية، أي العادية، المحدثة لتحقيق منفعة لا ينهى عنها الشرع فلا حرج منها، فما دام الأمر العادي لا ينهى عنه الشرع، ولا يضر بالمصلحة، ولا يخرج على مقاصد الشرع، ولا يُعد تشبهاً منهيا عنه بالكفار

**[المفتاح الخامس عشر]: الهدي الإسلامي الصحيح في معاملة الفرق الإسلامية الضالة:** ليس معنى ما جاء في حديث الافتراق (كلها في النار إلا واحدة) كون الفرق الضالة في النار، ولكن معناه أنها لبدعتها وضلالها تستحق الوعيد بالنار كما أن مرتكب الكبائر يستحق الوعيد بالنار وهو مسلم له اسم الإسلام وحكمه، وهذه الفرق الضالة ضلت الطريق في بعض جوانب الدين فاستحقت لذلك الوعيد بالنار، وهي إلى مشيئة الله، إن شاء غفر، وإن شاء عذب، ولكن مآلها جميعها إلى رحمة الله وجنته لما أتت به وحافظت عليه من شهادة التوحيد، والإيمان المجمل بالإسلام، ولا يجوز تكفير تلك الفرق بإطلاق، ولا يجوز إخراج آحاد المسلمين من الإسلام إلا باستيفاء شروط التكفير وموانعه تامة تامة، وقد حبى الله تعالى أهل العلم والفقه في الدين بقواعد تجعلهم يفرقون ما بين البدعة والكفر، فأهل البدع مسلمون لهم الولاء العام في الإسلام لا نكفرهم ببدعة ولا خطأ ولا جهل ولا تأويل ولا ذنب حتى ينكر معلوما من الدين بالضرورة وتقوم عليه الحجة الشرعية التامة المستوفية لشروطها وموانعها بذلك، ولا علاقة للبدعة بالكفر الأكبر، المبتدع أقرب إلى العصاة منه إلى الكفار، وعصاة الموحدين مسلمون يدعى لهم بالهداية ويستغفر لهم، والكافر فقط هو الذي لا يجوز الدعاء له بالرحمة ولا يجوز الاستغفار له، ولا يحكم على المبتدع عيناً بأنه كافر إلا بشروط منها: (الشرط الأول): أن تكون بدعته مكفرة متفق على التكفير بها، (الشرط الثاني): أن تتوفر فيه شروط التكفير وتنتفي موانعه، (الشرط الثالث): قيام الحجة المعتبرة شرعا بشروطها وضوابطها التي قررها الفقهاء،

***

## المبحث الحادي والثلاثون

## الصوفية وعلم التقديس والتنزيه

**[تنبيه]:** إذا كان السادة الأشاعرة هم أهل العلم بالتقديس والتنزيه عقيدة وبرهانا، فإن أهل التصوف هم سادة أهل التقديس والتنزيه لله تعالى، تحقيقا وعرفانا، بلغ بهم التقديس مجالا يضيق عن العبارة، لانهم العارفون بالله شهودا وكشفا، بلغوا مقام التوحيد أعلى منازل العرفان، وعلم التقديس قسم من أقسام التوحيد، وهو قسم توحيد جناب الذات الإلهي جل وعلا، وقسم توحيد الذات هو أساس التوحيد، إذ جميع أقسام التوحيد الباقية إنما تؤول إليه، فتوحيد الأسماء المقصود به توحيد أسماء جناب الذات الإلهي إذ الاسم للمسمى، والمسمى هو ذات الله تعالى، وتوحيد الصفات المقصود منه توحيد صفات الذات إذ تعود جميع الصفات إلى جناب الذات الذي يتصف بهذه الصفات، كما أنّ توحيد الأفعال المقصود به بيان قدرة الذات على الأفعال، وأنه لا يكون في ملك الله تعالى سوى أفعال الله تعالى، فالأفعال تعود بالضرورة إلى أفعال الذات، وتوحيد الربوبية ما هو إلا توحيد الذات المستحقة للربوبية على العالمين، وتوحيد الألوهية ما هو إلا اعتقاد استحقاق ذات الله تعالى للعبادة وحده، وصرف العبادات جميعها لذات الله وحده لا شريك له، وعلى ذلك فتوحيد جناب الذات أصل لكل أقسام التوحيد، وجميع أقسام التوحيد إنما يعود في نهاية المطاف إلى توحيد الذات، ومن هنا كان توحيد الذات هو أساس التوحيد الذي هو حق الله تعالى على العبيد، هذا القسم من التوحيد هو علم التقديس والتنزيه، وهو حجر الزاوية في تجديد التوحيد ووحدة أهل التوحيد، والمقصود منه: اعتقاد الكمال لله في ذاته، والتنزيه لذاته عن كل نقص، وهذا يستلزم تنزيه ذات الله تعالى عن مشابهة ذوات الخلائق لأنها موصوفة بالنقص من كل جهة، هذا العلم يتناول الواجب والجائز والمحال في حق الله تعالى، والذهول عن قواعد هذا العلم حتما سيؤول بأصحاب ذلك الخلل إلى بدعة الحشو والتجسيم على حساب التقديس والتنزيه، ومن مفاتيح هذا العلم الجليل التي قال بها السادة الأشاعرة استدلالا وأيقن بها السادة الصوفية شهودا وعرفانا،

**[المفتاح الأول]: تنزيه ذات الله تعالى عن أي مثيل أو كفء أو شبيه:** الله عز وجل لا يشبهه شيء من المخلوقات، ولا هو يشبه شيئاً منها، لأنه لو أشبهه شيء لكان مثله قديماً، ولو أشبه شيئاً لكان مثله مخلوقاً، وكلا الحالين على الله محال، كما أن ذات المخلق تتصف بالنقص والعجز لأنها مخلوقة من عدم محدثة لم تكن ثم كانت، وهي إلى الفناء سائرة كما قال تعالى: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ

* وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن: 26، 27]، وقوله تعالى: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [القصص: 88}، فلا يصح مشابهة الفاني للباقي، ولا المخلوق للخالق الباري، من الأدلة القرآنية على تنزيه الله تعالى عن المثيل والكفء والشبيه والسمي: قوله تعالى: {ليس كمثلِه شيء} [سورة الشورى/11]، في هذه الآية نفي المشابهة والمماثلة بين الله تعالى وخلقه ومعناه أن الله تعالى لا يشبه شيئًا من خلقه بوجه من الوجوه، وقوله تعالى: {وللهِ المثَلُ الأعلى} [سورة النحل/60] أي الوصف الذي لا يشبه وصف غيره، فلا يوصف ربنا عزَّ وجلَّ بصفات المخلوقين، وقوله تعالى: {فلا تضربوا للهِ الأمثال} [سورة النحل/74]، أي لا تجعلوا لله الشبيهَ والمِثْل فإن اللهَ تعالى لا شبيه له ولا مثيل له، فذاتُه سبحانه لا يشبه الذواتِ ولا صفاتُه تشبه الصفاتِ، وقوله تعالى: {هل تعلمُ لهُ سميًّا) [سورة مريم/65] أي مِثلاً، فالله تعالى لا مِثْلَ له ولا شبيه ولا نظير، فذاتُه سبحانه لا يشبه الذواتِ ولا صفاتُه تشبه الصفاتِ، وقوله تعالى: {سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ} [سورة الأنعام/100] تنزيه وتقديس لله تعالى عن كل وصف يخطر ببال بشر لأنه ليس كمثله شيء ولا نعلم له سميا، وقوله تعالى: {وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} [سورة طه/110] ولو كان له مثيل لأحاطت به علوم البشر ولكنه سبحانه تنزه وتقدس عن كل وصف يخطر ببال بشر لأنه ليس كمثله شيء ولا نعلم له سميا، وسورة الإخلاص تقديس لله تعالى عن مشابهة خلقه، قال تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}، الله تعالى هو (الأحد) له تعالى: (الأحدية المطلقة)، وهي تعني التنزه عن الانقسام، فهو سبحانه [أحد] لا جزء له منزه عن الأجزاء والأبعاض، **وبالتالي منزه عن التركيب والجوارح وبالتالي منزه عن الجسمية، إذ الجسمية أقلها يتركب من جزئين، وكلما زادت الأجزاء كان الجسم أجسم، وكل الخلائق أجسام وأجزاء وأبعاض، فلا يتصف بالأحدية المطلقة إلا الله، [الله الصمد] أي الغني الذي يحتاج إليه كل خلقه وهو الغني عن كل خلقه، و (الصمدية المطلقة) تمنع من التركيب على جناب ذاته سبحانه، لأنّ الشيء المركب من مجموعة أجزاء، محتاج في وجوده إليها، والمحتاج إلى غيره ناقص غير كامل، لا يوصف بالصمدية المطلقة، إذن الله تعالى [أحد] لا جزء له منزه عن التركيب والأجزاء والأبعاض والجوارح، [صمد] غني حميد اكتمل غناه تنزه عن الحاجة والنقص والعيب، {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ}، لا ينفصل منه شيء، ولم ينفصل من شيء، تنزه عن أن يكون منه جزء مخلوق {لَمْ يَلِدْ}، وتنزه عن أن يكون هو محدث مخلوق {وَلَمْ يُولَدْ}، بل هو الأول فليس قبله شيء وهو الآخر فليس بعده شيء، الخالق لكل شيء ومن عداه مخلوق، أحد لا نظير له، صمد**

**لا ينفصل من شيء ولم ينفصل منه شيء، {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} أي لا نظير له بوجه من الوجوه، ولا كفء له ولا شبيه، ومنه نعلم مخالفة ذات الله تعالى لجميع المخلوقات والموجودات والمحدثات، ولما كانت جميع المخلوقات تتصف بالحدود والنهايات والمقادير، كان الله تعالى منزهاً عن مشابهة خلقه، منزه عن الحد والنهاية والمقدار والغاية، ولما كانت جميع المخلوقات تحتاج في وجودها إلى مكان يحويها ويحيط بها، كان الله تعالى منزهاً عن مشابهة خلقه، فلا يحويه مكان ولا يحيط به مكان كيف وهو بكل شيء محيط، ولما كانت جميع المخلوقات يقهرها زمان يجري عليها زمان يقهرها بقوانينه، كان الله تعالى منزهاً عن مشابهة خلقه، فلا يجري عليه زمان ولا تقهره قوانين الزمان كيف وهو الواحد القهار، ولما كانت جميع المخلوقات عبارة عن أجسام تتصف بالطول والعرض والحجم، والصور والأشكال، كان الله تعالى منزهاً عن مشابهة خلقه، منزه عن الأطوال والاحجام والصور والأشكال، ولهذا قال أئمة التخصص في العقيدة على منهاج أهل السنّة: يجب الجزم بأن الله تعالى ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض ولا تحله الحوادث ولا يحل في حادث ولا ينحصر فيه، فمن اعتقد أو قال إن الله بذاته في مكان فهو ضال مبتدع، بل يجب الجزم بأنه سبحانه وتعالى بائن من خلقه فكان ولا مكان ثم خلق المكان وهو كما كان قبل خلق المكان ولا يعرف بالحواس ولا يقاس بالناس فهو الغني عن كل شيء ولا يستغني عنه شيء ولا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء، وعلى كل حال مهما خطر بالبال أو توهمه الخيال فهو بخلاف ذي الإكرام والجلال**، ومن الأدلة من السنة النبوية على تقديس الله تعالى عن مشابهة خلقه، قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (اللهم أنت الأوَّلُ فليس قبلَك شيء، وأنت الآخِر فليس بعدَك شيء، وأنت الظاهرُ فليس فوقَكَ شيء، وأنت الباطن فليس دونَك شيء) [أخرجه مسلم] وإذا لم يكن قبله شيء ولا بعده شيء ولا فوقه شيء ولا دونه شيء لم يكن له شبيه ولا مثيل، وعلى ذلك: فذات الله تعالى ليس كمثله شيء ولا له كفء ولا شبيه وليس له مثال يقاس عليه ولا نقدر على تصوره فضلا عن وصفه ولا نحيط به علما، فلا يقدره فهم ولا يصوره وهم ولا يدركه بصر ولا عقل ولا يبلغه علم، منزه في وجوده عن المكان فلا يحويه مكان، ومنزه في وجوده عن الزمان فلا يجري عليه زمان، ومنزه في جناب ذاته عن الحد والنهاية، فلا حد ولا تناهي، كيف وهو القاهر لمخلوقاته بالحدود والنهايات، ومنزه في جناب ذاته عن الصور والأشكال والألوان، كيف وهو المصور لخلقه والواهب لها الصور والأشكال، جل المصور أن يكون مصورا، وجل الخالق أن يكون مخلوقا، وجل القديم أن يكون محدثا، له كمال الذات والأسماء والصفات، وكل ما خطر ببال المخلوق فهو**

باطل لأنه مخلوق، والمخلوق لا يحيط علما بالخالق، والمحدث لا يحيط علما بالقديم، فسبحان الله عما يصفون، {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير}،

**[المفتاح الثاني]: تنزيه جناب الذات تعالى عن الحد والمقدار الذي تتصف به ذات المخلوق:** لا شك في أنّ الحد معناه التناهي، وأي شيء محدود له نهاية تحده، والتناهي نقص لا يجوز وصف ذات الله تعالى به، لأنّ الكمال المطلق أن لا يكون لجناب الذات حد ولا نهاية، وإلا جاز أن يكون فوقه ما هو أكبر منه، والله تعالى أكبر من كل تصور، وأكبر من كل حد، وأجل من كل مقدار، وأكبر من كل نهاية، وهو الكبير المتعال، تعالى على الحدود، هو القاهر لكل خلقه بما حدهم عليه من حدود، وهو القاهر فوق عباده وهو الواحد القهار، هو الذي حد الحدود على خلقه بقدرته، وكتب النهايات على كل محدود، ليدل بحده على أنّه مخلوق له خالق قهره بحد ونهاية لا يتجاوزها إلى غيرها، وكل محدود مخلوق، قال تعالى: {قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} [الرعد: 16]، والقاعدة تقول: كل ما يقبل الحد فهو محدود، وما يحد شيء بحد إلا وهو متناهي الذات، وكل ما كان متناهياً في الذات كان متناهياً في الصفات وإذا كانت صفات الله تعالى لا حد لها فله كمال العلم لا حد لعلمه وله كمال القدرة فلا حد لقدرته وله كمال جميع الصفات العلا لا حد له فيها فبالتالي فلا حد لجناب ذاته تنزه عن الحد والمقدار والحصر والنهاية وكل ما يفيد الحدوث والخلق، ثم كيف نصف الله تعالى بالحد والمقدار، ونحن نقول في كل صلاة وعند كل حركة وانتقال، وفي الاذكار عقب الصلوات وفي الصباح والمساء (الله أكبر) ومعناها: الله أكبر من كل تصور، والله أكبر من كل خيال، والله أكبر من كل حد، والله أكبر من كل مقدار، إنّ كل متناه ملابد وان يكون مُحدَثا، لأن تخصيصه بهذا المقدار دون سائر المقادير لا بد له من مخصص، وجل الخالق تعالى عن ذلك أن يكون لذاته مخصص، لأنه الخالق، والخالق هو المقدر لجميع المقدرات بمقاديرها المخصوصة فيستحيل أن تكون ذاته سبحانه مقَدَرة بمقدار مخصوص وإلا لزم كونه مقدراً لنفسه حادا لها بحد ونهاية وكمية ومقدار وذلك محال، لان التقدير يوجب الخلق والحد يوجب الحدوث لحاجة الحد إلى حادّ يحده والله تعالى قديم بلا ابتداء ودائم بلا انتهاء،لم يزل منزه عن الحدوث هو الأول فليس قبله شيء، (خ) الحد نقص والنهاية عجز والله تعالى منزه عن النقص والعجز، فكل موجود له نهاية وهذه النهاية علامة نقصه لأن الموجود مهما كان كبيرا وعظيما إذا كانت له نهاية ينتهي إليها فإنه يُتصور في الأذهان ما هو أكبر منه والقاعدة عند الرياضيين أن كل ما يقبل النهاية

يقبل الزيادة والنقصان، والله تعالى له الكمال المطلق، ومن معاني الكمال المطلق: أنّ جناب الذات الإلهي لا حد له ولا نهاية ولا يقبل الزيادة لأنه بذلك يكون قبل قبول الزيادة نقصا ولا يقبل النقصان لأنه ضد الكمال _ فإن كان لذاته نهاية (سبحانه وحاشاه) فإنه يُتصور في الأذهان ما هو أكبر من ذاته، وهنا يلزم (تنبيه): إذا كان جناب الذات الإلهي منزها عن الحد والحصر والنهاية، فإنه كذلك منزه عن الحجم والكمية والمقدار لكونها صفات الأجسام، والأجسام مخلوقه والله تعالى خالقها ليس كمثله شيء وليس له سمي ومثيل ولا نحيط به علما وإنما ننزهه عن مماثلة المخلوق وعن كل نقص وعجز اتصف به المخلوق وتنزه عنه الخالق، (وبالتالي) ليس القصد من تقديس الله عن الحد تصوير الله بحجم لا متناهي الحدود، بل القصد عدم إمكانية وضع أي حد من الحدود لجناب الذات الإلهي، حيث لا بدية ولا نهاية ولا غاية، وحيث لا أثر للمادة فيه، وحيث لا يقبل الأجزاء والابعاض، ولا يقبل الاطوال والأحجام، وبالتالي لا يقبل الحد والتناهي، قالله مقدس عن الحدود غير محدود ولا يحده حد من الحدود، ولا يمكن تكييف وجوده السرمدي (الأزلي الأبدي المطلق)، ومن كانت صفاته لا محدودة مقدسة عن التناهي، كان جناب ذاته مقدس عن الحد والتناهي، كمالات الذات لا تتناهى ليس كمثل جناب ذاته ذات ولا مثل صفاته صفات، منزه عن كل ما يخطر بالبال لأنّ كل ما خطر بالبال هو مخلوق، والمخلوق المحدث المحدود لا يُدرك الخالق القديم المنزه عن الحدود، فالله تعالى أكبر من كل تصور، وأعظم من أن نحيط به علما، {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} [طه: 110]، فالذات لا يُدرك، ويجب على كل مسلم الاقرار بالعجز ومنع التتشبيه والتمثيل، وأن يعيش على التقديس والتنزيه والتسبيح، فالله تعالى {ليس كمثله شيء} وكل شيء سواه مخلوق مقدر محدود، (ر) **الله تعالى منزه عن الحد والمقدار وكل ما يفيد الحصر والنهاية لأن ذلك سمة المخلوق الذي حده خالقه على كمية ومقدار معين، وعلى تنزيه الله تعالى عن الحد والمقدار إجماع أهل التنزيه من هذه الأمة، حتى ما نقل عن البعض بإثبات الحد فإنما يقصد بالحد الحاجز بين الخالق والمخلوق لا أكثر (أي الحد الذي يمنع الاتحاد والحلول) وإلا فلا يصح أبداً إثبات الحد لله بمعنى المقدار الذي تنتهي إليه ذاته سبحانه فإن ذات الله ليس لها نهاية، منزه سبحانه عن الحصر لأن الحصر والنهاية نقص يضاد الكمال الذي اتصف به ذات الله، فإن الحد في اللغة على معنيين: الأول: الحد بمعنى الحاجز بين الشيئين وهذا لو أضيف إلى الله فالمقصود به حد الإلهية الذي يفصل بين المعبود سبحانه والعباد أو المقصود به حد الربوبية الذي يفصل بين الرب والمربوب فلا اتحاد ولا حلول بينهما ولا مماسة ولا اتصال بينهما بحال فالحد بهذا المعنى صحيح،**

**والثاني: الحد بمعنى الحصر والنهاية وحد الشيء منتهاه الذي ينتهي إليه ونهايته وهذا الحد هو صفة المخلوق التي يتنزه ويتقدس الخالق عنها، اتفق المسلمون على تنزيه الله تعالى عن الحدود والغايات والنهايات ولم يخالف في ذلك إلا قلةٌ جاهلون بما يجب لله تعالى من التقديس والتعظيم، يعتقدون ان إلههم محدود بحد لا يعلمه إلا هو وأكثرهم على أن حده العرش، فحدوه بمخلوق مربوب مثلهم وقد اشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله تعالى {وهو رب العرش العظيم} كما أنه رب العالمين جميعا، فالله تعالى رب العرش ورب العالمين والجميع محفوف بعناية الله ومحفوظ بحفظه، وهل – أستغفر الله تعالى – الرب عز وجل محمول على عرش او كرسي، الرب الذي قال عن نفسه سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} [فاطر: 41]، هل يحتاج إلى شيء يحمله، أو شيء يحيط به ويحويه، مهما بلغ اتساعه وحجمه، فأنى للمخلوق المربوب أن يحمل الخالق، وأنى للمحدود ان يحوي الذي تعالى عن الحد والمقدار، وأين ذلك من اعتقاد كل مسلم بأن الله هو الغني الذي تحتاج إليه الخلائق بما فيها العرش، وهو الغني عنها، وأين ذلك من اعتقاد كل مسلم بان الله هو الحي القيوم الذي يقوم على حاجة كل مخلوق وهو مستغنٍ عنها، سبحانك هذا بهتان عظيم، (ض) تنزيه الخالق سبحانه عن الحدود والغايات والنهايات ليس معناه أن الله في كل مكان إذ المكان مهما كبر فهو محدود والله تنزه عن الحدود، وليس معناه أن الكون كله داخل في ذات الله (سبحانه) إذ تنزه الخالق عن معاني الحلول والاتحاد ومعاني المماسة والاتصال ليس كذاته ذات تنزه عن كل ما خطر بقلوب البشر له الكمال والتنزيه المطلقين في ذاته وصفاته وافعاله ليس كمثله شيء ولا نحيط به علما، نعجز عن ادراك ذاته، وما نستطيع ان نقدره قدره، لا نحصي ثناءً عليه، هو كما أثنى على نفسه، (ط) تنزيه الخالق سبحانه عن الحدود والغايات والنهايات ليس معناه أن الله في كل مكان إذ المكان مهما كبر فهو محدود والله تنزه عن الحدود، وليس معناه أن الكون كله داخل في ذات الله (سبحانه) إذ تنزه الخالق عن معاني الحلول والاتحاد ومعاني المماسة والاتصال ليس كذاته ذات تنزه عن كل ما خطر بقلوب البشر له الكمال والتنزيه المطلقين في ذاته وصفاته وافعاله ليس كمثله شيء ولا نحيط به علما، نعجز عن ادراك ذاته، وما نستطيع ان نقدره قدره، لا نحصي ثناءً عليه، هو كما أثنى على نفسه، (ظ) يقول علماء الحساب والرياضيات أنه لا نسبة بين المحدود واللامحدود، ولا تصح المقارنة بين المحدود مهما كان كبيرا أو عظيما وبين اللامحدود، إذ نسبة المحدود مهما كان كبيرا إلى اللامحدود هي نفسها نسبة**

**الصفر الذي لا يساوي شيئا إلى الذي لا يتناهى من الأشياء، ولله المثل الاعلى، إذ كيف تصح المقارنة بين الكون المخلوق المقدر المحدود وبين الخالق الواحد القهار المنزه عن الحد والمقدار، (ع) من فوائد هذا التنزيه عن الحد والحصر والمقدار على المسلم أن يعظم الله تعالى بقلبه ويفهم العظمة والجلال في جميع الآيات التي تدل على هيمنة الله تعالى على أرجاء الكون كقوله تعالى {الرحمن على العرش استوى}، مع قوله تعالى {فإني قريب}، مع قوله تعالى {فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم}، مع قوله تعالى {والله بكل شيء محيط}، وقوله تعالى {وكان الله بكل شيء محيطا}، لأننا نعبد المنزه عن الحد والحصر والمقدار، ولا نقول كما قالت الحلولية والجهمية: إن الله في كل مكان لا يخلو منه مكان، ولا نقول كما قالت الحشوية الجهوية: إن الله في مكان دون مكان ألا وهو العرش العظيم، بل نقول إن الله خالق المكان منزه عن المكان لا يحل في كل مكان ولا في مكان دون مكان وأنه هو رب العرش العظيم، خلق العرش إظهارا لقدرته ولم يتخذه مكانا لذاته [هذه المقولة العظيمة نسبها الإمام أبو منصور البغدادي إلى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أنه قال (كان الله ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان) وقال (إن الله تعالى خلق العرش إظهارًا لقدرته لا مكانًا لذاته) اهـ [الفرق بين الفرق لأبي منصور البغدادي ص 333]، وأنه لا يُقال إن الله داخل الكون _ لأن ذلك يوحي بالحلول والاتحاد وأنى يحل الخالق المنزه عن الحدود في الكون المحدود _ ولا يُقال إنه خارجه لأنه قريب كما قال تعالى {ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون} وكما قال تعالى:{ونحن أقرب إليه من حبل الوريد}، وكما قال تعالى {واسجد واقترب}، ولا يُقال أنه متصل بالكون ولا يُقال أنه منفصل عنه لأن الاتصال والنفصال صفات الأجسام، بل هو أقرب إلى كل خلقه من حبل الوريد، تحيرت العقول في حقائق وجوده، وجناب ذاته وصفاته، والعجز عن درك الإدراك صفة المخلوق القاصر، وهذا هو الغاية من علم التقديس، الإقرار بالعجر عن معرفة الذات، قال تعالى: {ولا يحيطون به علما}،** قال بعض أهل الحشو: إن الله عز وجل وصف نفسه بأنه سميع بصير {وكان الله سميعا بصيرا} ووصف بعض خلقه بأنه سميع بصير {فجعلناه سميعا بصيرا}، فما المانع أن يكون للمخلوق حد وينتهي إليه وكذلك يكون للخالق حد ينتهي إليه ولا يعلمه إلا هو، والجواب عن تلك الشبهة: أن السمع والبصر والعلم صفات مدح من كل وجه، أكرم الله بعض خلقه بها، ولكن الحد والنهاية والحصر صفات عجز ونقص وقصور فلا يصح نسبتها إلى الله، **وإنما العلم بالتعلم، قال تعالى: {فاسالوا}، فلا مناص لمن تكلم في العقيدة أن يتواضع للعلم ويطلبه من أهله، ولا ينبئك مثل خبير،**

**[المفتاح الثالث]: تنزيه ذات الله تعالى عن أن يحيط به مكان أو أن يجري عليه زمان:** (أ) عند تدبر قول الله تعالى: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [الحديد: 3}، مع قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (اللهم أنت الأوَّلُ فليس قبلَك شيء، وأنت الآخِر فليس بعدَك شيء، وأنت الظاهرُ فليس فوقَكَ شيء، وأنت الباطن فليس دونَك شيء) [أخرجه مسلم]، نعلم يقيناً أن الله تعالى له الكمال المطلق في وجود ذاته سبحانه، كمال منزه عن أن تحكمه قوانين المكان ولا الزمان، **{هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ} دليل على تنزيه الله عن الزمان فلا يتعلق به زمان، {وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ} تنزيه عن المكان، إذ هو الظاهر فليس فوقه شيء، وهو الباطن فليس دونه شيء، خالق المكان، فكيف يحويه المكان وهو بكل شيء محيط،** وعلى ذلك: فالله موجود ولكن وجوده تعالى ليس كمثله شيء ولا له كفء ولا شبيه وليس له مثال يقاس عليه، وعلى ذلك فإن لله تعالى كمال الوجود المطلق المنزه عن المكان فلا يحويه مكان، والمنزه عن الزمان فلا يجري عليه زمان، (ب) كل موجود سوى الله تعالى مخلوق حادث، كان قبل خلقه عدما ثم خلقه الله بقدرته ومشيئته، وكل مخلوق حادث تحكمه قوانين الوجود من الكون في مكان وأنه لابد وان يجري عليه زمان، فليس مخلوق إلا محتاج إلى مكان يحيزه ويحيط به من كل جهة وليس ثمة مخلوق إلا ويجري عليه زمان إذ المخلوق محكوم بقوانين ونواميس الوجود لا مناص له عنها لأنه حادث سبق وجوده وجود المكان والزمان فهو مرتبط بهما محكوم بقوانينهما عاجز عن الانفكاك عنهما، (ت) أما الله عز وجل فهو الخالق لكل شيء في الوجود قال تعالى: {الله خالق كل شيء}، ومن جملة خلقه المكان والزمان، فهل يحل الخالق في المخلوق أم هل تجري على الخالق قوانين المخلوق، سبحانه كان قبل خلق المكان والزمان وهو على ما عليه كان، منزه عن المكان تنزيه الخالق عن المخلوق، ولا يجري عليه زمان تنزه سبحانه تنزيه الخالق أن تحكمه نواميس المخلوق كيف وهو الذي أوجد المكان وهو الذي أدار الزمان لا يلحقه تغيير بخلقه لأن الكمال صفته سبحانه والكمال لا يقبل الزيادة أو النقصان فإن قبل الزيادة كان قبلها نقصا وإن قبل النقصان كان كفرا وإنما التغيير من صفات النقص والله منزه عن الحدوث والنقصان، (ر) عدم تنزيه الله تعالى عن المكان يعني أن هناك مكان ما يحيز الله، والمكان الذي يحيز أي شيء لاشك أنه أكبر منه، وهذا يخالف القطعي والضروري من الدين من كون الله تعالى أكبر من كل شيء، (ز) عدم تنزيه الله تعالى عن المكان يستلزم ذلك احتياج الله إلى المكان، لأنّ الكائن في مكان محتاج إلى المكان، ولكنّه تعالى هو الغني الذي لا يحتاج إلى شيء، والاحتياج من صفات المُحدَث المخلوق الفقير لا من صفات الخالق الغني الحميد، (س) عدم تنزيه الله تعالى

عن المكان يعني إنّ المكان الذي يكون الله فيه لا يخلو من أمرين: الأوّل: قديم، فيستلزم ذلك تعدّد القدماء، وهذا باطل، الثاني: حادث، والحادث محدود، ولكنّه تعالى غير محدود، والشيء المحدود لا يسعه إحاطة الشيء غير المحدود، فيثبت بطلان وجوده تعالى في مكان، (ظ) ومن الادلة على تنزيه الله تعالى عن الزمان أنّ الزمان هو عبارة عن أثر الحركة الحادثة في المكان، ولولا الحركة في المكان لما كان هناك زمان، وإجماع أهل الأصول على أن المكان متقدم على الزمان، وإذا كان الله تعالى كان قبل المكان ثم خلق المكان فمن الضرورة أنه كان قبل الزمان ثم خلق الزمان، وإذا كان الله تعالى غني عن المكان غنى الخالق عن مخلوقه فإن الله تعالى غني عن الزمان فلا يحويه مكان ولا يجري عليه زمان، وإنما يجري الزمان على مخلوقاته التي من أهم سمات نقصها الحدوث والتغير والحركة والسكون، **وهنا يتعلق أهل الحشو بالمتشابهات، ومن ذلك الاستواء وفهمهم السقيم المبتدع أنه استواء الذات على العرش، وإذا قلت لهم هناك آيات تدل على القرب،** كقوله تعالى: {وَإِذَا **سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ}**، فلم لا تحمل على قرب الذات، قالوا: القرب قرب الصفات من العلم والسمع والبصر والقدرة، **وإذا قلت لهم هناك آيات تدل على** الاحاطة، كقوله تعالى: {**وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا}** فلم لا تحمل على إحاطة الذات، قالوا: الاحاطة: إحاطة الصفات من العلم والسمع والبصر والقدرة، قلنا: فما الاشكال أن نحمل الاستواء على استواء الصفات من صفات التدبير والتسخير و**الملك والقهر والهيمنة والربوبية للعالم، إذن الجميع متفق على حمل القرب على قرب العلم والسمع والبصر، والجميع متفق على حمل الإحاطة على العلم والسمع والبصر، ولكن عند الاستواء اختلفوا، فحمل علماء الأصول المتخصصون في العقيدة الاستواء على معاني استواء الملك والقهر والتسخير والهيمنة والربوبية للعالم،وبيان كمال قدرته التامة سبحانه في تدابير الملك والملكوت، وحملها أهل الحشو التجسيم على معاني الجلوس والاستقرار، وقالوا: مستو على العرش بذاته (سبحانه) فمن أين جاءوا من كتاب أو سنة أنه (بذاته)، ولم لا يكون استواء ربوبية وقهر كما أن القرب قرب علم وقدرة، وقد قال الله تعالى _ مرشدا إياهم أن الأماكن كلها ملك لله _ {ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم}، وقد ورد الاستواء في سبعة مواضع من القرآن الكريم كلها تدل لمن تدبرها بقرآئنها بأن الاستواء المقصود هو استواء ملك وقهر وتسخير وهيمنة وربوبية للعالم، وبيان كمال قدرته التامة سبحانه في تدابير الملك والملكوت، فهذا هو التمدح المقصود بالاستواء، أما تفسير الاستواء بالجلوس والاستقرار فهذا ليس فيه من المدح شيء وليس فيه من الكمال شيء،** وآيات الكتاب الكريم

**جاءت لبيان كمال عظمة الخالق وجليل قدرته، أما ما يزعمون من أنه استواء مكان فالله خالق المكان ومالكه وهو منزه عن المكان والمكان محدود مهما كبر والله تعالى كما أنه لا حد لصفاته من العلم والقدرة وغيرها فلا حد لذاته، وأما ما يزعمون من أنه استواء استقرار فهو باطل لأن الله عز وجل منزه عن التغير والحدوث، والاستقرار يوحي بمعنى الحاجة وهل يحتاج الله لمخلوق حتى يستقر عليه وقبل الاستقرار أخبرونا ماذا كان حاله تعالى الله عما يقولون علوا كبيراً، والتمدح لا يكون بالكون في المكان ولا بالاستقرار ولكن ببيان صفات القدرة والعظمة وهذا هو مقصود آيات القرآن، قال تعالى: {**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**} **[يونس 3]، والمفتاح: الاستواء في الآية استواء ربوبية وتدبير وقهر لقرينته افتتاح الآية بالتذكير بالربوبية في قوله إن ربكم، ثم ذكر التدبير بعد الاستواء مباشرة للدلالة على أنه استواء تدبير للمملكة التي تشمل السموات والأرض لا استواء جلوس كما تقوله الحشوية، فقوله تعالى: (يدبر الأمر) جرى مجرى التفسير لقوله: (استوى على العرش) على أنه استواء تدبير وربوبية، على أن المدح لا يكون بمجرد الجلوس إذ المخلوق موصوف بالجلوس والإتكاء ولكن المدح والثناء يكون بذكر الربوبية والقهر والهيمنة والتدبير، وقال تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [الحديد: 2 إلى 5]، والمفتاح: الاستواء هاهنا استواء ملك وربوبية وتدبير لقرينة الخلق في قوله تعالى {خلق السموات والأرض}، ثانيا: جمعه تعالى بين الاستواء والمعية في آية واحدة مما يدل دلالة قطعية على أن الاستواء ليس بمعنى الاستقرار المكاني وإلا نافى (المعية)، وليست المعية بأجدر بالتأويل من الاستواء، فإنّ تأويل المعية بمعية العلم والسمع والبصر، ليس بأولى من تأويل الاستواء بالربوبية والهيمنة والتدبير والتصريف، والمنهج الصحيح السوي يقتضي تأويل الجميع، بمعنى حمل الجميع على المجاز اللغوي، فلا القرب قرب الذات، ولا الاستواء استواء الذات بالمعنى الحسي الذي يلائم المخلوق ولا يلائم الخالق، أو التفويض في الجميع، قرب ليس كمثله شيء، واستواء ليس كمثله شيء، لأنّ الله تعالى ليس كمثله شيء، ولم يكن له كفوا أحد، وقد يتمسك الحشوية بالمتشابهات،** في اثبات الفوقية الحسية من **فهمهم السقيم لقوله تعالى: {يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ} [النحل: 50]، وفي الآية مجاز حذف والمراد يخافون عذاب ربهم من فوقهم، وذلك لأنّ العذاب إنما ينزل من**

فوقهم، والدليل على ذلك قوله تعالى: {قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ} [الأعراف: 127]، وليست الفوقية هاهنا هي ارتفاع المكان، فلم يكن فرعون على أكتاف بني اسرائيل، أو من فهمهم السقيم لقوله تعالى: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ} [فاطر: 10]، وهو مجاز عن قبول الأعمال الصالحة لأنّ الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا، فهو يقبل الكلم الطيب، أو من فهمهم السقيم لقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ} [الأعراف: 206]، المراد من العندية هو عندية القرب من الله تعالى بالزلفى والرضا والمكانة لا عندية المكان لتنزه الله تعالى عن الكون في الأماكن، القرب في الآيات عائد إلى الرتبة والمنزلة والحظوة والدرجة الرفيعة والمكانة لا إلى المكان، أو من فهمهم السقيم لقوله تعالى: {أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ} [الملك: 16]، الآية لها معني عديدة ولا يجوز اعتقاد متشابه تلك المعاني ولابد من ردها إلى محكمها وفهمها في اطار المحكم، فقد يكون المعنى: أأمنتم من في السماء، أي في العلو إشارة إلى المكانة والصفات لا الحيز والمكان،، لأنّ السماء تأتي في اللغة العربية لغة القرآن على معنى العلو، والعرب تقول: فلان في السماء، أي في أعلى المراتب، وليس معنى أأمنتم من في السماء أي في السماء مكانه، لما تقدم من محدودية السماء، والله تعالى لا حد له، والسماء خلق من خلق الله تعالى، والله منزه عن الحلول في شيء من خلقه، وقد اجمع أهل الأصول المتخصصين في العقيدة على تنزيه الله تعالى من المكان، لو أريد معنى على السماء، لكان اللفظ أفخم وأعظم فإن قوله من على السماء أفخم وأعظم من قوله: {من في السماء} لو اريد علو المكان، ولذا قال **القاضي عياض: (لا خلاف بين المسلمين قاطبة محدثهم وفقيههم ومتكلمهم ومقلدهم ونظارهم أن الظواهر الواردة بذكر الله في السماء كقوله (ءأمنتم في السماء) أنها ليست على ظاهرها وأنها متأوله عند جميهم) أهـ [إكمال المعلم: ج2ص465]**، ولكن ماذا نفعل وقد ابتليت الأمة بأهل الحشو الذين يدعون المحكم ويلهثون خلف المتشابه الذي حذرنا كتاب الله من تتبعه بقوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ}، وقد علمنا حبر الأمة الذي دعا له الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بقوله (اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل)، أن حمل المتشابهات وان نردها إلى أمهاتها من المحكمات، ولذا كان يقول رضي الله عنه أنا من الراسخين في العلم الذين يعلمون المتشابه، ولما سئل عن قوله تعالى: {يوم يكشف عن ساق}، كان

من قوله: يكشف عن شدة وكرب، تقول العرب: كشفت الحرب عن ساقها، ولا ساق لها وإنما هو الكرب والشدة، **وقد يتمسك الحشوية وتعلو أصواتهم بحديث (أين الله) في صحيح مسلم**، وحديث الجارية له روايات عديدة مضطربة، فيها من الاختلاف الكثير، فقد جاءت روايات الحديث بثلاثة ألفاظ مختلفة صحيحة، الأولى بلفظ (أتشهدين ان لا إله إلا الله) والثانية بلفظ (من ربك) واللفظ الثالث مختلف عنهما يسأل عن المكان بلفظ (أين الله) لإثبات الإيمان، وقد أشار إلى اختلاف ألفاظ الحديث الكثير من الحفاظ منهم: الامام الحافظ البيهقي في كتابه الأسماء والصفات للبيهقي ص (422)، والحافظ ابن حجر العسقلاني: قال " وفي اللفظ مخالفة كثيرة " اهـ [التلخيص الحبير 3: 223]، وخلاصة الأمر: أن الحديث جاء صحيحا بلفظ (أتشهدين ان لا إله إلا الله) رواه الإمام مالك وغيره بسند صحيح وهو أكثر الروايات موافقة لأصول الشريعة في إثبات الإيمان بالشهادتين، وجاء بلفظ (من ربك) وهو كذلك موافق لأصول الشريعة في إثبات الإيمان، أخرجه أبو داود والنسائي والدارمي والإمام أحمد وابن حبان، والرواية الثالثة بلفظ (أين الله)، أخرجها الإمام مسلم، والروايات السابقة جميعها تفيد بأن القصة واحدة وأنها قد رويت بالمعنى وان بعض رواتها قد تصرف في ألفاظها، إذن قد يكون اللفظ (أين الله) هو من تصرف أحد الرواة على حسب فهمه للواقعة، وبالتالي يوجد هناك احتمال قائم بأنه ليس لفظ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، كما أنّ لفظ (أين الله) مخالف لما تواتر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان إذا أتاه شخص يريد الإسلام أمره أن ينطق بالشهادتين من غير أن يسأله هذا السؤال أو نحوه، وكذلك فهو مخالف لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان إذا بعث بعض أصحابه للدعوة إلى الإسلام أمرهم أن يأمروا الناس أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من غير أن يأمرهم أن يبينوا لهم أو يسألوهم عن المكان، كما أنّ لفظ (أين الله والجواب بأنه في السماء) لا يثبت توحيداً ولا ينفي شركاً وذلك لأن بعض المشركين يعترفون بوجود الله وكذا النصارى واليهود ومع ذلك يشركون معه في الألوهية غيره، كما أنّ لفظ (أتشهدين أن لا إله إلا الله) هو الموافق للأصول المتفق عليها بين المسلمين بأن من نطق بالشهادتين وصدق بما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقد دخل الإسلام فإذا صحت رواية (أتشهدين أن لا إله إلا الله) وهي صحيحة لا غبار عليها وجب ترجيحها على سائر الروايات والله أعلم، (تنبيه) من قال بصحة حديث الجارية بلفظ (أين الله) وكان على مذهب أهل السنة والجماعة في التقديس والتنزيه فإنّه حمل لفظ (أين الله) على أنه سؤال عن المكانة والمنزلة أي أين مكانة الله عندك فأشارت إلى السماء أو قالت في السماء

أي رفيع القدر والمنزلة، فحديث الجارية بلفظ (أين الله) عند أهل السنة من المتشابه الذي مخرجه طريقان لا ثالث لهما: أحدهما: الإيمان به من غير خوض في معناه مع اعتقاد أن الله تعالى ليس كمثله شيء وتنزيهه عن سمات المخلوقات، والثاني: حمله على محكمات الشريعة التي تدل على تنزيه الله تعالى عن المكان والحد والمقدار، فيكون معناه السؤال بالأين عن المكانة وليس المكان، وهذا معروف في اللغة: نقول اين أنت من علم فلان، واين الثرى من الثريا، والحاصل أنه لا توجد أدنى مشكلة في قبول جميع الروايات عند علماء أهل السنة ولكن المشكلة تكمن في الأفهام السقيمة لهذا الحديث والتي تبتغي فتنة المسلمين عن صفاء عقيدتهم إلى الحشو والتكييف والتجسيم،

**[المفتاح الرابع]: تنزيه ذات الله تعالى عن الحدوث أو الفناء، وتنزيه ذات الله تعالى عن حلول الحوادث بذاته تقدس وتعالى لأنها صفات المخلوق:** (أ) الله تعالى هو الأول الآخر القديم الباقي، **لا يقبل الحدوث أو التغير أو الأفول، وكل ذلك نقص يتنزه عنه جناب القديم بذاته وأسمائه وصفاته، ولو قبل الحدوث لم يُؤمن عليه من الفناء، ولو قبل الحدوث لكان جزء منه حادث، والحادث مخلوق، والخالق منزه عن أن يكون شيء منه مخلوق، والقديم منزه عن أن يكون شيء منه حادث، وهو الأحد الذي** لا تتجزأ ذاته، **كما أن الحوادث نقص يضاد الكمال المتمثل في القدم الذاتي للذات** والأسماء والصفات، **فهو سبحانه الأزلي القديم بجناب ذاته، منزه عن الحدوث إذ ليس لوجوده ابتداء، وهو سبحانه الأبدي الباقي بجناب ذاته إذ ليس لوجوده انتهاء،** هو **الأول فليس قبله شيء، متصف سبحانه بالأولية في ذاته وصفاته، ومعنى الأولية أنه سبحانه أزلي لا يقبل ذاته تغيرا أو حدوثا ويستحيل عليه قبول الحوادث لأن التغير والحدوث وحلول الحوادث نقص يتنزه عنه كمال الذات، ويوجد في الحديث الصحيح ما يدل على اسمه القديم، ففي سنن أبي داود من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم أَنَّهُ كَانَ إِذَا دَخَلَ المَسْجِدَ قَالَ: (أَعُوذُ بِاللَّهِ العَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الكَرِيمِ، وَسُلطَانِهِ القَدِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) [أخرجه أبو داود ح (466)، وصححه الالباني في صحيح أبي داود وقال: وهذا إسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات]، والسلطان القديم لا يكون إلا لمن** كان قديم الذات والأسماء والصفات، هو الحي الذي لا يموت، له سبحانه كمال الحياة، فهي حياة أزلية ذاتية ليس لها ابتداء (الاول فليس قبلك شيء)، وهي حياة أبدية ذاتية باقية ليس لها انتهاء (الآخر فليس بعدك شيء)، (ت) تنزيه الله تعالى عن التغير والحدوث هو الدليل الذي استعمله نبي الله إبراهيم عليه السلام في إثبات عدم ألوهية الشمس والقمر والكواكب،

**قال في حق الكوكب: {فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ} [الأنعام: 76]، أي لا يصلح المتغير الآفل أن يكون إلها، ثم قال في حق القمر: {فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ}، ثم قال في حق الشمس: {فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ}،** فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ} **قال المفسرون:قال ذلك لقومه تنبيها لهم على أن الكواكب والقمر والشمس لتغير حالها لا يصلح للإلهية وأن من اتخذها آلهة فهو ضال، وتنبيها لهم أن الله دائم لا يزول، وأن الزوال نقص لا يصلح للإله المتصف بالكمال وأن (الآفلين) أي الأرباب المنتقلين من مكان إلى مكان المتغيرين من حال إلى حال فإنهم بمعزل من استحقاق الربوبية والإلهية، وتنبيها على أن من غاب بعد الظهور كان حادثا مسخرا وليس برب أزلي أول ليس بمحدث، منزه عما لا يليق بذاته الأقدس من لوازم الإمكان ولواحق التغير والحدوث، ولهذا تبرأ من آلهتهم بقوله عليه السلام في سورة الأنعام: {يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [الأنعام: 78، 79]، ولهذا اتفق العارفون بأصول الدين وقواعد التنزيه بأن ما قبل الحوادث فهو حادث، وانه ليس في ذات الله تعالى محدث ولا مخلوق لأنه الأول الخالق سبحانه، كما أنّ قبول الحوادث ينافي الأولية والأزلية التي يتصف بها ذات الله تقدس وتعالى، وينافي كمال الذات والصفات، فإن الكمال المطلق لا يقبل الزيادة ولا النقصان، لأنه لو قبل الزيادة كان قبل الزيادة نقصا ولو قبل النقص لم يكن إلها له كمال الذات والصفات، (د)** كل ما يقوله غير المتخصصون في العقيدة عن حلول الحوادث بذات الله جهل عظيم بالله تعالى وبالواجب والجائز والمستحيل في حق الله سبحانه، ومحاذير قولهم عظيمة، منها: أنهم يزعمون أن ذات الله تعالى تقبل الحوادث وهذا معارض بأحدية الذات فإن الله (أحد صمد) لا تتجزأ ذاته ولا تقبل شيئا محدثا فيها، ومنها أنّ القول بقبول ذات الله (سبحانه) للحادث مرادف للقول بقبول الذات للمخلوق لأن الحادث مخلوق وكل ما لم يكن ثم كان فإنه مخلوق لا معنى له إلا ذاك، فهل يقبلون بهذا القول الفاحش الذي يؤول إلى القول بالإتحاد والحلول للمخلوق والخالق سبحان الله عما يصفون، ومنها أنّ القول بقبول ذات الله (سبحانه) للحادث ما هو إلا تكييف لذات الله تقدس وتعالى بقياسها على ذات المخلوق، حيث أن المخلوق لا يقوم بعمل في الخارج إلا إذا حدثت الإرادة في الداخل، وهذا حال المخلوق لأنه كله محدث يقبل الحوادث، فهل يجوز قياس حالة الخالق الأزلي الذي ليس كمثله شيء على حالة المخلوق الحادث، وهل يجوز عند اولى الألباب قياس إرادة الله الأزلية القديمة على إرادة المخلوق المحدثة المخلوقة، سبحانك هذا بهتان عظيم، **وقد يتمسك الحشوية وتعلو**

**أصواتهم بحديث** (النزول) في صحيح البخاري]، وللرد عليهم نقول: للنزول في القرآن معان متعددة لابد من فقهها: منها قوله تعالى: {وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ} [سورة الزمر]، ولم نر جملا نازلا من السماء، وقوله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ} [سورة الحديد]، والحديد يستخرج من باطن الأرض ولم نر معدن الحديد ينزل على هيئة سبائك من السماء، وللنزول الحقيقي الذي يتبناه أهل الحشو لوازم فاسدة: من تلك اللوازم: (اللازم الأول) الحلول في السماء، وقد أجمع علماء أهل السنّة والجماعة على تنزيه الله تعالى عن الاتحاد والحلول، (اللازم الثاني) الصعود بعد النزول بمعنى أن يكون أسفل العرش ثم يصعد، وهو محال على العلي العظيم، ووصف الله تعالى بالسفل كفر وضلال، (اللازم الثالث) النتيجة الحتمية لدوران الأرض حول نفسها وحول الشمس دوام ثلث الليل في الارض بمجموع أماكنها وتجدد ثلث الليل على أهل الأرض مع اللحظات شيئا فشيئا، فلو كان النزول حقيقيا فيلزم انتقاله إلى السماء الدنيا في كل لحظة وحين، (اللازم الرابع) النزول الحقيقي يستلزم التغير والحدوث والحركة والسكون والقيام والجلوس، وهذه كلها محال نسبتها إلى الله المنزه عن الجسمية ولوازمها عند اهل الأصول المتخصصين في العقيدة، (خ) حل إشكالية حديث النزول: أخرج النسائي حديث النزول بلفظ: (إن الله عز وجل يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر مناديا فيقول هل من داع يستجاب له هل من مستغفر يغفر له هل من سائل يعطى)، وهذا اللفظ هو المحكم، ولفظ حديث البخاري ومسلم متشابه، وعند علماء الأصول يلزم حمل المتشابه على المحكم، وعلى ذلك فإنّ النازل ملك من الملائكة يُنادي باسم الله تعالى، وقد فسر الكثير من العلماء حديث البخاري بحديث النسائي، وقالوا المراد بالنزول نزول الملك إلى السماء الدنيا فينادي بأمر الله، **وإما أنه مجاز** بمعنى التلطف بالداعين والإجابة لهم ونحو ذلك كما يقال نزل البائع في سلعته إذا قارب المشتري بعدما باعده وأمكنه منها بعد منعه، والمعنى هنا أن القرب في هذا الوقت أقرب إلى رحمة الله منه في غيره من الأوقات وأنه تعالى يُقبِلُ عليهم بالتحنن والعطف في هذا الوقت بما يُلقيه في قلوبهم من الخشوع والتدبر، وقد قال الشافعي حدثت أهل مصر فلم يفهموا كلامي فنزلت ثم نزلت ثم نزلت حتى يفهموا كلامي، وليس معنى ذلك أنه نزل من مكان عال إلى مكان أسفل ولكنها البلاغة،

**[المفتاح الخامس]: تنزيه ذات الله تعالى عن الجسمية التي تتصف بها ذات المخلوق:** (أ) (الجسم) هو الشيء المؤلف المركب من أجزاء، وكلما كثرت تآليف ذلك الشيء وزاد حجمه كان

أجسم من غيره، قال تعالى {وزاده بسطة في العلم والجسم}، ومن خصائص الجسم أنه مكون من أجزاء وأن له طول وعرض وعمق وحجم ومقدار يكسبه وصف الجسم، ومن خصائص الأجسام كذلك أنها محدودة متحيزة ومهما كبر حجمها فلا بد لها من حد تنتهي إليه وحيز يحصرها ومكان يحيط بها، وبالجملة فإن الجسمية دليل على كون صاحبها مخلوق محدود مقدر، ويستحيل وصف ذات الله تعالى بها ولهذا تواترت أقوال علماء الأمة على نفي الجسمية عن الله سبحانه ماعدا شرذمة حقيرة من أهل التجسيم، الجاهلين بما يستحيل وصف الله تعالى به من النقائص والعيوب التي تنزه الله عنها، (ب) الجسمية تعني التكون من أجزاء والله تعالى أحد صمد منزه عن الأجزاء والأعضاء لا يخالف في ذلك إلا مجسم غير عارف بالله سبحانه، والجسمية تعني قابلية الانقسام والله تعالى أحد صمد منزه عن الانقسام لأن الانقسام دليل الخلق والنقص والحدوث والله تعالى هو الأحد الذي لا يتجزأ وهو الصمد الذي لا ينقسم وهو الأول المنزه عن الحدوث وهو الخالق لكل محدث، (ث) الجسمية تعني الاحتياج لأن الجسمية تتآلف من أجزاء وكل جزء يحتاج إلى الآخر والله تعالى هو الغني له كمال الغنى منزه عن النقص و الحاجة، (ج) الجسمية تعني مماثلة الأجسام والله تعالى ليس كمثله شيء ولم يكن له كفوا احد، فهو سبحانه منزه عن الجسمية لقوله تعالى {ليس كمثلِهِ شيء} [سورة الشورى:11] ولو كان جسما لكان مثلا لسائر الأجسام،

**[المفتاح السادس]: تنزيه ذات الله تعالى عن الصورة والشكل الذي تتصف به ذات المخلوق]:**

(أ) ذات الله سبحانه منزه عن الصور والتخطيط والتركيب لأن الله تعالى هو المصور وجلّ المصوِرُ أن يكون مُصَورَاً وتعالى عن ذلك علوا كبيرا، لأن الهيئة والصورة والتركيب والتأليف كل ذلك إنما يصح على الأجسام المحدودة والجواهر المخلوقة، (ب) الصور لا تنتج إلا عن تأليف وتركيب والتركيب يستحيل على الله تعالى، وصاحب الصورة لا يختص بصورة إلا بمخصص، والمخصص هو الله تعالى المصور، وهو تعالى يصور مخلوقاته كيف شاء، وكل ما له صورة فهي علامة على كونه مخلوق مصور صوره خالقه، والله تعالى هو (المصور) خالق الصور (ليس كمثله شيء)، (ت) الصورة تقتضي الكيفية، وهي عن الله تعالى وعن صفاته منفية، لذلك فإن الذي يجب علينا وعلى كل مسلم أن يعلمه أن ربنا ليس بذي صورة ولا هيئة، وكل ما ورد في الشرع مما يوهم الصورة والشكل فهو محمول على الصفة وليس الصورة بمعناها في اللغة من الأشكال والالوان والتخاطيط مما يدل على الخلق والحدوث، **وقد يتمسك الحشوية وتعلو أصواتهم بحديث**

**الصورة: (خلق الله آدم على صورته) ومفاتيح الفهم الصحيح للحديث:** (المفتاح الأول): قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعا) معناه أنّ الله تعالى لم يخلق آدم على مراحل كما هو خلق بني آدم، نطفة فعلقة فمضغة فجنين فمولود فطفل فصبي وهكذا حتى البلوغ واكتمال النمو، وإنما خلقه على هيئته الكاملة التامة بالغاً طوله ستون ذراعا، وهذا يدل يقيناً على أنّ الضمير في قوله صلى الله عليه وآله وسلم (على صورته) يعود على آدم عليه السلام وأنّه خلق مكتمل البنية ولم يمر بمراحل النمو المسبقة كما يحدث لبني آدم، (المفتاح الثاني): قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته) معناه عدم اهانة الوجه، لأنّ الله تعالى كرّم وجه ابن آدم، فمن أهان الوجه أو ضرب الوجه أو قاتل الوجه أو قبحه، فكأنما قبّح وجه أباه آدم عليه السلام، وهو نبي مكرم لا يجوز اهانته، ومنه يتبين أنّ الضمير في قوله صلى الله عليه وآله وسلم (على صورته) يعود على المضروب وأنّ وجهه يشبه وجه آدم عليه السلام، وهذا قول الحافظين: ابن حجر وابن خزيمة، (المفتاح الثالث): إضافة الصورة إلى الله تعالى إضافة تشريف كما في قول الله تعالى: {إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} [ص: 71، 72]، فقد أضاف الله تعالى الروح إلى نفسه، وأجمع أهل الإسلام على أنها روح مخلوقة خلقها الله تعالى وأضافها إليه إضافة تشريف، وهكذا هاهنا فإن إضافة الصورة إلى الله تعالى إضافة تشريف، (المفتاح الرابع والأكيد بعد المفاتيح السابقة): وهو حمل المتشابه على المحكم، وهذا ما أمرنا الله تعالى به في قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ} [آل عمران: 7، 8]، في آية آل عمران السابقة وصف الله تعالى متتبعي المتشابه بأن في قلوبهم زيغ يتتبعون المتشابه ابتغاء الفتنة وهي الخلاف والفرقة بين المسلمين، وطريقة أهل السنة في المتشابه: رد المتشابه إلى أمه وأصله، وهو المحكم، وحمل الأقوال المتعارضة على محاملها الصحيحة، والمحكم الذي نرد إليه متشابه هذا الحديث هو الأدلة القطعية على تنزيه الله تعالى عن الصورة والتخطيط والتركيب لأن الله تعالى هو المصور وجلّ المصوِرُ أن يكون مُصَورَاً وتعالى عن ذلك علوا كبيرا، لأن الهيئة والصورة والتركيب والتأليف كل ذلك إنما يصح على الأجسام المحدودة والجواهر المخلوقة، ولأنّ الصور لا تنتج إلا عن تأليف وتركيب والتركيب يستحيل على الله تعالى، وصاحب الصورة لا يختص بصورة إلا بمخصص، والمخصص هو الله تعالى المصور، وهو تعالى يصور مخلوقاته كيف شاء، وكل

ما له صورة فهي علامة على كونه مخلوق مصور صوره خالقه، والله تعالى هو (المصور) خالق الصور (ليس كمثله شيء)، فذاتُه سبحانه لا يشبه الذواتِ ولا صفاتُه تشبه الصفاتِ، تنزه عن الصور والأشكال، فكيف نتوهم أنّه على صورة آدم، تنزه الخالق عن مشابهة المخلوق، **وأما حديث القيامة الطويل في جمع الله الناس إلى قوله: (فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا) الحديث إلى قوله: (فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون فيقول أن ربكم فيقولون أنت ربنا) الحديث، فهم لا يعرفون صورة مسبقة، والأدلة العقلية والنقلية تحيل الصورة التي هي التخطيط على الله تبارك وتعالى فوجب صرفها إلى مما هو مستعمل في لغة العرب وهو الصفة والحالة يقال كيف صورة هذه الواقعة وكيف صورة هذه المسألة وفلان من العلم على صورة كذا وكذا فالمراد بجميع ذلك الصفة لا الصورة التي هي التخطيط، فعلى هذا الصورة هنا بمعنى الصفة، وتكون في الصورة التي أنكروها أولا أنه أظهر لهم شدة البطش والبأس والعظمة والأهوال والجبروت وكان وعدهم في الدنيا يلقاهم في القيامة بصفة الأمن من المخاوف والبشرى والعفو والإحسان واللطف فلما أظهر لهم غير الصفة التي هي مستقرة في نفوسهم أنكروها واستعاذوا منها، وقوله فإذا أتانا ربنا عرفناه أي بما وعده من صفة اللطف والرحمة والإحسان ولذلك قال: فيكشف عن ساق أي ويتجلى عليهم الرحمن بصفات الرحمة والرأفة فيسجدون شكرا له،**

**[المفتاح السابع]: تنزيه ذات الله تعالى عن الجوارح والأجزاء والأعضاء التي تتصف به ذات المخلوق]:** (أ) أجمع أهل القبلة عدا المجسمة والمشبهة على تنزيه الله تعالى عن الأجزاء والأعضاء والجوارح تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، قال تعالى: {قل هو الله أحد} (الإخلاص: 1)، وقال تعالى: {والله الغني وأنتم الفقراء} (محمد: 38) ولو كان مركباً من الأجزاء والأبعاض لكان محتاجاً إليها وذلك يمنع من كونه غنياً على الإطلاق، فثبت بهذه الوجوه أن القول بإثبات الأعضاء والأجزاء لله محال، ومن أبرز الادلة على تنزيه الله تعالى عن الأعضاء والأجزاء، قوله تعالى (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) قوله تعالى (أحد) ولفظ الأحد مبالغة في الوحدة، وذلك ينافي كونه مركباً من الأجزاء والأبعاض، والأحدية تدل على نفى الأجزاء المتمثل في نفي التركيب والتأليف في الذات فلو كان تعالى مركبا من جوارح وأجزاء لم يكن أحدا، لأن أجزاؤه توجب وقوع الكثرة في ذات الله تعالى والكثرة تنافي الأحدية في ذات الله، وقوله تعالى

(الله الصمد) الصمدية كذلك تدل نفي الجارحة والأجزاء على الله بدليل: أن كل جسم فهو مركب، وكل مركب فهو محتاج إلى كل واحد من أجزائه وكل واحد من أجزائه غيره، فكل مركب فهو محتاج إلى غيره والمحتاج إلى الغير لا يكون غنياً محتاجا (إليه) فلم يكن صمداً مطلقاً وكذلك لو كان سبحانه مركباً من الجوارح والأعضاء لأحتاج في الإبصار إلى العين وفى الفعل إلي اليد وفى المشي إلي الرجل وذلك ينافى كونه صمداً مطلقاً له كمال الغني ونفي الاحتياج، وقوله تعالى (ولم يكن له كفوا أحد) نفي للمثلية كقوله تعالى (ليس كمثله شيء) ولو كان مركبا من أجزاء وجوارح لكان مثلاً لسائر المخلوقات المركبة من أجزاء وجوارح، وقوله تعالى (والله الغنى وأنتم الفقراء) دلت هذه الآية على كونه تعالى غنى ولو كان مركبا من أجزاء وجوارح لما كان غنياً لأن كل جسم مركب وكل مركب محتاج إلى كل واحد من أجزائه، **وقد يتمسك الحشوية وتعلو أصواتهم بآيات ذكر فيها الوجه واليد والعين في القرآن الكريم]، وللرد على جهل هؤلاء، أقول: أجمع أهل القبلة عدا المجسمة والمشبهة على تنزيه الله تعالى عن الأجزاء والأعضاء والجوارح تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وأجمعوا على أنّ الوجه والعين واليد مما جاء ذكره في القرآن الكريم ليس من باب الأجزاء والأبعاض في جناب ذات الله، ومن اعتقد ذلك فهو مجسم مشبه ضال،** والمتدبر لآيات القرآن يعلم يقينا أن الوجه يستعمل فيه في مجازات متعددة لا يمكن إنكارها ومثالها: **قوله تعالى {**وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُواْ بِالَّذِيَ أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُواْ آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [آل عمران: 72]، فهل للنهار وجه على الحقيقة _ والوجه إذا قيل له على الحقيقة قصد به الجارحة المعروفة _ وهل تفيد الآية إثبات الوجه للنهار أم أنه المجاز البلاغي الذي يستعير للنهار لفظ الوجه للدلالة على أول النهار، كما أن العرب تستعمل الوجه في معانٍ كثيرة، فيقولون هذا الرجل وجه الناس ويقصدون المقدم فيهم والمفضل عندهم، ومنه قوله تعالى (وكان عند الله وجيها) أي ذا منزلة عند الله، ويقولون وجه الثياب ويقصدون أفضله وأجوده، ويقولون وجه الصواب وعين الصواب ولا يقصدون أن للصواب وجه أو عين، وكذلك **قوله تعالى: {**ذَلِكَ أَدْنَى أَن يَأْتُواْ بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا}[المائدة: 108]، فهل للشهادة وجه وهل تفيد الآية إثبات الوجه للشهادة أم أنه المجاز البلاغي الذي يستعير للشهادة لفظ الوجه للدلالة على صحة الشهادة وحقيقتها ووجهها الذي كانت عليه، **وكذلك قوله تعالى: {**اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ} [يوسف: 9]، وعلى نفس منوال الآيات السابقات هل يقصد أخوة يوسف خلو وجه أبيهم عليه السلام، وكيف يخلو هذا الوجه؟ ومن أي شيءٍ يخلو؟ اللهم إلا أن يراد بسياق الكلام معنى آخر وهو فراغ أبيهم

لهم وإقباله عليهم وتوجهه بكليته إليهم ولا يلتفت عنهم إلى غيرهم، **وقوله تعالى** (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) [الحج: 11]، وانقلاب الإنسان على وجهه هاهنا هل يراد به معناه اللفظي وأنه متى ما وقع إنسان وانقلب على وجهه (الجارحة المعروفة)خسر الدنيا والآخرة، أم المقصود الذي لا ريب في صحته هو ردته عن دينه وتراجعه عن إيمانه بقرينة خسران الدنيا والآخرة، وكذلك **قوله تعالى** {بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}[البقرة: 112] ، **فهل المقصود إسلام الوجه، أم الذات كله، لا شك أن المقصود الذات،** لان إسلام القلب إلى الله تعالى أعظم من إسلام الوجه فالإيمان والتقوى والإخلاص مقرها القلب وكذلك فإن على بقية الجوارح تكاليف وعبادات، وهذا يدلنا على أن التعبير بإسلام الوجه تعبير مجازي يطلق الجزء ويريد الكل فلا يراد به قصر التوجه على الوجه وحسب وإنما توجه الكل إلى الله، أو أن المراد إخلاص النية والتوجه إلى الله، **(قلت):** وهكذا نجد تواتر حمل المفسرين الوجه في الآيات على الذات أو القصد، وعلى نفس المنوال ينبغي حمل قوله تعالى {كل شيء هالك إلا وجهه} وقوله تعالى {ويبقى وجه ربك ذي الجلال والإكرام} على الذات أو ما قصد به ذات الله تعالى من العمل الصالح، إذ لا يعقل لذي لُب أن الهلاك سيلحق بالذات ولا يبقى إلا الوجه سبحانك هذا كفر عظيم، إذن لابد من إعادة النظر في معنى الآية وأنها تدل على بقاء الله تعالى وأنه لا معنى للوجه في سياق الآيات سوى ما تواترت عليه أقوال العلماء وأنه الذات أو ما قصد به الذات من الأعمال الصالحة، **[مجاز اليد في القرآن]: والمتدبر لآيات القرآن يعلم يقينا أن اليد تستعمل فيه في مجازات متعددة لا يمكن إنكارها ولا على سبيل المكابرة ومثالها، قوله تعالى: {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَواْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ * فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ}، فهل للقرية يدين؟ وهل تفيد الآية إثبات اليدين للقرية لأنها جاءت بتثنية اليد أم أنه المجاز البلاغي الذي يستعير للقرية لفظ اليدين للدلالة على إحاطة العبرة لجميع ما حول القرية من أمامها وخلفها، وقوله تعالى (نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ}، هل تفيد الآية إثبات اليدين للقرآن لأنها جاءت بتثنية اليد أم أنه المجاز البلاغي الذي يستعير للقرآن لفظ اليدين للتأكيد على تصديق القرآن للتوراة والإنجيل وأنهم جميعا من مشكاة واحدة؟، وقوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ}، هل للرحمة يدين؟، وهل تفيد الآيات إثبات اليدين للرحمة لأنها جاءت بتثنية اليد أم أنه المجاز البلاغي الذي**

يستعير للرحمة لفظ اليدين للتأكيد على شمول رحمة الله تعالى لكافة خلقه، وقوله تعالى {إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ}، هل للعذاب يدين؟، وهل تفيد الآية إثبات اليدين للعذاب لأنها جاءت بتثنية اليد أم أنه المجاز البلاغي الذي يستعير للعذاب لفظ اليدين للتأكيد على قرب العذاب، وقوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً}، هل للنجوى يدين؟، وهل تفيد الآية إثبات اليدين للنجوى لأنها جاءت بتثنية اليد أم أنه المجاز البلاغي الذي يستعير للنجوى لفظ اليدين للدلالة على تقديم الصدقة قبل بدء النجوى مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وقوله تعالى: {وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ}، وقوله تعالى: {وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ}، والمعلوم أن البشر جميعاً ذووا أيدي فهل المراد من الآيات مدح الأنبياء بوجود الأيد التي هي الجوارح أم أن المقصود بالأيدي في الآيات هو جدهم وتشميرهم للعبادة والطاعة واستعير لذلك بلفظ الأيدي لأنها عادة موضع القوة والجد والعمل، وقوله تعالى: {وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}، وقوله تعالى: {فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ}، وقوله تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}، (قلت): توضح الآيات الكريمات السابقات أن ما أصابهم من السوء منوط بما كسبت أيديهم، ومعلوم أن كسب القلب أعظم فالكفر والتكذيب والعناد والنفاق مقره القلب وكذلك فإن لبقية الجوارح كسب يسبب العذاب كالأرجل والأعين والآذان، وهذا يدلنا على أن التعبير بالأيدي تعبير مجازي يطلق الجزء ويريد الكل فلا يراد به قصر سبب العذاب والهلاك على ما جنته الأيدي وحسب وإنما المراد (بما كسبتم وكسبت أنفسكم)، وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}، ومعلوم يقيناً أن الأسرى ليسوا في يد الرسول ولا في أيدي الصحابة، وإنما المقصد من تحت حكمكم من الأسرى وعبر عن هذا الحكم باليد لأنها موضع الإمساك والتحكم، ومثاله (وما ملكت أيمانكم) وسيأتي إن شاء الله عند ذكر اليمين، وقوله تعالى: {أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ}، ومعلوم أن النكاح ليست له عقدة وأن هذه العقدة بيد ولي الأمر، فهذا لا يقوله عاقل، وإنما المعنى من له الولاية على النكاح حتى وإن كان مقطوع اليدين، فلا علاقة للآية بإثبات عقدة ولا يد وإنما هو الأسلوب البلاغي الذي يوصل المعنى في أجزل عبارة وأدق معنى، وقوله تعالى: {الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ

الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}، ويستحيل أن يكون المراد من الآية المعنى الظاهر للقبض وهو ضم أصابع اليد، ولكن المعنى المفهوم من القبض هاهنا البخل بالنفقة في الطاعة وفي سبيل الله، وكني عن البخل بالقبض على طريقة بلاغة العرب في التوسع في استعمال المجاز والكناية لتأكيد معنى البخل عند المنافقين، وقوله تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاء}، فإن بلغاء العرب يعلمون أن الوصف بغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ومنه قوله تعالى آمراً نبيه صلى الله عليه وآله وسلم (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط) فليس الأمر على حقيقته اللفظية ولم يكن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مأمورا بعدم غل اليد أو بسطها على الحقيقة ولم يقل بذلك عاقل، وإنما الأمر بالقصد في الإنفاق، وهكذا هاهنا، فالمقصود من غل اليد وبسطها المجاز عن محض البخل والجود من غير قصد في ذلك إلى إثبات يد أو غل أو بسط، ومعنى الآيات: أن اليهود لعنهم الله عز وجل قالوا على جهة الوصف بالبخل يد الله مغلولة فرد الله تعالى عليهم بقوله (بل يداه مبسوطتان) معناه أي كلا ليس كذلك بل هو في غاية ما يكون من الجود والإنعام، فإن قيل لم ثنيت اليد في قوله تعالى {بل يداه مبسوطتان}؟ قلت: ثنيت اليد ليكون أبلغ وأدل على إثبات غاية السخاء له ونفى البخل عنه، فإن أقصى ما ينتهي إليه همم الأسخياء من الوصف بالمبالغة في الجود والإنعام أن يعطوا ما يعطونه بكلتا يديهم، فالآية من باب البلاغة ومن نظر في علم البيان والبلاغة لا يصعب عليه تصور ذلك أبدا، وقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} [الفتح: 10]، المعنى أن عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله تعالى من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله، وقوله تعالى: {قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ} الآية لم تأت لإثبات جارحة لله تعالى عن ذلك لأنه نقص يتنزه الأحد الصمد القيوم الغني عنه، لأن الجارحة تعني الجزء والتجزؤ يضاد الأحدية التي تعني نفي التبغض ويضاد الصمدية التي تعني كمال الغنى لأن المتجزىء يحتاج إلى جزئه، والله تعالى صمد له كمال الصمدية قيوم له كمال القيومية غني له كمال الغنى، وإنما سياق الآية يشير إلى ما فضل الله تعالى به آدم عليه السلام، من خلقه في أحسن تقويم وتعليمه من العلم ما لا يعلمه غيره وتفضيله في ذلك كله على غيره من المخلوقين، هذا هو المفهوم من سياق الآيات، وإلا فما الفارق عند كل منصف لم تحرق البدعة قلبه بين هذا التعبير القرآني (لما خلقت بيدي) وبين قوله تعالى (مما عملت أيدينا أنعاما) و قوله تعالى (والسماء بنيناها بأيد)، فالإنسان

**خلق بصفة اليد والأنعام كالغنم والبقر والإبل خلقت كذلك بصفة اليد والسماء خلقت كذلك بصفة اليد، فإن قالوا: القدرة لا تثن، وقد قال {بيدي} قلنا بلي قال العربي: ليس لي بهذا الأمر يدان، أي ليس لي به قدرة ولا يقصد سوى ذلك، فإن قالوا إنما عبروا بذلك لأن للإنسان يد على الحقيقة، قلنا إذن يلزمنا إثبات اليدين للرحمة {بين يدي رحمته} وللعذاب {بين يدي عذاب شديد} وللنجوى {بين يدي نجواكم صدقة} وفي هذا الإثبات من الجهل باللغة والتلاعب بثوابتها ما فيه ومن قال بذلك فلا ينبغي أن يضيع الوقت معه، فإن أصروا وجادلوا قلنا: قال الله تعالي في محكم التنزيل {إن مثل عيسي عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون}، فالقرآن نص على أن خلق عيسى كخلق آدم كلاهما بالقدرة المعبر عنها بقوله تعالى {ثم قال له كن فيكون}، فهذا هو صريح القرآن فهل ندعه لفهم خاطئ لحديث لم يصح أو حديث مختلف في صحته، وعلى ذلك فالمعنى المحكم للآية {لما خلقت بيدي} أنه كناية عن غاية الإبداع أي لما أوليته عنايتي وأظهرت فيه عجائب قدرتي وخلقته في أحسن تقويم وعلمته من العلم ما لا يعلمه غيره وفضلته في ذلك كله على غيره من المخلوقين، هذا هو المفهوم من سياق الآيات فلم تسق الآية لإثبات جارحة لله تعالى عن ذلك لأنه نقص يتنزه الأحد الصمد عنه، على أن بعض علماء أهل السنة والجماعة أثبت بالآيات صفات لله تعالى ليست على هيئة الجارحة وإنما صفات لا نعلمها، وهذا الوجه مقبول ضمناً، وقد استقر قول أكثر الأصوليين على تفسير الآيات بما سيقت لأجله من إثبات معنى معين مع التنزيه وعدم التعرض لإثبات صفات إضافية لا تفيد التعظيم ولا التنزيه، بل قد تدخل إلى التمثيل والتجسيم، قال تعالى {لعلمه الذين يستنبطونه منهم}، وعدم التعرض للمعنى الحقيقي المراد من الآيات المتشابهات لأنه {وما يعلم تأويله إلا الله} {والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا}، فالمتشابه كاليد والوجه ونحو ذلك فظاهره المستعمل في اللغة (الجارحة) مستحيل على الباري سبحانه ولا يعلم معناه على القطع إلا الله سبحانه وتعالى وأما العلماء الراسخون فقد اتفقوا على وجوب اعتقاد حقيقة وروده وعلى وجوب تنزيه الباري عن ظاهره المستحيل، [وأما مجاز العين في القرآن]:** فإنّ المتدبر لآيات القرآن يعلم يقينا أن العين يستعمل فيه في مجازات متعددة، فالعين تأتي حقيقة في الجارحة المعروفة الخاصة بالرؤية عند المخلوقين وهي جارية مجرى التمثيل والمجاز عن البصر والإدراك والرعاية والحفظ والرؤية والحراسة وعبر عن ذلك بالأعين لأنها آلة الرؤية والرؤية هي التى تكون بها الحراسة والحفظ في الغالب، فتأتي كناية على شدة العناية والحراسة، ولهذا فقد تواترت أقوال العلماء من أصوليين وفقهاء ومحدثين ومفسرين

على حمل الآيات المتعلقة بالعين على البصر والإدراك أو على الرعاية والحفظ أو على شدة العناية والحراسة، وأول من نقل عنه ذلك حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله ابن عباس الذي دعا له الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالفقه في الدين وبعلم التأويل، ثم تواترت أقوال الأئمة المقتدى بهم في الدين على ذلك، فقوله تعالى {واصنع الفلك بأعيننا ووحينا} معناه بمرأى منا أو بحفظنا، وقوله تعالى {وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني}، أي بمرأى منى **دلالة على** الحفظ والصون والحنو والشفقة والرعاية، وقوله تعالى {واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا} معناه بحفظنا إياك وحراستنا لك، إذن هكذا يكون التقديس وهكذا يكون العلم الراسخ بالله وتقديسه في جناب ذاته، وكل ما جاء في الكتاب والسنة من إضافة الوجه أو العين او اليد إلى جناب ذات الله تعالى، فإنه حق وصدق على مراد الله ومراد رسول الله، صفات تليق بالذات، وكما أنّ ذات الله تعالى ليس كمثله شيء، فإن ما أضيف إلى الذات يتبع الذات، منزه عن الجارحة والبعضية والجزئية، أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد،

**[المفتاح الثامن]: تنزيه ذات الله تعالى عن الأعراض والكيفيات الحسية التي تتصف به ذات المخلوق:** (أ) المقصود بالأعراض مثل الألوان والأحجام والأشكال والطعوم والروائح التي تتصف به ذات المخلوق، والمقصود بالكيفيات الحسية التي تتصف به ذات المخلوق كالجلوس والاستقرار والنزول والصعود على معنى التغير في ذاته، والذهاب والمجيء على معنى التغير في ذاته، والقبض والبسط على معنى التغير في ذاته، والمشي والقيام والقعود والاتكاء والاضطجاع على معنى التغير في ذاته والتعلق والاتصال والانفصال والمماسة والمقابلة والمدابرة والالتفات على معنى التغير في ذاته، والسكون والتحرك والتماس والتباين والخروج والدخول على معنى التغير في ذاته، والقرب بالمسافة والبعد بالمسافة، (ب) الله تعالى منزه عن تلك الأعراض والكيفيات الحسية، ومنزه وأي معنى يأخذه الوهم أو يقدره العقل أو يكيفه الحس لأن هذه الأعراض والكيفيات الحسية من أمارات الحدوث والله تعالى أول أزلي قديم منزه عن جميع الحادثات وعن تغيره من حال إلى حال لتعاليه عن ذلك تبارك الله رب العالمين، لا تدركه الحواس ولا يقاس بالناس ولا يشبه الخلق بوجه من الوجوه ولا تجرى عليه الآفات ولا تحل به العاهات وكل ما خطر بالبال وتصور بالوهم فغير مشبه له تقدس عن كل تغير وحدوث، (ت) ما جاء في الكتاب والسنة من إضافة الاستواء والنزول والذهاب والمجيء والقبض والبسط والضحك والتبسم والغضب والتردد

إلى ذات الله تعالى، فإنه حق وصدق على مراد الله ومراد رسول الله، صفات تليق بالذات، وكما أنّ ذات الله تعالى ليس كمثله شيء، فإن ما أضيف إلى الذات يتبع الذات، منزه عن التغير والحدوث والانفعال الذي يعتري ذات الإنسان، لا نتقول على الله بغير علم، ولا ننفي ما جاء عن الله في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن ننفي اللوازم التي لا تليق بذات الله تعالى من النقص والتغير والأفول وما يوحي بالحدوث الذي هو ضد القدم الذي اتصف به ذات الرحمن،

**[المفتاح التاسع]: تنزيه جناب ذات الله تعالى عن الاتحاد والحلول، وعن الاتصال والانفصال لأنها صفات المخلوق:** وبيان ذلك: ما ثم إلا خالق أو مخلوق فهل يتحد الخالق القديم الأزلي الباقي الذي ليس كمثله شيء بالمخلوق المحدث الفاني، أم هل يحل الذي تنزه عن الحد والمقدار في المخلوق المحدود المقدر، والله منزه عن الحلول في المواضع والأماكن لأن الحلول عرض يفنى وهو حادث والحادث لا يليق بالله، والاتصال والانفصال لا يكون إلا بين الأجسام والله منزه عن الجسمية ولوازم الجسمية كما مر بنا، (ب) أجمع علماء أهل السنة على تنزيه الله تعالى عن الاتحاد بخلقه أو الحلول في شيء منها وعن الاتصال بها أو الانفصال عنها ونقل الإجماع كل من تكلم عن فرق المسلمين،

**[المفتاح العاشر]: تنزيه ذات الله تعالى عن النقائص والعيوب التي تتصف به ذات المخلوق:** (أ) الله تعالى منزه عن كل ما ينافي كمال الحياة كالسنة والنوم والموت والفناء والهلاك، وكل ما ينافي كمال العلم كالجهل والغفلة والنسيان، ومنزه عن كل ما ينافي كمال القدرة كالعجز والضعف والتعب واللغوب، ليس خلق شيء بأهون عليه من خلق شيء أخر ولا بأصعب عليه منه لأن له كمال القدرة، ومنزه عن كل ما ينافي كمال الإرادة كالجبر والاضطرار وأن يكون في ملكه ما لا يريد، ومنزه عن كل ما ينافي كمال السمع كالصمم واختلاط الأصوات، ومنزه عن كل ما ينافي كمال البصر كالعمى واختلاط المبصرات، ومنزه عن كل ما ينافي كمال الكلام كالبكم والعي وتناهي الكلمات، ومنزه عن كل ما ينافي كمال الغنى كالحاجة والشهوة والآفة والعلة والأكل والشرب واجترار المنافع واحتراز المضار، ومنزه عن كل ما ينافي كمال الحكمة والعدل كالظلم وخلف الوعد، ومنزه عن كل ما يضاد الكمال ويدل على النقص كالحد والمقدار والكون في مكان وان يجري عليه زمان، وعن التغير والحدوث وقبول الحدث،

**[المفتاح الحادي عشر]: دراسة بلاغة القرآن فقه عظيم وفتح مبين لعلم التقديس والتنزيه:**

لأن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، قال تعالى: {وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} [الشعراء: 192 إلى 195]، ما كان من استعمالات العربية من أساليب البلاغة والبيان، فهو لاشك يسري على القرآن لأنه نزل بلسان عربي مبين، ولما كانت البلاغة هو ذروة البيان العربي، فلا غرابة في أن يكون القرآن الكريم هو مصدر البلاغة التي تحدى الله تعالى بها بلغاء العرب وفصحائهم، ولما كان المجاز هو ذروة البلاغة والفصاحة وهو سنام اللغة والبيان بما فيه من الاستعارة والكناية والخيال، كان القرآن الكريم لا تكاد تخلو منه سورة من المجاز، والقرآن الكريم يمتلئ بالمجاز الذي هو ذروة اللغة وسنام بلاغتها، ومن ذلك: التعبير عن الإيمان بالنور وعن الكفر بالظلمات، كما في قوله تعالى: {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة: 257]، والتعبير عن القرآن بالحبل لأنّ فيه النجاة، كما في قوله تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} [آل عمران: 103]، والتعبير عنه بالنور لأنّ فيه الهداية، كما في قوله تعالى: {وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الشورى: 52]، والتعبير عن التواضع ولين الجانب بخفض الجناح، كما في قوله تعالى: {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [الشعراء: 215]، ومعلوم أنّه ليس للرسول صلى الله عليه وآله وسلم جناح يخفضه للمؤمنين، وإنما هو مجاز عن التواضع ولين الجانب، كما يعبر عن التواضع باللين، وعن القسوة بغلظة القلب كما في قوله تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} [آل عمران: 159]، والتعبير بالقبض عن البخل كما في قوله تعالى: {الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (67) [التوبة: 67]، والتعبير بالبسط عن غاية الكرم والسخاء ببسط اليد كما في قوله تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ} [المائدة: 64]، والتعبير عن الرعاية والحفظ والكلاءة بالعين، كما في قوله تعالى: {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ} [الطور: 48]، ومعلوم أنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن في عين الله، {فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا}، وإنما هو تعبير مجازي عن الرعاية والحفظ والكلاءة، والتعبير عن الذات بالوجه، كما في قوله تعالى: {إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [القصص: 88]، وقوله

تعالى: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن: 26 ، 27]، ولا يعقل أنّ الذات يهلك ولا يبقى إلا الوجه، سبحان الله وتعالى عما يصفون، تنزه عن الأجزاء والأبعاض والجوارح، أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، فهذا ما يتعلق بالأمر الأول: ألا وهو: ان دراسة بلاغة القرآن فقه عظيم وفتح مبين لعلم التقديس والتنزيه،

**[المفتاح الثاني عشر]: خطأ اعتماد ظواهر النصوص في فهم علم التقديس والتنزيه:** (أ) قال القرطبي رحمه الله – في درة من كلامه –: " اعتقاد ظواهر المتشابه كما فعلته (المجسمة) الذين جمعوا ما في الكتاب والسنة مما ظاهره الجسمية حتى اعتقدوا أن البارئ تعالى جسم مجسم وصورة مصورة ذات وجه وعين ويد وجنب ورجل وأصبع تعالى الله عن ذلك " أهـ [تفسير القرطبي ج:4 ص:14]، (ب) هناك آيات ظاهرها يدل على حدوث علم الله، منها قوله تعالى: {وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ}، وقوله تعالى: {وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ * وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُواْ} واعتقاد هذا الظاهر كفر بالله تعالى لأنّ علم الله تعالى قديم، لا يعزب عن علمه شيء في الماضي أو الحاضر أو المستقبل، قال تعالى، {وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا} " أهـ، (ت) وهناك آيات ظاهرها جواز النسيان على الله تعالى، منها قوله: {نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [التوبة: 67] واعتقاد هذا الظاهر كفر بالله تعالى لأنّ الله تعالى لا يضل ولا ينسى، (ث) وهناك آيات ظاهرها أنّ الله تعالى يشغله شيء عن شيء، منها قوله تعالى: {سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ} [الرحمن: 31]،واعتقاد هذا الظاهر كفر بالله تعالى لأنّ الله تعالى لا يشغله شيء عن شيء، وسع علمه كل شيء ووسعت قدرته كل شيء، والمعنى: {سنفرغ لكم} أي سنحاسبكم ونأخذ في أمركم أيها الإنس والجن فنعاقب أهل المعاصي ونثيب أهل الطاعة، (ج) وهناك آيات ظاهرها أنّ الله تعالى تتفاوت قدرته، وأنّ هناك شيء أهون عليه من شيء، ومن هذه الآيات، قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} [الروم: 27]، وقوله تعالى: {قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا} [مريم: 9]، واعتقاد هذا الظاهر كفر، لأنّ الله تعالى وسعت قدرته كل شيء لا يعجزه شيء، وليس هناك شيء أهون عليه من شيء، ولا شيء أثقل عليه من شيء، والمعنى: أن هذا مثل ضربه الله تعالى لعباده يقول إعادة الشيء على الخلائق أهون من ابتدائه فينبغي أن يكون البعث لمن قدر على البداية عندكم وفيما بينكم أهون عليه من الإنشاء، (ح) (خ) وهناك آيات ظاهرها أنّ الله تعالى معنا بذاته، ومن هذه الآيات قوله تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ} [البقرة:]،

واعتقاد هذا الظاهر ضلال، لأنّ الله تعالى منزه عن الاتحاد أو الحلول بخلقه، ومنزه عن القرب الحسي الذي تتصف به المخلوقات، وقد حمل العلماء المتخصصون في العقيدة القرب على قرب الصفات من العلم والسمع والبصر والقدرة، (د) وهناك آيات ظاهرها – لمن جهل قواعد التقديس – أنّ الله تعالى استوى على عرشه بذاته، وأنّ العرش مكان الرحمن واعتقاد هذا الظاهر جهل وضلال، لأنّ العرش خلق من خلق الله، ولا يجوز في حق الله تعالى المماسة والاتصال مع شيء من خلقه، كما لا يجوز في حق الله تعالى الحيز والحد والمقدار، كما أنّ من لوازم هذا كون العرش أكبر من ذات الرحمن، وعقيدة كل المسلمين عدا المجسمة أنّ الله تعالى أكبر من كل شيء، وأنه الواحد القهار، وأنّه الكبير المتعال، وأنّه مستغن عن خلقه بما فيهم عرشه وغيره، وهو رب العالمين وهو رب العرش وغيره من خلق الله، وقد ورد الاستواء في سبعة مواضع من القرآن الكريم كلها تدل لمن تدبرها بقرآئنها كما ذكرناها في الحلقة السابقة: بأن الاستواء المقصود هو استواء الصفات، صفات الربوبية والملك والتدبير والقهر والتسخير والهيمنة وربوبية للعالم، وبيان كمال قدرته التامة سبحانه في تدابير الملك والملكوت، فهذا هو التمدح المقصود بالاستواء، أما تفسير الاستواء بالجلوس والاستقرار فهذا ليس فيه من المدح شيء وليس فيه من الكمال شيء، وآيات الكتاب الكريم جاءت لبيان كمال عظمة الخالق وجليل قدرته، أما ما يزعمون من أنه استواء مكان فالله خالق المكان ومالكه وهو منزه عن المكان والمكان محدود مهما كبر والله تعالى كما أنه لا حد لصفاته من العلم والقدرة وغيرها فلا حد لذاته، وأما ما يزعمون من أنه استواء استقرار فهو باطل لأن الله عز وجل منزه عن التغير والحدوث، والاستقرار يوحي بمعنى الحاجة وهل يحتاج الله لمخلوق حتى يستقر عليه وقبل الاستقرار أخبرونا ماذا كان حاله تعالى الله عما يقولون علوا كبيراً، والتمدح لا يكون بالكون في المكان ولا بالاستقرار ولكن ببيان صفات القدرة والعظمة وهذا هو مقصود آيات القرآن،

**[المفتاح الثالث عشر]: بيان طرق الراسخين في العلم فيما يتعلق بالصفات الخبرية كالوجه واليد والعين والاستواء:** هي ثلاث طرق لا رابع لها، (الطريق الأول) اثبات الوجه على سبيل الصفة لا سبيل الجزء والجارحة، (والطريق الثاني) حمل الآية على المجاز المراد من الوجه وهو الذات، (والطريق الثالث) تفويض علمها إلى الله مع المنع من تفسيرها على ظاهرها (الذي هو الجزء من الذات) مع تنزيه الله تعالى عن النقص، **ولا شك أنه** يجب تدريس وفهم قواعد التنزيه والتقديس المتعلقة بجناب ذات الله تعالى وتقدس: لأن أهم العلم وأعظمه العلم الراسخ بالله في جناب

ذاته وتقديس الله وتسبيحه وتنزيهه عن العيب والنقص، ودراسة قواعد التقديس تؤدي بصاحبها إلى التقديس الكامل والتنزيه المطلق لله تعالى، والفهم الصحيح للآيات التي تتناول نفي المثل والند والكفء والشريك لله تعالى، وتؤدي إلى وضع الحاجز الذي يمنع من الولوج في التشبيه والتمثيل والتجسيم وغير ذلك من البدع الضالة في حق الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحانه، والعيش مع الله على التنزيه والاعتراف بالعجز عن الإدراك والإحاطة كما في قوله تعالى: {وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} [طه: 110]، وقوله تعالى: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (103)} [الأنعام: 103]، ولله در العالم الرباني أبو عثمان المغربي، حيث جاء في [طبقات الشافعية الكبرى ج: 9 ص: 42]: (وقال أبو عثمان المغربي كنت أعتقد شيئا من حديث الجهة، فلما قدمت بغداد زال ذلك عن قلبي فكتبت إلى أصحابي بمكة أني أسلمت جديدا)، فهذا هو الأثر المرجو من تعلم قواعد علم التقديس (علم توحيد الذات) الذي هو أشرف العلوم، وهذا العلم العظيم هو من جملة **العلوم الغائبة عن هذا الزمان والتي ادى غيابها إلى** وقوع طوائف من الأمة في بدعة الحشو والتجسيم، وأرى أنه لا مناص للأمة من تجديد الطلب لهذا العلم الجليل، ويكفيه شرفا أنه العلم المتعلق بالتقديس والتنزيه والتسبيح لجناب ذات الله تعالى تقدست ذاته وتعالت صفاته ولا إله إلا هو، وأنه العلم المتعلق بالعلم بالله تعالى، وما يجب له من صفات التقديس والتعظيم والتنزيه، وما يجب له من صفات الكمال والجلال والإكرام، وما يستحيل في حقه سبحانه من صفات النقص والعيب والحدوث والتشبيه والتجسيم، وتحدثا بنعمة الله الكريم أني ما إن استوعبت علم التنزيه وقواعده الرصينة حتى أحسست أنه العلم اللازم لتحقيق الوحدة الإسلامية المنشودة والتجديد الإسلامي المنشود، وأنّ الإحاطة بعلم التقديس والتنزيه له أعظم الدور في تصحيح مفاهيم علم التوحيد، وأعظم الأثر في تحقيق التقارب والتكامل والوحدة العقائدية والعلمية والعملية بين المسلمين عامة، وبين طوائف أهل السنّة والجماعة خاصة، (خ) إنّ الذهول عن هذا العلم يؤدي إلى قصور واضح جلي في الإلمام بما يجب وما يجوز وما يستحيل في ذات الله تعالى، ويؤدي إلى الوقوع في بدعة الحشو على حساب التقديس، بل واعتقاد التجسيم، وإن من أعظم الخطر أن يتصدى أحد للحديث عن الله تعالى وعن صفاته وأفعاله، دون أن يكون له إلمام بهذا العلم الذي يضبط مسائل وأحكام هذا الباب، وأشد من ذلك خطرا أن يتصدى للحديث عن العقيدة من لا يعرف هذا العلم الراسخ، والطامة المهلكة عندما يتصدر أحدهم لإصدار أحكام التبديع والتضليل للطوائف والفرق الإسلامية وهو يجهل هذا العلم، فيفتي ويبدع ويضلل بغير علم ولا فقه ولا هدى وهو يحسب

أنه من المهتدين، فحرام على من يجهل قواعد هذا العلم أن يتصدر للتبديع والتضليل في باب العقيدة، لأنّ قواعد التقديس والتنزيه هي مبادئ الفقه في العقيدة، والفقه في التوحيد والتقديس، وهذا هو الفقه الذي لا يصح لأحد أن يتكلم في علم الإلهيات إلا وهو ملم به، ويكفيه شرفا أنه العلم المتعلق بالفهم الصحيح للمتشابهات من الآيات والاحاديث دون الوقوع في محاذير الخلل في العقيدة بسبب سوء الفهم لتلك المتشابهات، وأنه العلم المتعلق بتأصيل مسائل وأحكام التقديس والتنزيه على طريقة أهل العلم والفقه بالكتاب والسنّة، وانه العلم االمؤهل لجمع المسلمين وتوحيد كلمتهم على التوحيد والتقديس، بعيدا عن الحشو والاعتزال، ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين،

**[المفتاح الرابع عشر]:** قال الشيخ أبو بكر الكلاباذي في كتابه القيم: التعرف لمذهب أهل التصوف، قال في باب بيان عقيدة أهل التصوف: (واعلم أن الصوفية أجمعوا على أن الله واحد، فرد صمد، قديم عالم، قادر حي، سميع بصير، عزيز عظيم، جواد رؤوف، متكبر جبار، باق أول، إله مالك رب، رحمن رحيم، مريد حكيم، متكلم خالق رازق، موصوف بكل كمال يليق به، منزه عن كل نقص في حقه، لم يزل قديما بأسمائه وصفاته، غير مشابه للخلق بوجه من الوجوه، لا يشبه ذاته الذوات، ولا صفاته الصفات، لا يجري عليه شيء من سمات المخلوقين الدالة على حدوثهم، موجودا قبل كل شيء، لا قديم غيره، ولا إله سواه، ليس بجسم ولا شبح، ولا صورة ولا شخص، ولا جوهر ولا عرض، لا اجتماع له ولا افتراق، لا يتحرك ولا يسكن، ولا ينقص ولا يزيد، ليس بذي أبعاض ولا أجزاء، ولا جوارح ولا أعضاء، ولا بذي جهات ولا أماكن، لا تجري عليه الآفات ولا تأخذه السنات، ولا تداوله الأوقات ولا تعينه الإشارات، ولا يحويه مكان ولا يجري عليه زمان، ولا تجوز عليه المماسة ولا العزلة، ولا الحلول في الأماكن، ولا تحيط به الأفكار ولا تحجبه الأستار، ولا تدركه الأبصار، وأجمعوا أن لله صفات على الحقيقة، هو بها موصوف من العلم والقدرة والقدم والحياة والإرادة والمشيئة والكلام، وأنها ليست بأجسام ولا أعراض ولا جواهر، كما أن ذاته ليس بجسم ولا عرض ولا جوهر، وأن له سمعا وبصرا ليسا كالأسماع والأبصار، وأنها صفات الذات، وقد أجمعوا على أنه لا تدركه العيون، ولا تهجم عليه الظنون، ولا تتغير صفاته ولا تتبدل أسماؤه، لم يزل كذلك، هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) أهـ [التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي]،

**[المفتاح الخامس عشر]:** قال الشيخ العارف بالله قطب العارفين الإمام أحمد الرفاعي في كتابه القيم البرهان المؤيد، قال وهو يخاطب السالكين: (صونوا عقائدكم من التمسك بظاهر ما تشابه من الكتاب والسنة، لأن ذلك من أصول الكفر قال تعالي (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) (آل عمران 7) والواجب عليكم وعلي كل مكلف في المتشابه: الايمان بأنه من عند الله، أنزله علي عبده سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم وما كلفنا سبحانه وتعالي تفصيل علم تأويله قال جلت عظمته (وما يعلم تأويلة إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا) (آل عمران 7) فسبيل المتقين من السلف تنزيه الله تعالي عما دل عليه ظاهره، وتفويض معناه المراد منه إلي الحق تعالي وتقدس وبهذا سلامة الدين سئل بعض العارفين عن الخالق تقدست اسماؤه فقال للسائل: إن سألت عن ذاته، فليس كمثله شيء وإن سألت عن صفاته، فهو أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وإن سألت عن اسمه فـ {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَانُ الرَّحِيمُ} [الحشر: 21] وإن سألت عن فعله فـ {كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} [الرحمن: 29] وقد جمع إمامنا الشافعي رضي الله عنه جميع ما قيل في التوحيد بقوله: من انتهض لمعرفة مدبره فانتهي إلي موجود ينتهي إليه فكره فهو مشبه وإن اطمأن إلي العدم الصرف، فهو معطل وإن اطمأن لموجود، واعترف بالعجز عن إدراكه فهو موحد، (أي سادة): نزهوا الله عن سمات المحدثين، وصفات المخلوقين وطهروا عقائدكم من تفسير معني الاستواء في حقه تعالي بالاستقرار، كاستواء الأجسام علي الأجسام المستلزم للحلول، تعالي الله عن ذلك واياكم والقول بالفوقية والسفلية، والمكان واليد والعين بالجارحة، والنزول بالاتيان والانتقال فإن كل ما جاء في الكتاب والسنة مما يدل ظاهره علي ما ذكر، فقد جاء في الكتاب والسنة مثله مما يؤيد المقصود فما بقي إلا ما قاله صلحاء السلف: وهو الإيمان بظاهر كل ذلك ورد علم المراد إلي الله ورسوله،مع تنزيه الباري تعالي عن الكيف وسمات الحدوث وعلي ذلك درج الأئمة وكل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره قراءته والسكوت عنه ليس لأحد أن يفسره إلا الله تعالي ورسوله ولكم حمل المتشابه علي ما يوافق أصل المحكم لأنه اصل الكتاب والمتشابه لا يعارض المحكم سأل رجل الإمام مالكا بن أنس رضي الله عنه عن قوله تعالي {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: 5] فقال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعا وأمر به أن يخرج وقال إمامنا الشافعي رضي الله عنه لما سئل عن ذلك آمنت بلا تشبيه، وصدقت بلا تمثيل، واتهمت نفسي في الإدراك، وأمسكت عن الخوض فيه كل الإمساك وقال الإمام

أبو حنيفة رضي الله عنه: من قال لا أعرف الله أ في السماء هو أم في الأرض؟ فقد كفر لأن هذا القول يوهم أن للحق مكانا، ومن توهم أن للحق مكانا فهو مشبه وسئل الإمام أحمد رضي الله عنه عن الاستواء فقال: استوي كما أخبر، لا كما يخطر للبشر وقال الإمام ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: من زعم أن الله في شيء، أو من شيء، فقد أشرك إذ لو كان علي شيء لكان محمولا ولو كان في شيء لكان محصورا ولو كان من شيء لكان محدثا) أهـ [البرهان المؤيد للرفاعي ص 14 إلى 19]، وهذه درر من أقوال العارف بالله الشيخ الأكمل أحد أركان الطريق وأحد أشهر أئمة العارفين الذين اجتمعت الأمة على إمامتهم واعتقادهم، وهذه هي عقائد السادة الصوفية التي تمثل السمو والعظمة، وتدل على أنّهم أهل الله تعالى وخاصته، وأنّهم قادة التنزيه والتقديس والتسبيح الاعتقادي، وأنّهم على أعلى وأعظم عقائد الإسلام،

**[المفتاح السادس عشر]:** قال الشيخ الإمام القشيري: (الفصل الأول: بيان اعتقاد هذه الطائفة في مسائل الأصول: اعلموا –رحمكم الله–، أن شيوخ هذه الطائفة بنوا قواعد أمرهم على أصول صحيحة في التوحيد، صانوا بها عقائدهم عن البدع ودانوا بما وجدوا عليه السلف وأهل السنة من توحيد ليس فيه تمثيل ولا تعطيل، وعرفوا ما هو حق القدم، وتحققوا بما هو نعت الموجود عن العدم، ولذلك قال سيد هذه الطريقة الجنيد، رحمه الله: "التوحيد إفراد للقدم من الحدث"، وأحكموا أصول العقائد بواضح الدلائل، ولائح الشواهد... إلى أن قال: هذه فصول تشتمل على بيان عقائدهم في مسائل التوحيد ذكرناها على وجه الترتيب، قال شيوخ هذه الطريقة، على ما يدلُ عليه متفرقات كلامهم، ومجموعاتهم، ومصنفاتهم في التوحيد: إن الحق، سبحانه وتعالى: موجود، قديم، واحد، حكيم، قادر، عليم، قاهر، رحيم، مريد، سميع، مجيد، رفيع، متكلم، بصير متكبر، قدير، حيٌّ أحد، باق، صمد، وأنه عالم بِعِلم، قادر بقدرة، مريد بإرادة، سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام، حيٌّ بحياة، باقٍ ببقاء، وله يدان هما صفتان، يخلق بهما ما يشاء، سبحانه، على التخصيص، وله الوجه الجميل، وصفات ذاته مختصة بذاته، لا يقال هي هو، ولا هي أغيار له، بل هي صفات له أزلية، ونعوت سرمدية، وأنه إحديُّ الذات، ليس يشبه شيئاً من المصنوعات، ولا يشبهه شيء من المخلوقات، ليس بجسم، ولا جوهر ولا عرّض، ولا صفاته أعراض، ولا يتصوَّر في الأوهام، ولا يتقدَّر في العقول، ولا له جهة ولا مكان، ولا يجري عليه وقت وزمان، ولا يجوز في وصفه زيادة ولا نقصان، ولا يخصُّه هيئة وقدٌّ، ولا يقطعه نهاية وحدٌّ، ولا يحله حادث، ولا يحمله على الفعل

باعث، ولا يجوز عليه لون ولا كوْن، ولا ينصره مدد ولا عون، ولا يخرج عن قدرته مقدور، ولا ينفك عن حكمه مفطور، ولا يعزب عن علمه معلوم، ولا هو على فعله كيف يصنع وما يصنع ملوم، لا يقال له: أين، ولا حيث، ولا كيف، ولا يُستفتح له وجود: فيقال: متى كان: ولا ينتهي له بقاء: فيقال استوفى الأجل والزمان، ولا يقال: لِمَ فعل ما فعل، إذ لا علَّة لأفعاله، ولا يقال ما هو، إذ لا جنس له فيتميز بأمارة عن أشكاله، يُرى لا عن مقابلة، ويرى غيره لا عن مماقلة، ويصنع لا عن مباشرة ومزاولة، له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، يَفعل ما يريد، ويذل لحكمه العبيد، لا يجري في سلطانه إلا ما يشاء، ولا يحصل في ملكه غير ما سبق به القضاء، ما علم أنه يكون من الحادثات أراد أن يكون، وما علم أنه لا يكون، مما جاز أن يكون: أراد أن لا يكون، خالق إكساب العباد: خيرها وشرِّها، ومبدع ما في العالم من الأعيان والآثار: قُلُّها وكُثْرها، ومرسل الرسل إلى الأمم من غير وجوب عليه، ومتعبَّد الأنام على لسان الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، بما لا سبيل لأحد باللوم والاعتراض عليه، ومؤيد نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، بالمعجزات الظاهرة، والآيات الباهرة، بما أزاح به العذر، وأوضح به اليقين والنكر، وحافظ بيضة الإسلام بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم، بخلفائه الراشدين، ثم حارس الحق وناصره بما يوضحه من حجج الدين على ألسنة أوليائه، عصم الأمة الحنفية عن الاجتماع على الضلالة، وحسم مادة الباطل بما نصب من الدلالة، وأنجز ما وعد من نصرة الدين بقوله: {ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون}، فهذه: فصول تشير إلى أصول المشايخ على وجه الإيجاز، وباللّه التوفيق) أهـ [الرسالة القشيرية: ص 2 إلى 9]،

***

## المبحث الثاني والثلاثون

# الصوفية وأحكام السياسة الشرعية

**[تنبيه]: التصوف يمثل المرتبة الثالثة الأعلى من مراتب الدين: وهي مرتبة الإحسان التي تلي مرتبتي الإسلام والإيمان، فهو إذن القائم على أعلى ثغور الدين، وهو كذلك روح الدين القادر على احتواء جميع المسلمين، وعلى التقريب بين مدارس الإسلام وفرقه ومذاهبه، بما حباه الله تعالى به من أخلاق الرحمة والمحبة والتسامح الذي أرشد إليه القرآن الكريم بقوله تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}، فـ (التصوف) هو الذي امتاز باحترام تخصصات الآخرين، وتميز باحتواء كافة المدارس المذهبية المتخصصة في علوم الدين، وهو من بين مدارس الإسلام الذي تميز بالمرونة والسعة، وهو الأقدر على وحدة المسلمين بكونه يحمل القواسم المشتركة بين كافة المذاهب، وهو الأجدر على حل مشكلات الامة** في تآلف وتراحم، وهو الاقدر على جمع الجميع على مائدة واحدة، لأنه الأكثر حظا في أن يملك مفاتح الحل، **من خلال تفريقه بين المراتب العلمية، وما توجبه كل مرتبة علمية من** علوم ومعارف، **وأهل التصوف الحق هم على أعلى الهرم المعرفي الإسلامي، لذا كان علمهم هو الزلال المصفى، هم الاوسع إدراكا والأعمق فهما ومعرفة بأحكام السياسة الشرعية**، وعلم السياسة الشرعية علم شائك لا يتقنه إلا الراسخون في العلم الحريصون على امة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الرحماء بهم، ذلك العلم الذي يضبط حقوق الحكام كما حفظها لهم الإسلام، فيتفرغ الحاكم والعالم كلٌ لأداء مهامه، بما يوافق شرع الله، وبما يؤهل الجميع لخدمة الدين، دونما غلو أو تفريط، لقد قام اهل التصوف الحق على ثغر هذا العلم فأجلوا لبناته وأرسوا قواعده ومن اهم تلك المفاتيح:

**[المفتاح الأول]: طاعة أولياء الأمور من طاعة الله ورسوله:** قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} [النساء: 59]، وقد جعلت سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم: طاعة الأمير من طاعة الله تعالى وطاعة رسوله، فقد أخرج البخاري عن أبي

هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((من أطاعني فقد أطاع الله ومن يعصني فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني)) [أخرجه البخاري ح (1835)]، وأخرج البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة) [أخرجه البخاري ح (6723)]، وأخرج مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال: (إِنَّ خَلِيلِي أَوْصَانِي أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا مُجَدَّعَ الْأَطْرَافِ) [أخرجه مسلم ح (1837)]، **ولا شك أنّ هذه الطاعة فيما لا يدخل في معصية الله**، فقد أخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم أَنَّهُ قَالَ: ((عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلاَّ أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلا سَمْعَ وَلا طَاعَةَ)) [أخرجه البخاري ح (2955)، ومسلم ح (1709)]، فقد وضح الحديث مجال الطاعة وهو أن تكون في كل ما ليس بمعصية، **فإن كانت معصية فلا سمع ولا طاعة ولكن مع عدم نزع اليد من الطاعة العامة لأحاديث عديدة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم**، منها: ما أخرجه الإمام مسلم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله: (أَلا مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ الله، فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ الله، وَلا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَة) [أخرجه مسلم (1856)]، وما أخرجه مسلم أيضا عن حذيفة رضي الله عنه قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: (يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لا يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ، وَلا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ، قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ الله إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟، قَالَ: تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ) [أخرج مسلم (1847)]، إذن، ونحن نتناول فقه آيات من كتاب الله تعالى تتناول العلاقة بين الحاكم والمحكوم، نجد الأمر الرباني: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} [النساء: 59]، فقد تضمنت الآية الكريمة إلزام الرعية أن يطيعوا الحكام في كل ما يأمرون به إلا أن يأمروا بمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، مع عدم نزع اليد من الطاعة العامة، فعدم الطاعة مقصور على المعصية،

**[المفتاح الثاني]: نصح الأمراء يكون بالقول اللين، قال تعالى** – آمراً نبي الله تعالى موسى وهارون عليهما السلام –: {اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى}

[طه: 43، 44]، ويؤيده قوله تعالى: {اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى}[النازعات: 17 إلى 19]، فليس هناك أكفر من فرعون ولا أظلم منه فقد جعل أهل مصر شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم، وليس هناك أعظم جاها وكرامة آنذاك عند الله تعالى من موسى وهارون، ومع هذا فقد أمرهما الله تعالي بالحكمة والموعظة الحسنة والرفق والقول اللين لعله يتذكر أو يخشى، وهذا هو بيان المنهج الرباني في نصح الحكام والأدب في محادثتهم، وذلك لأنّه الاقرب إلى استجابة الحاكم للنصيحة والعمل بها، وليس مقصود النصيحة سوى ذلك، والشدة والغلظة في القول مع الحاكم لا تؤتي ثمارها، لأنّ السلطة بيده، فالشدة لا تناسبه، وقد تعني تهديده ووعيده، وهذا يصرفه عن سماع النصيحة إلى البطش بالناصح أو على أقل تقدير عدم الاستفادة من نصيحته،

**[المفتاح الثالث]: الملك هبة يؤتيها الله تعالى من يشاء من عبادة فلا يجوز التطلع إليها: قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى** الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [البقرة: 258]، الملك هبة يؤتيها الله تعالى من يشاء من عبادة {أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ}، لا ينبغي لآحاد المسلمين أن يتطلع إليها، ولا أن يزاحم أهلها فيها، وذلك حتى يستتب الأمر ويظهر الأمن ويتفرغ الحاكم والمحكوم كلٌ لأداء مهامه التي يحاسبه الله تعالى عليها، وقد أخرج مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها، عن أبي موسى رضي الله عنه قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنا ورجلان من بني عمي فقال أحد الرجلين يا رسول الله أمرنا على بعض ما ولاك الله عز وجل وقال الآخر مثل ذلك فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (إنا والله لا نولي على هذا العمل أحدا سأله ولا أحدا حرص عليه)، والقرآن الكريم يعلمنا كيف يكون الحوار مع الملوك، فنبي الله تعالى إبراهيم عليه السلام وهو خليل الرحمن، يخاطب الملك الكافر بمنتهى الحكمة واللين، ولو دعا على الملك الكافر دعوة لأنهى ملكه وسلطانه، ولكنها حكمة النبوة في معاملة الحكام والملوك، إذن كيف ينبغي أن يكون الحال عندما ينصح من هو أقل شأنا من الخليل عليه السلام ينصح من هو يقينا أحسن شأنا من النمرود الكافر، الصواب أنه لابد من الحكمة واللين والموعظة الحسنة في معاملة أولياء الأمور،

**[المفتاح الرابع]: الملك هبة ومنة من الله، وفي وجود الملك استتباب المصالح، وفي غيابه فساد الأرض: قال تعالى:** – على لسان نبي الله يوسف عليه السلام –: {رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ} [يوسف: 101]، فدل ذلك على أنّ الملك منّة ونعمة من الله تعالى، يؤتيه من يشاء، **وقال تعالى – في قصة** طالوت وجالوت وإيتاء الله تعالى الملك لنبيه داود عليه السلام –: {فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ} [البقرة: 251]، فقد امتن الله تعالى على بني اسرائيل بأنّه سبحانه آتى دواد الملك والحكمة والعلم، ثم قال سبحانه: {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ}، أشار المفسرون في تفسير هذه الآية إلى أهمية الملك، وأنه لولاه ما استتب أمر العالم، معناه: لولا أن الله تعالي أقام السلطان في الأرض لتواثب الناس بعضهم على بعض، ثم أمتن الله تعالي على عباده بإقامة سلطان لهم بقوله {وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى العَالَمِينَ}، فوجود الحاكم منّة ونعمة من الله تعالى، لأن في وجوده استتباب المصالح، وفي غيابه فساد الأرض، ولهذا قيل: (ستون سنة في ظل حاكم ظالم أهون من ساعة في غيابه)،

**[المفتاح الخامس]: لا يصح منازعة الامر أهله:** أخرج البخاري ومسلم عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: (دَعَانَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم، فَبَايَعْنَاهُ، فَقَالَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةً عَلَيْنَا، وَأَنْ لا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ إِلا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ الله فِيهِ بُرْهَانٌ) [أخرج البخاري (7056)، ومسلم (1843)]، وهذا الحديث الشريف يأمر بالسمع والطاعة للحكام المسلمين في كل الأحوال (السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةً عَلَيْنَا) – إلا إن أمروا بمعصية كما سيتبين في الأحاديث التالية –، ويمنع من التعدي على صلاحياتهم (وَأَنْ لا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ)، ويضع شروطا رصينة للخروج على الحكام أهمها التيقن من الكفر البواح الظاهر الذي لا خلاف فيه، فهذا معنى البواح، والذي عندنا فيه من الله تعالى دليل واضح وبرهان بين لا يحتاج في الاستدلال عليه إلى قياس أو استنباط، (إِلا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ الله فِيهِ بُرْهَانٌ)

**[المفتاح السادس]: طاعة الحاكم المسلم وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك:** أخرج مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: (يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لا يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ، وَلا

يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ، قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ الله إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟، قَالَ: تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ) [أخرج مسلم (1847)]، وهذا الحديث يأمرنا بالسمع والطاعة لحكام المسلمين ولو بلغ بهم الأمر أن كانوا على قلوب الشياطين يضربون ظهورنا ويسلبون أموالنا، ما كانوا مسلمين، لأنّ مصلحة الامة مقدمة على مصلحة الأفراد، ولا تستقيم الامة إلا باستقرار الحكم واستتباب الامن فيها، فترجيح مصلحة الامة على مصلحة الفرد امر واجب،

**[المفتاح السابع]: لا جوز الخروج على الحاكم المسلم ما أقام الصلاة:** أخرج مسلم عن عَوْف بْنَ مَالِكٍ الأَشْجَعِيَّ رضي الله عنه يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم، يَقُولُ: ( خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ، قَالُوا: قُلْنَا يَا رَسُولَ الله، أَفَلا نُنَابِذُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ؟، قَالَ: لا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاةَ، لا مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاةَ، أَلا مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ الله، فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ الله، وَلا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَة) [أخرجه مسلم (1856)]، يوضح الحديث أنّ هناك من الحكام من سيبلغ بهم الظلم والفساد أن نبغضهم ونلعنهم، ولكن لا يجوز منابذتهم إلا في حال بلغ بهم الجور والفسوق أن منعوا إقامة الصلوات في المساجد، وكررها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مرتين للدلالة على أهمية هذا الضابط، (قَالَ: لا مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاةَ، لا مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاةَ)، فلا ينزع المسلمون يدهم من طاعته إلا إن بلغ بهم الفساد والجور هذا الحد، وما لم يبلغ هذا الحد نكره معاصيهم بالنصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهر بالحق دون نزع اليد من الطاعة العامة (أَلا مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ الله، فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ الله، وَلا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَة)،

**[المفتاح الثامن]: لا يجوز الخروج على الحاكم المسلم الذي يصلي:** أخرج مسلم عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم أَنَّهُ قَالَ: (إِنَّهُ يُسْتَعْمَلُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، أَلا نُقَاتِلُهُمْ؟، قَالَ: لا مَا صَلَّوْا) [أخرج مسلم (1854)]، وهذا الحديث يدلنا على فقه انكار المنكر المتعلق بالحكام المسلمين الجائرين، فمن كره مناكرهم ولم يتابعهم عليها فقد برئت ذمته (فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرِئَ)، ومن ناصحهم وأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر فقد سلم من غضب الله تعالى على

مرتكبي المنكر (وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ)، ومن رضي بمنكرهم وتابعهم على ظلمهم وفسادهم فعليه ما عليهم من السخط والعذاب (وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ)، ثم وضح الحديث الشريف ضابط الخروج عليهم ومقاتلتهم، ألا وهو ترك الصلاة، (قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، أَلا نُقَاتِلُهُمْ؟، قَالَ: لا مَا صَلَّوْا)،

**[المفتاح التاسع]: اثم الحاكم على نفسه فلا يجوز نزع الطاعة من يده:** أخرج مسلم عَنْ وائل بن حجر رضي الله عنه قَالَ: سَأَلَ سَلَمَةُ بْنُ يَزِيدَ الْجُعْفِيُّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ الله، أَرَأَيْتَ إِنْ قَامَتْ عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسْأَلُونَا حَقَّهُمْ وَيَمْنَعُونَا حَقَّنَا فَمَا تَأْمُرُنَا، فَأَعْرَضَ عَنْهُ؟ ثُمَّ سَأَلَهُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ؟ ثُمَّ سَأَلَهُ فِي الثَّانِيَةِ أَوْ فِي الثَّالِثَةِ، فَجَذَبَهُ الأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ، وَقَالَ: اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا وَعَلَيْكُمْ مَا حُـمِّـلْـتُمْ، وحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا شَبَابَةُ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سِمَاكٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ، وَقَالَ: فَجَذَبَهُ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: (اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ) [أخرجه مسلم ح (1846)]، والحديث يدل على وجوب اظهار السمع والطاعة للحاكم المسلم الظالم فيما يأمر به إلا إن أمر بمعصية، فلا طاعة في المعصية ولا نزع للطاعة بالكلية، ودل الحديث على أنّ إثم الظلم وعاقبته على الظالم، (اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ)، فأثم الحاكم على نفسه وبركة وجوده تعم على المجتمع كله،

**[المفتاح العاشر]: خطورة الخروج على الحاكم المسلم:** أخرج البخاري ومسلم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: (مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِر، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَـاهِلِيَّـةً) [أخرج البخـاري (7053)، ومسلم (1851)]، وهذا الحديث يدل على الأمر بالصبر على الحاكم، (مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِر)، ويبين خطورة الخروج على الحاكم المسلم وأنّ هذا من عمل الجاهلية، (مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَـاهِلِيَّـةً)،

**[المفتاح الحادي عشر]: السمع والطاعة للأمير ولو كان لا يصلح للإمارة:** أخرج البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة) [أخرجه البخاري ح (6723) كتاب الأحكام) باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية]، وقد ذكر الحديث العبد الحبشي كأن رأسه زبيبة، مبالغة

في الأمر بالطاعة، لأنّ العبد لا يصلح للإمارة، وصغر الرأس كناية عن الحمق والطيش، ومع ذلك أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالسمع والطاعة لمن كانت هيئته كهذا،

**[المفتاح الثاني عشر]: أداء حقوق الحكام وإن جاروا وظلموا:** أخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً وَأُمُورًا تُنْكِرُونَهَا قَالُوا فَمَا تَأْمُرُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَدُّوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ وَسَلُوا اللَّهَ حَقَّكُمْ) [أخرجه البخاري: ح (3335) ومسلم: ح (3430)]، وفيه دليل على أداء حقوق الحكام وإن جاروا وظلموا،

**[المفتاح الثالث عشر]: التزام جماعة المسلمين وإمامهم فإن اختلطت الأمور فالاعتزال أولى من الخروج على الحكام:** أخرج البخاري ومسلم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يقول: (كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير شر قال نعم فقلت هل بعد ذلك الشر من خير قال نعم وفيه دخن قلت وما دخنه قال قوم يستنون بغير سنتي ويهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر فقلت هل بعد ذلك الخير من شر قال نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها فقلت يا رسول الله صفهم لنا قال نعم قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا قلت يا رسول الله فما ترى إن أدركني ذلك قال تلزم جماعة المسلمين وإمامهم فقلت فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام قال فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك) [أخرجه البخاري ح (6673)، ومسلم ح (1847)]، وفيه اولوية التزام جماعة المسلمين وإمامهم فإن اختلطت الأمور فالاعتزال أولى من الخروج على الحكام،

**[المفتاح الرابع عشر]: سفك دم الخارج على الحاكم أولى من اختلاف الكلمة واضطراب الأمور والهرج والمرج:** أخرج مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما) [أخرجه مسلم ح (1853)]، والحديث يدل على خطورة الأمر وأنّه لا هزل فيه، وأخرج مسلم عن عرفجه بن شريح رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (أنه ستكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائنا من كان) [أخرجه مسلم ح (1852)]، والحديث فيه الأمر بقتال من خرج على الحاكم المسلم، أو أراد تفريق كلمة المسلمين، [الحديث السادس

عشر]: أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (سيكون خلفاء فيكثرون قالوا فما تأمرنا قال فوا ببيعة الأول فالأول أعطوهم حقهم واسألوا الله الذي لكم فإن الله سائلهم عما استرعاهم) [أخرجه البخاري ح (3268)، ومسلم (1842)]، والحديث يأمر المسلمين بإعطاء الحكام حقوقهم كاملة دونما نقصان، فإن منعونا حقنا فنسأل الله تعالى حقنا ولا نخرج عليهم، الله تعالى سائلهم يوم القيامة عما استرعاهم،

**[المفتاح الخامس عشر]: الصبر على جور الحكام:** أخرج البخاري عن الزبير بن عدي قال: (أتَينا أنسَ بنَ مالكٍ، فشكَونا إليه ما يَلقَونَ منَ الحَجَّاجِ، فقال: اصبِروا، فإنه لا يأتي عليكم زَمانٌ إلا الذي بعدَه شرٌّ منه، حتى تَلقَوا ربَّكم، سمِعتُه من نبيِّكم صلى الله عليه وآله وسلم) [أخرجه البخاري: ح: 7068]، وفيه الأمر بالصبر على جور الحكام،

**[المفتاح السادس عشر]: الحرص على نصيحة الحكام وعدم مخالفتهم حتى لا تختلف الكلمة عليهم،:** أخرج مسلم عن تميم بن أوس الداري رضي الله عنه قال إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (الدِّينُ النَّصيحةُ قلنا: لمن؟ قال: للَّهِ ولكتابِهِ ولرسولِهِ ولأئمَّةِ المسلمينَ وعامَّتِهم) [أخرجه مسلم ح (55)]، وفيه الامر بإخلاص النصيحة للحكام والحرص على مصالحهم، وأخرج مسلم عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: (قال لي رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم كيف أنت إذا كانت عليك أمراءُ يُؤخِّرونَ الصلاةَ عن وقتِها، أو يُميتونَ الصلاةَ عن وقتِها؟ قال قلتُ: فما تأمرني؟ قال صَلِّ الصلاةَ لوقتِها، فإن أدركتَها معهم فصلِّ، فإنها لكَ نافلةً) [أخرجه مسلم ح (648)]، وفيه الحرص على ملازمة الحكام، حتى في الهيئة والصورة العامة (فإن أدركتَها معهم فصلِّ)، وذلك حتى لا تختلف الكلمة عليهم،

**[المفتاح السابع عشر]: هناك أحاديث قد يُفهم منها الإنكار على الحكام وعدم السكوت على أخطائهم، ولذا وجب بيان مفاتيح الفهم السديد لتلك الأحاديث:**

**[الحديث الأول]: قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ)** [أخرجه الترمذي، والنسائي، وأبو داود، وابن ماجه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (1 / 886، ح رقم 491)]، **والفقه الصحيح للحديث يتكون من خلال فهم تلك الضوابط: (الضابط الأول ):** أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم في طاعة الأمراء واحترامهم والنهي عن اهانتهم خوفا

من سقوط هيبتهم عند الرعية، مما يؤول إلى الضرر بالأمة والهرج والمرج والفوضى واستحلال الحرمات، **(الضابط الثاني)**: الهدي القرآني في معاملة الحكام، قال تعالى – آمراً نبي الله موسى ونبي الله هارون عليهما السلام –: {اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} [طه: 43، 44]، **(الضابط الثالث)**: منطوق الحديث وفيه (كلمة عدل عند) والعندية قد تعني وجوده أمام السلطان، وليس كما يفهمه البعض من التشهير في المجالس وذكر المساوئ والعيوب، وتقويض دعائم الحكم وهيبته، **(الضابط الرابع)**: أن تكون كلمة حق صادقة، فكم من كلمة حق أريد بها باطل، فكل من له طمع بالملك لا ينبغي له أن يأمر أو ينهى حتى يعلم الحاكم أن ليس له طمع في كرسي الملك وأنّ الآمر الناهي القائل بكلمة الحق لم يخلع يداً من طاعة، وإنما قالها انتصاراً لدين الله تعالى، خالصاً لله وحده، وليس هدفها التشهير به أو تقليل هيبته، **(الضابط الخامس)**: منطوق الحديث (كلمة عدل) أو في الرواية الثانية (كلمة حق)، فهذا هو أفضل الجهاد وقصاراه، فلا ينبغي أن يتعداها إلى تهديد ووعيد أو إلى حمل السلاح أو نزع يد الطاعة أو إعلان العصيان والمخالفة، فمن أهان سلطان الله تعالى في الأرض أهانه الله، ولا أن يتعداها إلى التشهير بالحاكم في المجالس والطرقات فكل ذلك افتيات على هيبة الحاكم وسلطته،

**[الحديث الثاني]:** أخرج مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: **أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون، وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل)** [صحيح مسلم ح (50)]، قال ابن رجب في شرح الحديث: (هذا يدل على جهاد الأمراء باليد وقد استنكر الإمام أحمد هذا الحديث في رواية أبي داود وقال هو خلاف الأحاديث التي أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيها بالصبر على جور الأئمة، **[قلت]**: يحتاج هذا الحديث إلى عدة توضيحات تبين المراد منه، **(الأول)**: الحديث لم يذكر جهاد الأمراء صراحة، فهو يتناول جهاد الفرق الضالة كالخوارج وغيرهم، ويتناول الطوائف المنحرفة كالمنافقين والزنادقة، **(الثاني)** الحديث يتناول الأمم السابقة كما يدل على ذلك نصه، ولا يمنع دخول أمة الإسلام في الخطاب، بخصوصية معاملة حكام المسلمين لأنّ الأحاديث الصحاح الكثيرة – وقد تقدم جزء منها – على ضرورة الصبر على جور الحكام

وعدم الخروج عليهم بالسلاح ما أقاموا الصلاة وما لم نر منهم كفراً بواحاً عندنا فيه من الله تعالى برهان، **(الثالث)** هذا الحديث بالرغم من وجوده في صحيح مسلم إلا أنّ الإمام أحمد ابن حنبل تكلم فيه، فقد جاء في مسائل الإمام أحمد: أنّه سئل عن هذا الحديث فقال: (الحارث بن فضيل – وهو من رواة الحديث – ليس بمحمود الحديث وهذا الكلام لا يشبه كلام ابن مسعود، ابن مسعود يقول قال رسول الله: (اصبروا حتى تلقوني)، [مسائل الإمام أحمد صـ 307]، (قلت): وقد أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (ج 1/ 346)، ولم يخرجه في الصحيح، ولعله لتلك العلة ترك تخريجه في الصحيح، قال ابن الصلاح: إن هذا الحديث مما انفرد به مسلم عن البخاري وقد أنكره أحمد بن حنبل فيما بلغنا عن أبي داود السجستاني في مسائله عن أحمد قال: الحارث بن فضيل ليس بمحفوظ الحديث وهذا الكلام لا يشبه كلام ابن مسعود وذكر أحمد قوله صلى الله عليه وآله وسلم (اصبروا حتى تلقوني) [صيانة صحيح مسلم (209)]، **(الرابع):** لابد من التفريق بين نوعين من الإنكار، فأما الإنكار بمعنى الخروج عليهم وخلع بيعتهم، ففي هذه الحالة لا يجوز الإنكار عليهم إلا بشرطين: (أولهما): أن يصدر منهم كفرٌ بواح، ظاهر لا يقع فيه تأويل، و (الثاني): أن لا يكون في الخروج عليهم مفسدة راجحة من انتهاك أعراض، وسفك دماء، وإضرار بالدنيا والدين ! ولذلك نهى العلماء من سلوك هذا الطريق، لما يُفضي على الأمة من الشرور، ولما يولد من المفاسد، ولما ينتج عنه من محو لرسوم الدين، **قال النووي:** (وأما الخروج عليهم، وقتالهم، فحرام بإجماع المسلمين، وإن كانوا فسقة ظالمين، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته، وأجمع أهل السنة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق، قال العلماء: وسبب عدم انعزاله، وتحريم الخروج عليه ما يترتب على ذلك من الفتن، وإراقة الدِّمَاء، وفساد ذات البين، فتكون المفسدة في عزله أكثر منها في بقائه) أهـ [شرح النووي على صحيح مسلم (12/ 229)]، وقد تواترت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تأمر بالصبر، وتنهى عن الخروج، وقد تقدم ذكرها، وأما الإنكار الثاني، فهو الإنكار في ظل احترام البيعة له، والتزام السمع والطاعة له في غير معصية، ويتمثل في: الإنكار بصورة اسداء النصيحة له بإخلاص، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر في اطار احترامه وحفظ هيبته وعدم نزع اليد من طاعته، بعيدا عن التشهير والتأليب، قال الحافظ أبو عَمْرو ابن الصلاح: "وما ورد في هذا الحديث مِن الحث على جهاد المبطلين باليد واللسان: فذلك حيث لا يلزم منه إثارة فتنة، على أن لفظ هذا الحديث مسوق فيمن سبق من الأمم، وليس في لفظه ذِكر هذه الأمة، والله أعلم" اهـ [صيانة صحيح مسلم صـ 209]،

**[الحديث الثالث]: حديث أبي سعيد الخدري: قال صلى الله عليه وآله وسلم: (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)** [أخرجه مسلم]، وهذا الحديث عام في بيان مراتب إنكار المنكر، ولكن لفقهاء أهل السنّة والجماعة تفصيل في باب الإنكار على الأمراء، وأنّه لا يجوز أن يتعدى الإنكار باللسان حتى لا يؤول إلى منكر أكبر، ولا يكون بالتحزب وحمل السلاح، وغير ذلك من الضوابط التي دلت عليها السياسة الشرعية الإسلامية الحكيمة، ومن أهم ذلك، أن يكون مشوبا بالنصح والرفق، بعيدا عن التشهير والتأليب، كما أنّه ليس لأحد منع منكر الحاكم بالقهر باليد، ولا أن يشهر عليه سلاحاً، أو يجمع عليه أعواناً، لأن في ذلك تحريكاً للفتن وتهييجاً للشر، وإذهاباً لهيبة السلطان من قلوب الرعية وربما أدي ذلك إلي تجرئتهم على الخروج عليه وتخريب البلاد، وضياع الأمن ومصالح المسلمين، وخدمة أعداء الدين من غير المسلمين، وغير ذلك مما لا تخفي أضراره على أهل الفقه في الدين، وحديث (من رأي منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)، فهذا حديث خطاب لجميع الأمة، وعموم الحديث يقضي بمشروعية الإنكار باليد لمن قدر عليه، ولكن هذا مشروط بشروط منها: ألا يفضي إنكاره هذا إلي منكر اشد منه، وأن لا يكون الإنكار باليد مما اختص السلطان به شرعاً كإقامة حد، أو شهر سيف، ونحو ذلك، وهذا كله فيما إذا كان صاحب المنكر غير السلطان، فإن كان السلطان، قال ابن النحاس في تنبيه الغافلين (ص 46): (فليس لأحد منعه بالقهر باليد، ولا أن يشهر عليه سلاحاً، أو يجمع عليه أواناً لأن في ذلك تحريكاً للفتن وتهييجاً للشر، وإذهاباً لهيبة السلطان من قلوب الرعية وربما أدي ذلك إلي تجريهم على الخروج عليه وتخريب البلاد، وغير ذلك مما لا يخفي)' وقد قال الإمام أحمد – رحمه الله –: (لا يتعرض للسلطان، فإن سيفه مسلول) [الآداب الشرعية (1/ 197)]، قال ابن مفلح في الآداب الشرعية: (ولا ينكر أحد على سلطان إلا واعظاً له وتخويفاً أو تحذيراً من العاقبة في الدنيا والآخرة فإنه يجب، ويحرم بغير ذلك، ذكره القاضي، وغيره، والمراد: ولم يخف منه بالتخويف والتحذير وإلا سقط وكان حكم ذلك كغيره، والمراد: ولم يخف منه بالتخويف والتحذير، وإلا سقط المنكر مع السلاطين: التعريف والوعظ فأما تخشين القول نحو: يا ظالم، يا من لا يخاف الله، فإن كان ذلك يحرك فتنة يتعدى شرورها إلي الغير لم يجز، وإن لم يخف إلا على نفسه فهو جائز عنه جمهور العلماء، قال: والذي أراه المنع من ذلك) أهـ [الآداب الشرعية (1/195-197)]، وقال ابن النحاس في كتابه تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين، وتحذير السالكين من أفعال الهالكين (ص 64) (ويختار

الكلام مع السلطان في الخلوة على الكلام معه على رأس الأشهاد بل يود لو كلمة سراً ونصحه خفية من غير ثالث لها) اهـ،

**[الحديث الرابع]: حديث أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه** أَنَّهُ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تقرؤون هَذِهِ الْآيَةَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ} وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَقُولُ: (إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمْ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ) [أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وابن ماجه والنسائي وابن حبان في صحيحه وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي وصحيح الجامع الصغير] (قلت): الحديث عام في كل ظالم (إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ)، ولكنه مخصوص في الحاكم الظالم، فيستثنى من عموم الحديث، وسبب ذلك هو عموم الأحاديث التي تأمر بالصبر على الحاكم الظالم وتنهى من الخروج عليه، وما قيل في الأحاديث السابقة يُقال هنا: من أنّ انكار منكر الأمراء له أحكام تختلف عن عامة الرعية، وله ضوابط عديدة لا ينبغي تجاوزها وإلا آل الامر إلى الفتنة ووقوع مناكر أشد من المنكر المراد تغييره، [الحديث الخامس]: قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (لتأخذن على يد الظالم، ولتأطِرنّه على الحق أطرا، ولتقصرنه على الحق قصرًا، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعننكم كما لعنهم) [رواه أبو داود، ح رقم (4336) و (4337)، والترمذي وحسنه، ح رقم (3050)، وابن ماجه، ح رقم (4006)، وأحمد 1/391]، (قلت): الحديث عام في إنكار المنكر على كل ظالم، **وهذا على وجه العموم، ولكن إن تعلق الأمر بولاة الأمور**، فقد تواترت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تأمر بالكَف، والصبر، وتنهى عن الخروج، وأنّه لا يجوز إلا بشرطين: **(أولهما)**: أن يصدر منهم كفرٌ بواح، ظاهر لا يقع فيه تأويل، **و (الثاني)**: أن لا يكون في الخروج عليهم مفسدة راجحة من انتهاك أعراض، وسفك دماء، وإضرار بالدنيا والدين ! ولذلك نهى العلماء من سلوك هذا الطريق، لما يُفضي على الأمة من الشرور، قال النووي: (وأما الخروج عليهم، وقتالهم، فحرام بإجماع المسلمين، وإن كانوا فسقة ظالمين، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته، وأجمع أهل السنة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق، قال العلماء: وسبب عدم انعزاله، وتحريم الخروج عليه ما يترتب على ذلك من الفتن، وإراقة الدِّمَاء، وفساد ذات البين، فتكون المفسدة في عزله أكثر منها في بقائه) أهـ [شرح النووي على صحيح مسلم (12/ 229)]، وبعد هذه هي السياسة الشرعية التي تعلمنا تقديم مصلحة الأمة على مصلحة الأفراد، وكل

تلك الأحاديث النبوية التي تأمر بالصبر على جور الحكام وظلمهم، قالها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لترسيخ مفهوم السياسة الشرعية التي تقدم مصلحة المجتمع عند التعارض على مصلحة الأفراد، والتي تقدم مصلحة الأمة على مصلحة بعض طوائفها عند التعارض بين تلك المصالح، والمتدبر للسياسة الشرعية النبوية يعلم يقينا مدى حرص النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ابعاد الأمة عن كل ما يجلب الفتنة وسفك دماء المسلمين واستحلال محارمهم، إذن ليس الهدف من ذكر هذه الضوابط في معاملة أولياء الأمور تبرير أخطاء الحكام، أو تمحل المعاذير لهم فيما يأتونه مما يُخالف الدين، وإنّما المقصد هو وضع الضوابط والأسس الشرعية لضبط العلاقة بين الحاكم والرعية وفق ما أملت به السياسة الشرعية الإسلامية، دونما افتيات على صلاحياتهم أو تأليب عليهم وتهييج الرعية عليهم وافساد سريرتها معهم، إذ لا بد للناس من حاكم، وستون سنة في حكم حاكم ظلوم غشوم أهون من ساعة بلا ولي أمر فيؤول الأمر إلى الهرج والمرج وسفك الدماء واستحلال المحارم، أما ما يتعلق بدين الله تعالى، فقد أمرنا الله تعالى بأعظم فريضة تتعلق بحراسة الدين والحسبة عليه، ألا وهي فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن وفق ضوابطها الشرعية التي تتلائم مع وضع الحكام المسلمين، وأهل العلم ورجال الدعوة مطالبون بالصدع بأمر الله، قال تعالى:{فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ} [الحجر: 94، 95]، ومطالبون بتبليغ شرع الله، قال تعالى: {الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أحدا إِلَّا اللَّهَ} [الأحزاب: 39]، ولا يجوز لهم كتمان الشرع ولا العلم، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ}[البقرة: 174، 175]، وأهل العلم ورجال الدعوة نهاهم الله تعالى عن المداهنة، والركون إلى الظالمين، قال تعالى: {وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ} [القلم: 9]، وانطلاقا من هذا: يلزم الجهر بالحق، ولكن لكل مقام مقال، وهل الحسبة على الأبناء تشبه الحسبة على الوالدين والأمراء، شتان ما بين هذا وذاك، ولكل درجاته التي لا يصح أن يتعداها المرء، إذن فيما يتعلق بدين الله تعالى، فقد أمر الله تعالى العلماء والدعاة بأعظم فريضة تتعلق بحراسة الدين والحسبة عليه، ألا وهي فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن وفق ضوابطها الشرعية التي تتلائم مع وضع الحكام المسلمين، بالرفق واللين وعدم نزع اليد من البيعة والطاعة، وهذا حد الحسبة مع أولي الامر، مع مراعاة السمع والطاعة لهم في غير معصية، ومع مراعاة توقيرهم واحترامهم، وبذل

الطاعة لهم في كل ما يأمرون به أو ينهون عنه إلا أن يكون معصية، وبذل النصيحة لهم، والدعاء لهم بصلاح الأحوال، والهداية إلى سبيل الرشاد، أمّا اعلان العصيان عليهم ونزع يد الطاعة منهم أو الخروج المسلح عليهم، فهذا ما نهت عنه الشريعة إلا بضوابطه السديدة: إلا أن نرى كفراً بواحاً عندنا فيه من الله تعالى برهان، فإن معاداة الحكام المسلمين لا عائد منها سوى الضرر والمفسدة والخراب والدمار والوهن والضعف على بلاد المسلمين ولا يستفيد منها سوى أعداء الدين من اليهود والمشركين،

**[المفتاح الثامن عشر]: شبهات في الباب يتحتم بيان معانيها وحل مشكلاتها:** يستدل البعض على جواز الخروج على الحاكم المسلم الفاسق أو الجائر أو المبتدع، بعدة شبهات يظنونها ادلة وهي في الحقيقة شبهات لابد من ردها إلى امهاتها من المحكمات، ومن ذلك: استدلالهم بالنصوص النبوية التي أمرت بالأخذ على يد الظالمين، كحديث: (أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ)، وحديث: (إذا رأيت أمتي تهاب فلا تقول للظالم يا ظالم فقد تودع منهم)، وحديث: (ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون، وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل)، وحديث: (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)، وحديث: (إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمْ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ)، وحديث: (لتأخذن على يد الظالم، ولتأطِرنّه على الحق أطرا، ولتقصرنه على الحق قصرًا، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعننكم كما لعنهم)، وهذه الأحاديث من العام المخصوص، تُفهم في إطار إنكار المنكر العام، ولكن إذا تعلق الأمر بالحكام وولاة الأمور، فلابد من فهم الحديث في إطار أحكام إنكار المنكر على الولاة والتي قررها الفقهاء، من خلال فهم قوله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ} [النحل: 125]، وقوله تعالى: {فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} [طه: 44]، ومن خلال الأحاديث الصحيحة المحكمة، والتي تدعو إلى الصبر على جور الحكام، مراعاة للمصالح العامة للمسلمين، وقد نقل النووي إجماع أهل السنّة والجماعة على تحريم الخروج على الحكام، وإن كانوا فسقة ظالمين، **ومن ذلك: استدلالهم بخروج سيدنا الحسينَ بنَ عليٍّ رضي الله عنهما**، والرد على هذه الشبهة يكون من عدة أوجه: **الوجه الأول:** أن الأحاديث الصحيحة

الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تمنع من الخروج على الحكام بسبب الجور أو الظلم أو الفسوق أو العصيان، ولم تستثنِ إلا الكفر البواح الذي لا خلاف عليه، **والوجه الثاني:** أن الحسين وابن الزبير رضي الله عنهما، قد خالفهم الصحابةُ في ذلك، فقد أخرج البخاري عن نافع، قال: لما خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية جمع ابن عمر حشمه وولده فقال: إني سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة)، وإنا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله ، وإني لا أعلم غدراً أعظم من أن يبايع رجلٌ على بيع الله ورسوله ثم ينصب له القتال، وإني لا أعلم أحداً منكم خلعه ولا بايع في هذا الأمر إلا كانت الفيصل بيني وبينه) [أخر جه البخاري ح (7111)]، وقال العلامة ابن الأثير عن خروج الحسين رضي الله عنه: (فأتاه كتب أهل الكوفة وهو بمكة، فتجهز للمسير، فنهاه جماعة، منهم: أخوه محمد ابن الحنفية وابن عمر وابن عباس وغيرهم) أهـ [أسد الغابة 2/28]، وقال ابن كثير – عن خروج الحسين – رضي الله عنه –: (ولما استشعر الناس خروجه: أشفقوا عليه من ذلك، وحذروه منه، وأشار عليه ذوو الرأي منهم والمحبة له بعدم الخروج إلى العراق، وأمروه بالمقام بمكة، وذكروا ما جرى لأبيه وأخيه معهم) أهـ [البداية والنهاية 8/161]، وذكر ابن كثير آثاراً عديدة تدل على نصيحة الصحابة للحسين رضي الله عنه بعدم الخروج، منها، قول عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما: (استشارني الحسين بن علي – رضي الله عنهما – في الخروج فقلت: لولا أن يزري بي الناس وبك، لنشبت يدي في رأسك فلم أتركك تذهب) أهـ [البداية والنهاية 8/178]، وقول ابن عمر رضي الله عنهما له ولابن الزبير رضي الله عنهما: (اتقيا الله، ولا تفرقا بين جماعة المسلمين) [البداية والنهاية 8/158]، وقال له أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: (اتق الله والزم بيتك ولا تخرج على إمامك) أهـ [البداية والنهاية 8/ 176]، وقال أبو واقد الليثي رضي الله عنه: (بلغني خروج الحسين بن علي رضي الله عنهما فأدركته بملل، فناشدته بالله ألاّ يخرج، فإنه يخرج في غير وجه خروج، إنما خرج يقتل نفسه، فقال: لا أرجع) أهـ [البداية والنهاية 8/ 176]، **و الوجه الثالث:** أن الإجماع استقرّ بعد ذلك على منع الخروج على الحاكم، إلا في حالة الكفر الصريح فقط، قال النووي – بعد الكلام عن خروج الحسين وابن الزبير وخروج بعض التابعين –: (وقيل إن هذا الخلاف كان أولاً، ثم حصل الإجماع على منع الخروج عليهم) أهـ [شرح النووي على صحيح مسلم: ج 11، ص 433، ح: (4748)]، وقال ابن حجر في التهذيب – عن الخروج – (وهذا مذهبٌ للسلف قديم، لكن استقرّ الأمر على ترك ذلك لما رأوه قد أفضى إلى أشدّ منه، ففي وقعة الحرّة ووقعة ابن الأشعث وغيرهما عِظةٌ لمن تدبّر) أهـ

[التهذيب 1/399]، **والوجه الرابع:** الحسين سيد شباب أهل الجنة وإمام زمانه، فمن مثل الحسين حتى نكون وراءه، وهذا لا يكون أبدا إلى قيام الساعة، إلا في زمان المهدي المنتظر، وهو له آيات دلنا عليها الشرع، منها أن اسمه محمد بن عبد الله، وان بيعته بين الركن والمقام، وأنه يخسف بالجيوش التي تعاديه، **ومن ذلك استدلالات عقلية تتمثل في: (**قولهم**):** أنّ من يحرمون خلع السلطة الجائرة، يكونون سببا لبقاء الظلم الذي كتب الله تعالى تعجيل عقوبته، وتستفيد السلطة الظالمة المستبدة من توقيعاتهم على جورها، ليبقى ويزداد كما وكيفا، ويتخذ أشكالا وألوانا، والرد على هذا الاستدلال العقلي من جانبين: الأول: شرعي يتمثل في أمر الشريعة الحكيمة بالصبر على جور الحكام المسلمين والنهي عن الخروج عليهم بالسلاح وغيره لغاية عظيمة هي حقن الدماء ومنع الفوضى واعانة الحكام على تولي مهامهم الجسام، وحتى لا يكون الخروج عليهم عون للشيطان عليهم فيسفكون الدماء، ويؤدي انكار المنكر عليهم إلى وقوع مناكر عظيمة ما أغنانا عنها لو التزمنا الشريعة الحكيمة، والجانب الثاني: عقلي واقعي يتمثل في النظر على مر تاريخ الإسلام لم يؤد الخروج إلا إلى سفك الدماء واستحلال الحرمات والهرج والمرج والفشل الذريع في غالب الأحيان، ومن استقرأ التاريخ بإنصاف علم ذلك يقيناً، ثم إنّ من شروط الخروج القدرة، وهل تتيسر القدرة اليوم في ظل اقتصار احتكار الأسلحة الثقيلة والفتاكة في أيدي الحكام وأنظمتهم، وآنذاك فإنّ القول بجواز الخروج عليهم ما هو إلا تغرير بأهل الإسلام وأمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومن خلال تلك المفاتيح يتبين انّ السادة الصوفية هو الاوسع إدراكا والأعمق فهما ومعرفة بأحكام السياسة الشرعية،

***

# المبحث الثالث والثلاثون

# الصوفية وأهل السنة والجماعة سواد المسلمين الأعظم

**[المفتاح الأول]:** أهل التصوف يقولون: لا تنطبق أحاديث النجاة إلا لأهل السنة والجماعة الناجية، ولا يصلح أن تكون الفرقة الناجية سوى جماعة أهل السنة والجماعة لانهم أهل القرآن وخاصته، وهم أهل الحديث وخاصته، وكل الفرق عالة عليهم في الإجماع ثالث مصادر الدين، وكل الفرق عالة عليهم في باب التخصص العلمي، وهم أهل التوسط والاعتدال بين طرفي غلو في كل أبواب الدين، وهم وحدهم الذين ينطبق عليهم أوصاف النجاة في أحاديث الافتراق الصحيحة، وهم وحدهم سواد الأمة الأعظم الذين أمر الله تعالى ورسوله صلى الله علية وسلم باتباعه، ويقولون: إنّ الإطار العلمي الدقيق لأهل السنة والجماعة يمثله: في العقيدة ثلاث مدارس هي: (المدرسة الأثرية)، (والمدرسة الأشعرية)، (والمدرسة الماتريدية)، ويمثل إطارهم في الفقه مذاهب أربعة هي: المذهب الحنفي، والمذهب المالكي، والمذهب الشافعي، والمذهب الحنبلي، ويمثلهم في التصوف السادة الأقطاب، ومدارسهم التزكوية والربانية القائمة على معتقد أهل السنّة والجماعة، والمتخصصة في التزكية والأخلاق، يقولون: هذا هو الإطار العلمي الدقيق لأهل السنة والجماعة، يدخل فيه سواد المسلمين الأعظم، ممن لم يتلبس ببدعة مخرجة عن هذا الإطار، وعلامتهم أنهم: لا ينتسبون إلا إلى السنة والجماعة، ولا يتلبسون ببدع الشيعة ولا المعتزلة ولا الخوارج ولا الحشوية، ويوالون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جميعا ويترضون عنهم جميعا، ويؤمنون ويقرون بما أثبته الله تبارك وتعالى من فضلهم ومن الكرامة لهم، ويقولون أنّ منزلة الصحابة لا يعدلها شيء لمشاهدة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يتعرضون لما حدث بينهم، ويقولون هم السادة الكبار، أخطاؤهم مغمورة في بحار حسناتهم، ويقولون كما أمرهم القرآن: {رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [الحشر: 10]، ويوالون

آل البيت كلهم، ويحبونهم جميعا، بل يعشقونهم، ولا يرضون أبدا لما نالهم من الأذى، والحاصل: أنّ الصوفية يجمعون بين حب الصحابة حبا جما، وحب أهل البيت حبا جما، ولا يجعلون هناك تناقضا بين حب الصحابة وحب أهل البيت، بل كلاهما من مشكاة واحده، هؤلاء صحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهؤلاء آل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ودائما يقولون اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله الاطهار وصحبه الأبرار، فهذه بعض مفرداتهم فيما يتعلق بالجماعة الناجية أهل السنة والجماعة،

**[المفتاح الثاني]: بيان الأسباب التي تجعل** الفرقة الناجية من فرق المسلمين هي سواد أهل الإسلام الأعظم أهل السنة والجماعة، وذلك لأنّ جميع الفرق الإسلامية ترى نفسها الفرقة الناجية، ولكن لا يصلح أن تكون الفرقة الناجية سوى جماعة أهل السنة والجماعة لأسباب عشرة عريضة:

**[السبب الاول]:** هم وحدهم الذين ينطبق عليهم أوصاف النجاة في أحاديث الافتراق الصحيحة، فقد صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتهر بأن أمة الإسلام ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها تستحق الوعيد بالنار إلا واحدة، قال صلى الله عليه وسلم: (وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي) [أخرجه الترمذي]، **(قلت) ويؤيد حديثنا هذا قول الله تعالى: (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) فقد دلت الآية على أن الناجين يوم القيامة هم المتمسكون بما عليه النبي – صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام أئمة المؤمنين الهداه المهديين، وأن الخاسرين آنذاك هم المشاقون لكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم والمخالفون لهدى الصحابة، رضي الله عنهم، وأسعد الطوائف بهذا الحديث، هم** (أهل السنة والجماعة) سواد الامة الأعظم، فهم الوحيدون من بين سائر الفرق الإسلامية الذين يترضون على سائر الصحابة، ولا ينظرون إلى ما كان بينهم من الفتن والاختلافات، وينطبق عليه قول الله تعالى في سورة الحشر: **{**لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا

غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} **[الحشر: 8-10]، إن هذه الآيات الثلاثة من سورة الحشر تمثل منهاج الرد المتكامل على روافض الحق وشيعة الباطل، ففي الآية الأولى ثناء على المهاجرين من الصحابة ووصف لهم بالصدق والإخلاص ونصرة الله ورسوله، وفي الآية الثانية ثناء على الأنصار وهم من الصحابة ووصف لهم بالإيثار والفلاح، وعلى ذلك فكلتا الآيتين ثناء على صحابة النبي صلى الله عليه وسلم، وهل الصحابة إلا المهاجرون والانصار، والآية الثالثة: تمتدح أولئك الذين ليس في قلوبهم لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلا المحبة والود، قال تعالى: {**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}، ولا يوجد في الفرق من يترضى على جميع الاصحاب إلا (اهل السنّة والجماعة)، فهم وسط في هذا الباب بين (الخوارج)، و (النواصب)، و (المعتزلة)، و(الرافضة)، فـ (الخوارج) يكفرون الإمام علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ويكفرون كل من والاه، و (النواصب) يبغضون الإمام علي رضي الله عنه ويفسقونه ومن كان معه، و (الشيعة الروافض) يلعنون غالب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ويكفرونهم إلا نفرا يسيرا، ويحكمون بردة أكثرهم وهم لا يكتفون بذلك بل يجعلون دينهم ودينهم سب الصحابة ولعنهم وشتمهم والدعاء عليهم وقد امتلأت كتبهم على آخرهم بمئات النصوص، الدالة على هذا المعتقد الضال، و (المعتزلة القدرية) يقولون بفسق الصحابة الذين شاركوا في الجمل وصفين دونما تحديد، ويدخل فيهم الإمام علي رضي الله عنه، وجميع الصحابة الذين كانوا معه، والزبير وطلحة ومعاوية وعمرو والصحابة الذين كانوا معهم، أما (أهل السنة والجماعة) فإنّهم يقرون بعدالة الصحابة اجمعين، ويوالون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم ويترضون عنهم جميعهم، ويعتقدون أنّ رتبة الصحابة لا يعدلها رتبة، لمشاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنّ فضيلة الصحبة لا يوازيها عمل ولا تنال درجتها بشيء، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وانهم مع ذلك ليست لهم العصمة، بخطؤون ولكنهم خير البشر بعد الأنبياء، **وهم كذلك اسعد الناس حظا بحيث:** (ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة وهي الجماعة) [أخرجه أبو داود كتاب السنّة 4/198 ]، وحديث: (إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة) [أخرجه الإمام أحمد في المسند 3/145 وابن ماجه في السنن 2/ 1322]، فهم احرص الناس على الجماعة، لقد تمايز أهل الفرقة الناجية بمسمى (أهل السنة والجماعة)، (فأهل

السنة): لتمسكهم بالسنة التي كان عليها النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم، (وأهل الجماعة): لاجتماعهم على الحق في مقابل أهل البدع والضلال،

**[السبب الثاني]:** أهل السنة والجماعة هم وحدهم سواد الأمة الأعظم الذين أمر الله تعالى ورسوله صلى الله علية وسلم باتباعه، فقد جاء في حديث ابن ماجه عن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: " إن أمتي لا تجتمع على ضلالة، فإذا رأيتم اختلافا فعليكم بالسواد الأعظم "، وجاء في حديث الحاكم عن ابن عمر: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يد الله على الجماعة فاتبعوا السواد الأعظم، فإنه من شذ شذ في النار)، ولا نجد سوادا أعظم في هذه الامة على مر عصور الإسلام سوى (أهل السنة والجماعة)، ومن هذه الأسباب نعلم لماذا لا تكون راية النجاة سوى راية أهل السنة والجماعة،

**[السبب الثالث]:** أهل السنّة والجماعة هم الخط العام لجماعة المسلمين التي انشقت عنها بقية الفرق، فلم يقبض النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى إلا والصحابة رضي الله عنهم على مثل بيضاء ناصعة ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فلما فبض النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى، واجتمع الأنصار في السقيفة ولحق بهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة من المهاجرين، وأسفر هذا الاجتماع على انتخاب أبي بكر خليفة للمسلمين، وتمت البيعة العامة بعدها في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر الصديق الخليفة الأول لرسول الله صلى الله عليه وسلم، باتفاق الصحابة، وصار انتخابه هو الخط العام للجماعة فكل من خالف خرج عن الخط العام، وكان زمانه زمان الخير والبركة قضى على المرتدين وأرسل الجيوش لفتح فارس والروم وكانت انتصارات عظيمة للمسلمين في كل الجهات، ثم اجمع المسلمون على قبول ترشيح أبي بكر لعمر كخليفة للمسلمين من بعده واستقر الامر عليه كخليفة وكان عبقريا رسخ أكبر امبراطورية إسلامية قضت على فارس والروم ونشرت الإسلام عزيزا في أرجاء الأرض كلها، فكل من اعترض على عمر فقد خرج عن إطار الجماعة، ثم اغتاله المجوسي في صلاة الفجر ورشح ستة يختار المسلمون من بينهم الخليفة واستقر أمر المهاجرين والانصار على عثمان وتمت له البيعة وأجمع عليه المسلمون فكل من خرج على عثمان خرج عن الخط العام للجماعة الناجية، أكمل عثمان رضى الله عنه فتح البلدان في أقاصي الشرق والغرب وحكم إمبراطورية مترامية الأطراف لم يتيسر لأي أمة قبل أمة الإسلام أن تحكم مثلها عبر التاريخ، وفي آخر عهده كانت هناك جهة تعمل في الخفاء للانتقام والثأر

من أهل الإسلام يقودها اليهودي ابن السوداء ابن سبأ حيث جمع أوباش الناس من مختلف الأنصار وكانت له معرفة بتزوير الأختام والرسائل فكان يكاتب الأوباش ويرسل الرسائل المزورة على عثمان في الأمصار ويرسل الرسائل المزورة على كبار الصحابة بوجوب قتل عثمان وتخليص الامة الإسلامية منه، ولم يتفطن الصحابة لذلك المخطط حتى حاصر الاوباش الخليفة عثمان في موسم الحج وانتهزوا فرصة خلو المدينة من اكثر الصحابة ومن حاميتها لان أغلب الصحابة إما كانوا على ثغور الجهاد وإما في مكة المكرمة لأداء مناسك الحج وتجمع الأوباش حول بيت عثمان واقتحموا عليه بيته وقتلوه، وظلوا أربعة أيام هم الممسكون بزمام الأمور في المدينة حتى كان احدهم هو من يأمّ بالناس في الصلاة في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، وحتى لا ينفرط عقد الخلافة سارع الصحابة لمبايعة الإمام علي رضي الله عنه خليفة للمسلمين وكان اول من بايعه الصحابي الجليل المبشر بالجنة طلحة بن عبيد الله واسرع الصحابة لمبايعة علي رضي الله عنه في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتمت له البيعة وكل من كان معه هم خط الجماعة الناجية ومن خالفهم كان على الباطل، وكل الصحابة بمن فيهم أم المؤمنين عائشة والزبير وطلحة ومعاوية رضي الله عنهم وأتباعهم لم ينازعوا عليا رضي الله عنه في الخلافة وإنما كان الخلاف على سرعة الاقتصاص من قتلة عثمان وكان القتلة في جيش الإمام علي رضي الله عنه وكان يطلب المهلة لإدارة أمور الحكم فهي اهم ويأتي بعد ذلك وقت القصاص من قتلة عثمان، الشاهد حدثت خلافات بين الصحابة، كان الحق في جميعها مع وأقرب إلى الإمام علي رضي الله عنه وكان مع الصحابة الذين خالفوه وجه اجتهاد مقبول ولكنهم كانوا أبعد الطائفتين عن الحق، وكانت يستحيل ان تؤول هذه الخلافات إلى حروب لولا كيد السبئية اتباع عبد الله بن سبأ وسعيهم لانشاب القتال كلما كاد الصحابة ان يتفقوا، وهذا قدر الله، وظل علي رضي الله عنه يجاهد من اجل توحيد كلمة المسلمين والحفاظ على الخلافة الواحدة حتى مرقت أولى الفرق الضالة وهي (الخوارج): خرجوا عن خط الجماعة وكفروا الإمام علي بزعم أنه قبل بالتحكيم وانه لا حكم إلا لله، وقد قال لهم تقولون كلمة حق أريد بها باطل لأنه لابد من وجود قاض يبين حكم الله فاستحلوا دمه ودم أصحابه فقاتلهم في النهروان وقضى على أكثرهم ولكن تمكن أحدهم من ضربه بخنجر مسموم وهو ينادي في الناس لصلاة الفجر، فطالبه المسلمون ان يستخلف فأبى فاختار الناس ابنه الحسن بن علي رضي الله عنه سيد شباب أهل الجنة فكان له رأي آخر يجمع به المسلمين على راية واحدة فتنازل عن الخلافة لمعاوية على ان تتوحد الامة وتسقط الدماء المطلوبة وتحققت به بشارة النبي صلى الله

عليه وسلم، فقد روى البخاري في صحيحه أبي بكرة يقول: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر – والحسن بن علي إلى جنبه –، وهو يقبل على الناس مرة، وعليه أخرى ويقول: (إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين) [البخاري: 2704]، فهذا الحسن رضي الله عنه وأرضاه ترك الخلافة لا عن جبن ولا عن قلة ولا عن ذلة بل لمراعاة أمر الدين ومصلحة المسلمين وحقن دمائهم ولرغبته فيما عند الله، فكان سيدا أصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فئة علي وفئة معاوية، لما رآه من حقن دماء المسلمين، ومن تدبر نص الرسول صلى الله عليه وسلم علم أن الفئتين من المسلمين، وانه يجوز للخليفة أن يخلع نفسه إذا كان في ذلك مصلحة للامة، الشاهد اجتمعت الامة في هذا العام عام (41 هجري) وسمي عام الجماعة، فمن خرج على خط الجماعة كان من أهل الضلال، وبعد الصلح صارت الجماعة هي الخط العام الراضي بخلافة معاوية بعدما تنازل له الإمام الحسن رضي الله عنه، وهكذا في مقابل الخوارج ظهر الروافض من شيعة الإمام علي، ومن تدبر الأمر بإنصاف وجد ان أهل السنة والجماعة هم شيعة الإمام علي عن فقه وعلم وحكمة، والروافض هم كل من قدم الإمام علي على أبي بكر وعمر تقديم تنقيص لهما أو اتهام لهما بأنهما استبدا بالأمر وظلما علي واخذا حقه وكيف ذلك وقد أجمع صحابة النبي رضي الله عنهم على البيعة لأبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ومن خالف في ذلك فقد أزرى بكل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهم العدول بشهادة القرآن والحديث وإجماع أهل السنة والجماعة، فالروافض يبغضون الصحابة على زعم انهم ظلموا آل البيت حقوقهم وظهر في المقابل تيار آخر يبغض آل البيت وهم النواصب، لقد كان الخط العام للجماعة الأم الترضي عن الصحب كافة والآل كافة فالصحب هم حملة القرآن والدين والسنة إلينا وهم الذين حكم القرآن والحديث بعدالتهم، والآل هم الاطهار المطهرون ذرية النبي صلى الله عليه وسلم وأهل وصيته وهم الثقل الثاني للأمة على مر العصور بعد القرآن، فالجماعة الام تترضى عن الجميع، ولكن (الخوارج) يكفرون كل المسلمين إلا انفسهم و(النواصب) يبغضون آل البيت خاصة و(الروافض) يبغضون الصحابة خاصة، ولم يطل الزمان حتى ظهرت (القدرية) تنفي قدر الله وفي مقابلها (الجهمية الجبرية) تدعي أن الأمر جبر والإنسان كالريشة في مهب الريح واحتجوا على الله بالمعاصي، وكلاهما خط جانبي عن الخط الأساس جماعة المسلمين الام (أهل السنة والجماعة)، فالجماعة تجعل الخلق لله الخالق والكسب للإنسان المخلوق فيما أقدره الله عليه، وعلى نقيض الخوارج ظهر (المرجئة) كرد فعل لتكفيرهم وغلوهم فأخرجوا الأعمال عن الإيمان وجعلوا

إيمان العصاة كإيمان جبريل وميكائيل وفتحوا بابا عريضا أيضا نحو التفسخ والانحلال والاستهانة بالمعاصي والذنوب، وظهرت فرقتان متناقضتان كلاهما خبيث الطوية، وهما (المعتزلة) و (المجسمة)، فالمعتزلة نظروا في الآيات والأحاديث التي تدل على التنزيه والتقديس، دون ما يدل على الإثبات ومحاولة التوفيق بينها لاستخراج قواعد التوحيد والتقديس التي تمثل الإثبات والتقديس، فتحكموا في نصوص الشرع بأهوائهم، وكانت النتيجة الانحراف العقدي وتكوين فرقة تخالف المسلمين في عقائدهم وتستحق بمخالفتها الوعيد بالنار، والمشبهة والمجسمة على نقيض المعتزلة نظروا في الآيات والأحاديث التي تدل على الإثبات دون أي سابق علم لهم بالتنزيه، وما يجوز وما لا يجوز نسبته إلى الله، فتكلموا في الإثبات بالمحسوس والملموس، واستدلوا بالضعيف والموضوع، وما دروا عن شيء اسمه علم التقديس والتنزيه وعلم توحيد الذات، وكانت النتيجة الانحراف العقدي وتكوين فرقة تخالف جماعة المسلمين في عقائدهم وتستحق بمخالفتها الوعيد بالنار، وأكرم الله تعالى الجماعة الأم (الخط العام للمسلمين) بثلاثة مدارس عقدية بها اكتملت صورة العقيدة الفذة التي ينبغي أن يحملها كل مسلم، وقامت بالتأصيل لعقائد الكتاب والسنة واجتهدت في تطهير عقائد المسلمين من أخطاء الخوارج والشيعة والمعتزلة والمجسمة، وأكرم الله تعالى الجماعة الأم بعلماء تلك المدارس الأجلاء، الذين ضبطوا مسائل الأسماء والأحكام، ومسائل الإيمان والكفر، ومسائل التوحيد والشرك، ومسائل التقديس والتنزيه، ومسائل الإتباع والابتداع، ومسائل الإلهيات والنبوات والسمعيات، وما يجوز وما يجب وما يستحيل على الله تعالى وعلى انبيائه ورسوله عليهم السلام، وضبطوا سائر أبواب العقيدة على مذاهب الكتاب والسنة والصحابة وآل البيت، وصاروا هم أئمة الدين المقتدى بهم في الأصول وتلقت الأمة علومهم بالقبول، وأول تلك المدارس، وهي المدرسة (الأثرية)، وعليها فضلاء الحنابلة إلا من مال إلى الحشو والتجسيم وسوء الادب مع الله تعالى بسبب عدم العلم بقواعد التقديس، والمدرسة الثانية هي المدرسة (الأشعرية)، وعليها غالب المالكية والشافعية وهم سواد العلماء المتخصصين في العقيدة على مذهب أهل السنة والجماعة – إلا من مال إلى الحشو أو الاعتزال –، والمدرسة الثالثة هي المدرسة (الماتريدية)، وعليها غالب الأحناف إلا من مال إلى الحشو أو الاعتزال، وأُحكم أساس تلك المدارس على يد المتخصصين فيها واتقنت علومها، وصارت المرجع لكل مسلم يبتغي في العقائد وجه الحق والعدل والإنصاف، وبمرور الأزمان توالى ظهور بقية الفرق الضالة التي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنها ستبلغ اثنتين وسبعين فرقة، وظل الخط العام للجماعة (أهل السنة والجماعة) على الحق مجتمعون وبالسنة

متمسكون فكانوا على مر العصور الجماعة الناجية فلله الحمد والمنة أن جعلنا في زمرة أهل السنّة والجماعة بعيدين كل البعد عن أهل الأهواء والبدع والضلالات، وأهل البغي والغلو والخروج والعدوان

**[السبب الرابع]:** أهل السنة والجماعة هم أهل القرآن وخاصته، وكل الفرق عالة على أهل السنة والجماعة في القرآن أول مصادر الدين، ولا تقوى فرقة من فرق المسلمين أن تنسب إلى نفسها حفظ القرآن وتدوينه وتدوين علومه **والتي وأوصلها الحافظ السيوطي في كتابه "الإتقان في علوم القرآن" إلى ثمانين علما متعلقا بالقرآن**، وتفسيره ونشره سوى أهل السنّة والجماعة الذين يرون عدالة الصحابة أجمعين ويأخذون عنهم القرآن والسنّة، **كان اول من جمعه في مصحف واحد أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وجمعه على تشكيل واحد الصحابي الجليل عثمان بن عفان رضي الله عنه**، والصحابة رضي الله عنهم هم من جمع القرآن وهم من كتبوه، وهم من نسخوه، وهم من نشروه، ولا يقرأ المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها إلاّ بالقراءات السبع المتواترة المشهورة التي تنتسب كلها إلى قراء أهل السنة والجماعة، الذين تتلمذوا على يد الصحابة، **ولهم في القرآن قراءات عشر متواترة السند موصولة إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم، منها سبع قراءات مشهورة , وكل هذه القراءات ونطقها ووردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتناقلها الصحابة ثم التابعون ثم تابعوا التابعون، وقد انتشرت الروايات في أنحاء الأرض، وأكثرها انتشاراً رواية حفص عن عاصم حيث تنتشر في معظم الدول الإسلامية لاسيما في المشرق، ورواية قالون في ليبيا تونس، ورواية ورش في الجزائر والمغرب وموريتانيا ومعظم الدول الإفريقية، ورواية الدوري عن أبي عمرو في السودان والصومال، ولا يمكن لأي فرقة أن تزعم أنّ لها في القرآن ما لأهل السنّة من جهود في حمل راية القرآن مصدر الدين الأول والأساس لأنهم أهل القرآن وخاصته،**

**[السبب الخامس]:** أهل السنة والجماعة هم أهل الحديث وخاصته، لقد كان الصحابة حريصون على حفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتتلمذ على أيدي هؤلاء طلاب علم الحديث من التابعين، وظهرت مدرسة الحديث وانتسب إليها طلاب العلم وعرفوا باسم أهل الحديث، وتفرعت وتعددت مجالاتها وظهرت داخلها علوم الحديث وعلوم الجرح والتعديل، وتأسست المدارس الحديثية التي كان من بركتها ظهور الصحيحين البخاري ومسلم وكتب السنن للترمذي والنسائي وابي داود

وابن ماجة والمسانيد كمسند الإمام أحمد بن حنبل وكتب الجرح والتعديل، التي تمنع من أن يتقول متقول على النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يقل، ولا يوجد حديث مسند إلى النبي صلى الله عليه وسلم إلا عند مدرسة أهل السنّة والجماعة ولا يعرف أحد علوم الحديث والتي أوصلها ابن الصلاح في مقدمته إلى خمسة وستين علما، إلا عند أهل السنّة والجماعة، وجميع الفرق عالة على أهل السنّة والجماعة في باب حفظ السنّة ومعرفة السنّة،

**[السبب السادس]:** كل الفرق عالة على أهل السنة والجماعة في الإجماع ثالث مصادر الدين، والإجماع هو المصدر الثالث من مصادر التشريع بعد الكتاب والسنة، وكان عصر الصحابة هو أول وأهم عصور الاجماع والطائفة الوحيدة التي تترضى على كل الصحابة بلا استثناء ويدخل فيهم بالضرورة آل البيت المطهرين، هم أهل السنة والجماعة، والكل عالة على أهل السنّة والجماعة في باب الإجماع، (الخوارج) يكفرون الإمام عليا رضي الله عنه ويكفرون أصحابه، و(النواصب): يفسقون الإمام عليا رضي الله عنه وأصحابه و (الروافض) يلعنون أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ويكفرونهم إلا نفرا يسيرا، و (المعتزلة) يقولون بفسق بعض الصحابة دونما تحديد، إما طائفة الإمام علي رضي الله عنه، وإما طائفة الزبير وطلحة رضي الله عنهما، وإما طائفة معاوية رضي الله عنه، فهذه الفرق لا يسلم لها الإجماع أبدا، أما (أهل السنة والجماعة)، فهم يوالون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جميعا ويترضون عنهم جميعا، ويؤمنون ويقرون بما أثبته الله تبارك وتعالى من فضلهم ومن الكرامة لهم , ويقولون أنّ منزلة الصحابة لا يعدلها شيء، لمشاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأدناهم صحبة هو أفضل من القرن الذين لم يروه ولو لقوا الله بجميع الأعمال، وأنّ فضيلة الصحبة ولو لحظة لا يوازيها عمل ولا تنال درجتها بشيء، والفضائل لا تؤخذ بقياس، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وهم يتذكرون دائما قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تسبوا أحداً من أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه) [أخرجه مسلم]، وقول ابن عمر رضي الله عنهما: (لا تسبوا أصحاب محمد، فلمقام أحدهم ساعة خير من عمل أحدكم عمره) [أخرجه أحمد وابن ماجة وصححه الألباني]،

**[السبب السابع]: أهل السنّة والجماعة هم اهل التخصص العلمي:** فلم يظهر التخصص العلمي في كافة العلوم سوى عند أهل السنّة والجماعة، وأهم ذلك العقيدة والفقه والتزكية، ففي العقيدة تأسست لهم ثلاث مدارس: (المدرسة الأثرية)، (والمدرسة الأشعرية)، (والمدرسة الماتريدية)، وبها

اكتملت علوم العقيدة، وفي الفقه تأسست لهم أربعة مذاهب، وهي: المذهب الحنفي، والمذهب المالكي، والمذهب الشافعي، والمذهب الحنبلي، وبها اكتملت علوم الفقه، وقد تنوعت الطرق التزكوية التي يسلكها الربانيون على مذهب أهل السنّة والجماعة في تربيتهم للسالكين إلى منازل الإسلام والإيمان والإحسان، فنشأ عنها ما عرف بـ (الطرق الصوفية)، القائمة على معتقد أهل السنّة والجماعة، والمتخصصة في التزكية والأخلاق، **وإذا كان أهل السنة والجماعة (سواد المسلمين الأعظم) قد اتفقوا على مدارس العقيدة الثلاث (الأثرية والأشعرية والماتريدية) كمدارس متخصصة في العقيدة، واتفقوا على مذاهب الفقه الأربعة (الأحناف والمالكية والشافعية والحنابلة) كمدارس متخصصة في الفقه، فإنهم اتفقوا على أن التصوف الصحيح القائم على الكتاب والسنة، هو التزكية المقصودة بقوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} [الشمس: 9-10]، وهو الإحسان الذي جاء في حديث جبريل عليه السلام المشهور وفيه: ((قَالَ: فأخبرني عَنْ الإحسان؟ قَالَ: "أن تعبد اللَّه كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك")) [أخرجه مسلم]، وأهله هم المتخصصون في علوم التزكية والإحسان، ولما كان المتخصصون في هذا الجانب قد عُرفوا (بالصوفية) فلا مشاحة في الاصطلاح، والمهم المضمون في هذا الباب، وهو أنّ التصوف الصحيح قد تكفل بعلم بتزكية الباطن، وهو العلم المتخصص في إصلاح القلب وسلامته وتزكيته، بطهارته من الحقد والحسد والكبر والعجب والرياء ودسائس الاخلاق، وتحليته بالإخلاص والصدق والتواضع والتقوى وعظيم الأخلاق، والتصوف هو العلم الذي تخصص في بيان درجات الإحسان ومنازل المقربين من رب العالمين وهو العلم الذي تخصص في رسم الطريق العلمي العملي الذي يوصل المسلم إلى أعلى مقامات الكمال الأخلاقي مع الله تعالى ومع الناس، وقد كان السادة الصوفية المتمسكون بالكتاب والسنة هم العلماء العاملون الصادقون والمرشدون المربون والعارفون بمناهج التربية والإحسان، وعلى ذلك استقر لهم (أهل السنة والجماعة) على مر عصور الإسلام السابقة: في العقيدة ثلاث مدارس أصولية معتمدة، الأولى: المدرسة الأثرية، والثانية: الأشعرية، والثالثة: الماتريدية، واستقر لهم (أهل السنة والجماعة) في الفقه مذاهب أربعة، يأخذون الفقه عنها، المذهب الحنفي، والمذهب المالكي، والمذهب الشافعي، والمذهب الحنبلي، ولهم مذاهب فقهية أخرى غير هذه الأربع لكنها لم تنتشر ولم تؤصل ولم تُراجع أقوالها ولم يحصل لها الاشتهار مثل هذه المذاهب الأربعة، وقد تنوعت الطرق التي يسلكها الربانيون على مذهب أهل السنّة والجماعة في تربيتهم لمريديهم فنشأ عنها ما عرف بـ (الطرق الصوفية)، القائمة على معتقد أهل السنّة والجماعة،**

**والمتخصصة في التزكية والأخلاق**، والكل عالة على أهل السنّة والجماعة في باب التخصص العلمي، وبهذا التخصص العلمي الرصين: صار الإطار الواسع الصحيح لأهل السنة والجماعة يشمل سواد المسلمين الأعظم أتباع أئمة الهدى المتخصصين في العقيدة وفي الفقه وفي التزكية، وهم إن شاء الله تعالى الفرقة الناجية التي تتمسك بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وتتمسك وتحرص أشد الحرص على وحدة المسلمين وجماعتهم،

**[السبب الثامن]:** أهل السنّة والجماعة هم أهل التوسط والاعتدال بين طرفي غلو في كل أبواب الدين: أهل السنّة والجماعة وسط في مسائل الدين جميعها ما بين الغالين فيه والجافين عنه، وما بين المفرّطين فيه والمقصرين عنه، فهم وسط في باب مسائل واحكام الإيمان والكفر بين الخوارج والمعتزلة من جهة الغلو وبين الجهمية والمرجئة من جهة التفريط فيه، وهم وسط في باب القضاء والقدر بين القدرية والمعتزلة من جهة الغلو وبين الجهمية والجبرية من جهة التفريط فيه، وهم وسط في باب الإيمان بذات الله تعالى وصفاته بين الجهمية والمعتزلة من جهة الغلو وبين المجسمة والحشوية من جهة التفريط فيه، وهم أعدل الطوائف وأوسطها في باب الصحابة وآل البيت رضي الله عنهم بين الخوارج والنواصب والمعتزلة من جهة وبين الشيعة والروافض من جهة الضد والنقيض،

**[السبب التاسع]:** أهل السنّة والجماعة هم أهل الرسوخ في العلم يعملون بالمحكم من القرآن، وهم ابعد الفرق عن متشابه القرآن، يردون المتشابه إلى المحكم، عملا بقوله تعالى: {**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ * رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ**} [آل عمران: 7، 8]، **لقد وصف الله تعالى متتبعي المتشابه بأن في قلوبهم زيغ يتتبعون المتشابه ابتغاء الفتنة وهي الخلاف والفرقة بين المسلمين، والفرق الضالة كلها تتبع المتشابه، المعتزلة القدرية تتبع الآيات الدلة على أن الإنسان صانع مشيئته، وقالوا بالقدر، والجهمية الجبرية تتبع الآيات المتشابهات التي تدل على انّ كل شيء بيد الله وحده، وقالوا بالجبر، وجمع علماء أهل السنّة والجماعة بين هذه الآيات وتلك الآيات، وأخذوا بالمحكم وردوا المتشابه إلى المحكم، وقالوا بالكسب، وهو الصيغة القرآنية الوسط بين هؤلاء وهؤلاء،**

**قال تعالى:** {وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ} [البقرة: 225]، وقال تعالى: {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [البقرة: 281]، وقال تعالى: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ} [البقرة: 286]، وهكذا في كل أبواب العلم والعقيدة أخذوا بالمحكم وردوا المتشابه إلى المحكم، **ففي باب الآيات المتعلقة بمتشابه الصفات والأخبار حيث أدى تتابع المتشابه فيها إلى ظهور الجهمية والمعتزلة في جهة، والمشبهة والمجسمة والحشوية في جهة أخرى، كلٌ يستدل لمذهبه بمتشابهات القرآن، وجمع علماء أهل السنّة والجماعة بين هذه الآيات وتلك الآيات، وأخذوا بالمحكم وردوا المتشابه إلى المحكم، وجاؤوا بأحسن مذاهب التقديس والتنزيه والاثبات، فلا هم معطلون تعطيل المعتزلة والجهمية ولا هم مفرطون في التجسيم والتمثيل تشبيه المجسمة والحشوية، وقعدوا قواعد التقديس التي ملئت الدنيا علما ونورا وتقديسا لله وتسبيحا بحمد الله، وقد اشتمل بحمد الله تعالى كتابي الاول من سلسلة مفاتيح العلوم الإسلامية، (مفاتيح علم التقديس) كل تلك القواعد على احسن ما يكون الفقه في الدين ورد المتشابه إلى محكماته، في باب التقديس والتنزيه، ففي باب الآيات المتعلقة بالإيمان حيث أدى تتابع المتشابه فيه إلى ظهور الخوارج والمعتزلة في جهة والجهمية والمرجئة في جهة أخرى، وجمع علماء أهل السنّة والجماعة بين هذه الآيات وتلك الآيات، وأخذوا بالمحكم وردوا المتشابه إلى المحكم، وجاؤوا بأحسن مذاهب الإيمان فلا هم متشددون تشدد الخوارج والمعتزلة ولا هم مفرطون تفريط الجهمية والمرجئة، وقعدوا القواعد التي ملئت الدنيا علما وفقها في الدين، وقد اشتمل بحد الله تعالى كتابي الثاني من سلسلة مفاتيح العلوم الإسلامية، كل تلك القواعد على احسن ما يكون الفقه للدين ورد المتشابه إلى محكماته، وهكذا فإنّ تتبع المتشابهات يؤدي إلى الزيغ والخلاف الفرقة والفتنة والضلال، وطريقة أهل السنة في ذلك هي التوفيق في هذه المسائل بين كافة أدلة الكتاب والسنّه، ورد المتشابه إلى أمه وأصله، وهو المحكم فتبدو وكأنها نسيج واحد لا ترى فيه من فطور بل تتفق وتتآلف ولا يكون بينها تعارض ولا اختلاف وهذا الفقه هو ما تميز به علماء أهل السنّه والجماعة الأئمة الأعلام فجمعوا بين الأدلة ووفقوا بينها، وحملوا الأقوال المتعارضة على محاملها الصحيحة فصار الاعتقاد بكافة أحكامه ومسائله نسيج واحد يدل ويؤكد أنه دين الله عز وجل الذي رضيه لعباده، قال تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} [النساء: 82]،**

**[السبب العاشر]:** أهل السنّة والجماعة هم أهل الفقه في الدين، وإذا كانت مراتب الدين ثلاثة هي الإسلام والإيمان والإحسان، فإن علوم الدين الثلاثة التي اصطلح دارسوها على مر عصور الإسلام بتسميتها، وهي: (الفقه) ويتناول مرتبة الإسلام، و (العقيدة) وتتناول مرتبة الإيمان، و (التصوف) ويتناول مرتبة الإحسان، واهل السنّة والجماعة هم من تخصص في علم الفقه الذي يغطي مرتبة الإسلام، وأبدعوا فيه أيما ابداع، فمنهم الفقهاء وإليهم تعود المذاهب الفقهية المعتمدة وهم أهل أصول الفقه وأهل القواعد الفقهية والنظريات الفقهية التي تغطي كل احكام العبادات والمعاملات، منهم أبو حنيفة ومالك والشافعي واحمد بن حنبل وسفيان بن عيينة وسفيان الثوري والليث بن سعد، وغيرهم من اكابر الفقهاء في امة النبي صلى الله عليه وسلم الكثير والكثير، والمذاهب الأربعة في كل مذهب منها على اقل تقدير وعلى مر عصور الإسلام آلاف من الفقهاء المجتهدين في المذهب، واهل السنّة والجماعة هم من تخصص في علم العقيدة وهم من تخصص في علم العقيدة، وهم من حل مشكلات عويصة ضل فيها الآخرون كمشكلة الرؤية والكسب والقضاء والقدر والكفر والإيمان والصحابة والآل، فجمعوا ادلة الكتاب والسنّة في ككل مسألة وأنزلوا كل دليل على مرتبته الخاصة به، وهم من حل شيفرة الإيمان والكفر، بأدق تفصيل، واحسن الفهم واجمل الجمع بين النصوص المتعارضة والتي ضل في فهمها الخوارج والمعتزلة والوهابية والجهمية والجبرية، وهم أيضا من حل شيفرة القضاء والقدر بأحسن العلاج، واجلى بيان، واحسن الفهم واجمل الجمع بين النصوص المتعارضة والتي ضل في فهمها المعتزلة والجهمية الجبرية واكثر الفرق إلا هم بحمد الله، وهم بفضل الله تعالى من حل شيفرة الآل والصحب بحب الجميع، محبة نحفظ لهم المراتب التي اكرمهم الله بها ولا يدعون لاحد منهم العصمة، يحبون الجميع ويقفون مع المحق يؤازرون حقه كما يزعم أهل الجهل والضلال، وهم من حل شيفرة السنّة والبدعة بوضع ضوابط التبديع، بمقياس دقيق وفهم عميق، وفقه راسخ في العلم والدين، واهل السنّة والجماعة هم أهل السلوك والتخصص، هم القائمون على ثغور الإحسان، ومنهم الصديقون والاولياء، لأنّ التصوف الحق هو المدرسة التي يتخرج منها الأولياء، وورثة الأنبياء، قال تعالى: { مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا } [ الكهف: 17 ]، ومنهم أهل المشاهدة والعرفان، لأنه من اهم معاني التصوف (( ان تعبد الله كأنك تراه )) [ صحيح مسلم ]، وهم الربانيون الوارثون لأحوال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلومه ومعارفه، وهم اعلم الناس بمنازل الدين وهم السائرون إلى الله بالله وفي الله كما قال تعالى: { فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ} [الذاريات: 50]، وقال تعالى: { وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ

مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} [التوبة: 118]، وهم أهل المجاهدة في الله، عندما يجاهد المجاهدون في سبيل الله، قال تعالى: { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} [العنكبوت: 69]، وهم القائمون المتحققون بمنازل الإحسان، لأن التصوف الحق هو القائم على حقائق مرتبة الإحسان أعلى مراتب الدين، فعند غيابه يغيب ثلث الدين الأعلى، وتغيب منازله ومعارفه، وعند غيابه تغيب التزكية إحدى مهام النبي صلى الله عليه وآله وسلم في امته، قال تعالى: { كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ } [ البقرة: 151 ]، لأنه القائم على علم تزكية الانفس وسلامة القلوب وتصفية الباطن وتخليته من الرذائل، وتحليته بالفضائل، وعند غيابه يضيع الطريق إلى الحق سبحانه، لأنه العلم الذي يُعرف به كيفية السلوك إلى حضرة ملك الملوك، وعند غياب التصوف الحق نعلم ظاهرا من الدين ونفقد لبه وباطنه، لأنه لباب الشريعة وحقيقتها، وعند غيابه يضيع الفهم الراقي والعميق لكل علوم الدين ومعارفه، وعند غيابه تضيع بوصلة الطريق، وذلك لأن طرحه في الإصلاح العلمي والعملي والسياسي والأخلاقي الإسلامي هو الطرح الأمثل للخروج من الأزمات الراهنة، والمشكلات الطاحنة، أهله هم الخلاصة في معرفة العلوم الإسلامية الدقيقة والأحكام الصحيحة، وهم الغاية في معرفة أحكام الإيمان والكفر، والنهاية في معرفة أحكام التوحيد والشرك، وعلم السنة والبدعة، وعلم التقديس والتنزيه معرفة وشهودا، وهم الفاهمون تماما لعلم السياسة الشرعية واقعا وعيانا، وهم أقدر الناس على احترام التخصص العلمي لأهل السنة والجماعة، وهم أحرص الناس على حرمة أهل الإسلام قاطبة، وهم أعدل الناس في موقفهم من الفرق الإسلامية الضالة المنحرفة، وهم اكثر الناس لله تعالى عبودية واجتهادا، وهم أعظم الناس خلقا وديانة، وهم أعرف الخلق بالله ودين الله، أهل الشريعة يؤمنون بالله استدلالا وهم يوقنون بالله شهودا وعيانا، وحين يدور العلماء حول علم اليقين استدلالا يدورون هم حول عين اليقين وحق اليقين تحقيقا وعرفانا، هم أهل منازل السير إلى الله وهم أهل السفر إلى الحق المبين ابتداء من اليقظة وسيرا نحو التوحيد، وهم أهل الزهد فيما سوى الله، **لا يشقى بهم جليسهم**، يحتون جميع المخالفين بسعة العلم والصدر والدين، وهم في عمق التاريخ الإسلامي العريق أهل الولاية أهل المخاطبات والمكاشفات والمشاهدات والمعاينات، وأهل التحقق والتمكين، وأهل التجريد والتفريد والجمع والتوحيد، وهم أعمق الناس فهما للكتاب وهم اعرف الناس بسنة المصطفى المختار، وهم اعلم الناس بحال الدنيا وهم اعلم الناس بمكائد النفس والشيطان والدنيا والهوى، فهل سمع احد عن

التصوف الحق الرشيد إلا في أهل السنّة والجماعة الناجية وسواد أهل الإسلام الأكبر، ومن عداهم فرق متعادون وشرازم قليلون فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون، (اهل السنّة والجماعة) هم أهل التوسط والاعتدال، والله تعالى يقول: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [البقرة: 143]، فالمسلمون أمة وسط بين الناس جميعا وأهل السنّة والجماعة وسط بين أهل الإسلام جميعا، ولهذه الأسباب كانت الجماعة الناجية (أهل السنّة والجماعة) أسعد المسلمين حظا بهدي الكتاب والسنّة والاجماع واحسن المسلمين حالا مع الآل والصحب الكرام، ولا يصلح أن تكون النجاة إلا لمن كان على مذهبهم، يقتدي بهداهم،

**[المفتاح الثالث]:** اهل التصوف يقولون بأنّ الإطار العلمي الدقيق للفرقة الناجية يمثله: في العقيدة ثلاث مدارس لا رابع لها إلا الميل إلى الاعتزال أو الحشو، وهي (المدرسة الأثرية)، (والمدرسة الأشعرية)، (والمدرسة الماتريدية)، ويمثل إطار أهل السنة والجماعة في الفقه مذاهب أربعة لا خامس لها إلا الشذوذ الفقهي، المذهب الحنفي، والمذهب المالكي، والمذهب الشافعي، والمذهب الحنبلي، وقد تنوعت الطرق التربوية والتزكوية التي يسلكها الربانيون على مذهب أهل السنّة والجماعة في تربيتهم لمريديهم فنشأ عنها ما عرف بالطرق الصوفية، القائمة على معتقد أهل السنّة والجماعة، والمتخصصة في التزكية والأخلاق، وهذا الإطار العلمي الدقيق لأهل السنة والجماعة، يدخل فيه سواد المسلمين الأعظم، ممن لم يتلبس ببدعة مخرجة عن هذا الإطار، وعلامتهم أنهم: لا ينتسبون إلا إلى السنة والجماعة، ولا يتلبسون ببدع الشيعة ولا المعتزلة ولا الخوارج ولا الحشوية، ويوالون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جميعا ويترضون عنهم جميعا، ويؤمنون ويقرون بما أتثبته الله تبارك وتعالى من فضلهم ومن الكرامة لهم، ويقولون أنّ منزلة الصحابة لا يعدلها شيء لمشاهدة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأفضل الصحابة الخلفاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وضي الله عنهم، رضي الله عنهم أجمعين، ولا يتعرضون لما حدث بينهم، ويقولون هم السادة الكبار، أخطاؤهم مغمورة في بحار حسناتهم، ويقولون كما أمرهم القرآن: {رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [الحشر: 10]، وهم كذلك يحبون آل البيت جميعا، ولا يرضون أبدا لما نالهم من الأذى، وهم الذين قال الله تعالى فيهم: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} [الأحزاب: 33]، وقال فيهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم (وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي،

أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي) [اخرجه مسلم]، فمودتهم فرض، ومحبتهم واجبة، والصلاة عليهم واجبة، أخرج البخاري ومسلم عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أنهم قالوا: يا رسول الله كيف نصلي عليك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد) [متفق عليه]، وهم يقولون بأن الله تعالى تجاوز عن جميع سيئاتهم، لا بعمل عملوه، ولا بصالح قدموه، بل بسابق عناية من الله لهم، إذ قال تعالى: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً}، فعلق الحكم بالإرادة التي لا تتبدل أحكامها، ما لم يذهب أصل النسبة وهو الإيمان، فلا يحل لمسلم أن ينتقص، ولا أن يشنأ عرض من شهد الله تعالى بتطهيره وذهاب الرجز عنه،

***

## المبحث الرابع والثلاثون

## الصوفية واحترام التخصص العلمي لأهل السنة والجماعة

**[المفتاح الأول]:** أهل التصوف أهل احترام للتخصص العلمي الذي رسخ للأمة الإسلامية عبر التاريخ الإسلامي، فهم يحيلون قضايا العقيدة إلى مدارسها المتخصصة، وقضايا الفقه إلى مدارسها

المتخصصة، وهم اهل التخصص في التزكية وتحقيق مرتبة الإحسان، واحترام التخصص العلمي **ضرورة علمية، وقد أمرنا الله تعالى باحترام التخصص واستفتاء أهل الخبرة والتخصص بقوله تعالى: {وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ} [النساء: 83]، وهؤلاء المتخصصون ينبغي الرجوع إليهم في مجال علومهم، قال تعالى: {وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ} [فاطر: 14]، وقال تعالى: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النحل: 43]**، لقد تطرق القرآن الكريم إلى العلوم المهمة ولمواضيعها الأساسية، دون أن يعطي لها مسميات وتعريفات، ودون أن يجمع أصولها وقواعدها وضوابطها وشروطها في موضع واحد، بل فرق تلك القواعد في ثنايا السور والآيات، ثم ترك جمع القواعد والأصول للعلماء لكي يتدبروا ويجتهدوا ويسعى كل عالم منهم من أجل كشف لبنات هذه العلوم، وعندما فتح الصحابة رضي الله عنهم مشارق الأرض ومغاربها، ودخل الناس من شتى الأمم والأجناس في دين الله تعالى، اتسعت دائرة العلوم، وتقسمت وتوزعت بين أرباب الاختصاص، فقام كل فريق من أهل الاختصاص بتدوين العلم الذي يحتاج الناس إليه،

**(احتاج الناس إلى حفظ القرآن وفهمه):** فظهرت أول ما ظهرت من التخصصات الأساسية من علوم الدين: مدرسة القرآن وانتسب إليها طلاب العلم وعرفوا باسم القراء، وتفرعت وتعددت مجالاتها، وظهرت داخلها علوم القراءات، وكان من ثمرتها حفظ القرآن عضاً طرياً كما أُنزل، وصار أهل السنة والجماعة هم أهل القرآن وخاصته، لا يشاركهم في جمع القرآن وضبطه غيرهم من فرق الإسلام، وجميع فرق المسلمين عالة عليهم في القرآن وعلومه، وصار لهم في القرآن قراءات عشر متواترة السند موصولة إلى رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم، منها سبع قراءات مشهورة، وجميعهم من أهل السنة والجماعة، والكل عالة على أهل السنّة والجماعة في باب القرآن، ومنه نعلم لماذا لا يكون طلب علم القرآن إلا على منهاج أهل السنّة الجماعة،

**(ثم احتاج الناس إلى الحديث)**، فظهرت مدرسة الحديث وانتسب إليها طلاب العلم وعرفوا باسم أهل الحديث، وتفرعت وتعددت مجالاتها وظهرت داخلها علوم الحديث وعلوم الجرح والتعديل، وتأسست المدارس الحديثية التي كان من بركتها ظهور الصحيحين وكتب السنن والمسانيد وكتب الجرح والتعديل، وكان من أعلامها المتخصصين في علم الحديث: البخاري، ومُسْلِم، أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة، والأعلام المتخصصين في الجرح والتعديل وعلم الرجال مثل

شُعْبة بن الحجَّاج، ويحيى بن سعيد القَطَّان، وعبدالرحمن بن مهدي، ويحيى بن معين، وعلي بن المَديني، وأحمد بن حنبل، وأبو زرعة الرازي، وأبو حاتم الرازي، وابن أبي حاتم، فهؤلاء وأمثالهم هم المرجع في علم الحديث وعلم الجرح والتعديل وعلم الرجال وعلم مصطلح الحديث، والكل عالة على أهل السنّة والجماعة في باب السنّة وحفظ السنّة، ومنه نعلم لماذا لا يكون طلب العلم الحديث إلا على منهاج أهل السنّة الجماعة:،

**(ثم احتاج الناس إلى تعلم أحكام الدين وأحكام العبادات والمعاملات والحلال والحرام)** فظهرت مدرسة الفقه، وانتسب إليها طلاب العلم، وعرفوا باسم الفقهاء، وتفرعت وتعددت مجالاتها وظهرت داخلها علوم أصول الفقه، وكان من ثمرة التخصص فيها ظهور الأئمة الأربعة الفقهاء المجتهدين أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل، وقد سميت آراء هؤلاء الأئمة الأربعة ومن ذهب مذهبهم من الأئمة المجتهدين (مذاهب) ولم تسمى (فرق)، وذلك لأنهم اتّفقوا على أصول الدِّين التي يؤدي الخلاف فيها إلى التفرق المذموم وظهور البدع والفرق الضالة في مقابل الفرقة الناجية، وإنما كان الخلاف بينهم في الفروع: وهي المسائل الظنِّية من الدِّين، التي لا يمكن الاتفاق فيها على رأي واحد، لأنها تخضع لعوامل عديدة واحتمالات كثيرة يصعب الاتفاق عليها جميعا، والاختلاف فيها لا يدخل في الاختلاف المذموم، ولهذا سميت مذاهب فقهية في فهم فروع الدين، لقد أصبحت المذاهب الفقهية الأربعة على مر عصور الإسلام بفعل عوامل عديدة هي القبلة الصحيحة لطالبي الفقه على مذهب أهل الكتاب والسنّة، مع العلم بأنّها (المذاهب الأربعة) عبارة عن اجتهادات في فهم النصوص الشرعية قد تصيب وقد تخطيء، ولهذا فالحق ليس محصورا في أحدها لا يخرج عنه، بل الحق موزع عليها جميعا بل وعلى بقية الأئمة الذين انقرضت مذاهبهم، ولكن الملاحظ أن أقوالهم دخلت في أقوال المذاهب الأربعة الجامعة تقريبا لفقه الدين الإسلامي، وصارت هي مجال التخصص الفقهي عند أهل السنّة سواد المسلمين الأعظم

**(ثم استفحل أمر الفرق الضالة)** والتي كان أهم أسباب ظهورها هو الجهل بالدين، أضف إلى ذلك الهوى الذي يجري من صاحبه مجرى الدم من العروق، وأصول الفرق الضالة هم (الخوارج) و (الشيعة) و (المعتزلة) و (الحشوية) و (المرجئة)، ولما استفحل أمر تلك الفرق احتاج المسلمون إلى أهل التخصص في العقيدة، لبيان عقائد الفرقة الناجية، والرد على الفرق الضالة، فظهرت مدارس العقيدة على منهاج أهل السنّة والجماعة: وأكرم الله تعالى الأمة بثلاثة من علماء المسلمين الأكابر،

حملوا لواء الدفاع عن عقيدة المسلمين وبيان عقيدة أهل السنّة والجماعة، وهم: الإمام أحمد ابن حنبل، والإمام أبو الحسن الأشعري، والإمام أبو منصور الماتريدي، وبهم اكتملت صورة العقيدة الفذة التي ينبغي أن يحملها كل مسلم، فالإمام أحمد حمل لواء الدفاع عن عقيدة أهل السنة تجاه المخالفين، والإمامان أبو الحسن الأشعري والإمام أبو منصور الماتريدي حملا لواء الهجوم على أعداء هذه العقيدة، وتطهير عقائد المسلمين من أخطاء الخوارج والشيعة والمعتزلة والمشبهة والمجسمة والجهمية والمرجئة، وأكرم الله تعالى الأمة بهم وبتلامذتهم، وامتزجت علومهم، وظهر منهم المتخصصون في مجال العقيدة الذين ضبطوا مسائل الأسماء والأحكام، ومسائل الإيمان والكفر، ومسائل التوحيد والشرك، ومسائل التقديس والتنزيه، ومسائل الإتباع والابتداع، ومسائل الإلهيات والنبوات والسمعيات، وما يجوز وما يجب وما يستحيل على الله تعالى وعلى انبيائه ورسوله عليهم السلام، وضبطوا سائر أبواب العقيدة على مذاهب الكتاب والسنة والصحابة وآل البيت،

**وصار للمسلمين ثلاث مدارس في الأصول لا رابع لها إلا الميل إلى الاعتزال أو التشبيه،** وهي **(المدرسة الأثرية)** وعليها غالب الحنابلة إلا من مال إلى الحشو والتجسيم وسوء الادب مع الله تعالى بسبب عدم العلم بقواعد التقديس، **(والمدرسة الأشعرية)** وعليها غالب المالكية والشافعية وهم سواد العلماء المتخصصين في العقيدة على مذهب أهل السنة والجماعة – إلا من مال إلى الحشو أو الاعتزال –، **(والمدرسة الماتريدية)** وعليها غالب الأحناف إلا من مال إلى الحشو أو الاعتزال، وأُحكم أساس تلك المدارس على يد المتخصصين فيها واتقنت علومها، وصارت المرجع لكل مسلم يبتغي في العقائد وجه الحق والعدل والإنصاف، من هاجم مدرسة منها فاتهمه على عقله أو علمه أو دينه، والكل عالة على أهل السنّة والجماعة في باب العقيدة وعلوم العقيدة، ومنه نعلم لماذا لا تكون راية التجديد هي راية أهل السنة والجماعة الناجية،

**(ومع اتساع الفتوحات الإسلامية وثراء المجتمعات الإسلامية، بدأ ميل المسلمين إلى الدنيا والركون إليها، وأخذ الناس يتناسون ضرورة الإقبال على الله بالعبودية، وبالقلب والهمة، مما دعا أرباب الزهد والمعرفة إلى أن يعملوا هُم من ناحيتهم أيضاً على تدوين علم التزكية (التصوف)**، وإثبات شرفه وجلاله وفضله، ومن باب سد النقص، واستكمال علوم الدين في جميع نواحي الحياة الإنسانية، وإذا كان أهل السنة والجماعة (سواد المسلمين الأعظم) قد اتفقوا على مدارس العقيدة الثلاث (الأثرية والأشعرية والماتريدية) كمدارس متخصصة في العقيدة، واتفقوا على مذاهب الفقه الأربعة (الأحناف

والمالكية والشافعية والحنابلة) كمدارس متخصصة في الفقه، فإنهم اتفقوا على أن التصوف الصحيح القائم على الكتاب والسنة، هو التزكية المقصودة بقوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} [الشمس: 9-10]، وهو الإحسان الذي جاء في حديث جبريل عليه السلام المشهور وفيه: (قَالَ: فأخبرني عَنْ الإحسان؟ قَالَ: "أن تعبد اللَّه كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك") [أخرجه مسلم]، وأهله هم المتخصصون في علوم التزكية والإحسان، ولما كان المتخصصون في هذا الجانب قد عُرفوا (بالصوفية) فلا مشاحة في الاصطلاح، والمهم المضمون في هذا الباب، وهو أنّ التصوف الصحيح قد تكفل بعلم بتزكية الباطن، بطهارته من الحقد والحسد والكبر والعجب والرياء ودسائس الاخلاق، وتحليته بالإخلاص والصدق والتواضع والتقوى وعظيم الأخلاق، وقد كان السادة الصوفية المتمسكون بالكتاب والسنة هم العلماء العاملون الصادقون والمرشدون المربون والعارفون بمناهج التربية والإحسان، والكل عالة على أهل التصوف في باب التزكية والإحسان، وقد تنوعت الطرق التربوية التي يسلكها الربانيون على مذهب أهل السنّة والجماعة في تربيتهم لمريديهم فنشأ عنها ما عرف بـ (الطرق الصوفية)، القائمة على معتقد وفقه أهل السنّة والجماعة، والمتخصصة في التزكية والأخلاق وتحقيق الإحسان،

**[المفتاح الثاني]: التصوف هو العلم المتخصص القائم على مرتبة الإحسان: لقد وجد التصوف منذ أول آية أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}، إلى قوله تعالى: {كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى * إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى}، وذلك لأنّ التصوف هو لبّ الدين وثمرته، وهو تزكية الدين ومنازله، وهو منزلة الإحسان أعلى منازل الدين، والعهد المكي كان فترة تحلية وتزكية للوصول إلى مرتبة الإحسان، وذلك بغرس الأخلاق المحمدية في نفوس الصحابة رضوان الله عليهـم، مثل التوبة والخشية والإنابة والصبر والتواضع والمحبة والذكر، وظل الأمر يسير على هذا النحو إلى أن هاجر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة المنورة، واستمر الصحابة يتدرجون في مقامات الكمال، بل كان الرجل ما إن يضع يده بيد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مبايعاً حتى يترقى إلى أعلى المقامات وأسمى الحالات وذلك لقوة نور النبوة، وظل الأمر كذلك إلى أن انتقل المصطفى إلى جوار ربه، و (الصحابة) هم سادة الصوفية**، وهم الأولياء المرشدون، هم الذين تحققوا بمحبة الله ورسوله، وهل بلغ احد من المسلمين مهما بلغ محبة الصحابة لله ولرسوله، حملهم دافع المحبة على بذل الروح

والمال والوقت، وكلِّ غالٍ ونفيسٍ في سبيل محبوبهم لعلهم يحوزون رضوانه وحبه، وهل التصوف إلا المحبة لله ولرسوله، فكل ما سبق المحبة من منازل يؤهل لها، وكل ما تعدها فهو من آثارها، وهذا يعلل لنا لما أحب الصحابة الشهادة في سبيل الله، لأنهم مشتاقون لله، لسان حالهم ومقالهم مرحباً بلقاء الله، ولقد كان للصحابة من الكشف والكرامات أوفر النصيب، ولكنهم كما قال أكابر أهل التصوف لم تكن لهم عناية بمثل تلك الكرامات لأنهم مشغولون عنها بملازمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وإقامة الدين، **ثم جاء (التابعون) فتربّوا على يد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكان همهم الوصول إلى رضوان الله عز وجل فتزكت نفوسهم بتأثير النور المحمدي الذي سكن قلوب الصحابة الكرام رضي الله عنهم، نشروا الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، ثم جاء (تابعو التابعين) فتربّوا على يد التابعين، وكان نور النبوة لا يزال عظيما، فتزكت نفوسهم بتأثير النور المحمدي الذي سكن قلوب تلامذة الصحابة، ودخل أناس في الإسلام كانوا حديثي عهد بكفر، ودخلت أمم بكاملها في الإسلام، ومن جانب آخر فتحت الدنيا على المسلمين، وبدأ النور المحمدي يتقادم أثره، فركن الناس إلى الشهوات وحب الدنيا وبدأ البعض يبتعد عن حال السلف، فقام أهل الطريق (أهل النور والكشف) (اهل التصوف الحق) يدعون الناس إلى العودة لما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه الكرام، دعوا الناس إلى العودة إلى مرتبة الإحسان التي كان يعيشها السلف الصالح، وتخليص النفس من رعوناتها التي كبلتها، وقيدتها عن مشاهدة أنوار الحق، وتخليص القلب من حب الدنيا وإحياؤه بذكر الله عز وجل، فقام هؤلاء الأكابر بفتح بيوتهم لاستقبال الناس يدعونهم إلى طريق التصوف (تحقيق مرتبة الإحسان) أعلى مراتب الدين، وفتحوا المعاهد التربوية أو ما يسمى بـ (الزوايا) أو (التكايا) لملاحظة الناس وتربيتهم عن قرب فكانوا في كل عصر هم نماذج السلف الصالح الذين حافظوا على أخلاق المحسنين، وتزكية المقربين، فكما** تخصص علماء الأصول في علم العقائد وسموه علم العقيدة، وكما تخصص الفقهاء في علم الفقه وسموه بهذا المصطلح، كذلك علم التصوف كباقي العلوم لم يذكر اسمه في القرآن الكريم وإن كان هو أسم العلم الذي يتناول التربية والتزكية والإحسان في الإسلام، وقد أقر علماء أهل السنة والجماعة في كل التخصصات على جعل (التصوف) علماً مستقلاً مرادفا للتزكية والإحسان، وذلك كشأن بقية العلوم الأساسية، ويمكن اختصار تاريخ تشكل التصوف إلى أربعة مراحل: **(المرحلة الأولى):** كانت بداية التصوف كعلم ومدرسة تربوية مستقلة عن علمي الفقه والعقيدة، في بدايات القرن الثاني، أي بعد نشأة الفقه كعلم ومدرسة علمية بشيء يسير، وكان

الناس ينظرون إلى التصوف على أنه زهد وتقشف وعبادة في الفترة التي عاش فيها صوفية: من أمثال الحسن البصري (ت ١١٠ هـ)، وإبراهيم بن أدهم البلخي (ت ١١٦ هـ)، ورابعة العدوية (185 هـ)، والفضيل بن عياض الخراساني (ت 187 هـ)، ومعروف الكرخي، (ت 201 هـ)، وأبو سليمان الداراني (ت205هـ)، وبشر بن الحارث الحافي (ت 227 هـ)، والحارث بن أسد المحاسبي (ت 243 هـ)، وذي النون المصري (ت 245 هـ)، وسري بن المغلس السقطي (ت 257 هـ)، ويحيى بن معاذ الرازي الواعظ (ت 258 هـ)، وأبو اليزيد البسطامي (ت263هـ)، وأحمد بن عيسى الخراز (ت 277 هـ)، وسهل بن عبدالله التستري (ت 283 هـ)، وأبي القاسم الجنيد البغدادي لسان الطائفة، (ت 297 هـ)، وكان أهم ما يميز تلك المرحلة الاهتمام بتأسيس مصطلحات علم التصوف، وأحواله ومقاماته كالمحبة والخوف والرجاء والزهد، وبداية التمييز عن علماء الفقه، بعلم التزكية والتصوف، و **(المرحلة الثانية):** وهي المرحلة التي ظهر فيها عباقرة التصوف الذين كتبوا أعظم كتب التصوف، منهم: أبو نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي، المتوفي سنة 378 هـ، وله كتاب: اللمع في التصوف، وأبو بكر الكلاباذي، المتوفي سنة 380 هـ، وله كتاب: التعرف على مذهب أهل التصوف، وأبو طالب المكي، المتوفى سنة 386 هـ، وله كتاب: قوت القلوب في معاملة المحبوب، وأبو قاسم القشيري، المتوفى سنة 465 هـ، وله الرسالة القشيرية، وهي من أهم الكتب في التصوف، وأبو حامد الغزالي، المتوفى سنة 505 هـ، ومن كتبه: إحياء علوم الدين، الأربعين في أصول الدين، منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين، بداية الهداية، وغيرها الكثير، ويعد كتاب إحياء علوم الدين من أشهر كتب التصوف ومن أجمعها، **(المرحلة الثالثة):** وهي مرحلة تأسيس الطرق الصوفية، ومدارس التصوف والتربية والتزكية في العالم الإسلامي، على يد الربانيين من أهل التصوف، ومن أشهر تلك الطرق التربوية: الطريقة القادرية التي أسّسها الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت561هـ)، والطريقة الرُفاعية التي أسسها الشيخ أحمد الرفاعي (ت 578هـ)، والطريقة الأحمدية أو البدوية التي أسسها الشيخ أحمد البدوي (ت 634 هـ)، والطريقة الشاذلية التي أسسها الشيخ أبو الحسن الشاذلي (ت656هـ)، **و(الطرق الصوفية):** هي مدارس في التزكية والتربية مرتبطة بواسطة السند المتصل، وجميعها تتبنى عقيدة أهل السنة والجماعة من الأثرية أو الأشاعرة أو الماتريدية، وتتبع أحد المذاهب الأربعة السنية، والاختلاف بينها إنما هو في طريقة التربية والسلوك إلى الله، حيث تختلف الطرق التي يتبعها مشايخ الطرق في تربية طلابها ومريديها باختلاف مشاربهم واختلاف البيئة الاجتماعية التي يظهرون فيها، وكل هذه الأساليب لا تخرج عن كتاب الله وسنة رسوله، بل

هي من باب الاجتهاد المفتوح للأمة، و توجد ثلاثة أنواع من السلوك داخل الطريقة الواحدة، وهي: مستوى التبرك، ومستوى الإرشاد، ومستوى التربية والترقية، **فشيوخ التبرك هم الذين يبلغون أوراد الذكر لمن يطلبها بإذن مسند صحيح، ويقف دورهم عند هذا التبليغ، وينالون الآخذ عنهم بركة النسبة لسلسلة الشيوخ الصالحين المتصلة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما ينالون ثواب وأنوار الأذكار التي يلتزمون بها، وأما شيوخ الإرشاد فزيادة على تبليغ الأوراد يسعون لإرشاد السالكين إلى مكارم الأخلاق ودوام الذكر وصفاء الباطن فشيخ التبرك يدل على مقام الإسلام وغايته علم اليقين والإشراف على النفس المطمئنة، وشيخ الإرشاد يرشد إلى مقام الإيمان وغايته عين اليقين والإشراف على مقامات القلب الراضي المرضي المستنير بدوام الذكر، وأما شيوخ التربية والترقية فهم الاولياء المرشدون الذين يؤهلون السالكين إلى مقام الإحسان، مقام المشاهدة (أن تعبد الله كأنك تراه)**، و(**المرحلة الرابعة**): وهي مرحلة الكتابة في علوم الحقائق والوراثة، وهي المرحلة التي تكلم فيها الوارثون من أمثال الشيخ الاكبر العارف بالله: محيي الدين بن عربي، والعارف بالله: عبد الكريم الجيلي، تكلموا بما فتح الله تعالى عليهم من علوم الكشف والحقيقة، وهذه العلوم لدنية، قال تعالى: {آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا} [الكهف: 65]، لا ينالها إلا الوارث بعد الوارث، ومعارف تلك العلوم لا عد لها ولا حد لها، لأنها من لدن الرب الإله القدوس المقدس عن الحدود والغايات والبدايات والنهايات، وقد تفرد بها الوارثون من أكابر اهل التصوف، لأنهم لما استقامت عندهم النفس وزكت وطهرت وكملت، وعزفت عن الدنيا، وزهدت فيما سوى الحق، أكرمهم الحق بالمكاشفات والمشاهدات وبعلوم الحقائق التي يدركون بها من حقائق الوجود ما لا يدرك سواهم، فمن أُذن له في نشرها نشرها، ليعم نفعها على أمة الإسلام خير امة أخرجت للناس، وأدنى نصيب من هذا العلم: هو التصديق به وتسليمه لأهله،

***

# المبحث الخامس والثلاثون

# الصوفية وحرمة أهل الإسلام قاطبة

**أهل التصوف الحق هم على أعلى الهرم المعرفي الإسلامي، لذا كان علمهم هو الزلال المصفى، هم الأعلى فهما لأحكام الإيمان والكفر**، وهم الأبعد عن تكفير المسلمين، نبراسهم في ذلك قول النبي صلى **الله عليه وآله وسلم: ((من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله ورسوله فلا تخفروا الله في ذمته)) [أخرجه البخاري]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((**كُلُّ المُسْلم عَلَى المُسْلم حَرَامٌ، دَمُهُ ومَالُهُ وعرْضُهُ)) [رواه مسلم]، والمسلم عندهم: هو كل من قال (لا إله إلا الله * محمد رسول الله): مقرا لها بلسانه، معتقدا لها بقلبه، منقادا لها ببدنه، هذا المسلم: لا يكفرونه بذنب ولا خطأ ولا جهل ولا تأويل ولا بدعة حتى ينكر معلوما من الدين بالضرورة ويقيم عليه الفقهاء الحجة الشرعية التامة المستوفية لشروطها وموانعها بذلك، فإن اختلف الفقهاء رجحوا لأنفسهم السلامة، فلا يتورطون في تكفيره، ورجحوا للمسلم جانب حسن الظن والمخارج الحسنة، ولسان حالهم يقول: لان نخطئ في إدخال كافر في الإسلام فنحقن دمه، خير لنا من أن نخطئ في اخراج مسلم من اسلامه إلى الكفر فنستحل دمه وماله وعرضه، **وأهل التصوف الحق ينظرون إلى الامة بأن الله تعالى أكرم الأمة بعوامل عديدة تمثل أصول الإسلام التي يمكن أن تكون أصول التصالح والتعايش بين جميع المسلمين**، ومن أهم تلك العوامل: **(العامل الاول):** الانتساب المجمل إلى دين الإسلام الذي هو دين الله في الأرض وفي السماء قال تعالى إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وقال تعالى وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ، و **(العامل الثاني):** الإله الواحد والرب الواحد والمعبود الواحد وعقيدة جميع المسلمين هي قوله تعالى قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ وجميع المسلمين يؤمن باللَّه الواحد الأحد المنزه عن الشبيه والمثيل والصاحبة والوالد والولد، **و (العامل الثالث)** الرسول الواحد سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وجميع المسلمين يؤمن به نبيا ورسولاً أرسله اللَّه تعالى إلى

الناس كافة وهو خاتم الأنبياء والمرسلين لا نبي بعده، و **(العامل الرابع)** القرآن الواحد وجميع المسلمين يؤمنون بالقرآن الكريم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، و **(العامل الخامس)** القبلة الواحدة وكل المسلمين يستقبل القبلة في صلاته، و **(العامل السادس)** أصول الدين الواحدة وكل المسلمين متفقون على الإيمان باللّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ومتفقون على أركان الإسلام الخمسة شهادة أن لا اله إلا اللّه وان محمدا رسول اللّه وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلا، و **(العامل السابع): العبادات الواحدة** تجمع جميع المسلمين، فالصلاة واحدة فلا خلاف بينهم حول الصلاة المفروضة وعدد ركعاتها وبقية أركانها والصيام في شهر رمضان واحد والزكاة واحدة وهي النصاب الذي فرضه اللّه في أموال الأغنياء يتفق عليه جميع المسلمين والحج واحد والحلال بين والحرام بين والفرائض معلومة والمنهيات واضحة والكبائر يعلمها الصغير والكبير من أهل الإسلام، **و (العامل الثامن)** الانتماء الواحد: فجميع المسلمين ينتمي إلى أمة الإسلام وقد قال الله تعالى: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ}، **و (العامل التاسع)** الخطر المشترك الواحد قال تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ}، فلابد مناص من الوحدة والتكامل بين كافة طوائف الامة من أجل مواجهة الاخطار الخارجية، **و (العامل العاشر)** مرونة الشريعة التي تقبل التصالح بين كافة الطوائف المنتسبة إلى الإسلام فإن الله تعالى أراد لشريعة الإسلام ان تصلح لكل زمان ولكافة العقول والافهام فأكرمها بوجود نوعين من الادلة الدليل القطعي الذي يجتمع عليه المسلمون والدليل الظني الذي يعطي مساحة واسعة للاجتهاد والخلاف ومن سماحة الشرع أنّ من اجتهد فيما تعلق بالأدلة الظنية فأصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد بمعنى أنه لا يحرم الأجر ومن رحمة الله تعالى بالمسلمين أن أكثر قضايا الخلاف في الأمة هي القضايا الظنية، والعموميات أكثرها ظني الدلالة وإن كانت قطعية المتن وذلك لكثرة ما يرد عليها من التخصيص، وجميع الأحكام والقضايا التي لم تثبت بالنص القطعي ثبوتا ودلالة لا يصح أن تكون مفصالا بين الحق والباطل، بل يتسع فيها الإعذار، ولا يجوز أن يبنى عليها تكفير ولا استحلال محارم، ومن اهم مفاتيح العلم التي اعتمدها اهل التصوف في هذا الباب

**[المفتاح الأول]: المسلم هو كما عرفه الصادق الذي لا ينطق عن الهوى: قال صلى الله عليه وآله وسلم: (من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله ورسوله**

**فلا تخفروا الله في ذمته) [أخرجه البخاري، ح: 384]، ولا يصح تفريغ الحديث من معناه، فمن صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ما للمسلمين، وعليه ما على المسلمين، فلا يصح أن يهلك بعضها بعضا، ولا أن يسبي بعضهم بعضا، وفي هذا المسلم قال صلى الله عليه وآله وسلم: (كُلُّ المُسْلم عَلَى المُسْلم حَرَامٌ، دَمُهُ ومَالُهُ وعرْضُهُ) [رواه مسلم]، و (المسلم) هو كل من قال (لا إله إلا الله – محمد رسول الله): مقرا لها بلسانه، معتقدا لها بقلبه،** والاعتقاد القلبي له ركنان، (قول القلب وهو التصديق القلبي للشهادة، وعمل القلب، وهو الانقياد القلبي لها)، **ولما كان حال القلب لا يطلع عليه إلا الله، فإن المسلم عند الفقهاء: هو كل من قال** (أشهد أن **لا إله إلا الله، وأشهد أن محمد رسول الله)، مقرا بها منقادا لها**، فمن نطق بهما بلسانه مستيقنا بهما فإنه يحكم بإسلامه الظاهر والله يتولى السرائر، ومن مات عليهما استوجب وعد الله تعالى **الجنة وإن دخل النار عُذّب فيها بقدر ذنوبه إلاّ أنه لا يخلد فيها خلود الجاحدين ومآله إلى الجنة برحمة الله تعالى ووعده إنه لا يخلف الميعاد، ومن أقر بهما فإنه لا يخرج من الإسلام إلا بناقض ينقضهما، ونواقض الشهادتين:** هي الخصال التي تحصل بها الردة عن دين الإسلام، وتتمثل في: إنكار معلوم من الدين بالضرورة أو استحلال ما حرّم الله تعالى أو جحد فريضة من فرائض الله تعالى، أو الطعن في دين الله تعالى أو شيء منه، والطعن يكون بالتكذيب أو السب أو الشك أو الاستهزاء، **والتكفير حكم شرعي**، مرده إلى الله ورسوله، فلا يكفي فيه مجرد الشبهة والظن، لما يترتب على ذلك من الأحكام الخطيرة، من استحلال الدماء والأموال والأعراض، **وقد حذر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الحكم بالتكفير على أي مسلم لم يبلغ حد الكفر الأكبر، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال وإلا رجعت عليه) [متفق عليه]، وفي هذا المسلم قال صلى الله عليه وآله وسلم: (كُلُّ المُسْلم** عَلَى المُسْلم حَرَامٌ، دَمُهُ ومَالُهُ وعرْضُهُ) [رواه مسلم]،

**[المفتاح الثاني]: الأصل بين المسلمين هو وحدة التآلف والتكامل والتراحم، والتعاون على ما يحقق الخير للإسلام والمسلمين**، قال تعالى {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: 92]، وقال تعالى {وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ} [المؤمنون: 52]، وقال تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} [آل عمران: 102، 103]، وقال تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [المائدة: 2]، وقال

تعالى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [الأنفال: 1]، ومن أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الواردة في هذا الأمر: قوله صلى الله عليه وآله وسلم (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) [متفق عليه]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) [أخرجه مسلم]، وقَالَ صلى الله عليه وآله وسلم: (المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ، لا يَظْلِمهُ، وَلاَ يُسْلمُهُ، مَنْ كَانَ في حَاجَة أخيه، كَانَ اللهُ في حَاجَته، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمِ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ بها كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَومِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللهُ يَومَ القِيامَةِ) [مُتَّفَقٌ عَلَيهِ]، وقد وضح الشرع الحكيم حقوق المسلم على المسلم، روى البخاري ومسلم عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَقُولُ: (حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامِ وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ) [متفق عليه]،

**[المفتاح الثالث]: من قواعد الشريعة العامة التي تتعلق بحفظ حرمات كل مسلم، واهم تلك القواعد: [القاعدة الأولى]: من تشهد بالشهادتين حُكم له بالإسلام الظاهر والله يتولى السرائر[القاعدة الثانية]: من مات على التوحيد استوجب وعد الله تعالى الجنة وإن دخل النار عُذّب فيها بقدر ذنوبه إلاّ أنه لا يخلد فيها خلود الجاحدين ومآله إلى الجنة برحمة الله تعالى ووعده إنه لا يخلف الميعاد،[القاعدة الثالثة]: خطورة تكفير المسلم ووجوب الاحتياط عند الحكم عليه وترجيح جانب حسن الظن به وحمل المحتملات قدر المستطاع لصالحه،[القاعدة الرابعة]: لا يجوز تكفير المسلم بالأمور المحتملة للكفر وغيره،[القاعدة الخامسة]: العذر بالجهل يمنع من تكفير المسلم المتلبس بالكفر،[القاعدة السادسة] العذر بالتأويل مانع من تكفير المسلم المتلبس بالكفر،[القاعدة السابعة]: لا يجوز التكفير بلازم المذهب[القاعدة الثامنة] العذر بالإكراه نص عليه القرآن الكريم،[القاعدة العاشرة]: لا يجوز تكفير أهل البدع والفرق الضالة من أهل القبلة بإطلاق، وإنما تطبق عليهم قواعد التكفير التي قال بها علماء أهل السنّة والجماعة بعموم كل مسلم،**

**[القاعدة الأولى]:** من تشهد بالشهادتين حُكم له بالإسلام الظاهر والله يتولى السرائر لما أخرجه مسلم عن المقداد رضي الله عنه أنه قال يا رسول الله أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفار فقاتلني فضرب إحدى يدي بالسيف فقطعها ثم لاذ منى بشجرة فلمّا أهويت لأقتله قال لا إله إلاّ الله، أفأقتله

يا رسول الله بعد أن قالها؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لا تقتله فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال) [أخرجه مسلم]، صورة الحديث تدل يقيناً على أنّ هذا الرجل ما قال (لا إله إلا الله) إلاّ تقية وهرباً من القتل، ومع ذلك أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم المقداد رضي الله عنه أن لا يقتله بل وأخبر بأنه إن قتله فقد قتل مسلماً، وأخرج مسلم عن أسامه بن زيد رضي الله عنهما قال: (بعثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الحُرقة من جهينة، فصبّحنا القوم، فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، فلمّا غشيناهُ قال: لا إله إلاّ الله، فكفّ عنه الأنصاري، وطعنته برمحي حتى قتلته، قال فلمّا قدمنا، بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال لي (يا أسامة ! أقتلته بعد ما قال لا إله إلاّ الله؟) قال قلت: يا رسول الله ! إنما كان متعوذاً، قال، فقال: (أقتلته بعد ما قال لا إله إلاّ الله؟) قال فما زال يكررها عليّ حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم) [صحيح مسلم]، **وفي رواية أخرى عند مسلم:** قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أقتلته؟ قال: نعم، قال: فكيف تصنع بلا إله إلاّ الله إذا جاءت يوم القيامة؟، قال: يا رسول الله ! استغفر لي، قال: وكيف تصنع بلا إله إلاّ الله إذا جاءت يوم القيامة؟ قال: فجعل لا يزيده على أن يقول (كيف تصنع بلا إله إلاّ الله إذا جاءت يوم القيامة؟) [صحيح مسلم]، **وقوله صلى الله عليه وآله وسلم:** (من قال لا إله إلاّ الله وكفر بما يُعبد من دون الله حرُم ماله ودمه وحسابه على الله) [صحيح مسلم]، فهذه الأحاديث جميعها تدل على أنّ باب الإسلام مدخله هو الشهادتان فمن قال لا إله إلاّ الله دخل في الإسلام وعصم بالإسلام الظاهر نفسه وماله من القتل على سبيل الكفر وحساب الباطن على الله، ليس معنى ذلك أنّ كل من نطق بالشهادتين، أنه يفعل ما يشاء، فقد جعلت الشريعة الحكيمة اعتقادات وأقوال وأفعال ناقضه للإسلام ومن أتى بها عالماً بها، مختاراً لها، قاصداً لفعلها فقد ارتد عن الإسلام،

**[القاعدة الثانية]:** من مات على التوحيد استوجب وعد الله تعالى الجنة وإن دخل النار عُذّب فيها بقدر ذنوبه إلاّ أنه لا يخلد فيها خلود الجاحدين ومآله إلى الجنة برحمة الله تعالى ووعده إنه لا يخلف الميعاد، لما جاء في حديث الشفاعة، وفيه: (ثم أعود في الرابعة فأحمده بتلك ثم أخِرّ له ساجداً فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل يُسمع وسل تُعط واشفع تشفع فأقول يا رب إئذن لي فيمن قال لا إله إلاّ الله فيقول: وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلاّ الله) [متفق عليه]، ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم (يخرج من النار من قال لا إله إلاّ الله وفي قلبه وزن

شعيرة من إيمان ويخرج من النار من قال لا إله إلاّ الله وفي قلبه وزن بره من إيمان ويخرج من النار من قال لا إله إلاّ الله وفي قلبه وزن ذره من إيمان) [أخرجه البخاري]، ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم (أشهد أنّ لا إله إلاّ الله وأنى رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلاّ دخل الجنة)[أخرجه مسلم]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم (من شهد أنّ لا إله إلاّ الله وأنّ محمد رسول الله حرّم الله عليه النار) [أخرجه مسلم]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذر رضي الله عنه: (ما من عبد قال لا إله إلاّ الله ثم مات على ذلك إلاّ دخل الجنة، فقال أبو ذر: وإن زنى وإن سرق؟ قال وإن زنى وإن سرق، قلت وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق، ثلاثاً ثم قال في الرابعة (على رغم أنف أبى ذر) [أخرجه مسلم]،

**[القاعدة الثالثة]:** خطورة تكفير المسلم ووجوب الاحتياط عند الحكم عليه وترجيح جانب حسن الظن به وحمل المحتملات قدر المستطاع لصالحه، إذ التكفير حكم شرعي، مرده إلى الله ورسوله، فكما أن التحليل والتحريم والإيجاب إلى الله ورسوله، فكذلك التكفير، فلا يكفي في ذلك مجرد الشبهة والظن، لما يترتب على ذلك من الأحكام الخطيرة، من استحلال الدماء والأموال والأعراض، وإذا كانت الحدود تدرأ بالشبهات، مع أن ما يترتب عليها أقل مما يترتب على التكفير، فالتكفير أولى أن يدرأ بالشبهات، ولذلك حذر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الحكم بالتكفير على مسلم لم يبلغ حد الكفر الأكبر، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال وإلا رجعت عليه) [متفق عليه]،

**[القاعدة الرابعة]:** لا يجوز تكفير المسلم بالأمور المحتملة للكفر وغيره، والأمور المحتملة للكفر وغيره: هي تلك الأقوال والأفعال التي لا تدل على الكفر صراحة، ولكنها تحتمل الكفر وغيره، ومثال ذلك السجود فإنه قد يكون بقصد العبادة لمن يعتقد فيه صفات الربوبية والإلهية، وهذا صرفه لله وحده عبادة وتوحيد وصرفه لغير الله كفر وشرك أكبر، وقد يكون السجود بقصد التكريم والتعظيم كالسجود للأنبياء والملوك والعلماء، وهذا كان جائزاً في شرع من قبلنا ثم حرّم في شرعنا فمن أتى به فقد أتى بمعصية ولم يأت بما هو كفر أكبر مخرج من الملة، وهذه الأمور المحتملة لا يجوز تكفير فاعلها حتى نتبين قصد فاعلها، ومن الأدلة على صحة هذه القاعدة: ما أخرجه أبو داود والترمذي عن عبدالله بن أبي أوفى قال: (لمّا قدم معاذ من الشام سجد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال ما هذا يا معاذ؟ قال أتيت الشام فوافيتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم فوددت في

نفسي أن نفعل ذلك بك فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: فلا تفعلوا، فإني لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها) [أخرجه أبو داود والترمذي وأحمد والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي وصححه الألباني في ارداء الغليل]، ولما أخرجه البخاري ومسلم في قصة حاطب رضي الله عنه ومكاتبته لقريش بأمر مسير النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين إليهم لفتح مكة، وفي الحديث قوله صلى الله عليه وآله وسلم (ما هذا يا حاطب؟ قال لا تعجل عليّ يا رسول الله، إني كنت امرأً من قريش ولم أكن من أنفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكة فأحببت إذ فاتني من النسب فيهم أن اصطنع إليهم يداً يحمون قرابتي، وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً عن ديني فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنه قد صدقكم فقال عمر دعني يا رسول الله فأضرب عنقه فقال (إنه شهد بدراً وما يدريك لعلّ الله عز وجل اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) " [البخاري ح (4890)]، فموالاة الكافرين: يحتمل أن تكون موالاة باطنة على الدين ويحتمل أن تكون موالاة ظاهرة على سبيل التقية والمصانعة، ولوجود هذا الاحتمال لم يحكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليه بالكفر حتى تبين قصده بالسؤال، فلمّا علم أنها موالاة ظاهرة على سبيل التقية والمصانعة دلّهم على أنّ صنيعه هذا ذنب من الذنوب وكبيرة من الكبائر التي تدخل ضمن إطار الذنوب التي تكفرها الحسنات،

**[القاعدة الخامسة]:** العذر بالجهل يمنع من تكفير المسلم المتلبس بالكفر، لقد جعلت الشريعة أعذارا شرعية تمنع من تكفير المسلم المتلبس بالكفر، من أهمها العذر بالجهل، فإنه إذا كانت رحمة الله تعالى اقتضت أنّ الكفار لا يُحاسبون على كفرهم ما لم تقع عليهم الحُجة الرسالية بأن تأتيهم نذارة أو يسمعوا برسول، لقوله تعالى {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا} [الإسراء: 15]، وقوله تعالى {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} [النساء: 165]، فإنه من باب الأولى إعذار المسلم الذي وقع في مسألة من مسائل الكفر عن جهل، إذ لم يسمع بالدليل، والدليل على عذره: قوله تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [التوبة: 115]، والمعنى: أنه لا يضل قوماً بعد إبلاغ الرسالة إليهم حتى يكونوا قد قامت عليهم الحُجة بالبيان، وقوله تعالى {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ

مَصِيرًا}[النساء: 115]، أي خالف الرسول من بعد المعرفة والبيان، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (ولا أحد أحب إليه العذر من الله ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين) [البخاري ح/ 7416]، والأدلة على العذر بالجهل كثيرة جداً لا فرق في ذلك بين أصول وفروع ولا بين اعتقادات وعمليات، فكل مؤمن لم تبلغه الحُجة الرسالية في أمر ما فتلبس بالكفر فيه فلا يوصف بالكفر الأكبر، وليس معنى ذلك أنه قد سقط عنه الإثم أو العقوبة فالعذر بالجهل يمنع فقط من تكفيره، ولكن إذا ثبت تقصيره في طلب العلم وكان العلم ميسراً عنده بحيث كان متمكناً من طلبه، فهذا يأثم ويعّذر، ولكن لا يوصف بالكفر المخرج من الملة حتى تقوم عليه الحُجة الرسالية بالعلم وتستوفي كافة شروطها الشرعية التي قررها علماء الشرع الحنيف، وهذا في أحكام الظاهر، أمّا أحكام الباطن والتي اختص الله تعالى بعلمها فإن كان يعلم حقيقة بالكفر ويدعي جهله به فهذا كافر في الباطن وهو من المنافقين الذين يظهرون خلاف ما يبطنون، والإثم واقع عليه لا محالة إن قصّر في طلب العلم أو تهاون في طلبه مع تمكنه من تحصيله والوقوف عليه،

**[القاعدة السادسة] العذر بالتأويل مانع من تكفير المسلم المتلبس بالكفر**، بشرط ان يكون منشأه من القصور في فهم الأدلة دون تعمد المخالفة الشرعية، وكان القصد منه موافقة الشريعة لا تكذيبها ولا تعطيلها، وكان له وجه مستساغ وإن كان فهمه خطأ فهذا يُعذر صاحبه إن تلبس بالكفر فلا يكفر حتى تُقام عليه الحُجة التي يكفر تاركها ومثالها غالب الفرق الضالة الداخلة في إطار أمة الإسلام دون الغلاة منهم، أما إن كان قصد المتأول التلاعب بالشريعة، وليس له وجه مستساغ في الشرع فهذا لا يُعذر به صاحبه البتة، ومثاله تأويل القرامطة والباطنية أصحاب الأقوال المكفرة التي لا وجه مستساغ لها في الشرع، والعذر إنما يكون في التأويل المستساغ، وقد تضافرت الأدلة على عذر المتأول من كتاب الله عز وجل ومن سنّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومن ذلك قوله تعالى {وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ} [الأحزاب: 5]، وقوله تعالى وهو يأمر المؤمنين بهذا الدعاء {رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا} [البقرة: 286] وجاء في صحيح مسلم في تفسير الآية أن الله تعالى قال (قد فعلت) [صحيح مسلم]، فهذه الرحمة تتناول إن شاء الله تعالى أهل التأويل لأنهم داخلون في الخطأ وعدم تعمد المخالفة، وحديث مسلم عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما عندما لحق رجلاً من المشركين . كان قد أثخن على المسلمين فلما تمكن منه قال (لا إله إلاّ الله)، فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: (يا أسامه أقتلته بعد أن قال لا

إله إلاّ الله) [أخرجه مسلم]، وفي الحديث عذر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أسامه رضي الله عنه بتأويله، أنه ما قالها إلاّ متعوذاً من القتل وإلا لأقام عليه الحد لقتله مسلما متعمدا، والنبي يعذر حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه بالتأويل عندما كاتب المشركين بمكة يخبرهم بمسير النبي صلى الله عليه وآله وسلم لفتح مكة، والحديث أخرجه البخاري، ولذلك فإن جماهير أهل الفقه والأصول على الاعذار بالتأويل، ويستدلون لذلك بالأدلة السابقة، وأدلة أخرى منها: (أ) عدم تكفير الصحابة ومن بعدهم للخوارج الذين هم أكثر من تأول النصوص واستحلوا أشد المحرمات القطعية وهو قتل المسلمين وذلك بتأويل منهم، ومع ذلك لم يكفرهم المسلمون، حتى إن علياً الذي قاتلهم لبغيهم لم يحكم عليهم بالكفر ولهذا لم يعاملهم معاملة الكفار أو المرتدين المحاربين إنما دفع بغيهم، (ب) عدم تكفير عبد الرحمن بن ملجم مستحل قتل علي وقاتله، فقد أوصى علي بالقصاص منه ولم يتحدث عن ردته أو قتله لكفره، (ت) عدم تكفير قدامة بن مظعون وأبو جندل بن سهيل وضرار بن الخطاب، وهم من الصحابة قد شربوا الخمر مستحلين لها بتأويل، لذلك أقام عليهم عمر عقوبة الشرب ولم يحكم عليهم بالردة،

**[القاعدة السابعة]: لا يجوز التكفير بلازم المذهب:** فلا يحكم على اصحاب المذاهب بالكفر بناء على ما يلزم عن كلامهم ويترتب عليه لا سيما إن كانوا ينفونه، فلا يجوز تكفير المجسمة لأنهم عبدوا جسماً، وهو غير الله فهم عابدون لغير الله، ومن عبد غير الله كفر، ولا يجوز تكفير المعتزلة لأنهم وإن اعترفوا بأحكام الصفات فقد أنكروا الصفات ويلزم من إنكار الصفات إنكار أحكامها، ومن أنكر أحكامها فهو كافر، فإننا لو عاملنا كل مبتدع بلازم قوله كفرنا كل مبتدع، وفي هذا من الغلو ما فيه، والصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من علماء المسلمين لم يكفروا الخوارج الذين قتلوا المسلمين وانتهكوا محارمهم، مع ان لازم قولهم استحلال قتل المسلمين، ومن استحل المحرمات كفر، ومع ذلك لم يكفرهم المسلمون، حتى إن علياً رضي الله عنه الذي قاتلهم لبغيهم لم يحكم عليهم بالكفر ولهذا لم يعاملهم معاملة الكفار أو المرتدين المحاربين إنما اكتفى بدفع بغيهم،

**[القاعدة الثامنة] العذر بالإكراه نص عليه القرآن الكريم،** قال تعالى {مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ،،} [النحل: 16]، وعلى ذلك فإن العذر بالجهل والعذر بالتأويل والعذر بالإكراه جميعها أعذار شرعية تمنع من تكفير المسلم المتلبس بالكفر الأكبر، فلا يكفر حتى تقوم عليه الحجة الشرعية بذلك،

**[القاعدة التاسعة]: المسلم المتلبس بالكفر الأكبر لا يكفر حتى تقوم عليه الحُجة الشرعية،** وعلماء أهل السنّة والجماعة متفقون على أن المسلم إذا وقع في الكفر أو الشرك لا يكفر حتى تقوم عليه الحُجة الشرعية بالكفر، أمّا قبل إقامة الحُجة فإنه لا يُحكم عليه بالكفر الاكبر والخروج من الملة، ولا يُخالف في هذه القاعدة إلاّ الخوارج والمعتزلة والحشوية أهل الغلو في مسائل التكفير، قال تعالى {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ}[التوبة: 115]، والآية تدل على أنّ الله لا يُؤاخذ عباده حتى يُبين لهم ما يأتون وما يذرون، وتقوم عليهم الحجة بذلك، وقد ثبت أن قدامة بن مظعون شرب الخمر مستحلاً لها، فأقام عليه عمر الحدّ ولم يكفره، وكذلك أبو جندل بن سهيل وجماعة معه شربوا الخمر بالشام مستحلين لها مستدلين بقول الله عز وجل {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا}[المائدة: 93]، فلم يكفروا وعرفوا تحريمها فتابوا وأقيم عليهم الحدّ، وكذلك كل جاهل بشيء لا يُحكم بكفره حتى يعرف ذلك وتزول عنه الشبهة ويستحله بعد ذلك، ولأهل العلم في ضبط هذه القاعدة ثلاث ضوابط لا يسع جهلها وإلاّ آل الأمر إلى التعجل في تكفير أهل القبلة، وهذه الضوابط الثلاث تتمثل في: **(الضابط الأول): الحُجة لا تكون معتبرة شرعاً حتى تستوفي كافة شروطها من جهات ثلاث،** جهة صفة الحُجة، وجهة صفة من يُقيم الحُجة وجهة صفة إقامة الحُجة، فالحُجة نفسها التي تصلح لأن تكون حُجة لتكفير المسلم إما أن تكون قرآناً صريحاً أو تكون سنّة متواترة صريحة أو إجماع أهل العلم، أمّا غير ذلك فأدلة محتملة لا تصلح لتكفير مسلم علمنا إسلامه بيقين، وأمّا صفة من يُقيم الحُجة فلا تقوم الحُجة الشرعية إلاّ بمسلم عالم عدل معروفاً عند من يُخاطبه بالعلم والعدالة لقوله تعالى {فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} [التوبة: 122] فمن لم يكن موصوفاً بالعلم معروفاً به في مكان ما لم تقم به الحُجة الشرعية، وأما صفة إقامة الحُجة فيشترط فيها أن تصل إلى المُخاطب بلغته التي يفهمها لقوله تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ} [ابراهيم: 4]، وأن تكون مفصلة مبينة ترد على جميع شبهات المخاطب حتى ينقطع أمامها فلا يجد حُجة تدحضها، لقوله تعالى {فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} [المائدة: 92]، وقوله تعالى {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ}[التوبة: 115]، **و (الضابط الثاني): لا يكفر المسلم حتى تتوفر شروط تكفيره وتنتفي موانعه،** وشروط تكفيره تنقسم إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول: شروط في الفاعل نفسه وهي أن يكون بالغاً، عاقلاً، عالماً بأن فعله مكفر، متعمداً قاصداً لفعله، مختاراً له بإرادته، والقسم الثاني: شروط في الفعل نفسه (الذي هو سبب

الكفر) بأن يكون هذا الفعل مكفراً الكفر الأكبر بلا شبهة فلا يصح التكفير بمسائل مختلف فيها بين فقهاء أهل السنّة والجماعة، لأن من دخل الإسلام بيقين (أي الإقرار بالشهادتين) لا يخرج منه إلاّ بيقين، وأن يكون صريح الدلالة على الكفر فلا يجوز التكفير بدليل محتمل الدلالة على الكفر وغيره، و القسم (الثالث): شروط في إثبات الكفر على صاحبه، فلا يُحكم على مسلم بالكفر حتى يقوم الدليل الشرعي المكتمل على تكفيره فلا يكفر في حكم الظاهر كمثل المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يقتلهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بسبب كفرهم رغم علمه يقيناً بكفر اعيان منهم لأنه لم يثبت الكفر على أحدهم بطريق شرعي صحيح كأن يشهد عليه مسلمان بالكفر فيستتيبه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من الكفر وإلاّ قتله، فهذه هي شروط تكفير المسلم المتلبس بالكفر الأكبر، أمّا موانع تكفيره التي يُشترط انتفاؤها للحكم على معين بالكفر تتمثل في: موانع في المعين منها الصغر والجنون والخطأ والجهل والتأويل والإكراه فلا يُحكم عليه بالكفر حتى تنتفي تلك الموانع، **و (الضابط الثالث): فإنه عند الاختلاف وتعارض الأدلة على تكفير المسلم يُرجح الجانب الذي فيه صالح المسلم لما فيه من السلامة والاحتياط والبعد عن خطر التكفير:** وهذا الضابط هو من أهم ما يميز هل السنّة والجماعة الذين لا يكفرون أحداً من أهل القبلة إلاّ من ثبت على تكفيره دليل صريح صحيح لا معارض له، فإن اختلفت فيه الأقوال فالأولى عدم تكفيره، لان الخطأ في ترك ألف كافر في الحياة خير من الخطأ في سفك دمٍ مسلم،

**[القاعدة العاشرة]: افتراق المسلمين لا يؤثر على الولاء العام للإسلام:** صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واشتهر بأن أمة الإسلام ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها تستحق الوعيد بالنار إلا واحدة ناجية، أخرج الإمام أحمد ابن حنبل وأبو داود والترمذي وابن ماجه: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة) [أخرجه أبو داود، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود 3 / 869]، وهذا الحديث يفهمه أهل البدع والضلال فهما على عكس مراده، فليس المراد ان نعادي المسلمين ونستحل دماءهم ومحارمهم، وإنما المراد السعي الجاد في تصحيح معتقدات المسلمين وهداية الفرق الضالة إلى سبيل النجاة، وإذا كان جدال أهل الكتاب والكافرين لا يكون إلا بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، قال تعالى: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [العنكبوت: 46]، وقال تعالى:

{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [النحل: 125]، فكيف بجدال أهل الإسلام والقرآن،

***

## المبحث السادس والثلاثون

## الصوفية والموقف من الفرق الضالة من أهل الإسلام

**[المفتاح الأول]: أهل التصوف يرون أنّه لا يجوز تكفير أهل البدع والفرق الضالة من أهل القبلة بإطلاق، وإنما تطبق عليهم قواعد التكفير التي قال بها علماء أهل السنّة والجماعة بعموم كل مسلم**، لا يجوز تكفير أهل الفرق الضالة من المسلمين: إذ التكفير حكم شرعي، مرده إلى الله ورسوله، فلا يكفي فيه الشبهة والظن، لما يترتب على ذلك من الأحكام الخطيرة، من استحلال الدماء والأموال والأعراض، وإذا كانت الحدود تدرأ بالشبهات، مع أن ما يترتب عليها أقل مما يترتب على التكفير، فالتكفير أولى أن يدرأ بالشبهات، وقد حذر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الحكم بالتكفير على مسلم لم يبلغ حد الكفر الأكبر، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال وإلا رجعت عليه) [متفق عليه]، ولا علاقة للبدعة بالكفر الأكبر، والمبتدع أقرب إلى العصاة منه إلى الكفار، وعصاة الموحدين مسلمون يدعى لهم بالهداية ويستغفر لهم، ولا يحكم على المبتدع عيناً بأنه كافر إلا بعد استيفاء شروط التكفير، وانتفاء موانعه، وأن تقوم عليه الحجة المعتبرة شرعا بشروطها وضوابطها التي قررتها علماء اهل

السنة والجماعة، وليس معنى ما جاء في حديث الافتراق (كلها في النار إلا واحدة) أن نحكم عليها بأنها في النار، ولكن معناه أنها لبدعتها وضلالها تستحق الوعيد بالنار كما أن مرتكب الكبائر يستحق الوعيد بالنار وهو مسلم له اسم الإسلام وحكمه، وهذه الفرق الضالة ضلت الطريق في بعض جوانب الدين فاستحقت لذلك الوعيد بالنار، وهي إلى مشيئة الله، إن شاء غفر، وإن شاء عذب، ولكن مآلها جميعها إلى رحمة الله وجنته لما أتت به وحافظت عليه من شهادة التوحيد، والإيمان المجمل بالإسلام، ولا يجوز تكفير تلك الفرق بإطلاق، ولا يجوز إخراج آحاد المسلمين من الإسلام إلا باستيفاء شروط التكفير وموانعه تامة تامة، وقد حبى الله تعالى أهل العلم والفقه في الدين بقواعد تجعلهم يفرقون ما بين البدعة والكفر، فأهل البدع مسلمون لا نكفرهم ببدعة ولا خطأ ولا جهل ولا تأويل ولا ذنب حتى ينكر معلوما من الدين بالضرورة وتقوم عليه الحجة الشرعية التامة المستوفية لشروطها وموانعها بذلك، ومن اهم مفاتيح العلم التي اعتمدها اهل التصوف في هذا الباب

**[المفتاح الثاني]**: أصول الفرق الضالة على مر عصور الإسلام، الخوارج وبدع الخروج والنواصب وبدع النصب والبغض لآل البيت، والشيعة وبدع التشيع والرفض، والمعتزلة وبدع الاعتزال، والجهمية وبدع الجبر والتجهم والمرجئة وبدع الارجاء والمجسمة وبدع التجسيم والحشوية وبدع الحشو ومحاربة اهل التخصص العلمي الإسلامي، والتيمية وبدع التيميين وآخرا الوهابية وبدع الوهابية

**[المفتاح الثالث]**: **الفرقة الأولى: (الخوارج)** ويمكن تعريفهم بتعرفين هما الأشهر: **(الأول)**: أنهم هم الذين خرجوا على علي رضي الله عنه وقاتلهم ولذا سموا خوارج، و**(الثاني)**: كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة يسمى خارجيًّا، سواءً كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو غيرهم من التابعين لهم بإحسان، وقد **بدأ ظهور الخوارج كفرقة ضالة تكفر المسلمين وتستحل دماءهم وأعراضهم في عام 37 هـ عندما بايع الخوارج عبد الله بن وهب الراسبي أميرا عليهم، واتهموا أمير المؤمنين على رضي الله عنه بأنّه رضي بتحكيم الرجال في دين الله تعالى: وأن هذا التحكيم كفر أكبر مخرج من الملة، واعتلوا لذلك بقول الله عز وجل {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} [المائدة: 44]، فكفروه بهذا الزعم الضال، وقد حاول رضي الله عنه أن يزيل ما التبس عليهم من أمر التحكيم وأنه إنما حكم كتاب الله عز وجل وشرط على الحكمين أن يحييا ما أحياه القرآن ويميتا ما أماته القرآن، وبين لهم أن القرآن إنما**

**خط مسطوراً بين دفتين لا ينطق وإنما يتكلم به الرجال، وأرسل إليهم حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فحاورهم وتاب منهم كثير، وأما الباقون فقد انحازوا عن جماعة المسلمين بمكان يسمى النهروان، وتركهم الإمام علي رضي الله عنه وشأنهم حتى استحلوا دماء المسلمين وأعراضهم، وكان أول من قتلوه عبد الله بن الصحابي الجليل خباب بن الأرت ثم قتلوا ولده وجاريته أم ولده، وانتهى خبرهم إلى الإمام علي رضي الله عنه فسار إليهم في أصحابه حتى إذا اقترب منهم أرسل إليهم أن سلموا قاتل عبد الله بن خباب فأرسلوا إليه إنا كلنا قتلناه ولئن ظفرنا بك قتلناك، فقاتلهم رضي الله عنه وأكرمه الله عز وجل بقتل أكثرهم وصار سيفه في الخوارج سيف حق إلى قيام الساعة، وأهم أصول الضلال عند الخوارج: (أ) غلوهم في الإمامة:** فيشترطون في الإمام أن يكون على نفس معتقدهم وإلا كفروه واستحلوا دمه وأوجبوا الخروج عليه، **(ب) غلوهم مع أهل القبلة:** يكفرون أصحاب الكبائر من أمة الإسلام، ويقولون كل ذنب مغلظ كفر وكل كفر شرك وكل شرك فهو عبادة للشيطان، ومرتكب الكبيرة كافر مشرك عابد للشيطان، ويحكمون على صاحب الكبيرة إذا مات عليها أنه خالد مخلد في النار أبداً كالكفار الجاحدين بالله وملائكته وكتبه ورسله ويومه الآخر، ويقولون إذا كفر الرجل كفرت نساؤه وأولاده ويحكمون بانهم مع آبائهم في النار، والكافر حلال الدم والعرض والمال ولذلك فهم يستحلون دماء وأموال وأعراض من يكفرونه من أهل القبلة، وقلما ينجو من تكفيرهم مسلم موحد، **(ت) غلوهم في حق أنفسهم:** يقرون لأنفسهم بالإيمان، ويشهدون على مخالفيهم بالكفر وبالنار، يعتبرون دارهم دار إسلام وتوحيد ودار هجرة والقاعد عن الهجرة إليهم كافر ينبغي التبرؤ منه حتى يهاجر إليهم، **(ث)** يقولون بأن كل من لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر مرتد حلال المال والعرض والدم دونما تفصيل أو فقه في الدين، ويقولون بأن كل من وافقه أو سكت عنه فهو كافر مثله، **(ج) من صفاتهم** يدعون أهل الشرك إلى الإسلام، ويكفرون أهل الإسلام الأصليين، ويطبقون الآيات التي نزلت في المشركين على أهل الإسلام فيكفرونهم ويستحلون حرماتهم، يمرقون من الدين بأدنى شبهة، فهذه صور من غلو الخوارج كلاب أهل النار، ومن أمثلة هؤلاء في زماننا الخوارج المعروفون باسم الدواعش نسأل الله السلامة والهداية،

**[المفتاح الرابع]: الفرقة الثانية: (النواصب):** قوم يبغضون آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، أو أحدا منهم أو يبغضون أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وأرضاه على وجه الخصوص، جاء

في لسان العرب: (النواصب قوم يتدينون ببغض علي عليه السلام) [لسان العرب ج1/ص762]، وقال ابن حجر: (والنصب بغض علي وتقديم غيره عليه والخوارج الذين أنكروا على علي التحكيم وتبرءوا منه ومن عثمان وذريته وقاتلوهم فإن أطلقوا تكفيرهم فهم الغلاة منهم) [مقدمة فتح الباري ج1/ص459]، وقال الذهبي :من تعرض للإمام علي بذم فهو ناصبي يعزر فإن كفره فهو خارجي مارق بل سبيلنا أن نستغفر للكل ونحبهم ونكف عما شجر بينهم) [سير أعلام النبلاء ج7/ص370]، و**النواصب فرقة ظهرت في بدايات العصر الإسلامي:** كانت تبغض آل البيت أو أفرادا منهم كالإمام علي رضي الله عنه، او الحسين رضي الله عنه، وآل بيت النبي صلى الله عليه وسلم يدخل فيهم كل مَن تَحرُم عليهم الصَّدقةُ: وهم: ذريته، من أبناء الحسن والحسن، وأزواجه أمهات المؤمنين، وبنو هاشم وبنو المطلب، ومواليهم، وهذه الفرقة كانت تفسق الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وتشكّك في أفضليته، وكانوا يتهمونه بالظلم، وأنه كان طالباً للدنيا، وانّه كان طالباً للخلافة لنفسه، وأنّه قاتل عليها بالسيف وقتل على ذلك ألوفا من الصحابة والتابعين في الجمل وصفين، ومنهم من يقول بأنّه شارك في دم عثمان، ومنهم من يقول: أنه رضى بقتله وفرح بذلك، ومنهم من يقول أنه لم يقاتل بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم كافرًا ولا فتح مدينة بل قاتل أهل القبلة في الجمل وصفين والنهروان يريد التنقيص منه، ومنهم من يقول أنّ الحسين رضي الله عنه خرج على إمام زمانه، وكانوا يجوزون قتله، ويستدلون لذلك بقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من أتاكم وأمركم على رجل واحد يريد أن يفرق جماعتكم فاضربوا عنقه بالسيف كائناً من كان) [رواه مسلم]، وإذا لم تستح فاصنع ما شئت، والفرق بين الخوارج والنواصب، أنّ النواصب والخوارج كليهما اشتركوا في مناصبة علي العداء، ولكن النواصب يفسقون الإمام علي رضي الله عنه، أما الخوارج فيكفرون الإمام علي رضي الله عنه، وكذلك فإن النواصب يقبلون عثمان أما الخوارج فيكفرونه، وأهل السنة والجماعة يحبون أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الإسلام، ويتبرؤون من طريقة الخوارج الذين يكفرون آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، ومن طريقة النواصب الذين يفسقون آل البيت ويؤذون آل البيت بقول أو عمل، وأهل السنة والجماعة ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم، وأهل السنة والجماعة يمسكون عما شجر بين الصحابة اجلالا لقدرهم وحفظا لفضلهم وحفظا لوصية النبي صلى الله عليه وسلم فيهم، ومعلوم لكل مسلم أنّ : **حب آل البيت إيمان، وبغضهم نصب ونفاق:** قال تعالى: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أهل الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} [الأحزاب: 33]، و**قوله صلى الله عليه**

**وسلم:** (وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي) [رواه مسلم]، وتكرار النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الأمر والتأكيد عليه، هو بمثابة اعلان للأمة الإسلامية أن الواجب عليها أن تقدر أهل البيت وأن تنزلهم منازلهم التي أنزلهم إياها القرآن والسنّة رضي الله عنهم وأرضاهم، و**أهل السنّة والجماعة يتبرؤون من معتقد النواصب** الذين ناصبوا للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه العداوة، وعلامة هؤلاء أنّهم كانوا يتهمونه بالظلم، وأنه كان طالباً للدنيا، وانّه كان طالباً للخلافة، وأنّه قاتل عليها بالسيف وقتل على ذلك ألوفا من المسلمين في الجمل وصفين، وأنّه لم يكن مقصده تأليف المسلمين وربطهم بإمام واحد، ومن علاماتهم أنّهم يقولون أنّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه شارك في دم عثمان، أو من يقول: أنه رضى بقتله وفرح بذلك، أو من يقول أنه لم يقاتل بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم كافرًا ولا فتح مدينة بل قاتل أهل القبلة في الجمل وصفين والنهروان يريد التنقيص منه، ولا شك أن قولهم في هذا كله قول باطل، ولنا ما جاء في **(صحيح مسلم)** عن زر قال: قال عليٌّ رضي الله عنه: (والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، أنه لعهد النّبيّ صلى الله عليه وسلم إليّ أن لا يحبني إلاّ مؤمنٌ ولا يبغضني إلا منافق) [رواه مسلم (78)]، و**أهل السنّة والجماعة يتبرؤون من معتقد النواصب** الذين يبغضون الحسن والحسين رضي الله عنهما، والذين نالوا من سيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي رضي الله عنهما وأرضاهما، فقالوا: إن الحسين بن علي خرج على إمام زمانه، وكانوا يجوزون قتله، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من أتاكم وأمركم على رجل واحد يريد أن يفرق جماعتكم فاضربوا عنقه بالسيف كائناً من كان) [رواه مسلم]، فإن الحسن والحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسلهما إلى يوم القيامة هم آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وحب الحسن والحسين من علامات الإيمان، ولنا ما جاء الصحيحين عن البراء رضي الله عنه قال: (رأيت النبي صلى الله عليه وسلم والحسن بن علي على عاتقه يقول: اللهم إني أحبه فأحبه) [متفق عليه]، و**أهل السنّة والجماعة يتبرؤون من معتقد الروافض النواصب** الذين يبغضون أمهات المؤمنين زوجات النبي صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهن وأرضاهن، فكل من سبهن او سب إحداهن فهو ناصبي نجس، أمّا اتهام الطاهرة المطهرة الصديقة التي طهرها القرآن الكريم من الفاحشة فهذا كفر وتكذيب للقرآن، والروافض الانجاس بعضهم يتهم الصديقة بنت الصديق بالفاحشة: ففي تفسير القمي أصل تفاسيرهم المعتمدة هذه الرواية:(قال علي بن إبراهيم في قوله (وضرب الله مثلاً) ثم ضرب الله فيهما (يعني عائشة وحفصة زوجتي رسول الله، مثلاً فقال (ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط

كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما) قال: والله ما عني بقوله فخانتاهما إلا الفاحشة، وليقيمن الحد على فلانة فيما أتت في طريق البصرة، وكان فلان يحبها، فلما أرادت أن تخرج إلى البصرة قال لها فلان: لا يحل له أن تخرجين – كذا – من غير محرم فزوجت نفسها من فلان) [تفسير القمي 2/377 – بحار الأنوار 22/420]، وكما ترى أن النص ليس فيه تصريح بالأسماء على عادة القوم من الكفر والتدليس عليه، ولكن في وجود الدولة الرافضية قلت التقيه فصرح عالمهم المجلسي بالأسماء فقال: (وليقيمن الحد أي القائم عليه السلام عند الرجعة وفلانة هي عائشة " قلت رضي الله عنها " وفلان هو طلحة بن عبد الله " قلت رضي الله عنه ") [بحار الأنوار 22 / 241]، فأي عداء لآل بيت النبوة بعد هذا الذي عليه هؤلاء، يطعنون في الصديقة بنت الصديق التي برأها الله عز وجل مما قذفها به المنافقون، وتحذر المؤمنين من مجرد سماع هذا الإفك العظيم، فقال تعالى: {يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [النور: 17]، قال ابن كثير في تفسير الآية: " أجمع أهل العلم قاطبة على أنّ من سبها ورماها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في الآية فإنه كافر لأنه معاند للقرآن " أ،هـ. [تفسير ابن كثير ج 3 / 289]، فمن قذف أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق عائشة بنت أبي بكر الصديق، زوجة النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة رضي الله عنها، بما برأها الله منه، وهي فاحشة الزنا، فهو كافرٌ بإجماع المسلمين، لأنه مكذب لكتاب الله، إذ إن الله سبحانه وتعالى برَّأها من ذلك في كتابه الكريم في سورة النور وجعل اتهامها بالفاحشة إفكا، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ} إلى قوله تعالى: {وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} فالقرآن الكريم جعل اتهامها افكا، وكتب لها البراءة {أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ}، وذكر أنّ {وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ}، وليس أطيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس أطيب من زوجاته أمهات المؤمنين، فالله يقول هي بريئة، والقاذف لها يقول هي زانية، فيكون مكذِّباً لكلام الله، فهذا كافر مرتد عن دين الله، فمن قذفها بما برَّأها الله منه وهو الزنا، فقد كفر بالله العظيم، قال النووي في شرح صحيح مسلم (17/ 117): (براءة عائشة رضي الله عنها من الإفك، وهي براءة قطعية بنص القرآن العزيز، فلو تشكك فيها إنسان – والعياذ بالله – صار كافراً مرتداً بإجماع المسلمين، قال ابن عباس وغيره: لم تزن امرأة نبي من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهذا إكرام من الله تعالى لهم) انتهى، وقال ابن تيمية في الصارم المسلول (ص 565): (فأما من سب أزواج

النبي صلى الله عليه وسلم، فقال القاضي أبو يعلى: "من قذف عائشة بما برأها الله منه كفر بلا خلاف"، وقد حكى الإجماع على هذا غير واحد، وصرح غير واحد من الأئمة بهذا الحكم) انتهى

**[المفتاح الخامس]: الفرقة الثالثة: (المعتزلة):** والمعتزلة اسم يطلق على فرقة ضالة ظهرت في الإسلام في القرن الثاني الهجري ما بين سنة (105 هـ وسنة 110 هـ)، وكان بداية ظهورها على يد واصل ابن عطاء (80 هـ – 131 هـ)، وأصول الضلال عند المعتزلة خمسة، يظنون أنها من أصول الحق الخمسة وهي في حقيقتها أصول الضلال عند المعتزلة، **[الأصل الأول]: يسمونه التوحيد وهو في حقيقته إفراط في باب التنزيه على حساب الإثبات وخوض في صفات الله تعالى بما لا ينبغي،** وقد وصلوا من خلال هذا الأصل إلى نفي جميع صفات الله تعالى: من العلم والقدرة والحياة والسمع والبصر، ووصلوا إلى نفي رؤية الله عز وجل في الدار الآخرة مع أنها ثابتة بإجماع أهل السنّة بأدلة تقرب من التواتر صحة وثبوتاً، **[الأصل الثاني] يسمونه العدل وهو في حقيقته نفي القدر والتكذيب به، وهذا الأصل يبحثون فيه أفعال الله تعالى: وقد راموا في هذا** المبحث نفي الظلم عن أفعال الله تعالى: فوقعوا في وصفه – سبحانه – بالعجز، ومن ضلالاتهم المتعلقة بهذا الأصل: أنهم يرون أن أفعال العباد هم الخالقون لها والمحدثون لها، ويرون أن من قال: أن الله تعالى هو خالق أفعال العباد فقد عظم خطأه لأنه نسب إلى الله تعالى: الجور والظلم، ونسب إليه فعل القبيح لأن أفعال العباد أكثرها قبيح، ويرون أن الله عز وجل يجب عليه أبدا فعل الأصلح لأنه إذا لم يفعل ذلك كان ظلماً للعباد ونقصاً لما فيه صلاحهم وخلافاً للحكمة التي يجب أن يتصف بها، ومعتقد أهل السنّة أنه لا يجب على الله تعالى شيء، أراد المعتزلة نفي الجور والظلم عن الله عز وجل فوصفوا الله عز وجل بالعجز وعدم كمال القدرة والمشيئة، **[الأصل الثالث]: يسمونه الوعد والوعيد:** وهو في حقيقته حجر لرحمة الله الواسعة التي وسعت كل شيء، ونفي لعفو الله عز وجل لعباده العاصمين لأصحاب الكبائر من أمة النبي صلى الله عليه وسلم، ومفاده أن الله عز وجل وعد المطيعين بالثواب وأنه يفعل ما وعد لا محالة ولا يجوز عليه الخلف وإلا كان كذباً لا ينبغي أن يوصف به الله عز وجل – وهذا حتى الآن لا غبار عليه به قول أهل السنّة والجماعة–، ولكنهم يرتبون على ذلك أن الوعد بالثواب هو بطريق الاستحقاق وأن العبد مستحق لذلك الثواب وليس هو من باب الفضل والتفضل، وهم بذلك مخالفون لأهل السنّة والجماعة، لأن أهل السنّة يرون أن هذا محض فضل الله تعالى: على عباده المطيعين لأنه سبحانه هو الذي يسر لهم الطاعة ونعمه عليهم

تكافئ الطاعة وتزيد عليها فأي حق لهم سوى فضل الله عز وجل عليهم بدليل قول أهل الجنة {الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ،} [فاطر: 35] فالجنة إنما يحل فيها أهلها بفضل الله، ويصدق هذه الآية الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (سددوا وقاربوا وأبشروا فإنه لا يدخل أحداً الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله؟ قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة) [صحيح البخاري: ك الرقاق – باب القصد والمداومة على العمل]، فدخول الجنة محض فضل تفضل الله به على أهل طاعته، ولكنه محض فضل منّ الله عز وجل به من حلمه وعفوه ومغفرته وسعة رحمته وعظيم صفاته، هذا هو فهم أهل السنّة والجماعة لمسائل الوعد، وشتان بين الذي يقول أن دخول الجنة للمطيعين واجب على الله لاستحقاق المطيع ذلك بطاعته كما يقول المعتزلة وبين من يقول أنه محض فضل الله به ومن كمال رحمته تفضل بذلك الفضل على المؤمنين، وهو قول السنة، **أما مسألة الوعيد**، فإن المعتزلة أتوا فيها بما يضحك الثكلى فقالوا: كما أن الوفاء بالوعد واجب على الله، كذلك الوعيد فإنه واجب على الله أن يوفي بوعيده، والوعيد معناه كل خبر يتضمن إيصال العقوبة والضرر والعقاب والعذاب إلى الغير مستقبلاً، وعلى ذلك فمن توعده الله بالعذاب أو النار فإنه لا يعفو عنه ولكن يعذبه ويوفي بوعيده وإلا تضمن خطاب الله عز وجل خلف الوعيد وبناءً على هذا الأصل الضال بنوا بأن أصحاب الكبائر مخلدون في النار خلود الكافرين، مع أتفاق العقلاء على انّ الكريم إذا وعد وفى وإذا اوعد عفا، **[الأصل الرابع]: يسمونه المنزلة بين المنزلتين:** وهو في حقيقته نفي مطلق الإيمان عن أصحاب الكبائر وجعلهم في منزلة بين الإيمان والكفر فلا يأخذون اسم أحدهما ولا حكمة، ومن ثم مضاهاة الخوارج في الحكم عليهم بالخلود الأبدي في النار خلود الكافرين، **والمعتزلة بهذا القول خالفت إجماع أهل القبلة بما فيهم الفرق الضالة، فلم يقل بالمنزلة بين المنزلتين غيرهم ولا أحد قبلهم**، وهذا وحده كاف في بيان ضلال ما ذهبوا إليه، إذ ديننا الحنيف مبني على الاتباع لا الاختراع والابتداع لا سيما في مسائل الاعتقاد التي تتعلق بها اسم الملة وأحكامها، **[الأصل الخامس]: يسمونه الأمر بالمعروف والنهي علن المنكر**، وهو في حقيقته تهيئة الأجواء للخروج على الحاكم المسلم العاصي أو الفاسق وإثارة الفوضى والهرج والمرج وسفك دماء المسلمين، وذلك لأنهم يرون الخروج على الحاكم العاصي أو الفاسق لأنه عندهم لا هو مسلم ولا هو كافر وإنما هو في منزلة بين المنزلتين وأنه في الآخرة خالد مخلد في النار مع الكافرين، **وأهل السنّة والجماعة** يرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بضوابطه الشرعية منها أنه لا يجوز إنكار المنكر إذا كان يعقبه منكر

أكبر منه، وكذلك فإن حد إنكار المنكر هو تغييره باليد دون استعمال السيف، والسيف عندهم لا يستعمل إلا بضوابط عديدة تضمن صحة تغيير المنكر وإلا فتركه أولى من تغييره، والمعتزلة لا يفرقون في قتالهم بين الفاسق والكافر بخلاف أهل السنّة فإنهم يفرقون بين الفاسق والكافر، بل ويجعلوه في إطار الإسلام ما كان فسوقه لم يخرجه من إطار الملة إلى الكفر بناقض ينقض أصل إيمانه،

**[المفتاح السادس]: الفرقة الرابعة: (المرجئة): و(الإرجاء)**: في الاصطلاح: هو صفة وعلامة على فرقة ضالة في الاعتقاد وهي المرجئة وإرجاء هؤلاء معناه تأخير العمل عن مسمى الإيمان، فلا يجعلون الأعمال داخلة في مسمى الإيمان، و **(المرجئة)**: لهم مقالات تدل على إهمال قيمة عمل الجارحة بالكلية منها قول بعضهم (لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع من الشرك طاعة)، وقول بعضهم (المعصية لا تضر صاحب التوحيد) وقول بعضهم (لا يدخل النار مؤمن) ويقصدون بالمؤمن كل من قال لا إله إلا الله معتقداً لها مهما أتى من الذنوب والآثام، **وأهل السنّة يقولون لا يخلد في النار مؤمن، والفارق بينهما عظيم فالمرجئة يقولون بعدم دخوله النار ابتداءً وهذا إهمال عظيم لعمل الجوارح وإهدار عظيم للطاعات واستهتار واضح بالمعاصي والذنوب**، أما أهل السنّة فيقولون بأنه في المشيئة ويدخل فريق منهم النار يقيناً لأنه قد صحت بذلك الآثار، ويمكثون في النار ما شاء الله، ويقولون غمسة في النار لا تساويها الدنيا بأسرها بنعيمها ولذاتها، إلا أن أهل التوحيد لا يخلدون في النار خلود الكفار الجاحدين المكذبين، **وغالب فرق الإرجاء ينفون وجود مكفرات من الأعمال**، فسب الله عندهم ليس بكفر إلا إن صاحبه استحلال، وكذلك قتال الأنبياء وقتلهم والسجود للأصنام وإلقاء المصاحف في الحشوش، فيقولون ليست هذه الأعمال كفراً حتى يصاحبها استحلال، وليست كذلك عند أهل السنّة لأنهم يقولون إنها لا تصدر إلا مع انتفاء عمل القلب من الانقياد والتعظيم ولا تصدر بقصد إلا من كافر، ولا يلزم معها استحلال لأنها ملازم لها لا ينفك عنها بحال، و**من مقالاتهم الشنيعة: قولهم** (من قال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فهو مؤمن مستكمل الإيمان إيمانه كإيمان جبريل والملائكة وإن قتل كذا وكذا وإن ترك الغسل من الجنابة وإن ترك الصلاة) [انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنّة للالكائي ج5 / 1071]، **وقولهم** " لا تضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة " [نقله عنهم الشهريتاني في الملل 1/139]، **وقولهم** " ما دون الشرك مغفور لا محالة وأن العبد إذا مات على توحيده لا يضره ما اقترف من الآثام واجترح من السيئات

" [الملل والنحل 1/140]، **وقولهم** " إن الله لا يعذب الفاسقين من هذه الأمة " أهـ [نقله عنهم الرازي في كتابه اعتقادات فرق المسلمين ص 70]، **وقولهم** " لا يدخل النار إلا الكفار فحسب " [حكى إجماعهم على هذه المقولة السكسكي في البرهان ص 33]، **وقولهم** " من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله دخل الجنة إذا مات وإن زنى وإن سرق وشرب الخمر وقذف المحصنات وترك الصلاة والزكاة والصيام إذا كان مقراً بها لم يضره وقوعه على الكبائر وتركه للفرائض وركوبه الفواحش " [نقله عنهم الملطي في التنبيه والرد ص 43]، ومقصدهم من ذلك عدم دخول النار ابتداءً فالنار محرمة عليهم ولا تمس أجسادهم قط، " **قلت** " وبعد جمع أقوالهم الشنيعة في الإيمان أرجو أن تكون الصورة قد اكتملت تجاه هؤلاء الذين يهدرون تماماً قيمة عمل الجارحة وقيمة الطاعة ويستخفون تماماً بالمعاصي والآثام والذنوب وهم مع ذلك يجزمون لأنفسهم بكمال الإيمان فنعوذ بالله من البدعة والضلالة،

**[المفتاح السابع]: الفرقة الخامسة: (الجهمية):** هم أتباع الجهم بن صفوان وهو ضال مبتدع قال عنه الذهبي " هلك في زمان التابعين وما علمته روى شيئاً، لكنه زرع شراً عظيماً " أهـ [ميزان الاعتدال ج1 / 426]، و**قال الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله:** " ذكر قول الجهمية ما تفرد به جهم: الذي تفرد به جهم القول بأن الجنة والنار تبيدان وتفنيان، وأن الإيمان هو المعرفة بالله فقط، والكفر هو الجهل بالله فقط، وأنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا لله وحده، وأنه هو الفاعل، وأن الناس إنما تنسب إليهم أفعالهم على المجاز، كما يقال: تحركت الشجرة، ودار الفلك وزالت الشمس، وإنما فعل ذلك بالشجرة والفلك والشمس الله – سبحانه ! – إلا أنه خلق للإنسان قوة كان بها الفعل، وخلق له إرادة للفعل واختياراً له منفرداً بذلك، كما خلق له طولاً كان به طويلاً، ولوناً كان به متلوناً، وكان جهم ينتحل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقتل " جهم " بمرو، قتله مسلم بن أحوز المازني في آخر ملك بن أمية ويحكي عنه أنه كان يقول: لا أقول إن الله – سبحانه! – شيء لأن ذلك تشبيه له بالأشياء، وكان يقول: إن علم الله – سبحانه ! – محدث، فيما يحكي عنه، ويقول بخلق القرآن، وأنه لا يقال: إن الله لم يزل عالماً بالأشياء قبل أن تكون " أهـ [مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ج1/338]، **ويمكن تلخيص أهم ضلالات الجهمية في هذه الأصول الضالة: (الأصل الأول):** تعطيل الأسماء والصفات ونفيها عن الله عز وجل، و **(الأصل الثاني):** القول بالجبر في باب الإيمان بالقدر، و **(الأصل الثالث):** القول بالإرجاء الغالي في باب الإيمان وهو أنه يكفي

المرء في الإيمان مجرد المعرفة، و **(الأصل الرابع):** القول بفناء الجنة والنار، و **(الأصل الخامس ):** إنكار أكثر الأخبار الواردة في أمور اليوم الآخر كإنكار الصراط والميزان ورؤية الله تعالى: وعذاب القبر، **فأما الأصل الأول:** (تعطيل أسماء الله عز وجل وصفاته) فحجتهم فيه أن وصف الله تعالى: بصفات موجودة في المخلوق توجب التشبيه فينبغي نفي كل صفة نسبت إلى الله تعالى، ومن هذا الباب عطلوا جميع الصفات دون استثناء وذلك لأن الإنسان وهو مخلوق موصوف بالحياة والعلم والسمع والبصر والكلام وغيرها من الصفات، وقد تقدم الرد على ضلالاتهم في الكتاب الأول، مفاتيح علم التقديس، **وأما الأصل الثاني (قولهم بالجبر)** فحجتهم فيه أنهم يثبتون لله عز وجل القدرة التامة وأن إثبات القدرة التامة يستلزم الجبر في أعمال الإنسان وأنه مجبور على عمله لا خيار له فيه وعمله بمثابة طوله ولونه وبمثابة حركة الجمادات والنباتات، وأي عاقل سمع كلامهم هذا علم أنه إذا عوقب الإنسان على عمله الرديء وهو لا دخل له فيه البته أن هذا ظلم يتنزه الله تعالى: عنه، فكأنهم إذا جاءتهم الشبهة من باب القدرة نسبوا إلى الله تعالى: الظلم تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وأهل السنّة يقولون أن للإنسان مشيئة وإرادة واختيار، وكل منا يعلم من نفسه ذلك، فهل القيام بعمل من أعمال الطاعة أو المعصية يشبه رعشة العضلات اللاإرادية أو دقات القلب اللاإرادية دون دخل من الإنسان هذا لا يقوله منصف ولا عاقل، ولكن إرادة الإنسان واختياره داخل ضمن تقدير الله ومشيئته وإرادته، ويجمع الأمرين قوله تعالى: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا} [الإنسان: 30] فأثبت القرآن الكريم المشيئتين بصورة نؤمن بها تثبت لله القدرة التامة والعدل التام والمسئولية الكاملة للإنسان على أفعاله وتصرفات، ثم الجهمية يدخلون من باب الجبر إلى الاحتجاج على الله عز وجل بالمعاصي والذنوب لأنهم يقولون إذا كان الإنسان مجبوراً على عمله فما ذنب ارتكابه الكبائر وهو مجبور عليها، ويلزمهم في ذلك أنه ما ذنب الكافر في وقوعه في الكفر وهنا ينفرط عقد الإيمان بل عقد الملة بأسرها فإنا لله وإنا إليه راجعون، **وأما الأصل الثالث: (ضلالهم في مسائل الإيمان والكفر):** فالجهمية من أشد الفرق ضلالاً وتفريطاً في حق مسائل الإيمان والكفر، وذلك بانهم **قالوا:** الإيمان هو المعرفة بالله فقط ومن عرف الله بقلبه فهو مؤمن، والكفر هو الجهل بالله فقط، ومن أتى بالمعرفة القلبية فهو مؤمن كامل الإيمان إيمانه كإيمان جبريل وميكائيل وكإيمان الأنبياء والمرسلين، ومن أتى بالمعرفة والإقرار فلا يضره شيء البتة كما لا ينفع مع الكفر طاعة البتة، وقد مر بنا فيما مضى ضلال تلك الأصول بما يغني عن الرد عليها، والله المستعان، وأما **(الأصل الرابع):** القول بفناء الجنة والنار، فإنّه قد دلت الآيات على بقاء الجنّة

والنار، منها قوله تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا} [النساء: 57]، وقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا * إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا} [النساء: 168، 169]، وأما **(الأصل الخامس)**: إنكار أكثر الأخبار الواردة في أمور اليوم الآخر كإنكار الصراط والميزان ورؤية الله تعالى وعذاب القبر، فهذا من الضلال المتعلق بعدم الأخذ بأحاديث الآحاد فيما لا تعارضه أدلة النقل والعقل، ولا يُخالف قواعد التقديس،

**[المفتاح الثامن]: الفرقة السادسة: (الشيعة)**: في مقابل الخوارج الذين كفروا الإمام علي واستحلوا دمه، بدأ ظهور الرفض في شيعة الإمام علي رضي الله عنه متمثلا في جماعة عبد الله بن سبأ، وهؤلاء **(السبئية)** – على النقيض من الخوارج – غالوا في الإمام علي وادعوا له ما ليس من حقه، وما لا يرضاه هو رضى الله عنه لنفسه، وقد ظل الإمام علي رضي الله عنه يبغض هؤلاء وهؤلاء (أي الخوارج والروافض)، ويحمل في قلبه ثقيل هم جمع الأمة ووحدة صفوفها على الحق كما كانت على عهد الخلفاء الراشدين قبله أبي بكر وعمر وعثمان، وظل رضي الله عنه على ذلك حتى تمكن أحد الخوارج المارقين من قتله غدرا وهو في طريقه إلى صلاة الفجر، فرضي الله عنه وأرضاه، ثم بايع أصحابه الحسن بن علي رضي الله عنهما، وتحققت بشارة النبي صلى الله عليه وسلم لسيد شباب أهل الجنة الحسن بن علي رضي الله عنهما بالإصلاح بين فئتين عظيمتين من المسلمين فتنازل بالخلافة للصحابي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما وبذلك توحدت الأمة واجتمعت كلمتها وسمي هذا العام بعام الصلح، وبعام الجماعة وكان ذلك عام واحد وأربعين من الهجرة، وكان كل واحد من الحزبين يعتقد بإيمان الآخر وإسلامه ويحب الإصلاح بينهما ويسعى إلى التوافق والتصالح، وعلى ذلك صالح الحسن بن علي معاوية رضي الله عنهم أجمعين وبايعه، على أنه يعمل بين الناس بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسيرة الخلفاء الراشدين وأن يؤمن الناس أينما كانوا في الشام والعراق والحجاز واليمن وأن يؤمن شيعة علي بن أبي طالب وأصحابه في أنفسهم وأموالهم وأزواجهم وأولادهم وأخذ على هذه الشروط العهود المغلظة باليمين، وتم الصلح وسمي هذا العام عام الجماعة، ولكن التشيع بعددها بدأ يأخذ منحنى عقدي ظهر فيه تأثير جماعة عبد الله بن سبأ اليهودي، وأدخل إلى التشيع عقائد غريبة عن الإسلام شيئا فشيئا حتى استقر للشيعة ثلاث مذاهب أقربها إلى أهل السنّة والجماعة الزيدية، وأبعدها الباطنية الإسماعيلية،

فهم على عقائد مكفرة تُخرج اكثرهم من الإسلام، والفرقة الثالثة وهي الإمامية، والتي بفعل السبأيين اتباع ابن سبأ كالكليني والمفيد والكذوب وغيرهم اقتربت من الإسماعيلية ودخلت الإمامية في مكفرات خطيرة لا سيما بعد تبني الدولة الصفوية لها، وزاد الطين بلة وصول الخميني المغالي في الصفوية إلى سدة الحكم في ايران وتبني المذهب المتطرف من الإمامية، **وللتاريخ فإنّ الكليني والمفيد وأعلام الإمامية الذين أسسوا للفرقة الإمامية وألفوا فيه الكتب والمجلدات فإنهم جميعا من أعلام السبئية، ومن أتباع الزنديق عبد الله بن سبأ اليهودي المتأسلم**، الذي فعل في الإسلام ما فعل أخوه بولس اليهودي في النصرانية، والملاحظ: أنّ المذهب الشيعي غير ثابت، ومن طبيعته أنه يتطور من وقت لآخر، ويتغير من جيل لجيل، حتى أن ما يعتبر غلواً عند الشيعة الماضين فإنه قد يصبح اليوم من ضرورات المذهب، والملفت للنظر هو كثرة هذه الفرق الشيعية، ولكن من الملاحظ أنّ الفرقة الإثنى عشرية قد استوعبت جل الآراء والعقائد التي قالت بها الفرق الشيعية الأخرى،

**[1] انحصرت الفرق الشيعية المعاصرة بثلاث فرق، الزيدية والإسماعيلية والإمامية الإثني عشرية، و(الزيدية)**: أقرب فرق الشيعة إلى مذهب أهل السنّة والجماعة، **و(الإسماعيلية)**: أبعد القوم عن دين الإسلام واكثرهم باطنية خرجوا عن الملة الإسلامية بمكفر من المكفرات، ولذلك عدهم كثير ممن تكلم في فرق المسلمين انهم ليسوا مسلمين، ولا يُعدون من الفرق الإسلامية الضالة أصلا، **و(الإمامية)** هي أكبر هذه الطوائف الشيعية اليوم عددا، اختلف علماء المسلمين في تقييمهم اشد الاختلاف وذلك لعقيدة غامضة عندهم سموها التقية فيخفون بها ما يبطنون ويظهرون بها خلاف ما يعتقدون فالله أعلم بحالهم ومآلهم لنا الظاهر أنّهم مسلمون ما لم يأت أحدهم بكفر بواح لنا فيه عند الله برهان،

**[2] الفرقة الأولى من فرق التشيع:[الزيدية]**: (الزيدية): هم من أقرب الفرق الشيعية إلى أهل السنّة والجماعة، حيث تتصف بالاعتدال والقصد والابتعاد عن التطرف والغلو الذي هو سمة الشيعة الإمامية، ولولا الاعتزال الذي اعتقدوه لكانوا أقرب الناس قاطبة إلى أهل السنّة والجماعة، وتنسب الزيدية إلى الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبى طالب (80 – 122 هـ) كان تقيّا شجاعا، وقد اتصل برأس المعتزلة واصل بن عطاء، وتدارس معه العلوم، فتأثر به وبأفكاره التي نقل بعضا منها إلى الفكر الزيدي، وبالمقابل تتلمذ أبو حنيفة على الإمام زيد وأخذ منه بعض العلم والفقه،

**[الأفكار والمعتقدات]:** (1) الزيدية يُجيزون الإمامة في كل أولاد فاطمة، سواء أكانوا من نسل الإمام الحسن أم من نسل الإمام الحسين، (2) الإمامة لديهم ليست بالنص، إذ لا يشترط فيها أن ينص الإمام السابق على الإمام اللاحق، بمعنى أنها ليست وراثية بل تقوم على البيعة، فمن كان من أولاد فاطمة وفيه شروط الإمامة كان أهلاً لها، (3) لا يجوز عندهم أن يكون الإمام مستوراً إذ لابد من اختياره من قبل أهل الحل والعقد، ولا يتم اختياره إلا إذا أعلن عن نفسه مبيناً أحقيته بالإمامة، (4) يجوز لديهم وجود أكثر من إمام واحد في وقت واحد في قطرين مختلفين، (5) تقول الزيدية بالإمام المفضول مع وجود الأفضل إذ لا يُشترط أن يكون الإمام أفضل الناس جميعاً بل من الممكن أن يكون هناك للمسلمين إمام على جانب من الفضل مع وجود من هو أفضل منه على أن يرجع إليه في الأحكام ويحكم بحكمه في القضايا التي يدلي برأيه فيها، (6) معظم الزيدية يقرون خلافة أبي بكر وعمر، ولا يلعنونهما كما تفعل فرق الشيعة، بل يترضون عنهما، ويقرون بصحة خلافة عثمان مع مؤاخذته على بعض الأمور، (7) يميلون إلى الاعتزال فيما يتعلق بالذات والصفات، والجبر والاختيار، ومرتكب الكبيرة يعتبرونه في منزلة بين المنزلتين كما تقول المعتزلة ولكنه غير مخلد في النار إذ يعذب فيها حتى يطهر من ذنبه ثم ينتقل إلى الجنة، (8) وهم يرفضون التصوف رفضاً قاطعاً، (9) ويخالفون الشيعة الإمامية في زواج المتعة ويستنكرونه، (10) هم متفقون مع السنّة بشكل كبير في العبادات والفرائض سوى اختلافات قليلة في الفروع من مثالها: يقولون "حي على خير العمل" في الأذان، وصلاة الجنازة لديهم خمس تكبيرات، ويرسلون أيديهم في الصلاة، وصلاة العيد تصح فرادى وجماعة، ويحكمون ببطلان الصلاة خلف الفاجر، ويرون أنّ تقليد أهل البيت أولى من غيرهم، ويقولون بوجوب الخروج على الإمام الظالم الجائر ولا تجب طاعته، ولا يقولون بعصمة الأئمة عن الخطأ، ولا يغالون في رفع أئمتهم على غرار ما تفعله الإمامية والإسماعيلية، **[تأثر الزيدية بالمعتزلة]:** انعكست اعتزالية واصل بن عطاء على الزيدية وظهر هذا جلياً في اقرارهم بالأصول الخمسة لدى المعتزلة، وقد تقدم ذكرها، **[تأثر الزيدية بقيام الثورة الإمامية بإيران]:** جدير بالقول أن الزيدية ظلت لسنوات طويلة زيدية صرفة يحارب أئمتها التشيع والرفض، إلا أن قيام الثورة الإيرانية سنة 1979 شكل خطرا على الاعتدال الزيدي، خاصة وأن إيران مدّت يدها لهؤلاء في خطتها لتصدير الثورة الرافضية ونشر الرفض في العالم ومنه اليمن، وصارت الكثير من الهيئات والمؤسسات الزيدية تنحى منحى إمامياً اثنى عشرياً، لاسيما الجارودية أتباع الحوثي، وصاروا يقلدون الروافض الإمامية بإحياء مناسباتهم ومجالسهم مثل إحياء ذكرى

استشهاد الحسين، وإقامة المجالس الحسينية، وإحياء وفاة بعض الأئمة مثل جعفر الصادق ومحمد الباقر وعلي زين العابدين، واتخاذ بعضهم جبلاً في مدينة صعدة أسموه (معاوية) يخرجون إليه في يوم عاشوراء ويطلقون عليه نيران أسلحتهم، والاحتفال بيوم الغدير، مما يثير الشك في تحولهم تماما إلى المذهب الرافضي الذي كانوا بالأمس يرفضونه ويلعنون متبعيه،

**[3] الفرقة الثانية من فرق التشيع: [الإسماعيلية]: (الإسماعيلية):** فرقة باطنية، انتسبت إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، ظاهرها التشيع لآل البيت، وحقيقتها هدم عقائد الإسلام، تشعبت فرقها وامتدت عبر الزمان حتى وقتنا الحاضر، وحقيقتها تخالف العقائد الإسلامية الصحيحة، وقد مالت إلى الغلوِ الشديد لدرجة أن الشيعة الزيدية والاثني عشرية يكفِّرون أعضاءَهَا، **ومن فرق الإسماعيلية** : الإسماعيلية القرامطية، والإسماعيلية الفاطمية، والإسماعيلية الحشاشون، والإسماعيلية البهرة، والإسماعيلية النصيريون، والاسماعيلية الدروز، **[الأفكار والمعتقدات التي تكاد تجمع الإسماعيلية]** : (1) ضرورة وجود إمام معصوم منصوص عليه من نسل محمد بن إسماعيل، (2) العصمة لديهم ليست في عدم ارتكاب المعاصي والأخطاء بل إنهم يؤولون المعاصي والأخطاء بما يناسب معتقداتهم، (3) من مات ولم يعرف إمام زمانه ولم يكن في عنقه بيعة له مات ميتة جاهلية، (4) يضفون على الإمام صفات ترفعه إلى ما يشبه الإله، ويخصونه بعلم الباطن ويدفعون له خُمس ما يكسبون، (5) يؤمنون بالتقية والسرية ويطبقونها في الفترات التي تشتد عليهم فيها الأحداث، (6) الإمام هو محور الدعوة الإسماعيلية، ومحور العقيدة يدور حول شخصيته، (7) الأرض لا تخلو من إمام ظاهر مكشوف أو باطن مستور فإن كان الإمام ظاهراً جاز أن يكون حجته مستوراً، وإن كان الإمام مستوراً فلا بد أن يكون حجته ودعاته ظاهرين، (8) يقولون بالتناسخ، والإمام عندهم وارث الأنبياء جميعاً ووارث كل من سبقه من الأئمة، (9) ينكرون صفات الله أو يكادون لأن الله . في نظرهم . فوق متناول العقل، فهو لا موجود ولا غير موجود، ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز، ولا يقولون بالإثبات المطلق ولا بالنفي المطلق فهو إله المتقابلين وخالق المتخاصمين والحاكم بين المتضادين، ليس بالقديم وليس بالمحدث فالقديم أمره وكلمته والحديث خلقه وفطرته، و(الإسماعيلية) في بدايتها كانت إحدى الفرق الشيعية ولكنها غلت في أئمتها أشد من غلو الرافضة، وتأثرت بمؤثرات كثيرة حتى وصل الأمر إلى أن بلغت حد الغلو المخرج من ملة الإسلام حتى اعتبرتها معظم الفرق الإسلامية كافرة وخارجة من الإسلام، لما أسبغوه على إمامهم من صفات

تصل به إلى ما يشبه مقام الألوهية، ولقولهم بالتناسخ واستحلال ما حرّم الله، **ومن أبرز الفرق الإسماعيلية الباطنية: [(أ) الإسماعيلية القرامطة]:** والقرامطة من غلاة الإسماعيلية، ومن شخصياتهم: عبد الله بن ميمون القداح: (260هـ)، وحمدان قرمط بن الأشعث (278هـ)، وأحمد بن القاسم: الذي بطش بقوافل التجار والحجاج، والحسن بن بهرام (أبو سعيد الجنابي): ظهر في البحرين ويعتبر مؤسس دولة القرامطة، وابنه سليمان بن الحسن بن بهرام (أبو طاهر): حكم ثلاثين سنة، وفي عهده هاجم الكعبة المشرفة سنة 319هـ، ونهب هو وأصحابه الحجاج وقتلوهم في المسجد الحرام، وقلع باب البيت، وقبة زمزم والحجر الأسود، وأخذ كسوة الكعبة ففرقها بين أصحابه، ونهب دور أهل مكة وأقام الخطبة في مكة لعبيد الله المهدي بدلاً من الخليفة العباسي المقتدر ثم عاد إلى الأحساء سارقا الحجر الأسود، وبقي عنده لأكثر من عشرين سنة، **[(ب) الإسماعيلية الفاطمية (العبيدية)]** : قامت الدولة العبيدية الفاطمية على أساس الدعوة الشيعية في ظروف غامضة، والإسماعيلية الفاطمية مرت بعدة أدوار: (أ) دور الستر: من موت إسماعيل سنة 143 هـ إلى ظهور عبيد الله المهدي، وقد اختلف في أسماء أئمة هذه الفترة بسبب السرية، (ب) بداية الظهور: يبدأ الظهور بالحسن بن حوشب الذي أسس دولة الإسماعيلية في اليمن سنة 266هـ وامتد نشاطه إلى شمال أفريقيا واكتسب شيوخ كتامة، (ت) دور الظهور: يبدأ بظهور الإمام عبيد الله الملقب بالمهدي الذي كان مقيما في سلمية بسوريا ثم هرب إلى شمال أفريقيا، وأقام هناك الدولة الباطنية (العبيدية) التي تسمت بالدولة الفاطمية، واستمرت تحكم مصر والحجاز واليمن حتى زوال دولتهم على يد المجاهد صلاح الدين الأيوبي، **[(ت) الإسماعيلية الحشاشون]:** ومن أبرز شخصياتهم: الحسن بن الصباح: وهو فارسي الأصل وكان يدين بالولاء للإمام المستنصر قام بالدعوة في بلاد فارس للإمام المستور ثم استولى على قلعة الموت وأسس الدولة الإسماعيلية النزارية، وهم الذين عرفوا بالحشاشين لإفراطهم في تدخين الحشيش، وكان شعار الحشاشين (لا حقيقة في الوجود وكل أمر مباح) ووسيلتهم الاغتيال المنظم والامتناع بسلسلة من القلاع الحصينة، وهم يعتقدون أن الله لم يخلق العالم خلقاً مباشراً بل كان ذلك عن طريق العقل الكلي الذي هو محل لجميع الصفات الإلهية، ويسمونه الحجاب، وقد حل العقل الكلي في إنسان هو النبي وفي الأئمة المستورين الذين يخلفونه فمحمد هو الناطق وعلي هو الأساس الذي يفسر، وعنهم يقول الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي: (المنقول عنهم الإباحة المطلقة ورفع الحجاب واستباحة المحظورات واستحلالها، وإنكار الشرائع، إلا أنهم بأجمعهم ينكرون ذلك إذا نسب إليهم) أهـ، **[(ث) الإسماعيلية الدروز]:** فرقة إسماعيلية

باطنية ادعت ألوهية الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي، يعتبرون أنفسهم منذ ألف سنة مضت في دور الستر وهم شديدو التكتم على عقائدهم، وهذه الطائفة قامت على مبادئ الإسماعيلية وزادت عليها بعض العقائد التي ميزتها كالقول بألوهية الحاكم بأمر الله ورجعته في آخر الزمان، ومن معتقداتهم (1) يعتقدون بألوهية الحاكم بأمر الله ولما مات قالوا بغيبته وأنه سيرجع، (2) ينكرون الأنبياء والرسل جميعاً ويلقبونهم بالأبالسة، (3) يعتقدون بأن المسيح هو داعيتهم حمزة، (4) يبغضون جميع أهل الديانات الأخرى والمسلمين منهم بخاصة ويستبيحون دماءهم وأموالهم وغشهم عند المقدرة، (5) يعتقدون بأن ديانتهم نسخت كل ما قبلها وينكرون جميع أحكام وعبادات الإسلام وأصوله كلها، (6) حج بعض كبار مفكريهم المعاصرين إلى الهند متظاهرين بأن عقيدتهم نابعة من حكمة الهند، (7) ولا يكون الإنسان درزياً إلا إذا كتب أو تلى الميثاق الخاص، (8) يقولون بتناسخ الأرواح وأن الثواب والعقاب يكون بانتقال الروح من جسد صاحبها إلى جسدٍ أسعد أو أشقى، (9) ينكرون الجنة والنار والثواب والعقاب الأخرويَّيْن، (10) ينكرون القرآن الكريم ويقولون أنه من وضع سلمان الفارسي ولهم مصحف خاص بهم يسمى المنفرد بذاته، (11) يعتقدون أن القيامة هي رجوع الحاكم الذي سيقودهم إلى هدم الكعبة وسحق المسلمين والنصارى في جميع أنحاء الأرض وأنهم سيحكمون العالم إلى الأبد ويفرضون الجزية والذل على المسلمين، (12) يحرمون التزاوج مع غيرهم والصدقة عليهم ومساعدتهم كما يمنعون التعدد وإرجاع المطلقة، (13) لا يعترفون بحرمة الأخت والأخ من الرضاعة، (14) لا يقبل الدروز أحداً في دينهم ولا يسمحون لأحد بالخروج منه، (15) الدروز تؤمن بالتناسخ بمعنى أن الإنسان إذا مات فإن روحه تتقمص إنساناً آخر يولد بعد موت الأول، فإذا مات الثاني تقمصت روحه إنساناً ثالثاً وهكذا في مراحل متتابعة للفرد الواحد، ويعيش الدروز اليوم في لبنان وسوريا وفلسطين، **[(ج) الإسماعيلية البهرة]**: وهم إسماعيلية الهند واليمن، تركوا السياسة وعملوا بالتجارة فوصلوا إلى الهند واختلط بهم الهندوس الذين أسلموا وعرفوا بالبهرة، والبهرة لفظ هندي قديم بمعنى التاجر، ومن عقائد البهرة: أنّهم لا يقيمون الصلاة في مساجد المسلمين، وظاهرهم في العقيدة يشبه عقائد سائر الفرق الإسلامية المعتدلة، أما باطنهم شيء آخر فهم يصلون ولكن صلاتهم للإمام الإسماعيلي المستور من نسل الطيب بن الآمر، وهم يذهبون إلى مكة للحج كبقية المسلمين لكنهم يقولون: إن الكعبة هي رمز على الإمام، **[(ح) الإسماعيلية (النصيرية)]**: فرقة من غلاة الشيعة الباطنية، وقد أرجع أصحاب معاجم الرجال وكتب الملل والنحل المتقدمين سبب تسمية هذه الفرقة إلى محمد بن نصير ويمكن تلخيص أبرز عقائد النصيرية من

خلال الجمع بين كل الكتب والمصادر التي تحدثت عنهم بالتالي: (1) حركة باطنية، لها طقوسها وديانتها وعقائدها الخاصة، والتي لا يحق للغير الاطلاع عليها ويتم تداولها بشكلٍ سريٍّ فيما بينهم، (2) هي إحدى فرق غلاة الشيعة، تعود إلى محمد بن نصير الذي كان على عهد الإمامين الهادي والعسكري، (3) جعلوا علياً إلهاً وقالوا بأن الظهور الروحاني بالجسد الفاني كظهور جبرائيل في صورة بعض الأشخاص، (4 ) يبيحون المحرمات وأباحوا نكاح المحارم ونكاح الرجال، ويستبيحون الزنا بنساء بعضهم لأن المرآة لا يكمل إيمانها إلا بإباحة فرجها لأخيها المؤمن، (5) يؤمنون بتناسخ الأرواح، وأن الإنسان عندما يموت تنتقل روحه إلى جسد جديد إما إنسان آخر في حال عمل الصالح، أو حيوان جراء سلوكه الطالح، وهذا يعد يوم الحساب عندهم، (6) يزعم هؤلاء أن الولاية أعلى من النبوة، لأن الإمام المعصوم – في زعمهم– مصدر الإرادة الإلهية دون وحي أو واسطة لأنه تحت تأثير الإرادة الإلهية المباشرة، وقد اتفق علماء المسلمين على أن هؤلاء النصيريين لا تجوز مناكحتهم، ولا تباح ذبائحهم، ولا يُصلى على من مات منهم ولا يدفن في مقابر المسلمين، **(تنبيه):** الإسماعيلية الغلاة ليسوا من أهل القبلة أصلا فلا نرى ضلالهم في الإيمان وحسب، بل هم ربما على ملة غير الإسلام نسأل الله السلامة،

**[4] [الشيعة الإمامية الاثنا عشرية]: يقال لهم: (الإماميّة)** لقولهم: إن النبي صلى الله عليه وسلم نصّ على استخلاف علي بن أبي طالب من بعده، ويقال لهم: **(الجعفرية)** نسبة إلى الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه ابن محمد الباقر، وهو منهم برآء، لأنّهم يكذبون عليه، فقد اخرج ابن عساكر في (تبيين كذب المفتري) بإسناد صحيح إلى المحدّث الحافظ الكبير أبي حفص ابن شاهين (٣٨٥هـ) أنه قال: (رجلان صالحان بُليا بأصحاب سوء: جعفر بن محمد، وأحمد بن حنبل)، وهو يقصد كثرة الكذب على جعفر الصادق وعلى أحمد بن حنبل، من غلاة المتعصبين لهما، ويقال لهم **(الاثنا عشرية)** لانهم يقولون بالنص على اثني عشر إماما معصوما، يزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم نصَّ على إمامة علي بن أبي طالب، واستخلفه بعده بعينه واسمه، وأن عليّاً نصّ على إمامة ابنه الحسن بن علي، وهكذا إلى أن سمّوا اثني عشر إماماً من أولاد الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه آخرهم محمد بن الحسن العسكري الذي دخل السرداب، وينتظرون خروجه، وهو المهدي المنتظر عندهم، ويقال لهم **(الرافضة)** لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر، وهما للنبي صلى الله عليه وسلم بمثابة الوزيران، وقيل سموا بالرافضة لأنهم رفضوا إمامة زيد بن علي فإنه لما سئل

عن أبي بكر وعمر فترحم عليهما، رفضه هؤلاء فقال لهم :رفضتموني، فسُمّوا رافضة لرفضهم إياه، و**من عقائد الإمامية الاثني عشرية:** (1) التشكيك في حفظ القرآن الكريم، (2) تكفير الصحابة إلا قليلاً منهم، (3) التشكيك في نزاهة أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما، (4) تكفير المسلمين إلا من كان على مثل عقيدتهم، وكل تلك الطوام يرى كثير من أهل العلم أنها مكفرات، ولكن لنا الظاهر والله أعلم بالسرائر، **(تنبيه):** عندما تبنت الدولة الصفوية الحكم في إيران، تشددت في انتقاء الآراء لأكثر تشددا في معتقد الإمامية، حتى صارت عبئا كبيرا على الإسلام والمسلمين وحجر عثرة أمام وحدتهم وقوة بأسهم، وكانت على الإسلام وأهله أشد خطرا من الكفار الأصليين نسأل الله السلامة من الفتن، لاسيما عندما وصل الخميني إلى سدة الحكم فحاول القضاء على المد السني في العالم كله، بأنشطته التوسعية في نشر المذهب الإمامي الصفوي وأضعف أهل الإسلام بتحالفاته مع الغرب والشرق وقسم العالم الإسلامي إلى قسمين بأسهم بينهم شديد، وقد أفرت لها المبحث التالي لمعرفة معتقداتهم بعد تبني الآراء الأكثر تشددا وتطرفا والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل،

**[المفتاح التاسع]: الفرقة السابعة: (الحشوية):** الحشوية بتسكين الشين وفتحها: لقب أطلق قديما على طائفة من المبتدعة من أصحاب الحديث الذين اعتقدوا بصحة الأحاديث الموضوعة والضعيفة المسرفة في التجسيم من غير نقد، ثم أخذوا بظاهر لفظها، ثم تحزبوا عليها، وامتحنوا الناس على أساسها، والفرق بينهم وبين المجسمة، أنّ المجسمة ينصون على التجسيم، ولا يرون به بأساً في ذات الله تعالى، أمّا الحشوية، فهم يقبلون المعاني المنطوية على التجسيم، وإن كانوا يتحفظون في التجسيم بقولهم " بلا كيف "، ولذا يراهم البعض أهون بدعة من المجسمة، ولكنهم ي الحقيقة أكبر خطراً من المجسمة وذلك لأنّهم ينتسبون إلى السلف (زورا وبهتانا والسلف من زيغ عقائدهم براء)، ويرفعون راية التمسك بالكتاب والسنّة، ويصولون بهما على أهل العلم والفقه المتخصصين في علوم الدين، فيهدمون صروح التخصص العلمي الإسلامي، فهم قطاع طرق على علوم الدين في صورة المدافعين عنه، وهم أبعد الناس عن السلفية والسلف،

[1] **أبرز صفات الحشوية:** الحشوية لهم مواصفات معينة، أبرزها أنّهم بعيدون عن التقديس والتنزيه، لا يعلمون شيئا عن التنزيه والتقديس المتعلق بذات الله تعالى، ينسبون إلى الله تعالى الجوارح والأجزاء والأبعاض، ويعتقدون في ذات الله تعالى الحد والمقدار والكون في المكان، ويجيزون

عليه سبحانه الحركة والسكون والجلوس والقيام والقعود، ويجيزون أنّ تكون ذاته سبحانه محلاً للحوادث، يتكلمون في ذات الله تعالى بالمحسوس الذي يحسونه، ويخلطون ما بين المحسوس والمعقول ولا يفرقون بينهما، وهم لا يحترمون تخصص العلماء، ويهجمون على كل أبواب العلم، لا سيما الأصول، يكفرون ويبدعون ويقعون في أعراض أكابر العلماء، يشوشون على أبواب العلم كلما بنى العلماء صرحاً علميا هدموه، فيهم زيادة تكفير وزيادة تبديع وسوء ظن بكل مخالف لهم يتهمونه على دينه، ظاهريون سطحيون لا يتعمقون في فهم المراد من النصوص، ويحشون رؤوسهم بما لا يُعقل، ويبتعدون عن المنهج العلمي في الاستدلال على العقائد، ويكتفون فقط بظاهر النصوص، ومن أهم مشاكل هؤلاء، أنّ ما فهموه بعقولهم السقيمة، وعلومهم القاصرة، نسبوه إلى السلف، وتحصنوا بهذه النسبة، فمن خالفهم اتهموه بمخالفة السلف، والمروق من الدين، لا يستوعبون قواعد التقديس والتنزيه المستمدة من فقه الكتاب والسنّة، وأدى ذلك إلى الذهول عن اضافة قسم تنزيه الذات إلى أقسام التوحيد، وإلى خلل في فهم التوحيد من كافة جوانبه، إذ توحيد الذات هو قسم التقديس الذي يعد مفخرة عقائد المسلمين، والذهول عن هذا القسم أدى إلى قصور واضح جلي في الإلمام بما يجب وما يجوز وما يستحيل في ذات الله تعالى، وإلى الوقوع في زيادة الإثبات على حساب التقديس، بل واعتقاد التجسيم في بعض الأحيان وإن لم يشعروا بذلك، والغلو في فهم مفردات التوحيد وفهم مفردات العبادة بسبب عدم التفريق بين أصل العبادة وصور العبادة، والخطأ في فهم بعض معاني الشرك والعبادة وفيما يدخل في مسمى عبادة غير الله وما لا يدخل فيها، فأدى ذلك إلى اتهام الكثير من المسلمين بالشرك الأكبر، بسبب بعض أعمال الجهل والبدعة، وأدى ذلكم إلى استحلال دماء المسلمين وأموالهم، على أنهم مشركون شركهم أكبر من شرك المشركين زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإلى الغلو في التكفير وعدم فهم بعض مسائل الإيمان فهماً معتدلا والميل فيها عن جهل إلى قريب من مذهب المعتزلة والخوارج، فأدى ذلك إلى تكفير الكثير من المسلمين، في أمور لا تصل إلى حد الكفر الأكبر، وإلى الغلو في التبديع وتبديع بعض الأكابر من علماء أهل السنّة والجماعة في مسائل هم المخطئون فيها لعدم إلمامهم بأدلتها الشرعية وعدم فقههم الواسع لها، وتبديع طوائف برمتها، ظلت على مر عصور الإسلام في إطار أهل السنّة والجماعة، ويرغب أنصاف المتعلمين منهم في طردهم منها، وكأنما امتلكوا صكوك الانتساب إليها، والغلو في مسائل عدم الإعذار بالجهل والتأويل ونصرة المعتزلة في بعض هذه المسائل، وغلو في مسائل الحكم بغير ما أنزل الله، وفي مسائل الولاء والبراء بما يولج معتقدها في مذاهب الحرورية

والخوارج، وإهمال دراسة قواعد التنزيه المستمدة من الكتاب والسنّة فنشأ عن ذلك الحشو والجهل المركب في مسائل الصفات والإضافات بسبب الذهول عن تلك القواعد، واعتبارها من علوم اليونان، وهم لا يعلمون: لا قواعد التنزيه المستمدة من الكتاب والسنّة ولا ما هو الفرق بينها وبين علوم اليونان، وعدم الدقة في تحديد دائرة المتشابه الصحيحة، وما آل إليه ذلك من تتبع المتشابه والخوض فيه، ووقوعهم بذلك تحت خطر الوعيد القرآني المتمثل في تهديد الذين يتتبعون المتشابه بزيغ قلوبهم، وذلك في قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} [آل عمران: 7]، **وهم ينتسبون إلى السلف، والسلف برآء منهم**، وهم يذهلون عن حقيقة مذهب السلف في تفويض علم المتشابه إلى الله تعالى، واعتقاد أن مذهبهم إثبات العلم ونفي الكيفية، ولنا أن نتساءل كيف يكون متشابها ثم يتصف بالعلم، وهل كان متشابها إلا لمحاذير إثبات العلم به ولكنهم لا يعلمون تلك المحاذير، ثم لم يكتفوا بذلك حتى اتهموا المفوضة – وهم أهل السلف الحقيقيين – بالتجهيل والتبديع وأنهم أشر أهل البدع، مع أنهم هم السلف الراسخون في العلم، وأخطر ما في هذه الفرقة أنّ آثارها السيّئة، كانت ولا زالت تهدم تخصصات الإسلام، وتنخرُ القلاع العلمية الحصينة، التي أسّسها وبناها علماء المسلمين طوال القرون، ولذلك فهم من شر الفرق، وذلك لأنّهم يتدثرون بلباس السلف، ويهدمون بمعاولهم دين الإسلام بزعم اتباع الكتاب والسنّة وباسم السلف،

**[2] لماذا سماهم أهل العلم بالحشوية:** (أ) لأنّهم يحشون الأحاديث الموضوعة والواهية والضعيفة، في أبواب العقيدة وما يتعلق بذات الله تعالى وصفاته، ويقبلونها ويستنبطون منها الوحل والتجسيم والتشبيه والتمثيل ثم يلوكون السنتهم بعد الخوض فيها بقولهم بلا كيف، (ب) لأنّهم يحشون عقائدهم بالمستحيلات العقلية، وبكل ما يخالف صريح العقل، وهم أبعد الناس عن العقل، فالشيعة على بدعهم، والخوارج على طوامهم يستحون من وصف الله تعالى بما يصفه به هؤلاء الأجلاف، من نسبة الجوارح والأجزاء والأبعاض إلى الله تعالى، ونسبة الحد والمقدار إلى ذات الله تعالى، ولو عقلوا أنّ المحدود لا يكون إلهاً لما تفوهوا بهذا الجرم، ويجيزون عليه سبحانه الكون في المكان والحركة والسكون والجلوس والقيام والقعود، ويجيزون أنّ تكون ذاته سبحانه محلاً للحوادث، يتكلمون في ذات الله تعالى بالمحسوس الذي يحسونه، ويخلطون ما بين المحسوس والمعقول ولا يفرقون بينهما،

(ت) لأنّهم يحشون عقولهم بالمتناقضات: لأنّهم أهل التناقض، فهم يبدعون المؤولة، ثم يتأولون القرب والمعية والإحاطة بالعلم والسمع والبصر، ولا يتأولون العلو بعلو المكانة، ولا الاستواء بالهيمنة والتدبير والربوبية، مع أنّ المنهج العلمي القويم يحتم إما تأويل الجميع أو اعتقاد الجميع، لا فرق بين هذا وهذا إلا في أسقامهم التي كيفت وجود الله من حيث لا تشعر بوجود الملك في مملكته، ولا بد له من مكان يدير منه أمر المملكة، وهذا المكان هو العرش على ظنهم، وأنّه بذاته فوق عرشه، فأتو بلفظ (ذاته) من عند أنفسهم، وجعلوا الاستواء حسيا، مع أنّ الله تعالى ليس كمثله شيء، وليس كمثل وجوده وجود، فلا يحتاج في وجوده ولا في تدبير مملكته إلى مكان ولا عرش، وهو رب العرش ورب الكون ورب المكان والزمان، والملك والملكوت، ومهما كلمتهم في ذلك لا يفهمون، ويظنون أنّك تحدثهم عن العدم، ويقولون " لا يعقل " وهم لا عقول لهم يظنون المحسوس هو المعقول، ولو تواضعوا للعلم لحظات على يد عالم بالأصول لفرقوا بين المحسوس والمعقول، ولعلموا أنّ وجود الله معقول وليس محسوس لأنّه سبحانه منزه عن المحسوس لأن جميع ما هو محسوس أمامنا مخلوق والله هو خالق المخلوق تنزه عن مشابهة المحسوسات، (ث) لأنّهم يحشون أنفسهم في زمرة أتباع السلف والسلف من زيغ عقائدهم براء، وينتسبون إلى الإمام أحمد وهو منهم بريء، وهم يحاولون بذلك تبرئة أنفسهم من مغبّة الآراء الباطلة، والمخالفة لأدلّة العقل السليم والنقل الصحيح، فهم يُسندون جميع أقوالهم إلى غيرهم من الأموات السالفين، ويزعمون أنهم أهل الكتاب والسنّة، وهم أهل الظاهر والحشو والجفاء، أبعد الناس عن فقه الكتاب والسنّة، وأبعد الناس عن روح عقائد التقديس التي امتلأت بها أدلة الكتاب والسنّة

**[3] أخطر مشاكل الحشوية عدم احترام التخصص العلمي لعلوم الإسلام:** على مر عصور الإسلام ظهرت المدارس المتخصصة في كل فن وعلم من علوم الدين وانتسب إليها الآلاف من العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، فظهر المتخصصون في علم القرآن والقراءات والتفسير وكافة علوم القرآن التي بلغ بها السيوطي ثمانين نوعاً من علوم القرآن في كتابه: الاتقان في علوم القرآن، وظهر المتخصصون في علم الحديث، علم المتن وعلم السند وعلم مصطلح الحديث وعلوم الرجال والجرح والتعديل، وعلم شرح الحديث وبيان معناه، وغيرها من علوم الحديث وقد بلغ بها ابن الصلاح خمسة وستين نوعا من علوم الحديث في مقدمته المعروفة باسم مقدمة ابن الصلاح، وظهر المتخصصون في الفقه، وكان من ثمرة التخصص فيه ظهور الأئمة الأربعة الفقهاء المجتهدين أبو

حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل، وقد سميت آراء هؤلاء الأئمة الأربعة ومن ذهب مذهبهم من الأئمة المجتهدين (مذاهب)، وهذه المذاهب الأربعة – بفضل جهود علمائها الكثيرين على مر عصور الإسلام السابقة – صارت بمثابة مدارس وجامعات علمية متخصصة في علم الفقه، لها أساليبها التربوية والعلمية الناجحة المجربة في إفادة طلاب العلم الشرعي الفقه على أحسن الوسائل العلمية في تاريخ البشر، وقد خرجت لنا أكثر وأفضل علماء المسلمين على مر عصور الإسلام،ثم ظهرت الفرق الضالة كالخوارج والشيعة والمعتزلة والمجسمة، وانتصب لها العلماء بالرد وبيان الحق، وأكرم الله تعالى الأمة بثلاثة من علماء المسلمين الأكابر، حملوا لواء الدفاع عن عقيدة المسلمين وبيان عقيدة أهل السنّة والجماعة، وهم الإمام أحمد ابن حنبل والإمام أبو الحسن الأشعري والإمام أبو منصور الماتريدي، وبهم اكتملت صورة العقيدة الفذة التي ينبغي أن يحملها كل مسلم، وبعد ظهور الأئمة الثلاث صار للمسلمين ثلاث مدارس في الأصول لا رابع لها إلا الميل إلى الاعتزال أو التشبيه، وهي (المدرسة الأثرية) وعليها فضلاء الحنابلة إلا من مال إلى الحشو والتجسيم وسوء الادب مع الله تعالى بسبب عدم العلم بقواعد التقديس، (والمدرسة الأشعرية) وعليها غالب المالكية والشافعية وهم سواد العلماء المتخصصين في العقيدة على مذهب أهل السنّة والجماعة – إلا من مال إلى الحشو أو الاعتزال –، (والمدرسة الماتريدية) وعليها غالب الأحناف إلا من مال إلى الحشو أو الاعتزال، وأُحكم أساس تلك المدارس على يد المتخصصين فيها واتقنت علومها، وصارت المرجع لكل مسلم يبتغي في العقائد وجه الحق والعدل والإنصاف، من هاجم مدرسة منهم فاتهمه على عقله أو علمه أو دينه، و مع اتساع الفتوحات الإسلامية وثراء المجتمعات الإسلامية، ثم عندما اتسعت الفتوحات وبدأ ميل المسلمين إلى الدنيا والركون إليها، مما دعا أرباب الزهد والمعرفة إلى أن يعملوا هُم من ناحيتهم أيضاً على تدوين علم التزكية (التصوف)، وإثبات شرفه وجلاله وفضله، ومن باب سد النقص، واستكمال علوم الدين في جميع نواحي الحياة الإنسانية، ولما كان المتخصصون في هذا الجانب قد عُرفوا (بالصوفية) فلا مشاحة في الاصطلاح، والمهم المضمون في هذا الباب، وهو أنّ التصوف الصحيح قد تكفل بعلم بتزكية الباطن، وإصلاح القلب وسلامته وتزكيته، وهو العلم الذي تخصص في بيان درجات الإحسان ومنازل المقربين من رب العالمين، وبعد فهذا اختصار مبسط لبيان تخصصات أهل الإسلام الذين ملئوا الدنيا علما، ويستحيل على أحد بعد ذلك أن يطرح مؤسسة واحدة على أنّها البديل عن جميع التخصصات العلمية الإسلامية، (ب) إنّ أخطر الآثار المترتبة على عدم احترام التخصص تتمثل في: الفوضى العلمية، والفوضى

الفكرية، والخطأ في تقييم المواقف واصدار الأحكام، كما يؤدي إلى فوضى التبديع الناشئة عن عدم احترام تخصصات الآخرين، والهجوم على أصحابها واتهامهم بالبدعة والانحراف عن الدين، كما يؤدي عدم احترام التخصص إلى فوضى الغلو والانحراف والإفراط والتفريط في دين الله تعالى، وتنتشر الفتاوى الخاطئة الناشئة عن عدم احترام التخصص والهجوم على تخصصات الآخرين بغير علم ولا معرفة لأسباب تبني أهل التخصص لهذا الحكم دون غيره، مع أنّ الحق حتما يكون مع أهل التخصص، وقد امتدح الله تعالى أهل التخصص بقوله تعالى: {وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ} [فاطر: 14]، وأمرنا تعالى باحترام التخصص واستفتاء أهل الخبرة والتخصص بقوله تعالى: {وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ} [النساء: 83]، وهؤلاء المتخصصون ينبغي الرجوع إليهم في مجال علومهم، قال تعالى: {فَاسْأَلُوا أهل الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النحل: 43]،

**[4] تاريخ تسلسل ظهور الحشوية: (نصيحة):** إذا أردت أن تعرف تاريخ تسلسل ظهور الحشوية فلابد من مطالعة فتاوى الشيخ ابن تيمية لأنّهم سلفه الحقيقيون الذين استند إليهم في رسم صورة العقيدة التي تبناها في ذات الله تعالى، ومذهبه هو أنّ الله تعالى موجود بذاته فوق العالم، والعالم المخلوق تحته، وهو موجود بذاته على عرشه، وأنه متناه لاسيما من جهة التحت، وأنّه يتحرك ويقبل الحوادث في جناب ذاته، وأنه يتجدد له العلم والسمع والبصر والكلام، وأنه يتأثر بالزمان وعليه يكون الزمان فاعلا في ذاته بحيث بتجدد له علم وسمع وبصر وانه يتحرك ويسكن قياسا على الأجسام كلما تجددت الوقائع والحوادث والمخلوقات وأنه يتكلم ويسكت قياسا على الآدميين وانه ينزل إلى السماء الدنيا نزولاً حقيقياً بذاته، وان لوازم النزول ممكنه كالحركة والسكون، وان له الوجه واليدين والعينين والقدم والساق صفات عين (ذات) بما يُخيل أنّها أجزاء من الذات، وليست صفات منزهة عن الجارحة والجسمية، ووصف جناب الذات بالحد والنهاية، **فوجدت أنّ سلفه في عقيدة الحشو والتجسيم بضع عشرة رجال أحدهم يجوز على الله أن يستوى على جناح بعوضة وابن تيمية لا يرى بأسا بهذا الهراء وعند التحقيق فإني أرى أن نسبة الولد إلى الله أهون من هذا الحمق والجسور على الله، فالبعوضة من أحقر الحشرات أيجوز عند أولي الألباب أن الإله جل جلاله يمكن أن يقعد على جناحها ثم تطير به فإنّا لله وإنا إليه راجعون**، وبعض هؤلاء يصحح رواية الشاب الأمرد ويعتقدونها، وقصة الشاب الأمرد تتمثل فيما أورده الخلال في المنتخب من

العلل وأبو يعلى الفراء في ابطال التأويلات ونقله عنه ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية: عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا: (أن محمدًا رأى ربه في صورة شاب أمرد من دونه ستر من لؤلؤ)، وفي رواية أخرى (رأيت ربي جعدًا أمرد عليه حلة خضراء) ويزعم الخلال وأبو يعلى أنه حديث صحيح يجب اعتقاد معناه، واستفاض القاضي أبو يعلى في شرح الحديث وانه رؤية حقيقية وليست مناما وأن الله تعالى قد خص نبيه صلى الله عليه وسلم من دون الأنبياء ونقل ابن تيمية كلامه في ذلك كله دون أن يعقب عليه بإنكار أو رفض، بل صحح الحديث الذي استدل به أبو يعلى على طوامه، [انظر بيان تلبيس الجهمية: [7/ 290-356]، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - 1426هـ)]، هذا مع أنّ الحديث تالف لا تجوز روايته، وقد ضعَّفه ابن الجوزي في (العِلل المتناه[1/36] ) واستنكره الذهبي كما في (سير أعلام النبلاء[10/113] :) وقال السبكي في (طبقات الشافعية الكبرى: [2/312]): "موضوع مفترى على رسول الله صلى الله عليه وسلم"، والحدبث يمكن حمله على أنه رؤيا منامية ففي احدى رواياته: (رَأَيْتُ رَبِّي فِي المنام في صورة شاب مُوَقّرٍ فِي خَضِرٍ، عليه نَعْلانِ من ذهب، وَعَلَى وجهه فراش مِنْ ذهب)، وحتى هذه الرؤيا المنامية ضعفها واستنكرها جمعٌ من أهل العلم، منهم: الإمام أحمد في (المنتخب من العِلل لابن قدامة، ص[284] ) ويحيى بن معين في (تاريخ بغداد للخطي[13/311] ) والنسائي في (العِلل المتناهية لابن الجوزي [1/30]) وابن حبان في (الثقات[5/245] ) والسبكي في (طبقات الشافعية الكبرى[2/312] ) وابن حجر في (تهذيب التهذيب[10/86] ) والسيوطي في (اللآلئ المصنوعة[1/30] ) وقال الذهبي في "ميزان الاعتدال" (1/ 594): " وهذه الرؤية رؤيا منام إن صحت" أهـ، والمنام لا يبنى عليه أي اعتقاد، ويأبى القاضي إلا الإيمان به واعتقاد تفاصيله حتى صفة الجراد الذي من ذهب على حد قوله، ويزعم **أن من لم يؤمن بهذه الصفات العظيمة - على حد قوله - !! فهو: (زنديق)، (معتزلي)، (جهمي)، (لا تقبل شهادته)، (لا يسلم عليه)، (لا يعاد)، فـ**هذا هو مبلغهم من علم التقديس فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، **الشاهد**، فإنّ هؤلاء الذين استقى منهم ابن تيمية معتقده في جناب الذات،: **(الأول) هو مقاتل بن سليمان (المتوفي سنة 150 هـ) وهو الذي ملأ تفسيره حشوا من الإسرائيليات، وأخذ من علم اليهود والنصارى ما يدعم مذهبه في التجسيم والتشبيه، (الثاني) هشام بن سالم (ت 183 هـ)، واتباعه السالمية الذين اثنى ابن تيمية على عقيدتهم، وهو الذي كان يعتقد في معبوده أنه على صورة إنسان: أعلاه مجوف وأسفله مصمت وهو نور ساطع يتلألأ وله حواس خمس ويد ورجل وأنف وأذن وعين وفم وله وفرة سوداء، (الثالث) محمد بن كرام**

**السجزي المجسم (ت 255 هـ)، وهو القائل: إنّ معبوده مستقرّ على العرش بذاته وزعم أنه جسمٌ له حدّ ونهاية من تحته وهي الجهة التي منها يلاقي عرشه، وأتباعه هم الكرامية المجسمة، (الرابع) وهو ذي أضر به أيما ضرر وهو أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي السجزي: (ت 282 هـ) وهو الذي زعم أن العرش يئط من ثقل الجبار فوقه، وأنه ينزل في الليل إلى جنة عدن وهي مسكنه وأنه يهبط من عرشه إلى كرسيه ثم يرتفع عن كرسيه إلى عرشه وأنه مس آدم مسيساً بيده، وأنه يقعد على العرش فما يفضل منه إلا قدر أربعة أصابع، وأنه قادر على الاستقرار على ظهر بعوضة، وأنه إذا غضب ثقل على حملة العرش، وأن رأس المنارة أقرب إليه من أسفلها، وأن الله حي ودليل حياته الحركة والانتقال وأن الفرق بين الحي والميت هو الحركة، (الخامس) ابن أبي عاصم (ت 287 هـ) وكان ظاهريا حشوياً يابسا أثبت في كتابه (السنة) من الأخبار المنكرة والأحاديث الموضوعة ما يستحي المسلم من ذكرها، ومنها أن الله خلق آدم على صورة الرحمن، وأنه تجلى للجبل منه مثل الخنصر، يقصد بعض الرحمن، وكأن سورة الإخلاص لم تبلغه وفيها الأحد تقديس عن الأبعاض والأجزاء، ومنها أن العرش يئط به من ثقله، وأنه يقعد محمداً صلى الله عليه وسلم معه على العرش، (السادس) كتاب السنّة لعبد الله بن الإمام أحمد (ت 290 هـ) هذا إن صحت نسبة كتاب السنّة إليه وهذا فيه شك كبير، لأنّ فيه أكثر من مئة وثمانين نصاً في الطعن في الإمام أبي حنيفة، وأبوه الإمام أحمد كان يجل الإمام أبي حنيفة أيما إجلال، بل في بعضها تكفيره، ومما اشتمل عليه هذا الكتاب من الجرأة على الله عز وجل وصفُه بالجلوس على العرش، وإثبات صدر له وذراعين، وإثبات الثقل والصورة التي صور عليها آدم، وأنه على كرسي من ذهب تحمله أربعة من الملائكة، وأنه واضع رجليه على الكرسي، وأن الكرسي قد عاد كالنعل في قدميه، وأنه يقعد على العرش فما يفضل منه إلا قيد أربعة أصابع، (السابع) الخلال (ت 311 هـ): كان يصرح بجلوس الله تعالى على العرش وأنّ الذي ينكر ذلك فهو جهمي معطلي زنديق كافر**، وهو صاحب عقيدة جلوس الرحمن على العرش، وعقيدة الشاب الأمرد، **(الثامن) ابن خزيمة (ت 311 هـ) صنف كتابه (التوحيد) على طريقة أهل الحشو من جمع المتشابهات، باب الوجه باب العين باب اليد باب الساق، ومما فيه من السب لله ونسبة المحال إلى الله، أن الكرسي موضع قدميه، وأن العرش يئط به، وأنه تجلى منه مثل طرف الخنصر، وأنه يهبط ثم يرتفع، وأنه ينزل إلى سماء الدنيا بروحه وأن جنة عدن مسكنه، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم رآه في روضة خضراء دونه فراش من ذهب يحمله أربعة من الملائكة، وغير ذلك من خيالات أهل الحشو،**

**(التاسع) البربهاري، (ت 329 هـ): كان يعتقد بأن الله تعالى على صورة شاب أمرد قطط الشعر، وكان يعتقد بجلوس الله على العرش وأن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يجلسه ربه معه على العرش، وأن من أنكر القعود فهو جهمي كافر، (العاشر) ابن بطة (ت 387 هـ) الوضاع لكذاب المتهم بوضع الأحاديث وسرقة الكتب وكتابه الإبانة يعد موسوعة في عقيدة الحشو وهو من أوائل من تولى إثم نبذ الأشاعرة بالتجهم وكتابه مبني على التكفير للمخالفين له، أثبت لله صفات الضحك والتعجب وأنه على العرش بذاته وأنه خلق آدم على صورته، وأكثر أبواب الكتاب في تكييف جناب الذات وتكفير المعارضين له، (الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر) ثلاثي الإفك الذين أدخلوا الحشو على مذهب الإمام أحمد وهو منه بريء، جلسوا على كرسي الإفتاء الحنبلي في القرن الرابع، أبو عبد الله بن حامد وصاحبه القاضي أبو يعلى وابن الزاغوني، فأما (ابن حامد الورّاق) فهو أبو عبد الله الحسن بن حامد بن علي البغدادي الورّاق المتوفى (سنة 403 هجرية) له مصنفات وفيها طامات وقد أوردها الإمام ابن الجوزي ورد عليها في كتابه " دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه، واما (القاضي أبو يعلى) فهو محمد بن الحسين بن الفراء الحنبلي (المتوفى سنة 458 هجرية)، وقد ألف كتابا سماه إبطال التأويلات وهو كتاب بدعي، وهذا غير مؤلفاته الأخرى له والتي فيها التجسيم والبدع، واما الثالث فهو (ابن الزاغوني) وهو أبو الحسن على بن الزاغوني الحنبلي المتوفى سنة 527 هجرية، وهؤلاء أثبتوا لله صورة ووجها زائدا علي الذات، وعينين وفما ولهوات وأضراسا ويدين وأصابع وكفا وخنصرا وإبهاما وصدرا وفخدا وساقين ورجلين، وهؤلاء الثلاثة – أبو عبد الله بن حامد، وصاحبه القاضي أبو يعلى وابن الزاغوني – كانوا في زمانهم رؤوس الحنابلة وكان لهم أسوأ التأثير على عقائد الحنابلة وإلى يومنا هذا إذ جروهم إلى بدعة الحشو جرا ودفعوهم إلى التجسيم دفعا وقد تأثر بهم كثير ممن جاء بعدهم كالحافظ عبد الغني المقدسي والشيخ ابن قدامة صاحب المغني وابن تيمية وتلامذته كابن القيم وابن عبد الهادي والذهبي وغيرهم، وسيأتي ذكر بعض طوامهم وسبهم لله بنسبة المحال إلى جناب ذاته، (الرابع عشر) الهروي (ت 481 هـ): له كتاب الأربعين في دلائل التوحيد: وفيه: أن محمداً صلى الله عليه وسلم رأى ربه في صورة شاب أمرد في قدميه خضرة، وفيه باب بعنوان وضع الله عز وجل قدمه على الكرسي، وباب في إثبات الجهات لله عز وجل، وباب في إثبات الحد، وباب في إثبات الخط، وباب في إثبات الصورة، وباب في إثبات العينين، وباب في إثبات الهرولة، أضف إلى وقيعته في السادة الأشاعرة المتخصصين في العقيدة على منهاج أهل السنّة والجماعة، وكان**

**يحكي تكفيرهم، وكان يقول عنهم أنّهم الجهمية الإناث، فهؤلاء جميعا هم سلف ابن تيمية (ت 728 هـ) الذين يريد منا ان نتخذهم سلف لنا، نسأل الله السلامة من البدعة والضلال ونسبة المحال إلى الرحمن،**

**[5] ابن تيمية (ت 728 هـ) ودوره في التأسيس لبدعة الحشو: كل من** سبق كانوا جميعا سلف ابن تيمية في تبني عقيدة الحشو: **لقد أضر مقاتل بن سليمان وهشام بن سالم وابن كرام والسجزي الدارمي والخلال وابن خزيمة وابن بطة والبربهاري والهروي وابن حامد الوراق والقاضي أبو يعلى وابن الزاغوني، لقد أضر هؤلاء بعقيدة ابن تيمية أيما ضرر، وهؤلاء** هم سلف ابن تيمية، ويقينا فإنّ اطلاع ابن تيمية على مؤلفات هؤلاء واحسان ظنه فيها وهو لم يكن دارسا لعلم التقديس ولا ملما بقواعده، فتسربت إليه **بدع الحشو، ومذهبه هو الحشو ذاته، ومذهبه هو أنّ الله تعالى موجود بذاته فوق العالم، والعالم المخلوق تحته، وهو موجود بذاته على عرشه، وأنه متناه لاسيما من جهة التحت، وأنّه يتحرك ويقبل الحوادث وينزل إلى السماء الدنيا نزولاً حقيقياً بذاته، كما دندن حول صفات الوجه واليدين والعينين والقدم والساق بما يُخيل أنّها أجزاء من الذات، وليست صفات منزهة عن الجارحة والجسمية، ووصف لله تعالى بالحد والنهاية والحدوث، وهل بعد تلك العقائد الفاسدة يبقى لنا شيء من التقديس الذي حبى الله تعالى به أمة التسبيح والتنزيه والتوحيد، إنّ الموالين لابن تيمية والمقتفين أثره يصفونه بالسلفية، ويعتقدون فيه بأنّه محيي مذهب السلف، ومجدد السلفية، ولكنّه للأسف لم يجدد مذهب السلف، بل جدد بناء المدرسة الحشوية بجميع مفرداتها، وأخص صفاتها من محاربة التخصص العلمي والاستهانة به والجهل المطبق بقواعد التقديس والتنزيه والتوحيد، لقد اهتم ابن تيمية بإحياء مذهب السلفية على المفهوم الذي ظنه صحيحا، ولم يتبين الأفكار التي تسربت إليه بفعل احسان ظنه بالحشوية وروادها الأوائل الذين انتسبوا زورا إلى الحنابلة وأهل الحديث**، وبسبب عدم قدرته على فهم علم التنزيه وعدم مقدرته على هضم مفرداته، فهجم عليها دون فهم حقيقي لمغزاها، وبسبب جهله العارم بقواعد التقديس ومباحث علم أصول الدين لاسيما في باب الإلهيات مثل مباحث منزلة العقل الصحيح في الإسلام ودوره في فهم أدلة التنزيه، والتفريق الأصولي بين القديم والحادث وهل يمكن للقديم ان يقبل الحوادث، والتفريق بين المحكم والمتشابه، والتفريق بين الحقيقة والمجاز، وحجية المتواتر والآحاد في باب العقيدة، والسر في التفريق بينهما، وقواعد التقديس والتوحيد والتنزيه المستمدة من

الكتاب والسنّة، لذلك أصرّ على إبقاء أحاديث التشبيه والجهة بحالها من دون توجيه وتصرف، بل ودعا إلى حملها على ظاهرها المحال على الله، وهو لا يدرك أسباب استحالتها لما تشبع به عقله من الحشو الذي تسرب إليه من مراجع الحشوية، ثم لم يكتف بذلك حتى هاجم التأويلات التي ذكرها الأصوليون في كتبهم لمنع التشبيه، ولحمل الآيات والأحاديث على المراد الحقيقي منها والذي لأجله سيقت تلك الآيات والاحاديث، فإن حديث النزول ليس الهدف منه النزول ولكن الهدف منه بيان أفضلية ثلث الليل الأخير في إجابة الدعاء، ثم لم يهدأ حتى رفض تفويض معاني الآيات المتشابهات في الذات والصفات، والذي هو مذهب الاثرية وهو مذهب السلف الصحيح والذي ليس لهم مذهب سواه، وذلك بزعم أنه مذهب التجهيل وأنّه من شر أقوال أهل البدع، **ثم أوجب حمل الآيات والاحاديث المتشابهات في الذات والصفات الواردة في القرآن والسنّة على ظاهرها الحقيقي في اللغة أي المعنى المادي الحسي**، ويرفض حملها على المجاز، لأنه لا مجاز في القرآن والحديث!، **ومن العجيب الذي تدمى له القلوب**، أنّ ابن تيمية لم يقنع بمفردات العقيدة الحشوية حتى أضاف إليها أُموراً تزيد الطين بلة، فعد السفر لزيارة الرسول الأعظم بدعة وشركاً، كما عدّ التبرّك بآثارهم والتوسّل بهم شيئاً يضاد التوحيد في العبادة، وللأسف، عادى وخالف أكابر أهل العلم في زمانه وما سبقه من أزمان، ولم يسلم من قلمه ولسانه الكثير من الهداة المهديين من علماء أهل السنّة والجماعة، نصحوه فلم يرعوى، ولم يتعظ من قوة ناصحه المشفق حتى أدركته المنية في سجن دمشق،

**[6] محمد ابن عبد الوهاب والتجديد لبدعة الحشو: لقد انطفأت الفتنة بعد موت ابن تيمية، إلى أن جاء زمان محمد ابن عبد الوهاب (ت 1206 هـ) فتبنى نشر كتب وأفكار ابن تيمية بقوة السيف والسنان، واستحل في سبيل ذلك الدماء والأموال، أضف إلى ذلك أنه كانت له اجتهادات خاطئة في مباحث توحيد الألوهية، وفي مباحث توحيد الربوبية، وفي مباحث تقرير حقيقة الشرك الأكبر، وفي مجال نقل مباحث خلافية من علم الفقه كالتوسل والتبرك وبناء المساجد على القبور وشد الرحال لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم إلى علم العقيدة وإلصاقها بالتوحيد والشرك، وفي مجال الهجوم على علم التصوف برمته، بحسنه وسيئه، واعلان الحرب على أهله واستحلال حرماتهم لمسائل لا تبلغ بهم هذا الحال أبدا، فزادت الطين بلة، وقد تقدم بيان ذلك كله في الكتاب الثالث من هذه السلسلة: مفاتيح علم التوحيد والشرك، والله المستعان،**

**[المفتاح العاشر]: الفرقة الثامنة: الفرقة الوهابية:** تنتسب إلى النجدي محمد ابن عبد الوهاب، ظهرت في القرن الثاني عشر الهجري فكفرت أكثر المسلمين على وجه البسيطة إلا اتباعها، واستحلت دماءهم واموالهم وحاولت مزاحمة أهل السنة والجماعة في مسماها، بل وحاولت حين غفلة من أهل العلم سحب البساط من تحت أقدام أهل السنة والجماعة لتنسبه لنفسها، ولكن الميزان النبوي لا زال عاملا، فإن سواد أهل السنة والجماعة على مر عصور الإسلام هم أهل المذاهب العقدية والفقهية والصوفية المعروفة والتي لاقت قبولا عند سواد أهل الإسلام الاعظم، **وهؤلاء الوهابية يدعون السلفية**، والسلف من بدعهم براء، فهم في العقيدة حشوية مجسمة، وفي الفقه يتتبعون الآراء المتشددة والشاذة ولا يجدون مناسبة للتشفي من أهل المذاهب الأربعة إلا واقتنصوها، وفي التزكية يخاربون التصوف السني الرشيد ويحاربون الاولياء، ولهم مفردات غريبة بالغة في الغلو في التكفير والتشريك والتبديع وديدنهم شن الحروب على أهل التخصص العلمي من مدارس أهل السنّة والجماعة العقائدية والفقهية والسلوكية، مع أنه قد مرت عصور كاملة، وقرون تامة، يندر أن يكون فيها المسلم لا يلتزم بمذهب عقدي أشعري او ماتريدي أو أثري ومذهب فقهي حنفي أو مالكي أو شافعي أو حنبلي، ومنهاج صوفي للتزكية، وطريقة سلوكية تأخذ بيده نحو رضا الله، إنّ السلفية نسبة كريمة لأنها نسبة إلى السلف الكرام، وهم أهل القرون الثلاثة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخيرية، فالسلفية الحقة تنتمي إلى هذا السلف الصالح، ولكن السلفية الحقة الأصيلة بريئة من انتساب الوهابية إليها، بل سلفهم الحشوية والمحسمة والخوارج، نسبوا أنفسهم إليها وهي منهم براء، وآفتهم اتباع المتشابهات وترك المحكمات فإنا لله وإنا إليه راجعون، والقاعدة عند أهل التخصص أنّ التيميون المغالون في الشيخ ابن تيمية، والوهابيون المغالون في الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ليسوا على منهج السلف الصافي وليسوا على منهج أهل السنّة والجماعة الصحيح الصافي، بل هم عند أهل العلم مزيج مريب من فرق الخروج والحشو، نسال الله السلامة ، **ومن كبر وخيلاء وغرور الوهابيين يرون أن منهجهم هو المنهج الوحيد الصحيح لأهل السنة والجماعة**، وإذا لم تستح فاصنع ما شئت، فأنهم اعتمدوا على أفكار مدرسة شاذة واحدة تقوم على أفكار الشيخ محمد ابن عبد الوهاب المتأثر بشكل كبير بفكر الشيخ ابن تيمية ومدرسته، مع ما على هذا وذاك من ملاحظات وشذوذات في كل أبواب العلم، وقد علمنا تأثر الشيخ ابن تيمية بالحشوية القدامى واغتر بهم واتخذهم سلفا له ينسب قوله إليهم وينسب قولهم إلى السلف الصالح، وقد علمنا كذلك المفردات الشاذة التي أدخلها الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الدين في أبواب التوحيد والعقيدة

والفقه والتزكية، وهكذا اختزل الوهابيون كل علوم دين الإسلام القيم في مفاهيم هؤلاء، مع إهمال كافة المدارس الأصولية والعلمية والتربوية والتي تأسست على يد مئات الآلاف من علماء الأمة وانتسب لها سواد المسلمين الأعظم مر عصور الإسلام، والاعجب أن الوهابيين صاروا يصنفون المذاهب العلمية واهل العلم وفق مقاييسهم المغلوطة، مما يمثل أكبر الخطر على صورة الدين وسعته ووسطيته واحترام تخصصاته العلمية العقدية والفقهية والصوفية، وقد جاءت أحاديث نبوية تحذر منهم ، منها ما أخرجه البخاريُ في صَحيحِه عن مُحَمَّدِ بْنُ الْمُثَنَّى عَن حُسَيْنِ بْنُ الْحَسَنِ عَن ابنِ عَوْنٍ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: (اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا"، قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا؟ قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا، قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا؟ قَالَ: "هُنَاكَ الزَّلَازِلُ وَالْفِتَنُ وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ) [أخرجه البخاري]، وأخرج البخاريُ ومسلم عن مُسَدَّدٌ عن يَحْيَى، عَنْ إِسْمَاعِيلَ عن قَيْسٌ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرٍو أَبِي مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: أَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ نَحْوَ اليَمَنِ فَقَالَ (الإِيمَانُ يَمَانٍ هَا هُنَا، أَلاَ إِنَّ القَسْوَةَ وَغِلَظَ القُلُوبِ فِي الفَدَّادِينَ، عِنْدَ أُصُولِ أَذْنَابِ الإِبِلِ، حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ فِي رَبِيعَةَ وَمُضَرَ) [متفق عليه]، ونجد الحجاز هي جهة المشرق تماما بالنسبة إلى أهل المدينة المنورة حيث أشار الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد أخرج البخاري في كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (الفتنة من قبل المشرق) (7092) من طريق معمر عن سالم عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قام على المنبر فقال: (الفتنة ههنا، الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان، أو قال قرن الشمس)، وأخرج البخاري في كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (الفتنة من قبل المشرق) (7092)، ومسلم في كتاب الفتن، باب الفتنة من المشرق من حيث يطلع قرنا الشيطان (7292) بنحوه كلاهما من طريق الليث عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مستقبل المشرق يقول: (ألا إن الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان)، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام (قرن الشيطان) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (13: 46) (قوله قرن الشمس ويحتمل أن يريد بالقرن قوة الشيطان وما يستعين به على الإضلال)، وفي تحفة الأحوذي (10: 315) (قرن الشيطان: أي حزبه وأهل وقته وزمانه وأعوانه، وقيل يحتمل أن يريد بالقرن قوة الشيطان وما يستعين به على الإضلال) أهـ، قلت: ومن نظر إلى الخريطة وجد أنّ نجد تقع تماما في جهة المشرق بالنسبة إلى المدينة المنورة حيث أشار الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا يفند زعم البعض أنّ نجد المقصودة هي منطقة بالعراق، وآخرون أنّها منطقة بالشام،

وكلامهم يفتقد إلى أدنى التحقيق والإنصاف، وذلك لأنّ نَجد الحِجاز كانت أرض الفَدّادين رِعاءِ الإبِل، والعراق كانت أرض زراعة وصناعة وتجارة وما كانت آنذاك أرضًا لرِعاء الإبل، كما أنّ "نجد" الحجاز هي بلاد ربيعة ومضر وليس نجد العِراق أو الشام ثم نحن لا نعلم نجدا معروفا إذا أطلق لفظ " نجد " سوى نجد الحجاز والتي ظهر منها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأتباعه من علماء الدعوة النجدية، التي ينتسبون إليها، وليس القصد من ذلك التجريح في اهل نجد، ولكن المقصود الحذر ثم الحذر مما ينفرد به أهل نجد من علوم الدين لأنه آنذاك يكون يقينا من الباطل الذي نفخ فيه الشيطان بقرنه، لأن الأحاديث دلت على التحذير من هذه المنطقة ومما يخرج منها من الضلال الذي يُخالف ما عليه عامة أهل السنة والجماعة من علوم الدين،

**[المفتاح الحادي عشر]:** الهدي الإسلامي الصحيح في معاملة الفرق الإسلامية الضالة هدي رباني رشيد، إذ ليس معنى ما جاء في حديث الافتراق (كلها في النار إلا واحدة) كون الفرق الضالة في النار، ولكن معناه أنها لبدعتها وضلالها تستحق الوعيد بالنار كما أن مرتكب الكبائر يستحق الوعيد بالنار وهو مسلم له اسم الإسلام وحكمه، وهذه الفرق الضالة ضلت الطريق في بعض جوانب الدين فاستحقت لذلك الوعيد بالنار، وهي إلى مشيئة الله، إن شاء غفر، وإن شاء عذب، ولكن مآلها جميعها إلى رحمة الله وجنته لما أتت به وحافظت عليه من شهادة التوحيد، والإيمان المجمل بالإسلام، ولا يجوز تكفير تلك الفرق بإطلاق، ولا يجوز إخراج آحاد المسلمين من الإسلام إلا باستيفاء شروط التكفير وموانعه تامة تامة، وقد حبى الله تعالى أهل العلم والفقه في الدين بقواعد تجعلهم يفرقون ما بين البدعة والكفر، فأهل البدع مسلمون لهم الولاء العام في الإسلام لا نكفرهم ببدعة ولا خطأ ولا جهل ولا تأويل ولا ذنب حتى ينكر معلوما من الدين بالضرورة وتقوم عليه الحجة الشرعية التامة المستوفية لشروطها وموانعها بذلك، وأهم رؤوس البدع الضالة المخرجة عن سبيل أهل السنّة والجماعة الناجية: بدعة الخروج، وبدعة التشيع، وبدعة الاعتزال، وبدعة الحشو، ومع ذلك فإنهم مسلمون لهم ما للمسلمين من حقوق وواجبات،

**[المفتاح الثاني عشر]: من مسائل الشريعة الغراء التي تبين هدي الإسلام في معاملة الفرق المسلمة التي ضلت الطريق في بعض جوانب الدين: (أ) المسلمون أمة واحدة من دون الأمم، و** (المسلم): هو كل من قال (لا إله إلا الله * محمد رسول الله): معتقدا لها، مصدقا لها بلسانه، ومنقادا لها بقلبه، ولا نكفره بذنب ولا خطأ ولا جهل ولا تأويل ولا بلازم قوله، ولا ببدعة حتى ينكر معلوما

من الدين بالضرورة وتقوم عليه الحجة الشرعية التامة المستوفية لشروطها وموانعها بذلك، واهل البدع وإن كانوا على ضلالة، فإنها دون الكفر وهم من أمة الإسلام، وهم داخلون في الاصطفاء العام، الوارد في قوله تعالى: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ} [فاطر: 32]، (ب) **افتراق المسلمين لا يؤثر على الولاء العام للإسلام:** وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة) [أخرجه أبو داود]، ليس المراد منه ان نعادي المسلمين ونستحل دماءهم ومحارمهم، وإنما المراد السعي الجاد في تصحيح معتقدات المسلمين وهداية الفرق الضالة إلى سبيل النجاة، وإذا كان جدال أهل الكتاب والكافرين لا يكون إلا بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، قال تعالى: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [العنكبوت: 46]، وقال تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [النحل: 125]، فكيف بجدال أهل الإسلام والقرآن، (ت) **أهل الفرق الضالة من أهل الإسلام مسلمون لا يجوز تكفيرهم ولا استحلال حرماتهم:** وأبرز رؤوس البدع الضالة المخرجة عن سبيل الفرقة الناجية أهل السنّة والجماعة: بدعة الخروج، وبدعة التشيع، وبدعة الاعتزال، وبدعة الحشو، وبدعة الإرجاء، وسيأتي بيانها وبيان أصول الضلال فيها، ومع ذلك: يجب أن يعم الإخاء والولاء بين عموم المسلمين لعموم النصوص في ذلك ومنه قوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الحجرات: 10]، فدلت الآية على أن إخوة المؤمنين لا تزول حتى مع اقتتالهم، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) [متفق عليه]، وأهل الفرق الضالة لهم مسمى الإيمان بما أتوه من أصل الإيمان، وجميعهم من الذين اصطفاهم الله تعالى من بين البشر للإسلام، فمنهم ظالم لنفسه ببدعته أو بغيه أو فسوقه او عصيانه ومنهم مقتصد يؤدي الواجبات ويكف عن المحرمات ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله، وجميعهم داخلون في الاصطفاء والاجتباء وهم أهل الإسلام، وهم أهل النجاة من الخلود الأبدي في النار، وهم أهل الجنة في نهاية المطاف، وينبغي التنبه إلى خطورة الغلط، أو الغلو في تكفير المسلمين أو اتهامهم بالكفر أو بالشرك أو البدعة بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، (ث) **خطورة تكفير أهل الفرق الضالة من المسلمين:** إذ التكفير حكم شرعي، مرده إلى الله ورسوله، فكما أن التحليل

والتحريم والإيجاب إلى الله ورسوله، فكذلك التكفير، فلا يكفي في ذلك مجرد الشبهة والظن، لما يترتب على ذلك من الأحكام الخطيرة، من استحلال الدماء والأموال والأعراض، وإذا كانت الحدود تدرأ بالشبهات، مع أن ما يترتب عليها أقل مما يترتب على التكفير، فالتكفير أولى أن يدرأ بالشبهات، ولذلك حذر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الحكم بالتكفير على مسلم لم يبلغ حد الكفر الأكبر، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال وإلا رجعت عليه) [متفق عليه]، والتسرع في التكفير صفة أهل الضلال، وقد حفظ الإسلام للمسلمين أموالهم وأعراضهم وأبدانهم وحرم انتهاكها، وكان من آخر ما بلغ به النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمته فقال في خطبة حجة الوداع: (إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد) [متفق عليه]، وقال صلى الله علية وسلم: (كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه) [أخرجه مسلم]، وقتل المسلم أهون من تكفيره، وقد توعد الله سبحانه من قتل نفسا معصومة بأشد الوعيد فقال تعالى: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} [النساء: 93]، ولا علاقة للبدعة بالكفر الأكبر، والمبتدع أقرب إلى العصاة منه إلى الكفار، وعصاة الموحدين مسلمون يدعى لهم بالهداية ويستغفر لهم، ولا يحكم على المبتدع عيناً بأنه كافر إلا بشروط يعلمها العلماء منها: أن تكون بدعته مكفرة متفق على التكفير بها بين علماء أهل السنّة والجماعة كأن ينكر بها معلوما من الدين بالضرورة، وأن تتوفر فيه كافة شروط التكفير وتنتفي كافة موانعه، وأن تقوم عليه الحجة المعتبرة شرعا بشروطها وضوابطها التي قررتها المذاهب الأربعة المتخصصة في علم الفقه على منهاج اهل السنة، وعند الخلاف نرجح ما هو في مصلحة المسلم احتياطا لحرمة دينه ودمه، (ج) **لا يجوز موالاة الكفار على فرق الإسلام الضالة لأنهم وإن كانوا على بدعة ضلالة فإنهم مسلمون مؤمنون لهم اسم الإيمان وحكمه**، والله تعالى يقول: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} [الحجرات: 10]، ونهى الله تعالى المؤمنين عن موالاة الكافرين على المؤمنين، قال تعالى: {لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ} [آل عمران: 28]، وأمر سبحانه بالولاء العام لكل مؤمن، فقال تعالى: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} [المائدة: 55-56]، وقال تعالى – محذرا من موالاة الكفار على المؤمنين: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ

تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ} [الانفال: 73]، (ح) **وجوب الأخوة والوفاق بين عموم المسلمين،** يجب أن يعم الإخاء والوفاق بين عموم المسلمين لعموم النصوص في ذلك، قال تعالى {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: 92]، وقال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الحجرات: 10]، وقال تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [المائدة: 2]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) [متفق عليه]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) [متفق عليه]، وقال رَسُول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قَالَ: (المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ، لا يَظْلِمهُ، وَلاَ يُسْلمُهُ، مَنْ كَانَ في حَاجَة أخيه، كَانَ اللهُ في حَاجَته، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ بها كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَومِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللهُ يَومَ القِيامَةِ) [مُتَّفَقٌ عَلَيهِ]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (المُسْلِمُ أَخُو المُسْلم: لاَ يَظْلِمُهُ، وَلا يَحْقِرُهُ، وَلاَ يَخْذُلُهُ، التَّقْوَى هاهُنَا – ويشير إِلَى صدره ثلاث مرات – بحَسْب امْرىءٍ مِنَ الشَّرِّ أنْ يَحقِرَ أَخَاهُ المُسْلِمَ، كُلُّ المُسْلم عَلَى المُسْلم حَرَامٌ، دَمُهُ ومَالُهُ وعرْضُهُ) [رواه مسلم]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله ورسوله فلا تخفروا الله في ذمته) [أخرجه البخاري، ح: 384]، فمن صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ما للمسلمين، وعليه ما على المسلمين، فلا يصح أن يهلك بعضها بعضا، ولا أن يسبي بعضهم بعضا، ولن ينجي هذه الأمة من المحنة التي تمر بها حاليا سوى التآخي والتواد والتكافل والولاء العام لكل المسلمين،

**[المفتاح الثالث عشر]: أحكام عامة تتعلق بالمبتدع: (أ) (مسألة تكفير المبتدع)**: لا علاقة للبدعة بالكفر الأكبر، المبتدع أقرب إلى العصاة منه إلى الكفار، وعصاة الموحدين مسلمون يدعى لهم بالهداية ويستغفر لهم، والكافر فقط هو الذي لا يجوز الدعاء له بالرحمة ولا يجوز الاستغفار له، ولا يحكم على المبتدع عيناً بأنه كافر إلا بشروط منها: (الشرط الأول): أن تكون بدعته مكفرة متفق على التكفير بها بين علماء أهل السنّة والجماعة كأن ينكر بها معلوما من الدين بالضرورة، (الشرط الثاني): أن تتوفر فيه شروط التكفير وتنتفي موانعه، وهي تلك الشروط التي نص عليها أهل السنة في تكفير المعين، وذلك أن المتقرر عند أهل السنة والجماعة: أن التكفير المطلق لا

يستلزم تكفير المعين إلا بعد انطباق شروط التكفير وانتفاء موانعه، (الشرط الثالث): قيام الحجة المعتبرة شرعا بشروطها وضوابطها التي قررها الفقهاء، **(ب) (مسالة قتل المبتدع):** الأصل في كل مسلم حرمة دمه فلا يجوز قتله، وفي الحديث (لا يحل دم امرئٍ يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا بإحدى ثلاث: – الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة) ، وقد قال الله تعالى: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (لايزال المسلم في فسحة من دينه ما لم يُصِبْ نفساً حراماً)، وقال العلماء في شرحه: الفسحة في الدين سعة الأعمال الصالحة حتى إذا جاء القتل ضاقت لأنها لا تفي بوزره، والفسحة في الذنب قبوله الغفران بالتوبة حتى إذا جاء القتل ارتفع القبول، (ت) **(مسألة بغض المبتدع):** يجب بغض البدعة باتفاق أهل السنة، والمبتدع مسلم، نحبه لإسلامه، ونبغض ما تلبس به من أمر البدعة، نبغضه بقدر بدعته ومخالفته للشرع ونحبه بقدر ما بقي معه من الإسلام والإيمان، ولا يجوز أن يبغض البغض المطلق كبغض الكفار، (ث) **(مسألة معاداة أهل البدع):** المبتدعة الذين لا يزالون في دائرة الإسلام فإننا نعادي بدعتهم ولا نعاديهم هم، وندعو لهم بالهداية، احتراما لشهادة التوحيد التي يحملونها والتي لا يثقل معها شيء في الميزان، والتي بفضلها يدخلون الجنة وإن استحقوا الوعيد بالنار فقد يغفر الله لهم وقد يعذبهم بقدر بدعتهم ولكنهم لا يخلدون في النار خلود الكافرين، **(ج) (مسألة البراءة من أهل البدع):** تجب البراءة من البدعة نفسها، والمبتدع لا يزال في دائرة الإسلام فإننا نبرأ من بدعته، ولكن له ولاء الإسلام العام وننصحه ونرشده ولا نعاديه مطلق العداء، **(ح) (مسألة الصلاة على أهل البدع):** الأصل أن المبتدع الذي بقي معه أصل الإسلام يصلى عليه، لكن إن تخلف عن الصلاة عليه أهل الدين والصلاح زجراً عن فعله وترهيباً من بدعته فحسن، (خ) **(مسالة الاستغفار للميت المبتدع أو الدعاء له بعد موته بالرحمة):** المبتدع يدعى له ويستغفر له، لأنه مسلم ووجود بدعته لا ينقض أصل إسلامه، فيدعى ويستغفر له، بل هو في هذه الحالة أحوج من غيره بالدعاء له والاستغفار له لأنه مات على هذه المخالفة، **(د) (مسألة السلام على أهل البدع):** الأصل جواز السلام عليه لأن له أسم الإسلام وحكمه، لكن إن كان في ترك السلام عليه من باب زجره مصلحة خالصة أو راجحة رجاء ان يقلع عن بدعته فإنه يترك السلام عليه، وإن لم يكن في ترك السلام على المبتدعة مصلحة خالصة ولا راجحة فإن المشروع السلام عليهم ورده إذا سلموا، لأنهم مسلمون، وإذا كان ترك السلام يؤدي إلى عكس المراد فلا يجوز، **(ذ) (مسالة هجر المبتدع):** يُشرع الهجر في حق المبتدع إن كانت المصلحة

الشرعية تقتضي ذلك وإلا فلا يهجر، وأما إذا كان الهجر لا يزيده إلا بعداً ولا يجنى منه إلا المفاسد الخالصة أو الراجحة فإنه يستمر بدعوته ومواصلته ونصحه ولا يهجر، لأن الهجر في حق الكافر مقصود لذاته، وأما الهجر في حق المبتدع فإنه مشروع إن كان يحقق المصلحة الشرعية، فإن كان لا يحققها فلا يشرع، **(ر) (مسألة الصلاة خلف المبتدع):** تصح الصلاة خلفه، وقد كان الإمام أحمد يصلي خلف المعتزلة ممن يقولون: القرآن مخلوق، (ز) **(مسألة حكم غيبة المبتدع):** الأدلة من الكتاب والسنة حرمت غيبة المسلم كما قال تعالى {وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ}، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (الغيبة ذكرك أخاك بما يكره) فالأصل هو تحريم غيبة المسلم، ولا يجوز التوسع في غيبة المبتدع إلا بقدر بدعته، وذلك مثل الميتة فإن الأصل فيها التحريم ولكن يجوز منها للمضطر بقدر ما تندفع به ضرورته، والضرورة هنا تتمثل في وجوب التحذير من أهل الأهواء والبدع ومحاربة بدعهم وكشف زيفها وتحذير العامة من الوقوع فيها وبيان باطلها، **(س) (مسالة مجالسة أهل البدع):** جاءت الآثار عن السلف تنهى عن مجالسة أهل البدعة، وكلها محمولة على أتباع الفرق الضالة الداعين إليها، ومحمولة على البدع العقائدية العريضة الضالة، ومحمولة على العامة الغير مسلحين بسلاح العلم بمذهب اهل الحق، أما إذا كان الشخص عالماً بمذهب أهل السنة قادرا على الرد على ضلالات الفرق الضالة، وأراد أن يجلس معهم لدعوتهم إلى السنة وإزالة الشبهة وتحذيرهم من البدعة فلا بأس بذلك بل هو من باب الجهاد بالكلمة لإظهار الحق، هذا هو هدي اهل التصوف في معاملة الفرق الإسلامية الضالة، أمّا ما يفعله المغالون اليوم من استحلال دماء وحرمات أهل البدع من المسلمين فإنه من الغلو المقيت الذي يعود على صاحبه بالهلاك، وقد قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: (هلك المتنطعون، قالها ثلاثا) [أخرجه مسلم]،

***

# المبحث السابع والثلاثون

# الصوفية والصحب الكرام والآل الاطهار

**[المفتاح الأول]: مذهب الصوفية في الصحب والآل هو المذهب الأمثل والأسلم والأصح بين المذاهب**، فهم يوالون ويحبون الصحب والآل، ويترضون عنهم، ويؤمنون ويقرون بما أتثبته الله تبارك وتعالى من فضلهم ومن الكرامة لهم، فيقولون: أنّ منزلة الصحابة لا يعدلها شيء، لمشاهدة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأدناهم صحبة هو أفضل من القرن الذين لم يروه ولو لقوا الله بجميع الأعمال، وأنّ فضيلة الصحبة ولو لحظة لا يوازيها عمل ولا تنال درجتها بشيء، والفضائل لا تؤخذ بقياس، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وأفضل الصحابة الخلفاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وضي الله عنهم، ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة ثم أهل بدر ثم أهل بيعة الرضوان ثم من آمن قبل فتح مكة ثم بقية الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، وهم كذلك يحبون آل البيت جميعا، بل يعشقونهم ويوالونهم جميعا، ولا يرضون أبدا لما نالهم من الأذى، هم الذين قال الله تعالى فيهم: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} [الأحزاب: 33]، وقال تعالى: {رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ} [هود: 73]، وقال فيهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم (وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي) [اخرجه مسلم]، فمودتهم فرض، ومحبتهم واجبة، والصلاة عليهم واجبة، أخرج البخاري ومسلم عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أنهم قالوا: يا رسول الله كيف نصلي عليك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد) [متفق عليه]، وهم يقولون بأن الله تعالى تجاوز عن جميع سيئاتهم، لا بعمل عملوه، ولا بصالح قدموه، بل بسابق عناية من الله لهم، إذ قال تعالى: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ

الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً}، فعلق الحكم بالإرادة التي لا تتبدل أحكامها، فلا يحل لمسلم أن ينتقص، ولا أن يشنأ عرض من شهد الله تعالى بتطهيره وذهاب الرجز عنه، والعقوق لا يخرج عن النسب، ما لم يذهب أصل النسبة وهو الإيمان، قال تعالى: {قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} قال ابن عباس: أي إلا أن تودّوا قرابتي، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (فاطمة بضعة مني يريبني ما يريبها)، فللجزء من الحرمة ما للكل، ما اتصلت النسبة وهي الإسلام، فبان أن للآل من الفضل ما لا يقدر قدره، والحاصل: أنّ الصوفية يجمعون بين حب الصحابة حبا جما، وحب أهل البيت حبا جما، ولا يجعلون هناك تناقضا بين حب الصحابة وحب أهل البيت، بل كلاهما من مشكاة واحده، هؤلاء صحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهؤلاء آل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ودائما يقولون اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله الاطهار وصحبه الأبرار،

**[المفتاح الثاني]: الصوفية والصحب الكرام:** (تعريف الصَّحابي): الصحابي هو: كل من لقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم مؤمنا به، ومات على الإسلام، وجاءت نصوص عظيمة من الكتاب والسنة في الدلالة على فضل الصحابة رضي الله عنهم، قال تعالى: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} [الفتح: 29]، وقال تعالى: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ المُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ لسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً} [الفتح: 18]، وقال تعالى: {لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [التوبة: 117]، وقوله تعالى:، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ) [متفق عليه واللفظ لمسلم]، وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (لا تسبوا أصحاب محمد، فلمقام أحدهم ساعة خير من عمل أحدكم عمره) [أخرجه أحمد وابن ماجة]،

**[المفتاح الثالث]: أهل التصوف: يحبون أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ويتولونهم جميعا، وينزلونهم منازلهم، ويعرفون لكلٍّ فضله عمومًا وخصوصًا**، وهم يمسكون عما جرى بين الصحابة فلا يخوضون فيما شجر بين الصحابة وانهم جميعا مأجورون في اجتهادهم، فمن أصاب

فله أجران، ومن اخطأ فله اجر واحد، فيجب الكف عن الخوض في مساوئهم، والتماس العذر فيما ثبت عنهم، وهم ليسوا بمعصومين ولكنهم أطهر الخلق بعد الأنبياء، ومنزلتهم (الصحبة) لا تدانيها منزلة، قد تحصل من أحدهم الزلة، ولكنها مغمورة في بحار فضلهم وسبقهم وصحبتهم، فغن وقع من بعضهم بعض الذنوب فإنَّ لهم من أسباب المغفرة ما ليس عند غيرهم من المسلمين، هم خير الأمة وافضلها، كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد صلى الله عليه وآله وسلم خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه) أخرجه احمد في المسند، وكما قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (من كان مستناً فليستن بمن قد مات، أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم، كانوا خير هذه الأمة، أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، ونقل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم كانوا على الهدى المستقيم) [رواه أبو نعيم]، وهم يرون أنّ الأحق بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبو بكر، ثم عمر ثم عثمان ثم علي، وهم يرتبون الخلفاء في الفضل على ترتيبهم في الخلافة، فيقولون: أفضل هذه الأمة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي،

**[المفتاح الرابع]: خلاصة مذهب أهل التصوف في الصحابة**: محبة جميع الأصحاب، وسلامة قلوبهم من الغِلّ لأحد من أصحابه صلى الله عليه وآله وسلم تحقيقًا لقوله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [الحشر: 10]، وسلامة أَلْسِنتهم نحوهم، فلا يذكرون أحدًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا بخير وعلى وجْه الثناء والشهادة له بالفضْل، وفي الحديث قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (اللهَ الله في أصحابي، لا تتخِذوهم غَرضًا بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقدْ آذى الله، ومن آذى الله فيوشِك أن يأْخُذَه) [أخرجه احمد والترمذي]، فحقوق الصحابة على الأمة من أعظم الحقوق، فإنهم خيار الأُمَّة، بل خيرُ الناس بعد الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ورَضِي الله عن الصحابة أجمعين، واهل التصوف لا يعتقدون عصمة أحدٍ من الصحابة، بل يجوز وقوعُ الذنوب منهم ولكنها مغفورة ومغمورة في بحار حسناتهم،

**[المفتاح الخامس]: اتفق الصوفية على وجوب مودة آل البيت جميعا**، ومحبتهم جميعا، والصلاة عليهم عند الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لأن في مودتهم مودة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد قال الله تعالى: {قل لا أسئلكم عليه أجرا إلا المودة في القربى}، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (أذكركم الله في أهل بيتي قالها ثلاثا) [أخرجه مسلم]، وقد بين صلى الله عليه وآله وسلم كيفية الصلاة عليه، وأن الصلاة على آله تبع للصلاة عليه، أخرج البخاري ومسلم عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أنهم قالوا: يا رسول الله كيف نصلي عليك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد) [متفق عليه]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (اللهمَّ صلِّ على محمَّد وعلى آل محمَّد، كما صليتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنَّك حميدٌ مجيد، اللهمَّ بارِك على محمَّد وعلى آل محمَّد، كما باركتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنَّك حميدٌ مجيد) [متفق عليه]،

**[المفتاح السادس]: فضل النسب ثابت:** لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم) [رواه مسلم] فنسبه صلى لله عليه وسلم ونسب آله أشرف النسب وأعلاه في العرب والعجم، **ونسب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: هو:** مُحَمَّدٌ ابْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ (واسمه شَيْبَة) بْنِ هَاشِمِ (واسمه عمرو) بْنِ عَبْدِ مَنَافِ (واسمه المغيرة) بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارَ بْنِ مَعَدَّ بْنِ عَدْنَانَ، وعدنان ينتهي نسبه نبي الله إسماعيل ابن نبي الله إبراهيم خليل الله عليهما السلام، **وهو صلى الله عليه وآله وسلم** خير أهل الأرض نسباً، أخرج مسلم عنه صلى الله عليه وآله وسلم قوله: (إن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم) [أخرجه مسلم]،

**[المفتاح السابع]: قريش أعظم وأشرف قبيلة على وجه الأرض، ويكفي أنّ منها النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وأكابر الصحابة رضي الله عنهم منهم، أخرج مسلم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله: (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم)**

[أخرجه مسلم]، وأخرج البيهقي عن أمِّ هانئ رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (فضَّل الله قريشاً بسبع خصال، لم يعطها أحدٌ قبلهم، ولا يعطاها أحدٌ بعدهم: فضَّل الله قريشاً أنِّي منهم، وأنَّ الخلافة فيهم، وأنَّ الحجابة فيهم، وأنَّ السِّقاية فيهم، ونصرهم على الفيل وهم مشركون، وعبدوا الله عشر سنين لا يعبده غيرهم، وأنزل الله فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها أحد غيرهم {لإيلاف قريش}) [أخرجه البيهقي]، وهي خصال عظيمة: أولها أنّ النبيُّ الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم من قريش، والخصلة الثَّانية: أنّ الخلافة في قريش، أخرج البخاري: عن معاوية رضي الله عنه أيضاً أنَّه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (إنَّ هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبَّه الله على وجهه ما أقاموا الدِّين) [أخرجه البخاري]، وقد نقل الإمام النَّووي في شرحه لصحيح مسلم الإجماع على أنَّ الخلافة في قريش [12/200]، والخصلة الثَّالثة: أنّ الحجابة والسِّدانة في قريش: هي وظيفة حفظ مفتاح الكعبة، وتولِّي خدمة البيت وفتح بابه وإغلاقه، وقد كانت السِّدانة قبل قريش لخزاعة، ثمَّ وليها قصيٌّ، فأعطاها إلى ولده عبد الدَّار، ثمَّ هو أعطاها بدوره إلى ولده عثمان، فلم تزل تنتقل في أولاده إلى أن انتهت إلى عثمان بن طلحة، ثم إلى ابن عمه شيبة، واستمرت السِّدانة في ولد شيبة إلى الآن بأمرٍ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حيث دفع إليهم المفتاح عام فتح مكَّة المكَرَّمة، وقال: (هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم بر ووفاء)أورده ابن كثير في البداية والنِّهاية، وضعَّفه الألباني، والخصلة الرَّابعة: السِّقاية في قريش: وهي وظيفة تقديم ماء زمزم ليشرب منه الحجاج، وسقاية الحجيج كانت المهمَّة التي يتنافس على تقديمها أشراف مكَّة، من يحظ بشرف هذه المهمَّة يصبح علماً يشار إليه بالبنان، وأصل تولِّي سقاية زمزم بمكان معدٍّ بجوارها بعد حفر عبد المطلب بن هاشم لها، كان لعبد المطلب ذاته، فلمَّا توفِّي تولَّى أمر السِّقاية ابنه أبو طالب، فاستدان من أخيه العباس عشرة آلاف درهم إلى الموسم، فصرفها وجاء الموسم، ولم يكن معه شيء، فطلب من أخيه العباس أربعة عشر ألف درهم إلى الموسم القابل، فشرط عليه إذا جاء الموسم ولم يقضه أن يترك له السِّقاية، فقبل ذلك، وجاء الموسم فلم يقضه فترك له السِّقاية، فكانت بيد بني العباس بن عبد المطلب وولده، إلى أن انقضت خلافتهم، والخصلة الخامسة: نصرهم على الفيل وهم مشركون: وقد خلَّد الله نصرهم في كتابه الكريم، في سورة سمِّيت بسورة الفيل، قال الله تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ}، والخصلة

**السَّادسة: عبدوا الله عشر سنين لا يعبده غيرهم، لأن غالب من آمن بالرسول في أول الدعوة كانوا من قريش، والخصلة السَّابعة: أنزل الله فيهم سورة من القرآن: وسمَّاها باسمهم، وهي سورة قريش، خلَّد الله فيها ذكرهم في العالمين، إلى قيام السَّاعة، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قال الله تعالى: {لِإِيلافِ قُرَيْشٍ * إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ}، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم اختاره الله تعالى من صميم قريش، ولا يوجد في سلسلة آبائه إلا كراماً ليس فيهم مسترذَل بل كلهم سادة قادة، ولا شك أن شرف النسب وطهارة المولد من شروط النبوة، وكل اجتماع بين آبائه وأمهاته كان شرعياً بحسب الأصول العربية، ولم ينل نسبه شيء من سفاح الجاهلية بل طهَّره الله من ذلك والحمد لله،**

**[المفتاح الثامن]: الأسرة الهاشمية:** هي الأسرة التي ينتسب إليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وتعرف الأسرة النبوية: بالأسرة الهاشمية نسبة إلى جد النبي صلى الله عليه وآله وسلم هاشم بن عبد مناف بن قُصَىّ، **و (هاشم بن عبد مناف):** هو الجد الرابع للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهو أول من أطعم الثريد للحجاج بمكة، وكان اسمه عمرو فما سمى هاشمًا إلا لهشمه الخبز، وهو أول من سن الرحلتين لقريش، رحلة الشتاء والصيف، **و (عبد المطلب بن هاشم):** هو الجد الثالث للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأهم ما وقع لعبد المطلب من أمور البيت شيئان : حفر بئر زمزم، ووقعة الفيل، حيث أمر في المنام بحفر زمزم ووصف له موضعها، فقام يحفرها، وأقام سقاية زمزم للحجاج، وأما حادثة الفيل، فإن أبرهة الحبشى، النائب العام عن النجاشى على اليمن، لما رأي العرب يحجون الكعبة بني كنيسة كبيرة بصنعاء، وأراد أن يصرف حج العرب إليها، وسار بجيش عرمرم إلى الكعبة ليهدمها، وكان في الجيش أفيال عديدة، واختار لنفسه فيلا من أكبر الفيلة، وتهيأ لدخول مكة، وفي الطريق رأي الجيش إبلا لعبد المطلب فأخذوها، فدخل عبد المطلب على أبرهه يطلب أبله، فقال له أبرهة أنت سيد العرب تطلب الإبل ولا تكلمني في شأن البيت، فقال قولته المشهورة: (للبيت رب يحميه)، فلما كان في وادى مُحَسِّر بين المزدلفة ومنى، برك الفيل، ولم يقدم إلى الكعبة، وكانوا كلما وجهوه إلى الجنوب أو الشمال أو الشرق يقوم يهرول وإذا صرفوه إلى الكعبة برك، فبينا هم كذلك إذ أرسل الله عليهم طيرًا أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل، فجعلهم كعصف مأكول، وكان من خبرهم ما ذكره الله تعالى في سورة الفيل، وكانت قريش قد تفرقوا في

الشعاب، وتحرزوا في رءوس الجبال خوفًا على أنفسهم من معرة الجيش، فلما نزل بالجيش ما نزل رجعوا إلى بيوتهم آمنين، وكانت هذه الوقعة في شهر المحرم قبل مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بخمسين يومًا تقريبا، وكان لعبد المطلب عشرة بنين، وهم: الحارث، والزبير، وأبو طالب، وعبد الله والد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وحمزة، وأبو لهب، والغَيْدَاق، والمُقَوِّم، وضِرَار، والعباس، وست من البنات وهن : أم الحكيم وهي البيضاء، وبَرَّة وهي أم أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومي، وعاتكة، وأرْوَى، وأميمة، وصفية وهي أم الزبير بن العوّام، **و (عبد الله بن عبد المطلب) والد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:** كان عبد المطلب قد نذر إن رزقه الله عشرة من الولد أن يذبح أحدهم للكعبة، فلما تم أبناؤه عشرة، أقرع بينهم أيهم ينحر ؟ فطارت القرعة على عبد الله، وكان أحب الناس إليه، واعترض على ذبحه أخواله، فأُشير عليه أن يقترع بينه وبين عشرة من الأبل وكانت العشرة من الإبل هي دية العربي آنذاك، فقال: اللهم هو أو عشرة من الإبل، فضرب القداح فخرج القدح على عبد الله، فظل يزيد عشرا من الأبل حتى بلغت الإبل مائة فوقعت القرعة عليها، فأعاد القرعة ثلاث مرات تقع جميعها على الإبل المائة، فنحرت ثم تركت، لا يرد عنها إنسان ولا سبع، وجرت الدية للعربي بعد هذه الوقعة مائة من الإبل، وأقرها الإسلام، ومن هذه الواقعة يصح أن يُقال أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم: هو ابن الذبيحين، يعنى إسماعيل عليه السلام، حيث فداه الله تعالى بكبش عظيم، قال تعالى: {وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ} [الصافات: 107]، وأباه عبد الله، حيث فداه جده عبد المطلب بمائة من الإبل،

**[المفتاح التاسع]: الصوفية يحذرون من الخوض في مصير آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأجداده لأن الأمر فيه سوء أدب وناصبية مقيته،** قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا}، ولا أذًى أعظم مِن أن يقال عن أبويه انهما في النار، لاسيما وقد نص أكثر الفقهاء على نجاتهما، **فجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم عبد المطلب كان من الموحدين: و** أقل ما يقال فيه: أنه من أهل الفترة الذين قال الله تعالى فيهم: {بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ} [السجدة: 3]، وقال تعالى: {وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [القصص: 46]، وقال تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ

وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [المائدة: 19]، وقال تعالى: {يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ} [يس: 1 إلى 6]، ومن قواعد أهل التصوف الضابطة لهذا الأمر: قاعدة: عدم مؤاخذة الكافرين على كفرهم قبل بلوغ النذارة إليهم، ويدخل فيهم ولا شك أهل الفترة، وذلك لقوله تعالى {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا} [الإسراء: 15]، والآية إخبار عن عدله تعالى وأنه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه بإرسال الرسل إليهم، ويؤيده قوله تعالى: {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} [النساء: 165]، وقوله تعالى {وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى} [طه: 134]، وقوله تعالى {وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [القصص: 47]، فهذه الآيات وأمثالها تدل على أنّ الله تعالى لا يعذب أحداً إلاّ بعد قيام الحُجة بإرسال الرسل إليهم، وأخرج الإمام أحمد في مسنده وغيره عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (أربعة يوم القيامة يدلون بحجة، رجل أصم لا يسمع ورجل أحمق ورجل هرم ومن مات في الفترة، فأمّا الأصم فيقول ياربّ جاء الإسلام وما أسمع شيئاً وأمّا الأحمق فيقول جاء الإسلام والصبيان يقذفونني بالبعر وأمّا الهرم فيقول لقد جاء الإسلام وما أعقل وأمّا الذي مات على الفترة فيقول يا ربّ ما أتاني رسولك فيأخذ مواثيقهم ليطعنه فيرسل إليهم رسولاً أن ادخلوا النار، قال فو الذي نفسي بيده لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاما ومن لم يدخلها سُحب إليها) [أخرجه الإمام أحمد]، فهذا الحديث يدّل على أنّ من لم تبلغه دعوة رسول في الدُنيا أنه لا يؤاخذه بكفره يوم القيامة حتى يمتحنه الله تعالى يوم القيامة، فيرسل إليه رسولاً فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار، **وعبد المطلب**، هو الذي اختصه الله تعالى بالرؤيا المباركة في تعريف موضع زمزم، وهو الذي أقام سقايتها للحجاج، وقصته مع أبرهة تشهد أنه كان مؤمنا بالله، واجه الطاغية أبرهة، وأخبره بان رب البيت سيحمي بيته و سيمنعه في قصته الشهيرة مع أبرهة، قال لأبرهة: لهذا البيت رب سيمنعه، فاغتاظ أبرهة و قال: ما كان ليمنعه مني، قال: فأنت و ذاك، فأمر أبرهة جيشه بالتحرك باتجاه الكعبة، و انطلق عبد المطلب من عنده مسرعاً، و أمر قريشا بالخروج من مكة إلى الجبال و الشعاب للتحرز فيها خوفا عليهم، ليقينه بأن عذابا سيوقه الله تعالى الآن في أبرهة و جيشه، ثم توجه مباشرة الى البيت فأخذ بحلقته و قيل تعلق بأستار الكعبة يدعو الله و يستنصره و هو ينشد و يقول:(اللهم إن المرء يمنع رحله و حلاله فامنع حلالك،

لا يغلبن صليبهم و محالهم أبدا محالك، و أنصر على آل الصليب و عابديه اليوم آلك، جروا جميع بلادهم و الفيل كي يسبوا عيالك، عمدوا حماك بكيدهم جهلا و ما رقبوا جلالك، إن كنت تاركهم و كعبتنا فأمر ما بدا لك)، فهو لم يتوجه الى الأصنام يستجديها كما كان يفعل مشركو قريش في الأزمات، **وعبد المطلب** هو الذي افتخر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالنسبة إليه بقوله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة حنين لما حمي الوطيس: (أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب) [أخرجه البخاري]، ولو كان كافرا لكان نجسا، لقوله تعالى: {إنما المشركون نجس}، ولما انتسب إليه خير البرية صلى الله عليه وآله وسلم، بل ولتبرأ منه ومن كفره، وقد أخرج مسلم: قول النبي صلى الله عليه و سلم: (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، و اصطفى قريشا من كنانة، و اصطفى من قريش بنى هاشم، و اصطفانى من بنى هاشم)، و ليس هنالك معنى للاصطفاء إلا النسب المتسلسل الطاهر المبرأ من الشرك لأن الله سبحانه و تعالى قال في كتابه العزيز: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ}، فلا يمكن أن يصطفى الله النجس و لكن الاصطفاء للموحدين الأطهار و ذلك ما يؤكد توحيد آباء النبي صلى الله عليه و سلم، ويؤيده قوله تعالى: {وتقلبك في الساجدين}، يدل على أن آباء النبي صلى الله عليه و سلم لم يكونوا كفارا، والمراد تقلبه و تنقله من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية، ولا تكون طاهرة ولا زكية إلا إن كانت مؤمنة بالله،

**[المفتاح العاشر]: لأهل الخوض في آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم شبهات منها:** أنّ عبد المطلب نشأ في بيئة مشركة، فلابد وان يكون مثلهم على الشرك لاسيما وهو كان سيد أهل مكة، ولا حجة في ذلك، فلا يعني انتماؤه إلى بيئة مشركة أنه لابد وأن يكون كذلك، فقد كان بعض العرب وقتها على دين ابراهيم عليه السلام أو على اليهودية و النصرانية، و لم يكن مستنكرا في ذلك الوقت أن يتبع أحد إحدى تلك الديانات، أضف إلى ذلك أن الادلة من وقائع السيرة تشير الى أن عبد المطلب كان حنيفا موحدا لله تعالى و لم يكن من المشركين، قصارى الأمر أنه لم يجهر بعقيدته في التوحيد، ولم تأت السيرة بما يدل على شركه وعبادته للأصنام، ومن شبهاتهم أيضا: العبارة التي تلفظ بها أبو طالب قبل موته: (على ملة عبد المطلب)، فتوهم البعض أنها دليل على أن عبد المطلب كان مشركا، لأن أبا طالب مات على ملته فمات مشركاً، وهو من أهل النار، والوضع مختلف فإن عبد المطلب مات قبل البعثة وهو من أهل الفترة، ولم تقم عليه الحجة الرسالية، أما أبو طالب فقد قامت عليه الحجة بالرسالة، ولو أن قال (يموت على ملة نبي الله موسى أو

عيسى) ما نفعه ذلك حتى يؤمن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فالمناط للكفر ليس قوله (على ملة عبد المطلب) وإنما المناط عدم انقياده لشريعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أضف إلى ذلك أنه لا توجد رواية تثبت أن عبد المطلب كان يعبد الأوثان، وعلى هذا فلا ينبغي الخوض في المسألة، أو أن يكون الترجيح في الجانب الذي يكون فيه تعظيم آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما وردت آثار عديدة بذلك،

**[المفتاح الحادي عشر]: اتفق الصوفية على أنّ والدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أهل الفترة وهما من أهل النجاة:** قال الإمام السيوطي في رسالته مسالك الحنفا في والدى المصطفى: (الحكم في أبوي النبي صلى الله عليه و سلم أنهما ناجيان و ليسا في النار صرح بذلك جمع من العلماء و لهم في تقرير ذلك مسالك: المسلك الأول: أنهما ماتا قبل البعثة و لا تعذيب قبلها لقوله تعالى {و ما كنا معذبين حتى نبعث رسولا}، و قد أطبقت أئمتنا الأشاعرة من أهل الكلام و الأصول و الشافعية من الفقهاء على أن من مات و لم تبلغه الدعوة يموت ناجيا، المسلك الثانى: أنهما لم يثبت عنهما شرك بل كانا على الحنيفية دين جدهما إبراهيم عليه السلام كما كان على ذلك طائفة من العرب كزيد بن عمرو بن نفيل، و ورقة بن نوفل و غيرهما، المسلك الثالث: أن الله أحيا له صلى الله عليه و سلم أبويه حتى آمنا به، قال: و هذا المسلك مال إليه طائفة كثيرة من حفاظ المحدثين و غيرهم، منهم ابن شاهين، و الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادى، و السهيلى، و القرطبى، و المحب الطبرى، و العلامة ناصر الدين ابن المنير، و غيرهم، ثم ذكر ما ورد من الآثار في ذلك، و نقل عن القرطبى أنه لا تعارض بين حديث الإحياء و حديث النهى عن الاستغفار فإن إحياءهما متأخر عن الاستغفار لهما، وذكر أن الحديث الوارد في إحياء أم النبي صلى الله عليه و سلم من قسم الضعيف الذى يتسامح بروايته في الفضائل خصوصا في مثل هذا الموطن، التعظيم و المنة، وقال الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره: (مما يدل على أن آباء سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم ما كانوا مشركين قوله عليه السلام: (لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات) ، و قال تعالى: {إنما المشركون نجس}، فوجب الإيمان أن لا يكون أحد أجداده مشركا، قال: و من ذلك قوله تعالى: {الذي يراك حين تقوم * و تقلبك في الساجدين}، ونقل الحافظ السيوطي عن الإمام أبو بكر بن العربي المالكي: (سئل القاضي أبو بكر بن العربي عن رجل قال: إن أبا النبي صلى الله عليه و سلم في النار، فأجاب بأنه ملعون، لأن الله تعالى قال: {إن الذين يؤذون الله و رسوله

لعنهم الله في الدنيا و الآخرة و أعد لهم عذابا مهينا}، قال: لا أذى أعظم من أن يقال عن أبيه إنه في النار، [الدرج المنيفة في الآباء الشريفة: 103]، وقال الحافظ القرطبي في كتابه:(إن فضل النبي صلى الله عليه و سلم و خصائصه لم تزل تتوالى و تتتابع إلى مماته صلى الله عليه و سلم، فيكون هذا مما فضله الله تعالى به و أكرمه، و ليس إحياؤهما و إيمانهما به ممتنعا عقلا، و لا شرعا، فقد ورد في الكتاب إحياء قتيل بني إسرائيل و إخباره بقاتله، و كان عيسى عليه السلام يحيى الموتى) [التذكرة في أحوال الموتى و أمور الآخرة: 14]، وذكر الآلوسي في تفسيره عند قوله تعالى: {وَ تَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ}، أن القول بإيمان أبويه صلى الله عليه و سلم قول كثير من أجلة أهل السنة، و أنا أخشى الكفر على من يقول فيهما رضي الله عنهما على رغم أنف القاري و أضرابه بضد ذلك)، وقال العلامة ابن حجر الهيتمي: (و حديث مسلم: قال رجل: يا رسول الله، أين أبي؟ قال: "في النار"، فلما قفا دعاه فقال: "إن أبي و أباك في النار"، يتعين تأويله، و أظهر تأويل عندي: أنه أراد بأبيه عمه أبا طالب، لما تقرر أن العرب تسمي العم أبا، و قرينة المجاز في الآية الآتية الشاهدة بخلافه على أصح محاملها عند أهل السنة، و أن عمه هو الذي كفله بعد جده عبد المطلب) [المنح المكية: 102]، وقال الإمام القسطلاني الشافعي:(و الحذر الحذر من ذكرهما بما فيه نقص، فإن ذلك قد يؤذي النبي صلى الله عليه و سلم، فإن العرف جار بأنه إذا ذكر أبو الشخص بما ينقصه، أو وصف وصف به، وذلك الوصف فيه نقص تأذى ولده بذكر ذلك له عند المخاطبة، و قد قال عليه الصلاة و السلام:"لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات" رواه الطبراني في الصغير، و لا ريب أن أذاه عليه السلام كفر يقتل فاعله إن لم يتب عندنا، [المواهب اللدنية: 1 / 348]، وقال الإمام الزرقاني في شرح المواهب اللدنية: (و قد بينا لك أيها المالكي حكم الأبوين، فإذا سئلت عنهما، فقل: إنهما ناجيان في الجنة، إما لأنهما أحييا حتى آمنا، كما جزم به الحافظ السهيلي و القرطبي، و ناصر الدين بن المنير، و إن كان الحديث ضعيفا، كما جزم به أولهم و وافقه جماعة من الحفاظ، لأنه في منقبة و هي يعمل فيها بالحديث الضعيف، و إما لأنهما ماتا في الفترة قبل البعثة و لا تعذيب قبلها، كما جزم به الأبي، و إما لأنهما كانا على الحنيفية و التوحيد و لم يتقدم لهما شرك، كما قطع به الإمام السنوسي و التلمساني المتأخر محشي الشفاء، فهذا ما وقفنا عليه من نصوص علمائنا) [شرح المواهب اللدنية: 1 / 349]،

**[المفتاح الثاني عشر]: فضائل آل بيت النبي الطاهرين الأطهار**: قال تعالى: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} [الأحزاب: 33]، وقال تعالى: {رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ} [هود: 73]، وأخرج مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يومًا فينا خطيبًا، بماء يدعى خُمًّا بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: (أما بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما: كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي) [صحيح مسلم]، وأخرج الترمذي عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجته يوم عرفة، وهو على ناقته القصواء، يخطب، فسمعته يقول: (يا أيها الناس، إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي)، وأخرج مسلم عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: (والذي فلق الحبة، وبرأ النسَمة، إنه لعهد النبي الأمي صلى الله عليه وآله وسلم إليَّ أن لا يحبني إلا مؤمن، ولا يُبغضني إلا منافق) لذا قال العلماء: لا يُبغض عليًّا لدينه إلا منافق، واخرج الإمام أحمد في مسنده، والنسائي في السنن الكبرى، وابن حبان في صحيحه عن أبي الطفيل رضي الله عنه قال: جمع علي رضي الله عنه الناس في الرحَبة، ثم قال لهم: أنشد الله كل امرئ مسلم سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم غدير خُمٍّ ما سمع، لما قام، فقام ناس كثير، فشهدوا حين أخذه بيده، فقال للناس: (أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه)، وأخرج الإمام أحمد والترمذي عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعلي: (لا يُبغضك مؤمن، ولا يحبك منافق)، واخرج ابن حبان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (والذي نفسي بيده، لا يُبغضنا – أهلَ البيت – رجل إلا أدخله الله النار)، وأخرج البخاري ومسلم عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما، عن فاطمة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه سلم قال لها: (يا فاطمة، ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة)، وأخرج أحمد والترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)، وأخرج البخاري ومسلم عن أبي بكر رضي

الله عنه: (والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه أحب إلي أن أصل من قرابتي، واخرج البخاري عن أبي بكر رضي الله عنه: (ارقبوا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم في أهل بيته)، أخرج الطبراني عن عمر رضي الله عنه أنه قال للعباس رضي الله عنهما: (والله، لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم، لأن إسلامك كان أحب إلى رسول الله من إسلام الخطاب)،

**[المفتاح الثالث عشر]: الصوفية يرون أنّ أحكام الصفات الربانية لا تتبدل، وآثارها لا تنتقل،** فمن ثم يعتقدون في أهل البيت عليهم السلام أن الله تعالى تجاوز عن جميع سيئاتهم، لا بعمل عملوه، ولا بصالح قدموه، بل بسابق عناية من الله لهم، إذ قال تعالى: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً}، فعلق الحكم بالإرادة التي لا تتبدل أحكامها، فلا يحل لمسلم أن ينتقص، ولا أن يشنأ عرض من شهد الله تعالى بتطهيره وذهاب الرجز عنه، وإذا كان العقوق لا يخرج عن النسب، ما لم يذهب أصل النسبة وهو الإيمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد قال تعالى: {قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى}، والمعنى: لا تؤذوني في قرابتي وآل بيتي، وللجزء من الحرمة ما للكل، لذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي يَرِيبُنِي مَا يُرِيبُهَا وَيُؤْذِينِي مَا يُؤْذِيهَا) [متفق عليه]، وإذا كان الله تعالى اثنى بصلاح الأب في حفظ الذرية كما في قوله تعالى: {وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً}، إذا كان هذا في أولاد الصالحين، فما ظننا بأولاد الأولياء، وإذا كان هذا في أولاد الأولياء، فما ظننا بأولاد الأنبياء، وإذا كان هذا في أولاد الأنبياء، فما ظننا بأولاد المرسلين، وإذا كان هذا في أولاد المرسلين، فما ظننا بأولاد سيد المرسلين وخير خلق الله أجمعين ومن أرسله الله تعالى رحمة للعالمين، فبان أن لهم من الفضل ما لا يقدر قدره،

***

# المبحث الثامن والثلاثون

# الصوفية وعلم الاخلاق

**[المفتاح الأول]: قال أهل التصوف: التصوف خلق فمن زاد عليك فِي الخلق فَقَدْ زاد عليك فِي التصوف،** إنّ من أهم العلوم التي اهتم بها اهل التصوف الاكابر: علم الأخلاق، إن الإسلام جاء ليتمم مكارم الأخلاق، قال صلى الله عليه وآله وسلم: (إنما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاَقِ) [أخرجه الإمام أحمد في مسنده]، ونبينا الكريم كان أعظم الخلق خلقا، ولهذا مدحه الله تعالى بقوله: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}، ومن أراد معرفة أخلاق النبي العظيمة فعليه بالقرآن، سُئلَت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقالت: (كان خلقه القرآن) [أخرجه مسلم]، أي الاستقامة على ما في القرآن من أوامر ونواهي، والتَّخلق بالأخلاق التي مدحها القرآن العظيم وأثنى على أهلها، لقد اهتم أهل التصوف ببيان: أخلاق المسلم مع الله عز وجل، وأخلاق المسلم مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وأخلاق المسلم مع دين الله عز وجل الإسلام، وأهم أخلاق الفرد المسلم، واهم أخلاق المجتمع المسلم، واهم القيم الأخلاقية الإسلامية العالية، واهم المبادئ الأخلاقية الإسلامية العظيمة،

**[المفتاح الثاني]: أخلاق مع الله عز وجل:** وأهم هذه الأخلاق: **(الخلق الأول)** التوحيد والبراءة من الشرك: ل**قوله تعالى {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [سورة البقرة: 256]، وقوله تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ**

**فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} [النحل: 36]**، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله) [متفق عليه]، و **(الخلق الثاني): التحقق بشرف العبودية لله وحده:** لقوله تعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الذاريات: 56]، وقوله تعالى {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [التوبة: 31]، و **(الخلق الثالث):** إسلام الوجه والقلب والجوارح لله: لقوله عز وجل: {وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ}، وقوله تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [فصلت: 33]، و**(الخلق الرابع)** الإيمان الصادق بالله: لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} [النساء: 136]، و**(الخلق الخامس):** الإحسان في عبادة الله: لقوله تعالى:{وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [سورة البقرة: 195]، و **(الخلق السادس):** تقوى الله: لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: 102]، وقوله تعالى: {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى} [البقرة: 197]، وقوله تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}، و **(الخلق السابع):** التوبة إلى الله: لقوله تعالى: {وتوبوا إلى اللهِ جميعاً أيُّها المؤمنونَ لعلَّكُم تُفلِحُونَ} [النور: 31]، وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [التحريم: 8]، و **(الخلق الثامن)** الصدق مع الله، قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة: 119]، و **(الخلق التاسع)** الإخلاص في عبادة الله: لقوله تعالى: {قلْ إنّي أُمرتُ أنْ أعبُدَ اللهَ مُخلِصاً لهُ الدينَ} [الزمر: 11]، وقوله تعالى: {قل اللهَ أعبُدُ مخلِصاً لهُ ديني} [الزمر: 14]، وقوله تعالى: {وما أُمِروا إلا لِيَعبُدوا اللهَ مُخلِصينَ له الدينَ} [البينة: 5]، و **(الخلق العاشر)** الصبر على طاعة الله: لقوله تعالى: {وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ}، وقوله تعالى: {وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}، و **(الخلق الحادي عشر):** شكر الله، لقوله تعالى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ}، وقوله تعالى: {بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ} [الزمر: 66]، و **(الخلق الثاني عشر):** محبة الله: لقوله تعالى {وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ}، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان من كان اللّه ورسوله أحب إليه مما سواهما ومن أحب عبدا لا يحبه إلا للّه

ومن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه اللّه كما يكره أن يلقى في النار) [متفق عليه]، و **(الخلق الثالث عشر)**: الخشية من الله، لقوله تعالى: {فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}، وقوله تعالى: {فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ}، وقوله تعالى: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ} [النور: 52]، و **(الخلق الرابع عشر)**: الرجاء في الله والرغبة فيما عند الله، لقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا وَرَضُواْ بِالْحَياةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [يونس: 7]، وقوله تعالى: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} [الأنبياء: 90]، و **(الخلق الخامس عشر)**: التوكل على الله:، لقوله تعالى: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفى بِهِ بِذُنُوبِ عِبادِهِ خَبِيرا}، وقوله تعالى: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ}، وقوله تعالى: {وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}، و **(الخلق السادس عشر)**: الرضا عن الله، لقوله تعالى: {قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}، وقوله **صلى الله عليه وآله وسلم: (من قال إذا أصبح وأمسى: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً، كان حقاً على الله أن يرضيه) [أخرجه أبو داود والترمذي]**، و **(الخلق السابع عشر)** اليقين في الله: لقوله تعالى: {الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [لقمان: 4، 5]، وقوله تعالى: {وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون}، وكان من دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (اللهم قْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصائب الدُّنْيَا،) [أَخْرَجَهُ الترمذي والنَّسَائي]، و **(الخلق الثامن عشر)**: العلم الراسخ بالله: لقوله تعالى: {إنَّما يخشى اللهَ مِنْ عِبادِهِ العلماءُ} [فاطر: 28]، وقوله تعالى: {هل يستوي الذين يعلمونَ والذين لا يعلمونَ} [الزمر: 9]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة) [أخرجه مسلم]، و **(الخلق التاسع عشر)** الاستقامة على أمر الله: لقوله تعالى: {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [هود: 112]، وقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} [فصلت]، و **(الخلق العشرون)**: المداومة على ذكر الله: لقوله تعالى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ}، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً}، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (ألا أنبئكم بخير أعمالكم و أزكاها عند مليككم و

أرفعها في درجاتكم و خير لكم من أنفاق الذهب و الورق و خير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم و يضربوا أعناقكم؟ قالوا بلى، قال: ذكر الله تعالى) [أخرجه الترمذي]، فهذه الأخلاق العشرون تتعلق بحق الله تعالى،

**[المفتاح الثالث]: أخلاق مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:** وأهم هذه الأخلاق: **(الخلق الأول)** الإيمان الصادق به صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه رسول من عند الله، صادق في كل ما أخبر به أنه من عند الله، لقوله تعالى: {فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [التغابن: 8]، وقوله تعالى: {فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [الأعراف: 158]، وقوله تعالى: {وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى} [النجم: 3، 4]، و **(الخلق الثاني)** طاعته صلى الله عليه وآله وسلم وامتثال أمره: لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ} [محمد: 33]، وقوله تعالى: {قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ} [آل عمران: 32]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم –: (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قيل يا رسول الله ومن يأبى قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى) [البخاري]، و **(الخلق الثالث)** اتباع هدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والاقتداء به، واقتفاء آثره والعمل بما جاء به من قول وفعل، لقوله تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [آل عمران: 31]، وقوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} [الأحزاب: 21]، و **(الخلق الرابع)** توقيره صلى الله عليه وآله وسلم وتعظيم شأنه: لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الحجرات: 3 إلى 5]، وقوله تعالى: {لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً} [النور: 63]، أي لا تنادوه باسمه ولا كنيته، وإنما يا رسول الله و يا نبي الله، ولقوله تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} [سورة الفتح: 8، 9]، ومن توقيره صلى الله عليه وآله وسلم تعظيم شأن كل ما يتعلق به من اسمه وحديثه وسنته وشريعته وآل بيته وصحابته

رضوان الله عليهم وكل ما اتصل به صلى الله عليه وآله وسلم من قريب أو بعيد، و **(الخلق الخامس)** التحاكم إِلَى سُنَّتِهِ صلى الله عليه وآله وسلم والرضا بِحُكْمِهِ صلى الله عليه وآله وسلم، وأن لا نتقدم على قوله بقول ولا على حكمه بحكم، لقوله تعالى: {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً} [النساء: 65]، وقوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم} [الحجرات: 1]، وقوله تعالى: {وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً} [الأحزاب: 36]، و **(الخلق السادس)** نصرته صلى الله عليه وآله وسلم: لقوله تعالى: {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ} [التوبة: 40]، وقوله تعالى: {فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الأعراف: 157]، علقت الآية الفلاح على من قاموا بالإيمان به وعزروه ونصروه، وقوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ} [آل عمران: 81] فقد اخذ الله الميثاق على جميع الأنبياء بنصرته، و **(الخلق السابع)** محبته صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يكون العبد مؤمناً إلا بوجودها ولا يبلغ كمال الإيمان إلا بكمالها وهو أن تكون محبته صلى الله عليه وآله وسلم تفوق محبة النفس والولد والوالد والناس أجمعين، لقوله تعالى: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [التوبة: 24]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين) [متفق عليه]، و **(الخلق الثامن)** كَثْرَةُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ، لقوله تعالى: {إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الأحزاب: 56]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا) [أخرجه مسلم]، و **(الخلق التاسع)** النصيحة له صلى الله عليه وآله وسلم: لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا لِمَنْ قَالَ: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ) [رواه مسلم]، والنصيحة لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم تكون بإحياء سنته والعمل بها وتعلمها، وتعليمها والذب عنها، ونشرها، و **(الخلق العاشر)** محبة أهل بيته وصحابته صلى الله عليه وآله وسلم، وموالاتهم، وَمَعْرِفةُ حَقِّهِمْ، وَالذَبُّ عَنْهُمْ، وَالثَّنَاءُ عَلَيْهِم، وَالِاقْتِدَاءُ بِهِمْ، وَالاسْتِغْفَارُ لَهمْ، وَالإِمْسَاكُ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُم،، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (لا تسبوا أصحابي) [متفق عليه]،

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم – في حق الصحابة –: (الله الله في أصحابي الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه) [أخرجه الترمذي]، وقوله: صلى الله عليه وآله وسلم: (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا الحوض) [متفق عليه]، إن أخلاق المسلم مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من أوجب الأخلاق، أخرج البخاري في قصة عروة بن مسعود الثقفي لما جاء إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الحديبية يكلمه في أمر قريش، وقد انتدبته قريش لذلك، جعل عروة يرمق صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم رجع عروة إليهم، فقال: (أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، وفدت على قيصر، وكسرى، والنجاشي، والله إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه تعظيم أصحاب محمد، والله إن تنخم نخامة إلاّ وقعت في كف رجلٍ منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له) [البخاري: ح (2583)]، هذا هو الخلق الواجب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم،

**[المفتاح الرابع]: أخلاق مع الإسلام دين الله عز وجل: وأول هذه الأخلاق:** الرضا بالإسلام دينا، لقوله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا}، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (ذاق حلاوة الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلم نبيا) [رواه مسلم]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (من قال إذا أصبح وأمسى: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً، كان حقاً على الله أن يرضيه) [أخرجه أبو داود والترمذي]، **وثاني تلك الأخلاق:** الانتساب إلى جماعته الناجية (أهل السنة والجماعة): والبراءة مما يخلفها من الفرق، لأنها فرق ضالة تقع تحت الوعيد بالنار، لقوله تعالى: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء: 115]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي) [أخرجه الترمذي وحسنه الألباني]، **وثالث تلك الأخلاق:** العلم الراسخ بالدين، وطلب العلم الشرعي من خلال المدارس العلمية المتخصصة في أبواب العلم على منهاج أهل السنّة والجماعة، وطلب العلم بالدين لا يتأتى أبداً إلا باحترام التخصص العلمي، واتباع أحسن ما أنتجه المتخصصون في علومهم، وقد أمرنا الله تعالى باحترام التخصص

واستفتاء أهل الخبرة والتخصص بقوله تعالى: {وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ} [النساء: 83]، وقوله تعالى: {وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ} [فاطر: 14]، وقوله تعالى: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النحل: 43]، **ومن أوجب أخلاق المسلم مع دين الإسلام: حمل أمانة الدين بالدعوة إليه**، لقوله تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [سورة يوسف: 108]، **وحمل أمانة الدين بالحسبة عليه**، لقوله تعالى: {وَلْتَكُن مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [آل عمران:104]، **وحمل أمانة الدين بالتضحية والجهاد من أجله** ، لقوله تعالى: {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (78)} [الحج: 78]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (جاهدوا المشركين بألسنتكم، وأنفسكم، وأموالكم، وأيديكم) [أخرجه أبو داود حديث رقم 2504، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود 2/475]،

**[المفتاح الخامس]: أخلاق الفرد المسلم: وأهم هذه الأخلاق: الخلق الأول من أخلاق المسلم: [صدق الحديث]:** لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة: 119]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: (إِنَّ الصِّدقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وإِنَّ البر يَهدِي إِلَى الجَنَّةِ، وإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكتَبَ عِنْدَ الله كَذَّابًا) [مُتَّفَقٌ عَلَيهِ]، ونقيض الصدق الكذب، وعاقبة الكذب وخيمة، قال تعالى:{إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَأُوْلئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ} [النحل: 105]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم، قال: (آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان)، والمسلم الحق لابد وأن يكون شعاره ومنهاجه الصدق (الصدق في الأقوال والصدق في الأعمال، **والخلق الثاني من أخلاق المسلم: [الأمَانَة]:** لقوله تعالى: {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} [النِّساء: 5]، وقوله تعالى في ذكر صفات المفلحين: {وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ} [المؤمنون:]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (فإذا ضُيِّعت الأمَانَة فانتظر السَّاعة)، وضد الأمانة الخيانة، وقد قال الله عزَّ وجلَّ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ

تَعْلَمُونَ وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} [الأنفال: 27–28]، والخيانة من صفات المنافقين البارزة، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (أربع من كنَّ فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهنَّ كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر)، **والخلق الثالث من أخلاق المسلم: [العَدْل]:** لقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النحل: 90]، وضد العدل الظلم، وقد توعد القرآن الكريم الظالمين بالهلاك، قال تعالى: {وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ} [الحج:71]، وقال تعالى: {أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} [هود: 18]، وقال تعالى: {إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [المائدة: 51]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كربة فرَّج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة) [متفق عليه]، **والخلق الرابع من أخلاق المسلم: [الحِكْمَة]:** والحِكْمَة: فعل ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي، قال تعالى: {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ} [البقرة: 269]، وقال تعالى: {ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [النَّحل: 125]، **و الخلق الخامس من أخلاق المسلم: [الشَّجَاعَة]:** لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [الأنفال: 16]، وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ} [الأنفال: 65]، وأخرج مسلم عن أنس بن مالك قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحسن الناس وكان أجود الناس وكان أشجع الناس) [مسلم ح 2307]، وأخرج مسلم عنه صلى الله عليه وآله وسلم قوله: (والذي نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدا ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عني، والذي نفس محمد بيده لوددت أني أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل) [أخرجه مسلم]، والشجاعة هي ثبات القلب عند النوازل وإن كان صاحبها ضعيف البدن، وقد كان الصديق رضي الله عنه أشجع الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان ضعيف البدن، ولكن برز على الصحابة كلهم بثبات قلبه في كل موطن من المواطن التي تزلزل الجبال، وضد الشجاعة الجبن،

وهو خلق مذموم، كان صلى الله عليه وآله وسلم يتعوذ منه، للحديث: (إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يتعوذ منهن دبر الصلاة: اللهم إني أعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وأعوذ بك من عذاب القبر، فحدثت به مصعبًا فصدقه) [أخرجه البخاري]، **والخلق السادس من أخلاق المسلم: [الكرم]**، ومن معانيه الجُود والسَّخاء والبذل والعطاء، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم أكرم الناس وأجود الناس، أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لو كان لي مثل أحدٍ ذهبًا ما يسرُّني أن لا يمرَّ عليَّ ثلاثٌ، وعندي منه شيءٌ إلَّا شيءٌ أرصدُهُ لدينٍ)، [أخرجه البخاري]، وضد الجود البخل، قَالَ تَعَالَى: {وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [آل عمران: 180]، وقَالَ تَعَالَى: {وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون} [الحشر: 9]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (اتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ) [أخرجه مسلم]، وكَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم يَتَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنَ البُخْلِ، لحديث أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رضي اللهُ عنه قَالَ: كُنتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم إِذَا نَزَلَ مَنْزِلًا، فَكُنْتُ أَسمَعُهُ كَثِيرًا يَقُولُ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالبُخْلِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ) [أخرجه البخاري]، **والخلق السابع من أخلاق المسلم: [الحِلْم]**: والحلم ضبط النَّفس والطَّبع عن هيجان الغضب، وقد وردت آيات عديدة تدعو المسلمين إلى التَّحلِّي بهذا الخُلُق النَّبيل، منها قوله تعالى: {وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [آل عمران: 133– 134]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لأشجِّ عبد القيس: (إنَّ فيك لخصلتين يحبُّهما الله: الحِلْم والأَنَاة)، [أخرجه مسلم]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (ليس الشَّديد بالصُّرَعَة، إنَّما الشَّديد الذي يملك نفسه عند الغضب) [متفق عليه]، **والخلق الثامن من أخلاق المسلم: [الحَيَاء]**، وهو خُلُق يبعث صاحبه على اجتناب القبيح، ويمنع مِن التقصير في حقِّ ذي الحقِّ، وقد جاء مدح الحياء في القرآن والسنة، قال تعالى: {وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ} [الأعراف: 26]، قال المفسرون: لباس التَّقوى هو الحَيَاء، وأخرج البخاري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله: (إنَّ ممَّا أدرك النَّاس مِن كلام النُّبوَّة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت) [أخرجه البخاري]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (والحياء شعبة مِن الإيمان) [متفق عليه]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (الحَيَاء لا يأتي إلَّا بخير) [متفق عليه]، **والخلق التاسع من أخلاق**

**المسلم: [العفة]**، والعفة الكَفُّ عما لا يَحِلُّ ويَجْمُل، والاسْتِعْفاف طلَبُ العَفافِ، والعفيف من يباشر الأمور على وفق الشرع والمروءة، وقد أمر القرآن الكريم بهذا الخلق القويم: قال تعالى: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ} [النور: 30]، وقال سبحانه: {وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} [النور: 33]، وقال سبحانه: {يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيم} [البقرة: 273]، وأخرج البخاري ومسلم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قوله: (ومن يستعفف يعفَّه الله، ومن يستغنِ يغنه الله، ومن يصبر يصبره الله) [متفق عليه]، وأخرج مسلم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يقول: (اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى) [أخرجه مسلم]، **والخلق العاشر من أخلاق المسلم: [الرِّفق]:** لقوله تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران: 159]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (من يحرم الرِّفق يحرم الخير) [أخرجه مسلم]، **ومن أهم أخلاق الفرد المسلم: [الأناة]:** لقوله صلى الله عليه وآله وسلم لأشجِّ عبد القيس (إنَّ فيك خصلتين يحبُّهما الله: الحِلْم، والأناة) [أخرجه مسلم]، **ومن أهم أخلاق الفرد المسلم: [التواضع]:** لقوله تعالى: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا} [الفرقان: 63]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم:)وما تواضع أحد لله إلَّا رفعه الله) [أخرجه مسلم]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (إنَّ الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحدٌ على أحد، ولا يبغي أحدٌ على أحدٍ) [أخرجه مسلم]، وضد التواضع، الكبر، وهو بَطَرُ الحق وغَمْطُ الناس، ومعنى (بطر الحق): رفض قبوله والاستعلاء عليه، ومعنى (غمط الناس)، أي احتقارهم والترفع عليهم وانتقاصهم، قال الله تعالى: {تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} [القصص: 83]، **ومن أهم أخلاق الفرد المسلم: [الرحمة]:** والله تعالى هو الرحمن الرحيم)، والرحمة من أخص أخلاق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: 107]، والرحمة من أخص أخلاق المؤمنين، أخرج البخاري ومسلم عن النُّعمان بن بشير رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (ترى المؤمنين في تراحمهم، وتوادِّهم، وتعاطفهم، كمثل الجسد إذا اشتكى عضوًا، تداعى له سائر جسده بالسَّهر والحمَّى) [متفق عليه]،

**[المفتاح السادس]: أخلاق المجتمع المسلم: وأهم هذه الأخلاق: (تآخي المسلمين في الله):** لقوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} [الحجرات: 10]، وقوله تعالى: {فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً} [آل عمران: 103]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة) [متفق عليه]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا لقي أحدكم أخاه، فليسلم عليه، فإن حالت بينهما شجرة، أو جدار، أو حجر، ثم لقيه، فليسلم عليه) [أخرجه أبوداود]، وفي المقابل حذر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من هجر المسلم لأخيه المسلم، أخرج البخاري ومسلم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله: (لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان، فيعرض هذا، ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام) [متفق عليه]، **ومن أهم أخلاق المجتمع المسلم: (التحاب في الله):** لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) [متفق عليه]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (ثلاثٌ من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، من كان الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار) [متفق عليه]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلاّ ظله)، ثم ذكر منهم: (ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه) [متفق عليه]، **ومن أهم أخلاق المجتمع المسلم: (خلق الإيثار)** : لقوله تعالى: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: 9]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو، أو قل طعام عيالهم بالمدينة، جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم) [متفق عليه]، **ومن أهم أخلاق المجتمع المسلم: (خلق التعاطف)**، لقوله تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ} [التوبة: 71]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) [متفق عليه]، **ومن أهم أخلاق المجتمع المسلم: (خلق التعاون)** : لقوله تعالى: {وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرَّ وَالتَّقْوَى} [المائدة: 2]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله

عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه) [أخرجه مسلم]، **ومن أهم أخلاق المجتمع المسلم: (خلق التناصر)**: لقوله صلى الله عليه وآله وسلم قوله: (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فقال رجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً، أرأيت إن كان ظالماً كيف أنصره؟، قال: تحجزه من الظلم فإن ذلك نصره) [رواه البخاري]، **ومن أهم أخلاق المجتمع المسلم: (خلق التكافل)**: لقول الله تعالى: {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ} [سبأ: 39]، وقوله تَعَالَى: {وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ} [البقرة: 272]، وما أخرجه الشيخان البخاري ومسلم عن عبد اللهِ بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أيُّ الإسلامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: (تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ) [متفقٌ عَلَيْهِ]، **ومن أهم أخلاق المجتمع المسلم: (البِرُّ)**: لقوله تعالى {وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى} [المائدة: 2]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (البِرُّ حسن الخلق) [أخرجه مسلم: 2553]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم (عليكم بالصِّدق، فإنَّ الصِّدق يهدي إلى البِرِّ، وإنَّ البِرَّ يهدي إلى الجنَّة) [متفق عليه]، **ومن أهم أخلاق المجتمع المسلم: (حسن الخلق)** ويشمل: التواضع والتآلف والتودد والبشاشة، حسن الظن بالمسلمين، و تعظيم حرمات المسلمين، و الحرص على المسلمين، والعفو عن المسيء منهم، والسَّتْرُ على المذنبين، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (إنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاَقاً) [متفقٌ عَلَيْهِ]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم، قَالَ: (مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ في مِيزَانِ العبدِ المُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ، وَإِنَّ الله يُبْغِضُ الفَاحِشَ البَذِيَّ) [رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (أَكْمَلُ المُؤمنينَ إيمَاناً أحسَنُهُمْ خُلُقاً) [أخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا) [متفقٌ عَلَيْهِ]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (من نفَّس عن مؤمن كُرْبة من كُرَب الدُّنيا، نفَّس الله عنه كُرْبة من كُرَب الآخرة، ومن سَتَر على مسلم، سَتَره الله في الدُّنيا والآخرة، والله في عون العبد، ما كان العبد في عون أخيه) [أخرجه مسلم]،

**[المفتاح السابع]: القيم الأخلاقية الإسلامية العالية**: إنّ الإسلام قيم أخلاقية عالية تضمن للمجتمع المسلم الفلاح والنجاح والأمن والسلام والمحبة والوئام، **والقيمة الأولى من القيم الأخلاقية العالية في دين الإسلام: طاعة أولياء الأمر واحترامهم والنصيحة لهم والصبر على أخطائهم**، وهذه القيمة

من أبرز القيم الإسلامية التي تحقق للمجتمع تماسكه وأمنه واستقراره، وقد تواترت الأدلة من الكتاب والسنّة على ترسيخ معاني تلك القيمة، ومن ذلك: قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} [النساء: 59]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (من أطاعني فقد أطاع الله ومن يعصني فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني) [أخرجه البخاري]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة) [أخرجه البخاري]، وقد ذكر الحديث العبد الحبشي كأن رأسه زبيبة، مبالغة في الأمر بالطاعة، لأنّ العبد لا يصلح للإمارة، وصغر الرأس كناية عن الحمق والطيش، ومع ذلك أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالسمع والطاعة لمن كانت هيئته كهذا، ولا شك أنّ هذه الطاعة فيما لا يدخل في معصية الله، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلاَّ أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلا سَمْعَ وَلا طَاعَةَ) [متفق عليه]، وضح الحديث مجال الطاعة وهو أن تكون في كل ما ليس بمعصية، فإن كانت معصية فلا سمع ولا طاعة ولكن مع عدم نزع اليد من الطاعة العامة لأحاديث عديدة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، منها: قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ، قَالُوا: قُلْنَا يَا رَسُولَ الله، أَفَلا نُنَابِذُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ؟، قَالَ: لا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاةَ، لا مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاةَ، أَلا مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ الله، فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ الله، وَلا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَة) [أخرجه مسلم]، يوضح الحديث أنّ هناك من الحكام من سيبلغ بهم الظلم والفساد أن نبغضهم ونلعنهم، فلا ينزع المسلمون يدهم من طاعته إلا إن بلغ بهم الأمر أن منعوا إقامة الصلوات في المساجد، وكررها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مرتين للدلالة على أهمية هذا الضابط، ( لا مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاةَ، لا مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاةَ)، وما لم يبلغ هذا الحد نكره معاصيهم بالنصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهر بالحق دون نزع اليد من الطاعة العامة، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لا يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ، وَلا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ، قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ الله إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟، قَالَ: تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ) [أخرج مسلم]، والحديث يأمرنا بالسمع والطاعة لحكام المسلمين ولو بلغ بهم الأمر أن كانوا على قلوب الشياطين يضربون ظهورنا ويسلبون أموالنا ما كانوا مسلمين، وأخرج البخاري ومسلم عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: (دَعَانَا النَّبِيُّ

صلى الله عليه وآله وسلم، فَبَايَعْنَاهُ، فَقَالَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةً عَلَيْنَا، وَأَنْ لا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ إِلا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ الله فِيهِ بُرْهَانٌ) [متفق عليه]، والحديث يأمر بالسمع والطاعة للحكام المسلمين في كل الأحوال، ويمنع من التعدي على صلاحياتهم، ويضع شروطا رصينة للخروج على الحكام أهمها التيقن من الكفر البواح الظاهر الذي لا خلاف فيه، وأخرج مسلم عَنْ وائل بن حجر رضي الله عنه قَالَ: سَأَلَ سَلَمَةُ بْنُ يَزِيدَ الْجُعْفِيُّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ الله، أَرَأَيْتَ إِنْ قَامَتْ عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسْأَلُونَا حَقَّهُمْ وَيَمْنَعُونَا حَقَّنَا فَمَا تَأْمُرُنَا، فَأَعْرَضَ عَنْهُ؟ ثُمَّ سَأَلَهُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ؟ ثُمَّ سَأَلَهُ فِي الثَّانِيَةِ أَوْ فِي الثَّالِثَةِ، فَجَذَبَهُ الأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ، وَقَالَ صلى الله عليه وآله وسلم: اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ) [أخرجه مسلم]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً وَأُمُورًا تُنْكِرُونَهَا قَالُوا فَمَا تَأْمُرُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَدُّوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ وَسَلُوا اللَّهَ حَقَّكُمْ) [متفق عليه]، وهذه الأحاديث المقصد الأساس منها هو وضع الضوابط والأسس الشرعية لضبط العلاقة بين الحاكم والمحكوم وفق ما أملت به السياسة الشرعية الإسلامية، دونما افتيات على صلاحياتهم أو تأليب عليهم وتهييج الرعية عليهم وافساد سريرتها معهم، ودونما تتبع للزلات والأخطاء الشخصية واشاعتها بين الناس، أما ما يتعلق بدين الله تعالى، فقد أمرنا الله تعالى بأعظم فريضة تتعلق بحراسة الدين والحسبة عليه، ألا وهي فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن وفق ضوابطها الشرعية التي تتلائم مع وضع الحكام المسلمين، وأهمها أن تكون في اطار احترامه وحفظ هيبته وعدم نزع اليد من طاعته، وأن يكون إنكار مناكره مشوبا بالنصح والرفق، بعيدا عن التشهير والتأليب، ولا يشهر عليه سلاحاً، ولا يجمع عليه أعواناً، **والقيمة الثانية من القيم الأخلاقية العالية في دين الإسلام: الإحسان إلى الوالدين وبرهم:** لقوله تعالى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} [النساء: 36]، وقوله تعالى: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} [الإسراء: 23، 24]، وأخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: (الصلاة على وقتها)، قلت: ثم أي؟ قال: (بر الوالدين)، قلت: ثم أي؟ قال: (الجهاد في سبيل الله) [متفق عليه]، وأخرج البخاري ومسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: من أحق

الناس بحسن صحابتي قال: (أمك)، قال ثم من قال:) ثم أمك)، قال ثم من قال: (ثم أمك)، قال ثم من قال (ثم أبوك) [متفق عليه]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم (أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ثَلَاثًا؟ قُلْنَا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الْإِشْرَاكُ بِاَللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ فَقَالَ: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ ([متفق عليه]، **والقيمة الثالثة من القيم الأخلاقية العالية في دين الإسلام: الخيرية للأهل [الأولاد والأزواج]:** لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (خيركم: خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي) [أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجة]، وقد أمره اللّه تعالى بقوله: {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا} [طه: 132]، كما أمر رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم الناس بذلك بقوله: (مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ ) [أخرجه أحمد، وأبو داود وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود: إسناده حسن صحيح]، كما خاطب الله تعالى المؤمنين بما خاطب به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ({ [التحريم: 6]، **والقيمة الرابعة: من القيم الأخلاقية العالية في دين الإسلام: صلة الأرحام:** لقوله تعالى: {وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا} [الإسراء: 26]، وقوله تعالى: {فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الروم: 38]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل رحمه) [متفق عليه]، **والقيمة الخامسة من القيم الأخلاقية العالية في دين الإسلام: (الاحسان إلى الجار):** لقوله تعالى: {وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} [النساء: 36]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه) [متفق عليه]، **والقيمة السادسة: من القيم الأخلاقية العالية في دين الإسلام: (إكرام الضيف):** لقوله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه) [متفق عليه]، **والقيمة السابعة من القيم الأخلاقية العالية في دين الإسلام: المجتمع الرباني الفاضل الذي تتوفر فيه كل معاني الأخلاق العظيمة** من التحاب في الله و التآخي في الله، والبر، والإحسان، والإيثار، والتعاطف، والتعاون، والتناصر، والتآلف، والتكافل، وحسن الظن بعموم المسلمين والعفو عن المسيء منهم،

والستر على العصاة والمذنبين والمقصرين حتى لا تشيع الفاحشة بينهم، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (إنما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاَقِ) [أخرجه أحمد وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة]،

**[المفتاح الثامن]: المبادئ الأخلاقية الإسلامية: وأهم تلك المبادئ: العدل، والإحسان، وإيتاء ذي القربى، والنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي**، وتلك المبادئ يشملها قول الله تعالى: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ * إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النحل: 89، 90]، قرأ الحسن البصري: هذه الآية: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} ثمَّ وقف فقال: إنَّ الله جمع لكم الخير كلَّه والشَّر كلَّه في آية واحدة، فو الله ما ترك العدل والإحْسَان شيئًا مِن طاعة الله عزَّ وجلَّ إلَّا جمعه، ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغي مِن معصية الله شيئًا إلَّا جَمَعه) [حلية الأولياء]، **وأول تلك المبادئ: (العدل في كل أمر)**، لقوله تعالى: {وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى} (الأنعام:152)، وقوله تعالى: {وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [الحجرات: 9]، وفي الحديث القدسي: (يا عبادي، إني حرمت الظلمَ على نفسي وجعلته بينكم محرماً، فلا تَظالموا) [أخرجه مسلم]، **والمبدأ الثاني: (الإحسان إلى كل شيء)**: قال تعالى: {وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}، وقال تعالى: {إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ}، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (إنّ الله كتب الإحْسَان على كلّ شيء) [أخرجه مسلم]، **و المبدأ الثالث من المبادئ الأخلاقية الإسلامية السامية**: (التحلي بمكارم الأخلاق)، وأولها: إِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى، ويدخل فيهم الوالدان والأولاد والأهل وذوي القرابة والرحم، لقوله تعالى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا} [النساء: 36]، **والمبدأ الرابع من المبادئ الأخلاقية الإسلامية السامية**: (النهي عن دسائس الأخلاق مما يدخل في عموم الفحشاء والمنكر والبغي)، لقوله تعالى: {وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النحل: 90]،

**[المفتاح التاسع]: لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مضرب المثل والقدرة الحسنة في حسن الخلق**: فلقد أثنى عليه الله تعالى في القرآن الكريم بقوله تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: 4]، وامتن سبحانه عليه بأن حسن خلقه فجعله ليناً للمؤمنين فقال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ

لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ} [آل عمران: 159]، ووصفه سبحانه بالرأفة و الرحمة على المؤمنين و هذا من حسن الخلق فقال عز وجل: {لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} [التوبة: 128]، وحينما سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خلقه صلى الله عليه وآله وسلم قالت (كان خلقه القرآن)، فلقد صار امتثال القرآن أمراً ونهياً خلقاً له، فما أمره به القرآن الكريم فعله و ما نهاه عنه تركه و ما جاء فيه من خلق حسن إلا و اتصف به و ما ذكر له من خلق سيئ إلا ابتعد عنه، و كان صلى الله عليه وآله وسلم حريصاً على حسن الخلق فقد كان يدعو الله أن يهديه لأحسن الأخلاق ويصرف عنه سيئها و يستعيذ بالله من منكرات الأخلاق و يدعو الله أن يحسن خلقه، فقد أخرج مسلم في صحيحه عن على رضي الله عنه، كان من دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها ولا يصرف عني سيئها إلا أنت) [أخرجه مسلم]، و أثنى الصحابة على حسن خلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهذه عائشة تقول عنه صلى الله عليه وآله وسلم: (لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاحشاً و لا متفحشاً ولا صخاباً بالأسواق ولا يجزي بالسيئة و لكن يعفو ويصفح) [أخرجه الترمذي]، و تقول رضي الله عنها عنه صلى الله عليه وآله وسلم: (ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله و ما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله) [أخرجه مسلم]، و هذا انس رضي الله عنه يقول: (خدمت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشر سنين فما قال لي أفٍ قط وما قال لي لشيء صنعته: لم صنعته؟ ولا لشيء تركته: لم تركته؟ و كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أحسن الناس خلقاً ولا مسست خزاً ولا حريراً ولا شيء ألين من كف رسول الله عليه وسلم ولا شممت مسكاً قط ولا عطراً كان أطيب من عرق النبي صلى الله عليه وآله وسلم) [متفق عليه]، و هذه أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها تقول له حينما قال لها لقد خشيت على نفسي تقول (كلا و الله ما يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم و تحمل الكل و تكسب المعدوم و تقرئ الضيف و تعين على نوائب الدهر) [متفق عليه]، **الأمة الإسلامية في أمس الحاجة إلى التصحيح الأخلاقي، وإلى التمسك بمكارم الأخلاق وعظيم الآداب، وأحسن الأخلاق**، وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أكثر ما يدخل الجنة فقال: (تقوى الله وحسن الخلق) [رواه الترمذي وابن ماجة]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق) [رواه أبو داود قال الألباني صحيح كما

في صحيح الجامع ح 5721]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (أكـمل المؤمنين إيماناً أحسنـهم خلقاً)، [أخرجه أحمد والترمذي وأبو داود وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي 1/340]، كما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حصر دعوته في حسن الخلق، قال: (إنما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاَقِ) [أخرجه البخاري في الأدب المفرد و الحاكم في المستدرك وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وأخرجه الإمام أحمد في المسند، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (45)]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم) [أخرجه أبو داود، وصححه الألباني في صحيح أبي داود]، وقد تكفل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه، قال رسول الله: (أنا زعيم بيت في أعلى الجـنة لمن حسن خلقه) [أخرجه أبو داود وحسنه الألباني في صحيح أبي داود]، وأحب الناس وأقربهم إلى رسول الله صاحب الخلق الحسن، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقاً) [أخرجه الترمذي: برقم 2018]، **إن الإسلام جاء ليتمم مكارم الأخلاق، ولا صلاح للمسلمين إلا بامتثال أخلاق الإسلام**، ولهذا قال النبي: (إنما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاَقِ) [أخرجه الإمام أحمد]، ولقد تعددت الآيات القرآنيَّة المتعلقة بموضوع الأخلاق، والدعوة إلى أحسنها والنهي عن سيئها، ومن ذلك: قوله تعالى: {وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا}، وقوله تعالى: {وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا}، وقوله تعالى: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}، وقوله تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}، وقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ}، **إن حسن الخلق في الإسلام** تعدى الإنسان ليشمل الحيوان كما في الحديث الذي رواه مسلم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته)، وجاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال صلى الله عليه وآله وسلم: (بينما رجل يمشي بطريق، اشتد عليه العطش، فوجد بئرا فنزل فيها، فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي، فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه، فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له، قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجرا؟ فقال: في كل ذات كبد رطبة أجر)، فحسن الخلق في الإسلام يمتد ليشمل كل الكائنات الحية ولذلك جاءت

الأحاديث الصحيحة تدلنا على أنّ الله تعالى غفر لبغى من بنى إسرائيل سقت كلباً يلهث من العطش، ودخلت امرأة النار في هرة حبستها لا هي أطعمتها وسقتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض [أخرجه البخاري]، **لقد بلغ من أهمية جانب الأخلاق في دين الإسلام القيم:** أن العبادات ربما تذهب آثارها ويضيع ثوابها بسبب سوء أخلاق أصحابها، كما جاء في الحديث: (قيل للنبي صلى الله عليه و سلم: إن فلانة تقوم الليل وتصوم النهار وتفعل، وتتصدق، ولكنها تؤذي جيرانها بلسانها؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا خير فيها، هي من أهل النار، قالوا: وفلانة تصلي المكتوبة، و تصدق بأثوار، ولا تؤذي أحدا؟ فقال رسول الله: هي من أهل الجنة) [أخرجه البخاري في الأدب المفرد]، لقد فتح المسلمون الأوائل بحسن أخلاقهم بلادا لم تفتحها السيوف، وعجزت عن الوصول إليها الجيوش، ففتحها المؤمنون بأخلاقهم، لما رأى الكفار ما هم عليه من مكارم الأخلاق،

**[المفتاح العاشر]: لقد أجمع أهل التصوف:** على أن الآفات القلبية والأمراض الأخلاقية كالكبر والشح والحقد والغش والغضب والعداوة والبغضاء والطمع والبخل والبطر والخيلاء والخيانة من الذنوب والكبائر القلبية التي تحتاج إلى توبة وطهارة وغالبها لا **ينفك عنها بشر، وأنه لابد من معالجة هذه** الأمراض القلبية والأخلاق السيئة، **عبر تخلية القلب واللسان والجوارح وتطهيرها من الأخلاق السيئة،** عملاً بقوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ} [الْأَعراف: 33]، وقوله تعالى: {وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ} [الْأَنعام: 151]، **وعبر تحلية القلب واللسان والجوارح بالأخلاق الحسنة،** لقوله تعالى: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا}، و **(الصوفي الحق)** يجتهد قصارى جهده في التخلق بأخلاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم العظيمة، **لذا نجد من أخلاقه: (التواضع)**، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الله تعالى أوحى إلي أن تواضعوا ولا يبغي بعضكم على بعض) [أخرجه مسلم]، ومن أخلاقه المداراة واحتمال الأذى من الخلق: لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (المؤمن الذي يعاشر الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم) [أخرجه الترمذي]، **ومن أخلاقه الإيثار والمواساة،** يؤثرون بالموجود ويصبرون على المفقود، لقوله تعالى: {ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة} [الحشر: 9]، **ومن أخلاقه التجاوز والعفو ومقابلة السيئة بالحسنة،** لقوله تعالى: {والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين}، **ومن أخلاقه البشر وطلاقة الوجه،** فالصوفي بكاؤه في خلوته وبشره وطلاقة وجهه مع الناس، لقوله

صلى الله عليه وآله وسلم: (كل معروف صدقة وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق) [أخرجه الترمذي]، **ومن أخلاقه التودد والتآلف** والموافقة مع الإخوان وترك المخالفة لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (المؤمن يألف ويؤلف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف) [الجامع الصغير للسيوطي]، **ومن أخلاقه أن يكون هينا لينا ينقاد في الخير للصغير كما ينقاد الجمل**، لقوله تعالى: {ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك} [آل عمران: 159]، ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (لينوا في يد إخوانكم) [أخرجه أبو داود]، (الصوفي الحق) أخلاقه ما هي إلا صورة عن أخلاق سيد الخلق صلى الله عليه وآله وسلم، وقد وصفه الله تعالى بقوله: {وإنك على خلق عظيم} [القلم: 4]، فهو مثال لهذا الخلق العظيم، فلا يخاصم أحدا على حقه، ولا يطالب أحدا بحق، وهو يتغافل عن الزلة، وينسى الأذية، وهو يقرب من يقصيه، ويكرم من يؤذيه، ويعتذر إلى من يجنى عليه بسماحة نفس وطيب خاطر، وهو يصل من قطعه، ويعطي من حرمه، ويعفو عمن ظلمه، ويحسن إلى من أساء إليه، يترك ما لا يعنيه، (الصوفية الحقة): هم أهل الفتــوة: أهل كف الأذى، وبذل الندى، ومساعدة الآخرين، وهم أهل الإيثار والكرم، وهم مضرب المثل في صلة الإخوان والأرحام، ومساعدة أصحاب الحوائج في قضائها، هذه اخلاق اهل التصوف،

***

## المبحث التاسع والثلاثون

## قواعد التصوف

من أجل الكتب التي تحدثت عن قواعد التصوف ما كتبه أبو العباس أحمد أحمد محمد زروق في كتابه (قواعد التصوف)، قال في مقدمته: (القصد بهذا المختصر وفصوله تمهيد قواعد التصوف وأصوله على وجه يجمع بين الشريعة والحقيقة، ويصل الأصول بالفقه بالطريقة)، وقد اخترت سبعين قاعدة من أهم تلك القواعد والدرر التي حواها كتابه بإيجاز:

(1) أصل التصوف مقام الإحسان الذي فسره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، فالتصوف أحد أجزاء الدين الذي علمه عليه السلام جبريل، ليتعلمه الصحابة رضى الله عنهم،

(2) حد التصوف ورسم وفسر بوجوه تبلغ نحو الألفين، مرجع كلها لصدق التوجه الى الله تعالى، وإنما هي وجوه فيه، والله أعلم،

(3) صدق التوجه مشروط بكونه من حيث يرضاه الحق تعالى وبما يرضاه الحق تعالى، فلا تصوف إلا بفقه، إذ لا تعرف أحكام الله الظاهرة إلا منه، ولا فقه إلا بتصوف، إذ لا بصدق وتوجه، ولا هما إلا بإيمان، إذ لا يصح واحد منهما بدونه، فلزم الجميع لتلازمها في الحكم كتلازم الأرواح للأجساد، ولا وجود لها إلا فيها، كما لا حياة لها إلا بها،

(4) أفضلية علم التصوف على غيره: العلم بفائدة الشيء ونتيجته باعث على التهمم به، والأخذ في طلبه لتعلق النفس بما يفيدها وإن وافقها، وإلا فعلى العكس، وقد صح أن شرف الشيء بشرف متعلقه، ولا أشرف من متعلق علم التصوف، لأن مبدأه خشية الله التي هي نتيجة معرفته ومقدمة إتباع أمره، وغايته إفراد القلب له تعالى، فلذلك قال الجنيد رضي الله عنه: (لو علمت أن تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم الذي نتكلم فيه مع أصحابنا لسعيت إليه) انتهى، وهو واضح،

(5) مخاطبة الناس على قدر عقولهم: في كل علم ما يُخص ويُعم، فليس التصوف بأولى من غيره في عمومه وخصوصه، بل يلزم بذل أحكام الله المتعلقة بالمعاملات من كل، عموماً وما وراء ذلك على حسب قابله لا على قدر قائله، لحديث: (حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله) وقيل للجنيد رحمه الله: يسألك الرجلان عن المسألة الواحدة، فتجيب هذا بخلاف ما تجيب هذا؟ فقال: (الجواب على قدر السائل)، قال عليه السلام: (أمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم)،

(6) تقديم الأهم على المهم شأن الصادقين في كل شيء: فكل من طلب من علوم القوم رقيقها قبل علمه بجملة أحكام العبودية منها، وعدل عن جليّ الأحكام إلى غامضها، فهو مخدوع بهواه، لا سيما إن لم يُحكم الظواهر الفقهية للعبادات، ويحقق الفارق بين البدعة والسنة في الأحوال، ويطالب نفسه بالتحلي قبل التخلي، أو يدعي لها ذلك، وفي الحكم: (تشوفك إلى ما بطن فيك من العيوب، خير من تشوفك إلى ما حجب عنك من الغيوب) انتهى وهو عجيب،

(7) الغيرة على علوم الصوفية وحماية العوام من التعلق بالخاص منها، فالأعمال للعامة والأحوال للمريدين والفوائد للعابدين والحقائق للعارفين، والعبارات قوت لعائلة المستمعين وليس لك إلا ما أنت له آكل، فافهم،

(8) التصوف لا يُعرف إلا مع العمل به: فالاستظهار به دون عمل تدليس، وإن كان العمل شرط كماله، وقد قيل: (العلم بالعمل فإن وجده وإلا ارتحل) أعاذنا الله من علم بلا عمل آمين،

(9) شرط العلم للعمل: لا يصلح العمل بالشيء إلا بعد معرفة حكمه ووجهه، فقول القائل لا أتعلم حتى أعمل كقوله لا أتداوى حتى تذهب علته، فهو لا يتداوى ولا تذهب علته، ولكن العلم ثم العمل ثم النشر ثم الإجادة، وبالله التوفيق،

(10) كيفية تحصيل علم التصوف: دقائق علوم الصوفية منح إلهية، ومواهب اختصاصية، لا تنال بمعتاد الطلب فلزم مراعاة وجه ذلك وهو ثلاثة: أولها: العمل بما علم قدر الاستطاعة، الثاني: اللجأ إلى الله في الفتح على قدر الهمة، الثالث: إطلاق النظر في المعاني حال الرجوع لأصل السنة ليجري الفهم وينتفي الخطأ ويتيسر الفتح، وقد أشار الجنيد رحمه الله لذلك بقوله (ما أخذنا التصوف عن القيل والقال والمراء والجدال، وإنما أخذناه عن الجوع والسهر وملازمة الأعمال)، أو كما قال: وعنه عليه الصلاة والسلام (من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم)،

(11) أهل هذا الطريق مبتلون بتسليط الخلق: ما ظهرت حقيقة في الوجود إلا قوبلت بدعوى مثلها، وإدخال ما ليس فيها منها عليها ووجود تكذيبها، كل ذلك ليظهر فضل الاستئثار بها وتتبين حقيقتها بانتفاء معارضها، {فَيَنْسَخُ اللَّهُ ما يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ}، وللوارث نسبة من الموروث، وأشدّ الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل، إنما يبتلي الرجل على قدر دينه فمن ثم كان أهل هذا الطريق مبتلين بتسليط الخلق أولا وبإكرامهم وسطا وبهما آخرا، قيل لئلا يفوتهم الشكر

على المدح ولا الصبر على الذم فمن أراده فليوطن نفسه على الشدة، {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا}، {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}،

(12) من علم التصوف ما تتناوله الإشارة ولا تحتمله العبارة، ثم هو منقسم لما يدخل تحت دائرة الأحكام، ومنه ما لا يدخل تحت دائرة العبارة، وإن كان مما تتناوله الإشارة، ومنه ما لا تفهمه الضمائر، وإن أشارت إليه الحقائق، مع وضوحه عند مشاهده وتحقيقه عند متلقيه،

(13) صوفي الفقهاء أكمل من فقيه الصوفية: حكم الفقه عام في العموم، لأن مقصده إقامة رسم الدين، ورفع مناره، وإظهار كلمته، وحكم التصوف خاص في الخصوص، لأنه معاملة بين العبد وربّه، من غير زائد على ذلك، فمن ثمّ صح إنكار الفقيه على الصوفي، ولا يصح إنكار الصوفي على الفقيه، ولزم الرجوع من التصوف للفقه في الأحكام والحقائق، لا بالنبذ والترك وصح الاكتفاء به دونه، ولم يكف التصوف عن الفقه، بل لا يصح دونه، ولا يجوز الرجوع منه إليه إلا به، وإن كان أعلى منه رتبة فهو أسلم وأعم مصلحة، وفي ذلك قيل: (كن فقيها صوفيا، ولا تكن صوفيا فقيها)، وصوفي الفقهاء أكمل من فقيه الصوفية وأسلم، لأن صوفي الفقهاء قد تحقق بالتصوف حالاً وعملاً وذوقاً، بخلاف فقيه الصوفية فإنّه المتمكن من علمه وحاله، ولا يتم له ذلك إلا بفقه صحيح وذوق صريح، ولا يصلح له أحدهما بدون الآخر، كالطبيب الذي لا يكتفي علمه عن التجربة ولا العكس، فافهم،

(14) لا تجعل لأحد من أهل الظاهر حجة على أهل الباطن، إذ كل باطن مجرد عن الظواهر باطل، والحقيقة ما عقد بالشريعة، فافهم،

(15) مدار الفقه على ما يسقط به الحرج، ومدار التصوف على طلب الكمال، ومرجعه لتحقيق الأكمل حكماً وحكمة،

(16) الصوفي من عامل الحق بالحقيقة والخلق بالشريعة: قال ابن الجلاء رحمه الله: (من عامل الحق بالحقيقة، والخلق بالحقيقة، فهو زنديق، ومن عامل الحق بالشريعة، والخلق بالشريعة فهو سنيّ، ومن عامل الحق بالحقيقة، والخلق بالشريعة فهو صوفيّ)، انتهى، وهو عجيب، فمثال الزنديق: الجبري الذي يريد إبطال الحكمة والأحكام، ومثال السني: ما وقع في حديث الثلاثة الذين اشتد عليهم الغار، فسأل الله كل واحد بأفضل أعماله كما صح، وعضدته ظواهر الأدلة ترغيباً وترهيباً والله

أعلم، ومثال الصوفي: حديث الرجل الذي استلف من رجل ألف دينار فقال: أبغني شاهداً، فقال: (كفى بالله شهيداً)، فقال: أبغني كفيلاً، فقال: (كفى بالله كفيلاً)، فرضي، ثم لما حضر الأجل، خرج يلتمس مركباً فلم يجده، فنقر خشبة، وجعل فيها الألف دينار، ورقعة تقتضي الحكاية، وأبذلها للذي رضي به وهو الله سبحانه فوصلت، ثم جاءه بألف أخرى وفاءً بحق الشريعة، أخرجهما البخاري في جامعه، ومنه: {إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً}، الإنسان، فجعل متعلق الخوف مجرداً عن حامل العمل والله أعلم، وقد قال رجل للشبلي رحمه الله: (كم في خمس من الإبل؟ قال: شاة في الواجب، فأما عندنا فكلها لله، قال له: فما أصلك في ذلك؟ قال: أبو بكر حين خرج عن ماله كله لله ورسوله، ثم قال: فمن خرج عن ماله كله لله فإمامه أبو بكر، ومن خرج عن بعضه فإمامه عثمان، ومن ترك الدنيا لأهلها، فإمامه علي رضي الله عنهم، وكل علم لا يؤدي إلى ترك الدنيا فليس بعلم)، انتهى وهو عظيم في بابه،

(17) غلاة المتصوفة كأهل الأهواء من الأصوليين، وكالمطعون عليهم من المتفقهين، يرد قولهم، ويتجنب فعلهم، ولا يترك المذهب الحق الثابت بنسبتهم له وظهورهم فيه والله أعلم،

(18) السبب في تأخر تدوين قواعد علم التصوف: أنه لما كانت دلالة التصوف بجملته على التوجه إلى الله من حيث يرضى، كَفت أوائله مع التزام واتباع الفقه، فكان الاعتناء بعمله، أكثر من علمه، ومن ثم لم تدون قواعده، ولم تمهد أصوله، وإن أشار إليها أئمته كالسلمي في فصوله، والقشيري في رسالته، والله أعلم،

(19) المتقدم في العلم ليس بأولى من المتأخر: إذا حُقق أصل العلم، وعرفت مواده وجرت فروعه، ولاحت أصوله، كان الفهم فيه مبذولاً بين أهله، فليس المتقدم فيه بأولى من المتأخر، وإن كانت له فضيلة السبق، فالعلم حاكم، ونظر المتأخر أتم، لأنه زائد على المتقدم والفتح من الله مأمول لكل أحد، ولله در ابن مالك رحمه الله حيث يقول: (إذا كانت العلوم منحاً إلهية، ومواهب اختصاصية، فغير مستبعد أن يدخر لبعض المتأخرين ما عسر على كثير من المتقدمين)، نعوذ بالله من حسد يسدّ باب الإنصاف، ويصد عن جميل الأوصاف، انتهى وهو عجيب،

(20) إتيان المتأخر بما لم يسبق إليه لا يلزم منه القدح في المتقدم، ولا إساءة الأدب معه، لأن ما ثبت من عدالة المتقدم، قاض برجوعه للحق عند بيانه لو سمعه فهو ملزوم به، إن أدى لنقض قوله

مع حقيقته لا أرجحيته، إذ الاحتمال ثبت له، ومن ثم خالف أئمة متأخري الأمة أولها، ولم يكن قدحاً في واحد منهما، فافهم،

(21) مبنى الحال على التسليم والتصديق وصاحب الحال لا يقتدى به،

(22) لا متبع إلا المعصوم، لانتفاء الخطأ عنه، أو من شهد له بالفضل، ولكل فن في هذا القرن أئمة مشهور فضلهم، علماً وورعاً كمالك، والشافعي، وأحمد، وأبو حنيفة النعمان، للفقه، وكالجنيد، ومعروف، وبشر، للتصوف، وكالمحاسبي لذلك وللاعتقادات،

(23) ما دوّن من كلام الأئمة في كل فن، فهو حجة لثبوته بتداوله، ومعرفة أصله، وصحة معناه، واتضاح مبناه، وتداوله بين أهله، واشتهار مسائله عند أئمته، مع اتصال كلٍ عمن قبله، فلذلك صح اتباعها ولزم، وإن انقرضت الرواية في أفرادها، وغير المدونة ليست كذلك، فلا يصح الأخذ بها لانقراض حملتها، واحتمال جملتها، وقد يخص ذلك ويعم، كانقراض مذهب الليثي، والسفيانين – سفيان بن عيينة وسفيان الثوري – عموماً وسائر المذاهب، سوى المالكي من المغرب، والشافعي بالعجم، والحنفي بالروم، فأما الحنبلي، فلم يوجد إلا مع غيره، فلزم كل ما تمكن معرفة صحة نقله، لا ما احتمل، ولهذا أفتى سحنون بأنه لا يفتى بالمغرب بغير مذهب مالك، ونحوه لابن الكاتب وعند أهل مصر أن العامي، لا مذهب له لتوفر المذاهب في حقه عندهم، حتى رأيت لهم على ذلك فروعاً جمة وفتاوى، والله أعلم،

(24) تشعب الأصل قاض بالتشعب في الفرع، فلزم ضبط الفرع بأصل يرجع إليه فقهاً، وأصولاً، وتصوفاً، فلا يصح قول من قال: (الصوفي لا مذهب له)، إلا من جهة اختياره في المذهب الواحد، أحسنه دليلاً، أو قصداً، أو احتياطاً، أو غير ذلك مما يوصله لحاله، وإلا فقد كان الجنيد ثورياً، وكان الشبلي مالكياً، والجريري حنفياً، والمحاسبي شافعياً، وهم أئمة الطريقة وعمدتها،

(25) وقوع الموهم والمبهم، والمشكل في النصوص الشرعية: ليميز الله الخبيث من الطيب، وتظهر مراتب الإيمان لأهلها، قال تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ}، آل عمران،

(26) حكم آل البيت: أحكام الصفات الربانية لا تتبدل، وآثارها لا تنتقل، فمن ثم قال الحاتمي رحمه الله: (يعتقد في أهل البيت أن الله تعالى تجاوز عن جميع سيئاتهم، لا بعمل عملوه، ولا بصالح قدموه، بل بسابق عناية من الله لهم، إذ قال تعالى: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً}، الأحزاب، فعلق الحكم بالإرادة التي لا تتبدل أحكامها، فلا يحل لمسلم أن ينتقص، ولا أن يشنأ عرض من شهد الله تعالى بتطهيره وذهاب الرجز عنه، والعقوق لا يخرج عن النسب، ما لم يذهب أصل النسبة وهو الإيمان، وما تعين عليهم من الحقوق فأيدينا فيهم نائبة عن الشريعة وما نحن في ذلك إلا كالعبد، يؤدب ابن سيده بإذنه، فيقوم بأمر السيد، ولا يهمل فضل الولد، وقد قال تعالى: {ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ}، الشورى، قال ابن عباس: أي إلا أن تودّوا قرابتي، وما نزل بنا من قبلهم من الظلم ننزله منزلة القضاء الذي لا سبب له، إذ قال صلى الله عليه وآله وسلم: (فاطمة بضعة مني يريبني ما يريبها)، وللجزء من الحرمة ما للكل، وقد قال تعالى: {وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً}، الكهف، فأثنى بصلاح الأب، فما ظنك بنبوته، إذا كان هذا في أولاد الصالحين، فما ظنك بأولاد الأولياء، وإذا كان هذا في أولاد الأولياء، فما ظنك بأولاد الأنبياء، وإذا كان هذا في أولاد الأنبياء، فما ظنك بأولاد المرسلين، بل قل لي: بماذا تعبر عن أولاد سيد المرسلين، فبان أن لهم من الفضل ما لا يقدر قدره غير من خصصهم به فافهم،

(27) إنما وضعت التراجم لتعريف المناصب، فمن عرفت رتبته كانت الترجمة له تكلفا غير مفيدة في ذاته، ومن جهلت رتبته لزم عند ذكره الإتيان بما يشعر برتبته، ومن هذه القاعدة جاز أن يقال: (روى أبو بكر، وقال عمر، وعمل عثمان، وسمع علي، وكان ابن المسيب، وأخبر ابن سيرين، وقال الحسن، وذهب مالك، وحُكِيَ عن الجنيد) إلى غير ذلك، والله أعلم،

(28) نظر الصوفي للمعاملات، أخص من نظر الفقيه، إذ الفقيه يعتبر ما يسقط به الحرج، والصوفي ينظر فيما يحصل به الكمال، وأخص أيضاً من نظر الأصولي، لأن الأصولي يعتبر ما يصح به المعتقد، والصوفي ينظر فيما يتقوى به اليقين، وأخص أيضاً من نظر المفسر وصاحب فقه الحديث،

لأن كلاً منهما يعتبر الحكم والمعنى ليس إلا، وهو يزيد بطلب الإشارة بعد إثبات ما أثبتناه، وإلا فهو باطني خارج الشريعة، فضلاً عن المتصوفة، والله سبحانه أعلم،

(29) تنوع الفرع بتنوع أصله، وأصل التصوف هو مقام الإحسان، وهو متنوع إلى نوعين: أحدهما: بدل من الآخر، هما أن تعبد الله كأنك تراه، وإلا فإنه يراك، فالأول رتبة العارف، والثاني: رتبة من دونه، وعلى الأول يحوم الشاذلية ومن نحا نحوهم، وعن الثاني يحوم الغزالي ومن نحا نحوه،

(30) في اختلاف المسالك راحة للسالك، وإعانة على ما أراد من بلوغ الأرب والتوصل بالمراد، فلذلك اختلف طرق القوم ووجوه سلوكهم، فمن ناسك يؤثر الفضائل بكل حال، ومن عابد يتمسك بصحيح الأعمال، ومن زاهد يفر من الخلائق، ومن عارف يتعلق بالحقائق، ومن ورع يحقق المقام بالاحتياط، ومن متمسك يتعلق بالقوم في كل مناط، ومن مريد يقوم بمعاملة البساط، والكل في دائرة الحق بإقامة حق الشريعة والفرار من كل ذميمة وشنيعة،

(31) اتباع الأحسن أبدا، محبوب طبعا، مطلوب شرعا، {الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب}، ولذا بُني التصوف على اتباع الأحسن، حتى قال ابن العريف رحمه الله تعالى: (السرّ الأعظم في طريق الإرادة، الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه)، والاستحسان يختلف باختلاف نظر المستحسن، والله سبحانه أعلم،

(32) تعدد وجوه الحسن، يقضي بتعدد الاستحسان، فمن ثم كان لكل فريق طريق: فللعامي تصوف حوته كتب المحاسبي، ومن نحا نحوه، وللفقيه تصوف رحاه ابن الحاج في مدخله، وللمحدث تصوف حام حوله ابن العربي في سراجه، وللعابد تصوف دار عليه الغزالي في منهاجه، وللمتريض تصوف نبه عليه القشيري في رسالته، وللناسك تصوف حواه القوت والإحياء، وللحكيم تصوف أدخله الحاتمي في كتبه، وللمنطقي تصوف نحا إليه ابن سبعين في تآليفه، وللطبائعي تصوف جاء به البوني في أسراره، وللأصولي تصوف قام الشاذلي بتحقيقه، فليعتبر كل بأصله من محله، وبالله التوفيق،

(33) إنما يؤخذ علم كل شيء من أربابه: فلا يعتمد صوفي في الفقه، إلا أن يعرف قيامه عليه، ولا فقيه في التصوف، إلا أن يعرف تحقيقه له، ولا محدث فيهما، إلا أن يعلم قيامه بهما، فلزم طلب الفقه من قبل الفقهاء لمريد التصوف، وإنما يرجع لأهل الطريقة، فيما يختص بصلاح باطنه من

ذلك، ومن غيره، ولذلك كان الشيخ أبو محمد المرجاني رضي الله عنه، يأمر أصحابه بالرجوع للفقهاء في مسائل الفقه، وإن كان عارفاً بها، فافهم،

(34) الفرق بين الناسك والعابد والورع والزاهد والعارف والمريد: النسك: الأخذ بكل ممكن من الفضائل، من غير مراعاة لغير ذلك، فإن رام التحقيق في ذلك فهو العابد، وإن مال إلى الأخذ بالأحوط فهو الورع، وإن آثر جانب الترك طلباً للسلامة فهو الزاهد، وإن أرسل نفسه مع مراد الحق فهو العارف، وإن أخذ بالتخلق والتعلق فهو المريد،

(35) النظر في كتب التصوف وما يتشعب فيها مفيد لمن له أصل يرجع إليه، فنظر المتسعات كالقوت (كتاب قوت القلوب لأبي طالب مكي)، والإحياء (كتاب إحياء علوم الدين) ونحوهما، نافع لمن له طريق يقتفيها بعلم أو عمل أو حال، فلذلك قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: كتاب قوت القلوب، يورثك النور، وكتاب إحياء علوم الدين يورثك العلم، انتهى وما جرا مجراهما فهو على حكمهما، والله سبحانه أعلم،

(36) تحريم الخروج عن الإمام بقول أو فعل: حفظ النظام واجب، ومراعاة المصلحة العامة لازم، فلذا أجمعوا على تحريم الخروج عن الإمام، بقول أو فعل حتى أن جز في إجماعهم على الصلاة خلف كل بر وفاجر من الولاة وغيرهم ما لم يكن فسقه في عين الصلاة، وكذا يرون الجهاد مع كل أمير من المسلمين، وإن كان فاجرا لا غيره، وزعم ابن مجاهد إجماع المسلمين، وأنكره ابن حزم، وفيه كلام لهما، والمعول، المنع بكل حال، فلقد قال عليه الصلاة والسلام: (ما سب قوم أميرهم إلا حرموا خيره)، وقال عليه الصلاة والسلام (المؤمن لا يذل نفسه)، قال ابن عباس: يتعرض للسلطان وليس له منه النصف، وفي الترمذي: (ما مشى قوم إلى السلطان شبرا ليذلوه، إلا أذلهم الله تعالى) إلى غير ذلك مما يطول ذكره، ويجمعه قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)، والقوم أهرب الناس مما لا يعنى، والله سبحانه أعلم،

(37) محمل كلام القوم في ذم الرخص والتأويلات هو في كل مشكوك الحكم لا في المحقق، وعليه يتنزل قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الله يحب أن تؤتى رخصة كما يكره أن تترك عزائمه)، لا على الرخصة المختلف في حكمها، إذ الورع مطلوب في كل مشكوك الحكم، بخلاف المحقق، فإن تركه تنطع، وعلى هذا الأخير يتنزل كلام القوم في ذم الرخص، والتأويلات، والله أعلم،

(38) المقصود موافقة الحق حتى إن كان موافقا للهوى: حتى قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: (إذا وافق الحق الهوى، فذلك الشهد بالزبد)، وقد أغرق قوم في مخالفة النفس، حتى خالفوا الحق في طي ذلك، ومنه استئذانهم في الواجب والضروري الذي لا يمكن انفكاكه، وتركهم جملة من السنن، لإلفها مع ترك ما ألفوا منها، وهذا وإن كان مؤثرا في النفس، فهو مثير للباطل وسائر بصاحبه لعكس القصد، نسأل الله العافية،

(39) الأجر على قدر الاتباع لا على قدر المشقة و (خير دينكم أيسره)، وقوله عليه الصلاة والسلام: (أجرك على قدر نصبك) إخبار خاص في خاص لا يلزم عمومه، سيما وما خير في أمرين إلا اختار أيسرهما مع قوله: (إن أعلمكم بالله وأتقاكم لله أنا)،

(40) التشديد في العبادة منهي عنه، كالتراخي عنها: والتوسط: أخذ بالطرفين، فهو أحسن الأمور كما جاء: (خير الأمور أوسطها)، {وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً}، {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً}، قال عليه السلام: (أما أنا فأقوم وأنام، وأصوم وأفطر)، وكان يقوم من الليل نصفه، وثلثه، وثلثيه، وهو الوسط باعتبار من يأتي على كله، أو لا يقوم منه إلا اليسير، وكذلك رد عبد الله بن عمر للوسط بصيام نصف الدهر وقيام نصف الليل، وختم القرآن في سبع إلى غير ذلك، فلزم التوسط في كل مكتسب، لأنه أرفق بالنفس وأبقى للعبادة،

(41) ما رُكب في الطباع معين للنفس على ما تريد حسب قواها، فلذا قيل: إذا علم الصغير ما تميل إليه نفسه من المباحات، خرج إماما فيها، وإذا انتحل المريد ما ترجحه حقيقته من الأذكار والأوراد، كان معينا على مقصده بدوامه، فإنه ما قصر جسد عن مهمته ويعين الله العبد على قدر نيته، ما دخل بانبساط كان أدعى للدوام، وقد أشار لهذه الجملة في تاج العروس، وتكلم عليها الشيخ ابن أبي جمرة في حديث حذيفة إذ قال: (كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الخير) والله أعلم،

(42) طلب الشيء بوجه واحد مع الإلحاح أقرب لنواله، وأدعى لدوام سببه المطلوب في نفسه لإفراد الحقيقة له، فلزم التزام ورده لا تنتقل عنه حتى تحصل نتائجه، وإلا فالمنتقل قبل الفتح كحافر

بئر لا يدم على محل واحد، كالمقطر قطرة، على كل محل يريد تأثير المحل بالنظر أثرا يظهر لعمله مع ذلك أثر

(43) دوام الشيء بدوام ما رتب عليه، وثوابه على قدر نيته، ورتبته على قدر التقرب به، والله تعالى دائم الربوبية فأحكام عبوديته دائمة على خلقه لا ترتفع عنهم وأجل العباد عنده من عبده، لأنه أهل للعبادة، مع رجائه والخوف منه أو الهيبة أو الحياء ونحوه فافهم والله سبحانه أعلم،

(44) العبد لا يأمن مكر الله ولا ييأس من روح الله، بساط الكرم قاض بان الله تعالى لا يتعاظمه ذنب يغفره، وبساط الجلال قاض بان الله تعالى يأخذ العاصي ولا يمهله، فلزم أن يكون العبد ناظراً لهما في عموم أوقاته، حتى لو أطاع بأعظم الطاعات، لم يأمن مكر الله، ولو عصى بأعظم المعاصي لم ييأس من روح الله، وبحسب ذلك، فهو يتقي الله ما استطاع، ويتوب إليه، ولو عاد في اليوم ألف مرة، فافهم،

(45) السبحة وعقد الذكر بالأصابع: لعقد الأعداد وجه في والشرع إذ قال صلى الله عليه وآله وسلم لنساء من المؤمنات: (واعقدن بالأصابع فإنهن مسؤولات مستنطقات)، وأقر بعض أزواجه على تسبيحها في نوى كان بين يديها، وكان لأبي هريرة خيط قد ربط فيه خمسمائة عقدة يسبح فيها، قيل: والسبحة أعون على الذكر وأدعى للدوام، وأجمع للفكر، وأقرب للحضور، وأعظم للثواب، إذ له ثواب أعدادها وما تعطلت فيه لضرورة أو تعطل منها لغلط ونحوه، لتعيينها وفي تحصيل ثواب ذكر جامع لعدد، كقول: (سبحانه الله عدد خلقه) على ما هو به مع تضعيفه أو دونه، أو لغوه أقوال، وصحح بلا تضعيف، قيل: وذوات الأسباب كتسبيح التعجب أفضل من مطلقها فيترك المطلق للمقيد في وقته، والله سبحانه اعلم،

(46) التغزل، والندب، والإشارة، والتعريج، دليل البعد عن وجود المشاهدة، إذ الجلال والجمال مانع، ومن ظهر نور الحق على قلبه، لم يبق فيه نصيب لغيره، فيكون ما جاء عنه أشهى إليه من الماء البارد، (بل لا يجد في نفسه بقية تقبل ما سواه، ولا تتسع لرؤية غيره، ورؤية المحبوب توجب العمى عن غيره ما سدة وهو لا فلا يذكر إلا بذكره)، ولهذا قل شعر المحققين من الأكابر، كالجنيد، والشيخ أبي محمد عبد القادر، والشاذلي، ونحوهم، ولهم أسوة في الأكابر من الصحابة، إذ كانوا

اعلم الناس به، ولكنهم لم يذكروه إلا في محل لا يشير بشيء من الحقائق، وإن كانت مضمنة فيه، فعلى قدره، والله اعلم،

(47) منع السماع في حق من علم غلبة عقله به، حفظ العقول واجب، ولا يجوز قطع الخرق، وإن دخل فيه على المكارمة لإضاعة المال، ولا يجوز أن يدخل مع القوم من ليس منهم، وإن كان عابدا أو زاهدا، لا يقول بالسماع ولا يراه، وكذا العارف لأن حاله أتم، فيؤدي لاغتيابه الجماعة بالنقص (وصورة الهوى) واغتيابهم له،

(48) يعذر الواجد بحالة لا يملك نفسه فيها، وله حكم المجنون في حاله، بسقوط اعتبار أفعاله، وعدم جري الأحكام عليه إن تحقق وجود الحالة منه، ويلزمه استدراك الفائت كالسكران لتسببه في الأصل، وينتفي جواز الاقتداء به كتواجد النوري في قيامه للسيف إيثارا، وإلا فهو إعانة على قتل نفسه، وكحالة أبي حمزة في بقائه في البئر حتى خرج بمهلكة، وكحالة الشبلي في حلق لحيته وإلقائه المال في البحر عند شعوره ببخله، إلى غير ذلك مما لا يوافق الشرع من ظاهر أعمالهم التي حمل عليها غالب الوجد كما هو ظاهر من حكاياتهم، فلهم فيها حكم المجانين، ومن ذلك الرقص ونحوه، وبالجملة فلا عتب على معذور لم يقصد المخالفة بوجه لا يمكنه غير ما فعل لعدم ضبط حركاته،

(49) يجوز التشبه بأهل الخير في زيهم إلا إن قصد التلبيس والتغرير لحديث: (من تشبه بقوم فهو منهم)، لأنه مؤذن بالمحبة، وقد صح: (الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم قال: أنت مع من أحببت)، فجاز التشبه بأهل الخير في زيهم إلا أن قصد التلبيس والتغرير، كلباس المرقعة، وأخذ السبحة والعصا، والسجادة والأصباغ ونحوه لما في ذلك مما ذكر، ومن حماية النفس عن كبائر لا يمكن معه وإن أمكنت، فلا تمكن المجاهدة بها، ثم لباس المرقعة أعون على دفع الكلف، وأذهب للكبر، واقرب للحق مع الاقتداء بعمر رضي الله عنه، إذ لبسها مع وجود غيرها لصلاح قلبه، إلا تراه يقول حين البس غيرها قال: أنكرت نفسي، وهو أيضا اقرب لوجود الحلال في اللباس نعم،

(50) يجوز التبرك بآثار أهل الخير ممن ظهرت كراماته، بديانة أو علم أو عمل، أو اثر ظاهر، كتكثير القليل أو الأخبار عن الغيب حسب فراسته وإجابة الدعوة، وتسخير الماء والهواء إلى ذلك مما صح من آيات الأنبياء، فيكون كرامة الأولياء، إذ الأصل التأسي، ولم يزل أكابر الملة يتبركون

بأهل الفضل من كل عصر وقطر، فلزم الاقتداء بهم حسبما يهدي إليهم النظر في الأشخاص، والله سبحانه أعلم،

(51) يُعرف باطن العبد من ظاهر حاله، لأن الأسرة تدل على السريرة، وما خامر القلوب فعلى الوجوه أثره يلوح، {محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع اخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع نباته ليغيظ به الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما}

(52) من ظهرت عليه خارقة، إن صحت ديانته فكرامة وإلا فهي استدراج أو سحر، وإن ظهر بعد ثبوت الرتبة مناف مما يباح بوجه تأول مع إقامة الحق الشرعي إن تعين، وإن كان مما لا يباح بوجه فالحكم لازم،والتأويل غير مصادف محلاً إذ الحقائق لا تنقلب، والأحكام ثابتة على الذوات، فلزم الحكم عليه بحكمه، وأصل تأويل ما لا يباح بوجه مذكور في قضية الخضر مع موسى عليهما السلام، إذ بين الوجه عند فراقه، فافهم، والله سبحانه اعلم،

(53) المزية لا تقتضي التفضيل، والاقتداء لا يصح إلا بذي علم كامل، أو دين، ولو قيل بالتفضيل بالمزايا للزم تفضيل إبليس على عوام المؤمنين، إذ له مزية خرق الهواء، والمشي على الماء، ونفوذ الأرض في لحظة وما اثبت الله له تعالى من أن يرانا هو وقبيله من حيث لا نراه، وللزم تفضيل الخضر على موسى عليهما السلام، وكل ذلك لا يصح، فلزم أن التفضيل بحكم الله في الجملة فلا يتعرض له إلا بتوفيق ثابت في بابه، ولكن للدليل ترجيح فوجب التوقف عن الجزم، وجاز الخوض في الترجيح إذا أحوج إليه الوقت، وإلا فترك الكلام فيه أولى والله سبحانه اعلم،

(54) العافية سكون القلب عن الاضطراب حتى لو دخل صاحبها النار لرضي عن ربه، وهذه عافية أهل الكمال وهي الشاملة بكل حال فافهم، والله سبحانه اعلم،

(55) القطع بإيمان مسلم أو ولاية صالح، قد تفيد الدلائل من الظن ما يتنزل منزلة القطع، وإن كان لا يجري على حكمه في جميع الوجوه، كالقطع بإيمان مسلم ظهرت منه أعلام الإسلام، وكولاية صالح دلت على مقامه أفعاله وأقواله وشواهد أحواله، كل ذلك في علمنا من غير جزم بعلم الله

فيه، إلا في حق من جاءنا عن الله مخصص له، كالعشرة المشهود لهم بالجنة، وقد صح: (إذا رأيتهم الرجل يعتاد المسجد، فاشهدوا له بالإيمان)،،

(56) ألسنة الخلق، أقلام الحق، فثناؤهم عليه بما يرتضيه الحق ثناء من الحق عليه بذلك، فإن كان فيه فالثناء منه، وإلا فهو تنبيه وثناء، إن شكره بالقيام بحقه أتمه عليه وزاده منه وإلا سلبه عنه، والمعتبر الإطلاق العام، وما في النفوس لا ما يقع من الطعن بالجحود الذي يدل على بطلانه فقدا لترجمة المترجم، واضطراب القائل في قوله، ويظهر ذلك بارتفاع موجب النكير كالموت ونحوه، وقد صح: (إن الله إذا أحب عبدا نادى جبريل) الحديث،

(57) جواب على مسالة الغني الشاكر والفقير الصابر، الفقر والغنى وصفان وجوديان، يصح اتصاف الحق بالثاني منهما دون الأول، فلزم فضله عليه، وللناس فيها طريقان، والحق أن كلا منهما مضمن بالآخر، فلا تفاضل، وقد اختار كلا مهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال: (أجوع يوما وأشبع يوما) الحديث، فافهم،

(58) النهي عن إضاعة المال: ملك العبد لما بيده من أعراض الدنيا غير متحقق له، بل إنما هو خازن فيه لقصره عليه تصرفا وانتفاعا دون غيره، ومن ثم حرم الله الإقتار والإسراف حتى عد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنجيات: القصد في الغنى والفقر، ونهى عليه السلام عن إضاعة المال إلى غير ذلك، وفي الحديث: (ليس الزهد بتحريم الحلال، ولا بإضاعة المال، إنما الزهد أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك)،

(59) ذم الدنيا أو مدحها: ما ذم لا لذاته، قد يمدح لا لذاته، ومنه وجود المال والجاه والرياسة ونحو ذلك مما ليس بمذموم لذاته، ولا محمود في ذاته، بل يحمد ويذم لما يعرضه له، ولذلك ذم صلى الله عليه وآله وسلم الدنيا بقوله: (الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله)، ومدحها بقوله: (فنعمة مطية المؤمن)، وأثنى سبحانه على قوم طلبوا الرياسة الدينية إذ قالوا: (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما)،

(60) من أراد الظهور فهو عبد الظهور ومن أراد الخفاء فهو عبد الخفاء، وعبد الله سواء عليه أظهره أو أخفاه، انتهى وهو لباب هذا الباب،

(61) فائدة التدقيق في عيوب النفس معرفة المرء بنفسه وتواضعه لربه، ورؤية قصوره وتقصيره وإلا فليس في قوة البشر التبري من كل عيب بإزالته، إذ لو انك لا تصل إلى الله إلا بعد فناء مساويك ومحو دعاويك لم تصل إليه أبدا، فافهم،

(62) من أضاف فضيلة الغير لنفسه بتصريح أو تلويح فهو سارق، والمتشبع بما لم يعط، كلابس ثوبي زور، فمن ثم قيل: من حكا حكاية السلف واتخذها حالا لنفسه به قدمه في مهاوي الضلال، وعن قريب تفضحه شواهد الامتحان، لأن من ادعى فوق مرتبته حط لدون مرتبته، ومن وقف دون مرتبته وقع فوقها، ومن ادعى مرتبته نوزع في استحقاقها، فافهم،

(63) وجوب تحفظ الصوفي على إقامة رسم الطريقة بترك ما يريب ويعيب، وإن كان مباحا لأن دخوله فيه إدخال للطعن على طريقة، فافهم،

(641) النظر لصرف الحقيقة مخل بوجه الطريقة، فمن ثم وقع القوم في الطامات، وتكلموا بالشطحات حتى كفر من كفر، وبدع من بدع، وفسق من فسق، بواضح الشريعة ولسان العلم، ظاهرا وباطنا، فلزم التحفظ في القبول، بأن لا يؤخذ إلا عن الكتاب والسنة، وفي الإلقاء بان لا يلقى إلا بالوجه السائغ فيهما من غير منازع وإلا فلا عتب على منكر استند لأصل صحيح، وقد قال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه: (إنها لتقع النكتة من كلام القوم في قلبي أياما، فأقول: لا أقبلك إلا بشاهدي عدل الكتاب والسنة)، انتهى،

(65) الإنسان مطالب على قدر حاله، ومخاطبته بما يقتضيه وجود أصله، فلا يطالب عامي بزائد على التقوى، ولا فقيه بزائد على الاستقامة، ويطالب المريد بالصدق بعد تحصيل الأولين، والعارف بالورع، فعامي لا تقوى له فاجر وفقيه لا استقامة له مقصد، ومريد لا صدق له متلاعب، وعارف لا ورع له ناقص، وأصل التصوف دائر على الإحسان أبدا إن تحررت طريقته فواجب في الأحكام الورع، ولازمه في السن التحفظ، وحاله في الأدب دائر مع قلبه، ولذلك اختلفت أحواله فيه فليعتبر بكل في محله،

(66) كل صوفي أهمل أحواله من النظر لمعاملة الخلق، كما أمر فيها، وصرف وجهه نحو الحق دون نظر لسنته في عباده، فلا بد له من غلط في أعماله أو شطح في أحواله، أو وقوع طامة في أقواله، فإما هلك أو أهلك، أو كانا معا جاريين عليه، ولا يتم له ذلك، ما لم يصحب متمكنا، أو فقيها

صالحا، أو مريدا عالما، أو صديقا صادقا، يجعله مرآة له، إن غلط رده، وإن ادعى دفعه، وإن تحقق أرشده، فهو ينصفه في حاله وينصحه في جميع أحواله، إذ لا يتهمه ولا يهمله، فافهم،

(67) لا يصح التصوف بدون فقه، فمن ثم كان الفقيه الصوفي تام الحال، بخلاف الصوفي الذي لا فقه له، كفى الفقه عن التصوف، ولم يكف التصوف عنه، ومن ثم خص الأئمة على القيام بالظاهر لما سئلوا عن علم الباطن، قال صلى الله عليه وآله وسلم للذي سأله أن يعلمه من غرائب العلم: (من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم) الحديث، فافهم،

(68) دواعي الإنكار على القوم خمسة: أولها: النظر لكمال طريقهم، فإذا تعلقوا برخصة، أو أتوا بإساءة أدب، أو تساهلوا في أمر، أو بدأ منهم نقص، أسرع للإنكار عليهم، لأن النظيف يظهر فيه أقل عيب، ولا يخلو الإنسان من نقص ما لم تكن له من الله عصمة أو حفظ، الثاني: رقة المدرك ومنه وقع الطعن على علومهم في أحوالهم، إذ النفس مسرعة لإنكار ما لم يتقدم له علمه، الثالث: كثرة المبطلين في الدعاوي والطالبين للأغراض بالديانة، وذلك سبب إنكار حال من ظهر منهم بدعوى، وإن أقام عليها الدليل لاشتباهه، الرابع: خوف الضلال على العامة باتباع الباطن دون اعتناء بظاهر الشريعة كما اتفق لكثير من الجاهلين، الخامس: شحة النفوس بمراتبها، إذ ظهور الحقيقة مبطل لكل حقيقة، ومن ثم أولع الناس بالصوفية أكثر من غيرهم، وتسلط عليهم أصحاب المراتب أكثر من سواهم، وكل الوجوه المذكورة صاحبها مأجور أو معذور إلا الأخير، والله سبحانه أعلم،

(69) ما ألف من الكتب للرد على القوم نافع في التحذير من الغلط، ولكن مستفيد إلا بثلاثة شروط: أولها: حسن النية في القائل، باعتقاد اجتهاده وانه قاصد حسم الذريعة وإن خشي لفظه، كابن الجوزي، فللمبالغة في التنفير، ثانيهما: إقامة عذر القول فيه بتأويل أو غلبة، أو غلط، أو غير ذلك، إذ ليس بمعصوم، وقد تكون للولي الزلة والزلات، والهفوة والهفوات لعدم العصمة وغلبة الأقدار كما أشار إليه الجنيد رحمه الله تعالى، بقوله تعالى: {وكان أمر الله قدرا مقدورا}، ثالثهما: أن يقتصر بنظره على نفسه، فلا يحكم به على غيره، ولا يبديه لمن لا قصد له في السلوك فيشوش عليه اعتقاده الذي ربما كان سبب نجاته وفوزه، فإن احتاج لذلك فليعترض على القول دون تعيين القائل ويعرض بعظمته وجلاله مع قامة قدره إذ ستر زلل الأئمة واجب، وصيانة الدين أوجب،

والقائم بدين الله مأجور، والمنتصر له منصور، والإنصاف في الحق لازم، ولا خير في ديانة يصحبها هوى، فافهم والله سبحانه أعلم، فافهم،

(70) اتباع العلم الظاهر شرط في الوصول للعلم الباطن، إذ كل باطن على انفراده باطل، وجيده من الحقيقة عاطل، والرسول هو الإمام عليه الصلاة والسلام، وكل شيخ لم يظهر بالسنة فلا يصح اتباعه لعدم تحقق حاله، وإن صح في نفسه وظهر عليه ألف ألف كرامة من أمره فافهم

***

## المبحث الاربعون

## أدلة شرعية لبعض مفردات التصوف

**[تنبيه]: هناك مفردات ومسائل عُرف بها أهل التصوف الحق، لها أدلتها من الكتاب والسنّة، ولكن أهل الجهل بأدلتها يعترضون عليها بغير وجه حق، ومن اجل الكتب التي تناولت هذا الموضوع:** كتاب: (الموسوعة اليوسفية في بيان ادلة الصوفية) للعلامة الفاضل والشيخ المحقق يوسف خطار، وهو من أعجب الكتب واحسنها في جمع المفردات التي توضح أفكار وأراء اهل التصوف بأدلتها الشرعية من الكتاب والسنة، وكذلك وفق في الرد على الشبهات التي أثارها المشككون حول قضايا التصوف، **ومن تلك المسائل التي طرحها الكتاب المبارك:**

**[المفتاح الأول]: الاحتفال بالمولد النبوي الشريف: قال الله تعالى {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين} [الأنبياء: 107]، فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الرحمة العظمى وقد أذن الله لنا بالفرح والسرور بمولد تلك الرحمة قال تعالى {قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا} [يونس: 58]، وقد كان صلى الله عليه وآله وسلم يعظم يوم مولده ويشكر الله تعالى فيه على نعمته الكبرى عليه إذ سعد به كل موجود وكان يعبر عن ذلك التعظيم بالصيام كما جاء في الحديث عن أبي قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن صوم يوم الاثنين؟ فقال: (فيه ولدت وفيه أنزل علي) [أخرجه مسلم] وهذا في معنى الاحتفال به، وقد أصل النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذه القاعدة بنفسه كما صح في الحديث أنه صلى الله عليه وآله وسلم: لما وصل إلى المدينة ورأى اليهود يصومون يوم عاشوراء سأل عن ذلك فقيل له: إنهم يصومونه لأن الله نجى فيه نبيهم وأغرق عدوهم فهم يصومون شكرا لله على هذه النعمة فقال صلى الله عليه وآله وسلم (نحن أولى بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه) [متفق عليه]، فهو من باب قوله تعالى: {وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ} [ابراهيم: 5]، وكذلك يؤخذ من قوله صلى الله عليه وآله وسلم في فضل يوم الجمعة: (وفيه ولد آدم) تشريف الزمان الذي ثبت أنه ميلاد لأي نبي كان من الأنبياء عليهم السلام فكيف باليوم الذي ولد فيه افضل النبيين وأشرف المرسلين، وقد أشار القرآن إلى ذلك بقوله تعالى: {وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ} [مريم: 33]، و (الاحتفال المولد) إن كان القصد منه التذكير بأيام الله تعالى وذكر فضل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وشمائله واخلاقه بما يقوي الايمان به ويزيد من المحبة له ولسنته، وخلا من المخالفات الشرعية فلا باس به، وقد استحسنه الكثير من العلماء والفقهاء، قال السيوطي رحمه الله تعالى: هو من البدع الحسنة التي يثاب عليها صاحبها لما فيه من تعظيم قدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإظهار الفرح والاستبشار بمولده الشريف [الحاوي للفتاوى (1: 292)]، فإن قال قائل: إن الاحتفال بالمولد لم يفعله السلف ولم يكن في الصدر الأول فهو بدعة ضلالة، فالجواب على ذلك: أنه ليس كل ما لم يفعله السلف ولم يكن في الصدر الأول، فهو بدعة محرمة ولو كان الأمر كذلك لحرم جمع أبي بكر وعمر وزيد رضي الله عنهم القرآن وكتبه في المصاحف خوفا على ضياعه بموت الصحابة القراء رضي الله عنهم ولحرم جمع عمر رضي الله عنه الناس على إمام واحد في صلاة القيام مع قوله: نعمت البدعة هذه [أخرجه البخاري]، ولحرم التصنيف في جميع العلوم النافعة واتخاذ الربط والمدارس والمستشفيات، بل يجب أن يعرض ما أحدث على أدلة الشرع فما اشتمل على مصلحة فهو واجب**

أو على محرم فهو محرم أو على مكروه فهو مكروه أو على مباح فهو مباح أو على مندوب فهو مندوب وللوسائل حكم المقاصد فكل ما تشمله الأدلة الشرعية ولم يقصد بإحداثه مخالفة الشريعة وليشتمل على منكر فهو من الدين ومن ثم قيد العلماء حديث (كل بدعة ضلالة) [أبو داود (4607) والترمذي]، بالبدعة السيئة ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم: من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء [أخرجه مسلم]، وإن قال القائل: إن الاحتفال بمولده صلى الله عليه وآله وسلم في شهر ربيع الأول وهو نفس الشهر الذي توفي فيه فلماذا يكون الفرح بولادته ولا يكون الحزن بوفاته؟ فالجواب على ذلك: أن ولادته عليه الصلاة والسلام أعظم النعم علينا ووفاته أعظم المصائب لنا، والشريعة حثت على إظهار النعم، وكتم المصائب والصبر عليها، ولهذا فإنه يحسن في هذا الشهر إظهار الفرح بولادته صلى الله عليه وآله وسلم دون إظهار الحزن بوفاته، وإن قال قائل: إن الاحتفال بمولده نوع من الإطراء والتقديس له صلى الله عليه وآله وسلم مما يؤدي إلى رفع مقامه عن كونه بشرا وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم، فإنما أنا عبدالله ورسوله) [أخرجه أحمد] فالجواب على ذلك: أن هذا الاستدلال غير صحيح لأن الإطراء المنهي عنه هو المشابه لإطراء النصارى بأن المسيح هو ابن الله حاشاه تعالى من ذلك أما إطراء النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الاحتفال بمولده فلا يعدو عن ذكر فضائله النبوية وأخلاقه المحمدية وقد مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم اناس من الصحابة وأثنوا عليه، ولم ينكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أحد منهم ذلك بل وربما أيدهم فهذا كعب بن زهير لما امتدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقصيدته، قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بخلع عباءته عليه وألبسه إياها رضا بصنيعه،

**[المفتاح الثاني]:** التبـــــرك: من معاني البركة: الزيادة والنماء، والبركة سر إلهي وفيض زاده الله تعالى ونمى به أعمال البر بملازمة القربات، فالبركة بهذا المعنى لون من الرحمة والفضل الرباني، والله تعالى بارك القرآن في ذاته فقال تعالى: {كتاب أنزلناه إليك مبارك} [ص: 29] وبارك المنازل فقال: {وقل رب أنزلني منزلا مباركا} [المؤمنين: 29] وبارك الأسرة النبوية من سيدنا إبراهيم فقال: {رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت} [هود: 73]، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتبرك بسور القرآن: أخرج البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها:

أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات فلما ثقل كنت أنفث عليه بهن وأمسح بيده لبركتها) [متفق عليه]، وكان الصحابة يتبركون بشعر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أخرج مسلم أنس رضي الله عنه قال: (لما رمى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الجمرة نحر نسكه ثم ناول الحالق شقه الأيمن فحلقه فأعطاه أبو طلحة لأم سليم بأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم ناوله شقه الأيسر فحلقه فقال اقسم بين الناس)، وكانوا يتبركون بعرقه صلى الله عليه وآله وسلم، أخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه أن أم سليم رضي الله عنها كانت إذا نام النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخذت من عرقه وشعره فجمعته في قارورة ثم جمعته في سك وهو نائم قال فلما حضر أنس بن مالك الوفاة أوصى إلى أن يجعل في حنوطه من السك قال: فجعل في حنوطه) [أخرجه البخاري]، وكانوا يتبركون بلباسه صلى الله عليه وآله وسلم: أخرج البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه في البردة التي استوهبها من النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلامه الصحابة على طلبها فقال: رجوت بركتها حين لبسها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي أكفن فيها [أخرجه البخاري]، وأخرج مسلم عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: (هذه جبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت عند عائشة حتى قبضت فلما قبضت قبضتها وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها) [أخرجه مسلم]، قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في شرحه: (وفي هذا الحديث دليل على استحباب التبرك بآثار الصالحين وثيابهم) أهـ، وكانوا يتبركون بفضل وضوئه صلى الله عليه وآله وسلم: أخرج البخاري ومسلم عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: (رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قبة حمراء ورأيت بلالا أخرج وضوءا فرأيت الناس يبتدرون ذلك الوضوء فمن اصاب منه شيئا تمسح به ومن لم يصب منه أخذ من بلل صاحبه) [متفق عليه]، والحاصل من هذه الأحاديث والآثار هو أن التبرك به صلى الله عليه وآله وسلم وبآثاره وبكل ما هو منسوب إليه وكذلك التبرك بالصحابة والصالحين وكل ما هو منسوب اليهم سنة مرغوبة وطريقة محمودة مشروعة،

**[المفتاح الثالث]: الحضرة**: الحضرة هي حضور القلب مع الله، وهي الركن الهام في طريق القوم، وهذا الركن هو الاجتماع على ذكر الله عز وجل تحت إمارة الشيخ يبدأ بتلاوة القرآن الحكيم، ثم تنشد أناشيد من أقوال العارفين بالله المأخوذة بما فيها من القرآن والسنة وأفهام

العلماء بالله، ثم تقوم الجماعة للذكر ويبقون على حالة الذكر حتى يأذن الشيخ بختامها وبعد ذلك يقرأ أحد الإخوة بعض الآيات من القرآن الحكيم ويتم تفسيرها من قبل الشيخ، وهذه الحضرة منقولة ومتوارثة عن كبار الأشياخ العاملين، و (الأصل فيها) قوله تعالى: {الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم} [آل عمران: (191)]، وقوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا} [الأحزاب: (41 – 42)]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا فقالوا: يا رسول الله وما رياض الجنة؟ قال: حلق الذكر) [أخرجه الترمذي]، وغالب طرق التربية والإرشاد لا تخلو من الحضرة، وذلك للنفع الحاصل فيها من ذكر الله عز وجل ونزول الرحمات، أما (الحركة في الذكر) فهي مما سنه السادات العارفين ولا دليل لمنكرها لأن الأصل في الأشياء الإباحة، أضف أنها سبيل لتحريك القلب والتوجه به نحو الله تعالى، أخرج الإمام احمد عن أنس رضي الله عنه قال: (كان الحبشة يرقصون بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويقولون بكلام لهم: محمد عبد صالح فقال صلى الله عليه وآله وسلم (ماذا يقولون؟) فقيل: يقولون: محمد عبد صالح)، وأخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: (جاء حبش يزفنون في يوم عيد في المسجد فدعاني النبي صلى الله عليه وآله وسلم فوضعت رأسي على منكبيه انظر إلى لعبهم حتى كنت أنا التي انصرف عن النظر اليهم) [أخرجه مسلم]، قال النووي في شرح الحديث: (يزفنون في يوم عيد، هو بفتح الياء وإسكان الزاي وكسر الفاء ومعناه يرقصون وحمله العلماء على التواثب بسلاحهم ولعبهم بحرابهم على قريب من هيئة الراقص) أهـ، وقال حجة الإسلام الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في إحياء علوم الدين: (والرقص سبب في تحريك السرور والنشاط ولو كان حراما لما نظرت عائشة إلى الحبشة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم يزفنون)، وأخرج أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (أكثروا ذكر الله تعالى حتى يقال إنه مجنون)، والشاهد فيه أن الذكر لله تعالى إن كان ساكنا لا موجب لقول الناس عنه مجنون لو لم ير بحالة وهيئة تدفع غيره من الغافلين إلى إلقاء تهمة الجنون عليه، وأخرج احمد عن علي بن أ بي طالب رضي الله عنه: (اختصم علي وجعفر وزيد ابن حارثة في ابنة حمزة فقال لعلي: أنت مني وأنا منك فحجل علي، وقال لجعفر بن أبي طالب أشبهت خلقي وخلقي فحجل وقال لزيد بن حارثة أنت أخونا ومولانا فحجل زيد)، قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري عند شرح الحديث: (وحجل بفتح المهملة وكسر الجيم أي وقف على رجل واحدة وهو الرقص بهيئة مخصوصة)، والشاهد رقص

هؤلاء الاكابر من لذة خطاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقال النووي في الروضة (والرقص ليس بحرام)، وقال الرملي: (لا الرقص) فلا يحرم ولا يكره لأنه مجرد حركات على استقامة واعوجاج ولإقراره صلى الله عليه وآله وسلم الحبشة في مسجده يوم عيد، ونقل إبراهيم بن عبدالله القلانسي أن الإمام أحمد رضي الله عنه قال عن الصوفية: لا أعلم أقواما أفضل منهم قيل: إنهم يستمعون ويتواجدون قال دعوهم يفرحون مع الله ساعة، قيل: فمنهم من يموت ومنهم من يغش عليه فقال: وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) [غذاء الألباب للسفاريني (1: 129)]، وقال السنوسي في نصرة الفقير: (وقد تواتر النقل عن الصوفية قديما وحديثا شرقا وغربا أنهم كانوا يجتمعون لذكر الله ويقومون ويرقصون ولم يبلغنا عن أحد من العلماء المعتبرين أنه أنكر عليهم) [الفتوحات الإلهية (282 – 283)]، والحاصل: هو ما قيل: (ما في التواجد إن حققت من حرجٍ * ولا التمايل إن أخلصت من بأس)،

**[المفتاح الرابع]:** السيادة: قال تعالى: {أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا} [آل عمران: 39] أفيصح إطلاق لفظ [السيد] على سيدنا يحيى عليه الصلاة والسلام دون سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وفضله عليه وعلى بقية الأنبياء وسائر المخلوقات معلوم من الدين بالضرورة، على أننا لو نظرنا إلى عموم الآيات لوجدناها داعية إلى احترامه وتقديره عليه الصلاة والسلام ومنها قوله جل جلاله: {لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا} [النور: 63]، وأخرج مسلم عنه صلى الله عليه وآله وسلم: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة)، وقد صح إطلاقه صلى الله عليه وآله وسلم لفظ السيادة على عدد من أصحابه وأتباعه فمن ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم في حق سعد بن معاذ رضي الله عنه: (قوموا إلى سيدكم فأنزلوه) [أخرجه مسلم]، ولو كان غير جائز لقال: قوموا إلى مريضكم ولم يقل إلى سيدكم ولم يأمر الجميع بالقيام بل كان يأمر البعض، وأخرج البخاري عنه صلى الله عليه وآله وسلم قوله عن الحسن بن علي رضي الله عنهما: (إن ابني هذا سيد ولعل الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين)، وأخرج الترمذي قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين)، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم للسيدة الكريمة فاطمة الزهراء رضي الله عنها: (أما ترضين أن تكوني سيدة نساء الجنة)، وحيث أطلق صلى الله عليه وآله

وسلم لفظ السيد على السيدة فاطمة وعلى سيدنا سعد وسيدنا الحسن والحسين رضي الله عنها وسيدنا أبو بكر وسيدنا عمر وعلى الحليم مطلقا فإطلاقنا إياها عليه صلى الله عليه وآله وسلم أحق وأولى، ولما مر من الأدلة، ولما يحتمه الادب مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، قال جمهور المتأخرين من علماء أهل السنة والجماعة بجواز إطلاق لفظ السيادة على سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، في الصلاة وفي الآذان بل وقال بعضهم: أنه مندوب في جميع الأوقات من صلاة وغيرها،

**[المفتاح الخامس]:** المدد: هو طلب النصرة والعون والمساعدة، فإذا قال المسلم: مدد يا الله أي أعنِّي وأمدَّني بقوتك وانصرني على عدوي وزدني بالرحمات والبركات وأمدني بالمقدرة على طاعتك ومحاربة نفسي وشيطاني، وإذا قال: مدد يا أولياء الله فمعناه: علمونا مما علمكم الله وأمدونا مما أمدكم الله سبحانه به من العلوم والعرفان وساعدونا بما ينفعنا لسيرنا وأرشدونا في سلوكنا إلى محبة الله بإذن الله، وهناك فرق بين مدد الخالق سبحانه ومدد المخلوق فكلمة مدد تأتي بمعنى المساعدة والمعاونة وهي مستحبة في كل أنواع البر بجميع الطرق التي أجازها الشرع الحنيف، قال الله تعالى {وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان} [المائدة: 2]، فالتعاون بين الخلائق هو من المدد أي المساعدة ونصرة بعضهم لبعض، فلو طلب الإنسان من بني جنسه الإمداد فليس بمعنى أنه يطلب منه كما يطلب من ربه، فإن المدد الحقيقي لا يكون إلا بيد الله، الله سبحانه يمد من يشاء من عباده من خزائن فضله ورحمته بالمعونة متى شاء وكيفما شاء، وأما المدد المجازي، وهو طلب المدد من الأنبياء والاولياء والصالحين، فلا يكون إمدادهم إلا بإذن الله ومشيئته ورضاه وهو بالحقيقة مستمد من إمداد الله تعالى، لقد نسب الله تعالى إلى الملائكة التدبير فقال تعالى: {فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا} [النازعات: 5]، مع أن التدبير كله بيد الله، ولكنه الاسناد المجازي، كما في قوله تعالى على لسان جبريل عليه السلام: {قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا} [مريم: 19]، فالواهب على الحقيقة هو الله، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام أرفع درجة وأجل قدرا عند الله من الملائكة عليهم السلام فلذلك أمدهم ببعض صفاته وأجرى على أيديهم الكثير من الخوارق، كما أكرم الله أنبياءه ورسله وأولياءه بشيء من الأسرار التي تجعلهم قائمين بها على نصرة دين الله ويمدون بها من شاؤوا بإذن ربهم ورضاه لإقامة دين الله جل جلاله، وهذا كله من باب المجاز فالمدد الحق بيد الله وحده، وهذه عقيدة كل

مسلم، ولكن ذلك لا يمنع من جواز الاسناد المجازي، كما في قوله تعالى: {وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم} [الشورى: 52]، مع ان الهداية بيد الله وحده، فالمدد إذاً هو النور الرباني الذي يفيضه الله تعالى على قلوب أنبيائه وأوليائه من الرحمات والبركات، والامر أولا وآخرا بيد الله وحده، فقول السائل: مدد يا رسول الله أي استغفر لي وعلمني مما علمك الله بإذن الله، وقد قال تعالى: {ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما} [النساء: 64]، فالمغفرة بيد الله وحده، ولكن القرآن دلنا على طلب الاستغفار من رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وهل ذهاب المريض إلى الطبيب طلبا للشفاء، يعد شركا، ام انه من الأسباب المشروعة مع أن الله تعالى هو الشافي على الحقيقة، فإن طلب المريد المدد من شيخه لعلاج ما في قلبه من الآفات والكبائر، مع علمه التام بان الشفاء بيد الله، هذا ما لا بأس به أبدا،

**[المفتاح السادس]:** الذكر الجماعي: كثير من الآيات القرآنية دلت على جواز الذكر الجماعي، قال تعالى: {الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم} [آل عمران: 191]، وقال تعالى {والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما}[الأحزاب: 35]، وقال تعالى {يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا} [الأحزاب: 41 – 42)]، والأحاديث الشريفة بينت استحباب الذكر الجماعي وحثت عليه: أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (إن لله ملائكة يطوفون في الطريق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، قال فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا،، الحديث)، وأخرج مسلم عن معاوية رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج على حلقة من أصحابه فقال: (ما أجلسكم؟ قالوا جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنَّ علينا قال: آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة)، وأخرج الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا يا رسول الله وما رياض الجنة؟ قال: حلق الذكر)،

**[المفتاح السابع]:** الذكر الجهري: قال الله تعالى {الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم}[آل عمران: 191)]، وقال تعالى {والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما}[الأحزاب: 35]، وقال تعالى {يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه

بكرة وأصيلا} [الأحزاب: 41، 42]، وعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ قال: هل فيكم غريب يعني (أهل الكتاب) قلنا: لا يا رسول الله فأمر بغلق الباب فقال: ارفعوا أيديكم فقولا لا إله إلا الله فرفعنا أيدينا ساعة ثم وضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده ثم قال: (الحمد لله اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة إنك لا تخلف الميعاد ثم قال أبشروا فإن الله قد غفر لكم) [أخرجه الحاكم (1844)]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (أنا عند ظن عبدي بي،، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه) [أخرجه البخاري (6970) ومسلم (2675)] والذكر في الملأ لا يكون إلا عن جهر، وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: إن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم [أخرجه البخاري (805 – 806)]، قال الشيخ عبدالوهاب الشعراني في الانوار القدسية: (وأجمعوا على انه يجب على المريد الجهر بالذكر بقوة تامة بحيث لا يبقى منه متسع إلا ويهتز من فوق رأسه إلى إصبع قدميه) [الأنوار القدسية (1: 38)]، وقال الشيخ ابن عطاء الله: وينبغي إن كان الذاكرون جماعة فالأولى في حقهم رفع الصوت بالذكر مع توافق الأصوات بطريقة موزونة فذكر الجماعة على قلب واحد أكثر تأثيرا وأشد قوة فيرفع الحجب عن القلب)، وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (أنا عند ظن عبدي بي... وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه)، والذكر في الملأ لا يكون إلا عن جهر، وأخرج أحمد عنه صلى الله عليه وآله وسلم: (ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفورا لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات)، فإن قال قائل: أن هذا معارض بقوله تعالى {واذكر ربك في نفسك تضرعا وخفية ودون الجهر من القول} [الأعراف: 205]، فالمقصود به الدعاء، وقيل قراءة القرآن، تعظيما للقرآن الكريم أن ترفع الأصوات عنده، وقيل: أنه خاص بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، لانه معصوم، وأما غيره فمن هو محل الوساوس والخواطر، فمأمور بالجهر لأنه أشد تأثيرا في دفعها، وكذلك قوله تعالى: {ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين}، فهو مخصوص بالدعاء، والدعاء بخصوصه الأفضل فيه الإسرار لأنه أقرب إلى الإجابة ولذا قال تعالى {إذ نادى ربه نداء خفيا} [مريم: 3]، وقد نص الفقهاء على أن الجهر بالذكر مشروع مندوب إليه بل هو افضل من الإخفاء، حتى قال الطحاوي

في حاشيته على مراقي الفلاح: (لا يمنع من الجهر بالذكر في المساجد احترازا عن الدخول تحت قوله تعالى {ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه}) أهـ،

**[المفتاح الثامن]: حكم الذكر بالاسم المفرد:** الذكر بالاسم المفرد (الله،، الله،، الله) جائز لقوله تعالى: {واذْكُرِ اسمَ ربِّكَ وتبتَّلْ إليه تبتيلاً} [المزمل: 8]، وقوله تعالى: {واذْكُرِ اسمَ ربِّكَ بكرةً وأصيلاً} [الإنسان: 25]، وقوله تعالى لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم: {قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ} [الأنعام: 91]، وقوله تعالى {ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله} [لقمان: 25]، وقد أخرج مسلم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله، الله)، فهذا اسم مفرد ورد ذكره مكرراً في هذا الحديث، ثم إن الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي رَغَّبَتْ في الذكر جاءت عامة ومطلقة لم تخصص ذكراً معيناً، ولم يرد نص شرعي يُحَرِّمُ الذكرَ بالاسم المفرد (الله)، أما اهل التصوف الحق، فقد تواطأ السادة العارفون على ذكره والولوع به، ولا خلاف عندهم في فضله، ولا يصح عندهم الفتح والسير في المقامات إلا بواسطته، وقالوا: ما دمت ملتفتا إلى ما سوى الله فلا بد لك من النفي والإثبات بلا إله إلا الله، وما دمت ترى في الوجود سواه، فلا بد من لا إله إلا الله، فإذا غبت في الكل عن الكل استوحشت من نفي لا إله، ووقفت على إثبات لفظ الجلالة (الله،، الله)، وقالوا: وصورة ذكر الله بلفظ الجلالة مفردا: أن يحقق الهمزة ويسكن الهاء، وأن يقول: الله،، الله،، حتى ينقطع نفسه، فإن فتح الهاء وأسقط الهمزة ووصل الهاء باللام المدغمة كان خطئا، فلا يُفتح عليه بشيء، وقالوا: (الله) هو اسم الله الأعظم، ولا ذكر لصاحب مقام فوق الذكر به، وقالوا: وليس للمسافر إلى الله في سلوكه أنفع من الذكر المفرد القاطع من الأفئدة الأغيار، وقالوا: الذكر باسم الله المفرد (الله،، الله،، الله) أسرع في قلع جذور النفس من منابتها من السكين الحاد فهو يزيل علائق الخلق من القلب ويفرغه من الأكوان فترتحل عن قلوب الذاكرين الغفلة حتى يكون الحق ساريا في عروقهم ممزوجا بأرواحهم ويكون المذكور تجاههم لا يغفلون إذا غفل الناس وعندها يتحققون بمقام الإحسان الذي أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه)، قال الجنيد: ذاكر هذا الاسم (الله) ذاهب عن نفسه متصل بربه قائم بأداء حقه ناظر إليه بقلبه قد أحرقت أنوار الشهود صفات بشريته، وقال ابن عجيبة: الاسم المفرد (الله) هو سلطان الأسماء وهو اسم الله الأعظم ولا يزال المريد يذكره بلسانه ويهتز به

حتى يمتزج بلحمه ودمه وتسري أنواره في كلياته وجزئياته، وقال أبو العباس المرسي: ليكن ذكرك (الله،، الله،، الله)، فإن هذا الاسم سلطان الأسماء وله بساط وثمرة فبساطه العلم وثمرته النور وليس النور مقصودا لذاته بل لما يقع به من الكشف والعيان فينبغي الإكثار من ذكره واختياره على سائر الأذكار لتضمنه جميع ما في (لا إله إلا الله) من العقائد والعلوم والآداب والحقائق، وقد سُئل الشبلي: لم تقول: الله،، الله، ولا تقول: لا إله إلا الله؟ فقال: لا أبغي له ضدا، فقال السائل: أريد أعلى من هذا، فقال أخشى أن أوخذ بين وحشية النفي الإثبات فقال أريد أعلى من هذا فقال: (قل الله، ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) فزعق السائل ومات، فتعلق أولياؤه بالشبلي فقال لهم: روح دعيت فسمعت فلبت وأجابت فما ذنبي؟ فقال الخليفة: خلّو سبيله، لا ذنب له، وقال الشيخ الأكبر: من أراد أن يفتح عليه بذكر هذا الاسم الشريف فليتخذ خلوة وليترك سائر الأذكار والأوراد غيره، ولابد أن يستحضر أنه يذكر من لا تحصره الأكوان، ومَنْ له الوجود المطلق التام، فبهذا الاستحضار تحصل الثمرة التي هي النور الذي يقع به الشهود والعيان، ولهذا اختاره المشايخ ورجّحوه على سائر الأذكار، وجعلوا له خلوات، ووصلوا به إلى أعلى المقامات والولايات، وإن كان منهم من اختار في الابتداء لا إله إلا الله وفي الانتهاء الله،، الله... قال ابن حجر في الفتاوى الحديثية: (ذكر لا إله إلا الله أفضل من ذكر الجلالة مطلقاً بلسان أهل الظاهر، وأما عند أهل الباطن فالحال عندهم يختلف باختلاف حال السالك، فمن هو في ابتداء أمره ومقاساة شهود الأغيار وعدم انفكاكه عن التعلق بها يحتاج إلى النفي والإثبات حتى يستولى عليه سلطان الذكر، فإذا استولى عليه فالأولى له لزوم الإثبات أعنى: الله،، الله،،) أهـ، وهذا كلام غاية في التحقيق، واهل الله قالوا: إن نفي الشيء إنما يحتاج إليه عند حضور ذلك الشيء بالبال، فمن لا يخطر بباله شريك لا يكلف نفي الشريك، والكامل لا يخطر بباله ولا بخياله إلا الله فيكفيه أن يقول: الله، الله، واعتراض بعض الفقهاء: على الذكر بالاسم المفرد بحجة أنه لا يؤلف جملة تامة مفيدة كما في قولنا: الله كريم، والجواب على ذلك: أن الذاكر بهذا الاسم المفرد لا يكلم مخلوقاً فلا يُشترط أن يكون كلامه تاماً مفيداً، لأنه يذكر الله سبحانه الذي هو عالم بنفسه مطلع على قلبه، وغاية ما قال المعترضون: إنه لم ينقل عن السلف، كيف وفي السيرة، قول سيدنا بلال الحبشي رضي الله عنه حين كان يعذبه أمية بن خلف أشد العذاب تحت حر شمس مكة: أحد أحد، وسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم يسمع قوله ولا ينكر عليه، وكم من أشياء لم تنقل عن السلف وهي مشروعة، إذ البدعة تنقسم إلى سيئة وحسنة، ومن شروط الحسنة: أن تكون مندرجة تحت أصل

من أصول الشريعة، وأن لا تصادم نصاً من نصوص الشريعة، وأن لا يكون في فعلها إلغاء لسنة من سنن الدين، وأن تكون حسنة من أمور الخير لا خلاف فيما تدل عليه من الخير، وهو هناك احسن من ذكر الله باسمه الأعظم، ومن شروط البدعة السيئة: أن يكون مجالها في الدين، فالابتداع لا يكون إلا في الدين، أن لا يكون لها أصل في الشرع، إذ لو كان لها أصل في الشرع فلا تكون بدعة ضلاله، وهل ما سبق من الادلة لا يكفي في إقرار الذكر المفرد، والحاصل: لا يوجد دليل واحد من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينهانا عن ذكر الله عز وجل باسمه المفرد الله، وقد مر بنا كلام الأولياء، فيكفينا التسليم والتصديق، إذ التصديق بطريقهم ولاية، والاعتراض عيلهم جناية، فلا ينبغي الإنكار على من يذكر هذا الاسم الشريف،

**[المفتاح التاسع]: المبايعة**: (أخذ العهد): قال تعالى {إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله} [الفتح: (10)]، قال أيضا {وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم} [النحل: 91]، قال أيضا {وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا} [الإسراء: 34]، واخرج الشيخان عن سيدنا عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال وحوله عصابة من أصحابه (بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه) فبايعناه على ذلك [متفق عليه]، وعنه رضي الله عنه أيضا أنه قال: (بايعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا وعلى أن لا ننازع في الأمر أهله وأن نقول الحق حيثما كنا لا نخاف في الله لومة لائم) [أخرجه البخاري (7199) ومسلم (4745) واللفظ له]، وأخرج الترمذي عن أميمة بنت رقيقة رضي الله عنها أنها قالت: أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في نسوة يبايعنه فقلنا: يا رسول الله نبايعك على أن لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزني ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيك في معروف قال (فما استطعتن وأطقتن) قالت: الله ورسوله أرحم بنا هلم نبايعك يا رسول الله! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (إني لا أصافح النساء إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة أو مثل قولي لامرأة واحدة) [أخرجه الترمذي وقال ديث حسن صحيح]،

**[المفتاح العاشر]: المرشد: قال تعالى: {ولكل قوم هاد} [الرعد: 7] فدل على أن قضية المعلم الهادي والدليل المرشد ضرورة لزومية طبعا وشرعا ومن هنا أرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل {وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا} [الإسراء: 15] ولم يدع الناس لأفكارهم وحدها وإن سمت فإن العقل مهما بلغ فهو محل للخطأ ولأن العلم وحده قد يكون طريق الهلاك والأدلة شتى في تواريخ الفلاسفة والمفكرين بين العقليين وأصحاب المذاهب الاجتماعية المختلفة والواقع المكرر، ومن هنا وجد الإشراف والتوجيه البشري في كل شيء سواء كان وظيفة أو تجارة أو تعليما أو احترافا أو إدارة أو غير ذلك، ومن هنا جاء أمر الله باتخاذ القدوة الصالحة: {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة} [الأحزاب: 21] {قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه} [الممتحنة: 4]، ولا تكون القدوة حسنة إلا إذا كان الله غايتها: {واتبع سبيل من أناب إلي} [لقمان: 15] {ولا تتبع سبيل المفسدين} [الأعراف: 142] {يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد} [غافر: 38] {اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون} [يس: 21] وعندما ذكر الله أنماطا من أهل القدوة الصالحة الداعية إليه تعالى في الأنعام قال لرسوله: {أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده} [الأنعام: (90)]، ولو شاء الله لأنزل كتابا بغير نبي ولكنه لم ينزل كتابا إلا وأنزل معه نبيه ليبين للناس ما نزل اليهم، ربما كان الأخذ السليم عن الكتاب السليم فيه الأجر فقط أما الأخذ عن الشيخ ففيه الأجر وفيه الوصول معا لأن فيه سر الإمداد بالبركة وربط المريد بالحبل المحمدي وذلك اشبه بالتيار الكهربائي لا ينتقل الا بالموصل، وفي قضية جبريل والنبي صلى الله عليه وآله وسلم معنى اتخاذ المرشد الهادي والدليل المعلم وإلا فربما كان يكفي النور الإلهي المنقدح في القلب المحمدي عن مصاحبة جبريل والأخذ عنه، وقد طلب سيدنا موسى الشيخ المعلم المرشد الهادي الدليل وسعى إليه حتى وجده في العبد الصالح وتتلمذ عليه ولم يكتف بأنه كان كليم الله، وهل يمكن لأي إنسان أن يقرأ القرآن قراءة صحيحة بغير موفق خبير؟! وكذلك شأن جميع الصناعات والفنون، إن اتخاذ الشيخ مما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب كما رأيت طبعا وشرعا ومؤيدا بالواقع العلمي والتاريخي والموضوعية التي لا تقبل النقاش ومجال اتخاذ الشيخ إن خلا شغله الشيطان بيقين وقد أشار الله سبحانه إلى أهمية القدوة والمرشد بآيات كثيرة منها قوله تعالى {فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون} [الأنبياء: 7] وقوله تعالى {ولا ينبئك مثل خبير} [فاطر: 14]، وقوله {أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده} [الأنعام: 90] وقوله {واتبع سبيل من أناب إلي} [لقمان: 15] وقوله {الرحمن فاسأل به خبيرا} [الفرقان:**

59]، إذن فلابد من هاد ذي قدرة ذي ذكر خبير بوسائل الفرار إلى الله والهجرة إليه وإن لم يكن للمريد شيخ في العلم ضل وافترسه الشيطان واستهواه وجعل إلهه هواه فهلك وما لم يكن للمرء معلم في بقية الصناعات لما أصاب ولما أجاد وربما هلك وهو يطلب الحياة ولابد للسالك أيضا إلى الله من إمام يرشده ويوجهه ويسدده ويكشف له أحابيل الشيطان في العبادات والمعاملات والخطوات النفسية والإرادات القلبية التي قد تكون على صاحبها أخطر من الكفر الصريح لأن من أراد الله هدايته هيء له مرشداً وإلا فقد قال الله تعالى {ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا} [الكهف: 17]، وإن المنهج التربوي يحتم وجود معلم ومتعلم والسلوك الصوفي يؤكد بشكل قطعي وجود المربي المعلم والمرشد ويشترط علماء التصوف في هذا المنهج وجود الشيخ المربي الذي سمت روحه إلى درجة الإحسان وعرجت نفسه في معارج الكمال وتهذبت أخلاقه وتنامت قدراته الروحية والعقلية إلى درجة القرب والأنس والطمأنينة الكاملة، والرسول عليه الصلاة والسلام كانت له وظيفة كبرى قبل التعليم وهي التزكية قال تعالى {كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون} [البقرة: 151]، والمعلم دوره خطير في تزكية النفوس وتطهيرها من عيوبها وتخليصها من امراضها ثم الرقي بالنفس إلى مراحل متقدمة في السلوك الإسلامي الصحيح ومكانة المربي هي وراثة للقدوة المحمدية الكاملة ولذا قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (العلماء ورثة الأنبياء) [رواه البخاري معلقا وأبو داود والترمذي]، والشيخ العارف بالله والعالم بكتابه والمقتدي بسنة نبيه عليه الصلاة والسلام هو الصادق الذي لابد لنا من الحياة معه والاسترشاد بمواعظه والتأدب في مجلسه وحسن الاستماع له والعمل بالوصايا التي يأمر بها وخاصة إن كانت متقيدة بالدليل الشرعي القاطع، وهو من أولياء الله الذين قال عنهم في كتابه العزيز: {ألا إن اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، الذين آمنوا وكانوا يتقون، لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة} [يونس: 62 – 64]، وقد أمر الله تعالى المسلمين أن يعيشوا مع الصادقين قال الله تعالى {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين} [التوبة: 119]، والصادقون في كتاب الله هم كما قال الله تعالى {إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون} [الحجرات: 15]، ولذا نجد أن وجود المربي في العملية التربوية الروحية والسلوك الإيماني والتزكية النفسية حتم مطلوب شرعا وعقلا وعملا، والدليل الشرعي لأهمية المربي والمعلم والمرشد هو قول الله تعالى {فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين

ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون} [التوبة: 122] فهؤلاء الذين نفروا ليتفقهوا في الدين وليتعمقوا في السلوك التربوي السليم والذين تكاملت صفاتهم النفسية وازداد قربهم إلى الله تعالى سلوكا وفكرا ونضوجا فهم الذين يكونون قادرين على تزكية النفوس وتطهيرها من أمراضها المتعددة، فالشيخ العارف بالله تعالى يختصر لك طريق السلوك فيعطيك خلاصة ما وصل إليه ويعينك على كشف خفايا نفسك وأمراضها لتتخلص منها ولا ريب في أنك بصحبة الشيخ تأخذ منه حالا ترتقي به ولذا قيل: لا تصاحب من لا ينهضك حاله ويدلك على الله مقاله، وقصة نبي الله موسى عليه السلام مع المعلم قد وردت بالتفصيل وترشد السالكين إلى درب العلم اللدني قال الله تعالى عن المعلم الذي اتخذه موسى عليه السلام: {فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما، قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا، قال إنك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا، قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا} [الكهف من: 65- 69] وهذا دليل شرعي على حاجة الناس إلى المعلم والمربي الذي علم ما لم يعلموا وفقه ما لم يفقهوا، وإن الارتباط الروحي بين الشيخ والمريد يولد الطاقة التربوية للعروج بالمريد السالك في مقامات واحوال السلوك، ومن شروط المرشد: أن يكون عالما بكتاب اله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وينبغي أن يكون موصوفا بصفات أهل الكمال ويكون معرضا عن حب الجاه والدنيا وما أشبه ذلك ويكون قد أخذ الطريق عن شيخ محقق تسلسلت متابعته إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وارتاض بأمره رياضة بالغة من قلة الطعام والكلام والنوم وقلة الاختلاط مع الأنام وكثرة الصلاة والصيام والصدقة ونحو ذلك وبالجملة يكون متخلقا بأخلاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يصلح للتربية والمشيخة المجذوب فإنه وإن ذاق المقصود لكنه لم يذق الطريق إلى الله وكذا لا يصلح للمشيخة السالك فقط، وكان أبو القاسم القشيري رحمه الله تعالى يقول: قد درج أشياخ الطريق كلهم على أن أحدا منهم لم يتصدر للطريق إلا بعد تبحره في علوم الشريعة ولم يكن أحد في عصر ممن العصور إلا وعلماء ذلك الزمان يتواضعون له ويعملون بإشارته،

**[المفتاح الحادي عشر]: الصحبة** : قال تعالى {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين} [التوبة: 119 ]، والصادقون: هم الصفوة من المؤمنين الذين عناهم الله تعالى بقوله{من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه} [الأحزاب: 23]، وقال تعالى {واصبر

نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا} [الكهف: 28]، الخطاب هنا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قبيل تعليم أمته وإرشادها، وقال تعالى {واتبع سبيل من أناب إلي} [لقمان: 15]، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك (يعطيك) وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا منتنة) [متفق عليه]،

**[المفتاح الثاني عشر]**: الورد: هو الوظيفة من قراءة ونحو ذلك والجمع أوراد يطلقه الصوفية على أذكار يأمر الشيخ تلميذه بذكرها صباحا بعد صلاة الصبح ومساء بعد صلاة المغرب، والورد يضح ثلاثة صيغ من صيغ الذكر المطلوبة شرعا والتي دعا اليها كتاب الله عز وجل وبينت السنة الشريفة فضلها ومثوبتها: [كلمة التوحيد بصيغة: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير)] مائة مرة مع التفكير بأنه لا خالق ولا رازق ولا نافع ولا ضار ولا قابض ولا باسط، إلا الله وحده مع محاولة محو ما يسيطر على القلب من حب الدنيا والأهواء والشهوات والوساوس والشواغل والعلائق والعوائق الكثيرة حتى يكون القلب لله وحده لا لسواه، ولهذا دعانا الله تعالى إلى هذا التوحيد الخالص فقال: {فاعلم أنه لا إله إلا الله} [محمد: 19)] وكذلك رغبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الإكثار من ترداد كلمة التوحيد وبين أفضليتها ومثوبتها فقال: (أفضل الذكر لا إله إلا الله) [أخرجه الترمذي]، (لا إله) نفي لجميع أفراد الآلهة و (إلا الله) إثبات للواحد الحق الواجب لذاته المنزه عن كل ما لا يليق بجلاله فبإدمان الذكر لهذه المقولة ينعكس الذكر من لسان الذاكر إلى باطنه حتى يتمكن فيه فيضيئه ويصلحه ثم يضيء ويصلح سائر الجوارح، أخرج أحمد عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (جددوا إيمانكم قيل يا رسول الله كيف نجدد إيماننا قال: اكثروا من قول لا إله إلا الله) [أخرجه أحمد في المسند (2: 359)]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضا: (من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأتِ أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه) [

أخرجه مسلم (2691) والترمذي (2390)]، والصيغة الثانية (الاستغفار): بصيغة [استغفر الله] مائة مرة بعد محاسبة النفس على الزلات لتعود صفحة الأعمال نقية بيضاء وقد أمرنا الله تعالى بذلك بقوله {وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا واستغفروا الله إن الله غفور رحيم} [المزمل: 20]، وقال تعالى أيضا {فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا} [نوح: 10-12]، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكثر من الاستغفار تعليما لأمته وتوجيها كما روى سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه قوله: (والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة) [أخرجه البخاري]، وعن سيدنا عبدالله بن بسر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارا كثيرا) [أخرجه ابن ماجه]، والصيغة الثالثة: [الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم] وقد أمرنا الله تعالى بذلك بقوله {إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما} [الأحزاب: 56]، وكذلك رغب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكثرة الصلاة والسلام عليه فقال: (من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا) [أخرجه النسائي]، وعن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحطت عنه عشر سيئات ورفعت له عشر درجات) [أخرجه النسائي]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضا: (أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة) [أخرجه الترمذي]، ولما كان الورد منهج وسبيل السالكين إلى الله تعالى وقف الشيطان في طريقهم يصدهم عن ذكر ربهم سبحانه بمغاليط خفية وحجج شتى وتلبيسات منوعة فقد زين الشيطان لبعض الذاكرين أن يتركوا الذكر بحجة أن ذكرهم لا يسلم من الوساوس والذكر لا يفيد إلا إذا كان الذاكر حاضر القلب مع الله تعالى، ولكن مرشدي الصوفية حذروا مريديهم من هذا المدخل الشيطاني الخطير، فقال أحد ساداتنا الإمام ابن عطاء الله السكندري رحمه الله تعالى: (لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه، لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع حضور ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور وما ذلك على الله بعزيز) [إيقاظ الهمم في شرح الحكم (1: 79)]، وقد يترك بعض المريدين قراءة أورادهم محتجين بكثرة أشغالهم وأعمالهم وعدم فراغهم لها ويوحي إليهم شيطانهم أن هذا عذر مشروع ومبرر مقبول وأنه لا بأس بتأجيل الأوراد لوقت الفراغ ولكن

المرشدين حذروا السالكين من الإهمال والتسويف وانتظار الفراغ لأن العمر سرعان ما ينتهي والمشاغل لا تزال في تجدد قال الإمام ابن عطاء الله رحمه الله تعالى في حكمه: (إحالتك الأعمال على وجود الفراغ من رعونات النفس)،

**[المفتاح الثالث عشر]: المجاهدة**: المجاهدة استفراغ الوسع في مدافعة العدو والجهاد ثلاثة أضرب: مجاهدة العدو الظاهرة ومجاهدة الشيطان ومجاهدة النفس وتدخل ثلاثتها في قوله تعالى {وجاهدوا في الله حق جهاده} [الحج: 78] وقوله: {وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله} [التوبة: 41]، وقوله تعالى {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا} [العنكبوت: 69]، وأخرج الترمذي قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (المجاهد من جاهد نفسه في الله) [أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح]، وإذا كانت تزكية النفس فرض عين، وهي لا تتم إلا بالمجاهدة فإن المجاهدة تأخذ حكمها من باب: (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب)، فإن قال قائل: إن رجال التصوف يحرمون ما أحل الله من أنواع اللذائذ والمتع وقد قال الله تعالى {قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق}، وقال تعالى {يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين}، فنقول: إن رجال التصوف لم يجعلوا الحلال حراما إذ أسمى مقاصدهم هو التقيد بشرع الله ولكنهم حين عرفوا أن تزكية النفس فرض عين وان للنفس أخلاقا سيئة وتعلقات شهوانية توصل صاحبها إلى الردى وتعيقه عن الترقي في مدارج الكمال وجدوا لزاما عليهم ان يهذبوا نفوسهم ويحرروها من سجن الهوى، وقد تسرع بعض الناس وا التصوف امتدادا لنزعة الرهبنة التي ظهرت في ثلاثة رهط سألو عن عبادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما أخبروا عنها كأنهم تقالوها فقال أحدهم: أما أنا فأصوم الدهر ولا أفطر وقال الثاني: أما أنا فأقوم الليل ولا أنام وقال الثالث: أما أنا فاعتزل النساء ولا أتزوج ولما عرض أمرهم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صحح لهم أفكارهم وردهم إلى الصراط المستقيم والنهج القويم [متفق عليه]، والجواب على ذلك أن التصوف لم يكن في يوم من الأيام شرعة مستقلة ولا دينا جديدا ولكنه تطبيق عملي لدين الله تعالى واقتداء كامل برسوله عليه الصلاة والسلام، وهناك ثمة فرق كبير بين المجاهدة المشروعة المقيدة بدين الله تعالى وبين المغالاة والانحراف وتحريم الحلال وتعذيب الجسد، فالمجاهدة ضرورية للسالك في جميع

مراحل سيره إلى الله تعالى، المجاهدة أصل من أصول طريق الصوفية وقد قالوا: (من حقق الأصول نال الوصول ومن ترك الأصول حرم الوصول)،

**[المفتاح الرابع عشر]: مسألة المصافحة بعد الصلاة:** المصافحة بعد الصلاة أمر مشروع يزيد المحبة بين المسلمين ويوثق أواصر الأخوة فيما بينهم والأدلة على ذلك ما يلي: عن سيدنا يزيد بن الأسود رضي الله عنه: أنه صلى الصبح مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال: ثم ثار الناس يأخذون بيده يمسحون بها وجوههم فأخذت بيده فمسحت بها وجهي فوجدتها (أبرد من الثلج وأطيب ريحا من المسك)، وفي رواية عن سيدنا أبي جحيفة رضي الله عنه قال: ثم صلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الظهر ركعتين والعصر ركعتين وبين يديه عنزة تمر من ورائها المرأة وقام الناس فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بها وجوههم قال فأخذت بيده فوضعتها على وجهي فإذا هي (أبرد من الثلج وأطيب رائحة من المسك) [أخرجه البخاري (3360)]، وقال البراء بن عازب رضي الله عنه: من تمام التحية أن تصافح أخاك [أخرجه البخاري في الأدب (968)]، وعن قلدة بن دعامة الدوسي رضي الله عنه قال قلت لأنس: (أكانت المصافحة في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: نعم)، وعن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما جاء أهل اليمن قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (قد جاءكم أهل اليمن، وهم أول من جاء بالمصافحة) [أخرجه أبو داود]، وعن سيدنا البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا) [أخرجه أبو داود (5212)]، فالأحاديث الثلاثة الأخيرة عامة في مشروعية المصافحة وهي تشمل المصافحة بعد الصلاة وفي الأوقات كلها، والحديثان الأولان يخصصان ويبينان جواز السلام والمصافحة بعد الصلاة خصوصا، ومن أقوال العلماء في الصافحة بعد الصلاة: قال الإمام الطحاوي في حاشيته على مراقي الفلاح: (تطلب المصافحة فهي سنة عقب الصلاة كلها وعند كل لقي)، وقال الشيخ عبدالغني النابلسي عن المصافحة بعد الصلاة: (إنها داخلة تحت عموم سنة المصافحة مطلقا) [شرح الطريقة المحمدية للشيخ النابلسي (2: 150)]، وقال الشيخ الإمام أبو محمد عز الدين بن عبدالسلام رحمه الله: (أنها من البدع المباحة)، وقال الإمام النووي في الأذكار: (أنها بدعة مباحة)، على أن المصافحة بعد الصلاة ودعاء المسلم لأخيه

المسلم بأن يتقبل الله منه صلاته بقوله (تقبل الله) لا يخفى ما فيهما من خير كبير وزيادة تعارف وتآلف وسبب لربط القلوب وإظهار للوحدة والترابط بين المسلمين

**[المفتاح الخامس عشر]: الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم عقب الأذان:** إن الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم عقب الأذان سنة بلا خلاف عند جميع المسلمين لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي) [أخرجه مسلم]، وتصح بأي صيغة كانت وينبغي السلام مع الصلاة لقوله تعالى {صلوا عليه وسلموا تسليما} [الأحزاب: (56)]، قال ابن عابدين في حاشيته نقلا عن كتاب القول البديع في الصلاة على النبي الشفيع للإمام الحافظ السخاوي بعد أن ذكر ما يفعله المؤذنون عقب الأذان من الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد ذكر اختلاف العلماء فيه وقال الصواب أنه بدعة حسنة، وقد وافقه على ذلك من الحفاظ الإمام الحافظ السيوطي والحافظ ابن حجر الهيثمي عن شيخه زكريا الأنصاري ولم نعلم أن أحدا من العلماء المعتبرين أنكر عليهم ذلك وقد ذكر صاحب التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول في تعليقه على ما يستحب لسامع الأذان فقال: الصلاة بعد الأذان سنة للسامع والمؤذن ولو برفع الصوت وعليه الشافعية والحنابلة وهي بدعة حسنة كما ذكر ذلك ابن عابدين في حاشيته على الدر المختار [كتاب الإصابة في نصرة الخلفاء الراشدين والصحابة ص (1615)]،

**[المفتاح السادس عشر]: مسألة رفع اليدين في الدعاء عامة وبعد الصلاة خاصة:** فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن ربكم حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردها صفرا) [أخرجه الترمذي]، وعن عمير مولى أبي اللحم انه رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند أحجار الزيت قريبا من الزوراء يدعو رافعا كفيه قبل وجهه [أخرجه أحمد والترمذي والنسائي]، وعن سلمان أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إن الله جل وعلا يستحي من العبد أن يرفع إليه يديه فيردهما خائبتين) [أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم]، وعن أنس قال: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يرفع يديه في الدعاء حتى يرى بياض إبطيه [أخرجه مسلم]، وهذه الأحاديث كلها عامة تشمل كل الأوقات، وفي مشروعية رفع اليدين أحاديث كثيرة أفردها المنذري في جزء سرد منها النووي في (الأذكار) وفي شرح المهذب جملة وعقد

لها البخاري أيضا في (الأدب المفرد) (214 – 216) بابا ذكر فيه عدة أحاديث وانظر كذلك فتح الباري (11: 142 – 143) فرفع اليدين مشروع معهود بين السلف والخلف،

**[المفتاح السابع عشر]: [التوسل، الاستعانة، الاستغاثة]: التوسل: هو أحد أبواب الدعاء** والتوجه إلى الله تعالى لقضاء الحوائج، قال تعالى {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة} [المائدة: 35]، وأما الاستغاثة: فهي طلب الإغاثة ممن يملكها على وجه الحقيقة وهو الله عز وجل، أو ممن أعطاهم الله بحوله وقوته القدرة عليها، وهم أنبياؤه وأولياؤه، وأما الاستعانة: فهي طلب العون ممن يملكه على وجه الحقيقة وهو الله تبارك وتعالى أو ممن أعطاهم الله بمنه وكرمه القدرة عليها، وهم أنبياءه وأولياؤه، فيظهر لنا أن التوسل والاستغاثة والاستعانة شيء واحد، لأن المتوسل به أو المستغاث به أو المستعان به على الحقيقة هو الله وأما المتوسل به من العبيد فواسطة ووسيلة للتقرب إلى الله سبحانه وتعالى، هذا ولم يختلف أحد من المسلمين في مشروعية التوسل إلى الله سبحانه وتعالى بالأعمال الصالحة من صلاة وصيام وقراءة قرآن وغير ذلك، وأما التوسل بالأنبياء والصالحين، فالمقصود به التوسل بمكانتهم عند الله، فما هو في الحقيقة إلا توسل بأعمالهم الصالحة، والمسلم عندما يتوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم أو بالرجل الصالح إنما يتوسل به لما يعلم من كرامته وجاهه عند الله عز وجل، فالله سبحانه وتعالى متصق بصفة تسمى صفة الاختصاص قال عز وجل: {يختص برحمته من يشاء} [آل عمران: 74]، والنبوة والرسالة والولاية الخاصة ليست مكتسبة بل هي محض فضل الهي واجتباء واختصاص رباني يكون بسببها لذلك العبد منزلة عند الله تسمى الجاه، قال تعالى: {الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب} [الشورى: 13] وقال سبحانه في إثبات الوجاهة والمكانة لبعض أنبيائه وملائكته عليه السلام كسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام {وكان عند الله وجيها} [الأحزاب: 13] أي ذا وجاهة، وقال في حق سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام {وجيها في الدنيا والاخرة ومن المقربين} [آل عمران آية 45] وقال عن سيدنا جبريل عليه السلام {ذي قوة عند ذي العرش مكين} [التكوير: 20] أي صاحب مكانة، فالإنسان عندما يتوسل إلى الله تعالى بجاه نبي أو ولي فإن ذلك يعني أنه توسل إلى الله تعالى بفعل من أفعاله خلقه لذلك النبي وسماه جاها، وبصفة من صفاته سماها اختصاصا، وهذا من التوسل إلى الله بصفاته وأفعاله وهو مجمع على جوازه عند أهل الحق، والمتوسلون بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم يعلمون حق العلم أن

الله تعالى وحده هو النافع والضار ولا يقع في ملكه إلا ما يريد، ولكنهم يتوسلون إلى الله بأفضل خلقه، طمعا في الإجابة لما للنبي صلى الله عليه وآله وسلم من منزلة عند الله، وأما قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله)، فيفهم منه الاستعانة المطلقة أما الاستعانة بالأسباب فجائزة، وقد قال تعالى: {استعينوا بالصبر والصلاة}، والحديث الشريف ليس المقصود به النهي عن السؤال والاستعانة بما سوى الله، وإنما المقصود به النهي عن الغفلة عن كون ما جرى من الخير على يد الأسباب فهو من الله مسبب الأسباب، وقد أمرنا القرآن الكريم بالتوسل وذلك بقوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة} [المائدة:: 35]، واجاز القرآن الاستغاثة بالمخلوق مع العلم واليقين بأن النفع والضر بيد الله وحده، وإنما هي الأسباب وحسب، قال تعالى: {فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه}، فلو كانت الاستغاثة نوعا من الشرك لم يجز لسيدنا موسى أن يغيث هذا الرجل، وحاشا الأنبياء أن يقروا الناس على ما فيه مخالفة المولى عز وجل، وقوله تعالى {ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاوؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما}، فهو دليل على جواز التوسل والاستشفاع بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في سائر الأحوال لأنه في قبره الشريف حي يرزق تعرض عليه أعمال أمته فيدعو لهم ويستغفر، والأدلة على جواز التوسل بالنبي وأتباعه من الصالحين أكثر من أن تحصى وأقوى من ان ترد، وعلى جواز هذا الامر جمهور الأئمة الفقهاء، وبه أفتى أكثر فقهاء المذاهب الاربعة المعتمدة،

**[المفتاح الثامن عشر]: بناء المساجد على فبور الصالحين: لا حرج في بناء المساجد على قبور الاولياء، ولا حرج في دفن الأولياء في المساجد، وقد قال تعالى في قصة أصحاب الكهف: {وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا} [الكهف: 21]، قال الفقهاء: قد ذكر الله تعالى عنهم بناء المسجد على قبور الصالحين، ولم يعقب القرآن الكريم على فعلهم ولو كان شركا لما سكت عنه القرآن، ولو كان كبيرة لنوه إلى ذلك، لأنّه بالأساس كتاب تشريع وهدى وبيان ولم يأت لغرض الإخبار، أو السرد التاريخي لها، ويؤيد هذا القول: كون قبر النبي صلى الله عليه و سلم في مسجده الشريف ولو كان ذلك لا يجوز لما دفنوه صلى الله عليه و سلم في مسجده، فإن قالوا خصوصية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم قلنا:**

دفن بجواره أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، لما ضاق المسجد النبوي عن المصلين، أمر الوليد بن عبد الملك، عامله على المدينة المنورة عمر بن عبد العزيز بهدم بيوت أمهات المؤمنين وإدخالها في المسجد توسعة له، فدخل فيه بيت عائشة رضي الله عنها وفيه القبور الثلاثة، ولم ير عمر بن عبد العزيز ولا غيره من العلماء أن إدخال القبور في المسجد مخالف للدين وللحديث، ومباين لمقاصد الشريعة، ولم يعترض على ذلك أحد من العلماء في عصره، وكان الإمام مالك ينشر العلم في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يعترض على ذلك، وكذلك أبو حنيفة والشافعي واحمد، ثم جاء أئمة المسلمين على مر عصور الإسلام لزيارة المسجد النبوي وفيه القبور، ولم ينكروا ذلك، وعلى توالي القرون، والمسجد النبوي يزار من طبقات الأمة على اختلاف أنواعها، وهذا إجماع قطعي، يفيد أن وجود القبر في المسجد لا شيء فيه، وقد تقرر في علم الأصول أن الأمة الإسلامية لا تجتمع على ضلالة، لقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم (لا يجمع الله أمتي على الضلالة)، أضف إلى ذلك: فقد صلى النبي صلى الله عليه و سلم في مسجد الخيف مع أن فيه قبر سبعين نبيا كما ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم، ومنه أيضا ما ذكر في بعض الآثار أن قبر إسماعيل عليه السلام في الحجر من المسجد الحرام وهو أفضل مسجد يتحرى المصلى فيه، ومنه أيضا ما ورد في السيرة أنّ أول من بُنى عليه مسجد في الإسلام كان بناء أبي جندل رضي الله عنه مسجدا على قبر أبي بصير رضي الله عنه في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم إنه على مر عصور الإسلام كان المسلمون إذا مات العالم أو الصالح دفنوه في المسجد، وقد أباح الفقهاء ذلك، ولم يزل الناس يبنون على مقابر الصالحين وأئمة الإسلام شرقاً وغرباً كما هو معلوم، ومما يهون الامر: معرفة رأي الفقهاء على المذاهب الأربعة: فقد قال الأحناف: تكره الصلاة في المقبرة إذا كان القبر بين يدي المصلي بحيث لو صلى وقع بصره عليه فإذا كان القبر خلف المصلي وهو مستقبل القبلة فلا كراهة، وقال المالكية: الصلاة في المقبرة جائزة بلا كراهة إذا خلت عن النجاسة، وقال الشافعية: تكره الصلاة في المقبرة غير المنبوشة، سواء كانت القبور أمامه أو خلفه، أو على يمينه أو على شماله، أما الصلاة في المقبرة المنبوشة بلا حائل فباطلة لوجود النجاسة بها، وقال الحنابلة: أن الصلاة في المقبرة التي تحتوي على أقل من ثلاث قبور صحيحة بلا كراهة إذا لم يستقبل المصلي القبر، وأن استقبله كانت الصلاة مكروهة، فقصارى الأمر عند المذاهب الفقهية أن الصلاة صحيحة مع الكراهة أو بلا كراهة، فإن قيل فما هي مفاتيح الفهم الصحيح للاحاديث التي يفهم منها خلاف ذلك، فالجواب: أنه وردت

أحاديث صحيحة تنهى عن اتخاذ القبور مساجد: منها: حديث: (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) [متفق عليه]، والمعنى المقصود من اتخاذ القبور مساجد، هو السجود عليها، واستقبالها بالصلاة إليها، وليس مجرد بناء المساجد عليها، بدليل معارضة هذا الفهم لما جاء في الكتاب والسنّة وعمل المسلمين على مر العصور بما يُخالف ذلك، ونحن إذا نظرنا إلى صنيع الامة مع علمائها وأوليائها على مر عصور الإسلام، ودفنهم في المساجد، وجدنا أن هذا الفهم بالمنع عن دفنهم في المساجد، موقوف عن العمل به، مما يؤيد انه غير داخل في معنى الحديث، ومعلوم أنّ: بناء المسجد على القبر معناه يختلف عن معنى اتخاذ القبر مسجداً، ولذا فالمعنى المراد هو هو السجود عليها، واستقبالها بالصلاة إليها، فإن قال قائل: فما معنى حديث البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: (أن أمَّ حبيبةَ وأمَّ سلمةَ ذكرتا كنيسةً رأَيْنَهَا بالحبشةِ فيها تصاويرُ، فذكرتا للنبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال: إن أولئك إذا كان فيهم الرجلُ الصالحُ فمات، بَنَوْا على قَبرِهِ مَسجِدًا، وصَوَّرُوا فيه تيك الصورَ، أولئك شِرارُ الخَلْقِ عندَ اللهِ يومَ القيامةِ) [البخاري ح: 3873]، فالجواب: حمل الفقهاء الذم في الحديث على التصاوير، فأخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن وضع التصاوير في أماكن عبادتهم من قبيح فعلهم، مع أن التصاوير منهي عنها في البيوت فكيف بأماكن العبادة؟ فالذم في الحديث منصب على التصاوير لا على بناء المسجد، وإن قال قائل: فما معنى حديث: (اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ) [أخرجه مالك]، فالمعنى واضح: كان اليهود يسجدون لقبور أنبيائهم تعظيماً لشأنهم، ويجعلونها قبلة، ويتوجهون في الصلاة نحوها، فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحذر أمته من ذلك، لان فيه معنى العبادة، ويشبه صنيع أهل الأوثان مع أوثانهم، وإن قال قائل: فما معنى حديث مسلم: (لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها)، قال الفقهاء: النهي في الحديث للكراهة، قال البخاري: رأى عمر أنس بن مالك يصلي عند قبر فقال: القبر، القبر، ولم يأمره بالإعادة، وإن قال قائل: فما معنى حديث مسلم عن علي رضي الله عنه قال: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أن أدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته)، والمقصود به من غير شك قبور المشركين لا من قبور المسلمين، ولذلك فإن أحاديث النهي عن البناء على القبور ليست عامة في جميع القبور، بل يستثني منها قبور الأنبياء والصالحين والعلماء المشهورين، ومما يؤكد ذلك: أن المسلمين بعد فتحهم بيت المقدس وبلاد الشام لم يهدموا قبر الخليل وقبور أولاده الأنبياء إسحاق ويعقوب وغيرهما من صالحي أهل

بيته، ولم يأمر عمر ولا الصحابة ولا التابعون بهدم ذلك 0 ولا يوجد دليل على حرمة الصلاة في مسجد فيه قبور، ولم يقل أحدمن الأئمة بذلك، بل قد صح عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: (جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فعنده مسجده وطهورة)، وهذا من خصائص النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، بإجماع العلماء، والخصائص لا تنسخ ولا يستثنى منها شيئا، وغاية الأمر كما ترى خلاف فقهي في مسائل لا تبلغ حد التحريم، فمن الخلل الجسيم ادراج هذه المسالة ضمن مباحث التوحيد والشرك، والزعم بأنّ البناء على القبور يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله، فهذا هو الغلو والجهل، لأن المؤدي إلى الشرك هو اتخاذ القبور مساجد بمعنى قصد القبر لعبادته أو عبادة من فيه، والمسلمون بحمد الله على التوحيد، ولا يوجد من زوار الأنبياء والصالحين من أهل الإسلام من هو عابد لهم ولا متخذهم مع الله آلهة، ولم يقل أحد من أئمة الفقهاء: أن البناء على القبور شرك ولا ذريعة للشرك، ولم يقل أحد من أهل العلم الذي يقتدى بهم أن البناء على القبر يصيره طاغوتاً وصنماً يعبد من دون الله، وأنه شرك وأن الذاهب لزيارة هذا القبر مشرك وعابد صنم حتى جاء الوهابيون فكفروا الأمة الإسلامية بمفاهيم مغلوطة،

***

## المبحث الحادي والاربعون

## مصطلحات أهل التصوف

**[المفتاح الأول]: التصوف الحق**: علم جليل له مصطلحاته الخاصة به، لا يعلمها على وجهها إلا أصحابه المتخصصون فيه، وهذا موجود في كافة العلوم، كالفقه والحديث والنحو وغيره، وللصوفية اصطلاحاتهم الخاصة بهم، التي انفردوا بها عمن سواهم، هذه المصطلحات لها معان شرعية صحيحة جليلة ومقاصد كريمة جليلة، فربما نظر البعض إلى هذه المصطلحات على أنها أمور مبتدعة، فيضلل أصحابها جهلا منه بهذا العلم ومصطلحاته، فلابد لمن يريد معرفة التصوف الحق أن يرجع إلى أصحابه، حتى تتضح له عباراتهم، ويتعرف على إشاراتهم ومصطلحاتهم، فيستبين له مرادهم، قال بعض الصوفية: نحن قوم يحرم النظر في كتبنا على من لم يكن من أهل طريقنا، وكلامهم في تحذير من لا يفهم كلامهم ولا يعرف اصطلاحاتهم ليس من قبيل كتم العلم، ولكن خوفاً من أن يفهم الناس من كتبهم غير ما يقصدون، وخشية أن يؤولوا كلامهم على غير حقيقته، فيقعوا في الإنكار والاعتراض، على أنّ (التصوف) ليس علما مجردا يُنال بمعرفة الاصطلاحات، بل لابد من السلوك مع رجاله ومجالسة أهله، والتعلم على أيديهم، فإن التصوف علم وخلق وسلوك لا ينال بمعرفة الاصطلاحات ولا بقراءة الأوراق، ولكن بصحبة أهل التصوف، حتى يكرمه الله بما أكرمهم به من التذوق والمعرفة، فإنك لو ظللت أياما وشهورا تشرح لأحد ما طعم العسل، لن يعرفه حتى يتذوقه، وآنذاك يعرف، ومن لم يتذوق معاني التصوف فليس بصوفي حتى يتذوق، فإن ادمن التذوق صار من اهل العرفان، **ومن أجل الكتب التي حوت تلك المصطلحات**: كتاب (التعرف على مذهب أهل التصوف) للإمام لأبي بكر الكلاباذي، وكتاب (معراج التشوف إلى حقائق التصوف للعارف بالله الإمام ابن عجيبة الحسني)، وكتاب (معجم اصطلاحات الصوفية للعارف بالله الإمام عبد الرزاق الكاشاني)، على أنّ (التصوف) ليس علما مجردا يُنال بمعرفة الاصطلاحات، بل لابد من السلوك مع رجاله ومجالسة أهله، والتعلم على أيديهم، فإن التصوف لا ينال بقراءة الأوراق، ولكن بصحبة أهل التصوف، حتى يكرمه الله بما أكرمهم به من التذوق والمعرفة، ومن تلك المصطلحات:

**[المفتاح الثاني]: العقيدة والشريعة والحقيقة**: ثلاثة جوانب للدين تمثلها علوم الدين الأساسية الثلاث: علوم العقيدة والفقه والتصوف، فمثلما اهتم الفقه بتعاليم مرتبة الإسلام، ومثلما اهتم علم العقيدة بأركان مرتبة الإيمان، فإن التصوف اهتم بتحقيق مرتبة الإحسان الظاهر والباطن، وبيان

درجات الإحسان، ومنازل المحسنين، والتي تبدأ بالمراقبة وإلى دخول حضرة الحق وحصول المشاهدة، (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، وهو أعمق علوم الدين وأعلاها، له مباحثة القائمة على الكتاب والسنة وجهود علمائه الربانيين في فهم أدلة الكتاب والسنة، وهو يتناول العلم بحقائق الدين، ويرسم الطريق للوصول إلى رب العالمين، وذلك عن طريق منازل ومعارف ووسائل منها الاجتهاد في العبادات واجتناب المنهيات، وتزكية النفس وتطهير القلب بالتخلية من الأخلاق السيئة، والتحلية بالأخلاق الحسنة، وارتقاء المنازل إلى الله، وهذه المعارف وتلك المنازل وهذا المنهج يستمد أصوله وفروعه من القرآن والسنة النبوية واجتهاد العلماء فيما لم يرد فيه نص، فجعلوه علما سموه بـ علم التصوف، أو علم التزكية، أو علم الأخلاق، أو علم الإحسان، فألفوا فيه الكتب الكثيرة بينوا فيها أصوله وفروعه وقواعده، الحاصل: التصوف علم وسلوك قام على التحقيق الأوفى لمرتبة الإحسان، وتعلق ببيان أركانها الظاهرة والباطنة ودرجاتها وأحوالها ومنازلها،

**[المفتاح الثالث]: الطريقة والشريعة والحقيقة:** مصطلحات ضرورية لكل صوفي، ف (الطريقة) وسيلته للسير إلى الله، وتشتمل الطريقة على الأذكار والأوراد إضافة إلى التقرب إلى الله تعالى بأداء الفرائض والمندوبات والكف عن الكبائر والمحرمات، وكما أنه لا غنى للمتعلم عن العالم، فإنه لا غنى للسائر إلى الله عن الشيخ المربي والولي المرشد، ليدله على طريق سفره إلى الله، قالوا: (من لا شيخ له في الطريق فشيخه الشيطان)، لأنه لا مناص للمسافر إلى الله، من دليل يدل على الطريق، فإن لم يكن له دليل من الأولياء المرشدين، تمشيخ عليه الشيطان من حيث لا يدري، ودله على الباطل، و (الشريعة) منهاجه أثناء سيره إلى الله، والشريعة تقوم على الكتاب والسنة وجهود العلماء الوارثين في فهم أدلة الكتاب والسنة، و (الحقيقة) غاية كل صوفي، فمع سلوك الطريقة والتزام الشريعة يحصل للسالكين في سيرهم إلى الله تعالى الكشف الرباني، وبفوز الصوفي بلقاء الله حيث تنمحي آثار الزمان المكان، فيطلع على تجليات جناب الحق، وبهذا التجليات يدرك الصوفي من حقائق الوجود ما لا يدركه غيره، غاية الصوفي الحقيقة المطلقة، وهي الدخول على جناب الحق تعالى وتقدس في حضرته الأحدية، تلك الحضرة التي تقهر كل شيء، ويكون الفناء المحض للولي في حضرة الحق حيث فناء الرسوم وانطماس الآثار، ولا يبقى إلا أحدية الحق تعالى وتقدس، فيسمع بالله، ويرى بالله ويتكلم بالله، وينظر إلى الكون من منظور علم الله حيث لا غاية ولا نهاية ولا

حد ولا مقدار، لهذا فإن معاني الطريقة والشريعة والحقيقة ضرورية لكل صوفي حق سائر إلى الله، يبتغي وجه الله، لا شيء سواه،

**[المفتاح الرابع]: التخلي والتحلي والتجلي:** من أهم مصطلحات أهل التصوف:، والتخلية ظاهرة وباطنة، والتحلية ظاهرة وباطنة، فأما (التخلية الظاهرة) فمعناها التخلي عن المعاصي التي تتعلق بالجوارح السبعة، وهي: اللسان والأذنان والعينان واليدان والرجلان والبطن والفرج، وأما (التحلية الظاهرة) ومعناها أن يحلي السالك إلى الله تعالى هذه الجوارح السبعة بالطاعات المناسبة لكل منها، فهذه الجوارح السبعة منافذ على القلب إما أن تصب عليه ظلمات المعاصي فتكدره وتمرضه، وإما أن تُدخل عليه أنوار الطاعات فتشفيه وتنوره، و (التخلية الباطنة) معناها التخلي عن المعاصي القلب كالكبر والرياء والغضب، و (التحلية الباطنة) معناها التحلي بالطاعات الباطنة، وتحلية القلب بصفات الخلق العظيم كالتواضع والإخلاص والحِلم، قالوا: فمن تخلى عن المعاصي الظاهرة والباطنة وتحلى بالطاعات الظاهرة والباطنة، فقد تعرض لتجليات الحق الجلالية والجمالية، وقيل: (التخلي والتحلي والتجلي): التخلي عن صفات الربوبية، والتحلي بأخلاق العبودية، والتجلّي: ما ينكشف للقلوب من أنوار الحق على قلوب المقبلين عليه،

**[المفتاح الخامس]: الزهد:** الزهد بدايته الزهد في المعاصي، وهو أن يزهد الإنسان في المعاصي فلا يميل إليها، ثم الزهد في متاع الدنيا الفاني رغبة فيما عند الله عز وجل في الدار الآخرة، و (الزهد) للعامة قربة، وهو للمريد ضرورة لأنه لو لم يزهد في الدنيا لم يستطع الترقي في المنازل، فأول شروط الترقي في المنازل الزهد في الدنيا، والمريد إنما سمي مريدا لجمعه الإرادة والهمة على إرادة الله وترك الدنيا وعلى السير والترقي في المنازل إلى الله فلو لم يزهد لما صح أن يُقال عنه انه مريد، و (الزهد) للخاصة خسة، لانهم اهل عرفان، عرفوا حقيقة الدنيا، فهم لا يرون الدنيا تستحق أصلا ان يُزهد فيها لأنها دار الغرور، فهم يزهدون في الزهد فيها، أما الزهد الأرقى هو أن يزهد قلبه في كل ما سوى مولاه، حتى لا يخطر على القلب خاطر لغير الله جل في علاه، وهذا هو الزهد الأرقى، وهو أن يزهد في الكونين رغبة في مكون الكونين عز وجل وهذا زهد العارفين،

**[المفتاح السادس]: الورع:** أوله الورع في الحرام، ثم يرتقي إلى الورع في المباحات، يتورع عن بعض هذه المباحات خوف الفتنة، أو خوف الحجاب، أو خوف البعد من حضرة الكريم الوهاب،

أو خوف الانشغال بها عن الله، ثم الورع عن الشبهات، والشبهات هي الأمور التي تختلط على كثير من الناس، فمن الناس من يحلها، ومنهم من يحرمها، فأهل هذا المقام يتورعون عن كل هذه الشبهات، أما ورع المتمكنين فهو التورع من أن يخطر على باله في أي نَفَس من أنفاسه شيء سوى مولاه،

**[المفتاح السابع]: العشق**: العشق هو مجاوزة الحد في المحبة، العاشق لا يحب أن يغيب عنه محبوبه طرفة عين، فالعشق أرقى من المحبة، و (العشق الصوفي) فناء الإنسان عن الأكوان، ثم الميل بالكلية إلى رب البرية عز وجل، يعشق جمالات الله، فإن الله جميل يحب الجمال، ويعشق كمالات الله، فإن لله الكمال المطلق، ويعشق نور حبيب الله ومصطفاه، وإذا غاب عنه طرفة عينٍ ضاقت عليه الأرض بما رحبت وضاقت عليه نفسه، وفي ذلك يقول سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: (بقي لي أربعين عاماً لو غاب عني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طرفة عين ما عددت نفسي من الموحدين) ويقول في ذلك أيضاً سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه: (وإن خطرت لي في سواك إرادةٌ... على خاطري نَفَساً قضيتُ بردتي)،

**[المفتاح الثامن]: السُّكر والخمر**: (السُكر الصوفي) لما زادت محبة الله، أو محبة حبيب الله ومصطفاه، في قلب الصوفي، غاب عما حوله، فلا يعيش إلا في نطاق محبوبه وهو الله عز وجل، أو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيكون قد غاب عن الدنيا ليعيش في رحاب الحبيب، لكن الجسم قائم بما ينبغي عليه في الدنيا، أما (الخمر الصوفي) فإن الصالحين لما عبَّروا عن عشقهم وحبهم لربهم ولنبيهم لم يجدوا ألفاظاً تلائم ذلك يستطيع أن يفهمها الخلق إلا ألفاظ المحبين العاديين، لكن مقصودهم معنوي وعالي وقلبي، فالخمر ما يُسكر الإنسان، هناك أُناس إذا رأى أحدهم نور رسول الله يغيب عن الوجود ولا يشعر بمن حوله،

**[المفتاح التاسع]: الذوق**: الذوق هو الإحساس بالمعاني الراقية بالقلب المملوء بنور الإيمان، والذوق فوق العلم، لأن العلم يُحصَّل عن طريق الأذن بالسماع، أو عن طريق العين بالقراءة، لكن الذوق يُحصَّل عن طريق القلب، والقلب إذا صفا واستنار بنور الحبيب المصطفى يأتيه دائمًا وأبدًا فيوضات وإلهامات من عالم الغيب الإلهي تجعله عندما يستمع إلى الكلام يأتيه تفسيره المناسب له من حضرة العليم عز وجل، هذا هو الذوق، قد تظل أياما وشهورا تشرح لأحد ما طعم العسل، لن

يعرفه حتى يتذوقه، وآنذاك يعرف، ومن لم يتذوق معاني التصوف فليس بصوفي حتى يتذوق، فإن ادمن التذوق صار من اهل العرفان،

**[المفتاح العاشر]: الجمع والتفرقة:** الجمع عبارة عن: شهود الحق بلا خلق، والتفرقة شهود الحق والخلق، فإذا جمع العبد قال: الله ولا شيء سواه، وإذا فرق قال الرب رب والعبد عبد، فإثبات الحق من نعت الجمع، ورؤية العبد من باب التفرقة، ولابد للعبد من الجمع والفرق فإن من لا جمع له لا معرفة له، ومن لا تفرقة له لا عبودية له، الجمع عين الفناء بالله في الله وهو أعظم المعرفة، وهو حكم الروح، والتفرقة رؤية العبودية، وهي حكم الجسد، وما دام الإنسان مركبا من روح وجسد، فلابد من الجمع والتفرقة، إذا نظر إلى نفسه فرّق ورأى الفرق بين الربوبية والعبودية، فلزم ادب العبودية، وإذا نظر إلى ربه جمع، فلا يرى بالله إلا الله، وهو آنذاك في حالة الفناء عن النفس بالله، وفي حضرة الشهود رؤية تجليات أفعال جناب الذات تفرقة، ورؤية تجليات صفات الذات جمع، و جمع الجمع ويسمى الفرق بعد الجمع، أعلى من الجمع والتفرقة، لأن الجمع فناء في الله، وجمع الجمع بقاء بالله فهو يفرق بعد الجمع بالله، وهو يشهد الخلق قائماً بالحق، فلو نظر بعين التفرقة لا يسلب نظر الجمع، ولو نظر بعين الجمع لا يفقد نظر التفرقة، بل يجتمع له عينان، ينظر بالأولى إلى الحق نظر الجمع، وبالثانية إلى الخلق نظر التفرقة، وصاحب هذه الحالة يستوى عنده الخلطة والوحدة ولا تقدح المخالطة مع الخلق في حاله،

**[المفتاح الحادي عشر]: الحضرة والحضور:** الحضرة: قرب الشيء، تقول: كنت بحضرة فلان أي حظيت بقربه، والحضرة من الشهود ولهذا يقولون حضر فلان إذا رأوه، والحضرة اصطلاحاً: حضور القلب لما غاب عن عيانه بصفاء اليقين، حضور القلب بدلالة اليقين، حتى يصير الحكم الغيبي له مثل الحكم العيني،

**[المفتاح الثاني عشر]: الاتصال:** أي أن ينفصل بسره عما سوى الله، فلا يَرَى بسره – بمعنى التعظيم – غيرَه، ولا يسمع إلا منه، قال النوري: الاتصال: مكاشفات القلوب، ومشاهدات الأسرار، وقال بعض الكبار: الاتصال: أن لا يشهد العبد غير خالقه، ولا يتصل بسره خاطر لغير صانعه،

**[المفتاح الثالث عشر]: التجريد والتفريد:** التجريد أن يتجرد بظاهره عن الأعراض، وبباطنه عن الأعواض، بل يفعل ذلك لوجوب حق الله تعالى، لا لعلة غيره، ولا لسبب سواه، ويتجرد بسره عن ملاحظة المقامات التي يخلها، والأحوال التي ينازلها، والتفريد: أن يتفرد عن الأشكال، وينفرد في الأحوال، ويتوحد في الأفعال، فلا يكون فيها رؤية نفس، ولا مراعاة خلق، ولا مطالعة عوض، ويتفرد في الأحوال عن الأحوال: فلا يرى لنفسه حالا، بل يغيب برؤية محولها عنها، ويتفرد عن الأشكال: فلا يأنس بها، ولا يستوحش منها، وقيل: التجريد: أن لا يَملِك، والتفريد: أن لا يُمْلَك،، وقيل: التجريد: قطعُ العلائق الظاهرية، والتفريد: قطع العلاقات الباطنية، وقيل: التجريد: على ثلاثة أقسام: تجريد الظاهر، وهو ترك كل ما يشغل الجوارح عن الله، وتجريد الباطن، وهو كل ما يشغل القلب عن الله، وتجريدهما، وهو إفراد القلب والقالب لله،

**[المفتاح الرابع عشر]: الغيبة والشهود:** الغَيْبَة: أن يغيب عن حظوظ نفسه فلا يراها، و (الغيبة): غيبة القلب عن مشاهدة الخلق، بحضوره ومشاهدته للحق بلا تغيير ظاهر العبد، ثم قد يغيب عن إحساسه بنفسه وغيره بواردٍ من تذكر ثوابٍ أو تفكر عقابٍ، و (الشُّهُودُ): أن يرى الباقي لا غير،

**[المفتاح الخامس عشر]: الفناء والبقاء:** الفناء يكون بالفناء عما سوى الله، بالفناء عن السوى والاغيار وعن النفس والرسم، والبقاء يكون بعد الفناء، ويكون بالله فيسمع بالله ويبصر بالله ويتكلم بالله،

**[المفتاح السادس عشر]: الإرادة:** عند أهل التصوف: جمرةٌ من نار المحبة في القلب مقتضية لإجابة دواعي الحقيقة، والإرادة: عندهم هي استدامة الكدّ وترك الراحة، والإرادة: عندهم هي الإقبال بالكلّية على الحق والإعراض عن الخلق، وهي ابتداء المحبة، والمريد هو من تحقق بتلك الإرادة،

**[المفتاح السابع عشر]: الأنس:** عند الصوفية يطلق على الأنس بالله، وهو حال شريف يشمل اِلتذاذ الروح بكمال صفات الجمال، قال الجنيد: الأنس ارتفاع الحِشمة مع وجود الهيبة، ومعنى ارتفاع الحشمة هو أن يغلب الرجاء على الخوف منه

**[المفتاح الثامن عشر]: البسط والقبض:** يستخدم اهل الطريق: ألفاظ البسط والقبض، ويريدون بالبسط وارد على القلب يغلب الرجاء على الخوف، ويريدون بالقبض وارد على القلب يغلب الخوف على الرجاء، فإذا كاشف الله تعالى العبد بنعوت جلاله قبضه، وإذا كاشفه بنعوت جماله بسطه،

**[المفتاح التاسع عشر]: الإصطلام:** الإصطلام هو الشوق الشديد الذي يجعل صاحبه لا ينشغل بغير محبوبه طرفة عين ولا أقل، فلو نام يفكر فيه، ولو مشى يكون مشغول به، في كل أحواله مشغول بمحبوبه، فالمحبوب هو الله عز وجل، أو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والإصطلام هو الشوق الشديد، والحب الذي لا ينتهي، وليس له أمل ولا وقت

**[المفتاح العشرون]: الخلوة والجلوة:** الخلوة: محادثة السر مع الحق حيث لا ملك ولا أحد، وتتضمن الخلوة الصمت الا عن ذكر المحبوب، والاعراض عن غير المحبوب، والخلوة اذا زوجت بالذكر، ولدت حسن المشاهدة، والجلوة: خروج العبد من الخلوة بالنعوت الالهية، والجلوة انما تبتدي بعد الخلوة، ذلك ان الجلوة هي خروج العبد من الخلوة بالنعوت الالهية،

**[المفتاح الحادي والعشرون]: الجمال والجلال:** الجمال هو التجلي والظهور، ومن نعوته معاني الدنو والقرب واللطف والرحمة والانس، والجلال هو الاحتجاب، ومن نعوته العلو والعزة والقهر، ولكل جمال جلال، ووراء كل جلال جمال، والجمال المطلق لا يليق الا بالله، وهو الجمال الالهي الذي لا يعلل، ولا يكيّف ولا يمثل، ولا يعرف كنهه الا هو، والجلال المطلق لا يكون إلا لله، له الكبرياء والعظمة وله القهر والجبروت وله الحكم والأمر،

**[المفتاح الثاني والعشرون]: الحلول والاتحاد:** (الحلول) حال يصير معها الذاكر الى مقامٍ يفنى فيه عن نفسه وعن الخلق أجمعين، وتجري ينابيع الحكمة من قلبه، يحل في القلوب الإيمان بالله والمعرفة له، لا هو بذاته أو بصفاته يحل بهم، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، و (الاتحاد) هو شهود الوجود الحق الواحد المطلق الذي كلُّ الوجود به موجودٌ، وبنفسه معدوم، فليس لغير الله تعالى وجود ذاتي خاص به، فالكل بالله موجود وبنفسه معدوم، فمتى وصل السالك إلى رؤية الوجود موجودا بالله تعالى، عدم في وجوده بنفسه، فهذا عندهم هو الاتحاد،

**[المفتاح الثالث والعشرون]: الإحسان:** هو التحقق بالعبودية على مشاهدة حضرة الربوبية بنور البصيرة، أي رؤية الحق موصوفاً بصفاته بعين صفته، فهو يراه يقيناً ولا يراه حقيقة، ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلم: "كأنك تراه، لأنه يراه من وراء حجب صفاته، فلا يرى الحقيقة بالحقيقة، لأنه الله هو الداعي، وصفة لوصفه، هو دون مقام المشاهدة في مقام الروح"،

**[المفتاح الرابع والعشرون]: التوحيد:** أعلى منازل السائرين، وهو نهاية مطلب الطالبين، وهو بحر عظيم لا حد له وقف الأولياء على ساحله، ولا يسبح فيه إلا الأنبياء، وهو في النهاية: توحيد الحق ذاته بذاته لذاته، فهذه بعض مصطلحات التصوف، ومن أراد الوقوف على المزيد منها مع بيانها خير بيان، فعليه بكتاب (معراج التشوف إلى حقائق التصوف للعارف بالله الإمام ابن عجيبة الحسني)، أو كتاب (معجم اصطلاحات الصوفية للعارف بالله الإمام عبد الرزاق الكاشاني)، على أنّ (التصوف) ليس علما مجردا يُنال بمعرفة الاصطلاحات، بل لابد من السلوك مع رجاله ومجالسة أهله، والتعلم على أيديهم، فإن التصوف لا ينال بقراءة الأوراق، ولكن بصحبة أهل التصوف، حتى يكرمه الله بما أكرمهم به من التذوق والمعرفة،

***

## المبحث الثاني والاربعون

## نظريات أهل التصوف

من أهم نظريات أهل التصوف الناشئة عن العرفان الحقيقي والكشف الإلهي والتجلي الرباني، نظريتان هما (وحدة الوجود) و (الحقيقة المحمدية) سأحاول إلقاء الضوء بإيجاز شديد على كل منهما، مع التنبيه إلى انهما ناشئتان عن شهود، فليس الامر في المعرفة العلمية لهما، بل الشأن في شهودهما، ولا يشهدهما إلا ولي من أولياء الله، نسأل الله تعالى من فضله الواسع العظيم،

**[النظرية الأولى]: وحدة الوجود:** أهل التصوف الحق هم العارفون بالله الربانيون القائمون على مرتبة الإحسان وهم أهل التنزيه والتقديس لله، لا يجوز الظن فيهم بأنهم يخالفون عقائد الكتاب والسنة كيف وهم أولياء الله، وأعلم الناس بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يُتصور مخالفتهم لعقائد أهل السنة والجماعة الناجية أبدا، كيف وهم أهل العلم اللدني، وأهل المعرفة شهودا، وهم أئمة أهل السنة والجماعة علما ومعرفة وتحقيقا، إذن: لابد من معرفة المنهل الذي منه يغترفون، أهل العرفان لا يعتقدون (وحدة الوجود) بل هم يشهدون هذه الوحدة، فهي حالة شهودية تخص الأولياء إذا بلغوا منازل عالية من السير إلى الله، فهم يقولون بما يشهدون، وفي القرآن الكريم ما يؤيد شهودهم، قال تعالى: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن: 26، 27]، فالفناء جاء بصيغة الاسم للدلالة على تحقق الفناء، ولا معنى للفناء إلا العدم، وكذلك قوله تعالى: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [القصص: 88]، ولا معنى للهلاك إلا العدم، وكذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل)، والباطل هو العدم، كما أنّ (الحق) اسم من أسماء الله تعالى، ومعناه: الثابت الوجود المتصف بالوجود الدائم وقد تكرر ذكره سبحانه في القرآن الكريم كثيراً، (الحق): هو الذي لم يزل ولا يزال، ولا وجود لشيء من الأشياء إلا به سبحانه، فأهل العرفان حكموا بما شهدوا، وأهل العرفان حكموا بما حكم الشرع، وأهل العرفان أهل فناء عن السوى والاغيار، وأهل فناء عن النفس والرسم والدنيا والآخرة، وأهل بقاء بالله، به يشهدون، وبه يسمعون وبه يبصرون وبه يتكلمون، فإن قالوا: بوحدة الوجود، فهم قد حكموا بالحق الأزلي الذي جاء به الشرع، وهم قد حكموا بما شاهدوه، وبما رأوه ببصائرهم، والبصر الحقيقي هو بصر القلب (البصيرة)، قال تعالى: {فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} [الحج: 46]، فما ذنب اهل العرفان إن شهدوا بما حُجب عنه أكثر الخلق، فلا حجة للنافي على المثبت ولا حجة للجاهل على العالم، وفوق كل ذي علم عليم، **يقول اهل التصوف: هناك مقامان رفيعان من مقامات التصوف الحق**، المقام

الاول: **(مقام الفناء)** هو أن تبدو للسالك من عظمة الله تعالى ما يغيبه عن كل شيء وينسيه كلَّ شيء، سوى الواحد الأحد الذي ليس كمثله شيء، مثاله – لتقريب المعنى – حال النسوة اللاتي قطعن أيديهن من جمال نبي الله يوسف عليه السلام، فبسبب جماله عليه السلام ذهلن وفنينّ عن أيديهن فقطعن أيديهن، ولم يشعرن بألم القطع أبدا لأنهن كنّ في حالة فناء عن أنفسهن بجمال يوسف عليه السلام، فكيف بحال من تجلت عليه أنوار المعرفة بالله، وهي الحال التي يستغرق فيها الصوفي ويفنى عن نفسه وعن جميع من حوله، فلا يشاهد سوى الحق لاستغراقه فيه بالكلِّية، **أما المقام الثاني: (مقام البقاء)** فهو أعلى من مقام الفناء لأنه شهود الخلق بالله، فالفناء انجذاب إلى حضرة الخالق والغيبة عن الخلق، و(البقاء) يمثل العودة إلى شهود عالم الخلق بالله، فيكون الولي فانيا عن أوصافه باقيا بأوصاف الحق ويؤيده الحديث: (وما يزال عبدي يَتَقَرَّب إليَّ بالنوافل حتَّى أحبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُه: كنتُ سَمْعَه الذي يَسْمَع به، وبَصَرَه الذي يُبْصِر به، ويَدَه التي يَبْطِش بها، ورِجْلَه التي يَمْشِي بها) [أخرجه البخاري]، فإذا قال الصوفي: (لا أرى شيئًا غير الله)، فهو في مقام الفناء، فلا يرى بقلبه شيئا سوى الله لأنه في غيبة بالخالق عن الخلائق، وإذا قال: (لا أرى شيئًا إلا وأرى الله فيه)، فهو في مقام البقاء فهو يرى الخلق ولكنها رؤية بالله، فهو يعلم بالفرق بين وجود الخالق ووجود المخلوق، ولكنه لا يشعر إلا بالوجود الأصلي الواجب الذي هو وجود الله تعالى وحده، أهل المقامات العظام، غلب عليهم الشهود في مقام (أن تعبد الله كأنك تراه) فاستغرقوا في بحر التوحيد والمشاهدة القلبية، ففني أحدهم عن نفسه وعن العالم من حوله، فلا يشهد بقلبه إلا الله، **وهؤلاء غابوا عن شهود غير الله، فقالوا بوحدة الوجود، مع استقامتهم على شرع الله تعالى**، وهذا القول منهم من الشهود والعرفان وعالي منازل الإحسان، **ومن جهة ثانية**، إذا نظرنا إلى الكون على انه تجليات أسماء الله تعالى الدالة على جناب ذاته وصفاته وأفعاله، فإن الوجود من هذه الوجهة، واحد لا يتعدد ولا يتكثر هو وجود الرب المعبود بجناب ذاته وأسمائه وصفاته، وكل ما نراه، وكل ما نشاهده، وكل هذا الوجود إنما هو من آثار تجليات الحق سبحانه، فمن هذا المعنى يصح قولا أيضا القول بوحدة الوجود على سبيل الاستدلال، فكيف باهل التصوف وقد شاهدوا الامر بالعيان فأغناهم عن الاستدلال، فهم يرون شهودا كل ما في الوجود أثر لأسماء الله تعالى الدالة على جناب ذاته وصفاته وافعاله، فلا ثم إلا الله وكل الخلائق والاكوان إنما هي أثار خلقه وفعله ومشيئته وارادته فلا يكون إلا ما يريد ولا يخرج شيء عن مشيئته وقدره وهم يرون شهودا من وراء الستار ما لا يراه غيرهم من أهل المراتب الأدنى الإسلام والإيمان، فهل يتعالى الأدنى على الأعلى وهل ينفي الأدنى ما يراه

الأعلى ما دام في اطار الشريعة لا يستدل إلا بها ولا يخرج عن منطوقها قيد أنمله، والخلاصة (وحدة الوجود) حالة شهودية لا يراها إلا من اكرمه الله ببلوغها وقد يتحول الحال إلى مقام فينطق العارف بها اضرارا لا تشبعا، ولا ادعاء، ومن كان هذا حاله فإنما ينطق بها من مقام الصديقية، اما المدعى فحسابه على الله وقد قال الله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ} [الانعام: 21]، وقال تعالى: {قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (69) مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ} [يونس: 69-70]،

**(تنبيه): القائلون بوحدة الوجود أنواع، منها ما هو كفر بواح، ومنه ما هو توحيد وعرفان وإحسان، (أولاً): القائلون بالوحدة الحسية،** وهؤلاء يعتقدون أن وجودنا هو عين وجود الله تعالى، وأن العالم بجميع ما فيه جزء من الخالق، بمعنى أن الخلق والخالق شيء واحد، سبحان الله وتعالى عمّا يصفون، و (وحدة الوجود) بهذا المعنى مذهب كفري قولا واحدا، وكل من ثبت عليه هذا القول ثبوتا واضحا بحيث لا شبهة تحول دون إكفاره فلا خلاف في أنه كافر به إلا أن يتوب، ونسبة هذا المذهب للسادة الصوفية العارفين بالله، فرية لا تصح بحال، **(ثانياً): القائلون بالوحدة الفلسفية،** وهؤلاء يعتقدون أنه ليس إلا وجود واحد لا يتعدد ولا يتكثر، وأنّ الله تعالى تجلى لنفسه، إذ العالم عندهم ليس له وجود أبدا، ولا وجود إلا له سبحانه، وهذه العقيدة موغلة في الفلسفة، غريبة على عقائد اهل السنة والجماعة، وهي من الأمور التي ينبغي تنزيه التصوف السني عنها، ولا تجديد لأمر التصوف إلا بالابتعاد عن مثل ذلك الإغراق الفلسفي الذي يبرأ التصوف السني عنه، والمعنى الذي يتبناه اهل التصوف هو أنّ الكون أفعال الله وآثار رحمة الله وهم لا ينفون وجود الخلائق لأنها من فعل الله وخلق الله، **(ثالثاً): القائلون بوحدة الوجود وهم يقصدون بها وحدة الشهود،** وهؤلاء أهل المعرفة والإحسان، وأهل المقامات العظام، غلب عليه الشهود في مقام (أن تعبد الله كأنك تراه)) فاستغرقوا في لجج بحار التوحيد والمشاهدة القلبية، ففني أحدهم عن نفسه وعن العالم من حوله، فلا يشهد بقلبه إلا الله، وهؤلاء غابوا عن شهود غير الله، فقالوا بوحدة الوجود على معنى وحدة الشهود، مع استقامتهم على شرع الله تعالى، وأكابر العارفين من أهل الولاية، يفرقون بين مقام الفناء، ومقام البقاء، مقام الفناء، ويمثل وحدة الشهود، والمقام الثاني مقام البقاء ويمثل وحدة الوجود، بمعاني صحيحة سامية، وذلك لأنّ (مقام البقاء) أعلى من مقام الفناء لأنه شهود الخلق بالله،

فالفناء انجذاب إلى حضرة الخالق والغيبة عن الخلق، و(البقاء) يمثل العودة إلى شهود عالم الخلق بالله، وهذا ما نطق به العارفون عن وحدة الوجود شهودا وتحققا على معناها الصحيح، فالكون وما فيه لا يستغني عن الله طرفة عين، {إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} [فاطر: 41]، فهم يرون المؤثر وراء الأثر وهم يرون الحي وراء كل حي ويرون القيوم وراء كل الوجود، فقالوا شهودا بوحدة الوجود، و (الكون) كله ظلمة لأنه حجاب لمن وقف مع ظاهره عن شهود ربه، سبحانه هو المتجلي في الكون بنوره وهدايته، قال تعالى: {اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} [النور:35]، فمن أشرقت على قلبه شمس الحق فلا يغطيها برؤية الظلال دون الحقائق، ورؤية الكائنات دون المكون، فما الكون كله إلا ظلال لتجليات أسماء الحق وصفاته، وما الكون كله إلا آثار خلق الله ورحمة الله ، والعارفون يشهدون الحق في كل شيء وعنده وقبله وبعده، وفِي كلِّ شيءٍ لَهُ آيةٌ ... تَدُلّ على أنّهُ الواحِدُ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم، والمحجوب في الحقيقة هو العبد المحجوب وليس الحق سبحانه، إذ لا وجود للأشياء مع وجوده سبحانه ولا ظهور لها مع ظهوره، فكل ما ظهر من أشياء ومخلوقات لا ظهور لها إلا منه ولا قيام لها إلا به، فـ (الحق) هو الموجود الباقي القديم الازلي، والقديم والحادث لا يلتقيان، فاذا قرن المخلوق الحادث بالرب القديم تلاشى الحادث وبقي القديم، فإذا رفع الله عن قلب عبده الحجاب وصار من أهل حضرته، ومن أهل قربه ووصاله، شهد الحق ، (الحق) سبحانه واجب الوجود وكل ما سواه ظل لأسمائه الحسنى ، والظل لا يحجب الوجود، والظل لا يحجب الحق المبين، جل القديم ان يحجبه المحدث، وجل الخالق ان يحجبه مخلوق، وجل المنزه عن الحدود أن يحجبه المحدود، فالحجاب على قلب العبد المحجوب، فمتى اكرم الله عبده من اهل حضرته وقربه ووصاله، فالأمر كله فتح من الله لم شاء من أهل حضرته وقربه ووصاله ورضوانه، ومعنى قول أهل التصوف بأنّ وجود المخلوقات مع الاسماء كوجود الظل مع الأجسام، أنه كما أن الظل لا حقيقة له بل مرتبط بسببه، فإن زال مسببه زال، كذلك ارتباط الكون بما فيه مع تجليات الأسماء الحسنى، وجود الله أزلي واجب، ووجودنا ممكن عارض مرتبط بموجده سبحانه، ووجودنا كوجود الظلال للأشياء، والسعيد من أسعده الله في الأزل والشقي من أشقاه الله في الأزل وإنما كلٌ يعمل لما هو مسخر له،

**[النظرية الثانية: الحقيقة المحمدية]**: كما فني أهل التصوف في الله تعالى حتى ما عادوا يرون في الكون سواه (وحدة الشهود)، فاكرمهم الله تعالى بـ (وحدة الوجود) على معاني التجلي الإلهي لأهل حضرته وقربه ووصاله، كذلك أكرم الله اهل محبة النبي صلى الله عليه وسلم والفناء فيه بالحقيقة المحمدية على سبيل الكشف، يرون الوجود المحمدي ملء الزمان والمكان، مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم: {واعلموا أنّ فيكم رسول الله}، فالوجود المحمدي ملء الزمان والمكان، لأننا في صلاتنا ونحن أكثر من مليار ونصف وكلنا في الصلاة، في التشهد الأخير حين نقول: (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته)، ماذا تعنى هذه الكلمة إن لم تكن تعنى وجوده بيننا بكامل وجوده، فنحن لا نسلم على غائب أو غير موجود، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: (ما من أحد يُسَلِّمُ عليَّ إلا ردَّ الله عليَّ روحي حتى أرُدَّ عليه السلام) [أخرجه أحمد وأبو داود وصححه النووي في الأذكار]، وهذا يقتضي أن تبقى روحه معه صلى الله عليه وسلم لأنه لا تخلو لحظة إلا ويصلي عليه أحد الناس في أنحاء الأرض، **واهل التصوف يقولون: الوجود نوعان**، وجود بالجسم الترابى، وهو لا يكون إلا في مكان واحد، ولا يجوز تعدده، ووجود بالجسم المثالي، بمعنى أن الجسم الشريف في مكانه من الروضة المطهرة، مع تعدد وجوده في أي مكان بالجسم المثالي، ففى ليلة الإسراء حين أسرى به صلى الله عليه وآله وسلم من مكة المكرمة، قال عليه الصلاة والسلام: (مررت على أخي موسى فوجدته قائما يصلى في قبره)، ثم كان النبي موسى عليه السلام مع الأنبياء في صلاتهم مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهو يؤمهم بالمسجد الأقصى، وقد كان في استقباله في السماء السادسة، فهذا تعدد وجود الجسم المثالي لموسى عليه السلام، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم أكرم على الله من موسى عليه السلام ومن جميع خلقه، له الوجود المثالي يسلم علي كل مسلم يسلم عليه فيرد عليه السلام، وقد تواتر عن اهل الله الاجتماع به صلى الله عليه وسلم في عالم المثال، وهو غير عالم الرؤيا والمنام، وقد أجمع اهل الحق بان الاسراء والمعراج كان بالروح والجسد على سبيل الحقيقة والمعجزة ، وقد رأى في الاسراء والمعراج موسى وإبراهيم وأدم واجتمع بجميع الأنبياء والمرسلين، وصلى بهم حقيقة وليس مناما، وقد تواتر عن اهل الله الاجتماع به صلى الله عليه وسلم في عالم المثال، يقظة ومناما ، له صلى الله عليه وسلم الوجود الذي أضاء الزمان والمكان، قال تعالى: {قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نورٌ وَكِتابٌ مُبينٌ * يَهْدي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ}، فالنور هو السراج المنير صلى الله عليه وآله وسلم، والكتاب المبين هو القرآن الكريم، يقول سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: (بقي لي أربعين عاماً لو غاب عني

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طرفة عين ما عددت نفسي من الموحدين)، ويقول الولي العارف: سيدي أبو العباس المرسي: قال عن نفسه: (والله لو حُجب عني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين)، ومثل ذلك قاله الامام الشعراني والامام السيوطي، وتواتر ذلك عن أكثرهم، وهاهنا تقريب لتلك الحقيقة، وهي في الخلاصة منة إلهية وكشف رباني أن يرى الولي من اهل حضرة النبي صلى الله عليه وسلم الرسول صلى الله عليه وسلم حاضرا لا يغيب عن أمته صلى الله عليه وسلم، {وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ} [الحجرات: 7]، فالمسلمون يسلمون عليه في الصلاة سلام الحاضر المخاطب، والاولياء اهل الحقيقة المحمدية يسلمون عليه ويسمعون رد السلام من عالم المثال، لو حُجب عنهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طرفة عين لذابوا وهلكوا ، وهناك مفردات تُعين على فهم الحقيقة المحمدية، (1) النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو أفضل خلق الله، جعل الله تعالى طاعته من طاعة الله، قال تعالى: {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً} [النساء:80]، وقال تعالى: {وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى}، هو أفضل الأنبياء والمرسلين، وهو أفضل الأولين والآخرين، وهو سيد ولد آدم أجمعين، روى مسلم (2278) عن أبي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: (أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ)، وروى الترمذي وحسنه، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: (أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الحَمْدِ وَلَا فَخْرَ ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ آدَمُ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ وَلَا فَخْرَ)، فضائله صلى الله عليه وسلم غير منحصرة، صاحب لواء الحمد يوم القيامة، وصاحب الوسيلة وهي درجة في الجنة لا تكون إلا له صلى الله عليه وآله وسلم، (2) **النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا مثل له:** هو صلى الله عليه وآله وسلم أكمل خلق الله تعالى خلقا، وأعبد خلق الله لله واتقاهم له، اجتمعت له أحسن السير، وأعظم الأخلاق التي لم تجتمع لأحد غيره من خلق الله، كان أعبد الخلق لله، قال تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} [الأنعام: 162، 163]، و كان أعظم الخلق خُلقا قال تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: 4]، وهو أكرم الناس وأجود الناس ينفق ويعطي عطاء من لا يخشى الفقر، ويبقى مع ذلك لا يوقد في بيته نار لطعام لأشهر عديدة، وكثيراً ما يطوي على الجوع، وكان أشجع الناس يقود الجيش القليل العدد الضعيف العُدَد فيقاتل بهم ألوفاً من الجند المدجج بالأسلحة الكاملة، ويكون أول الصفوف يتقي

الناس به إذا حمي الوطيس، فإذا انتصر عليهم، عفى وصفح، لين هين رحيم رؤوف رقيق القلب قال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران: 159]، أرسله ربه رحمة للعالمين أجمعين، كان مشغول الفكر والهم بدعوة العالم أجمع إلى دين الإسلام، دين الله الذي لا يقبل من عباده دينا سواه، يكاد يقتل نفسه كمدا وحزنا على حال الكافرين والمعرضين عن دعوته، وهو مع ذلك لا يفوته أمر من أمور بيته وأزواجه وأولاده وأصحابه، بل ولا يفوته أمر من أمور فقراء المسلمين ومساكينهم أهل الصفة الذين لا مأوى لهم إلا المسجد، يهتم بأمر الكافرين المعرضين يحرص على هدايتهم وإصلاحهم، ويهتم لأمر المسلمين يخفض جناحه لهم ويصبر نفسه على تعليمهم وتربيتهم وتزكيتهم، وهو مع ذلك كله أعبد الخلق لخالقه وربه، عبدٌ متبتل إلى الله منقطع عن الدنيا، يقوم من الليل حتى تفطرت وتقرحت قدماه، قلبه معلق بالله وحده، لم ينتقم من أحد لنفسه قط، بل كان يدعو لعدوه كما كان يدعو لصاحبه، رموه بالحجارة وأدموا قدميه الشريفتين، وجاءه ملك الجبال يستأذنه في أن يطبق عليهم الأخشبين فأبى، ودعا لهم بالهداية المغفرة (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)، لم تجتمع أخلاقه لأحد من خلق الله، فهو النبي الكامل والرسول المعصوم، كان كريما حييا سخيا زاهدا في الدنيا يوزع ما أفاء الله عليه، ثم يعود إلى حجرته لينام على حصير، ويتكئ على وسادة من ليف، تأتيه الأموال العظيمة فينفقها في سبيل الله، لا يدخر منها شيئا، وتأتيه ابنته وفلذة كبده السيدة فاطمة تشكو إليه ما تكابده من الحاجة والفقر والجهد فيعلمها دعاء تدعو الله تعالى به هو خير لها من الدنيا وما فيها، تولى الله عز وجل الثناء عليه، فقال تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: 4] و امتن سبحانه عليه بأن حسن خلقه فجعله ليناً للمؤمنين فقال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ} [آل عمران: 159]، ووصفه سبحانه بالرأفة و الرحمة على المؤمنين و هذا من حسن الخلق فقال عز وجل: {لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} [التوبة: 128]، ووصفه بالرحمة على الكافرين والحرص على هدايتهم فقال تعالى: {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا} [الكهف: 6]، وقال تعالى: {لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ * إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ} [الشعراء: 3، 4]، كانت حياته صلى الله عليه وسلم كلها صدق وأمانة، ما عهد عليه غدر ولا كذب، ولا خيانة ولا خداع، عرف بين قومه قبل النبوة والرسالة بالصادق الأمين، وكان طيب الكلام فصيح اللسان،

يحب الخير للناس كافة، جميل الخَلق والخُلق، هو الرحمة المهداة، قال تعالى: {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين} [الأنبياء: 107] فلما كان رحمة لكل العالمين لزم أن يكون أفضل من كل العالمين، (3) **من دلائل تفضيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم على العالمين:** (1) أخذ العهد والميثاق من جميع الأنبياء والرسل إذا بعث محمد ليؤمنن به ولينصرنه، قال تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِين}، روي عن علي وابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية السابقة: (ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه)، (2) رسالته رسالة عامة: كان الرسول قبل يرسل إلى أمته خاصة، وأرسل هو إلى الخلق عامة، إلى الثقلين الإنس والجن، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا}، وقال تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا}، (3) ختمت به النبوة والرسالة: قال تعالى: {مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا}، (4) الرحمة المهداة للعالمين: قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}، (5) كان أمنة لأصحابه من العذاب: قال تعالى: {وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}، (6) خلود معجزته الكبرى وهي القرآن الكريم محفوظ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}، (7) غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر: على الرغم من أن الأنبياء جميعاً عليهم الصلاة والسلام معصومون من الشرك، والكبائر، والصغائر، وكل ما يشين المروءة، وما صدر من بعضهم ولم يقروا عليه نتج إما عن نسيان، أو خطأ في اجتهاد، إلا أنه خُصَّ رسولنا بخصيصة انفرد بها على سائرهم، قال تعالى: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا، لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ} وغفره له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيه تشريف عظيم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، (8) القَسَم بحياته صلى الله عليه وآله وسلم قال تعالى: {لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ}، قال ابن عباس: (ما خلق الله، وما ذرأ، وما برأ نفساً أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره، قال تعالى: {لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ}، (9) لم يناده ربه باسمه المجرد إلا مقروناً بالنبوة والرسالة، في حين نادى الأنبياء بأسمائهم، قال تعالى: {يَا آدَمُ}، {يَا نُوحُ}، {يَا إِبْرَاهِيمُ}، {يَا مُوسَى}، {يَا عِيسَى}، وقال في حق النبي صلى الله عليه وآله

وسلم: {يا أَيُّهَا الرَّسُولُ}، {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ}، وإنما ذكره بالاسم المجرد في معرض ذكر الرسالة كقوله تعالى: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ}، وقوله تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ}، (10) وقد خص صلى الله عليه وآله وسلم في الآخرة بأمور منها: الشفاعة العظمة لأهل المحشر: عندما اعتذر عنها أولو العزم من الرسل تصدى لها سيد الخلق محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وشفاعته في افتتاح الجنة، فهو أول داخل لها، وشفاعته في سبعين ألفاً من أمته، مع كل ألف سبعون ألفاً، يدخلون الجنة بغير حساب، وشفاعته في قوم من الموحدين من أمته، استحقوا النار، فيشفع فيهم فلا يدخلونها، وشفاعته في إخراج العصاة الموحدين من أهل الكبائر من النار بعد أن تطهروا فيها، وشفاعته في رفع درجات ناس من أمته دخلوا الجنة، وكانوا في درجات دنيا، فيرفعون إلى درجات عليا، وادخار دعوته لأمته في الآخرة: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأتُ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً) (11) المقام المحمود: وهو المقام الذي يقومه يوم القيامة للشفاعة بين الخلق، قال تعالى: {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا}، (12) الوسيلة والفضيلة: وهي أعلى درجة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد واحد من عباد هو أعلاهم عند الله منزله وهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم، (4) **النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن بشراً كالبشر بل كانت له خصائص لا تجتمع لغيره،** وكان من خصائصه أنه كان يرى من خلفه الصفوف وكل شيء كما يرى من أمامه، وكان يرى مالا نرى ويسمع مالا نسمع كما في الحديث الذي أخبر فيه بأنه ما من موضع قدم في السماء إلا فيها ملك راكع أو ساجد، فكان يسمع أطيط السماء وهو على الأرض، ويرى الجنة والنار وهو في الصلاة ويرى الجن والملائكة والغيوب مما يفتح به الله عليه مما لا يدخل تحت العد والحصر، إن المؤمن الذي يعرف الحقيقة المحمدية تحقيقاً هو الذي يرى حضرة الرسول محمد في كل مكان حاضراً وناظراً، ومن يصل إلى هذه المعرفة فقد وصل إلى الحقائق، قال تعالى: {واعلموا أنّ فيكم رسول الله}: الوجود المحمدي ملء الزمان والمكان، لأننا في صلاتنا ونحن أكثر من مليار ونصف وكلنا في الصلاة، في التشهد الأخير حين نقول: (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته)، ماذا تعنى هذه الكلمة إن لم تكن تعنى وجوده بيننا بكامل وجوده، فنحن لا نسلم على غائب أو غير موجود، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: (ما من أحد يُسَلِّمُ عليَّ إلا ردَّ الله عليَّ روحي حتى

أرُدَّ عليه السلام) [أخرجه أحمد وأبو داود وصححه النووي في الأذكار]، وهذا يقتضي أن تبقى روحه معه صلى الله عليه وسلم لأنه لا تخلو لحظة إلا ويصلي عليه أحد الناس في أنحاء الأرض، قال بعض أهل التصوف: الوجود نوعان، وجود بالجسم الترابى، وهو لا يكون إلا في مكان واحد، ولا يجوز تعدده، ووجود بالجسم المثالي، بمعنى أن الجسم الشريف في مكانه من الروضة المطهرة، مع تعدد وجوده في أي مكان بالجسم المثالي، ففى ليلة الإسراء حين أسرى به صلى الله عليه وآله وسلم من مكة المكرمة، قال عليه الصلاة والسلام: (مررت على أخي موسى فوجدته قائما يصلى في قبره)، ثم كان النبي موسى عليه السلام مع الأنبياء في صلاتهم مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهو يؤمهم بالمسجد الأقصى، وقد كان في استقباله في السماء السادسة، فهذا تعدد وجود الجسم المثالي لموسى عليه السلام، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم أكرم على الله من موسى عليه السلام ومن جميع خلقه، له الوجود المثالي مع كل مسلم يسلم عليه أو يصلي عليه فيرد عليه السلام، والأبدال من هذه الأمة سُمُّوا كذلك لأن الواحد منهم يتعدد وجوده في أماكن كثيرة، وقد كان أحدهم يسافر من موضع إلى موضع بجسده المثال، وهو في مكانه لا يفتقده الناس، فكيف بنبينا صلى الله عليه وآله وسلم، وقد بلغ من التكريم والتعظيم مبلغا لم يبلغه عبد قط، ومتواتر عن الاولياء الاجتماع به صلى الله عليه وآله وسلم، وقد قال السيد المرسى أبو العباس: (لو حُجبتُ عن رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم طرفة عين ما عددت نفسى في المسلمين)، إن جميع الأولياء لا تتم ولايتهم إلا بإذنه صلى الله عليه وآله وسلم وبتزكيته، وكانوا يجتمعون بسيد المرسلين يقظة ومناما، والقرآن الكريم يقول: {واعلموا أن فيكم رسول الله}، له الوجود الذي أضاء الزمان والمكان، قال تعالى: { قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نورٌ وَكِتابٌ مُبينٌ * يَهْدي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ}، فالنور هو السراج المنير صلى الله عليه وسلم، والكتاب المبين هو القرآن الكريم، (5) **الحقيقة المحمدية:** إنّ أول ما خلق الله من عالم الغيب الأرواح، وأول ما خلق الله من عالم الشهادة الأجسام كالعرش والماء والقلم واللوح، وعالم الغيب يسبق عالم الشهادة، والدليل قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} [الحجر: 28، 29]، فدل على ان الأرواح كانت موجودة قبل خلق آدم عليه السلام، خلق الله الأرواح من عالم الغيب، **وكان أول تلك الأرواح هو روح النبي صلى الله عليه وسلم**، والدليل على انه أول الأرواح، أنه صلى الله عليه وسلم أول من انصاع للأمر الرباني، فكان أول العابدين، وكان أول المسلمين لله، قال تعالى: {قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ} [الزخرف: 81]،

وقال تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} [الانعام: 163]، فهو أول العابدين وهو أول المسلمين، وهو (الروح) النور الذي خلقه الله قبل كل شيء، وجعله في صلب آدم عليه السلام، وظل يتقلب في أصلاب بني آدم حتى ظهر في أكمل الخلق محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فجعله نورا مبينا وسراجا منيرا، قال تعالى: {قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ} [المائدة: 15]، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا} [الأحزاب: 45، 46]، فالكتاب المبين هو القرآن الكريم والنور والسراج المنير هو نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، (6) **الوجود كله بما فيه من عالم الملك والملكوت**، إنما هو من آثار تجليات الأسماء الحسنى، كان الله تعالى بجناب ذاته الأحدية في الأزل حيث لا مكان ولا زمان ولا خلق، ولا أكوان، كان الله وليس معه احد، كان الله ولا موجود غيره، فتجلت أسماؤه الحسنى بتجليات كان من أثرها خلق الاكوان والعوالم والمحدثات، وكان أول التجليات على خلقه باسمه الأول، فابتدأ خلق الأكوان والعوالم، فأول ما خلق من عالم الغيب الأرواح، وجعلها أنوار ربانية من أمره لا يعلم حقيقتها إلا هو، وكان أعظم تلك الأرواح وأنورها وأكثرها بركة على الخلق روح سيد المرسلين وخير الخلائق أجمعين، سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ولهذا السبب كان رحمة للعالمين جميعا بلا استثناء، وأول ما خلق الله تعالى من عالم الشهادة: العرش والماء والقلم واللوح، بتجليات اسمائه الخالق البارئ المصور، خلق المخلوقات، وأخرجها من العدم إلى الوجود، وصورها في أي صورة ما شاء ركبها، وبتجليات اسمه المبدع أبدعها على غير مثال سابق، وبتجليات اسمه الظاهر أظهر ما شاء من خلقه، وبتجليات اسمه الباطن غيب ما شاء من غيبه، وبتجليات اسمه الحي عاشت الخلائق وتكاثرت، وبتجليات اسمه القيوم قامت وتحركت وتكاثرت، وبتجليات اسمه الواسع اتسع الملك والملكوت، فلا يحيط مخلوق بقدر سعة خلائقه، وبتجليات اسمه العليم ظهر أثر العلم في مخلوقاته سبحانه، وبتجليات اسمه الحكيم ظهرت الحكمة في تدبير أمر الملك والملكوت، وبتجليات اسمه العظيم ظهرت العظمة في اتساع الكون ودقة نظامه، وبتجليات اسمه الرحمن ظهرت الرحمة وتعاظمت وعمت الكون ووسعت كل شيء، وبتجليات اسمه الرحيم امتدت الرحمة وتواصلت، وبتجليات اسمه القاهر قهر الخلائق بقوانين الوجود والزمان والمكان، وبتجليات اسمه الرب ربى الخلائق ودبر وصرف واعطى كل شيء خلقه ثم هدى، وبتجليات اسمه الإله، تألهت الخلائق فلا بد لها من عبودة في القلب لإلهها وخالقها، وبتجليات اسمه الهادي هدى المؤمنين من عباده، وبتجليات اسمه المضل

أضل ابليس ومن شاء من خلقه، وبتجليات اسمه المقدم قدم من شاء، وبتجليات اسمه المؤخر أخر من شاء، وبتجليات اسمه المعز أعز من شاء، وبتجليات اسمه المذل أذل من شاء، وبتجليات اسمه المعطى أعطى، وبتجليات اسمه المانع منع، وبتجليات اسمه التواب تاب،، وبتجليات اسمه العفو عفى، وبتجليات اسمه المنتقم انتقم وعذب، وهكذا فإنه بتجليات الاسماء الحسنى ظهر كل ظاهر من الاكوان والخلق، وبطن كل باطن، فليس في الوجود الحق سواه، وكل ما نراه من عالم الخلق والامر والملك والملكوت إنما هي تجليات أسمائه، ووجود هذه المخلوقات مع الاسماء كوجود الظل مع الأجسام، فكما أن الظل لا حقيقة له بل مرتبط بسببه، فإن زال مسببه زال، كذلك ارتباط الكون بما فيه مع تجليات الأسماء الحسنى، ولهذا قال الأصوليون: وجود الله أزلي واجب، ووجودنا ممكن عارض مرتبط بموجده سبحانه، وقال العارفون: وجودنا كوجود الظلال للأشياء، والسعيد من أسعده الله في الأزل والشقي من أشقاه الله في الأزل وإنما كلٌ يعمل لما هو مسخر له، **وأعظم التجليات الإلهية كانت في خلق الإنسان:** كل الخلائق ما عدا الإنسان تجليات لبعض الأسماء، فلما أراد الله تعالى أن يتجلى على أحد أجناس خلقه بجناب ذاته وجميع أسمائه اختار آدم عليه السلام، فكان خليفة الله، أورثه العلم والحكمة وجعله نبيا، وأورث ذريته جميع الأسماء والصفات، فكان هو الجامع لكل التجليات، ولذلك خلقه الله تعالى في أحسن تقويم، وصوره في أحسن صورة، وأسجد له أطهر خلقه (الملائكة)، وسخر له الكون بما فيه، قال تعالى: {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}، وقال تعالى: {وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ}، **جنس الإنسان هو مجلى الذات والأسماء والصفات،** ولهذا اختاره الله تعالى لحمل الأمانة، واصطفى منه الرسل والأنبياء والأولياء والصديقين والشهداء والصالحين، والمقدم من بني آدم، على الإطلاق هو من بلغ رتبة الكمال الإنساني، والإنسان الكامل بإجماع العارفين هو النبي صلى الله عليه وسلم، تجلى الله تعالى عليه بجناب ذاته وأسمائه، وكل من اكرمه الله تعالى وكُشفت له بعض معاني الأخلاق المحمدية العظيمة، يعلم ذلك ويوقن به، ولهذا ذكر الكثير من العارفين في حقه أوصاف صحيحة، ومعاني صحيحة تتعلق بالخلق، فالأوصاف إذا نسبت إلى الله تعالى كانت على الإطلاق، وإذا نسبت إلى الخلق كانت بقدرهم، قالوا: أنه صلى الله عليه وسلم: في البشر، بل في الخلق اجمعين: ليس كمثله في البشر أحد، لا في اخلاقه ولا في علومه ولا في معارفه، ولا يبلغ منزلته في الخلق أحد، قالوا: وهو الأول في الانبياء فضلا ومنزلة، أمره الله تعالى بقوله تعالى: {قُلْ إِنَّ

صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ}، وهو الآخر في الأنبياء بعثة ووحيا وختما للرسالات، {وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ}، وهو الظاهر على جميع الخلق بأخلاق الكمال ولهذا سماه العارفون بالبدر التمام، وهو الباطن على جميع الخلق بما حواه قلبه الشريف من معارف وأسرار، وهو التجلي الأكرم المتحقق بكل تجليات حضرات الشهود، هو الذي قابل تجليات شمس جناب الذات الأحدية، فلم تدخل عليه الظلمة من أي جانب، وهو الذات المخلوقة الجامعة لكافة تجليات الأسماء الحسنى العلية، وكافة صفاتها وأفعالها السنية، ليس لأحد من الكمل ما له من الخلق والأخلاق، والباقون من الرسل والأنبياء والأولياء ملحقون به لحوق الكامل بالأكمل ومنتسبون إليه انتساب الفاضل إلى الأفضل، إذ هو صاحب درجة التوسط الاعتدال والكمال الخلقي، وهو المثال الذي لا مثل له في الخلائق، وهو باب العطايا والرحمة والمنة والإنعام، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}، وقال تعالى: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}، اللهم صلي وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه عدد خلقك وزنة عرشك ومداد كلماتك، (7) **(الحقيقة المحمدية): سميت حقيقة،** لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (ومحمد حق) في حديث التهجد الطويل، و (الحقيقة المحمدية) هي أول مخلوق عبد الله تعالى وأسلم وجهه لله، قال تعالى: {قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ} [الزخرف: 81]، وقال تعالى: {وأنا اول المسلمين}، فهو صلى الله عليه وآله وسلم أول العابدين لله، وهو أول من أسلم وجهه لله، ويؤيده قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد) [الطبراني في الكبير عن ابن عباس، و صححه السيوطي]، إن الحقيقة المحمدية هي أول موجود أوجده الله تعالى من حضرة الغيب، وهي روح النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهي أول موجود عبد الله تعالى، لكونها لم يتقدمها أحد في الوجود، ثم لما خلق الله آدم أبا البشر، أودعه تلك الحقيقة فظلت تتقلب بين الساجدين، إلى أن أكرم الله الوجود بمقدم احمد صلى الله عليه وآله وسلم صاحب تلك الروح، وظهر إلى الوجود شخصه الشريف صلى الله عليه وآله وسلم، بجسده وقلبه وروحه، والأولياء مختلفون في الإدراك لهذه المراتب المحمدية، و لا مطمع لأحد في درك الحقيقة في ماهيتها التي خلقت فيها، لان له الكمال الإنساني الممكن، الذي تكاملت معرفته وصفاته وأخلاقه، وصار القدوة الحسنة لكل الخلائق، (8) **(الحقيقة المحمدية مخلوقة):** هي أول مخلوق تحقق بالعبودية الكاملة لله، وكل من نسب القدم الازلي إلى الحقيقة المحمدية فهو مخطئ ، فلا أزلي إلا الله جل جلاله، ومن قال بأزلية

احد مع الله فقد جعل لله شريكا والعياذ بالله في القدم، إن الأساس الأول الذي قام عليه توحيد اهل التصوف هو كما قاله لسان الطائفة الجنيد – رحمه الله – للتوحيد بأنه: (إثبات الفرق بين القديم والمحدث) ، ولكن يبدو أن طوائف من المتصوفة الذين يتمسحون بالتصوف دون وعي بحقيقته، قد اختلطت عليهم هذه الحقيقة، فضلوا لجهلهم بأصول الدين وحقيقة التصوف، لقد توهم بعض الادعياء أو اخطأ بعض الجهلاء فنسبوا الروح المحمدية إلى القدم الازلي وتوهموها جزءا من جناب الذات ، أو أنها غير مخلوقة إلى غير ذلك من الأخطاء التي لا تتفق مع عقيدة التوحيد، التي تقوم على (إثبات الفرق بين القديم والمحدث)، وهؤلاء قالوا: الروح المحمدية نور من نور الله، وتوهموا أنها من ذاته، وهذا محال، لأنه لا قديم إلا الله تعالى سبحانه، (9) **تمتاز الحقيقة المحمدية بكونها: (أ)** أكمل وأتم مجلّى خلقي توجهت إليه الأسماء والصفات الإلهية، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم له الكمال الخلقي المطلق، فهو الحامل لكل الأسماء، وله المقام المحمود الذي تنظر إليه جميع الأسماء الإلهية المختصة بالمقامات، وبهذا الأمر صحّت له السيادة على جميع الخلق يوم العرض، ومنه يفتح باب الشفاعات، ولا يجمع يوم القيامة المحامد كلها إلا محمداً وهو في المقام المحمود الذي لا يرتقي إليه سواه، فكان (الإنسان الكامل) الذي تكاملت معرفته وصفاته وأخلاقه، فأصبح قطباً يدور في فلكه كل طالب للكمال من الأنبياء والأولياء فمن دونهم، فلا طريق لكل كمال يمكن لأي إنسان نواله إلا أن يدور في فلك قطبية رسول الله، وأن يشمر ساعديه باتباع سنته، والتخلق بأحواله وشمائله لكي تنعكس على ذاته بعض من كمالاته صلى الله عليه وآله وسلم، ولا تصح المعرفة الصوفية إلا بالاستمداد من أنوار مشكاته الشريفة التي تقيم في دائرة الحقيقة المحمدية، وهي المشكاة التي يستقي منها الأنبياء والأولياء العلم اللدني (الباطن) كل بحسب مقامه واستعداده، لذلك تعددت الطرائق بعدد أنفاس الخلائق، بيد أنها جميعا لابد وان تستمد من طريق أنفس الخلائق صلى الله عليه وآله وسلم، (ب) (الحقيقة المحمدية): هي النبوة بالأصالة، ومما يدل على انها النبوة بالأصالة، قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ}، فما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه، فكل الأنبياء والمرسلين نواب لحضرته، فإذا ظهر فلا نبي إلا هو، هو النبي الخاتم وهو الرسول المتبع، (ت) (الحقيقة المحمدية): هي الرحمة بالأصالة:

قال تعالى: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)،، لم يقل رحمة للصحابة وحدهم أو رحمة لمن رآه من معاصريه وانما رحمة للعالمين أجمعين، فيدخل في العالمين كل مخلوق من ملك او جن أو أنس أو طير او حيوان، و (الحقيقة المحمدية): هي مقام الخلافة عن الله في إعمار الأرض، ولذا سخر الله تعالى الكون لهذا الخليفة، قال تعالى: {وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض}، وإذا كان آدم هو الخليفة الأول، فإن الرسول هو الحليفة الحق لأنه سيد آدم وولد آدم، والسيد هو الخليفة الحق ومن عداه خليفة بالنيابة، و (الولاية) بعده لا تكون إلا لورثته، صلى الله عليه وآله وسلم

***

## المبحث الثالث والاربعون

## دور التصوف المنوط به في التقريب بين شتى الفرق الإسلامية

**[المفتاح الأول]: التصوف يمثل المرتبة الثالثة من مراتب الدين: وهي مرتبة الإحسان التي تلي مرتبتي الإسلام والإيمان، فهو إذن جزء من الدين، ولا يشكل بحال من الأحوال تنظيماً أو حزباً أو فرقة أو جماعة أو حركة، بل هو روح الدين القادر على احتواء جميع المسلمين، وعلى**

**التقريب بين مدارس الإسلام وفرقه ومذاهبه، بما حباه الله تعالى به من خلق التسامح الذي أرشد إليه القرآن الكريم بقولـه تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}، (التصوف) هو الوحيد من بين مدارس الإسلام الذي امتاز باحتواء كافة المدارس المذهبية المتخصصة في علوم الدين، وهو الوحيد من بين مدارس الإسلام الذي تميز بالمرونة والسعة، وهو الأقدر على وحدة المسلمين بكونه يحمل القواسم المشتركة بين كافة المذاهب، وهو الأجدر على حل مشكلات الامة** في تآلف وتراحم، وهو الاقدر على جمع الجميع على مائدة واحدة، لأنه الوحيد الذي يملك مفاتح الحل، **من خلال تفريقه بين المراتب العلمية، وما توجبه كل مرتبة علمية من علوم ومعارف، كما انه القائم على المرتبة العليا من الدين وهي مرتبة الغحسان، والمحسن يلم بكل جوانب المرتبة السابقة له سواء في مرتبة الإيمان او في مرتبة الإسلام،**

**[المفتاح الثاني]:** لا خوف على الامة من الخارج، لأن الله تعالى يحفظها من الأعداء، إنما الخوف من الداخل، من الفرقة والاختلاف، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وإن ربي قال يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها أو قال من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا) [أخرجه مسلم]، إذن الخوف على الامة يتمثل في الفرقة والاختلاف والعداوة والبغضاء بين المسلمين أنفسهم، لقد تفرقت أمة الإسلام أحزابا وشيعا يضلل بعضها بعضا بسبب الغلو والخلل الذي آل بالفرق إلى تكفير بعضها بعضا واستحلال دماء وحرمات بعضهم بعضا مع أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أزال الغمة في بيان من هم أهل الأمة **فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله ورسوله فلا تخفروا الله في ذمته)، فلا يصح أن يهلك بعضها بعضا ولا أن يسبي بعضهم بعضا وقد جعلنا الله تعالى أمة واحدة من دون الأمم قال تعالى: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ}، فإنّ الطرح الصوفي لحل مشكلات الامة هو الطرح الأصح والأمثل لانهم الأوسع صدرا والأكثر رحابة في** القضايا العلمية التي يتسبب الغلو فيها إلى الفرقة والاختلاف،

**[المفتاح الثالث]: أهل التصوف هم على أعلى الهرم العلمي الإسلامي، لذا كان علمهم هو الزلال المصفى، هم الأعلى فهما لأحكام الإيمان والكفر**، وهم الأبعد عن تكفير المسلمين، لان الله تعالى حباهم بقواعد غراء تحمي الامة من وقوع سيف التكفير واستحلال الحرمات، أهل التصوف الحق أحرص الناس على حرمة أهل الإسلام فهم لا يتورطون في تكفير أحد من أهل القبلة أبدا، نبراسهم في ذلك قول النبي صلى **الله عليه وآله وسلم: (من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله ورسوله فلا تخفروا الله في ذمته) [أخرجه البخاري]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم:** (كُلُّ المُسْلم عَلَى المُسْلم حَرَامٌ، دَمُهُ ومَالُهُ وعرْضُهُ) [رواه مسلم]، والمسلم عندهم: هو كل من قال (لا إله إلا الله * محمد رسول الله): مقرا لها بلسانه، معتقدا لها بقلبه، منقادا لها ببدنه، هذا المسلم: لا يكفرونه بذنب ولا خطأ ولا جهل ولا تأويل ولا بدعة حتى ينكر معلوما من الدين بالضرورة ويقيم عليه الفقهاء الحجة الشرعية التامة المستوفية لشروطها وموانعها بذلك، فإن اختلف الفقهاء رجحوا لأنفسهم السلامة، فلا يتورطون في تكفيره، ورجحوا للمسلم جانب حسن الظن والمخارج الحسنة، ولسان حالهم يقول: لان نخطئ في إدخال كافر في الإسلام فنحقن دمه، خير لنا من أن نخطئ في اخراج مسلم من اسلامه إلى الكفر فنستحل دمه وماله وعرضه، وقواعدهم فيما يتعلق بموضوع الإيمان والكفر مفصلة في المفتاح الرابع والعشرين من هذا الكتاب،

**[المفتاح الرابع]: وهم الأعلى فهما وادراكا لأحكام التوحيد والشرك**، فهم الابعد عن اتهام مسلم موحد بالشرك في مسائل خلافية، حققوها دراسة وفقها ومعرفة وشهودا، وهم الأعلى فهما وادراكا لأحكام التوحيد والشرك، وهم أهل الفهم الواسع لحقائق التوحيد، وأنه يشمل الدين كله، استوعبوا كل أقسام التوحيد توحيد الذات وتوحيد الصفات وتوحيد الأفعال وتوحيد الربوبية والعبودية، أمنوا حدوث ادنى خلل بسبب إهمال أحد تلك الأقسام، ووضعوا لكل قسم ضوابطه التي تمنع من الغلو فيه، وبهذا يخرج دارس علم التوحيد على منهاج اهل التصوف على علم راسخ للتوحيد يحيط بكافة جوانبه **العظيمة، بلا غلو ولا تقصير، وبلا إفراط ولا تفريط، وفي المقابل انحرف غيرهم من الوهابية في باب التوحيد بسبب اتباع المتشابهات من آيات التوحيد والشرك**، فأتوا بآيات نزلت في المشركين فأنزلوها على المسلمين، وما دروا حقيقة حقيقة الشرك، ولا حقائق التوحيد، وما دروا حقيقة الإسلام، ولا ما هو إطاره الواسع الذي يدخل فيه كل مسلم، **لقد تسبب الذهول عن اضافة قسم توحيد الذات إلى أقسام التوحيد عند بعض أهل الغلو (الوهابية)، إلى قصور واضح جلي في**

**الإلمام بما يجب وما يجوز وما يستحيل في ذات الله تعالى، وأدى إلى الوقوع في بدعة الحشو على حساب التقديس، وكذلك تسبب الذهول عن فقه توحيد العبودية إلى منزلق خطير**، استحلوا به الدماء والحرمات، أهل التصوف اهل تفريق بين أصل العبادة وصور العبادة، وان الأصل مقرون بالاعتقاد القلبي، فالأصل هو العقيدة الخاصة التي تدفعه إلى عبادة المخضوع له وهي اعتقاد الألوهية والربوبية فيه، والصورة هي الفعل او القول الدال على الطاعة مع المحبة والخضوع و التذلّل، ومنه يتبين أنّ للعبادة ركن ركين، لا تكون عبادة بدونه ألا وهو العقيدة التي تدفع الإنسان إلى عبادة المعبود، فإن صرفها لله وحده كان عابدا موحدا لله، وإن صرف شيئاً منها لغير الله فقد عبده من دون الله، وأمّا الفعل أو القول كالسجود والذبح والدعاء فهذه مفردات للعبادة وصورٌ لها، فمن صرفها بغير اعتقاد ربوبية وألوهية لمن يصرف إليه فليس من الشرك الأكبر المخرج من الملة، وفعله أو قوله يدور بين الشرك في إطار الملة او البدعة أو المعصية ولا تستحل محارمه بغير اعتقاد، لقد أخطأ أهل الغلو في باب التوحيد والشرك في تفسير العبادة، ففسروها بمعناها اللغوي دون وضع الضوابط الضابطة لفهمها فاستحلوا دماء اهل القبلة وحرماتهم، أما اهل التصوف فوضعوا الأسس والركائز التي تمنع من الغلو في توحيد الربوبية، والأسس والركائز التي تمنع من الغلو في توحيد العبودية، وبينوا ضابط الشرك الأكبر المحبط للعمل، وأشاروا إلى أخطاء الآخرين المغالين في باب الشرك، من ذلك خطؤهم في المقارنة بين جهل بعض المسلمين وبين شرك المشركين الأصليين، وخطأ المقارنة بين التوسل المشروع وبين الشرك بالله، لقد حبى الله أهل التصوف بقواعد نورانية تمنع من الخلل في باب التوحيد والشرك، وقواعدهم فيما يتعلق بموضوع أحكام التوحيد والشرك تم تفصيلها في المفتاح الخامس والعشرين من هذا الكتاب،

**[المفتاح الخامس]**: الصوفية هو الاوسع إدراكا لأحكام السنة والبدعة، بما أدركوه وأقروه من ضوابط السنة والبدعة، فـأهل التصوف هم على أعلى الهرم العلمي الإسلامي أكرمهم الله تعالى بقواعد واضحة راسخة في هذا العلم الشائك علم السنة والبدعة، فهم أضبط الناس فهما لمعاني هذا العلم، وهم أبعد الناس عن الخل في هذا العلم إفراطا او تفريطا، ومن قواعدهم التي تضبط هذا العلم: أنّ اكتمال الدين لا يعني أن نصوص الكتاب والسنة أحاطت بكل جزئيات الدين، وإنما أحاطت بالأصول، وطرق الاستنباط وكثير من الجزئيات وتركت للمجتهدين المجال واسعا في استنباط الاحكام وفق الأصول، وفهموا من حديث (كل محدَثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة) [أخرجه مسلم]، أن

لفظ (كل) في الحديث يُحمل على معنى الغالب والأكثر وليس جميع مفردات البدع والمحدثات، وبالتالي يكون التحذير من بدع الضلالة التي تمثل غالب المحدثات والكثرة الكاثرة منها، ولا يمنع ذلك من وجود محدثات لها أصل من الشرع وتدل على خير لا خلاف لأحد فيه، والمعنى من الحديث أن كل محدثة مما لا يندرج تحت نص من نصوص الكتاب أو السنة ولا يتفق مع مقاصدهما فهو بدعة مذمومة شرعاً، وكل بدعة بهذا المعنى فهي ضلالة، أما ما كان من الخير فيدخل في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ... وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ،، الحديث) [أخرجه مسلم]، هذا الحديث تخصيص لقوله صلى الله عليه وآله وسلم (كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)، والمراد به المحدثات الباطلة والبدع المذمومة، واكرمهم الله بقواعد نورانية لضبط باب السنة والبدعة حيث تفرق بين المحدثة التي هي سنة حسنة (بدعة حسنة) من سنها كان له أجرها واجر من عمل بها، وبين المحدثة التي هي سنة سيئة (بدعة ضلالة) كان عليه وزرها ووزر من عمل بها، **وقالوا: من شروط كون المحدثة بدعة ضلالة ثلاثة شروط: (الاول)**: أن يكون مجالها في الدين فتنسب إليه، فالابتداع لا يكون إلا في شيء ينسب إلى الدين، والأشياء العاديّة لا يدخلها الابتداع، **و (الثاني)**: أن لا يكون لها أصل في الشرع، إذ لو كان لها أصل في الشرع فلا تكون بدعة ضلالة، فإما ان تكون سنة أو مصلحة مرسلة من مصالح الشرع المعتبرة، أو فعل خير يؤجر عليه، **و (الثالث)**: أن لا تكون واقعة تحت عموم ما ندب الله إليه أو رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وبالتالي فلا يكون بدعة ضلالة: ما أحدث من مصالح دنيوية ولا يقصد بها الدين، وما أحدث مما فيه مصلحة ولا تخالف الشرع، وما أحدث في الدين من تجديد سنة اندرست، أو هيئة فيها مصلحة تندرج تحت عموم وأصل ندب إليه الشرع من أفعال المعروف، **ومن شروط كون المحدثة بدعة حسنة شروط: ( الشرط الاول)**: أن تكون مندرجة تحت أصل من أصول الشريعة، أو داخلة تحت شيء من مقاصدها، أو أمر عام من أوامرها، وهذا الشرط مجمع عليه بينهم حتى لا يدخل في الدين ما ليس منه، **و (الشرط الثاني)**: أن لا يكون فيها مخالفة للكتاب أو السنة أو الإجماع ولا تصادم هذه البدعة نصاً من نصوص الشريعة، ولا يكون في فعلها إلغاء لسنة من سنن الدين، فإذا صادمت سنة من سنن الدين أو أدت إلى تغييرها صارت بدعة مذمومة، **و (الشرط الثالث)**: أن تكون حسنة من أمور الخير لا خلاف فيما تدل عليه من الخير، وبهذه الشروط ينضبط الباب، **و (أهل التصوف)**: يثبتون وجود البدعة الحسنة، ويجزمون بأن الدين تام كامل بأصوله وقواعده ولكن هذه الأصول والقواعد

أشارت إلى وجود المحدث النافع والبدعة الحسنة التي تعود على المسلمين بالخير والأجر، فهل بعد هذا التحقيق من تحقيق، وهل بعد هذا الرسوخ من رسوخ يقضي على الهوس التبديعي الذي أصاب آخرين فأخرجهم عن حد الاعتدال إلى الغلو والتفريط، وقواعدهم فيما يتعلق بموضوع السنة والبدعة تم تفصيلها في المفتاح السادس والعشرين من هذا الكتاب،

**[المفتاح السادس]: الصوفية وعلم التقديس:** إذا كان السادة الأشاعرة هم أهل العلم بالتقديس والتنزيه عقيدة وبرهانا، فإن أهل التصوف هم سادة أهل التقديس والتنزيه لله تعالى، شهودا وعرفانا، بلغ بهم التقديس مجالا يضيق عن العبارة، لانهم العارفون بالله شهودا وكشفا، بلغوا مقام التوحيد أعلى منازل العرفان، ومن قواعد هذا العلم الجليل التي قال بها السادة الأشاعرة استدلالا وأيقن بها السادة الصوفية شهودا وعرفانا، تنزيه ذات الله تعالى عن أي مثيل أو كفء أو شبيه، وتنزيه جناب الذات تعالى عن الحد والمقدار الذي تتصف به ذات المخلوق فلا حد ولا غاية ولا بداية ولا نهاية وجود سرمدي مطلق لا اول له ولا آخر، وتنزيه ذات الله تعالى عن أن يحيط به مكان أو أن يجري عليه زمان، {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ} دليل على تنزيه الله عن الزمان فلا يتعلق به زمان لان الزمان محدث له أول والله هو الأول بلا ابتداء فليس قبله شيء، والزمان ليس له انتهاء لان اهل الجنة واهل النار خالدون مخلدون باقون بقدرة الله ومشيئة الله فليس للزمان انتهاء، فلا مجال لفهم معنى (الاخر بلا انتهاء) فهما صحيحا سوى التقديس عن الزمان، فهو خالق الزمان كان قبل المكان وقبل الزمان وخلق المكان واجرى الزمان فلا يحتاج إلى احد منهما، كما كان قبل خلقهما، لا يلحقه التغير والحدوث، وهو {وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ} تنزيه عن المكان، إذ هو الظاهر فليس فوقه شيء، وهو الباطن فليس دونه شيء، خالق المكان، فكيف يحويه المكان وهو بكل شيء محيط، من جملة خلقه المكان والزمان، فهل يحل الخالق في المخلوق أم هل تجري على الخالق قوانين المخلوق، سبحانه كان قبل خلق المكان والزمان وهو على ما عليه كان، منزه عن المكان تنزيه الخالق عن المخلوق، ولا يجري عليه زمان تنزه سبحانه تنزيه الخالق أن تحكمه نواميس المخلوق، ومن تلك القواعد: تقديس ذات الله تعالى عن حلول الحوادث بذاته تقدس وتعالى لأنها صفات المخلوق، وتنزيه ذات الله تعالى عن الجسمية التي تتصف بها ذات المخلوق، وتنزيه ذات الله تعالى عن الصورة والشكل الذي تتصف به ذات المخلوق، وتنزيه ذات الله تعالى عن الجوارح والأجزاء والأعضاء التي تتصف به ذات المخلوق، وتنزيه ذات الله تعالى عن الأعراض والكيفيات الحسية التي تتصف به ذات المخلوق،

وتنزيه جناب ذات الله تعالى عن الاتحاد والحلول، وعن الاتصال والانفصال لأنها صفات المخلوق، وتنزيه ذات الله تعالى عن النقائص والعيوب التي تتصف به ذات المخلوق، وانه من الخطأ اعتماد ظواهر النصوص في فهم علم التقديس والتنزيه، لان اعتقاد ظواهر المتشابه هو مذهب المجسمة الذين تتبعوا المتشابه، وجمعوا ما في الكتاب والسنة مما ظاهره الجسمية حتى اعتقدوا أن البارئ تعالى جسم مجسم وصورة مصورة ذات وجه وعين ويد وجنب ورجل وأصبع تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، تلك هي قواعد التقديس عند الاشاعرة استدلالا وعند اهل التصوف شهودا وعيانا، وقواعدهم تم تفصيلها في المفتاح السابع والعشرين من هذا الكتاب،

**[المفتاح السابع]: الصوفية هو الاوسع إدراكا والأعمق فهما ومعرفة بأحكام السياسة الشرعية،**

وعلم السياسة الشرعية علم شائك لا يتقنه إلا الراسخون في العلم الحريصون على امة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الرحماء بهم، ذلك العلم الذي يضبط حقوق الحكام كما حفظها لهم الإسلام، فيتفرغ الحاكم والعالم كلٌ لأداء مهامه، بما يوافق شرع الله، وبما يؤهل الجميع لخدمة الدين، دونما غلو أو تفريط، لقد قام اهل التصوف الحق على ثغر هذا العلم فأجلوا لبناته وأرسوا قواعده فلله درهم من علماء وأولياء وناصحين لأمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومن تلك اللبنات: وجوب طاعة الله ورسوله وطاعة أولي الأمر من المسلمين، ولا شك أنّ هذه الطاعة فيما لا يدخل في معصية الله، فإن كانت معصية فلا سمع ولا طاعة ولكن مع عدم نزع اليد من الطاعة العامة، ومن تلك القواعد: وجوب طاعة الحاكم المسلم وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، وخطورة الخروج على الحاكم المسلم: لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : (مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِر، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَـاهِلِيَّـةً) [متفق عليه]، ووجوب أداء حقوق الحكام وإن جاروا وظلموا: لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً وَأُمُورًا تُنْكِرُونَهَا قَالُوا فَمَا تَأْمُرُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَدُّوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ وَسَلُوا اللَّهَ حَقَّكُمْ) [متفق عليه]، ووجوب التزام جماعة المسلمين وإمامهم فإن اختلطت الأمور فالاعتزال أولى من الخروج على الحكام لحديث: (فما ترى إن أدركني ذلك قال تلزم جماعة المسلمين وإمامهم فقلت فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام قال فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك) [متفق عليه]، ووجوب الصبر على جور الحكام، والحرص على نصيحة الحكام وعدم مخالفتهم حتى لا تختلف الكلمة عليهم، ونصح الأمراء يكون بالقول اللين، {فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى}، فهذه بعض

لبنات علم السياسة الشرعية عند اهل التصوف الحق، وقواعدهم فيما يتعلق بموضوع السياسة الشرعية تم تفصيلها في المفتاح الثامن والعشرين من هذا الكتاب،

**[المفتاح الثامن]: الصوفية وأهل السنة والجماعة سواد المسلمين الأعظم**، أهل التصوف يقولون: لا تنطبق أحاديث النجاة إلا لأهل السنة والجماعة الناجية، ولا يصلح أن تكون الفرقة الناجية سوى جماعة أهل السنة والجماعة لانهم أهل القرآن وخاصته، وهم أهل الحديث وخاصته، وكل الفرق عالة عليهم في الإجماع ثالث مصادر الدين، وكل الفرق عالة عليهم في باب التخصص العلمي، وهم: هم أهل التوسط والاعتدال بين طرفي غلو في كل أبواب الدين، وهم وحدهم الذين ينطبق عليهم أوصاف النجاة في أحاديث الافتراق، وهم وحدهم سواد الأمة الأعظم الذين أمر الله تعالى ورسوله صلى الله علية وسلم باتباعه، ويقولون: الإطار العلمي الدقيق لأهل السنة والجماعة يمثله: في العقيدة ثلاث مدارس هي: (المدرسة الأثرية)، (والمدرسة الأشعرية)، (والمدرسة الماتريدية)، ويمثل إطارهم في الفقه مذاهب أربعة هي: المذهب الحنفي، والمذهب المالكي، والمذهب الشافعي، والمذهب الحنبلي، ويمثلهم في التصوف السادة الأقطاب، ومدارسهم التزكوية والربانية القائمة على معتقد أهل السنّة والجماعة، والمتخصصة في التزكية والأخلاق، يقولون: هذا هو الإطار العلمي الدقيق لأهل السنة والجماعة، يدخل فيه سواد المسلمين الأعظم، ممن لم يتلبس ببدعة مخرجة عن هذا الإطار، وعلامتهم أنهم: لا ينتسبون إلا إلى السنة والجماعة، ولا يتلبسون ببدع الشيعة ولا المعتزلة ولا الخوارج ولا الحشوية ولا المجسمة، ويوالون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جميعا ويترضون عنهم جميعا، ويؤمنون ويقرون بما أثبته الله تبارك وتعالى من فضلهم ومن الكرامة لهم، ويقولون أنّ منزلة الصحابة لا يعدلها شيء لمشاهدة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يتعرضون لما حدث بينهم، ويقولون هم السادة الكبار، أخطاؤهم مغمورة في بحار حسناتهم، ويقولون كما أمرهم القرآن: {رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [الحشر: 10]، ويوالون آل البيت كلهم، ويحبونهم جميعا، بل يعشقونهم، ولا يرضون أبدا لما نالهم من الأذى، هم الذين قال الله تعالى فيهم: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا}، وقال فيهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم (وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي) [اخرجه مسلم]، فمودتهم فرض، ومحبتهم واجبة، والصلاة عليهم مع النبي صلى الله عليه وآله

وسلم واجبة، قال صلى الله عليه وآله وسلم: (قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد) [متفق عليه]، والحاصل: أنّ الصوفية يجمعون بين حب الصحابة حبا جما، وحب أهل البيت حبا جما، ولا يجعلون هناك تناقضا بين حب الصحابة وحب أهل البيت، بل كلاهما من مشكاة واحده، هؤلاء صحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهؤلاء آل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ودائما يقولون اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله الاطهار وصحبه الأبرار، فهذه بعض مفرداتهم فيما يتعلق بالجماعة الناجية أهل السنة والجماعة، وقواعدهم فيما يتعلق بهذا الموضوع قد فصلت في فصول الكتاب من التاسع والعشرين وإلى الثالث والثلاثين، وجميعها يتعلق بالطرح الصوفي الجدير بجمع أهل الإسلام في وحدة واحدة، يجمعها التآلف والتكامل، **وأهل التصوف ينظرون إلى الامة** بأن الله تعالى أكرم الأمة بعوامل عديدة تمثل أصول الإسلام التي يمكن أن تكون أصول التصالح والتعايش بين جميع المسلمين، ومن أهم تلك العوامل: **(العامل الاول):** الانتساب المجمل إلى دين الإسلام الذي هو دين الله في الأرض وفي السماء قال تعالى إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وقال تعالى {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}، و **(العامل الثاني):** الإله الواحد والرب الواحد والمعبود الواحد وعقيدة جميع المسلمين هي قوله تعالى قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ وجميع المسلمين يؤمن باللَّه الواحد الأحد المنزه عن الشبيه والمثيل والصاحبة والوالد والولد، **و (العامل الثالث)** الرسول الواحد سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وجميع المسلمين يؤمن به نبيا ورسولاً أرسله اللَّه تعالى إلى الناس كافة وهو خاتم الأنبياء والمرسلين لا نبي بعده، ولا رسول بعده، **و (العامل الرابع)** القرآن الواحد وجميع المسلمين يؤمنون بالقرآن الكريم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، و **(العامل الخامس)** القبلة الواحدة وكل المسلمين يستقبل القبلة في صلاته، و **(العامل السادس)** أصول الدين الواحدة وكل المسلمين متفقون على الإيمان باللّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ومتفقون على أركان الإسلام الخمسة شهادة أن لا اله إلا اللّه وان محمدا رسول اللّه وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلا، و ( **العامل السابع): العبادات الواحدة** تجمع جميع المسلمين، فالصلاة واحدة فلا خلاف بينهم حول الصلاة المفروضة وعدد ركعاتها وبقية أركانها والصيام في شهر رمضان واحد والزكاة واحدة وهي النصاب الذي فرضه اللَّه في أموال الأغنياء يتفق عليه جميع المسلمين والحج واحد والحلال

بين والحرام بين والفرائض معلومة والمنهيات واضحة والكبائر يعلمها الصغير والكبير من أهل الإسلام، **و (العامل الثامن)** الانتماء الواحد جميع المسلمين ينتمي إلى أمة الإسلام وقد قال الله تعالى: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ}، **و (العامل التاسع)** الخطر المشترك الواحد قال تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ}، فلا مناص من الوحدة والتكامل بين كافة طوائف الامة من أجل مواجهة الاخطار الخارجية، **و (العامل العاشر)** مرونة الشريعة التي تقبل التصالح بين كافة الطوائف المنتسبة إلى الإسلام فإن الله تعالى أراد لشريعة الإسلام ان تصلح لكل مكان وزمان ولكافة العقول والافهام فأكرمها بوجود نوعين من الادلة الدليل القطعي الذي يجتمع عليه المسلمون والدليل الظني الذي يعطي مساحة واسعة للاجتهاد والخلاف، ومن سماحة الشرع أنّ من اجتهد فيما تعلق بالأدلة الظنية فأصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد بمعنى أنه لا يحرم الأجر ومن رحمة الله تعالى بالمسلمين أن أكثر قضايا الخلاف في الأمة هي القضايا الظنية، والعموميات أكثرها ظني الدلالة وإن كانت قطعية المتن وذلك لكثرة ما يرد عليها من التخصيص، وجميع الأحكام والقضايا التي لم تثبت بالنص القطعي ثبوتا ودلالة لا يصح أن تكون مفصالا بين الحق والباطل، بل يتسع فيها الإعذار، ولا يجوز أن يبنى عليها تكفير ولا استحلال محارم،

***

## المبحث الرابع والاربعون

## تصفية التصوف من دعاوى الأدعياء

**[المفتاح الأول]:** إنّ التصوف الإسلامي الأصيل قد ابتلي بالأدعياء شأنه شأن غيره من علوم الإسلام ، والتصوف السنّي الصافي ليس منه: القول بمخالفة الشريعة للحقيقة، أو أن أهل الحقيقة لا يتقيدون بالشريعة، أو أن ظاهر الإسلام شيء غير باطنه، أو أن مسلماً عاقلاً رُفع عنه التكليف، وليس منه: القول بالحلول أو الاتحاد، أو الوحدة التي تزعم أن الكون هو الله، والله هو الكون، وما جاء مما يوهم ذلك على لسان بعضهم فهو مؤول بما يوافق دين الله، أو هو مدسوس على القائل، أو هو مما قاله في حالة الفناء والغيبوبة على لسان الحق عز وجل، ونحن نحسن الظن بكل مسلم فما بالنا بالأولياء والصديقين، الصوفية ككل الطائف الإسلامية انتسب إليها المحق والمدعي، والصادق والمغرض، لذا قد نجد على مر عصور التصوف من ادعى عقيدة الاتحاد والحلول على معناها الكفري الذي يقصدون به الاتحاد والحلول الحسي كما زعمت النصارى في نبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام، وهذه عقيدة كفرية، وقد أجمع علماء أهل السنة والجماعة على كفر من اعتقد جواز الاتحاد والحلول على ذات الله تعالى، والقائل بهذا مرتد، ووحدة الوجود المطلقة على هذا المعنى هي العقيدة الكفرية التي حاربها السادة الصوفية وأعلنوا براءتهم ممن يقول بها، **قال الإمام الشعراني رحمه الله تعالى** – وهو يتعجب من إلصاق هذه التهمة الشنيعة بأهل التصوف الحق أهل المعرفة بالله –: (ولعمري إذا كان عُباد الأوثان لم يتجرؤوا أن يجعلوا آلهتهم عين الله بل قالوا: {ما نبعدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى}، فكيف يظن بأولياء الله تعالى أنهم يدعون الاتحاد بالحق على حد ما تتعقله العقول الضعيفة؟! هذا كالمحال في حقهم رضي الله عنهم إذ ما من ولي إلا وهو يعلم أن حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق وأنها الخارجة عن جميع معلومات الخلائق لأن الله بكل شيء محيط) أهـ [اليواقيت والجواهر: 1: 83]، **وقال الشيخ محي الدين بن عربي** في عقيدته الصغرى: (تعالى الحق أن تحله الحوادث أو يحلها)، **وقال في عقيدته الوسطى:** (اعلم أن الله تعالى واحد بالإجماع ومقام الواحد يتعالى أن يحل فيه شيء أو يحل في شيء أو يتحد في شيء)، **وقال في الباب التاسع والستين والمائة:** (القديم لا يكون قط محلا للحوادث ولا يكون حالا في المحدث)، **وقال في الباب الثاني والستين ومئتين:** (من أعظم دليل على نفي الحلول والاتحاد الذي يتوهمه بعضهم أن تعلم عقلا أن القمر ليس فيه من نور الشمس شيء وأن الشمس ما انتقلت إليه بذاته وإنما

كان القمر محلا لها فكذلك العبد ليس فيه من خالقه شيء ولا حل فيه)، **وقال في الباب الرابع عشر وثلاثمائة:** (لو صح أن يرقى الإنسان عن إنسانيته وذلك عن ملكيته ويتحد بخالقه تعالى لصح انقلاب الحقائق وخرج الإله عن كونه إلها وصار الحق خلقا والخلق حقا وما وثق أحد بعلم وصار المحال واجبا فلا سبيل إلى قلب الحقائق أبدا)، وقال في الباب التاسع والخمسين وخمسمائة: (وهذا يدلك على أن العالم ما هو عين الحق ولا حل فيه الحق إذ لو كان عين الحق أو حل فيه لما كان تعالى قديما ولا بديعا)، **وقال في باب الأسرار:** (لا يجوز لعارف أن يقول: أنا الله ولو بلغ أقصى درجات القرب وحاشا العارف من هذا القول حاشاه إنما يقول: أنا العبد الذليل في المسير والمقيل)، **وقال في باب الأسرار أيضا:** (من قال بالحلول فهو معلول فإن القول بالحلول مرض لا يزول وما قال بالاتحاد إلا أهل الإلحاد كما أن القائل بالحلول من أهل الجهل والفضول)، **وقال في باب الأسرار أيضا:** (الحادث لا يخلو عن الحوادث ولو حل بالحادث القديم لصح قول أهل التجسيم فالقديم لا يحل ولا يكون محلا) أهـ [اليواقيت والجواهر نقلاً عن الفتوحات المكية: 1: 80 و 81]،

**[المفتاح الثاني]: الجواب عما ورد من كلام السادة الصوفية في كتبهم مما يفيد ظاهرة الحلول والاتحاد:** والجواب أمراً من أمرين: (الاول): إما أن يكون مدسوساً عليهم، و (الأمر الثاني): ان لا يقصدوه مطلقاً، وأن يكون مقصدهم من الكلام معنى آخر بعيد كل البعد عن الاتحاد والحلول الحسي الحقيقي، ألا **وهو الاتحاد المجازي المعنوي**، بأن تصيرَ نفسُ العبد فانية في شهود التجليات الإلهية غافلةً عن الشعور بجملتها شُغلاً بالشهود القلبي في حضرة أسماء الله تعالى وصفاته، فيغيب عن نفسه في الله، ويشعر بأنه يسمع بالله ويبصر بالله ويتكلم بالله، مصداقاً للحديث الصحيح فيما يرويه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن رب العزة سبحانه: {وما يزال عبدي يَتَقَرَّب إليَّ بالنوافل حتَّى أحبَّهُ، فإذا أحْبَبْته: كنتُ سَمْعَه الذي يَسْمَع به، وبَصَرَه الذي يُبْصِر به، ويَدَه التي يَبْطِش بها، ورِجْلَه التي يَمْشِي بها) [أخرجه البخاري]، هذا حال الأولياء، أما الادعياء، فقد قال فيهم الحافظ السيوطي: في كتابه [الحاوي للفتاوى: 2: 129]: " القول بالحلول والاتحاد الذي هو أخو الحلول، أول من قال به النصارى إلا أنّهم خصّوه بعيسى إلى أن قال: وأما المتوسمون بسمة الإسلام فلم يبتدع أحد منهم هذه البدعة... غير أن طائفة من غلاة المتصوفة نقل عنهم أنهم قالوا بمثل هذه المقالة **وما زالت العلماء ومحققو الصوفية يتبنون بطلان القول بالحلول والاتحاد وينبهون على فساده ويحذرون من ضلاله**" أهـ، والقائلون بوحدة الوجود على المعنى الحسي وأن الكون أجزاء

الله، وأنه تسري فيه روح الله فهذا كفر بواح، أما اهل التصوف الأولياء فلهم في وحدة الوجود معان صحيحة، ففي (مقام الفناء) وهي الحال التي يستغرق فيها الصوفي ويفنى عن نفسه وعن جميع من حوله، فلا يشاهد سوى تجليات الحق لاستغراقه فيه بالكلِّية، فيقول بوحدة الوجود على معنى وحدة الشهود، وفي مقام (البقاء) فهو يرى الخلق ولكنها رؤية بالله، فهو يعلم بالفرق بين الوجودين – وجود الخالق ووجود المخلوق، ولكنه لا يشعر إلا بالوجود الأصلي الواجب الذي هو وجود الله تعالى وحده، فيقول بوحدة الوجود، على معان شرعية صحيحة، أما الأدعياء، فقد سقط بعضهم في القول بوحدة الوجود على النحو الفلسفي الذي قال به اهل الإلحاد،

**[المفتاح الثالث]:** لا نزعم الحفظ لجميع أهل التصوف، ففيهم الادعياء وفيهم الجهلاء، ومن الأخطاء والمخالفات الشرعية التي سقط فيها الادعياء: التفرقة بين الشريعة والحقيقة: أهل التصوف الحق هم أهل المعرفة بالله وهم أهل التنزيه والتقديس لله لا يجوز الظن فيهم بأنهم من القائلين بشيء من العقائد المخالفة لعقائد أهل السنة والجماعة الناجية، ومن ذلك اتهام البعض اهل التصوف بالتفريق بين علوم الظاهر والباطن، وبين الشريعة والطريقة والحقيقة، وهذا باطل، لأن من أشهر قواعد أهل الطريق قولهم: (كل حقيقة خالفت الشريعة فهي زندقة)، **هناك أُناس أدعياء ادَّعَوْا التصوف كذباً أو جهلا**، انحرفوا عن الإسلام، وقالوا: إن المقصود من الدين هو الحقيقة فقط، وعطلوا أحكام الشريعة، فأسقطوا عن أنفسهم التكاليف، وأباحوا المخالفات، وقالوا: إن المُعَوَّل عليه صلاح القلب، ويقولون: [نحن أهل الباطن، وهم أهل الظاهر]، ويذمون أهل العلم الظاهر الذي هو الشرائع والأحكام والحلال والحرام، ويطعنون في أهله ويقولون: هم محجوبون وهم أصحاب قشور، وأن علمهم الظاهر حجاب بينهم وبين الحقيقة، وكلامهم هذا قد يؤول إلى القدح في الشريعة المطهرة وفي الأعمال الصالحة التي جاءت الرسل بالحث عليها والاعتناء بها، وقد أنكر أئمة التصوف هذا التفريق، **قال الإمام الغزالي:** (من قال: إن الحقيقة تخالف الشريعة، أو الباطن يناقض الظاهر، فهو إلى الكفر أقرب إلى الإيمان) [الإحياء ٣: 100]، وقد آل بهم ذلك الإهمال في علم الظاهر والاستهانة به إلى القول بسقوط التكليف، وأهل التصوف الحق أجمعوا على أن التكاليف الشرعية لا تسقط عن المكلف بأي حال، حتى ولو بلغ درجة الوصول، بل إن الوقوف عند حدود الشرع والتمسك بأحكامه، هو المقياس الذي يحكم به على صدق الصوفي الواصل مهما ظهرت عليه من كرامات وأحوال، **يقول أبو يزيد البسطامي:** (لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى ارتقى في الهواء فلا

تغتروا به، حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي، وحفظ الحدود، وأداء الشريعة " [الرسالة القشيرية: ١٤]، **وقال لسان الطائفة الإمام الجنيد:** (قوم تكلموا بإسقاط الأعمال، وهذه عندي عظيمة، والذي يسرق ويزني أحسن حالا من الذي يقول هذا، وإن العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله، وإليه رجعوا فيها ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة، إلا أن يحال بي دونها) [الرسالة القشيرية ١٩]،

**[المفتاح الرابع]:** إن إصلاح أمر التصوف يبدأ أول ما يبدأ بـإصلاح ما أفسده الأدعياء، ويكون ذلك بتصفية الاعتقاد من كل دعاوى الاتحاد والحلول والوحدة المطلقة على معناها الفلسفي المرفوض، ورفض كل دعاوى الشطح لأنها نقص ورعونه، ورفض كل دعاوى مخالفة الحقيقة للشريعة، ومخالفة الظاهر للباطن، وانكار تلك الدعاوى الباطلة، فلولا الظاهر ما حفظ الباطن، ورفض كل دعاوى سقوط التكاليف عن الواصل، لأنه بذلك واصلٌ إلى جهنم وسقر، وتصفية السلوك من المخالفات الشرعية، والبراءة من الممارسات الخاطئة، والتحذير من المخالفات الشائعة بين مدعي التصوف، واعتماد مبدأ التصفية للتراث الصوفي العريض مما علق به من أخطاء، ومما نسب إليه زوراً وبهتاناً من أعدائه، ومما نسب إلي الاولياء الصالحين زوراً وبهتاناً، وهم أجل الناس عن النطق به، مثل ما نسبوه إلى الاولياء: أبي يزيد البسطامي، وعبد القادر الجيلاني، ومحيي الدين بن عربي، من العظائم والمكفرات، واعتماد مبدأ التصفية للتراث الصوفي العريض مما علق به من مخالفات عقائدية وشرعية، و لا باس بالنقد الواعي البناء، وقد كان السادة الصوفية هم اول من انتقدوا الأخطاء، وها هو الإمام أبو نصر السرّاج الطوسي (ت 378 هـ)، في كتابه (اللمع في التصوف) يفرد مائة صفحة في تصحيح الأخطاء التي ظهرت عند الأدعياء او الجهلاء او المخطئين دون قصد وهي تعدل أكثر من ثلث الكتاب، ولا باس من اعتماد مبدأ الإحياء للتصوف الإسلامي الصحيح الصافي القائم على الكتاب والسنة، وطرحه نموذجاً لمرتبة الإحسان أعلى مراتب الإسلام،

***

# المبحث الخامس والاربعون

# تصفية التصوف من جهل الجهلاء

**[المفتاح الأول]:** إنّ التصوف الإسلامي الأصيل كما ابتلي بالأدعياء، فإنه كذلك قد ابتلي بالجهلاء، فأضروا بسمعته كما أضر بها أعداؤه، والتصوف السنّي الصافي ليس منه ما نراه من البعض من تحريف أسماء الله والرقص بها، مع القفز كما يفعله أهل الجهل، وكل ما نراه من ذلك من بعض الاشخاص فهو ليس من التصوف الأصيل، وهناك جماعة من الجهلاء، نسبوا أنفسهم إلي التصوف، شوَّهوا جمال حلقات الأذكار بما أدخلوا عليها من أفعال منكرة، كاستعمال آلات الطرب المحظورة، فلم يَعُدْ هذا وسيلةً لتطهير القلب من أدرانه، وصلته بالله تعالى، بل صار لتسلية النفوس الغافلة، والتصوف السنّي الصافي أيضا ليس منه البطالة، ولا الجهالة بدين الله، ولا ادعاء الولاية ولا المتاجرة بالكرامات، ولا ادعاء الغيب والدجل والشعوذة ، فهذه أخطاء شرعية يحمل وزرها الجهلاء والدخلاء ولابد من ردها إلى صوابها دون تجريح بالطائفة ورموزها،

**[المفتاح الثاني]:** التصوف السنّي الصافي ليس منه: الذكر على الطبل والزمر، (اما الدف ففي الاناشيد والقصائد والمدائح فقد أجازه الفقهاء)، إن ذكر الله تعالى هو أعظم القربات، ولكنه مشروع بشروطه وآدابه التي قررها العلماء، ومن أهمها: السكينة والوقار والخشوع والاحترام، ولكن الذكر الذى يقوم به بعض الناس، بحركات موزونة مرتبة، وترنيمات متصنعة بأصوات مطربة، وقفز ووثب، ونط وجذب، وانحناء للأمام ورفع، والتفات عنيف ودفع، ودوران بالحلقات، وضرب للأقدام على إيقاع الكف والنغمات، فالقلب الخاشع ينبو منه، فإن كان التمايل بسبب وجد صحيح وارد

قوي، أفقد صاحبه التماسك فلا إثم عليه ولا لوم ولا محذور، ولكن الحاصل غير ذلك، لأنه لا يُعقل أن الجميع يحدث لهم ذلك في نفس الوقت بحيث يؤول إلى حركات جماعية موزونة معلومة، أشبه ما تكون بالرقص، فإن الشرع يلزم الوقوف عند الأدب الشرعي الإسلامي مع الذكر، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في [فتح الباري: ٣٦٨: ٢]: (قال القرطبي – هو المحدث أبو العباس أحمد بن عمر شيخ القرطبي صاحب التفسير – وأما ما ابتدعته الصوفية في ذلك [يقصد الرقص]، فمن قبيل ما لا يختلف في تحريمه، لكن النفوس الشهوانية غلبت على كثير ممن ينسب إلى الخير، حتى لقد ظهرت من كثير منهم فعلا كالمجانين والصبيان، حتى رقصوا بحركات متطابقة، وتقطيعات متلاحقة، وانتهى التواقح بقوم منهم إلى أن جعلوها من باب الُقرب وصالح الأعمال، وأن ذلك يثمر سنى الأحوال) انتهى، قال الحافظ ابن حجر عقبة: (وينبغى أن يعكس مرادهم، ويقرأ: (يثمر سيء الأحوال عوض سني الأحوال)،) انتهى، وقال القرطبى صاحب التفسير في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن: ٣٦٥:٧، عند تفسيره لقوله تعالى في سورة الأنفال: {إنما المؤمنون الذين إذا ذكر اللهُ وجلت قلوبهم، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا، وعلى ربهم يتوكلون}، قال رحمه الله تعالى: (وصف الله تعالى المؤمنين في هذه الآية بالخوف والوجل عند ذكره، وذلك لقوة إيمانهم، ومراعاتهم لربهم، وكأنهم بين يديه، ونظير هذه الآية: {وبشر المخبتين الذين إذا ذكر اللهُ وجلت قلوبهم}، وقال: {وتطمئن قلوبهم بذكر الله} فهذا يرجع إلى كمال المعرفة، وثقة القلب)، والوجلُ: الفزع من عذاب الله، فلا تناُقض، وقد جمع الله بين المعنيين في قوله: {الله نزل أحسن الحديث كتابًا متشابهًا مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله} أي تسكُن نفوسهم من حيث اليقين إلى الله، وإن كانوا يخافون الله، فهذه حالة العارفين بالله، الخائفين من سطوته وعقوبته، لا كما يفعله جهال العوام والمبتدعة الطغام، من الزعيق والزئير،، فيقال لمن تعاطى ذلك، وزعم أن ذلك وجد وخشوع: لم تبلغ أن تساوي حال الرسول ولا حال أصحابه في المعرفة بالله، والخوف منه، والتعظيم لجلاله، ومع ذلك فكانت حالهم عند المواعظ: الفهم عن الله، والبكاء خوفًا من الله ولذلك وصف الله أحوال أهل المعرفة عند سماع ذكره وتلاوة كتابه فقال: {وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين} فهذا وصف حالهم، وحكاية مقالهم، ومن لم يكن كذلك فليس على هديهم، ولا على طريقتهم،فمن كان مستنًا فليستن بهم، ومن تعاطى أحوال المجانين والجنون فهو من أخسهم حالا، روى الترمذى وصححه عن العرباض بن سارية قال: وعظنا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم ذرفت منها

العيون، ووجلت منها القلوب، الحديث، ولم يقل: زعقنا، ولا رقصنا، ولا زفنا – أى ضربنا الأرض بأرجلنا كما يفعل الراقص – ولا قمنا) انتهى كلامه لله دره، [فإن الرقص في الذكر والاهتزاز يمينا ويسارا خصوصًا إذا صاحبته الطبول والمزامير بأنواعها خطا قد عمت به البلوى، ولم يفعل ذلك أحد من الأولياء، وجمهور الفقهاء على تحريم ذلك، وهو مناف للمرؤة والوقار، ولابد من تنزيه الذكر عن هذه الترهات، ومن تذكر وجوب خشية الله عند ذكره، لا يمكن أن يرضى بذلك، ومن تصور وقار الصحابة ومن بعدهم من الرجال الكمل الصادقين أهل المرؤة والعقل والحكمة، لايتصور أنه يقع منهم هذا الرقص المنافي للأدب بين يدي الله تعالى ولا الطبل والزمر، في الذكر، ولكن ماذا يفعل الربانيون وقد صارت هذه موروثات عند أهل الجهل والرعونة ينسبونها إلى أهل الطريق، وأهل الطريق والأولياء والمربون الربانيون ينكرون ذلك، ولكن إصلاح تلك الامور يحتاج إلى قومة لمجموع أهل الطريق لنفي تلك الموروثات التي أضرت بالطريق وأهله،

**[المفتاح الثالث]:** التصوف السنّي الصافي ليس منه تحريف أسماء الله كما يفعله أهل الجهل، والواجب النطق باسم الله الكريم كما أنزله الينا دون تغيير، والتزام تصحيح حروفه والنطق به تاما كاملا، فإنه أكرم الأسماء وأمجدها، والأسماء توقيفية ليس للاختراع إليها سبيل، والبعض يذكر الله تعالى بقوله (آه) ويزعم انه من الأسماء الحسنى، وهو لم يثبت، والله تعالى يقول: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (دع ما يريبك إلى مالا يريبك) رواه الترمذي والنسائي، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح،

**[المفتاح الرابع]:** التصوف السنّي الصافي صدق وأمانة وليس منه الشعوذة والدجل، ما علاقة التصوف بأكل الزجاج والمسامير والثعابين، بعض المنتسبين إلى التصوف يأتون بأمور لا علاقة لها بالشرع ولا بالدين، يأكلون الزجاج والصبار والثعابين، ويلحسون النار، ويدفعون الدبابيس والمسامير في أجسامهم، فهذا إما ان يكون دجلا وغشا، وإما أن يكون كرامات، فإن أحسنا الظن وقلنا كرامات، فإن أهل الطريق الخلص قالوا: الكرامات لا تكون إلا عند الضرورات، والولي الكامل مخفى الكرامة، وكان أحدهم يخفي الكرامة كما يخفي أحدنا ذنوبه، فما هي الفائدة الدينية العائدة من جراء تلك الأعمال، سوى تشويه صورة التصوف الصافي النقي، وإلصاق التهمة به، وكأننا حواة ودجالين، وليس حملة رسالة دين الإسلام ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون،

**[المفتاح الخامس]:** ينبغي تصفية التصوف السني الصحيح الصافي من رعونة البطالين، ولابد من رفض دعاوى الشطح الزائدة عن حد الاضطرار، لأنها نقص ورعونه، ولابد من تصفية السلوك من المخالفات الشرعية، وتنزيه الذكر عن المعازف، ولابد من احترام جناب الشريعة عند الأضرحة والقباب، ولابد من البراءة مما يحدث في بعض الاحتفالات من المنكرات والمخالفات، وينبغي اعتماد مبدأ التصفية للتراث الصوفي العريض مما علق به من مخالفات شرعية، واعتماد مبدأ التجديد والإحياء للتصوف الإسلامي الصحيح الصافي القائم على الكتاب والسنة، فإن التصوف الصافي سلوك وعمل وليس مصطلحات وشطحات، والتصوف الصافي جد وكد وليس بطالة وتكاسل، والتصوف الصافي خلق وزهد وليس تحاسد وجشع، والتصوف الصافي فتوة ورجولة وإيثار، وليس رعونة وتخنث وطمع، والتصوف الحق علم وعمل، وليس جهل وخرافة، والتصوف الحق صدق وأمانة وليس شعوذة ودجل، والتصوف الحق حقائق وأحوال ومجاهدات، وليس دعاوى عريضة وترهات، ورحم الله تعالى القائل: " ليس التصوف لبس الصوف ترقعه... ولا بكاءك إن غنى المغنونا... ولا صياح ولا رقص ولا طرب... ولا تغاش كأن قد صرت مجنونا... بل التصوف أن تصفو بلا كدر... وتتبع الحق والقرآن والدينا... وأن تُرى خائفا لله ذا ندم... على ذنوبك طول الدهر محزونا "،

***

## المبحث السادس والاربعون

# دفاعا عن التصوف السني الحق

**[المفتاح الأول]:** يزعم المتنطعون أن التصوف دخيل على الإسلام، مع أنّ التصوف هو المرادف لمصطلح (التزكية) المقصودة بقوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا}، وكذلك فإن (التصوف) هو المرادف لمرتبة الإحسان الواردة في حديث جبريل عليه السلام وفيه: (قَالَ: فأخبرني عَنْ الإحسان؟ قَالَ: "أن تعبد اللَّه كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك") [أخرجه مسلم]، ولم نجد احدا تعرض لتلك المباحث سوى أهل التصوف، وقد أقر علماء أهل السنة والجماعة (التصوف) علماً مستقلاً مرادفا للتزكية والإحسان، ويزعم المتنطعون بأنه لم يُسمع به في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ولا في عهد الصحابة والتابعين، وبالتالي فهو بدعة ضلالة، وهذا الزعم مردود جملةً وتفصيلاً، لأن معظم الاصطلاحات أُحدثت بعد زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة، واستعملها المسلمون فيما بعد، كألفاظ الفقه والعقيدة والتصوف، وغيرها، كل هذه الاصطلاحات لم تكن تستعمل زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، واستعملت فيما بعد ولم تنكر، ويزعم المتنطعون بأنّ التصوف هو الخطر الأول على الإسلام وأنّه ينبغي القضاء على التصوف برمته، وهذا الفريق يسعى لاقتلاع التصوف من جذوره، وهؤلاء يصرون على إلصاق كل التهم بالصوفية دون تفريق ودون مبالاة بما دس على الصوفية من أقوال وأفعال، ثم تراهم يضللون الصوفية كلها بمقولات وجدها في كتاب ما مدسوسة على احدهم، أو قالها في ساعة ذهول لا يقصدها، وهؤلاء يناطحون الصخر، إن كلمة (صوفي) كانت على مر عصور الإسلام السابقة كلمة ثناء، وصفة مدح، فهل يعقل أن نأتي الآن لنغير حقائق الدين والتاريخ محاولين إضفاء صبغة البدعة والضلالة على ذلك العلم الذي يتناول التزكية والأخلاق وأعمال القلوب في دين الله تعالى، وأين يذهب الجنيد وأصحابه، وحجة الإسلام الغزالي وأتباعه، وعبد القادر الجيلاني والرفاعي والشاذلي وآلاف الآلاف من أتباعهم، إن هؤلاء هم سادة التزكية وأقطاب التصوف ودعائم الأخلاق، ولا يكابر في إنكار فضلهم إلا مجازف بدينه مخاطر بأمته، وهل انتشر الإسلام في أقاصي الشرق والغرب إلا بأخلاق هؤلاء وجهودهم في الدعوة إلى الإسلام،

**[المفتاح الثاني]:** اتهام البعض الصوفية بأنّهم أصحاب عقائد زائغة، ودعاوى زائفة، وأنّهم يقولون بالاتحاد والحلول ووحدة الوجود، والتفريق بين الحقيقة والشريعة، وسقوط التكاليف عن أهل الحقيقة، وهذه كلها دعاوى زائفة من أُناس لا يفهمون التصوف الصحيح الصافي، ولا يعرفون الرقي الذي عليه الأكابر من أهل التصوف في العقيدة والتقديس والتنزيه والفقه والتزكية والأخلاق، ولا يمكن أن نحمل الأولياء جرائر الادعياء، في كل العلوم نجد الادعياء، في علم التفسير هناك الادعياء الذين ملئوا التفسير بالاسرائيليات، فهل نترك علم التفسير لأجلهم، وفي علم الحديث هناك الادعياء الذين كذبوا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالاحاديث المكذوبة، فهل نترك علم الحديث لأجل هؤلاء، لا يمكن أن نحمل الأولياء جرائر الادعياء، ولا يمكن أن نلغي التصوف القائم على مرتبة الاحسان من أجل أخطاء الادعياء، إن الذي يدعو إلى عقائد الحلول والاتحاد والوحدة، ليس هذا من تصوف المسلمين في شيء، وإنما هو تصوف مدسوس والمتهمون به أدعياء وهم نفر معدود محدود، وليس لهم تابع ولا وارث،

**[المفتاح الثالث]:** اتهام البعض: التصوف بأنه يدعو إلى تقديس المشايخ، واعتقاد أنهم يملكون النفع والضرر، فهذا كلام فيه تجاوز ومغالطة، فإن التصوف يدعو إلى احترام الشيخ وتوقيره لأنه الوارث لبعض علوم النبوة، واحترامهم أدب إسلامي مقرر، لا خلاف عليه، وفي الحديث (ليس منا من لم يوقر كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ولم يعرف لعالمنا حقه) رواه الترمذي، وأما الاستعانة بدعاء الشيخ، وابتهاله إلى الله في شدائد ابنائه، فهو أدب إسلامي ثابت بالشريعة، ولا يزال من المستحب ان يدعو المسلم لأبنائه وأخوانه وأصحابه، أما أنهم يزعمون أنهم يملكون النفع والضرر، فالذي يملك هو الله وحده، وعندما يغضب الشيخ لربه من مخالف لله فيدعو، فيغضب الله لغضب وليه، ويستجيب له، فلا يقال عندئذ إن الشيخ يملك نفعاً ولا ضراً، إنما هو من باب: "" لئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه "، والقول بغير هذا إنما هو مسخ للصورة بالمغالاة والإغراق والتنفير، وإذا كان هناك شيء من ذلك فرضاً جدلياً فهو مما يعالج بالبيان والإرشاد والقول الطيب، والتوجيه بالحكمة البالغة، والموعظة البليغة

**[المفتاح الرابع]:** زعم البعض بأن التصوف يدعو إلى السلبية والتواكل: التصوف الحق هو: الإسلام، وليس في الإسلام سلبية، ولا تواكل، وإنما هي أمراض اجتماعية لصقت بالتصوف زوراً وبهتاناً، وقد كان عبد الله بن المبارك، يحج عاماً ويجاهد عاماً، وقد كان شقيق البلخي فارساً مغواراً،

يطلب الموت حتى استشهد في سبيل الله، وكذلك كان حاتم الاصم، مقاتلاً بارعاً، له في الجهاد مواقف وكرامات، وقد كانت الألقاب الصوفية تدل على ما يتناولونه من حرف ومهن وصناعات: فمنهم الدقاق، والسماك، والوراق، والخواص، وهكذا تعرف أنهم كانوا بحق أمثالاً للمسلم الكامل إيماناً، وعملاً وإيجابية، وصلة كبرى بالله، فالتواكل مرض دخيل على التصوف الصحيح، يعالجه صوفية العلماء، كل بطريقته وأسلوبه،

**[المفتاح الخامس]:** بقى الزعم بأن التصوف يدعو إلى الطبل والزمر والرقص، أقول: الرقص في الذكر والاهتزاز يمينا ويسارا خصوصًا إذا صاحبته الطبول والمزامير بأنواعها خطا، وقد عمت به البلوى، وجمهور الفقهاء على تحريم ذلك، وأنه مناف للمرؤة والوقار، والأولياء لا يرضون به إلا لمن غلبه الحال، ومن تذكر وجوب خشية الله عند ذكره، لا يرضى بذلك، ومن تصور وقار الصحابة ومن بعدهم من الرجال الكمل الصادقين أهل المرؤة والعقل والحكمة، لا يتصور أنه يقع منهم هذا الرقص المنافي للأدب بين يدي الله تعالى ولا الطبل والزمر، في الذكر، ولكن هذه الأمور صارت موروثات عند أهل الجهل والرعونة ينسبونها إلى أهل الطريق، وأهل الطريق والأولياء والمربون الربانيون لا يرضون بها، وإصلاح تلك الامور يحتاج إلى قومة أهل الطريق لنفي تلك الموروثات التي أضرت بالطريق وأهله،

**[المفتاح السادس]: من أبرز أعداء التصوف وأهله الوهابية أدعياء السلفية:** والسلفية في ذاتها نسبة كريمة لأنها نسبة إلى السلف الكرام، وهم أهل القرون الثلاثة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخيرية في الحديث الصحيح: (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)، فالسلفية الحقة تنتمي إلى هذا السلف، والسلفيون الصادقون ينتمون إلى هذه السلفية، ولكن السلفية الحقة الأصيلة قد ابتليت بالأدعياء، (الوهابية) نسبوا أنفسهم إليها وهي منهم براء، شوَّهوا جمال عقائدها بما أدخلوا عليها من بدع ضالة، إنّ السلفية انتسب إليها المحق والمدعي، والمحقون هم السادة الأثرية أهل التقديس والتنزيه وعدم الخوض بالحشو فيما يتعلق بجناب ذات الله تعالى وصفاته وهؤلاء على وفاق في أصول العقيدة مع مذاهب التخصص العقدي على منهاج اهل السنة والجماعة (السادة الأشعرية والماتريدية)، وهم على وفاق في الفقه مع المذاهب الفقهية الأربعة، وهم على وفاق في التزكية مع السادة الصوفية أهل التصوف الحق القائمون على ثغر الإحسان، أما المدعون لها فهم الوهابيون أهل الحشو الجاهلون بما يجب وما يجوز وما يستحيل نسبته إلى جناب ذات الله،

والجاهلون بحقائق التصوف وما عليه أئمته من العرفان والتحقيق والتجريد والتفريد والتوحيد، وهؤلاء الوهابيون يشقون وحدة أهل السنة ويضربون مرجعيتها وتخصصاتها العلمية في مقتل، وهم حجر عثرة أمام وحدة اهل السنة والجماعة، وهؤلاء (الوهابية) ينتسبون في الحقيقة إلى فرقة ضالة أسماها العلماء قديما (الحشوية)، وياليتهم اقتصروا على مفرداتها وضلالاتها بل ضموا إليها بدعا أخرى من الخوارج والمعتزلة والكرامية المجسمة، و (الحشوية) لقب أُطلق على طائفة من المبتدعة الذين اعتقدوا بلوازم التجسيم من الحد والصورة والتغير والحدوث وقبول الحوادث والكون في المكان، يقبلون المعاني المنطوية على التجسيم، وإن كانوا يتحفظون في لفظ التجسيم، ومن أبرز صفاتهم: البعد عن التقديس والتنزيه، يعتقدون في جناب ذات الله تعالى الحد والمقدار والكون في المكان، ويجيزون عليه سبحانه الحركة والسكون والجلوس والقيام والقعود، ويجيزون أنّ تكون ذاته سبحانه محلاً للحوادث، وهم لا يحترمون تخصص المذاهب العقائدية والفقهية والسلوكية المنتسبة إلى اهل السنّة والجماعة، ويهجمون على كل أبواب العلم، لا سيما الأصول، يكفرون ويبدعون ويقعون في أعراض أكابر العلماء، يشوشون على أبواب العلم كلما بنى العلماء صرحاً علميا هدموه، فيهم زيادة تكفير وزيادة تبديع وسوء ظن بكل مخالف لهم يتهمونه على دينه، ظاهريون سطحيون لا يتعمقون في فهم المراد من النصوص، ويحشون رؤوسهم بما لا يُعقل، ويبتعدون عن المنهج العلمي في الاستدلال على العقائد، ويكتفون فقط بظاهر النصوص، ومن أبرز مشاكل هؤلاء، أنّ ما فهموه بعقولهم السقيمة، وعلومهم القاصرة، نسبوه إلى السلف، وتحصنوا بهذه النسبة، فمن خالفهم اتهموه بمخالفة السلف، والمروق من الدين، يتتبعون المتشابه، مصداقا لقوله تعالى: {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ} [آل عمران: 7]، لقد تسربت تلك المعتقدات إلى ابن تيمية فحملها ودافع عنها وأفنى عمره في نصرتها وزاد طينها بلة، ثم حمل رايتها من بعده ابن عبد الوهاب ونصر أفكارها بقلمه وسيفه، وزاد عليها بعض مفردات الخروج فاستباح دماء وحرمات مخالفيه من أهل القبلة، ووصفهم بالشرك الأكبر، وجعل حربه معهم بمثابة جهاد أهل الإسلام ضد المشركين،

**[المفتاح السابع]: جهل ابن تيمية بحقيقة التصوف: بسبب جهل ابن تيمية بحقائق التخصص العلمي الإسلامي وقع في أخطاء علمية كثيرة وشغب على اهل التخصص كثيرا سواء في علم العقيدة او علم الفقه او علم التصوف** ، والعجيب انّ ابن تيمية اهتم بإحياء مذهب السلفية على

المفهوم الذي ظنه صحيحا، ولم يتبين الأفكار التي تسربت إليه بفعل احسان ظنه بالحشوية وروادها الأوائل الذين انتسبوا زورا إلى الحنابلة وإلى أهل الحديث، وبسبب عدم قدرته على فهم علم التنزيه وعدم مقدرته على هضم مفرداته، فهجم عليها دون فهم حقيقي لمغزاها، وبسبب جهله العارم بقواعد التقديس ومباحث علم أصول الدين لاسيما في باب الإلهيات، لذلك أصرّ على إبقاء أحاديث التشبيه والجهة بحالها من دون توجيه وتصرف، بل ودعا إلى حملها على ظاهرها المحال على الله، وهو لا يدرك أسباب استحالتها، ثم لم يكتف بذلك حتى هاجم التأويلات التي ذكرها الأصوليون في كتبهم لمنع التشبيه، والتوجيه لحمل الآيات والأحاديث على المعنى والذي لأجله سيقت تلك الآيات والاحاديث، فإن حديث النزول – على سبيل المثال – ليس الهدف منه اثبات الحركة والنزول من علو إلى سفل، ولكن الهدف منه بيان أفضلية ثلث الليل الأخير في إجابة الدعاء، ثم لم يهدأ حتى رفض تفويض معاني الآيات المتشابهات في الذات والصفات، والذي هو مذهب السلف الصحيح، والذي ليس لهم مذهب سواه، وهاجم الأثرية أتباع السلف وذلك بزعم أنّه مذهب التجهيل وأنّه من شر أقوال أهل البدع، ثم أوجب حمل الآيات والاحاديث المتشابهات في الذات والصفات الواردة في القرآن والسنة على ظاهرها الحقيقي في اللغة أي المعنى المادي الحسي، ويرفض حملها على المجاز، لأنه لا مجاز في القرآن والحديث!، ومذهبه هو أنّ الله تعالى موجود بذاته فوق العالم، والعالم المخلوق تحته، وهو موجود بذاته على عرشه فالعرش محاذ له من الجهة السفلى، وأنه جل جلاله متناه من جهة تحت، أما من جهة فوق فليس فوقه شيء، وأنّه يتحرك ويقبل الحوادث وينزل إلى السماء الدنيا نزولاً حقيقياً بذاته، فقد قال (وتفسير النزول بفعل يقوم بذاته)، وعلى هذا المذهب فإنّه سبحانه يبقى نازلاً أبداً، لأنّ ثلث الليل لا ينقطع عن الارض لحظه واحدة بل يدور في أجزاء الأرض بدورانها، كما حام حول صفات الوجه واليدين والعينين والقدم والساق بما يُخيل إلى العوام أنّها أجزاء من الذات، وليست صفات منزهة عن الجارحة والجسمية، كما حام حول الجسمية والتجسيم، وأنه لا يوجد شرعاً أو عقلاً ما يمنع من أن يكون الله جسماً !!، مع أنّ إجماع أهل الأصول ممن يؤخذ بقولهم في العقيدة على تنزيه الله تعالى عن الجسمية ومعاني الجسمية، وحام حول حديث خلق آدم على صورته، بما يُشعر أنّ آدم على صورة الرحمن، وأنّ كل ذلك على الظاهر الذي يليق بذات الله تعالى، ويظن بعد هذا الحشو والتجسيم أنّه قد اصاب السنّة التي يعلم صغار طلبة العلم من الأصوليين أنّه محال على الله لأنّ فيه تجسيم وتمثيل بالحسيات وتكييف للذي تقدس ليس كمثله شيء، ووصف لله تعالى بالحد والنهاية والحدوث، وهل بعد تلك العقائد يبقى لهم

شيء من التقديس الذي حبى الله تعالى به أمة التسبيح والتنزيه والتوحيد، ومن الغريب أنّه لم يقنع بمفردات العقيدة الحشوية حتى أضاف إلى معاداة الأصوليين القائمن على ثغر العقيدة والتقديس، أضاف إلى ذلك معاداة الاولياء العارفين سادة التصوف وأظهر العداوة لكل ما يمت للتصوف بصلة، وهو من أجهل الخلق بمعارفهم واحوالهم ومقاماتهم التي ورثوها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فحارب ثلث الدين الأعلى والأرقى (تحقيق الإحسان ظاهرا وباطنا) وهو الثغر الذي قام عليه أهل التصوف، وزاد أُموراً تزيد الطين بلة، والجهل ضلالا، فعد السفر لزيارة الرسول الأعظم بدعة وشركاً، كما عدّ التبرّك بآثارهم والتوسّل بهم شيئاً يضاد التوحيد في العبادة، ومن أجل ذلك عادى وخالف أكابر أهل العلم في زمانه وما سبقه من أزمان، ولم يسلم من قلمه ولسانه الكثير من الهداة المهديين من علماء أهل السنّة والجماعة، نصحوه فلم يرعوى، ولم يتعظ من قوة ناصحه المشفق حتى أدركته المنية في سجن دمشق، وقد تأثر به عدد قليل من تلامذته، ولكن لكثرة مؤلفاتهم ودندنتهم حول ما تسرب إليهم من مفردات الحشوية، سحبوا أهل السنّة والجماعة نحو بعض مفردات الحشو والخلاف، إنّ الموالين لابن تيمية والمقتفين أثره يصفونه بالسلفية، ويعتقدون فيه بأنّه محيي مذهب السلف، ومجدد السلفية، ولكنّه للأسف جدد بناء المدرسة الحشوية بابرز مفرداتها، من محاربة التخصص العلمي والاستهانة به والجهل المطبق بقواعد التقديس والتنزيه والتوحيد، هاجم الأصول والفروع والوسائل، وأخذ يهوش على المتخصصين، ثم لم يهدأ حتى دخل في دهاليز مظلمة من الحديث عن علم الكلام والمعقول والمنقول، وهو لا يدرك المعقول ولم تتهيأ له الفرصة في تعلمه على يد المتخصصين، فجال وصال وقطع الطريق على العلماء والفقهاء والعارفين ثم لم يهدأ حتى نال من منزلة سيد الأنام في نفوس الأنام بأن حرّم التبرك والتوسل به إلى الله تعالى، مع أنّه أفضل الوسائل وأقصر الطرق إلى رضا الله، ثم جازف وغامر بتحريم التبرك وقصد زيارته عليه الصلاة والسلام، في زمان كانت الأمة جميعا على جواز تلك الأعمال وأنّها من فضائل الأعمال، فهل كانت الأمة في زمانه على ضلال مبين، حتى انتشلها من الظلام، ثم تجاسر بتخطئة أمير المؤمنين على ابن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه، وتكلم في حقه بما لا ينبغي، إذ لكل مقام مقال، وهل الرد على الشيعة يُجيز له رفع الحشمة والادب مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم تكلم عن الطاهر المطهر سيدنا الحسين، بكلام لا ينبغي، وهل التمحل في الدفاع عن يزيد يُجير سوء الأدب مع السادة الكرام، فهذه كلها من مفردات الحشو التي لم يتنبه إليها ابن تيمية، فتعجل بتبنيها ونشرها، وهي لا تمت إلى السلفية بنسب ولا صلة، فهل من السلفية اتهام المسلمين بالشرك

بدعوى التوسل، والتوسل مسالة فقهية على مر عصور الإسلام، ولم يجعلها من أبواب العقيدة والتوحيد والشرك، أحد قبل ابن تيمية، فهل كان السلف قبله على ضلالة عندما اوردوها في أبواب الفقه، لقد ظن ابن تيمية أنَّ المقصود من التوسل هو اتخاذ واسطة بين العبد وربه، وأدى هذا الظن إلى خلل في فهم موضوع التوسل، واعتقاد أنه مخالف للتوحيد ويفتح بابا إلى الشرك، وإلى غلو في تقييم بحث التوسل وإلحاقه بباب التوحيد، واعتقاد أن المتوسلين إنما يدعون غير الله، ويتخذونهم وسطاء يقربونهم إلى الله زلفا، وهذا خطأ جسيم وفهم خاطئ لموضوع التوسل، إذ التوسل إنما هو طلب القربى إلى الله تعالى بالوسائل الجائزة شرعاً، وليس من باب اتخاذ واسطة بين العبد وربه أبدا، ولو تتبعنا أخطاء ابن تيمية نجد أنه وقع في أخطاء أبرزها: (أ) أنّه لم يستطع تحديد دائرة المتشابه الصحيحة بدقه بسبب ذهوله عن قواعد التوحيد والتقديس والتنزيه التي لم يدرسها على يد متخصص ولم يستطع أن يفهمها بمفرده حتى سببت له جفاء وانحراف عن المتخصصين في علم اصول الدين، (ب) نسب إلى السلف مذهب إثبات المعنى عموماً، وقد كان هذا مذهبهم حقاً إلا في المتشابهات فقد كان مذهبهم تفويض المعنى، وليس اثباته لأنّ المتشابه ليس له معنى فيدرك، ولو كان له معنى لما كان متشابها، ثم لم يكتف بذلك حتى جعل مذهب التفويض – وهو لا يدرك أنه مذهب السلف الحقيقي – من شر مذاهب الفرق الضالة، (ت) نسب إلى السلف اثبات المعنى الظاهر مع أنّه متعذر في كل الصفات (ث) شنّ حرباً على التأويل مع أنّه لا مناص منه عند التعارض، (ج) جهله العميق بقواعد التقديس والتنزيه المستفادة من الكتاب والسنّة، فسبب خللا في استيعابه لمذهب أهل السنّة والجماعة في العقيدة، (ح) بسبب عدم تخصصه في العقيدة مال إلى مذاهب المجسمة والحشوية وأثنى على أهلها ومؤلفاتهم ونسبهم إلى السنّة والسنّة منهم براء، (خ) تورط في نسبة الحد والجهة والمكان والحركة والانتقال إلى الله، مع أنها من المحال عند المتخصصين في علم العقيدة، (د) نسب علم (التقديس وقواعد التنزيه المستمدة من الكتاب والسنّة) إلى علوم اليونان وفلسفتهم، مع أنّه مستنبط من أدله الكتاب والسنَّة، وسار عليه أعلام الأئمة من علماء أهل السنّة والجماعة على مر عصور الإسلام، قال تعالى: {لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ} [النساء: 84]، ولأنهم متخصصون علموه، وهو لمّا لم يكن متخصصا لم يعلمه، فأضر كثيرا بمن تأثر بكلامه فحرمه من أعظم علوم الإسلام الفقه الأكبر في الدين، (ذ) شنّ حملته الشعواء على علماء أهل السنّة والجماعة المتخصصين في العقيدة جميعا، وشغب عليهم وحاول تدمير تخصصاتهم، فوصف الأثرية أتباع الإمام أحمد رحمه الله الحقيقيون بأنهم أهل التجهيل، وأنهم شر فرق الإسلام لأنّهم مفوضة لعلم

المتشابه، ونسب أعلام الأشاعرة والماتريدية إلى البدعة في العقيدة وإلى التوبة المزعومة عند الموت، وهي توبة مكذوبة موهومة إذ كيف يتوبوا مما يعد أفضل حسناتهم في الرد على المجسمة والمشبهة والحشوية والمعتزلة وسائر الفرق الضالة، ونقل أقوال الحشوية فيهم بأنّهم الجهمية الإناث وأنّهم مخانيث المعتزلة، مع أنهم حصون الإسلام في علم العقيدة، (ر) لم يضبط مسائل الإيمان والكفر على طريقة الفقهاء ولا على طريقة أهل الأصول، وكتب فيه على طريقة الحشوية دون ضبط لأصل الإيمان وأهم عناصره، ودون تفريق واضح للأصل عن الواجب، وأدخل عمل الجارحة في أصل الإيمان فاقترب من مذهب المعتزلة، وسبب لدى تلامذته غلواً في التكفير، (ز) لم يضبط مسائل التوحيد والشرك على طريقة الفقهاء ولا على طريقة أهل الأصول وسبب لدى تلامذته غلواً في اتهام المسلمين بالشرك، (س) لم يضبط مسائل البدعة والسنّة على طريقة الفقهاء ولا على طريقة أهل الأصول وسبب لدى تلامذته غلواً في التبديع، (ش) كما انفرد عن جمهور علماء أهل السنّة والجماعة بأقوال شاذة وأطال في تقريرها مع أنّها مهما أطال في الكلام عنها لا يمكن أن تكون صحيحة، ومن ذلك إنكاره المجاز في القرآن، ومخالفته لجمهور الأصوليين والفقهاء في زعمه بأنّ خبر الآحاد يفيد اليقين، وليس يفيده بحال، لأنّ خبر الآحاد العدل وإن كان الراوي حافظاً ضابطاً فإنه غير معصوم من الخطأ في اللفظ أو السهو أو الوهم أو النسيان أو الرواية بالمعنى، كما تورط في الحديث حول قدم بعض المخلوقات ووجودها مع الله كالعرش، وهذا يضاهي الفلاسفة بقدم العالم، وأجاز التسلسل إلى ما لا بداية، كما أجاز العقلاء التسلسل إلى ما لا نهاية، مع أنّ الفرق بينهما عظيم، والاول مستحيل لأنّه يؤول إلى قدم العالم، والثاني جائز كبقاء اهل الجنّة واهل النار إلى ما لا نهاية، وتورط في القول بحدوث صفة الكلام، وصرح بأن الكلام صفة فعلية يخضع للمشيئة قياساً على صفة الكلام عند البشر، كما صرح بقيام الحوادث بذات الله تعالى، وذهل عن الدليل الذي استعمله نبي الله إبراهيم عليه السلام في إثبات عدم ألوهية الشمس والقمر والكواكب ألا وهو الأفول، وحام حول فعل الأسباب بقوة جعلها الله تعالى في طبعها، وهو قول يجرح توحيد الأفعال عند من يفهم أبعاده، وحام حول الصلاح والعدل من مبادئ المعتزلة، وهي أقوالٌ لا يرضى بها المتخصصون في العقيدة على منهاج أهل السنّة والجماعة، كما حام حول عدم عصمة الانبياء من الذنوب، واقتراف بعضهم للذنوب والتوبة منها، ينقل في ذلك الخلاف بما لا ينبغي حفظا لمقام الأنبياء، كما تورط في الحديث حول فناء عذاب اهل النار هو وتلميذه ابن القيم مع ورود الخلود فيها في قريب من أربعين آية من آيات الذكر الحكيم منها قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ

يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا * إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا} [النساء: 168، 169]، وقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا} [الأحزاب: 64، 65]، و كان يشن بين الحين والآخر حروبا على المذاهب الأربعة المتخصصة في الفقه بدعوى إتباع الدليل من الكتاب والسنة وتجريد الإتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وخالف الأئمة المجتهدين في مسائل عديدة، وأكثر المسائل التي خالفهم فيها كان الصواب معهم باتفاق الفقهاء، وكانت مخالفاته عبئا على المسلمين تزيد من فرقتهم بدلا من وفاقهم، مع أن أئمة هذه المذاهب الفقهية المعتمدة بلغوا أضعاف أضعاف ما بلغه ابن تيمية في الفقه والعلم والورع، واتباع الكتاب والسنّة، وفي مجال التزكية والتصوف: أفنى قسطا كبيرا من عمره في شن الحروب على مدارس التصوف، مع أنّ الاولى كان ترشيدها بالنصح والإرشاد واللين والرفق لا محاربتها وتجريح أكابرها، لقد أفنى ابن تيمية عمره في الرد على أهل الحق الأشاعرة، وهو لم يستوعب علمهم ولم يصل إلى شيء من رسوخهم في علم العقيدة والأصول، كما أفنى عمره وجهده في نصرة أقوال أهل الحشو التشبيه، ولم يتبين الأفكار التي تسربت إليه بفعل احسان ظنه بالحشوية وروادها الأوائل الذين انتسبوا زورا إلى الحنابلة وإلى أهل الحديث، إنّ الموالين لابن تيمية والمقتفين أثره يصفونه بالسلفية، ويعتقدون فيه بأنّه محيي مذهب السلف، ومجدد السلفية، ولكنّه للأسف جدد بناء المدرسة الحشوية بأخطر مفرداتها، وأخص صفاتها من محاربة التخصص العلمي والاستهانة به والجهل المطبق بقواعد التقديس والتنزيه والتوحيد، ولا يصح بعد تلك المخالفات والمجازفات أن يعتبر مذهبه هو الممثل والمتحدث الرسمي عن السلفية والسلف،

**[المفتاح الثامن]: جهل ابن عبد الوهاب بحقيقة التصوف: من أبرز أعداء التصوف وأهله: (الوهابية) أتباع الشيخ النجدي محمد بن عبد الوهاب:** لقد تبنى ابن عبد الوهاب نشر كتب وأفكار ابن تيمية بقوة السيف والسنان، ولكن أيضاً: كانت له كذلك تصورات مغلوطة، واجتهادات خاطئة خالف فيها أهل العلم المتخصصين فيه، وذلك في بعض مباحث توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية، وفي مباحث تقرير حقيقة الشرك الأكبر، وفي مجال نقل مباحث خلافية من علم الفقه كالتوسل والتبرك وبناء المساجد على القبور وشد الرحال لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم إلى علم العقيدة وإلصاقها بالتوحيد والشرك، وفي مجال الخطأ في الهجوم على علم التصوف برمته، بحسنه وسيئه، واعلان الحرب على أهله واستحلال حرماتهم لمسائل لا تبلغ بهم هذا الحال أبدا، (أ) ففي

مجال توحيد الألوهية: أخطأ في تفسير العبادة، ففسرها بمعناها اللغوي وهو الإتيان بأقصى غاية الذل والخضوع، وذهل عن ضابطها الذي يضبط أحكامها ألا وهو الإتيان بأقصى غاية الذل والخضوع لمن يعتقده إلها له صفات الإلهية واستحقاق العبادة من دون الله، وكان هذا الغلط في تفسير العبادة هو المزلقةُ الكبرى والمزلَّة العظمى، التي أُستحِلت بها دماءُ لا تحصى، وانتهكت به أعراض لا تعد، وتقاطعت فيه أرحام أمر اللّه بها أن توصل، عياذاً باللّه من المزالق والفتن، (ب) وفي مجال توحيد الربوبية: نسب إلى المشركين زمان النبي صلى الله عليه وسلم توحيد الربوبية، مع أن هؤلاء المشركين اعتقدوا بأن لآلهتهم قدرة ذاتية على النفع والضر وهذا شرك في الربوبية، ويتضح ذلك في مثل قوله تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا} [مريم: 81]، وقوله تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ} [يس: 74]، وكانوا يخوفون الرسل من بطش آلهتهم وهذا يعني اعتقادهم أنها تنفع وتضر استقلالا وهذا واضح لمن تدبره في مثل قوله تعالى: {إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوَءٍ} [هود: 54]، وقوله تعالى: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} [الزمر: 36]، (ت) والخطأ في تقرير حقيقة الشرك الأكبر: كما كان الخطأ في تقرير العبادة كان كذلك الخطأ في تقرير الشرك، وأنّه ليس مجرد صرف صور العبادة كالسجود والدعاء والذبح وغيرها من صور العبادة لغير الله تعالى، ولكنه الصرف المُصاحب بالاعتقاد لمن يصرف إليه صورة العبادة أنّه إله معبود أو رب قادر، وإلا لم يكن شركا أكبر يُخرج من الملة إلى الكفر الاكبر، (ث) والخطأ في نقل مباحث خلافية من علم الفقه كالتوسل والتبرك وبناء المساجد على القبور وشد الرحال لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم إلى علم العقيدة وإلصاقها بالتوحيد والشرك، (ج) والخطأ في الهجوم على علم التصوف برمته، واعلان الحرب على أهله الاولياء الصالحين، واستحلال حرماتهم بآيات نزلت في المشركين فأنزلها على المسلمين، وبمسائل مغلوطة معكوسة استغلها لإخراجهم من دين المسلمين بظلم وبغي ناشئ عن الغلو في فهم مفردات التوحيد والشرك والسنّة والبدعة، (ح) الغلو في تكفير المسلمين واستحلال دمائهم وحرماتهم، فقد استحل دماء المسلمين في نجد والحجاز بتهم الشرك والكفر والخروج من ملة الإسلام، ونظرة عابرة إلى تاريخ نجد لابن غنّام، نعلم كيف كانت (الغزوات) ! على أعراب نجد والحجاز، وكيف كانت الدماء والحُرمات تُستحل حتى في المساجد، والغنائم توزع على المجاهدين وكأنّهم يحاربون عُباد الأوثان، لا مسلمين يقولون (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، ويعتقدون أنّه لا إله ولا رب لهذا الكون إلا الله، وأنّ كل ما جاء به رسول الله تعالى من عند الله

حق يدينون به لله، لقد مرت تلك المحنة والحمد لله، ولكن لابد من تصفية المنهج واعتماد التخصص العلمي لأنّه ما أودى بنا إلى تلك الحال إلا اعتماد مؤسسة واحدة تسربت إليها مفردات الحشو على أنّها البديل العلمي العام لجميع التخصصات العلمية في العقيدة او الفقه او التصوف،

**[المفتاح التاسع]: جهل اتباع السلفية المعاصرة بحقائق التصوف: السلفية المعاصرة فريقان: الفريق الأول أثري ينتمي إلى المدرسة الأثرية التي تعلم من قواعد التقديس ما تفوض به علم المتشابه إلى الله وهي على وفاق مع بقية مدارس التخصص الإسلامي في العقيدة او الفقه او التصوف، أما الفريق الثاني – وهو الاوسع دائرة والأكثر عددا – أهل حشو وتجسيم، وأهل علظة وتدسية، واهل جهل مركب ويحسبون انهم يحسنون صنعا، وأهم علامات هؤلاء: الوقيعة في مذاهب أهل السنة والجماعة المتخصصة في العقيدة والفقه والتزكية، وأهم أخطاء هؤلاء والتي يجب علاجها من أجل التصحيح: (1) الذهول عن اضافة قسم تنزيه الذات إلى أقسام التوحيد، والذهول عن هذا القسم أدى إلى قصور واضح جلي في الإلمام بما يجب وما يجوز وما يستحيل في ذات الله تعالى، وإلى الوقوع في الحشو على حساب التقديس، بل واعتقاد التجسيم في بعض الأحيان وإن لم يشعروا بذلك، (2) الغلو في فهم مفردات التوحيد وفهم مفردات العبادة، بسبب عدم التفريق بين أصل العبادة وصور العبادة، والذهول عن ضابط العبادة الذي يجعل صرفها لله تعالى توحيد وصرفها لغير الله تعالى شرك أكبر،، فأدى ذلك إلى اتهام الكثير من المسلمين بالشرك الأكبر، بسبب بعض أعمال الجهل والبدعة، وأدى ذلكم إلى استحلال دماء المسلمين وأموالهم، حيث زعموا أنهم على شرك اعظم من شرك المشركين زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونظرة إلى تاريخ ابن غنام وغيره ممن أرخ لتلك الفترة نعرف مدى صحة ذلك، (3) الغلو في التكفير وعدم فهم بعض مسائل الإيمان فهماً معتدلا، والميل فيها عن جهل إلى قريب من مذهب المعتزلة والخوارج، فأدى ذلك إلى تكفير الكثير من المسلمين، في أمور لا تصل إلى حد الكفر الأكبر، وأدى ذلك إلى جواز تفجير القنابل بين عوام المسلمين على أنهم كافرين، وتحويلهم إلى أشلاء، وما أدبيات السلفيات القتالية والجهادية عن ذلك ببعيد، (4) الغلو في التبديع وتبديع بعض الأكابر من علماء أهل السنة والجماعة، في مسائل هم المخطئون فيها لعدم إلمامهم بأدلتها الشرعية وعدم فقههم الواسع لها، وتبديع طوائف برمتها، ظلت على مر عصور الإسلام في إطار أهل السنة والجماعة، ويرغب أهل الحشو في طردهم منها، وكأنما امتلكوا صكوك الانتساب إليها،**

(5) غلو في مسائل عدم الإعذار بالجهل والتأويل، ونصرة المعتزلة في بعض هذه المسائل، وغلو في مسائل الحكم بغير ما أنزل الله، وفي مسائل الولاء والبراء بما يولج معتقدها في مذاهب الحرورية والخوارج، (6) إهمال دراسة قواعد التنزيه المستمدة من الكتاب والسنة، فنشأ عن ذلك الحشو والجهل المركب في مسائل الصفات والإضافات بسبب الذهول عن تلك القواعد المستمدة من ادلة الكتاب والسنة، (7) عدم الدقة في تحديد دائرة المتشابه الصحيحة، وما آل إليه ذلك من تتبع المتشابه والخوض فيه، ووقوعهم بذلك تحت خطر الوعيد القرآني المتمثل في وصف الذين يتتبعون المتشابه بزيغ قلوبهم، وذلك في قوله تعالى: {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ} [آل عمران: 7]، (8) الذهول عن حقيقة مذهب السلف في تفويض علم المتشابه إلى الله تعالى، ثم لم يكتفوا بذلك حتى اتهموا المفوضة – وهم أهل السلف الحقيقيون – بالتجهيل والتبديع وأنهم أشر أهل البدع، مع أنهم هم السلف الراسخون في العلم، (9) بعث بعض مفردات مذهب الحشوية والخطأ بنسبتها إلى مذهب السلف وإلى أهل الحديث، وجعله بديل لكافة التخصصات العلمية، ومن ثم بعث بعض كتب الحشوية والمجسمة من جديد وإعادة طباعتها على أنها تمثل مذهب السلف والأثر، وهم منها براء، وهل كان السلف مجسمة أو مشبهة وحاشاهم من ذلك، (10) الوقيعة في أهل التنزيه والأصول من أكابر أهل السنة الأشاعرة والماتريدية ومحاولة التشكيك في انتسابهم إلى أهل السنة والجماعة، مع إهمال قيمة التخصص العلمي لديهم وتلميع أهل التعدي على أكابرهم بغيا وظلما بغير وجه حق، (11) إهمال مناهج التربية والتزكية، ومن ثم كانت النفسية التي تتسم بالغلظة والقسوة وغمط طوائف أهل السنّة والجماعة الأخرى واحتقارهم وتبديعهم والجفاء عند معاملتهم، وافتراض سوء القصد في أقوالهم وأفعالهم التي قد تنشأ عن غير قصد غالبا، (12) شن الحروب التي لا داعي لها – بين الحين والآخر – على المذاهب الفقهية الأربعة المعتمدة، بدعوى إتباع الدليل من الكتاب والسنة وتجريد الإتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم، مع أن أصحابها بلغوا القمة العالية في الفقه والعلم والورع، فأيهما أجدى البناء على ما بناه أولئك الاكابر فيرتفع البناء عاليا، أم هدمه والتشكيك فيه، مع استحالة إتقان ما أتقنوه، واستيعاب ما استوعبوه، وبناء ما بنوه، (13) شن الحروب على التصوف القائم على ثغر التزكية وتحقيق الإحسان، وهم لا يفرقون في ذلك بين الصوفية الصادقين وبين الأدعياء، مع أنه قد مرت عصور كاملة، وقرون تامة، يندر أن يكون فيها المسلم لا يلتزم بمنهج صوفي للتزكية، وطريقة صوفية تأخذ بيده نحو رضا الله، فهل جميع أولئك على ضلالة، وأين خيرية

**هذه الأمة إن كانوا جميعا كذلك وهم سواد الأمة الأعظم، (14) أمر خطير يمثل خطرا على صفاء منهاج السلفية، ألا وهو اعتماد كلام ابن تيمية وكأنه المتحدث الملهم عن كافة طوائف أهل السنة والجماعة، واختزال آراء من خالفوه في كثير من المسائل، وكانوا وقتها يمثلون جمهور أمة الإسلام بمن فيهم الحنابلة، فقد خالفوه في مسائل عديدة، أخطأ فيها بسبب تسرب مفردات الحشو إلى أفكاره، (15) الخطأ العلمي القائم على احتكار مصطلح السلف الصالح لأنفسهم والى كل من ينتسب الى جماعتهم فقط، مع الخلط بين مفهوم السلف الصالح كمصطلح علمي، وما بين انتسابهم للسلفية كمؤسسة بديلة عن جميع التخصصات العلمية الإسلامية يعبر عنها آراء ابن تيمية، وآراء ابن عبد الوهاب المؤسس الثاني لهذه الدعوى في القرن الثاني عشر، هذه الآراء التي تبين بيقين عدم تمثيلها لمذهب السلف، (17) الخطأ في فهم المقصود بالخيرية التي وصفت بها قرون السلف الأولى، والظن أن الخيرية اقتصرت على القرون الثلاث الاولى فقط، فاتجهوا الى رفض ومعارضة كل رأي او فهم يأتي من خارج دائرة القرون الثلاث، والحقيقة التي يجب معرفتها: أنّ الخيرية لم تكن في جميع من عاش القرون الثلاث الاولى بل الخيرية كانت في العموم والمجموع الغالب، ثم ظهرت التخصصات العلمية بعد ذلك مستمدة أصولها من علماء تلك الحقبة المباركة من عصور الإسلام، فليس المقصود بالخيرية رفض كل صحيح بعدها، وهذا هو الخلل في فهم الخيرية، (18) الخطأ والخطر في تقديم مؤسسة واحدة (السلفية بمفرداتها التي اشتهرت بها) على أنّها البديل عن جميع التخصصات العلمية الإسلامية، إنّ من خيرية عصور السلف الصالح أنّها وضعت الأسس والأصول واللبنات الأولى للتخصص الإسلامي في كل فن من فنون العلم، ثم تركت المجال للعلماء ليظهروا تخصصهم العلمي وابداعهم الفكري، وظل المسلمون يحترمون أهل التخصص في العلوم الشرعية لاسيما (العقيدة والفقه والتصوف) إلى أن جاءت فوضى عدم احترام التخصص متمثلة في طرح السلفية على أنّها بديل عن جميع التخصصات العلمية، وبعد فتلك الفرق نجدها اليوم من أشد الناس عداوة للتصوف وأهله، مع انهم أدعياء للسلفية وليسوا من أهلها، وهم أهل الحشو والتجسيم، واهل الغلظة والجفاء، وأهل الجهل بحقائق التصوف وما عليه أئمته من المعرفة والتحقيق** والتجريد والتفريد والتوحيد والوراثة لعلوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعارفه،

***

# المبحث السابع والاربعون

# فهم الصوفية المعتدل للإسلام هو الحل

**[المفتاح الأول]:** التصوف هو روح الدين الذي به حياة الدين، كما أنه العلم الذي اختص بتحلية النفس بالصفات الكاملة كالتوبة والتقوى والاستقامة والصدق والإخلاص والزهد والورع والتوكل والرضا والتسليم والأدب والمحبة والذكر والمراقبة، وللصوفية في هذا المجال الحظ الأوفر من الوراثة النبوية، وهو العلم الذي اهتم برسم الطريق العملي الذي يوصل المسلم إلى أعلى درجات الإيمان والإحسان والأخلاق والتزكية، وعلى ذلك يمكننا القول بأنّ (التصوف) منهج عملي كامل، يحقق صلاح المسلم وتهذيب أخلاقه وتحوله إلى شخصية مسلمة مثالية متكاملة، تعيش في درجات الإحسان، ومن هنا تظهر أهمية التصوف وفائدته، ويتجلى لنا بوضوح، أنه علم إسلامي قيم، من دين الإسلام القيم، لا غنى عنه لكل مسلم، كما لا غنى له عن علوم العقيدة التي تصلح الاعتقاد وعلوم الفقه التي تصلح العبادات والمعاملات، والاجمل في التصوف ان الصوفي الحق لابد وان تكون له معرفة والالمام بعقيدة الإسلام وفقه الإسلام حتى يضرب مثلا متكاملا للمسلم التقي النقي الساعي إلى إكمال نفسه بالمحامد والأخلاق، والتنزه عن الأوصاف الذميمة، وهو مسلك قائم على العلم والعمل، وله منازل أعلاها المشاهدة (أن تعبد الله كأنك تراه) وأولها المراقبة (فإن لم تكن تراه فإنه يراك) وله مقامات عديدة شريفة منها التوبة والمحاسبة والخوف والرجاء والصدق والإخلاص والصبر والورع والزهد والرضا والتوكل والشكر، و (التصوف) هو الطريق المؤدي إلى أرقى درجات الكمال الإيماني والإحساني الذي به يتحقق مقام الشهود وحق اليقين، وهو الطريق إلى

مدارج السالكين ومراقي الصاعدين إلى مرضاة رب العالمين، وأنه (علم التصوف النقي الصافي القائم على الكتاب والسنّة) أهم علوم الإسلام وأعلاها منزلة ولابد من إنصافه،

**[المفتاح الثاني]:** نحن الآن في حاجة إلى التصوف المصلح المثمر: وإذا كان أهل التصوف في الماضي يعملون على أضيق نطاق لصلاح الحال الموجود آنذاك، فنحن اليوم، ما اشد حاجة الناس لاسيما الشباب إلى التصوف الحق وإلى الولي الذي يفتح الباب على مصراعيه للتوبة والإنابة والرجوع إلى الله، نحن في عصرنا هذا أشد الناس حاجة إلى صوفي حق ولي عارف يتجه إلى الشباب، ويصرف جهده إلى صلاحهم، وذلك لأن شبابَنا قد استهوته الأهواء، وسيطرت على قلبه، فأصبحت المغريات الدنيوية تستهويه إليها، وإذا سيطرت الأهواء والشهوات على جيل من الأجيال أصبحت خُطبُ الخطباء لا تُجدي، وكتابة الكتَّاب لا تُجدي، ومواعظُ الوعاظ لا تجدي، وحِكم العلماء لا تجدي، فلا بد من طريق آخر للإصلاح، هذا الطريق أنْ يتجه الاولياء المرشدون إلى هذا الشباب من أجل إدراكه، بعيدا عن السياسة التي أفسدت أمر الدعاة والعلماء، فتصل الدعوة إلى كل قرية، وكل حيٍّ من أحياء المدن، وكل بيئة علمية أو اجتماعية أو سياسية، يدعون إلى الدين الحق، ويصرفوا الشباب عن مهاوي الردى، فهذه هي فريضة الوقت، وما احوجنا إلى الاولياء المرشدين الذين يفتحون باب التوبة والإنابة إلى الله،

**

## المبحث الثامن والاربعون

# رسالة إلى أتباع الطرق الصوفية

ويشتمل على تلك المطالب:

المطلب الأول: مقدمة عن نشأة مدارس وطرق التصوف في العالم الإسلامي

المطلب الثاني: حقائق تتعلق بالطرق الصوفية يتطلب تجديد التصوف ترسيخها

المطلب الثالث: تصحيح أخطاء الطرق الصوفية

المطلب الرابع: نشر التصوف في ثوب صحيح جديد

## المطلب الأولى

## مقدمة عن نشأة مدارس وطرق التصوف في العالم الإسلامي

**[المفتاح الأول]: نشأة علم التصوف:** وجد علم التصوف منذ أول آية أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}، إلى قوله تعالى: {كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى * إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى}، وذلك لأنّ التصوف هو لبّ الدين وثمرته، وهو تزكية الدين ومنازله، وهو منزلة الإحسان أعلى منازل الدين، والعهد المكي كان فترة تحلية وتزكية للوصول إلى مرتبة الإحسان، وذلك بغرس الأخلاق المحمدية في نفوس الصحابة رضوان الله عليهم، مثل التوبة والخشية والإنابة والصبر والتواضع والمحبة والذكر، وظل الأمر يسير على هذا النحو إلى أن هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة، واستمر الصحابة يتدرجون في مقامات الكمال، بل كان الرجل ما إن يضع يده بيد الرسول صلى الله عليه وسلم مبايعاً حتى يترقى إلى أعلى المقامات وأسمى الحالات وذلك لقوة نور النبوة، وظل الأمر كذلك إلى أن انتقل المصطفى إلى جوار ربه ثم جاء التابعون فتربّوا على يد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان همهم الوصول إلى رضوان الله عز وجل فتزكت نفوسهم بتأثير النور المحمدي الذي سكن قلوب الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، وفي عصر التابعين دخل أناس في الإسلام أي كانوا حديثي عهد بكفر، ومن جانب آخر فتحت الدنيا على المسلمين فركن البعض إلى الشهوات وحب الدنيا وبدأ البعض يبتعد عن حال السلف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام أناس أكفاء في ذلك الوقت وما بعدهم يدعون الناس إلى العودة لما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام أي حالة السلف الصالح وهؤلاء الدعاة هم الصوفية، دعوا الناس إلى العودة إلى مرتبة الإحسان التي كان يعيشها السلف الصالح، وتخليص النفس من رعوناتها التي كبلتها وقيدتها عن مشاهدة أنوار الحق، وتخليص القلب من حب الدنيا وإحياؤه بذكر الله عز وجل، فقام هؤلاء الأكابر من الرجال بفتح بيوتهم لاستقبال الناس يدعونهم إلى هذا الطريق الراقي طريق الإحسان، أو التصوف، وفتحوا المعاهد التربوية أو ما يسمى بـ " الزاوية أو التكية " لملاحظة الناس وتربيتهم عن قرب فكانوا في كل عصر هم نماذج السلف الصالح الذين حافظوا على علم الإحسان وأخلاق المحسنين، وتزكية المقربين، واستطاعوا بصدق توجههم ونقاء سريرتهم أن ينبهوا القلوب الغافلة فيحيونها بأنوار الذكر، وفتحوا البلاد فدخل الناس في دين الله أفواجاً، ولكن باعتبار أن هذا العلم ليس حروفاً تكتب إنما هو أحوال ومقامات وأذواق فلا بد أن يعيشها الإنسان كي يدركها، لهذا أنكر

البعض على هذا العلم وعلى من ينتسبون إليه، وإنكارهم سببه أنّ أكثر معارف الصوفية ليست فقهاً يكتب فـي السطور أو في مؤلفات الفقهاء إنما هي أحوال ومقامات ومنازل، يتذوقها ويحس بها من أراد الله تعالى أن يشرح صدره لمنازل هؤلاء الاكابر، لقد جاء علم التصوف ليرسم منهجاً عن طريق مجموعة من القواعد والآداب للوصول إلى هذه الأحوال والمقامات ومن ثم منازل الإحسان ومراتب السابقين، إنّ التصوف بلفظِهِ لم يكن في زمنِ النبي أما ماهيتُهُ ومضمونُهُ ومَدارُهُ واستمدادُهُ وهيئتُهُ فليسَ إلاَّ الدينُ الكاملُ الذي جاءَ بهِ الرسولُ الأعظمُ وإلاَّ لَما سارَ على نهجِهِ أئمةٌ عِظامٌ يُشارُ إليهمْ بالبَنانِ ولا يخلو منهمْ جَنانٌ حتى أنَّكَ أيُّها المقبِلُ على اللهِ إذا استقصَيْتَ أسماءَ علماءِ الشريعةِ الغرّاءِ الذينَ اعتمدَتْهمُ الأُمَّةُ واتَّفَقَتْ على عدالتِهمْ وقبولِهمْ فلا تكادُ ترى واحداً منهمْ إلاَّ وقدْ تصوَّفَ وسارَ على طريقِ الصوفية، لأنّهم أَهْلُ اللَّهِ المحسنين،

**[المفتاح الثاني]: نشأة التصوف كعلم للتزكية:** القرآن الكريم شمل أصول وقواعد العلوم جميعا ومنها: (علم الفقه وعلم العقيدة وعلم التزكية) وكان الصحابة والتابعون على دراية بهذه العلوم ينقلونها للناس يعلمونها لهم دون فصل بينها، وبعد انقضاء عهد الصحابة والتابعين، ودخول الناس من شتى الأمم والأجناس في دين الله تعالى، اتسعت دائرة العلوم، وتقسمت وتوزعت بين أرباب الاختصاص، فقام كل فريق من أهل الاختصاص بتدوين العلم الذي يحتاج الناس إليه، احتاج الناس إلى ضبط القرآن وعدم اللحن فيه، فنشأ علم النحو، وعلم أحكام التلاوة، ثم احتاج الناس إلى معرفة كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فنشأ علم تدوين الحديث، انتشر الحديث وخاف العلماء من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنشأ علم الجرح والتعديل وبقية علوم الحديث، واحتاج الناس إلى معرفة معاني آيات القرآن فنشأ علم التفسير، واحتاج الناس إلى معرفة أحكام العبادات والمعاملات والحلال والحرام فنشأ تدوين علم الفقه،، ثم احتاج الناس إلى معرفة أدلة الفقه الأساسية فنشأ تدوين علم أصول الفقه، ظهرت الآراء الضالة في العقيدة واحتاج الناس إلى معرفة أصول الدين وعقائده فنشأ تدوين علم التوحيد (علم العقيدة وأصول الدين)، اتسعت الدنيا على المسلمين وأخذ الناس يتناسون ضرورة الإقبال على الله بالعبودية، وبالقلب والهمة، مما دعا أرباب الزهد والمعرفة إلى أن يعملوا هُم من ناحيتهم أيضاً على تدوين علم التصوف، وإثبات شرفه وجلاله وفضله، ومن باب سد النقص، واستكمال علوم الدين في جميع نواحي الحياة الإنسانية، قال ابن خلدون في مقدمته: " وهذا العلم – يعني التصوف – من العلوم الشرعية الحادثة في الملَّة، وأصله

أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومَن بعدهم طريقة الحق والهداية، وأصلها العكوف على العبادة، والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد في ما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق، والخلوة للعبادة، وكان ذلك عامًّا في الصحابة والسلف، فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية) أهـ [مقدمة ابن خلدون" علم التصوف ص 329، وانظر نشأة علم التصوف للدكتور أحمد علوش]،

**[المفتاح الثالث]: الطرق الصوفية**: هي مدارس في التزكية والتربية مرتبطة بواسطة السند المتصل، وجميعها تتبنى عقيدة أهل السنة والجماعة من الأثرية أو الأشاعرة أو الماتريدية، وتتبع أحد المذاهب الأربعة السنية، والاختلاف بينها إنما هو في طريقة التربية والسلوك إلى الله، تختلف الطرق التي يتبعها مشايخ الطرق في تربية طلابها ومريديها باختلاف مشاربهم واختلاف البيئة الاجتماعية التي يظهرون فيها، وكل هذه الأساليب لا تخرج عن كتاب الله وسنة رسوله، بل هي من باب الاجتهاد المفتوح للأمة، ولذلك قيل: لله طرائق بعدد أنفاس الخلائق، فقد يسلك بعض المشايخ طريق الشدة في تربية المريدين فيأخذونهم بالرياضات العنيفة ومنها كثرة الصيام والسهر وكثرة الخلوة والاعتزال عن الناس وكثرة الذكر والفكر، وقد يسلك بعض المشايخ طريقة اللين في تربية المريدين فيأمرونهم بممارسة شيء من الصيام وقيام مقدار من الليل وكثرة الذكر، ولكن لا يلزمونهم بالخلوة والابتعاد عن الناس إلا قليلا، ومن المشايخ من يتخذ طريقة وسطى بين الشدة واللين في تربية المريدين،

**[المفتاح الرابع]: الطريقة القادرية:** هي أحدى الطرق الصوفية السنية والتي تنتسب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني (471 هـ – 561 هـ)، وينتشر أتباعها في بلاد الشام والعراق ومصر وشرق أفريقيا، وقد كان لرجالها الأثر الكبير في نشر الإسلام في قارة أفريقيا وآسيا، وفي الوقوف في وجه المد الأوروبي الزاحف إلى المغرب العربي، **والشيخ عبد القادر الجيلاني:** هو عبد القادر بن أبي صالح بن عبد الله الجيلي الحسني، ولد بجيلان سنة 470 هـ وقدم بغداد شاباً سنة 488 هـ، وتفقه على عدد من مشايخها، جلس للوعظ سنة 520 هـ، وحصل له القبول عند الناس، واعتقدوا ديانته وصلاحه، وانتفعوا بكلامه ووعظه، اشتهر عن الشيخ عبد القادر ما يدل على فقهه وعلمه، وظهرت على يديه الكثير من الكرامات، وتاب وأسلم على يديه العديد من الناس، توفي وعمره 90

عاماً سنة 561 هـ، **ومن اقوال الشيخ عبد القادر رحمه الله:** " لا بد لكل مؤمن في سائر أحواله من ثلاثة أشياء: أمر يمتثله، ونهي يجتنبه، وقدر يرضى به، فأقل حالة المؤمن لا يخلو فيها من أحد هذه الأشياء الثلاثة، فينبغي له أن يلزم همها قلبه، وليحدث بها نفسه، ويؤاخذ الجوارح بها في سائر أحواله"، وقال رحمه الله: " أحذر معصية الله عزَّ وجلَّ جداً، وألزم بابه حقاً وأبذل طوقك وجهدك في طاعته معتذراً متضرعاً مفتقراً خاضعاً، متخشعاً مطرقاً، غير ناظر إلى خلقه ولا تابع لهواك، ولا طالب للأعواض دنيا وأخرى، ولا ارتقاء إلى المنازل العالية والمقامات الشريفة، واقطع بأنك عبده والعبد وما ملك لمولاه، لا يستحق عليه شيئاً من الأشياء، أحسن الأدب ولا تتهم مولاك، فكل شيء عنده بمقدار، لا مقدم لما أخر ولا مؤخر لما قدم، يأتيك ما قدر لك عند وقته وأجله إن شئت أو أبيت، لا تشره على ما سيكون لك، ولا تطلب وتلهف على ما هو لغيرك، فما ليس هو عندك لا يخلو إما أن يكون لك أو لغيرك، فإن كان لك فهو إليك صائر وأنت إليه مقاد ومسير، فاللقاء عن قريب حاصل، وما ليس لك فأنت عنه مصروف وهو عنك مول فأنى لكما التلاق فاشغل بإحسان الأدب فيما أنت بصدده من طاعة مولاك عزَّ وجلَّ في وقتك الحاضر، ولا ترفع رأسك ولا تمل عنقك إلى ما سواه، قال الله تعالى: {وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى} [طه: 131]، فقد نهاك الله عزَّ وجلَّ عن الالتفات إلى غير ما أقامك فيه ورزقك من طاعته وأعطاك من قسمه ورزقه وفضله، ونبهك أن ما سوى ذلك فتنة افتتنهم به، ورضاك قسمك خير لك وأبقى وأبرك وأحرى وأولى، فليكن هذا دأبك ومتقلبك ومثواك، وشعارك ودثارك ومرادك ومرامك، وشهوتك ومناك، تنل به كل المرام، وتصل به إلى كل مقام وترقى به إلى كل خير ونعيم وطريف وسرور ونفيس، قال الله تعالى: {فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [السجدة: 17]"، **وكان يقول لأصحابه:** " اتبعوا ولا تبتدعوا وأطيعوا ولا تخالفوا واصبروا ولا تجزعوا واثبتوا ولا تتمزقوا وانتظروا ولا تيأسوا واجتمعوا على الذكر ولا تتفرقوا وتطهروا من الذنوب ولا تتلطخوا وعن باب مولاكم لا تبرحوا "، ومن حكمه ومواعظه: "إذا علم المريد الخطأ على الشيخ فلينبهه، فإن رجع عن خطئه فذاك الأمر، وإلا ترك قوله واتبع الشرع " ذكره في كتابه أدب المريد، وقال: يا غلام: اشتغل بنفسك ثم غيرك، لاتكن كالشمعة تحرق هي نفسها وتضيء لغيرها، ومن مؤلفات الشيخ عبد القادر الجيلاني: الغنية لطالبي طريق الحق، **وفتوح الغيب:** وهو يحتوي على ثمان وسبعين موعظة مختلفة جمعت من قبل ولده الشيخ عبد الرزاق، والفتح الرباني: وهو يحتوي على اثنتين وستين موعظة، وسر الاسرار

فيما يحتاج اليه الابرار في التصوف، والدلائل القادرية، والفيوضات الربانية في المأثر والاوراد لقادرية، وبشائر الخيرات، وقد تقدم بيان نبذة واسعة عنها في المبحث السادس والعشرون مدارس التصوف،

**[المفتاح الخامس]: الطريقة الرُفاعية:** هي أحدى الطرق الصوفية السنية والتي تنتسب إلى الشيخ أحمد بن علي الرفاعي الحسيني (512 هـ – 578 هـ) الملقب بـ "أبو العلمين" و"شيخ الطرائق" و"الشيخ الكبير" و"أستاذ الجماعة"، وينتشر أتباعها في العراق ومصر وسوريا وغرب آسيا، تُنسب إلى الفقيه العارف بالله الشيخ، **[ثناء العلماء عليه]:** أثنى عليه الكثير من العلماء والفقهاء والمحدثين، وأفردت التآليف في ذكر مناقبه، ممن أثنى عليه: القاضي أبو شجاع الشافعي صاحب المتن المشهور في الفقه الشافعي، فقد ذكر الإمام الرافعي ما نصه: "حدثني الشيخ الإمام أبو شجاع الشافعي فيما رواه قائلا: كان السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه علما شامخا، وجبلا راسخا، وعالما جليلا، محدثا فقيهًا، مفسرًا ذا روايات عاليات، وإجازات رفيعات، قارئا مجودًا، حافظا مُجيدا، حُجة رحلة، متمكنا في الدين" إلى أن قال: "أعلم أهل عصره بكتاب الله وسنة رسوله، وأعملهم بها، بحرا من بحار الشرع، سيفًا من سيوف الله، وارثا أخلاق جده رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) " أهـ، وقال الشيخ المؤرخ أبو الحسن المعروفُ بابن الأثير: "وكان صالحا ذا قبول عظيم عند الناس، وعنده من التلامذة ما لا يحصى " أهـ، ووصفه المؤرخ الفقيه صلاح الدين الصفدى: بالزاهد الكبير سلطان العارفين في زمانه، بقوله: "الامام القدوة العابد الزاهد، شيخ العارفين" أهـ، ووصفه الأمام الجليل شافعي عصره عبد الكريم الرافعي بالشيخ الأكمل والغوث المبجّل، وقال الشيخ المحدث الجليل عبد السميع الهاشمي الواسطي: " كان السيد أحمد ءاية من ءايات الله" أهـ، وقال فيه شيخه الشيخ منصور البطائحيُّ: "وزنته بجميع أصحابي وبي أيضا فرجحنا جميعًا" اهـ، وقال فيه العلامة الفقيه اللغوي صاحب القاموس المحيط الفيروز آبادي: " أبا العلمين أنت الفرد لكن * إذا حُسب الرجال فأنت حزب "، وقد وصفه المؤرخ ابن خلكان بقوله: "كان رجلاً صالحًا، فقيها شافعي المذهب" أهـ، وقال فيه المؤرخ ابن العماد:" الشيخ الزاهد القدوة" أهـ، وذكره ابن قاضي شهبة في طبقات الشافعية وعدّه من فقهائهم، وأدخله كذلك الإمام الحجة المفسر الحافظ المؤرخ تاج الدين السبكي في عداد الفقهاء الشافعية فذكره في طبقات الشافعية ووصفه بقوله: "الشيخ الزاهد الكبير أحد أولياء الله العارفين والسادات المشمرين أهل الكرامات الباهرات "، وقال الشيخ عبد الوهاب الشعراني: "هو الغوث اكبر

والقطب الأشهر أحد أركان الطريق وأئمة العارفين الذين اجتمعت الأمة على إمامتهم واعتقادهم" أه، أخلاقه وسيرته: كان رضي الله عنه غني النفس، حسن المعاشرة، دائم الاطراق، كثير الحِلم، كاتما للسر، حافظًا للعهد، كثير الدعاء للمسلمين، هيّنا ليّنا، يصل من قطعه، ويعطي من منعه، ويعفو عمن ظلمه، ويحسن مجاورة من جاوره، ويطعم الجائع، ويكسي العَريان، ويعود المريض، ويشيع الجنائز، ويجالس الفقراء، ويواكل المساكين، ويصبر على الأذى، ويبذل المعروف، إن مُنِعَ صبر، ويحث على فعل الخير ويرشد إلى مكارم الأخلاق، ويقبل عذر المعتذر له، حزنه أكثر من فرحه، إذا مشى في الطريق لا ينظر إلا موضع قدمه، يأخذ بأيدي العمي ويقودهم، ويتردد في الليل إلى أبواب المساكين، ويحمل لهم الطعام ولا يعرفهم بنفسه، كان لليتيم كالأب، وله مناقب كثيرة وهي كما قال الحافظ المؤرخ الحجة تاج الدين السبكي: " لو أردنا استيعاب فضائله لضاق الوقت "، وقال أيضا: "ومناقبه أكثر من أن تحصر" أه، [راجع ترجمته في: وفيات الأعيان 1: 171، الوافي بالوفيات 7: 219، سير الذهبي 1 2: 77، الكامل في التاريخ 11: 492، العبر 4: 233، شذرات الذهب 4: 9 5 2، مرءاة الزمان 8: 0 37، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة 2: 5، طبقات الشافعية للسبكي 4: 4 1، النجوم الزاهرة 6: 92]، وقد ألف العديد من السادة العلماء كتبا مفردة في الثناء عليه وذكر محاسنه ومناقبه، منها: "ترياق المحبين في سيرة سلطان العارفين" للحافظ تقي الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن عبد المحسن الواسطي الشافعي محدث واسط، والنجم الساعي في مناقب القطب الكبير الرفاعي لأبي بكر بن عبد الله العيدروس العدني، وسواد العينين في مناقب الغوث أبي العلمين للإمام الحافظ عبد الكريم بن محمد الرافعي شافعي عصره، وغاية التحرير في نسب قطب العصر وغوث الزمان سيدنا أحمد الرفاعي للشيخ المفسر المحدث عبد العزيز الديّريني الشافعي، وجلاء الصدى في مناقب إمام الهدى السيد أحمد الرفاعي للشيخ أحمد بن جلال اللاري المصري الحنفي، والشرف المحتم فيما من الله به على وليه السيد أحمد الرفاعي من تقبيل يد النبي (صلّى الله عليه وسلّم) للحافظ جلال الدين السيوطي، وروضة الناظرين للعارف بالله الوِتري، والنفحة المسكية للحافظ الصوفي عز الدين أحمد الفاروثي، والوظائف الأحمدية للشيخ القطب أحمد عز الدين الصياد، وإجابةُ الداعي في مناقب الإمام الرفاعي للبرزنجي، وشفاء الأسقام في سيرة غوث الأنام للشيخ إبراهيم بن محمد الكازروني، وربيع العاشقين للشيخ جمال الدين الحدادي، والدرة السامية في معرفة فضائل سلوك الطريقة الرفاعية للشيخ أحمد بن محمد بن خميس الحضرمي، وبغية الطالبين للحافظ المتقن قاسم بن أحمد الواسطي الشافعي، وقرة العين في مناقب أبي العلمين

للشيخ الإمام العارف بالله تقي الدين علي ابن المبارك بن الحسن بن أحمد بن باسويه الواسطي، وغير ذلك من المؤلفات، **[مؤلفاته]:** ترك رضي الله عنه العديد من المؤلفات إلا أن أكثرها لم يصل إلينا وقد فقدت بعد دخول التتار إلى بغداد، ومن مؤلفاته نذكر ما يلي: معاني بسم الله الرحمن الرحيم، شرح كتاب التنبيه للشيرازي، في الفقه الشافعي، الطريق إلى الله في التصوف، البهجة في التصوف، الحِكَم، في التصوف والمواعظ، حالة أهل الحقيقة مع الله، البرهان المؤيد، وهو من أشهر كتبه، وقد وصفه الإمام الرافعي بقوله: "هو الكتاب الجليل الذي عز شأن سبكه عن المثيل الذى جمعه من مجالس وعظه ودونه شيخ الإسلام شرف الدين ابن الشيخ عبد السميع الهاشمي العباسي الواسطي نفعنا الله بهم أجمعين" اهـ، **[أهم مبادئ الطريقة الرفاعية]:** تقوم الطريقة الرفاعية على العمل بمقتضى ظاهر الكتاب والسنة، ثم أخذ النفس بالمجاهدة والمكابدة، والإكثار من الذكر، وقراءة الورد، وذلك وفق إرشادات الشيخ وتوجيهاته، مع ضرورة التسليم والانقياد له والانصياع لأوامره، وعلى المريد أن يتمسك بالكتاب والسنة ثم تعاليم الشيخ ويعمل بما قاله من الالتزام بالسنة، وموافقة السلف الصالح على حالهم، ولباس ثوب التعرية من الدنيا والنفس، وتحمل البلاء، ولبس الوقار واجتناب الجفاء، وقد تقدم بيان نبذة واسعة عنها في المبحث السادس والعشرون مدارس التصوف،

**[المفتاح السادس]: الطريقة الشاذلية:** هي أحدى الطرق الصوفية السنية والتي تنتسب إلى الشيخ العارف بالله الإمام أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي المغربي، الزاهد، (ت 656هـ)، تتلمذ الإمام أبو الحسن الشاذلي في صغره على الشيخ أبي محمد عبد السلام بن بشيش، في المغرب، وكان له أكبر الأثر في حياته، ثم رحل إلى تونس، وإلى جبل زغوان، حيث اعتكف للعبادة، وهناك ارتقى منازل عالية، رحل بعد ذلك إلى مصر وأقام بالإسكندرية، وفيها أصبح له أتباع ومريدون، وانتشرت طريقته في مصر بعد ذلك، وله العديد من الكرامات، ينقل الدكتور عبد الحليم محمود عن درَّة الأسرار: " لما قدم المدينة زادها الله تشريفًا وتعظيمًا، وقف على باب الحرم من أول النهار إلى نصفه، عريان الرأس، حافي القدمين، يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسئل عن ذلك فقال: حتى يؤذن لي، فإن الله عز وجل يقول: (يا أيُّها الذينَ آمَنُوا لا تَدْخُلوا بيوتَ النبي إلا أن يؤذَنَ لكم) فسمع النداء من داخل الروضة الشريفة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام: يا علي، ادخل"، وللإمام الشاذلي أوراد تسمى حزب الشاذلي ورسالة الأمين

في آداب التصوف رتَّبها على أبواب، وله السر الجليل في خواص حسبنا الله ونعم الوكيل، ومن أهم أقواله: " إذا عارض كشفك الكتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة ودع الكشف، وقل لنفسك إن الله تعالى قد ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة، ولم يضمنها لي في جانب الكشف ولا الإلهام ولا المشاهدة"،، ويقول أيضًا: "كل علم يسبق إليك فيه الخاطر، وتميل إليه النفس وتلذّ به الطبيعة فارمِ به، وإن كان حقًّا، وخذ بعلم الله الذي أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم واقتدِ به وبالخلفاء والصحابة والتابعين من بعده"،، ومن أهم تلامذته: أبو العباس المرسي: أحمد بن عمر المرسي أبو العباس شهاب الدين، من أهل الإسكندرية، (ت 686هـ) ويعد خليفة أبي الحسن الشاذلي، قال عن نفسه: "والله لو حُجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين "، ثم خلف على مشيخة الشاذلية بعد أبي العباس المرسي ياقوتُ العرش، وكان حبشيًّا، وسمي بالعرش لأن قلبه لم يزل تحت العرش، وما على الأرض إلا جسده، وقيل: لأنه كان يسمع أذان حملة العرش، [طبقات الشعراني]، وقد تقدم بيان نبذة واسعة عنها في المبحث السادس والعشرون مدارس التصوف،

**[المفتاح السابع]: الطريقة الأحمدية أو البدوية: الطريقة الأحمدية** أو **البدوية**: هي إحدى الطرق الصوفية السنيّة التي تنسب إلى الشيخ أبي الفتيان شيخ العرب **أحمد بن علي بن يحيى** الحسيني،(ت 675 هـ)، أحد أقطاب التصوف، يُنسب إليه العديد من الكرامات، منها أنّه أقام فوق سطح منزل نحو اثنتي عشرة سنة ولذلك لُقِب بـ "**السطوحي**"، وكان يمكث أكثر من أربعين يوماً لا يأكل ولا يشرب، وكان يفك الأسرى من أيدي الغزاة الصليبيين، ويرى شيخ الأزهر الدكتور عبد الحليم محمود أن أكبر كرامة للبدوي هي أنه قد ربّى رجالاً، وكوّن أبطالاً مجاهدين، انتقل السيد الي جوار ربه في يوم الثلاثاء الثاني عشر من ربيع الأول سنة 675 هـ، ومن أراد معرفة سيرته الصحيحة فليرجع: كتاب السيد البدوي للدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر رحمه الله، وكتاب السيد البدوي المفترى عليه، للدكتور جودة المهدي الأستاذ بجامعة الازهر، وقد انتشرت طريقته من مصر إلى أقطار العالم الإسلامي مثل تركيا وليبيا والسودان وغيرها من الدول العربية والأوربية والآسيوية، وقد تفرعت منها طرق عديدة ، وقد تقدم بيان نبذة واسعة عنها في المبحث السادس والعشرون مدارس التصوف،

**[المفتاح الثامن]: الطريقة البرهانية، أو الطريقة البرهامية، أو الطريقة الدسوقية:** إحدى الطرق الصوفية السنيّة التي تنسب إلى الشيخ: **برهان الدين أبو المجد براهيم بن عبد العزيز الدسوقي** الحسيني (ت 696 هـ) آخر أقطاب الولاية الأربعة لدى الصوفية، وإليه تنسب الطريقة الدسوقية، لقب نفسه **بالدسوقي**، نسبة إلى مدينة دسوق بشمال مصر التي نشأ فيها وعاش بها حتى وفاته، أما أتباعه فقد لقبوه بالعديد من الألقاب، أشهرها **برهان الدين** و**أبا العينين**، ينتهي نسبه من جهة أبيه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، وجده لأمه هو أبو الفتح الواسطي خليفة الطريقة الرفاعية في مصر، ولذلك كانت له علاقة بالرفاعية منذ صغره، كذلك تأثر بأفكار أبو الحسن الشاذلي، وكان على صلة بأحمد البدوي بمدينة طنطا الذي كان معاصراً له، وكان الدسوقي من القائلين بالحقيقة المحمدية ووحدة الشهود بجانب التصوف العملي الشرعي، وقد تولى منصب شيخ الإسلام في عهد السلطان الظاهر بيبرس البندقداري [انظر كتاب شيخ الإسلام السيد إبراهيم الدسوقي لفوزي محمد أبو زيد]، يُنسب له العديد من الكرامات الخارقة للعادة، وقد انتشرت طريقته في مصر والسودان خصوصاً، بجانب بعض الدول الإسلامية والأوروبيّة، وتفرعت من طريقته العديد من الطرق الأخرى، أشهرها: البرهامية، والشهاوية البرهامية، والدسوقية المحمدية، **[التزكية عند الدسوقي]** : كان يشير رحمه الله إلى العمل بأحكام القرآن والسنة، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، ويقوم على المكابدة والمجاهدة وسلك طريق النسك والزاهدين، وذلك بالإكثار من الصيام والقيام والذِكر وقراءة القرآن، وبالتسبيح والتقديس والدعاء والابتهال، بجانب الزهد في الدنيا والترفع عن اللذائذ والشهوات، والابتعاد عن ضروب اللهو، وأن يرضى المريد بقضاء الله وقدره، [106]، وكان يخاطب أتباعه بقوله: " يا أولادي ناشدتكم بالله، لا تسيئوا إلى طريقي، ولا تلبسوا في تحقيق، ولا تدلسوا ولا تدنسوا، وإن كنتم صحبتمونا لتأخذوا مِنّا أوراقاً من غير عمل فلا حاجة لنا بكم "، وكان ينصح مريديه باتباع الشريعة الإسلامية بحذافيرها، وكان هدفه الأساسي البلوغ باتباعه إلى منزلة (وحدة الشهود) وهي المقصودة بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (أن تعبد الله كأنك تراه))، وتُسمى طريقة الدسوقي بعدة أسماء، فتُسمّى أحياناً **بالطريقة الدسوقية**، نسبة إلى مدينة دسوق مقر ميلاد وإقامة وعبادة «إبراهيم الدسوقي»، وتُعرف أيضاً بـ **البُرهامية** نسبة إلى اسم مؤسسها "إبراهيم"، وكذلك تسمّى **بالبرهانية**، نسبة إلى لقب إبراهيم الدسوقي وهو برهان الدين، وقد قال محمد بن علي السنوسي مؤسس الطريقة السنوسية عن الطريقة الدسوقية: «وأما طريق السادة البرهانيّة –الدسوقية – فهو المنسوب إلى الشيخ برهان الدين إبراهيم الدسوقي،

وهو مبني على الذِكر الجهري، ولزوم الجد في الطاعات، وارتكاب خطر أهوال المجاهدات، وذبح النفس بسكين المخالفات، وحبسها في سجن الرياضة، حتى يفتح الله عليها بالسراج في رياض المعرفة، ومن شأن هذه الطريقة السنية الاستكثار بذِكر "دايم" –بياء النداء– سيما في ضم مجالس التلاوة والذِكر الجهري بالجلالة مع الهوية، » [السلسبيل المعين في الطرائق الأربعين لمحمد بن علي السنوسي]، وقال الشعراني: " الطريق عند الدسوقي يمكن تلخيصها في كلمتين: تعرف ربك وتعبده، فمن قَبل ذلك فقد أدرك الحقيقة والشريعة "، وقد تقدم بيان نبذة واسعة عنها في المبحث السادس والعشرون مدارس التصوف،

**[المفتاح التاسع]: الطريقة النَقشبندية:** إحدى الطرق الصوفية السنيّة التي تنسب إلى الشيخ: بهاء الدين محمد بن محمد بن محمد الحسيني المشهور بالنقشبند (ت 791 هـ)، وقد ربى عشرات الالوف من المريدين وقد وصل بعضهم درجة الإجازة المطلقة وقد اجتازوا درجات البقاء بعد الفناء، (مرتبة الشهود)، وبفيض بركاته تمكن خلفاؤه ونوابه ابلاغ مريديهم الى غاياتهم، و من أراد الاطلاع على الطريقة النقشبندية وكبار مشايخها فعليه مطالعة هذه الكتب: (القدسية)، و هي كلمات بهاء الدين النقشبند، نشرها السيد احمد طاهر العراقي، مكتوبات الامام الرباني، نفحات الانس للملا جامي، انيس الطالبين وعدة السالكين، الحديقة الندية في آداب الطريقة النقشبندية، المواهب السرمدية في مناقب النقشبندية، تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب للشيخ محمد امين الكردي، الحدائق الوردية في اجلاء النقشبندية لعبد المجيد الخاني، الانوار القدسية من مناقب السادة النقشبندية محمد الرخوي، وتعتبر النقشبندية في تركيا من أكبر الطرق الصوفية من حيث عدد المنتسبين، وقد تقدم بيان نبذة واسعة عنها في المبحث السادس والعشرون مدارس التصوف،

**[المفتاح العاشر]: نبذة عن الطريقة الخلوتية:** أسسها الشيخ محمد بن أحمد بن محمد كريم الدين الخلوتي، (ت 986 هـ)، والخلوتي: نسبة إلى الخلوة الصوفية، كان من أتباع الطريقة السهروردية وأخذ التصوف عن إبراهيم الزاهد، ثم استقل بطريقته، وتفرغ لتعليم المريدين، وللطريقة فروع عديدة في فلسطين وفي مصر وفي الجزائر وفي تركيا، و**أركان الطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية:** تحدث عنها بالإجمال الشيخ العارف بالله الشيخ خير الدين الشريف كمنهج تربوي يومي للسالك، وهذه الأركان هي: الركن الأول (الحب) و الركن الثاني (الامتثال)، والركن الثالث (الذكر)،والركن الرابع (الفكر)، و الركن الخامس (الصمت)، و الركن السادس (الخلوة) و الركن

السابع (الجوع)، ومن **أوراد الطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية]: (وِرْدُ السُّبْحَةِ)**: يُقرأ سراً بشكل منفرد صباحاً ومساءً أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه (100) مرة، اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم (100) مرة، لا إله إلا الله (100) مرة، حسبنا الله ونعم الوكيل (100) مرة، ويختم بقوله لا إله إلا الله محمد رسول الله، ثم يقرأ الفاتحة، و **(ورد السحر)** ورد السحر: قال تعالى:{وبالأسحار هم يستغفرون}، قد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أن الله تعالى ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول: هل من تائب، فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فاغفر له؟ هل من سائل فيعطى سؤاله؟: حتى يطلع الفجر))، إن ورد السحر الذي يقرؤه أتباع الطريقة الخلوتية ما هو إلا امتثال للآية الكريمة وللحديث القدسي، وهذا الورد يقرأ قبيل الفجر بساعة وهو أفضل الأوقات لكثرة التجليات الإلهية، ويبدأ ورد السحر بقراءة الفاتحة وأوائل سورة البقرة، وآية الكرسي وخواتيم سورة البقرة، ويكرر قوله تعالى:{واعف عنا واغفر لنا وارحمنا} ثلاثاً، ويقرأ قوله تعالى:{لقد جاءكم رجل من لأنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم}، ويكرر {فإن تولوا}، حتى آخر الآية سبع مرات لقوله صلى الله عليه وسلم: (من قال حين أصبح وحين أمسى حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم))، سبع مرات كفاه الله ما أهمه، ويقرأ بعدها سورة الإخلاص ثلاث مرات وسورة الفلق وسورة الناس، وقد وردت فضائل هذه السور في أحاديث كثيرة لا حاجة إلى إعادة ذكرها، بعد ذلك يقول استغفر الله العظيم سبعين مرة لقوله تعالى:{وبالأسحار هم يستغفرون}, وقال أيضاً{وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون}, وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة))، ويقول كذلك (بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم)) ويكررها ثلاثاً ، وقد تقدم بيان نبذة واسعة عنها في المبحث السادس والعشرون مدارس التصوف،

**[المفتاح الحادي عشر]: الطريقة السنوسية**: طريقة صوفية ودعوة إسلامية ظهرت في ليبيا، وعمت مراكزها الدينية شمالي أفريقيا والسودان والصومال، وبعض البلاد الإسلامية، أسسها الشيخ محمد بن علي السنوسي (ت 1202 هـ)، وُلد في الجزائر، ونشأ في بيت علم وتُقىً، وعندما بلغ سن

الرشد تابع دراسته في جامعة مسجد القرويين بالمغرب، ثم أخذ يجول في البلاد العربية يزداد علماً فزار تونس وليبيا ومصر والحجاز واليمن ثم رجع إلى مكة وأسس فيها أول زاوية لما عُرِف فيما بعد بالحركة السنوسية، وله نحو أربعين كتاباً ورسالة منها: إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن، ومن أهم روادها: الشيخ المهدي محمد بن علي السنوسي، خلف والده في قيادة الدعوة السنوسية، والشيخ أحمد الشريف السنوسي والشيخ البطل المجاهد عمر المختار (ت 1350هـ)، و السنوسية حركة تجديدية إسلامية: قامت على ثغر الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والجهاد في سبيل الله ضد المستعمرين الصليبيين من الإيطاليين وغيرهم، والجهاد في سبيل الله تعالى كان هو الشعار الدائم للسنوسية، وقد انتشرت الدعوة السنوسية في أفريقيا الشمالية كلها، وقد امتدت زواياها من مصر إلى مراكش، ووصلت جنوبًا إلى الصحراء في السودان والصومال وغرباً إلى الجزائر وكذلك انتشرت الدعوة السنوسية في خارج أفريقية حيث وصلت إلى أرخبيل الملايو في الشرق الأقصى، وقد استطاعت السنوسية أن تنشر الإسلام في القبائل الوثنيَّة الإفريقية وتؤسس المدارس التعليمة والزوايا، ولم يقتصر التعليم على الذكور بل امتد التعليم إلى النساء والأطفال من الجنسين، واستعانت الدعوة بالنساء لنشر الإسلام بين نساء القبائل الوثنية، وقد تقدم بيان نبذة واسعة عنها في المبحث السادس والعشرون مدارس التصوف،

**[المفتاح الثاني عشر]: الطريقة التيجانية:** طريقة صوفية أسسها الشيخ العارف بالله الإمام أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار ابن أحمد بن محمد سالم التيجاني (ت 1230 هـ)، كان مولده في قرية عين ماضي من قرى الصحراء بالجزائر حاليًّا، حفظ القرآن الكريم ودرس شيئًا من الخليل، ودرس العلوم الشرعية، وارتحل متنقلاً بين فاس وتلمسان وتونس والقاهرة ومكة والمدينة ووهران، أنشأ طريقته عام (1196هـ) في قرية أبي سمغون وصارت فاس المركز الأول لهذه الطريقة، ومنها تخرج الدعوة لتنتشر في أفريقيا بعامة، ويسعى التيجانيون إلى تحقيق مرتبة (وحدة الشهود) التي جاءت في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (أن تعبد الله كأنّك تراه)) والذي جاء في حديث جبريل المشهور قال: (فأخبرني عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)) – إلى قوله صلى الله عليه وسلم – (يا عمر أتدري من السائل؟ قلت الله و رسوله أعلم، قال: إنه جبريل أتاكم يعلّمكم دينكم)) [أخرجه مسلم] ، وتقوم الطريقة التجانية على ثلاثة أركان، وهى: (1) الاستغفار، (2) الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، الهيللة (لا إله إلا الله)، والأذكار اللازمة

في هذه الطريقة الجليلة هي: وردى الصباح والمساء، والوظيفة، وذكر الجمعة، وكلها تقوم على كل أو بعض هذه الأركان الثلاثة، وهذه الأذكار اللازمة هي أس الطريقة وأساسها، وليس وراءها ذكر لازم، ومدار الطريقة هي في المداومة علي أذكارها اللازمة بشروطها وآدابها، ومن آكد هذه الشروط وأعظمها المحافظة على الصلوات الخمس في أوقاتها، بإتمام أركانها وأدائها على حدودها المحدودة لها شرعا، في جماعة غير مبتدعة، وامتثال الأوامر واجتناب النواهي، بقدر الوسع والإمكان، كل ذلك مع بذل الجهد فى إخلاص النية، وتطهير الطوية، والصدق في معاملة الحق والخلق، والتخلي عن كل مذموم والتحلي بكل محمود، وعدم الأمن من مكر الله، والطريقة التجانية: طريقة شكر، جارية على طريقة السلف الصالح من الصدر الأول القائمة على الشكر والفرح بالمنعم سبحانه وتعالى وعلى الرياضة القلبية، فطريقة الشكر التي كان عليها قلوب الأصفياء من الصحابة وغيرهم هي عبادة الله تعالى على إخلاص العبودية والبراءة من جميع الحظوظ، مع الاعتراف بالعجز والتقصير في توفية الربوبية حقها وسكون ذلك في القلب على الدوام، فسير طريقة الشكر هو سير القلوب، بالنظر في أحوال القلب وما يصلحه وما يفسده، على سنن الاعتدال والتقيد بالشريعة المطهرة والسنة الشريفة وآدابها، دون إفراط ولا تفريط، وقد تقدم بيان نبذة واسعة عنها في المبحث السادس والعشرون مدارس التصوف،

***

## المطلب الثاني

## حقائق تتعلق بالطرق الصوفية يتطلب تجديد التصوف ترسيخها

من الحقائق التي تتعلق بالطرق الصوفية، والتي يتطلب تجديد التصوف ترسيخها عدة حقائق:

**(الحقيقة الأولى):** بيان كون منزلة الطريقة في التصوف كمنزلة المذهب في الفقه: فكما أنّ طلب الفقه الراسخ يتطلب التخصص على إحدى مذاهب الفقه الأربعة، فكذلك فإن طلب التصوف الراسخ ينبغي أن يكون عبر إحدى طرق التصوف الموصولة السند والمتأصلة في تاريخ التصوف الإسلامي، يقول الشيخ يسار الحباشنة: **(وجوب أخذ التصوف عن أهله المتخصصين:** إن أهل الله العارفين، والسالكين الذين جاهدوا في الله فاهتدوا وصاروا من المحسنين قد أجمعوا على حقيقة ثابتة وقاعدة راسخة في علم التزكية وسلوك صراط الله المستقيم وهي أنه: ما أفلح من أفلح إلا بصحبة المفلحين، وما صدق من صدق إلا بالاتصال بالصادقين، وشاهدُنا العدل في ذلك قول العزيز الحكيم {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين}، وشاهدنا من السنة المطهرة قوله صلى الله عليه وسلم " إنما يأكل الذئب من الشاة القاصية"، إن هذه القاعدة الجليلة ثابتة في العقول وبالتجربة لمن أراد أن يفلح في أي تخصص، إذا لا سبيل لإتقان أي علم إلا بمجالسة أهله والأخذ عنهم، ولا مناص لطالب التخلق بالأخلاق السنية والتحقق بالمقامات العلية والاطلاع على الحقائق الأصلية من الجلوس بين يدي مرشد كامل تعرّف فعَرَف وسلك فملك وتعلّم فعلِم وتحلّم فحلم، وأخذ الطريق إلى الله عن أهله واغترف الحب الإلهي من ينبوع أصله، ولا أرى الذي يستثني علم التصوف والسلوك من هذه القاعدة الجليلة إلا أحد ثلاثة: (الأول): جاهل قد بعثر أفكاره قساةُ القلوب فأفهموه أنه ربما وصل إلى حقيقة النفس الراضية المرضية عن طريق اجتهاده الشخصي وانفراده بالتعرف على مداخل الشيطان وتلبيسات النفس الأمارة بالسوء، وهيهات، أو أنه بمجرد قيامه برسوم الشريعة وإتقانه لأحكام طهارة بدنية وصلاة جسمية وتلاوة لسانية فإنه في غنى عن علوم الطريقة من تزكية قلبية وطهارة معنوية وتلاوة اتباعية روحية، ولكن هيهات، إذ أنّ من يصحب أهل الله بصدق أياما معدودات ببركة صحبتهم يُفتح عليه بما لا يُفتح على غيره، وليس كلامنا عن الاستثناءات هنا إذ لربما علم الله في عابد أهلية لمقام ما فبلغه إياه لصدقة واجتهاده أو ببركة كثرة صلاته على النبي صلى الله عليه وسلم ولكن هذا من النادر والنادر لا حكم له، فعلى اللبيب الفطن العلم بأن لرسول الله صلى الله عليه وسلم نواب وورثة، فالذي ورث الفقه وأحكامه لا غنى عنه، والذي ورث تلاوة القرآن لا غنى عنه، والذي ورث العلم بالحديث لا غنى عنه، وكذلك الذي ورث علم التزكية لا غنى عنه، قال تعالى: {هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم

الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين}، ولقد وردت هذه الآية في سورة الجمعة وكأن في ذلك إشارة إلى أن ما يجمع القلب على الله هو التزكية، أو إشارة إلى الجمع بين "تلاوة القرآن" و"التزكية" والفقه المستنبط من "الكتاب" والمستنبط من "الحكمة" المراد بها الحديث النبوي الشريف، ولنكون أقرب إلى الواقع وضرب الأمثال، نقول: ربما اشتكى أحد من عدم خشوعه بين يدي ربه في الصلاة فمن ترى سوف يسأل عن الحل لمثل هذه المشكلة؟ إن هو سأل فقيها عالما بالأحكام الظاهرية فحسب، فإنه غالبا ما سيجيبه بأن عليه أن يحسن الوضوء وأن يصلى الصلاة لوقتها أو أن يتتبع كلام الله المتلو أثناء الصلاة، ولا بأس بهذه النصيحة إذ من قُدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله، ولربما منح الله ذلك السائل خشوعا بهذه النصيحة في صلاة أو صلاتين أو ليوم أو يومين ثم يذهب هذا الحال أدراجه ويعود السائل إلى سهوه، بيد أنه لو سأل صوفيا فسيخبره أن عدم خشوعه هذا عرض لمرض؟ فيضع الصوفي يده على المرض؟ ويخبره أن التركيز يجب أن يكون على الشفاء من المرض نفسه حتى يزول العرض تبعا، وغالبا ما يكون انعدام الخشوع في الصلاة لحب الدنيا أو نقص التوكل، فحب الدنيا يسهل على الشيطان تذكيرنا بمتاعها وشهواتها أثناء الصلاة كي لا نعقل من صلاتنا شيئا، ونقص التوكل يسهل على الشيطان تشويش قلوبنا بتدبير الدنيا ومشاغلها التي لا تنتهي حتى نخوض أثناء صلاتنا بخواطرنا في الرزق والمال والعيال والمدير والموظفين وغير ذلك، ولا يكتفي الصوفي بذلك بل يعطي السائل الحل وهو إخراج الدنيا من القلب والسعي لبلوغ مقام التوكل حتى يصير خشوعه مقاما دائما لا حالا زائلا فيكون من المفلحين الذين هم في صلاتهم خاشعون، ويزيد على ذلك بأن يبين له كيف يكون هذا الحل وما هي الخطوات التي يجب أن يفعلها، ويزيد على ذلك بأن يأخذ بيده في مشي هذه الخطوات إن كان هذا السائل صادقا في إرادة الخشوع ومن ثم الفلاح، فيقول له: الآن اتبعني وجالسني واصحبني حتى تتأثر بحالي وحال إخوتك الذاكرين كي يخرج حب الدنيا من قلبك ولن يخرج حتى تملأه بضده وهو حب الله تعالى، والآن اسمع قولي حتى تبلغ مقام التوكل ولن تبلغ ذلك المقام حتى يتغلغل الذكر في لحمك ودمك فتنقدح شعلة الحب الإلهي في قلبك فتحرق همومك وترضي عن محبوبك في كل ما يفعل وإذا رضيت عنه تمام الرضا في الحاضر وفي الماضي فإنك سترضى عنه في المستقبل وذلك الرضا بما سيفعل بك محبوبك في المستقبل هو أول قدم لك في مقام التوكل، هذا مثال واحد، ولو أردنا الإسهاب في إيراد الأمثلة لاحتجنا إلى مجلدات، إلا أن اللبيب بالإشارة يفهم، فالسلوك لا يؤخذ من الكتب وليس معادلات تنسخ ليطبقها المسلم بمفرده بل إن لكل حالة خصوصية وربما يكون العرض

بسبب علة أخرى كما قد يكون ألم البطن بسبب التسمم أو ربما بسبب التقرح أو الأميبا أو غير ذلك،، ولا يشخص المرض إلا الطبيب الحاذق والدواء يختلف من حالة لأخرى، **أما (الثاني)** فمستكبر يرى أن لا أحد فوقه في مراتب الإيمان وتأنف نفسه من اتباع الربانيين وأهل الإحسان، يقول في نفسه: "ما لي ولهؤلاء؟ وماذا يزيدون علي، فهم يصلون كما أصلي ويصومون كما أصوم بل ربما قمت الليل وبعضهم لا يقوم وربما علمت من علوم الظاهر ما لا يعلمون"، وهذا هو ديدن ذلك المسكين لا يزن الأمور إلا بمظاهرها ولا يعلم من الدين سوى عدّ أعماله الصالحة وحسابها جمعا وضربا، جاهلا أن أكثر الأعمال قبولا عند الله هي الأعمال التي يغيب عن شهودها ولا ينظر إلى وجودها ويراها لا شيء في حضرة من برز منه الوجود وخلق النفوس وأعمالها ومن إذا عاملها بعدله أهلكها، قال ابن عطاء الله في الحكم: "الأعمال صور قائمة وأرواحها وجود سر الإخلاص فيها" وقال: "ما قل عمل برز من قلب زاهد ولا كثر عمل برز من قلب راغب،" وأين بالله الزهد ممن لا يعترف أصلا بشيء اسمه علم التصوف ولا يرى أن نفسه بحاجة إلى شيخ يزكيها، فذلك ما عرف الزهد وما شم رائحته، وأما **(الثالث)** فعجول متسرع يريد الوصول دون الصبر على أوامر المرشد وصحبة الذاكرين، ناسيا قوله تعالى: {واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا}... يقول في نفسه: "هؤلاء على خير ولكن صحبتهم ومتابعتهم ستضيع علي وقتي الذي يمكن أن أستثمره فيما هو أنفع وأسمى ولا جرم أنني إن ثابرت على ما توصلت إليه باجتهادي من منهج في الوصول إلى رضا الله فإنني سأكسب الوقت الثمين الذي يضيعه هؤلاء ولن أكون بحاجة إلى صحبة الشيخ وانتظار إذنه في كل مهمة"، ولست أقول في مثل هذا سوى ما قاله الشاعر: (إذا لم يكن من الله عون للفتى... فأول ما يقضي عليه اجتهاده) ولم يعلم المسكين أن الذكر أفضل الأعمال بإطلاق لقول سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم: "ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى، قال: ذكر الله تعالى"، فالذكر أفضل الأعمال لأنه يفضي إلى أفضل الإعمال فهو الذي يضمن لك الإخلاص في ما تعمل لنفسك وأمتك وهو الذي يضمن لك السداد والتوفيق في ذلك، وذلك أن الذكر واتباع الشيخ المرشد يجوهر القلب ويجلوه مما يشوشه من الذنوب والخواطر فيورثك الفهم عن الله لتعرف أوجه الحق في كل شيء ويهديك لما أختُلف فيه من الحق، ولذلك ترى أن هذا الصنف الثالث يكثر منه الدعاة والقادة الذين استعجلوا الثمرات وقفزوا عن مرحلة تحقيق سر

الإخلاص وطهارة القلب من كل الأمراض،، فجهلوا معنى الإخلاص وخفيت عليهم آفات قلوبهم فكان ضررهم على الأمة أكبر من نفعهم، إن السلوك وصحبة مشايخ التربية لا يتعارضان مع أي تخصص ولا يقفان حائلين دون أي اتجاه شرعي آخر، ولكن المسألة تتعلق بالأولويات وما هو المقدار الكافي من السلوك لكي ينطلق المؤمن بالعمل والدعوة والتعليم على بصيرة ومع تحقق سر الإخلاص في ما يعمل، بعض الناس يرى أن صلاة الجماعة وتلاوة القرآن تكفي وبعضهم يزيد على ذلك بمطالعة كتب الرقائق وبعضهم يزيد بمطالعة كتب السلوك والأخلاق كالإحياء والرسالة والحكم العطائية، وبعضهم يرى أن لا بأس ببعض الأوراد النافلة وآخرون يرون أن لا بأس بحضور بعض مجالس الذكر بين الفينة والأخرى أو المذاكرة مع شيخ صوفي بضع مرات في العمر حول الإيمان وآفات القلوب، ولكن هل هكذا تحسب الأولويات في حياة المؤمن؟! لا أظن ذلك، البعض يرى أن الله أقامه في الاشتغال بعلم الحديث والانكباب عليه واستغراق كل الوقت فيه، وكذلك في التفسير أو علم الكلام أو الدعوة أو السعي على العيال أو غير ذلك من العلوم والأعمال النافعة في الآخرة والدنيا، ولكن من الذي قال له أن الله حقا قد أقامه في ذلك دون التزكية (أي أراد له ذلك) وأنها ليست نفسه التي أقامته في ذلك؟! من الذي أطلعه على أن الاستغراق التام في هذا التخصصات والأعمال وإهمال علم التزكية أمر مراد له من قبل الرحمن؟ إن كان يعلم أن تزكية نفسه من أمراضها هو سبيل الفلاح (قد أفلح من زكاها) ثم يتجاوزها وكأنها من فضول الأشياء فليسأل نفسه بصدق: هل أريد أن أكون من المخلصين المفلحين أم أن مرادي من حياتي لا يتعدى تغذية النفس الأمارة بالرياسة والتميز والجاه، وإن كان لا يعلم أن تزكية نفسه من أمراضها هو سبيل الفلاح فذلك راض عن نفسه وهذا لعمرك المريض الذي يجهل مرضه، والفقير يرى أن السلوك لا بد وأن يستغرق العمر كله كما علمنا مولانا العارف بالله الشيخ حسني الشريف رضي الله عنه، وخاصة في هذا الزمان، وهذا يعني السير فيه مع سائر التخصصات في آن واحد على أن تكون الأولوية دائما للسلوك إذا ما حصل إي تعارض، وأذكر إخوتي بقول العارفين: "من لا شيخ له فشيخه الشيطان" ولندع من ينكر هذه المقولة بجهله ينكرها وليسير في طريقه، وإنما نقول له: ستعلم عندما ينجلي الغبار، أفرس تحتك أم حمار، وفي الختام دعونا نتذكر المقولة: "بذكر الصالحين تتنزل الرحمة"، لنورد نماذج من الصالحين المفلحين الذين أولوا التصوف وتزكية النفس كل عناية فخرجوا من هذه البوتقة هادين مهديين فكان لهم أكبر الأثر على هذه الأمة: السلطان العادل الناصر صلاح الدين الأيوبي، حجة الإسلام أبو حامد الغزالي، الإمام النووي، الإمام العز بن عبد السلام، الحافظ

السيوطي، السلطان محمد الفاتح، الأمير المجاهد عبد القادر الجزائري، السيد الولي أحمد البدوي، الإمام المجاهد عز الدين القسام، الإمام الشهيد حسن البنا، الشيخ المجاهد عمر المختار، الإمام الرباني عبد الحليم محمود، الإمام المفسر محمد متولي الشعراوي، رضي الله عنهم جميعا، {أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده}، والحمد لله رب العالمين، **وقال الشيخ عبد الباقي مفتاح** في رسالته: **ضرورة إحياء واصلاح التربية الروحية تأصيلا وتجديدا: (**ومن أبرز ما تتميز به الطرق الصوفية أيضا عن غيرها من الحركات الإسلامية هو عمقها في الزمان ووسعها في المكان، لأن – كما قيل –: ما كان بالله لله دام واتصل وما كان لغير الله انقطع وانفصل، فالملاحظ أن غيرها من الحركات لا يمر على ظهورها جيل أو جيلين أو ثلاثة من أجيال أنصارها إلا وتتلاشى ثم تموت، أما كبرى الطرق الصوفية فلم تزل أجيالها منذ عهد الصحابة – رضي الله عنهم – إلى اليوم متصلة الحلقات في سلاسلها الذهبية بعروة، {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا} كالشجرة الطيبة المباركة أصلها ثابت في مركز: {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون}، وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها بمدد: {وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون}، {والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم}، والأصل القرآني الثابت للتصوف السُنّي وفروعه المتجددة لا مقطوعة ولا ممنوعة، هي التي جعلت مفكرا معاصرا غير متصوف ولكنه منصف، وهو الأستاذ عباس محمود العقاد يعرف التصوف في كتابه الذي عنوانه " الله " فيقول عنه: هو العبقرية الدينية إذا بلغت التأصل والابتكار"، هذا التأصل الذي عَبَّر عنه في القرن الثالث إمام الطائفة الجنيد بقوله: " علمنا هذا مشيّد – أو مقيد – بالكتاب والسنة " كما عبر عنه الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي (560–638 هـ) في شعره: (ولا تقتد بمن زالت شريعته... عنه ولو جاء بالأنبا عن الله)، وذلك الابتكار المتجدد هو ما عبر عنه الشيخ أحمد التجاني (1150– 1230هـ) في القرن الثالث عشر بقوله: " بسير زمانك سر "، وهو نفس ما عبر عنه الصوفي الأصيل والمجاهد الشهير الأمير عبد القادر الجزائري (1222– 1300هـ) حيث كتب في " المواقف ": (أهل طريقنا ما أدعو الإتيان بشيء في الدين جديد، وإنما ادعوا الفهم الجديد في الدين التليد)، والسؤال اليوم: هل في زوايا اليوم شجرة النور المباركة الموروثة عن الأسلاف تثمر ثمار التأصيل والتجديد؟ وهل من حياضها يتدفق ماء الحياة: {عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا}؟ الجواب على هذا السؤال لا ينبغي تعميمه لأنه يختلف باختلاف ظروف الوسط مجتمعا وزمانا ومكانا، ومعلوم أن تلك الشجرة وحوض عينها

ليست الهياكل المادية للزاوية، بل روحها المحرك لها أي الأشخاص القائمون بشؤونها الممثلون لمناهج تربيتها، فالزاوية ككل المؤسسات الدينية والدنيوية تصلح أو تفسد بصلاح أو فساد أهلها، وبالتالي فالتأصيل والتجديد اللذان هما وجها التصوف العملي ينبغي أن يتجسدا قبل كل شيء في هؤلاء الرجال، رجال الزوايا لأنَّ فاقد الشيء لا يعطيه، ويبدو لي أن للتأصيل والتجديد بُعدَان: بعدٌ عمودي، وآخر أفقي، العمودي صاعد إلى: {في مقعد صدق عند مليك مقتدر} في صحبة: {والسابقون السابقون أولئك المقربون}، وِفْقَ سبيل {واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم} لتحقيق {إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون} وبالثبات في هذا البعد العمودي ينشأ ُالبعد الأفقي ليَسَعَ: {أَفمن كان ميتا فأَحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس} وِفْقَ منهاج: {ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون}، لكن عمليا كيف يكون التحقق بهذين البعدين؟ الجواب معروف ومعمول به عند القوم، وهو: يتم التحقق بهذين البعدين بعد التمكن من الجمع بين العلم الشرعي الظاهر والسلوك التربوي الروحي الباطن على يد الشيخ المربي الحي، وهذا الجمع بين العلمين هو ما تعبر عنه المقولة المنسوبة للإمام مالك وهي: (من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن جمع بينهما فقد تحقق)، وهنا ينبغي أن نقول بأن التربية الكاملة لا تتحقق عند القوم إلا بصحبة المربي الحي، لأنه كما يقول الشيخ العربي الدرقاوي (1151–1239هـ) في رسائله: لو كان الانتساب للأولياء المربين الأموات كاف في التربية، لاكتفى الجميع بروح رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ روحه هي أعظم روح مربية على الإطلاق: {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم}، وعبّر عن هذه الحقيقة الشيخ أحمد التجاني فقال: حسبما نقله عنه تلميذه علي حرازم في "جواهر المعاني": اعلم أن الله سبحانه وتعالى جعل في سابق علمه ونفوذ مشيئته أن المدد الواصل إلى خلقه هو في كل عصر يجري مع الخاصة العليا من خلقه من النبيين والصديقين، فمن فزع إلى أهل عصره الأحياء من ذوي الخاصة العليا وصحبهم واقتدى بهم واستمد منهم فاز بنيل المدد الفائض من الله، ومن أعرض عن أهل عصره مستغنيا بكلام من تقدمه من الأولياء الأموات طبع عليه بطابع الحرمان": أهـ،

**(الحقيقة الثانية) :** أنواع الطرق الصوفية ثلاث : طريقة التبرك، وطريقة الإرشاد، وطريقة التربية والترقية، وهذا يختلف باختلاف مستوى شيخ الطريقة، **فشيخ التبرك** هو الذي يبلغ أوراد الذكر لمن يطلبها بإذن مسند صحيح، ويقف دوره عند هذا التبليغ، وينال الآخذ عنه بركة النسبة

لسلسلة الشيوخ الصالحين المتصلة برسول الله صلى الله عليه وسلم، كما ينال ثواب وأنوار الأذكار التي يلتزم بها، **وأما شيخ الإرشاد** فزيادة على تبليغ الأوراد كشيخ التبرك، يسعى لإرشاد تلاميذه إلى مكارم الأخلاق ودوام الذكر وصفاء الباطن وينفث في قلوب أهل الاستعداد منهم عوارف معارف وأنوار مقامات، فشيخ التبرك يدل على مقام الإسلام وغايته علم اليقين والإشراف على النفس المطمئنة، وشيخ الإرشاد يرشد إلى مقام الإيمان وغايته عين اليقين والإشراف على مقامات القلب الراضي المرضي المستنير بدوام الذكر، **وأما شيخ التربية والترقية** فيرفع إلى مقام الإحسان مشاهدة في مقام: (أن تعبد الله كأنك تراه))،

**(الحقيقة الثالثة) :** التفريق بين الطريقة والحقيقة : التصوف طريقة للمبتدئ وهو حقيقة للسالك: والطريقة تقوم على التزام الأوراد ودوام الذكر ومتابعة إرشادات شيخ الطريقة، والطريقة مندوبة لكل مسلم، قال تعالى: {وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا}، أما الحقيقة فهي تتمثل في الفتوحات والكشوفات والتجليات والمعارف والحقائق التي قد يعبر عنها بعض العارفين من الصوفية، إن أهل الحقيقة قد يكرمهم الله تعالى بالكرامات كالكشف والإلهام، ولكنهم وإن كانوا على علم عال رفيع إلا أنهم ليسوا بأنبياء ولا معصومين، ومن هنا فليس كلامهم مسلمًا إلا إن وافق قواعد الشرع وأدلته، فالكشف لا عصمة فيه، فلو عارض أدلة الكتاب والسنة فيجب التمسك بالكتاب والسنة وترك الكشف، فإنّ العصمة مضمونة في الكتاب والسنة، وليست كذلك في جانب الكشف ولا الإلهام، ولا المشاهدة، وأهل السنّة والجماعة يؤمنون بالكرامات للأولياء الصالحين، ويأخذون بالكشف والإلهام الذين لا يعارضان القرآن والسنة، إن الكرامات إنما هي هدية من الله لأوليائه من أهل الحقيقة، وهي ليست غاية ولا حتى وسيلة للقرب، ولذلك كان ديدن اهل الحقيقة كتمان الكرامات وسترها عن الناس، على أنّ هناك أخطاء تتعلق بمناهج التزكية في بعض الطرق تتمثل في الخلط بين الطريقة والحقيقة وبالتالي تجعل همة الصوفي تجري وراء الكشف والكرامة، والأصل أن همته تبحث عن تحقيق كمال العبودية لله رب العالمين، والكشف ما هو إلا أثر وثمرة من ثمرات التزكية، والكمال الصوفي يتمثل في عدم البحث عن الكشف والكرامة التي ما هي إلا مثبتات لغير الكمل من سالكي طريق التزكية من الأولياء،

**(الحقيقة الرابعة) :** الذكر منشور الولاية: الذكر منشور الولاية وعمدة الطريق الصوفي: صرح القرآن الكريم بأن الذكر أكبر، قال تعالى: {اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ

تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ} العنكبوت: 45]، وجعله الله تعالى أعلى منازل الدين قال تعالى: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 35]، كما أنّ الذكر هو قوام التصوف الذى هو روح الإسلام، قال تعالى في الحديث القدسي: (أنا عند ظن عبدى بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسى وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه)) [أخرجه البخاري]، والذكر له المكانة الرفيعة فهو في ذروة العبادات والطاعات لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (ألا أنبئكم بخير أعمالكم لكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم، وخير من إعطاء الذهب والفضة وأن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم وبضربون أعناقكم قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال ذكر الله))، **وفي مقام الذكر**، جاء قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا} [الاحزاب: 41]، وقوله تعالى: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} [الحديد: 16]، وقوله تعالى: {وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ} [الاعراف: 205]، وقوله تعالى: {وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا} [المزمل: 8]، وقوله تعالى: {وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} [الانسان: 25]، وقوله تعالى: {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} [آل عمران: 191]، **ومن فوائد الذكر**: 1 – عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من قوم يذكرون الله، إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده" 2 – عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يقول الرب تبارك وتعالى: من شغله قراءة القرآن وذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين"، 3 – عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يقول الرب يوم القيامة سيَعلَم أهلُ الجمع اليوم مَنْ أهل الكرم، فقيل: ومن أهل الكرم يا رسول الله؟ قال: أهل مجالس الذكر في المساجد"، 4 – وعن معاوية رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على حَلْقةٍ من أصحابه فقال: "ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده، فقال: أتاني جبريل فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة"،

5 – وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله إلا ناداهم منادٍ من السماء: قوموا مغفوراً لكم قد بُدلت سيئاتكم حسنات" 6 – وعن ثابت قال: كان سلمان في عصابة يذكرون الله، فمرَّ النبي صلى الله عليه وسلم فكفوا، فقال: "ما كنتم تقولون؟ قلنا: نذكر الله، قال: إني رأيت الرحمة تنزل، فأحببت أن أشارككم فيها، ثم قال: الحمد لله الذي جعل في أُمتي من أُمرت أن أصبر نفسي معهم"، ومن **(أقسام الذكر): أ . ذكر السر والجهر:** إن ذكر الله تعالى مشروع سراً وجهراً، وقد رغَّب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الذكر بنوعيه: السري والجهري، فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يقول الله: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرتُه في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرتُه في ملأ خير منهم)) [أخرجه البخاري]، **ب . ذكر اللسان وذكر القلب:** وقال الإمام النووي رحمه الله: (أجمع العلماء على جواز الذكر بالقلب واللسان للمحْدِث والجنب والحائض والنفساء وذلك في التسبيح والتحميد والتكبير والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والدعاء ونحو ذلك)، وقال الإمام النووي رحمه الله: (الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان، والأفضل منه ما كان بالقلب واللسان جميعاً، فإن اقتصر على أحدهما فالقلب أفضل، ثم لا ينبغي أن يُترك الذكر باللسان مع القلب خوفاً من أن يُظن به الرياء، بل يذكر بهما جميعاً، ويقصد به وجه الله تعالى)، **ج . الذكر المنفرد والذكر مع الجماعة:** العبادات مع الجماعة . وفيها ذكر الله تعالى . تزيد في الفضل على العبادة في حالة الانفراد، ففي الجماعة تلتقي القلوب، ويكون التعاون والتجاوب، ويستقي الضعيف من القوي، والمُظْلِم من المُنَوَّر، عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من قوم يذكرون الله إلا حفَّتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده)) [أخرجه مسلم]، وعن معاوية رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على حَلْقةٍ من أصحابه فقال: (ما يُجْلِسُكُمْ؟ قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده فقال: إنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله يُباهي بكم الملائكة))، **آداب الذكر المنفرد:** وينبغي أن يكون الذاكر على أكمل الصفات، فإن كان جالساً في موضع استقبل القِبلة متذللاً متخشعاً بسكينة ووقار، مطرقاً برأسه، ولو ذكر على غير هذه الأحوال جاز ولا كراهة في حقه، ولكن إن كان بغير عذر كان تاركاً للأفضل، *وينبغي أن يكون الموضع الذي يذكر فيه خالياً نظيفاً، فإنه أعظم في احترام الذكر والمذكور، ولهذا مُدح الذكر في المساجد والمواضع الشريفة، وينبغي أن يكون فمُه نظيفاً، وإن كان به تغيُّرٌ أزاله بالسواك، إذا كانت هذه النظافة الحسية قد نُدبنا

إليها فإن نظافة القلب الذي هو محل نظر الرب تبارك وتعالى أولى بالاعتبار، والذكر محبوب في جميع الأحوال، والمراد من الذكر حضور القلب، فينبغي أن يلاحظ الذاكر ذلك ويتدبر معاني ما يذكر، **آداب الذكر الجهري مع الجماعة:** الذكر الجهري له آداب ثلاثة: آداب سابقة، وآداب مقارنة، وآداب لاحقة، وكل قسم من هذه الثلاثة له ظاهر وباطن، 1 – **فظاهر الآداب السابقة:** أن يكون الذاكر طاهر الثوب، طيب الرائحة متوضئاً، نقياً من الحرام كسباً وغذاء، وباطنها: أن يطهِّر قلبه بالتوبة الصادقة، ويتخلى عن جميع الأمراض القلبية، ويتبرأ من حوله وقوته، ويدخل الحضرة متحققاً بذله وفقره واحتياجه إلى نفحات الله وفضله، **2 – وظاهر الآداب المقارنة:** أن يجلس حيث انتهى به المجلس وينتظم في حلقتهم، فإذا أراد أن يخرج لعذر طارىء وصل بين مَنْ على جانبيه بلطف، وخرج حتى لا يقطع عليهما اشتغالهما بالذكر، وأن يكون موافقاً لهم في وضعهم، فلا يشذ عنهم بمخالفة، **وباطنها:** أن يجاهد في طرد وساوس الشيطان وهواجس النفس، وأن لا يشغل قلبَه أُمورُ الدنيا، وأن يجتهد في الحضور بقلبه وهمته فيما هو فيه من الذكر وما يَرِدُ عليه من واردات وأحوال، متهيئاً لما يَمنُّ الله به عليه من تجليات إفضاله، **د . الذكر المقيد والذكر المطلق: أما الذكر المقيد:** فهو الذي ندبَنا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقيَّداً بزمان خاص أو مكان خاص، كالذكر بعد أداء كل صلاة، من تسبيح وتحميد وتكبير، وأذكار المسافر والآكل والشارب، وأذكار النكاح، **وأما الذكر المطلق:** فهو ما لم يقيد بزمان ولا مكان، ولا وقت ولا حال، ولا قيام ولا قعود، فالمطلوب من المؤمن أن يذكر ربه في كل حال حتى لا يزال لسانه رطباً بذكر الله، والآيات في ذلك كثيرة منها قوله تعالى: {فاذكُرُوني أذكُرْكُم} [البقرة: 152]، وقد وصفت السيدة عائشة رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقولها: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله في كل أحيانه)، **حكم الذكر بالاسم المفرد [الله]:** أما الذكر بالاسم المفرد [الله] فجائز بدليل قول الله تعالى: {واذْكُرِ اسمَ ربِّكَ وتبتَّلْ إليه تبتيلاً} [المزمل: 8]، وقوله تعالى: {واذْكُرِ اسمَ ربِّكَ بكرةً وأصيلاً} [الدهر: 25]، وقد ورد في الحديث الشريف الذي رواه أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله، الله" **[أخرجه مسلم]** فهذا اسم مفرد ورد ذكره مكرراً في هذا الحديث، ثم إن الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي رَغَّبَتْ في الذكر جاءت عامة ومطلقة لم تخصص ذكراً معيناً، ولم يرد نص شرعي يُحَرِّمُ الذكرَ بالاسم المفرد [الله]، واعترض بعضهم أيضاً على الذكر بالاسم المفرد بحجة أنه لا يؤلف جملة تامة مفيدة كما في قولنا: الله جليل، والجواب على ذلك: أن الذاكر بهذا الاسم المفرد لا يكلم مخلوقاً فلا يُشترط أن يكون

كلامه تاماً مفيداً، لأنه يذكر الله سبحانه الذي هو عالم بنفسه مطلع على قلبه، **التحذير من ترك الذكر**: لقد حذر الله تعالى عباده من ترك ذكره في كتابه الكريم وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، كما حذر العارفون بالله من المربين المرشدين مريديهم من ترك الذكر كذلك، فقد قال تعالى: {ومَنْ يَعْشُ عن ذكر الرحمن نُقَيّضْ له شيطاناً فهو له قرين، وإنَّهم لَيَصُدُّونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون} [الزخرف: 36 – 37]، وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها" [أخرجه الطبراني ورواه البيهقي بأسانيد أحدها جيد]،

**(الحقيقة الخامسة) : أهمية الأوراد في حياة المسلم** : ينبغي لكل مسلم – فضلا عن الصوفي السالك طريق الإحسان – أن تكون له أوراد يومية لا يقصر عنها، ولابد وان تشمل تلك الأوراد على صلوات الفرائض جماعة في المساجد – قدر الإمكان –، وأن يحافظ على أوراد الصلوات، من التسبيح والتحميد والتكبير ثلاثاً وثلاثين، وغيرها من أذكار ختم الصلاة، وأن يقيم السنن الرواتب، وأن يحافظ على سنة الضحى وسنة قيام الليل والوتر، وأن يخصص لنفسه قدرا يومياً من القرآن الكريم، والحد المعتدل في ذلك جزء لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لعبد الله بن عمرو بن العاص عن القرآن: (اقرأ القرآن في كل شهر)) [متفق عليه]، وأوراد الذكر من الاستغفار التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل والحوقلة والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع المحافظة على أذكار الأوقات والأعمال كأذكار الطعام والنوم والدخول والخروج، مع صيام ما تيسر مما جاء في سنّة النبي صلى الله عليه وسلم كصيام ثلاثة أيام من كل شهر أو يومي الإثنين والخميس، وهذا الورد اليومي الذي يرتبه المسلم على نفسه ينبغي أن يلاحظ فيه أن يجعل له حداً أدنى لا بد أن يؤديه ثم بعد ذلك إن وجد فراغاً أو إقبالاً من النفس زاد، مع الأخذ في الاعتبار بحديث النبي صلى الله عليه وسلم: (خذوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا وإن أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قل)) [متفق عليه]، كما ينبغي لكل مسلم – فضلا عن الصوفي السالك طريق الإحسان – أن يكون له ورد أسبوعي وآخر شهري وآخر سنوي يملأ هذا الورد حياته بالبر والتقوى، وقد مر بنا في القاعدة الاولى من هذا الباب " مقدمة عن نشأة مدارس وطرق التصوف في العالم الإسلامي " أوراد كل طريقة من طرق التصوف المعروفة المشهورة،

***

## المطلب الثالث

## تصحيح أخطاء الطرق الصوفية

لقد أساء أقوام إلى التصوف بانتسابهم إليه، وادِّعائهم له، والمنصفون يعلمون أن هناك صوفية أولياء في عداد الصديقين والأصفياء، وهناك أدعياء للتصوف متمصلحون منه يأخذون منه عرض الحياة الدنيا، وهناك جهلاء، وهناك غلاة مبتدعون، وهناك منحرفون، وهناك مغرضون تزيّوا بزيه، وانتسبوا إليه، لأجل الإساءة إليه بأقوالهم وأفعالهم وسلوكهم، والتصوف منهم براء، ولذلك كان لا بد من التفريق بين أدعياء التصوف المنحرفين، وبين الصوفية الصادقين، أصحاب السلوك، ممن لهم درجات عليا في التزكية والإيمان والورع والتقوى واليقين، وآثار كبرى في نشر الأخلاق والدين، والدعوة إلى الله تعالى في سائر أزمان المسلمين، إنّ التصوف الصحيح في جوهره النقي لن يتحمل جريرة المدعين، وليس من الإنصاف أن تنسب إلى هذه الفئة النقية أخطاء المتصوفة الشاذين من أعداء التصوف، ولطالما حذّر الصوفية أنفسهم من هؤلاء الأدعياء، ولله در العالم الأصولي المدقق (الإمام الشاطبي) حيث يصف الصوفية بأوصاف حميدة ومناقب جليلة، فقال: " الصوفية الذين نسبت إليهم الطريقة، مجمعون على تعظيم الشريعة، مقيمون على متابعة السنة، غير مخلين بشيء من آدابها، أبعد الناس عن البدع وأهلها، ولذلك لا نجد منهم من ينسب إلى فرقة من الفرق الضالة، ولا من يميل إلى خلاف السنة، وأكثر من ذكر منهم علماء وفقهاء ومحدثون، وممن يؤخذ عنه الدين أصولا لا فروعا، ومن لم يكن كذلك، فلا بد من أن يكون فقيها في دينه بمقدار

كفايته" أهـ [الاعتصام، الشاطبي 1: 165-166]، كما أثنى عليهم بوصفهم: " أهل الحقائق والمواجد والأذواق والأحوال والأسرار التوحيدية، فهم الحجة لنا على كل من ينتسب إلى طريقهم ولا يجري على مناهجهم..." أهـ [المصدر السابق، 1: 165-166]، وقد كان في نيته - رحمه الله - أن يخصص مؤلفا للإشادة بطريق التصوف، وتحصينه من أهل البدع والأهواء، حيث قال: "وفي غرضي- إن فسح الله في المدة، وأعانني بفضله، ويسّر لي الأسباب- أن ألخص في طريقة القوم أنموذجا، يُستدل به على صحتها، وجريانها على الطريقة المثلى، وأنه إنما دخلتها المفاسد وتطرقت إليها البدع: من جهة قوم تأخرت أزمانهم عن عهد ذلك السلف الصالح، وادّعوا الدخول فيها من غير سلوك شرعي، ولا فهم لمقاصد أهلها، وتقوّلوا عليهم ما لم يقولوا به، حتى صارت في هذا الزمان الآخر كأنها شريعة أخرى غير ما أتى بها النبي صلى الله عليه وسلم...، وطريقة القوم بريئة من هذا الخُباط بحمد الله" أهـ [الاعتصام: 1: 148، 149]، والحاصل أن الإنصاف تجاه القوم مطلوب شرعي، وفضل التصوف الصحيح الذي هو ضرورة لإحياء القلوب، وتهذيب النفوس، لا ينكره منصف أضاء الله تعالى بصيرته بأهمية الحفاظ على طوائف أهل السنة والجماعة القائمين على ثغور الإسلام، والإصلاح واجب شرعي لهذا أشرع في بيان الأخطاء التي يجب إصلاحها بسرعة وإتقان حتى تعود الصوفية إلى الوسطية التي حبى الله تعالى بها الفرقة الناجية، **ومن تلك الأخطاء التي أدت إلى اتهام التصوف بتهم هو منها بريء:**

**[الخطأ الاول]:** المغالاة والإسراف في اعتقاد الصالحين، حتى وصل الأمر إلى النذر لهم، والتمسح بأعتابهم، والسجود عند أضرحتهم، وحتى شكوا إليهم أحوالهم، وطلبوا منهم شفاء المرضى وعودة الغائبين، ونجاح الأولاد وصلاح الأحوال، وإغناء الفقير وإسعاد الزوجات ودفع المصائب والبلايا، وإصلاح شئون البلاد والعباد، وغير ذلك مما يعتبر إسرافاً في اعتقاد الصالحين، وممارسات خارجة عن حد الشريعة وحفظ جناب التوحيد، ونحن لا نقول أنهم عبدوهم من دون الله، وذلك لان ضابط العبودية هو اعتقاد الإلهية والربوبية لمن نصرف له العبادة، وهؤلاء إنما توسلوا بهم عند الله لأجل صلاحهم، وإن كان هذا النوع من التوسل له ضوابط عديدة، وفيه خلافات فقهية تدور على حفظ جناب التوحيد، وسد ذرائع الشرك، وغلق مظاهر الانحراف العقدي، إلا أنه لا ينبغي أن يصل إلى ذلك الحد من الإسراف في التوسل بالصالحين كأن لهم حق عند الله - تعالى وتقدس عن ذلك -،

وقد قال الله تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} [البقرة: 186]،

**[الخطأ الثاني]:** الغلو في علاقة المريد بالشيخ، والوصول بها إلى حد التقديس أحيانا، لدرجة إلغاء الحسبة على الدين معه، والتحذير كل التحذير من الاعتراض على أخطائه، ولو كانت كبائر، ولاشك أن احترام الشيخ مطلوب، لأنه وارث علم الرسول وسبب الهداية، ولكن لاشك أن الحسبة على الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة وحق على كل مسلم في حدود الأدب والاحترام، ومن الغلو ظنّ بعض جهلة المتصوفة أنّ الشيخ يجل عن الخطأ وهذا مخالف لكلام الصوفية الصادقين، كقول الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله: (إذا علم المريد من الشيخ خطأ فلينبهه، فان رجع فذاك الأمر وإلا فليترك خطأه وليتبع الشّرع) قال ذلك في أدب المريد، وقال الشيخ أحمد الرفاعي رحمه الله: (سلم للقوم أحوالهم ما لم يخالفوا الشرع فاذا خالفوا فكن مع الشرع)، وكتب الصوفية طافحة بمثل هذا،

**[الخطأ الثالث]:** التوسع والتساهل في مسائل الإتباع والابتداع إلى حد أدى إلى انتشار المحدثات والبدع والمنكرات، وحتى صار (السماع) – بدلا من سماع القرآن – سماعاً للألحان، وصار الذكر – ولا حول ولا قوة إلا بالله – مضبوطاً بالحركات، ورقصاً على نغمات الألحان، وحتى صارت الموالد والاحتفالات والمهرجانات على مدار العام، وكأن الإسلام قد اكتملت فرائضه وطبقت أحكامه ووثقت عراه ولم يبق إلا الاحتفال بمناسباته، وما أكثرها عند القوم

**[الخطأ الرابع]:** التوسع والتساهل في مسائل الطاعة والمعصية، حتى صارت الموالد والاحتفالات مرتعاً خصباً للفواحش والموبقات بسبب اختلاط الرجال بالنساء، مما آل بالفقهاء إلى الإفتاء بإلغائها بسبب مفاسدها العظيمة التي تفوق الفائدة المرجوة منها،

**[الخطأ الخامس]:** هناك أخطاء تتعلق بمناهج التزكية مثل جعل همة الصوفي تجري وراء الكشف والكرامة، والأصل أن همته تبحث عن تحقيق كمال العبودية لله رب العالمين، والكشف ما هو إلا أثر وثمرة من ثمرات التزكية، والكمال الصوفي يتمثل في عدم البحث عن الكشف والكرامة التي ما هي إلا مثبتات لغير الكمل من سالكي طريق التزكية من الأولياء،

**[الخطأ السادس]:** هناك أقوام منهم غلب عليهم الكسل والتواكل والبطالة، وصفهم العارف بالله الشيخ أحمد زروق بقوله: " هناك قوم غلب عليهم الكسل والبطالة، وجمحت نفوسهم للانتساب للقوم، فعدلوا لرخص المذهب من السماع والاجتماع، وإيثار التزيي من المرقعات المزينة، والسبحات المزخرفة، والسجادات المزوقة، والعكاكيز الملفقة، وتباهوا في ذلك مباهات النسوان في الثياب، وتضاهوا فيه تضاهي أبناء الدنيا في الأسباب، فإذا عوتبوا في ذلك قالوا: يكفينا من اتباع القوم التشبه بهم، فإن من تشبه بقوم فهو منهم، فإن قيل: هذا منكم قلة همة، قالوا: أنتم في بركة الحال، ونحن في بركة الزِّي، وقد قنعنا بالتزي، وما هو إلا الركون للبطالة وحب الشهوة بالباطل، [عدة المريد الصادق، دار ابن حزم، ص: 65]،

**[الخطأ السابع]:** الشطح والطامات التي تصدر عن بعضهم وقت ورود الوارد الثقيل، الذي لا يقوى على تحمله، فيشطح بما لا يمكن تأويله بحال، كقول بعضهم (ولجنا بحرا وقف الأنبياء بساحله)، والأصل في الشطح أنها زلات لسان لا ينبغي محاسبة قائلها عليها وقت الذهول، كمثل الذي أخطأ من شدة الفرح فقال: (اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح)) [أخرجه مسلم]، ولكن سيف الشريعة يمنع من التمادي في تلك الأقوال التي لا يحسن تأويلها، لاسيما مع تشنيع الخصوم بها،

**[الخطأ الثامن]:** الفساد والجهل المتفشي في العديد من المؤسسات والطرق الصوفية بسبب التكالب على الدنيا وكثرة الأتباع، وذلك غالبا ما يكون بين أدعياء التصوف أو أنصاف المشايخ ممن ورثوا هذا الأمر وراثة، دون الوصول إلى حقائق التصوف، وصار هم هؤلاء كثرة الأتباع ولو على حساب التزكية، وكثرة الأموال ولو على حساب الدين، والتكالب على الشبهات وأموال الحكام والرؤساء، فما أبعد هؤلاء عن التصوف الصافي، وهل التصوف إلا الزهد في الدنيا، وفيما بين الناس، وهل التصوف إلا الخلق، وقد لخص العارفون معنى التصوف في الخلق الحسن، وقالوا (التصوف كله أخلاق، فمن زاد عليك في الخلق، زاد عليك في التصوف))

**[تنبيه]:** لقد دس أعداء الاسلام علي التصوف من يشوه صورته فسار وراء بعضهم العوام والجهلة، وإن التصوف الإسلامي الأصيل قد ابتلي بالأدعياء شأنه شأن غيره من علوم الإسلام والدعوات الصادقة فيه، إذ اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون لكل حق باطل يشبهه، ليميز الله الخبيث من الطيب، وقد سخر الله تعالى من عباده من بينوا للناس منهج الحق والخير والصواب، وميزان العدل

والاعتدال، ليميز الناس الحق من الباطل، والزيف من الصرف، وأهل التصوف الحق يعلمون أنّه: (أ) **ليس من التصوف الإسلامي:** القول بمخالفة الشريعة للحقيقة، أو أن أهل الحقيقة لا يتقيدون بالشريعة، أو أن ظاهر الإسلام شيء غير باطنه، أو أن مسلماً عاقلاً رُفع عنه التكليف، (ب) **وليس من التصوف الإسلامي:** القول بالحلول أو الاتحاد، أو الوحدة التي تزعم أن الكون هو الله، والله هو الكون، وما جاء مما يوهم ذلك على لسان بعضهم فهو مؤول بما يوافق دين الله، أو هو مدسوس على القائل، أو هو مما قاله في حالة الفناء والغيبوبة على لسان الحق عز وجل، ونحن نستغفر الله للجميع، ونحسن الظن بكل مسلم، (ت) **وليس من التصوف الإسلامي:** الذكر على الطبل والزمر بأنواعه مهما كانت (اما الدف ففي الاناشيد والقصائد والمدائح فجائز)، (ث) **وليس من التصوف الإسلامي:** تحريف أسماء الله والرقص بها، رقصاً سخيفاً مع القفز والنط كما يفعل الجهلة، ولا يجوز وجود أدوات وآلات اللهو والغناء، وكل ما نراه من ذلك من بعض الاشخاص فهو ليس من التصوف والتصوف منهم براء، أن هناك جماعة من الدخلاء على الصوفية . نسبوا أنفسهم إليهم وهم منهم براء . شوَّهوا جمال حلقات الأذكار بما أدخلوا عليها من بدع ضالة، وأفعال منكرة، تحرمها الشريعة الغراء، كاستعمال آلات الطرب المحظورة، والغناء الفاحش، فلم يَعُدْ وسيلةً عملية لتطهير القلب من أدرانه، وصلته بالله تعالى، بل صار لتسلية النفوس الغافلة، وتحقيق الأغراض الدنيئة، وهذا بخلاف الحركة في الذكر فإنها تنشط الجسم لعبادة الذكر وهي جائزة شرعاً بأدلة كثيرة ذكرتها في كتاب التجديد التاسع (التجديد في باب التزكية والإحسان والتصوف) الباب السادس " أدلة عامة لمنهاج أهل التصوف "، (ج) **وليس من التصوف الإسلامي:** القذارة، ولا البلادة، ولا البطالة، ولا الجهالة بدين الله، ولا ادعاء الولاية ولا المتاجرة بالكرامات، لان الولاية فقط لأهل الولاية وليس لأصحاب الادعاء من المجاذيب الذين لا يتحركون ولا يعملون ويجلسون في المساجد بدون وعي ويدعون الولاية، (ح) **وليس من التصوف الإسلامي:** ما يحدث في الموالد من اختلاط محرَّم، ومباذل وسفاسف لا يرضاها عاقل، وادعاءات فضفاضة وتغييب للعقول، (خ) **وليس من التصوف الإسلامي:** ادعاء الغيب والدجل والشعوذة والاتصال بالجن والشياطين والسحر والألفاظ الأعجمية والساذجة، [انظر كتاب ابجدية التصوف للإمام الرائد العلامة محمد زكي ابراهيم رحمة الله]، وبعد: وبعد فتلك هي الأخطاء التي أدت إلى تطاول الطوائف الأخرى على التصوف يريدون محوه والخلاص منه، مع أنه الواقف على ثغور التزكية والمقامات، ومناهج التربية والأخلاق، وما أحسن قول السيوطي رحمه الله فيه إذ يقول عن التصوف: " علم شريف رفيع قدره سني أمره، لم

تزل أئمة الإسلام وهداة الأنام قديما وحديثا يرفعون مناره ويجلون مقداره ويعظمون أصحابه، ويعتقدون أربابه، فإنهم أولياء الله وخاصته من خلقه بعد أنبيائه ورسله، غير أنه دخل فيهم قديما وحديثا دخلاء تشبهوا بهم وليسوا منهم، وتكلموا بغير علم وتحقيق فزلوا وضلوا وأضلوا، فمنهم من اقتصر على الاسم وتوسل بذلك إلى حطام الدنيا، ومنهم من لم يتحقق فقال بالحول وما شابهه، فأدّى ذلك إلى إساءة الظن بالجميع، وقد نبّه المعتبرون منهم على هذا الخطب الجليل ونصوا على أن هذه الأمور السيئة من ذلك الدخيل " أهـ [تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية، لجلال الدين السيوطي، ص: 4]، إن من الإنصاف ألا نغمط حقوق الصوفية، ولا تنسينا أخطاؤهم، حسناتهم، والتجديد الصوفي يعني إصلاح تلك الأخطاء بسرعة وتجرد وإتقان حتى تعود الصوفية إلى الوسطية التي حبى الله تعالى بها الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة سواد المسلمين الأعظم، إن التجديد الإسلامي المنشود يفرض على أهل التصوف وقياداته أن يتحملوا واجباتهم في تصحيح المسار والاجتهاد الصادق في إزالة الحواجز والعقبات بين أهل التصوف وبين الطوائف الأخرى من أهل السنة والجماعة وذلك بالتقارب والتكامل مع بقية الطوائف، من خلال الهدف المشترك بالعودة إلى الكتاب والسنة والاقتداء الكامل برسول الله صلى الله عليه وسلم علماً وعملاً وإخلاصاً، وعند ذلك تتآلف القلوب وتنتفي الخصومات والعداوات ونكون يداً واحدةً في العمل على الدفاع عن دين الإسلام وتجديد أمره،

***

## المطلب الرابع

## نشر التصوف السنّي النقي الصحيح في ثوب صحيح جديد

**نشر التصوف السنّي النقي الصحيح في ثوب صحيح جديد:** وذلك بالقيام بعدة مهام:

**(الأولى): ترسيخ الحقائق الصحيحة التي تتعلق بالطرق الصوفية، والتي يتطلب تجديد التصوف ترسيخها، و(الحقيقة الأولى):** بيان كون منزلة الطريقة في التصوف كمنزلة المذهب في الفقه، فكما أنّ طلب الفقه الراسخ يتطلب التخصص على إحدى مذاهب الفقه الأربعة، فكذلك فإن طلب التصوف الراسخ ينبغي أن يكون عبر إحدى طرق التصوف الموصولة السند والمتأصلة في تاريخ التصوف الإسلامي، **و (الحقيقة الثانية)** التفريق بين أنواع الطرق الصوفية ثلاث: طريقة التبرك، وطريقة الإرشاد، وطريقة التربية والترقية، وهذا يختلف باختلاف مستوى شيخ الطريقة، فشيخ التبرك هو الذي يبلغ أوراد الذكر لمن يطلبها بإذن مسند صحيح، وأما شيخ الإرشاد فزيادة على تبليغ الأوراد كشيخ التبرك، يسعى لإرشاد تلاميذه إلى مكارم الأخلاق ودوام الذكر وصفاء الباطن وينفث في قلوب أهل الاستعداد منهم عوارف معارف وأنوار مقامات، فشيخ التبرك يدل على مقام الإسلام وشيخ الإرشاد يرشد إلى مقام الإيمان وغايته عين اليقين والإشراف على مقامات القلب الراضي المرضي المستنير بدوام الذكر، وأما شيخ التربية والترقية فيرفع إلى مقام الإحسان مشاهدة في مقام: (أن تعبد الله كأنك تراه))، **و (الحقيقة الثالثة):** التفريق بين الطريقة والحقيقة، فإنّ التصوف طريقة للمبتدئ وهو حقيقة للسالك: والطريقة تقوم على التزام الأوراد ودوام الذكر ومتابعة إرشادات شيخ الطريقة، والطريقة مندوبة لكل مسلم، قال تعالى: {وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا}، أما الحقيقة فهي تتمثل في الفتوحات والكشوفات والتجليات والمعارف والحقائق التي قد يعبر عنها بعض العارفين من الصوفية، إن أهل الحقيقة قد يكرمهم الله تعالى بالكرامات كالكشف والإلهام، ولكنهم وإن كانوا على علم عال رفيع إلا أنهم ليسوا بأنبياء ولا معصومين، ومن هنا فليس كلامهم مسلمًا إلا إن وافق قواعد الشرع وأدلته، **و (الحقيقة الرابعة)** الذكر منشور الولاية وعمدة الطريق الصوفي: كما أنّ الذكر هو قوام التصوف الذى هو روح الإسلام، والذكر له المكانة الرفيعة فهو في ذروة العبادات والطاعات **(الحقيقة الخامسة)** أهمية الأوراد في حياة المسلم فضلا عن الصوفي السالك لطريق الإحسان، فينبغي لكل مسلم – فضلا عن الصوفي السالك طريق الإحسان – أن تكون له أوراد يومية لا يقصر عنها، وهذا الورد اليومي الذي يرتبه المسلم

على نفسه ينبغي أن يلاحظ فيه أن يجعل له حداً أدنى لا بد أن يؤديه ثم بعد ذلك إن وجد فراغاً أو إقبالاً من النفس زاد،

**(الثانية)** تصحيح أخطاء الطرق الصوفية، والتي قد تم ذكرها في القاعدة الثالثة السابقة، تلك الأخطاء التي يتحمل وزرها أدعياء للتصوف المتمصلحون، أو الجهلاء، أو الغلاة المبتدعون، أو المنحرفون، أو المغرضون الذين تزيّوا بزي التصوف، وانتسبوا إليه، لأجل الإساءة إليه بأقوالهم وأفعالهم وسلوكهم، والتصوف منهم براء،

**(الثالثة)** اعادة ترتيب الطرق، بما يتناسب وطبيعة العصر، وبما يفرق بين أنواع الطرق ومسؤلياتها المتفاوتة ما بين: طريقة التبرك، وطريقة الإرشاد، وطريقة التربية والترقية،

**(الرابعة)** إعادة صياغة الأوراد بما يناسب العصر وتطوراته، وإعادة تهذيب الأدعية بما يكون مفهوما بعيدا عن التكلف والألفاظ الغريبة والأدعية التي كانت تناسب زمانا غير زماننا وأحوالا غير أحوالنا،

**(الخامسة)** التوافق على ميثاق للعمل الصوفي يقرب ولا يفرق يأخذ بالمتفق عليه ويبتعد عن المختلف عليه، ويأخذ بدرء الشبهات والجدية في المسؤوليات والبعد عن مواطن الخلاف، مع التركيز على صياغة تربوية جديدة للطرق تناسب العصر والحال، والتركيز على إعادة صياغة الطريق إلى الحقائق وصناعة الأولياء، والتركيز على عوامل الوحدة والتكاتف لتحقيق التجديد في التصوف القائم على ثغر التزكية ومرتبة الإحسان أعلى مراتب الدين

***

# المبحث التاسع والاربعون

# رسالة إلى الوهابية أعداء التصوف

ويشتمل على تلك المطالب

المطلب الأول: موقف الإمام أحد بن حنبل من التصوف والصوفية

المطلب الثاني: موقف ابن تيمية من التصوف

المطلب الثالث: أقوال ابن تيمية وبعض تلامذته في التصوف

المطلب الرابع: تجديد أمر الدين يحتاج إلى التمسك بالسلفية الصحيحة والصوفية الصحيحة

## المطلب الأولى

## موقف الإمام أحد بن حنبل من التصوف والصوفية

**يقول أسعد الخطيب في بيان موقف الإمام أحمد بن حنبل من التصوف والصوفية:** " يجمع معظم الباحثين والمؤرخين القدماء والمعاصرين على أن التصوف ظهر في القرن الثاني الهجري وهو وليد حركة الزهد والنسك في الإسلام التي كان عليها الصحابة والتابعون رضوان الله عليهم، ويوضح ذلك ابن خلدون عند كلامه على نشوء علم التصوف قائلاً: (وكان ذلك عاماً في الصحابة والسلف فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة) ويعد القرن الثالث الهجري مرحلة هامة بلغ فيها التصوف النضج والكمال، وأصبحت له قواعد معروفة، كما شكل الفقهاء وأصحاب الحديث علم الحديث والمذاهب الفقهية المشهورة، ولكن السؤال هنا: ما هو موقف الإمام الجليل أحمد بن حنبل (164-241هـ) صاحب المذهب المشهور من التصوف والصوفية؟ في الحقيقة إن أصحاب المذاهب الأربعة وعلى رأسهم الإمام أحمد وإن غلب عليهم الاشتغال بالأمور الشرعية للضرورة القاضية بذلك فإنهم لم يكونوا متجرين بالفقه بل كانوا أيضاً كما يقول الإمام الغزالي في الإحياء: من العلماء بالله مراقبين قلوبهم، مشتغلين بمعارف ربهم عما سواهم من الخلق... وما دمنا في صدد الكلام عن الإمام أحمد بن حنبل يجدر أن نذكر وصف "أبو زرعة" له: ما رأت عيني مثل الإمام أحمد في العلم والزهد والفقه والمعرفة، ولا شك أن أصول الصوفية الصحيحة المتفرقة في ثنايا الكتب اجتمعت في شخصية الإمام أحمد، وهو

رضي الله عنه ممن تكلم بعلوم الصوفية كما صرح بذلك ابن تيمية حين قال في رسالته (الصوفية والفقراء): (وقد نقل التكلم به من غير واحد من الأئمة والشيوخ كالإمام أحمد وأبي سليمان الداراني وغيرهما)، ولذلك ليس غريباً أن نجد ترجمة الإمام أحمد مذكورة في معظم كتب تراجم الصوفية مثل حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، والكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، والطبقات الكبرى للشعراني، وفي كشف المحجوب للهجويري: (وكل السادة الصوفية من جميع الطبقات يعتقدون فيه البركة)، وقلَّ أن نجد كتاباً من كتب التراث الصوفي يخلو من أثر عن الإمام أحمد، خاصة في الرسالة القشيرية، وكتاب الفتوحات المكية، وكتاب تنوير القلوب، وكتاب إحياء علوم الدين، حتى إن البعض عند الكلام عنه وصفه بأنه: (مقتدى الطائفة)، وقد قسمنا بحثنا هذا إلى قسمين: (الأول) موقف الإمام من قضايا التصوف، و (الثاني) علاقة الإمام أحمد مع أبرز صوفية عصره،

## ( أولاً): قضايا التصوف وموقف الإمام أحمد منها:

**(1) التوسل:** قال ابن تيمية في فتاواه: قال أحمد في نسكه الذي كتبه للمروزي صاحبه أنه يتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم في دعائه، وروى ابن مفلح في الآداب الشرعية عن أحمد بن حنبل أنه قال: حججت فضللت الطريق وكنت ماشياً فجعلت أقول يا عباد الله دلوني على الطريق فلم أزل أقول ذلك حتى وقعت على الطريق، وقد ثبت عن الإمام أحمد أنه قال عند القحط وعند انقطاع المطر: يتوسل الداعي الذي يصلي صلاة الاستسقاء بالرسول صلى الله عليه وسلم، وقد ثبت أيضاً أن الإمام أحمد توسل بالإمام الشافعي رضي الله عنهما، حتى تعجب ابنه عبد الله من ذلك فقال له الإمام أحمد: إن الشافعي كالشمس للناس وكالعافية للبدن، **(2) التبرك:** جاء في خلاصة الوفاء للسمهودي وفي كتاب العلل والسؤالات لعبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: سألت أبي عن رجل يمس قبر النبي صلى الله عليه وسلم ويفعل بالمنبر مثل ذلك فقال: لا بأس به... ويعزز هذا الكلام قول الذهبي: أين المتنطع المنكر على أحمد؟ وقد ثبت أن عبد الله سأل أباه عمن يلمس رمانة قبر النبي ويمس الحجرة النبوية فقال: لا أرى بذلك بأساً، وختم الذهبي كلامه: أعاذنا الله وإياكم من رأي الخوارج والبدع، وقال السندي الخواتيمي: سألت أبا عبد الله عن الرجل يأتي هذه المشاهد، فقال: على ما كان يفعله ابن عمر يتتبع مواضع النبي صلى الله عليه وسلم وأثره، فليس بذلك بأساً أن يأتي الرجل المشاهد، وقال عبد الله بن أحمد: رأيت أبي آخذاً شعرة من شعر النبي صلى الله عليه وسلم فيضعها على فيه يقبلها وأحسب أني رأيته يغمسها بالماء ويشربه يستشفي به، **(3) العزلة:** قال الإمام أحمد رضي الله عنه: الخلوة أروح لقلبي،

وقال مرة: أريد نزول مكة في شِعْب من تلك الشعاب حتى لا أعرف، وقال ابنه عبد الله: لا يمكن لأحد أن يقول: إنه رأى أبي في هذه النواحي يوماً إلا إذا خرج إلي الجمعة، وكان أصبر الناس على الوحدة، وبِشْرٌ رحمه الله لم يكن يصبر على الوحدة، وقيل لأحمد بن حنبل: ما حجتك في ترك الخروج إلى الصلاةَ في جماعة ونحن بالعسكر؟ فقال: إن الحسن وإبراهيم التيمي خافا أن يفتنهما الحجاج وأنا أخاف أن أفتتن أيضاً، واستشهد رحمه الله بقول مطرف التابعي الكبير: (تفقهوا ثم اعتزلوا)، قال فتح بن نوح: سمعت أحمد يقول: أشتهي مكاناً لا يكون فيه أحد من الناس، طوبى لمن أخمل الله ذكره، **(4) السماع:** جاء في طبقات الحنابلة في ترجمة يحيى بن منده: حدثنا الخلفاني، قلت لأحمد بن حنبل: ما تقول في القصائد أي السماع الذي يتواجد عليه الصوفية؟ قال: مثل ماذا؟ قلت مثل: (إذا ما قال لي ربي أما استحييت تعصيني... وتخفي الذين من غيري وبالعصيان تأتيني ) قال: فرد الباب وجعل يردد هذا الشعر، وقد نقل العلامة السفاريني الحنبلي عن إبراهيم القلانسي أن الإمام أحمد قال عن الصوفية: لا أعلم قوماً أفضل منهم، قيل: إنهم يستمعون ويتواجدون قال: دعوهم يفرحوا مع الله ساعة، **(5) الزهد:** وتعريفه هو أن تكون مما في يد الله أوثق مما في يدك، ولأحمد بن حنبل كتاب خاص في الزهد شحن فيه أقوال الصحابة وكبار التابعين والصوفية أمثال إبراهيم بن أدهم ومالك بن دينار والفضيل بن عياض ومحمد بن واسع وسواهم وكان رضي الله عنه يقول: أسرّ أيامي أصبح ليس عندي شيء، ويستشهد بعبارة أحد الربانيين: اهتمامك برزق غد يكتب عليك خطيئة... وقيل له: إن همة هؤلاء الصوفية كِسْرة وخرقة فقال: لا أعلم أعظم قدراً من هذه صفته، قال صالح بن أحمد بن حنبل، رأيت أبي يأخذ الكسر (الخبز) وينفض الغبار عنها ثم يصب عليها الماء ثم يأكلها بالملح، وقد أرسل له مرة المتوكل طبيباً فقيل له: يا أمير المؤمنين إن أحمد بن حنبل ليس به علة في بدنه إنما هذا من قلة الطعام وكثرة الصيام والعبادة، فقد كان رحمه الله يقول: الخوف منعني من الطعام والشراب، وقال النحوي: رأيت الإمام أحمد وعليه ثياب غلاظ، وقال أبو طالب الشابي: سئُل أحمد ما الزهد في الدنيا فقال: قصر الأمل والإياس مما في أيدي الناس، أما ابن القيم فيذكر أن الزهد عند الإمام أحمد ثلاث أنواع: الأول: ترك الحرام وهو زهد العوام، والثاني: ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص، والثالث: ترك ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين، **(6) الإخلاص:** قال رحمه الله: هو الخلاص من آفات الأعمال فخلص أعمالك من الغرور والشرك ومما يلائم نفسك، والشرك الذي كان يحذر منه الإمام أحمد ذكره في مسنده عندما أورد قول شداد بن أوس للرسول صلى الله عليه وسلم: أتشرك أمتُك من بعدك؟ قال: نعم أما إنهم لا

يعبدون شمساً ولا قمراً ولا حجراً ولا وثناً ولكن يراؤون بأعمالهم، وهناك حديث يتكرر كثيراً في مصنفات الصوفية وذكره الإمام أحمد في مسنده هو، قوله عليه الصلاة والسلام: (ما أخلص عبد قط أربعين يوماً إلا ظهرت ينابيعُ الحكمة من قلبه على لسانه)، **(7) الحديث الضعيف:** قيل إن أحمد بن حنبل كان يحفظ ستمائة ألف حديث ما بين الصحيح والحسن والضعيف، وفسر الإمام أحمد ذلك قائلاً: (إذا روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحلال والحرام والسنن والأحكام تشددنا في الأسانيد، وكذلك إذا جاء الحديث في الكفارات والحدود والفرائض وإذا روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضائل الأعمال وثوابها وترغيبها وما لا يضع حكماً ولا يرفعه تساهلنا في الأسانيد) وهو يستدل بكلام أحد زهاد التابعين: (إن للحديث ضوء كضوء النهار تعرفه، وظلمة كظلمة الليل تنكره)، **(8) الأبدال:** لا نعلم أحداً من الفقهاء الأربعة المشهورين أكثر من ذكر الأبدال مثل الإمام أحمد، مثال على ذلك: ما جاء في مسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الأبدال بالشام وهم أربعون رجلاً كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً يسقى بهم الغيث وينتصر بهم على الأعداء ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب، **(9) تقبيل القبر الشريف:** أجاز الإمام أحمد تقبيل القبر، قال الحافظ العراقي: أخبرني أبو سعيد العلاني قال: رأيت في كلام ولد أحمد بن حنبل في جزء قديم أن الإمام أحمد سئل عن تقبيل قبر النبي صلى الله عليه وسلم وتقبيل غيره، فقال: لا بأس بذلك، فأريناه ابن تيمية فصار يتعجب من ذلك، وروى الإمام أحمد (وجد مروان بن الحكم رجلاً واضعاً وجهه على القبر الشريف فأخذ مروان برقبته ثم قال: هل تدري ما تصنع؟ قال: نعم إنما جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم آت الحجر، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله، ولكن ابكوا على الدين إذا وليه غير أهله)، **(10) تقبيل المصحف:** قال الإمام أحمد ما سمعت فيه شيئاً، ولكن روي عن عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه أنه كان يفتح المصحف ويضع وجهه عليه ويقول: كلام ربي كلام ربي، **(11) تقبيل اليد:** سُئل عنها الإمام أحمد فقال: لا أرى بها بأساً عن طريق التدين، وكرهها عن طريق الدنيا، وقال الخلال: حدثنا عبد الله بن أحمد قال: رأيت كثيراً من العلماء والفقهاء والمحدثين يقبلون يد أبي ويعظمونه تعظيماً، **(12) قراءة القرآن على الميت:** قال أبو بكر المروزي: سمعت أحمد بن حنبل يقول: إذا دخلتم المقابر فاقرؤوا آية الكرسي، وثلاث مرات قل هو الله أحد ثم قولوا: اللهم اجعل فضله لأهل المقابر، قال ابن تيمية: إنه يجوز إهداء ثواب العبادات إلى موتى المسلمين كما هو مذهب أحمد، **(13) كتابة التمائم وتعليقها:** ذكر ابن القيم في زاد المعاد، أن الإمام أحمد سُئل عن التمائم تعلق

بعد نزول البلاء فقال: أرجو أن لا يكون به بأساً، وقال ابن تيمية: نقلوا عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه كان يكتب كلمات من القرآن والذكر ويأمر بأن تسقى لمن به داء، ونص الإمام أحمد على جوازه، **(14) الذكر:** أورد الإمام أحمد في مسنده قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون) وفي المسند أيضاً قال صلى الله عليه وسلم لجعفر بن أبي طالب: (أشبهت خَلْقي وخلُقي فحَجَل)، قال ابن حجر العسقلاني: حجل أي وقف على رجل واحدة، وهو الرقص بهيئة مخصوصة، **(15) مناجاته:** كان أحمد بن حنبل يناجي الله عز وجل مناجاة الصوفية فيقول: اللهم، إن كنت تعلم أني أحبك خوفاً من نارك فعذبني بها، وإن كنت تعلم أني أحبك طمعاً في جنتك فاحرمنياها، وإن كنت تعلم أني أعبدك حباً مني إليك وشوقاً إلى وجهك الكريم فابحنياه مرة واصنع ما شئت، **(16) أدبه:** قال إبراهيم الحربي: كان أحمد بن حنبل وفّق للأدب، كان يجتمع في مجلس أحمد زهاء خمسة آلاف، خمسمائة يكتبون والباقون يتعلمون منه حسن الأدب، وكان مرة متكئاً من علة، فذكر عنده أحد الصالحين فاستوى جالساً وقال: لا ينبغي أن يذكر الصالحون فيتكأ، وقد روى الإمام النووي أن الإمام أحمد عندما رأى أحد هؤلاء الصالحين وثب إليه وأكرمه فلما مضى قال له ابنه عبد الله: يا أبت تعمل به مثل هذا العمل؟ فقال: يا بني، لا تعارضني في مثل هذا، قال ابن المنادي: سمعت جدي يقول: كان أحمد بن حنبل من أحسن الناس عشرة وأدباً، كثير الإطراق والسكوت، لا يسمع منه إلا المذاكرة بالحديث وذكر الصالحين والزهاد، **(17) الكرامات:** ذهب الإمام أحمد إلي جواز الكرامات للأولياء وضلّل من ينكرها، قال التاج السبكي: فإن قلت: ما بال الكرامات في زمن الصحابة قليلة وبعدهم على يد الأولياء أكثر؟ فالجواب ما قاله الإمام أحمد بن حنبل: لأن قوة إيمانهم لا يحتاج معها إليها، ولأن الزمن الأول كان كثير النور، ألا ترى أن القنديل لا يظهر نوره بين القناديل، والنجوم لا يظهر لها نور مع ضوء الشمس، وقد وقعت للإمام أحمد كرامات عديدة، قال صاحب الجوهر: المحصل في مناقب الإمام أحمد بن حنبل له رضي الله عنه كرامات مشهورة ودعوات بالإجابة مبرورة، منها ما ظهر في حياته ومنها ما كان بعد مماته، جاء مرة حفيده ينزف من منخريه وعجز الطبيب عن ذلك، فجعل الإمام أحمد يحرك يديه ويدعو له فانقطع الدم، وحدّث أبو حرارة، قال: كانت أمي مقعدة نحو عشرين سنة، فقالت لي يوماً: اذهب إلى أحمد بن حنبل فاسأله أن يدعو الله لي، فذهبت إليه ودعا لها وعدت إلى البيت، فوجدت أمي تمشي على رجليها، وقال عبد الله بن موسى: خرجت أنا وأبي في ليلة مظلمة نزور أحمد فاشتدت الظلمة، فقال أبي: يا بني، تعال نتوسل إلى الله تعالى بهذا العبد الصالح، فدعا أبي، فأضاءت السماء كأنها

ليلة مقمرة حتى وصلنا إليه، **(18) في مصطلحات أخرى: المحبة:** قال رضي الله عنه: سل عنها "بشر الحافي" لأني لا أجيبك عنها ما دام حياً، **الرضا:** قال: لكل شيء كرم، وكرم القلوب الرضا عن الله، وقال أيضاً: الرضا ثلاثة أشياء: ترك الاختيار، وسرور القلب بمر القضاء، وإسقاط التدبير من النفس، **المريد:** قال: أن يكون مع الله كما يريد، وأن يترك كل ما يريد لما يريد، **الفتوة:** قال: هي ترك ما تهوى لما تخشى، **التواضع:** مثال على ذلك قوله: أخذنا هذا العلم بالذل، **المجاهدة:** قال المجاهد: من جاهد نفسه في ذات الله، **التوكل:** قال: هو الثقة بالله وقال أيضاً: التوكل هو استشراف باليأس من الناس، وهذا قريب من كلام الإمام الجُنيد رضي الله عنه: التصوف الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق،

**(ثانياً): علاقة الإمام أحمد مع صوفية عصره:** لقد عاصر الإمام أحمد بن حنبل (164-241 هـ) طائفة من كبار الصوفية، وعلاقته معهم كانت قائمة على المودة والتقدير والاحترام المتبادل، وكان يقول: (صار القوم أئمة بالإخلاص وعند ذكرهم تتنزل الرحمة) وعلى رأس هؤلاء القوم:

**(1) بشر بن الحارث:** ت 227هـ: وقد سُئل عنه الإمام أحمد فقال: (هو رابع سبعة من الأبدال) وكان يقول: الطريق ما كان عليه بشر بن الحارث، وقال الحسن الرازي قيل لأحمد: يجيئك بشر بن الحارث قال: لا تعنِّ الشيخ، نحن أحق أن نذهب إليه، وقال بشر عن الإمام أحمد خلال محنته: إن ابن حنبل دخل الكير فخرج ذهباً أحمر، فبلغ ذلك الإمام أحمد فقال: الحمد لله الذي رضى بشر بما صنعنا، وقال عندما بلغه موت بشر: لم يكن له نظير، ونستنتج من أخبار المؤرخين عن هذين الشيخين الجليلين، أن البغداديين كانوا يرون أنهما في مرتبة واحدة، وكانوا يقولون: مثل الإمام أحمد بن حنبل مثل دجلة، كل أحد يعرفها، ومثل بشر بن الحارث كمثل بئر عذبة مغطاة لا يقصدها إلا الواحد بعد الواحد،

**(2) أحمد بن أبي الحواري:** ت 203هـ: عن يحيى بن معين قال: التقى أحمد بن حنبل وأحمد بن أبي الحواري بمكة ودار بينهما الحوار حول قول أبي سليمان الداراني: (إذا اعتادت النفوس على ترك الآثام جالت في الملكوت، وعادت إلى ذلك العبد بطرائف الحكمة من غير أن يؤدي إليها عالم علماً، وتعجب الإمام أحمد من هذا القول ووجد ما يدعمه في قوله صلى الله عليه وسلم: "من عمل بما يعلم، ورثة الله علم ما لم يعلم" ثم قال لأحمد بن أبي الحواري: صدقت يا أحمد وصدق شيخك)، وفي قوت القلوب كان أحمد بن حنبل يقول: العلم ما جاء من فوق، قال يعني إلهاماً من غير تعليم،

**(3) حاتم الأصم**: ت 237هـ: لما دخل حاتم بغداد واجتمع إليه أهلها فقالوا: يا أبا عبد الرحمن أنت رجل أعجمي وليس يكلم أحد إلا قطعته، قال ذلك في ثلاث خصال إضهرن على خصمي: افرح إذا أصاب خصمي، واحزن إذا أخطأ، وأحفظ نفسي ألا أجهل عليه، فبلغ ذلك الإمام أحمد فقال: سبحان الله ما أعقله قوموا بنا إليه، فلما دخلوا عليه قيل له: يا أبا عبد الرحمن، ما السلامة من الدنيا؟ قال: يا أبا عبد الله لا تسلم من الدنيا حتى يكون معك أربعة خصال: تغفر للقوم جهلهم، وتمنع جهلك عنهم، وتبذل لهم شيئك، وتكون من شيئهم آيساً، فقال: يا حاتم إنها لشديدة، فقال حاتم: وليتك تسلم وليتك تسلم،

**(4) يحيى بن الجلاء**: ت 258هـ: عن الطرسوسي قال: ذهبت أنا ويحيى بن الجلاء إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل فسألته: يا أبا عبد الله، بم تلين القلوب؟ فقال: بأكل الحلال، فمررنا إلى بشر بن الحارث، فقلت له: بم تلين القلوب، قال ألا بذكر الله تطمئن القلوب، قلت له: إن ابن حنبل قال: بأكل الحلال فقال جاء بالأصل،

**(5) معروف الكرخي**: ت 200هـ: وصف معروفاً الإمام أحمد بعد أن رآه بأنه (فتى عليه أثار النسك)، وكان أحمد بن حنبل يذهب إلى معروف ويسأله، وقد سأل عبد الله والده أحمد مرة: هل كان مع معروف شيء من العلم؟ قال: كان معه رأس العلم وهو خشية الله، وذكر يوماً في مجلس الإمام أحمد قول أحدهم عن معروف هو قصير العلم، فقال: أحمد: امسك عافاك الله، وهل يراد بالعلم إلا ما وصل إليه معروف،

**(6) سري السقطي**: ت 253هـ: وهو خال الإمام الجنيد وشيخه، قال الحسن البزار سألت أحمد بن حنبل عن السري بعد قدومه من الثغر، فقال: أليس الشيخ الذي يعرف بطيب الغذاء (أي أكل الحلال) قلت: بلا، فأثنى عليه، وقد أراد السري السقطي –وكان تاجراً– أن يوصل إلى أحمد شيئاً فرده، فقال له: يا أحمد احذر آفة الرد فإنها أشد من آفة الأخذ، فشرح أحمد صدراً بما قال السري، وأجاب: ما رددت ذلك إلا لأن عندي قوت شهر، فإذا كان بعد شهر فأنفذه إلي، وعلق صاحب كتاب (أحمد بن حنبل إمام أهل السنة) على ذلك بقوله: وأحمد يستفيد من كلام السري، ولا يلقي القول بإصرار رجل تستعبده آراؤه فتلك كبرياء على العلم والعلماء،

**(7) أبو حمزة الصوفي:** ت 692هـ: هو محمد بن إبراهيم اجتمع بالإمام أحمد كثيراً، وكان أحمد بن حنبل يجله ويعظمه، وإذا جرى في مجلسه شيء من كلام القوم يلتفت لأبي حمزه ويقول: (ما تقول فيها يا صوفي؟) .، وجاء في تنوير القلوب: إن الإمام أحمد بعد أن اجتمع مع أبي حمزه، قال لولده: يا ولدي عليك بمجالسة هؤلاء القوم، فإنهم زادوا علينا بكثرة العلم والمراقبة والخشية والزهد،

**(8) الحارث المحاسبي:** ت 243هـ: وقد ذكر بعض المؤرخين، أنه في البداية كان بينه وبين الإمام أحمد جفاء بسبب مسائل في علم الكلام، واتفق أن الإمام أحمد أمر بعض صحبه أن يجلسه بحيث يسمع كلام الحارث ولا يراه، ففعل فتكلم الحارث وأصحابه يسمعون كأنما على رؤوسهم الطير، ثم أخذوا يبكون فبكى أحمد حتى أغمي عليه وقال لصاحبه: ما رأيت كهؤلاء ولا سمعت في علم الحقائق مثل كلام هذا الرجل، لكن مع ما وقفت من أحوالهم لا أرى لك صحبتهم، قال السبكي في طبقاته: إنما قال له ذلك لقصوره عن مقامهم فإنهم في مقام ضيق، ولا ننسى أن نذكر أن المحاسبي كان يحمل التقدير لابن حنبل، مؤيداً موقفه من المحنة، وقال ابن تيمية: المحاسبي أعلم المتأخرين بالسنن والآثار،

**(9) أبو عثمان الوّراق:** ت 260هـ: وقد تخرج به أكثر نجوم البغداديين في التصوف وعنه أخذوا التجرد وسياسة النفوس كما قال أبو نعيم، وأضاف أن الإمام أحمد بن حنبل كان يحمد سيرته،

**(10) أبو بكر المغازلي:** ت 282هـ: ذكر الذهبي في ترجمته هو الإمام الولي الرباني كان من البدلاء، له أحوال عجيبة، وكان الخلال يقول: كان أبو عبد الله يقدمه ويكرمه ويقول: من مثله!،

**(11) أبو تراب النخشبي:** ت 245هـ: وقد أخذ عنه الإمام أحمد، وقال ابن العماد: أبو تراب النخشبي دخل بغداد مرات واجتمع بالإمام أحمد بن حنبل،

**(12) أبو جعفر الطوسي:** ت 254هـ: وهو أستاذ الصوفيه المشهور أبي سعيد الخراز، قال أبو بكر المروزي: سألت أبا عبد الله عن أبي جعفر فقال: لا أعلم إلا خيراً،

**(13) أبو إبراهيم السائح:** قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: كان في دهليز أبي دكان، فإذا جاءه إنسان يريد أن يخلو به أجلس عليه، فدخله أبو إبراهيم السائح، فقال لي أبي: سلّم عليه فإنه من خيار المسلمين وكبارهم،

**(14) أبو إسحاق النيسبوري:** قال الذهبي: كان أحمد بن حنبل يغشاه ويحترمه ويجله ويقول عنه: إن كان ببغداد أحد من الأبدال، فأبو اسحاق النيسبوري،

**(15) ذو النون المصري:** ت 246هـ: قال المرزوي: دخلت على ذي النون أيام محنته وهو في السجن فقال لي: أي شيء حال سيدنا؟- يعني أحمد بن حنبل، وقال الإمام أحمد لذي النون، لما سُمّي يحيى بن الجلاء بابن الجلاء، فقال: سميناه بذلك، لأنه إذا تكلم جلا قلوبنا،

**(16) موسى الجصاص:** ت 251هـ: قال الخطيب البغدادي عنه: (ورع متخل كان لا يحدث إلا بمسائل أبي عبد الله أحمد بن حنبل وشيء سمعه من أبي سليمان الداراني، وقال غيره: هو من قدماء أصحاب الإمام أحمد: كان ذا زهد وورع وتأله،

**(17) زكريا الهروي:** ت 255هـ: قال الذهبي والجامي: هو من كبار مشايخ الصوفية وورعيهم، وكان أحمد بن حنبل يرفع من محله ويقول عنه: هو من الأبدال،

**(18) فتح بن شخرف:** ت 273هـ: كان يقول عنه الإمام أحمد (ما أخرجت خراسان مثله)، وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: كتب لي الفتح بن شخرف الخراساني: (يقولون: علماء الأزمنة ثلاثة: ابن عباس في زمانه والشعبي في زمانه والثوري في زمانه، وأنا قلت للحارث المحاسبي: وابن حنبل في زمانه، فقال المحاسبي: نزل بالإمام أحمد ما لم ينزل بغيره،

**(19) وكيع بن الجراح:** ت 200هـ تقريباً: الكوفي الصوفي المحدث قيل: كان يصوم الدهر، قال أحمد بن حنبل: لو رأيت وكيعاً رأيت عجباً، حج أربعين حجة ورابط في عبادان أربعين ليلة، ولم يتلطخ بالسلطان،

**(20) وهناك آخرون كثُر من العارفين** لو سردنا أخبارهم هنا لطالت القائمة مثل أيوب الحمال وصفوان بن سليم ويحيى القطان وأحمد بن أبي بدر وإبراهيم النيسبوري وأبو يوسف الغسولي، وغيرهم، كان الإمام أحمد يقول عنهم: هم من خيار عباد الله يستنزل بذكرهم القطر، وما رأت عيناي مثلهم، وكان يطلق على بعضهم صفة الأبدال، أفضلُ ختام لبحثنا هذا: دعاء للإمام أحمد بن حنبل كان يردده في سجوده (اللهم من كان على هوى أو على رأي وهو يظن أنه على الحق وليس هو على الحق، فرده إلى الحق حتى لا يضل من هذه الأمة أحد)، قال إبراهيم بن شماس: خاض بالناس فقالوا: إن وقع أمر في أمة محمد صلى الله عليه وسلم فَمَنْ الحجة على وجه الأرض، فاتفقوا

كلهم على أن أحمد بن حنبل حجته، عاش الإمام أحمد (77) سنة، ودفن بعد وفاته في مقبرة باب حرب ببغداد، وصلى عليه خلائق لا يحصى عددهم، قال صاحب مختصر طبقات الحنابلة: وقبره ظاهر مشهور يزار ويتبرك به، انتهى [مبحث في بيان موقف الإمام أحمد بن حنبل من التصوف والصوفية لأسعد الخطيب]،

***

## المطلب الثاني

## موقف ابن تيمية من التصوف

**جاء في رسالة: " موقف ابن تيمية من التصوف والصوفية ومنهجه في الحكم عليهم " لغنيم غنيم عبد العظيم:** – باختصار –:

- **لم يكن ابن تيمية ممن يؤثر عنه القول ببدعية لفظ الصوفية كما يجنح إلى ذلك كثير من متأخري أهل السنة، فقد قال ابن تيمية أن هذا اللفظ لم يكن مشهورا في القرون الثلاثة، وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك، ونُقِلَ التكلم به عن غير واحد من الأئمة والشيوخ كالإمام أحمد وأبي سليمان الداراني وغيرهما، كما رُوِيَ عن سفيان الثوري أنه تكلم به وبعضهم يذكر ذلك عن الحسن البصري وتنازعوا في "المعنى" الذي أضيف إليه الصوفي –فإنه من أسماء النسب كالقرشي، والمدني وأمثال ذلك [انظر مجموع الفتاوى (11: 5–6]، وهذه الدقة في قول ابن تيمية توضح**

قاعدة التفريق بين شهرة المصطلح وبين وجوده، فالوجود غير الشهرة، وهنا يجب الإشارة أن القول ببدعية هذا الاصطلاح أقل ما يوصف به السطحية، لأن الاصطلاح لا يقف عند القرون الثلاثة المفضلة، فهذه القرون الثلاثة المفضلة المشهور لها بالخيرية لما كانت عليها من منهج وعقيدة، والمشاحة ليست في الاصطلاح، وإنما فيما تحمله من معانٍ، فالاصطلاح إنما يكون من باب التصنيف لا التعبد، وما نشأت اصطلاحات المسلمين إلا في أوقات متأخرة عن عهد النبوة، ولم يقل أحد ببدعيتها، كما أنه يمكن إلزام من قال أن مطلق اللفظ بدعة إلزامه بتبديع السلف الذين تداولوا المصطلح بينهم، فليس بصواب تبديع كل لفظ لم يأت في هذه القرون المفضلة، فكلام ابن تيمية يشير إلى تداول اللفظ ووجوده عند الإمام أحمد والحسن البصري والفضيل والجنيد وغيرهم من أوائل الصوفية، فهم من أئمة السلف، ومن أهل القرون الثلاثة المفضلة، وإقرارهم لوجود الاصطلاح حجة على من أنكره، فلا يمكن تجزءة مذهب السلف بقبول بعضه دون بعض، وقد ساهم ابن تيمية بوضع اصطلاحٍ كان في النفس منه شيء قبل الشروع في هذا البحث، ألا وهو صوفية أهل السنة والحديث، حيث ذكر هذا المصطلح ووصف به الصوفية المتقدمين كالفُضيل وإبراهيم بن أدهم وأبي سليمان الداراني ومعروف الكَرْخي وأمثالهم قال عنهم: " صوفية أهل السنة والحديث "، وذلك لأنهم في اعتقادهم وعملهم يؤمنون بما أخبر به الرسول ويَمْتَثلون أمره [انظر الرد على الشاذلي في حزبيه وما صنفه في آداب الطريق ص (73)]، وهذا القول منه يؤكد أنه كأحد أعلام المنهج السلفي لا ينكر الاصطلاح في ذاته، إذ لا مشاحة في ذاته، وإنما فيما يحمله من معانٍ وآراء، فالحكم يدور معها،

- الأسماء المختلفة للصوفية واشتقاق المصطلح عند ابن تيمية ونسبته: ومما يؤكد عناية ابن تيمية بالمعنى المراد من الاصطلاح، فقد تتبع الأسماء التي تسمى بها الزهاد الأوائل، وذكر أنه كان لهم أسماء عدة تختلف باختلاف مكانهم، فكانوا يسمون بالشام "الجوعية"، وبالبصرة " الفقرية " و " الفكرية "، ويسمون بخراسان " المغاربة " ويسمون أيضا " الصوفية والفقراء " [انظر مجموع الفتاوى (10: 368]، وهذا التعدد في الأسماء يدل على أن انتشار صورا المنهج الصوفي في بقاع الإسلام، مما يدل على أصالة نزعة الزهد لدى المسلمين، كما يدل على أن الأحكام التي تأتي من أحد العلماء كما ورد عن الشافعي في صوفية العراق، إنما تتصل بأهل هذا المصر فحسب،

إلا إن صرح بأن ذلك أصل للطائفة ككل، وحينما عرض ابن تيمية مذاهب شتى في اشتقاق التصوف والصوفية ذكر محاولة النسبة إلى صوفة بن مر، والصفاء، والصف المقدم، وأهل الصفة، إلا أن ما ارتضاه هو النسبة للباس الظاهر حيث قال: "واسم الصوفية هو نسبة إلى لباس الصوف، هذا هو الصحيح " [انظر مجموع الفتاوى (11: 195)]، وبين أن الصوفية لم يلزموا أحدا بلباس الصوف، وإنما نسبوا إليه لأنه كان ظاهر حالهم " [انظر مجموع الفتاوى (11: 16)]، ومما يلفت النظر انشغال ابن تيمية إلى حد تتبع اصطلاحاته وأوصاف أهله ونشأته، وهو إن دل فإنما يدل على التحقيق في المسائل، وعدم التعجل في إصدار الأحكام، وطول النفس العلمي في التتبع، لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، وهذا منهج سلفي أصيل ليت من ينتسب إليه أن يتتبعه، ولا يسيء إليه بتعجله، كما نرى فقه ابن تيمية في عدم حكمه على الصوفية الأوائل بالبدعة لأنهم لبسوا الصوف، وفسر أنهم قد لبسوه عفوا لا قصدا للتدين باللباس، وأنهم لم يلزموا أحدا بلباسهم، وهذا يخرجهم من طائل البدع التي جاء بها المتأخرون، فهم لم يتخذوا هذا اللباس دينا، وإنما كان يأخذه أحدهم تخشنا وزهدا في طلب المزيد للدنيا، فيكفيه ما يستر عورته فحسب،

- محاولة ابن تيمية لتعريف التصوف والملاحظات عليه: حينما أراد ابن تيمية أن يعرف التصوف كعلم، ذكر بعض المعاني التي تدور حوله، ثم ذكر ما يذهب إليه من خلال ما يعرفه من علومهم وما يعرفه من نواياهم، فعرف ابن تيمية التصوف بأنه حقائق وأحوال معروفة للوصول تهدف في نهاية الطريق إلى صفاء النفس من أجل الوصول لمرتبة الصديقية، وقيل أنه مشتق من "صفا من الكدر وامتلأ من الفكر واستوى عنده الذهب والحجر"، وقيل أنه:"كتمان المعاني وترك الدعاوى"، وهذه المرتبة –الصديقية– هي ما تلي مقام النبوة " [انظر مجموع الفتاوى (11: 16–17)]، والملاحظات على محاولة ابن تيمية لتعريف التصوف اشتماله ثلاثة أمور: (الأمر الأول): هو شق الغاية، وهو البحث عن مرتبة الصديقية التي تلي مرتبة النبوة، وهو اعتراف بالمنهج الصحيح للصوفية الأوائل بعدم القول بعلو منزلة الأولياء على الأنبياء، (الأمر الثاني): وهو الشق الوصفي للصوفي، وهو الزهد في الدنيا، والاتصاف بالأخلاق، والفناء الشرعي، (الأمر الثالث): وهو ما يختص بالحكم، فإنه لم يحكم على التصوف أو الصوفية بالبدعة في قول أو فعل من خلال التعريف، ويؤكد ذلك تعليقه بعد عرض هذه الآراء بعد أن عرض اختلاف الناس في التصوف

والصوفية بين من ذمهم مطلقا وقال أنهم مبتدعون خارجون عن السنة، وبين طائفة غلت فيهم وادعوا أنهم أفضل الخلق وأكملهم بعد الأنبياء، ثم بين أن الصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم، فمنهم السابق وفيهم المقتصد، ومنهم من يجتهد فيخطئ وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب، ومنهم من هو ظالم لنفسه عاص لربه، وأنه قد انتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة، ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم: كالحلاج مثلا، فإن أكثر مشايخ الطريق أنكروه وأخرجوه عن الطريق، كالجنيد وغيره " [انظر مجموع الفتاوى (11: 17-18)]،

- مراتب الصوفية عند ابن تيمية: في بيان ابن تيمية لمراتب الصوفية أنهم ثلاث مراتب: صوفية حقائق، وصوفية أرزاق، وصوفية رسم، الأولى: صوفية الحقائق، وهم أهل الزهد والوارع، الثانية: صوفية الأرزاق، وأما صوفية الأرزاق فهم الذين تم عمل الأوقاف لهم، ولم يشترط لهم العلماء أن يكونوا من أهل الحقائق لأنهم قليلون، فضلا عن أن أهل الحقائق لا يلتزمون بالتواجد في هذه الأوقاف، الثالثة: صوفية الرسم، وهم الذين اقتصروا على اللباس والآداب الوضعية، فهؤلاء بمنزلة الذي يقتصر على زي أهل العلم وأهل الجهاد ونوع ما من أقوالهم وأعمالهم بحيث يظن الجاهل حقيقة أمره أنه منهم وليس منهم " [انظر مجموع الفتاوى (11: 19-20)]، كما هو واضح: فإن ابن تيمية يفرق بين هذه المراتب بعضها البعض، فأعلاها المرتبة الأولى وهم أهل الحقائق، وأدناها أهل الرسم الذين يحاولون التشبه بأهل الحقائق، أهل الزهد والأخلاق، وليسوا منهم، كما أن الواضح من كلام ابن تيمية أنه يقر الصنفين الأول والثاني دون الثالث، وإقراره للصنف الثاني ليس معناه جواز ترك العمل والعكوف للعبادة فحسب، فقد رد هذا المبدأ حينما نفى أن يكون أصل الصوفية هم أهل الصفة كما مر معنا،
- قول الشيخ في الأصل الذي يرجع إليه التصوف في الدين: ذهب ابن تيمية إلى أن الزهد والعبادة هما أصل التصوف لأن أهل البصرة كانوا أهل عبادة، وأنهم إنما نسبوا إلى اللبسة الظاهرة وهي لباس الصوف فقيل في أحدهم: " صوفي "، إلا أن هذا اللباس كان زهدا منهم في الدنيا، ولما يلزموا به أحدا، ولا علقوا الأمر به، وإنما أضيفوا إليه لكونه ظاهر حالهم " [انظر مجموع الفتاوى (11: 16)]، ويوضح ابن تيمية أن من الصوفية من كان مشتغلا بالعلم والفقه كما كان منشغلا بالعبادة، ووضح ابن تيمية أن "الزهد " المشروع ترك ما لا ينفع في الدار الآخرة وأما كل ما

يستعين به العبد على طاعة الله فليس تركه من الزهد المشروع بل ترك الفضول التي تشغل عن طاعة الله ورسوله هو المشروع، وكذلك في أثناء المائة الثانية صاروا يعبرون عن ذلك بلفظ " الصوفي "، لأن لبس الصوف يكثر في الزهاد ومن قال إن الصوفي نسبة إلى الصفة أو الصفا أو الصف الأول أو صوفة بن بشر بن أد بن طانجة أو صوفة القفا، فهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى " [انظر مجموع الفتاوى (11: 28-29)]، ومعنى أن الصوف يكثر في الزهاد أنه يلبسه الزهاد وغيرهم، كما أن من الزهاد من لا يلبسه ويعتبره من الرياء، وقد ورد ذلك في أقوال أكابر الصوفية في النقد الذاتي للتصوف،

- كلام الشيخ في تقيد علم الصوفية بالكتاب والسنة، كان ابن تيمية دائما ما يذكر تقيد علم الصوفية بالكتاب والسنة، وكان يستشهد بكلام الشيخ أبي سليمان الداراني في عدم قبول ما يقع في قلبه إلا بشاهدين هما الكتاب والسنة، وكان يستشهد بقول أبي القاسم الجنيد رحمه الله عليه أن علم الصوفية مقيد بالكتاب والسنة، فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث، لا يصلح له أن يتكلم في التصوف ولا يقتدى به، وينقل عن أبي عثمان النيسابوري قوله أن من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا، نطق بالحكمة، ومن أمر الهوى على نفسه قولا وفعلا، نطق بالبدعة، لأن الله تعالى يقول في كلامه القديم: {وإن تطيعوه تهتدوا}، وقول أبو عمر بن نجيد: كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل " [انظر الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (74)]، فليس كل من انتسب للتصوف صار قوله هو قول الصوفية، فما كان موافقا للكتاب والسنة فهو مقبول، وإلا فهو مردود، لأن الهداية كلها في نصوص الوحي، فالمعتبر عن العارفين بالله المذكورين في كون معيار الولاية الشرعية هو لزوم الكتاب والسنة، لذلك أبان ابن تيمية أن الصوفية المعيارية هي ما تقيدت بالكتاب والسنة، والمراد بالمعيارية ما يقاس عليه غيرها، والتي تؤدي لمنهج السلف، وأن من خالف ذلك فهو ضال زنديق ليس من أهل الطريق، لأنه ما من سالك للطريق يستغنى عما أخبر به النبي -صلى الله عليه وسلم- أو يخالفه في أمره " [انظر بيان تلبيس الجهمية (2: 186-187)]، ومن زعم حصول العلم بغير هذا الطريق فهو عندهم ضال زنديق، لأنه لا يجوز قط أن يستغني سالك عن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم " [انظر بيان تلبيس الجهمية (2: 186-187)]، وقد نقل ابن تيمية أمر الصوفية بالعلم، والحكم بزندقة من أنكر سبيله، فإن كبار

مَشَايِخ الصُّوفِيَّة أوصوا به " [انظر الاستقامة (2: 162)]، اتفقوا على وجوب تعلم العلم الشرعي والنظر والاعتبار بما في المخلوقات من الآيات، وأنهم أعظم تجردًا من أهل الكلام والفقه،وقد أنكر ابن تيمية قول بعضهم أن مجرد ترك الشهوات والتجرد المحض يوجب معرفة الحقائق من معرفة ما جاءت به الرسل ومن غير نظر في ذلك وتدبر فهذا ليس طريق القوم الذين لهم في الأمة لسان صدق ولهذا وصيتهم بالعلم الشرعي والمحافظة عليه في الأصول الخبرية وفي الأعمال أعظم من أن يذكر هنا " [انظر بيان تلبيس الجهمية (2: 179)]، وقد ذكر ابن تيمية عن السري السقطي أن واحداً منهم دخل عليه فلما رأى عنده محبرة وقلما خرج ولم يجلس عنده، ولهذا أوصى سهل التستري الصوفية ألا يفارقوا المحبرة والأوراق لطلب العلك، لأن مفارقتهم زندقة، وذكر الشيخ قول الجنيد: علمنا هذا مبني على الكتاب والسنة فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الشأن " [مجموعة الرسائل والمسائل (5: 99)]،

- اعتراف ابن تيمية بصيانة أئمة الصوفية الأوائل طريقتهم من البدع بالعلم: حينما أراد ابن تيمية بيان صيانة الصوفية الأوائل مذهبهم من البدع والمحدثات استدل بقول القشيرى رَحمَه الله: "اعلموا أَن شُيُوخ هَذِه الطَّائِفَة بنوا قَوَاعِد أَمرهم على أُصُول صَحِيحَة فِي التَّوْحِيد صانوا بهَا عقائدهم عَن الْبدع ودانوا بِمَا وجدوا عَلَيْهِ من السّلف وَأهل السّنة من تَوْحِيد لَيْسَ فِيهِ تَمْثِيل وَلَا تَعْطِيل"، ثم علق ابن تيمية على قول القشيري بأنه كلام أئمة السلف والصوفية " [انظر الاستقامة (1: 91-90)]، وهذا دليل على أن هذه الأمور من المجمع عليها، وليس ذلك هو مناط الصيانة للمذهب فحسب، وإنما كان العلم المقتضي للصراط المستقيم وعدم الحيد عنه، لذلك أشار ابن تيمية إلى أن منهج الصوفية الأوائل هو اتباع العلم المشروع، وذلك بخلاف المنحرفين المغرضين المعرضين عن العلم والعمل، وهؤلاء هم المنحرفون الموافقين لعقيدة اليهود والنصارى " [انظر الاستقامة (1: 100)]،
- الاستدلال بمنهجهم والنقل عنهم في بيان عقيدته لأهل الأمصار: وقد كان من منهج ابن تيمية في تصانيفه لأهل الأمصار لبيان عقيدته الاستشهاد بالصوفية الأوائل، مما يعني أنهم حجة له ولمخالفيه، ويرى أنهم أصحاب علم مستقل يسمى التصوف، وأن فهمهم ومنهجهم موافق لما عليه سلف الأمة، يقول ابن تيمية في مسألة المحبة وتأويلها: "وَالَّذِي عَلَيْهِ سلف الْأمة وأئمتها

وَأهل السّنة والْحَدِيث وَجَمِيع مَشَايِخ الدّين وأئمة التصوف أَن الله مَحْبُوب لذاته محبَّة حَقِيقَة بل هِيَ أكمل محبَّة فَإِنَّهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى الْبَقَرَة وَالَّذين آمنُوا أَشد حبا لله " [انظر أمراض القلوب وشفاؤها (68)]، والمراد بأئمة التصوف في قول ابن تيمية هم المتقدمين منهم الذين كانوا أئمة من أئمة السلف، ليس المقصود منهم المبتدعة والمتفلسفين ومن خالفوا منهج السلف في العقائد والأعمال، وهذا يرد على من يستدل بأقوال ابن تيمية في التوثيق المطلق للصوفية المتقدمين عنه، فالشيخ كانت وفاته في القرن الثامن عام 728هـ، وإلى هذه السنة قد مر التصوف بمراحله كلها، إلا أن مرحلته الأخيرة التي هي الطرقية التي مازالت مستمرة إلى الآن، فالمدح الصادر من ابن تيمية إنما كان في الصوفية الأوائل الذين كانوا على منهج السلف ومن تابعهم في هذا المنهج، وليس في المتأخرين منهم،

- اعتماد ابن تيمية لعلوم الصوفية والثناء عليها: (أولا: التفسير الإشاري): لقد كان ابن تيمية على دراية بما أسهم به الصوفية الأوائل من علوم، فكان مما أشار إليه ابن تيمية من جهودهم ما صنفوه في علم التفسير، والذي علاف بالتفسير الإشاري، وليس المراد هنا التفسير الباطني الذي قام به الصوفية الباطنية، فقد صنف ابن تيمية الصوفية الباطنية مع طوائف الباطنية بقوله: "والباطنية: باطنية الشيعة وباطنية الصوفية " [انظر مجموع الفتاوى (5: 32)]، وإنما المراد التفسير الإشاري الذي يكون المراد فيه من باب القياس، فقد كان التفسير من جملة علوم الصوفية التي أبدع الصوفية فيها، كقول بعض الصوفية مثلا في تأويل قوله تعالى: "اذهب إلى فرعون إنه طغى" هو القلب، وفي تأويل قوله تعالى: "إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة"، هي النفس، وأمثال ذلك، مما يكون معناه صحيحا وإن لم يكن هو المراد باللفظ الظاهر، وهو الأكثر في إشارات الصوفية " [انظر مجموع الفتاوى (5: 551-552)]، ولا يعد هذا التفسير الإشاري تفسيرا لظاهر النصوص، بل يجعل من باب الاعتبار والقياس وهذه طريقة صحيحة علمية كما في قوله تعالى "لا يمسه إلا المطهرون"، وقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب"، فإذا كان ورقه لا يمسه إلا المطهرون، فمعانيه لا يهتدي بها إلا القلوب الطاهرة وإذا كان الملك لا يدخل بيتا فيه كلب فالمعاني التي تحبها الملائكة لا تدخل قلبا فيه أخلاق الكلاب المذمومة ولا تنزل الملائكة على هؤلاء " [انظر مجموع الفتاوى (5: 551-552)]، (ثانيا): كتب الرقائق والآداب

وأعمال القلوب: وحينما سُئِلَ ابن تيمية عن كتابي قوت القلوب والإحياء، أجاب أن كتاب قوت القلوب به من أعمال القلوب أمور جيدة، أثنى على مادته خاصة ما بها من أعمال القلوب، وبين أن صاحبه من أهل الحديث، وأنه أعلم بكلام الصوفية وغيرهم من الغزالي، وأن كلامه أجود تحقيقا وأبعد عن البدعة، إلا أن به أحاديث ضعيفة وموضوعة وأشياء كثيرة مردودة " [انظر مجموع الفتاوى (10: 552)]،

- اعتماد ابن تيمية للصوفية كنوع ثالث للعلماء: ومما أشار إليه ابن تيمية اعتماد الصوفية كنوع مستقل من العلماء، فحينما أشار إلى وجود الصحيح والضعيف في كتب الفقه، أشار لمثله في نوع آخر من الكتب أسماه "كتب الرَّقَائِق والتصوف"، وأشار إلى أن المصنفين قد يكونُونَ أَئِمَّة فِي الْفِقْه أَوْ التصوف اَوْ الحَدِيث، ثم أخذ يعرض وجهات النظر في رواية الأحاديث المكذوبة " [انظر الاستقامة (2: 67-68)]، والشاهد من كلام ابن تيمية اعتباره أن هناك نوع معين من العلوم يدعى التصوف، وأن هذا العلم له أئمة، وهذا العلم هدفه الرقائق والأخلاق وأعمال القلوب، وعنوان الرقائق هو من باب عطف الخاص على العام، وهو أمر مباح لما للخاص من أهمية، فهو كقوله تعالى: {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ} [البقرة: 238]،
- إتباع منهج العدل والإنصاف في الحكم على المخالف: أبان ابن تيمية أن العلماء الذين أخطأوا في الحكم على الصوفية صنفان: الأول: طائفة ذمت الصوفية والتصوف، وقالوا: إنهم مبتدعون خارجون عن السنة،الثاني: طائفة غلت فيهم وادعوا أنهم أفضل الخلق وأكملهم بعد الأنبياء،ثم أبان ابن تيمية حكمه في كلا الموقفين بقوله أن كلا طرفي هذه الأمور ذميم، والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله كغيرهم، ففيهم السابق، وفيهم المقتصد، ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه عاص لربه " [انظر مجموع الفتاوى (11: 17-18)]، وتطبيقا لهذا المنهج فقد قال ابن تيمية في القشيري أن ما كتبه فيه حق وباطل، وفيه نقص عن طريقة السلف، وفيه كلمات مجملة، وأحاديث ضعيفة، إلا أنه لا يجوز رفع التصوف فوق شأنه مطلقا أو ذمه مطلقا، موضح أن العدل والإنصاف أولى في الحكم، وكان ذلك سبب كتابته لكتاب الاستقامة، حتى يقف ويبين سبيل الأمة الوسط في الحكم على التصوف، وبيان طريقه الصحيح، وأن الوسطية ليست أن يرفع التصوف فوق قدره، أو أن يحط من قدره " [انظر الاستقامة (1: 89-90)]، وهذا العدل والإنصاف

من ابن تيمية رغم ما رآه من صوفية عصره، وعداوتهم الظاهرة له، والمناظرات التي عقدت بينهم، خاصة الطائفة الأحمدية، وابن عطاء الله السكندري، وكونهم سببا في سجنه عدة مرات، إلا أن ذلك لم يدفعه أن يظلمهم ويحكم عليهم حكما واحدا عاما، وإنما الحكم على الأشخاص يتطلب الورع والتجرد لله، وغايته النصح للمسلمين، فكما أنه كان شديدا على أهل الأهواء الذين ضلوا وأضلوا، إلا أنه كان منصفا مع الأوائل منهم،وهذا الإنصاف معهم في تأويل كلامهم وحمله على الحسن منه، والتأول لهم في بعض المواطن كان جليا في بعض المواطن، نذكر منها: (الأول): تفسير ابن تيمية للتوحيد عند الجنيد: ومما ذهب إليه ابن تيمية حينما حكى كلام الجنيد عن التوحيد أنه إفراد القدم من الحدث، فقال: " قلت هَذَا الْكَلَام فِيهِ إِجْمَال والمحق يحملهُ محملًا حسنا وَغير المحق يدْخل فِيهِ أَشْيَاء " [انظر الاستقامة (1: 91-92)]، وهذا معناه أنه لا بد من حمل الكلام محملا حسنا، وأنه ليس من الإنصاف إدخال أمور أخرى فيه، والمحمل الحسن ليس هو المحمل الشرعي الذي يوافق الدين، وإنما ما يوافق غالب كلام الشخص كما سيتبين بعد، (الثاني): مسألة السماع الصوفي عند المتقدمين: ويقول ابن تيمية أَن الْكَلَام الْمُجْمل من كَلَامهم لا بد أن يحمل على مَا يناسب سَائِر كَلَامهم " [انظر الاستقامة (1: 113-114)]، فقد تأول ابن تيمية للصوفية الأوائل في بعض ما صدر منهم كمسألة السماع، وقال أن هذه المسألة لم تكن في القرون الثلاثة المفضلة، فلم يجْتَمع على هَذَا السماع الْمُحدث ولا كان هناك من أحدٍ يمزق ثِيَابه وَلَا يرقص فِي سَماع، بل لما حدث التغبير بالعراق فِي أَوَاخِر الْمِائَة الثَّانِيَة وَكَانَ أَهله من خِيَار الصُّوفِيَّة، وتكلم عنه الشافعي ووصفه بالبدعة قائلا: خلفت بِبَغْدَاد شَيْئا أحدثته الزَّنَادِقَة يسمونه التغبير يصدون بِهِ النَّاس عَن الْقُرْآن، قال فيه ابن تيمية أنهم متأولين، وأنهم من أهل الصدْق وَالْإِخْلَاص وَالصَّلَاح، وأن حسناتهم قد غمرت مَا كَانَ لَهُم من السَّيِّئَات أَو الْخَطَأ، " [انظر الاستقامة (1: 297)]،

- مراعاة انطباق الشروط وانتفاء الموانع في الحكم على الصوفية: حينما تكلم ابن تيمية عن السكر الصوفي والجذب، فرق بين ما هو حاصل بسبب مشروع كتلاوة القرآن، وبين ما يحصل بسبب غير مشروع، كمن بتناول الحشيشة أو الخمر، فشتان بين من لم يصدر منه تفريط أو عدوان، وإن صدر عنه فلا ذنب له فيه، كمن سمع القرآن السماع الشرعي ولم يفرط بترك ما يوجب له ذلك، وكذلك ما يرد على القلوب من السكر والفناء وما يغيب العقل بغير اختيار، فإنه إذا

لم يكن السبب محظورا لم يكن السكران مذموما بل معذورا فإن السكران بلا تمييز، أما إن حصل بتناول السكر من الخمر والحشيشة فإنه يحرم بلا نزاع بين المسلمين، وإن استحل السكر فهو كافر " [انظر مجموع الفتاوى (11: 10)]، ويقول أيضا في بعض الشطحات الواردة عنهم أنها قد تكون من السكر والغيبة التي ينتج عنها وجد دون تمييز فينتج عنه بعض الفناء، والتي قد ينتج عنه الشطح كالقول الذي صدر من أبي يزيد البسطامي حين قال: سبحاني، أو ما في الجبة إلا الله، ثم علق ابن تيمية على ضابط الحكم على ذلك بقوله أن كلمات السكران تطوى ولا تروى ولا تؤدى، وأما إن كان السبب محظورا لم يكن السكران معذورا لا فرق في ذاك بين السكر الجسماني والروحاني، فسكر الأجسام بالطعام والشراب وسكر النفوس بالصور وسكر الأرواح بالأصوات " [انظر مجموع الفتاوى (2: 461)]، وهذا ضابط هام في التفريق بين من يجد حلاوة الإيمان التي قد تصل للنشوة، والتأثر بالنصوص والعيش معها، فيبكي في مواضع العذاب والجحيم، ويستبشر في مواضع الثواب والنعيم، و النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول في رفع القلم عن هؤلاء: "رفع القلم عن ثلاثة، عن الصبي حتى يبلغ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن المعتوه حتى يبرأ " [رواه الإمام أبو داود في سننه (4402)، وصححه الألباني]، ومن هذه الضوابط التي أخذها ابن تيمية مراعاة قصد المتكلم، فحينما أراد ابن تيمية شرح مفهوم الحلول، فرق بين القصد وعدمه، فقد وضح ابن تيمية أن لفظ الحلول قد يراد به حلول الشيء ذاته تارة كعقيدة الحلول عند النصارى، وحلول معرفته ومحبته تارة، كقول الواحد منا "أنت ساكن في قلبي"، فهو كقول العامة، ولم يفهم أحد من الكلام أن الله حال فيه، فهو كما يقال أن الله في قلوب العارفين، وكما يقال: إِنَّ اللَّهَ فِي الْمَسْجِدِ، ليس المراد أنه حَالٌّ فِيهِ، وبِهَذَا الْمَعْنَى يُقَالُ: اللَّهُ فِي قَلْبِ فُلَانٍ، وفلان مَا عِنْدَهُ إِلَّا اللَّهُ، كَمَا قَالَ النبي –صلى الله عليه وسلم– فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: (أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ)) [انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (3: 345)]، ويمكن أن يستدل هنا بعض الباحثين أن ابن تيمية قد تساهل معهم، لأن هؤلاء الصوفية قد تكلموا حال صحوهم، ووجدهم، ولم نجد لهم إنكارا لتلك الشطحات حال صحوهم، والرد على ذلك أننا نرد على تأويل الشطح، وليس ثبوت ما يخالفه عمن وقع منه ذلك، ولا يمكن أن نطلب تأويلا لكل

حادثة بعينها، لأنهم صنفوا في ضوابط هذا الشطح، وإنما نقول أن لازم المذهب ليس بمذهب ما لم يلتزمه صاحبه، فمتى التزمه حال صحوه وقال به فهنا يثبت الحكم،

- حمل المجمل على الغالب والمفصل من كلام القوم: كان من منهج ابن تيمية في تأويل مقالات العلماء بحملها على المحمل الحسن، يقول ابن تيمية: "قَالَ أَبُو الْقَاسِم عرفُوا مَا هُوَ حق الْقدَم وتحققوا بِمَا هُوَ نعت الْمَوْجُود عَن الْعَدَم وَكَذَلِكَ قَالَ سيد هَذِه الطَّائِفَة الْجُنَيْد رَضِي الله عَنهُ التَّوْحِيد إِفْرَاد الْقدَم من الْحَدث، قلت هَذَا الْكَلَام فِيهِ إِجْمَال والمحق يحملهُ محملًا حسنا وَغير المحق يدْخل فِيهِ أَشْيَاء " [انظر الاستقامة (1: 91-92)]، والمحمل الحسن هنا ليس توجيهه إلى ما يوافق الشرع، وإنما توجيهه إلى ما يوافق مذهبه، لأن قد يكون في نسبة الأقوال المجملة للشرع ما لا يكون مراد المتكلم في الأصل، وإنما يُعلَمُ مرادُ المتكلم من تفصيله وما يوافق غالب كلامه، وليس من الإنصاف توجيه أصحاب المقالات الباطلة بما يوافق الشرع، لذلك يقول ابن تيمية في منهجه في توجيه كلام أهل المقالات: " الْكَلَام الْمُجْمل من كَلَامهم يحمل على مَا ينْسب سَائِر كَلَامهم " [انظر الاستقامة (1: 113-114)]، وهذه القاعدة عامة في فهم النصوص، فإنه متى أشكل نص بإجماله وجب البحث في تفصيله، ولا شك من منفعة بيان الإجمال، والأوجه التي يحتملها النص، خاصة إن اشتمل على أوجه فاسدة، فإن العالم مطالب ببيان الحق دون تسرع في الحكم، وبإنصاف، ولا ينشغل بالحكم على الناس في البداية،
- اعتبار المصطلح الصوفي من معجم الصوفية وأنه لا مشاحة في الاصطلاح: هناك من أنكر على الصوفية أن يكون لهم معجمهم الخاص كأهل كل فن، فكما أن لأهل الأصول معجمهم، فلأهل الفلسفة معجمهم، لذلك نجد أن الواجب عند الأصوليين غير الواجب عند الفلاسفة، فلا يوجد ما يمنع أن يكون للصوفية كأصحاب علم أن يكون لهم معجمهم الخاص، وهذا ما ذكره ابن تيمية عند شرحه لمصطلح الفقر في الكتاب والسنة، فذكر أن الفقر المراد فيهما هو المضاد للغنى، والذي منه المسوغ لأخذ الزكاة، وضده الغنى المانع لأخذ الزكاة، قال تعالى: فقال في الأولى: {إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم} [انظر مجموع الفتاوى (11: 20-22)]، ثم أوضح أنه لما كان جنس الزهد في الفقراء أغلب، صار الفقر في اصطلاح كثير من الناس عبارة عن طريق الزهد، فإذا قيل: هذا فيه فقرلم يرد به عدم المال، إنما يراد به ما

يراد باسم الصوفي من المعارف والأحوال والأخلاق والآداب ونحو ذلك " [انظر مجموع الفتاوى (11: 22-20)]، وفي ذلك إقرار لمصطلح الصوفي المشتق من التصوف، وأن الإشكال ليس في التسمية، وإنما في المعنى الواقف وراءه، كما استخدام ابن تيمية المعجم الصوفي مقرا له، فكان يصف علماء الصوفية المبرزون بالقطب، والعارف، فقد وصف الجيلي بأنه قطب العارفين " [انظر الاستقامة (1: 85-86)]، وقد ذكر ابن تيمية تأصيلا لهذه القاعدة، وردا على بعض الصوفية الذين يقولون أن الله يرى بالأعين في الدنيا مستدلين بأقوال لاوائل لصوفية: "واعلم أن ألفاظ الصوفية وعلومهم تختلف، فيطلقون ألفاظهم على موضوعات لهم، ومرموزات وإشارات تجرى فيما بينهم، فمن لم يداخلهم على التحقيق، ونازل ما هم عليه، رجع عنهم خاسئًا وهو حسير " ثم ذكر إطلاقهم لفظ الرؤية بالتقييد، فقال: كثير ما يقولون: رأيت الله، وذكر عن جعفر بن محمد قوله لما سئل: هل رأيت الله حين عبدته؟ قال: رأيت الله ثم عبدته، فقال السائل: كيف رأيته؟ فقال: لم تره العيون بتحديد العيان، ولكن رأته القلوب بتحقيق الإيقان " [انظر الفتوى الحموية الكبرى(455)]، وقد استخدم ابن تيمية ألفاظ الصوفية، إذ لا مشاحة في الاصطلاح، والعبرة بما تحمله تلك المعاني، بذلك يقول في مقدمته لكتاب أمراض القلوب وشفاؤها عن سبب تأليفه، فكان مما ذكره من الألفاظ: "المقامات" و"الأحوال"، وأنها من أصول الايمان، ومن هذه المقامات والأحوال محبة الله ورسوله والتوكل والإخلاص والشكر والصبر والخوف والرجاء " [انظر أمراض القلوب وشفاؤها (36)]، وقال أيضا الاحتجاج بمصطلحاتهم حينما تكلم ابن تيمية عن الإرجاء، فقال أن الصوفية يدخلون أعمال القلوب التي يسمونها أحوالاً ومقامات أو منازل السائرين إلى الله أو مقامات العارفين، كل ما فيها مما فرضه الله ورسوله فهو من الإيمان الواجب، وفيها ما أحبه ولم يفرضه، فهو من الإيمان المستحب، فالأول لابد لكل مؤمن منه، ومن اقتصر عليه فهو من الأبرار أصحاب اليمين، ومن فعله وفعل الثاني كان من المقربين السابقين " [انظر الإيمان لابن تيمية (152)]، والشاهد من كلام ابن تيمية أن من لم يفهم مراد الصوفية لتقصير عن فهم مفرداتهم، فحتما سيسيء الحكم عليهم، وإساءة الحكم عليهم دليل على التقصير في طلب الفهم، وانعدام المنهج العلمي في التأويل، وإساءة ظن بالآخرين،

- **التمييز بين أئمة الصوفية المعتدلين وبين أتباعهم الغالين فيهم من بعدهم: كان من منهج ابن تيمية التفريق بين أئمة التصوف المعتدلين وأتباعهم الذين غلوا فيهم، فإن الغلو قد حصل في الأنبياء، والصالحين، ولا يضرهم هذا الغلو بشيء لأنهم لم يأمروا به، ولم يشهدوه ليقروه، لذلك حينما كان ابن تيمية يتكلم عن فرق الصوفية وجماعتهم، يفرق بين ما وصلوا إليه من انحراف، وما كان عليه إمامهم الذي ينتسبون إليه، فحينما تكلم عن عدي بن مسافر بن صخر وصفه بالصلاح، وأن له أتباع صالحون، إلا أن من أصحابه من غلا فيه إلى حد الكفر " [انظر مجموع الفتاوى (11: 103)]، وهذا التفريق يمكن أن يوجد في شيء منه في قاعدة العدل والإنصاف، والتفريق بين المتقدمين والمتأخرين، إلا أنه يضيف بعدا آخر في العلاقة بين الأستاذ والتلميذ، وعدم مسؤولية المتقدمين عما صنعه أتباعهم، فلا ينبغي أن نظن أن الرفاعي كان على ما عليه الرفاعية، أو أن عبد القادر الجيلاني كان على ما كان عليه القادرية، وهو يشابه انتساب الأشاعرة للإمام الأشعري رغم مخالفتهم لما استقرت عقيدته عليه،**
- **التفريق بين المجتهد والمقصر في طلب الحق: ومن قواعد الشريعة الإسلامية أن المجتهد المصيب له أجران، والمخطئ له أجر واحد، وهذا القول هو ما طبقه ابن تيمية على الصوفية حينما أراد إنزال الأحكام عليهم فقال: "فالمجتهِدُ الْمَحْضُ مَغْفُورٌ لَهُ وَمَأْجُورٌ، وَصَاحِبُ الْهَوَى الْمَحْضِ مُسْتَوْجِبٌ لِلْعَذَابِ، وَالْمُرَكَّبُ مِنْ شُبْهَةٍ وَهُوَ مُسِيءٌ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ عَلَى دَرَجَاتٍ بِحَسَبِ مَا يَغْلِبُ وَبِحَسَبِ الْحَسَنَاتِ الْمَاحِيَةِ، وَأَكْثَرُ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْ الْمُنْتَسِبِينَ إلَى فِقْهٍ أَوْ تَصَوُّفٍ مُبْتَلُونَ بِذَلِكَ " [انظر الفتاوى الكبرى لابن تيمية (4: 28)]، ومن هنا وجب البحث عما كان الرجل مجتهدا في طلب الحق، أم أنه مقلد للتقليد الأعمى، مقصر في طلب العلم، عاملا بما لم يعلم، والكتاب والسنة يحثان على طلب العلم قبل القول والعمل، ومن هنا نلتمس لهم الزلات، ونغفر لهم العثرات، لكننا نردها ونبين عوارها، وهذا هو الحق المبين في هذه المسألة والله أعلم،**
- **تحقيق ابن تيمية في الغشيان والسكر والوجد الصوفي: فقد بين ابن تيمية أن هذا السكر الصوفي لم يكن حال الصحابة، وأنه تكلم به طائفة من متأخري الصوفية الذين كان يحصل لهم نوع من الوجد والذوق، مع سقوط التمييز والعقل مع حصول اللذة الناتجة عن الخشية، وقد يكون عن العجز عن الإدراك المفرط للعظمة التي تجلت للإنسان، كما حدث لموسى عليه السلام، كما**

**علق على الضابط لمشروعية هذا الفناء، وبيان المشروع منه من الممنوع بقوله: "يحمد مَا فِيهَا من الامور المحمودة الايمانية من ذوق اَوْ وجد ايماني مَشْرُوع اَوْ محبَّة ايمانية اوخشية ايمانية وَلَا يحمد مِنْهَا مَا زَاد على الْمُسْتَحبّ وَمَا شغل عَن مَا هُوَ احب مِنْهُ،ويذم مِنْهَا مَا تضمن ترك وَاجِب من علم اَوْ عمل اوفعل محرم " [انظر الاستقامة (2: 163-164)]، ليس ذلك فحسب، بل وأبان ابن تيمية أن المذموم منها قد لا يكون بإرادة العبد، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعا، وفي النهاية استنتج ابن تيمية حُكمَه أنه لا يُذَم بضابط، يقول ابن تيمية: "لَكِن اذا كَانَ المذموم بِغَيْر تَفْرِيط من العَبْد وَلَا عَن عدوان مِنْهُ لم يذم مِنْهُ، وكما ذكرت مثل ذَلِك فِي قاعة المولهين وعقلاء المجانين والمغلوبين فِي احوالهم وَمن يسلم اليه حَاله وَمن لَا يسلم اليه حَاله فَإِن السكر نوع من الْغَلَبَة ويذم من لم يحصل لَهُ من هَذِه الاحوال مَا يجب حُصُوله كَمَا ينقص من عدم مِنْهَا مَا يسْتَحبّ حُصُوله فَهَكَذَا يجب التَّفْصِيل فِي هَذِه الاحوال وَالله اعْلَم " [انظر الاستقامة (2: 163-164)]،**

تحقيق ابن تيمية لمسألة الفناء الصوفي: وقد فرق ابن تيمية بين المعاني المختلفة للفناء، ووضح أنه الفناء عند الصوفية ثلاثة أمور: الأول: فناء القلب عن إرادة ما سوى الرب بالتوكل وعبادة القلب، فهذا حق صحيح يراد به الفناء عن عبادة الغير " [انظر مجموع الفتاوى (10: 337)]، الثاني: فناء القلب عن شهود ما سوى الرب، فهذا الفناء فيه نقص، لأن شهود الحقائق على ما هي عليه هو شهود الرب مدبرا لعباده آمرا بشرائعه أكمل من شهود وجوده أو صفة من صفاته، ولهذا كان الصحابة أكمل شهودا من أن ينقصهم شهود للحق مجملا عن شهوده مفصلا " [انظر مجموع الفتاوى (10: 338)]، الثالث: فناء عن وجود السوى، بمعنى أنه يرى أن الله هو الوجود وأنه لا وجود لسواه لا به ولا بغيره وهذا القول والحال للاتحادية الزنادقة من المتأخرين كالبلياني والتلمساني والقونوني ممن قالوا أن الله عين الموجودات، ولا وجود لغيره، وهنا يأتي التفصيل من ابن تيمية بقوله أنهم لو أرادوا قول الله تعالى ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ لكان ذلك هو الشهود الصحيح، أما لو أرادوا أن الله هو عين الموجودات فهذا كفر وضلال، ثم قال ابن تيمية معلقا على هذا التقسيم: " فتدبر هذا التقسيم فإنه بيان الصراط المستقيم " [انظر مجموع الفتاوى (10: 342-343)]، وهذا التفصيل هو ما نقصده في تقعيد ابن تيمية لهذه القواعد، ليس في الحكم على الصوفية فقط، وإنما لمن طلب الحق غير متعصب لمذهب، وإنما تعصب للحق وحده،

أسباب الخطأ في فهم موقف ابن تيمية من الصوفية في العصر الحديث: (أولا): تصرف بعض المحققين في وضع المقدمات والعناوين التي لا تتناسب مع مذهب ابن تيمية: (1) الشيخ محمد رشاد سالم رحمه الله: فقد وضع الشيخ محمد رشاد سالم رحمه الله عنوانا عاما في "غلو الصوفية" يتنافى مع المتن الذي كتبه ابن تيمية في ذكر بعض الطوائف الصوفية" [انظر جامع الرسائل لابن تيمية (1: 265-264)]، وبالرجوع للنسخ غير المحققة تبين أن ابن تيمية لم يضع هذا العنوان، وإنما كانت هذه العناوين الجانبية تصرفا من المحقق واجتهادا منه لتيسير فهرسة الكتاب، وهذا يؤكد أن المنهج الذي سار عليه ابن تيمية منهج محكم لا تعميم فيه للأحكام، ولا شك أن الشيخ محمد رشاد سالم رحمه الله لم يكن من أنصار هذا المنهج، وهو من أكثر العلماء خدمة لتراث ابن تيمية، فقد اجتهد في وضع العناوين الجانبية، والتي غالبا ما لا تنفك صياغتها عن الواقع العملي للتصوف، (2) الأستاذ الدكتور ربيع بن هادي المدخلي: ففي تحقيقه لكتاب "قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة"، ذكر في مقدمته أن ابن تيمية: "عرف التصوف وما ينطوي عليه من شرور وخرافات وأباطيل واصطلاحات فاسدة ومغالطات تفسد وتدمر الدين والعقل، فثلَّ عروشه ودمر قواعده، وكشف تلك المغالطات بالحجج الواضحة والبراهين الساطعة، " [انظر قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة المقدمة( 24)]، (3) الأستاذ الدكتور ناصر عبد الكريم العقل: في تحقيق الأستاذ الدكتور ناصر عبد الكريم العقل لكتاب "اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم"، ذهب في دراسته للكتاب إلى تعميم الأحكام على الصوفية، ولا يعني ذلك أن ما ذكره من بدع ومحدثات وشركيات ليس بحق، بل هي عين الحق، إلا أن الضبط المنهجي يستلزم التفريق بين المتقدمين والمتأخرين على الرغم من كون منهج المتقدمين يكاد يكون قد انقرض الآن، فذكر أن الصوفية بطرقها الكثيرة، وطقوسها المبتدعة، وشركياتها وأساليبها الشيطانية لا تزال تؤتي ثمارها النكدة، من التفريق بين المسلمين، وجعلهم طرائق قددًا " [انظر اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (1: 41)]، فهذا التعليق العام هو ما يوقع القارئ في التعميم بالأحكام على التصوف ورفض التصوف بإطلاق، ورغم أن الواقع العملي قد يتمشى مع هذا التعميم، إلا أن الواقع العلمي يتنافي معه ويرفضه، خاصة بعدما سبب إشكاليات واتهامات متبادلة بين الطرفين، فسبيل العدل والإنصاف يقتضي بيان الحقائق العلمية، وإلا فلا يجوز لنا أن ننكر قول من ينتقص المنهج السلفي لانحراف بعض المنتسبين إليه علميا أو عمليا، فالعبرة بأصل المنهج، ولا يجوز الحكم عليه بعدم الشرعية أو التبديع المطلق طالما أنه انطلق من أصول صحيحة، وهذا ما ذكره الله جل وعلا بقوله في أصل توحيد النصارى ورصد

الانحراف وذم من بدل، قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ *مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [النساء: 116، 117]، فلا ذنب لعيسى عليه السلام فيما بدله من جاء بعده، فلا يستحق الذم، (ثانيا): الإجمال في الفتوى من بعض العلماء المجتهدين والجهات الموثوقة في الفتوى التي تنصر فكر ابن تيمية:،، هناك بعض الفتاوى التي خرجت مخرج الحكم المجمل، ومع الثقة في مرجعية هؤلاء العلماء، وذيوع صيتهم في الأمصار، وانتشار مصنفاتهم المقروءة، وتدوين المسموعة، وتتلمذ العديد من العلماء والدعاة على أيديهم، انتشرت هذه الفكرة عن الصوفية كافة، وكان من هؤلاء الأعلام على سبيل المثال بعض المفتين السعوديين، كالشيخ محمد بن إبراهيم آلشيخ رحمه الله، والشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله [118]، ومن كبار العلماء الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رحمه الله تعالى، ومن الجهات العلمية هيئة كبار العلماء، ولا شك أنهم جميعا من العلماء الربانيين بحق، إلا أنه مع متغيرات العصر، وشيوع طلب الفتوى عن طريق الإذاعة، والتي لا تيسر كثيرا من الوقت لتأصيل الإجابة، وأن الإجابة تكون حسب السؤال وواقع السائل، وخاصة مع انتشار الطرق الصوفية في بلاد الإسلام، فصار اسم التصوف لا يذكر إلا مقترنا بالطرقية والغلو،، (ثالثا): ظهور تيار يحاول إثبات موقف غالي لابن تيمية من المتصوفة: والمقصود بالموقف الغالي أنه ليس الموقف الوسطي الذي قررناه، فهو يعمم الأحكام على كل الصوفية، ولا يثبت الجانب التاريخي لهم، ولا فضل متقدميهم، بل يحمل كل المحدثات والبدع على الصوفية أجمعين، ولا يرى أن للصوفية تاريخا إلا تاريخ بدعهم، وإحداثهم في الشرع، من ذلك عبد الرحمن عبد الخالق حيث يقول في النشأة التاريخية: " لا يعرف على وجه التحديد من بدأ التصوف في الأمة الإسلامية ومن هو أول متصوف "، ويقول في ابن تيمية أنه كان من أعظم الناس بيانًا لحقيقة التصوف، وتتبعًا لأقوال الزنادقة والملحدين منهم وخاصة ابن عربي، والتلمساني، وابن سبعين، وأنه قد تعقب أقوالهم وفضح باطنهم وحذر الأمة من شرورهم، وأن ابن تيمية كان من أعظم الرجال الذي كشفوا عوار التصوف، وما كتبه ودونه وقام به في هذا الصدد شيء يطول وصفه جدًا " [انظر الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة (458-459)]، ونحن نشكر له فضله فيما بينه من حقائق وطوام عن متأخري الصوفية في الكتاب المذكور، وفي كتابه الآخر فضائح الصوفية، إلا أننا حينما نذكر موقف

العلماء لا يمكن الحكم عليه إلا بعد تحريره وتتبعه، والتفريق كما سبق بين المتقدمين والمتأخرين، وبيان منهجه ورصد التطور التاريخي للمذهب، وإلا كنا على غير المنهج العلمي في البحث، (رابعا): الصعوبة في قراءة كتب ابن تيمية نفسها والمنهج الانتقائي في البحث: فإن ابن تيمية ابن تيمية يتميز في كتاباته بالموسوعية، لأنه غالبا ما يكتب من الذاكرة، ولم يكن يتيسر له الوقت لمراجعة كتاباته، وضمها وصفها جنبا إلى جنب، وهذا ملاحظ في كتاباته التي غالبا ما نجد التكرار فيها بين المصنفات تارة، وفي المصنف الواحد تارة أخرى، أضف إلى ذلك حجمها الكبير، وطول حجم الفقرات، ولعدم ترتيبها في بعض المواطن، فكل هذه العوامل حينما تتضافر سويا تجعل النظر في مصنفات ابن تيمية لا يتيسر إلا للباحثين الجادين من طلبة العلم، لا من يدخل الكتاب ليبحث عن ضالته، فمتى وجدها خرج من الكتاب بها، وجعل هذه الضالة هي المذهب العام السائد في مصنف العالم أو في مصنفاته، ومع التقصير في طلب العلم، واندفاع الناس إلى عدم التأصيل وطلب العلم من كتب الفتوى التي تقتصر في الردود دون تأصيل، إلا المشتغلين الحقيقيين بالعلم، والمخلصين لدين الله الذين لا يشغلهم أمر الأحكام أكثر مما يعنيهم التدقيق في الوصول إليها، فما كان الرفق في شيء إلا زانه وما نزع من شيء إلا شانه، كل هذه العوامل كان لها الأثر في تحريف موقف ابن تيمية من الصوفية ومنهجه في الحكم عليهم، ولتصحيح الوجهة في الفهم لا بد من إعادة قراءة تراث ابن تيمية بإنصاف وموضوعية، ونشره ليستفيد منه المنتمين له انتماء دون أن يعرفوا تفاصيل آرائه، فالشيخ رحمه الله من أعلام السلف الذين ينبغي أن نقف على آرائهم الحقيقية لنعرف أصالتها، ومدى صلتها بالسلف، ومدى القرب من منهجه أو البعد عنه، فرحم الله الشيخ، وسائر السلف، والله الموفق،

الخاتمة وأهم النتائج: لم يكن ابن تيمية يقول بأن التصوف بدعة، أنه يقول أن أصل التصوف هو الزهد والتعبد، وهو أصل مشروع، أنه كان يدعو للتحقيق فيما ينسب للتصوف من أقوال وأفعال، أن ابن تيمية قد قسم الصوفية إلى طبقتين: المتقدمين، والمتأخرين، فالمتقدمين هم ما كانوا على النقاء في العقائد والأعمال كالفضيل والجنيد، أما المتأخرين فهم من أحدثوا في التصوف وأدخلوا فيه ما ليس منه، أن ابن تيمية كان يعتبر آراء المتقدمين ويحتج بهم، أن ابن تيمية كان يثني على الصوفية الأوائل وأتباعهم، ويصنفهم كنوع ثالث من العلماء، ويثني على علومهم، أن ابن تيمية كان ينطلق في حكمه على الصوفية على قواعد مطردة تقوم على ضوابط الحكم على المعين مع مراعاة

العدل والإنصاف، واعتبار المصطلح الصوفي والبحث التاريخي، أن ابن تيمية كان من أشد الناس توقيرا للسلف ولآرائهم دون أن يوصل هذه الآراء إلى التقديس طالما أنها لم يحصل عليها الإجماع، أن هناك العديد من الأسباب التي أدت لتحريف موقف ابن تيمية، منها ما يتصل بالواقع المعاصر لطلب العلم، والإجمال في الفتوى من العلماء الموثوقين والجهات الموثوقة في الفتوى، وبعضها يعود لصعوبة البحث في آراء ابن تيمية لصعوبة الأسلوب مع كم التراث الهائل لديه، [انتهى مختصراً من رسالة: موقف ابن تيمية من التصوف والصوفية ومنهجه في الحكم عليهم " لغنيم غنيم عبد العظيم]،

***

## المطلب الثالث

## أقوال ابن تيمية وبعض تلامذته في التصوف

**في مبحث مؤصل للشيخ حسام دمشقي بعنوان: (أقوال ابن تيمية وبعض تلامذته في التصوف):**
اشتمل على تلك النقاط – باختصار يسير –:

**1– شهادة ابن تيمية للتصوف:** قال ابن تيمية: "وأول من حمل اسم ": صوفي": هو أبو هاشم الكوفي، الذي ولد في الكوفة، وأمضى معظم حياته في الشام، وتوفى عام"160هـ"، وأول من حدد

نظريات التصوف وشرحها هو ": ذو النون المصري": تلميذ الإمام ": مالك":، وأول من بوبها ونشرها هو": الجنيد": البغدادي: اهـ، (ملحوظة):أبو هاشم الكوفي كان معاصراً للامام المجتهد سفيان الثوري الذي توفي عام155 هـ، قال عنه سفيان الثوري: ": لولا أبو هاشم ما عُرِفت دقائق الرياء، قال ابن تيمية في " مجموع الفتاوى " "11: 6": "أول ما ظهرت الصوفية من البصرة وأول من بنى دويرة الصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد وعبد الواحد من أصحاب الحسن وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك ما لم يكن في سائر أهل الأمصار ولهذا كان يقال فقه كوفي وعبادة بصرية: قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى "11: 282""وعبد الواحد بن زيد وأن كان مستضعفاً في الرواية إلا أن العلماء لا يشكون في ولايته وصلاحه ولا يلتفتون إلى قول الجوزجاني فأنه متعنت كما هو مشهور عنه:،وذكر ابن تيمية في كتابه الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: "أن عبدالواحد ابن زيد من أولياء الرحمن: !!،،

**2- تعريف الصوفي عند ابن تيمية:** في " مجموع الفتاوى :"16 :11" " "هو . أي الصوفي . في الحقيقة نوع من الصديقين فهو الصديق الذي اختص بالزهد والعبادة على الوجه الذي اجتهدوا فيه فكان الصديق من أهل هذه الطريق كما يقال: صديقو العلماء وصديقو الأمراء فهو أخص من الصديق المطلق ودون الصديق الكامل الصديقية من الصحابة والتابعين وتابعيهم فإذا قيل عن أولئك الزهاد والعباد من البصريين أنهم صديقون فهو كما يقال عن أئمة الفقهاء من أهل الكوفة أنهم صديقون أيضاً كل بحسب الطريق الذي سلكه من طاعة الله ورسوله بحسب اجتهاده وقد يكونون من أجلّ الصديقين بحسب زمانهم فهم من أكمل صديقي زمانهم والصديق من العصر الأول أكمل منه والصديقون درجات وأنواع ولهذا يوجد لكل منهم صنف من الأحوال والعبادات حققه وأحكمه وغلب عليه وإن كان غيره في غير ذلك الصنف أكمل منه وأفضل منه: قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى "جزء 12 – صفحة 36": "وأما جمهور الأمة وأهل الحديث والفقه والتصوف فعلى ما جاءت به الرسل وما جاء عنهم من الكتب والاثارة من العلم وهم المتبعون للرسالة اتباعا محضا لم يشوبوه بما يخالفه "،

**3- التصوف تكلم به الإمام أحمد ابن حنبل وسفيان الثوري والداراني وغيرهم:** قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى "جزء 11 – صفحة5 " " أما لفظ الصوفية فانه لم يكن مشهورا فى القرون

الثلاثة وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك وقد نقل التكلم به عن غير واحد من الأئمة والشيوخ كالإمام احمد بن حنبل وأبى سليمان الدارانى وغيرهما وقد روى عن سفيان الثوري أنه تكلم به وبعضهم يذكر ذلك عن الحسن البصرى"،اهـ ملحوظة: عبارة لم يكن مشهورا لا تنافي انه كان موجود وقال في مجموع الفتاوى "11: 17": "طائفة ذمت الصوفية والتصوف وقالوا أنهم مبتدعون خارجون عن السنة ونقل عن طائفة من الأئمة في ذلك من الكلام ما هو معرفون به وتبعهم على ذلك طوائف من أهل الفقه والكلام وطائفة غلت فيهم وادعوا أنهم أفضل الخلق وأكملهم بعد الأنبياء وكلا طرفي هذه الأمور ذميم، والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه عاص لربه وقد انتسب إليهم من أهل البدع والزندقة ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم" ،اهـ يقول ابن تيمية في هذا الباب الفتاوى "11: 28 – 29" "لفظ الفقر والتصوف قد أدخل فيه أمور يحبها الله ورسوله فتلك يؤمر بها، وإن سميت فقرا وتصوفا، لأن الكتاب والسنة إذا دل على استحبابها لم يخرج ذلك بأن تُسمى باسم أخر، كما يدخل في ذلك أعمال القلوب كالتوبة والصبر والشكر والرضا والخوف والرجاء والمحبة والأخلاق المحمودة،" "اهـ،، مجموع فتاوي ابن تيمية– كتاب التصوف "ج5 ص3": ": و «أولياء الله» هم المؤمنون المتقون، سواء سمي أحدهم فقيراً أو صوفياً أو فقيهاً أو عالماً أو تاجراً أو جندياً أو صانعاً أو أميراً أو حاكماً أو غير ذلك":،" اهـ، قال ابن تيمية مجموع الفتاوى "جزء – 20 صفحة 63" "ثم هم إما قائمون بظاهر الشرع فقط كعموم أهل الحديث والمؤمنين الذين في العلم بمنزلة العباد الظاهرين في العبادة وإما عالمون بمعاني ذلك وعارفون به فهم في العلوم كالعارفين من الصوفية الشرعية فهؤلاء هم علماء أمة محمد المحضة وهم أفضل الخلق وأكملهم وأقومهم طريقة والله أعلم" اه قال في " مجموع الفتاوى " "11: 16": " وهم يسيرون بالصوفي إلى معنى الصديق وأفضل الخلق بعد الأنبياء الصديقون:،، مجموع الفتاوى "جزء 7 – صفحة 190: " فإن أعمال القلوب التي يسميها بعض الصوفية أحوالا ومقامات أو منازل السائرين الى الله أو مقامات العارفين أو غير ذلك كل ما فيها مما فرضه الله ورسوله فهو من الإيمان الواجب وفيها ما أحبه ولم يفرضه فهو من الإيمان المستحب فالأول لابد لكل مؤمن منه

ومن اقتصر عليه فهو من الابرار اصحاب اليمين ومن فعله وفعل الثاني كان من المقربين السابقين وذلك مثل حب الله ورسوله بل أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما بل أن يكون الله ورسوله والجهاد فى سبيله أحب إليه من أهله وماله ومثل خشية الله وحده دون خشية المخلوقين ورجاء الله وحده دون رجاء المخلوقين والتوكل على الله وحده دون المخلوقين والإنابة إليه مع خشيته كما قال تعالى هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ومثل الحب فى الله والبغض فى الله والموالاة لله والمعاداة لله" اهـ،

4- **ابن تيمية يزكي رجال التصوف ويثني عليهم:** قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى "ج10، ص516 .517" "فأما المستقيمون من السالكين كجمهور مشائخ السلف مثل الفضيل بن عياض، وإبراهيم بن أدهم، وأبي سليمان الداراني، ومعروف الكرخي، والسري السقطي، والجنيد بن محمد، وغيرهم من المتقدمين، ومثل الشيخ عبد القادر "الجيلاني:، والشيخ حماد، والشيخ أبي البيان، وغيرهم من المتأخرين، فهم لا يسوِّغون للسالك ولو طار في الهواء، أو مشى على الماء، أن يخرج عن الأمر والنهي الشرعيين، بل عليه أن يفعل المأمور، ويدع المحظور إلى أن يموت، وهذا هو الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف وهذا كثير في كلامهم" اهـ،، قال ابن تيمية يصف الجنيد وعبد القادر الجيلاني بأنهم أئمة الصوفية في مجموع الفتاوى "ص 8 :369": "و أما أئمة الصوفية و المشايخ المشهورون من القدماء مثل الجنيد بن محمد و أتباعه و مثل الشيخ عبد القادر و أمثاله فهؤلاء من أعظم الناس لزوماً للأمر والنهي و توصية بإتباع ذلك، و تحذيرا من المشي مع القدر كما مشى أصاحبهم أولئك و هذا هو الفرق الثاني الذي تكلم فيه الجنيد مع أصحابه، والشيخ عبد القادر كلامه كله يدور على إتباع المأمور و ترك المحظور والصبر على المقدور ولا يثبت طريقاً تخالف ذلك أصلا، لا هو ولا عامة المشايخ المقبولين عند المسلمين و يحذر عن ملاحظة القدر المحض بدون إتباع الأمر و النهي: اهـ قال ابن تيمية متحدثاً عن الشيخ عبدالقادر الجيلاني: في مجموع الفتاوي " 8: 303" قُلْت:"وَلِهَذَا يَقُولُ الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَادِرِ – قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ – كَثِيرٌ مِنْ الرِّجَالِ إذَا وَصَلُوا إلَى الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ أَمْسَكُوا وَأَنَا انْفَتَحَتْ لِي فِيهِ رَوْزَنَةٌ فَنَازَعْتُ أَقْدَارَ الْحَقِّ بِالْحَقِّ لِلْحَقِّ وَالرَّجُلُ مَنْ يَكُونُ مُنَازِعًا لِلْقَدَرِ لَا مُوَافِقًا لَهُ وَهُوَ – رضي الله عنه – كَانَ يُعَظِّمُ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ

وَيُوصِي بِاتِّبَاعِ ذَلِكَ وَيَنْهَى عَنْ الِاحْتِجَاجِ بِالْقَدَرِ: قال ابن تيميه في مجموع الفتاوى "ج10 – ص 884" "والشيخ عبد القادر من أعظم شيوخ زمانه أمرا بالتزام الشرع والأمر والنهى وتقديمه على الذوق، ومن أعظم المشائخ أمرا بترك الهوى والإرادة النفسية:، مجموع فتاوي ابن تيمية "ج5 ص 321" "والجنيد وأمثاله أئمة هدى، ومن خالفه في ذلك فهو ضال، وكذلك غير الجنيد من الشيوخ تكلموا فيما يعرض للسالكين وفيما يرونه في قلوبهم من الأنوار وغير ذلك، وحذروهم أن يظنوا أن ذلك هو ذات الله تعالى"،" اهـ، قال ابن تيميه في كتابه " الفرقان ص98" متحدثاً عن الإمام الجنيد ما نصه: "فان الجنيد قدس الله روحه من أئمة الهدى:،قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى "جزء 14 – صفحة 355 ": "فمن سلك مسلك الجنيد من أهل التصوف و المعرفة كان قد اهتدى و نجا و سعد"،

5– **ابن تيمية يصف أعلام التصوف ورجاله " بمشايخ الاسلام وأئمة الهدى"**: قال ابن تيمية في مجموع الفتاوي "ج2 ص452" "أنهمْ مشائخ الإسلام وأئمة الهدى الَّذيْن جعلَ اللّهُ تعالَى لهم لسْان صدق في الأمةِ، مثْلَ سعْيد بنُ المسيبِ، والحسْن البصريّ، وعمرْ بنُ عبد العزيز، ومالْك بنُ أنسْ، والأوزاعي، وإبراهيْم بنْ أدهم، وسفْيان الثوري، والفضيّل بنُ عياض، ومعروف الكرّخْي، والشافعي، وأبي سليْمان، وأحمد بنَ حنبل، وبشرُ الحافي، وعبد اللّهِ بنُ المبارك، وشقيّق البلّخِي، ومن لا يحصَّى كثرة، إلى مثْلَ المتأخرينَ: مثْلَ الجنيد بن محمد القواريري، وسهَلْ بنُ عبد اللّهِ التسْتري، وعمرُ بنُ عثمان المكي، ومن بعدهم . إلى أبي طالبَ المكي إلى مثْل الشيْخ عبد القادرِ الكيلاني، والشّيْخ عدّي، والشيْخ أبي البيْان، والشيخ أبي مدين، والشيخ عقيل، والشيخ أبي الوفاء، والشيخ رسلان، والشيخ عبد الرحيم، والشيخ عبد الله اليونيني، والشيخ القرشي، وأمثال هؤلاء المشايخ الذين كانوا بالحجْازِ والشّام والعرْاق، ومصْر والمغرْب وخرّاسْان، من الأوليْنِ والآخريْنِ:،" اهـ، "مجموع فتاوى ابن تيمية –كتاب السلوك – فصل في تزكية النفس" "وكذلك ما ذكره معلقا قال: قال الشبلي بين يدي الجنيد: لا حول ولا قوةً إلا بالله، فقال الجنيد: قولك ذا ضيق صدر، وضيق الصدر لترك الرضا بالقضاء، فإن هذا من أحسن الكلام، وكان الجنيد . رضي الله عنه . سيد الطائفة، ومن أحسنهم تعليماً وتأديبا وتقويما . وذلك أن هذه الكلمة كلمة استعانة، لا كلمة استرجاع، وكثير من الناس يقولها عند المصائب

بمنزلة الاسترجاع، ويقولها جزعا لا صبرا، فالجنيد أنكر على الشبلي حاله في سبب قوله لها، إذ كانت حالاً ينافي الرضا، ولو قالها على الوجه المشروع لم ينكر عليه،": اهـ،

6- **ابن تيمية يمتدح الذين صنفهم ابو عبد الرحمن السلمي بأنهم اولياء صالحين:** قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى "جزء 10 – صفحة367-368 " "وكذلك ممن صنف في التصوف و الزهد جعل الاصل ما ورد عن متأخري الزهاد واعرض عن طريق الصحابة والتابعين كما فعل صاحب الرسالة ابو القاسم القشيري وأبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي وابن خميس الموصلي في مناقب الابرار وابو عبد الرحمن السلمى في تاريخ الصوفية لكن ابو عبد الرحمن صنف ايضا سير السلف من الاولياء والصالحين وسير الصالحين من السلف كما صنف فى سير الصالحين من الخلف ونحوهم من ذكرهم لاخبار اهل الزهد والاحوال من بعد القرون الثلاثة من عند ابراهيم بن ادهم والفضيل بن عياض وابي سليمان الداراني ومعروف الكرخي ومن بعدهم واعراضهم هم عن حال الصحابة والتابعين الذين نطق الكتاب والسنة بمدحهم والثناء عليهم والرضوان عنهم"،

7- **ابن تيمية يقول ان للصوفية الفاظ ومصطلحات لا يعرفها غيرهم:** قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى "جزء 5 – صفحة 79" "وأعلم أن لفظ الصوفية وعلومهم تختلف فيطلقون ألفاظهم على موضوعات لهم و مرموزات واشارات تجرى فيما بينهم فمن لم يداخلهم على التحقيق ونازل ما هم عليه رجع عنهم وهو خاسئ وحسير " اهـ، قال ابن تيمية في من "مجموع الفتاوى: ص337" "وفي كلام أهل التصوف عبارات موهمة في ظاهرها بل وموحشة أحيانًا، ولكن تحتمل وجهًا صحيحًا يمكن حملها عليه فمن الإنصاف أن تحمل على الوجه الصحيح كالفناء، والشهود، والكشف، ونحو ذلك:،

8- **أقوال الشيخ ابن تيمية في الصوفية، وهو يشرح بعين الإنصاف الفناء و الأحوال والمقامات التي تمرّ بهم:** قال ابن تيمية في مجموع الفتاوي "جزء 10 – صفحة219 "فان الفناء ثلاثة انواع نوع للكاملين من الأنبياء والأولياء ونوع للقاصدين من الاولياء والصالحين ونوع للمنافقين

الملحدين فأما الأول فهو الفناء عن ارادة ما سوى الله بحيث لا يحب الا الله ولا يعبد الا اياه ولا يتوكل الا عليه ولا يطلب غيره وهو المعنى الذى يجب ان يقصد بقول الشيخ ابى يزيد حيث قال اريد ان لا اريد الا ما يريد أي المراد المحبوب المرضى وهو المراد بالإرادة الدينية وكمال العبد ان لا يريد ولا يجب ولا يرضى الا ما اراده الله ورضيه واحبه وهو ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب ولا يجب الا ما يحبه الله كالملائكة والأنبياء والصالحين وهذا معنى قولهم في قوله الا من أتى الله بقلب سليم قالوا هو السليم مما سوى الله او مما سوى عبادة الله او مما سوى ارادة الله او مما سوى محبة الله فالمعنى واحد وهذا المعنى أن سمى فناء او لم يسم هو اول الاسلام وآخره وباطن الدين وظاهره " اما النوع الثاني فهو الفناء عن شهود السوى وهذا يحصل لكثير من السالكين فانهم لفرط انجذاب قلوبهم الى ذكر الله وعبادته ومحبته وضعف قلوبهم عن ان تشهد غير ما تعبد وترى غير ما تقصد لا يخطر بقلوبهم غير الله بل ولا يشعرون كما قيل في قوله واصبح فؤاد ام موسى فارغا ان كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها قالوا فارغا من كل شيء الا من ذكر موسى وهذا كثير يعرض لمن فقمه أمر من الأمور إما حب وإما خوف واما رجاء يبقى قلبه منصرفا عن كل شيء الا عما قد احبه او خافه او طلبه بحيث يكون عند استغراقه في ذلك لا يشعر بغيره فإذا قوى على صاحب الفناء هذا فانه يغيب بموجوده عن وجوده وبمشهوده عن شهوده وبمذكوره عن ذكره وبمعروفه عن معرفته حتى يفنى من لم يكن وهى المخلوقات المعبدة ممن سواه ويبقى من لم يزل وهو الرب تعالى والمراد فناؤها في شهود العبد وذكره وفناؤه عن ان يدركها او يشهدها" اهـ مجموع فتاوي ابن تيمية – فصل "الفناء""ج16 ص402" ""وفي هذا الفناء قد يقول: أنا الحق، أو سبحاني، أو ما في الجبة إلا الله، إذا فني بمشهوده عن شهوده، وبموجوده عن وجوده، وبمذكور عن ذكره، وبمعروفه عن عرفانه كما يحكون أن رجلاً كان مستغرقا في محبة آخر، فوقع المحبوب في اليم فألقى الآخر نفسه خلفه، فقال ما الذي أوقعك خلفي؟ فقال: غبت بك عني فظننت إنك أني وفي مثل هذا المقام يقع السكر الذي يسقط التمييز مع وجود حلاوة الإيمان، كما يحصل بسكر الخمر، وسكر عشيق الصور، وكذلك قد يحصل الفناء بحال خوف أو رجاء، كما يحصل بحاله حب فيغيب القلب عن شهود بعض الحقائق ويصدر منه قول أو عمل من جنس أمور السكارى وهي شطحات بعض المشائخ: كقول بعضهم: انصب خيمتي على جهنم، ونحو ذلك من الأقوال والأعمال المخالفة

للشرع، وقد يكون صاحبها غير مأثوم، وأن لم يكن فيشبه هذا الباب أمر خفراء العدو من يعين كافرا أو ظالما بحاله ويعلم أنه مغلوب عليه، ويحكم "على: هؤلاء أن أحدهم إذا زال عقله بسبب غير محرم فلا جناح عليهم فيما يصدر عنهم من الأقوال والأفعال المحرمة بخلاف ما إذا كان سبب زوال العقل والغلبة أمرا محرما،"" اهـ، كلام ابن تيمية من مجموع الفتاوي الجزء"2: 396"، قال: "قد يقع بعض من غلب عليه الحال في نوع منا الحلول والاتحاد،، لما ورد عليه ما غيب عقله عما سوى محبوبه، ولم يكن ذلك بذنب منه كان معذورًا غير معاقب عليه مادام غير عاقل... وهذا كما يحكى: أن رجلين كان أحدهما يحب الآخر فوقع المحبوب في اليم، فألقى الآخر نفسه خلفه فقال: أنا وقعت، فما الذي أوقعك؟ فقال: غبت بك عني، فظننت أنك أني، فهذه الحال تعتري كثيرً امن أهل المحبة والإرادة في جانب الحق، وفي غير جانبه... فإنه يغيب بمحبوبه عن حبه وعن نفسه، وبمذكوره عن ذكره... فلا يشعر حينئذ بالتميز ولا بوجوده، فقد يقول في هذه الحال: أنا الحق أو سبحاني أو ما في الجبة إلا الله ونحو ذلك "اهـ، وقال ابن تيمية من كتابه"ص337": " وفي هذا الفناء قد يقول: انا الحق، أو سبحاني، أو ما في الجبة إلا الله، إذا فنى بمشهوده عن شهوده، وبموجوده عن وجوده، وفي مثل هذا المقام يقع السكر الذي يسقط التمييز مع وجود حلاوة الإيمان كما يحصل بسكر الخمر وسكر عشق الصور، ويحكم على هؤلاء أن أحدهم إذا زال عقله بسبب غير محرم فلا جناح عليه فيما يصدر عنه من الأقوال والأفعال المحرمة، بخلاف ما إذا كان سبب زوال العقل أمراً محرماً، وكما أنه لا جناح عليهم فلا يجوز الاقتداء بهم ولا حمل كلامهم وفعالهم على الصحة، بل هم في الخاصة مثل الغافل والمجنون في التكاليف الظاهرة"، وكذلك قال ايضاً في كتابهَ الاستقامة "149: 2" "ولهذا غلب على كلام العباد الصوفية اهل الارادة والعمل اسم الذوق والسرور والنعمة فالشهوة والارادة والمحبة والطلب ونحو ذلك من الاسماء.....،الى ان قال: –ولهذا كان ائمة الهدى ممن يتكلم في العلم والكلام او في العمل والهدى والتصوف يوصون باتباع الكتاب والسنة وينهون عما خرج عن ذلك كما امرهم الله والرسول وكلامهم في ذلك كثير منتشر مثل قول سهل بن عبد الله التستري كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل" اهـ

9- **، ابن تيميه يعترف بالدس في كتب الصوفية:** قال ابن تيميه في مجموع فتاوى ابن تيمية قسم التصوف "ج11، ص75.74" ليس أحد من أهل المعرفة بالله، يعتقد حلول الرب تعالى به أو بغيره من المخلوقات، ولا اتحاده به، "وإن سُمع شيء من ذلك منقول عن بعض أكابر الشيوخ فكثير منه مكذوب، اختلقه الأفاكون من الاتحادية المباحية، الذين أضلهم الشيطان اهـ،"

10- **ابن تيمية يبرئ الصوفية عن عقيدة الحلول وينسبها لمن تشبه بهم وليس هو منهم:** قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى "جزء 15 – صفحة427 " " ثم الصوفية المشهورون عند الأمة الذين لهم لسان صدق في الأمة لم يكونوا يستحسنون مثل هذا بل ينهون عنه ولهم في الكلام في ذم صحبة الأحداث وفى الرد على أهل الحلول وبيان مباينة الخالق مالا يتسع هذا الموضع لذكره وإنما يستحسنه من تشبه بهم ممن هو عاص أو فاسق أو كافر فيتظاهر بدعوى الولاية لله وتحقيق الإيمان والعرفان وهو من شر أهل العداوة لله وأهل النفاق والبهتان والله تعالى يجمع لأوليائه المتقين خير الدنيا والآخرة ويجعل لأعدائه الصفقة الخاسرة والله سبحانه وتعالى أعلم"

11- **ابن تيمية يبرئ الصوفية عن الكفر:** في مجموع الفتاوى "جزء 35 – صفحة 101": "على ذلك لم يكفر أحد منهم باتفاق المسلمين فان هؤلاء يقولون إنهم معصومون من الاقرار على ذلك ولو كفر هؤلاء لزم تكفير كثير من الشافعية والمالكية والحنفية والحنبلية والأشعرية وأهل الحديث والتفسير والصوفية الذين ليسوا كفارا باتفاق المسلمين"

12- **ابن تيمية يجيز التبرك وينسبه الي الإمام احمد ابن حنبل:** قال ابن تيميّة في كتابه المسمّى اقتضاء الصراط المستقيم، الجزء1 ،صفحة367 ،: "فقد رخص أحمد وغيره في التمسح بالمنبر والرمانة التي هي موضع مقعد النبي صلى الله عليه وسلم ويده:،

13- **ابن تيمية يجوز التبرك بالقرآن** "الدواية – المحاية" واثار النبي صلى الله عليه وسلم:

مجموع فتاوي ابن تيمية: "الجزء 12صفحة "واذا كتب شيء من القران أو الذكر في إناء أو لوح ومحي بالماء وغيره، وشرب ذلك فلا بأس به – نص عليه أحمد وغيره، ونقلوا عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يكتب كلمات من القران والذكر ويأمر بأن تسقى لمن به داء وهذا يقتضي أن لذلك بركة،والماء الذي توضا به النبي صلى الله عليه وسلم هو ايضاً ماء مبارك، صب منه على جابر وهو مريض، وكان الصحابة يتبركون به اهـ

14- **ابن تيمية يجيز الاحتفال بالمولد النبوي الشريف وقال يؤجر عليه الانسان:** قال الشيخ ابن تيمية في " اقتضاء الصراط " في بحث المولد:298 –297" ""فتعظيم المولد واتخاذه موسما قد يفعله بعض الناس ويكون له فيه أجر عظيم لحسن قصده وتعظيمه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما قدمته لك أنه يحسن من بعض الناس ما يستقبح من المؤمن المسدد ولهذا قيل للإمام أحمد عن بعض الأمراء إنه أنفق على مصحف ألف دينار ونحو ذلك فقال دعه فهذا أفضل ما أنفق فيه الذهب، أو كما قال، مع أن مذهبه أن زخرفة المصاحف مكروهة، وقد تأول بعض الأصحاب أنه أنفقها في تجديد الورق والخط، وليس مقصود أحمد هذا وإنما قصده أن هذا العمل فيه مصلحة، وفيه أيضا مفسدة كره لأجلها: اهـ،

15- **ابن تيمية يجيز استعمال السبحة ويقول انها سنة ومن فعل الصحابة:** مجموع فتاوي ابن تيمية: "الجزء22صفحة6" "وعد التسبيح بالأصبع سنة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم للنساء سبحن واعتقدن بالإصبع فإنهن مسؤولات مستنطقات: وأما عده بالنوى والحصى ونحو ذلك فحسن، وكان من الصحابة رضي الله عنهم من يفعل ذلك، وقد راى النبي صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين تسبح بالحصى، وأقرها على ذلك، وروي أن ابا هريرة كان يسبح به أما التسبيح بما يجعل في نظام من الخرز، ونحوه، فمن الناس من كرهه، ومنهم من لم يكرهه، واذا احسنت فيها النية فهو حسن غير مكروه: اهـ،،

16- **ابن تيمية يجيز استعمال السبحة في الصلاة:** وفي مجموع الفتاوى أيضا""625 :22: سئل عما إذا قرأ القرآن يعد في الصلاة بسبحة هل تبطل صلاته أم لا؟ فأجاب: "إن كان المراد بهذا السؤال أن يعد الآيات أو يعد تكرار السورة الواحدة مثل قوله " قل هو الله أحد " بالسبحة فهذا لا بأس به وإن أريد بالسؤال شيء آخر فليبينه والله اعلم "أهـ،

17- **ابن تيمية يثبت نورية النبي صلى الله عليه وسلم:** مجموع فتاوي ابن تيمية: الجزء13" ص10""وكذلك قوله: "لقد جاءكم من الله نور وكتاب مبين" قيل: النور هو محمد عليه الصلاة والسلام،

18- **ابن تيمية يقول بوجود الاقطاب والابدال والنجباء:** مجموع فتاوي ابن تيمية الجزء 4 صفحة 379 في حديثه عن المقارنة بين الملائكة وبني ادم، وقد قالوا: إن علماء الآدميين مع وجود المنافي أحسن وأفضل، ثم هم في الحياة الدنيا وفي الاخرة يلهمون التسبيح، كما يلهمون النفس، واما النفع المتعدي، والنفع للخلق، وتدبير العالم، فقد قالوا: هم تجري ارزاق العباد على أيديهم، وينزلون بالعلوم والوحي، ويحفظون ويمسكون وغير ذلك من أفعال الملائكة، (الجواب): أن صالح البشر لهم مثل ذلك وأكثر منه، ويكفيك من ذلك شفاعة الشافع المشفع في المذنبين، وشفاعته في البشر كي يحاسبوا، وشفاعته لأهل الجنة حتى يدخلوا الجنة، ثم بعد ذلك تقع شفاعة الملائكة، وأين هم من قوله" وما ارسلناك إلا رحمة للعالمين" "الانبياء107 ؟ واين هم من الذين يؤثرون على أنفسهم ولوكان بهم خصاصة": الحشر: 9"؟ وأين هم ممن يدعون الى الهدى ودين الحق، ومن سنة سنة حسنة؟ وأين هم من قوله صلى الله عليه وسلم: إن من امتي من يشفع أكثر من ربيعة ومضر، وأين هم من الاقطاب والاوتاد والاغواث والابدال والنجباء؟: اهـ

19- **ابن تيمية يقول بوصول ثواب الاعمال الي الميت:** مجموع فتاوي ابن تيمية: الجزء24" ص324 " وقد سئل إبن تيمية رضي الله عنه عمن هلل سبعين ألف مرة وأهداه للميت يكون براءة

للميت من النار " حديث صحيح؟ أم لا؟ وإذا هلل الإنسان وأهداه إلى الميت يصل إليه ثوابه أم لا؟ فأجاب: إذا هلل الإنسان هكذا: سبعون ألفا أو أقل أو أكثر، وأهديت إليه نفعه الله بذلك وليس هذا حديثا صحيحا ولا ضعيفا، والله أعلم، وفي مجموع الفتاوى324 – 321 :24" " سئل: عن قراءة أهل الميت تصل إليه والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير إذا أهداه إلى الميت يصل إليه ثوابها أم لا؟ فأجاب: يصل إلى الميت قراءة أهله وتسبيحهم وتكبيرهم وسائر ذكرهم لله تعالى إذا أهدوه إلى الميت وصل إليه والله أعلم، وكذلك في كتابه مجموع الفتاوى:"367 –366 :24" قال: "وأما القراءة والصدقة وغيرهما من أعمال البر: فلا نزاع بين علماء السنة والجماعة فى وصول ثواب العبادات المالية كالصدقة والعتق، كما يصل إليه أيضا الدعاء والاستغفار والصلاة عليه صلاة الجنازة والدعاء عند قبره، وتنازعوا في وصول الأعمال البدنية كالصوم والصلاة والقراءة، والصواب أن الجميع يصل إليه... الي ان قال وهو ينتفع بكل ما يصل إليه من كل مسلم، سواء كان من أقاربه أو غيرهم، كما ينتفع بصلاة المصلين عليه ودعائهم له عند قبره" اهـ

20- **ابن تيمية يقول بالبدعة الحسنة:** قال ابن تيمية في كتاب قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة: وكل بدعة ليست واجبة ولا مستحبة فهي بدعة سيئة وهي ضلالة باتفاق المسلمين ومن قال في بعض البدع إنها بدعة حسنة فإنما ذلك إذا قام دليل شرعي أنها مستحبة فأما ما ليس بمستحب ولا واجب فلا يقول أحد من المسلمين إنها من الحسنات التي يتقرب بها إلى الله:، أهـ،، وقال ايضا في مجموع فتاويه مسألة الزيارة: "إذًا البدعة الحسنة عند من يقسم البدع إلى حسنة وسيئة لابد أن يستحبها أحد من أهل العلم الذين يقتدى بهم ويقوم دليل شرعي على استحبابها، وكذلك من يقول: البدعة الشرعية كلها مذمومة لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: كل بدعة ضلالة، ويقولُ عمر في التراويح نعمتِ البدعة هذه، إنما سماها بدعة باعتبار وضع اللغة، فالبدعة في الشرع عند هؤلاء مالم يقم دليل شرعي على استحبابه، ومآل القولين واحد، اهـ،

21- **ابن تيمية يتخذ لنفسه وردا وذكرا محدداً وفي وقت محدد:** جاء في كتاب: "الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية للحافظ عمر بن علي البزار": » "جزء 1 – صفحة38 " "وكان قد عرفت عادته،

لا يكلمه أحد بغير ضرورة بعد صلاة الفجر فلا يزال في الذكر يسمع نفسه وربما يسمع ذكره من إلى جانبه، مع كونه في خلال ذلك يكثر في تقليب بصره نحو السماء، هكذا دأْبُه حتى ترتفع الشمس ويزول وقت النهي عن الصلاة، وكنت مدة إقامتي بدمشق ملازمه جل النهار وكثيراً من الليل، وكان يدنيني منه حتى يجلسني إلى جانبه، وكنت أسمع ما يتلو وما يذكر حينئذ، فرأيته يقرأ الفاتحة ويكررها ويقطع ذلك الوقت كله . أعني من الفجر إلى ارتفاع الشمس . في تكرير تلاوتها، ففكرت في ذلك، لمَ قد لزم هذه السورة دون غيرها؟ فبان لي ـ والله أعلم ـ أن قصده بذلك أن يجمع بتلاوتها حينئذ ما ورد في الأحاديث، وما ذكره العلماء: هل يستحب حينئذ تقديم الأذكار الواردة على تلاوة القرآن أو العكس؟ فرأى رضي الله عنه أن في الفاتحة وتكرارها حينئذ جمعاً بين القولين وتحصيلاً للفضيلتين، وهذا من قوة فطنته وثاقب بصيرته" اهـ

22- **ابن تيمية يقول ان الولي الصالح يقول للشيء كن فيكون:** قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى377 –376 :4" "متحدثا عن الحديث القدسي فقال: وقد جاء في الاثر "يا عبدى أنا أقول للشيء كن فيكون أطعني أجعلك تقول للشيء كن فيكون يا عبدى انا الحى الذى لا يموت أطعني أجعلك حيا لا تموت "وفى أثر أن المؤمن تأتيه التحف من الله من الحى الذى لا يموت الى الحى الذى لا يموت "فهذه غاية ليس وراءها مرمى كيف لا وهو بالله يسمع وبه يبصر وبه يبطش وبه يمشى فلا يقوم لقوته قوة"، اهـ،،

23- **كرامات الاولياء ومكاشفاتهم وقدراتهم وتأثيراتهم:** قال ابن تيمية في مجموع الفتاوي":3 156"قال "ومن أصول أهل السنة: التصديق بكرامات الأولياء وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم و المكاشفات، وأنواع القدرة والتأثيرات..."اهـ "

24- **الناس يخبرون بالغيب:** قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى252 :5" ""وكذلك إيمانهم بالمعاد والجنة والنار وغير ذلك من أمور الغيب، وكذلك ما يخبر به الناس بعضهم بعضًا من أمور الغيب هو كذلك، بل يشاهدون الأمور ويسمعون الأصوات، وهم متنوعون في الرؤية والسماع، فالواحد

منهم يتبين له من حال المشهود ما لم يتبين للآخر، حتى قد يختلفون فيثبت هذا ما لا يثبت الآخر، فكيف فيما أخبروا به من الغيب؟" "

25- **ابن تيميه وكرامة احياء الموتى:** قال ابن تيمية في كتاب النبوات "ص298،" قال: "وقد يكون إحياء الموتى على يد أتباع الأنبياء كما وقع لطائفة من هذه الأمة"، ويقول ايضا مجموع فتاوى ابن تيمية "ج 11ص281 ": ورجل من النخع كان له حمار فمات في الطريق فقال له أصحابه: هلم نتوزع متاعك على رحالنا، فقال لهم: أمهلوني هنيئة، ثم توضأ فأحسن الوضوء وصلى ركعتين ودعا الله تعالى فأحيا حماره فحمل عليه متاعه، ويقول ابن تيمية أيضاً:مجموع الفتاوى ابن تيمية "ج 11ص280 "وصلة بن أشيم مات فرسه وهو في الغزو، فقال اللهم لا تجعل لمخلوق عليّ منة ودعا الله عز وجل فأحيا له فرسه، فلما وصل إلى بيته قال: يابني خذ سرج الفرس فإنه عارية، فأخذ سرجه فمات الفرس، وجاع مرة بالأهواز دعا الله عز وجل واستطعمه فوقعت خلفه دوخلة رطب في ثوب حرير، فأكل الرطب وبقي الثوب عند زوجته زماناً

26- **تبرئة ابن تيمية للصوفية:** جاء في كتابه ابن تيمية " بيان تلبيس الجهمية ص 238 " ما نصهُ: " فأما شيوخ الصوفية المشهورون عند الأمة الذين لهم في الأمة لسان صدق مثل أبي القاسم الجنيد وسهل بن عبدالله التستري وعمرو بن عثمان المكي وأبي العباس ابن عطاء بل مثل أبي طالب المكي وأبي عبدالرحمن السلمي وأمثال هؤلاء فحاشا لله أن يكونوا من أهل هذا المذهب بل هم من أبعد الطوائف عن مذهب الجهمية في سلب الصفات ... وقال في بيان تلبيس الجهمية ص 261: " فكذلك المشائخ الصوفية برآء من بدع أهل التصوف فضلا عن من دخل فيهم من المتفلسفة وغيرهم فهذا أصل عظيم ينبغي معرفته واعتبر ذلك بما ثبت مقبولا من أئمة المشائخ كالفضيل بن عياض وأبي سليمان الداراني ومعروف الكرخي والسري السقطي والجنيد بن محمد وسهل ابن عبدالله التستري وعمرة وبن عثمان المكي وخلائق قبل هؤلاء من الصحابة فالصوفية العارفون الذين لهم في الأمة لسان صدق إذا قالوا علم الباطن وعلوم الباطن ونحو ذلك فهم لا يريدون بذلك ما يناقض الظاهر بل هم متفقون على أن من ادعا باطنا من الحقيقة يناقض ظاهر الشريعة فهو

زنديق وإنما يقصدون بذلك عمل باطن الإنسان الذي هو قلبه بالأعمال الباطنة كالمعرفة والمحبة والصبر والشكر والتوكل والرضا ونحو ذلك:

27- **ينسب ابن تيمية الصوفية إلى السنة وإلى مالك والشافعي:** قال ابن تيمية في درء التعارض ص502 الجزء8 وهو يصف الشيوخ الصوفية بأنهم ممن ينتسبون لأهل السنة ما نصهُ: - "وهذا الشيخ أبو محمد بن عبد البصري المالكي طريقته طريقة أبي الحسن بن سالم وأبي طالب المكي وامثالهما من المنتسبين إلى السنة والمعرفة و التصوف واتباع السلف وائمة السنة والحديث كمالك وسفيان الثوري وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وعبد الرحمن بن مهدي والشافعي واحمد ابن حنبل وأمثالهم وكذلك ينتسبون إلى سهل بن عبد الله التستري وامثاله من الشيوخ،

28- **ابن تيمية يؤمن بالكشف والعلم الباطن:** قال ابن تيمية في (مجموع الفتاوى)) ج11ص 313 ما نصه: [فما كان مِن الخوارق من "باب العلم "فتارة بأنْ يَسمع العبد ما لا يسمعه غيره، وتارة يرى ما لا يراه غيره يقظة ومناماً، وتارة بأنْ يعلم ما لا يعلم غيره وحياً وإلهاماً، أو انزال علمٍ ضروري، أو فراسة صادقة، ويُسمَّى كشفاً ومشاهدات، ومكاشفات ومخاطبات: فالسماع مخاطبات، والرؤية مشاهدات، والعلم مكاشفة، ويُسمَّى كله "كشفاً" و "مكاشفة" أي كشف له عنه]، انتهى قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى 13: 245: (وأما العلم اللدني، فلا ريب أن الله يفتح على قلوب أوليائه المتقين، وعباده الصالحين بسبب طهارة قلوبهم مما يكرهه، واتباعهم ما يحبه- ما لا يفتح به على غيرهم، وهذا كما قال عليّ: إلا فهما يؤتيه الله عبدًا في كتابه، وفي الأثر: «من عمل بما علم ورّثه الله علم ما لم يعلم»، وقد دل القرآن على ذلك في غير موضع، كقوله: {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا وَإِذا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرا عَظِيمًا وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا} [النساء: 66، 68]، فقد أخبر أنه من فعل ما يؤمر به يهديه الله صراطًا مستقيمًا، وقال تعالى: {يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ} [المائدة: 16]، وقال تعالى: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى} [محمد: 17]، وقال: {إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى} [الكهف: 13]، وقال تعالى: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ

هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} [البقرة: 2]، وقال تعالى: {هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [الجاثية: 20]، وقال تعالى: {هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [الأعراف: 203])) انتهى،

29- **ابن تيمية يجيز الاجتماع على الذكر والجهر به:** (مسألة 175) في رجل ينكر على أهل الذكر يقول لهم هذا الذكر بدعة وجهركم في الذكر بدعة وهم يفتتحون بالقرآن ويختتمون ثم يدعون للمسلمين الأحياء والأموات ويجمعون التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والحوقلة ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم والمنكر يعمل السماع مرات بالتصفيق ويبطل الذكر في وقت عمل السماع: (الجواب): الاجتماع لذكر الله واستماع كتابه والدعاء عمل صالح وهو من أفضل القربات والعبادات في الأوقات ففي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن لله ملائكة سياحين في الأرض فإذا مروا بقوم يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم وذكر الحديث وفيه وجدناهم يسبحونك ويحمدونك لكن ينبغي أن يكون هذا أحيانا في بعض الأوقات والأمكنة فلا يجعل سنة راتبة يحافظ عليها إلا ما سن رسول الله صلى الله عليه وسلم المداومة عليه في الجماعات من الصلوات الخمس في الجماعات ومن الجمعات والأعياد ونحو ذلك، وأما محافظة الإنسان على أوراد له من الصلاة أو القراءة أو الذكر أو الدعاء طرفي النهار وزلفا من الليل وغير ذلك فهذا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والصالحين من عباد الله قديما وحديثا فما سن عمله على وجه الاجتماع كالمكتوبات فعل كذلك وما سن المداومة عليه على وجه الانفراد من الأوراد عمل كذلك كما كان الصحابة رضي الله عنهم يجتمعون أحيانا يأمرون أحدهم يقرأ والباقون يستمعون وكان عمر بن الخطاب يقول يا أبا موسى ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يستمعون وكان من الصحابة من يقول اجلسوا بنا نؤمن ساعة وصلى النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه التطوع في جماعة مرات وخرج على الصحابة من أهل الصفة وفيهم قارئ يقرأ فجلس معهم يستمع وما يحصل عند السماع والذكر المشروع من وجل القلب ودمع العين واقشعرار الجسوم فهذا أفضل الأحوال التي نطق بها الكتاب والسنة، وأما الاضطراب الشديد والغشي والموت والصيحات، فهذا إن كان صاحبه مغلوبا عليه لم يلم عليه كما قد كان يكون في التابعين ومن بعدهم فإن منشأه قوة الوارد على القلب مع ضعف القلب والقوة والتمكن أفضل كما هو حال النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة وأما السكون قسوة وجفاء

فهذا مذموم لا خير فيه وأما ما ذكر من السماع فالمشروع الذي تصلح به القلوب ويكون وسيلتها إلى ربها بصلة ما بينه وبينها هو سماع كتاب الله الذي هو سماع خيار هذه الأمة لا سيما وقد قال صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن وقال زينوا القرآن بأصواتكم وهو السماع الممدوح في الكتاب والسنة) مجموع الفتاوى 22: 522،

30- **ابن تيمية يعترف بأن تحصيل العلم اللدني يتم بتصفية القلب والروح من الرعونات:** قال ابن تيمية في كتابه الرد على المنطقيين 1: 511: (وقد أنكر عليه [على الإمام أبو حامد الغزالي] طائفة من أهل الكلام والرأي كثيراً مما قاله من الحق وزعموا أن طريقة الرياضة وتصفية القلب لا تؤثر في حصول العلم وأخطأوا أيضا في هذا النفي بل الحق أن التقوى وتصفية القلب من أعظم الأسباب على نيل العلم)) اهـ [مبحث للشيخ حسام دمشقي بعنوان: (أقوال ابن تيمية وبعض تلامذته في التصوف)]،

***

**المطلب الرابع**

**تجديد أمر الدين**

**يحتاج إلى التمسك بالسلفية الصحيحة والصوفية الصحيحة**

لا يوجد أي خلاف بين السلفي الحقيقي والصوفي الحقيقي أبدا، لانّ السلفي الحقيقي صوفي حقيقي والصوفي الحقيقي سلفي حقيقي ، وكل مسلم ينبغي أن تكون فيه سلفية صحيحة تقوم على مبدأ الكتاب والسنّة والتوحيد والاتباع، ولابد وأن تكون فيه صوفية حقة صادقة تقوم على التربية والتزكية والأخلاق، وإنّ الخلاف لا يقع حقيقة إلا في وجود أدعياء السلفية المتنطعين، كالوهابية الحشوية الذين ينتسبون زورا إلى السلف ، ونسبتهم الحقيقية إلى الحشوية والمجسمة والخوارج، أو في وجود ادعياء التصوف الزائفين، وفي عصور الإسلام الاولى كان العلماء أمثلة صحيحة لمعاني السلفية والصوفية، والخلاف لا ينتج إلا عند الإفراط أو التفريط ، و (السلفية المشوهة): هي التي تُبدّع وتكفر كل اجتهاد وفهم يخالف نظرتها، و (الصوفية المنحرفة): التي أسرفت بسبب الشطح والبدع والخرافات والمنكرات هي التي تُعادي السلفية بمعناها الصحيح، إنّ الانتماء للسلف الصالح (الصحابة والتابعين وتابعي التابعين) هو منهج وليس مذهب، وهو منهج ينبني على صفاء العقيدة، والأخذ بعلم الكتاب والسنة، والاستفادة من فهم السلف الصالح للكتاب والسنّة، وقد كان من بركة اتباع السلف ظهور مدارس التخصص الكبرى في العقيدة وفي الفقه وفي التصوف، وكذلك فإنّ الانتماء إلى الصوفية منهج وليس مذهب، منهج يقوم على التربية والتزكية والتخلي عن الآثام الظاهرة والباطنة، ثم التحلي بالطاعات الظاهرة والباطنة، فمتى خلا السلفي المعاصر عن بدع الحشو والتجسيم والغلو في التكفير والتشريك والتبديع، ومتى خلا الصوفي عن الرعونات والشطحات، كان أجمل الوفاق، وأحسن الاتفاق، وكان الإحسان ظاهرا وباطنا، وهذا هو أهم المطلوب، ألا وهو تحقيق التلازم بين الظاهر والباطن، فأهل التصوف الحق يعتنون بقضايا أعمال الباطن مثل الحقائق والرقائق والدقائق، والسلفيون الصادقون يركزون على ظاهر الاتباع، وأحسن الحقيقة هو المزج بين علم الظاهر وعلم الباطن، وتلازم الظاهر والباطن هو المعادلة التي تجتمع عليها امة الإسلام ، وهي المعادلة التي كان عليها أكابر اهل التصوف، مثل بشر الحافي، ومعروف الكرخي، وأبي سليمان الداراني، والحارث المحاسبي، والإمام الجنيد، كان يقول: "طريقنا هذا مسدود، من لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في علمنا هذا"، وكان يقول : "علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة "اهـ، وكان يقول: (الطرق كلها مسدودة على الخلق، إلا على مَن اقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم، واتَّبع سُنَّته، ولزمَ طريقته، فإن طُرُقَ الخيرات كلها مفتوحة عليه "اهـ،

***

# المبحث الخمسون

# (معالم التجديد في مجال التصوف)

**[المفتاح الأول]:** التجديد تعبير شرعي صحيح: أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأنه يحدث على رأس كل قرن ليتجدد على مر الزمان دين الإسلام التام الكامل المحفوظ ولتتجدد على مر عصور الزمان رسالته الخالدة إلى قيام الساعة، وهذا الحديث الصحيح من أعظم البشارات النبوية التي تبعث في قلوب المسلمين الاطمئنان على دين الله تعالى وعلى أمة الإسلام مهما توالت عليها النكبات ومهما تكالب عليها الأعداء، حيث يبعث الله عز وجل لهذه الأمة على مشارف كل قرن هجري جديد من يجدد للأمة دينها ويصلح حالها، أخرج أبو داود في [السنن ح (4291)]، والحاكم في [المستدرك ج4: 522]، والبيهقي في [معرفة السنن والآثار ص52] عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: **(إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائه سنه من يجدد لها دينها)** والحديث صحيح صححه السخاوي في المقاصد الحسنة [(ص121-122) وقال سنده صحيح ورجاله كلهم ثقات] والسيوطي في الجامع الصحيح [ج2: 181]، والحديث مشهور عند أهل العلم شهرة واسعة

ذكره الأئمة على مر العصور وأشار إلى شهرته كثير من العلماء منهم الحافظ بن حجر والحافظ السيوطي والحافظ المناوي،

**[المفتاح الثاني]:** المعنى الصحيح للتجديد: هو البعث والإحياء والإعادة لما دُرس من معالم الدين، وتجديد أمر الدين لا يعنى إحداث شيء جديد في الدين – حاشا لله من ذلك – فذلك من دعاوى أهل الزيغ والبدع والضلال لأنه طعن في دين الله تعالى التام الكامل الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من الأمور التي يقوم عليها صلاح الدنيا والآخرة إلا وضع لها القواعد والأصول التي على مدارها سعادة الدارين، ولهذا قال الله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة:3] وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) [متفق عليه]، وعلى ذلك فالمعنى الصحيح لتجديد الدين: يحمل معاني البعث والإحياء والإعادة للدين ولما درس من علومه وأعماله وجوانبه وأركانه إلي قريب من حالته الأولي النقية الصحيحة الصافية زمان النبي صلي الله علية وسلم وأصحابه الكرام رضي الله تعالي عنهم، ولما كان الدين على مر العصور تأتى عليه – بسبب مكر وكيد أعدائه له وغفلة بعض أهله عنه – عوامل الخفاء والضعف وعوامل الإفراط والتفريط وعوامل الغلو والتعصب اقتضت حكمة الله عز وجل ورحمته بهذه الأمة أن يتعهد لدينها على مر الأزمان بمن يجدد أمره ويظهر منهاجه ناصعا قريبا إلى عهده الأول حيث الصحة والنقاء وعلو الكلمة والراية والعزة والظهور،

**[المفتاح الثالث]:** التجديد مستمر على مدار عصور تاريخ الإسلام: أخبر الله تعالى بحفظ الدين، كما في قوله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: 9]، وكذلك أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك بقوله: (لا تزال طائفة من أمتي قائمة على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى تقوم الساعة) [أخرجه مسلم]، وما أخرجه البيهقي عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: (يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين) [أخرجه البيهقي، وصححه الإمام أحمد بن حنبل كما في شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي ص16]، والناظر إلى تاريخ الإسلام على مدار القرون الماضية لا يرى زمناً ولا قرناً إلا وقد هيئ الله تعالى له من يصلحه ويجدد أمر الدين فيه وذلك بنشر علوم الدين الصحيحة الصافية، أو بنصرة أعمال الدين، أو بتحقيق رسالة الدين على أرض الله تعالى وبين عباده، أو بتصفية الأخطاء عن الدين، وذلك بنفي تحريف الغالين من الفرق الضالة المبتدعة، وانتحال المبطلين الذين همهم ترويج

باطلهم إلى الإسلام قصدا إلى تحريفه، وإثارة الشبه والشكوك حوله في عقول المسلمين، كالعلمانيين والعقلانيين، وتأويل الجاهلين كالجهمية والمجسمة والمشبهة والمرجئة وسائر أهل الجهالة في الدين، ينفون ذلك كله عن هذا الدين القيم، فيعود كما بدأ غضاً طرياً نقياً صافياً كما أراده الله تعالى، وكما بلغه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولله الحمد والمنّة فقد كان المجددون والمصلحون عبر التاريخ ولا يزالون بالمرصاد للغالين والمبطلين والجاهلين، يجددون أمر الدين وينفون عنه ما حرفه هؤلاء الآثمون،

**[المفتاح الرابع]: التجديد سنة ماضية وبشارة من الله تعالى لهذه الأمة:** إن بناء دين الإسلام الشامخ بُني على أساس متين يسمح له بالبقاء إلى قيام الساعة، ولكن هذا البناء الرباني العظيم، يحتاج على مر العصور – بفعل عوامل الخفاء والضعف – إلى ترميم وتجديد، يعيد صفاءه ونقاءه وقوته إلى قريب من حالته الاولى زمان الرسول الكريم سيد البشر صلى الله عليه وآله وسلم، وقد قدّر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تلك المدة بمائة سنة، فكان من ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائه سنه من يجدد لها دينها)، ومنه يتبين أن تجديد أمر الدين على مر قرون الإسلام سنة إلهية شرعية لهذا الدين، تتسق مع كون هذا الدين القيم محفوظ بحفظ الله تعالى له إلى قيام الساعة، مع ما هو معلوم من أن الله تعالى قد ختم الأنبياء والمرسلين برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فالمجددون من العلماء المجتهدين والقادة المخلصين والدعاة والمحتسبين والمجاهدين هم الوارثون لعمل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في أمته، يجددون لهذه الأمة أمر دينها، يحيون ما اندرس من علوم الدين ويحققون ما غاب من أهدافه في أرض الله تعالى وبين عباده، كما أن حديث التجديد بشارة من الله تعالى لهذه الأمة، أنها لا تخلو من المجددين على مر عصور الزمان،

**[المفتاح الخامس]: أهم جوانب التجديد الإسلامي المنشود:** هو جانب التزكية، قال تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} [الشمس: 9، 10]، تلك التزكية التي تعد أحد أهم مهمات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، كما في قوله تعالى: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [آل عمران: 164]، و (التصوف هو القائم على تزكية الانفس، ومن أهم جوانب التجديد الإسلامي المنشود: تحقيق الإحسان الظاهر والباطن، و (التصوف) هو المرادف لمرتبة الإحسان

الواردة في حديث جبريل عليه السلام وفيه: (قَالَ: فأخبرني عَنْ الإحسان؟ قَالَ: أن تعبد اللَّه كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) [أخرجه مسلم]، و أهم جوانب التجديد الإسلامي المنشود: هو الجانب الاخلاقي والسلوكي، و (التصوف) هو القائم على عظيم الأخلاق ومكارم الآداب،

**[المفتاح السادس]: أولى الناس بالتجديد هم الأولياء المرشدون**، فإن الغاية في الهداية هو الولي المرشد، نستفيد ذلك من مثل قوله تعالى: {مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا} [الكهف: 17]، وقوله تعالى: {وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ} [آل عمران: 79]، فإذا وجد الولي المرشد الوارث الكامل فهو حينئذ المجدد الذي بإمكانه ان ينتشل الامة من الضعف والوهن، وأن يتخرج على يديه الهداة المهديين من أهل الصلاح والفلاح، إنّ الأمة الإسلامية تحتاج على مر العصور أن تجدد أمر دينها ومفتاح ذلك هو وجود الولي المرشد الوارث للنبي صلى الله عليه وسلم في امته لأنه إذا آل الامر إلى غير الوارث نقص من امر التجديد بقدر نقصان مقام الوراثة عند المجدد، فلا مناص من ان يتولى أمر التجديد أهل الوراثة النبوية الكاملة، وإن أولى الناس بالتجديد هم الأولياء المرشدين لانهم ورثة النبي صلى الله عليه وسلم في أمته إلى قيام الساعة، وهم الأمناء على دينه ودعوته وأمته، وعلى ذلك فإن اردنا تجديد الدين فلا بديل عن التصوف وأكابر أهله الاولياء المرشدين الهداة المهديين الصديقين الوارثين،

**[المفتاح السابع]:** أهم معالم الإصلاح والتجديد الفكري في مجال التصوف السني الصحيح تتمثل في النقاط التالية:

**(أولا): تأكيد وتجديد مبدأ ارتباط التصوف بالكتاب والسنة:** وهذا المبدأ من المبادئ التي أكدها أئمة التصوف وعلماؤه المحققون منذ العصور الإسلامية الأولى، فمن ادعى التصوف مع إخلاله بالشرع فهو دعيٌّ في هذا الطريق لم يشتم شيئا من رائحة التحقيق، قال الإمام الجنيد رحمه الله: " من لم يحفظ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الأمر، لأن علمنا مقيد بالكتاب والسنة " أهـ،

**(ثانيا): التأكيد على أهمية التصوف كمنهج أصيل للإصلاح والتربية:** فإن الخبرات التربوية التي يتمتع بها أئمة التصوف ينبغي أن يستفاد منها في بلورة مناهج تربوية سليمة لإصلاح المجتمعات الإنسانية عامة والإسلامية خاصة، وضرورة الاستفادة من مناهج التصوف السمحة في مجال الدعوة الإسلامية بالتحلي بالحكمة والتزام الموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن والدعوة إلى تكامل

العمل الإسلامي، ورفض كل أنواع الغلو والتعصب والتطرف الديني تمسكاً بروح التسامح الإسلامي، مع استلهام قيم ومبادئ التصوف الإسلامي في مناهج التربية والتعليم حتى ينشأ جيل مسلم مشبع بروح التدين والالتزام، وقد كان للتصوف السبق في نشر الإسلام في كل ربوع إفريقيا، فإنّها لم يصلها المجاهدون بسيوفهم من المسلمين حتى ينقلوا إليها الإسلام، وإنما نقل الإسلام إلى إفريقيا السادة الصوفية بأخلاقهم وصفاتهم التي هزموا بها الباطل، ونصروا بها الحق، وأسسوا به دولا وإمارات إسلامية في تلك المناطق، وحافظوا على الإسلام في تلك البلاد أجيالا متعاقبة،

**(ثالثا): تصحيح التصورات الخاطئة عن التصوف لدى الآخرين:** فمن المعلوم أن التصوف الإسلامي قد تعرض لكثير من الاتهامات على امتداد تاريخه الطويل، منذ أن عرف بهذا الاسم، في القرون الأولى، ثم تراكمت هذه الاتهامات، نتيجة لعوامل متعددة، بعضها ناتج عن ممارسات بعض المنتسبين إلى التصوف، وبعضها من تحامل خصومهم، أو من جهلهم بحقيقة التصوف ومقومات بنائه ومرتكزاته الشرعية، لذا ينبغي تصحيح التصورات الخاطئة لدى غير المنتسبين إلى التصوف، وبيان وجه الصواب والخطأ في هذه التصورات، سالكين في سبيل ذلك طريق الحكمة والموعظة الحسنة،

**(رابعا): تصحيح المفاهيم الخاطئة لدى بعض المتصوفة:** وذلك نظرا للواقع المشاهد من أن كثيرا من الانتقادات والتصورات الخاطئة عن التصوف التي يطلقها خصوم التصوف، تأتي نتيجة لممارسات يقوم بها بعض المتصوفة أو المنتسبين إلى ميدان التصوف، فيتخذها المنتقدون وسيلة للتشهير، بعد أن يعمموها على جميع الصوفية، المحقين منهم والمبطلين، على السواء، من هنا ينبغي بذل الجهد الصادق في تصحيح هذه الأخطاء والمفاهيم الخاطئة لدى المتصوفة، سواء كانت هذه المفاهيم محدثة من قبل المنحرفين، أو أن لها أصلا صحيحا وتعرضت للتحريف من قبل الجهال والمبدِّلين،

**(خامسا): التمييز بين التعددية المحمودة والطائفية المذمومة:** فإنّ حديث افتراق الأمة إلى بضع وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، لا يتناول طوائف أهل السنّة والجماعة لأنّها كلها جماعة واحدة تضمها أصول واحدة، كما أنّ الاختلاف الوارد في حديث افتراق الأمة لا يعني الاختلاف في مسائل الفروع أو تعدد المذاهب أو الاختلاف في مناهج السلوك والعبادة، أو تعدد الطرق التي يتخذها الأولياء في توصيل المريدين إلى الله تعالى، بل إن السواد الأعظم من المسلمين داخلون

بحمد الله في عداد الفرقة الناجية، طالما أنهم متمسكون بالأصول والثوابت الشرعية فلا يضرهم الاختلاف الاجتهادي في الفروع ونحوها، فإنّ أهل السنة، وهم الجماعة والسواد الأعظم، ميزتهم أن الخلاف بينهم في الفروع لا يفرق جماعتهم،

**(سادسا) العمل على نشر التصوف الحق وتعاليمه**، بصفته جزءاً مهماً في تكوين شخصية المسلم، فإن التصوف روح الإسلام ولا غنى للجسد عن الروح، والتصوف هو التحقيق العلمي والسلوكي (ظاهرا وباطنا) لمقام الإحسان أعلى مراتب الدين، وهو الطريق إلى تزكية النفس وفلاحها {قد أفلح من زكاها}، وهو الوسيلة التي يتم من خلالها طهارة الظاهر والباطن: {وذروا ظاهر الإثم وباطنه}، وهو السبيل إلى سلامة القلب {يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم}، وهو العلم الذي تخصص بتزكية الظاهر والباطن، قال تعالى: {وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ}، وهو العلم الذي اختص بمعالجة لأمراض القلبية، قال حجة الإسلام الغزالي: (الدخول مع الصوفية فرض عين، إذ لا يخلو أحد من عيب، إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام)، وقال العارف بالله أبو الحسن الشاذلي: (من لم يغلغل في علمنا هذا، مات مُصراً على الكبائر وهو لا يشعر)،

**(سابعا): العمل على نشر أخلاق التصوف الحق**، أخلاق التسامح والمحبة والمودة وخفض الجناح، والصوفي: مثال للخلق العظيم، فلا يخاصم أحدا على حقه، ولا يطالب أحدا بحق، وهو يتغافل عن الزلة، وينسى الأذية، وهو يقرب من يقصيه، ويكرم من يؤذيه، وهو يصل من قطعه، ويعطي من حرمه، ويعفو عمن ظلمه، ويحسن إلى من أساء إليه، يقنع بقليل الدنيا عن كثيرها، يتصف بالشفقة على الخلق، والتواضع للصغير والكبير، والإيثار ولو كان به خصاصة، سخي النفس يكرم ضيفه ويصل رحمه، مَضرب المثل في التواصل والتعاون، وقضاء حوائج الخلق، فهذه أخلاق التصوف التي ينبغي نشرها في الامة لانها من أخلاق صاحب الخلق العظيم، قال صلى الله عليه وآله وسلم: (إنما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاَقِ) [مسند الإمام أحمد]

لا تنس كتاب منهاج الصوفي (منهاج اهل التصوف) يا مجدي

***

# الخاتمة واهم التوصيات

**(1) التصوف علم إسلامي أصيل مرادف لمصطلح التزكية في القرآن ومصطلح الإحسان في السنّة،** وكما هو معلوم لكل طالب علم أنّ القرآن الكريم قد تطرق إلى العلوم المهمة ولمواضيعها الأساسية، دون أن يعطي لها مسميات وتعريفات ودون أن يجمع أصولها وقواعدها وضوابطها وشروطها في موضع واحد، بل فرق تلك القواعد في ثنايا السور والآيات وترك تسمية العلوم وجمع تعريفاتها وقواعدها وأصولها للعلماء لكي يتدبروا ويجتهدوا ويسعى كل عالم منهم من أجل كشف لبنات هذه العلوم، وعلى مر العصور تتبلور العلوم، وتتخصص المدارس العلمية، ويتقن كل فريق من العلماء ما تخصصوا فيه من العلوم، فكما تخصص علماء الأصول في علم العقائد وسموه علم العقيدة، وكما تخصص الفقهاء في علم الفقه وسموه بهذا المصطلح، كذلك علم التصوف كباقي العلوم لم يذكر اسمه في القرآن الكريم وإن كان هو المرادف لمصطلح (التزكية) المقصودة بقوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} [الشمس: 9-10]، تلك التزكية التي تعد أحد أهم مهمات الرسول صلى الله عليه وسلم، كما في قوله تعالى: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [آل عمران: 164]، وكذلك فإن (التصوف) هو المرادف لمرتبة الإحسان الواردة في حديث جبريل عليه السلام وفيه: (قَالَ: فأخبرني عَنْ الإحسان؟ قَالَ: "أن تعبد اللَّه كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك")) [أخرجه مسلم]،

**(2) أهم مباحث علم التصوف:** التصوف علم عظيم واسع من علوم أهل السنة والجماعة يقوم على تزكية النفس، وتخليتها من دسائس الأخلاق وتحليتها بالأخلاق العظيمة والمبادئ السامية، مع وجود منهاج عملي يقوم على الذكر والفكر والزهد في الدنيا وإيثار الآخرة، من أجل الوصول إلى مرتبة

الإحسان أعلى مراتب الدين وأعظمها، والتصوف الإسلامي هو تربية علمية وعملية للنفوس وعلاج لأمراض القلوب وغرس الفضائل واقتلاع الرذائل وقمع الشهوات وتدريب على الطاعات، والتصوف لا يعدوا أن يكون جهاداً عنيفا ضد الرغبات ليصل الإنسان إلى منازل الإحسان، أعلى أركان الدين (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك))، والتصوف منهج يقوم على (التخلية) و (التحلية)، تخلية القلب واللسان والجوارح وتطهيرها من الأخلاق السيئة، وتحلية القلب واللسان والجوارح بالأخلاق الحسنة، وهذا المنهج يستمد أصوله وفروعه من القرآن والسنة النبوية واجتهاد العلماء فيما لم يرد فيه نص، وطريق التصوف هو الاجتهاد في العبادات والقربات والمسارعة في الخيرات، مع اجتناب المنهيات والمكروهات، وتربية النفس على طاعة الله وجهادها على دوام ذكر الله، وتطهير القلب من مساوئ الأخلاق، ودسائس الطباع، وتحليته بأحسن الأخلاق مع الله ومع الناس، وكل ما سبق يحويه ما أسماه أصحابه بـ (علم التصوف)، بينوا أصوله وفروعه ومناهجه الربانية في بلوغ مراتب الصديقين والمحسنين والصالحين وحسن أولئك رفيقا،

**(3) أهمية علم التصوف:** علم التصوف أعلى مراتب الدين لأنّه يتناول مرتبة الإحسان، وعلم التصوف له أهمية بالغة بين علوم الدين: لأنّه اختص بتزكية الباطن عملاً بقوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ} [الْأَعراف: 33]، وقال تعالى: {وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ} [الْأَنعام: 151]، كما تخصص في تزكية القلب بطهارته من الحقد والحسد والكبر والعجب والرياء...، وتحليته بالإخلاص والصدق والتواضع والتقوى وعظيم الأخلاق... وهذا القسم الذي تخصص فيه التصوف هو القسم الأهم لقوله صلى الله عليه وسلم: (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) [أخرجه البخاري (52)، ومسلم (2523)] وقوله صلى الله عليه وسلم: (إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) [أخرجه مسلم (2564)]، وقوله صلى الله عليه وسلم (... التقوى ههنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) [أخرجه البخاري (5718) ومسلم (2559)]، كما تخصص في عظيم الأخلاق لقوله صلى الله عليه وسلم (إن الرجل ليبلغ بحسن الخلق درجة الصائم القائم) [أخرجه الإمام أحمد في مسنده (19: 76)]، وقد أجمع الفقهاء على أن الأمراض والآفات القلبية كالكبر والشح والحقد والغش والغضب والعداوة والبغضاء والطمع والبخل والبطر والخيلاء

والخيانة من الذنوب والكبائر القلبية التي تحتاج إلى توبة وطهارة وغالبها لا ينفك عنها بشر، والتصوف هو العلم الذي اختص بمعالجة هذه الأمراض القلبية والعمل على تزكية النفوس والتخلص من صفاتها الناقصة الذميمة، كما أنّ **التصوف هو العلم الذي تخصص في بيان درجات الإحسان** ومنازل المقربين من رب العالمين وهو العلم الذي تخصص في رسم الطريق الحقيقي العلمي العملي الذي يوصل المسلم إلى أعلى مقامات الكمال الأخلاقي مع الله تعالى ومع الناس، ولذا قال حجة الإسلام الإمام الغزالي: بعد أن اختبر طريق التصوف ولمس نتائجه وذاق ثمراته (ولقد علمت يقيناً أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة وأن سيرتهم أحسن السيرة، وطريقتهم أصوب الطرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق،، ثم يقول رداً على من أنكر على الصوفية وتهجَّم عليهم: وبالجملة فماذا يقول القائلون في طريقةٍ طهارتُها . وهي أول شروطها . تطهيرُ القلب بالكلية عما سوى الله تعالى، ومفتاحها الجاري منها مجرى التحريم من الصلاة استغراقُ القلب بالكلية بذكر الله، وآخرها الفناء بالكلية في الله) [المنقذ من الضلال]، **إن التكاليف الشرعية المتعلقة بالقلب أهم من التكاليف الشرعية المتعلقة بالبدن** – وإن كان الكل مُهمَّاً –، وما دام صلاح الإنسان مربوطاً بصلاح قلبه الذي هو مصدر أعماله الظاهرة، تعيَّن عليه العمل على إصلاحه بتخليته من الصفات المذمومة التي نهانا الله عنها، وتحليته بالصفات الحسنة التي أمرنا الله بها، وعندئذٍ يكون القلب سليماً صحيحاً، ويكون صاحبه من الفائزين الناجين {يوم لا ينفعُ مالٌ ولا بنونَ إلا مَن أتى اللهَ بقلبٍ سليمٍ} [الشعراء: 88 – 89]، قال الإمام جلال الدين السيوطي رحمه الله: (وأما علم القلب ومعرفة أمراضه من الحسد والعجب والرياء ونحوها، فقال الغزالي: إنها فرض عين) ["الأشباه والنظائر" للسيوطي ص 504]، **كما أنّ التصوف هو العلم الذي اختص بتحلية النفس بالصفات الكاملة** كالتوبة والتقوى والاستقامة والصدق والإخلاص والزهد والورع والتوكل والرضا والتسليم والأدب والمحبة والذكر والمراقبة، وللصوفية في هذا المجال الحظ الأوفر من الوراثة النبوية، **وهو العلم الذي اهتم برسم الطريق العملي** الذي يوصل المسلم إلى أعلى درجات الإيمان والإحسان والأخلاق والتزكية، وعلى ذلك يمكننا القول بأنّ (التصوف) منهج عملي كامل، يحقق صلاح المسلم وتهذيب أخلاقه وتحوله إلى شخصية مسلمة مثالية متكاملة، تعيش في درجات الإحسان، ومن هنا تظهر أهمية التصوف وفائدته، ويتجلى لنا بوضوح، أنه علم إسلامي قيم، لا غنى عنه لكل مسلم، كما لا غنى له عن علوم العقيدة التي تصلح الاعتقاد وعلوم الفقه التي تصلح العبادات والمعاملات، وحاصله اتصاف المسلم بجميع المحامد وترك جميع الأوصاف الذميمة، وهو مسلك قائم على العلم والعمل، وله منازل أعلاها

المشاهدة (أن تعبد الله كأنك تراه) وأولها المراقبة (فإن لم تكن تراه فإنه يراك) وله مقامات عديدة شريفة منها التوبة والمحاسبة والخوف والرجاء والصدق والإخلاص والصبر والورع والزهد والرضا والتوكل والشكر، و (التصوف) هو الطريق المؤدي إلى أرقى درجات الكمال الإيماني والإحساني الذي به يتحقق مقام الشهود وحق اليقين، وهو الطريق إلى مدارج السالكين ومراقي الصاعدين إلى مرضاة رب العالمين، وأنه (علم التصوف النقي الصافي القائم على الكتاب والسنّة) أهم علوم الإسلام وأعلاها منزلة ولابد من إنصافه،

**(4) برآءة التصوف الإسلامي النقي الصافي من الانتساب إلى الأديان الأُخرى المحرفة والنحل الباطلة:** وذلك لأنّ التصوف علم أصيل يستمد أصالته من الكتاب والسنة، ومن هدي السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم، ويقوم على مبادئ التزكية والإحسان كما جاء بها الكتاب والسنّة، أما الزعم الكاذب بان التصوف يستمد أصوله وأسسه من الديانات الأخرى المحرفة والنحل الباطلة المزيفة، فهذا ظلم بين لعلم التصوف، وجحود واضح لأهله الصادقين المخلصين، والله تعالى أمرنا بالإنصاف مع الكافرين في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المائدة: 8]، فكيف بالإنصاف مع عباده الصالحين وأوليائه المحسنين، وفي الحديث الصحيح: (إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أُحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينّه، ولئن استعاذني لأعيذنّه)) [أخرجه البخاري]، وقد علم القاصي والداني أن القوم أقرب الناس تحقيقاً لهذا الحديث،

**(5) ضرورة تصحيح مسار التصوف وتجديد أمره:** التصوف كغيره من علوم الإسلام قد يدخل فيه من ليس من أهله من الأدعياء والدخلاء والجهلاء، وهؤلاء لا يمكن أن يضروا التصوف، بل ضررهم على أنفسهم، ولا زال العلماء يتكلمون على أخطاء المتصوفين، ويصححون مسار التصوف، وهم يفرقون بين الصوفية الحقة وأدعياء التصوف، يثنون على التصوف الصحيح وأهله بالخير، ويهاجمون الأدعياء والدخلاء دون إساءة للتصوف والصوفية، أما أن نأخذ الصالح بجريرة الطالح فهذا ظلم عظيم، قال الله تبارك تعالى {وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} [الأنعام:164]،

**(6) التنبيه على محاولات خاطئة يائسة للقضاء على التصوف: هناك فريق يدعي الإصلاح يسعى لاقتلاع التصوف من جذوره**، وهؤلاء يريدون ان يأخذوا التصوف ببعض أدعيائه؟ وهم يبذلون كل الوسائل المتاحة لمحاربته، ويصرون على إلصاق كل التهم بالصوفية دون تفريق ودون مبالاة بما دس على الصوفية من أقوال وأفعال، ثم تراهم يكفرون الصوفية كلها بمقولة وجدها في كتاب ما مدسوسة على احدهم، أو قالها في ساعة ذهول لا يقصدها، _ كالذي أخطأ من شدة الفرح فقال: اللهم انت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح _ إن الأصل في ديننا أنه ما من معصوم في هذه الأمة سوى الرسول صلى الله عليه وسلم، وجميع العلماء بعده والطوائف كذلك يؤخذ منها ويرد عليها وهم غير معصومين عن الخطأ، أخطاؤهم غير مقبولة كدين، ونغض الطرف عن عثرات علمائهم لأنه الأدب مع العلماء الذين لهم فضل ننظر إلى محاسنهم ونترك المساوئ والعثرات، **إن كلمة (صوفي) كانت على مر عصور الإسلام السابقة كلمة ثناء، وصفة مدح**، فهل يعقل أن نأتي الآن لنغير حقائق الدين والتاريخ محاولين إضفاء صبغة البدعة والضلالة على ذلك العلم الذي يتناول التزكية والأخلاق وأعمال القلوب في دين الله تعالى، هل يعقل اليوم أن ينادي بعض من يزعمون الإصلاح إلى اقتلاع التصوف من جذوره، وابادة التصوف وأهله، وردم التراب على تراث المتصوفة بحجة تطهير المنهج من المبتدعة، فهل بعد هذا التنطع من تنطع، وأين يذهب تسعة أعشار أهل السنة في العالم اليوم في مصر والسودان ودول المغرب العربي واندونيسيا والباكستان وغيرها من بلاد المسلمين، هذا اليوم، فما بالنا بهم على مر عصور الإسلام السابقة، وأين يذهب الجنيد وأصحابه، وحجة الإسلام الغزالي وأتباعه، وعبد القادر الجيلاني والرفاعي والشاذلي وآلاف الآلاف من أتباعهم، إن هؤلاء هم سادة التزكية وأقطاب التصوف ودعائم الأخلاق، ولا يكابر في إنكار فضلهم إلا مجازف بدينه مخاطر بأمته، وهل انتشر الإسلام في أقاصي الشرق والغرب إلا بأخلاق هؤلاء وجهودهم في الدعوة إلى الإسلام، **ليس معنى ذلك أن نبرأ الصوفية من كل خطأ وأنهم معصومون**، فهناك من أدعياء الصوفية من أساء للصوفية أكثر من أعداء التصوف، ولابد من تجديد التصوف حتى يسير في إتمام مهمته من تزكية النفس وبناء أمة الأخلاق في خضم زمان لا يعرف أهله سوى الماديات،

**(7) التصوف: هو أولى جوانب الإسلام بالتصفية** : لأنه يتناول أعلى مراتب الإسلام (مرتبة الإحسان)، **يكون بتصفية الاعتقاد من كل شوائب التقديس والإطراء للمشايخ:** فإنهم أولياء نعم، لهم التوقير والاحترام، نعم، ولكن ليس لهم العصمة، وكلٌ يؤخذ من قوله ويرد إلا المعصوم صلى الله

عليه وسلم، هم أولياء لله نعم، ولكن ليس لهم من أمر التدبير والتصريف شيء، والادعاء بأن للأولياء تصرفاً في الكون، أو أنه لا يحصل شيء في العالم إلا بتصرف الأولياء، أو تصرف الأقطاب ادعاء يخالف عقيدة التوحيد، وقد أمر القرآن الكريم الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى: {قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [الأعراف: 188]، وقوله تعالى: {قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ} [يونس: 49]، وقوله تعالى: {قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا} [الجن: 21]، وحفظ جناب التوحيد والإسلام أولى من هذه الترهات والدعاوى الخاطئة، وحفظ جناب الشريعة أهم وأولى من رفع شأن الاولياء، والغلو في المشايخ إلى حد مخالفة الشرع الحنيف، **وتصفية الاعتقاد من كل دعاوى الاتحاد والحلول والوحدة المطلقة على معناها الفلسفي المرفوض، وتصفية العبادات من كل الأخطاء والمخالفات الشرعية**، ورفض كل دعاوى مخالفة الحقيقة للشريعة، ومخالفة الظاهر للباطن، وانكار تلك الدعاوى الفاجرة، فلولا الظاهر ما حفظ الباطن، ورفض كل دعاوى سقوط التكاليف عن الواصل، لأنه بذلك واصلٌ إلى جهنم وسقر، **وتصفية السلوكيات من كل الأخطاء والمخالفات السلوكية**، بتنزيه الذكر عن الغناء والرقص والطبل والمعازف، واحترام جناب الشريعة عند الأضرحة والقباب، وتصفية الأذكار والأدعية عن الألفاظ الغريبة، والدعاوى العريضة، والمبالغات الفجة، ورفض كل دعاوى الشطح لأنها نقص ورعونه، والبراءة من أدعياء التصوف، والتحذير من المخالفات الشائعة بين مدعي التصوف، والبراءة مما يحدث في احتفالات الصوفية ومجامعهم من الجهل والبدع والمنكرات والمخالفات والأخطاء، والبراءة من الممارسات الخاطئة، **واعتماد مبدأ التصفية للتراث الصوفي العريض مما علق به من أخطاء**، ومما نسب إليه زوراً وبهتاناً من أعداء التصوف الصحيح، واعتماد مبدا التجديد والإحياء للتصوف الإسلامي الصحيح الصافي القائم على الكتاب والسنة،

(8) **أقسام الاخطاء التي نسبت إلى التصوف ثلاث:** (الأولى): أخطاء أُلصقت بالتصوف ظُلم فيها أهل التصوف والواجب إنصافهم فيها، و (الثانية): خلافيات فقهية الخلاف فيها فقهياً مقبول ولا ينبغي التنطع في إنكاره، و (الثالثة): أخطاء شرعية يحمل وزرها أدعياء التصوف ولابد من ردها إلى صوابها،

**(9) من أمثلة القسم الأول: الأخطاء أُلصقت بالتصوف والتي ظُلم فيها أهل التصوف والواجب على أهل العلم إنصافهم فيها: (أ) اتهام التصوف بأنّه دخيل على الإسلام،** مع أنّ التصوف هو المرادف لمصطلح (التزكية) المقصودة بقوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} [الشمس: 9-10]، وقوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (14) } [الْأَعلى: 14]، وقوله تعالى: {وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ} [فاطر: 18] وقوله تعالى: {جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى} [طه: 76]،تلك التزكية التي تعد أحد أهم مهمات الرسول صلى الله عليه وسلم، كما في قوله تعالى: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [آل عمران: 164]، وقوله تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [الجمعة:2]، وكذلك فإن (التصوف) هو المرادف لمرتبة الإحسان الواردة في حديث جبريل عليه السلام وفيه: (قَالَ: فأخبرني عَنْ الإحسان؟ قَالَ: "أن تعبد اللَّه كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك")) [أخرجه مسلم]، وقد أقر أكثر علماء أهل السنة والجماعة على جعل (التصوف) علماً مستقلاً مرادفا للتزكية والإحسان، وذلك كشأن بقية العلوم الأساسية، و (التصوف) علم عظيم واسع من علوم أهل السنة والجماعة يقوم على تزكية النفس، وتخليتها من دسائس الأخلاق وتحليتها بالأخلاق العظيمة والمبادئ السامية، مع وجود منهاج عملي يقوم على الذكر والفكر والزهد في الدنيا وإيثار الآخرة، من أجل الوصول إلى مرتبة الإحسان أعلى مراتب الدين وأعظمها، **(ب) اتهام التصوف بأنه لم يُسمع به في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا في عهد الصحابة والتابعين، وبالتالي فهو بدعة ضلالة،** وهذا الزعم مردود جملةً وتفصيلاً، لأن معظم الاصطلاحات أُحدثت بعد زمن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة، واستعملها المسلمون فيما بعد، كألفاظ الفقه والعقيدة والتصوف، وغيرها، كل هذه الاصطلاحات لم تكن تستعمل زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستعملت فيما بعد ولم تنكر، إذ أنّه بعد انقضاء عهد الصحابة والتابعين، ودخول الناس من شتى الأمم والأجناس في دين الله تعالى، اتسعت دائرة العلوم، وتقسمت وتوزعت بين أرباب الاختصاص، فقام كل فريق من أهل الاختصاص بتدوين العلم الذي يحتاج الناس إليه، احتاج الناس إلى ضبط القرآن وعدم اللحن فيه، فنشأ علم النحو، وعلم أحكام التلاوة، ثم احتاج الناس إلى معرفة كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فنشأ علم تدوين الحديث، انتشر الحديث وخاف العلماء من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنشأ علم الجرح

والتعديل وبقية علوم الحديث، واحتاج الناس إلى معرفة معاني آيات القرآن فنشأ علم التفسير، واحتاج الناس إلى معرفة أحكام العبادات والمعاملات والحلال والحرام فنشأ تدوين علم الفقه،، ثم احتاج الناس إلى معرفة أدلة الفقه الأساسية فنشأ تدوين علم أصول الفقه، ظهرت الآراء الضالة في العقيدة واحتاج الناس إلى معرفة أصول الدين وعقائده فنشأ تدوين علم التوحيد (علم العقيدة وأصول الدين) ، اتسعت الدنيا على المسلمين وأخذ الناس يتناسون ضرورة الإقبال على الله بالعبودية، وبالقلب والهمة، مما دعا أرباب الزهد والمعرفة إلى أن يعملوا هُم من ناحيتهم أيضاً على تدوين علم التصوف، وإثبات شرفه وجلاله وفضله، ومن باب سد النقص، واستكمال علوم الدين في جميع نواحي الحياة الإنسانية، قال ابن خلدون في مقدمته: " وهذا العلم – يعني التصوف – من العلوم الشرعية الحادثة في الملَّة، وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومَن بعدهم طريقة الحق والهداية، وأصلها العكوف على العبادة، والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد في ما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق، والخلوة للعبادة، وكان ذلك عامًّاً في الصحابة والسلف، فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية) أهـ [مقدمة ابن خلدون" علم التصوف ص 329]، يقول القشيري رحمه الله: " اعلموا أن المسلمين بعد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لم يَتَسمَّ أفاضلهم في عصرهم بتسمية علم سوى صحبة الرسول عليه الصلاة والسلام، إذ لا أفضلية فوقها، فقيل لهم "الصحابة"، ثم اختلف الناس وتباينت المراتب، فقيل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين "الزهاد" و"العُبَّاد"، ثم ظهرت البدعة، وحصل التداعي بين الفرق، فكل فريق ادعوا أن فيهم زهادًا، فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفسهم مع الله سبحانه وتعالى، الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم "التصوف"، واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة " أهـ [مقدمة الرسالة القشيرية]، **(ت) اتهام التصوف بأنّ أصوله وأسسه من الديانات الأخرى المحرفة والنحل الباطلة المزيفة، وأنّ أصله من كلمة سوفا اليونانية، وهذا تجني على أولياء الله الصوفية**، فإنّ التصوف علم أصيل يستمد أصالته من الكتاب والسنة، ويقوم على أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم العظيمة وهديه القويم، وعلى تزكية السلف الصلح وحرصهم على طاعة الله تعالى ونيل رضاه، ويقوم على مبادئ التزكية والإحسان من العبادة والطاعة ودوام ذكر الله تعالى والزهد في الدنيا وإيثار الآخرة، أما الزعم الفاجر بانّه يستمد أصوله وأسسه من الديانات الأخرى المحرفة والنحل الباطلة المزيفة، فهذا ظلم بين لعلم

التصوف، وجحود واضح لأهله الصادقين المخلصين، يقول الشيخ حسني حسن الشريف في كتابه القيم (الدلالة النورانية): " " **(سؤال)**: يُتَّهم التصوف من بعض الجهلة وأدعياء العلم بأنه مستقى من أصول غير إسلامية كالفارسية والهندوسية والبراهمية، كما أَطلق بعض أعداء الإسلام من المستشرقين وغيرهم اسم التصوف على الرهبنة والبوذية والكهانة النصرانية والشعوذة الهندية، فقالوا هناك تصوف بوذي وهندي ونصراني وفارسي، أين التصوف من كل هذا، وأين هو من الشرع الإسلامي؟، **(جواب)**: إن علم التصوف مستمد من الكتاب والسنة النبوية جملةً وتفصيلاً، ومما سبق من نصوص يتبين لنا أن التصوف ليس أمراً مستحدثاً جديداً، ولكنه مأخوذ من الكتاب والسنة وحياة الصحابة الكرام، ومن إلهامات الصالحين الربانيين وفتوحات العارفين الصديقين، وعلى القارئ إذا أراد أن يتبحر في ذلك أن يعود إلى كتاب إحياء علوم الدين للغزالي، وأن يقرأ في أربعة كتب منه وهي: «كتاب العبادات» و «كتاب العادات» و «كتاب المهلكات» و «كتاب المنجيات» ليعرف السالك أن التصوف هو التطبيق العملي للإسلام وأنه يستمد فكره من الكتاب والسنة، وأنه ليس هناك فعلاً إلا التصوف الإسلامي فقط، وإنما أُريدَ بتلك التهم تشويه اسم التصوف باتهامه بأنه يرجع في نشأته إلى تلك الأصول القديمة والفلسفات الضالة، ومن ثَم إبعاد المسلمين عن حقيقة وجوهر وروح دينهم، حتى يكونوا مجردين من الروح والخلق، حافظين لنصوص دينهم دون عمل وفهم وتذوق، إن مصدر علوم التصوف هو الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو أفضل الخلق بالإجماع، وقد جاءت هذه العلوم لتحقيق الكمالات علماً وعملاً وحالاً، ولتكميل العقائد وتطهير النفوس وتحسين الأخلاق، وهذه رسالته صلى الله عليه وسلم، أما ثبوت شرف التصوف، فلا شك أن الكتاب والسنة وإجماع الأئمة وردت بمدح جزيئات التصوف ودعائمه، كالتوبة والتقوى والإحسان والاستقامة والصدق والإخلاص والطمأنينة والزهد والورع والتوكل والرضا والتسليم والمحبة والمراقبة والصبر والشكر وغير ذلك من المسائل، وهذه ليست جديده ولا مبتدعة، وليست قديمة من فلسفات الفرس والهندوس وغيرها، إنما هي من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما ربطنا بها إلا حبنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فالصوفية أتبع الناس وأكثرهم اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم... أما حكم الشرع في التصوف فقد قال الغزالي: (إنه فرض عين، إذ لا يخلو أحد من عيب إلا الأنبياء عليهم السلام) على اعتبار أن التصوف هو المدخل إلى تزكية الأنفس، وقال الإمام أبو الحسن الشاذلي رحمه الله: (من لم يتغلغل في علمنا هذا مات مُصِرّاً على الكبائر من حيث لا يشعر ولا يدري " أهـ [الدلالة النورانية للشيخ حسني حسن الشريف]، **(ث) زعم البعض بأنّ التصوف**

**هو الخطر الأول على الإسلام وأنّه ينبغي القضاء على التصوف برمته،** وأنّه كما زعم أحدهم: فإني رأيت بعد طول دراسة وتدبر أن الفكر الصوفي هو أشد الأخطار جميعاً على أمة الإسلام وأنه الذي حوّل عز هذه الأمة ذلاً ومهانة، ولا يزال هذا دأبه على الدوام وأنه السوس الذي ظل ينخر ويهدم في جسم شجرتنا الباسقة حتى أناخها مع الأيام، وأنه لا خلاص للأمة إلا بالتخلص من هذا السوس أولاً قبل أي خطر آخر، **وهذا الفريق يسعى لاقتلاع التصوف من جذوره**، وهؤلاء يريدون ان يأخذوا التصوف ببعض أدعيائه؟ وهم يبذلون كل الوسائل المتاحة لمحاربته، ويصرون على إلصاق كل التهم بالصوفية دون تفريق ودون مبالاة بما دس على الصوفية من أقوال وأفعال، ثم تراهم يكفرون الصوفية كلها بمقولة وجدها في كتاب ما مدسوسة على احدهم، أو قالها في ساعة ذهول لا يقصدها، _ كالذي أخطأ من شدة الفرح فقال: اللهم انت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح _ إن الأصل في ديننا أنه ما من معصوم في هذه الأمة سوى الرسول صلى الله عليه وسلم، وجميع العلماء بعده والطوائف كذلك يؤخذ منها ويرد عليها وهم غير معصومين عن الخطأ، أخطاؤهم غير مقبولة كدين، ونغض الطرف عن عثرات علمائهم لأنه الأدب مع العلماء الذين لهم فضل ننظر إلى محاسنهم ونترك المساوئ والعثرات، وهؤلاء يناطحون الصخر، **إن كلمة (صوفي) كانت على مر عصور الإسلام السابقة كلمة ثناء، وصفة مدح**، فهل يعقل أن نأتي الآن لنغير حقائق الدين والتاريخ محاولين إضفاء صبغة البدعة والضلالة على ذلك العلم الذي يتناول التزكية والأخلاق وأعمال القلوب في دين الله تعالى، هل يعقل اليوم أن ينادي بعض من يزعمون الإصلاح إلى اقتلاع التصوف من جذوره، وابادة التصوف وأهله، وردم التراب على تراث المتصوفة بحجة تطهير المنهج من المبتدعة، فهل بعد هذا التنطع من تنطع، وأين يذهب تسعة أعشار أهل السنة في العالم اليوم في مصر والسودان ودول المغرب العربي واندونيسيا والباكستان وغيرها من بلاد المسلمين، هذا اليوم، فما بالنا بهم على مر عصور الإسلام السابقة، وأين يذهب الجنيد وأصحابه، وحجة الإسلام الغزالي وأتباعه، وعبد القادر الجيلاني والرفاعي والشاذلي وآلاف الآلاف من أتباعهم، إن هؤلاء هم سادة التزكية وأقطاب التصوف ودعائم الأخلاق، ولا يكابر في إنكار فضلهم إلا مجازف بدينه مخاطر بأمته، وهل انتشر الإسلام في أقاصي الشرق والغرب إلا بأخلاق هؤلاء وجهودهم في الدعوة إلى الإسلام، **(ج) اتهام التصوفية بأنّهم أصحاب عقائد زائغة،** ودعاوى زائفة، وأنّهم يقولون بالاتحاد والحلول ووحدة الوجود، والتفريق بين الحقيقة والشريعة، وسقوط التكاليف عن أهل الحقيقة، وهذه كلها دعاوى زائفة من أُناس لا يفهمون التصوف، ولا يعرفون الرقي الذي عليه الأكابر من أهل التصوف في العقيدة

والتقديس والتنزيه والفقه والتزكية والأخلاق، وقد تقدم بيان ذلك كله، وقد جاء في كتاب ابجدية التصوف للإمام الرائد العلامة محمد زكي ابراهيم رحمة الله: " **السؤال السادس:** من الاتهامات الموجهة إلى التصوف: أنه لا سند له من الكتاب والسنة، وأنه دخيل على الإسلام، وأنه يدعو إلى عقائد تتعارض مع عقيدة التوحيد، كالحلول، والاتحاد والوحدة، وأنه يدعو إلى تقديس المشايخ، والاستعانة بهم في الشدائد، واعتقاد أنهم يملكون النفع والضر، وأنه يدعو إلى التواكل والسلبية؟ **الجواب: أما أن التصوف لا سند له من الكتاب والسنة، فقول ساقط** بعد كل ما قدمنا، فإذا لم يكن التعبد ومكارم الأخلاق ومحاسبة النفس، والأخذ بالأحوط، ومجاهدة الهوى والشيطان، إذا لم يكن كل ذلك له سند من الكتاب والسنة، فقد جهل الناس الكتاب والسنة، وفيما سبق أدلة مكررة على أن تصوف المسلمين هو عصارة الإسلام وإكسيره، لا يمترى في ذلك إلا ذو هوى، أو من هوى !؟، **وبهذا، وبالذي قدمنا، يتأكد أن التصوف نابع من العقيدة،** والبيئة الإسلامية جملة وتفصيلاً، وليس هو بدخيل على دين الله، إنما الدخيل، هو هذه الدعوى العصبية المتشنجة، التي تفوح بالغرض، والمرض، وحسبك أنها بضاعة استشراقية، استعمارية صهيونية، لا هم لها إلا انتقاض الإسلام، **أما أن التصوف يدعو إلى عقائد الحلول والاتحاد والوحدة،** فليس هذا هو تصوف المسلمين، وإنما هو تصوف أجنبي، أعجمي، مدسوس والمتهمون به نفر معدود محدود، انتهي أمرهم، وليس لهم اليوم تابع ولا وارث، كما قدمنا، وأصبح ما نسب إليهم بحق أو بباطل، سواء قبل التأويل، أو لم يقبله، نوعاً من الحفريات التاريخية، التي لا يتابعها إلا الهواة والمتخصصون، إن وجد اليوم هواة أو متخصصون في البحث عن مقابر الأفكار المهملة، وإلا أصحاب الهوى الذى يعمى ويصم، ولا اعتبار لأولئك و هؤلاء، وقد اصبح الكلام اليوم في هذا الجانب نوعاً من مجرد الإثارة والتشويه، والعبث وإضاعة الأوقات، والتشويش على أفاضل الناس وشراء العاجلة بالآجلة، وإنما يقول الصوفية بنوع معين من الفناء، فصله الشيخ ابن تيميه في (رسائله) بشيء من الإنصاف، وأشار إليه الشيخ ابن القيم في شرحه على كتاب الهروي " كتاب منازل السائرين لشيخ الإسلام: عبدالله بن محمد بن إسماعيل الأنصاري الهروي الحنبلي الصوفي المتوفي سنة 481 هـ، شرحه أبو بكر بين قيم الجوزية الدمشقي الحنبلي المتوفي سنة 481 هـ، شرحه أبو بكر بن قيم الجوزية الدمشقى الحنبلى المتوفي سنة 751 هـ، وسماه " مدراج السالكين "، وشتان ما بين هذا والقول الفاجر بالحلول، والاتحاد، والوحدة المنكرة، **أما أن التصوف يدعو إلى تقديس المشايخ، والاستعانة بهم في الشدائد، واعتقاد أنهم يملكون النفع والضرر:** فهذا كلام فه تجاوز ومغالطة، فإن التصوف يدعو إلى احترام الشيخ

كوالد روحي، وهو أدب إسلامي مقرر، لا خلاف عليه، وفي الحديث الصحيح " ليس منا من لم يوقر كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ولم يعرف لعالمنا حقه " رواه الترمذي عن ابن عمر، وأبو يعلى عن أنس، والعسكري عن عبادة ابن الصامت، والقضاعي عن ابن عباس "، و لا تنس تأديب الله للصحابة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو أصل أدب التابع مع المتبوع " راجع سورة الحجرات "، **أما الاستعانة بدعاء الشيخ**، وابتهاله إلى الله في شدائد ابنائه، فهو أدب إسلامي ثابت، يعرفه كل من قرأ (باب الدعاء) في كتب المسلمين، أما أنهم يزعمون أنهم يملكون النفع والضرر، فالذي يملك هو الله وحده، وعندما يغضب الشيخ لربه من مخالف لله فيدعو، فيغضب الله لغضب وليه، ويستجيب له، فلا يقال عندئذ إن الشيخ يملك نفعاً ولا ضراً، إنما هو من باب: "" لئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه "، والقول بغير هذا إنما هو مسخ للصورة بالمغالاة والإغراق والتنفير، وإذا كان هناك شيء من ذلك فرضاً جدلياً فهو مما يعالج بالبيان والإرشاد والقول الطيب، ونحن أمة تحكمها الأمية، فلا ننكر أن فيها ضلالة وجهالة، وإنما في حاجة – أشد الحاجة – إلى النصح والتوجيه بالحكمة البالغة، والموعظة البليغة، **بقى القول بأن التصوف يدعو إلى السلبية والتواكل: التصوف الحق هو: الإسلام**، وليس في الإسلام سلبية، ولا تواكل، وإنما هي أمراض اجتماعية لصقت بالتصوف زوراً وبهتاناً، وقد كان عبد الله بن المبارك، يحج عاماً ويجاهد عاماً، وقد كان شقيق البلخي فارساً مغواراً، يطلب الموت حتى استشهد في سبيل الله، وكذلك كان حاتم الاصل، مقاتلاً بارعاً، له في الجهاد مواقف وكرامات، وقدمت أن أبا الحسن الشاذلي كان صاحب مزارع وتجارات، وأن شمس الدين الدمياطي بنى برج دمياط من ماله الخاص، ومن ربحه من تجارته، ولو تتبعت آداب المريدين بالصوفية، لوجدتهم جميعاً يدفعون تلاميذهم إلى العمل والإنتاج، ويعرفون تماماً كل ما ورد في هذا الباب عن النبي صلى الله عليه وسلم، ثم عن أشياخهم في الله الذين يؤكدون لهم أنه لا يمكن تحقيق خلافة الله على الأرض بالسلبية والتواكل والاستسلام، فإذا تغالى أو تطرف واحد، فليس هو كل واحد، ولقد ثبت في الحديث أن بعض الصحابة تغالى بأكثر مما يفعل الرهبان، والنبي صلى الله عليه وسلم حي، فنهاهم الرسول صلى الله عليه وسلم " وحديث نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن التبتل متفق عليه، ورواه الإمام أحمد، وأبو داوود عن سعد، وأحمد الترمذي والنسائي وابن ماجه عن سمرة، وروى الدرامي عن سعد بن أبى وقاص " رضى الله عنه " أنه قال: " لما كان من أمر عثمان ابن مظعون قال: يا رسول الله: إني رجل تشق على هذه العزوبة في المغازي فتأذن لي يا رسول الله في الخصاء فأختصي؟ قال: لا، ولكن عليك يا ابن مظعون بالصيام فإنه

مجفرة "، إذا انفرد واحد بمغالاته، فليس هذا بقانون ولا قاعدة في الجميع، ولا بعار يؤخذ به سواه، نزل أحد المريدين على زاوية الشيخ ضيفاً، فأقراه ثلاثة أيام، ثم قال له: يا ولدى قد انتهت مدة الضيافة، فقال المريد: إنما جئت لأتصوف، فقال الشيخ: " ليس التصوف عندنا أن تصف قدميك وغيرك يمون لك، ولكن أبداً برغيفيك فأحرزهما، ثم تصوف، ثم اجعل منشارك مسبحتك، واذكر على دقات الفأس والمكوك "، وقد كانت الألقاب الصوفية تدل على ما يتناولونه من حرف ومهن وصناعات: فمنهم الدقاق، والسماك، والوراق، والخواص، وهكذا تعرف أنهم كانوا بحق أمثالاً للمسلم الكامل إيماناً، وعملاً وإيجابية، وصلة كبرى بالله، فالتواكل مرض دخيل على التصوف الصحيح، يعالجه صوفية العلماء، كل بأسلوبه،

**(10) من أمثلة القسم الثاني: خلافيات فقهية الخلاف فيها فقهياً مقبول ولا ينبغي التنطع في إنكارها)**، ومن تلك المسائل: حكم التوسل بالصالحين، حكم طلب المدد، حكم الاحتفال بالمولد، حكم التبرك بالصالحين، حكم الحضرة والاجتماع على ذكر الله، حكم لفظ السيادة، حكم القيام للداخل، حكم الذكر الجهري، حكم الذكر بالاسم المفرد، حكم التلقين الفردي، حكم التلقين الجماعي، حكم استعمال السبحة، حكم الإنشاد والسماع، حكم الذكر خلف الجنائز، سماع أهل القبور، حكم وصول ثواب القرآن، حكم زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم، حكم المبايعة للشيخ وأخذ العهد عليه، حكم اتخاذ المرشد، حكم الصحبة، حكم المحافظة على الورد، حكم الكرامة، وبيان الفرق بين الكرامة والاستدراج، حكم الشطح، حكم وحدة الوجود، حكم المجاهدة والاجتهاد في العبادة، أحكام الطريقة والحقيقة، حكم اتخاذ الطريقة، حكم تعدد الطرق، أحكام السنة والبدعة، حكم الاستعانة بالقرآن العظيم، الأدب مع العلماء والصالحين، حكم مسألة المصافحة بعد الصلاة، حكم صلاة الأوَّابين بعد المغرب، حكم مس غير الطاهرين المصحف، حكم سنة الجمعة القبلية، حكم صنع أهل الميت الطعام، حكم تلقين الميت بعد الدفن، حكم قضاء الفوائت من الصلاة، حكم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عقب الأذان، حكم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الصلاة، حكم رفع اليدين في الدعاء عامة وبعد الصلاة خاصة، حكم تحريك الأصبع في التشهد، حكم صلاة التراويح، وقد فصّلت جميع تلك المسائل وذكرت أدلتها وأقوال الفقهاء فيها في الباب السادس أدلة عامة لمنهاج أهل التصوف، وكذلك مباحث من الباب السابع التصوف بين الإفراط والتفريط، فلا داعي للإعادة هنا،

**(11) من أمثلة القسم الثالث: (أخطاء شرعية يحمل وزرها أدعياء التصوف ولابد من ردها إلى صوابها دون تجريح بالطائفة الصادقة ورموزها):** إنّ التصوف الإسلامي الأصيل قد ابتلي بالأدعياء شأنه شأن غيره من علوم الإسلام والدعوات الصادقة فيه، والتصوف السنّي الصافي ليس منه: (أ) القول بمخالفة الشريعة للحقيقة، أو أن أهل الحقيقة لا يتقيدون بالشريعة، أو أن ظاهر الإسلام شيء غير باطنه، أو أن مسلماً عاقلاً رُفع عنه التكليف، (ب) وليس منه: القول بالحلول أو الاتحاد، أو الوحدة التي تزعم أن الكون هو الله، والله هو الكون، وما جاء مما يوهم ذلك على لسان بعضهم فهو مؤول بما يوافق دين الله، أو هو مدسوس على القائل، أو هو مما قاله في حالة الفناء والغيبوبة على لسان الحق عز وجل، ونحن نستغفر الله للجميع، ونحسن الظن بكل مسلم، (ت) وليس منه الذكر على الطبل والزمر بأنواعه مهما كانت (اما الدف ففي الاناشيد والقصائد والمدائح فجائز)، (ث) وليس منه تحريف أسماء الله والرقص بها، رقصاً سخيفاً مع القفز والنط كما يفعل الجهلة، ولا يجوز وجود أدوات وآلات اللهو والغناء، وكل ما نراه من ذلك من بعض الاشخاص فهو ليس من التصوف والتصوف منهم براء، إن هناك جماعة من الدخلاء على الصوفية، نسبوا أنفسهم إليهم وهم منهم براء، شوَّهوا جمال حلقات الأذكار بما أدخلوا عليها من بدع ضالة، وأفعال منكرة، تحرمها الشريعة الغراء، كاستعمال آلات الطرب المحظورة، والغناء الفاحش، فلم يَعُدْ وسيلةً عملية لتطهير القلب من أدرانه، وصلته بالله تعالى، بل صار لتسلية النفوس الغافلة، وتحقيق الأغراض الدنيئة، (ج) وليس منه القذارة، ولا البلادة، ولا البطالة، ولا الجهالة بدين الله، ولا ادعاء الولاية والمتاجرة بالكرامات، لان الولاية فقط لأهل الولاية وليس لأصحاب الادعاء من المجاذيب الذين لا يتحركون ولا يعملون ويجلسون في المساجد بدون وعي ويدعون الولاية، (ح) وليس منه ما يحدث في الموالد من اختلاط محرَّم، ومباذل وسفاسف لا يرضاها عاقل، وادعاءات فضفاضة وتغييب للعقول، (خ) وليس منه: ادعاء الغيب والدجل والشعوذة والاتصال بالجن والشياطين والسحر والألفاظ الأعجمية والساذجة، فهذه أخطاء شرعية يحمل وزرها بعض أدعياء التصوف ولابد من ردها إلى صوابها دون تجريح بالطائفة ورموزها،

**(12) من الأخطاء والمخالفات العقائدية التي ينبغي تصحيحها: (أ) الغلو في الدين ومجاوزة الحد في تعظيم المشايخ،** كادعاء بعضهم: أنّه لا يجوز الاعتراض على المشايخ ولو كانوا على الكبائر، وأن للأولياء تصرفاً في الكون، أو أنه لا يحصل شيء في العالم إلا بتصرف الأولياء، أو تصرف

الأقطاب، نعوذ بالله من الغلو، وتوحيد الربوبية ينافي ذلك الادعاء، وقد أمر القرآن الكريم الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى: {قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [الأعراف: 188]، وقوله تعالى: {قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ} [يونس: 49]، وقوله تعالى: {قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا} [الجن: 21]، وحفظ جناب التوحيد والإسلام أولى من هذه الترهات والدعاوى الخاطئة، وحفظ جناب الشريعة أهم وأولى من رفع شأن الاولياء، والغلو في المشايخ إلى حد مخالفة الشرع الحنيف، **فمن الغلو القبيح** ظنّ بعض جهلة المتصوفة أنّ الشيخ من المشايخ يجل عن الخطأ، وأنّ من اعترض انطرد، وهذا كله مخالف للدين فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول: " من رأى منكم منكرًا فليغيره "، ومخالف لكلام الصوفية الصادقين، كقول الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه: "إذا علم المريد من الشيخ خطأ فلينبهه، فان رجع فذاك الأمر وإلا فليترك خطأه وليتبع الشّرع" قال ذلك في أدب المريد، وقال الشيخ أحمد الرفاعي رضي الله عنه: "سلم للقوم أحوالهم ما لم يخالفوا الشرع فاذا خالفوا فكن مع الشرع"، وكتب الصوفية طافحة بمثل هذا، **ومن الغلو القبيح**، ومن الأخطاء التي تشيع في أوساط جهلاء وأدعياء التصوف أنهم يعتقدون أن الأولياء يدبرون أمر الكون، ويقولون أن أولياء الله نوعان: {أهل الإرشاد} و {أهل التكوين}، فأهل الإرشاد هم الذين اختارهم الله لهداية البشر وإصلاح القلوب، وتربيتها، وتعليم الناس طرق التقرب إلى الله،، أما النوع الثاني {أهل التكوين} فيطلق على الأولياء المناط بهم إصلاح معاش البشر، وتنظيم أمور العالم، ودفع المصائب عن الناس وهؤلاء يقومون بإصلاح شئون الدنيا بإذن من الله، ويقولون أن أهل الإرشاد كالأنبياء، وأن أهل التكوين كالملائكة الذين وصفهم الله ب {مدبرات الأمر}، ومن المصائب الحقيقية أن نجد عدداً كبيراً من الجهلاء قد قبل بهذه العقيدة، وأصبحت راسخة في نفوسهم، ومسيطرة عليهم، بحيث يتصرفون وفق مقتضياتها دون وعي لخطورتها، ودون فهم لما يترتب عليها من هدم الدين من أساسه، رغم أن كلاً من القرآن الكريم، والسنة النبوية يخلو من أي شيْ يؤيد هذه العقيدة الدخيلة على الإسلام الصافي دين التوحيد والاتباع، إنّ الطبيعة الإنسانية تقتضي أن يتوجه الإنسان بطلب حوائجه ممن يملك النفع، و يملك دفع الضر، وفي ظل هذه العقيدة لا يكون غريبًا عليهم أن يلجأوا إلى أوليائهم بالدعاء لدفع المصائب وجلب المنافع طالما أن الأولياء يملكون ذلك حسب مقتضى هذه العقيدة الشاذة، إن من مقتضيات هذه العقيدة أن معتنقيها يصرفون أنواعًا من العبادة التي يجب أن تكون لله،

يصرفونها إلى أوليائهم، فنجدهم يحلفون بمشايخهم، ويعتبرون أن هذا هو اليمين المغلظ الذي لا يحنثون فيه، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من حلف بغير الله فقد أشرك "، وكذلك نجدهم ينذرون لهم النذور، وقد جعل الله تعالى النذر عبادة من العبادات التي يتوجه العبد بها إليه فقال تعالى: {يوفون بالنذر}، إن أي عبادة يصرفها الإنسان لغير الله، تكون دائمًا على حساب التوحيد، **لابد من تصحيح ذلك الخطأ الجسيم الذي جرح التوحيد في مقتل**، فإنّه لا يملك التدبير والتصريف إلا الله، فالله تعالى هو (الرب) وحده، لا رب سواه، و(**الرب**) هو المربي وهو المالك وهو المدبر المتصرف الذي بيده مقاليد كل شيء وهو السيد المطاع وهو الحاكم المهيمن، وعلى ذلك فالربوبية مصطلح شامل يحمل معاني أساسية لا يقوم بتلك المعاني مجتمعة إلا مسمى الربوبية وتتمثل **في كل معاني الخلق والإيجاد وفي كل معاني التربية** من التنشئة والرعاية والتعهد والاستصلاح **ثم كل معاني التملك** من الملك والتصرف والتدبير والتصريف ثم كل معاني العلو والسيادة والرئاسة والحكم والأمر **ثم كل معاني الهيمنة** من العز والذل والنفع والضر فمن ذلك كله تنشأ معاني الربوبية، و (توحيد الربوبية) مصطلح عظيم لا يكون عليه إلا الموحدون الذين تبرؤا من كل شرك في الربوبية وتمثلوا قول الله تعالى {قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ} [الأنعام: 164]، ومعناه اعتقاد أنه لا موجد ولا خالق ولا مكون لهذا الكون كله بما فيه إلا الله رب العالمين، واعتقاد أنه لا رازق على الحقيقة في الكون كله إلا الله رب العالمين، واعتقاد أنه لا مالك لا متصرف بيده ملكوت كل شيء ولا مدبر للكون كله على الحقيقة إلا الله رب العالمين، واعتقاد أنه لا سيد ولا مهيمن ولا حاكم ولا آمر ولا مشرع في الكون كله على الحقيقة إلا الله رب العالمين، واعتقاد أنه لا ناصر ولا معين ولا معز ولا مذل ولا خافض ولا رافع ولا قابض ولا باسط إلا الله رب العالمين، واعتقاد أنه لا شفيع في شيء من أمور الكون كله إلا من بعد إذن الواحد الأحد الله رب العالمين، واعتقاد أنه لا شريك للرب الواحد الأحد الله رب العالمين في شيء من تلك المعاني التي يشملها توحيد الربوبية، ومن عرف أن الله تعالى وحده هو الرب، لم يطلب غير الله تعالى ربا له، ورضي بربوبيته، ومن رضي ذاق حلاوة الإيمان، **ولو كان التدبير والتصريف لأحد غير الله تعالى، لما خاطب الله تعالى نبيه بقوله تعالى:** {قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [الأعراف: 188]، وقوله تعالى: {قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا * قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا} [الجن: 21، 22]، وقوله تعالى: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ

يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [القصص: 56]، **(ب) أدعياء التصوف وعقائد الاتحاد والحلول ووحدة الوجود والوحدة المطلقة:** الصوفية ككل الطائف الإسلامية انتسب إليها المحق والمدعي، والصادق والمغرض، لذا قد نجد على مر عصور التصوف من ادعى عقيدة الاتحاد والحلول على معناها الكفري الذي يقصدون به الاتحاد والحلول الحسي كما زعمت النصارى في نبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام، وهذه عقيدة كفرية، لا يقول بها إلا من طمس الله بصيرته عن تنزيه الله تعالى، وقد أجمع علماء أهل السنة والجماعة على كفر من اعتقد جواز الاتحاد والحلول على ذات الله تعالى، ومن ادعى عقيدة وحدة الوجود على معناها الكفري الذي يقصدون به أنّ الله تعالى هو عين العالم، والقائل بهذا مرتد ملحد زنديق، ووحدة الوجود المطلقة على هذا المعنى هي العقيدة الكفرية التي حاربها السادة الصوفية وأعلنوا براءتهم ممن يقول بها وفي هذا يقول السيد الشريف أحمد الرفاعي الكبير: "كل طريقة خالفت الشريعة فهي زندقة"، وأهل التصوف الحق هم أهل المعرفة بالله وهم أهل التنزيه والتقديس لله لا يجوز الظن فيهم بأنهم من القائلين بالاتحاد والحلول، ولهذا انبرى للدفاع عنهم تجاه تلك التهمة الباطلة الكثير من العلماء، حتى أولئك المتشددين على أهل التصوف الذين يعارضون أخطاء التصوف وأدعياء التصوف، قال ابن تيمية رحمه الله تعالى في تبرئة السادة الصوفية من هذه التهمة الباطلة ما نصه: (ليس أحد من أهل المعرفة بالله يعتمد حلول الرب تعالى به أو بغيره من المخلوقات ولا اتحاده به وإن سمع شيء من ذلك منقول عن بضع أكابر الشيوخ فكثير منه مكذوب اختلقه الأفاكون من الاتحادية الإباحية الذين أضلهم الشيطان وألحقهم بالطائفة النصرانية) [مجموع الفتاوى: 11: 74 و 75]، وقال أيضا: (كل المشايخ الذين يقتدى بهم في الدين متفقون على ما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها من أن الخالق سبحانه مباين للمخلوقات وليس في مخلوقاته شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته وأنه يجب إفراد القديم عن الحادث وتمييز الخالق عن المخلوق وهذا في كلامهم أكثر من أن يمكن ذكره هنا) [مجموع الفتاوى: 2: 223]، وقال الإمام الشعراني رحمه الله تعالى – وهو يتعجب من إلصاق هذه التهمة الشنيعة بأهل التصوف أهل المعرفة بالله –: (ولعمري إذا كان عُباد الأوثان لم يتجرؤوا أن يجلوا آلهتم عين الله بل قالوا: {ما نبعدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى}، فكيف يظن بأولياء الله تعالى أنهم يدعون الاتحاد بالحق على حد ما تتعقله العقول الضعيفة؟! هذا كالمحال في حقهم رضي الله عنهم إذ ما من ولي إلا وهو يعلم أن حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق وأنها الخارجة عن جميع معلومات الخلائق لأن الله بكل شيء محيط) أهـ [اليواقيت والجواهر: 1: 83]، وقال الشيخ محي الدين بن عربي في عقيدته

الصغرى: (تعالى الحق أن تحله الحوادث أو يحلها)، وقال في عقيدته الوسطى: (اعلم أن الله تعالى واحد بالإجماع ومقام الواحد يتعالى أن يحل فيه شيء أو يحل في شيء أو يتحد في شيء)، وقال في الباب التاسع والستين والمائة: (القديم لا يكون قط محلا للحوادث ولا يكون حالا في المحدث)، وقال في الباب الثاني والستين ومئتين: (من أعظم دليل على نفي الحلول والاتحاد الذي يتوهمه بعضهم أن تعلم عقلا أن القمر ليس فيه من نور الشمس شيء وأن الشمس ما انتقلت إليه بذاته وإنما كان القمر محلا لها فكذلك العبد ليس فيه من خالقه شيء ولا حل فيه)، وقال في الباب الرابع عشر وثلاثمائة: (لو صح أن يرقى الإنسان عن إنسانيته وذلك عن ملكيته ويتحد بخالقه تعالى لصح انقلاب الحقائق وخرج الإله عن كونه إلها وصار الحق خلقا والخلق حقا وما وثق أحد بعلم وصار المحال واجبا فلا سبيل إلى قلب الحقائق أبدا)، وقال في الباب التاسع والخمسين وخمسمائة: (وهذا يدلك على أن العالم ما هو عين الحق ولا حل فيه الحق إذ لو كان عين الحق أو حل فيه لما كان تعالى قديما ولا بديعا)، وقال في باب الأسرار: (لا يجوز لعارف أن يقول: أنا الله ولو بلغ أقصى درجات القرب وحاشا العارف من هذا القول حاشاه إنما يقول: أنا العبد الذليل في المسير والمقيل)، وقال في باب الأسرار أيضا: (من قال بالحلول فهو معلول فإن القول بالحلول مرض لا يزول وما قال بالاتحاد إلا أهل الإلحاد كما أن القائل بالحلول من أهل الجهل والفضول)، وقال في باب الأسرار أيضا: (الحادث لا يخلو عن الحوادث ولو حل بالحادث القديم لصح قول أهل التجسيم فالقديم لا يحل ولا يكون محلا) أهـ [اليواقيت والجواهر نقلاً عن الفتوحات المكية: 1: 80 و 81]، **أما الجواب عما ورد من كلام السادة الصوفية في كتبهم مما يفيد ظاهرة الحلول والاتحاد:** والجواب أمراً من أمرين: (الاول): إما أن يكون مدسوساً عليهم كما ابتلي المسلمون على مر عصور الإسلام – لا سيما أهل التصوف أهل المعرفة بالله – بمن يدس عليهم رغبة في إضلالهم أو الاستهزاء بهم، وهذا أمر قوي وارد حيث ذكر الإمام الشعراني رحمه الله تعالى قصة تدل على دس الحاقدين على أهل التصوف أقولاً غاية في الكفر والبشاعة ونسبتها إلى الأكابر منهم، و (الأمر الثاني): ان لا يقصدوه مطلقاً، وأن يكون مقصدهم من الكلام معنى آخر بعيد كل البعد عن الاتحاد والحلول الحسي الحقيقي، ألا وهو الاتحاد المجازي المعنوي، بأن تصيرَ نفسُ العبد غافلةً عن الشعور بجملتها شُغلاً بالشهود القلبي في حضرة أسماء الله تعالى وصفاته، وهذه المرتبة من مقامات الشهود عند أهل المعرفة بالله تعالى، وفيها يغيب عن نفسه، ويشعر بأنه يسمع بالله ويبصر بالله ويتكلم بالله، مصداقاً للحديث الصحيح فيما يرويه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رب العزة سبحانه: {وما يزال عبدي يَتَقَرَّب إليَّ

بالنوافل حتَّى أحبَّهُ، فإذا أحْبَبْته: كنتُ سَمْعَه الذي يَسْمَع به، وبَصَرَه الذي يُبْصِر به، ويَدَه التي يَبْطِش بها، ورِجْلَه التي يَمْشِي بها)) [أخرجه البخاري]، وما أجمل بيان العلامة جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى لهذا الامر في كتابه "الحاوي للفتاوى": (واعلم أنه وقع في عبارة بعض المحققين لفظ الاتحاد إشارة منهم إلى حقيقة التوحيد فإن الاتحاد عندهم هو المبالغة في التوحيد والتوحيد معرفة الواحد والأحد فاشتبه ذلك على من لا يفهم إشارتهم فحملوه على غير محمله فغلطوا وهلكوا بذلك،، إن أصل الاتحاد باطل محال مردود شرعا وعقلا وعرفا بإجماع الأنبياء ومشايخ الصوفية وسائر العلماء والمسلمين وليس هذا مذهب الصوفية وإنما قاله طائفة غلاة لقلة علمهم وسوء حظهم من الله تعالى فشابهوا بهذا القول النصارى الذين قالوا في عيسى عليه السلام اتحد ناسوته بلاهوته وأما من حفظه الله تعالى بالعناية فإنهم لم يعتقدوا اتحادا ولا حلولا وإن وقع منهم لفظ الاتحاد فإنما يريدون به محو أنفسهم وإثبات الحق سبحانه،، وقد يذكر الاتحاد بمعنى فناء المخالفات وبقاء الموافقات وفناء حظوظ النفس من الدنيا وبقاء الرغبة في الآخرة وفناء الأوصاف الذميمة وبقاء الأوصاف الحميدة وفناء الشك وبقاء اليقين وفناء الغفلة وبقاء الذكر... وأما قول أبي يزيد البسطامي رحمه الله تعالى الله تعالى: (سبحاني ما أعظم شأني) فهو في معرض الحكاية عن الله وكذلك قول من قال: (أنا الحق) محمول على الحكاية ولا يظن بهؤلاء العارفين الحلول والاتحاد لأن ذلك غير مظنون بعاقل فضلا عن المميزين بخصوص المكاشفات واليقين والمشاهدات ولا يظن بالعقلاء المتميزين على اهل زمانهم بالعلم الراجح والعمل الصالح والمجاهدة وحفظ حدود الشرع الغلط بالحلول والاتحاد كما غلط النصارى في ظنهم ذلك في حق عيسى عليه السلام وإنما حدث ذلك في الإسلام من واقعات جهلة المتصوفة وأما العلماء العارفون المحققون فحاشاهم من ذلك،، والحاصل أن لفظ الاتحاد مشترك فيطلق على المعنى المذموم الذي هو أخو الحلول وهو كفر ويطلق على مقام الفناء اصطلاحا اصطلح عليه الصوفية ولا مشاحة في الاصطلاح إذ لا يمنع أحد من استعمال لفظ في معنى صحيح ولا محذور فيه شرعا ولو كان ذلك ممنوعا لم يجز لأحد أن يتفوه بلفظ الاتحاد وأنت تقول: بيني وبين صاحبي زيد اتحدا وكم استعمل المحدثون والفقهاء وغيرهم لفظ الاتحاد في معان حديثية وفقهية ونحوية كقول المحدثين: اتحد مخرج الحديث وقول الفقهاء اتحد نوع الماشية وقول النحاة: اتحد العامل لفظا أو معنى، وحيث وقع لفظ الاتحاد من محققي الصوفية فإنما يريدون به معنى الفناء الذي هو محو النفس وإثبات الأمر كله لله سبحانه لا ذاك المعنى المذموم الذي يقشعر له الجلد وقد أشار إلى ذلك سيدي علي بن وفا فقال من قصيدة له: (يظنوا بي حلولا واتحادا * وقلبي من سوى التوحيد

خالي) فتبرأ من الاتحاد بمعنى الحلول وقال في أبيات أخر: (وعلمك أن كل الأمر أمري * هو المعنى المسمى باتحاد)، فذكر أن المعنى الذي يريدونه بالاتحاد إذا أطلقوه هو تسليم الأمر كله لله وترك الإرادة معه والاختيار والجري على مواقع أقداره من غير اعتراض وترك نسبة شيء ما إلى غيره) [الحاوي للفتاوى (2: 134]، **والقائلون بوحدة الوجود أنواع، منها ما هو كفر بواح، ومنه ما هو توحيد وعرفان وإحسان، (أولاً): القائلون بالوحدة الحسية،** وهؤلاء يعتقدون أن وجودنا هو عين وجود الله تعالى، وأن العالم بجميع ما فيه جزء من الخالق، بمعنى أن الخلق والخالق شيء واحد، سبحان الله وتعالى عمّا يصفون، و (وحدة الوجود) بهذا المعنى مذهب كفري قولا واحدا، وكل من ثبت عليه هذا القول ثبوتا واضحا بحيث لا شبهة تحول دون إكفاره فلا خلاف في أنه كافر به إلا أن يتوب، ونسبة هذا المذهب للسادة الصوفية العارفين بالله، فرية لا تصح بحال، **(ثانياً): القائلون بالوحدة الفلسفية،** وهؤلاء يعتقدون أنه ليس إلا وجود واحد لا يتعدد ولا يتكثر، وأنّ الله تعالى تجلى لنفسه، إذ العالم عندهم ليس له وجود، ولا وجود إلا له سبحانه، وهذه العقيدة موغلة في الفلسفة، غريبة على عقائد اهل السنة والجماعة، وهي من الأمور التي ينبغي تنزيه التصوف السني عنها، ولا تجديد لأمر التصوف إلا بالابتعاد عن مثل ذلك الإغراق الفلسفي الذي يبرأ التصوف السني عنه، **(ثالثاً): القائلون بوحدة الوجود وهم يقصدون بها وحدة الشهود،** وهؤلاء أهل المعرفة والإحسان، وأهل المقامات العظام، غلب عليه الشهود في مقام (أن تعبد الله كأنك تراه)) فاستغرقوا في لجج بحار التوحيد والمشاهدة القلبية، ففني أحدهم عن نفسه وعن العالم من حوله، فلا يشهد بقلبه إلا الله، وهؤلاء غابوا عن شهود غير الله، فقالوا بوحدة الوجود على معنى وحدة الشهود، مع استقامتهم على شرع الله تعالى، وهذا القول منهم غاية العرفان وعالي منازل الإحسان، **(رابعاً): العارفون بالفرق بين وحدة الشهود ووحدة الوجود، مع الإقرار بالوحدتين،** وهؤلاء أكابر العارفين من أهل الإحسان، يفرقون بين مقام الفناء، ومقام البقاء، وهما مقامان رفيعان من مقامات التصوف الصحيح الذي يمثل التزكية القلبية والإحسان، المقام الاول: مقام الفناء، ويمثل وحدة الشهود، والمقام الثاني مقام البقاء ويمثل وحدة الوجود، بمعاني صحيحة سامية، حبى الله تعالى بها أهل العرفان والتصوف الصحيح من أهل السنة والجماعة، **(المقام الاول):** (مقام الفناء) هو أن تبدو للسالك من عظمة الله تعالى ما يغيبه عن كل شيء وينسيه كلَّ شيء، سوى الواحد الأحد الذي ليس كمثله شيء، مثاله – لتقريب المعنى – حال النسوة اللاتي قطعن أيديهن من جمال نبي الله يوسف عليه السلام، فبسبب جماله عليه السلام ذهلن وفنينّ عن أيديهن فقطعن أيديهن، ولم يشعرن بألم القطع أبدا لأنهن

كنّ في حالة فناء عن أنفسهن بجمال يوسف عليه السلام، فكيف بحال من تجلت عليه أنوار المعرفة بالله، وهي الحال التي يستغرق فيها الصوفي ويفنى عن نفسه وعن جميع من حوله، فلا يشاهد سوى الحق لاستغراقه فيه بالكلّية، و **(أما المقام الثاني):** (مقام البقاء) فهو أعلى من مقام الفناء لأنه شهود الخلق بالله، فالفناء انجذاب إلى حضرة الخالق والغيبة عن الخلق، و(البقاء) يمثل العودة إلى شهود عالم الخلق بالله ليرشد العارف بالله الخلائق إلى طريق الله، وفي هذه المرحلة لا يعود الشخص مهتما لمكانته بين الخلق أبداً، بمعنى أنه لم يعد يعنيه الخلق في شيء فهو يعينهم على طاعة الله، وهو لا يرى مكانه بينهم، فلا يسعى إلا لرضا الله، ولا يكون له إلى غير الله حاجة،

**(13) من الأخطاء والمخالفات الشرعية: (أ) اعتبار الكشف هو غاية الغايات واتخاذهم إليه طريقا غير شرعية:** من الانحرافات التي وقع فيها أدعياء التصوف في موضوع الكشف والإلهام والفيض: اعتبارهم ذلك هو الغاية التي إليها يشمرون، وعليها يحرصون فكأنما عبادتهم وذكرهم لحظ أنفسهم فيما يرد عليهم من فيض، وما يتجلى لهم من كشف، لا لحق ربهم عليهم، وواجب عبوديتهم له، كما أنهم يسلكون إلى هذه الغاية طريقًا لم يشرعه الرسول صلى الله عليه وسلم ولا أمر به، ولا سلكه أصحابه، وتابعوهم بإحسان، وأبلغ من عبر عن ذلك هو الإمام الغزالي في "الإحياء"، وقد أطال في ذلك وأفاض رحمه الله تعالى، ونحن لم نؤمر بطلب الكشف، وإنما أمرنا بطلب العلم، وقد جاءت الأحاديث ناطقة بأن طلب العلم فريضة على كل مسلم، ومن سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة،وإن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع، ولم يجىء شيء من ذلك لطالب الكشف، واذا كانت النصوص قد جعلت النور والهداية والفرقان ثمرات للعبادة والتقوى والإخلاص لله تعالى، بوصف ذلك مثوبة عاجلة من الله تعالى في الدنيا لعبادة المتقين، فهذا فيمن عبد الله واتقاه مخلصًا له الدين، مبتغيًا وجهه ومرضاته قيامًا بحق عبوديته، أما من جعل الغاية من عبادته أن تكشف له المساتير ويقوده الإلهام في كل شيء، فهو في الحقيقة لم يخلص العبادة لربه، إنما هو يطلب حظ نفسه !،ولقد صدق ما ذكره أحد المحققين عن بعض المتعبدين الذي حبس نفسه للصيام والقيام والتعبد أربعين يومًا، رجاء أن تتفجر الحكمة من قلبه على لسانه، كما جاء ذلك في بعض الأحاديث فيمن أخلص لله أربعين يومًا فلما مرت الأربعون يومًا لم ير أثرًا للحكمة التي ركض وراءها، وأطال العبادة من أجلها، وعندئذ سأل أحد العلماء الربانيين عن مصداقية الحديث أو الأثر المذكور؟ فقال له العالم:الحديث فيمن أخلص لله وحده، وأنت لم تخلص لله، إنما أخلصت

للحكمة ! **(قلت)** وقد تقدم في الباب السابق الرد على خطأ إعتبار أدعياء الصوفيه الكشف هو الغاية واتخاذهم إليه طريقا غير شرعية بما يغني عن الاعادة هنا، **(ب) التفرقة بين الشريعة والحقيقة:** لقد اغتر بعض أدعياء التصوف بما يعرض لهم من إلهام وكشف، وظنهم العصمة لهذه الإلهامات والخواطر، آل بطائفة من هؤلاء الأدعياء إلى الوقوع فى ضلالات عدة منها: تفرقتهم بين (الشريعة)) التي جاء بها النص، و (الحقيقة)) التي جاء بها الكشف، واعتبارهم الأولى من نصيب العوام، والثانية من حظ الخواص، ويستدلون على هذه التفرقة بقصة موسى والخضر، التي ذكرها الله فى سورة الكهف، فقد كان نبي الله موسى عليه السلام ينظر بعين الشريعة فأنكر خرق السفينة، وقتل الغلام بغير جناية، وإقامة الجدار لقوم لا يستحقون إكرامًا ولا معونة، وكان الخضر ينظر بعين الحقيقة، ولهذا بين لموسى ما وراء كل فعلة من هذه الفعلات من أسرار وغيوب، فسلَّم موسى للخضر، لأن موسى لم يكن معه إلا علم الظاهر، علم الشريعة، والخضر معه علم الباطن، وهو علم الحقيقة، والعلم الذى عند الخضر لم يأت نتيجة تعلم ولا اكتساب، إنما هو علم وهبي من لدن الله تعالى مباشرة وبلا واسطة، {وعلَّمناه من لَّدُناً عْلما}، ومن هنا جاء عن بعض أدعياء التصوف احتقارهم لعلم الشرع، وتسميته بعلم الورق، والتفريق بينه وبين علم الحقيقة، أو (العلم اللدني)) كما يسمونه، وظهر من كلام هؤلاء الأدعياء ما يدل على تحقير العلم الشرعي، حتى قال بعضهم: إن العلم الشرعي حجاب بين صاحبه وبين اللَّه، ولا ريب أن هذا شرود عن الصراط المستقيم الذي سار عليه رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم وأصحابه الكرام، ومن تبعهم بإحسان، بل سار عليه سادة الصوفية الأتقياء الأنقياء أنفسهم، والإلهام لا يحل حرامًا ولا يحرم حلالا، ولا مخالفة بين الشريعة والحقيقة، والظاهر والباطن، فكل من الشريعة والحقيقة عين الآخر، لا مخالفة بينهما، وكل ما خالف الشريعة مردود، وكل حقيقة ردتها الشريعة فهي زندقة، لقد انحرف بعض أدعياء التصوف، بسبب اغترارهم بالشطحات والطامات، وقد أدى بهم هذا الغرور والانحراف إلى القول بأن للشريعة ظاهرا وباطنا،، فالفقهاء والمحدثون والعلماء يقفون عند الظاهر، وهو حجاب بينهم وبين الباطن الذي هو الحقيقة،، والمتصوفة يتجاوزون هذا الظاهر، فلا يقفون عنده – ولذلك فهم لايهتمون بالعلم – ويباشرون الوصول إلى الحقيقة، وقد أنكر أئمة التصوف هذا التفريق، ومن هؤلاء الإمام الغزالي حيث أنكر هذا القول أماكن كثيرة ومنها "إحياء علوم الدين"، فالقول بكون الباطن مناقضا للظاهر فيه إبطال للشرع، وقول من قال: إن الحقيقة خلاف الشريعة كفر، ومن قال: إن الحقيقة تخالف الشريعة، أو الباطن يناقض الظاهر، فهو إلى الكفر أقرب إلى الإيمان، بل وربما انحل بعضهم عن

التكاليف وأدعى أنها للعامة، وأما من وصل فلا حاجة به اليها وأنها حجاب له وهؤلاء كما قال الجنيد وغيره من العارفين: وصلوا ولكن إلى سقر، وهذا من أعظم خداع الشيطان وغرور لهؤلاء، لم يزل يتلاعب بهم حتى أخرجهم عن الإسلام، ورحم الله تعالى الإمام الرفاعي حيث قال: "كل طريقة خالفت الشريعة فهي زندقة"، **(3) التحذير من القول بسقوط التكاليف:** من أخطر الانحرافات التي وقعت لبعض أدعياء الصوفية، والتي تخرج صاحبها من دائرة الإسلام القول بسقوط التكليف، ذلك أن بعضهم وقع في الإباحية، وطووا بساط الشرع، ورفضوا الأحكام، وسووا بين الحلال والحرام، ويقرر جمهور الصوفية أن التكاليف الشرعية لاتسقط عن المكلف بأي حال، حتى ولو بلغ درجة الوصول، بل إن الوقوف عند حدود الشرع والتمسك بأحكامه، هو المقياس الذي يحكم به على صدق الصوفي الواصل مهما ظهرت عليه من كرامات وأحوال، وقد حكم أئمة التصوف على هذه الفئات بأنها مذاهب باطلة،

**(14) الممارسات الخاطئة ليست من التصوف الإسلامي الصحيح:** ومن ذلك: الشعوذة والتدجيل فإنّ بعض المنتسبين بالباطل إلى التصوف يأتون بأمور خارجة عن الشرع والعقل و الأدب والكرامة،فيأكلون الزجاج والصبار والثعابين، ويلحسون النار، ويدفعون الدبابيس والمسامير في جسومهم،أمام جمهرة الناس، وهذا كله نصب ودجل وكذب ومنكر، لم يكن من فعل نبي ولا ولي بالمرة، ولميكن في كتب الدين الصحيحة ولا الكاذبة دليل واحد يجوزها، فهي ليست كرامة ولكنها صناعة حقيرة محرمة، وتدجيل وغش ورجس (أعمال الحواة) وخوارق كثيرة من هذا القبيل، وكلها من استخدام الشياطين ومصاحبتهم وهو حرام، إذ لو كان فيه خير لنفعوا به أنفسهم وأغنوها عن التسول والسؤال، وليس هذا من الكرامات، فالكرامات لا تكون إلا عند الضرورات، والولي الكامل مخفى الكرامة، إذ قد أجمع الصوفيون على أن ظهورها من الرعونة والطيش،

**(15) تجديد التصوف يبدأ بإصلاح أخطاء التصوف:** تجديد التصوف يبدأ أول ما يبدأ بإصلاح أخطاء التصوف، وذلك يكون بتصفية الاعتقاد من كل شوائب التقديس للمشايخ فإنهم أولياء نعم، لهم التوقير والاحترام، نعم، ولكن ليس لهم العصمة، وكلٌ يؤخذ من قوله ويرد إلا المعصوم صلى الله عليه وسلم، وتصفية الاعتقاد من كل دعاوى الاتحاد والحلول والوحدة المطلقة على معناها الفلسفي المرفوض، ورفض كل دعاوى الشطح لأنها نقص ورعونه، ورفض كل دعاوى مخالفة الحقيقة للشريعة، ومخالفة الظاهر للباطن، وانكار تلك الدعاوى الفاجرة، فلولا الظاهر ما حفظ الباطن،

ورفض كل دعاوى سقوط التكاليف عن الواصل، لأنه بذلك واصلٌ إلى جهنم وسقر، وتصفية السلوك من المخالفات الشرعية، وتنزيه الذكر عن الغناء والرقص والطبل والمعازف، واحترام جناب الشريعة عند الأضرحة والقباب، وتصفية الأذكار والأدعية عن الألفاظ الغريبة، والدعاوى العريضة، والمبالغات الفجة، والبراءة من أدعياء التصوف، والبراءة مما يحدث في احتفالات الصوفية ومجامعهم من الجهل والبدع والمنكرات والمخالفات والأخطاء، والبراءة من الممارسات الخاطئة، والتحذير من المخالفات الشائعة بين مدعي التصوف، واعتماد مبدأ التصفية للتراث الصوفي العريض مما علق به من أخطاء، ومما نسب إليه زوراً وبهتاناً من أعداء التصوف الصحيح، ومما نسب إلي الاولياء الصالحين زوراً وبهتاناً، وهم أجل الناس عن النطق به، مثل ما نسبوه إلى أبي يزيد البسطامي، وعبد القادر الجيلاني، وابن عربي، من العظائم والمكفرات، واعتماد مبدأ التصفية للتراث الصوفي العريض مما علق به من مخالفات عقائدية، واعتماد مبدأ التصفية للتراث الصوفي العريض مما علق به من مخالفات شرعية، واعتماد ومبدأ التجديد والإحياء للتصوف الإسلامي الصحيح الصافي القائم على الكتاب والسنة،

**(16) واجبنا نحو التصوف اليوم:** واجبنا نحو التصوف اليوم هو طرحه نموذجاً لمرتبة الإحسان أعلى مراتب الدين، واجبنا نحو التصوف اليوم أن نبدأ بأنفسنا، وأن نعكس صورة التصوف الإسلامي الصحيح من خلال أخلاقنا وآدابنا والتزامنا بالشرع الشريف فحال الإنسان يغني عن مقاله، واجبنا نحو التصوف اليوم: أن نظهر التصوف بالصورة المشرقة، ولا يشرق التصوف إلا بالإتباع لكتاب الله وسننه واجبنا نحو التصوف اليوم: الرجوع به إلى تزكية الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام، واجبنا نحو التصوف اليوم: أتباع أسس التصوف الأولى: صفاء النفس، وقصد وجه الله، والتمسك بالفقر والافتقار، وتوطين القلب على الرحمة والمحبة، والتجمل بمكارم الأخلاق التي بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم لإتمامها، واجبنا نحو التصوف اليوم: نشر التصوف الصحيح والبرآءة من التصوف البدعي وادعياء التصوف من الجهلة والمرتزقة والدجالين المنسوبين زورا الى التصوف، واجبنا نحو التصوف اليوم: إعطاء النموذج الحي الصحيح للصوفي الرباني، وذلك بالتمسك بأخلاق الصوفية الاكابر، لابد من انصاف التصوف ورد الاعتبار إليه وتصفيته من الدخن والخلل، والعودة به إلى تزكية الكتاب والسنة، إن واجبنا نحو التصوف اليوم هو التزام المبادئ الإيجابية التي

جاء بها التصوف الإسلامي، مع إصلاحه و تجديد أمره وإعادته إلى تزكية القرآن والسنة وتأكيد ارتباطه بالكتاب والسنة، لأنه – بحق – علم رباني من أهم علوم الإسلام وأعلاها منزلة،

**(17) تجديد أمر الدين يحتاج إلى التمسك بالسلفية الصحيحة والصوفية الصحيحة:** لا يوجد أي خلاف بين السلفي الحقيقي والصوفي الحقيقي أبدا، بل إن المسلم ينبغي أن تكون فيه سلفية صحيحة تقوم على مبدأ الكتاب والسنّة والتوحيد والاتباع، ولابد وأن تكون فيه صوفية حقة صادقة تقوم على التربية والتزكية والأخلاق، وإنّ الخلاف لا يقع إلا بين أدعياء التصوف الزائفين وأدعياء السلفية المتنطعين، وفي عصور الإسلام الاولى كان العلماء أمثلة صحيحة لمعاني السلفية والصوفية، والخلاف لا ينتج إلا عند الإفراط أو التفريط في أحد الفريقين، الخلاف إنّما هو بين سلفية ناطحة وصوفية شاطحة، وضاع اتباع المسلك الصحيح الذي يبتغي أن يعيدنا إلى الطريق القويم والتوسط والاعتدال،

***

**الفهارس**

المقدمة

المبحث الأول: ميزان نبوي لمعرفة الحق في هذه الامة

المبحث الثاني: حال أهل نجد الذين يحاربون التصوف

المبحث الثالث: مراتب الدين وبيان أنّ أعلاها هو التصوف النائب عن مرتبة الإحسان

المبحث الرابع: مدخل إلى علم التصوف

المبحث الخامس: التصوف الحق

المبحث السادس: مبادئ التصوف

المبحث السابع: حقائق عن التصوف

المبحث الثامن: غاية التصوف

المبحث التاسع: سبيل التصوف لبلوغ الغاية

المبحث العاشر: القرآن الكريم والتصوف

المبحث الحادي عشر: النبي صلى الله عليه وآله وسلم والتصوف

المبحث الثاني عشر: الصحابة رضي الله عنهم والتصوف

المبحث الثالث عشر: شهادات تزكية من علماء الأمة للتصوف السني ورجاله

المبحث الرابع عشر: صورة عن رجال علم التصوف وأولياء الله تعالى المقتدى بهم في الدين،

المبحث الخامس عشر: عقيدة أهل التصوف

المبحث السادس عشر: براءة أهل التصوف الحق من العقائد المخالفة للكتاب والسنة

المبحث السابع عشر: تصحيح أفكار عن التصوف

المبحث الثامن عشر: أهل التصوف والمرجعية العقائدية

المبحث التاسع عشر: أهل التصوف والمرجعية الفقهية

المبحث العشرون: التصوف وسلامة القلب من أمراضه

المبحث الحادي والعشرون: التصوف وتزكية الأنفس (منهاج الصوفية في التزكية)

المبحث الثاني والعشرون: ثمرَات مناهج التصوف التربوية

المبحث الثالث والعشرون: أخلاق وآداب أهل التصوف الحق

المبحث الرابع والعشرون: مقامات ومنازل وأحوال التصوف

المبحث الخامس والعشرون: أعلام وأقطاب التصوف

المبحث السادس والعشرون: مدارس التصوف

المبحث السابع والعشرون: الطرح الصوفي في الإصلاح العلمي والعملي والسياسي والأخلاقي

المبحث الثامن والعشرون: الصوفية وأحكام الإيمان والكفر

المبحث التاسع والعشرون: الصوفية وأحكام التوحيد والشرك

المبحث الثلاثون: الصوفية وعلم السنة والبدعة

المبحث الحادي والثلاثون: الصوفية وعلم التقديس والتنزيه

المبحث الثاني والثلاثون: الصوفية وأحكام السياسة الشرعية

المبحث الثالث والثلاثون: الصوفية وأهل السنة والجماعة سواد المسلمين الأعظم

المبحث الرابع والثلاثون: الصوفية واحترام التخصص العلمي لأهل السنة والجماعة

المبحث الخامس والثلاثون: الصوفية وحرمة أهل الإسلام قاطبة

المبحث السادس والثلاثون: الصوفية والموقف من الفرق الضالة من أهل الإسلام

المبحث السابع والثلاثون: الصوفية والصحب الكرام والآل الاطهار

المبحث الثامن والثلاثون: الصوفية وعلم الاخلاق

المبحث التاسع والثلاثون: قواعد التصوف

المبحث الاربعون: أدلة شرعية لمفردات التصوف

المبحث الحادي والاربعون: مصطلحات أهل التصوف

المبحث الثاني والاربعون: نظريات أهل التصوف

المبحث الثالث والاربعون: دور التصوف المنوط به في التقريب بين شتى الفرق الإسلامية

المبحث الرابع والاربعون: تصفية التصوف من دعاوى الأدعياء

المبحث الخامس والاربعون: تصفية التصوف من جهل الجهلاء

المبحث السادس والاربعون: دفاعا عن التصوف السني الحق

المبحث السابع والاربعون: فهم الصوفية المعتدل للإسلام هو الحل،

المبحث الثامن والاربعون: رسالة إلى أتباع الطرق الصوفية

المبحث التاسع والاربعون: رسالة إلى الوهابية أتباع قرن الشيطان

المبحث الخمسون: معالم التجديد في مجال التصوف

***